الجزء الاول

من التفسير المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل تأليف امام
المحققين وقدوة المدققين القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله
ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي وهو نسبة
الى قرية يقال لها البيضاء من أعمال شيراز
توفي سنة احدى وتسعين وسبعمائة
رحمه الله وأسكنه من
الفردوس أعلاه
آمين

﴿ وبهامشه حاشية العلامة الفاضل أبي الفضل القرشي الصديقي
الخطيب المشهور بالكازروني رحمه الله آمين ﴾

﴿ قد قرر المجلس الاعلى بالازهر تدريس هذا الجزء ﴾
﴿ لطلبة السنة السادسة ﴾

(طبع بمطبعة)

دار الكتب العربية الكبرى

﴿ على نفقة أصحابها ﴾
﴿ مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكري وعيسى ﴾
﴿ بمصر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم رب تمم بالخير ﴾

(قوله الحمد لله الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) قال صاحب الكشاف فى خطبته الحمد لله الذى أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما وقال الشريف فى الحاشية دل بلامى التعريف والملك على اختصاص الحمد به تعالى وقال فى حاشية شرح المختصر دل الشارح فى قوله الحمد لله بلامى التعريف والاختصاص على اختصاص جنس الحمد به تعالى المستلزم لاختصاص المحامد كلها تحقيقا هلى قاعدة أهل الحق وأورد بعض العلماء انه أطبق شراح الكشاف وغيرهم ممن تلاهم على ذلك ولى فيه بحث لان الظاهر ان اللام انما يدل على الاختصاص بمعنى التعلق الخاص لا بمعنى الانحصار يدل على ذلك انهم ماعدوه من طرق الحصر كما عدوا سائر الحروف المشعرة بالحصر منها وان قولك المال لزيد لو كان مفيدا لحصر المال على زيد كان قولك ما المال الا لزيد مفيدا لحصر المال على صفة الانحصار على زيد لا على قصر المال فى زيد ولكان لله الحمد مفيدا لقصر الحمد على الاختصاص بالله تعالى لا على قصره على الله تعالى لان قولك الحمد لله لما كان دالا على اختصاص الحمد به يعنى كونه مقصورا عليه تعالى لم يكن تقديم الظرف مفيدا للاختصاص الحاصل بدونه بل قصر ذلك على الاختصاص على المبتدأ واللازم منتف كيف لا وصاحب الكشاف نفسه قد قال فى سورة التغابن قدم الظرفان فى قوله له الملك وله الحمد ليدل تقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل أقول الجواب عما ذكر أولا ان قوله انهم ماعدوه من طرق الحصر ان أراد به من الطرق المذكورة فى باب القصر من أبواب علم المعانى فعدم ذكره فيه لا يدل على عدم كونه من طرقه فانهم ما حصروا الطرق فيما ذكر فى الباب المذكور يدل على ذلك ان صاحب التلخيص وغيره ذكروا ان كون الخبر المحلى باللام يدل على القصر كزيد المنطلق مثلا فانه يدل على قصر الانطلاق على زيد ولم يذكروا ذلك فى باب القصر وان أرادانهم لم يعدوه من طرق القصر أصلا فممنوع فان قولهم اللام للاختصاص يدل ظاهرا على انه للقصر وعما ذكرته ثانيا انه يمكن ان يكون قولهم اللام للاختصاص انه فى الاصل للاختصاص والحصر ثم يستعمل فى معان أخر كالتعلق الخاص أو يكون مستعملا فيهما بالاشتراك ومنه قولك ما المال الا لزيد فتأمل نظير ذلك ما قالوا ان اللام فى الاصل للتعليل ثم يستعمل فى مجرد ترتب الشئ كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ثم اذا سلمنا ما ذكروه انه يلزم قصر المال على صفة الاختصاص بزيد فلا نسلم أن هذا يدل على انحصاره فى زيد بل يدل عليه بطريق المبالغة فانه يفيد انه ليس للمال الا صفة كونه مقصورا على الاختصاص لا يتجاوز الى صفة الاشتراك بينه وبين غيره فلو كان غير زيد مالك لم يكن مقصورا على صفة الاختصاص بل له صفة الاشتراك فتدبروعما ذكرته ثالثا ان قول صاحب الكشاف قدم الظرفان الخ يجوز ان يكون معناه انه لما كان اللام قد يجىء لغير القصر فلو قيل الحمد له لم يكن نصا فى حصر الحمد عليه تعالى فقدم الظرفان ليكون نصا فاللام فى له الحمد لمجرد التعلق فيكون النص على القصر مستفادا من التقديم ثم انه لو لم يكن اللام للقصر لم يكن الحمد لله مفيد القصر الحمد على الله تعالى وكان معناه مجرد تعلق الحمد بالله تعالى فلا يفهم منه ما هو الغرض الاصلى من قصر الحمد عليه تعالى * واعلم ان بين العبارة المنقولة من أول خطبة الكشاف وبين الفقرة الاولى من خطبة الكتاب فرقا من وجوه الاول ان المراد من الانزال الانزال الى السماء الدنيا فانه روى انه أنزل من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا دفعة ثم نزل بحسب المصالح منجما وظاهر المقيد صاحب الكشاف أنزل لقوله على عبده ولم يتعرض المصنف للانزال المذكور دفعة واحدة لان ظهور اعجازه وعمومه فضله وهدايته بالتنزيل على عبده ليكون للعالمين نذيرا ولا يخفى مناسبة الانزال للقرآن الذى هو الجمع فى الاصل كما سبجىء وملاءمة التنزيل للفرقان الثانى ان عبارة المصنف مشتملة على فائدة التنزيل وهى الانذار الثالث الاشارة الى كونه صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الخلق بقوله ليكون للعالمين نذيرا على ما قرر ان اللام فى للعالمين

(٢) انهم ماعدوه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا

للاستغراق وفي عبارة الكتاب لطائف الاولى الاقتباس وهو ظاهر الثانية الطباق وهو ايراد المتضادين وهما الالوهية والعبودية الثالثة براعة الاستهلال الرابعة الاكتفاء وهو الاقتصار على كونه نذيرا قيل الاكتفاء بالنذير لكونه اقتباسا من القرآن فلابد من اتباعه أقول فيه نظر اذ لايجب في الاقتباس الا الاتيان ببعض ألفاظ القرآن أو الحديث واما ايراده من غير زيادة ونقصان فلا يجب كيف وقد غير المصنف عبارة القرآن وهي قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده بقوله الحمد لله الذي نزل الفرقان واعلم ان تخصيص النذير بالذكر وان حصل الاكتفاء لوذكر البشير فقط لشدة الاهتمام به لان النفوس في الاكثر مجبولة على الشهوات مائلة بالطبع الى المعاصي والفرقان القرآن واختلاف العبارتين باختلاف الاعتبارين فسمي فرقانا باعتبار جمعه وقراءته قال الجوهري قرأت الكتاب قراءة وقرآنا ومنه سمي القرآن وقال أبو عبيدة سمي القرآن لانه يجمع السور و يضمها وفرقانا باعتبار فرقه بين الحق والباطل أو بافتراقه من سائر المعجزات فهو الفرقان بين نفسه و بين المعجزات الاخرى ليلقائه أبد الدهر أو بفرقه بين النبي المنزل عليه و بين سائر الانبياء والفرقان في عرف الشرع هو الكلام المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المنقول عنه بالتواتر المكتوب في المصاحف وهذا يشمل الكل والبعض ثم ان المراد من القرآن الواقع في العبارة المنقولة من الكشاف الكل فان جعله مفتتحا بالتحميد مختتما بالاستعاذة ظاهر الارتباط بالكل وكذا الفرقان الواقع في عبارة الكتاب بقرينة قوله فتحدى باقصر سورة من سوره قال العلامة التفتازاني في حاشية الكشاف ولما كان اثبات الكلام بالشرع وقد دل الشرع على اتصافه بما يوجب حدوثه وكان الذي يقصد تفسيره هو ذلك الحادث صدر كتابه بتلبسه من تلك الصفات لتكون مع رعاية براعة الاستهلال دالة على ماهو معظم خلافيات المعتزلة وأشهر مقاصدهم في الكلام انتهى وفيه نظر اذ ليس في ذلك الحادث الخلاف المشهور بين أهل السنة والمعتزلة لان الذي يقصد تفسيره ودل الشرع على اتصافه بما يوجب حدوثه هو الالفاظ وليس في حدوث الالفاظ ذلك الخلاف المشهور والجواب ان مقصوده انه دال على أشهر مقاصدهم في الكلام على زعم صاحب الكشاف لانه لما كان الكلام عنده ليس الا الالفاظ فقط وهي حادثة كان الكلام ليس الا ما كان حادثا فليتأمل واعترض الشريف العلامة أولا على ماقلنا بان القرآن عند المصنف هو هذه العبارة وهي معجزة اجماعا ولايشتبه على ذي مسكة ان الشرع انما يثبت بالمعجزة فلا يتصور اثباته بها وتفصيله ان وجود العبارات معلوم بحس السمع واعجازه بعلم اما بالذوق السليق أو المكتسب أو بالاستدلال كما ستعرفه واذا علم اعجازها علم انها ليست بكلام البشر وانها كلام خالق القوى والقدر كما نص عليه المصنف فيما بعد فتكون هي معجزة من عند الله دالة على صدق مدعي النبوة فثبوت الشرع يتوقف على العلم بثبوتها واعجازها وكونها من الله تعالى فلا يصح اثبات شئ من ذلك بالشرع وثانيا بان اتصاف القرآن بما ذكر من التأليف والتنظيم والتنجيم مثلا أمر ظاهر مكشوف ليس مما يستفاد من الشرع ويمكن دفعهما بان يقال مراد العلامة التفتازاني من قوله لما كان اثبات الكلام بالشرع ان اثبات كلام الله تعالى بالنظر الى أكثر الناس بالشرع لان من قدر على تحقيق اعجازه والاستدلال به على انه كلام الله لو وجد فهو قليل ومن قوله وقد دل الشرع على اتصافه بما يوجب الحدوث ان اتصاف كلامه تعالى بما يوجب الحدوث مثل التركيب من الكلمات والحروف المرتبة في الوجود المستلزمة للحدوث يستفاد من الشرع أي للشرع دخل فيه اعم من نظر الى ما بين الدفتين يعلم كونه مركبا من الكلمات والحروف فيعلم كونه حادثا لكن لايحصل له العلم بان كلام الله مركب من الالفاظ متصف بالحدوث الا بعد علمه بانه كلام الله تعالى والعلم بكونه كلامه تعالى مستفاد بالنظر الى الاكثر من الشرع كما قلنا فليتأمل ثم ان في كلام الشريف العلامة بحثا آخر وهو ان قوله الشرع موقوف على ثبوت اعجاز القرآن ممنوع لم لايجوز أن يكون ثبوت الشرع بمعجزات أخرى ثم أخبر الشارع بكون القرآن كلام الله تعالى فلا يلزم الدور فتدبر ثم قال العلامة التفتازاني فان قيل الشرع أثبت الكلام انه صفة لله تعالى فيكون قد يما ضرورة امتناع قيام الحدوث بذاته تعالى أجيب بان الصفة هي التكلم ومعناه ايجاد الاصوات والحروف في محالها فيرجع الى الصفات الاضافية وردبان المفهوم من المتكلم من قام به الكلام وايجاد العرض في محل لايوجب اتصاف الموجد به انتهى وفيه نظر اذ لقائل ان يقول ان معنى المتكلم من اتصف بالتكلم لا المتصف بالكلام كما هو معنى سائر المشتقات

فان معنى المشتق شئ يتصف بالمصدر ولا يطلق على كل واحد من الناس انه متكلم مع ان الكلام لا يقوم به قيام العرض بالمحل بل كلامه صوت مكيف بكيفيات مخصوصة وأصوات كيفية تعرض للهواء وليس عرضا قائما بالمتكلم فتأمل ثم قال فان قلت الانزال التحريك من الاعلى الى الاسفل والكلام من الاعراض المتزايلة التي لا استقرار لاجزائها فكيف يتصور انزاله قلت جعل انزال المحل الذي يقوم به الحروف الملفوظة المسموعة ولو عند الاداء الى المنزل عليه أو صورها المحفوظة أو المكتوبة انزال الكلام مجازا وقال الشريف العلامة الموصوف بالحركة حقيقة هو المتحيز بالذات من الجواهر الافراد وما يتركب منها دون الاعراض سواء كانت أجزاؤها مجتمعة كاللون أو سيالة كالصوت الذي هو جس الكلام فكيف يتصور انزال القرآن وتنزيله مع انها تحريك من الاعلى الى الاسفل فهذا مبني على متعارف اللغة حيث يصفون الكلام بما وصف به مبالغة فيقولون نزل الينا من القصر حكم الامير أقول في كلامهما نظر فانا لا نسلم ان الصوت مطلقا يكون من الاعراض السيالة المتزايلة التي لا تثبت في الوجود ولا استقرار لاجزائها وانما يكون هذا في الصوت الموجود لنا واما انه لا يمكن صوت مستقر في الوجود أصلا فممنوع حتى يثبت بالدليل وههنا كلام آخر يعرف بالتأمل والذي يؤيد المنع الذي ذكرناه من انه لا يجوز ان يوجد صوت مجتمع الاجزاء في الوجود مستمر وجوده ما ذكره صاحب المواقف وارتضاه شارحه ان الشيخ أبا الحسن الاشعري لما قال الكلام هو المعنى النفسي فهم الاصحاب منه ان مراده مدلول اللفظ وحده وهو القديم عنده وهذا الذي فهموه من كلام الشيخ له لوازم كثيرة فاسدة فوجب ان يحمل كلام الشيخ على ان المراد بالكلام النفسي أمر شامل للفظ والمعنى جميعا قائم بذات الله تعالى وما يتوهم من ان ترتب الكلمات والحروف مما يدل على الحدوث فباطل لان ذلك لتصور آلات القراءة وهذا الحمل لكلام الشيخ (٤) مما اختاره الشهرستاني انتهى فقد صرح بقيام اللفظ بذات الله تعالى مع أزليته وعدم تبدله وترتب أجزائه وصرح بان ترتب أجزاء الكلام بالنسبة الينا لقصور آلات القراءة (قوله فتحدى) الفاء فاء السببية لان التنزيل المذكور سبب التحدي ولا يجب ان يكون فيه ضمير الموصول مع انه قال الرضي الذي يقوى عندي ان الجملة التي يلزمها الضمير تكبر المبتدا والصفة والصلة اذا عطفت عليها جملة أخرى متعلقة بالمعطوف عليها معنى يكون مضمونها بعد مضمون الاولى متراخيا أولا وبغير ذلك جاز تجرد احدى الجملتين عن الضمير الرابط اكتفاء بما في أختها التي هي كجزأيهما سواء كان مضمون الاولى سببا لمضمون الثانية كما في مسئلة الدباب اولا انتهى وعلى هذا يجوز ان يكون الفاء المذكور لمجرد العطف والتعقيب (قوله قديرا) القدير ههنا بمعنى القادر اذ ليس المراد نفي المبالغة بل نفي أصل القدرة والباء في قوله به بمعنى على أي لم يجد قادرا عليه وفي نفي القدرة ردّ على من قال ان بعض منهم قادرون على مثل القرآن لكن الله تعالى صرف عنهم دواعيهم اليه وانما قال قديرا نظرا الى نذيرا (قوله ثم بين للناس الخ) خص التذكر بأولي الالباب لان التذكر هو العلم والمعرفة وهما يكونان لاولي الالباب والعقول الخالصة من الكدورات والتدبر معمول مطلق بمعنى التذكر أو مصدر لفعل محذوف أي ليتذكروا ويذكر والمراد نوع من التذكير عظيم (قوله قناع الانغلاق) القناع ما يغطى به الرأس والظاهر انه من قبيل لجين الماء أي انغلاق كالقناع (قوله آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) وقوله تأويلا وتفسيرا الخ ونشر من غير ترتيب رعاية للسجع فان التفسير للمحكمات والتأويل للمتشابهات لقوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم على ما هو رأي المؤولة (قوله غوامض الحقائق ولطائف الدقائق) اضافة الغوامض الى الحقائق واللطائف الى الدقائق من قبيل جرد قطيفة من اضافة الصفة الى الموصوف أو العكس ففيه خلاف المشهور بين البصريين والكوفيين واضافة الغوامض الى الحقائق لانها لا تخلو عن غموض ودقة غالبا واللطائف اما ان يراد بها الامور الخفية أو أمور تقبلها الطباع وعلى كلا المعنيين مناسب للدقائق

فتحدّى بأقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وأخم من تصدّى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتّى حسبوا انهم سحّروا تسحيرا ثم بيّن للناس مازلّ اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكّر أولوا الالباب تذكيرا فكشف لهم قناع الانغلاق عن آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات هنّ رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا وأبرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلّى لهم

(قوله خفايا الملك والملكوت) الملك عالم الشهادة والملكوت المغيبات (قوله وخبايا قدس الجبروت) الجبروت عند الامام الغزالى عالم المعانى والأمور العلمية وعند الشيخ الكامل صاحب الفتوحات عالم النفوس وقيل المراد عالم العقول لانه جبر نقصانها بكون مايمكن له حاصلا بالفعل وايراد الجبروت فى مقابلة الملكوت يشعر بانه ليس بالمعنى الثانى ولا الثالث لان عالم العقول والنفوس داخلان فى الملكوت والانسب المعنى الاول وهى الحقائق العلمية فيكون المراد بالملكوت الموجودات الخارجية المغيبة عن الحواس والاولى ان يقال خبايا القدس والجبروت الاسرار الألوهية أى الأمور المتعلقة بالذات والصفات المقدسة (قوله فياواجب الوجود الخ) لماذكر من أول الخطبة الى هنا الأمور المتعلقة بالذات والصفات المقدسة صار كانه بحيث يتجلى له الحق تعالى فخاطبه بقوله فياواجب الوجود كما قالوا فى اياك نعبد وسيجىء والفاء فاء السببية لانه لماذكر مساعى النبى صلى الله عليه وسلم فى باب التبليغ والهداية صارت الأمور المذكورة سببا لطلب الرحمة الكاملة عليه عليه السلام وتخصيص الصفات المذكورة بالذكر لان وجوب الوجود يترتب عليه جميع الصفات وفيضان الجود وكثرته مناسب للسؤال المذكور وقوله واجب الوجود وفائض الجود يدل على كونه مبدأ لكل شئ فالملائم بعده ايراد كونه تعالى غاية الغايات وانما كان كذلك لان الغاية مافعل الفاعل لاجله وهو تعالى حقيق بان يكون منتهى المطالب وعمل كل عامل لاجله وفى عبارته دلالة على ان الله تعالى هو المطلب الاعلى للعارفين الكاملين ولذا قال أهل التحقيق العبادة لها ثلاث مراتب الأولى ان يعبد الله تعالى طمعا للثواب وهربا من العقاب وهذا هو المسمى بالعبادة وهذه الدرجة نازلة جدا الثانية ان يعبد الله لاجل ان يتشرف بعبادته أو يتشرف بقبول تكاليفه أو يتشرف بالانتساب اليه وهذه الدرجة أعلى من الاولى وهذا هو المسمى بالعبودية الثالثة ان يعبد الله تعالى لكونه الها خالقا وكونه عبدا له وهذا أعلى المقامات وأشرف الدرجات وهو المستحق بان يسمى بالعبودة واليه الاشارة بقول المصلى أصلى لله فلو قال لثواب الله بطلت صلاته (قوله توازى غناءه الخ) يحتمل ان يكون الغناء الاول بالغين المعجمة بمعنى النفع والثانى بالعين المهملة (٥) بمعنى التعب ويحتمل العكس فان قلت لم اقتصر على طلب الصلاة الموازية للعناء ولم يطلب أزيد عليها قلت المراد من الموازاة للعناء كونه فى أقصى درجات الكمال كما ان غناءه صلى الله عليه وسلم فى أعلى مراتب الكمال فان قلت ينبغى ان يقدم عناءه بالعين المهملة على غنائه بالغين المعجمة ليكون ترقيا من الادنى الى الأعلى قلت تقديم الغناء بالغين المعجمة لشرفه بالنسبة الى مايتلوه (قوله فان أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا الخ) فيه بحث فقد صرح فى الطوالع بان أعظم العلوم وأرفعها ورئيسها ورأسها علم الكلام قد يقال يجب الحمل على ان المراد من العلوم ههنا غير الكلام بقرينة ماذكر فى الطوالع ولا يخفى ان الاعتماد على مثل هذه القرينة بعيد جدا ويمكن ان يقال ان لكل منهما شرفا ومزية على الآخر من وجه اما مزية الكلام فلان اثبات موضوع التفسير موقوف على الكلام فانه متوقف على وجود اله متكلم مرسل للرسول صلى الله عليه وسلم وهذه مما تثبت فى علم الكلام واما مزية التفسير فلأن كثيرا من المسائل الكلامية يثبت بالآيات كاعادة الاجسام ولا يلزم الدور لاختلاف الموقوف والموقوف عليه لكن ظاهر هذا مخالف لما فى شرح المواقف حيث قال ان علم الكلام أشرف العلوم بحسب جمعه جهات الشرف فليتأمل وان قيل انه أراد انه من أعظم العلوم لكنه تسامح فى العبارة للمبالغة اندفع عن كلامه ماذكر وههنا كلام وهو انهم ذكروا ان لكل علم موضوعا فموضوع التفسير اما ان يكون المفهوم الكلى الصادق على مابين الدفتين وهو كلام الله المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم المتحدى به أو يكون موضوعه السور والآيات الكريمة وحينئذ فلا يخلو اما ان يكون موضوعه مجموع السور من حيث هو مجموع أو يكون كل آية كريمة موضوعا من موضوعاته وحينئذ نقول لقائل ان يقول ليس المذكور أولا وثانيا موضوعا لان البحث فى التفسير ليس عن المفهوم الكلى المذكور ولا عن المجموع من حيث هو مجموع فيبقى الاحتمال الثالث ولا يخفى بعد ان يكون كل آية موضوعا حتى تكون موضوعاته بقدر عدد الآيات ويمكن ان يقال ان المفهوم الكلى موضوع التفسير لكن البحث عن افراده وهى الآيات باعتبار انه يستفاد منها أحوال المفهوم الكلى كما وقع فى سائر العلوم من البحث عن أنواع الموضوع فان الكلمة موضوع النحو ويبحث فيه عن أنواعها بل عن أنواع الاسم

خفايا المُلْك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكّروا فيها تفكيرا ومهّد لهم قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهّرهم تطهيرا فمن كان له قلب أو ألقى السمعَ وهو شهيد فهو فى الدارَين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه رأسه وأطفأ نبراسه يَعِشْ ذميما ويَصلِ سعيرا فياواجب الوجود ويافائض الجود ويا غاية كلّ مقصود صلّ عليه صلاةً تُوازِى غَناءَه وتجازِى عَناءَه وعلى من أعانه وقرّر تبيانه تقريرا وأفضْ علينا من بركاتهم وأسلكْ بنا مسالك كراماتهم وسلّم عليهم وعلينا تسليما كثيرا ﴿وبعد﴾ فانّ أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذى هو رئيس العلوم الدينيّة ورأسها

كالفاعل والمفعول والمبتدا ومثل ذلك مافى المواقف من ان موضوع الكلام هو مفهوم العلوم والبحث عن أنواعه وافراده فتأمل والاولى ان يقال ان موضوعه مجموع السور ويبحث فيه عن أحوال أجزائه باعتبار ان البحث عنها يؤل الى البحث عنه كما لا يخفى على المتفطن ونظير ذلك كثير فى العلوم فان موضوع الطب بدن الانسان من حيث يصح ويمرض ويبحث عن أحوال الأدوية باعتبار ان البحث عنها راجع الى البحث عنه فان قولهم العسل حار راجع الى البحث عن ان بدن الانسان اذا وقع عليه العسل بأكله ينحر ومثل قول الاصولى مفهوم اللقب لا يعتبر فان هذا البحث فى الظاهر ليس بحثا عن أحوال موضوعه لكن يرجع اليه بنحو تصرف ومن أراد تفصيل بحث الموضوع فعليه بمطالعة الحواشى التى كتبناها على شرح المواقف (قوله ومبنى قواعد الشرع وأساسها) قال فى الصحاح قواعد البيت أساسه فيكون التفسير أساس الاساس وأصولا يستفاد منها أصول متعلقة بالشرع ولا يخفى ان التفسير ليس أساس جميع قواعد الشرع لان التفسير موقوف على بعض المسائل الكلامية التى هى من قواعد الشرع فالمراد أساس بعض قواعد الشرع (قوله لا يليق لتعاطيه الخ) فان قيل العلوم الدينية موقوفة على التفسير لان الامور السمعية مستفادة من القرآن والحديث فهى تتوقف فى الجملة على التفسير وقوله لا يليق لتعاطيه الخ يدل على أن التفسير يستمد من العلوم الدينية وتتوقف عليها فالعلوم الدينية موقوفة على التفسير والتفسير موقوف عليها فلزم الدور قلنا بعض مسائل العلوم الدينية مستفاد من بعض مسائل التفسير والبعض الآخر منه لا يحصل الا لمن برع فى العلوم كلها فلا يحصل مجموع ذينك البعضين الا للبارع المذكور ويحتمل ان يكون مراده لا يحصل كمال الاشتغال بعلم التفسير وفهمه الا لمن برع فى العلوم كلها فان أسرار القرآن المجيد لا يظهر بعضها الا للبارع المذكور وهذا لا ينافى أن يكون بعض (٦) مسائل العلوم الدينية مستفادا من التفسير (قوله سورة فاتحة الكتاب) قال العلامة التفتازانى ولكون أول الشئ بعضه والمضاف اليه كله سيما الكتاب المفتتح بالتحميد المختتم بالاستعاذة فانه المجموع الشخصى لا المفهوم الصادق على الآية والسورة كانت الاضافة بمعنى اللام كما فى جزء الشئ دون من كما فى خاتم حديد أقول لك أن تقول ظاهر قوله سيما يشعر بان لما يذكر بعده نوع ارتباط خاص بالحكم المذكور وههنا ليس كذلك فان أول كل شئ بعضه فاذا أضيف الى ذلك الشئ يكون المضاف اليه كله لا فرق فى ذلك بين الاشياء ويمكن أن يقال فائدة لفظ سيما الاشعار بانه يمكن أن يراد باول الشئ جزئى من جزئياته الاول فيكون أول الشئ بمعنى جزئيه الاول وأما فاتحة الكتاب فلا يصح فيه هذا التأويل لان المراد فى الكتاب هو مجموع كلام الله المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم للاعجاز لا المفهوم الكلى كما صرح به الشريف العلامة حيث قال ليس لك أن تجعل الكتاب جنسا شاملا لان هذه السورة فاتحة وأول بالقياس الى المجموع المنزل لا للمفهوم الكلى الذى هو القدر المشترك انتهى كلامه وقد يقال ان المراد من هذا المركب الاضافى أى فاتحة الكتاب افادة ان السورة فاتحة لاى شئ فاذا أريد بالكتاب المجموع يفهم صريحا من المركب المذكور ما هو المقصود وأما اذا أريد بالكتاب المفهوم الكلى لم يفهم منه المقصود صريحا بل لا بد فى تحصيل هذا المعنى من تقدير مضاف اليه غير ما ذكر بان يقال أول افراد ذلك المفهوم فلم يتعين أن المراد من الكتاب ما ذكر ولا يخفى ما فيه فتأمل ثم ان الكتاب المفتتح بالتحميد المختتم بالاستعاذة ليس أمرا شخصيا اذ له افراد كثيرة بل هو المجموع النوعى وفاتحة الكتاب علم لنوع هذه السورة يؤيد ذلك ما صرح به بعضهم وهو ان أسماء الكتب من اعلام الاجناس وقد علم مما ذكر أن الاضافة بمعنى من تكون فيما اذا كان المضاف اليه جنس المضاف فتكون من للبيان كما فى خاتم حديد ومحصله أن يكون المضاف اليه صادقا على المضاف محمولا عليه هكذا قالوا لكن ما رأينا فى كلامهم تصريحا بالعلة فى وجوب كون الاضافة بمعنى من للبيان ويمكن أن يقال ان الاضافة فى مثل جزء الشئ ويد زيد مثلا بمعنى اللام ولا حاجة

ومبنى قواعد الشرع وأساسها لا يليق لتعاطيه والتصدّى للتكلّم فيه الّا من برع فى العلوم الدينية كلّها أصولها وفروعها وفاق فى الصناعات العربيّة والفنون الادبية بانواعها ولطالما أحدّث نفسى بأن أصنّف فى هذا الفنّ كتابا يحتوى على صفوة ما بلغنى من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومَن دونهم مِن السلف الصالحين وينطوى على نُكَت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها أنا ومَن قبلى مِن أفاضل المتأخّرين وأماثل المحقّقين ويُعرب عن وجوه القراآت المشهورة المعزيّة الى الائمّة الثمانية المشهورين والشواذّ المرويّة عن القُرّاء المعتبرين الّا أنّ قصور بضاعتى يثبّطنى عن الاقدام ويمنعنى عن الانتصاب فى هذا المقام حتى سنح لى بعد الاستخارة ما صمّم به عزمى على الشروع فيما أردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اسمّيه بعد ان أتمّمه بانوار التنزيل وأسرار التأويل فها أنا الآن أشرع وبحسن توفيقه أقول وهو الموفّق لكلّ خير ومعطى كل مسؤل

﴿سورة فاتحة الكتاب مكية وآيها سبع آيات﴾

الى جعلها بمعنى من بل نقول انها لانه أقرب الى الضبط اذ لا يثبت حينئذ قسم من الاضافة تكون الاضافة فيه بمعنى من لغير البيان وأما اذا كان المضاف اليه مبينا للمضاف صادقا عليه فلا وجه لعدّه لان يجعل بمعنى اللام فيجعل بمعنى من يؤيد ما ذكرنا ان الرضى رد على ابن الحاجب جعل الاضافة في ضرب اليوم بمعنى في وأدخل في الاضافة بمعنى اللام ولا يظهر له وجه الا كونه أقرب الى الضبط فتأمل وههنا بحث وهو أن الشريف العلامة قدس سره قال في حاشية الكشاف فان قيل ذكر في الكشاف أن اضافة اللهو الى الحديث بمعنى التبيين وهي بمعنى من أي من يشرى اللهو من الحديث فبين اللهو بالحديث لانه قد يكون من الحديث وقد يكون من غيره والمراد الحديث المنكر ويجوز أن تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كانه قيل ومن الناس من يشترى بعض الحديث الذي هو اللهو منه فعلى التقدير الثاني ان أريد بالحديث مطلقه كان جنسا للهو صادقا عليه كما يصدق عليه الحديث المنكر وتكون الاضافة بيانية لامتناع الظهور ان أريد به العموم والاستغراق كان لهو الحديث جزأ منه فقد ثبت اضافة الجزء الى كله بمعنى من التبعيضية وان لم تكن مشهورة فانا الظاهر ان المراد مطلق الحديث لكن دقق العلامة النظر في اضافة الشيء الى ما هو صادق عليه فقال كان فيه المضاف اليه بحيث يحسن حمله عليه ناويا تغييرا للمضاف كالساحج للباب والحديث المنكر لهو وجعلها بيانية وسلم يحسن ذلك فيه كالحديث المطلق للهو وجعلها تبعيضية ميلا الى جانب المعنى انتهى كلام العلامة أقول اذا أريد بالحديث الجنس الصادق على المنكر من الحديث لا وجه لجعل اللهو بعضه لظهور ظاهر البطلان بل انما هو بعض من أفراد ذلك الجنس والظاهر من كلام صاحب الكشاف اختيار الشق الثاني من الاحتمالين المذكورين وأن المراد أفراد الحديث حتى يكون اللهو بعضا منه فيكون هذا اختيارا منه جعل اضافة الجزء الى الكل في مثل هذا بمعنى من وان كان محالا للمشهور وفيه ما فيه فان قيل لعله أراد بجعلها تبعيضية أن يكون المضاف بعضا من المضاف اليه أي فرد منه بان يراد من بعض الجزئي الاضافي الجزء فراده انه وان كان المضاف اليه في هذه الصورة جنسا للمضاف صادقا عليه لكن لا نسمي هذه الاضافة بيانية تنزيلا له عن القسم الاول الذي يحسن جعل المضاف اليه بيانا للمضاف والباعث على هذا أن لا يلزم أن تكون اضافة الجزء الى الكل بمعنى من التبعيضية احترازا عن لزوم خلاف المشهور قلنا يلزم على ذلك شيآن أحدهما جعل البعض بمعنى الجزئي وهو غير وارد بل معنى البعض الجزء واذا قيل زيد بعض الانسان ففيه تقدير أي بعض افراد الانسان فيكون زيد جزأ من تلك الافراد وثانيهما جعل (٧) اضافة الجزئي الى الكلي تبعيضية وهو اصطلاح جديد خلاف المشهور فلم يلزم الوقوع فيما هرب منه (قوله وتسمى

وتسمّى أم القرآن لانّها مفتتحه ومبدؤه فكأنّها أصله ومنشؤه ولذلك تسمّى أساسا أو لانّها تشتمل على ما فيه من الثناء على اللّه سبحانه وتعالى والتعبّد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده

أم القرآن) لانها مفتتحة أي ما يفتتح به القرآن ومبدأه كأنها أصله ومنشؤه فيرد أي لما كانت الفاتحة مبدأ القرآن وأوله فكأنها أم القرآن وأصله من حيث ان أصل الشيء وأسه لا بد أن يكون مفتتحا وظهرا ومبدأ له فلا يرد عليه ما أورد من أن مبدأ الشيء يقال لما منه الشيء وجزئه الاول والام مبدأ للولد لا دون الثاني والفاتحة مبدأ القرآن بالثاني دون الاول فجعله وجه التسمية ليس بوجيه أقول فيه نظر لان قوله أصل الشيء لا بد أن يكون مفتتحا وظهرا ومبدأ له يرد عليه أنه ان أريد بكون الاصل مبدأ المبدأ بالمعنى الاول فليست الفاتحة كذلك وان أريد بالمعنى الثاني فلا نسلم ان أصل الشيء لا بد أن يكون مبدأ والجواب عن الايراد المذكور أن مراد المصنف أنه لما كانت الفاتحة الجزء الاول كان له التقدم على الكل وعلى سائر أجزائه فكانت كالاصل فان له تقدما على ما هو أصل له وههنا بحث آخر يظهر بالتأمل في كلام صاحب القيل (قوله والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده) قال الشريف العلامة في الحاشية أما التعبد ففي قوله اياك نعبد فان العبادة قيام العبد بحق العبودية وما تعبدنه من امتثال أوامر المولى ونواهيه أو في قوله الصراط المستقيم اذ أريد به ملة الاسلام المشتملة على الاحكام أو في قوله الحمد لله لان ما آل معناه قولوا الحمد لله والامر بالشيء ابجابا يستلزم النهي عن ضده وأما الوعد والوعيد ففي قوله أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم أو في قوله يوم الدين أي يوم الجزاء المتناول للثواب والعقاب واعترض عليه صاحب الحواشي بوجوه أحدها ان امتثال أوامر المولى ونواهيه ليس مأخوذا في معنى العبادة ولا لازما له ولا لازم أن تختص العبادة بمن له أمر ونهي وليس كذلك قال الله تعالى ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم فاذن لا يلزم من اشتمال الفاتحة على التعبد اشتمالها على التعبد بالامر والنهي الذي هو الدعوى والثاني أن ما ذكرتم أن الامر بالشيء ايجابا يستلزم النهي عن ضده انما يفيد هذا لو كان الامر المقدر وهو قولوا للموجود وذلك ممنوع لانا نرى أن تاركه لا يذم عند كثير من العلماء الثالث ان الانعام كثيرا ما لا يكون مسبوقا بالوعد فاشتمال أنعمت على الوعد ولالته عليه غير مسلم وكذا الغضب بالقياس الى الوعد أقول أما الجواب عن الاول فان مراد العلامة من العبادة عبودية الله وهي لا تحصل الا بامتثال أوامر المولى الحقيقي ونواهيه قيل يجوز أن يكون المراد بالامتثال أن يكون شأن العابد امتثال ما أمر أو نهى ولم يلزم منه أن يكون معبودهم ذا أمر بالفعل بل يكفي الشرطية وهي انه

ان أمر معبودهم بشئ امتثاله ولا يلزم منه الامتثال بالفعل أقول حمل عبارة الشريف العلامة على ماذكر تعسف مستغنى عنه وأما عن الثاني فلان أصل الامر الوجوب فيحمل عليه مالم يكن صارف ولو كان الامر للاستحباب لكان النهي متعلقا بضده أيضا قيل يتعلق النهي بضد الحمد وهو ترك الحمد بالكلية على سبيل الحرمة ويتعلق بها للعم في كثير من الآيات نحو قوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون أقول فيه نظر لان الآية لا تدل الا على أن انكار النعمة مذموم ولا تدل على أن ترك الحمد مذموم وأما عن الثالث فلان المراد من الانعام الانعام في الآخرة والانعام بشئ يترتب عليه الثواب في الآخرة والانعام الديني والدنيوي معا والانعام على الوجه الذي ذكرناه فيه اشارة الى الوعد وكذا المراد بالغضب الغضب في الآخرة أو بما يوجب الغضب فيهما بقرينة المقابلة للانعام وفيه اشارة الى الوعيد (قوله من الحكم النظرية) أي في الفاتحة الاشارة الى الحكم النظرية أي المسائل الاعتقادية فان الفطن اذا سمعه التوفيق يتفطن بما ذكر في الفاتحة الى المسائل الاعتقادية (قوله والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم الخ) لا يخفى ان الاحكام العملية ليست نفس سلوك الطريق المستقيم فان السلوك المذكور عمل فالتقدير والاحكام التي هي سبب سلوك الطريق المستقيم والقصص والامثال تفيد بوجه ما بعض المسائل التي يقصد بها الاعتقاد والاعمال فان في قصص الامم السالفة الدلالة على كون الله تعالى عالما قادرا مرسلا للرسل منجيا لهم الخ (٨)

أو على جملة ما فيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها على الصلاة ولوجوب قراءتها أو استحبابها فيها والشفاء والشفاء لقوله عليه الصلاة والسلام هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق الا أن منهم من عد البسملة دون أنعمت عليهم ومنهم من عكس وثلثي في الصلاة أو الانزال ان صح أنها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة حين حولت القبلة وقد صح أنها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص (بسم الله الرحمن الرحيم) من الفاتحة (ومن كل سورة) وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك رحمه الله تعالى والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص أبو حنيفة رحمه الله تعالى فيه بشئ فظن أنها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى وإنما أحاديث كثيرة انتهى ماروى أبو هريرة (رضي الله تعالى عنه) انه عليه الصلاة والسلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول أم سلمة رضي الله عنها قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن أجلهما اختلف في أنها آية برأسها أم بما

ان هلاك قوم نوح مثلا بسبب أعمالهم الفاسدة ومخالفة نبيهم ففيها دلالة على وجوب الاتباع للرسول والعمل بمقتضى أمره ونهيه فتأمل (قوله دون أنعمت عليهم) المقصود دون صراط الذين أنعمت عليهم فان الصلة بدون الموصول والمضاف اليه بدون المضاف لا يعد آية أصلا (قوله وثلثي في الصلاة) هذه العبارة أظهر من عبارة الكشاف حيث قال تثنى في كل ركعة والمراد أنها تثنى في جنس الصلاة وأكثرها فلا يرد الاعتراض بصلاة الجنازة وبما هو مذهب الشافعي من جواز الصلاة ركعة واحدة بعدها

(قوله وهو مكي) أي نازل بمكة قبل الهجرة فلا يرد أنه يحتمل أن يكون نزوله بمكة حين الفتح قيل لم يلزم من ذلك كون الفاتحة مكية لان ورود الماضي بمعنى المستقبل كثير في كلام الله تعالى كقوله انا أعطيناك الكوثر وأجيب بان ذلك ليس مناسبا لمقام النزول لانه تعالى يعدد الامتنان وبث النعم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحسن الامتنان بالنعمة التي لم يعطه اياه وفيه نظر لان هذا الحكم يصح اذا لم يكن الاعطاء في المستقبل محققا عند المخاطب فاما اذا تيقن المخاطب لمجرد وعده فهو حسن بل الجواب ان هذه الشبهة زائلة بالاحاديث الصحيحة المفيدة لكونها مستعملة بمعنى الماضي منها ماروى عن علي رضي الله عنه انها نزلت بمكة قول فيه نظر اذ محصل هذا الكلام ان الفاتحة مكية لان قوله تعالى ولقد آتيناك مكي وهو بمعنى الماضي للمستقبل لان الاحاديث دلت على أنها نزلت بمكة فهذا يكفي في الاستدلال ويكون التمسك بقوله آتيناك الآية لا دخل له فيه بل الجواب أن الفعل الماضي يجب ان يحمل على حقيقته اذا لم يكن صارف وههنا لا يظهر صارف فوجب الحمل على الحقيقة (قوله ولم ينص فيه أبو حنيفة بشئ فظن) لعالم ينص بشئ ظن انه أبقاها على أصلها الذي هو عدم كونها من السورة لان الاصل في كل حكم عدمه حتى يتبين ثبوته (قوله وسئل محمد بن الحسن عنها فقال) الظاهر انه سئل عن البسملة من السورة ولا لان الكلام فيه فيكون هذا الجواب غير مطابق للسؤال بحسب الظاهر اذ مطلوب السائل تعيين أحد الامرين المذكورين وعلى هذا فمقصوده عدم تقرر أحد الامرين عنده فصرح بما تقرر عنده من انها من القرآن

وارادته لم يتقرر أحد الامرين عندي وما تقرر فهو انها من القرآن وقد يقال يحتمل ان يكون السؤال عن ان البسملة من القرآن أم لا وحينئذ يكون الجواب مطابقا بالاخفاء (قوله ومن أجلهما اختلف) يعني ان الحديث الاول دال على ان البسملة آية مستقلة والحديث الثاني دال على انها جزء آية فمن وصل اليه الحديث الاول وتحقق عنده ذهب الى انها آية ومن تحقق عنده الحديث الثاني ذهب الى انها جزء آية واعلم ان مذهب الشافعي رضي الله عنه ان البسملة جزء من جميع السور ولم يذكره المصنف صريحا وذكره صاحب الكشاف قال وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهم على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي وأصحابه لكن اطلاق القول بان مذهب قراء الكوفة انها جزء من كل سورة ليس بصحيح على الظاهر فان حمزة كوفي ومذهبه انها ليست جزأ من كل سورة وانما هي جزء من الفاتحة فقط وقال الرافعي في الكبير البسملة آية من الفاتحة لما روي انه صلى الله عليه وسلم قرأ فاتحة الكتاب فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وعدها آية منها وروي انه قال اذا قرأتم فاتحة الكتاب فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فانها أم القرآن والسبع المثاني وان بسم الله الرحمن الرحيم آية منها واما حكم التسمية في سائر السور سوى براءة فلأصحابنا فيه طريقان أحدهما ان في كونها من القرآن في أوائل السور قولين أصحهما انها من القرآن لانها مثبتة في أوائلها بخط المصحف والطريقة الثانية وهي الاصح القطع بانها من القرآن بلا خلاف وانما الخلاف في انها آية مستقلة منها أم هي مع صدر السورة آية فاحد القولين انها بعض الآية من سائر السور وأصحهما انها آية تامة كما في الفاتحة فظهر بما ذكرنا ان المصنف قصر في تقرير مذهب الشافعي من وجهين أحدهما انه لم يلتفت الى كونها آية من سائر السور والثاني انه لم يبين ان البسملة آية أو بعضها ومذهبه انها آية مستقلة من الفاتحة ومن غيرها على الاصح (قوله والاجماع الخ) اعترض عليه بانه أثبت في المصاحف أسماء السور وأعداد الآي وأجيب بان من فعل ذلك فقد ميزه وأثبته بلون آخر أقول هذا الجواب لا يخلو عن ضعف والاولى ان يقال المراد بما بين الدفتين ما كان بين الدفتين في زمان جمع القرآن وابتداء كتبه في المصاحف وما يقرب من ذلك الزمان والظاهر ان مبالغتهم في تجريد القرآن انه لم يكن فيه أسماء السور وأعداد الآي (٩) وههنا كلام وهو ان مذهب الشافعي ان البسملة آية من الفاتحة ومن سائر السور كما ذكره صاحب الكشاف وهو ان كون البسملة من القرآن لا يدل على كونها آية من السورة اذ يجوز ان تكون آية مستقلة أو بعض آية من السور وأجيب عن الاول بان القرآن مفصل الى السور والسور الى الآيات فلو كانت البسملة جزأ من القرآن لكانت جزأ من السور بقي الاحتمال الثاني وهو ان تكون بعض آية من السور وذكر في حاشية الكشاف انه نقل عن بعض الناس ولم يلتفت اليه صاحب الكشاف ولم ينقل ذلك الخلاف انما نقل الخلاف في كون البسملة من القرآن أقول لم يبين السبب في عدم الالتفات اليه ولقائل ان يقول بعض الدلائل يدل على كونها من السور ومنه الحديثان المذكوران وواحد منها يدل على انها آية والآخر على انها بعض آية وبعضها على انها من القرآن فلم اعتبر الخلاف في كونها من القرآن ولم يعتبر الخلاف في كونها آية تامة أو بعض آية والحال ان احتمال كون البسملة ليست من القرآن أبعد من ان تكون من القرآن وبعض آية من السور لما ذكرناه ويمكن ان يقال لم يلتفت صاحب الكشاف الى هذا الاحتمال لعدم الاعتداد بمن هذا مذهبه واجماع من يعتد بهم على خلافه فتأمل والمصنف تبع الكشاف فورد عليه ما ورد على الكشاف من ان الاجماع المذكور يفيد كونها من القرآن ولا يفيد كونها من السور بقي ههنا اشكال وهو ان حديث أم سلمة وهو أنه صلى الله عليه وسلم قرأ فاتحة الكتاب وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية يدل على أن البسملة بعض آية واعلم أنه قد روت أم سلمة أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم في أول الفاتحة في الصلاة وعدها آية قال الشيخ تقي الدين السبكي في شرح المنهاج هذا صحيح رواه ابن خزيمة في صحيحه ويمكن أن يؤول حديث أم سلمة المذكور في الكتاب بان المراد من الآية الكثيرة لا الواحدة كما قال صاحب الكشاف تقول فلان أدرك ثمرة بستانه ونظيره قولهم كلمة الجويدرة لقصيدته قال العلامة التفتازاني يعني أن الثمرة التي بمعنى الكثرة لا الواحد وكلمة الجويدرة قصيدته وكل قصيدة مركبة من كلمات فان قلت كيف يدعى الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله تعالى والحال ان قدماء الحنفية على أن البسملة خارجة عن القرآن قلت المراد من هذا الاجماع اجماع السلف السابق على هذا الاختلاف ولما اطلع المتأخرون منهم على أن الدلائل دالة على خلاف مذهب القدماء جزموا بانها من

بعدها والاجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله سبحانه وتعالى والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم تكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ

(٢ - (بيضاوي) - اول)

وجعل الاجماع المذكور دليلا عليه فيه بحث ذكره المعلقون عليه

القرآن (قوله لان الذى يتلوه مقروء) ومراده أنه اذا كان مايتلوه مقروأ فالقراءة مما يتلوه أيضا قال الشريف العلامة يتلو التسمية فيما نحن فيه شيآن أحدهما من جنسها و يتلو ذكره ذكرها وهو المقروء الثانى من غير جنسها و يتلو وجوده ذكرها وهو القراءة وتلو كل واحد منهما يستلزم تلو الآخر فصرح أى صاحب الكشاف بالاوّل ليفهم الثانى مع المحافظة على التجانس وأقول لما كان ظهور تلو القراءة بتلو المقروء صرح بما هو أظهر (قوله وكذلك يضمر كل فاعل مايجعل التسمية مبدأ له) كذا فى الكشاف وقال المحققان فى حواشيهما عليه المراد من هذا الكلام أن الفاعل يضمر لفظ مايجعل التسمية مبدأ له أقول فيه بحث اذ لقائل أن يقول لانسلم أن كل فاعل يضمر اللفظ المذكور بل يضمر المعنى فالجواب أن يقال ان عادة النفس أن تلاحظ المعنى فى ضمن اللفظ قال الشريف العلامة فى حاشية الشمسية ان النفس تعودت ملاحظة المعانى من الالفاظ بحيث اذا أرادت أن تتعقل المعانى وتلاحظها تتخيل الالفاظ وتنتقل منها الى المعانى ولو أرادت تعقل المعانى صرفة صعب عليها ذلك صعوبة تامة كما يشهد به الرجوع الى الوجدان وقال فى حاشية المطالع كان المفكر فى المعانى يناجى نفسه ولو أراد تجريد المعانى عن الالفاظ لاشكل عليه ذلك (قوله لعدم مايطابقه و يدل عليه) فيه نظر لانه اذا ابتدأ بالقراءة كان الحال وهو ابتداء القراءة دالا على ابدأ ولعله أراد أنه ليس فى اللفظ مايدل عليه بخلاف اقرأ فان المقروء الذى يتلو التسمية يدل عليه وأما ابدأ فيدل عليه الحال فتأمل و يحتمل أن يراد بقوله لعدم مايطابقه أنه لا يوجد مايطابقه فى القرآن بخلاف اقرأ فانه وجد مايطابقه فيه وهو قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذى خلق قال صاحب الحواشى فان قلت الحديث المشهور المستدعى للابتداء بالبسملة و وقوعها فى الابتداء قرينة ظاهرة على تقدير ابدأ قلت لايصلح شئ منهما لذلك اما الحديث فلانه يستدعى تقديم البسملة على الامر ذى البال والتلفظ بها فى ابتداء ذلك الامر لايستدعى أن يتعلق بابتدئ أو بفعل آخر وأما الوقوع فى الابتداء فلأن الوقوع فى موضع الابتداء لو كفى قرينة على تقدير ابتدى لكفى الوقوع فى النهاية قرينة على تقدير الانتهاء والوقوع فى الوسط قرينة على تقدير التوسط وليس كذلك أقول فيه بحث اما أوّلا فلأن محصل السؤال أن الحديث لما دل على وقوع البسملة فى الابتداء يصح أن يجعل هذا قرينة على تقدير ابدأ ولم يدع أنه يستلزم تقديره و يستدعيه واما ثانيا فلأنا اذا سلمنا أنه يلزم من كون الوقوع فى الابتداء قرينة لتقدير أبدأ أن يكون الوقوع فى الوسط والانتهاء قرينة على تقديرهما نقول عدم الجواز ممنوع والجواب عن السؤال ان ماذكر لايدل على خلاف مدعى المصنف وهو أولوية تقدير اقرأ (قوله لزيادة اضمار فيه) لحذف المضاف والمضاف اليه والاولى أن يقال لان المراد بابتدائى ابتدائى للقراءة كائن أو ملتبس باسم الله فيلزم تقدير كلمات متعددة وفى كلامه ردّ لما ذهب اليه بعض النحاة من أن تقدير الابتداء أولى فيقال بسم الله ابتدئ القراءة واستشهد على ذلك بوجهين الاوّل أن الابتداء أعم من خصوصيات تلك الاقوال فهو بالتقدير أولى ألا يرى أنهم يقدرون متعلق الظرف المستقر فعلا عاما كالحصول والكون الثانى أن فعل الابتداء مستقل بما قصد بالتسمية من وقوعها مبتدأ بها فتقديره أوقع فى المعنى قال ولا يرد علينا اقرأ باسم ربك لان الاهم هناك فعل القراءة فلذلك صرح بها وقدمت للابتداء بالاسم وأجيب عنه بان تقديم الخصوصيات أولى بتأدية المراد ولانك اذا قدرت اقرأ دل على تلبس القراءة كلها بالتسمية على وجه التبرك والاستعانة وان قدرت ابتدئ القراءة أفاد تلبس ابتدائها بها وتقدير الظرف المستقر بالمتعلق العام انما يكون فيما لم يكن قرينة دالة على الخصوصيات و بان افادة الابتداء بالتسمية حصلت بمجرد وقوعها مبتدأ بها ولا حاجة الى تقدير الابتداء أقول هذا المقام يناسب تقييد الابتداء بالقراءة فهكذا كل مقام يناسب تقييده بشئ خاص واذا قيد بها انعكس الامر أى صار المقدر خاصا لان مطلق القراءة أعم من ابتداء القراءة وفيه نظر فتأمل قال صاحب الحواشى فى تقدير ابتدئ نظر لانه مثلا اذا قال المسافر باسم الله فلو كان تقديره باسم الله ابتدئ السفر كان هذا اخبارا عن ابتداء السفر به لا سفره ولا ابتداء سفره و يلزم من تقديم البسملة على ابتدئ المقدر وقوعها فى ابتداء الاخبار المذكور ومن تعلقها به تلبس الاخبار المذكور باسم الله كما اذا صرح بابتدئ فقيل باسم الله ابتدئ ولا يلزم من تقديمها عليه وقوعها فى ابتداء السفر ولا من تعلقها به تلبس السفر باسم الله اذ من الجائز أن يقع اسم الله فى ابتداء الاخبار عن السفر وتلبس الاخبار باسمه و يقع السفر باسم غيره ولو كان تقديره باسم الله أسافر كان هذا اخبارا عن سفره لا سفرا به و يلزم من تقديم البسملة عليه وقوعها فى ابتداء الاخبار المذكور لا السفر ومن تعلقها به تلبس الاخبار بها لا تلبس السفر وكلا الوجهين غير مطابق لما قصد المسافر بتقديم البسملة على السفر والوجه المطابق للمقصود وان لم ينقل عن النحاة أن يقال البسملة متعلقة

(١٠)

لانّ الذى يتلوه مقروء وكذلك يضمر كلُّ فاعل مايجْعل التسميةَ مبدأً له وذلك أولَى من أن يضمر أبْدأُ لعدم مايطابقه و يدلّ عليه أو ابتدائى لزيادة اضمارٍ فيه وتقديمُ المعمول ههنا أوقعُ كما فى

قوله

بالسير أوما فى معناه وهو وان لم يكن مذكورا هناك ولا مقدرا فى الكلام لكن لما وقع هناك ما يكون عبارة عنه ومتحدا معه وهو ذهاب المسافر فكأنه مذكور هناك وتعلق به الجار نظرا الى هذا أقول اذا قال المسافر حين شروعه فى السفر بسم الله أسافر كان معناه افعل السفر ملتبسا ذلك السفر باسم الله فيكون السفر ملتبسا باسم الله فتأمل ثم ان قوله البسملة متعلقة بالسير أو مافى معناه الى آخره ان أراد أنهما متعلقة بلفظ السير فلا وجه لقوله لكن لما وقع هناك ما يكون عبارة عنه ومتحدا معه وهو ذهاب المسافر لان ذهاب المسافر معنى لا لفظ فلا يكون متحدا مع السير الذى هو اللفظ وان أراد بالسير معناه كان قوله لكن لما وقع الى آخره مستدركا

(قوله أدل على الاختصاص وأدخل فى التعظيم) قال صاحب الحواشى فان قلت انما يستقيم قوله أدل على الاختصاص وأدخل فى التعظيم وأوفق للوجود اذا كان للكلام على تقدير تأخر المعمول دلالة على الاختصاص ودخول فى التعظيم وموافقة للوجود فما وجهه قلت نعم اما الدلالة على الاختصاص فمن باء الآلة والمصاحبة فان باء المصاحبة وأما الدخل فى التعظيم فمن التبرك به وان أخر عن الفعل وأما الموافقة للوجود فلان المعمول حقيق بالتأخير عن عامله أقول فيه نظر اما أولا فلان الاختصاص المذكور فى الكتاب عبارة عن القصر كما قال فى الكشاف انهم كانوا يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل فى اياك نعبد وأما اختصاص الفعل بالآلة والمصاحبة فليس لمعنى القصر بل لنوع من التعلق وبمكن أن يقال مراد المصنف أن تقديم المعمول أقوى فى الدلالة على الاختصاص بمعنى التعلق لانه دال على الحصر وهو موجب لقوة تعلق المقدر وهو القراءة باسم الله وعلى هذا ظهر وجه كلام صاحب الحواشى وأما ثانيا فلان تفسير الانسبية للوجود بما ذكر ليس كما ينبغى فالوجه أن يقال ان ذاته تعالى مقدم فى الوجود على جميع الاشياء واذا قدر الفعل مقدما كان موافقا بوجه للوجود لتقدم اسم الله على ما شرع فيه (١١) بعد البسملة من القراءة وغيرها واذا كان

قوله بسم الله مجراها وقوله اياك نعبد لانه أهم وأدل على الاختصاص وأدخل فى التعظيم واوفق للوجود فان اسم سبحانه وتعالى مقدم على القراءة كيف لا وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا مالم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله تعالى اقرأ

انما كان تقديم المعمول أوفق لان اسمه تعالى مقدم على كل حال من التقديم على العامل والتأخير عنه لكن على الثانى أوفق للوجود كما يناوهو واجب التقديم اذا كانت القراءة باسم الله أى بالاستعانة به لانه جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا مالم يصدر به والظاهر كال الاعتداد لان القارئ اذا لم يبدأ باسم الله لم يسقط ثواب قراءته مطلقا فان قيل قد ورد فى سنن أبى داود أن كل أمر ذى بال لم يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع فلزم أن يكون كل فعل مبتدأ بهما معا ولزم تقدم كل من التسمية والحمد على الآخر فلنا قد صرح بعض شراح البخارى بان فى اسناد هذا الحديث مقالا لا يصلح للحجية وقد وقع أن كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك فى القضايا مفتتحة بالتسمية دون الحمد وهذا يشعر بان لفظ الحمد انما يحتاج اليه فى الخطب دون الرسائل والوثائق اه فلا يحتاج فى مطلق الافعال الى الابتداء بالحمد ثم انه لا يستلزم المحال المذكور لان المراد من الابتداء بالتسمية الابتداء الحقيقى ومن الابتداء بالحمد الاضافى ثم انه يمكن أن يكون المراد من الابتداء بالحمد فى الحديث ليس التلفظ بالحمد بل المراد الثناء بالجميل وهو حاصل من اللفظ بالبسملة فالابتداء بالبسملة والحمد حاصل من بسم الله الرحمن الرحيم (قوله كل أمر ذى بال) البال الحال والشان والتنكير للتعظيم فلذا فسر بالامر الشريف المهتم به واعلم أنهم فهموا من تخصيص الامر بذى البال أنه لا يلزم فى ابتداء الامر الحقير التسمية لان الامر الشريف ينبغى حفظه عن صيرورته أبتر وأما الحقير فليس كذلك اذ لا اهتمام ولا اعتداد بشأنه (قوله وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله) أقول هذا وقوله كيف وقد يجعل آلة لها يدل على أن مذهب المصنف أن الباء للاستعانة فى كلامه اشعار بان كون الباء للاستعانة أقوى من كونها للمصاحبة وهذا خلاف ما فى الكشاف فانه صرح بان كون الباء للمصاحبة وللملابسة أعرب وأحسن قال الشريف العلامة اما كونه أعرب أى أدخل فى لغة العرب وأفصح فلان باء المصاحبة وللملابسة أكثر فى الاستعمال من باء الاستعانة لاسيما فى المعانى وما يجرى مجراها من الاقوال واما انه أحسن أى أوفق بمقتضى المقام فلأن التبرك باسم الله تأدب معه وتعظيم له بخلاف جعله آلة ولان الباء اذا حملت على المصاحبة كانت أدل على ملابسة جميع أجزاء الفعل أقول توضيحه انه اذا لم يصاحب مفنى جميع أجزاء الفعل لا يقال انه مصاحب الفعل بل يقال انه مصاحب بعض أجزائه واما اذا استعين فى تحصيل جزء من أجزاء الفعل بشئ

الفعل مؤخرا فى التقدير كان أوفق للوجود لتقدم اسم الله على لفظ الفعل أيضا (قوله فان اسمه تعالى مقدم على القراءة) يعنى

صدق انه يستعان فى تحصيل ذلك الفعل بذلك الشئ اذا لم يكن ذلك الشئ لم يكن الجزء واذا لم يكن الجزء لم يكن الكل ولك ان تقول ان كونها للاستعانة دال على ان الفعل بدونه أى بدون اسم الله كلا فعل فهو أولى من هذه الحقيقة ثم قال ولان التبرك باسم الله معنى ظاهر يفهمه كل أحد ممن يبتدئ به والتأويل المذكور فى كونه آلة لا يهتدى اليه الا بنظر دقيق ولان ابتداء المشركين بأسماء آلهتهم كان على وجه التبرك بها ولان كون اسم الله آلة للفعل ليس الا باعتبار انه يتوسل اليه ببركته فقد رجع بالآخرة الى معنى التبرك واعترض عليه صاحب الحواشى بان ما جعله سببا للترجيح حمل الباء على المصاحبة من قوله لان التبرك باسم الله تأدب معه الخ وقوله لان ابتداء المشركين وقوله لان التبرك باسم الله معنى ظاهر الخ انما يصلح لسببية هذا لو كان التبرك معنى باء المصاحبة أو لازما لمعناها وهو ممنوع اذ معناها المصاحبة والملابسة كما حقق فى موضعه وأشار اليه المحشى ههنا بقوله باء المصاحبة والملابسة أكثر ثم قال فان قلت قول المصنف الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله يدل على اعتبار التبرك فى معناها قلت مقصوده كما نقلنا عن الحواشى الشريفية ان التلبس ههنا على وجه التبرك أقول لقائل ان يقول قول الشريف العلامة التلبس على وجه التبرك وكذا قوله الباء للمصاحبة والملابسة لا يدل على خروج التبرك عن معنى باء المصاحبة وعدم اعتباره فيه مطلقا وقول المعترض انما يصلح لسببية هذا الخ اذ لا يلزم مما ذكر الشريف العلامة ان يكون التبرك معنى باء المصاحبة مطلقا أو لازما له فتكون المصاحبة القدر المشترك بين المعانى المذكورة لا يجوز أن يكون أحد معانى باء المصاحبة الملابسة على وجه التبرك ويكون المراد من قولهم الباء للمصاحبة والملابسة انها موضوعة لكل نوع من المصاحبة فيكون أحد معانيها المصاحبة على وجه التبرك فيكون من قبيل الوضع العام للمعنى الخاص وليس المراد انها موضوعة لهذا المعنى الكلى الذى هو المصاحبة كما ان من موضوعة للابتداء لكن لا للابتداء المطلق بل هى موضوعة لكل ابتداء خاص على ما حققه الشريف العلامة فى مواضع عديدة ثم ان فى كلام الشريف العلامة نظرا لانه ان أراد بقوله الاستعانة راجعة الى معنى التبرك انها عينه فهذا يفيد رجحان الاستعانة على المصاحبة لانه رجح المصاحبة لاشتمالها على معنى التبرك وما هو عين التبرك أولى مما اشتمل عليه (١٢) وان أراد اشتمالها عليه فلا يناسب جعله دليلا على رجحان المصاحبة

ثم ان هذا الوجه مخالف للوجه الاول لان الوجه الاول يشتمل على ان الاستعانة لا تفيد التأدب والتعظيم وهذا الوجه يدل على دلالتها عليه فان قيل لعل مراده من الكلام الاول ان كونها للاستعانة لا يقتضى التبرك اذ قد يستعان بما ليس فيه تبرك ومقصوده من الكلام الثانى ان جعلها آلة دال على ان معنى باء الاستعانة راجع الى معنى التبرك بقرينة المقام فلا مخالفة بين الكلامين قلنا فلا يدل الدليل الأول على ترجيح المصاحبة لان المصاحبة أيضا لا تستلزم التبرك مطلقا بل بقرينة المقام كالاستعانة (قوله وهذا وما بعده مقول على ألسنة العباد) فان قلت كون البسملة مقولة على ألسنة العباد ظاهر اذ لا يتبرك الله تعالى باسمه ولا يستعين به واما جعل الحمدلله كذلك فما الباعث عليه قلت لما كان ما نقدم على الحمد وما تأخر منه وهو قوله اياك نعبد الى آخر السورة مقولا على ألسنة العباد فللائم ان يكون الحمد أيضا كذلك (قوله كيف يتبرك باسمه) قال الشريف العلامة يعنى كيف يتبرك بأى عبارة يتبركون فلا يرد ان ما ذكره تعليم التبرك باسمه لا تعليم كيفية التبرك قال صاحب الحواشى فيه بحث اذ لا خفاء فى ان ما ذكره مشتمل على التبرك باسمه تعالى على وجه معين وكيفية مخصوصة وبهذا الاعتبار يصح ان يقع جوابا للسؤال عن كيفية التبرك فلا احتياج الى اعتبار العبادة وصرف الكلام الى السؤال عنها أقول مراد العلامة ان المقصود من كيفية التبرك ههنا كيفية التبرك بالعبارة وهى حاصلة لا كيفية التبرك مطلقا سواء كان بالعبارة أو غيرها فلا يرد الاعتراض بان ما ذكره تعليم للتبرك (قوله ومن حق الحروف المفردة ان تفتح) قال العلامة التفتازانى الاصل فى البناء سيما فى بناء الحروف هو السكون لخفته ولكونه عدما والعدم هو الاصل فى الحادث ولما تعذر ذلك فى حروف المعانى المبنية على حرف واحد لفهم الابتداء بالساكن كان من حقها ان تبنى على الفتحة لكونها أخت السكون فى الخفة وان كانت الاخت باعتبار المخرج هى الكسرة أقول ان أراد بقوله لكونه عدما ان ماهية السكون العدم لزم عنه ان لا يكون له مخرج فكيف يكون أخت الكسرة باعتبار المخرج وان أراد انه متصف بالعدم أى بانه عدم الحركة فالحركة أيضا متصفة بالعدم أى بانها عدم السكون وقد يقال فى الجواب ان المراد من قوله وان كانت الاخت ان أخت الفتحة باعتبار المخرج الكسرة وقال الشريف العلامة أصل الاعراب ان يكون وجوديا لكونه أثر المعامل وعلما للمعانى فاصل ما يقابله ان يكون عديما وقد امتنع البناء على

وهذا وما بعده الى آخر السورة مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبركون باسمه ويحمدونه على نعمه ويسئلون من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة أن تفتح

لاختصاصها

السكون فى حروف المعانى التى جاءت على حرف واحد لانها من حيث انها كلم برأسها مظنة لوقوعها فى ابتداء الكلام وقد رفضوا الابتداء بالساكن فحقها ان تبنى على الفتحة التى هى أخت السكون فى الخفة وان كانت الكسرة اختاله فى المخرج أقول لا نسلم ان أصل ما يقابل الوجودى ان يكون عدميا فان التقابل كما يكون بين الوجودى والعدمى كذلك يكون بين الوجوديين كالتضاد فدعوى كون التقابل أصلا فى الاول دون الثانى محتاج الى البيان ثم ان ماذكرنا من النظر سابقا يرد عليه فتأمل (قوله لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر) أى لزوم الحرفية والجر مختص بالباء أى لا يكون صفة لغيرها من الحروف المفردة كما قال ابن الحاجب واختص بوا أى ولا يدخل على غير المندوب وفى الكشاف انه كسر الباء لكونها لازمة للحرفية والجر قال العلامة التفتازانى معناه ان الباء ملاصقة لهما غير منفكة عنهما على ماهو معنى اللزوم فى اصطلاح الحكمة أقول اذا حمل اللزوم فى كلامه على اصطلاح الحكمة لزم ان يكون كل حرف جار باء فانهم اذا قالوا الكتابة لازمة للانسان يريدون به انه كلما وجد الانسان وجدت الكتابة لكن اللازم المذكور فاسد كما لا يخفى والاولى كما قال الشريف العلامة حمل اللزوم فى كلامه على ماهو المعتبر عند أهل اللغة فانهم يقولون فلان يلازم بيته أى لا يخرج عنه فيكون معنى كلامه ان الباء لا ينتقل عن صفة الحرفية والجر الى غيرهما ثم قال اما مناسبة الحرفية للكسر فلاقتضائها السكون الذى هو عدم الحركة وكون الكسر بمنزلة العدم لقلته حيث لم يوجد فى الافعال ولا فى غير المنصرف واما الجر فلموافقة حركة الباء أثرها قيل المراد أن المجموع علة لكسر الباء فورد النقض بواو القسم وتائه وأجيب عنه بان عملهما بنيابة الباء فكان الجر ليس أثرا لهما فان قيل اعتبار لزوم الحرفية للاحتراز عن كاف التشبيه مستدرك مع انهم ذكروا ذلك للاحتراز عنها لان الكاف اذا كانت اسما لا تعمل الجر فى المضاف اليه بل العامل الحرف المقدر على ماذكر فى المفصل قلت احترز عنها على مذهب من جعل المضاف عاملا أقول يستفاد منه أنه يكفى فى كسر الباء كونها لازمت الجر وفاقا ولا يحتاج الى لزوم الحرفية ولا يرد النقض بواو القسم وتائه لما ذكر ولا بالكاف لانها ليست بلازمة الجر وفاقا كما مر والاولى ان يقال فى تعليل كسر الباء انها بحسب الصورة مستلزمة للجر بخلاف كاف التشبيه فان صورتها لا تستلزم الجر كما فى كاف الخطاب وحاصله ان الباء بأى معنى كانت لازمت الجر بخلاف الكاف وكذا واو القسم وتاؤه لانهما بصورتهما لا يستلزمان الجر لاشتراكهما فى الصورة مع واو العطف وتاء التأنيث (قوله لكثرة الاستعمال) الى قوله مبتدأ بها همزة الوصل فان قيل اذا كان حذف الآخر للتخفيف فلا وجه لتسكين الاول وادخال الهمزة عليها اذ هو موجب للثقل قلنا هو يستلزم التخفيف غالبا لسقوط الهمزة فى الدرج (قوله لان دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك) فيه اشعار بانه يمكن الابتداء بالساكن لكنهم استكرهوه (قوله ويقفوا على الساكن) قال بعضهم لانه ضد الابتداء فجعل علامته ضد علامة الابتداء قال صاحب الحواشى وجه دأبهم بالوقف على الساكن ان تحرك آخر الكلمة مناف لما يدل ويشعر به الوقف فكان بينهما تناف وذلك لان الوقف على كلمة يدل ويشعر بالتوقف عليها وعدم التجاوز عنها والتلفظ بالحركة بعد التلفظ بالحرف المتحرك بها لان الحركة بعض الحرف المصوت واذا زيد عليه البعض الآخر حتى يتم الحرف المصوت كان بتمامه بعد الحرف السابق عليه بالضرورة فيكون جزؤه الذى هو الحركة بعده أيضا أقول لا نسلم ان التلفظ بالحركة بعد التلفظ بالحرف وماذكره لا يدل عليه لم لا يجوز ان يكون جزء من الحرف المصوت وهو الحركة مع الحرف المقدم والبعض الآخر منه بعد الحرف المذكور فيكون تمام الحرف المصوت بعد الحرف المقدم وتوضيحه ان الحرف الحاصل من اشباع الحركة انما يحصل بالتدريج لا دفعة فانه من قبيل الامر الغير القار الذى لا تجتمع أجزاؤه فى الوجود فحصول جزئه الاول الذى هو الحركة مقدم بالزمان على حصول الكل الذى لا يحصل الا وقد حصل سائر الاجزاء على التدريج ثم ان قوله الوقف على كلمة يدل الخ ان أراد به ان معنى الوقف فى اصطلاحهم ذلك فلا يلائم قوله يدل ويشعر بالتوقف عليها بل حق العبارة ان يقال الوقف عندهم التوقف على الكلمة وعدم التجاوز عنها وان أراد غير ذلك فهو أمر خفى يحتاج الى ان يبين أولا ثم يتكلم فيه قال الامام الرازى الحرف الصامت سابق على الحركة بوجهين الاول ان الصامت آنى والحركة زمانية والآن مقدم على الزمان فما يوجد فى الآن الذى هو أول زمان وجود الشئ كان سابقا على ما يحدث فيه واعترض عليه فى شرح المواقف بانه جاز أن يكون حدوث الحرف الآنى فى الآن الذى هو آخر زمان الحركة

لاختصاصها بلزوم الحرفيّة والجرّ كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلةً على المُظهَر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند أصحابنا البصريّين من الاسماء التى حُذفت أعجازها لكثرة الاستعمال وبُنيت أوائلها على السكون وأُدخِل عليها مبتدأً بها همزة الوصل لانّ مِن دأبهم أن يبتدؤا بالمتحرّك ويَقِفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على أَسْماء وأَسَامِى وسُمَىّ وسَمَّيْت ومجىءُ سُمىً كهُدَى لغة فيه قال

لابد لنفيه من دليل أقول لانسلم ان الحركة التي هي الفتح والضم والكسر زمانية وانما الحركة الزمانية هي التي تعرض للاجسام مثل الحركة المكانية قال الثاني ان الحركة لو كانت سابقة على الحرف لكان التكلم بالحركة مستغنيا عن التكلم بالحرف لان السابق غني عن المسبوق والثاني باطل لانا نجد من أنفسنا وجدانا ضرورة انه لا يمكننا التكلم بالحركة دون التكلم بالحرف واعترض عليه العلامة في شرح المواقف بانه ليس يلزم من ابطال تقديم الحركة على الحرف الصامت تقدمه عليها جواز ان لا يسبق أحدهما الآخر بل يوجدان معا أقول الاستغناء عدم توقف الحركة في الوجود على الحرف وماذكره في بطلان الثاني لا يدل عليه فان المتضايفين مثلا لا يتوقف أحدهما على الآخر مع انه لا يمكن وجود أحدهما بدون الآخر ولعله أراد بالاستغناء وجود الحركة من غير وجود الحرف معه فتأمل (قوله والقلب بعيد غير مطرد) جواب دخل مقدر وهو ان لقائل ان يقول ان هذه تصاريف الوسم بعد نقل الواو وقلبها عن موضعها الى الآخر فاجاب بان هذا بعيد غير مطرد أي لا يجيء في نظائره (قوله لانه رفعة للمسمى) يعني انما يقال للفظ الذي يوضع لشئ الاسم الذي هو في الاصل يدل على الرفعة لانه أي اللفظ المذكور رفعة للمسمى فان ما لا اسم له لا يعبأ بشأنه ولذا قيل فلان لا اسم له ويراد انه لا اعتداد بشأنه ولا يلتفت اليه (قوله ليقل اعلاله) يعني انما قلنا أصله الوسم لا السمو اذ لو قلنا أصله السمو لزم كثرة الاعلال لان فيه اعلاله بحذف الواو وتسكين الحرف وتعويض الهمزة عنها بخلاف ما لو كان أصله الوسم ومن هذا يظهر ان قوله أو من السمة ليس على ما ينبغي بل الوجه ان يقال أو من الوسم ولذا قال العلامة التفتازاني وغيره ان الاسم عند الكوفيين مشتق من الوسم (قوله والاسم مقحم) اعلم ان كون الكلامة في القرآن والحديث أو غيره من الكلام الفصيح زائدة لا يقصد به انه لا فائدة لها أصلا اذ هو عبث بل معناه انه لا يختل المعنى بحذفها وفائدتها قد تكون معنوية وقد تكون لفظية وقد يجتمعان والفائدة المعنوية كالتأكيد واللفظية كتزيين اللفظ وحفظ الوزن وفائدة الحكم الاسم في قوله تعالى سبح اسم ربك ان يشعر بالمبالغة في تسبيحه تعالى فانه اذا وجب تسبيح اسمه وهو المفهوم من ظاهر الكلام وان لم يكن مقصودا بالذات على تقدير كونه مقحما والى فتسبيح الذات المقدسة أولى واما الزيادة في الشعر المذكور فرفائدة تهاظاهرة (قوله وان أريد به الصفة كما هو رأي الشيخ) فيه نظر اذ يلزم انقسام الشئ الى نفسه والى غيره اذ الصفة هي الامر الخارج عن الذات فاذا انقسمت الصفة الى نفس المسمى والى غيره لزم انقسام الخارج عن المسمى الى نفس المسمى والى غيره وهو بطلانه ظاهر قال الشريف العلامة في شرح المواقف قال الآمدي ذهب الشيخ أبو الحسن الاشعري وعامة الصحابة الى ان من الصفات ما هي عين الموصوف كالوجود ومنها ما هو غيره وهي كل صفة أمكن انفكاكها عن الموصوف كصفات الافعال من كونه خالقا رازقا ونحوها ومنها ما لا يقال انه عين ولا غير وهي ما يمتنع انفكاكه بوجه كالعلم والقدرة وغير ذلك من صفات الله تعالى بناء على ان المتغايرين موجودان يجوز الانفكاك بينهما بوجه أقول فيه النظر المذكور اللهم الا ان يقال المراد من صفة الشئ ما هو صفة ظاهرا أو حقيقة فالاول كالوجود فانه صفة بحسب الظاهر وعين الموصوف في الحقيقة عند الشيخ الاشعري أو يقال ما يمكن ان يشتق من لفظه أمر يحمل على ذلك الشئ أو يقال المراد من الصفة مدلول اللفظ الذي يحمل عليه بتصرف فيه كما يدل عليه ما سبق مع ما نقل صاحب الحواشي عن شرح المواقف انه قد اشتهر الخلاف في ان الاسم هل هو نفس المسمى أو غيره ولا يشك عاقل انه ليس النزاع في لفظ فرس انه هل هو الحيوان المخصوص أو غيره بل في مدلول الاسم أهو الذات من حيث هي أم باعتبار أمر آخر صادق عليه عارض له فكذلك قال الشيخ فقد يكون الاسم عين المسمى نحو الله فانه علم للذات من غير اعتبار أمر فيه وقد يكون غيره نحو الخالق والرازق مما يدل على نسبته الى غيره ولاشك انهما غيره وقد لا يكون لاهو ولا غيره قال صاحب الحواشي فيه بحث

والله أسماك سُمى مباركا * آثرك الله به إيثاركا

والقلب بعيد غير مطّرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمّى وشعاره ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوّضت عنها همزة الوصل ليقلّ إعلاله ورُدّ بان الهمزة لم تُعهد داخلة على ما حُذف صدره في كلامهم ومن لغاته يمْ وسْمْ قال * بِسْمِ الذي في كلّ سورة سَمُهْ * والاسم ان أريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من أصوات متقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد أخرى والمسمى لا يكون كذلك وان أريد به ذات الشئ فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب أو الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر * الى الحول ثم اسم السلام عليكما * وان أريد به الصفة كما هو رأي الشيخ أبي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى

اذ ماذكره الشيخ من ان الاسم قد يكون عين المسمى وقد يكون غيره لا يتفرع على ما فرعه عليه من ان مدلول الاسم هو الذات من حيث هي هي أم باعتبار أمر صادق عليه اذ لو كان الذات باعتبار أمر صادق عليه مدلول الاسم لكان لاستحالة هذا الاعتبار مسماه فيكون الاسم عين المسمى وما نقل عن الشيخ من ان اسم الله علم للذات من غير اعتبار معنى فيه ممنوع اذ قد اعتبر فيه المعبود بالحق أو الاتصاف بجميع الصفات الكمالية كما مر كيف لا وذاته من حيث هي هي غير معقول لنا كما لا يخفى ولو كان هذا الوجه معنى لفظ الله لم يكن الله معلوما لنا هذا خلاف أقول فيه نظرا ما الأول فلان ما ذكر من عدم التفرع ممنوع فان صاحب المواقف أشار الى ان المراد من المسمى نفس الذات لا معنى اللفظ وكذا بين الخلاف الواقع في ان الاسم هل هو نفس المسمى أو غيره بانه في الحقيقة خلاف في ان مدلول الاسم أهو الذات من حيث هي هي أم باعتبار أمر صادق عليه وعلى هذا ظهر التفريع المذكور بان يقال قد يكون مدلول الاسم عين المسمى أي الذات من حيث هي وقد يكون غير نفس الذات كالخالق فان معناه ليس نفس ذات الخالق بل اعتبر فيه شئ آخر هو النسبة الى غيره كما ذكر وليس المراد من المسمى معنى اللفظ وما وضع له حتى يكون معنى الخالق نفس المسمى واما ثانيا فلانا لا نسلم استحالة كون ماوضع له لفظ الله تعالى غير معلوم لنا بذاته بل يكون معلوما بوجه وسيجيء هذا قريبا (قوله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه) قال صاحب الحواشي وفي الحواشي الشريفية فائدة لفظ الذكر في قوله بذكر اسم الله التصريح بالمراد فان تصدير الفعل باسم الله انما يكون بذكره ويقع على وجهين أحدهما ان يذكر اسم خاص من أسمائه تعالى كلفظ الله مثلا والثاني ان يذكر لفظ دال على اسمه كالتسمية فان لفظ اسم مضاف الى الله تعالى يراد به اسمه تعالى فقد ذكر ههنا اسمه لا بخصوصه بل بلفظ دال عليه مطلقا فيستفاد ان التبرك والاستعانة بجميع أسمائه واما كلمة الباء فهي وسيلة الى ذكره على وجه يؤذن بجعله مبدأ للفعل فهي من تتمة ذكره على الوجه المطلوب فبطل ما توهم من ان الابتداء بالتسمية ليس ابتداء باسم الله لان الباء ولفظ اسم ليس شئ منهما اسماله فان قلت ما فائدة لفظ الاسم وهلا قيل بالله الرحمن الرحيم قلت فائدته ما أشرنا (١٥) اليه من تعميم التبرك باسمائه أقول فيه بحث

والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه أو للفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله أصله الاله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا

لان ما ذكره يتم باحد أمرين أحدهما ان يكون بسم الله الرحمن الرحيم دالا على الاستعانة أو التبرك بجميع أسمائه الحسنى والثاني يكون بالله الرحمن الرحيم دالا على الاستعانة أو التبرك باسم واحد منها وان سلم الاول بان يحمل اضافة الاسم الى الله على الاستغراق بقرينة المقام لكن الثاني ممنوع فان بالله يدل على الاستعانة بمسمى هذا اللفظ لا به في كتبت بالقلم وكذا اذا حمل الباء على المصاحبة يدل على مصاحبة معناه لا على مصاحبته أقول فيه نظر لان ما نقله عن الحواشي الشريفية لا يدل الا على ان ذكر لفظ الاسم يدل على عموم التبرك بجميع الاسماء ولا يلزم منه ان يكون تركه دالا على التبرك باسم خاص منها ولو سلمنا انه يدل على التبرك باسم خاص لكان حسنا فانه لما دل الحديث على التبرك بذكر اسم الله تعالى قيل كل أمر ذي بال فاذا قال القاري مثلا بالله الرحمن الرحيم فالوجه ان يراد به الاستعانة بهذه الاسماء الكريمة أو التبرك بها فكان معناه اقرأ باستعانة هذه الاسماء أو متبركا بها فتأمل (قوله وللفرق بين اليمين والتيمن) قال الشريف العلامة فان التيمن انما يكون باسمه لا بذاته وكذا اسمه يجعل آلة ليتعلق لا ذاته واليمين انما يكون به لا باسمائه التي هي الالفاظ أقول فيه نظر فقال الفقهاء لو قال أحد بكلام الله أو بالمصحف أو بالمكتوب فيه فيمين فان أراد بالمصحف أو بالمثبت فيه الورق والجلد فلا يمين وظاهر هذا الكلام انه ينعقد اليمين بالفاظ القرآن واذا انعقد بها فلم لا يجوز بأسمائه تعالى التي هي الالفاظ فتأمل (قوله يا الله بالقطع) يعني ان هذا علامة كون الهمزة للعوض فانه لما صارت عوضا صارت في حكم جزء الكلمة والمصنف غير عبارة الكشاف ههنا فانه قال حذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف وعبارة المصنف أظهر في المقصود لانهم اختلفوا في ان حرف التعريف ماذا فقال سيبويه هو اللام فقط أتى بالهمزة قبله ليجوز الابتداء به وقال الخليل هو الالف واللام معا وهذا هو المراد من عبارة الكشاف كما صرح به بعضهم اذ لو كان المراد منه اللام فقط لم يحتج في صورة النداء الى ايراد الهمزة وقطعها وخص القطع بالنداء لان الالف واللام لمحض العوض ولا شائبة للتعريف للاحتراز عن اجتماع اداتي التعريف هذا على ما هو المشهور من امتناع اجتماعهما قال العلامة التفتازاني خص قطع الهمزة بالنداء لتمحض حرف التعريف هناك للتعويض مضمحلا عنها معنى التعريف حذرا من الجمع بين اداتي التعريف واما على مذهب الرضي من عدم امتناع الاجتماع فيحتاج الى بيان آخر وقد علله الرضي بالايذان من أول الامر بان الالف واللام خرجا معا كما هو عليه في الاصل وصارا كجزء الكلمة حتى لا يستكره اجتماعهما واللام فلو كانا

بقيا على أصلهما السقطت الهمزة في الدرج لان همزة لام المعرفة همزة وصل وقيل فان قيل فيجب ان يقطع اذا دخل عليه باء الجر مثلا ليكون مؤذنا من أول الامر بان الالف واللام خرجتا عما كانا عليه قلنا المراد بالخروج عن الاصل ان يكون لمحض العوض وهو في بالله كذلك دون غيره ويرد عليه انه اذا لم يمتنع اجتماع اداتي التعريف فما وجه الكراهة في اجتماعهما والوجه ان يقال ان التعليل الذي ذكره الرضي مبني على المشهور من امتناع اجتماع اداتي التعريف والوجه الاولى ان يقال ان الاستكراه نظرا الى الظاهر في أول الامر يعني لولم يقطع لتوهم من أول الامر نظرا الى الظاهر ان الالف واللام على حالهما وحينئذ لا يرد عليه ما ذكرنا والاولى في جعل اللام في بالله لمحض العوض ان يقال لو دخل اللام المنادى وهي باقية في معناها الحقيقي الذي هو التعريف فاما ان يبنى معها وهو بعيد لكون اللام معاقبة للتنوين فهي كالتنوين فمن ثمة قلن بناء الاسم معها فاستكره دخولها مطردا في المنادى المبني واما ان يعرب وهو أيضا بعيد لحصول علة البناء وهي وقوع المنادى موقع الكاف وقد ذكره الرضي أيضا في عدم دخول اللام على المنادى (قوله ثم غلب على المعبود بالحق) يعني ان الها من غير اللام يطلق في الاصل على المعبود مطلقا ثم غلب مع اللام على المعبود بحق وفيه ابهام وتوضيحه ما قال الشريف العلامة ان الاله معرفا باللام غلب على المعبود بحق أي الذات المخصوصة فصار علما له بالغلبة ينصرف اليه عند الاطلاق كسائر الاعلام الغالبة ثم اكتساب التغيير وصار الله بحذف الهمزة مختصا بالمعبود بالحق فالاله قبل حذف الهمزة وبعده علم لتلك الذات المعينة الا انه قبل حذف الهمزة يطلق على المعبود بالحق وقد يطلق على الباطل وبعد الحذف لا يطلق الا على المعبود بحق وقال العلامة (١٦) التفتازاني معنى الغلبة ان يكون للاسم عموم فيعرض له بحسب الاستعمال خصوص الى حد التشخص فيصير علما كالنجم أولا فيصير اسما غالبا كالاله أو صفة غالبة كالرجن أقول بين كلاميهما نوع تخالف فتأمل (قوله واشتقاقه من أله) بمعنى عبد وهو مفتوح العين أي اللام والهاء بمعنى تحير فهو مكسور اللام (قوله أو من وله بمعنى تحير) يفهم منه مع ما سيق أن الله الذي يكون همزته أصلية بمعنى تحير لكن ذكر صاحب الصحاح أن الذي بمعنى تحير أصله ولهه قال المعلقون يطلق على الكشاف قول الجوهري ضعيف يخالفه كلام كثير من أئمة اللغة (قوله لاهه الكبار) والكبار بضم الكاف بمعنى الكبير (قوله وقيل علم لذاته المخصوصة) قال صاحب الحواشي انه قد أخذ في تعريف العلم بعينه وفسره الجهور بشخصه وذهبوا الى أن معنى العلم الشخصي لا بد أن يكون شخصا ما نعا من فرض الشركة وفيه بحث اذ لو اعتبر أن يكون معناه شخصا مانعا من فرض الشركة للزم أن يكون معاني الاعلام التي لا يتصور مسمياتها على وجه شخصي مانع عن فرض الشركة كاسامي الانبياء وغيرها مجهولة لنا هذا خلف ولزم أن من بوالده ولد أو مملوك غائب عنه لا يقدر أن يسميه بعلم ما لم يتصوره على وجه جزئي مانع عن فرض الشركة وليس كذلك وبعض المحققين لم يعتبر في العلم ما ذكر واعتبر فيه أن يكون موضوعا لمعنى مختص لشخص معين وعلى هذا التحقيق يجوز أن يكون الله علما فانه علم للمعبود بالحق وهو مخصوص بشخص أو المتصف بجميع صفات الكمال وهو أيضا مخصوص أقول فيه نظر اما أولا فلانا نختار أن الاسماء المذكورة موضوعة للمعاني الجزئية قوله لزم أن يكون معانيها مجهولة لنا بأعيانها قلنا لا نحذور فيه لا يجوز أن تكون موضوعة لها ويكون الواقع العلم بما وضع له الاسماء بوجه من الوجوه المختصة به وأما ثانيا فلانه لا يلزم من عدم العلم بشخص معين من حيث هو شخص معين جزئي عدم امكان وضع الاسم له ألا ترى أن لفظة هذا مثلا موضوع لكل شخص من أشخاص الناس وكذا لفظ أنا وأنت على ما قرر في موضعه مع أن هذه المعاني غير معلومة لنا بأعيانها على الوجه الجزئي بل يستحيل العلم بها على الوجه المذكور (قوله لانه يوصف ولا يوصف به) فيه نظر اذ لا يلزم مما ذكر العلمية قال صاحب الكشاف ان الها اسم غير صفة ألا تراك تصفه

أنه مختص بالمعبود بالحق والاله في الاصل لكل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من ألهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تألهه واستألهه وقيل من أله اذا تحير لان العقول تتحير في معرفته أو من ألهت الى فلان أي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته أو من اله اذا فزع من أمر نزل عليه وآله هم غيره أجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة أو بزعمه أو من أله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه في الشدائد أو من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان أصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون أولهة وقيل أصله اله مصدر لاه يليه لها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه سبحانه وتعالى محجوب عن ادراك الابصار مرتفع على كل شئ وعما لا يليق به و يشهد له قول الشاعر

لله در اليمانين الى ربا ح * يشهدها لاهه الكبار

وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما

ولا تصف به لا تقول شئ اله كما لا تقول شئ رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير ولا يخفى أن الها ليس بعلم (قوله لا اله الا الله كلمة توحيد) ههنا سؤال مشهور وهو أنه ان قدر خبر لا الموجود مثلا لم تفد الكلمة العليا نفى امكان اله آخر وان جعل الممكن لم يلزم منه وجود المستثنى والجواب أنا نقدر الاول ولا يلزم أن يفهم من الكلمة نفى امكان اله آخر فان أصل الكلمة للرد على المشركين فى عبادة شركائهم بل نقول يمكن استنباط نفى امكان اله آخر من الكلمة على التقدير المذكور لان المراد بالاله المعبود بالحق والكلمة اذا دلت على نفى وجود معبود بالحق غيره تعالى دلت على نفى امكان ذلك الغير اذ لو كان معبود بالحق غيره تعالى ممكنا كان موجودا لانه من استحق أن يكون معبودا يجب اتصافه بصفات الكمال فلم يكن له نقص وكيف يستحق الناقص العبادة مع وجود الكامل من جميع الجهات فيكون واجبا موجودا وهذا ظاهر لمن له حدس صائب ومن هذا يعلم أنه لو قلنا ان خبر لا ممكن فالمطلوب حاصل لانه لما كان المستثنى معبودا بالحق وجب أن يكون موجودا لما قلنا وفى الحواشى ان خبر لا موجود اذ من الجائز أن يكتفى فيها على الدلالة بان ليس فى الوجود اله الا الله تعالى وليس لك أن تمنع احتياج لا الى الخبر بناء على ما نقل ابن الحاجب عن بنى تميم من أنهم لا يثبتون خبرها لانه غير معتمد عليه عند المحققين قال الأندلسى لا أدرى من أين نقله ولعله قاسه فالحق أن بنى تميم يحذفونه وجوبا اذا كان جوابا عن السؤال أو قامت قرينة دالة عليه واذا لم تقم فلا يجوز حذفه رأسا اذ لا دليل عليه بل بنو تميم كاهل الحجاز فى ايجاب الاتيان به أقول قد بينا أن نفى وجود معبود بالحق غيره تعالى يدل على نفى امكانه ثم ان فيه نظرا لان كلام ابن الحاجب انما يدل على أن بنى تميم لا يذكرون خبر لا ولا يدل على عدم الاحتياج الى الخبر (قوله والحق أنه وصف فى أصله لكنه لما غلب الخ) فيه رد على الكشاف حيث قال فان قلت اسم هو أم صفة قلت بل اسم غير صفة ألا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شئ اله كما لا تقول شئ رجل وتقول اله واحد كما تقول رجل كريم وأيضا فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجرى عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال اه وأجاب المصنف عن الاستدلالين المذكورين بان لفظ الله صار فى حكم الاعلام للاختصاص بذاته تعالى فلذا صار موصوفا ولم يجعل صفة فان قلت الرحمن فى حكم الاعلام للاختصاص به تعالى مع أنه يقع صفة كما فى الآية الكريمة قلت قد صرح بعض المحققين بانه بدل لا صفة وأما افادة التوحيد فلانه لما صار مختصا بالذات المقدسة المشخصة صارت الكلمة مفيدة للتوحيد ولا ضير فى أن يكون مفهومه كليا لا يمنع نفس تصور مفهومه من وقوع الشركة بل يكفى فى التوحيد امتناع اشتراكه فى نفس الامر ولا حاجة الى امتناع الفرض العقلى للاشتراك واستدل عليه بان ذاته تعالى لا تعقل الا بوجه كلى ولا يمكن تعقل نفس ذاته المعينة المقدسة تعالى فلا يمكن أن يدل عليه بلفظ وأيضا لو كان المراد مجرد ذاته تعالى لما أفاد ظاهر قوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الأرض لان الجار والمجرور انما يتعلق بالمعانى لا بالذوات أقول يرد على الأول أنه يمكن أن يكون لفظ الله تعالى علما لذاته المخصوص وان لم يمكن لنا تعقله الا بوجه مخصوص قال الشريف العلامة فى شرح المواقف من ذهب الى جواز تعقل ذاته تعالى جوز أن يكون له اسم بازاء حقيقته المخصوصة ومن ذهب الى امتناع تعقل ذاته تعالى لم يجوز لان وضع الاسم لمعنى فرع تعقله ووسيلة الى تفهيمه فاذا لم يمكن أن يعقل ويفهم فلا يتصور وضع اسم بازائه وفيه بحث لان الخلاف فى تعقل كنه ذاته ووضع الاسم بازائه لا يتوقف عليه اذ يجوز أن يعقل ذات بوجه من الوجوه ويوضع الاسم لخصوصها ويقصد تفهيمها باعتبار ما لا بكنهها ويكون ذلك الوجه مصححا للوضع وخارجا عن مفهوم الاسم على ما عرف أن لفظ الله اسم علم له موضوع لذاته من غير اعتبار فيه الى ههنا كلام شرح المواقف وعلى الثانى أن للقائل بالعلمية أن يقول لا محذور فى عدم افادة ظاهر القول المذكور بل الجار والمجرور متعلق بمقدر مثل المعبود فكان تقدير الآية والله المعبود فى السموات وفى الارض وقال صاحب الحواشى ان العلامة النيسابورى قال وضع الاسم للذات لا ينافى عدم ادراكه كما ينبغى وانما ينافى عدم ادراكه مطلقا فيجوز أن يقال الشئ الذى يدرك منه هذه الآثار واللوازم مسمى هذا اللفظ وفيه بحث اذ فى الصورة المذكورة كان اللفظ موضوعا بازاء مفهوم مبدأ هذه الآثار وهو ليس بالذات المشخص المعروض وانما الذات ما صدق عليه هذا المفهوم وليس بموضوع له أقول مراد العلامة النيسابورى ان ما صدق عليه المفهوم المذكور موضوع له وان كان غير معلوم بعينه لا أن يكون الموضوع له هذا المفهوم الكلى فلا يرد

يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف فى أصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل فى غيره وصار له كالعلم مثل الثريا والصعق أجرى مجراه فى اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار أمر آخر حقيقى أو غيره غير معقول للبشر فلا يمكن أن يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوصة لما أفاد ظاهر قوله سبحانه وتعالى وهو الله فى السموات

ما أورد عليه هذا ثم لقائل أن يقول حاصل الكلام أنه ان كان المعنى المراد من لفظ الله هو المفهوم الكلي لم يصح الحكم للتوحيد بمجرد الكلمة المذكورة والحال أن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء وسائر السلف الصالح رضي الله عنهم حكموا بالتوحيد بل نقول لو كان الاسم الشريف موضوعا للمعنى الكلي الذي هو المعبود بالحق لزم أن يكون معنى لا اله الا الله لا معبود بالحق الا هذا المفهوم الكلي وليس كذلك واذا قيل ان المراد ما صدق عليه هذا المفهوم وهو ذاته المخصوصة تعالى يرد عليه أنه اذا كان كذلك لم يحكم بانه موضوع أولا لذاته تعالى لأنه يختص به بغلبة الاستعمال وهذا يؤيد أن الاسم الشريف موضوع لخصوص ذاته فليتأمل ثم ان الشريف العلامة قال الاستقراء دل على أن كل حقيقة تتوجه اليها الاذهان قد وضع لها اسم تجرى عليه أحكامها وصفاتها واليه أشار من قال من العلماء اذا كان الله صفة وسائر أسمائه صفات يلزم أن العرب لم تبق شيأ من الاشياء المعتبرة الا سمته ولم تسم خالق الاشياء ومبدعها وهذا محال وهذا دال على وجوب أن يكون لفظ الله اسما في الاصل ولا يكفي أن يكون وصفا صار في حكم الاعلام بغلبة الاستعمال كما ذكره المصنف وههنا مباحث عسى ان نعمل بها رسالة ان شاء الله تعالى (قوله ولان معنى الاشتقاق) استدل بالاشتقاق على كون الله وصفا في الاصل وفيه نظر اما أولا فان صاحب الكشاف صرح بكونه مشتقا مع تصريحه بانه اسم ليس بصفة فلا يستلزم الاشتقاق الوصفية وههنا سؤال أنه كيف يكون مشتقا ولا يكون صفة والجواب أن الصفة ما تتركب من ذات مبهمة لم يعتبر فيها خصوصية أصلا ومن معنى يقوم بها فاذا اعتبر في المشتق ذات له خصوصية لم يكن صفة كاسماء الزمان والمكان فانها مشتقات مع أنها غير صفات اذ المعتبر فيها ذات له خصوصية وهي الزمان والمكان بخلاف ضارب مثلا فان معناه شيء له الضرب واعلم أن صاحب الكشاف حكم بان الاله ليس بصفة فانه لا يقال شيء اله ويقال اله واحد وقال الشريف العلامة وغيره ومن هذا يعلم أنه من الاسماء لا من الصفات وهكذا حكم كتاب وامام وسائر ما يعتبر فيه المعاني (١٨) مع خصوصية الذوات هذا مجمل ما ذكره ولقائل أن يقول الظاهر ان الذات ههنا

معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون أحد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصل المذكورة وقيل أصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبلها وانضم سنة وقيل مطلقا وحذف ألفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر

ألا لا بارك الله في سهيل * اذا ما الله بارك في الرجال

مبهم في الاصل اذ هم أطلقوا الاله على كل معبود بحق أو باطل من الشجر والحجر والكوكب وغيرها وقد صرح صاحب الكشاف بان الاله بمعنى

المعبود وعلى هذا فيكون في الاصل بمعنى ذات موصوفة بالمعبودية فيكون صفة وأما ما قيل من أنه لو كان صفة لم يكن لله تعالى في أصل الوضع اسم مخصوص تجرى عليه صفاته وهو محال فنقول فيه بحث لان الاله على تقدير كونه اسما ليس مخصوصا في أصل الوضع بالمعبود بالحق فلم يكن له تعالى اسم مخصوص في أصل الوضع تجرى عليه صفاته ومن هذا يفهم الجواب عن النظر الذي أوردناه على المصنف بان يقال لما ثبت اشتقاق الاله ولم يظهر دليل على كون الذات المعتبرة فيه مخصوصة بل الظاهر ان الذات المعتبرة فيه مبهمة فيكون صفة والجواب أنه لا يلزم من كون الاله علما لما ذكر أن لا يعتبر فيه خصوصية الذات بوجه والحق أنهم قصروا في توضيح الامر فان المفهوم من كلامهم أن الاله يوضع لذات لا على صفة الابهام كما في الصفة بل يعتبر معها نوع من الخصوص لكن لم يبينوا الخصوصية المذكورة فتأمل وأما ثانيا فلان قوله ولان معنى الاشتقاق الخ عطف على قوله لان ذاته الخ فلم يتقدم ما يصلح أن يعطف عليه غيره ويرد عليه أنه يلزم أن يكونا دليلين على شيء واحد لكنه ليس كذلك لان الاول دليل على نفي العلمية والثاني دليل على اثبات الوصفية والجواب أن يقال مراد المصنف من قوله والحق الخ أن لفظ الله ليس علما بل هو وصف في أصله غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره فهو كالعلم الخ فيكون المدعى مركبا من شيئين أحدهما في كونه علما والثاني كونه في الاصل صفة وقوله لان ذاته الخ دليل على جزء من المدعى وهو نفي العلمية وقوله ولان معنى الاشتقاق الخ دليل على الجزء الآخر وهو ثبوت الوصفية فيكون المجموع دليلا على المجموع واما ثالثا فلانه يوجد في نحو المسجد والمسجد بكسر الجيم وفتحها وكذا في كل من المصدر والصفة كالضرب والضارب مثلا ما ذكر في تعريف الاشتقاق فيكون كل منهما مشتقا عن الآخر والاولى ان يقال ان اشتقاق شيء عن آخر عبارة عن كونهما مختلفين بالصيغة دون المادة مع كون معنى الشيء الآخر غير خارج من الاول كالعلم وعلم فان العلم جزء من العالم وهكذا في سائر المشتقات قال صاحب الحواشي ان اعتبار تعيين الذات في أسماء الزمان والمكان وهم انما يكون معتبرا لو كانت الاسماء دالة عليها وهو ممنوع فان قلت تعيين الذات معتبر في هذه الاسماء لان مضرب بامثلا يدل على مكان الضرب أو زمانه ومضراب على آلة الضرب فتعين الذات بانه مكان أو زمان أو آلة بخلاف الضارب فانه يدل

على ماله الضرب ولا يتعين الذات المعتبر فيه أصلا وكذا المضروب يدل على ما عليه الضرب دون تعين الذات قلت كما ان معنى الضارب ماله الضرب ومعنى المضروب ما عليه الضرب كذلك معنى المضرب ما فيه المضرب ومعنى المضراب ما به الضرب وكما يجوز ان تعين الذات المعتبرة فى أسماء الزمان والمكان يمكن ان يعين الذات المعتبرة فى الضارب بالفاعل فالحكم باعتبار تعيين الذات فى ذلك دون هذا تحكم أقول الظاهر ان مبنى هذا الفرق على أنه يعرف من اللغة ان معنى اسم الزمان والمكان اعتبر فيه خصوصية الذات وعلى هذا فالفرق ليس بتحكم ثم ان ماقاله من ان معنى المضرب ما فيه الضرب لا يختص بالزمان والمكان اذ الضرب حاصل فى موصوفه كما يقال ان العرض قائم بالمحل حال فيه فتخصيصه باسم الزمان والمكان تحكم فتأمل الا ان يراد بالذات التى اعتبرت فى المضرب مثلا الزمان والمكان فلزم خصوص الذات المعتبرة فيه وكذا ماقاله فى المضراب من ان معناه ما به الضرب ان كان المراد بباء السببية آلة الضرب يلزم اعتبار الآلة فوقع فيما فر منه وان أريد مطلق السببية فهو أعم من ان يكون آلة أو غيرها فلا تختص بالآلة اذ الشروط من جملة الاسباب فتخصيص أهل اللغة المضرب مثلا بكونه اسم الزمان أو المكان وتخصيص المضراب بكونه اسم الآلة يدل بحسب الظاهر على ان المضرب يعتبر فيه خصوصية الزمان والمكان وكذا المضراب يعتبر فيه خصوصية الآلة (قوله اسمان بنيا للمبالغة من رحم) قال الشريف العلامة فان قيل الرحمن صفة مشبهة فكيف يشتق من رحم وهو متعد وكذا نقول فى رب وملك حيث عد اضافة مشبهة واما الرحيم فان جعل صيغة مبالغة كما نص عليه سيبويه فى قولهم هو رحيم فلا اشكال وان جعل من الصفات المشبهة كما يشعر به تمثيله بمريض اتجه عليه السؤال أجيب بان الفعل المتعدى قد يجعل لازما بمنزلة الغرائز فينقل الى فعل بضم العين فيشتق منه الصفة المشبهة وهذا مطرد فى باب المدح والذم كما نص عليه فى تصريف المفتاح وذكره المصنف فى القاضى فى رفيع الدرجات (١٩) ومن ثم قيل رفيع الدرجات أى رفيع درجاته لا رافع الدرجات أقول فان قلت اذا جعل المتعدى لازما فما الحاجة الى نقله الى فعل بضم العين قلت لافادة المبالغة لانها تحصل من جعل الفعل بمنزلة الغرائز أو ما فى حكمها والغرائز

والرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة فى اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضى التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها وأسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التى هى أفعال دون المبادى التى تكون انفعالات والرحمن أبلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما فى قطع وقطع وكبار وكبار وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية وأخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثانى قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الأخروية كلها جسام وأما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضى الترقى من الادنى الى الأعلى

الامور الطبيعية اللازمة كالحسن والقبح وما فى حكمها مما صار ملكة وهما مشتقان من فعل بضم العين قال أهل الصرف ان هذا الباب موضوع للصفات اللازمة مما جبل الانسان عليه أو صار ملكة له بالتكرار فتأمل (قوله ومنه الرحم لانعطافه على ما فيه) لايخفى ان الانعطاف الذى يقتضى التفضل والاحسان أمر روحانى وانعطاف الرحم على ما فيه أمر جسمانى هو الاشتمال عليه فلا يظهر وجه قوله ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها ويمكن ان يقال الانعطاف فان سببان للحفظ فاستعير الرحمة لانعطاف الرحم واشتق منها اسم لها (قوله وأسماء الله تعالى انما تؤخذ الخ) الرقة والانعطاف اللذان تابعان للمزاج الذى هو كيفية متوسطة حاصلة من تفاعل العناصر مستحيلان فى حقه تعالى فوجب الرجوع الى التفضل والاحسان اللذين هما من الافعال التى هى الغايات واستعمال الرحمة بمعنى التفضل مجاز مرسل لعلاقة السببية والمسببية ويحتمل ان يكون استعارة باعتبار كون كل منهما سببا لانتفاع المنعم عليه (قوله التى هى انفعالات) المراد من الانفعال ما ليس بفعل فيعم الكيفيات كالرقة وليس المراد منه المعنى المشهور (قوله والرحمن أبلغ من الرحيم لان زيادة البناء الخ) نوقض ذلك بحذر وحاذر وأجيب بان القاعدة أكثرية وبان ماذكر لا ينافى ان يقع فى البناء الانقص زيادة معنى بسبب آخر كالالحاق بالامور الجبلية (قوله وكبار وكبار) قال فى الصحاح كبر بالضم عظم فهو كبير وكبار فاذا أفرط قيل كبار بالتشديد (قوله وعلى الثانى قيل الخ) يمكن ان يقال يا رحمن الدنيا والآخرة بالاعتبار الاول لان مجموع نعم الدنيا والآخرة أكثر من نعم الدنيا بل ولقيل بالاعتبار الاول يا رحمن الآخرة ورحيم الدنيا لكان حسنا (قوله لتقدم رحمة الدنيا) أراد ان الرحمن على كل من الاعتبارين المذكورين يضاف الى الدنيا بخلاف الرحيم فانه باحد الاستعمالين مضاف الى الدنيا وبالاعتبار الآخر مضاف الى الآخرة والنعم الدنيا وية مقدمة على الاخروية فلذا قدم الرحمن (قوله والقياس يقتضى الخ) يعنى ان القياس على نظائره يقتضى الترقى نحو قولهم فلان شجاع باسل وعالم نحرير وجواد فياض لكن التقدم فى الوجود يناسب العكس والحاصل ان القياس يقتضى الترقى المذكور

اذالم يكن سبب آخر يقتضي العكس كما قالوا في كون زيادة البناء توجب زيادة المعنى (قوله لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها) في كون هذا معنى الرحمن بحث وانما معناه اللغوي البالغ في الرحمة واما وصوله الى غاية الرحمة ومنتهاها فليس مقتضى وضع اللغة الا ان يقال انه معنى عرفي فتأمل واما قال المنعم الحقيقي لان غير الله تعالى منعم بالمجاز اذ الانعام الذي هو ايصال النعمة الى الغير فعل الله تعالى لا غير به (قوله لان من عداه فهو مستعيض بلطفه الخ) كون الشخص في غاية الرحمة ان يكون له مرتبة من الرحمة لا تكون مرتبة من الرحمة فوقها بل يكون هو في أقصى المراتب بحيث لا يتصور ما هو أكمل منها بل يكون جامعا لجميع أنواع الرحمة فلا بد ان تنحصر الرحمة فيه والا لم يكن في آخر المراتب لان حصر الرحمة مرتبة فوق ما ذكر فتأمل فيلزم من العبارة المذكورة في تعريف الرحمن حصر الرحمة فيه تعالى فيكون في قوله فهو مستعيض بلطفه وبرحمته تسامح وتجوز ونسبة الرحمة الى العبد باعتبار ظهور نعمة الله تعالى على يده (قوله أو مزيح رقة الجنسية) أي الرقة المتعلقة بالجنسية فان الغني اذا رأى الفقير قد يحصل له أي للغني اضطراب نفساني بمشاهدة عجز الفقير فاذا أعطاه شيأ حصلت له طمأنينة (قوله ثم انه كالواسطة في ذلك) أي غيره تعالى كالواسطة في ايصال النعم وانما قال كالواسطة ولم يقل هو الواسطة لان المتبادر من الواسطة ما يكون فعل الفاعل موقوفا عليه وهو تعالى متعال عن ان يتوقف فعله على شرط ووسطة وفيه نظر اذ لا يفهم من عبارته ان ايصال النعمة الى الفقير من الله تعالى ويجب بيانه حتى يتم المطلوب سيما من فيه خلاف بين الفريقين أهل السنة والمعتزلة كما هو المشهور وليس فيما ذكر خلاف بينهما ويمكن ادراجه في قوله الى غير ذلك وفيه ترك التصريح بالمسئلة الخلافية والتصريح بما ليس فيه خلاف (قوله لأن ذات النعم ووجودها الخ) صريح في ان ليس وجود النعمة فقط منه تعالى بل وجودها وذاتها أيضا وهذا فرع كون الماهية مجعولة بجعل جاعل وهي (٢٠) مسئلة خلافية كثر النزاع فيها بين أهل العلوم العقلية قال الشريف العلامة في

لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب أو جميل ثناء أو مزيح رقة الجنسية أو حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم وجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها أحد غيره أو لان الرحمن لما دل على جلائل النعم وأصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له أو للمحافظة على رؤس الآي والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله تعالى أن يكون له مؤنث على فعلى أو فعلانة لحقائه بما هو الغالب في بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف أن المستحق لان يستعان به في

شرح المواقف معنى قولهم الماهيات ليست مجعولة انها في حد أنفسها لا يتعلق بها جعل جاعل وتأثير مؤثر فانك اذا لاحظت ماهية السواد ولم تلاحظ معها منه وما سواها لم يعقل هناك جعل اذ لا مغايرة بين الماهية ونفسها حتى يتصور توسط جعل بينهما فتكون احداهما مجعولة تلك الاخرى وكذا لا يتصور تأثير الفاعل في الوجود بمعنى جعل الوجود وجودا بل تأثيره في الماهية باعتبار انه يجعلها متصفة بالوجود أقول فيه نظر لانا لا نسلم أن جعل الماهية يقتضي جعلها شيأ آخر فان الجعل على ما ذكره بعض المحققين على نوعين جعل الشئ وجعل الشئ شيأ آخر فان الماهيات أنفسها أثر الفاعل على ما ذهب اليه الحكماء الاشراقيون وأيضا ما ذكره الشريف العلامة جار في نفس الاتصاف بان يقال للامعنى لجعل ذات الاتصاف اتصافا وتأثير الفاعل فيه انما هو بجعله شيأ آخر والازم التسلسل (قوله أو لان الرحمن لما دل على جلائل النعم الخ) يعني ان هذا ليس مسلك الترقي بل من باب التتميم (قوله وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى أو فعلانة) لا وجه لذكر قوله فعلانة ههنا على ما يظهر بالتأمل الصحيح (قوله لحقائه بما هو الغالب في بابه) يعني ان الرحمن لما لم يطلق على غيره تعالى لم يكن له مؤنث على فعلى ليكون غير منصرف أو على فعلانة ليكون منصرفا فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص العارض لحكم بانه غير منصرف لحقائه بما هو الاعم الاغلب يعني ان الاعلب في بابه ان يكون مؤنثه على فعلى فعلى لحكم بان أصل هذه الكلمة ان يكون مؤنثها كذلك قبل الاختصاص العارض وقد يقال ان شرط وجود فعلى لتحقق انتفاء فعلانة كما صرح به المحققون فاذا تحقق انتفاء فعلانة ههنا فما الحاجة الى اعتبار الحاقه بالاعم الاغلب واعتبار كون مؤنثه في الاصل فعلى والجواب ان هذا الاعتبار لتحقق عدم فعلانة اذ به تبين انتفاؤها (قوله وانما خص التسمية بهذه الاسماء الخ) لك ان تقول كونه تعالى مولى النعم كلها لا يفهم من بسم الله الرحمن الرحيم وانما يعلم انه تعالى مولى النعم الجلائل والحقائر واما حصر النعم فيه تعالى فلا يفهم اذ ليس فيه ما يدل على الحصر الا ان يتشبث بمثل ما ذكرنا و يمكن ان يقال لما دل الرحمن الرحيم على انه مولى النعم جليلها وحقيرها فهو يدل على انه مولى النعم كلها اذ التخصيص ببعض

مجامع

دون بعض ترجيح من غير مرجح وهذا يكفي في المقامات الخطابية كما صرحوا به في مثل زيد المنطلق ثم لقائل ان يقول مجرد ما ذكر لا يقتضي الانقطاع اليه بالكلية بل يجب ان ينضم الى ما ذكر ان لا مانع له عما يعطيه ولا يقدر غيره على ايصال الضرر اذ لو كان مانع وجب التوجه الى ذلك المانع لدفع المنع والضرر واذا ثبت انه المعطي للنعم كلها ولا مانع له ولا ضار غيره ثبت وجوب الانقطاع اليه بالكلية والاعراض عما سواه ويمكن ان يقال لو فرض ضار غيره تعالى وتوجه أحد الى ذلك الغير لدفع الضرر فدفعه عنه لكان ذلك الدفع رحمة صادرة عن غيره تعالى فلم تنحصر الرحمة فيه وهو خلاف ما ثبت من الانحصار (قوله والاستمداد به عن غيره) يجوز ان يكون لفظة عن بمعنى البدل كما ردفي الحديث صومي عن أمك ذكره صاحب المغني ويجوز ان يكون ههنا مقدر أي معرضا عن غيره (قوله هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها) أطلق الثناء وهو ذكر الجميل ليعم الاختياري وغيره وخص المحمود عليه وهو الباعث على الحمد بالاختياري ليتمايز عن المدح وقوله من نعمة أي من انعام لان الجميل الصفة الحسنة والنعمة الواصلة من المحمود الى الحامد ليست صفة للمحمود وانما الصفة له الانعام ومن هذا يعلم ان الحمد يكون بالفضائل والفواضل والفضائل هي المزايا الغير المتعدية والفواضل المزايا المتعدية والمراد من الصفة المتعدية الصفة التي اعتبر التأثير في مفهومه كالانعام بخلاف العلم فان وصول الأثر الى الغير غير معتبر في مفهومه وان كان للعلم آثار واصلة الى الغير كما لا يخفى على أهل العلم ولك ان تقول يجب في التعريف اعتبار شيئين تركبهما المصنف أحدهما المحمود به والثاني كون الثناء يدل على قصد التعظيم اذ لو لم يكن كذلك لم يكن جدا والجواب ان يقال الثناء يدل على المحمود به فانه ذكر الجميل وكونه على قصد التعظيم مقدر ههنا بقرينة قوله هو الثناء على الجميل لان الثناء الذي باعثه الجميل لا يكون الا لقصد التعظيم وقد تعالى بهذا المبحث أمور (٢١) ذكرناها في حاشية شرح المواقف (قوله وقيل هما اخوان) هذا القائل صاحب الكشاف وقال الشريف العلامة مراده انهما مترادفان يدل على ذلك قوله في الفائق الحمد هو المدح والوصف بالجميل وانه

مجامع الأمور هو المعبود الحقيق الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره (الحمد لله) الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ✽ يدي ولساني والضمير المحجبا

جعل ههنا نقيض المدح وهو الذم نقيض الحمد وانه قال في تفسير قوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان ان المدح لا يكون بفعل الغير وأول المدح بصاحة الخد وأمثالها يدل لانها على الافعال الاختيارية الحسنة وقال العلامة التفتازاني المراد من الاخوة انهما مشتركان في الحروف الاصول مع اتحاد أو مناسبة في المعنى فمجرد كون الحمد والمدح أخوين لا يدل على ترادفهما لكن سوق كلامه ههنا وصريح كلام الفائق يدل عليه ولذا جعل نقيضه الذم أقول على ما ذكره يكون الحكم بالاخوة ههنا قابل الجدوى اذ لا يفهم منه انهما مترادفان أو لا واما انه يعرف من كلام الفائق وكذا مما قال في تفسير الآية المذكورة ترادفهما فهو لا يفيد ما ذكرنا اذ من لم يطلع على ذلك لم يعلم المراد من الاخوة ههنا واما ما قاله من ان الذم نقيض الحمد فهو ليس بنص في الترادف لان المراد من النقيض المقابل ولا شك ان الذم مقابل للحمد والمدح وان كانا غير مترادفين ولذا جعل المصنف نقيض الحمد الذم مع تصريحه بعدم الترادف بينهما والحاصل ان المقام مقام تعريف الحمد ولا يكتفى في التعريف بمثل ما ذكروا (قوله والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا) كذا وقع في بعض النسخ أي العطف بالواو وفيه تسامح اذ ليس المراد انه يجب اجتماع الأمور الثلاثة حتى يحصل الشكر بل أراد ان مقابلة النعمة قولا شكر وكذا مقابلتها عملا واعتقادا وفي بعضها بأو وهو الاصح والمراد من المقابلة المذكورة كون الانعام باعثا عليه فلا يرد عليه ما في الحواشي من ان القول المقابل للانعام لا يكون شكرا الا اذا كان مبنيا عن تعظيم المنعم لا مطلقا وسيجيء توضيحه (قوله أفادتكم النعماء مني ثلاثة الخ) قال الشريف العلامة هذا استشهاد معنوي على ان الشكر يطلق على أفعال الموارد الثلاثة وبيانه أنه جعلها بازاء النعمة جزاء لها مفرغا عاملها وكل ما هو جزاء النعمة عرفا يطلق عليه الشكر لغة أقول فان قلت قد صرح في حاشية المطالع بان الفعل الواقع بازاء النعمة لا يكون شكرا الا اذا كان مبنيا عن تعظيم المنعم لكونه منعما على الشاكر فقوله وكل ما هو جزاء النعمة عرفا يطلق عليه الشكر لغة ليس على اطلاقه بل يجب تقييده بالوصول الى الشاكر قلت المراد من الجزاء عوض النعمة الواصلة الى المجازي ✽ بقي شيء وهو ان جزاء النعمة قد لا يكون منبئا عن تعظيم المنعم كما اذا أعطى زيد عمرا شيأ ثم بعد ذلك أعطاه عمرو

بازائه شيأ فهذا جزاء النعمة وليس منبأ عن تعظيم المنعم و يمكن ان يقال انه منبئ بشرط ان يعلم كونه جزاء للنعمة السابقة فهو منبئ في الجملة فتأمل (قوله أشيع للنعمة) أي أوفق في اشاعتها واظهارها (قوله ومافي آداب الجوارح من الاحتمال) قال الشريف العلامة لانه يحتمل خلاف ماقصد به اذ لم يعين له بخلاف النطق فانه ظاهر في نفسه ومعين لما أريد به وضعا أقول الشكر اللساني يحتمل خلاف ماقصد به أيضا فتأمل و يمكن ان يقال ان آداب الجوارح ليس بقاطع في كونه في مقابلة الانعام بخلاف القول فانه قد يكون نصا في كونه شكرا و في مقابلة الانعام فلذا كان رأس الشكر لانه أدل على الشكر من سائر الانواع كما ان الرأس المشتمل على الوجه أدل على الشخص من سائر الاعضاء قال صاحب الحواشي كأن النبي صلى الله عليه وسلم شبه الشكر بشجرة رمانة فكما أن الشجرة مشتملة على أمر خفي به قوامها وصلاحها وهو أصلها الثابت وعلى أمر جلي ظاهر على القريب والبعيد وهو أسها وعلى أمر متوسط منهما كذلك الشكر مشتمل على أمر خفي به قوامه وصلاحه يصلح الشكر وفساده يفسده وهو الاعتقاد وعلى أمر ظاهر على القريب والبعيد وهو القول وعلى أمر متوسط وهو العمل فقال عليه الصلاة والسلام الحمد رأس الشكر وعلى هذا كان ذكر الشكر استعارة بالكناية واثبات الرأس له استعارة تخييلية فتأمل أقول الوجه الذي ذكره لا يلائم مافي الحديث لان الحديث دل على أن الشكر غير موجود مالم يحمد الله والمراد أن الشكر الكامل وماهو الظاهر منه غير موجود ولا يدل على أن فساد الاعتقاد يفسد الشكر بل نقول فساد الاعتقاد لا ينافي الشكر لان فساد الاعتقاد أن لا يطابق الواقع وهو لا يفسد الشكر والمنافي للشكر أن يكون الاعتقاد على خلاف القول أو الفعل ثم ان قوله ذكر الشكر استعارة بالكناية اصطلاح جديد لانه ان سلم هذا التشبيه في الحديث وحمل عليه كان الاستعارة بالكناية على مذهب السلف هو الشجرة الغير المذكورة وعلى مذهب صاحب المفتاح هو لفظ الشكر بادعاء الشجرية لها وعلى (٢٢) مذهب صاحب التلخيص هو التشبيه المضمر في النفس وليس ذلك الشكر استعارة بالكناية على مذهب من المذاهب المذكورة وان قيل المراد من ذكر الشكر لفظ الشكر حتى يمكن حمله على مذهب صاحب المفتاح فلا يلائم على مذهبه جعل اثبات الرأس له استعارة تخييلية كما ظهر من كلامه فتأمل (قوله اللهم نقيض الحمد) أي وثبانه ضده كما ان الكفران نقيض الشكر (قوله ليدل على عموم الحمد) أي ليدل على أن جميع أفراد الحمد له تعالى أي مما اختصت به تعالى لان الحمد كما قال الثناء على الجميل الاختياري أي الصادر من المحمود بالاختيار ولا يصدر فعل بالاختيار عن غير الله تعالى اذ ليس للعبد تأثير وتقدير حمد غيره في الحقيقة مجاز واعترض عليه بانه لم لا يجوز أن يكون المراد من الجميل الاختياري مايحصل بالاختيار أعم من أن يكون بالتأثير أو بالكسب فيشمل مايحصل باختيار العبد أي بكسبه لا أن يكون بتأثيره وايجاده فلا يلزم اختصاص جميع المحامد بالله تعالى حقيقة وقال بعض العلماء عرف اللغة جرى في معظم الافعال باسنادها الى المكتسب لها ولذلك كان اطلاق المصلي وأمثاله على العبد حقيقة عرفية لكن المعتبر في الحد هو الاختيار لا الاكتساب فلا يلزم أن يكون اطلاق الحمد على مايتعلق بالعبد حقيقة أقول فيه ما مر وهو أنه لا يجوز أن يكون المراد من الجميل المعتبر في الحمد ماتقدم فيشمل ماتعلق باختيار العبد وكسبه لا بتأثيره وخلقه لا بد لنفيه من دليل و يمكن أن يقال الدليل على كون الاختيار المعتبر في الحمد الاختيار بمعنى الخلق لا بالكسب أنه لو لم يكن الاختيار بمعنى الخلق لم يكن جميع أفراد الحمد مختصا به تعالى حقيقة لكن الاختصاص مفهوم من القرآن والحديث مثل قوله تعالى له الملك وله الحمد اذ الظاهر الاختصاص حقيقة ولا داعي الى التأويل وانما كان العدول الى الرفع دالا على أن عموم الحمد له تعالى اذ لو نصب لكان مفعولا مطلقا بتقدير أحمد ومثله فيفيد اختصاص حمد خاص به تعالى وهو أحمد المتكلم به فتأمل والاولى أن يقال المراد من العموم العموم بحسب الازمنة أي الحمد له في كل زمان أي على الدوام وهو الذي اشتهر بينهم من أن الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات فيكون العموم المذكور مستفادا من الجملة الاسمية واختصاصه به تعالى مستفاد من معنى الحمد كما قلنا وقال صاحب الحواشي فان قلت ماذا يمنع العموم على تقدير النصب قلت لما كان الحمد على تقدير النصب مفعولا مطلقا نوعيا لانا كيديا لكون مدلوله معرفا باللام أريد به على مدلول الفعل ولا عدد يالعدم دلالته على العدد والمرة فيدل لا محالة على نوع الحمد لا عمومه أقول لا يكفي في النوعية كونه معرفا باللام بل لابد من اثبات أنها ليست للجنس بل للعهد حتى يكون نوعا قال الرضي معنى النوع المصدر

فهو أعم منهما من وجه وأخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر أشيع للنعمة وأدل على مكانها لخفاء الاعتقاد ومافي آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلاة والسلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده * واللهم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله وأصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد

الموصوف فهذا يكون اذا كان اللام من الجملة عهد دون الجنس فتأمل (قوله وثبانه) أى دوامه من غير اعتبار التجدد ووجه دلالة الاسمية على الدوام أنها لما كانت الاسمية تدل على مطلق الثبوت من غير تقييد بزمان فتخصيصه بزمان معين دون آخر تخصيص من غير مخصص ومثل هذا يعتبر فى المقامات الخطابية الظنية كما صرحوا به فان قيل انهم صرحوا بان الفعل المضارع قد يقصد دون به الاستمرار والدوام التجددى فاذا نصب وقدر الفعل المضارع يمكن أن يقصد به الاستمرار والدوام التجددى فما الباعث على العدول الى الرفع والحال أن المقصود وهو كون الحمد لله تعالى دائما يحصل بالنصب قلت المقصود من الجملة الاسمية الدوام بالنظر الى الازمنة واذا نصب فدلالته على الاستمرار التجددى يكون بالنظر الى المستقبل على ماهو الظاهر من كلام الشريف العلامة حيث قال قد يقصد بالمضارع الاستمرار على سبيل التقضى شيأ فشيأ بحسب المقامات و وجه المناسبة أن الزمان المستقبل مستمر متجدد شيأ فشيأ فناسب أن يراد بالفعل الدال عليه معنى على نحوه اه كلامه فتدبر ولك أن تقول ليس المراد مطلق الدوام بل هو مع الاستقرار وعدم اعتبار التجدد فان قيل ينبغى ابقاء الحمد على النصب ليكون دالا على الجملة الفعلية التى تدل على حدوث الحمد وتجدده مستمرا وهو بدل على تجدد النعم آنا فآنا لان الدلالة على دوام النعمة فى جميع الازمنة أولى من الدلالة على استمرار تجدد النعمة المختصة ببعض الازمنة مع أن النعمة الدائمة مستلزمة للمتجددة وهى الانتفاع بها زمانا بعد زمان وأما النعمة المتجددة فلا تستلزم النعمة الدائمة فتأمل (قوله دون تجدده وحدوثه) الظاهر أنه عطف تفسيرى لان الفعل مطلقا يدل على التجدد بمعنى الحدوث وأما دلالته على التجدد بمعنى التقضى شيأ فشيأ بحيث ينقضى جزء ويوجد آخر فليس الفعل من حيث هو فعل يدل على ذلك وانما يستفاد من بعض الافعال الذى يكون مصدره لا يحصل الا بالتدريج (قوله والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الخ) قال الشريف العلامة فى حاشية الكشاف لتحقيق الكلام ههنا ان التعريف مطلقا هو الاشارة الى ان مدلول اللفظ معهود أى معلوم معين حاضر فى ذهن السامع يرشدك الى ذلك ما فسر به من ان معناه الاشارة الى ما يعرفه كل أحد من ان الحد ماهو وما صرح به ابن الحاجب فى ايضاح المفصل من ان زيدا موضوع لمعهود بين المتكلم والمخاطب ومن (٢٣) ان غلام زيد لمعهود بينهما بحسب تلك النسبة المخصوصة وما ذكره بعض الادباء من ان المعرفة ما تعرفه

> وثبانه له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التى تنصب بافعال مضمرة لانكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل أحد ان الحد ماهو أو للاستغراق

ومخاطبك والنكرة ما لا يعرفه وما أجمعوا عليه من ان الصلة يجب ان تكون معلومة الاثبات للسامع أقول لا يفهم من كلام الكشاف الان اللام اشارة الى ما يعلمه كل أحد أى الاشارة الى مفهوم يعرفه كل أحد وهو مفهوم الحمد ولا يلزم من هذا ان تكون الاشارة الى ان مدلول اللفظ معهود فان فى كل لفظ يعلم المخاطب معناه نكرة كانت أو معرفة اشارة الى أمر معلوم للمخاطب وقد صرح العلامة فى حاشية المطول بان كل لفظ فهو اشارة الى ما ثبت فى ذهن المخاطب ان ذلك اللفظ موضوع له وكلام الكشاف والمصنف اذا حمل على ما هو الظاهر منهما لا يكون مرضيا لان فى كلامهما تفسير التعريف بما هو مشترك بين المعرفة والمنكر ويمكن ان يقال لما كان فى اللفظ مع قطع النظر عن اللام اشارة الى أمر معلوم للمخاطب فادخال اللام عليه للاشارة الى هذا المعنى يكون ضائعا فيجب ان يكون اللام للاشارة الى كونه معهودا معلوما فيجب حمل عبارة الكشاف ومن تبعه على ماذكرنا بتقدير الحيثية بان يقال معنى التعريف فى الحمد الاشارة الى ما يعرفه كل أحد من ان معنى الحمد ماهو من حيث يعرفه كل أحد وما كلام ابن الحاجب فنفيه انه يفيد ان زيدا موضوع لمعهود معين فى نفس الامر ولا يفيد ان فيه اشارة الى كونه معهودا وكيف والمفهوم من لفظ زيد هو الذات المشخصة المعينة لا تلك الذات مع كونها معينة أى مع العلم بأتصافها بالتعين ألا ترى ان الآباء يسمون ابناءهم باسماء ولا يقصدون ان أسماءهم موضوعة لذواتهم مع الاشارة الى كونها معلومة معهودة والظاهر ان اسم الاشارة يقصد به ذات محسوسة ولا يقصد به الاشارة الى كونها أمرا معهودا معلوما واعلم انه يفهم مما قال الرضى ان المعرفة ما أشير به الى خارج مختص اشارة وضعية فقيد الخارج لخروج بعض النكرات والمراد بالخارج الخارج عن ذهن المخاطب لان كل لفظ فهو اشارة الى أمر ذهنى وهو مفهومه المعلوم للمخاطب فاذا أشير باللام الى مجرد المعنى الحاضر فى ذهن المخاطب من غير اعتبار حصوله فى الخارج كان نكرة وتعريفه يكون لفظيا و بقيد الاختصاص تخرج الضمائر الراجعة الى نكرة غير مخصوصة فان تلك الضمائر نكرات وتقييد الاشارة بالوضع ليخرج مثل رجل فى جاءنى رجل اذا عرفه المخاطب فان الاشارة فى مثله ليست اشارة وضعية فان قيل يرد عليه ان المعرف بلام الجنس ليس فيه اشارة الى خارج مختص بل الى ما فى ذهن المخاطب كالحمد فى الحمد لله فلزم ان يكون نكرة وهو خلاف ما صرح به صاحب الكشاف بل التزمه من ان المحلى بلام الجنس معرفة ولذلك أى لاجل

خروج المحلى بلام الجنس عن المعرفة على ماذكر ادخل الرضى المعرف بلام العهد فى المعرفة ولم يذكر سائر أقسام اللام فقال فيدخل فيه أى فى حد المعرفة الضمائر اذا عادت الى نكرة مخصوصة والمعرف بلام العهد وان كان المعهود نكرة اذا كان مخصوصا فنقول انه قال تبين بما ذكرنا ان قول المصنف فى نحو قولك اشرب الماء واشتر اللحم وقوله تعالى أن يأكله الذئب ان اللام اشارة الى ما فى ذهن المخاطب من ماهية اللحم والماء والذئب ليس بشئ لان هذه الفائدة يقوم بها نفس الاسم المجرد عن اللام فالحق ان التعريف فى مثله لفظى كما ان العلمية فى أسامة لفظية فعلم مما ذكره ان المحلى بلام الجنس نكرة وان ماذكروه من انه معرف صحيح ان كان مرادهم التعريف اللفظى وان قيل ان المعرف بلام الجنس كالرجل يشار به الى الماهية الخارجية لوجودها فى الخارج المتصفة بكونها معلومة فتكون معرفة قلنا فكذا اسم الجنس كرجل موضوع يشار به الى أمر خارجى معلوم فلزم ان يكون معرفة ثم ان مثل ماذكر فى المحلى بلام الجنس يمكن ان يقال فى الضمائر الراجعة الى النكرات الغير المختصة فتكون معارف فلا حاجة الى جعلها نكرات فتأمل فى هذا المقام يتضح لك ما يتعلق بالمراد واعلم ان الشريف العلامة صرح بان كون اللام للجنس أولى من كونه للاستغراق واستدل عليه بان اختصاص الجنس مستفاد من جوهر الكلام ومستلزم لاختصاص جميع الافراد فلا حاجة فى تأدية المقصود الذى هو ثبوت الحمد لله تعالى وانتفاؤه عن غيره الى ملاحظة الشمول والاحاطة ويستعان فيه بالقرائن الخارجية بل نقول على ما اختاره يكون اختصاص جميع الافراد ثابتا بطريق البرهان فيكون أقوى من اثباته ابتداء أقول فيه بحث لانه اذا كان اللام للاستغراق كان اختصاص الجنس ثابتا بطريق الدليل أيضا لأنه يلزم من اختصاص جميع الافراد اختصاص الجنس غاية الامر ان الاستدلال باختصاص الجنس على اختصاص الافراد طريق البرهان لانه استدلال من الكلى على الجزئى واما العكس فطريق الاستقراء لانه استدلال من الجزئى على الكلى ويمكن ان يقال فى طريق البرهان ايماء الى ان حقيقة الحمد تقتضى الاختصاص دون الطريق الآخر ثم انه لا يمكن الاستدلال على اختصاص جميع الافراد الا بعد العلم باختصاص الجنس لانا نستدل هكذا جميع افراد الحمد مختصة به تعالى لان كلا منها ثناء على الجميل الاختيارى والثناء على الجميل الاختيارى مختص بالله تعالى ومما ذكرنا يعلم ان استناد اختيار كون اللام للجنس على كونها للاستغراق الى ماذكر أولى من استناده الى ماذكره العلامة ثم قال فان قلت كيف يصح على مذهبه تخصيص جنس الحمد به تعالى قلت صح ذلك بناء على ان أفعالهم الحسنة التى يستحقون بها الحمد عندهم انما هى بتمكين الله تعالى واقداره عليها فمن هذا الوجه يمكن جعل ذلك راجعا اليه تعالى أقول فيه بحث فان الحمد على ما عرفه يتعلق بالعبد حقيقة لا أنه فاعل للجميل بالاختيار على مذهبه وكون قدرته وتمكنه من الفعل من الله تعالى لا ينفى تعلق الحمد بالعبد حقيقة قال صاحب الحواشى وقع فى الحواشى الشريفية ان التعريف يقصد به معين عند السامع من حيث هو معين كانه اشارة اليه بذلك الاعتبار واما النكرة فيقصد بها الى المعين من حيث ذاته ولا يلاحظ فيها تعينه وان كان معينا فى نفسه وحينئذ نقول اللام اذا دخلت على اسم فاما ان يشار بها الى حصة معينة من مسماه فردا كانت أو افرادا مذكورة تحقيقا أو تقديرا تسمى لام العهد ونظيره العلم الشخصى واما ان يشار بها الى مسماه وتسمى لام الجنس فان قصد المسمى من حيث هو كما فى التعريفات ونحو قولنا الرجل خير من المرأة تسمى اللام حينئذ لام الحقيقة والطبيعة ونظيره العلم الجنسى وان قصد المسمى من حيث هو فى ضمن الافراد بقرينة الاحكام الجارية عليه الثابتة فى ضمنها فاما ان يقصد اليه من حيث هو فى ضمن جميع الافراد كما فى المقام الخطابى لعلة ايهام ان القصد الى بعضها دون بعض ترجيح من غير مرجح وتسمى لام الاستغراق ونظيره كلمة كل مضافا الى نكرة أو بعضها كما فى المقام الاستدلالى وتسمى لام العهد الذهنى كقولك ادخل السوق حيث لا عهد فمؤداه مؤدى النكرة ولذلك يجرى عليها أحكامها وفيه بحث اما أولا فلان الحكم بان الاشارة بلام العهد الى فرد من المسمى لانه اشارة الى المسمى وقصد من حيث انه فى ضمن الفرد والاشارة بلام الاستغراق وبلام العهد الذهنى الى المسمى وقصد من حيث انه فى ضمن الفرد لا انه اشارة الى الفرد مع ان الحكم فى كلا الصورتين على الفرد ويسرى اليه تحكم ظاهر واما ثانيا فلانك كما تشير فى قولك جاءنى رجل والرجل كذا الى الرجل الموصوف بالجبنة لا الى الرجل مطلقا فلذلك ذهبوا الى انها للعهد ويشار بها الى حصة معينة منه كذلك تشير باللام فى قولك الرجل خير من المرأة والرجل كذا الى الرجل الموصوف بالخيرية لا الى الرجل مطلقا والفرق بينهما تحكم وحينئذ نقول هذه اللام ليست للعهد اذ ليست الاشارة بها الى حصة وليست بلام الجنس اذ القصد بها ليس الى المسمى ولا العهد الذهنى ولا الاستغراق اذ القصد بها ليس الى الافراد فيكون التقسيم المذكور غير

اذ الحمد فى الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط أو بغير وسط كما قال تعالى

حاصر الان يتكلف و يقال أراد بقصد المسمى من حيث هو ان بقصد المسمى لا فى ضمن الفرد بقرينة المقابلة أقول فيه نظر اما أولا فلان الفرق ان الفرد فى العهد الخارجى معلوم متميز عند العقل بوجه مذكور فيحسن ان يجعل الاشارة اليه معنى التعريف العهدى واما الفرد فى صورة العهد الذهنى وكذا الاستغراق فغير معلوم مما ذكر فلعل الفرق بينهما لذلك واما ثانيا فلان الحكم فى قول القائل والرجل كذا على حقيقة الرجل ولا نسلم ان الحكم عليه مع وصف الخيرية اذ لا حاجة الى اعتبار وصف الخيرية فى الحكم عليه بخلاف جاءنى رجل والرجل كذا فانه لا بد من اعتبار وصفه بالجيئة اذ لو لم يعتبر لم نعلم ان الحكم المذكور عليه ولو سلم انه حكم الرجل الموصوف بالخيرية نقول ان الوصف مقدر ههنا بقرينة السابق فتقدير الكلام ان الرجل الخير كذا فيكون اللام فى الرجل للجنس ثم قال الظاهر على ما أرى ان لام الجنس يدل على ان مدخوله معلوم بوجه وضع المعنى بهذا الوجه ولام العهد يدل على انه معلوم بوجه آخر أقول ان كان المختار عنده ان لام العهد الذهنى والاستغراق يدلان على ان مدخوله معلوم بوجه آخر بالظن لم يكن ما ذكره مفيدا فى الفرق بينهما و بين لام العهد الخارجى معان المقام مقام الفرق بين الاقسام الاربعة وان كان المختار عنده ان اللام فى القسمين المذكورين يدل على الجنس فقط وكونه فى ضمن الفرد مفهوما من القرينة واما لام العهد فهو يدل بنفسه على ان الجنس معلوم بوجه آخر أى بوجه كونه فى ضمن فرد معين وهذا المعنى هو الظاهر من كلامه فهو بعينه مؤدى كلام العلامة (قوله والتعريف فيه للجنس) الى قوله أو للاستغراق اذ الجد فى الحقيقة كله له ظاهر هذه العبارة يدل على ان جعل اللام على الجنس والاستغراق متساويان وقد صرح صاحب الكشاف بان اللام للجنس والحمل على الاستغراق وهم وعرفت ان ما قاله هو الاولى ولا يخفى ان قوله اذ الجد فى الحقيقة كله لا يصلح دليلا على الجنس والاستغراق (قوله اذ ما من خير الا وهو موليه بواسطة أو بغير واسطة) فان قلت بل هو موليه بغير واسطة مطلقا اذ هو الفاعل المستقل فى جميع أفعاله من غير احتياج الى واسطة قلنا المراد من الواسطة ما تصل اليه النعمة أولا ثم تنتقل منه الى (٢٥) غيره وليس المراد الواسطة فى التأثير

تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حى قادر مريد عالم اذ الجد لا يستحقه الا من كان هذا شأنه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام و بالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة (رب العالمين) الرب فى الاصل مصدر بمعنى التربية وهى تبليغ الشئ الى كماله

أى ما يتوقف التأثير عليه حتى يلزم ما ذكر وههنا كلام آخر يعرف بالتأمل (قوله وفيه اشعار)

الظاهر ان معناه ان فى اختصاص جميع المحامد به تعالى اشعارا بانه تعالى متصف بما ذكره وفيه شيآن أحدهما انه لا حاجة فى ذلك الى اختصاص جميع المحامد به بل تعلق الحمد به يدل على ذلك والثانى ان الاحسن ان يقال فهو يستلزم كونه تعالى متصفا بالصفات المذكورة وانما كان مستلزما لما قلنا من ان الحمد لا يتعلق الا بالفاعل المختار وهو لا بد ان يكون حيا عالما قادرا مريدا و يمكن ان يقال فى دفع الاول مراده اذ فيه اشعار بكونه تعالى حيا قادرا على كل شئ مريدا عالما به أى بالكل لان من له جميع المحامد فهو موجد كل نعمة وكمال ومن كان كذلك يجب ان يكون متصفا بما ذكر (قوله تنزيلا الخ) يعنى ان هذا النحو من الاتباع يجرى فى كلمة واحدة بناء على ان حرفين متصلين من كلمة صارا من شدة الاتصال كحرفها واحد فيجرى على أحدهما حكم الآخر فيكون اجراء هذا الحكم فى كلتين بناء على جعلهما بمنزلة كلمة واحدة وعبارة المصنف أحسن من عبارة الكشاف حيث قال قرأ الحسن البصرى الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرأ ابراهيم ابن أبى عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال والذى جسرهما على ذلك الاتباع وانما يكون فى كلمة واحدة فنزلا الكلمتين منزلة كلمة واحدة وعبارة المصنف أحسن لاشعارها بان قراءتهما نشأت من متابعة أحكام اللغة والسلف بريؤن عن كل ذلك صرح به الشريف العلامة وغيره من المحققين (قوله الرب فى الاصل بمعنى التربية الخ) قال صاحب الحواشى يمكن ان يجعل الرب ههنا من التربية و يمكن ان يجعل بمعنى المالك ولكل وجه يرجح و يمكن الحمل عليهما عند من جوز مثل ذلك فان حمل على الاول أفاد قوله مالك يوم الدين معنى جديدا بخلاف ما اذا حمل على الثانى فان مالك العالمين مشتمل على مالك يوم الدين وان حمل على الثانى كان تخصيصا بعد تعميم فيفيد زيادة الاهتمام بتلك الصفة وهى كونه تعالى مالك يوم الدين وعبارة المصنف تحتمل الوجهين واختار صاحب الكشاف الثانى نظرا الى قوة الاهتمام وقد نقل فى هذا المقام ان الرب من التربية وفى قوله * ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسوّيك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك * ان من له شرب من البلاغة لا يخفى عليه ان اجراء هذه الاوصاف للاشارة الى ان الرب مستجمع لهذه الصفات أقول فيه نظر لانه ان أراد ان اجراء هذه الاوصاف على الرب أى التذاء الى الاشارة الى انه تعالى مستجمع لهذه الصفات فهذا لا يختص

بمن له شرب من البلاغة بل كل من يفهم الكلام يعلم من هذه الصفات انه تعالى متصف بها وان أراد انه للاشعار الى ان معنى الرب يقتضى ان يكون الموصوف جامعا لهذه الصفات فهذا ممنوع بل الظاهر من اجراء الصفات المذكورة ان ليس فى لفظ الرب اشعار بذلك والالم يحتج الى اجرائها وفيه مافيه (قوله وصف به للمبالغة) يمكن ان يقال انه وصف بحسب الظاهر والتقدير ذو تربية العالمين لان المصدر لايحمل على الذات حمل المواطاة فان قيل اذا قدرت هذا انتفت المبالغة المقصودة قلت هذا الحمل لما كان بحسب الظاهر حمل المصدر مواطأة أفاد المبالغة وان كان ذو مقدرا كما قالوا أعلى مراتب التشبيه فى المبالغة حذف وجهه وأداته فقط أو مع حذف المشبه وذلك لان القوة اما بعموم وجه الشبه من حيث الظاهر أو باجراء المشبه به على المشبه بانه هو هو نظرا الى الظاهر كذا فى المطول وغيره لكن نقل فى باب المجاز العقلى عن الشيخ عبد القاهر ان قول الشاعر انما هى اقبال وادبار من المجاز العقلى فان الشاعر لم يرد بالاقبال والادبار غير معناهما حتى يكون المجاز فى الكلمة وانما المجاز فى ان جعلها لكثرة ماتقبل وتدبر كانها تجسمت من الاقبال والادبار وليس أيضا على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وان كانوا يذكرونه منه اذ لو قلنا أريد انما هى ذات اقبال وادبار أفسدنا الشعر على أنفسنا وخرجنا الى شئ مغسول وكلام عامى مرذول انتهى وهذا يدل على جواز ان يبقى الرب على المعنى المصدرى من غير تقدير شئ فليتأمل (قوله الا مقيدا) يعنى ان الرب لايطلق من غير قيد الاضافة الا على الله تعالى غالبا واطلاقه على غيره نادر كما صرح به العلامة التفتازانى والسر فيه الاشعار بانه تعالى رب لكل شئ فان عدم الاضافة الى المربوب المخصوص للاشعار بعدم اختصاص كونه ربا لشئ دون شئ كما قالوا فى حذف المفعول انه للاشعار بالعموم وذهاب السامع كل مذهب واعلم انه علم مما ذكر انه يجوز اطلاق الرب مقيدا على غير الله وقال الطيبى يرده مارواه الشيخان البخارى ومسلم عن أبى هريرة مرفوعا لايقل أحدكم اطعم ربك ارض ربك اسق ربك ولايقل أحدكم ربى وليقل سيدى ومولاى وأما قول يوسف عليه الصلاة والسلام فهو ملحق بقوله تعالى فخروا له سجدا فى الاختصاص بزمانه انتهى وأجيب بان ماورد فى الحديث دليل على المنع الشرعى والكلام فى الاطلاق اللغوى

شيأ فشيأ ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمى به المالك لانه يحفظ مايملكه ويربيه ولايطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله * ارجع الى ربك * والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع

على انه يمكن ان يقال ورد المنع الشرعى فى موضع توهم كونه عاما قيل اما الاول فسخيف لانه فى الجاهلية اطلق على غيره مطلقا واللغة لاتأبى عن ذلك فالكلام فى الاطلاقات تعالى الدينية واما الثانى فالتجاسر على أمثال هذه التأويلات من غير التشبث بنص آخر من عدم المبالاة بمتابعة النصوص أقول يمكن ان يقال انه فى اللغة لايطلق على غيره تعالى مطلقا الا نادرا وهو المراد كما علم من كلام الصحاح وتصريح العلامة التفتازانى واما التأويل المذكور فالباعث عليه ماوقع فى كلام يوسف ارجع الى ربك فان شرع من قبلنا شرع لنا الا اذا ورد مايقطع بالتخالف واعلم ان ماقلنا احتمال لكن ظاهر الحديث المنع فالعمل به أولى وأجدر فتأمل قوله قال الشريف العلامة وأما لفظ الارباب فحيث لم يطلق على الله وحده جاز تقييده بالاضافة كما فى قولك رب الارباب وجاز اطلاقه كما فى قولك أرباب متفرقون أقول عبارته تدل على ان الأرباب فى قوله رب الأرباب مقيد بالاضافة وليس كذلك بل الرب المضاف الى الأرباب مقيد بالاضافة اذ المضاف اليه قيد المضاف لامقيد به الا أن يراد من التقييد بالاضافة كونه مضافا اليه وقال صاحب الحواشى لما كان معنى الرب فى الأصل غير مختص به تعالى جمع بالمعنى العام على الأرباب ثم عرض له أن يخص به تعالى وكأن الجمعية متقدمة على التخصيص أقول هذا تكلف مستغنى عنه بل منظور فيه والاولى أن يقال ان اختصاص الرب به تعالى مشروط بما اذا كان باقيا على صيغة الافراد وأما فى ضمن صيغة الجمع فيجوز اطلاقه على غيره أيضا (قوله والعالم اسم لما يعلم به وهو كل ماسواه من الجواهر والاعراض) الى قوله اسم وضع لذوى العلم من الملائكة والثقلين قال صاحب الكشاف العالم اسم لذوى العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ماعلم به الخالق من الأجسام والاعراض ولايخفى أن هذا يدل على أن المعنى الراجح هو الاول على عكس عبارة المصنف وماذهب اليه المصنف أولى لعمومه قال الشريف العلامة بعد أن ذكر أن العالم اسم مطلق على كل جنس من أجناس مايعلم به الخالق لا على كل فرد منهم لايقال اذا لم يطلق على فرد الجنس المسمى به كما مر فاذا عرف باللام امتنع استغراقه لأفراد جنس واحد فان اللفظ المفرد انما يستغرق أفرادا يطلق على كل منها وكذا اذا جمع وعرف لم يتناول الا الاجناس التى يطلق عليها دون أفرادها لانا نقول لما كان العالم مطلقا على الجنس باسره نزل منزلة الجمع فان الجمع اذا عرف استغرق آحاد مفرده وان لم يكن صادقا عليها أقول لانسلم أن العالم لم يطلق على فرد من

فراد الجنس المسمى به بل صرح بعض العلماء بجواز الاطلاق وعبارة الكشاف لاتدل على المنع من الاطلاق بل تشعر بالجواز فان قوله العالم اسم لذوى العلم من الملائكة والثقلين ليس المراد منه أنه موضوع لمجموع الملائكة والثقلين وهو ظاهر بل معناه أنه موضوع لكل ذى علم مما ذكر فيصح اطلاقه على كل واحد وكذا قوله كل مايعلم به الخالق اذ الظاهر أن المراد كل فرد مما يعلم به الخالق عالم وأما قوله ليشمل كل جنس مما سمى به فمراده أفراد كل جنس كما صرح به الشريف العلامة قال صاحب الصحاح العالم الخلق وهذا يدل على أن كل خلق أى مخلوق يؤيد ماذكرناه ماسيجيء فى الكتاب من أن كل واحد من الناس عالم (قوله كل ماسواه من الجواهر والاعراض) هذا التبيين لاخراج صفاته تعالى فانها مما سوى الله تعالى أى ذاته مع أنها ليست داخلة فى العالم ويمكن أن يقال المراد ماسوى ذاته وصفاته تعالى فقوله من الجواهر والاعراض مجرد بيان ولك أن تقول الامور الحاصلة فى الاذهان داخلة فيما سوى الله تعالى مع أنها ليست بجواهر ولا اعراض لانها صفات للموجود فى الاعيان والجواب أن المراد من العالم موجود سوى ذاته تعالى وصفاته والأمور العقلية ليست بموجودة أصلا عند أكثر المتكلمين وأما القائل بالوجود الذهنى فانه لم يجعلها من الاعراض فتأمل (قوله فانها لامكانها الخ) قيل أى الجواهر والاعراض باعتبار الرجوع الى كل منهما من غير ملاحظة لفظ الكل والافالظاهر التذكير ارجع الى كل ماسواه أو التثنية لبرجع الى الجواهر والاعراض أقول فيه نظر ويمكن أن يقال انه راجع الى الامور المذكورة باعتبار أن الجواهر والاعراض أمور متعددة (قوله وهى مفتقرة الى المبقى حال بقائها) هذا رد على من قال ان الممكن لايحتاج الى الفاعل الا لحدوثه (٢٧) فاذا حدث يحصل له الاستغناء وتوضيحه

تعالى وهو كل ماسواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ماتحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر أوصافهم وقيل اسم وضع لذوى العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عنى به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر مافى العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم انها الصانع كما يعلم ابداعه فى العالم الكبير ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى * وفى أنفسكم أفلا تبصرون * وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح أو النداء أو بالفعل الذى دل عليه الحمد وفيه دليل على أن الممكنات كلها مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهى مفتقرة الى المبقى حال بقائها (الرحمن الرحيم) كرره للتعليل على ماسنذكره (مالك يوم الدين) قراءة عاصم والكسائى ويعقوب ويعضده قوله تعالى * يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله * وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة أهل الحرمين ولقوله تعالى * لمن الملك اليوم

أن يقال لما كان تعالى رب العالمين أى متصفا بانه رب لما اتصف بصفة العالمية فالظاهر أنه مادامت هذه الصفة باقية لشئ كان الله تعالى ربا له لكن العالم مادام موجودا لاينفك عن صفة العالمية فلاينفك من الاحتياج وكيف لايحتاج والعالم فى أى زمان من الأزمنة ليس وجوده

من ذاته فيكون من غيره سواء حال الحدوث أو بعده ولو اقتضت ذات الممكن البقاء لكان باقيا دائما فان قيل ذاته تقتضى البقاء مالم يرد الفاعل المختار عدمه فاذا أراد عدمه انعدم قلنا فيكون الوجود أولى بالممكن من العدم وقد ثبت خلافه فى موضعه وههنا ابحاث لايليق ايرادها فى هذا الموضع قيل هذه الاشياء الممكنة التى هى آثار الواجب تدل على وجوده أى الواجب تعالى دلالة وجود الأثر على وجود المؤثر الذى هو بديهى أولى بدركه العوام والصبيان كما قال الأعرابى أسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لاتدل على الملك القدير أفول لانسلم أن دلالة الأثر على المؤثر وكذا وجوده بديهى بل نظرى فانه يستدل بامكان الأثر على وجود المؤثر وان سلمنا بداهته فلانسلم أنه أولى وادراك العوام والصبيان لايدل على أوليته وان سلمنا أن الأثر يدل على المؤثر دلالة بديهية أولية فلا نسلم أنه يدل على وجود الواجب بالأولية بل يحتاج اثبات الواجب الى ابطال الدور والتسلسل كما بين فى موضعه (قوله ولذلك سوى بين النظر فيهما) أى بين العالم الكبير والعالم الصغير وقال الله تعالى وفى أنفسكم أى وتسوية النظر فى مثل قوله تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم (قوله الباقون ملك وهو المختار الخ) ان قيل اذا كان هو المختار فلم ورد مالك الملك ولم يرد ملك الملك قلت لأن من كان مالك الملك أى السلطنة والحكم فلا بد أن يكون ملكا فعلم من كونه مالك الملك كونه ملكا مع شئ آخر وهو كونه مالكا له يعطى الملك لمن أراد و ينزع عمن أراد قيل وزعمى ان اختيارنا لامد خل له فيما هو مشترك من الله تعالى وانما قال صاحب الكشاف ذلك بناء على اعتقاده الفاسد من أنهم أخذوا ذلك بحسب آرائهم وطبائعهم فى العربية وتبعه غيره أقول غرض صاحب الكشاف ومن تبعه من كون الملك مختارا أن قراءة ملك أولى من قراءة مالك للدلالة التى ذكرها

وان كان كل من القراءتين منقولا عن النبي صلى الله عليه وسلم بالطريق المتواتر ولايخفى أن ماذكره يصلح أن يكون مرجحا لقراءة مالك على ملك وليس بناؤه على اعتقاد فاسد وهو أن القراءة مبناها على الرأى والطبع دون الرواية (قوله ولما فيه من التعظيم) قال الشريف العلامة لان ماتحت حيطة الملك من حيث انه ملك أكثر مما تحت حيطة المالك من حيث انه مالك فان الشخص يوصف بالملكية نظرا الى أقل قليل ولايوصف بالملكية الا نظرا الى أكثر كثير وأيضا الملك أقدر على مايريد من متصرفاته وأكثر تصرفا فيها وسياسة لها وأقوى استيلاء عليها من المالك فى مملوكاته ولايقدح فى الاول أنه يقال مالك الدواب والانعام ولايقال ملكها اذ ليس ذلك لان احاطته قاصرة بل من حيث ان الملك يضاف عرفا الى ماينفذ فيه التصرف بالامر والنهى واعترض صاحب الحواشى بانه ان أراد بقوله الملك يضاف عرفا الى ماينفذ فيه الامر والنهى حصر اضافته الى القابل للامر والنهى فهو غير مسلم اذ كثيرا مايضاف الى المدينة وهى غير قابلة لهما وان لم يرد الحصر لايكون ذلك مانعا من صحة اضافته الى الدواب والانعام وقد جعله مانعا عنه أقول مراد العلامة أنه لايضاف الملك الا الى القابل للامر والنهى لفظا أو تقديرا وملك الدواب ممنوع عرفا اذ الم يقدر شئ يكون هو مضافا اليه قابلا للامر والنهى وأما اذا قدر بان يقال تقديره ملك أصحاب الدواب فلم يكن فى الحقيقة اضافة الملك الى الدواب والانعام وكذا ملك المدينة مقدر بملك أهل المدينة فسقط الاعتراض (قوله للمالك هو المتصرف فى الاعيان المملوكة كيف يشاء الخ) لك أن تقول يلزم على هذا أن يكون مالك يوم الدين أبلغ فى المعنى لأن معناه المتصرف فى مملوكاته كيف شاء والملك هو المتصرف بالأمر والنهى والأول يفيد التصرف مطلقا والثانى يفيد تصرفا خاصا وهو الأمر والنهى وتفسير المالك بماذكر غير مذكور فى الكشاف بل هو من زوائد المصنف والذى ذكر فى الكشاف يفيد عكس ماذكره المصنف فانه قال الملك بالضم يعم والملك بالكسر يخص وتوجيهه أن الملك أكثر تصرفا فى ملكه وسياسة لها وأقوى استيلاء عليها من المالك فى مملوكاته ولا يقدح فيه أن المالك له التصرف فى مملوكه بالبيع وأمثاله وليس للملك فى رعاياه لان الكلام فى الموضوع اللغوى ومنعه عن بعض التصرفات أمر فقهى وهذا هو المفهوم من كلام الشريف العلامة والجواب عن الايراد المذكور بان المراد من المالك والملك المعنى اللغوى الدار وكأن المالك له التصرف فى مملوكاته كيف يشاء بحسب الوضع اللغوى ومنعه عن بعض التصرفات أمر شرعى كذلك الملك له التصرف فى رعاياه كيف يشاء ومنعه عن بعض التصرفات أمر فقهى فيه نظر (قوله وملك بلفظ الفعل) يحتمل أن يكون حالا من ضمير الرب وأن يكون جملة استئنافية كأنه قيل ماوصف رب العالمين فقيل ملك يوم الدين فليس ملكه مقصورا على الدنيا بل له الآخرة والاولى (قوله كما تدين تدان) أى كما تفعل تجزى والتعبير عن تفعل بتدين للمشاكلة وهكذا دناهم كما دانوا أى جزيناهم بما فعلوا (قوله أضاف اسم الفاعل الخ) انما اشتغل بحكم اضافة اسم الفاعل ولم يلتفت الى اضافة ملك اذ لاشبهة فى أن اضافة ملك الى اليوم ليست بلفظية اذ الصفة المشبهة لاتعمل النصب أصلا فهى مضافة الى غير معمولها كما فى رب العالمين فتكون الاضافة معنوية لالفظية هذا هو المفهوم من كلام الشريف العلامة أقول فان قلت الصفة المشبهة قد يجئ مابعدها منصوبا فلا يصح قوله الصفة المشبهة لاتعمل النصب أصلا قلنا قد يجاب عنه بانه منصوب اشبهه بالمفعول فقولهم ان الصفة لاتعمل النصب أى لاتعمل فى المفعول به حقيقة ولااتساعا وأما اشباهه ماذكر بعده بالمفعول فينصبه وكذا اذا جعل تمييزا لكن الاضافة اللفظية هى اضافة الصفة الى فاعلها أو الى ماهو مفعول به وفيه نظر اذ هو خلاف المفهوم من كلامهم فليتأمل (قوله على الاتساع) الاتساع فى الظرف أن لايقدر فى وينصب نصب المفعول به أو يضاف اليه على وتيرة كمالك يوم الدين وسارق الليلة حيث جعل اليوم مملوكا والليلة مسروقة فان قيل هذا ينافى ماذكر وهو قوله ومعناه ملك الامور يوم الدين لدلالته على تقدير فى وقد صرح صاحب الكشاف بلفظة فى حيث قال مالك الامور كلها فى يوم الدين قلت غرضه أن المقصود الاصلى ذلك وان كان معناه الظاهر لايعتبر فيه لفظة فى (قوله اجراءه لمجرى المفعول به) ليس المراد أنه مفعول به من حيث الاعراب بل من حيث المعنى فلايرد أن اضافته

* ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف فى الاعيان المملوكة كيف يشاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهى فى المأمورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح أو الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على أنه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة

ولم يبق سوى العدوا * ن دناهم كما دانوا

أضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراءه مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم ياسارق الليلة أهل

لفظية بدليل أن المالك مضاف الى معموله (قوله ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى أصحاب الجنة أوله الملك فى هذا اليوم على سبيل الاستمرار الخ) يعنى أن كون الاضافة حقيقية مفيدة لكون مالك يوم الدين صفة لله انما لأجل أن اسم الفاعل بمعنى الماضى ادعاء وحكما فلا يعمل النصب على ماقرر فى موضعه من أن اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضى حقيقة أو ادعاء لا يعمل النصب واما لاجل كونه للاستمرار ولا يختص بزمان دون زمان فلا يعمل أيضا وانما لم يعمل اسم الفاعل الذى يكون ماضيا ادعاء وان كان مستقبلا حقيقة لأن ادعاء مضى اسم الفاعل الذى هو بمعنى المستقبل انما هو لاقتضاء المقام ورعاية المقام اولى وأهم من رعاية أصل الوضع لأن البلاغة رعاية المقام كما قالوا فى تقديم الجد على الله وان كان اسم الله حقه التقديم نظرا الى ذاته وأما ادخال على الاستمرار فلان الاستمرار دال على المضى والاستقبال فاذا اعتبر دلالته على المضى لا يكون عاملا واذا اعتبر دلالته على الاستقبال يكون عاملا وكل واحد من الاعتبارين يتعين باعتبار المقام وقرائن الأحوال هذا ما فهم من كلام الشريف العلامة أقول فان قلت اذا كان المقام مقتضيا لرعاية جانب الاستقبال فما السبب فى جعل اسم الفاعل أولا للاستمرار ثم اعتبار معنى الاستقبال ولم يجعل أولا بمعنى الاستقبال قلت فائدته ثبوت مبدأ الاشتقاق دائما للموصوف واعلم أن جميع ماذكروه فى جعل مالك يوم الدين معرفة لجعله صفة للمعرفة وأما اذا جعل بدلا فلا حاجة الى ماذكروه اذ التحقيق أن النكرة قد تكون بدلا من المعرفة من غير النعت كما حققه الرضى والحق أن يقال لو جعل بدلا لكان المقصود أن الحمد لمالك يوم الدين لان الغرض أن الحمد لله باعتبار الصفات السابقة أيضا والحال أن الكل مقصود بالذات (قوله وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين) لا يخفى أنه مناسب لتفسير الدين بالطاعة لا بالشريعة فالمعنى على تفسير الدين بالشريعة مالك يوم الشريعة أى يوم اجراء أحكامها (قوله وتخصيص اليوم بالاضافة اما للتعظيم أو لتفرده تعالى بتفرد الامر فيه) لا يخفى أنه لو قيل مالك الأمور يوم الدين لافاد التعظيم وكونه تعالى مالكا للامور كلها والتفرد بنفاذ الأمر فيه ويكون مستغنيا عن تكلف (٢٩) الاتساع لكن يفوت الاختصار والمبالغة

الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة * ونادى أصحاب الجنة * أوله الملك فى هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما للتعظيم أو لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا لهم

والاستدلال فتأمل قال صاحب الحواشى لك أن تقول خصص اليوم بالاضافة ليفيد أنه مالك جميع الأمور الواقعة فيه اذ مالكية اليوم دليل على مالكية ما فيه أقول هذا مأخوذ من كلام الشريف العلامة فانه قال وتملك الزمان كتملك المكان يستلزم تملك ما فيه وفيه نظر اما أولا فلانا نقول المقصود بمالكية الزمان مالكية ما فيه وهذا قالوا ان معنى مالك يوم الدين مالك الأمور يوم الدين فلا وجه للاستدلال والاستلزام المذكورين وقد يقال انه لما ذكر أنه مالك اليوم توسعا كما صح هذا الاستلزام ولا ينافى ذلك كون المقصود الاصلى انه مالك الامور فى ذلك اليوم وقولهم ان معنى مالك يوم الدين الخ معناه انه المقصود الاصلى فيه واما ثانيا فلانا لا نسلم ان تملك المكان يستلزم تملك ما فيه ولذا قال الفقهاء ان الاقرار بان هذا الصندوق مثلا لفلان لا يكون اقرارا بما فى الصندوق ويمكن ان يقال مراد العلامة ان تملك المكان يستلزم تملك جميع ما حدث أصله فيه والحال ان الامور الواقعة فى ذلك اليوم حادثة فيستلزم تملك اليوم تملك ما حدث فيه كما ان تملك المكان كذلك ثم قال الشريف العلامة ان الاضافة بمعنى اللام ولم يقيد المصنف بمعنى فى وان كانت رافعة لمؤنة الاتساع وما يتبعه من الاشكال امالان اجراء الظرف مجرى المفعول به قد تحقق فى الضمائر بلا خلاف فصور الاضافة لما احتملت وجهين كانت محمولة على ما تحقق فلا اضافة عنده بمعنى فى وامالان الاتساع يستلزم خلافا فى المعنى فكان عند أرباب البيان بالاعتبار أولى أقول يحتمل ان يكون المراد تفخيم المضاف اذ تدل على انه مالك الزمان وهو تعظيم لانه مختص به تعالى اذ ليس لغيره هذه الصفة أصلا وأيضا يستلزم تملك جميع ما فيه ويحتمل ان يكون المراد تفخيم المضاف اليه وقد مر وقال صاحب الحواشى لعل وجه ارتكاب الاتساع وعدم جعل الاضافة بمعنى فى فيهنا انه اذا اتسع وجعل اليوم مفعولا به لدل الكلام على ان الله تعالى مالك لجميع الامور فى اليوم المذكور بناء على ان تملك الزمان يستلزم تملك جميع ما فيه عرفا واذا جعل الاضافة بمعنى فى بدل على انه مالك فى اليوم المذكور ويصدق ذلك بان يكون مالكا لما فيه فيكون عدم اعتداد المصنف بمعنى فى فيهنا لذلك لا لواسطة انه غير قائل به أقول ماذكره صاحب الحواشى هو فى الحقيقة بيان للاحتمال الاخير الذى ذكره العلامة فان من وجوه استلزام الاتساع للتفخيم فيما نحن فيه انه يفيد تملك جميع الامور الكائنة فيه بالوجه المذكور (قوله من كونه موجدا للعالمين ربا لهم) ولو قال المصنف من كونه ربا لهم بايجادهم أولا

وتكميلهم ثانيا لكان أولى كما قال الشريف العلامة انه تعالى يتصرف في الاشياء ويربيها أي يرقيها في مدارج الكمال على مقتضى عنايته بافاضة الوجود واعداد أسباب الكمالات (قوله منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها) يفهم منه ان التربية منحصرة فيه تعالى فيلزم ان لا يصح اطلاق الرب ولو مقيدا على غيره تعالى وهو خلاف ما ذكره المصنف ويمكن ان يقال مراده ان اطلاق الرب على غيره مقيدا مجاز لا حقيقة والاولى ان يقال ان الرب المطلق على غيره تعالى بمعنى المالك (قوله بل لا يستحقه بالحقيقة سواه الخ) فيه بحث اما أولا فلان الحمد والثناء على الجميل الاختياري على قصد التعظيم والجميل الاختياري أعم من ان يكون اختياريا بحسب الايجاد أو بحسب الكسب فيصح ان يتعلق الحمد بغيره تعالى ويمكن ان يجاب بان المتبادر من الاختياري ما يكون بحسب الايجاد فصرفه عن الظاهر بلا داع في قوة الخطأ واما ثانيا فلان قوله ترتب الحكم الخ يدل على ان الاتصاف بالصفات المذكورة علة للحمد ولا يدل على انحصار علة الحمد فيما ذكر فلا يفيد كون ما سواه تعالى غير مستحق له والجواب انه لما كان بعض الاوصاف المذكورة وهو الثاني والثالث مفيد الكونه تعالى معطيا للنعم كلها فلا يحصل من غيره باختياره شيء فيدل على ان لا مستحق للحمد غيره وفيه نظر لانه يلزم ان لا يكون لترتب الحكم على باقي الاوصاف دخل في حصر الحمد عليه تعالى بل يكفي فيه كونه معطيا لجميع النعم (قوله أو للاشعار) فان قيل الاولى ان يقال وللاشعار بالواو فان في اجزاء الاوصاف المذكورة على الله تعالى الدلالة والاشعار معا قلنا المراد أو للاشعار بان كلا من الدلالة والاشعار نكتة مستقلة للاجزاء (قوله فالوصف الاول الخ) لك ان تقول الثاني والثالث أيضا بيان ما هو موجب للحمد والجواب ان غرض المصنف انهما وان كانا كذلك لكن ذكرهما ليس للبيان المذكور لانه فهم من الوصف الاول وههنا نظر اما أولا فانه قال أولا ان مجموع الاوصاف للدلالة على انه الحقيق بالحمد الخ فهو بيان لموجب الحمد وهذا الكلام أعني قوله فالوصف الاول الخ يدل ان هذا الوصف فقط لبيان موجب **(٣٠)** الحمد واما ثانيا فلان مجرد الوصف الاول ليس موجبا للحمد اذ الموجب له ما

منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لأمورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على أنه الحقيق بالحمد لا أحد أحق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طرق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد فيكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على أنه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات أو وجوب عليه قضية اسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد

يصدر عن الفاعل المختار لكن الاختيار كما صرح به مفهوم اثاني والثالث ويمكن الجواب عن الاول بانه لم يقتصر أولا على بيان الموجب بل أضاف اليه اختصاص الحمد به تعالى

وعن الثاني بان المراد من الموجب ذات ما هو الموجب للحمد ولا يخفى ان رب العالمين كذلك والاختيار المستفاد من الثاني والثالث شرط لكونه موجبا ما له والى ما ذكرا شار بقوله حتى يستحق له الحمد فتأمل (قوله ليس يصدر منه لايجاب بالذات) هذا احتراز عن مذهب الفلاسفة فانهم ذهبوا الى ان صدور الاشياء باقتضاء الذات لا بالارادة والاختيار فان قيل مذهبهم ان الصادر من الله تعالى ليس الا شيء واحد هو العقل الاول فيكون وجود ما سواه ليس منه تعالى عندهم فيكون في الصفة الاولى اشارة الى رد مذهبهم أيضا فلم يتعرض له قلنا هذا الذي ذكرته نسبه اليهم من لم يحقق مذهبهم واما المحققون فصرحوا بان الله تعالى موجد لكل شيء ومربيه لكن الايجاد في غير العقل الاول بالواسطة فهو بالحقيقة فاعل الكل ولذا لما شنع عليهم أبو البركات البغدادي بان دليلهم وهو ان الواحد لا يصدر عنه الا الواحد لا يدل الا على انه ليس فاعلا مستقلا للكل ولا يدل على انه تعالى ليس بفاعل له فلم نفوا فاعليته للكل أجاب أهل التحقيق بان مذهبهم ليس كما فهم هذا المشنع وانما مذهبهم ان صدور الكل من الله تعالى وان كان في الاكثر بواسطة الشروط والاسباب (قوله أو وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال) الظاهر ان هذا اشارة الى رد مذهب المعتزلة فانهم ذهبوا الى وجوب ثواب المطيع بمقتضى الطاعة وفيه انه لا يلزم من كونه تعالى رحمانا رحيما ان لا يجب عليه شيء حتى يلزم رد مذهبهم نعم اذا ثبت ان كل ما صدر عنه تعالى بطريق التفضل من غير وجوب ثبت بطلان مذهبهم والاولى حذف القيد المذكور وهو قوله قضية الخ اذ ليس وجوب كل نعمة صادرة منه تعالى قضية لسوابق الاعمال عندهم وانما مقتضى كلامهم حصول ذلك في البعض كالثواب وقد صدر منه تعالى الرحمة واللطف من غير سابقة عمل كبعثة الانبياء فانها رحمة للخلق من غير سابق عمل وخالق الاصلح للعبد فانه كذلك أيضا فتأمل واعلم ان قوله قضية مفعول مطلق بمعنى الاقتضاء وأصل التركيب هكذا يقتضي الوجوب عليه سوابق الاعمال اقتضاء ثم حذف الفعل والفاعل والمفعول فبقي المفعول المطلق ثم بين الفاعل بعده بحرف الجر فصار ما ذكر وصار الفعل واجب الحذف لان القاعدة انه اذا بين الفاعل

والمفعول بعد المفعول المطلق بحرف الجر أو بالاضافة يجب حذف الفعل كذا ذكره الرضى (قوله والرابع لتحقيق الاختصاص) فان قيل رب العالمين أيضا مختص به تعالى لا يقبل الشركة فيه فلذا يجوز ان يتوهم من قوله رب العالمين انه رب بعض العالمين فلا يكون مختصا بخلاف مالك يوم الدين فانه لا يتوهم الشركة فيه أصلا (قوله ثم انما ذكر الحقيق بالحمد) الى قوله ليكون أدل على الاختصاص يعنى لو ذكر بضمير الغائب كما هو مقتضى الظاهر لم يدل الكلام على قوة الاختصاص فى العبادة والاستعانة فان الخطاب مشعر بان المخاطب كان حاضرا شخصه بخلاف ما اذا ذكر بضمير الغائب فانه يرجع الى ما هو معلوم بالصفات وان كان لا يحتمل الشركة فى الواقع لكن يحتملها فى فرض العقل وليس فيه الاشعار المذكور فالخطاب أدل على الاختصاص ولذا قال فكأن المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا وقال الشريف العلامة انه لو قيل اياه نعبد واياه نستعين كما يقتضيه سياق الكلام بظاهره لم يكن فيه دلالة على ان العبادة له والاستعانة به لاجل اتصافه بتلك الصفات المجراة عليه وتميزه بها عن غيره لان ذلك الضمير راجع الى ذاته بمقتضى وصفه وليس فيه ملاحظة أوصافه وان كان متصفا بها فالحكم متعلق بذاته فلا يفهم منه تسبيه عرفا فاذا قيل اياك بدل اياه فقد نزل الغائب بواسطة أوصافه المذكورة التى أوجبت تميزه وانكشافه حتى صار كانه تبدل خفاء غيبته بجلاء حضوره منزلة المخاطب فى التميز والظهور ثم أطلق عليه ما هو موضوع للمخاطب فى اطلاقه عليه ملاحظة لتلك الصفات فصار الحكم مرتبا على الوصف المناسب كانه قيل أيها الموصوف المتميز بهذه الاوصاف نخصك بالعبادة والاستعانة فيفهم منه عرفا ان العبادة والاستعانة لتميزه بتلك الصفات وقال صاحب الحواشى فيه بحث اذ لا نسلم انه لو قيل اياه نعبد واياه نستعين لم يكن فيه دلالة على ان العبادة والاستعانة لاجل تلك الاوصاف وقوله لان ذلك الضمير راجع الى ذاته فالحكم يتعلق

بذاته قلنا مسلم لكن لا يلزم من ذلك ما فرعه عليه من قوله فلا يفهم منه عرفا وانما يلزم ذلك لو لم توصف الذات بالصفات المذكورة اما اذا وصفت بها كان من باب تعليق الحكم بالوصف المناسب كما فى قولك كل رجل عالم يستحق ان يكرم فان

والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين (اياك نعبد واياك نستعين) ثم انما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك أى يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون أدل على الاختصاص وللترقى من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود فكأن المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى أول الكلام على ما هو مبادى حال العارف من الذكر والفكر والتأمل فى أسمائه والنظر فى آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه ثم فى بما هو منتهى أمره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة فيراه عيانا وينا جيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين للعين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن فى

هذا الكلام بشعر باستحقاق الاكرام بواسطة العلم وان كان مرجع الضمير هو الرجل والحكم يتعلق به أقول لا يخفى انه اذا رجع الضمير الى مجرد الذات كما هو مقتضى أصل وضعه لا يكون فى الضمير اشعار بعلية الاوصاف بخلاف اياك نعبد فان لفظ اياك يشعر بكون المخاطب تعالى فى حكم المشاهد ولا يصير كذلك الا لاجل الاطلاع على أوصافه ففيه اعتبار الاوصاف ومجرد اتصاف الذات بتلك الاوصاف لا يستلزم ان يكون فى اياه نعبد اشعار بعلية الوصف واما التمثيل بقوله كل رجل عالم يستحق ان يكرم فاشعاره بالمذكور لا بحيث ان استحقاق الاكرام للرجل العالم ولو لم يكن للعالم دخل فى استحقاق الاكرام لكان ذكره لغوا بخلاف ما نحن فيه فان فى ذكر الاوصاف المذكورة اشعارا بعليتها لاستحقاق الحمد نعم لو قيل ان الضمير راجع الى ذاته تعالى مع اعتبار اتصافه بالصفات المذكورة بقرينة المقام لكان فيه اشعار بما ذكر لكنه خلاف أصل وضعه (قوله ثم فى بما هو منتهى أمره الخ) قال صاحب الحواشى أنت خبير بان غاية ما يستدعى الخطاب ان يكون المتكلم بسمع من المخاطب أى بحيث يسمع المخاطب صوته ولا يستدعى ان يرى المتكلم المخاطب سيما اذا كان غير جسم أو جسمانى ففى قوله ثم فى بما هو منتهى أمره نظر أقول هذا النظر لا يرد على ما قصده المصنف اذ غرضه من قوله و يصير من أهل المشاهدة فيراه عيانا انه يصير فى حكم أهل المشاهدة فكانه يشاهده لقوة ظهوره بسبب التأمل فى أوصافه الباهرة المخصوصة به تعالى وهذا ظاهر والى ما قلنا الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه (قوله اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر) أى الخبر فليس الخبر كالمعاينة كما قال عليه السلام أى ليس الخبر عن الشئ كمعاينته فى افادة العلم به بل المعاينة أقوى لان المعاينة توجب العلم بامور يقصر عنها الاخبار واعلم ان الوصول الى العين بالمشاهدة العقلية التى فى حكم المشاهدة بالحس فى الظهور وذلك بتجلى الحق بطريق يعرفه العارف

الكامل الواصل جعلنا الله منهم (قوله نظرية له وتنشيطا للسامع) غير عبارة الكشاف حيث قال الكلام اذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن نظرة لنشاط السامع وعبارة المصنف أحسن فانها تشتمل على شيئين أحدهما نظرية الكلام وهو موجب لنشاط المتكلم فان المتكلم يتلذذ بالتفنن فى الكلام كما لايخفى فنظرية الكلام مستلزمة لافادته غير تنشيط السامع وهى التلذذ المتكلم وفى عبارة المصنف دلالة على تغاير هما بخلاف عبارة الكشاف (قوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم) فى هذه الآية عدول من الخطاب الى الغيبة وفى الآية الثانية التفات من الغيبة الى التكلم ففى عبارته لف ونشر وفى البيت الاول من كلام امرئ القيس التفات من التكلم الى الخطاب فان قوله ليلك الخطاب لنفسه كما تقتضيه عبارة الكشاف حيث قال التفت ثلاثة التفاتات فى ثلاثة أبيات وهو مبنى على ان الالتفات الاول هو التعبير عن الشئ على خلاف مقتضى الظاهر وان لم يعبر عنه سابقا فان الالتفات الاول فى تطاول ليلك حيث يقتضى الظاهر تطاول ليلى والتفات من التكلم الى الخطاب وهو موافق لمذهب صاحب المفتاح وههنا مذهب آخر وهو ان الالتفات هو التعبير عن الشئ بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر وعبارة المصنف محتملة للمذهبين (قوله تطاول ليلك بالاثمد) قال الشريف العلامة اعلم ان قوله تطاول ليلك ان حمل على الالتفات لم يكن تجريدا وان عد تجريدا كقوله * وهل تطيق وداعا أيها الرجل * لم يكن التفاتا لان مبنى التجريد على مغايرة المنتزع والمنتزع منه حتى يترتب عليه ماقصد به من المبالغة فى الوصف ومدار الالتفات على اتحاد المعنى ليتحصل منه ما أريد به من ارادة المعنى فى صورة أخرى مغايرة لما يستحقه بحسب (٣٢) الظاهر ويؤيد ذلك ماتقله بعضهم من ان أباعلى وابن جنى وابن الانبارى حكموا بان قوله ليلك تجريد وليس بالتفات فالقول بان أحد أقسام التجريد ومخاطبة الانسان نفسه التفات مما لا يعتد به واعترض عليه صاحب الحواشى بانه ليس مبنى التجريد على التغاير فقط بل معناه اعتبار التغاير فى المعنى الواحد حتى لو لم يعتبر وحدته لم تحصل المبالغة المقصودة منه وكذا ليس مدار الالتفات على وحدة المعنى فقط بل مداره على اعتبار وحدة معنى أمرين متغايرين بحسب الظاهر فى كل منهما يعتبر التغاير والاتحاد أقول غرض العلامة ان مدار التجريد على تغاير المعنى الواحد بحسب الذات ادعاء بخلاف الالتفات فانه ليس كذلك بل يعتبر وحدة المعنى بالذات قالوا فى تعريف التجريد هو ان ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله فيها أى مماثل لذلك الامر ذى الصفة فى تلك الصفة مبالغة لكماله بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة وهذا يدل على ماذكرنا وعلى هذا سقط كلام صاحب الحواشى (قوله واياى ضمير منصوب منفصل الخ) قال الرضى اختلف النحاة فى اياك فقال سيبويه والخليل والاخفش والمازنى وأبو على ان الاسم المضمر هو اياالا ان سيبويه قال مايتصل به حروف تدل على التكلم والخطاب والغيبة لكون اياما مشتركا كما هو مذهب البصريين فى التاء التى بعد أن وقال الاخفش والمازنى مايتصل بها أسماء أضيف اياالها وقال الشريف العلامة المختار هو مذهب الاخفش وهو ان اياضمير منفصل ولواحقه حروف لامحل لها من الاعراب وهذا يخالف ماقاله الرضى فى النقل عن الاخفش واعلم ان فى اياك ثلاثة مذاهب كما ذكره المصنف وغيره ورجحان المذهب الاول وهو ان يكون اياضميرا على الثانى وهو ان يكون اياعمدة ولواحقها ضمائر بان المناسب ان يكون ضمير منصوب منفصل للمتكلم والمخاطب والغائب للاحتياج اليه فى بعض المواضع كما وضع الضمير المنفصل المرفوع للمتكلم والمخاطب والغائب ليكون الباب على طريقة واحدة وعلى المذهب الثالث وهو ان يكون المجموع الضمير فلان الظاهر ان الكاف والياء والهاء فى اياى واياك واياه دالة على التكلم والخطاب والغيبة لوقوعها فى مواضع أخرى دالة عليها فيكون كل منهما كلمة فلا

الكلام والعدول من اسلوب الى آخر نظرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى * حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم * وقوله والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلى ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة * كليلة ذى العائر الارمد
وذلك من نبأ جاءنى * وخبرته عن أبى الاسود

واياضمير منصوب منفصل ومايلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء فى أنت والكاف فى أرأيتك وقال الخليل اياضاف اليها ما احتج به مما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياالشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هى الضمائر واياعمدة فانها المفصلت عن العوامل لتعذر النطق بها مفردة فضم اليها اياالتستقل به وقيل

يكون المجموع ضميرا وكلمة واحدة فتأمل (قوله أقصى غاية الخضوع) قال الشريف العلامة لما كان للخضوع حدود ونهايات ولفظ الغاية شاملا لها لكونها اسم جنس مضافا صح اضافة أقصى اليها كانه قيل أقصى غاياته أقول لك ان تقول لايظهر وجه لكون معنى له نهايات بل يكون له مراتب ودرجات والنهاية هي مرتبة لامرتبة بعدها الاان يقال للخضوع مراتب قريبة من النهاية فاطلق النهايات وأراد بها النهاية الحقيقية ومايقرب منها قال في الكشاف العبادة أقصى غاية الخضوع ولذا لاتستعمل الافي الخضوع لله لانه مولى أعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع وقال الشريف العلامة هذا بيان لوجه استعمال العبادة في الخضوع لله تعالى لاحصر استعمالها فيه كأنه جعل مقتضى الاستعمال ظاهرا لانتفاء عن غيره وقال صاحب الحواشي بقي ههنا شئ وهو ان عدم استعمال العبادة الافي الخضوع لله غير ظاهر قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقال قل يا أيها الكافرون لاأعبد ما تعبدون الى غير ذلك مما استعمل العبادة في الخضوع لغير الله اللهم الاان يقال عدم الاستعمال المذكور مخصوص بلفظ العبادة لابما يشتق منها أقول في السؤال والجواب نظر اما في السؤال فلأن مراد صاحب الكشاف ان لا تستعمل العبادة المنسوبة الى الموحد الا الى الله تعالى فلا يرد النقض بالامثلة المذكورة لان عبادة غير الله المذكورة في الآيتين منسوبة الى المشركين واما في الجواب فلأن مراده ليس مخصوصا بمجرد لفظ العبادة التي هي المصدر لانه لو كان كون العبادة أقصى غاية الخضوع سببا لعدم استعمال العبادة في غيره تعالى لكان سببا لعدم استعمال مايشتق منها الا الله تعالى (قوله ولذلك) أي لاجل أن العبادة أقصى غاية الخضوع لم تستعمل الافي الخضوع لله تعالى اذلم يستحق غيره غاية الخضوع فانه مولى (٣٣) أعظم النعم بل مطلق النعم وقد مر المراد من عدم

وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد أي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لاتستعمل الافي الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية أو غير ضرورية والضرورية مالايتأتى في الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة و يصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل مايتيسر به الفعل و يسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي أو يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لايتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها أو في أداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة أوله ولسائر الموحدين أدرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها و يجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي

(٥ - بيضاوي) - اول)

استعماله في غير الله تعالى واعلم انه لما كانت العبادة ماذكر لزم ان لا يكون أكثر المؤمنين عابدين حقيقة لكن المذكور في الصحاح ان العبادة الطاعة ولا يتوجه حينئذ ماذكر والجواب ان يقال المراد أقصى غاية الخضوع الظاهري وهو السجود وهو مشترك بين الجميع

(قوله وهي اما ضرورية الخ) المعونة الاعانة كما ذكر في الصحاح وهي تحصيل مايحصل به الفعل ففي عبارته توسع لان اقتدار الفاعل مثلا ليس نفس المعونة بل تحصيله معونة وحق العبارة ان يقال وهي اما تحصيل أمر ضروري والضروري مالايتأتى الخ أو يقال الضرورية تحصيل مالايتيسر فلفظ التحصيل ههنا مقدر بقرينة قوله وغير الضرورية تحصيل مايتيسر (قوله ومادة يفعل بها فيها) هذا ليس بضروري في مطلق الفعل وانما هو في فعل يكون في مادة فتأمل (قوله وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة و يصح ان يكلف بالفعل) ظاهر العبارة دال على ان صحة التكليف لا تكون الا مع الاستطاعة وفيه أمور أحدها انه يصح عند أهل السنة التكليف بالمحال فلا يشترط في صحة التكليف الاستطاعة الثاني انه يجوز ان يحصل اقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها و يحصل مانع من الفعل وحينئذ يستحيل منه الفعل فكيف يوصف بالاستطاعة والجواب عنه بان الممنوع من الفعل غير قادر على الفعل لان القدرة مع الفعل لاقبله ولا بعده كما صرح به في المواقف فيه نظر لان عبارته مشعرة بتقدم القدرة على الفعل لانه قال وعند استجماعها أي القدرة مع غيرها يصح ان يكلف والاولى ان يقال عند استجماعها يقع الفعل و يمكن ان يقال مراده من الاقتدار صلاحيته لحصول القدرة فيه ومن الاستطاعة امكان حصول الفعل عند عدم المانع فتأمل (قوله لعلها تقبل ببركتها الخ) اذ قد يكون في الجماعة من يستجاب دعوته والكريم اذا أعطى الواحد من الجماعة السائلين الحاضرين معا أعطى للباقين كيف وأكرم الاكرمين (قوله والاهتمام به) هذا يدل على ان مجرد الاهتمام به نكتة مستقلة غير التعظيم والحصر وليس كذلك بل الاهتمام لابد ان يكون بطريق معين من

الطرق المعتبرة والالم يكف قال المحققون ومنهم الشيخ عبد القاهر لا يكفي ان يقال نقدم الشئ للاهتمام به بل لابد من بيان وجه الاهمية لحق العبارة ان يقال للاهتمام وهو اما للتعظيم أو الحصر (قوله ولذلك فضل ما حكى الله تعالى عن حبيبه الخ) أي لاجل انه يجب ان يكون نظر العابد الى المعبود أولا وبالذات فضل ما حكى الله عن حبيبه صلى الله عليه وسلم وهو قوله للصديق ان الله معنا على ما حكى الله تعالى عن كليمه وهو قوله عليه السلام ان معي ربي سيهدين فان في قول الحبيب ذكر الله تعالى مقدم على غيره بخلاف قول الكليم فان ذكره مقدم على ذكره تعالى وتوضيح المقام انه لما كان الله مقدما في كلام الحبيب أشعر بانه المقصود بالذات وما يجيء بعده ملتفت اليه من حيث انه تابع له ومنتسب اليه واما كلام الكليم فلما لم يكن ذكر الله فيه مقدما لم يكن فيه اشعار بما ذكرنا (قوله للتنصيص على انه المستعان به لا غير) اذ لولم يكرر لاحتمل ان يكون التقدير ونستعين بك ويمكن ان يقال لو لم يكرر لم يعلم اختصاص العبادة ولا الاستعانة على انه المستعان به لا غير فانه لو لم يكرر لربما توهم ان الاختصاص لمجموع العبادة بالاستعانة لا لكل واحد منهما واذا كرر كان نصا في ان كلا منهما مختص ولا يخفى ان فيه اشعارا بزيادة التعظيم وان المتكلم يستلذ الخطاب معه (قوله ادعى الى الاجابة) فان قيل هذه العبارة تدل على ان المقصود من العبادة تحصيل الحاجات لانه جعلها وسيلة الى تحصيل الحاجات وقال بعض المحققين المرتبة الكاملة للعبادة ان نعبد الله لا لاجل حصول حاجة وطلب شئ بل لانه مستحق لان يعبد ولهذا أمر عليه الصلاة (٣٤) والسلام المصلي ان يقول أصلي لله فلو قال أصلي لثواب الله بطلت صلاته قلنا

الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود أولا وبالذات ومنه الى العبادة ثانيا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة سنية بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى أنه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من أحوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حين قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على أنه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى الى الاجابة وأقول لما ناسب المتكلم العبادة الى نفسه أو هم ذلك ترجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة أيضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها (اهدنا الصراط المستقيم) بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف أعينكم فقالوا اهدنا أو افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على التهكم

المقصود هنا ان من كان طالبا للحاجات الدنيوية والاخروية من حصول الثواب والهرب من العقاب وجب عليه ان يقدم العبادة على الاستعانة واما غيره وهو من يعبد الله تعالى لانيل ثواب فتقديم العبادة لطلب الاعانة عليها واستمرارها فكانت العبادة مقصودة بالذات واما قاله بعض المحققين فالمقصود منه انه لابد ان تكون العبادة لا لاجل الثواب وهو لا ينافي ان تكون العبادة وسيلة الى الاستعانة ومنه على استمرارها (قوله لا من حيث انها عبادة صدرت منه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه الخ) لانه لما قدم ظهر انه المقصود بالذات لا غير فيكون كل ما تعلق يكون مقصودا بالذات من حيث تعلقه به لا من حيثية أخرى (قوله وقيل الواو للحال) ههنا سؤال مشهور وهو ان المضارع المثبت بمنزلة اسم الفاعل ولا يجيء الواو عليه لكن قال الرضي وقد سمع قسمت وأصك وجهه وذلك اما لانها جملة وان شابهت المفرد واما لانها بتقدير وأنا أصك وجهه واضعف دخول الواو على المضارع قال وقيل (قوله والهداية دلالة بلطف) أي دلالة ملتبسة به هذه العبارة تحتمل وجهين أحدهما ان تكون الدلالة الموصلة الى المطلوب الثاني الدلالة على ما يوصل اليه صرح الشريف العلامة بور ود الهداية بهذين المعنيين في حاشية المطالع فان قيل قالوا لي في الآية الحمل على المعنى الاول فان الغرض الاصلي هو الوصول الى المطلوب لا ادراك ما يوصل اليه لا يقال الهداية ههنا تتعلق بالصراط المستقيم الذي هو ملة الاسلام وهو ليس المطلوب الاصلي الذي هو الفوز بالثواب والنجاة عن العقاب لانا نقول كون الفوز بالثواب غرضا أصليا لا ينافي كون ملة الاسلام مطلوبا أيضا بل يستلزم كونها مطلوبة اذ هي أي ملة الاسلام وسيلة الى الفوز بالمطلوب ووسيلة الشئ مطلوبة كما هو مطلوب أيضا فان ملة الاسلام في حكم المطلوب الحقيقي لاستلزامها له بل يقال ان المراد بالهداية ههنا ليس المعنى الاول ولا الثاني أيضا

بل المراد مطلق الدلالة اذلو أريد بها الدلالة الموصلة الى المطلوب أو الدلالة على مايوصل اليه لكان ذكر الصراط المستقيم بعده مستدركا كما يرى (قوله ومنه الهدية) أى يؤخذ من الهداية الهدية لانها فيها دلالة بلطف (قوله وهو ادى الوحش لقدماتها) أى الوحش يصل الى المطلوب بقدماتها فكانها أى المقدمات تهدى الوحش (قوله لكنها تنحصر فى أجناس مرتبة الخ) فان قيل يمكن ان يهدى الله تعالى أحدا الى الحق كاعتقاد وجود البارى تعالى من غير نظر الى دليل بان يلقى فى قلبه من غير سماع من أحد ولا نظر الى شئ وهذا نوع غير مذكر فيفوت الانحصار قلنا هذا أمر نادر والكلام فى الغالب ثم ان هذا مجرد احتمال والكلام فيما هو محقق الوقوع فان قيل يمكن ان يقال انه داخل فى القسم الرابع لان ماذكر يحصل بالالهام قلنا قدذكر المصنف ان القسم الرابع مختص بالانبياء والاولياء لكن الاعتقاد يمكن ان يحصل لغيرهم (قوله الاول افاضة القوى) فيه ان الافاضة ليست دلالة فلا تكون من أنواع الهداية بل هى مما لا تحصل دلالة الهداية اليها (قوله والمطلوب اما زيادة) قال صاحب الحواشى هذا اشارة الى جواب سؤال تلخيصه على مافى الحواشى الشريفية ان من خصص الحمد بالله وأجرى عليه تلك الصفات المشتملة على المبدأ والمعاد وما بينهما كان مهتديا فكيف يطلب الهداية فاجاب بان الحاصل أصل الاهتداء والمطلوب زيادته أو الثبات عليه فان قيل هم مهتدون فى عقائدهم وعباداتهم الا ان مطالبهم الحقيقية وهى السعادات الأبدية لا تحصل الا بهداية الله تعالى الى الطريق المستقيم وهى المطلوبة باهدنا فلا حاجة الى شئ من التأويلين قلنا لما كان الصراط المستقيم (٣٥) محمولا على ملة الاسلام احتيج الى أحدهما

ومنه الهدية وهو ادى الوحش لقدماتها والفعل منه هدى وأصله ان يعدى باللام أو الى فعومل معاملة اختار فى قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع أنواعا لا يحصيها عد كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكنها تنحصر فى أجناس مترتبة * الاول افاضة القوى التى بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة * والثانى نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليها أشار حيث قال وهديناه النجدين وقال وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى * والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم * والرابع أن يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هى بالوحى أو الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة مامنحوه من الهدى أو الثبات عليه أو حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف بالله الواصل عنى به أرشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات أحوالنا وتميط غواشى

على ان طالب الهداية الى تلك المطالب طلب زيادة الهدى وفيه بحث اذ لا نسلم انه اذا حمل الصراط المستقيم على ملة الاسلام احتيج الى أحدهما وانما يكون كذلك لو كان هو المطلوب باهدنا وليس كذلك لان المبدل منه فى حكم المحو والمطلوب بالنسبة هو البدل وهو قوله صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وهو ليس ملة الاسلام بل هو طريق مسلمين مخصوصين لا يكون مغضوبا عليهم ولا ضالين نخرج بالقيد الاول طريق المجتهدين الذين لم تتحقق فيهم شرائط الاجتهاد وطرق سائر فساق المسلمين لانهم مغضوب عليهم وبالقيد الثانى طرق المجتهدين الذين تتحقق فيهم شرائط الاجتهاد وأخطؤا فى اجتهادهم لانهم ضالون أقول لا نسلم ان المبدل منه فى حكم المحو بل هو ملحوظ لكن المقصود الاصلى هو البدل وكيف يكون فى القرآن شئ فى حكم المحو بل كلام البلغاء خال عن مثل ذلك والتفصيل ان يقال ان كان مراده ان المبدل منه مطلقا فى حكم المحو فهو باطل والاصح ان يقام البدل مقامه وليس كذلك كما قال العلامة التفتازانى لانسلم ان البدل يجب قيامه مقام المبدل عنه وان كان مراده ان المبدل فى حكم المحو فى هذا الموضع فهو ممنوع واذا لم يكن فى حكم المحو سقط ماقاله هذا فان قيل المطلوب ليس طريق الاسلام على اطلاقه بل طريق الاسلام المقيد بكونه غير مقرون بما يستلزم الغضب والضلال كما دل عليه قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم وحينئذ لا حاجة الى أحد التأويلين المذكورين قلنا الاضرر فى هذا على كلام العلامة لان كلامه أنه لما فسر صاحب الكشاف صراط المستقيم بملة الاسلام مطلقا احتيج الى أحد التأويلين وفيه نظر (قوله أرشدنا طريق السير فيك) الذى يفهم من كلام أكابر الصوفية ان السير فى الله هو الانتقال من اسم الهى الى اسم الهى آخر فى اسم الهى أى ينتقل من اسم الهى الى آخر وبين هذين الاسمين تعلق به اسم الهى ثالث يظهر به ويتجلى له وهذا السير لا نهاية له قال فى الفتوحات ان العارف ينتقل من طور الى طور ومن حال الى أخرى الى ان أحبه الله فكشف له عن قلبه فطالع عجائب الملكوت وانتقش فى جوهر نفسه جميع مافى العالم وفر الى الله متناهر امن كل مايبعده منه ويحجبه عنه الى ان رآه فى كل

شئ فلما رآه فى كل شئ أراد أن يلقى عنه اسم المسافر فعرفه ربه ان الامر لا نهاية له فى الدنيا والآخرة وانك لا تزال مسافرا (قوله ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة) هذه المسئلة مذكورة فى كتب الأصول قال الامام الرازى فى المحصول قال جمهور المعتزلة الآمر يجب أن يكون أعلى رتبة من المأمور حتى يسمى الطالب أمرا وقال أبو الخير البصرى المعتبر هو الاستعلاء الحسى لا العلو وقال أصحابنا لا يعتبر العلو ولا الاستعلاء وظاهر ماذكره المصنف ههنا اختيار مذهب أبى الحسين وهو خلاف مذهب أهل السنة ومخالف قوله فى منهاج الاصول ان الامر حقيقة هو القول الطالب للفعل واعتبرت المعتزلة العلو وأبو الحسين الاستعلاء ويفسدهما قوله تعالى حكاية عن فرعون ماذا تأمرون فان قيل هذا قول فرعون فكيف يستدل به قلنا طريقه أن يقال ان معنى القرآن ان فرعون تكلم بلفظ معناه ومعنى الامر واحد ولما كان اللفظ الذى تكلم به لا يقتضى العلو ولا الاستعلاء فلفظ الامر أيضا يجب أن يكون كذلك والمراد بقوله وقيل بالرتبة ان الفرق بينهما بالعلو كما هو مذهب جمهور المعتزلة واختاره صاحب الكشاف (قوله والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام) فان قيل ماهذا الخلاف أليس طريق الحق وملة الاسلام متحدين كما هو المفهوم من عبارة الكشاف قلت طريق الحق أعم من أن يكون متعلقا بالاصول والفروع فهو أعم من ملة الاسلام لانها عبارة عن أصول الدين أى مايتحقق به أصل الاسلام والنجاة من الكفر نعوذ بالله منه وقيل قال ان طريق الحق شامل لطريق السير فى الله كما ذكر وليس هو عين ملة الاسلام بل أمر مرتب عليه فى بعض الافراد واعلم أن قوله هنا مخالف لما سبق فانه قد علم سابقا أنه يمكن حمل الصراط المستقيم على ماهو مسببه وهو الفوز بالسعادات فعلى هذا لا يكون المراد من الصراط المستقيم طريق الحق ولا ملة الاسلام بل ماهو مرتب عليهما (قوله بدل من الاول بدل الكل) فيه ان بدل الكل يجب أن يكون متحدا مع المبدل منه وههنا ليس كذلك لان صراط الذين أنعمت عليهم طريق المسلمين مطلقا كما سيفهم من ظاهر كلامه ولا يخفى ان بعض المسلمين مغضوب عليهم وبعضهم ضالون على ماذكر سابقا فلا يكون صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم طريق المسلمين مطلقا بل طريق مسلمين مخصوصين بعدم الغضب والضلال لا المؤمنين مطلقا والجواب ان المراد من الاتحاد فى بدل الكل أن يكون أحدهما صادقا على الآخر وان كان البدل أخص من المبدل منه كما اذا كان لك خمس اخوة أحدهم زيد فقيل جاءنى أخوك زيد والاولى أن يقال مراده مما سيجىء من قوله ان الطريق المستقيم ما يكون طريق مؤمنين مخصوصين بعدم الغضب والضلال لا المؤمنين مطلقا (قوله وهو فى حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة) فى الحواشى ذهب كثيرون من النحاة الى أن البدل تابع مقصود بالنسبة الى المتبوع دونه واختار صاحب الكشاف انه فى حكم تكرير العامل وأنت خبير بان الفرقة الاولى لما ذهبوا الى أن البدل مقصود بالنسبة الى المتبوع لم يعتبروا بتكرير العامل هناك ومن اختار انه لتكرير العامل لم يعترف بانه مقصود بالنسبة الى المتبوع دونه والعجب أن المصنف جمع بين المذهبين وقال هو فى حكم تكرير العامل من حيث انه مقصود بالنسبة أقول مراد الفرقة الاولى ان البدل مقصود بالذات دون المتبوع بل هو مقصود أيضا لكن لا بالذات وهذا لا ينافى تكرير العامل وانما ينافيه لو كان المبدل منه فى حكم المحو وقد بينا فساده ثم ان المصنف قال البدل فى حكم تكرير العامل ولم يقل بحصول تكريره ولا نسلم أن كون البدل فى حكم تكرير العامل ينافى أن يكون مقصودا بالنسبة الى المتبوع (قوله فكانه من البين الذى لا خفاء فيه) لقائل أن يقول هذا لا يناسب التفسير والبيان المذكورين لانه اذا كان اتحاد الطريق المستقيم مع طريق المؤمنين كالبين الذى لا خفاء فيه فاى حاجة فى بيان الاول بالثانى اذ البيان انما يكون فيما فيه نوع ابهام ثم ان البيان والتفسير

أبدا انا نستضىء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسرط السابلة ولذلك سمى لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء فى الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاى ليكون أقرب الى المبدل منه وقرأ ابن كثير برواية قنبل عنه ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت فى الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق فى التذكير والتأنيث والمستقيم المستوى والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام (صراط الذين أنعمت عليهم) بدل من الاول بدل الكل وهو فى حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على أكد وجه وأبلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذى لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم

يناسب جعله عطف بيان لا بدلا كما يخفى والاولى حذف قوله من البين الخ ولقد أحسن صاحب الكشاف حيث لم يذكر هذه العبارة بل قال فائدة البدل التوكيد لما فيه من التنبيه والتكرير والاشعار بان الصراط المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده اذ لم يتوجه عليه ما قلنا أولا والجواب عن الاول أنه قال كأنه من البين الخ وهذا لا ينافي أن يكون فيه نوع إبهام بل يستلزم إبهاما وعن الثاني أنه جعل كالتفسير والبيان لانه جعله بيانا ولا نسلم أن ليس في البدل تفسير وبيان أصلا يؤيده عبارة الكشاف كما نقلناه فان قلت الفوائد التي ذكرها المصنف بقوله وفائدته الخ مشتركة بين البدل وعطف البيان لكن يجب عليه بيان فائدة مختصة بالبدل فما هي قلت ذكر أولا انه في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وهو مختص بالبدل ولك أن تقول كما انه يجوز حمله على البدل يجوز حمله على عطف البيان فلم لم يتعرض له فان قيل لعل هذا بناء على اتحاد عطف البيان وبدل الكل كما قال الرضي أنا الى الآن لم يظهر لي فرق جلي بين بدل الكل وعطف البيان بل ما الذي يكون عطف البيان الا البدل كما هو ظاهر كلام سيبويه وأطال الكلام في ذلك فلنا هذا الكلام خاص بالرضي وأما غيره فقد فرقوا بين البدل والبيان وتحقيق الفرق بينهما ماذكره الشريف العلامة في حاشية الرضي شرح الكافية ان مثل قولك جاءني أخوك زيد ان قصدت فيه الاسناد الى الاول وجئت بالثاني تممّمه وتوضيحا فالثاني عطف بيان وان قصدت فيه الاسناد الى الثاني وجئت بالاول توطئة له ومبالغة في الاسناد فالثاني بدل فان قيل الاقتصار على كونه بدلا لكونه أرجح قال الشريف العلامة في توضيح كلام الكشاف ان للبدل فائدتين احداهما التأكيد بذكر الصراط مرتين وتكرير العامل وبهذا التكرير يمتاز عن التأكيد وعطف البيان على المختار (٣٧) وبكونه مقصودا بالنسبة يمتاز عنهما مطلقا وثانيهما الايضاح بتفسير المبهم قلنا اما الايضاح والتفسير فمشترك بين البدل وعطف البيان وأما كونه مقصودا بالنسبة فيحتاج ههنا الى تبين كون صراط الذين أنعمت عليهم مقصودا بالنسبة وأما كون البدل فيه تكرير العامل المفيد للتأكيد فبناؤه على ماذكره الرضي من ان العامل في البدل مقدر من جنس الاول عند الاخفش والزماني والفارسي وأكثر المتأخرين استدلالا بالقياس والسماع أما السماع فنحو قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وغير ذلك من الآي والاشعار وأما القياس فلكونه مستقلا مقصودا بالذكر وقد رد الرضي على الوجهين قال اما الجواب عن السماع فان لبيوتهم الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور والعامل وهو جعلنا غير مكرر وكذا في غيره وأما القياس فان استقلال الثاني وكونه مقصودا بالذكر يؤذنان بان العامل هو الاول لا مقدر آخر ثم قال ومذهب سيبويه والمبرد والزمخشري والمصنف ان العامل في البدل هو العامل في المبدل منه اذ المتبوع في حكم الطرح وهذا النقل عن الزمخشري يخالف ما فهم من كلام الكشاف على ما بينه الشريف العلامة فليتأمل والجواب عن أصل السؤال انه اذا جعل بدلا كان فيه اشعار بان المقصود بالذات طريق المؤمنين ففيه تعظيم لطريقهم وتكريم لهم ومبالغة في الترغيب في طريقهم بالقصد اليه بالذات بخلاف ما اذا جعل عطف بيان لفوات هذه المقاصد والاولى ان يقال الامور المذكورة في التابع وهي الانعام وعدم الغضب والضلال مقصودة بالذات والصراط المستقيم الذي هو المتبوع مطلوب لاجل هذه الامور فالمناسب ان يجعل التابع بدلا لا عطف بيان (قوله وقيل أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ) قال صاحب الحواشي فيه بحث اذ لا يلائم للسلم ان يطلب طريق أصحاب موسى وعيسى أصلا كيف ولا يسوغ ان يعمل بطريقهما اذا كان مخالفا لدين الاسلام أقول قد يقال المراد من صراطهم الاصول الاعتقادية المتفقة في جميع الاديان لا الفروع المختلفة باختلافها وتخصيص أصحاب موسى وعيسى بناء على شهرة أمرهما وكثرة أتباعهما فتأمل (قوله والنطق) أراد به الامر الروحاني الذي هو منشأ التكلم لا النطق الظاهري اذ هو من الامور الجسمانية (قوله تزكية النفس الخ) هذه شاملة للايمان الذي هو تزكية النفس عن رذيلة الكفر

ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين أنعمت عليهم الانبياء وقيل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل أصحاب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من أنعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذ من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي وأخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كتفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني أن يغفر له

وكذا الصلاح الذى هو تزكيتها عن رذيلة المعصية (قوله على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال) اذا كان المراد من الصراط المستقيم ملة الاسلام فالمراد من الجامع للاوصاف الثلاثة هم المؤمنون الصالحون اذ غيرهم غير سالم من الغضب والضلال واذا أريد شمولها لكل واحد من المؤمنين يكون المراد من الغضب الحكم بدخوله فى جهنم أبدا و بالضلال الكفر (قوله أو صفة مبينة أو مقيدة) اذا كان المراد من الذين أنعمت عليهم المسلمين الكاملين تكون الصفة مبينة لان الكاملين منهم آمنون من الغضب والضلال مطلقا واذا أريد المؤمنون من غير تقييده بالكمال كانت هذه الصفة مقيدة لانها مختصة ببعضهم أو تقول المراد بالذين أنعمت عليهم الذين رضى الله عنهم فتكون الصفة مبينة أو المنعم عليهم على اطلاقه فتكون الصفة مقيدة (قوله وذلك انما يصح باحد التأويلين اجراء الموصول مجرى النكرة) أى كون غير المغضوب عليهم صفة للذين أنعمت عليهم لا يصح الا باحد التأويلين واعلم انه ذكر فى الكشاف فان قلت كيف يصح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان أضيف الى المعارف قلت الذين أنعمت عليهم لا توقيت فيه كقولهم * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * قال الشريف العلامة وذلك لان الموصول فى حكم المعرف باللام فاذا أريد به الجنس من حيث وجوده فى ضمن بعض أفراد لا بعينه كان فى المعنى كالنكرة وهو المسمى بالمعهود الذهنى فتارة ينظر الى معناه فيعامل معاملة النكرة كما يوصف بالنكرة والجملة وأخرى الى لفظه فيوصف بالمعرفة و يجعل مبتدأ وذا حال فان قيل قد ذكر أولا أنهم هم المؤمنون مطلقا ثم نقل انهم أصحاب موسى عليه السلام قبل تحريف أحكام التوراة ونسخها أو الانبياء عليهم السلام مطلقا فهو على القولين الآخرين عهد خارجى تقديرى فيكون متعينا وعلى الاول يستغرق الكل فيكون أيضا أمرا متعينا لا تعدد فيه أصلا فليس ههنا معنى لا توقيت فيه قلنا يجوز ان يريد بما ذكره أولا طائفة من المؤمنين لا باعيانهم واذا حمل على الاستغراق المتبادر من العبارة تعين ان يكون ما ذكره فى الجواب وجها رابعا لتلك الثلاثة وهو العهد الذهنى كما يشهد له استشهاده بقول الشاعر فاعترض عليه صاحب الحواشى بان كل واحد من الوجوه المذكورة وان كان متعينا لكن لا يتعين حمل الموصول على واحد معين منها لانتفاء قرينة ظاهرة على ذلك بل يحتمل ان يحمل على كل واحد منها على سبيل البدل وعلى غيرها أيضا كما أشرنا اليه فمن هذا الوجه يعرض له الابهام و يصير بمنزلة ما أريد به فرد لا بعينه فقوله يتعين ان يكون وجها رابعا لتلك الثلاثة غير مسلم أقول محصل كلامه ان المعرفة الدالة على المعانى التى كل منها متعين اذا لم يظهر المراد منه عند المخاطب لخفاء القرينة فى حكم النكرة وليس يوجد لهذا دليل ولا نظير وأما وصف المعهود الذهنى بالنكرة فلان المتكلم لا يقصد فردا معينا بل فردا ما وفى قول الشريف العلامة حيث قال ان المراد بالمعهود الذهنى هو الجنس فى ضمن فرد لا بعينه نظر اذ فى قولنا كل الخبز مثلا المراد منه أكل فرد من أفراد الخبز لا أكل جنس الخبز فى ضمن الفرد وقد يقال ان الفرد هو الجنس مع التشخص و يرد عليه ان الطبائع والحقائق غير موجودة فى الخارج أصلا عند الشريف العلامة كما صرح فى كتبه العقلية وانما الموجود فرد ينزع منه العقل الحقيقة والذاتيات (قوله لانه أضيف الى ماله ضد واحد) فان قلت قد يكون شخص واحد منعما عليه مغضوبا عليه أيضا فلا يكونان ضدين قلت لا يكون شخص واحد من جهة واحدة منعما عليه مغضوبا عليه أيضا وهذا يكفى فى التضاد وتوضيح المقام ان غير اذا أضيف الى ماله ضد واحد يجوز ان يقع صفة للمعرفة وهو ههنا مضاف الى المغضوب عليهم الذى له ضد واحد هو المنعم عليهم وكذا هو مضاف الى الضالين الذين لهم ضد واحد هو ما ذكر فيكون المنعم عليه ضدا للمغضوب عليهم وكذا للضالين فلذا جاز ان تقع صفة للمعرفة واعلم ان بين كلامه وكلام الزمخشرى فرقا بينا وهو ان الزمخشرى جعل علة كون غير صفة للمعرفة ههنا اشتهار المنعم عليهم بكونهم خلاف المغضوب عليهم والضالين وأما المصنف فجعل العلة كون المضاف اليه له ضد واحد هو المنعم عليهم والحاصل انه جعل العلة الضدية المذكورة وجعلها صاحب الكشاف الاشتهار بالمخالفة ولا يخفى ان المخالفة غير الضدية وان سلم ان المخالفة الضدية يقول الفرق باق بان الشهرة اعتبرها الزمخشرى ولم يعتبرها المصنف قال الرضى اذا أضيف غير الى معرفة له ضد واحد فقط يعرف لانحصار الغيرية فيه كقولك عليك

مافرط منه و يرضى عنه و يبوأه فى أعلى عليين مع الملائكة المقربين أبد الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من الآخر فان ماعدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال أو صفة له مبينة أو مقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة الايمان و بين السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تأويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذ لم يقصد به معهود كالمحلى فى قوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * وقولهم انى لامر على الرجل مثلك فيكرمنى أو جعل غير معرفة بالاضافة لانه أضيف الى ماله ضد واحد وهو المنعم عليهم

فيتعين

بالحركة غير السكون فلذلك كان قوله تعالى غير المغضوب عليهم صفة الذين أنعمت عليهم اذ ليس لمن رضى الله عنهم ضد غير المغضوب عليهم أقول فيه بحث اذ لا يخلو من ان يكون الضالون هم المغضوب عليهم أولا والاول يوجب التكرار والثانى يستلزم ان يكون للمنعم عليهم ضدان أحدهما المغضوب عليهم والثانى الضالون فلا يصح القول بان ليس للمنعم عليهم الا ضد واحد ثم ان العطف وتكرار لا دالان على الغيرية فان قيل لعل الضالين هم المغضوب عليهم وان كان معنى الضال غير المغضوب عليه فالعطف باعتبار تغاير المعنيين قلنا لا نسلم ان الضالين مطلقا هم المغضوب عليهم فان بعض الضالين يعنى عنهم وليس كذلك المغضوب عليهم والجواب انا نختار المغايرة ولا يلزم ان يكون الضال ضدا آخر اذ لا يلزم من المغايرة التضاد واعلم ان فى عبارة الرضى خللا لانه بصدد اثبات ان ما أضيف اليه الغير ليس له الا ضد واحد لكنه تعرض لاثبات ان المنعم عليهم ليس له الا ضد واحد هو المغضوب عليهم ثم ان فى قوله لانحصار الغير يه فيه نظر ثم نقول فان قيل هل غير فى هذا المقام تكتسب التعريف أو لا فعلى الاول تكون معرفة وعلى الثانى نكرة فليس فى الواقع الا أحدهما فات اذا نظر الى مذهب من قال بعدم اكتسابه التعريف كان نكرة واذا نظر الى مذهب الذى قال باكتسابه التعريف فى مثل هذه الصورة كان معرفة ولكونه نكرة وجه آخر وهو ان يكون الغير بمعنى المغاير وكانت الاضافة لفظية وهذا مما وقع فى عبارة العلماء وان لم يرتضه الادباء كما صرح به الشريف العلامة وفيه نظر وله جواب (قوله فيتعين تعين الحركة غير السكون) فيه تسامح والمراد ان غير المغضوب متعين كتعين الحركة غير السكون فى التركيب المذكور وفى أكثرها تعين الحركة من غير السكون والمعنى تعين المنعم عليهم كتعين الحركة التى هى غير السكون أى المتصفة به فى التركيب المشهور وهو قولهم عليك بالحركة غير السكون ولا يخفى التكلف فيه والاولى ان يقال كتعين الحركة فى التركيب (قوله والعامل أنعمت) قال الشريف العلامة أى العامل فى الحال أنعمت وهو ظاهر وكذا العامل فى ذى الحال وهو ضمير عليهم وذلك ان حرف الجر اذا تؤول معنى الفعل الى مجروره فالمجرور ههنا وحده منصوب المحل بالفعل فيهذا الاعتبار يكون ذا حال فلا يرد ان العامل فى الحال هو الفعل وفى ذى الحال هو الجار وهكذا يقول المرفوع (٣٩) المحل فى عليهم الثانية هو المجرور لا مجموع الجار والمجرور حتى يرد الاشكال بان المجموع ليس باسم والاسناد اليه من خواصه وما يقال من ان الجار والمجرور فى محل النصب أو الرفع فمن

فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل أنعمت أو باضمار أعنى أو بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا أسند الى الله تعالى أريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم فى محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتأكيد ما فى غير من معنى النفى فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين

قبيل المساهلة فى العبارة اتكالا على ما تقرر من القواعد واعترض عليه صاحب الحواشى بان معنى الفعل اذا وصل الى ما بعده بنفسه وجب رفعه أو نصبه وأما اذا وصل بواسطة حرف الجر الى ما بعده فاجابه لا حدهما ممنوع كيف ولو كان كذلك لكان كل مجرور بحرف الجر اما منصوب المحل أو مرفوعه فكان البصرة والكوفة فى سرت من البصرة الى الكوفة منصوب فى المحل لوصول معنى السير بواسطة من والى اليهما ولم يقل به أحد أقول قال الرضى بعد ما حقق معنى المتعدى بنفسه والمتعدى بواسطة حرف الجر اذا تعدى أى الفعل بحرف الجر فالجار والمجرور فى محل النصب على المفعول به والتحقيق ان المجرور وحده منصوب المحل لامع الجار لان الجار هو الموصل للفعل اليه كالهمزة والتضعيف لكن لما كانت الهمزة والتضعيف من تمام صيغة الفعل والجار متصلا به كالجزء من المفعول توسعوا فى اللفظ وقالوا هما فى محل النصب اه كلامه وهذا على اطلاقه يدل على ان البصرة والكوفة منصوب بالمحل فما قاله من انه لم يقل به أحد ذكر أحد غير صحيح لكن فى كلام الشريف العلامة بحثان أحدهما انه لا حاجة فى كون المجرور ذا حال بكونه منصوب المحل فانه قد يقع الحال عن مجرور ليس منصوب المحل كقوله تعالى واتبع ملة ابراهيم حنيفا وقوله النار مثواكم خالدين فيها الثانى انه لا يلزم كون عامل الحال وصاحبها واحدا كما حققه الرضى حيث قال والحق انه يجوز اختلاف العاملين على ما ذهب اليه المالكى فيقول فى ضربى زيدا قائما تقديره ضربى زيدا حاصل قائما والعامل فى الحال حاصل وفى صاحبها ضربى ويمكن الجواب عن الاول بانه لو كان المضاف فى المثال الاول محذوفا لصح اقامة المضاف اليه مقامه فكان حنيفا حال من المفعول وبان مثواكم بمعنى موضع ثوائكم وكان خالدين حال من الفاعل كما صرح به الرضى وعن الثانى ان بناء ما ذكره على مذهب صاحب الكشاف والجمهور من وجوب اتحاد العامل فى الحال وصاحبها وأما كونه خلاف التحقيق فلا يضر فتأمل (قوله فاذا أسند الى الله تعالى الخ) فان قلت لا حاجة ههنا الى هذا التأويل لانه ينفى الغضب نعم اذا ثبت له تعالى الغضب يحتاج الى التأويل قلت نفى غضب الله تعالى عن جمع مخصوص يشعر بثبوت غضبه تعالى لجمع آخر فلذا احتاج الى التأويل (قوله ولا مزيدة لتأكيد ما فى غير من معنى النفى) أى ليست عاطفة لدخول العاطف عليه وهو الواو ولا يجوز اجتماع حرفى العطف فان قلت قد يقال ما جاءنى زيد ولكن عمرو

فاجتمع حرفا العطف وهما الواو ولكن وكذا يقال العدد اما زوج واما فرد فاجتمع الواو واما قلنا الجواب عن الاول ان لكن ههنا لمجرد الاستدراك لا للعطف صرح به الرضى وعن الثانى ان عبد القاهر وأبا على منعا كون اما عاطفه لان اما الاولى داخلة على ما ليس بمعطوف على شئ والثانية مقترنة بواو العطف فلا يصلحان للعطف وشبهة من جعلها حرف عطف كونها بمعنى أو العاطفة ولا يلزم ذلك فان معنى ان المصدرية هو معنى ما المصدرية والاولى ناصبة للمضارع دون الثانية والحق ان الواو هى العاطفة واما مفيدة لاحد الشيئين غير عاطفة كذا قال الرضى (قوله ولذلك جاز أنا زيدا غير ضارب كما جاز أنا زيد الا ضارب وان امتنع أنا زيدا مثل ضارب) أى ولاجل ان غيرا يفيد معنى لا جاز ما ذكر أعنى أنا زيدا غير ضارب لان الاضافة ههنا كالعدم ولم يجز أنا زيدا مثل ضارب لامتناع تقدم معمول المضاف اليه على المضاف قال الشريف العلامة تلخيص الكلام ان غيرا وضعت للمغايرة وهى مستلزمة للنفى فتارة يراد بها اثبات المغايرة كما فى الآية فيكون اثباتا متضمنا للنفى فيجوز توكيده بلا وأخرى يراد بها النفى كقولك انا زيدا غير ضارب أى لست ضاربا له فيكون نفيا صريحا والاضافة بمنزلة العدم فى المعنى فيجوز أيضا تقديم معمول المضاف اليه على المضاف واعترض بان السخاوى صرح بان لا فى مثل قولك انا لا ضارب اسم بمعنى غير الا أنه لما كان فى صورة الحرف أجرى اعرابه على ما بعده كما تقول جاءنى بلا شئ ورأيت لا فارسا فيجب ان يمتنع تقدم المعمول فيه أيضا أجيب أولا بمنع الاسمية وثانيا بجواز التقدم نظرا الى صورة الحرفية المقتضية لانتفاء الاضافة وأقول قد يقال ان أراد أن غيرا فى قول القائل انا زيدا غير ضارب بمعنى ليس كما يفهم من ظاهر كلامه فهو فى غاية البعد ولا يوجد له نظير وان أراد أنه يستفاد منه ذلك النفى فيمكن ان يقال يستفاد من غير المغضوب أيضا النفى فيستفاد من مثل أنا زيدا غير ضارب المغايرة بين زيد والضارب فلا يظهر بما ذكره فرق بين المثالين فتأمل (قوله والتفاوت ما بين أدناه وأقصاه كثير) لك أن تقول ليس للضلال مرتبة هى أقصى المراتب حقيقة اذ لا يتصور مرتبة من الضلال الا ويمكن تصور مرتبة أقوى منها ويمكن أن يقال المراد من قوله وله عرض عريض ان ما حصل فى الواقع من الضلال له عرض عريض ولا يخفى أن ما يوجد منه متناه فيكون فى الواقع مرتبة من الضلال ليست فوقها مرتبة أخرى فتكون أقصى المراتب أو يكون المراد من الذى الاقصى نوعا من الضلال هو أشد الانواع وان كان لهذا النوع أيضا مراتب غير متناهية فتأمل (قوله وقد روى مرفوعا) أى رفع القول المذكور الى النبى صلى الله عليه وسلم ولعل افراد اليهود توصف بالغضب عليهم وان كان النصارى الضالون أيضا مغضوبا عليهم لكثرة وقوع الغضب عليهم أى اليهود فى الدنيا بالمسخ وغيره من مثل الذلة والمسكنة وافراد النصارى بصفة الضلال لكمال فساد عقائدهم فى اثبات الالهية حيث قالوا ان الله ثالث ثلاثة واتخاذ المسيح وأمه الهين من دون الله قال الله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقال العلامة النيسابورى انما خص الاولى بالغضب عليهم لان الغضب يلزمه البعد والطرد والمتفرط فى كل شئ المعرض عنه بعيد من ذلك الشئ وأما المفرط فقد قبل عليه وتجاوز عنه واليهود فى طرف التفريط فى شأن نبيهم والنصارى فى طرف الافراط أقول المتفرط والمفرط كلاهما بعيد عما يليق وهو الاعتدال فتأمل (قوله ويتجه أن يقال المغضوب عليهم العصاة فالضالين الجاهلون بالله) لك أن تقول ان كان المراد من الجاهلين من وصل اليه الشرع وبقى مع جهله لم يعرف الله من الشرع مع وجوب المعرفة عليه فهم من المغضوب عليهم فلا وجه لجعله مقابلا له وان كان المراد من الجاهلين من لم يصل اليه الشرع كالناشئ على شاهق جبل الذى لم يصل اليه خبر الشرع فهو من أهل الجنة عند أهل السنة فلا وجه لاخراجه عنهم أى عن المنعم عليهم والجواب أن المراد من المنعم عليه الفرد الكامل منه والجاهلون بالله ليس كذلك (قوله وقرئ ولا الضألين بالهمزة الخ) أى بتحريك ما بعد الضاد وهذا عند من جدّ فى الهرب عن التقاء الساكنين (قوله آمين اسم فعل) قال الشريف العلامة أسماء الافعال موضوعة بازاء ألفاظ الافعال كاستجب وامهل واسرع من حيث يراد بها معانيها لا من حيث يراد بها أنفسها

ولذلك جاز أنا زيدا غير ضارب كما جاز أنا زيد الا ضارب وان امتنع أنا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوى عمدا أو خطأ وله عرض عريض والتفاوت ما بين أدناه وأقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وقد روى مرفوعا ويتجه أن يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى فى القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعقل جاهل ضال لقوله فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين (آمين) اسم الفعل

فاذا قلت آمين مثلا فهم منه لفظ استجب أو مرادفه مقصودا به طلب الاستجابة كما فى قولك اللهم استجب لا مقصودا به نفسه كما تقول استجب صيغة أمر وبذلك صح كونها أسماء وان استفدنا منها معانى الافعال لان مدلولاتها التى وضعت هى لها ألفاظ لم يعتبر معها اقترانها بزمان وأما المعانى المقترنة بالزمان فهى مدلولة لتلك الالفاظ بتنقل من الاسماء اليها بواسطتها وهذا تأويل مناسب لتسميتها باسماء الافعال واعترض صاحب الحواشى بان استجب ومرادفه لفظان مختلفان لا يستلزم تعقل أحدهما عند تعقل الآخر واذا وضع لفظ بازاء استجب كان معناه والمفهوم منه هو هذا اللفظ دون مرادفه واذا وضع بازاء مرادفه صار الامر بالعكس فلو كان لفظ آمين موضوعا بازاء لفظ لوجب أن يكون هناك لفظ معين يفهم منه فى كل اطلاق من يكون عالما بوضعه وليس كذلك اذ المعروف لا يفهم منه اللفظ وأرباب اللغة لم تعتبره بل فسروا تارة (٤١) باستجب وتارة بافعل قال ابن الحاجب أسماء الافعال ما كان بمعنى الامر والماضى أقول لقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون آمين مثلا موضوعا لكل من استجب ومرادفه فيكون له معانى متعددة وكل أحد يفهم منه ما علم وضعه له وعدم الفهم الذى ذكره ممنوع أو يكون موضوعا لاستجب مثلا وتفسيره بغيره كان توسعا لا بد لنفى هذين الاحتمالين من دليل فتأمل وفى كلام العلامة نظر من وجه آخر اذ الغرض من وضع الالفاظ افادة المعانى ولا فائدة فى وضع آمين للفظ استجب مثلا ويمكن وضعه أولا لمعنى استجب فوضع لفظ أسماء الافعال (الفاظ الافعال مما لا جدوى فيه يعتد به فان قيل اذا كان كذلك فلم سميت باسماء الافعال ولم لم تجعل أفعالا قلنا الفعل ما يدل على زمان وضعا بصيغة مخصوصة وما لا يكون كذلك فهو اسم وان دل على زمان مخصوص لا بالصيغة فان بعد مثلا دل على زمان الماضى وضعا بصيغته بخلاف هيهات فانها وان كانت دالة على ما دل عليه بعد لكن لا بصيغته ولذا قال الرضى الاولى أن يقال الفعل ما دل على معنى فى نفسه مقترن بزمان من حيث الوزن وعلى هذا لا حاجة الى التكلف الذى ذكره العلامة فتكون تسميتها باسماء الافعال باعتبار كونها مرادفة للافعال أى أسماء معانى الافعال فيكون هيهنا مضاف محذوف (قوله فمن وافق تأمينه تامين الملائكة الخ) يحتمل أن يراد بالموافقة الموافقة فى الزمان وفى الابتداء والانتهاء والاولى أن تحمل الموافقة على الموافقة الباطنية من حيث الخشوع والتوجه الى الله تعالى

﴿تفسير سورة البقرة بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الذى هو استجب وعن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بنى على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء مدألفه وقصرها قال * وبرحم الله عبدا قال آمينا * وقال * أمين فزاد الله ما بيننا بعدا * وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه الصلاة والسلام علمنى جبريل آمين عند فراغى من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفى معناه قول على رضى الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به فى الجهر يقال لما روى عن وائل بن حجر أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن أبى حنيفة رضى الله عنه أنه لا يقوله والمشهور عنه أنه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وأنس والمأموم يؤمن معه لقوله عليه الصلاة والسلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أدلك ألا أخبرك بسورة لم ينزل فى التوراة ولا الانجيل ولا القرآن مثلها قال قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته وعن ابن عباس رضى الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ أتاه ملك فقال ابشر بنور ين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا أعطيته وعن حذيفة بن اليمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتى ما قضى فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة

﴿سورة البقرة مدنية وآياها مائتان وسبع وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم) وسائر الالفاظ التى يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف التى ركبت منها الكلم لدخولها فى حد الاسم واعتوارها بخصمن به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وأبو على وما روى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد

(٦ - (بيضاوى) - اول)

(قوله بل المعنى اللغوى الخ) حكم بان اطلاق الحرف عليه بالمعنى اللغوى وجوز ان يكون من تسميته باسم مسماه يعنى ان مسميات هذه الأسامى يقال لها الحروف أى حروف التهجى فسميت أسماؤها بالحروف أيضا ويمكن ان يقال ان الحرف فى اللغة الطرف ومسميات هذه الاسماء أطراف الكلمات فسميت الاسماء باسم مدلولاتها (قوله وهى مالم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب الخ) قال الشريف العلامة جمهور المحققين من النحاة حصر واسبب بناء الاسم فى مشابهته ما لاتمكن له أصلا وسموا الاسماء الخالية عنها معربة وجعلوا سكون الجازء قبيل التركيب وقفا لابناء فهؤلاء قد اكتفوا فى كون الاسم معربا اصطلاحا بمجرد انتفاء المانع من قبول الاعراب ولم يعتبروا وجود مقتضيه وعرفوا المعرب بما يختلف آخر باختلاف العوامل فى أوله وأراد واما يمكنه الاختلاف على قانون اللغة سواء اتصف بالفعل أو كان من شأنه ذلك اما قريبا كما اذا وقع فى التركيب ولم يعرب واما بعيدا كما اذا وقع فى التعديد ومن اشترط فى المعرب وجود مقتضى الاعراب فقد اعتبر الاتصاف به اما فعلا أو قريبا منه ولا مشاحة فى الاصطلاحات الا ان ما آثره المصنف يعنى كونها معربة قبل التركيب أولى اذ يحتاج فى المذهب الآخر الى الفرق بين مبنى بناؤه لوجود المانع وبين مبنى بناؤه لفقدان المقتضى بتجويز التقاء الساكنين (٤٢) فى الثانى دون الأول وهو تحكم أقول لصاحب المذهب الآخر ان رفع التحكم بان

أسماء حروف التهجى مثلا لما كانت لها حالتان احداهما الاعراب والثانى السكون قبل التركيب فالتقاء الساكنين أمر غير ثابت فهو شبيه بالمعرب الموقوف عليه ولذا جوز بخلاف المبنى الذى يكون بناؤه لوجود المانع اذ لو جوز فيه لكان أمرا ثابتا دائما فلذا لم يجوز واعلم ان ظاهر كلام المصنف موافقة صاحب الكشاف فى كونها قبل التركيب غير مبنية بل سكونها سكون الوقف وان كان خلاف ما عن

بغير المعنى الذى اصطلح عليه فان تخصيصه به عُرفٌ مجدّد بل المعنى اللغوى ولعله سمّاه باسم مدلوله ولما كانت مسمّياتها حروفا وحدانا وهى مركّبة صُيّرت بها لتكون تأديتها بالمسمّى أوّل مايقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذّر الابتداء بها وهى مالم تَلِها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب فقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومُعرَّضة له اذ لم تناسب مبنىّ الاصل ولذلك قيل ص و ق مجموعا فيهما بين الساكنين ولم تعامَل معاملةَ أينَ وهؤلاء ثم ان مسمّياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التى يتركّب منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تُحدّى بالقرآن وتنبيها على ان أصل المتلوّ عليهم كلام منظوم ممّا ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجز واعن آخرهم مع تظاهرهم وقوّة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون أوّل مايقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختصّ بمن خطّ ودرس فاما من الامّى الذى لم يخالط الكُتّاب فمستبعَد مستغرَب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيّما وقد راعى فى ذلك ما يعجز عنه الادباء الاريب الفائق فى فنّه وهو انه أورد فى هذه الفواتح أربعة عشر اسما هى نصف أسامى حروف المعجم ان لم يعدّ فيها الالف حرفا برأسها فى تسع وعشرين سورة بعددها اذا عدّ فيها الالف الاصلية مشتملةً على انصاف أنواعها فذكر من المهموسة وهى ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها سَنَحْتُكَ خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقى المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع أمر ومن الشديدة الثمانية المجموعة فى اجدت طبقك أربعة يجمعها أَقِطْكَ ومن البواقى

الاعراب بالفعل (قوله وتنبيها على ان المتلو عليهم الخ) لك ان تقول من يسمع المتلو علم انه كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلا حاجة الى تقديم هذه الحروف وأيضا هذا المقصود يحصل من جميع الحروف لا اختصاص له بالحروف المذكورة والجواب عن الاول ان يقال التنبيه على ماذكر فى التكلم بالحروف ليس كما فى الكلمات المركبة منها أو ان المراد حصول التكتة قبل سماع المتلو وعن الثانى بان ماذكره تعليل لذكر بعض حروف التهجى فى هذا المقام واما اختصاص الحروف المذكورة بالذكر فلعلة وسبب آخر (قوله فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس) فى هذا الاختصاص خفاء اذ قد يتلفظ الشخص باسماء الحروف ولم يخطّ أصلا نعم تلفظه صلى الله عليه وسلم بهذه الاسماء مع اشتهاره بانه لم يخالط الكتاب ولم يتعلم منهم خارق للعادة على ما يظهر مما ذكره المصنف (قوله وهى ما يضعف الاعتماد على مخرجه) أى لا ينقطع جرى النفس معه بل يمكن ان يتلفظ به ويتنفس فيحصل بصوت ضعيف وهذا معنى ضعيف الاعتماد على المخرج ولهذا سميت مهموسة لان الهمس ضعف الصوت قال تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا (قوله ومن البواقى المجهورة الخ) والجهر رفع الصوت وقوته ولما انحصر النفس معه قوى الصوت (قوله الشديدة) هى الحروف التى ينحصر جرى صوتها عند اسكانها فى مخرجها فلا يجرى من مخرجها والرخوة خلاف الشديدة

الرخوة

(قوله المطبقة) بفتح الباء ماينطبق على مخرجه من اللسان والحنك والمنفتحة بخلافها وانما سميت منفتحة لانه ينفتح مابين اللسان والحنك عند النطق بها (قوله وهي أحد عشر) هذا خلاف مافي الشافية فانه قال حروف الابدال أنضت يوم جدطاه ذل فانه أربعة عشر (قوله ويجمعها قد طبج) بالباء الوحدانية والجيم من الطبج وهو الضرب على الشئ المجوف كالطبل (قوله أصيلان) بجمع الأصيل على أصلان مثل بعير وبعران ثم صغروا الجمع فقالوا أصيلان ثم أبدلوا من النون لاما فقالوا أصيلال (قوله والفاء في جدف) قال في الصحاح الجدف القبر وهو ابدال الجيم (قوله في أعن) أصله أأن فابدل الهمزة عينا

الرخوة عشرة يجمعها حَسَّ على نَصْره ومن المطبقة التي هي الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللّينتين الياء لانها أقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ماذكر سيبويه واختاره ابن جنّي ويجمعها أَجِدُّ طَوَيْتُ منها الستّة الشائعة المشهورة التي يجمعها اطْمَئِنّ وقد زاد بعضهم سبعة أخرى وهي اللام في أصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفاء في اجداف والعين في أَعِنّ والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومَمَّا يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء واللام والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والشين والزاي والواو نصفها الاقل ومَمَّا يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفّة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيهما مقاربها وهي الميم والزاي والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستّة يجمعها رب مفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيها ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساسبعة أحرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائيّة وثلاثيّة ورباعيّة وخماسيّة ايذانا بان المتحدّى به مركب من كلماتهم التي أصولها كلمات مفردة ومركّبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات في ثلاث سور لانها توجد في الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف وار بع ثنائيّات لانها تكون في الحرف بلا حذف كيْ وفي الفعل بحذف كقُلْ وفي الاسم بغير حذف كمَنْ وبه كمّم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة أوجه ففي الاسماء مَنْ وإذ وذو وفي الافعال قُلْ وبِعْ وخَفْ وفي الحروف مِنْ وأَنْ ومُذْ على افغة من جرّ بها وثلاث ثلاثيّات لجيّئها في الاقسام الثلاثة في ثلاث عشرة سورة تنبيها على ان أصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيّتين وخماسيّتين تنبيها على أن لكل منهما أصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وسَحْنَفِلٍ ولعلّها فرّقت على السور ولم تعد باجمعها في أوّل القرآن لهذه الفائدة مع مافيه من اعادة التحدّي وتكرر التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس

منها أسماء) لان أو زان الاسم الثلاثي عشرة كما هو مذكور في الصرف وثلاثة للافعال وهي فعل بفتح العين وضمها وكسرها (قوله ورباعيتين) وهما المص والمر (قوله وخماسيتين مع مافيه من اعادة التحدي) وهما كهيعص حمعسق (قوله لهذه الفائدة مع مافيه من اعادة التحدي) المشار اليه بقوله هذه الفائدة هو ماستفيد من مضمون قوله ايذانا بان المتحدى به مركب من كلامهم الى قوله تنبيها على ان لكل منها أصلا كجعفر وسفرجل فانه لو جمعت في أوّل القرآن لم يكن فيه التنبيه على الغرض كما في التفريق مثلا لو أوردت ثلاثيات في موضع واحد لم يحصل التنبيه على ماذكره من ان أصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر كما حصلت في صورة التفريق

فليتأمل وهذا التقرير أحسن من تقرير صاحب الكشاف حيث جعل الفائدة فى التفريق اعادة التنبيه وتكرير الغرض وتمكينه فى ذهن السامع فقال فان قلت فهلا عددت باجمعها فى أول القرآن وما بالها جاءت مفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لاغير وتجديده فى غير موضع أوصل الى الغرض وأقر له فى الاسماع (قوله أو المؤلف منها كذا) أى المؤلف من هذه الحروف أى من جنس ما يتحدى به (قوله وقيل هى أسماء السور الخ) لما كان مفهوم كلام المصنف ان المختار عنده ليس جعل الحروف المذكورة أسماء السور

فعليه ان يجيب عن الدليل الذى استدل به على كونها اسماء ولم يتعرض له والجواب عن الدليل المذكور اختيار كونها مرادا منها ما فى لغة العرب وهى المسميات وفائدة ايرادها ههنا ما ذكره المصنف أولا (قوله اشعارا بانها كلمات الخ) وجه الاشعار انه لما كانت التسمية بهذه الاسماء مستغربة خلاف العادة كان هذا باعثا للسامع على الفحص عن السبب الباعث على ايراد ما هو مخالف للعادة (قوله ولم يستعمل) هو عطف على قوله لم يعهد (قوله لا تفسير وتخصيص) وفى الحواشى انه غير مسلم لان ما نقله عن ابن عباس من أن معناه انا الله أعلم صريح فى التفسير أقول فيه نظر لان محصل كلام المصنف منع انه تفسير بعبارة فيها مبالغة أى لم لا يجوز أن يكون تنبيها على أن هذه الحروف مادة الكلمات وكلام المحشى يؤل الى المنع على المنع لكن توجيه العبارة المنقولة عن ابن عباس بما ذكره المصنف لا يخفى ما فيه من البعد (قوله ولا بحساب الجمل) معطوف على قوله للاختصار أى ولم تستعمل لحساب الجمل بعلبك (قوله فيلحق بالمعربات) أى يكون كل حرف منها معربا فيكون الالف والواحد مترادفين حينئذ (قوله لكنه يخرج الى اضمار أشياء لا دليل عليها) قد يقال لاضمار فعل القسم دليل فى بعض المواضع كقوله تعالى ق ن لان جرها بعد قرينة على كونها مجرورة والواو الواقعة بعد الحروف المذكورة عاطفة ولما ثبت فى بعضها كونه للقسم يقاس عليه الباقى ولا يخفى ان هذا يصح على تقدير اعرابها وقد استصوب ذلك صاحب الكشاف وسيجىء (قوله انما يمتنع اذا ركبت وجعلت الخ) جعلت اسما واحدا يجرى عليه الاعراب كبعلبك فاما اذا نثرت أى نثر

هذه الحروف أو المؤلف منها كذا وقيل هى أسماء للسور وعليه اطباق الأكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجى مع العربى ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى ولما أمكن التحدى به وان كانت مفهمة فاما أن يراد بها السور التى هى مستهلها على انها القابها أو غير ذلك والثانى باطل لانه اما أن يكون المراد ما وضعت له فى لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك أو غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربى مبين فلا يحمل على ما ليس فى لغتهم لا يقال لم لا يجوز أن تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر كما قاله قطرب أو اشارة الى كلمات هى منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر فى قوله

* قلت لها قفى فقالت قاف * كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال الالف آلاء الله واللام لفظه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله أعلم ونحو ذلك فى سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد أى القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام أو الى مدد أقوام وآجال بحساب الجمل كما قال أبو العالية متمسكا بما روى أنه عليه الصلاة والسلام لما أتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل فى دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندرى بايها نأخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس أو دلالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط أسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها أسماء السور يخرجها الى ما ليس فى لغة العرب لان التسمية بثلاثة أسماء فصاعدا مستكره عندهم ويؤدى الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعى تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متأخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول ان هذه الألفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستئناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضى ذلك أن لا يكون لها معنى فى حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة فى لغتهم أما الشعر فشاذ وأما قول ابن عباس فتنبيه على أن هذه الحروف منبع الاسماء ومبادى الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة ألا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعانى دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز أنه عليه السلام تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار أشياء لا دليل عليها والتسمية بثلاثة أسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة

العدد أي لم يركب التركيب المذكور فيمكن التسمية المذكورة (قوله وناهيك) اسم فاعل من النهي كأنه ينهاك عن طلب دليل سواه وبتسوية متعلق بالكتف المقدر المفهوم من قولنا وناهيك والتقدير وناهيك تسوية سيبويه فاكتف بها يعني كما جوز سيبويه ان يسمى بيت من الشعر من غير جعلها اسما واحدا يجرى الاعراب على آخره كبعلبك كذلك جوز التسمية بطائفة من الحروف المعجمة من غير ان يجعلها اسما واحدا معرب الآخر (قوله وهو مقدم من حيث ذاته ومتأخر باعتبار كونه اسما فلادر) الظاهر ان يقال ذات الجزء مقدم على الكل وأما وصفه فهو مؤخر وقال الشريف العلامة فان قيل جزء الشيء مقدم عليه واسمه متأخر عنه فلا يكون الجزء اسما لكله قلنا ذات الجزء مقدم على ذات الكل وأما ذات الاسم فلا يجب تأخرها عن ذات المسمى بل ربما كان جزأله كما في الفواتح فيتقدمه وربما انعكس الحال بينهما فيجب تأخره عن المسمى كاسماء الحروف واذا لم يكن الاسم جزأ من المسمى ولا دلالة لم يوصف بالتقدم ولا بالتأخر بأحد الاعتبارين المذكورين نعم وصف الاسمية متأخر عن ذات المسمى مطلقا لا يقال وقوع الفواتح أجزاء للسور من حيث انها أسماء لها فاذا كانت الاسمية متأخرة لزم تأخر الجزء أيضا لانا نقول اللازم على ذلك التقدير تأخر وصف الجزئية عن ذات الكل ولا استحالة فيه أقول تنقيح السؤال ان كونها أجزاء للسور بسبب كونها اسما ولما تأخر الاسمية عن المسميات تأخر الاجزاء وتنقيح الجواب ان اللازم مما ذكر تأخر وصف الجزئية كما تأخر وصف الاسمية ولا يلزم تأخر ذات الجزء كما لا يلزم تأخر ذات الاسم ثم انا لا نسلم ان وقوع الفواتح أجزاء للسور من حيث انها أسماء لها بل من حيث ذواتها والاسمية عرضت لها ووقع

بعلبك فاما اذا نثرت نثر أسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من أسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته مؤخر باعتبار كونه اسما فلادر لاختلاف الجهتين والوجه الاول أقرب الى التحقيق وأوفق للطائف التنزيل وأسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود بالعلمية وقيل انها أسماء القرآن ولذلك أخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها أسماء الله تعالى وبدل عليه ان علي كرم الله وجهه كان يقول يا كهيعص ويا حمعسق ولعله أراد ياملزظها وقيل الالف من أقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو أوسطها والميم من الشفة وهو آخرها جمع بينها إيماء الى أن العبد ينبغي أن يكون أول كلامه وأوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثر الله بعلمه وقد روى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم أرادوا أنها أسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها أسماء الله تعالى أو القرآن أو السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء أو الخبر أو النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب

التنزيل) وهو كون هذه الحروف مقصودا منها تنبيه المتحدى بالقرآن على ان المتلو عليهم من جنس كلامهم أما كونه أقرب الى التحقيق فلعدم ورود شبهة عليه بخلاف الاحتمال الآخر وهو كونها أسماء للسور فان الشبهة المذكورة توجهت عليه وان ظهر اندفاع بعضها والاولى أن يقال كونها أسماء الحروف أمر محقق وأما كونها أسماء السور فغير محقق فالحمل على كون المقصود منها تعديد الحروف للغرض المذكور لا لكونها أسماء السور أقرب الى التحقيق فتأمل وأما كونها أوفق للطائف التنزيل فقد قيل لان فيه نكتة جليلة كما ذكر بخلاف كونها أعلاما اذ ليس في مجرد العلمية نكتة معتبرة مع ما فيها من الضعف على ما ذكره وأورد عليه انه على تقدير كونها أعلاما يحصل منه ما يحصل من الوجه الاول وهو التنبيه المذكور وأجيب بان التنبيه والايقاظ المذكورين على تقدير العلمية تبعا غير لازم وعلى الوجه الاول مقصود اصالة أقول فيه بحث لم لا يجوز ان تكون العلمية والتنبيه كلاهما مقصودين اصالة بل عبارة المصنف السابقة حيث قال سميت بها اشعارا بأنها كلمات معروفة التركيب الخ دال على أن الايقاظ المذكور مقصود اصالة من التسمية سلمنا لكن لا نسلم أنه يوجب منع رجحان كونها أعلاما فتأمل (قوله وأسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك الخ) الظاهر أن يقال انه سالم من الامرين المذكورين بلفظ اسم الفاعل مكان اسم التفضيل (قوله ولذلك أخبر عنها بالكتاب) كقوله تعالى المص كتاب أنزل وقوله والقرآن عطف تفسيري للكتاب (قوله أو النصب بتقدير فعل القسم الخ) قد رد هذا صاحب الكشاف حيث قال ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بها فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك ثم قال ولا سبيل فيما نحن

في الحواشي منع تأخر وصف الاسمية عن ذات المسمى مطلقا لجواز تعين الاسم لمن سيولد مثلا أقول هذا في الحقيقة ليس تسمية بالفعل بل تعليقا لها ومحصله انه اذا ولد مولود لكان هذا اسمه فاذا تولدت حصلت التسمية وأما قبله فلا وجه لتسميته بالفعل (قوله والوجه الاول أقرب الى التحقيق وأوفق للطائف

بصدده الى أن يجعل الواو للعطف لمخالفة الثانى الاول فى الاعراب (قوله أو الجر) صوبه صاحب الكشاف حيث قال فان قلت فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية لايجد فيها واجعل الواو للعطف قلت هذا الايبعد من الصواب ويعضده ماورد عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال أقسم الله بهذه الحروف (قوله ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة أوموازنة لمفرد كم الخ) قال العلامة التفتازانى قيل ينبغى ان يتعين الاعراب ولايسوغ الحكاية كسائر الاعلام المنقولة من المفردات والمركبات من كلتين ليست بينهما مناسبة وانما الحكاية فيما وقع علما لنفس ذلك اللفظ مثل ضرب فعل ماض أجيب بان ذلك فى هذه الالفاظ خاصة اذا جعل اعلاما للسور خاصة اما اذا جعل صاد مثلا علما لرجل فلاحكاية وذلك لانها قداشتهرت ساكنة الاعجاز وكثر استعمالها كذلك وكانها نقلت عن تلك الهيئة لاسيما وفيها تمة من ملاحظة الاصل من جهة ان مسمياتها مركبة من الحروف المبسوطة فعليها مسحة من قولك ضرب فعل ماض (قوله فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان فى حيز الرفع الخ) أى المؤلف المقدر ههنا كان مبتدأ أو خبرا بان يكون المعنى المؤلف من جنس هذه الحروف ذلك الكتاب أوذلك الكتاب مؤلف من جنس هذه الحروف (قوله فان جعلتها أسماء السور الخ) اما كونها مبتدأ فبأن يقال هذه الحروف أسماء الله تعالى أوالقرآن أو السور واما كونها خبرا فبعكس التقدير المذكور بان يقال ان بعضها اسم الله تعالى فيكون مابعده خبرا عنه مثل الم الله لااله الاهو بان يكون التقدير الم اسم الله لااله الا هو بان يقدر مضاف وبعضها اسم

بتقدير مضاف أى الم اسم ذلك الكتاب وقس عليه التقدير الثالث (قوله ويوقف عليها الوقف التام) الوقف التام على الكلام هو الوقف عليه حال كونه يفيد معنى مستقلا وكذا ما بعده هكذا قال الشريف العلامة وقال العلامة التفتازانى هوان يكون مابعده غير متعلق بما قبله والما كل واحد لانه اذا كان مابعده غير متعلق بما قبله وتذكيره فيجب ان يكون مابعده مستقلا مع قطع النظر عما قبله والا لكان خاليا عن الفائدة وكذا ماقبله يجب ان يكون كذلك (قوله وهذا توقيف الخ) أى أمر مستفاد من الشرع وقول النبى صلى الله عليه وسلم وليس بناء على أمر تدركه العقول (قوله أو وصل من المرسل الى المرسل اليه) قال الشريف العلامة اعترض عليه بانه قبل الوصول الى المرسل اليه كان كذلك وأجيب بان المتكلم اذا ألف كلاما ليلقيه الى غيره و يوصله اليه فربما لاحظ فى تركيبه وصوله اليه و بنى كلامه عليه وقيل لم يرد بالمرسل اليه النبى عليه الصلاة والسلام بل من وصل اللفظ اليه حال ايجاده بمنزلة السامع لكلامك وهو مردود بانه خلاف مايفهم من العبارة وأيضا ان أراد باللفظ الذى وصل لفظ الم فذلك ليس اشارة اليه وان أراد لفظ جميع السورة أو المنزل فقبل ان وصل اليه الجميع كان ذلك على حاله واعترض صاحب الحواشى على الجواب الاول بان المتكلم لايجعل غير الواصل الى المرسل اليه بمنزلة الواصل الا اذا اشتمل ذلك على نكتة مناسبة للمقام وهى غير ظاهرة هناك ثم ذكر ان حمل المرسل اليه على المخاطب غير مستبعد فان الكلام أرسل اليه وأيضا يختار ان المراد لفظ جميع السورة أو المنزل وقوله فقبل ان وصل اليه الجميع كان ذلك على حاله قلنا ليس ذلك قبل وصول الجميع اذ الكلام على تقدير ان يكون اسما للسورة فلم كرلفظ ذلك يكون بعد وصول الجميع الى المخاطب أقول اما اشتمال الجعل المذكور على نكتة فظاهر وهو الاشعار بتحقق الوصول فى المستقبل والتفاؤل لشدة الاهتمام كما فى التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى للاشعار بتحقق الوقوع والاهتمام به واما اطلاق المرسل اليه وارادة غير الرسول عليه السلام فى مثل هذا المقام فظاهر الاستبعاد واما قوله

أوغيره كما ذكر أو الجر على اضمار حرف القسم و يتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة أوموازنة لمفرد كم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان أبقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان فى حيز الرفع بالابتداء أو الخبر على ماسر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا أو مجرورا على اللغتين فى الله لافعلن وتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات أو أصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة و يوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لاتحتاج الى مابعدها وليس شئ منها آية عند غير الكوفيين وأما عندهم فالم فى مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم وطس ويس وحم آية وحمعسق آيتان والبواقى ليست بآيات وهذا توقيف لامجال للقياس فيه (ذلك الكتاب) ذلك اشارة الى الم ان أول بالمؤلف من هذه الحروف أوفسر بالسورة أو القرآن فانه لما تكلم به وتقضى أو وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا أشير اليه بما يشار به الى البعيد

القرآن مثل الم ذلك الكتاب لاريب فيه و يكون أيضا

وأيضا يختار فيه ان معنى الم على التقدير المذكور هو مجموع السورة ولا يخفى ان بمجرد نزول الم وسماع المخاطب له لم يحصل له الآيات المذكورة حتى يكون ذلك بعد وصول الجميع الا ان يقال انه يعلم من لفظ الم ماهو معناه اجمالا فيكون ذكر لفظ ذلك بعد وصول الجميع اجمالا وههنا نكتة أخرى أعلى مما ذكر فتأمل واعلم ان قول المصنف ذلك اشارة الى الم ان أول بالمؤلف من هذه الحروف أو السورة أو القرآن الخ يدل على ان المشار اليه هو لفظ الم وليس كذلك على ما مر في كلام الشريف العلامة لكن المراد انه اشارة الى معنى الم ان أول لفظ الم (قوله فانه خبره أو صفته الخ) أي الكتاب خبر ذلك أو صفته فيكون الكتاب عين اسم الاشارة فذكر باعتباره واعلم ان بين عبارة المصنف وبين عبارة الكشاف مخالفة لان المصنف جوز كون الكتاب صفة لذلك على تقدير ان يكون المشار اليه الم والظاهر من كلام الكشاف عدم جوازه فانه قال لا أخلو من ان أجعل الكتاب خبره أو صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومساه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير وان جعلته صفته فانما أشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له انتهى ولا يخفى ان مفهوم كلامه انه على تقدير جعل الكتاب صفة لذلك يكون المشار اليه الكتاب لا غير (قوله حتى اذا عجز واعنها تحقق عندهم الخ) لا يقال لا يلزم من عدم قدرتهم على المعارضة زوال الشبهة والشك اذ لا يلزم من انتفاء قدرتهم انتفاء قدرة غيرهم قلنا انهم زعموا ان منهم من ليس هو مثله في البلاغة فاذا لم يقدروا على المعارضة جزموا بان القرآن ليس الا من عند الله فصار متحققا عندهم (٤٧) (قوله والعامل فيه الظرف الخ) أي

وتذكيره متى أريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره أو صفته الذي هو هو أو الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بنحو قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا أو في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بمعنى المفعول كاللباس ثم أطلق على المنظوم عبارة قبل أن يكتب لانه مما يكتب وأصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة (لا ريب فيه) معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لان أحدا لا يرتاب فيه ألا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية فانه ما أبعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيحة له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشئ اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان

متعلق الظرف وهو كائن ويرد عليه ان العامل في ذي الحال حرف الجر والعامل في الحال متعلق الظرف وقد مر مثل هذا السؤال مع جوابه في قوله تعالى غير المغضوب عليهم بالنصب على الحال فتذكر (قوله دع ما يريبك الى ما لا يريبك الخ) قال الشريف العلامة معنى الحديث دع ما يقلقك ذاهبا الى ما لا يقلقك فان كون الشئ مشكوكا فيه غير صحيح مما تقلق له النفس الزكية وتضطرب معه وكونه صادقا صحيحا مما تطمئن له أي اذا وجدت نفسك مضطربة في أمر فدعه واذا وجدتها مطمئنة فيه فاستمسك به لان اضطراب قلب المؤمن في شئ علامة كذبه وطمأنينته علامة صدقه وقيل معناه دع ما تشك فيه الى ما تعلمه فان العمل بالمشكوك فيه يوجب قلقا بخلاف العمل بالمعلوم فانه يوجب سكونا وراحة والاول أولى أقول وجه الاولوية ان الوجه الاول يوجب ترك الشك مطلقا من أصله والعمل به أيضا والوجه الثاني يوجب ترك العمل به ولا يوجب ترك الشك مطلقا وأيضا الوجه الثاني مخصوص بالشك دون الاول اذ الظن أيضا مما يقلق النفس واعلم ان في عبارة العلامة زيادة وهي قوله غير صحيح فالاولى حذفه والاقتصار على ان كون الشئ مشكوكا فيه مما تقلق له النفس الزكية الخ وقوله فان الشك ريبة والصدق طمأنينة تتمة الحديث وبهذا استشهد على ان الريب في الأصل بمعنى القلق لا بمعنى الشك والا لكان القول بان الشك ريبة خاليا عن الفائدة فان قلت ما الفائدة في قوله عليه السلام فان الشك ريبة قلنا التعليل أي اذا كان لا بد ان تدع ما يقلقك الى ما لا يقلقك فدع الشك فان الشك ريبة أي يوجب القلق قال العلامة الطيبي الحديث من رواية الترمذي والنسائي دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الصدق طمأنينة والكذب ريبة وظهر ان قولهم فان الشك ريبة لا يصح رواية ولا دراية وأجيب عنه بان صحة احدى الروايتين لا تنافي صحة الاخرى وبانه يصح دراية لان الريبة قلق النفس وقد مر

(قوله ومنه ربب الزمان لحوادثه) فان الحوادث مما يقلق النفس ويجعلها مضطربة (قوله وقيل الدلالة الخ) هذا يدل على ان المعنى الاول راجح وكلام الكشاف صريح فى ان معناه الدلالة الموصلة واستدل بما ذكره المصنف وكل من الاستعمالين وارد اما الاول مثل قوله تعالى هدى للناس اذا جعل اللام للاستغراق وقوله تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى واما الثانى فمثل قوله تعالى انك لتهدى من أحببت وقوله تعالى لعلى هدى أو فى ضلال مبين واحتمال المجاز فى كل منهما مشترك وللمناقشة مجال فترجيح أحد المعنيين بكونه حقيقة والآخر مجازا لا بدله من دليل كما فهم من كلام المصنف وصاحب الكشاف (قوله لانه جعل مقابل الضلالة) عبارة الكشاف بدليل وقوع الضلالة فى مقابلته قال الشريف العلامة أو ردعليه ان المذكور فى مقابلة الضلالة هو الهدى اللازم بمعنى الاهتداء اما مجازا أو اشتراكا وكلا منافى التعدى وأجيب بان اللازم لا فرق بين اللازم والمتعدى فى باب المطاوعة الابان الاول تأثير والثانى تأثر فاذا اعتبر الوصول فى اللازم كان معتبرا فى المتعدى أيضا وحينئذ يكون الضمير فى مقابلته راجعا الى اللازم على طريقة الاستخدام وهو فاسد لان التمسك بالمطاوعة وجه مستقل فذكر المقابلة حينئذ مستدرك فان اعتبار الوصول فى الاهتداء مستغن عن الدليل أقول كون الشئ مستغنيا عن الدليل لا يستلزم ان لا يجرى عليه دليل لمزيد التأكيد والتقرير مع انه يمكن ان يذهب الوهم الى ان الاهتداء هو ادراك الطريق الموصل الى البغية فرد ذلك الوهم بالدليل المذكور (قوله ولانه لا يقال مهدى الا لمن اهتدى) والدليل (٤٨) عليه انه صفة مدح ولا مدح الا بالوصول الى الكمال ولا يكفيه الدلالة على ما يوصل ويجب على المصنف التعرض لجواب هذين الدليلين حتى يتم ما ذكر واما ما قيل من انه يمكن ان يكون اطلاق المهدى على الواصل بطريق المجاز ففيه ان الاصل فى الاطلاق الحقيقة (قوله أو لانه لا ينتفع بالتأمل فيه الخ) عطف على قوله لانهم المهتدون الخ محصل المعطوف عليه ان

الشك ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوائبه (هدى للمتقين) يهديهم الى الحق والهدى فى الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة فى قوله تعالى انك لعلى هدى أو فى ضلال مبين ولانه لا يقال مهدى الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم أو كافر وبهذا الاعتبار قال تعالى هدى للناس أو لانه لا ينتفع بالتأمل فيه الا من صقل العقل واستعمله فى تدبر الآيات والنظر فى المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا مالم تكن الصحة حاصلة واليه أشار بقوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه فى كونه هدى لما لم ينفك عن بيان يعين المراد منه والمتقى اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو فى عرف الشرع اسم لمن يقى نفسه مما يضره فى الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى من العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى والثانية

اختصاصه بالمتقين لاختصاصهم بالاهتداء والانتفاع بالقرآن وحاصل المعطوف أن الاختصاص لاجل ان العلم باسرار التجنب الايات ودقائقها والاستدلال على صفات الصانع وآثاره كما ينبغى مختص بالتقين فيكون المراد كمال الهداية وقوله لانه كالغذاء الصالح يرد انه مالم تكن التقوى حاصلة لا ينتفع بالقرآن لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه مالم تكن الصحة حاصلة لم يحفظها كذلك القرآن لا ينتفع به الا من كان متقيا والظاهر ان الوجه الاول شامل لكل مؤمن لان الاهتداء والانتفاع بالقرآن بوجه ما حاصل لكل مؤمن فالمراد من المتقى المتقى من الشرك والوجه الثانى يختص ببعض المؤمنين لان الانتفاع بالقرآن المجيد من حيث العلم والعمل كما ينبغى لا يحصل الا للمتقين الذين اهتدوا كمال الاهتداء وكانوا أصحاب العقول الصقيلة وفى قوله فانه لا يجلب نفعا مالم تكن الصحة حاصلة نظر فان الغذاء الصالح قد يجلب الصحة ويعيدها والجواب ان المراد ان الغذاء الصالح لحفظ الصحة فقط أى تكون فائدته مجردا لحفظ وما كان كذلك لا يترتب عليه عود الصحة والا لم تكن فائدته مجردا لحفظ كما لا يخفى فان قيل قد يتنفع بالقرآن من لا يكون متقيا سواء كان المراد بالتقوى أصل الايمان أو التجنب عن الاثم مطلقا فلا تكون هدايته مختصة بالمتقين قلنا المراد بالمتقى المشارف للتقوى وسيجىء توضيحه (قوله ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه الخ) اشارة الى مسئلة أصولية هى انه هل وقع اجمال فى القرآن أم لا والجمهور على الوقوع وبعضهم أنكره وفرده المصنف بان الاجمال أو المتشابه لا يخرجه عن البيان والهداية بالدلائل العقلية والنقلية فان العلماء اجتهدوا وأوضحوا المجمل والمتشابه بمعانى ووقوع الاجمال ليظهر درجات العلماء فى الاهتداء الى المقصود وفى كلام المصنف اشارة الى اختيار مذهب المؤولة فى الايات المتشابهة وسيجىء هذا تمة (قوله بالتبرى عن الشرك)

لو قال بالتبرؤ عن الكفر لكان أولى لان الاتقاء عن العذاب المخلد مترتب على التقوى عن الكفر لا خصوص الشرك لكنه تبع القرآن كما قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك الآية فالمراد التبرؤ من الشرك أو ما فى حكمه من أنواع الكفر أعاذنا الله منها (قوله وله ثلاث مراتب الخ) فيه بحث فان التقوى فى اللغة وكذا فى الشرع على ما فسره به ليس لها الا مرتبة واحدة لان الاجتناب عن شئ مما يضره فى الآخرة مطلقا لصيانة مرتبة واحدة وكذا فرطا وان أراد الاجتناب عن شئ مما يضره فيها ولو كان شيأ واحدا يكون مخالفا لما سيجىء فى قوله والثانية التجنب عن كل ما يؤثم حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع ويمكن أن يقال مراده ان التقوى وضعه الشرع فى الاصل للاتقاء عما يضر فى الآخرة سواء كان عن جميع ما يضر أو عن بعضه لكن المتعارف أى المتبادر المشهور هو التجنب عن جميع ما يضر فى الآخرة ثم نقول فرط الصيانة ظاهر المناسبة للمرتبة الثالثة ومناسبتها للمرتبة الثانية بان يقال فيها فرط الصيانة عن الاثم وللمرتبة الاولى باعتبار فرط الصيانة عن الكفر والعذاب الابدى (قوله حتى الصغائر عند قوم) قال الشريف العلامة اختلف فى الصغائر هل يعتبر اجتنابها فى المتقى أولا فقيل نعم لان فرط الصيانة يقتضى ذلك ويؤيده قوله عليه السلام لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس وقيل الصحيح ان المتقى لا يتناول الصغائر أى لا يعتبر فى مفهومه اجتنابها وعلى هذا يقال هو من يجتنب الكبائر ومن المعلوم ان الاصرار على الصغيرة كبيرة فيندرج فيه أى الاجتناب (قوله وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله اتقوا الله حق تقاته) فيه بحث فان المصنف قال فى تفسير قوله تعالى حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع فى القيام بالواجب (٤٩) والاجتناب عن المحارم انتهى ولا يخفى أن تنزه السر عما يشغله عن الحق لا يجب شرعا بحيث يكون تاركه آثما وانما هو شأن الكمل العارفين فتأمل فان قيل التنزه ليس بتقوى بالمعنى المذكور فان تركه ليس اثما حتى يكون مما يضر فى الآخرة قلت ضرره قصور درجة تاركه عن درجة المتنزه وعدم بلوغه الى غاية الكمال (قوله لان المراد به المؤلف الكامل الخ) غرضه ان المؤلف من الحروف الذى هو المبتدأ خصص بحيث خرج عن العموم وصار مساويا لمحموله الذى هو ذلك الكتاب وفيه بحث لانه لا يخلو اما أن يكون المراد من ذلك الكتاب السورة أو القرآن وكون مجموع القرآن وكذا السورة فى أقصى درجات البلاغة غير متيقن نعم هما فى مرتبة يعجز البشر عن الاتيان بمثلها ولذا قالوا ان الطرف الاعلى من البلاغة وما يقرب منه كلاهما حد الاعجاز والجواب ان المراد المؤلف البالغ أقصى درجات البلاغة الخارجة من القوة الى الفعل ولا يخفى ان هذا لا يتم الا اذا أريد بذلك الكتاب مجموع القرآن لا السورة فتأمل (قوله وفى قراءة أبى الشعثاء) اعلم أن القراءة المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه قال الشريف العلامة لا فى القراءة المشهورة لنفى الجنس أى الحقيقة ويلزمه نفى افرادها كلها اذ لو ثبت فرد منها لثبتت الحقيقة فى ضمنه ولا يحتمل معنى آخر فهى نص فى الاستغراق بوجه فاذا قيل لا رجل فى الدار لم يصح بل رجلان أو رجال وغير المشهورة ظاهرة فيه ومحتملة لمعنى آخر أما الاول فلان المتبادر من النكرة المنفية فرد لا بعينه وهو مساو للحقيقة فاذا نفى استلزم نفى جميع الافراد وأما الثانى فلانه قد يقصد لمعنى الوحدة المفردة أى المجردة عن العدد فيقال لا رجل فى الدار بل رجلان أو رجال أى الجنس موصوف بالعدد لا بالوحدة الصرفة أما اذا زدت من الاستغراقية وقلت لا من رجل زال ذلك الاحتمال وصار نصا فى الاستغراق كالمبنى الا أن مفهوم المبنى نفى الحقيقة ومفهوم لا من رجل نفى فرد لا بعينه حتى اذا فسرت الاول بالفارسية قلت ينست مرد درسراى واذا فسرت الثانى قلت ينست مردى درسراى انتهى أقول فان قيل كثير من النحاة على ان معنى لا رجل لا من رجل وعللوا بناءه بتضمنه لمن فلا فرق بين لا رجل ولا من رجل وقد فرق العلامة بينهما بما ذكر قلنا لعله

التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله هدى للمتقين ههنا على الاوجه الثلاثة واعلم أن الآية تحتمل أوجها من الاعراب أن يكون الم مبتدأ على انه اسم للقرآن أو السورة أو مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان أخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل فى تأليفه البالغ أقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا أو بدلا والكتاب صفته ولا ريب فى المشهورة مبنى لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفى قراءة أبى الشعثاء مرفوع بلا التى بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم فى قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص

لم يسلم ان علة بناء اسم لا النافية للجنس تضمن من حتى يرد الاعتراض المذكور بل يقول ان بناءه لما ذكر سيبويه من أن اختصاص لا بالنكرة وكونها مع ما بعدها مبتدأ سبب بناء معمولها فتامل (قوله وهدى نصب على الحال) قال الشريف العلامة فيه معنى الاشارة كأنه قيل أشير الى الكتاب حال كونه هاديا فالعامل فى الحال وصاحبها واحد لان المنصوب المحل بالفعل المذكور هو المجرد روحه على ماسلف تحقيقه وهو بهذا الاعتبار وقع ذا حال قال المصنف فى قوله تعالى هذا بعلى شيخا العامل فى شيخا معنى حرف التنبيه أو اسم الاشارة فاعترض عليه بلزوم اختلاف العامل لان ذا الحال معمول للابتداء فاجاب بان التقدير أنبه على بعلى أو أشير اليه حال كونه شيخا فاتحد العامل وقصد بذلك التقدير ايراد معنى الفعل الذى يتضمنه حرف التنبيه أو اسم الاشارة أى معنى هذا بعلى أنبه على بعلى ولم يرد ان هناك فعلا محذوفا كما ظن وأورد عليه أن العامل حينئذ ليس ما فيه امن معنى الفعل واعترض عليه صاحب الحواشى بانا لانسلم ان معنى هذا بعلى أنبه والسند ظاهر أقول يمكن أن يقال ان مقصود العلامة ان معنى هذا بعلى يستفاد منه أنبه وأشير ويكفى فى العمل ذلك وكذا فى اتحاد عامل الحال وصاحبها الحاجة الى أن يكون هذا صريح معنى اللفظ ولم يقصد ان معناه بعينه ذلك المعنى والا لكان هذا فعلين لا فعلا واحدا (قوله والاولى أن يقال الخ) أولويته باعتبار اشتمال هذا الوجه على الجمل المستقلة فى الافادة المرتبط بعضها ببعض من حيث التقدير (قوله (٥٠) فالم جملة) بان يكون خبر مبتدا محذوف أى الكتاب المتحدى به أو السورة أو القرآن هو المؤلف من هذه الحروف ويجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر أى السورة أو القرآن أو المؤلف من هذه الحروف هو المتحدى به والظاهر ان ذلك الكتاب فى حكم التأكيد للمعنوى فانه لما قيل الكتاب المتحدى به مؤلف من هذه الحروف أو السورة المؤلفة من هذه الحروف هو المتحدى به اختلج فى وهم السامع أنه كيف يتحدى بالمؤلف من هذه الحروف فحصل له استبعاد فى ذلك فتوهم بمجرد ما سمع ان العبارة صدرت من غير تحقيق واتقان فأكد ذلك بقوله ذلك الكتاب أى الكتاب والتوصيف الكامل البالغ الدرجة القصوى من الكمال بتعريف الخبر باللام فكأنه قيل هو الكتاب لا غير كما قاله أهل العربية فى الخبر المحلى باللام فوزانه وزان نفسه ثم انه لما بولغ فى كماله لعل السامع توهم أن فيه توسعا فازيل ذلك التوهم بقوله لا ريب فيه لان كل ما هو حق يقين لا ريب فيه فهو غاية درجات الكمال فهو كالاتزل ثم انه لما نفى عنه الريب مطلقا يمكن أن يختلج فى فهم السامع ان فيه مبالغة فاردف بقوله هدى للمتقين لان كل ما هو هاد للمتقين فهو مما لا ريب فيه (قوله استتباع الدليل للمدلول الخ) فيعلم المتقدم ويجوز العكس لكن بعضها يعلم بطريق البرهان اللمى وبعضها بطريق البرهان الانى فالتحدى بالمذكور رفع كونه فى غاية الكمال وكونه كذلك علة لعدم الريب وكونه لا ريب فيه علة لكونه هاديا ومؤديا الى المقصود وهو كون الكتاب من عند الله اذ لو لم يكن من عند الله لقدر واعلى معارضته اذ هو مؤلف مما ألف منه كلامهم وهذا هو التعليل الذى ذكره المصنف (قوله لخاتمة التعريف) أى التفخيم المستفاد من التعريف المفيد لحصر الكمال فيه (قوله حذرا عن ايهام الباطل) وهو حصر نفى الريب فى الكتاب المذكور فيوجب الريب فى سائر الكتب فان قيل لو قدم لزم نفى حصر الريب فيه فلزم أن يكون فى هذا الكتاب ريب وفى غيره من الكتب لان التقديم يوجب الحصر فاذا أورد النفى عليه لزم نفى حصر الريب فلزم اشتراك الريب بين الكتب

وهو مخالف قلنا فقد صرح أهل العربية بأن معنى لا فيها غول حصر نفي الغول فيها لا نفي حصر الغول فيها ولذا قال صاحب الكشاف ولو أولى الظرف حرف النفي لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمور الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها كأنه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب فان قيل ما المحذور في كون كتاب آخر فيه الريب والحال انه قد وقع في كثير من الكتب الريب قلت المراد لزوم وقوع الريب في الكتاب السماوي لان حصر نفي الريب في القرآن يكون بالنسبة الى سائر الكتب السماوية التي هي من جنسه في كونه منزلا من عند الله وههنا بحث وهو أن المصنف فسر قوله تعالى لا ريب فيه أنه لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز وهذا مخصوص بالقرآن اذ غيره من الكتب لم يكن معجزا في البلاغة ويمكن الجواب بان يقال ان قوله في كونه وحيا الخ متعلق بقوله النظر الصحيح لا بقوله لا يرتاب أي لا يرتاب في كونه حقا بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز (قوله وايراده منكرا للتعظيم) يحتمل أن يكون تنكيره للنوع فان للقرآن نوعا من الهداية لا يكون في غيره من الكتب وهو بسبب الاعجاز فان الفطن اللبيب اذا أمعن النظر فيه اهتدى ببلاغته واعجازه فالتنكير كما يفيد التعظيم يفيد النوع ولذا اقتصر صاحب الكشاف على حسن تنكيره ولم يقيده بكونه للتعظيم أو النوع (قوله باعتبار الغاية) لان فائدة الهدى انما تحصل لهم (قوله وتسمية المشارف للمتقوى متقيا مجازا وتفخيما لشأنه) يعني ان المفهوم من هدى للمتقين أن تكون التقوى حاصلة قبل الهدى كما قاله الشريف العلامة والحال ان الامر بالعكس لان التقوى تحصل بالاهتداء بهدى القرآن وعلى هذا يكون من جنس تسمية المشارف للشئ (٥١) باسمه فيكون تسمية القريب من التقوى

والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا مجازا وتفخيما لشأنه (الذين يؤمنون بالغيب) اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل أو موضحة ان فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيآت لاشتماله على ما هو أصل الاعمال وأساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها أمهات الأعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا ألا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلاة والسلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام أو مسوقة للمدح بما تضمنه من المتقين وتخصيص الايمان بالغيب واقامة الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر اظهار لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى أو على انه مدح منصوب أو مرفوع بتقدير أعني أو هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره أولئك على هدى

صفقت الباطن عن الكدورات تحلي بالصور العقلية المطابقة الفائضة من المبدأ الفياض والتحلي بالحاء المهملة هو الانتقاش بالصور العقلية المطابقة للامور أنفسها والتخلق بمحامد الاخلاق ويمكن أن يقال ان المذكور ثانيا بالحاء المعجمة التي هي المرتبة الاولى وهي تهذيب الظاهر أي الجوارح عما لا ينبغي فيكون قوله والتصوير على التصقيل اشارة الى المرتبة التي هي التجلية بالجيم وحتى يكون في الكلام الاشارة الى المراتب الثلاثة (قوله أو موضحة الخ) يعني اذا فسر التقوى بما يعم فعل الحسنات وترك السيآت كان ما ذكر بعده موضحا له كاشفا عن معناه لان ما ذكر بعد ذكر المتقي مشتمل على فعل الحسنات وترك السيآت صريحا وضمنا وهذا هو المفهوم من قوله لاشتماله الخ وقوله عليه الصلاة والسلام الصلاة عماد الدين قال العلامة الطيبي رويناه عن الترمذي وابن ماجه عن معاذ في حديث طويل رأس الامر الايمان وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد وقوله والزكاة قنطرة الاسلام قال العلامة الطيبي هذا الحديث ضعفه الصغاني ومعنى الحديث المذكور انهما يستتبعان سائر العبادات فمن كان فيه هاتان العبادتان كان ذلك دليلا على وجود سائر العبادات فيه غالبا وفي عبارة المصنف نوع لف ونشر من غير ترتيب فان الآية التي ذكرها تناسب التجنب عن المعاصي والحديث الذي ذكر يلائم ما ذكره من استتباع سائر العبادات (قوله اظهار لفضلها على سائر ما يدخل الخ) أي اشرفها على غيرها ويمكن أن يقال علة التخصيص ما ذكر لا تفامن كونها أمهات الاعمال النفسانية (قوله أو على انه مدح منصوب أو مرفوع) فان قيل الرفع والنصب يدلان على انفصال هذا الكلام عما قبله لكن الكلام على تقدير كونه موصولا بالمتقين فالجواب عنه أن يقال ان النصب والرفع بالمدح يدلان على ان المنصوب والمرفوع كانا صفتين في الاصل ثم عدل عنه لنكتة هي

بالمتقي وفيه تنبيه على شرف التقوى لانه يهتم به حتى يجعل القريب من الاتصاف به متصفا به (قوله ترتب التحلية على التجلية) المذكور أولا بالحاء المهملة والمذكور ثانيا بالجيم وهي تصفية الباطن عن الكدورات ورذائل الاخلاق والتوجه بالكلية الى المولى الحقيقي فاذا

الاهتمام بتلك الصفة تجعله مستقلا غير تابع لما قبله فهو في الحقيقة والاصل متصل بما قبله والاولى أن يقال لما كان على التقديرين مفسرا للمتقين كان متصلا به لاحاجة في الاتصال الى جعله صفة نحوية (قوله فيكون الوقف تاما) الوقف قطع الكلمة عما بعدها فان كان على كلام مفيد فحسن ثم ان كان لما بعده تعلق بما قبله فهو الكافي والا فهو التام (قوله كأن المصدق آمن المصدق من التكذيب) المصدق الاول بكسر الدال والثاني بفتحها يعني لما كان الايمان أصله من الامن فوجه جعل الايمان بمعنى التصديق انه يفيد الامن فكانه بمعنى تحصيل الامن فان قلت اذا كان المراد أن المصدق آمن المصدق من تكذيبه أي من تكذيب المصدق نفسه فلا وجه لقوله وكان الخ اذ هذا حاصل متحقق يقينا وان أريد أنه آمن من تكذيب غيره فممنوع فقد ان المراد الاول والمقصود أنه آمنه من تكذيبه بعد ذلك الزمان وهو غير متحقق يقينا (قوله وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف) قال الشريف العلامة لما ذكر صاحب الكشاف أن الايمان بمعنى التصديق الذي يتعدى بنفسه كان مظنة لان يتردد في حال الباء التي تستعمل معه ففصله وحققه بان ذلك لتضمنه معنى الاعتراف فانك اذا صدقت شيأ فقد اعترفت والتضمين أن يقصد بلفظ فعل معناه الحقيقي و يلاحظ معه فعل آخر يناسبه و يدل عليه بذكر شيء من متعلقات الآخر كقولك أجد اليك فلانا فانك لا تلاحظ مع الجد معنى الانهاء و دللت عليه بذكر صلته أعني كلمة الى كأنك قلت أنهى جدي اليك وفائدة التضمين اعطاء مجموع المعنيين والفعلان مقصودان معا قصدا وتبعا ثم اختلفوا فذهب بعضهم الى أن اللفظ مستعمل في معناه الحقيقي فقط والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدل عليه ذكر ما هو من متعلقاته فتارة يجعل المذكور أصلا في الكلام والمحذوف قيدا فيه على انه حال كما قال في قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم فكأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ونارة تعكس فيجعل المحذوف أصلا والمذكور مفعولا كما سمر من المثل أو حالا كما يدل عليه قوله أي يعترفون مؤمنين به اذ لولم يقدر لكان مجازا عن الاعتراف لا تضمنا فان قيل اذا كان المعنى الآخر مرادا بلفظ محذوف كان ذلك من قبيل الاضمار فكيف يقال ان المذكور يتضمنه أجيب بانه لما كانت مناسبته للمذكور بمعونة ذكر صلته قريبة على اعتباره جعل كأنه في ضمنه ومن ثم كان جعله حالا وتبعا أولى (٥٢) من عكسه ومايتوهم من ان ذكر صلة المتروك يدل على انه المقصود بالاصالة مدفوع بان المراد ان ذكرها انما يدل على كونه مرادا في الجملة اذ لولا لم يكن مرادا أصلا وذهب آخرون الى ان كلا المعنيين مراد بلفظ واحد على طريق الكناية من اذ يراد به معناه الاصلي ليتوصل بفهمه الى ماهو المقصود الحقيقي فلا حاجة الى تقدير الالتصوير المعنى وابرازه وفيه ضعف لان المعنى المكني به في الكناية قد لا يقصد ثبوته وفي التضمين يجب القصد الى ثبوت كل من المضمن والمضمن فيه والاظهر أن يقال اللفظ مستعمل في معناه الاصلي فيكون هو المقصود بالاصالة لكن قصد بتبعيته معنى آخر يناسبه و يتبعه من غير أن يستعمل فيه ذلك اللفظ أو يقدر له لفظ آخر فلا يكون من باب الكناية ولا من الاضمار بل من قبيل الحقيقة التي قصد مع معناها الحقيقي معنى آخر يناسبه في الارادة وحينئذ يكون معنى التضمين واضحا بلا تكلف واعترض عليه صاحب الحواشي أولا بان غاية ما لزم مما ذكره وهو كون المعنى المكني به في الكناية قد لا يقصد ثبوته وفي التضمين يجب القصد الى ثبوت كل من المضمن والمضمن فيه أن لا يكون معنى الكناية والتضمن واحدا ولا يلزم منه أن لا يكون التضمين من أفراد الكناية أو على طريقته كما هو رأي هذا الذاهب لجواز أن يكون عدم القصد الى ثبوت المعنى المكني به في فرد آخر من الكناية نعم لو لزم ان لا يقصد ثبوت المعنى المكني به في الكناية البتة لزم أن لا يكون التضمين من أفرادها وأما ثانيا فلانه ان أراد بقوله فيكون هو المقصود بالاصالة المقصود الحقيقي فلا يلزم من استعمال لفظ في معناه الاصلي أن يكون هو المقصود الحقيقي ألا ترى أنه قد يكون الخبر مستعملا في معنى مع ان المقصود الحقيقي منه دفع الشك أو الانكار وحينئذ لا يبطل بذلك ما اختاره الذاهب من أن المقصود الحقيقي هو المعنى المضمن وان أراد به المقصود الابتدائي فذلك مسلم لكن لا ينافي هذا أن يكون المقصود الحقيقي أمرا آخر كما اختاره هذا الذاهب المذكور أقول الجواب عن البحث الاول ان مقصود العلامة ان الكناية من حيث هي كناية يجوز ان لا يكون المعنى المكني به مقصودا والتضمين بوجب ان يكون المعنى المضمن والمضمن فيه مقصودين فكانا متنافيين فلا يكون التضمين من أفراد الكناية وأما الجواب عن البحث الثاني فلان الغرض من قوله والاظهر الخ ليس الاستدلال على بطلان ما اختاره الذاهب المذكور بل تصريح بالمقصود من الاستدلال يعني لما ثبت بطلان مذهب هذا الذاهب كان الاظهر أن يقال اللفظ مستعمل في معناه الاصلي فحينئذ يكون المقصود بالاصالة أي ابتداء هو المضمن فيه نعم يرد على العلامة أن القائل المذكور قال ان المعنيين مرادان بلفظ

فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق مأخوذ من الامن كأن المصدق آمن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق

واحد بطريق الكناية أى هو كالكناية فى ارادة معنيين من لفظ ولم يقل انه كناية حتى يرد اعتراض العلامة عليه وحينئذ يجوز ان يكون موافقا للكناية فيما ذكر ومخالفا لها من حيث ان الكناية تجوز عدم ارادة المعنى الموضوع له وفى التضمين يجب ارادته ثم قال فى الحواشى القوم قد صرحوا بان المضمن مناسب للمضمن فيه ولم يبينوا كيفيتها وكانهم أرادوا بذلك أن يكون المضمن فيه مستلزما للمضمن كما يشعر به قوله ففصله وحققه بان ذلك لتضمنه معنى الاعتراف فانك اذا صدقت شيأ فقد اعترفت به فالحاصل ان التضمين على ما حققه هو ان يقصد معناه اصالة ومعنى فعل آخر لازم له بتبعيته من غير أن يكون الفعل الآخر مقدرا فى الكلام فان قلت فاذا يكون اللازم والملزوم كلاهما مقصودين بلفظ الفعل ويلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز قلت انما يلزم ذلك لو كان لفظ الفعل المذكور مستعملا فيهما وليس كذلك بل هو مستعمل فى معناه الحقيقى والقصد الى اللازم على سبيل الاستتباع من غير استعمال اللفظ فان قلت اذا لم يكن الفعل الآخر مقدرا فى الكلام فماذا يعمل فى صلته المذكورة قلت العامل فيها معنى اللازم المقصود منها ولا يلزم أن يكون اللفظ الموضوع بازائه ملفوظا أو مقدرا فى الكلام أقول لزم ان لا يكون التضمين كناية اذ الكناية هى اللفظ الذى أريد به لازم معناه مع جواز ارادة الملزوم فلزم اندفاع الرد الذى ذكره صاحب الحواشى على الشريف العلامة قبل هذا الكلام من تجويز كون التضمين من أفراد الكناية ثم انه لزم مما ذكر قسم من العامل المعنوى لم يذكروه فتامل (قوله ما آمنت لان أجد صحابة) أى ما وثقت وجدان الصحابة والصحابة بالفتح الاصحاب وهو فى الاصل مصدر والمراد بها ههنا الرفقاء وهذا كلام من نوى سفرا ثم فسخ عزمه وتعلل بهذا (قوله وأما فى الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد عليه الصلاة والسلام الخ) هذا هو العبارة المشهورة فى الكتب ويرد عليه ان التصديق هو الحكم القلبى بان كل ما جاء به صلى الله عليه وسلم واقع وهو فيه صادق ولا يخفى ان هذا الامر كان حاصلا لاحبار اليهود العالمين بانه النبى الموعود فى التوراة كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم (٥٣) وقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى غير ذلك فوجب تفسيره بالتصديق مع التسليم أى الحكم بحقيقة ما جاء به النبى مع الرضا به أو تفسير التصديق بالتسليم والرضا القلبى بما جاء به النبى عليه الصلاة والسلام كما قاله الامام الغزالى قدس سره لقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما واعلم انه قال العلامة التفتازانى فى شرح المقاصد المذهب أن الايمان غير العلم والمعرفة لان من الكفار من يعرف الحق ولا يصدق به عنادا أو استكبارا فاحتيج الى الفرق بين العلم بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ومعرفته وبين التصديق به ليصح كون الاول حاصلا للمعاندين دون الثانى وكون الثانى ايمانا دون الاول فاقتصر بعضهم على ان ضد التصديق هو الانكار والاستكبار وضد المعرفة الجهالة والنكارة وفصل بعضهم زيادة تفصيل فقال التصديق عبارة عن ربط القلب بما علم من أخبار المخبر وهو أمر كسبى ثبت بالاختيار ولهذا يؤمر به ويثاب عليه بخلاف المعرفة فانها قد تحصل بلا اختيار كمن وقع بصره على جسم فحصل له معرفة أنه جدار أو حجر وحققه بعض المتأخرين زيادة تحقيق فقال المعتبر فى الايمان هو التصديق الاختيارى ومعناه نسبة الصدق الى المتكلم اختيارا أقول أما الاول ففيه نظر اذ المراد من المعرفة والعلم هو التصديق النفسى فيكونان أى العلم والتصديق متحدين ويكون ضد العلم الانكار كما انه هو ضد التصديق وأما الثانى والثالث فلزم منهما أن ينظر بالقصد والاختيار فى حقية دين محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم حصل له من النظر والكسب انه حق وصدق وفى قلبه عدم الرضا به والتسليم له أن يكون مؤمنا لانه حصل له التصديق الاختيارى مع انه كافر لعدم الرضا به ثم انه يلزم أيضا أن من حصل له التصديق بدون الاختيار واستمر له التصديق الى انقضاء حياته مع رضاه به وتسليمه لم يكن مؤمنا على ما ذكره اذ لم يحصل له التصديق الاختيارى اذ لا يمكن أن يحصل تصديق واحد باختيار وبغيره معا ولا يصح أن يحصل لواحد تصديقان بشئ واحد فى زمان واحد وهذا أمر وجدانى يجده كل ذى فطرة سليمة فالتحقيق ما قلنا ويمكن حمل كلام بعض المتأخرين وكذا ربط القلب الذى نقلناه على ما ذكرنا ثم انه يحتمل ان يقال التصديق المذكور وان لم يكن حدوثه أى حصوله أولا بالاختيار لكن استمراره ودوامه يكون بالاختيار وهذا يكفى ثم انه صرح فى شرح المقاصد بان المراد بتصديقه بما علم مجيئه به بالضرورة تصديقه بما اشتهر كونه من الدين بحيث تعلمه العامة من غير نظر واستدلال كوحدة الصانع وهذا هو المشهور وعليه الجمهور فان صدق أحد بالاعتقادات الدينية بالنظر والاستدلال فهو مصدق بما علم مجيئه بالضرورة بالمعنى المذكور وان كان التصديق حصل له بالنظر والاستدلال فتأمل (قوله ومجموع أمور ثلاثة الخ) فيه بحث لانه ان كان مراده ان أصل الايمان مجموع أمور

من حيث ان الواثق بالشئ صار ذا أمن منه ومنه ما آمنت أن أجد صحابة وكلا الوجهين حسن فى يؤمنون بالغيب وأما فى الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوّة والبعث والجزاء ومجموع ثلاثة أمور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور

ثلاثة حتى ان من أخل بواحد منها لم يكن مؤمنا أصلا بل كافرا فهو عند المحدثين ليس كذلك بل الايمان الكامل عندهم عبارة عن الامور الثلاثة وان كان مراده أن الايمان الكامل عندهم عبارة عن الامور الثلاثة فليس عند المعتزلة كذلك بل أصل الايمان عندهم عبارة عن الامور الثلاثة وأيضا لو كان المراد ذلك لم يترتب عليه التفريع المذكور كما لايخفى ومثل هذا البحث متوجه على عبارة شرحي المواقف والمقاصد ويمكن ان يجاب بان المراد ان ما يطلق عليه اسم الايمان أعم من أن يكون أصله أو كماله هو التصديق أو مجموع الامور الثلاثة على النحو المذكور فتأمل وههنا ابحاث عسى أن نوردها في رسالة مفردة ان شاء الله تعالى ثم ان في التفريع المذكور بحثا وهو انه لا يظهر من كون الايمان مجموع الامور الثلاثة ان من أخل بالاقرار كافر بل انما يعلم منه أن لا يكون مؤمنا ولا يلزم من عدم الايمان الكفر عند بعض أصحاب هذا المذهب والظاهر تبديل الفاء بلو او تفصيل الكلام ان ههنا احتمالات الاول أن تجعل الاعمال جزأ من حقيقة الايمان داخلة في قوامه حقيقة حتى يلزم من عدمها عدم أصل الايمان وهو مذهب المعتزلة الثاني أن تجعل أجزاء الايمان توسعا فلا يلزم من عدمها عدم الايمان كما يعد في العرف الشعر والظفر واليد والرجل أجزاء لزيد توسعا ومع ذلك لا يقال بانعدام زيد بانعدام هذه الاشياء وهذا هو مذهب السلف كما ورد في الحديث الصحيح الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق الثالث أن تجعل الاعمال خارجة عن الايمان لا تعد أجزاء له بوجه لا حقيقة ولا توسعا وهو مذهب الشيخ الاشعري ومن تبعه ولا فرق بين هذا المذهب وبين المذهب الثاني الا باطلاق الاجزاء على الاعمال توسعا على المذهب الثاني دون الثالث الرابع أن تجعل أعمال الجوارح نفس الايمان وهو مذهب الخوارج قال صاحب الحواشي قال العلامة النيسابوري ان للايمان وجودا في الاعيان ووجودا في الاذهان ووجودا في العبارة ولا ريب أن الوجود العيني لكل شئ هو الاصل وباقي الوجودات فرع وتابع فالوجود العيني للايمان هو النور الحاصل للقلب بسبب ارتفاع (٥٤) الحجاب بينه وبين الحق وهذا النور قابل للشدة والضعف والزيادة والنقص واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فكلما ارتفع الحجاب ازدادوا نورا وتقوى ويتم كامل الى أن ينبسط نوره فينشرح الصدر ويطلع على حقائق الاشياء وتتجلى له الغيوب وغيوب الغيوب ويعرف كل شئ في موضعه فيظهر له صدق وعطف

المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالاقرار فكافر ومن أخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه وتعالى أضاف الايمان إلى القلب فقال أولئك كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم

الانبياء عليهم السلام ولا سيما محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم على حسب نوره وأما الوجود الذهني فلا حظة المؤمن من هذا النور ومطالعته له وأما الوجود اللفظي فلاضافته ما اصطلح عليه الشارع شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ولا يخفى ان مجرد التلفظ بقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله من غير النور المذكور لا يفيد كما لا يفيد للعطشان التلفظ بالماء وفيه بحث لانه ان أراد بالنور الحاصل للقلب بسبب ارتفاع الحجاب عنه العلم والادراك فلا يصح انه وجود عيني ولا يستقيم تفريع تصديق النبي صلى الله عليه وسلم عليه اذ تصديقه جزء العلم المعتبر في الايمان فيكون متقدما على العلم المذكور لا متفرعا عليه وعلى تقدير ان يكون المعلوم من الموجودات الخارجية كانوا معه جمع كان ملاحظة المؤمن لهذا النور أيضا موجودا عينيا لا ذهنيا وان أراد به أمرا آخر فلا بد من بيانه ليتبين حاله اذ لم يظهر هناك سوى التصديق والاقرار والاعمال شئ آخر ولم ينقل عن السلف والخلف انه يعتبر في الايمان سوى المذكورات فيه حسب ما نقلوا آنفا ومن البين ان هذا النور ليس الاقرار ولا الاعمال ثم قوله لا يخفى الخ ان أراد بالنور الاذعان الذي هو قسم من العلم فقد عرفت انه لا يستقيم حمل النور في كلامه عليه وان أراد أمرا آخر فممنوع لان من أذعن بالجنان وأقر باللسان وعمل بالاركان فهو مؤمن بلا خلاف أقول يحتمل ان يكون مراد العلامة النيسابوري من النور المذكور هو التسليم والرضا الذي هو حقيقة الايمان كما هو مذهب الامام الغزالي كما بينا وهو ليس العلم والادراك اذ يوجد الادراك والعلم ولا يوجد الرضا فقوله اذ لم يظهر سوى التصديق والاقرار والاعمال شئ آخر ان أراد بالتصديق مجرد العلم فهو ليس ايمانا كما ذكرنا بل لا بد من الرضا والتسليم وان أراد به الرضا فلا نسلم انه علم بل هو موجود خارجي كالاخلاق الخارجية القائمة بالنفس على ما ذكرنا فظهر ان مجرد التلفظ بلا اله الا الله محمد رسول الله من غير النور المذكور لا يفيد (قوله والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه أضاف الايمان الى القلب الخ) لا يقال لعل المراد من الايمان في الآيات المذكورة المعنى اللغوي الذي هو التصديق لا الايمان بالمعنى المعتبر في الشرع لانه خلاف الظاهر

(قوله وعطف عليه العمل الصالح الخ) قد يقال لعل هذا من قبيل التخصيص بعد التعميم كما فى قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ويجاب بانه خلاف الظاهر فلا يصار اليه الا بدليل (قوله وقرنه بالمعاصى الخ) هذا يدل على خروج الاعمال عن الايمان ولا يدل على خروج الاقرار والمدعى انه التصديق وحده وهو يدل على خروجه (قوله فانه أقرب الى الاصل) أى مطلق التصديق وهو ظاهر (قوله وهو متعين الارادة فى الآية) أى كون الايمان بمعنى التصديق متعينا الارادة فى الآية للدليل المذكور وفيه بحث فانه قد تقرر ان ههنا ضمنيا تقدير يؤمنون معترفين بالغيب وعلى هذا لقائل أن يقول يمكن أن يكون المراد بالايمان الاعتراف والاقرار فانهما أيضا يتعديان بالباء والجواب ان غرضه دفع ان يكون الايمان مجموع الامور الثلاثة فيكون قوله المعدى بالباء هو التصديق فتصر اضافيا فاذا كان الباء للملابسة على ما سيجوزه المصنف يحتمل أيضا ان يكون مجموع الامور المذكورة والاولى أن يقال ان حمل يؤمنون على يعترفون مما لا يعبأ به لان مجرد الاعتراف بالغيب حاصل للمنافقين أيضا (قوله ثم اختلف فى ان مجرد التصديق هل هو كاف الخ) ان أرادان الذين قالوا بان الايمان هو التصديق وحده اختلفوا فهو باطل اذ بعد الحكم بان الايمان هو التصديق وحده كيف يقال بانه مجموع التصديق والاقرار وان أرادان أهل المذاهب المذكورة اختلفوا فى ذلك فلا يخفى ان كون الاقرار جزأ دون العمل ليس مذهبا لاحد من أهل المذاهب المذكورة بل هذا مذهب غيرهم والظاهر أن يقال الايمان هو التصديق وحده لكن الاقرار شرط للايمان لا جزء فيكون الايمان بسيطا الامر كما فتأمل واعلم ان كون الاقرار شرطا للايمان المنجى من خلود

وعطف عليه العمل الصالح فى مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصى فقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ايا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير فانه أقرب الى الاصل وهو متعين الارادة فى الآية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا فاتم اختلف فى ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود أم لابد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثانى لانه تعالى ذم المعاندا كثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع أن يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار للمتمكن منه والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة فى قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمى المطمئن من الارض والخصة التى تلى الكلية غيبا وفيعل خفف كقيل والمراد به الخفى الذى لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعنى بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر وأحواله وهو المراد به فى هذه الآية هذا اذا جعلته صلة للايمان وأوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن أو عن المؤمن به هو اختيار الشيخ أبى منصور والنصوص معاضدة لذلك انتهى كلامه ويمكن أن يقال مراده ان من قال بعدم اعتبار العمل فى الايمان اختلفوا فقال بعضهم ان الاقرار معتبر والبعض الآخر انه غير معتبر (قوله لانه تعالى الخ) أى لو كان العلم كافيا ولا حاجة الى انضمام الاقرار لم تذم المرتد أكثر من ذم الجاهل لان التصديق الذى هو الايمان حاصل له وتوضيحه ان عدم الاقرار من المعاند أقبح من عدم الاقرار من الجاهل المقصر فلهذا كان ذم المعاند أشد من ذم الجاهل (قوله وللمانع أن يمنع الخ) لك أن تقول لو كان الاقرار داخلا لم يذم المعاند أكثر من الجاهل لان المعاند حصل له التصديق الذى هو الجزء الاعظم على هذا التقدير بخلاف الجاهل فانه لم يحصل له الايمان كلا ولا بعضا ولو قال فتأمل لانه تعالى ذم المعاند لكان أولى وأما ما قال من أنه تعالى ذم المعاند أكثر ولانه تعالى قال فى شأن جملة أهل الكتاب ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وان هم الا يظنون فذمهم بعدم العلم وعدم معرفة الكتاب وقال فى شأن أحبار اليهود وعلمائهم فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم الآية فكرر الويل عليهم وأيضا القائل أن يقول بعد الاغماض عما ذكر لا تدل كثرة الذم على اعتبار الاقرار فى الايمان اذ يجوز أن يكون ذمه بسبب شئ آخر غير داخل فى الايمان ألا ترى ان ذم القائل أشد من ذم صاحب الصغيرة (قوله وهو المراد فى هذه الآية) لا يقال القسم الأول أيضا مراد لان المتقين يؤمنون بالغيب المراد من قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو لانا نقول الايمان به بطريق الاجمال وهو بهذا الوجه الاجمالى مما نصب عليه دليل اذ هو مستفاد من الآية والحديث فهو بهذا الوجه داخل فى هذا القسم والقسم الاول هو اعتباره

العذاب مذهب ضعيف قال العلامة التفتازانى فى شرح العقائد ذهب جمهور المحققين الى ان الايمان هو التصديق بالقلب وانما الاقرار شرط لاجراء الاحكام فى الدنيا لان تصديق القلب أمر باطنى لا يدله من علامة فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن عند الله تعالى وان لم يكن مؤمنا فى أحكام الدنيا وهذا

على وجه مفصل تفصيلا (قوله والذى لا اله غيره الخ) ما نقله لا يظهر ادعاءه الا بما حلفه من أول كلام ابن مسعود وذكره صاحب الكشاف وهو ان ابن مسعود قال ان أمر محمد كان بيننا لمن رآه والذى لا اله غيره ما آمن أحد الخ ففيه دلالة على أن المراد المؤمن به وهو النبى عليه السلام قال العلامة الطيبى معنى هذا الحديث مخرج فى سنن الدارمى عن أبى عبيدة بن الجراح قال يارسول الله أحد خير منا أسلمنا وجاهدنا معك قال نعم قوم يكونون بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى (قوله فالباء على الاول للتعدية الخ) يعنى اذا جعل الغيب بمعنى الامور المغيبة التى نصب عليها ما ذكر أولا فهو للتعدية وان جعل بمعنى الغيبة والخفاء كانت الباء للملابسة وان كان المراد منه القلب كانت للآلة لان القلب آلة الايمان (قوله من أقام العود الخ) قال الشريف العلامة القيام فى اللغة هو الانتصاب والاقامة افعال منه والهمزة للتعدية فمعنى اقام الشئ جعله قائما أى منتصبا ثم قيل أقام العود اذا قوّمه أى سوّاه وأزال اعوجاجه فصار قويما يشبه القائم ثم استعيرت الاقامة من تسوية الاجسام التى صارت حقيقة فيها للتسوية المعانى كتعديل أركان الصلاة على ماهو حقها وانما يجعل استعارتها من تحصيل القيام فى الاجسام بل من تسويتها رعاية لزيادة المناسبة بين المعانى أقول توضيحه أن يقال ان بين التسويتين زيادة مناسبة لا تكون بين التسوية فى المعانى وبين تحصيل القيام ثم نقول فان قلت لا مشابهة بين تسوية المعانى وبين تسوية الجسم فكيف يستعار من احداهما للاخرى قلت بينهما مشابهة من حيث ان تسوية الجسم توجب كون أجزائه مشتركة فى صفة واحدة هى الوضع وكونها فى سمت واحد وتسوية الصلاة توجب كون أجزائها على صفة واحدة هى كون كل منهما على ما ينبغى فالمشابهة باعتبار صفة واحدة مشتركة

بين المعنيين هى كون كل جزء مشاركا للاجزاء الأخر فى صفة واحدة

(قوله فانه اذا حوفظ عليها الخ) يعنى ان الاقامة كانت بمعنى جعل الشئ نافقا ثم استعيرت للمواظبة والمداومة على الشئ فعلاقة المشابهة وهى كون كل منهما مستلزما للرغبة فى الشئ فان المداومة على الشئ والمحافظة عليه توجب الرغبة كما ان جعله نافقا كذلك وكون هذا النقل استعارة مفهوم من قوله فانه اذا حوفظ عليها عن كانت كالنافق الخ ويمكن أن يكون النقل بطريق المجاز المرسل بان نقل الاقامة من جعل الشئ نافقا الى المداومة اللازمة فان انفاق الشئ يستلزم المداومة عليه وقال الشريف العلامة نفاق السوق كانتصاب الشخص فى حسن الحال والظهور التام فاستعمل القيام فيه والاقامة فى انفاقها أى جعلها نافقة ثم استعيرت منه للمداومة على الشئ وأورد عليه ان هذه المشابهة خفية جدا وأيضا الاصل أعنى قام السوق مجاز والتجوز عنه ضعيف ودفع الاول بالحمل على المجاز المرسل بعلاقة اللزوم فان الانفاق يستلزم المداومة فتكون الاستعارة فى قوله ثم استعيرت محمولة على المعنى اللغوى فتأمّل والثانى بانه صار بمنزلة الحقيقة واعلم أنه اذا كان الاقامة بمعنى المواظبة فلابد من لفظة على فيكون حق العبارة أن يقال ويقيمون على الصلاة الا أن يقال ان ههنا توسعا بحذف لفظة على (قوله أقامت غزالة الخ) غزالة اسم امرأة شبيب الخارجى لما قتله الحجاج خرجت عليه وحاربته سنة كاملة وسوق الضراب سوق المضاربة بالسيوف والعراقان البصرة والكوفة والقسط التام (قوله أو يتشمرون لادائها الخ) قال الشريف العلامة قام بالامر اجتهد فى تحصيله وتجلد فيه بلا توان وحقيقته قام ملتبسا بالامر والقيام له يدل على الاعتناء بشأنه ويلزمه التجلد والتشمر فاطلق القيام على لازمه واعترض عليه بأن الاقامة اذا كانت مأخوذة مما ذكر كان معناها على قياس التعدية جعل الصلاة متجلدة متشمرة لا كون المصلى متشمرا فى أدائها كما ذكره وأيضا القيام يناسب التشمر لا الاقامة كما أن القعود يناسب الكسل لا الاقعاد أقول اذا عرفت ذلك ظهر أن قول المصنف وأقامه حيث قال من قولهم قام بالأمر وأقامه منظور فيه لان ظاهر عبارته تدل على ان معنى قام بالامر وأقامه واحد وليس كذلك لان الباء فى قام بالشئ ليست للتعدية فلا يكون بمعنى اقامه وأيضا اقامة الامر ليست بمعنى التجلد فيه

لما روى أن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال والذى لا اله غيره ما آمن أحد أفضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثانى للمصاحبة وعلى الثالث للآلة (ويقيمون الصلاة) أى يعدلون أركانها ويحفظونها من أن يقع زيغ فى أفعالها من أقام العود اذا قوّمه أو يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت وأقمتها اذا جعلتها نافقة قال

أقامت غزالة سوق الضراب * لاهل العراقين حولا قطيطا

فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذى يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه أو يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر وأقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد

(قوله أو يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام الخ) ان أراد انه أطلق الاقامة وأريد بها أداء الصلاة لزم تكرار لفظ الصلاة وان أريد انه أطلق الاقامة وأريد به مطلق الاداء لزم أن لا يكون لقوله لاشتمالها على القيام تعريف للمقام وتوضيح الكلام ان الكلام في أن الاقامة بای معنى ههنا وليس الكلام في اقامة الصلاة يعني هذا التركيب الاضافي ولا في مجموع يقيمون الصلاة وانما الكلام في مجرد لفظ الاقامة فاذا قيل استعمل الاقامة في الأداء فلا وجه لان يقال في تعليله لاشتمالها على القيام بل ينبغي أن يقال ان اقامة الشئ تحصيل حال من أحواله الذي هو القيام فاستعمل في الاداء الذي هو أيضا تحصيل حال من الأحوال وهو تحصيل الوجود قال صاحب الكشاف في بعض توجيهاته لاقامة الصلاة عبر عن الأداء بالاقامة لان القيام بعض أركانها وقال الشريف العلامة ان أراد أن القيام يطلق على الصلاة لكونه بعض أركانها ويؤخذ منه ان الاقامة ورد عليه ان الهمزة وان جعلت للتعدية كان معنى اقامة الصلاة جعلها مصلية وان جعلت للصيرورة كان معنى أقام صار ذا صلاة فلا يصح ذكر الصلاة معه لانه يجعلها مفعولا مطلقا والكل مما لا يرتضيه طبع سليم وان أراد أن القيام لما كان ركنا منها كان فعله وايجاده مركنا لها أيضا توجه عليه ان ركنها فعل القيام بمعنى تحصيل هيئة القيام في المصلي حال الصلاة لا بمعنى تحصيلها في الصلاة وجعلها قائمة فان قيل لعله أراد أن القيام جزء منها فيكون ايجاده أي الاقامة جزأ من ايجاده جميع أجزائها الذي هو أداؤها فعبر عن أدائها بجزئه قلت فمعنى يقيمون حينئذ يؤدون الصلاة فيحتاج في ذكر الصلاة معه الى ارتكاب كونها مفعولا مطلقا ولا اشكال في استعمال قنت أو ركع أو سجد أو سبح بمعنى صلى اذ لا يذكر معها الصلاة واعترض عليه صاحب الحواشي بانه من البين ان ايجاد ركن الشئ لا يلزم أن يكون ركنا له ولو لزم ذلك يكون ايجاد ايجاده ركنا وكذا ايجاد ايجاد ايجاده وهلم جرا فيلزم أن يكون له أركان غير متناهية أقول لا يرد شئ مما ذكر على الشريف العلامة اذ لم يرتض بالاحتمالات المذكورة بل ذكر الوجوه المحتملة وردها ثم ان الايجاد ليس موجودا حتى يكون له ايجاد آخر (٥٧) ولو كان للايجاد ايجاد آخر تعلى ما ذكره المحشي لزم من ايجاد شئ وجود أمور غير متناهية وفي كلام العلامة مناقشة اما أولا فلان ما ذكره من الترديد انما يتوجه اذا كانت الاقامة المذكورة في

عن الامر وتقاعد أو يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول أظهر لانها أشهر وأنى والحقيقة أقرب وأفيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحفظ وقتها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلاة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلاة فعلة من صلى اذا دعا كالزكاة من زكى كتبتا بالواو

(٨ - (بيضاوي) - اول)

الآية بالمعنى الحقيق أما اذا كانت بمعنى الاداء على ما صرح به صاحب الكشاف فلا يتوجه ما ذكر كما لا يخفى والحق ان معنى كلام الكشاف ما ذكره بقوله فان قيل الخ وأما ثانيا فمن جهة أنه اذا كان يقيمون بمعنى يؤدون الصلاة لم تكن الصلاة مفعولا مطلقا بل تابع تأديتها لأن مصدر الفعل المذكور هو يقيمون هو التأدية لا الصلاة الا أن يقال ههنا مضاف مقدر أي تأدية الصلاة وقال بعضهم ان الاقامة تستعمل بمعنى جعل الشئ قائما في الخارج أي حاصلا فيه فان القيام بمعنى الحصول في الخارج شائع الاستعمال ومنه القيوم وهو الحاصل بنفسه المحصل لغيره (قوله والأول أظهر لأنه أشهر والى الحقيقة أقرب الخ) قد يقال كونه أشهر ظاهر وأما كونه أقرب من المعنى الثاني فلثبوت واسطة بينه وبين المعنى الحقيقي وهو الانفاق لأن الاقامة حقيقة جعل الشئ قائما ثم استعمل بمعنى الانفاق ثم جعل بمعنى المداومة كما مر في كلام الشريف العلامة واما كونه أقرب من المعنى الثاني أو الثالث فلان المعنى الحقيقي للقيام بالشئ والانتصاب بدل على الاعتناء المستلزم للجد فاستعمل الاقامة بمعنى صيرورة الشخص مجدا في تحصيل شئ وأما كونه أقرب من المعنى الرابع فلان مضمونه ان الاقامة نقلت عن المعنى الحقيقي الذي محصله الانتصاب الى جعل الشئ مشتملا على القيام ثم جعل بمعنى أداء الصلاة لاشتمالها على القيام وفيما ذكر نظر لثبوت الواسطة بين المعنى الأول الذي هو التسوية بين أجزاء المعاني و بين المعنى الحقيقي الذي هو جعل الشئ قائما كما ذكره الشريف العلامة الا أن يقال ان تقويم اجزاء الجسم معنى حقيقي للاقامة كما هو ظاهر كلام المصنف رحمه الله تعالى وحينئذ انتفت الواسطة المذكورة والأولى أن يقال ان المراد من كونه أقرب كونه أنسب الى المعنى الحقيقي اذ بين تسوية الاركان وتعديلها و بين جعل الشئ منتصبا المعنى الحقيقي الذي فيه نوع تسوية من المناسبة ما ليس بين واحد من المعاني الباقية و بين المعنى الحقيقي فتأمل في هذا المقام فانه لا يخلو عن اشكال وابهام (قوله ولذلك ذكر في سياق المدح الخ) هذا لا يدل على ما ادعاه من أن حمل الاقامة على المعنى الأول أولى اذ يمكن أن تكون الاقامة في قوله والمقيمين الصلاة بمعنى المواظبة والمداومة والساهون عن الصلاة على ما فسره ابن عباس هم المنافقون الذين

يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلونها اذا حضروها وعلى هذا كان السهو بمعنى الترك فالمقابل له الاقامة بمعنى الدوام نعم اذا فسر السهو بمعنى ترك الخشوع فى معرض الذم كان المناسب أن تكون الاقامة بمعنى التعديل المستلزم للخشوع ثم نقول لا يخفى ان الموجب للمدح هو المعنى الاول الذى هو التعديل والمعنى الثانى الذى هو المراظبة أو الاداء مالم يقرن التعديل بهما لم يوجب المدح (قوله على لفظ المفخم) بكسر الخاء من التفخيم وهو ههنا مقابلة الالف الى مخرج الواو والاضد الامالة بمعنى تركها والاضد الترقيق بمعنى اخراج اللام من أسفل اللسان كذا ذكره العلامة التفتازانى فيكون معنى قوله على لفظ المفخم على لفظ من فخم اللام (قوله واشتهاره هذا اللفظ فى المعنى الثانى الخ) يعنى اشتهار لفظ الصلاة فى المعنى الثانى وهو الاركان المخصوصة مع عدم اشتهاره فى المعنى الاول هو تحريك الصلوين لا يضر بان يكون المعنى الثانى منقولا عن الاول اذ كثيرا ما يكون المنقول اليه أشهر من المنقول عنه (قوله وانما سمى الداعى مصليا تشبيها له بالراكع الساجد) يرد عليه ان الصلاة بمعنى الدعاء شائع فى أشعار العرب قبل ورود الشرع ومعرفة الاركان المخصوصة للصلاة وأيضا لزم على ماذكره صاحب الكشاف اشتقاق الفعل من غير الحدث وهو قليل فالاولى ماذكره المصنف وهو جعل الصلاة فى الاصل بمعنى الدعاء (قوله ألا ترى الخ) ما قاله المصنف عند التحرير دليلان على ان الحرام ليس برزق لكنه ما حرر حق التحرير وينبغى أن يقال ألا يرى أنه تعالى أسند الرزق ههنا الى نفسه والحرام لا يستأهل أن يضاف الى الله تعالى فانه تعالى مدحهم بانهم ينفقون ولا مدح على انفاق الحرام (قوله وأصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض فغير ظاهر ولك أن تقول بل التحريض عليه انما يفهم من المدح ويمكن توجيهه بان الرزق والانفاق مشتركان فى انهما مصرف الشئ الى الغير فاذا ظهر ان الرزق صفة كمال اذ كان منسوبا اليه تعالى كان الانفاق أيضا كذلك أى صفة كمال فتأمل (قوله واللام) أى جعلوا ذم المشركين (قوله واختصاص مارزقناهم بالحلال للقرينة) أى لقرينة المدح ويمكن أن يقال معناه بعض مارزقناهم

على لفظ المفخم وانما سمى الفعل المخصوص بهما لاشتماله على الدعاء وقيل أصل صلى حرك الصلوين لان المصلى يفعله فى ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ فى المعنى الثانى مع عدم اشتهاره فى الاول لا يقدح فى نقله عنه وانما سمى الداعى مصليا تشبيها له فى تخشعه بالراكع الساجد (ومما رزقناهم ينفقون) الرزق فى اللغة الحظ قال تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشئ بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه وأما المعتزلة لما استحالوا على الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق ألا ترى انه تعالى أسند الرزق ههنا الى نفسه اذا ما بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض مارزقهم الله تعالى بقوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وأصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم مالم يحرم واختصاص مارزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا الشمول الرزق له بقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث عمر بن قرة

لقد

ينفقون ويكون هذا البعض الرزق الحلال وقال الشريف العلامة والرزق فى الاصل مصدر بمعنى اخراج حظ الى آخر ينتفع به وشاع استعماله فى اعطاء الله تعالى الحيوان ما ينتفع به ويستعمل بمعنى المرزوق فتارة يراد به ما أعطى الله غيره ومكنه من التصرف فيه وبهذا المعنى يمكن أن ينفق بعضه أو كله وأخرى يراد به ما هو لفواميه وبقائه خاصة فلا يتصور فيه انفاق قال صاحب الحواشى فان قلت المراد من المرزوق أهو العبد أو الحظ المذكور قلت بل هو الحظ المذكور كما صرح به المحشى العلامة وتحقيق ذلك انه اذا لم يعتبر فى المصدر أن يكون متعلقه أمرا مخصوصا كالضرب كانت الذات المعتبرة فى الصفة المشتقة منه مبهما معلوما بتعلق ذلك الحدث لا بوجه آخر كالضارب والمضروب فان معناهما على ماذهب اليه النحاة ما له الضرب وما عليه الضرب واذا اعتبر فيه أن يكون متعلقه أمرا مخصوصا سواء كان ذلك الامر فاعلا للمصدر كالصرم الذى هو قطع السيف والفيض الذى هو كثرة الماء أو مفعولا كالسفك الذى هو اهراق الدم والرزق الذى هو اخراج الحظ كانت الذات المعتبرة فى الصفة المشتقة منه هو هذا الامر المخصوص معلوما بتعلق ذلك الحدث به فاعلا لها ان كان فاعلا للمصدر ومفعولا لها ان كان مفعولا له ففى الصارم والفياض السيف القاطع والماء الكثير ومعنى المفعول والمرزوق الدم المهراق والحظ المخرج أقول ولو سلم ما ذكره على اطلاقه من أنه اذا اعتبر فى المصدر أن يكون متعلقه أمرا مخصوصا كانت الذات المعتبرة فى الصفة المشتقة منه هو هذا الامر المخصوص الخ لزم أن

تكون الذات المعتبرة فى الرازق هو الحظ فيكون معنى الرازق هو الحظ الذى تعلق به الاخراج وهو باطل ويمكن أن يقال مراده التفصيل بان يقال ان كان الامر المخصوص والمعتبر فى المصدر الفاعل كان الذات المعتبر فى اسم الفاعل هو ذلك الامر وان كان المفعول كان المعتبر فى اسم المفعول هو ذلك الامر دون اسم الفاعل ثم انه قد عرف النحاة الصفة بما يدل على ذات مبهمة باعتبار معنى معين وهذا التعريف يدل على أن كل صفة كذلك لا يستثنى منه شئ وأما تفسيرهم الصارم بالسيف القاطع والفياض بالماء الكثير فلان معنى الصارم فى الاصل الشئ الذى ثبت له الصرم الذى هو قطع السيف ولما كان الشئ المذكور لا يكون الا السيف اذ قطع السيف لا يثبت الا له قصروا المسافة وقالوا الصارم السيف القاطع فعبر به عن مآل المعنى وأيضا الفياض الشئ الذى له كثرة الماء نظرا الى أصله فعبر عما يؤل اليه المعنى وقالوا هو الماء الكثير اختصارا واعلم أن الظاهر ان المرزوق هو الشخص الذى وصل اليه الرزق لا نفس الحظ لانه اذا كان الرزق اخراج الحظ كان الرازق مخرج الحظ بكسر الراء والمرزوق مخرج الحظ بفتح الراء أى شئ مخرج حظه اليه واعلم انه قال الرضى الاقرب فى رسم المفعول به أن يقال هو ما يصح أن يعبر عنه باسم مفعول غير مقيد مصوغ عن عامله ثم قال وباب أعطيت زيدا درهما وكسوت زيدا جبة متعد الى مفعولين حقيقة لكن أولهما مفعول هذا الفعل الظاهر أى زيد فى قولك كسوت زيدا جبة وأعطيت زيدا جبة مكسو ومعطى وثانيهما مفعول مطاوع هذا الفعل اذ الجبة مكساة ومعطاة أى مأخوذة انتهى كلامه وعلى قياس ماذكره يكون المرزوق فى مثل رزق الله زيدا مالا هو زيد ويكون

المال مفعولا لفعل مستفاد من الكلام كما أن المفعول الثانى لاعطيت كذلك فتأمل (قوله لقول الله تعالى وما من دابة فى الارض الخ) لهم أن يقولوا لا يلزم مما ذكر أن يكون الحرام رزقا نعم يلزم من الآية ان لا يكون فى العالم شخص مغتذيا بالحرام طول عمره والجزم بوجوده غير محقق نعم لو ثبت وجود شخص كذلك ثبت ماذكروه

لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذى به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وأنفق الشئ وأنفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال فى سبيل الخير من الفرض والنفل ومن فسره بالزكاة ذكر أفضل أنواعه والاصل فيه أو خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به وللمحافظة على رؤس الآى وادخال من التبعيضية عليه لمنع المكلف عن الاسراف المنهى عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التى آتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من أنوار المعرفة يفيضون (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم فى جملة المتقين دخول اخصين تحت أعم اذ المراد باؤلئك الذين آمنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما

(قوله ذكر أفضل أنواعه والاصل فيه) كون الزكاة أفضل أنواع الانفاق لأن الافضلية باعتبار أكثرية الثواب فان ثواب الفرض أكثر من ثواب النفل وأما كون الزكاة أصلا فى الانفاق فباعتبار أن الزكاة من اصول الاسلام بخلاف سائر أنواع الانفاقات فانها من الفروع (قوله للاهتمام) قال صاحب الكشاف قدم مفعول الفعل دلالة على كونه اسما كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وقال الشريف العلامة أما كونه أهم فلقصد معنى الاختصاص مع رعاية الفاصلة لا يقال ادخال من التبعيضية يغنى عن التقديم للتخصيص فان انفاق البعض يتبادر منه عدم الشمول لانا نقول اذا لم يقدم يحتمل الشمول على انه محتمل مرجوح فاذا قدم زال احتماله بالكلية يرشد الى ذلك الفرق بين قولك أنفق زيد بعض ماله وبعض ماله أنفق أقول فان قيل يفهم من كلامه أن المراد من الاهتمام الاهتمام بالتقديم لا الاهتمام بنفس المفعول لان التخصيص انما يستفاد من التقديم وظاهر كلام الكشاف أن المفعول قدم للاهتمام به أى بالمفعول قلنا جعل العلامة معنى كلام الكشاف انه قدم المفعول دلالة على كونه أى التقديم أهم (قوله ويؤيده قوله عليه السلام الخ) لا يخفى أن الحديث دال على انه ينبغى أن يصل نفع العلم الى الغير بالتعليم وأما كون التعليم انفاقا فلا يظهر دلالة الحديث عليه وتوجيهه أن ايصال النفع بالتعليم لما كان شبيها بالانفاق الحقيقى كان هذا مؤيدا لاحتمال ان يراد بالانفاق ما هو شامل للتعليم مجازا (قوله واليه ذهب من قال الخ) لا يخفى أن مذهب هذا الذاهب بحسب الظاهر ان المراد من الرزق أنوار المعرفة لا ما يعم جميع النعم الظاهرة والباطنة على ما فهم من كلام المصنف ويمكن أن يقال مراد الذاهب المذكور انهم ينفقون مما رزقناهم من أنوار المعرفة وغيرها لكنه

خصص الانوار بالذكر لشرفها (قوله وكانه قال هدى للمتقين عن الشرك الخ) جواب دخل مقدر وهو أن يقال الذين يؤمنون بما أنزل اليك الآية داخل فى المتقين فكيف يعطف عليه فاجاب بان المراد بالمتقين المتقون عن الشرك فلا يدخل الذين آمنوا من أهل الكتاب فيهم وحينئذ لقائل أن يقول هم أيضا متقون عن الشرك والجواب ان الذى فهم من كلامه أن المراد من المتقين عن الشرك الذين كانوا مشركين ثم يتقون ولقائل ان يقول أهل الكتاب داخلون فى المشركين لما سيجىء فى كلام المصنف فى تفسير قوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا الى قوله وما كان من المشركين ان هذا تعريض بأنهم مشركون فتأمل (قوله ويحتمل أن يراد بهم الاولون الخ) قال الشريف العلامة رجح هذا الاحتمال على الاول بان الايمان بالقولين مشترك بين المؤمنين قاطبة فلا وجه لتخصيصه بمن آمن به من أهل الكتاب ولا دلالة للافراد بالذكر فى الآية على ان الايمان بكل منهما بطريق الاستقلال ألا يرى الى قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم فقد أفرد فيه الكتب المنزلة من قبل ولم يقتض الايمان بكل منها على الانفراد و بان ماذكره فى تقديم بالآخرة و بناء يوقنون على هم انما يقع موقعه اذا عم المؤمنين والا أوهم نفيه عن الطائفة الاولى و بان أهل الكتاب لم يكونوا مؤمنين بجميع ما أنزل من قبل فان اليهود لم يؤمنوا بالانجيل واعترض صاحب الحواشى بان الايمان بالمنزلين وان كان مشتركا بين المؤمنين قاطبة لكن من آمن من أهل الكتاب قد آمن بالمنزل السابق مرتين مرة فى ضمن الايمان بما أنزل على محمد ومرة قبل الايمان بما أنزل اليه وسائر المؤمنين قد آمن به مرة واحدة فى ضمن الايمان بما أنزل على محمد ولا يخفى أن ظاهر قوله تعالى والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يدل على الايمان بالمنزل السابق مرتين كما هو حال من آمن من أهل الكتاب وماذكره من ان قوله تعالى قولوا آمنا بالله لا يقتضى الايمان بكل منهما على الانفراد لا ينافى ماذكرنا فانه يدل على انهم كلفوا بان يقولوا بالايمان بكل منهما أى بما أنزل عليهم و بما أنزل على ابراهيم أيضا فلا يقتضى الايمان بكل منهما على الانفراد بل يقتضى بظاهره القول بالايمان بكل منهما أقول لو سلمنا ان قوله تعالى والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يدل على وجود الايمان بما أنزل من قبل مرتين فلا نسلم انما انه مختص باهل الكتاب بل على كل مؤمن ان يؤمن بما أنزل من قبل مرة فى ضمن الايمان بالقرآن ومرة بالايمان بما أنزل من قبل مستقلا لأن الايمان تصديق النبى عليه الصلاة والسلام فيما علم مجيئه به بالضرورة اجمالا ان علم اجمالا وتفصيلا ان علم تفصيلا ومجيئه عليه السلام بكل ما أنزل من قبل حقا مما علم تفصيلا يجب التصديق به استقلالا لا بمجرد التصديق بالقرآن فمن آمن بالقرآن فقد آمن اجمالا بحقيقة الكتب المنزلة من قبل ثم اذا آمن بما أنزل من قبل كان مؤمنا به على الانفراد وقد اعترض على قول الشريف العلامة وهو أن أهل الكتاب لم يكونوا مؤمنين بجميع ما أنزل من قبل فان اليهود لم يؤمنوا بالانجيل بانه انما يرد لو حمل ما فى قوله و بما أنزل من قبل على الكتب السابقة على الاستغراق لكن يجوز حملها على الجنس و يمكن أن يجاب بان المدح انما هو بالايمان بجميع الكتب السابقة لا بالايمان بالبعض وانكار البعض لان من أنكر البعض كان كافرا والكافر لا يستحق المدح بل يستحق الذم لكن قوله تعالى يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك فى مقام المدح فى الايمان بكل منهما واعلم ان هذا الوجه أولى الوجوه المذكورة أما كونه أولى من الوجهين المتقدمين فلانه على تقديرهما يكون المؤمنون الذين لم يتدنسوا بالشرك ولم يكونوا من أهل الكتاب خارجين عن القسمين المذكورين وأما عن الوجه الرابع فلانها فى شرف أهل الكتاب على من سواهم (قوله ووسط العاطف الخ) قال الشريف العلامة عطف بعض الصفات على بعض كثير فى الكلام بناء على تغاير المفهومات وان كانت متحدة فى الذات و يكون بالواو وغيرها على ما يقصد بها من معانى الحروف العاطفة والقرم السيد وأصله الفحل المكرم الذى لا يحمل عليه والهمام العظيم الهمة وهو من أسماء الملوك وليث الكتيبة أى الجيش ماذل بمعنى الصفة والمزدحم موضع الازدحام وهو المعركة (قوله يالهف ذئابة) هو أبو الشاعر لان الشعر لابن ذئابة فى جواب حارث بن تمام الشيبانى أى ياحسرة أبى لأجل هذا الرجل فيما حصل له من المراد والاتصاف بهذه الصفات

أو على المتقين وكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من أهل الملل و يحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط فى قوله

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم

وقوله يالهف ذئابة للحارث الـ * ـصائح فالغانم فالآيب

على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية و بين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين أو طائفة منهم وهم مؤمنو أهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشأنهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشئ من الاعلى الى الاسفل وهو

والصالح الذى يصيح على العدو والفاء للترتيب فى الاتصاف (قوله انما يلحق المعانى) أى الاعراض بتوسط الذوات الحاملة أما هذا فيدل على انه يمكن أن يكون لانزال الكتاب طريق آخر غير ماذكره بقوله لعل الحق بان يستمر صوت نازل من أعلى الى أسفل مع حامله فتأمل ثم انه يمكن أن يكون نزوله بطريق آخر بان يخلق الله صوتا فى جسم فيسمعه الملك فيسند الانزال الحاصل للملك الى الوحى المحمول له بطريق المجاز العقلى (قوله وانما عبر عنه بصيغة الماضى) قال الشريف العلامة ذكر للتعبير عن الماضى والمترقب بصيغة المضى وجهين أحدهما تغليب ماوجد نزوله على مالم يوجد وتحقيقه أن انزال جميع القرآن معنى واحد يشتمل على ماحققه صيغة الماضى وعلى ماحققه صيغة المستقبل فعبر عنهما بصيغة الماضى ولم يعكس تغليبا للموجود على مالم يوجد فذلك من قبيل اطلاق اسم الجزء على الكل والثانى تشبيه مجموع المنزل وغير المنزل بشئ نزل فى تحقق النزول لان بعضه نازل و بعضه منتظر سينزل قطعا فيصير انزال مجموعه مشبها بانزال ذلك الشئ الذى نزل فيستعار صيغة الماضى التى هى أنزل لانزال المجموع وقد اضمحل بما فصلناه مايتوهم من لزوم الجمع بين الحقيقة والمجاز فى كل واحد من الوجهين ولايشتبه عليك ان المجاز المرسل والاستعارة المذكورين متعلقان بصيغة أنزل وحدها بلاعتبار لمادته أقول لابد أن يقال فى اتمام كلامه ان معنى أنزل فيما أنزل اليك تحقق انزاله أى تحقق فى علم الله تعالى أوفى نفس الامر انزاله فى زمان من الازمنة وهذا معنى مشترك بين المنزل بالفعل و بين ماهو بصدده ثم انه لايخفى أن المجاز المرسل والاستعارة فيما من المجاز اللغوى الذى هو اللفظ المستعمل فى غير ماوضع له فان كان التجوز فى مجرد صيغة أنزل بلاعتبار المادة كما ذكره لزم أن لايكون مجازا مرسلا ولااستعارة لأن الصيغة كما صرح به شارح المطالع والشريف (٦١) العلامة فى حاشية ذلك الشرح ليست بموضوعة فلم تكن لفظا فكيف يجرى المجاز المرسل والاستعارة فيه الا أن يكون المراد انهما شبيهان بالاستعارة والمجاز المرسل باعتبار العلاقة واعتبار الطريق المذكور فيه دقة ومبالغة و يمكن أيضا أن يكون المراد بما أنزل اليك ماأنزل اليه حقيقة وهو بعض القرآن من غير نظر

انما يلحق المعانى بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به فيبلغه الى الرسول والمراد بما أنزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضى وان كان بعضه منتظرا تغليبا للموجود على مالم يوجد أو تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى اناسمعنا كتابا أنزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما أنزل من قبلك التوراة والانجيل وسائر الكتب السابقة والايمان بها جملة فرض عين و بالتفاصيل دون الثانى تفصيلا من حيث انها متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل أحد يوجب الحرج وفساد المعاش (و بالآخرة هم يوقنون) أى يوقنون ايقانا مازال معهما كانوا عليه من ان الجنة لايدخلها الا من كان هودا أو نصارى وان النار لن تمسهم الا أياما معدودة واختلافهم فى نعيم الجنة أهو من جنس نعيم الدنيا أوغيره وفى دوامه وانقطاعه وفى تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض لمن عداهم

الى ماسينزل وهذا معنى صحيح (قوله ولكن على الكفاية) أى لابد فى مسافة القصر من شخص يعلم ذلك و يحصل به الكفاية والا لكان كل من قدر على تعلمه ولم يتعلم آثما (قوله أى يوقنون ايقانا الخ) غرضه ان حصر الايقان عليهم أى على أهل الكتاب ليس مطلقا بل المراد أن الايقان الخاص الذى هو مأذكر منحصر (قوله وفى تقديم بالآخرة و بناء يوقنون على هم الخ) فان قيل تقديم بالآخرة يفهم انهم يوقنون بالآخرة لا بغيرها فلا يكون فيه تعريض لغيرهم قلت مراده أن مجموع الامرين المذكورين يدل على ان الحصر اضافى أى هم لاغيرهم من اليهود يوقنون بالآخرة على ماهى عليه بعد ماعتقدوها على النحو الذى زعم غيرهم من اليهود وليس غيرهم من اليهود كذلك فيكون تعريضا بمن سواهم من اليهود من وجهين أحدهما انهم لايوقنون بالآخرة الحقيقية والثانى انهم يعتقدون الآخرة على خلافها وهذا يستفاد من تقديم الظرف والاول من بناء الفعل على هم (قوله تعريض بمن عداهم) يدل على ان الحصر ليس بالنسبة الى غيرهم مطلقا بل بالنسبة الى من عداهم من أهل الكتاب واعلم أن قوله تعالى و بالآخرة هم يوقنون يدل على حصر الايقان بالآخرة على مؤمنى أهل الكتاب على تقدير أن يكون المراد من الذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك أهل الكتاب فاما أن يكون الحصر باعتبار تفسير الايقان بالايقان الخاص المذكور فيكون الحصر بالنسبة الى من سواهم مطلقا فيكون حقيقيا فيكون قوله من أهل الكتاب مستدركا بل موهما خلاف الواقع واما أن يكون الحصر بالاضافة الى من سواهم من أهل الكتاب و يكون المراد من الايقان بالآخرة مطلقه لكن تفسيره الايقان بما ذكر يفيد ان القصر حقيقى لان تفسير المذكور مخصوص بمؤمنيهم لا بوجود فى غيرهم مطلقا و يمكن أن يقال ان قوله تعريض يفيد ان الحصر الاضافى مقصود وان كان القصر الحقيقى حاصلا ولايخفى ان التعريض بمن سواهم من

أهل الكتاب انما يتجه اذا كان المراد من الذين يؤمنون بما أنزل اليك مؤمني أهل الكتاب وأما اذا كان المراد مطلق المؤمنين كان تعريضا بمن سواهم مطلقا (قوله وبان اعتقادهم الخ) هو المقصود من التعريض بأهل الكتاب فهو كما يقال أعجبني زيد وعلمه (قوله ولا العلوم الضرورية) فيه نظر فانهم عرفوا اليقين بالاعتقاد الجازم الثابت أي الذي لا يزول بتشكيك المشكك المطابق للواقع وهذا شامل للضروري بل هم قسموا العلم الى قسمين التصور واليقين ولا شك ان القضايا الضرورية علوم وليست بتصورات فتكون داخلة في اليقين نعم اليقين هو العلم المتيقن بالبعد عن الشك والشبهة وأما انه لابد أن يكون بعده عنهما بالاستدلال فغير مسلم بل قد يكون بسبب ضرورة العقل قال الشريف العلامة في شرح المواقف ان المقدمات التي يقع فيها النظر على قسمين قطعية تستعمل في الادلة القطعية وظنية تستعمل في الادلة لظنية فالقطعية أي اليقينية واليقين هو اعتقاد ان الشيء كذا مع مطابقته للواقع واعتقادا لا يمكن الا كذا ينقسم الى القطعية الضرورية وهي المبادي الاول وهي سبع الاولى أوليات الى آخر ما قال فظهر منه ان الضروريات بديهيات وقال صاحب الكشاف الايقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والمصنف غير عبارة الكشاف فوقع فيما وقع وقال الشريف العلامة أراد صاحب الكشاف ان العلم الذي من شأنه أن يتطرق اليه الشبهة والشك اذا انتفيا عنه كان ايقانا ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا الضروري فلا يقال تيقنت أن الكل أعظم من الجزء والذي يحصل مما ذكر الفرق بين الايقان والتيقن وبين ليقين اللهم الا أن يقال للبيقين معنيان أحدهما ما ذكره المصنف والثاني ما ذكره في شرح المواقف وغيره من كاتب المنطق والكلام واعترض عليه صاحب الحواشي بأن العلوم الضرورية قد يتطرق اليها الشبهة كاشتراك الوجود معنى ولذلك يقع الخلاف فيه ويحتاج الى التنبيه فبعض العلم الضروري يوصف بالايقان نعم لا يوصف شيء منها بالايقان على تفسير المصنف حيث اعتبر كون ازالة الشبهة بالاستدلال أقول مراد الشريف العلامة من الضروري البديهي الأولي الذي لا يتطرق اليه شبهة أصلا يشعر بذلك تمثيله بقوله الكل أعظم من الجزء (قوله والآخرة تأنيث الآخر الخ) قال العلامة التفتازاني في الآخر اسم فاعل من آخر يعني تأخر وان لم يستعمل كان الآخر بفتح الخاء أفعل التفضيل منه وهي صفة غالبة على تلك الدار كالدنيا (أو على هذه وهذا قل ذكر الموصوف معهما مثل الدار الآخرة والدار الدنيا وقد يجريان مجرى الاسماء ويترك موصوفهما حتى كأنهما ليس من قبيل الصفات قول يفهم من قوله وهذا قل ذكر الموصوف معهما ان قلة ذكر الموصوف لاجل الغلبة ومن ظاهر قوله وقد يجريان الخ ان عدم ذكره مطلقا لاجل كونها جارية مجرى الاسم لموضوعها وتوضيحه أنه قد يعتبر أنهما في الاصل صفتان غلبتا على موصوفيهما وهما الداران المذكوران وعند هذا الاعتبار ترك ذكر الموصوفين وقد يذكران لكن على قلة وندور وقد لا يعتبر كونهما صفتين في الأصل بل يعتبر هما لعقل كأنهما لم يكونا صفتين في الأصل وعند هذا الاعتبار لا يذكر الموصوفان معهما أصلا في صور من الصور ويمكن أن يقال مراده من قوله لا خبر ترك موصوفهما لفظا وتقديرا وقال الشريف العلامة الآخرة صفة غالبة على تلك الدار كالدنيا على هذه الدار ثم انهما مع كونهما من الصفات الغالبة قد يجريان مجرى الاسماء اذ قلما يذكر موصوفهما وفيه مخالفة للنقل الاول فليتأمل ثم انه يفهم من كلامهما ان كون الكلمة من الاوصاف الغالبة لا ينافي ذكر الموصوف معها في بعض الاحوال لكن قال الرضي معنى العلمية تخصيص اللفظ ببعض ما وضع فلا يخرج عن مطلق الوصف بل انما يخرج عن الوصف العام أي لا يطلق على كل ما وضع له بل يخرج الوصف عن كونه وصفا أي يتبع الموصوف لفظا فلا يقال قيد أدهم انتهى وظاهر هذا الكلام أنه لا يذكر الموصوف مع الصفة الغالبة أصلا وقال الشريف العلامة في حاشية الرضي والسر في ذلك ان خصوصية الموصوف صارت بالغلبة داخلة في مفهوم الوصف مع ملاحظة اتصافه بمفهوم المشتق منه فلا يصح اجراؤه على غيره وهو ظاهر ولا عليه أيضا اذ يصير معنى مثل قيد ادهم قيد هو قيد فيه وهذا نص في امتناع ذكر الموصوف مع الصفة الغالبة فانظر الى اختلاف كلام العلامة في الحاشيتين (قوله لحب المؤقدان الخ) قال العلامة التفتازاني أصله حبب بالضم أي صار محبوبا

(٦٢) الشبهة بالاستدلال أقول مراد الشريف العلامة من الضروري

من أهل الكتاب وبان اعتقادهم في أمر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية والآخرة تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ بؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقت ونظيره

لحب المؤقدان الى مؤسى * وجعدة اذا ضاءهما الوقود

فادغمت بالاسكان أو بنقل الضمة وكلاهما رواية واللام للقسم ولم يؤت بقد لجريه مجرى فعل المدح يصفهما بالكرم لان المراد الاضاءة بوقود نار القرى بقرينة المقام والاستعمال الشائع فيما بين العرب والوقود ههنا بالضم واما بالفتح فاسم لما يوقد به وقال العلامة الطيبي البيت لجرير ومؤسى وجعدة ابناه وهما عطفان لقوله المؤقدان روى سيبويه بقلب الواو همزة فى المؤقدان ومؤسى (قوله فاجيب بقوله الخ) هذا ظاهر اذا فصل الموصول الاول عن المتقين وأما اذا فصل الموصول الثانى دون الاول فلا يناسب التوجيه الذى ذكره فحق الكلام أن يقال الجملة فى محل الرفع ان جعل أحد الموصولين مفصولا عن المتقين واذا فصل الموصول الاول كان التقدير ما بال المتقين خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون بالغيب الى آخر الآيات قال صاحب الكشاف ان قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم فى محل الرفع اذا كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ والا فلا محل لها وقال بعد ذلك فان قلت هل يجوز أن يجرى الموصول الاول على المتقين ويرفع الثانى بالابتداء وأولئك خبره قلت نعم على أن يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا ولا يخفى ما بين الكلامين من التناقض وأجيب عنه بأن غرضه أولا ذكر الوجهين اللذين ذكرهما أهل المعانى وعوّلوا عليهما واما هذا الوجه وهو أن يفصل الموصول الثانى عن المتقين دون الاول فحكم بمجرد جوازه لكنه خال عن لطيفة الاستئناف وعدم لزوم فك أحد الموصولين عن الآخر وعلى هذا يمكن توجيه عبارة المصنف بأنه جوّز أولا أن يكون كل واحد من الموصولين مفصولا عن المتقين لكنه اقتصر آخرا على أن يكون الذين يؤمنون بالغيب مفصولا ليكون الكلام مستأنفا ويتحقق عدم انفصال أحد الموصولين عن الآخر (قوله فكأنه نتيجة الاحكام الخ) ايراده بعد ذكر الاستئناف يدل على أن الضمير راجع اليه وفيه نظر فان الاستئناف هو كون الجملة جوابا للسؤال فما وجه جعل كون الجملة نتيجة الاحكام قسما للاستئناف جوابا للسؤال ويمكن أن يقال انه على التقدير الاول جواب سائل أيضا فكأنه قيل ما نتيجة الصفات السابقة وفائدتها للموصوفين بها وعلى هذا كان معنى الكلام والا فاستئناف اما بجعل أولئك على هدى الآية جوابا للسؤال عن نتيجة الاوصاف المذكورة وفائدتها للموصوفين بها واما أن يكون جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى والاولى أن يقال ان المراد من كونها مستأنفة أن لا يكون لها محل من الاعراب وعلى هذا التقدير يحتمل أمرين أحدهما أن يكون جوابا للسؤال والآخر أن لا يكون كذلك (قوله ونظيره أحسنت الى زيد الخ) فان زيدا فى المثال المذكور نظير المتقين وصديقك نظير الذين يؤمنون الآيتين وصديقك القديم حقيق بالاحسان نظير أولئك على هدى من ربهم الآية فان قيل فعلى هذا كان الجواب مشتملا على ما لا يفيد لان السؤال عن سبب اختصاصهم بالهدى فالجواب بأن أولئك على هدى من ربهم غير مفيد قلت حاصل ما ذكر ان أولئك الموصوفون مختصون بالهدى والفلاح بسبب الصفات المذكورة التى أعطاهم الله تعالى دون غيرهم وتوضيح المقام ان الاتصاف بالصفات المذكورة مسبب عن كون الكتاب هدى لهم لان هدايتهم بسبب نزول القرآن لكن الاتصاف سبب اختصاص الهدى فاصل الهدى يحصل من الكتاب واختصاصه يحصل من الاتصاف بالصفات المذكورة أى الايمان بالغيب وما يتلوه واعلم أنه ليس المراد من اختصاصهم بالهدى أن يكون الكتاب هدى لهم فقط دون غيرهم لانه هدى للناس كما مر ولكن المراد أنه له نوع اختصاص بهم ليس لغيرهم وهو اختصاصه بهم باعتبار الغاية وقد مر (قوله فان اسم الاشارة الخ) قال الشريف العلامة وذلك ان أسماء الاشارة حقها أن يشار بها الى محسوس مشاهد أو الى ما نزل منزلته فى تميزه وظهوره ولما كانت الصفات المجراة مميزة لهم جاعلة اياهم كأنهم حاضرون مشاهدون وضع أولئك موضع الضمير اشارة اليهم من حيث انهم موصوفون بها كأنه قيل أولئك المتميزون بتلك الصفات فيكون الكلام من ترتيب الحكم على الاوصاف المناسبة فيكون مفيدا للعلية بخلاف الضمير فانه راجع الى الذات وليس فيه ملاحظة لاوصافها انتهى أقول لك أن تقول لم لا يجوز أن يكون الضمير الى الذين يؤمنون بالغيب الآية والذين يؤمنون بما أنزل اليك واذا كان راجعا الى أحدهما كان ملحوظا معه صلته فيكون ملاحظة للاوصاف والجواب أن المراد ههنا بيان حال المتقين لانهم الموصوفون والأمور المذكورة بعدها صفاتها ولا يخفى أنه يمكن أن يكون راجعا الى الموصوف مع ملاحظة الصفات لكن ليس فيه أى فى الضمير اشعار

(أولئك على هدى من ربهم) الجملة فى محل الرفع ان جعل أحد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له فكأنه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون بالغيب الى آخر الآيات والا فاستئناف لا محل لها فكأنه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة أو جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره أحسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة

باعتبار الصفات بخلاف اسم الاشارة فان فيه اشعارا بذلك فتأمل (قوله وهو أبلغ من أن يستأنف باعادة الاسم وحده الخ) يحتمل أن يراد باعادة الاسم مايعم اعادته بنفسه أو بطريق الاضمار وقوله لما فيه من بيان المقتضى وتلخيصه بيان الترجيح على الطريقين المذكورين اذليس فيهما بيان المقتضى ولاتلخيصه على ماذكر (قوله ومعنى الاستعلاء فى على هدى الخ) كذا فى الكشاف وحق العبارة أن يقال وكلمة على فى على هدى استعارة تبعية باعتبار تمثيل تمكنهم بالهدى بحال من اعتلى الشئ وركبه فى التمكن والاستقرار وقال الشريف العلامة يريد ان كلمة على هنا استعارة تبعية شبه تمسك المتقين بالهدى باستعلاء الراكب على مركوبه فى التمكن والاستقرار فاستعير له الحرف الموضوع للاستعلاء وانما قال معنى الاستعلاء دون معنى على لان الاستعارة فى الحرف تقع أولا فى متعلق معناه كالاستعلاء والظرفية والابتداء مثلا ثم يسرى اليه بتبعيته كما حقق فى موضعه ومن الناس من زعم ان الاستعارة فى على تمثيلية لكون كل واحد من طرفى التشبيه حالة منتزعة من عدة أمور وردعليه بان انتزاع كل من طرفيه من أمور متعددة يستلزم تركيبه من معان متعددة ومن البين ان متعلق معنى كلمة على وهو الاستعلاء معنى مفرد كالضرب ونظائره فلايكون مشبها به فى تشبيه تركب طرفاه وان ضم اليه معنى آخر وجعل المجموع مشبها لم يكن معنى الاستعلاء مشبها به فى هذا التشبيه فكيف يسرى التشبيه والاستعارة منه الى معنى الحرف والحاصل ان كون كلمة على استعارة تبعية يستلزم كون الاستعلاء مشبها به وان تركيب الطرفين يستلزم أن لايكون مشبها به فلايجتمعان وأجيب عنه بأن انتزاع كل من طرفيه من عدة أمور لايوجب تركيبه بل يقتضى تعدد ما آخذه وهو مردود بأن المشبه مثلا اذا كان منتزعا من أشياء متعددة فاما أن ينتزع من كل واحد منها وهو باطل فانه اذا أخذ كذلك من واحد منها كان أخذه (٦٤) مرة ثانية من واحد آخر لغوا بل تحصيلا للحاصل واما أن ينتزع من كل واحد منها بعض منه فيكون مركبا بالضرورة واما أن لايكون لاحد ذا ولاذاك وهو أيضا باطل اذ لامعنى حينئذ لانتزاعه من تلك الأمور المتعددة وقال صاحب الحواشى بطلان القسم الثالث غير مسلم لاحتمال أن يكون لامور متعددة وصف واحد انتزعى من غير أن يكون لهذا الوصف بعاض بكون كل بعض منها منتزعا من أمر من هذه الأمور ويقال فيما نحن فيه تشبه الحالة البسيطة المأخوذة من تمسك المتقين بالهدى وتشبثهم به وعدم تحولهم عنه وهى نسبتهم الى الهدى بالحالة البسيطة المأخوذة من استقرار الراكب على المركب وتشبثه به وعدم تحوله عنه وهى استعلاؤه عليه فاستعير لها الحرف الموضوع للاستعلاء أقول فيه نظر فان نسبتهم الى الهدى منتزع من كل واحد من الامور الثلاثة المذكورة وهى تمسك المتقين بالهدى الخ فيكون من القسم الأول لامن الثالث وكذا الاستعلاء منتزع من كل واحد من الأمور الثلاثة الأخيرة (قوله امتطى الجهل وغوى) الغرض من ايراد هذا المثال ازالة استبعاد تشبيه تمكنهم من الهدى بحال من اعتلى الشئ وركبه فانهم شبهوا التمكن من الجهل فى قولهم امتطى الجهل بالحالة المذكورة فان جعل قولك ركب الجهل كان استعارة بالكناية لانه شبه الجهل بالمطية فى النفس ولم يصرح بشئ من أركانه سوى المشبه وان جعل قولك اتخذ الجهل مطية كان تشبيها لانه بمنزلة جعل الجهل كالمركب وأيا ما كان فتشبيه الجهل بالمطية وكذا تشبيه تمسك الجاهل بالجهل وتمكنه منه باستعلاء على المركوب مقصود وهو المراد بكونه مصرحا (قوله لايقادر قدره) أى لايطلب مساواة قدره والغرض انه بالغ فى الكمال الى الرتبة القصوى (قوله على لحم) أى على لحم أى لحم الاستشهاد فى تنكيرا للحم للتعظيم ويدل عليه ان خالدا المذكور رفيع الشان على القدر وانه أقسم به وأبو الطيرا ما ان يريد به خالدا وهو الاظهر لوقوعها عليه واما ان يريد أبا ذلك النوع من الطير لانه لما استغاثها بوقوعها على خالد استعظم اياها لانه أصلها وأقسم به أو الطير نفسها والاب مقحم ولازائدة فى ابتداء القسم كما فى لاأقسم والقسم وقعت على لحم جواب القسم أولاردد للكلام السابق أى ليس الامر كما زعمت وحق أبى الطير فكان جواب القسم مادلت عليه كلمة لاوكان لقد وقعت قسم آخر أى

وهو أبلغ من ان يستأنف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضى وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء فى على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشئ وركبه وقد صرحوا به فى قولهم امتطى الجهل وغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس فى العمل ونكرهدى للتعظيم فكأنه أريد به ضرب لايبالغ كنهه ولايقادر قدره ونظيره قول الهذلى

فلا وأبى الطير المربة بالضحى * على خالد لقد وقعت على لحم

والله لقد وقعت على لحم والخطاب للطير على طريقة الالتفات والمريبة الواقعة اللازمة من آرب بالمكان اذا قام به ولزمه (قوله وقد أدغمت النون فى الراء بغنة و بغير غنة) قال العلامة التفتازانى اما بحسب العربية والأمر كذلك واما بحسب الرواية عن القراء ففى بعض الكتب كما ذكره المصنف وفى كثير منها ان لا غنة مع الراء واللام (قوله من الاثرتين) الاثرة بفتح الهمزة وفتح الثاء المثلثة والمراد من الاثرتين الاثر بالهدى والاثر بالفلاح ومحصول ماذكره ان تكرير أولئك للتنبيه على ان اتصافهم بالتقوى والايمان بالغيب وسائر ما ذكر كما انه يقتضى الاثر بالهدى يقتضى الاثر بالفلاح وانه أى التكرير أفاد اختصاصهم بكل واحد منهما على حدة فيكون كل منهما مميزا لهم عما عداهم ولولاه لربما فهم اختصاصهم بالمجموع فيكون هو المميز لا كل واحد ومعنى قوله يقتضى كل واحد من الأثرتين انه يقتضى استئثار كل أى الانفراد بكل منهما فيكون قوله وان كلا منهما الخ عطف تفسير لقوله ان اتصافهم الخ (قوله فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شئ واحد) لان المراد من التشبيه بالبهائم اسهاكهم فى الغفلة (قوله وهم فصل الخ) قال العلامة التفتازانى فى ذكر ضمير الفصل ثلاث فوائد الاولى الدلالة على ان مابعده خبر لا نعت لانه انما يتوسط بين المبتدا والخبر لا بين الموصوف والصفة و بهذا الاعتبار سمى ضمير الفصل الثانى تأكيدا لحكم لما فيه من زيادة الربط حتى قال الحكيم أبو نصر الفارابى ان قولنا زيد هو العادل زيد أنست كد عاداست وماقيل من انه تأكيد المسند اليه لانه بمنزلة زيد نفسه العادل ليس بشئ الثالثة افادة قصر المسند على المسند اليه (٦٥) بشهادة الاستعمال مثل ان الله هو الرزاق كنت أنت الرقيب عليهم ونحو ذلك وهذا انما يتم اذا ثبت القصر فى مثل كان زيد هو أفضل من عمرو مما الخبر فيه نكرة والا فتعريف الخبر بلام الجنس يفيد قصره على المبتدا وان لم يكن هناك ضمير فصل مثل زيد الامير وعمرو الشجاع وتعريف المبتدا بلام الجنس يفيد قصره على الخبر وان كان مع ضمير الفصل كقولك

وأكد تعظيمه بان الله تعالى مانحه والموفق له وقد أدغمت النون فى الراء بغنة و بغير غنة (وأولئك هم المفلحون) كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضى كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف فى تمييزهم بها عن غيرهم و وسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شئ واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا تناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه أو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كأنه الذى انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب ومايشاركه فى الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون فى الآخرة أو الاشارة الى مايعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم ﴿تنبيه﴾ تأمل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل مالا ينالة كل أحد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب فى اقتفاء أثرهم وقد تثبت

الالتال وقال صاحب الحواشى فيه نظر اذ لا نسلم تمام الاستدلال المذكور بثبوت القصر فى مثل كان زيد هو أفضل من عمرو بل يتم بثبوت القصر فى المثالين المذكورين على تقديران يكون اللام فى الرزاق والرقيب للعهد الخارجى دون الجنس فان التعريف بلام الجنس يفيد القصر كما اعترف به فى قوله والافتعريف الخبر بلام الجنس يفيد قصره على المبتدا لا تعريفه بلام العهد الخارجى أقول حاصل ماذكره العلامة التفتازانى انه لا يثبت كون ضمير الفصل مفيدا لحصر الخبر على المبتدا الا اذا أفاد القصر فى مثل كان زيد هو أفضل من عمرو مما الخبر فيه نكرة ومحصول ماذكره المعترض انه اذا جعل اللام فى الرزاق والرقيب مثلا للعهد الخارجى وأفاد الحصر ثبت كون ضمير الفصل للحصر وهذا لا يضر العلامة بل لا يفيد غرض المعترض وهو افادة ضمير الفصل القصر على التقدير المذكور اذ على تقدير ان يكون الخبر محلى بلام العهد كان الخبر وهو الفرد المعهود مقصورا على زيد سواء كان ضمير الفصل أولا وزيد المنطلق اذا كان اللام للعهد يفيد حصول المنطلق المعهود على زيد فلا يلزم من ثبوت حصر الخبر على المبتدا فى زيد هو المنطلق اذا كان اللام للعهد ان يكون ضمير الفصل للحصر واما اذا كان الخبر نكرة مثل كان زيد هو أفضل من عمرو وفهم الحصر لم يكن الا باعتبار الضمير اذ ليس شئ يوجب حصر الخبر وهو جنس الافضل فى المثال المذكور على زيد الا ضمير الفصل (قوله وتعريف المفلحين الى قوله وخصوصياتهم) يعنى ان التعريف للعهد الخارجى أو الحقيقة والجنس وليس للفظ

خصوصياتهم وجه ظاهر فان اللام اشارة الى ان حقيقة مدخولها معروفة واما خصوصيات المفلحين فان أراد اشخاصهم أو تشخصاتهم فذلك غير معلوم لكل أحد وان أراد بها معنى آخر فهو غير ظاهر وعبارة الكشاف ليس فيها تعرض للخصوصيات الا ان يقال المراد من الخصوصيات التعدد أو اتصافهم بالصفات الكاملة والاولى اسقاطها (قوله الكاملون فى الفلاح) لك ان تقول كمال الفلاح لمن لم يتدنس بالاثم وهو لا يفهم من الآيات السابقة اذ الايمان وغيره مما ذكر لا ينافى الاثم فان قيل التقوى تدل على عدم الاثم لان التقوى هى التجنب عن كل ما يؤثم قلنا يفهم من كلامه سابقا انه يمكن حمل المتقين على المتقين من الشرك كما قال بعد تفصيل مراتب التقوى التى احداها التبرؤ عن الشرك قد فسر قوله تعالى هدى للمتقين على الاوجه الثلاثة الا ان يقال انه ناقل لكلام الغير ولم يرض به ويمكن ان يقال والله أعلم ان المراد كمال الفلاح اذا لم يأتوا بما يوجب العقاب على ما علم من النصوص الأخرى ولم يذكر ههنا للاهتمام بمدح الصفات المذكورة أو للايماء الى ان من اتصف بالصفات المذكورة لم يفعل ما يستحق به العقاب فهو يدعى على أن من اتصف بالصفات المذكورة لا يفعل ما ذكر فتأمل (قوله لتباينهما فى الغرض) قال الشريف العلامة لا يقال هما مسوقتان لبيان حال الكتاب وانه هدى لطائفة وليس هدى لاضدادهم فهما على حد يحسن العطف بينهما لانا نقول قد عرفت ان الثانية قد سيقت لبيان اصرار الكفار وان وجود الكتاب وعدمه سواء عليهم واما كونه بحيث لا يجديهم هدى فمفهوم تبعا لا قصدا ولو كان مقصودا لم يحسن العطف لان الانتفاع به صفة كمال يؤيده ما سبق من تفخيم شأنه واعلاء مكانه بخلاف عدم الانتفاع أقول توضيحه ان المقصود من قوله تعالى ان الذين كفروا بيان حال الكفار ومما سبق بيان حال الكتاب ولئن سلمنا ان المقصود من الذين كفروا حال الكتاب لم يحسن العطف أيضا لان الغرض الاصلى من الاول تعظيم الكتاب ولا يفيده الثانى فان قلت يظهر مما ذكر انه لا بد فى الجملتين المعطوف احداهما على الأخرى اتحاد الغرض الاصلى بينهما فى وحينئذ يشكل بنحو قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم لتباين الغرض الاصلى منهما لان الغرض الاصلى من الجملة الاولى اظهار رفعة درجة المؤمنين وفوزهم بالنعيم المقيم والغرض من الثانية تبيين خسارة الكافرين وسوء حالهم بالحبس فى دركات الجحيم فالجواب انه لا يجب الاتحاد لكن يجب عدم تباين الغرضين وان المراد من تباين الغرضين ان لا مناسبة بينهما تناسبا معتدا به وليس بين قوله تعالى ان الذين كفروا وبين ما سبق ذلك التناسب اذ الغرض الاصلى من الجملة السابقة تعظيم الكتاب ولا يجعل من الثانية ذلك الغرض بل الغرض منها سوء حال الكفار وليس بينهما مناسبة يعتد بها تصحح العطف وان كانت المناسبة بين الآى حاصلة من وجه آخر يوجب انقطاعها كما قال صاحب المفتاح وهذا كما تكون فى حديث فيقع فى خاطرك بغتة حديث آخر بينهما جامع لكنه غير ملتفت اليه لبعد مقامك عنه ويدعوك الى ذكره داع فتورده مفصولا بخلاف قوله ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم فان بين الغرضين وهو الفوز بالجنة والدخول فى النار تضادا وهو من المناسبات المعتبرة كما قال أهل العربية الجامع بين الشيئين قد يكون تضادهما كالسواد والبياض أو شبه تضاد كالسماء والارض (قوله لتخلفه عنها فى خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف) ولك ان تقول لعل التخلف المذكور لا لان الرفع مشروط بالتجرد بل لان الفعل عامل قوى فيعمل عمله واما الحرف فلما كان ضعيف العمل يجوز ان يكون الخبر باقيا على حاله لا يعمل فيه الحرف

(٦٦)

به الوعيدية فى خلود الفساق من أهل القبلة فى العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون فى الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له رأسا (ان الذين كفروا) لما ذكر خاصة عباده وخلاصة أوليائه بصفاتهم التى أهلتهم للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغنى عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف فى قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم لتباينهما فى الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والأخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم فى الضلال وان من الحروف التى تشابه الفعل فى عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدى خاصة فى دخولها على اسمين ولذلك أعملت عمله الفرعى وهو نصب الجزء الاول ورفع الثانى ايذانا بانه فرع فى العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهى بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف وأجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها فى خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الأجوبة وتذكر فى معرض الشك مثل قوله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له

قضية للاستصحاب واستدل الرضى على مذهب البصريين بان اقتضاء الحروف للجر أيس على سواء والاولى ان يعمل فيهما ولا سيما مع مشابهة قوية بالفعل المتعدى وفيه ان الحروف المذكورة أقوى صلاحية للعمل بالنسبة الى أسمائها لاتصالها بها ثم استدل على نصبها للاسم ورفعها للخبر بان معناها يشبه معنى الفعل من وجه وكذا لفظها لفظه والمشابهة قوية كما يجيء في بابها فاعطيت عمل الفعل في حال قوته وهو اذا تصرف في معموله بتقديم النصب على الرفع وهذا بظاهره مخالف ماذكره المصنف من ان نصب الاسم ورفع الخبر ايذان بانه فرع في العمل دخيل فيه لان ماذكره الرضى يدل على قوة ان في العمل لقوة شبهها بالفعل وعملها عمل الفعل عملا قويا وكلام المصنف يدل على ضعف عمله وكونه دخيلا فيه ثم ان قوة المشابهة لاتوجب ان تعمل عمل الفعل حال قوته فليتأمل (قوله والمراد به ناس باعيانهم الخ) المصرون على الكفر فانهم أعلام مشهورون بالكفر فهم معهودون يحمل عليهم اللفظ لشهرتهم واستقرارهم في الخواطر (قوله وقال موسى الخ) عبارته تفيد انه من أمثلة الشك لكن المناسب ان يجعل هذا مثال الانكار لان فرعون كان منكرا لنبوة موسى (قوله متناول من صمم على الكفر وغيرهم الخ) أى يكون اللفظ بظاهره متناولا كل فرد لانه للجنس وهو متناول بظاهره جميع الافراد لان التخصيص بالبعض ترجيح لابد له من مرجح خارج وهو ههنا الخبر عنهم بالاصرار واستواء الانذار وعدمه (قوله انكارا ماعلم بالضرورة مجيء الرسول به) فيه نظر اذ يلزم ان من لم يصدق بشئ مما علم مجيء الرسول به بالضرورة ولم ينكره بل كان شاكا لم يكن مؤمنا ولا كافرا فثبت حالة بين الحالتين وليس كذلك قال صاحب المواقف الكفر خلاف الايمان فهو عندنا (٦٧) عدم تصديق الرسول في بعض ماعلم مجيئه

في الارض وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابى لهب وأبى جهل والوليد بن المغيرة وأحبار اليهود أو للجنس متناولا لمن صمم على الكفر وغيرهم خص منهم غير المصرين بما سند اليه والكفر لغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر ولكم الكفرة كافور وفى الشرع انكار ماعلم بالضرورة مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لايجترئ عليها ظاهرا لالانها كفر في أنفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضى على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه وأجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لايستلزم حدوث الكلام كما في

به ضرورة وقال صاحب المقاصد الكفر عدم الايمان عما من شأنه وهذا معنى عدم تصديق النبى عليه الصلاة والسلام في بعض ماعلم مجيئه بالضرورة والظاهر ان كلام هذا أعم من تكذيبه عليه الصلاة والسلام في شئ مما علم مجيئه به على ماذكره الامام

الغزالى لشموله الكافر الخالى عن التصديق والتكذيب فظهر مما قلنا ان تعريف الكفر ليس ماذكره المصنف بل عدم التصديق على النحو المذكور (قوله وأجيب عنه بانه مقتضى التعلق وحدوثه لايستلزم حدوث الكلام) أى استدعاء سابقة المخبر عنه مقتضى التعلق أى تعلق المعنى النفسى بالشئ المخبر عنه يقتضى السابقة أى سبق المخبر عنه فيكون التعلق حادثا وحدوث التعلق لايستلزم حدوث الكلام الذى هو المعنى * اعلم ان أقوى شبه المعتزلة على حدوث الكلام وجهان أحدهما الاخبار عن الاشياء بصيغة الماضى والثانى صيغ الامر والنهى اما الاول فلان الاخبار عن الاشياء بصيغة الماضى كما أرسلنا نوحا يدل على تقدم وقوع مخبر عنه على الحكم والاخبار عنه بالزمان وهذا يدل على حدوث الكلام اذ الشئ المتأخر عن آخر بالزمان حادث وأجاب عنه الامام الغزالى في قواعد العقائد بانا نقول يقوم بذات الله تعالى عن ارسال نوح معنى العبارة عنه قبل ارساله انا نرسله وبعد ارساله انا أرسلنا واللفظ يختلف باختلاف الاحوال والمعنى القائم بذاته لايختلف فان حقيقته انه خبر متعلق بمخبر ذلك المخبر وهو ارسال نوح في الوقت المعلوم وذلك لايختلف باختلاف الاحوال أقول هذا يدل على ان الكلام القديم ليس معنى انا أرسلنا بعينه بل القديم اثبات ارسال نوح في زمان مخصوص وهذا لايتغير في ذاته وانما المتغير صفات ذلك الزمان فقد كان مستقبلا قبل وقوعه وبعد وقوعه صار ماضيا لكن معنى انا أرسلنا هو اثبات ارساله في الزمان الماضى وكونه في الزمان الماضى أمر حادث اذ لم يتصف به ثم اتصف وعلم من كلام الامام الغزالى ان هذا القدر لايقدح في كون الكلام النفسى قديما واما الثانى فهو ان الطلب من المعدوم محال فلابد ان يكون الطلب طلبا من الموجود فلا يكون في الازل طلب من المكلفين فتكون معانى الاوامر والنواهى حادثة بحدوث المأمورين وأجاب عنه في قواعد العقائد بانه ليس من شرط الامر ان يكون المأمور موجودا ولكن يجوز ان يقوم الطلب بذاته قبل وجود

المأمور فاذا وجد المأمور كان مأمورا بذلك الطلب بعينه من غير تجدد طلب واقتضاء آخر فكم من شخص ليس له ولد يقوم بذاته اقتضاء طلب العلم على تقدير وجوده فله ان يقدر فى نفسه ان يقول لولده اطلب العلم وكذا قاله صاحب المواقف واعترض عليه الشريف العلامة بان ما يجده أحدنا فى باطنه هو الأمر على الطلب وتخيله وهو ممكن وليس بسفه اما نفس الطلب فلا شك فى كونه سفها بل قيل هو غير ممكن لان وجود الطلب بدون من يطلب منه محال انتهى فعلى هذا يكون معنى القديم ليس نفس الطلب بل شئ يتفرع عليه الطلب كما قال الغزالى فى انا أرسلنا ان المعنى القديم هو مجرد اثبات ارسال نوح واما المضى فامر حادث وههنا ابحاث يطول الكلام بذكرها واذا تقرر ما قلناه ظهر لك ان قول المصنف انه مقتضى التعلق وحده توئه ليس له وجه ظاهر وغاية العناية ان يحمل على ما قاله الغزالى (قوله نعت به كما نعت بالمصادر) قال الشريف العلامة كما تجرى المصادر على ما اتصف بها كذلك سواء تجرى على ما اتصف بالاستواء أى يجعل وصفا له معنويا اما نعتا نحويا كما فى كلمة سواء وأربعة أيام سواء بالجر والمشهور هو النصب واما غيره كما فى هذه الآية فان سواء ههنا فى موضع مستويا خبرا عما قبله ومسندا الى ما بعده كما يسند الفعل الى فاعله فيجب حينئذ توحيده واما خبرا عما بعده فيكون ترك تثنيته بجهة المصدرية كانه نبه على ذلك حيث قال أولا مستو عليهم وثانيا سواء عليهم واختار بعضهم الوجه الثانى لانه اسم غير صفة فالاصل فيه ان لا يعمل وأيضا المقصود من الوصف بالمصادر المبالغة فى شأن محلها كانها صارت عين ما قامت به فمعنى قولنا زيد عدل انه عين العدل كانه تجسم منه فاذا أولت بمعنى اسم الفاعل كسؤ مثلا فات ذلك المقصود وكذلك اذا جعلت على حذف المضاف أقول فيه نظرا اما أولا فلان لفظ سواء ههنا لا يدان يكون مؤ ولا بالفاعل مثلا كما قال سواء ههنا (٦٨) فى موضع مستويان سواء اذا كان محمولا على معناه الحقيقى لا يكون حمله على الذين صحيحا فيكون كاذبا والقرآن مبرؤ عنه واما ثانيا فلانا لانسلم انه لو كان مؤولا باسم الفاعل تفوت المبالغة اذ المبالغة تحصل بمجرد حمل المصدر عليه بحسب الظاهر وان كان مؤولا باسم الفاعل لانه أوهم انه عين العدل وهذا يكفى فى المبالغة كما يخفى على الفطن (قوله اذا أريد تمام ما وضع له) لان لفظ الاستفهام الفعل موضوع لحدث مقترن بالزمان منسوب الى الفاعل فلا يصح جعله محكوما عليه أصلا وأيضا المحكوم عليه يجب ان يكون مستقلا بالملاحظة والنسبة الحاصلة فى الفعل لا تكون كذلك بل تكون آلة للملاحظة شيئين فالفعل المشتمل عليها أيضا لا يكون محكوما عليه وكذا لا يكون محكوما به للعلة المذكورة بل كونه محكوما به باعتبار جزئه الذى هو المصدر قال الشريف العلامة فى بعض كتبه ان الفعل التام كضرب مثلا مشتمل على حدث كالضرب وعلى نسبة مخصوصة بينه وبين فاعله وتلك النسبة ملحوظة بينهما على انها آلة لملاحظتهما على قياس معنى الحرف وهذا المجموع أعنى الحدث والنسبة الملحوظة بذلك الاعتبار غير مستقل بالمفهومية فلا يصلح لان يحكم عليه بشئ ولا ان يحكم به نعم جزؤه أعنى الحدث وحده مأخوذ فى مفهوم الفعل على انه مسند الى شئ آخر فصار الفعل باعتبار جزئه محكوما به واما باعتبار مجموع معناه فلا يكون محكوما عليه ولا به أصلا (قوله لما فيه من ايهام التجدد) وانما قال من ايهام التجدد لان قولهم ان الفعل انما يدل على التجدد بواسطة دلالته على الزمان فهو يدل عليه اذا استعمل فى معناه واما اذا كان الفعل مستعملا بمعنى المصدر فلا يمكن ان يقال ان الجملة الاستفهامية طلبية وكون الطلبية فعلية أولى وهذا وان كان ليس جملة طلبية وليس الاستفهام على حقيقته لكن رعاية ما هو الاصل أولى (قوله وحسن دخول الهمزة عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده) هذا من زيادته على الكشاف وفيه أى فى الكشاف ان الهمزة وأم مجردان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام ومعنى الاستواء استواؤهما فى عدم المستفهم عنهما لانه قد علم ان أحد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معين وهذا الكلام اشارة الى جواب سؤال مقدر تقريره انه يلزم

العلم (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) خبران وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبران وما بعده من تفع به على الفاعلية كأنه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم الانذار وعدمه أو بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا أريد به تمام ما وضع له اما لو أطلق وأريد به اللفظ أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الانساع فهو كالاسم فى الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا وقوله يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم

* تسمع بالمعيدى خير من ان تراه *

وانما عدلنا ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وأم عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده لان الفعل فيهما جردتا عن معنى الاستفهام

ههنا تكرار بلافائدة اذ محصل الكلام ان الانذار وعدم الانذار المستويين مستويان فيكون الخبر قيدا للمبتدا وهو مردود والجواب بان الاستواء الذى هو قيد للمبتدأ استواؤهما فى علم المستفهم عنهما وأما الاستواء الذى هو خبر فهو الاستواء فى عدم النفع فى نفس الامر وعلى هذا ظهر ان كلا من الاستواءين بمعنى آخر ووجه قول المصنف لتأكيد معنى الاستواء انه لتأكيد مطلق الاستواء لا الاستواء الخاص فظهر أن المصنف زاد على ما فى الكشاف ما يوهم خلاف المقصود عند التحقيق وحذف ما هو دافع للاشكال فتأمل قال العلامة التفتازانى الجواب الذى ذكره ما نقل عن المصنف ان معناه ما استوى علمك فيه حتى اشتغلت به مستويا فى عدم التأثير كما نه سأل ربه أندرهم أولا فقيل له ذلك ثم قال وقد يقال ان المستويين فى صحة الوقوع مستويان فى عدم النفع لكن ماذكرناأليق بقولهم جردتا لمعنى الاستواء منسلخا عنهما معنى الاستفهام لأنه يجب أن يكون ذلك هو الاستواء الذى كان مع الاستفهام وهو الاستواء فى علم المستفهم أقول لايخفى بعد التوجيه الاول لأنه قدر فيه استفهاما وهو أندرهم أولا واعتبار الاستواء بالنسبة الى علم ذلك المستفهم لكن الظاهر المتبادر غير ذلك فالوجه الثانى أولى وهو الذى ارتضاه الشريف العلامة و يمكن أن يقال معنى الكلام ان الانذار وعدمه المستويين بالنظر الى علمك فى عدم الافادة مستويان فى عدم الفائدة نظرا الى الواقع ولا حاجة الى اعتبار الاستفهام قال الرضى عند النحاة ان قولك سواء عليك أقمت أم قعدت جملتان فى تقدير مفردين معطوف أحدهما على الآخر واو العطف أى سواء على قيامك وقعودك فقيامك مبتدأ وقعودك عطف عليه وسواء خبر مقدم (٦٩) أقول غرضهم ان قولك أقمت أم قعدت

جملتان فى تقدير مفردين لامجموع قولك سواء عليك أقمت أم قعدت اذ ليس الأمر كذلك فهم سامحوا فى العبارة و بيانهم يدل على ذلك وقد صرح بذلك أبو على على ما نقله عنه الرضى حيث قال قال أبو على انما جعل الفعلان مع الحرفين فى تأويل اسمين بينهما واو العطف لان ما بعد همزة الاستفهام

الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص فى قولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة والانذار التخويف أريد به التخويف من عذاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه أوقع فى القلب وأشد تأثيرا فى النفس من حيث ان دفع الضر أهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع أولى وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها ألفا وهو لحن لان المتحركة لاتقلب ولانه يؤدى الى جمع الساكنين على غير حده و بتوسيط ألف بينهما محققتين و بتوسيطها والثانية بين بين و بحذف الاستفهامية و بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها (لايؤمنون) جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فما فيه الاستواء فلا محل لها أو حال مؤكدة أو بدل عنه أو خبران والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف مالايطاق فانه سبحانه وتعالى أخبر عنهم بأنهم لايؤمنون وأمرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بأنهم لايؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لاتستدعى غرضا سيما الامتثال

ومابعد عديلها مستويان فى علم المستفهم (قوله اغفر لنا أيتها العصابة) أى أخص هذه العصابة بالمغفرة لهم كما قال الرضى فى نحو أنا أكرم الضيف أيها الرجل أى مختصا من بين الرجال باكرام الضيف والغرض منه ومن أمثاله بيان اختصاص مدلول ذلك الضمير من بين أمثاله بما نسب اليه ومجموع نحو أيها الرجل فى باب الاختصاص فى محل النصب لوقوعه موقع الحال (قوله وهو لحن) قال العلامة الطيبى فان قلت هذا طعن فيما هو من القرآت السبعية المتواترة وهو كفر قلت ليس بكفر لأن المتواتر ما نقل بين دفتى مصحف الامام وهذا من قبيل الاداء ونحو المد والامالة ثم ان من قلب الهمزة ألفا أشبع الالف اشباعا زائدا على مقدار الالف المعتاد ليكون الاشباع فاصلا بين الساكنين وهما الالف المقلوبة والنون وقيل طريق التخفيف ليس بخطأ وأنشد للفرزدق

* لاهناك المرتع * أى هناك فقال حسان سألت هزيل رسول الله فاحشة * ضلت هذيل بما سالت ولم تصب واذا ثبت مثله فى كلام الفصحاء ونقل عمن ثبت عصمته عن الغلط يجب القبول وأما القراء فهم أعدل من النحاة فوجب المصير الى قولهم (قوله جملة مفسرة) فوزانه وزان عطف البيان فى المفردات فيكون بينه و بين ماقبله كمال الاتصال (قوله فيجتمع الضدان) لان الايمان بعدم الايمان فرع عدم الايمان والتكليف بالايمان بعدم الايمان يستلزم التكليف بعدم الايمان فيجتمع التكليف بالايمان و بعدمه (قوله والحق أن التكليف بالممتنع لذاته الخ) محصل الكلام المذكور أنه يعلم من الآية وقوع تكليف الكافر بما يمتنع وقوعه فى نفس الامر لغيره و بالجمع بين الضدين الذى هو الممتنع بالذات وليس فى قوله والحق أن التكليف بالممتنع لذاته الخ تعرض الى دفع ذلك بل فيه مجرد ادعاء عدم وقوع التكليف بالممتنع لذاته وتفصيل الكلام على ما فى المواقف أن للمحال ثلاث مراتب أدناها أن يمتنع الفعل لعلم الله

تعالى بعدم وقوعه فانه يجوز التكليف به بل هو واقع وأوسطها ان لا تتعلق به القدرة الحادثة عادة فنحن نجوزه وان كان لم يقع بالاستقراء وأقصاها أن يمتنع بالذات لجمع الضدين وهو أيضا لم يقع بالاستقراء وان اختلف فى جوازه والجواب عن الشبهة وهى وقوع التكليف بالضدين الذى هو التكليف بالممتنع الذاتى أن يقال انه يمكن أن يكون الذين أخبر الله عنهم بعدم ايمانهم غير عالمين بنزول هذه الآية أو غير عالمين بانهم المرادون من الآية فلم يكونوا مكلفين بالايمان بعدم الايمان وههنا جواب آخر يظهر بالتأمل وأجاب صاحب الحواشى بانه انما ثابت التكليف بالجمع بين الضدين لو ثبت أمران أحدهما ان يتعين كون اللام فى الذين كفروا للعهد الخارجى والثانى أن يتعين تكليفهم بالايمان بعد نزول هذه الآية وكلاهما غير محقق أقول فيه نظر لأن المكلف فى الشرع هو البالغ العاقل فادام الشخص متصفا بهاتين الصفتين كان مكلفا لوجه جعل الكافرين بعد نزول الآية غير مكلفين الا أن يقال مراده يحتمل انهم ما كانوا مكلفين بالايمان بعدم الايمان بعد نزول الآية لما ذكرنا (قوله والاخبار الخ) يعنى أن اخبار الله تعالى عن وقوع الشئ وعدمه لا يجعله واجبا بالذات أو ممتنعا بالذات حتى يكون خارجا عن بحث القدرة نعم يصير واجبا بالغير أو ممتنعا به فانه اذا أخبر الله تعالى عن وقوع ما يفعله كان واجب الوقوع لاخبار الله تعالى لالذاته واذا أخبر عن عدمه صار ممتنعا لاخبار الله تعالى عن عدم وقوعه وفائدة هذا الكلام دفع سؤال هو ان التكليف بالممتنع لذاته واقع لان الله تعالى أمر بايمان من أخبر بانه لا يؤمن أبدا وخلاف خبره ممتنع بالذات والجواب أن الاخبار بعدم وقوع شئ لا ينفى الامكان الذاتى ولا يجعل الشئ ممتنعا بالذات حتى يخرجه عن بحث القدرة كما ان الاخبار عن وقوعه لا يجعله واجبا بالذات وقد ظهر حينئذ أنه لم يلتفت الى دفع السؤال عن وقوع التكليف بالجمع بين الضدين فانه ممتنع بالذات (قوله وبيان لما يقتضيه) أى بيان شئ يقتضى (٧٠) ذلك الشئ الحكم المذكور وهو استواء الانذار وعدمه (قوله تعليل للحكم السابق) أى للاستواء المذكور فانه معلول للختم فيكون الختم علة لاستواء الانذار وعدمه فى عدم التأثير وهو علة لعدم الايمان (قوله الختم الكتم) الظاهر أن الختم فى الاصل ليس الكتم بعينه وانما هو سبب له أى للكتم

لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشئ أو عدمه لا ينفى القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو أو العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بأنه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون وفى الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان أريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهى من المعجزات (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) تعليل للحكم السابق وبيان لما يقتضيه والختم الكتم سمى به الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى أنه آخر فعل يفعل فى احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشئ كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما أن يحدث فى نفوسهم هيئة تمنعهم

ولقد أحسن صاحب الكشاف حيث قال الختم والكتم اخوان لان فى الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه على كتمانه ونظيته لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه وقوله اخوان أى بينهما قوة العلاقة كما قال الشريف العلامة ان معنى الاخوة ههنا انهما متشاركان فى العين واللام ومتناسبان فى المعنى كما بينه بقوله لان فى الاستيثاق الخ فعلى ما بينه المصنف كان تسمية الاستيثاق المذكور بالختم مجازا مرسلا من باب تسمية الشئ باسم ما ترتب عليه (قوله سمى به الاستيثاق من الشئ الخ) قد قلنا ان الظاهر ان معنى الختم فى الاصل ليس الكتم بل الختم على ما علم من الكشاف الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه وهذا مخالف لقوله سمى به أى بالختم الاستيثاق من الشئ بالختم عليه لانه كتم له ثم انه على ما يدل عليه كلام الصحاح من قوله ختمت الشئ فهو مختوم ليس الختم الاستيثاق فى أصل الوضع اذ الاستيثاق يتعدى بمن كما يفهم من كلامهم بل صرح الراغب بأنه تجوز فيه واعلم أن الظاهر ان المراد من قولنا الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم هو ضرب الخاتم على الشئ للاستيثاق يدل على ذلك قول الشريف العلامة حاصل ما ذكره صاحب الكشاف فى الاستعارة ههنا ان لفظ الختم استعير من ضرب الخاتم على نحو الاوانى لاحداث هيئة فى القلب والسمع مانعة عن خلوص الحق اليهما كما يمنع نقش الخاتم تلك الظروف من تعود ما هو بصدد الانصباب فيها وعلى هذا فالظاهر أن يقال الختم ضرب الخاتم على الشئ للاستيثاق كما لا يخفى (قوله والبلوغ آخره الخ) عطف على الاستيثاق أى سمى بالختم الاستيثاق وسمى به البلوغ آخر الشئ أيضا وتوضيح ما قاله ان البلوغ الى آخر الشئ يكون لاحرازه فان الحافظ يجعل واحدا واحدا من الأشياء التى يريد حفظها فى مكان الحفظ حتى يبلغ آخرها فيشارك البلوغ الختم فى كون كل منهما للاحراز فسمى الأول بالثانى استعارة (قوله وانما المراد بها أن يحدث الخ) ان قيل اذا كان المراد احداث الهيئة المذكورة كان الأنسب أن يكون لفظة فى مكان على

ليفيد سريان الهيئة فى بواطن قلوبهم وانتجاعهم قلنا فى اختيار لفظة على اشارة الى أن احداث الهيئة فى ظواهر قلوبهم يكفى فى عدم الانتفاع بالانذار (قوله بسبب غيهم وانهماكهم الخ) تبع فى هذا صاحب الكشاف وهو يناسب مذهب الاعتزال ولكن عند أهل السنة ان لا حاجة الى هذا التقييد فان الله تعالى هو الفاعل لما يشاء فلعله تعالى ختم على قلوبهم قبل الانهماك فى التقليد والاعراض عن النظر الصحيح بل الانهماك والاعراض بسبب الختم السابق ولكن قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وأمثاله يوافق ماقاله المصنف ظاهر افليتأمل (قوله وأما عدم تعاف استماعه) لا يخفى أن كراهة استماع الحق ليس للاسماع بل للقلوب القاسية وشأن حاسة السمع استماع الكلام وأما الكراهة فهو للقلب القاسى وكذا نقول ان اجتلاء الآيات ليس لابصار المتبصرين بل لقلوبهم وليس لابصارهم الادراك المبصرات ولا فرق فى نفس الادراك البصرى بين نفس المتبصر وغيره فلا يظهر معنى الختم على الاسماع ولا معنى الغشاوة على الابصار بماذكره ويمكن أن يقال ان للابصار والاسماع تأثيرا فى القلب فانه اذا أبصر الرائى شيأ يحصل منه أثر فى القلب وكذا اذا اسمع ويكون المراد بالختم والتغشية ان الله تعالى خلق هيئة فى الاسماع والابصار تمنع تأثير ماحصل منه فى القلب وماقاله الشريف العلامة ان جح الاسماع للحق وتبرؤها عن الاصغاء اليه وكراهيتها لاستماعه يدل على عدم نفوذه فيها لاجل هيئة حادثة فيها مانعة من النفوذ مؤيد من وجه لماذكرنا (قوله فتصير كأنها مستوثق منها بالختم الخ) لما جعل الختم بمعنى الكتم وجب عليه بيان مناسبة احداث الهيئة المذكورة مع الكتم الذى هو المعنى الحقيقى للختم لكن قوله فكأنها مستوثق منها بالختم يفيد مناسبة الاحداث للاستيثاق ويمكن أن يقال الختم وان كان فى الاصل بمعنى الكتم لكنه استعمل بمعنى الاستيثاق المذكور واشتهر فيه فيكفى فى التجوز المناسبة معه (قوله وسماه على الاستعارة) أى سمى احداث الهيئة التى تمنعهم على استحباب الكفر المانعة من دخول الايمان فى قلوبهم ختما بسبب تشبيه الاول (٧١) بالثانى ووجه التشبيه المنع من التصرف

على استحباب الكفر والمعاصى واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم فى التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لا تجتلى الآيات المنصوبة لهم فى الانفس والآفاق كما تجتليها أعين المتبصرين فتصير كأنها غطى عليها وحيل بينها وبين الأبصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية أو مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع فى قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم

ختم استعارة تبعية تصريحية (قوله أو مثل حال قلوبهم) قال الشريف العلامة محصول ماذكره أى صاحب الكشاف ان يشبه حال قلوبهم واسماعهم وأبصارهم مع الهيئة الحادثة المانعة من الانتفاع بها فى الاغراض الدينية التى خلقت تلك الآلات لاجلها بحال الاشياء المعدودة للانتفاع بها فى مصالح مهمة مع المنع عن ذلك بالختم والتغطية ثم يستعار للمشبه اللفظ الدال على المشبه به فيكون كل واحد من طرفى التشبيه مركبا من عدة أمور والجامع عدم الانتفاع بما عدله بسبب عروض مانع تمكن فيه كالمانع الاصلى وهو أمر عقلى منتزع من تلك العدة فتكون تلك الاستعارة تمثيلية فان قيل اذا استعير اللفظ من حالة مركبة لأخرى مثلها وجب ان يكون ذلك اللفظ مركبا قطعا اذ لا يراد بالمعنى المركب ههنا ماله أجزاء فى نفسه بل مادل عليه بلفظ مركب وعلى هذا كيف يمكن حمل الآية على التمثيل وليس فيها لفظ مركب مستعار من المشبه به للمشبه بل هناك لفظان مفردان صالحان للاستعارة فقط قلنا اذا جعل ماتحن فيه على الاستعارة التمثيلية كان المستعار لفظا مركبا بعضه ملفوظ وبعضه منوى فى الارادة وستطلعك على ملاحظة المعانى قصدا اما بالفاظ مذكورة أو مقدرة فى نظم الكلام أو منوية بلا ذكر ولا تقدير فيه وانما صرح بالختم وحده وبالغشاوة وحدها لانهما الاصل فى تلك الحالة فيلاحظ باقى الأجزاء بالفاظ اذ لا بد فى التركيب من ملاحظات قد يه متعلقة بتلك الاجزاء ولا سبيل الى ذلك الا بتحصيل ألفاظ رامها كما يقتضيه جريان العادة ومن فوائد هذه الطريقة جواز الحمل على كل واحد من الاستعارة والتمثيل فعلى الاول يكون التجوز فى لفظى الختم وغشاوة وعلى الثانى لا تجوز فيهما بل فى المجموع المركب منهما ومن المنوى معهما أقول الاستعارة التمثيلية الالفاظ الموضوعة للمشبه به وهو حال الاشياء المعدودة للانتفاع بها فى مصالح مهمة مع المنع عن ذلك بالختم والتغطية اذا أريد بها أى بتلك الالفاظ المشبهة أى حال القلوب على الوجه المذكور ولا يخفى مافيه من التكلف وعدم الفهم من الكلام ثم انه لا بد ان يكون الختم المذكور فى الكلام خارجا عن الحقيقى اذ لا معنى للختم الحقيقى بالنسبة الى القلب كما أفاده صاحب

فكما ان الختم على الشئ مانع تصرف الغير فيه كذلك الهيئة المذكورة مانعة من تصرف الغير وهو الانذار الذى شأنه أن يحصل به الايمان فى القلب فعلى هذا يكون

الكشاف فى أول الكلام فكيف يصح ماقاله من انه لايجوز فى الختم على الوجه الثانى والظاهر من عبارة المصنف ان القلوب اشارة الى استعارة بالكناية والختم والتغشية استعارة تخييلية هذا ماتخياره بعضهم فى توجيه عبارة الكشاف (قوله وبالاغفال الخ) الظاهر ان الاغفال جعل الشخص غافلا عن ذكر الله تعالى غير ملتفت الى جانبه وهذا غير احداث الهيئة المذكورة وغير مستلزم له عقلا وان كان لازماله فتأمل واعلم انه لاحاجة الى ان يقال ان الاغفال بمعنى احداث الهيئة المذكورة بل يمكن حمله على المعنى الحقيقى الذى هو جعل الشخص غافلا (قوله واضطر بت المعتزلة فيه الخ) قال صاحب الكشاف فلما أسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق وهو قبيح والله متعال عن القبيح علوا كبيرا قال الشريف العلامة هذا السؤال مبنى على قاعدة الاعتزال أى اذا كان الختم مستعارا لاحداث الهيئة أو تمثيلا لحالة مشتملة عليها لم يجز اسناده الى الله تعالى اذ يلزم منه على التقدير ين ان يكون سبحانه مانعا من قبول الحق بختم القلوب ومن التوصل بختم الاسماع وكلاهما قبيح يمتنع صدوره عنه بدليل عقلى هو انه تعالى مستغن عن القبيح وعالم بقبحه وغناه عنه فيمتنع صدوره عنه لحكمته لاخروجه عن قدرته و بدلائل سمعية نطق بها التنزيل فان نفى الظلم عنه ليس الا لقبحه فيعم القبائح كلها ومن المعلوم انه اذا لم يكن آمرا بالفحشاء لم يكن فاعلا لها واما على قاعدة أهل الحق فلا قبيح بالنسبة اليه تعالى بل الافعال كلها بالقياس اليه على السواء ولا يتصور فى أفعاله ظلم لان الكل منه فله ان يتصرف فى الاشياء كايشاء وانما يوصف بالقبح والظلم ونظائرهما أفعال العباد باعتبار كسبهم وقيامها بهم لا باعتبار ايجادها كما حقق فى الكتب الكلامية أقول يمكن ايراد دليل آخر على قبح الختم على القلوب على مقتضى مذهبهم وهو ان التكليف والتعذيب بالمخالفة والعصيان بعد الطبع على القلوب والختم عليها قبيح ولا شك ان الذين ختم على قلوبهم مكلفون فلزم ان يكون الطبع والختم قبيحين فلا بد ان يؤول نسبة الختم (٧٢) والطبع اليه تعالى فلنذكر وا وجوها من التأويل (قوله الاول ان القوم لما أعرضوا عن الحق و بالاغفال فى قوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و بالاقساء فى قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهى من حيث ان الممكنات بأسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته أسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صنعتهم وخامة عاقبتهم واضطر بت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل الاول ان القوم لما أعرضوا عن الحق وتمكن ذلك الخ) قال صاحب الكشاف اما اسناد الختم الى الله تعالى فللتنبيه على ان هذه الصفة فى فرط تمكنها وثبات قدمها كالشئ الخلقى قال الشريف العلامة اسناد الختم الى الله تعالى كناية عن فرط تمكن هذه الهيئة أى الهيئة الحادثة المانعة وثبات رسوخها فى قلوبهم واسماعهم فان كونها كذلك يستلزم كونها مخلوقة لله تعالى صادرة عنه فذكر اللازم ليتصور و ينتقل الى الملزوم الذى هو المقصود فيصدق به الاتراهم يقولون فلان مجبول على كذا ولا يعنون به تحقق خلقه عليه بل ثباته وتمكنه فيه ولما لم يمكن ارادة الحقيقة فى اسناد الختم الى الله تعالى على مذهب المعتزلة وجب ان يعد مجازا متفرعا على الكناية فقد ذكر فى قوله تعالى ولا ينظر اليهم ان أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية ثم جاء فيمن لا يجوز عليه مجرد المعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه فظهر مما قررناه هناك انه اذا أمكن المعنى الاصلى كان كناية واذا لم يمكن كان مجازا مبنيا على تلك الكناية أقول فيه نظر فانه اذا لم يمكن ارادة المعنى الحقيقى ههنا على ماذكره كان مجازا ولا يكون مجازا متفرعا على الكناية واما الاستشهاد الذى ذكره فلا يفيد كونه متفرعا عليها وانما يفيد ان قوله تعالى لا ينظر اليهم مجاز عن معنى هو الاحسان يكون استعمال اللفظ المذكور فيه فى صورة من يجوز النظر عليه كناية ثم نقول فان قلت ان أراد ان رسوخ هذه الهيئة فى قلوبهم يستلزم كونها مخلوقة لله تعالى فى نفس الامر فى الخارج فلزومه عند المعتزلة غير ظاهر اذ يجوز ان يكون ثبات الشئ ورسوخه صادرا عن العبد عندهم لا بدلنى ذلك من بيان وان أراد انه يستلزمه فى الذهن فليس كذلك قلت المراد انه مستلزم له فى الذهن والمراد من الاستلزام عند أهل العربية أعم من ان يكون لذات الملزوم أو بسبب القرائن والحاصل انه يمكن ان ينتقل من رسوخ الشئ الى كونه مخلوقا لله تعالى بانضمام القرائن اليه وهذا هو المراد من الاستلزام أو نقول اللزوم الجزئى معتبر عند أهل العربية ثم ان الانتقال يكون من الملزوم الى اللازم لا من اللازم الى الملزوم الا اذا كان اللازم ملزوما أيضا فلو ادعى ان كون الشئ مخلوقا لله تعالى مستلزم لكونه راسخا ثابتا فهو فى حيز المنع ولئن سلم بناء على ماذكرنا توجه حينئذ ان حق العبارة ان يقال ان كون الصفة التى هى هيئة الحادثة المانعة ثابتة راسخة وكونها مخلوقة لله تعالى متلازمان فذكر أحد المتلازمين لينتقل الى الآخر والظاهر ان يقال فى هذا المقام بالنظر الى مذهب صاحب الكشاف فى هذا التوجيه ذلك

انما جعل الختم مجازا عن احداث الهيئة المذكورة يصح نسبة الختم اليه تعالى عنده فكان الاسناد اليه مجازا عقليا لانه اسناد الى غير ملابس له فى الحقيقة وكان ذلك الاسناد يتأول على رأيهم وهو كونه تعالى موجدا المحل تلك الهيئة فكان سببا بعيدا لها أو باعتبار ان ترك اللطف عليهم صار سببا لذلك (قوله الثانى أن المراد تمثيل حال قلوبهم الخ) حاصل هذا الوجه على ماذكر الشريف العلامة أن شبه حال قلوبهم بما كانت عليه من التجافى والنبو عن الحق بحال قلوب محققة ختم الله عليها كقلوب البهائم أو بحال قلوب مقدرة ختم الله عليها ثم تستعار الجملة أعنى ختم الله على قلوبهم كما هى أى مأخوذة بتمامها المشتملة على اسنادها من المشبه به للمشبه اما على سبيل التمثيل التحقيقى أو التخييلى فيكون المسند الى الله سبحانه اسنادا حقيقيا ختم تلك القلوب المحققة أو المقدرة لا ختم قلوب الكفار لان الاسناد الى الله تعالى داخل فى المشبه به فلا مدخل له فى تجافى قلوبهم ونبوهم كما لا مدخل للمتردد الذى خاطبته بقولك أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فى تقديم الرجل وتأخيرها له اذ كل منهما داخل فى المشبه به أقول يرد عليه ان المشبه به يكون المعنى الحقيقى فيكون الختم بالمعنى الحقيقى فيجب أن يكون تمثيل حال قلوب الكفار بحال قلوب مختوم عليها حقيقة وقلوب البهائم ليست كذلك فانحصر الامر فى أن يكون تشبيها بحال قلوب مقدرة مختوم عليها حقيقة الا أن يقال ان لفظ الختم فى المشبه به مجاز فيكون التمثيل استعارة عن المجاز وههنا كلام وهو انه ان أراد ان ختم الله على قلوبهم تمثيلا لأن يكون له معنى حقيقى هو الختم حقيقة على قلوب محققة أو مقدرة فيجب أن يكون ضمير قلوبهم على حاله الاصلى غير راجع الى الكفار لان الاستعارة وقعت فى الجملة من حيث هى بتمامها وان أراد ان اللفظ المستعار هو الجملة المذكورة من غير اعتبار الضمير المذكور كما دل عليه قوله أعنى ختم الله على قلوب فلا يخفى ما فيه لان المشبه ليس الختم على قلوب مطلقا بل على قلوب محققة أو مقدرة على النحو المذكور فتأمل ولعمرى ان أمثال هذا التوجيه دال على خطا المعتزلة وبعدهم عن الصواب (قوله ونظيره سال به الوادى اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته) الغرض من التنظير انه كما ليس فى هذين التظيرين سيلان الوادى (٧٣) بالشئ الهالك ولا طيران العنقاء بالشئ الغائب كذلك ليس ههنا ختم ولا تغشية وهما تمثيلان لانه استعير مجموع جملة سال به الوادى لمعنى

ذلك فى قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخالق بالمجعول عليه الثانى أن المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التى خلقها الله تعالى خالية عن الفطن أو قلوب مقدر ختم الله عليها ونظير مسال به الوادى اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك فى الحقيقة فعل الشيطان أو

(١٠ - (بيضاوى) - اول)

هلك وكذا مجموع جملة طارت به العنقاء جملة طالت غيبته من غير تجوز وتصرف فى مفرد من مفرداته والعنقاء قال الدميرى فى حياة الحيوان عنقاء مغرب من الالفاظ الدالة على غير معنى أى ليس لها معنى محقق وقال القزوينى انها أعظم جثة تخطف الفيل كان فى قديم الزمان فتأذى منه الناس فدعا حنظلة النبى فدهب الله به الى بعض جزائر البحر المحيط تحت خط الاستواء وقال أبو البقاء أهل الرمس كان بأرضهم جبل صاعد فى السماء قدر ميل وكان به طير وكثيرة وكانت العنقاء به وهى عظيمة الخلق لها وجه انسان وفيها من كل حيوان شبه من أحسن الطير صورة فجاعت فى بعض السنين وأعوزها الصيد فدهبت بصبى ثم بجارية فشكوا ذلك الى نبيهم حنظلة فدعا عليها فاحترقت وحنظلة بن صفوان فى زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام الى هنا كلام الدميرى وانما سميت بمغرب لانها تغرب كل ما أخذته أى تبعده وحذف التاء من مغرب نظرا الى المعنى وقال الليث انها اسم ملك فالتأنيث عنده باعتبار اللفظ (قوله الثالث ان ذلك فى الحقيقة فعل الشيطان الخ) حاصله ان الكلام مجازا عقليا من قبيل اسناد الفعل الى المسبب وتحقيقه ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول والزمان والمكان وغيرها فاسناده الى الفاعل حقيقة والى غيره مجاز وههنا بحث وهو أن اسناد الفعل الى غير الفاعل يوجب الكذب فان معنى أنبت الربيع البقل ان الانبات فعل الربيع وليس كذلك ولذا اختلفوا فى توجيهه قال صاحب المواقف فى شرح مختصر الاصول اعلم أنهم اختلفوا فى أنبت الربيع البقل لعدم كون الربيع هو الفاعل حقيقة فلابد من التأويل اما فى اللفظ أو المعنى والا لكان كذبا والتأويل فى اللفظ اما فى الانبات أو فى الربيع أو فى التركيب فهذه احتمالات أربعة الاول التأويل فى المعنى وهو انه أو رد ليتصور وينقل الذهن منها الى انبات الله تعالى به فيصدق به وهو قول الامام الرازى ان المجاز عقلى أقول فيه نظر لانه اذا كان التأويل فى المعنى لا فى اللفظ تكون الالفاظ باقية على معانيها لاصلية فيبقى الكذب بحاله وكون المقصود بالذات الانتقال الى انبات الله تعالى لا يدفع كذب أصل المعنى قال الثانى ان التأويل فى أنبت وهو التسبب العادى وان كان وضعه لتسبب الحقيقى وهو قول المصنف أى ابن الحاجب الثالث التأويل فى الربيع فانه بصورة الفاعل الحقيقى فاسناده اليه ما يسند الى الفاعل الحقيقى وهو قول السكاكى

أقول هذا أيضا لا يرفع الكذب ومجرد الادعاء المذكور لا يفيد الصحة فى نفس الامر قال الرابع ان التأويل فى التركيب وهو أن كل هيئة تركيبية وضعت بازاء تأليف معنوى وهذه وضعت للملابسة الفاعلية فاذا استعملت فى الملابسة الظرفية أو نحوها كان مجازا وذلك نحو صام نهاره وقام ليله وهذا مختار عبد القاهر والحق انها تصرفات عقلية لا حجر فيها والكل ممكن والنظر الى قصد المتكلم أقول لقائل أن يقول لا خفاء فى أن المراد من أنبت الربيع ان الربيع سبب الانبات فان أريد التسبب الحقيقى كان الكذب باقيا وان أريد التسبب العادى صار الى الوجه الثانى فلا فائدة فى التجوز فى التركيب مع انه يلزم على ماذكر كون الربيع فى هذا التركيب ظرفا للانبات ولا وجه له فدفع الكذب اما بأن يكون المراد بأنبت غير التسبب الحقيقى وهو الوجه الثانى المذكور أو بأن يكون المراد من الربيع غير ماهو موضوع له أو يكون المراد من مجموع الجملة المذكورة جملة أخرى وهى أنبت الله وأما اذا لم يكن المراد واحدا من هذه الثلاثة لزم الكذب واعلم أن العلامة التفتازانى قال فيما علقه على شرح المختصر انه لا خفاء فى أن مدلول اسناد الفعل الى الشئ هو قيامه به وثبوته له بحيث يتصف به وهذا لا يصح ظاهرا فيما أسند الى غير ماهو له من المصدر والزمان والمكان نحو جد جده وأنبت الربيع وجرى النهر ونحو ذلك فلابد من صرفه عن ظاهره والتأويل اما فى المعنى أو فى اللفظ واللفظ اما المسند أو المسند اليه أو الهيئة التركيبية الدالة على الاسناد الاول انه لا مجاز فيه بحسب الوضع بل بحسب العقل حيث أسند الفعل الى غير ما يقتضى العقل اسناده اليه وهو قول الشيخ عبد القاهر والامام الرازى وجميع علماء البيان الثانى أن المسند مجاز عن المعنى الذى صح اسناده الى المسند اليه المذكور وهو قول المصنف الثالث أن المسند اليه استعارة بالكناية عما يصح الاسناد اليه حقيقة واسناد الانبات قرينة لهذه الاستعارة وهو قول السكاكى الرابع انه لا مجاز فى (٧٤) شئ من المفردات بل شبه التلبس الغير الفاعلى بالتلبس الفاعلى فاستعمل فيه اللفظ الموضوع لافادة التلبس الفاعلى فيكون استعارة تمثيلية كما فى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى وهذا ليس قولا لعبد القاهر ولا لغيره من علماء البيان لكنه ليس ببعيد أقول على ماذكره عبد القاهر وجميع علماء البيان لا يندفع الاشكال وهو الكذب الذى هو عدم كون الحكم مطابقا للواقع وكذا قول السكاكى فالمعتبر من الأقوال المذكورة هو قول ابن الحاجب أو القول الرابع وان لم يقل به أحد فتأمل فى هذا المقام الذى اختلف فيه آراء الأعلام (قوله الرابع الخ) قال الشريف العلامة الرابع ان ختم القلوب عبارة عن ترك القسر والالجاء الى الايمان فيجوز اسناده الى الله تعالى حقيقة فمعنى ختم الله على قلوبهم انه لم يقسرهم عليه وليس هذا المعنى أعنى ترك القسر مقصودا فى نفسه بل لينتقل منه الى أن مقتضى حالهم الالجاء لولا ابتناء التكليف على الاختيار وينتقل من هذا المقتضى الى أن الآيات والنذر لا تغنى عنهم وان الالطاف لا تجرى عليهم وينتقل من عدم الاغناء والاجراء الى تناهيهم فى الاصرار على الضلال فاطلق الختم على ترك القسر مجازا مرسلا ثم كنى به عن ذلك التناهى أقول قال العلامة بين المعنى الحقيقى وبين ترك القسر على الايمان باعتبار ان ترك القسر على الايمان يوجب عدم دخوله فيها ويكون استعارة بحسب الظاهر لا مجازا مرسلا لأن الختم الحقيقى وترك القسر مشتركان فى استلزام عدم الدخول فتأمل (قوله الخامس الخ) أى يكون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم حكاية عما وقع فى كلامهم وهو قلوبنا فى أكنة وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فيكون المراد من الحكاية ايراد لفظ متحد فى المقصود مع لفظهم ويحتمل أن تكون هذه العبارة وقعت فى كلامهم بان قالوا ختم الله على قلوبنا وعلى سمعنا وعلى أبصارنا غشاوة فيكون الاختلاف فى مجرد الضمير قال الطيبى قيل هذا أحسن الوجوه لأنه أسهل فى اخراج المقصود وأما كونه تهكما بهم فهو مما يعرف بالذوق لأن حكاية نسبة هذه القبائح الى الله تعالى على ماهو رأى المعتزلة يدل على الاستهزاء بالقائلين (قوله وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم الخ) فنحن نقول ان الكل من الله تعالى ولا

الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه أسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان أعراقهم لما رسخت فى الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادى أمرهم فى الغى وتناهى انهماكهم فى الضلال والبغى الخامس أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين الآية السادس ان ذلك فى الآخرة وانما أخبر عنه بالماضى لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع أن المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم

قبيح بالنسبة اليه وهذه الألفاظ الواقعة في القرآن والحديث مستعملة في معانيها من غير تأويل في الألفاظ الا على النحو الذي ذكرناه والمعتزلة يؤولون أمثال التأويلات المذكورة التي تنادي على سوء حالهم ووخامة بالهم ومما يتعلق بهذا المقام ان الامام الرازي قال ان اثبات الالهية بحر الى القول بالجبر لأن الفاعلية لو لم تتوقف على الداعية لزم وقوع الممكن من غير مرجح وهو ينفي الصانع وان توقف لزم الجبر واثبات الرسول يلجئ الى القول بالقدر لأنه لو لم يقدر العبد على الفعل فأي فائدة في بعث الرسل وانزال الكتاب أونقول لما رجعنا الى الفطرة السليمة وجدنا أن ما استوى الوجود والعدم بالنسبة اليه لا يترجح أحدهما الا المرجح وهو يقتضي الجبر ونجد تفرقة ضرورية بين حركات الانسان وسكناته وبين حركات الجمادات الاضطرارية وذلك يقتضي مذهب الاعتزال فلذلك وقعت هذه المسئلة في حيز الاشكال أقول حاصل ما ذكره أولا انه بدون المرجح يمتنع الفعل فلا يكون مقدورا وعند وجوده يجب وجوده والازم ترجيح المرجوح الذي هو العدم واعلم أن الاستدلال الذي ذكره أهل السنة على كون العبد غير قادر ان العبد لو كان موجد الفعله فلابد أن يتمكن من فعله وتركه وان يتوقف ترجيح فعله على تركه على مرجح وذلك المرجح لا يكون منه والا لزم التسلسل ويكون الفعل عنده واجبا والا لم يكن الوجود للمرجح واعترض عليه بان هذا ينفي كون الله تعالى قادرا لجريان الدليل فيه وأجيب عنه بان الاستدلال هكذا ان تمكن العبد من الفعل والترك توقف الترجيح على مرجح حادث صدر من العبد وهلم جرا فلزم التسلسل وينتهي الى مرجح القديم لا يكون من العبد ويجب الفعل عنده فلا يكون العبد مستقلا فيه وأما فعل الباري تعالى فهو محتاج الى مرجح قديم يتعلق في الأزل بالفعل الحادث في وقت معين وذلك المرجح القديم لا يحتاج الى مرجح آخر فيكون تعالى مستقلا في الفعل وحينئذ لا يتجه النقض ويرد عليه ان هذا المرجح القديم ان كان كافيا في الفعل من غير احتياج الى أمر آخر لزم قدم الفعل لامتناع تخلف المعلول عن العلة التامة وان لم يكف بل كان محتاجا الى أمر حادث (٧٥) كتعلق الارادة مثلا ووقوع هذا التعلق يحتاج الى حادث آخر ولا يتسلسل الى غير النهاية اذ منتهى سلسلة التعلقات الحادثة الى أمر قديم فلزم قدم تلك التعلقات فتأمل وقال العلامة النيسابوري

سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللموافق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون أدل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم وحد السمع للامن من اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في أصله والمصادر لا تجمع

عندي ان المسئلة أي مسئلة استناد الختم والطبع ونحوهما الى الله تعالى في غاية الاستنارة والسطوع اذا لوحظت المبادي ورتبت المقدمات فان مبدأ الكل لو لم يكن قادرا على كل الممكنات وخرج شئ من الاشياء عن علمه وقدرته وتأثيره وايجاده بواسطة أو بغير واسطة لم يصح انه مبدأ الكل فالهداية والاضلال والايمان والكفر والخير والشر والنفع والضر كلها مستندة الى قدرته وتأثيره وعلمه وارادته والآيات الناطقة بصحة هذه القضية كثيرة كقوله تعالى فلو شاء لهداكم أجمعين ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وكذا الاحاديث أقول المخالف يسلم انه تعالى مبدأ الكل لكن مبدأ بعضها بواسطة بمعنى انه علة علة الشئ وموجد موجده لانه موجده بنفسه فالقبائح موجودة بايجاد العباد عند المخالف وان كانت مستندة الى الله تعالى بواسطة باعتبار انه تعالى موجد للعبد الموجد للقبيح والآية المذكورة معناها مجرد ترتب الهداية على المشيئة على تقدير حصولها وصدق الشرطية لا يستلزم وقوع الطرفين (قوله وللموافق على الوقف عليه) أي لو لم يكن قوله تعالى وعلى سمعهم معطوفا على قلوبهم بل يكون خبر القوله غشاوة لما حسن الوقف على سمعهم (قوله وكرر الجار الخ) يعني ان تكرير حرف الجر لقوة الدلالة على ان كلا من القلوب والسمع ختما مستقلا اذ لو لم يكن المراد ذلك لكفى أن يقال ختم الله على قلوبهم وسمعهم من غير تكرير الجار قال الشريف العلامة انما كان أدل لان ملاحظة معنى الجار في كل منهما تقتضي ان يلاحظ مع كل واحد معنى الفعل المتعدى به فكان الفعل مذكورا مرتين أقول لك ان تقول العطف أيضا يقتضي تعلق الفعل بكل من المعطوف والمعطوف عليه فكان الفعل مذكورا مرتين فلا حاجة الى تكرير الجار لاجل هذا الغرض والجواب ان دلالة العطف غير مسلم سلمنا لكن في تكرير الجار دلالة أخرى على ذلك الغرض فكان أتم (قوله لا من اللبس) اذ من الظاهر البين ان لكل واحد سمعا خاصا ولا يتوهم سمع واحد للكل ومجرد هذا الكلام لا يكفي في هذا المقام اذ يرد السؤال بانه لم جمع القلوب والابصار ووحد السمع فلذا أضاف اليه قوله واعتبار الاصل فعلى هذا كان الاولى ان يقدم في الذكر اعتبار الاصل حتى يكون أصلا والامن من اللبس تبعا له قال الشريف العلامة في توحيد السمع وجمع الباقين اشارة لطيفة الى أن مدركات السمع نوع واحد بخلاف مدركاتهما فانها

أنواع مختلفة أقول فيه نظر لان مدركات السمع أيضا أنواع مختلفة فان الصوت مدرك بالسمع وكيفياتها الحرفية وغيرها من الجهارة والخفاءة وهي أنواع مختلفة غاية الامر ان مدركات القلب والبصر أكثر كثيرا من أنواع مدركات السمع وأورد عليه ان دلالة وحدة السمع على وحدة مدركاته لا يعلم من أي دلالات هي أجيب عنه بانها من الدلالات الالتزامية التي يكتفى فيها باي لزوم كان ولو بحسب الاعتقاد واعتبارات البلغاء كذا قاله المحققان في حواشي الكشاف (قوله أو على تقدير مضاف الخ) قال العلامة الطيبي فعلى هذا الوجه السمع مصدر وليس بمعنى الاذن كما في الوجهين الاولين أي على حواس هذه الحقيقة أقول المانع من حمل السمع على الاذن انه اذا حمل عليه كان المعنى وعلى حواس هذا العضو وليس حاسة السمع للاذن بل هو كائن في مقعر الصماخ قال الشريف العلامة ان السمع على هذا الوجه بمعنى المصدر وعلى الاولين بمعنى القوة السامعة أقول يرد عليه انه ما المانع من حمل السمع في الوجهين الاولين على الاذن ويمكن أن يقال المقصود ختم القوة السامعة لانها المدركة حقيقة لا الاذن ولو حمل الختم على الختم على الاذن لكان المقصود ختم تلك القوة فلذا اختير حمل السمع على القوة السامعة فتأمل (قوله لانه أشد مناسبة للختم والتغطية) فيه نظر فان الختم والغشاوة ليسا بالمعنى الحقيقي حتى يناسب العضو الذي هو جسم وانما هما بالمعنى المجازي الذي هو الامر المعنوي

أو على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والأبصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو لانه أشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على أبصارهم غشاوة أو على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على أبصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة (ولهم عذاب عظيم) وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول عذب عن الشئ ونكل عنه اذا أمسك ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل ألم قادح وان لم يكن نكالا أي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو أعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية ان على أبصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله (ومن الناس من يقول

آمنا

ويمكن أن يقال احداث الهيئة أيضا أنسب بالجسم (قوله وبالجار والمجرور عند الاخفش) يفهم منه بحسب الظاهر أنه يتعين عنده الرفع على الفاعلية وليس كذلك فانه يجوز عنده الوجهان كونه فاعلا للظرف وكونه مبتدأ أيضا كما صرح به الرضي ولعل المصنف أراد أن الاخفش جوز كونه فاعلا للظرف بخلاف سيبويه فانه يمنعه (قوله والمعنى وختم على أبصارهم بغشاوة) اذا كان المراد من الختم احداث الهيئة المذكورة كانت هي الغشاوة فلا يلائم أن يقال ختم على أبصارهم غشاء بغشاوة كما لا يخفى (قوله وبالضم والرفع الخ) أي قرئ بضم الغين المعجمة ورفع غشاوة وكذا قرئ بفتح الغين ونصب غشاوة (قوله شئ يزيل العذب) أي طيب الحال لان العذب هو الماء الطيب فتدبر (قوله ولذلك سمي نقاخا) بالنون والقاف والخاء المعجمة قال في الصحاح النقاخ الماء العذب الذي ينقخ الفؤاد ويبرده (قوله وهو أعم منهما) أي العذاب أعم من النكال والعقاب اذ يعلم من كلامه أن العقاب هو ألم مترتب على ما فعله المعاقب والنكال هو العقاب المذكور ولا يخفى ان الالم الفادح أي الشاق أعم من أن يكون بسبب فعل سابق له أولا (قوله وقيل اشتقاقه من التعذيب الخ) يلزم منه أن يكون ازالة العذاب داخلا في معنى العذاب وانما لزم الدخول لان معنى المشتق منه جزء من معنى المشتق كالضرب للضارب (قوله فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير) قياسا على نظائره فانه يقابل الاشرف بالاخس والشريف بالخسيس والاعلم بالاجهل والعالم بالجاهل والفرق المعنوي بين العظيم والكبير ان الظاهر ان العظيم أنسب بالرتب ولذا يقال في مقابلة الحقير والكبير أنسب بما سواها ولذا يقال في مقابلة الصغير فان الصغير يستعمل غالبا في الجثة وان كان يستعمل في المعنى أيضا كما يقال فلان أصغر سنا وقد يستعمل الكبير في الرتب فيقال ان فلانا أكبر رتبة ولكن لا يقال أصغر رتبة من فلان بل يقال أحقر منه (قوله ومعنى التنكير في الآية الخ) هذا يدل على ان التنكير للنوع ويمكن أن يقال ان

التنكير فى الاول للنوع والتعظيم وفى الثانى كذلك فيكون العظيم مؤكدا له كقوله تعالى نفخة واحدة (قوله وثنى باضدادهم الخ) قال الشريف العلامة هذا انما يظهر اذا جعل التعريف فى الذين كفروا للعهد مرادا به أعلام الكفرة وأما اذا حمل على الجنس سواء جعل عاما خص بالخبر أو مطلقا قيد به كما مر ففيه اشكال لتناوله المصرين والمنافقين وأجيب بانه لما أفرد المنافقين وفصل أحوالهم بما لا مزيد عليه علم أن المقصود الاصلى بذكر ذلك الحكم المشترك بينهما الماحضون فقط أقول لو تناول الذين كفروا المنافقين لكان الاولى أن يقال بدل قوله تعالى ومن الناس ومنهم فلما قيل ومن الناس علم أن المنافقين غير داخلين فيهم (قوله وهم أخبث الكفرة وأبغضهم الى الله لانهم موّهوا الكفر الخ) مجرد هذا لا يدل على كونهم أخبث اذ لا يخفى ان أذى المشركين للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالسب الصريح والمحاربات وسائر أنواع الاذى أشد من التمويه المذكور والاستهزاء والخداع بل لقائل أن يقول المصرون يؤذون المؤمنين ظاهرا وباطنا بخلاف المنافقين فانهم يؤذونهم باطنا لا صريحا فكان حال المصرّين أشد والاولى أن يقال المنافقون خالطوا المؤمنين واطلعوا على سرائرهم وواظبوا باعلام أحوالهم الى الكفار واثارة الفتنة عليهم وأذاهم المسلمين خفية ولم يتيسر الانتقام منهم لعدم صدور شئ بحسب الظاهر يوجب الانتقام وبالجملة دفع أذى المشركين متيسر ولا يتيسر دفع أذاهم فكانوا أخبث الكفرة وأفحشهم وقد يقال المنافقون أهل الكتاب الذين يعلمون أنه نبىّ الله عليه الصلاة والسلام الموعود حقا كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويجحدون باطنا وهم أشد الناس عداوة

كما قال تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا فقدم ذكر اليهود على المشركين ففيه ايماء الى ان اليهود أشد عداوة فكانوا أخبث وأيضا الكفرة المصرّون لا يعرفونه فكان حال العارفين فى الانكار أشد فتأمل وقال الامام حجة الاسلام ان الكافر المصر كفر وأظهر والمنافق كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله الى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره (قوله وقصة المنافقين الخ) قال الشريف العلامة أى ليس هذا من عطف جملة على جملة ليطلب بينهما المناسبة المصححة لعطف الثانية على الأولى بل من عطف مجموع جمل متعددة مسوقة لبيان غرض على مجموع جمل أخرى مسوقة لبيان غرض آخر فيشترط فيه التناسب بين الغرضين دون آحاد الجمل الواقعة فى المجموعين وهذا أصل عظيم فى باب العطف لم يتنبه له كثيرون فاشكل عليهم الأمر فى مواضع شتى أقول فى هذا تعريض بالسكاكى وغيره فقد قال فى المفتاح ان قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون معطوف على مقدر مفهوم مما سبق وهو وصف أصحاب الجنة وهو قوله ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون الى قوله سلام قولا من رب رحيم وهذا المقدر فامتازوا أهل الجنة وبين تقديره هذا بتكلف فلذا قال الشريف العلامة فى شرح المفتاح بعد ما بالغ فى تقرير كلامه ولا يخفى عليك ما فيه من التعسف والوجه فى الآية ان يجعل من عطف القصة على القصة وهذا عطف لم يذكره السكاكى (قوله حذفهما فى لوقة) هو بالقاف قال صاحب الصحاح الألوقة طعام يتخذ من الزيت (قوله ولذلك لا يكاد يجمع بينهما) غرضه نصب قرينة وارة على التعويض وما ذكره صالح لذلك لا اجراء دليل تام حتى يتوجه ما ذكر صاحب الحواشى ان هذا الاستدلال انما يتم لو تعين ان الهمزة المحذوفة المعوض عنها اللام فى كلمة الناس أعيدت مع بقاء اللام فى الأناس وليس بمتعين لاحتمال أن يكون مدخول لام التعريف كلمة الاناس قبل حذف الهمزة عنها وحينئذ لا يلزم الجمع بين العوض والمعوض ثم ان غاية ما لزم من كلامه انه يمكن أن يجمع بينهما ولا يجعل اللام عوضا عن الهمزة وهذا لا ينفى انهم جعلوا اللام عوضا عنها (قوله واللام فيه للجنس) قال الشريف العلامة فان قيل لا فائدة فى

آمنا بالله وباليوم الآخر) لما افتتح سبحانه وتعالى بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله تعالى وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم أخبث الكفرة وأبغضهم الى الله لانهم موّهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول فى بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بأفعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وأنزل فيهم ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس أصله أناس لقولهم انسان وأنس وأناسى فحذفت الهمزة حذفها فى لوقة وعوّض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله

ان المنايا يطلعـ * ـن على الاناس الآمنينا

شاذ وهو اسم جمع كرجال اذ لم يثبت فعال فى أبنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستأنسون بأمثالهم أو آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمى الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس

الاخبار بان من يقول كذا وكذا من الناس أجيب بان فائدته التنبيه على ان الصفات المذكورة تنافي الانسانية فينبغي أن يجهل كون المتصف بها من الناس ويتعجب منه وربما مثل هذا التركيب قد يأتي في مواضع لا يتأتى فيها مثل هذا الاعتبار ولا يقصد فيها الاالاخبار بأن من هذا الجنس طائفة صفته كذا كقوله تعالى من المؤمنين رجال فالاولى أن يجعل مضمون الجار والمجرور مبتدأ على معنى بعض الناس أو بعضهم اتصف بما ذكر فيكون مناط الفائدة تلك الاوصاف ولا استبعاد في وقوع الظرف بتأويل معناه مبتدأ وقد يقع الظرف موقع مبتدأ كقوله تعالى ومنا دون ذلك وامامنا الاله مقام معلوم والقوم قدروا الموصوف في الظرف الثاني وجعلوه مبتدأ والظرف الاول خبرا وعكسه أولى بحسب المعنى أي جمع منا دون ذلك ومأ حدمنا الاله مقام معلوم لكن وقوع الاستعمال على ان من الناس رجالا كذا وكذا دون رجال يشهد لهم أقول فيه نظر لان الرد المذكور ليس على موقعه اذ لعل غرض المجيب ان الفائدة في الآية المذكورة تحصل بما ذكر ولا ندعي جريان ما ذكر في كل تركيب مثله ولعل قوله الاولى دون قوله والصواب اشارة الى ما ذكرناه ثم ان جعل من الناس بمعنى بعض الناس يدل على كون من بمعنى البعض فيكون اسما لكنهم ذكروا كون الكاف اسما وكذا كون عن اسما بمعنى الجانب وما اطلعنا على انهم ذكروا كون من اسما بمعنى البعض (قوله واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد) او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة كذا في الكشاف قال الشريف العلامة جعل من موصوفة مع الجنس موصولة مع العهد رعاية للمناسبة والاستعمال اما المناسبة فلان الجنس مبهم لا توقيت فيه فناسب أن يعبر عن بعضه بما هو نكرة والمعهود معين فناسب أن يعبر عن بعضه بالمعرفة أقول لو جعل من موصولة مع الجنس لكان له وجه اذ المحلى بلام الجنس معرفة فناسب أن يعبر عن بعضه بالمعرفة قال (٧٨) واما الاستعمال فلان الشائع في مثل هذا المقام هو النكرة الموصوفة اذا جعل من الجنس كقوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه والموصول مع الصلة اذا كان بعضا من المعهود كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي والقرآن يفسر بعضه بعضا قيل والسر في ذلك انك

ومن موصوفة اذ لا عهد فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون أو للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن أبي وأصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادات زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها أبعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه وأحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم محاصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا

اذا قلت من هذا الجنس طائفة شأنها كذا كان التقييد بالجنس مفيدا بخلاف ما اذا قلت من هذا الجنس الطائفة الفاعلة كذا لان من عرفهم عرف كونهم من الجنس أولا واذا قلت من هؤلاء الذي فعل كذا كان حسنا اذ فيه زيادة تعريف له ولا يحسن كل الحسن ان يقال فاعل كذا لانه عرفهم كلهم الا اذا كان في تنكيره غرض كستر عليه أو تجهيل وكلامنا في الاصل أقول كلية القضية المذكورة ممنوعة اذ لا نسلم ان من عرف الطائفة الفاعلة كذا عرف انهم من الجنس المذكور مثلا اذا قيل من المصورين الذين يقرؤن القرآن معرفة كونهم يمكن أن يكون مفيدا اذ لا يلزم من معرفة الذين يقرؤن القرآن معرفة كونهم من المصورين ثم انه لو كان هذا لازما لم يكن المثال المذكور وهو قوله من هؤلاء الذي فعل كذا مفيدا بعين الدليل المذكور اذ يقال من عرف الذي فعل كذا عرف انه من هؤلاء واذا لم يكن لازما في هذه الصورة لم يكن لازما في صورة الجنس وقد يقال ان المراد من الجنس في قوله من هذا الجنس طائفة الجنس هو حقيقة الافراد كالانسان بالنسبة الى افراده ومن عرف افراد حقيقة عرف انها من افراد تلك الحقيقة فتأمل (قوله واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الأعظم) يمكن ان يقال جميع ما يجب الايمان به داخل في الايمان بالله فان من صفات الله تعالى انه أرسل النبي صلى الله عليه وسلم فمن آمن بانه مرسل من عند الله حقا فقد آمن بجميع ما قاله وحينئذ يكون ذكر الايمان باليوم الآخر في الحقيقة تخصيصا بعد تعميم اذ معناه انه يقال تبعث يوم القيامة وتجرى عليهم الاحكام في المواطن كما هو مذكور في الشرع (قوله من جانبيه) أي جانبي المبدأ والمعاد (قوله وايذان بانهم منافقون الخ) يفهم من كلامه انهم منافقون في الايمان بالله واليوم الآخر لكنهم ما قصدوا النفاق فيهما وفيه نظر اذ النفاق اظهار ما يخالف العقيدة والاظهار مستلزم للقصد والجواب ان يقال بل البيان اظهار الايمان مع عدمه وانهم لما قالوا آمنا بالله وباليوم الآخر فهم أظهروا انهم مؤمنون بالله وباليوم الآخر مع انهم ليسوا مؤمنين بهما

يؤمنون

فى الحقيقة فهم أظهروا خلاف مايجب من الايمان بهم فكانوا منافقين وان لم يقصدوا النفاق لان زعمهم انهم مؤمنون فى الحقيقة (قوله وبيان لتضاعف خبثهم) هذا من جملة على تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر بالذكر وفيه بحث اذ لا يخلو اما ان يكون الكلام فى اختصاص الايمان بالله واليوم الآخر بالذكر فى المحكى أى كلام المنافقين أو فى حكاية الله تعالى عنهم والاول ليس بمرضى اذ لا يناسبه قوله وايذان بانهم منافقون وكذا قوله وبيان لتضاعف خبثهم كما لا يخفى وان كان الثانى لا يناسبه قوله وادعاء بانهم اختاروا الايمان وأحاطوا بقطريه وحق العبارة ان يقال ان كان فى كلامهم اختصاص الايمان بالله واليوم الآخر بالذكر كان علة الاختصاص مثل الادعاء المذكور وان كان كلامهم مشتملا عليهما وعلى غيرهما كان تخصيص القرآن لهما بالذكر تخصيصا لما هو المقصود الاعظم والايذان والبيان المذكوران وقد ذكر غير عبارة الكشاف فوقع فيما وقع ولا يتوجه ماذكرنا على الكشاف قال اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم فى الخبث وتمادیهم فى الادعاء اذ القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف (٧٩) صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم

يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لا تمسهم الا أياما معدودة وغير هذا مما يرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم فى كفرهم لان ماقالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا فكيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفى تكرار الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور فى النفس المعبر عنه باللفظ وللرأى والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهى أو الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة (وماهم بمؤمنين) انكار ما ادعوه ونفى ما انتحلوا اثباته وكان أصله وما آمنوا ليطابق قولهم فى التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا أو مبالغة فى التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفى الايمان عنهم فى ماضى الزمان ولذلك أكد النفى بالباء وأطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان فى شئ ويحتمل أن يقيدبما قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه أو ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية فى الثانى فلا ينهض حجة عليهم (يخادعون الله والذين آمنوا) الخدع ان توهم غيرك خلاف ماتخفيه من المكروه لتزله عما هو فيه وعما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى فى جحره وضب خادع وخدع اذا أوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر وأصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين فى العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف

يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لا تمسهم الا أياما معدودة وغير هذا مما يرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم فى كفرهم لان ماقالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا فكيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفى تكرار الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور فى النفس المعبر عنه باللفظ وللرأى والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهى أو الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة (وماهم بمؤمنين) انكار ما ادعوه ونفى ما انتحلوا اثباته وكان أصله وما آمنوا ليطابق قولهم فى التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا أو مبالغة فى التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفى الايمان عنهم فى ماضى الزمان ولذلك أكد النفى بالباء وأطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان فى شئ ويحتمل أن يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه أو ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية فى الثانى فلا ينهض حجة عليهم (يخادعون الله والذين آمنوا) الخدع ان توهم غيرك خلاف ماتخفيه من المكروه لتزله عما هو فيه وعما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى فى جحره وضب خادع وخدع اذا أوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر وأصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين فى العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف

من عداد المؤمنين أبلغ من نفى الايمان عنهم فى ماضى الزمان) أقول لأنه يلزم الثانى من الاول بطريق الاستدلال فيكون الاول آكد وبيانه ان اخراجهم عن المؤمنين من غير تقييد بزمان يستلزم عدم اتصافهم بالايمان وسلبه عنهم فى جميع الازمان التى من جملتها الزمان الماضى فان قيل لو قيل ما آمنوا وأريد بنى ايمانهم مستمر الكان مساويا لقوله وماهم بمؤمنين فى افادة اخراجهم من عداد المؤمنين قلنا هذا أمر خلاف المتبادر من صيغة الماضى (قوله والخلاف مع الكرامية فى الثانى الخ) بل الخلاف معهم فى الاول أيضا فانهم زعموا ان الايمان هو التصديق باللسان سواء صدق بالقلب أو أنكر به قال العلامة التفتازانى فى شرح المقاصد اذا جعل الايمان اسم الفعل اللسان أعنى الاقرار بحقية ماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم فقد يشرط فيه معرفة القلب واليه ذهب الوفائى وقد يشرط التصديق واليه ذهب القطان وقد لا يشرط شئ منهما واليه ذهبت الكرامية حتى ان من أضمر الكفر وأظهر الايمان يكون مؤمنا الا انه يستحق الخلود فى النار انتهى والظاهر منه ان من أنكر بالقلب وأقر باللسان يكون من جملة المؤمنين عند الكرامية فتكون الآية حجة عليهم فتأمل

(قوله أوعلى ان معاملة الرسول معاملة الله الخ) أى فى حكم معاملته وليس المراد اطلاق لفظة الله وارادة الرسول عليه الصلاة والسلام للاطباق على ان لفظ الله لايطلق على الرسول بل المراد ان الفعل أعنى المخادعة علق به تعالى وأوقع عليه بطريق المجاز العقلى كما يقال أجرت النهر قال الله تعالى ولاتطيعوا أمر المسرفين صرح بذلك فى المطول حيث قال ان المجاز العقلى أعم من أن يكون فى النسبة الاسنادية أوغيرها فكما ان اسناد الفعل الى غير ماحقه ان يسند اليه مجاز فكذا ايقاعه على غير ماحقه ان يوقع عليه واضافة المضاف الى غير ماحقه ان يضاف اليه والحاصل ان المراد خداع الرسول صلى الله عليه وسلم لكن علق على الله باعتبار قوة العلاقة بينهما (قوله صورة صنيع المتخادعين) تفصيل الكلام ان الله تعالى يظهر اللطف عليهم باجراء أحكام المؤمنين عليهم فى الدنيا مع أنهم كافرون مستحقون للعذاب فيها وهذا صورة الخداع منه تعالى وأما صورة الخداع منهم فهو انهم يظهرون ايمانهم ويخفون كفرهم فيكون معنى الكلام على هذا يحصل منهم صورة الخداع مع الله ومنه تعالى أيضا صورته معهم وعلى هذا كان الاستعارة فى المصدر لأنه استعارة تمثيلية كما فهم من كلام العلامة التفتازانى (قوله بيان واستئناف) فعلى الاول خدعهم هو القول المذكور فانه يستلزم اظهار شئ هو (٨٠) الايمان واخفاء شئ آخر هو الكفر وعلى الثانى جواب سؤال كأنه قيل أى شئ يقصدون بهذا القول فقيل يخادعون الله الآية فان قيل اذا كان كونه بيانا أو استئنافا فما دليل كونه يعنى يخادعون فما وجهه اذا أبقى على معناه قلنا يصلح لماذكر أيضا اذا كان بمعناه الحقيقى ويحتمل أن يكون خبرا بعد خبر (قوله الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد) مثل أن يختلطوا بالمسلمين حتى تحصل الالفة بينهم بحسب الظاهر فيمكر بهم ويميلهم عن الاسلام وعن محبة الرسول عليه السلام وعن الجهاد وتقرير الدين (قوله يعنى أن دائرة الخداع راجعة اليهم) فيكون المعنى ما يضارون شيأ ضرر الخداع الا أنفسهم لاغيرهم (قوله وأنهم او فى ذلك خدعوا أنفسهم الخ) يعنى فعل أنفسهم معهم شيأ شبيها بالخداع وهو أنهم مع أنفسهم شيأ شبيها به أيضا ويحتمل أن يكون المعنى وما يخادعون الا أنفسهم بأن يخادع كل واحد منهم الآخر بالطريق الذى ذكره المصنف ، يصدق أن مجموعهم يخادعون أنفسهم (قوله لان المخادعة لاتتصور الا بين الاثنين) فى الحواشى أنت خبير بان الخدع لايتصور الا بين اثنين لانه عبارة عن أن يوهم شخص صاحبه خلاف مايريده من المكروه فلايستقيم أن يجعل اقتضاء الاثنين سببا للعدول من المخادعة الى الخدع أقول أراد المصنف أن المخادعة تقتضى أمرين كل منهما يخادع الآخر وأما الخدع فليس كذلك بل يمكن أن يكون من جانب واحد دون الآخر وأما مخادعة الشخص نفسه فهو مبنى على المسامحة ثم ان ظاهر قوله وقرأ الباقون يخدعون لان المخادعة الخ يدل على أن قراءتهم مبنى على هذا المعنى فيلزم أن تكون القراءة مبنية على الدراية دون الرواية وليس كذلك الا أن يقال المراد بيان ترجيح هذه القراءة على القراءة الاولى (قوله وتنصب بنزع الخافض) والمعنى ما يخادعون الا عن أنفسهم أو لانفسهم ومن جوز تعريف التمييز فهو تمييز (قوله وللقلب لانه محل الروح)

المضاف أوعلى ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة صنيعهم مع الله تعالى من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده أخبث الكفار وأهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين أمر الله فى اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل أن يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول أو استئناف بذكر ماهو الغرض منه الأنه أخرج فى زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للغالة والفعل متى غولب فيه كان أبلغ منه اذا جاء بلا مقابلة لمعارض ومبارا استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم فى ذلك ان يدفعوا عن أنفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على أسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد (وما يخادعون الا أنفسهم) قراءة نافع وابن كثير وأبى عمر و والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم أو أنهم فى ذلك خدعوا أنفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم أنفسهم حيث حدثتهم بالأمانى الفارغة وحملتهم على مخادعة من لايخفى عليه نافية وقرأ الباقون وما يخدعون لان المخادعة لاتتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يخدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للفعول ونصب أنفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشئ وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحى به وللقلب لانه محل الروح

أومتعلقه) الاول مبنى على ماذا كان المراد بالروح الروح الحيوانى والثانى على ان يراد بالروح الروح الانسانى فمن قال بوجود الامور المجردة عن المادة يقول الروح هو النفس المجردة التى لاتحل فى شئ ولافى مكان وليس بجسم ولامكان وهم الحكماء القائلون بان النفس المجردة متعلقة بالبدن تعلق التدبير والتصرف وان كان لايحل فى البدن وليس بينهما قرب ولا بعد مكانى ثم ان الحكماء اختلفوا فى ان أول مايتعلق به الروح الانسانى وهو النفس الناطقة القلب أوالدماغ فذهب ارسطو ومن تبعه كابن سينا الى أن متعلقه الاول هو القلب دون الدماغ قال ابن سينا فى الشفاء فيجب أن يكون أول تعلق النفس بالقلب وههنا كلام طويل لايليق بمثل هذا الموضع ويمكن أن يقال اختار المصنف هذا المذهب لانه المذهب المنصور واعلم أنه يعلم من كلامه ان ذات الشئ الروح وكذا فهم بعضهم من قوله والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على غير أرواحهم وهو خلاف كلام المحققين فانهم صرحوا بان ذات الشئ التى يشير اليها كل واحد بقوله أناهى النفس الناطقة التى هى الروح الانسانى الا أن يقال هذا على مذهب من ذهب الى أن ذات الشخص هو البدن أوالمركب من البدن والروح (قوله فلان يؤامر نفسه) هذا يدل على ان النفس بمعنى الرأى ولايجوز أن يكون النفس بمعنى الذات وهو ظاهر ولاوجه لمعنى آخر وهذه الدلالة حصلت من تثنية النفس وعبارة الكشاف فلان يؤامر نفسه اذا تردد فى الامر وانجح له رأيان وداعيان لايدرى على أيهما يعرج فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمرين شهوهما بذاتين فسموهما نفسين ففى هذه العبارة لايدان تكون النفس بمعنى الرأى (قوله ورجوع ضرره اليهم فى الظهور كالمحسوس الخ) هذا يدل على ان ضرورة الخداع ليس محسوسا حقيقة وانما هو كالمحسوس لكن تفسير قوله تعالى (٨١) ومايشعرون بمايحسون بدل على أن الضرر المذكور محسوس حقيقة لكنهم مايحسون والاولى أن يقال معنى مايشعرون انهم لايدركون أمورا ظاهرة كالمحسوس فكانهم ليس لهم حس (قوله والآية تحتملها) أى المعنى الحقيقى والمجازى

أومتعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأى فى قولهم فلان يؤامر نفسه لانه بنبعث عنها أو يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على أرواحهم وآرائهم (ومايشعرون) لايحسون بذلك لتمادى غفلتهم جعل حوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم فى الظهور كالمحسوس الذى لايخفى الاعلى مؤوف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه وأصله الشعر ومنه الشعار (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل فى أفعاله ومجاز فى الاعراض النفسانية التى تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصى لانها مانعة من نيل الفضائل أومؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الأبدية والآية الكريمة تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة

المذكورين والاولى أن يقال المراد من مرض القلب ههنا ماهو غرض من الاغراض النفسانية اذ لاغرض يتعلق ههنا بما سوى الغرض النفسانى وانما الغرض ههنا بيان كفرهم ورداءة باطنهم وخبث عقيدتهم كما قاله صاحب الكشاف قال صاحب الحواشى لايخفى أن ليس المراد فى الآية حقيقة المرض بالمعنى المذكور كيف لا وذهب الاطباء الى أن القلب ليس قابلا للمرض بالمعنى المذكور أقول لانسلم ان الاطباء قالوا بان القلب ليس قابلا للمرض مطلقا وانما قالوا القلب لايقبل الجراحة كيف وقد وصف الاطباء بابا فى الامراض القلبية كالخفقان مثلا ثم قال الشريف العلامة المرض فى اللغة يستعمل فى القلب على سبيل الحقيقة بان يراد به الألم وكونه مرضا حقيقة مما لاشبهة فيه عند أهل اللغة وقد يستعمل على سبيل المجاز وامامى الآية فالمراد به المعنى المجازى الذى هو آفة فى الادراك كسوء الاعتقاد والكفر انتهى وهذا خلاف كلام المصنف ويحتمل أن المصنف نظر الى أن رسوخ الاخلاق السيئة يوجب مرض القلب حقيقة بان يخرجه عن الاعتدال الذى يلائم ويناسب صحته كما قال الامام الرازى من أن الانسان اذا صار مبتلى بالحسد والنفاق والكفر ودام به فر بما صار سببا لتغير فى مزاج القلب بقى ههنا أن المرض بالمعنى الاول من المعنيين مايعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال ويوجب الخلل فى افعاله وقد تعرض لاثباته بقوله فان قلوبهم كانت متألمة وفى كون الألم موجبا لخروج القلب عن الاعتدال والخلل فى الافعال نظر ويمكن أن يقال مراده انه قد يخرجه عن الاعتدال وقد يوجب الخلل (قوله أومؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية) قال صاحب الحواشى الظاهر أن يقال مؤدية الى زوال السعادة الابدية أومايشابه ذلك لان الحياة الابدية مشتركة بين المسلمين والكافرين أقول الاولى ماقاله المصنف لان حياة الكفار كلا حياة بل عدم الحياة بالنسبة اليهم كان خيرا فكأنه ليس لهم حياة فيكون هذا يسمى

منافعها والتعبير عنها بالحياة لايخلو عن نكتة ومبالغة قال الله تعالى لايموت فيها ولايحيا ثم ان المصنف قيد الحياة بالحقيقية فيحتمل أن يقال المراد منها الحياة الكاملة وهى مايترتب عليه فوائدها فاذا لم يترتب عليها ماهو فائدتها لم تكن حياة حقيقية وكذا ورد المؤمن حى فى الدارين فان هذا يفيد تخصيص الحياة بالمؤمن فيكون المراد الحياة الكاملة (قوله وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى الخ) لاحاجة الى ذلك اذ يجوز أن يقال ان زيادة المرض فعل الله تعالى من غير أن يكون مسببا لشئ آخر وقد أخذ هذا الكلام من الكشاف وهو مذهب الاعتزال (قوله أى مؤلم) فيه أمران أحدهما ان هذا يدل على ان الاليم بمعنى المؤلم ولم يثبت هذا كما قال الشريف العلامة انما اقتصر صاحب الكشاف على ذكر المجاز العقلى ردا لما يقال من ان الاليم بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع فانه ليس يثبت والثانى ان قوله أى مؤلم يدل على ان الاليم بمعنى موجد الالم فى الغير لكن قوله يقال الخ معناه ان العذاب متصف بالالم كما يظهر من تشبيهه بجد جده فبين أول الكلام والآخر اختلاف ويمكن دفعه بان يقال ان معنى قوله يقال الخ ان الاليم يصح أن يكون بمعنى ذى الالم لا بمعنى المؤلم فتأمل (قوله الى شطار ٧ دينهم) جمع شاطر وهو المبالغ فى الخبث (قوله والكذب هو الخبر عن الشئ على خلاف ماهو وهو حرام كله الخ) فيه نظر فانه يجوز الكذب فى مواضع شتى للاعذار الشرعية كخوف ظالم ودفع فتنة بل قد يجب ولعل مراد المصنف تقييد الحرمة بعدم المصلحة الشرعية لشهرته ويمكن أن يقال ان المخبر ان قصد بالخبر الكاذب معناه فهو حرام اذ لاعذر فى ذلك القصد وانما العذر فى التلفظ به وأما اذا أريد به معنى آخر صحيح غير معناه الظاهرى فهو فى الحقيقة ليس اخبارا عن الشئ على خلاف ماهو به وانما الاخبار عنه بحسب الظاهر ومن هذا الباب الكذبات الثلاث المروية عن الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام وهى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله هذا ربى فى شأن الكواكب أما الاول فانه عليه الصلاة والسلام أراد بقوله انى سقيم انى مورد السقم فان كل انسان يعرض له الصحة والمرض وأما قوله بل فعله كبيرهم فانه ليس أراد معناه المطابقى بل أراد توبيخهم فكانه قال بل لعله فعل كبيرهم على مقتضى ماهو زعمكم ان تلك معبودون فان شأن المعبود أن يكون له مثل ذلك الفعل وأراد بقوله عليه الصلاة والسلام هذا ربى انه ربى على زعمكم الباطل لان القوم كانوا يتخذون الكواكب آلهة بقى ههنا قسم آخر وهو ان من قال شيأ هو خلاف الواقع للمصلحة الشرعية لكن لايقصد به معناه الحقيقى ولاشيأ آخر هل يحرم هذا أولا والظاهر عدم الحرمة واعلم أن قوله تعالى بما كانوا بايراد لفظ كانوا دال على ان عذابهم باستمرارهم على الكذب فان لفظ كانوا ههنا للاستمرار فيفيد أن عذابهم لعدم توبتهم ورجوعهم عن الكذب قال العلامة التفتازانى حكم بان الكذب قبيح كله فان أراد سمعا فسمعا وطاعة وان أراد عقلا فلا دليل عليه كيف

تحرقا على مافات عنهم من الرياسة وحسدا على مايرون من ثبات أمر الرسول صلى الله عليه وسلم واستعلاء شانه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد فى اعلاء أمره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبى صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله سبحانه وتعالى ذلك بالطبع أو بازدياد التكاليف وتكرير الوحى وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة فى قوله تعالى فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل أن يراد بالمرض ماتداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله تعالى لهم بالملائكة وقذف الرعب فى قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصرة على الاعداء وتبسطا فى البلاد (ولهم عذاب أليم) أى مؤلم يقال ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله * تحية بينهم ضرب وجيع * على طريقة قولهم جد جده (بما كانوا يكذبون) قرأها عاصم وحمزة والكسائى والمعنى بسبب كذبهم أو ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول عليه الصلاة والسلام بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم أو من كذب الذى هو للمبالغة أو للتكثير مثل بين الشئ وموتت البهائم أو من كذب الوحشى اذا جرى شوطا ووقف لينظر ماوراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشئ على خلاف ماهو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وماروى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب فى صورته سمى به (واذا قيل لهم لاتفسدوا فى الارض) عطف على يكذبون أو يقول وما روى عن سلمان رضى الله عنه ان أهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله أراد به أن أهلها ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذى فيها والفساد خروج الشئ عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم فى الارض هيج

الحروب

وقد يتعين لعصمة دم نبي فهو حسن أقول فى قوله فسمعا وطاعة بكليته نظر فان الشرع قد جوز فى بعض المواضع بل قد أوجب مثل ماذكر (قوله فان ذلك مما يؤدى الى فساد مافى الارض) يفهم منه أن فعلهم ليس نفس الافساد لانه ابطال للنفع واخراج الشئ عن الاعتدال وتهييج الخوف والفتن وماشا كلها مما ليس ابطال النفع بعينه وانما هى تستلزم الابطال وتؤدى اليه فهى أشياء تستلزم الافساد وتؤدى اليه وتستتبعه فلفظ يفسدون مجاز باعتبار استعمال الافساد وارادة مايوجبه فكان مجازا مرسلا تبعيا كالاستعارة التبعية (قوله قالوا انما نحن مصلحون) الظاهر منه انه قصر افراد أى ليس حالنا مشتملة على الاصلاح والافساد بل نحن مقصورون على الاصلاح أى لما قيل لهم لاتفسدوا توهموا ان حالهم مشتملة على الافساد فردوا بقولهم انما نحن مصلحون ويحتمل أن يكون قصر قلب بان توهموا من قول القائل لهم لاتفسدوا ان قصده قصر حالهم على الافساد فقلبوا ذلك الحكم بقولهم انما نحن مصلحون (قوله جواب لاذا ورد للناصح) غرضه ان قالوا الآية جواب لاذا وانما نحن مصلحون (قوله ورد لما ادعوه أو بلغ رد) هو مستفاد من مجموع الامور المذكورة ولكل منها دخل فيه (قوله للاستئناف) دال على انه جواب سؤال فيشعر بزيادة الاهتمام (قوله فان همزة الاستفهام الخ) ذهب المصنف تبعا لصاحب الكشاف الى أن لفظ ألا وكذا أختها مركبة من همزة الاستفهام التى للانكار وحرف النفى للتنبيه على ان مابعدها محقق فاذا تحقق انكار النفى تحقق الاثبات لأن نفى النفى اثبات قال الشريف العلامة لكنهما بعد التركيب صارا كلمتى تنبيه يدخلان على مالا يجوز دخول حرف النفى عليه كقولك الا وما ان زيدا عالم وذهب كثيرون الى ان ليس بينهما تركيب أقول الظاهر أن الاول أولى لأن فيه نوع دقة وأيضا كون همزة الاستفهام للانكار محقق وكذا كلمة النفى فلا حاجة الى اعتبار كلمة مستقلة للتنبيه بل يكفى التركيب بينهما وقوله انما يتلى بها القسم أى يجاب بها القسم كان ولام التأكيد وحروف النفى يعنى لما دل على التحقيق كان مشبها بحرف القسم فلذا يتلى بما يتلى بها (قوله طلائع القسم) الطليعة هى مقدمة الجيش يستعمل فيما تقدم على الشئ وبناسبه (قوله وتعريف الخبر وتوسيط الفعل الخ) الظاهر اعرابهما بالجر للعطف على ماسبق ولعجىء مابعده بالجر وهو قوله والاستدراك بلا يشعرون والمعنى انه ردهم أبلغ رد للاستئناف وايراد الاوان وتعريف الخبر وضمير الفصل الكائنين لرد تعريضهم وتوضيح الكلام ان ههنا غرضين أحدهما المبالغة فى وصفهم بالافساد وهذا ناظر الى ماهم من كلامهم من قصرهم أنفسهم على الاصلاح والثانى المبالغة فى دفع تعريضهم على المؤمنين وهو أيضا مفهوم من كلامهم لكن هذا الغرض مستفاد من تعريف الخبر وتوسيط الفصل قال الشريف العلامة قيل فى وجه المبالغة فى تعريف الخبر وتوسيط الفصل ان الاول يفيد حصر المسند اليه فى المسند والثانى يفيد تأكيد هذا الحصر وهذا وان كان مناسبا لرد دعواهم الكاذبة فانهم لما قصروا أنفسهم على الاصطلاح قصر افراد ناسب فى ردهم أن يقصروا على الافساد قصر قلب أى هم مقصورون على الافساد ولاحظ لهم فى الاصلاح لكن يرد عليه ان تعريف الخبر بلام الجنس يفيد حصره فى المبتدأ كما هو المذكور فى المفتاح والمشهور فى الاستعمال وان ضمير الفصل يفيد هذا الحصر ويؤكده وقيل المبالغة فى تعريف المفسدين على قياس مامر فى المصلحين انه ان حصلت صفة المفسدين وتحققوا ماهم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فالمنافقون هم هم لايعدون تلك الحقيقة فيكون الفصل مؤكدا لنسبة الاتحاد الذى هو أقوى من القصر فى افادة المقصود أقول قد يقال توضيح المبالغة الحاصلة من تعريف الخبر انه يدل على اتحاد المبتدأ مع هو فى المفهوم والمعنى ومن هذا يستدل

الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وبمالأة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدى الى فساد مافى الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصى والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى أو الرسول صلى الله عليه وسلم أو بعض المؤمنين وقرأ الكسائى وهشام قيل باشمام الضم الاول (قالوا انما نحن مصلحون) جواب لاذا ردلما لناصح على سبيل المبالغة والمعنى أنه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما تفيد قصر ما دخلت عليه على مابعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما فى قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا // (ألا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون) ردلما ادعوه أو بلغ رد للاستئناف به وتصديره بحرفى التأكيد للمبنية على تحقيق مابعدها فان همزة الاستفهام التى للانكار اذا دخلت على النفى أفادت تحقيقا ونظيره أليس ذلك بقادر ولذلك لاتكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلى به القسم وأختها ألا التى هى من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد مافى قولهم انما نحن مصلحون من

على حصر المسند فى المسند اليه ولا يخفى انه اذا اتحد شيآن كان كل منهما مقصورا على الآخر وكما قصر المسند على المسند اليه كان المسند اليه مقصورا على المسند فكانوا مقصورين على الافساد لا يتجاوزونه الى الاصلاح وقصرهم على الافساد مبالغة فى كونهم مفسدين فان قلت الاتحاد لا يناسب القصر اذ قصر الشئ على الشئ يقتضى مغايرتهما اذ لا وجه لقصر الانسان على نفسه ولا فائدة فيه قلت اعتبار الاتحاد لا ينافى التغاير فى الواقع وهذا يكفى فى القصر ولك ان تقول اعتبار الاتحاد لا يجامع اعتبار المغايرة الذى يحتاج اليه القصر ثم انه بقى ههنا شئ وهو ان ادعاء الاتحاد بين شيئين متغايرين أمر غير مطابق وهل يجوز مثل ذلك فى كلام الله تعالى فتأمل ويمكن ان يقال قصر الافساد عليهم المستفاد من تحلية الخبر باللام يدل بحسب الظاهر على ان كل افساد صادر منهم وهذا مبالغة فى اتصافهم بالافساد فتدبر (قوله الاعراض عما لا ينبغى وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغى وهو المطلوب بقوله آمنوا) وتقديم الاعراض عما لا ينبغى وهو النهى عن الافساد على الاتيان بما ينبغى وهو الايمان لان من طلب ما ينبغى ينبغى ان يعرض عما لا ينبغى لان ما لا ينبغى مانع عن حصول ما ينبغى فيجب أولا ازالة المانع فمن أحب ان تتحلى نفسه بالمعانى الحقة والتصديقات اليقينية عليه ان يزيل عن خاطره الكدورات والخواطر المانعة عن فيضان الحق (قوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا) حاصل ما ذكره الشريف العلامة ههنا انه أسند الفعل الى آمنوا ولا تفسدوا وهما جملتان وليس يمتنع لان الذى يمتنع هو اسناد الشئ الى معنى الفعل يعنى اذا كان معبرا عنه بمجرد لفظه على قياس اسناده الى معنى الاسم معبرا عنه بلفظه وحده فى نحو قام زيد وهذا الذى نحن فيه اسناد للفعل الى لفظه بل الجملة وتحقيقه ان الالفاظ سواء كانت مهملة أو مستعملة مفردة أو مركبة متساوية الاقدام فى صحة الاسناد الى أنفسها سواء كانت مجردة عن ملاحظة معانيها كما فى قولك ألف ضرب من ثلاثة أحرف (٨٤) أو مأخوذة معها كما فى لا تفسدوا وآمنوا اذ المسند اليه لفظهما باعتبار الدلالة على المعنى وليس هذه الصحة باعتبار ان الالفاظ اذا ذكرت وأريد بها أنفسها صارت أسماء كما توهم لان المهمل لا يصير اسما بالاخبار عن لفظه وكذلك الجملة التى صارت مخبرا عنها باعتبار ألفاظها فى أنفسها أو مع ملاحظة معناها كما عرفت فان قلت قد صرحوا بان المبتدا لا يكون الا اسما قلت ذلك لانهم اعتبروا وضع الالفاظ بازاء المعانى ليستفاد منها فى التراكيب فبينوا أحوال الالفاظ فى تلك التراكيب لا أحوالها فى أنفسها بل تعرف هذه بالمقايسة فلفظ ضرب لما وضع لمعناه صار فعلا فبين حاله بانه اذا كان مستعملا فى ذلك المعنى لم يصح الاخبار عنه وكذا لفظ من بخلاف لفظ زيد واذا لم تستعمل فى معانيها جاز الاخبار عنها كلها أقول محصل ما ذكره ان معنى قولهم الاسناد اليه من خواص الاسم انه من الخواص الاضافية أى خاصة له بالاضافة الى الفعل والحرف اذا عبر بهما عن معناهما لا انه خاصة حقيقة حتى لا يوجد فى غير الاسم أصلا فانه قد يوجد فى غيره كما فى المهمل وكذا قولهم ان المبتدا لا يكون الا اسما قصر اضافى بالنسبة الى الفعل والحرف كقولنا ما زيد الا قائم وليس حصرا حقيقيا حتى يلزم ان لا يوجد وصف الابتداء فى غير الاسم فانه قد يحصل فى غيره كقول القائل جسق مهمل فما ذكر فى كتب النحو من ان الكلام ما تضمن كلمتين بالاسناد تعريف للكلام الحاصل من تركيب الالفاظ الموضوعة وهو الذى يبحث عنه النحوى قصدا اصالة دون مطلق الكلام وحينئذ اندفع البحث الذى ذكره صاحب الحواشى بان ما ذكره فى توجيه تصريحهم بان المبتدأ لا يكون الا اسما لا يفيد ذلك اذ غاية ما لزم منه ان لا يصح الاسناد الى الفعل والحرف المستعملين فى معناهما ولا يلزم من ذلك انحصار المسند اليه فى الاسم ولا انحصار المبتدا فيه لبقاء احتمال الاسناد الى الجملة وغيرها (قوله كما آمن الناس فى حيز النصب على المصدر) الكاف ههنا بمعنى المثل وأصله آمنوا ايمانا مثل ايمان الناس فحذف الذى هو المفعول المطلق فى الحقيقة وأقيم كما آمن الناس مقامه فلذا قال فى حيز النصب على المصدر أى فى مقام المنصوب على المصدرية (قوله المراد به الكاملون فى الانسانية) قال العلامة التفتازانى المعرف بلام الجنس قد يقصد به بعض الافراد من غير اعتبار وصف فيه كما فى قوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * وقد يقصد به الجنس باعتبار وصف الكمال كما فى ذلك الكتاب وقد يقصد به الجنس باسره كما فى قوله تعالى ان الانسان لفى خسر والاول قليل الجدوى جدا لا يصار اليه

التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون (واذا قيل لهم آمنوا) من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع الأمرين الاعراض عما لا ينبغى وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغى وهو المطلوب بقوله آمنوا (كما آمن الناس) فى حيز النصب على المصدر وما مصدرية أو كافة مثلها فى ربما واللام فى الناس للجنس والمراد به الكاملون فى الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعانى المخصوصة به والمقصودة

الاعند تعذر الآخرين وقال صاحب الحواشي لاشك ان الجنس باعتبار وصف الكمال غير المعاني المذكورة للام التعريف فان كان اللام حقيقة فيه يلزم ان يكون لها معنى آخر وقد صرحوا بخلافه وان كان مجازا لا يستقيم ذكره في عداد العهد الذهني والاستغراق أقول يختار انه معنى مجازي يستفاد من القرينة وقوله لا يستقيم ذكره الخ فلنا ممنوع فان العهد الذهني والاستغراق ليسا معنى اللام حقيقة كما صرح به المحققون وانما معناه الحقيقي الاشارة الى الجنس واما العهد والاستغراق فيستفادان من القرينة وقد قال الشريف العلامة ان اللام اما لتعريف العهد واما لتعريف الجنس كما ذكر في المفصل وان الاستغراق والعهد الذهني راجعان الى التعريف الجنسي ويستفاد ان من الامور الخارجية عن مدلول اللام والمعرف بها (قوله ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمى) يعني من باب نفي الجنس عن الفرد الغير الكامل وهو الذي لا تستجمع فيه المعاني المخصوصة بالجنس فان مؤدى معناه انهم ليسوا بسامعين نفي جنس السماع عنهم لكونهم ليسوا جامعين للمعاني المخصوصة بالسمع وفيه بحث لأنه سيجيء في كلامه ان قوله تعالى صم بكم عمى من باب التشبيه لا الاستعارة فيكون التقدير هم كصم في الحقيقة ليس فيه نفي الجنس بل تشبيه بما نفي الجنس عنه (قوله وقد جعلهما الشاعر الخ) أي اطلاق اللفظ الموضوع للجنس وارادة الكامل منه تارة وارادة المطلق أخرى اذ لا يصلح حمل المبتدأ والخبر في قوله اذا الناس ناس على أمر واحد بلا تفاوت وهو جنس الناس أو الناس الكاملون وكذا قوله الزمان زمان والا لكان الكلام خاليا عن الفائدة بل يجب ان يحمل أحدهما على الجنس مطلقا والآخر على الكامل منه ويحتمل ان يكون الاول الجنس والثاني الكامل فيكون المعنى ان جنس الانسان هو الكامل منه فيكون اللام في الناس (٨٥) للحقيقة وتنكير الناس للتعظيم ويكون المعنى ماذكر ويحتمل ان ينعكس فيقال الكامل من الانسان هو الجنس وعلى كل تقدير يلزم ان يكون غير الكامل ليس من جنس الناس ادعاء (قوله واستدل به على قبول توبة الزنديق الخ) المراد بالزنديق ههنا من يخفي الكفر ووجه الاستدلال به ان ايمان المنافق وهو مسرر للكفر

منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمى ونحوه وقد جعلهما الشاعر في قوله * اذا الناس ناس والزمان زمان * أو للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه أو من آمن من أهل جلدتهم كابن سلام وأصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق بمالا ايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وأن الاقرار باللسان ايمان والالم يفد التقييد (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس أو الجنس بامرهم ومندرجون فيه على زعمهم وانما سفههم لاعتقادهم فساد رأيهم أو لتحقير شأنهم فان أكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالي كصهيب وبلال أو للتجاهل وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام وأشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله (ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ماهو الواقع أعظم ضلالة وأتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه

مقبول فتكون توبة الزنديق أي ايمانه مقبولا وأما وجه الاستدلال على ان الايمان بمجرد اللسان ايمان فهو انه لو لم يكن ايمانا لم يكن للقيد المذكور وهو قوله تعالى كما آمن الناس فائدة بل يكفي قوله تعالى آمنوا وههنا كلام وهو انه ان كان المراد بان الاقرار باللسان ايمان انه ايمان ظاهري فلا نزاع فيه وان كان المراد انه ايمان حقيقي فلا يدل الكلام عليه وليس بمطابق للواقعة وللاشارة الى هذا قال واستدل عليه بصيغة المجهول وقد سلك ذلك الطريق ابن الحاجب في المختصر فكما قال استدل كان اشارة الى ضعف الدليل (قوله أو الجنس بأسره الخ) فيه انه يدل على انهم زعموا ان جميع السفهاء مؤمنون وليس كذلك بل زعمهم ان جميع المؤمنين سفهاء والأولى الاقتصار على الوجه الاول وعبارة الكشاف اللام في السفهاء مشار بها الى الناس ويجوز ان يكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم والفرق بين هذه العبارة وعبارة المصنف ظاهر فان عبارة المصنف نص في ان المراد جميع السفهاء وعبارة الكشاف ليس بنص بل ظاهر فيما ذكر ويحتمل غيره والجواب ان وجه ما قاله المصنف ارادة المبالغة في سفاهتهم فان السفاهة منحصرة فيهم (قوله أو تحقيرا لشانهم الخ) أي الباعث على التسفيه التحقير والباعث على التحقير كونهم فقراء (قوله فان الجاهل الخ) فيه بحث فانه لا يتفهم من قوله تعالى ألا انهم هم السفهاء الآية الا اعتقاد الباطل اذ لا تستلزم السفاهة اعتقاد الباطل اذ هي خفة العقل وهي قد تكون سببا للتحير والشك وكذا عدم العلم لا يستلزم الجهل المركب والجواب ان يقال المراد من السفه ههنا اعتقاد الباطل أو المراد بعدم العلم الجهل المركب بقرينة ان هذا الكلام بيان حال المنافقين الذين يعتقدون الاباطيل

(قوله لانه أكثر طباقا) فان السفه حفة العقل فناسب العلم أكثر من مناسبة الشعور لان الشعور الاحساس وهو ليس مختصا بأولى العقل بخلاف السفه والعلم فانهما مختصان بهم (قوله واما النفاق ومافيه من الفتن الخ) الاظهر ان يقال ان الافساد وهو فعل يترتب عليه الفتن أمر محسوس بخلاف السفاهة فانه أمر يعرف بالعقل وليس بمحسوس (قوله بيان لمعاملتهم) الى قوله وليس بتكرار جواب سؤال وهوان صدر القصة وهو قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية دال على ان ايمانهم بمجرد القول وليسوا مؤمنين حقيقة وهذه الآية وهي قوله تعالى واذا قالوا الذين آمنوا الآية دالة على ذلك أيضا فلزم التكرار فاجاب بما دفع التكرار وهو أن هذه الآية يعلم منها حسر معاملتهم مع المؤمنين والكفار بخلاف الآية الاولى بل هي لبيان أصل نفاقهم وهو انهم أظهروا الايمان وأبطنوا الكفر (قوله بحيث يلتى) أي بحيث يلتى شيأ فيكون الالقاء وهو جعل الشئ ملاقيا الشئ آخر حاصل

(قوله اذا انفردت معه) فيكون (٨٦) الى بمعنى مع قال صاحب المغنى الثالث من معانى الى المعية وذلك اذا ضممت

شيأ الى آخر مثله حتى صار كبيرا وبه قال الكوفيون وجماعة من البصريين في من أنصاري الى الله (قوله أومن خلاك ذم) فالمعنى جاوزوا عن المؤمنين واصلين الى شياطينهم فيكون الى بمعناها المشهور (قوله ويشهد له قولهم تشيطن) وجه الشهادة انه لم يثبت في ملحقات تفعلل تفعان و يثبت تفيعل فهذا يدل على زيادة الياء دون النون فهذا يرجح الاول من الاحتمالين المذكورين فتأمل (قوله لتضمين معنى الانهاء) هذا ناظر الى المعنى الثالث فيكون المعنى اذا خلوا منتهين الى شياطينهم (قوله لانهم قصدوا بالاول دعوى احداث الايمان) فيه بحث لانه ان أرادان ايمانهم كان يوجد بعد ان لم يكن فاعتبار العدم السابق مما لا مستهزؤن

الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه أكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على أمر الدين والتمييز بين الحق والباطل بمايفتقر الى نظر وفكر وأما النفاق ومافيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتأمل فما يشاهد من أفواهم وأفعالهم (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) بيان لمعاملتهم المؤمنين والكفار وماصدرت به القصة فساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روى ان ابن أبي وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف أردهؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ماخلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه ألقيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلتى (واذا خلوا الى شياطينهم) من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه أومن خلاك ذم أي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية أومن خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمن معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر أو كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة أصلية على أنه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح و يشهد له قولهم تشيطن وأخرى زائدة على أنه من شاط اذا بطل ومن أسمائه الباطل (قالوا انا معكم) أي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاول دعوى احداث الايمان و بالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار (انما نحن

فائدة فيه اذ كل ممكن فهو معدوم بالعدم السابق وان أراد انهم ادعوا حدوث ايمانهم بعد كفرهم فقولهم آمنا لا يدل على ذلك وانما يدل على حدوثه بالمعنى الاول و يمكن أن يقال ان قولهم آمنا دال على حدوث الايمان لان وضع الفعل على الحدوث لكن قصد الحدوث بالمعنى الاول مما لا فائدة له لانه معلوم فيجب أن يكون مقصودهم المعنى الثاني أو يقال ان كفرهم السابق ثابت فيكون احداث الايمان ايجاده بعد الكفر فتأمل (قوله ولانه لم يكن لهم باعث الخ) يعني ليس لهم في بواطنهم باعث على أن يخاطبوا المؤمنين فيما ادعوا فيه الموافقة معهم أن يوردوه بالاسمية الدالة على الدوام والثبات ولا أن يؤكدوه بما يحققه بخلاف مخاطبتهم مع شياطينهم اذ طباعهم الرديئة متنفرة عن الايمان وان كان الاصل أن يخاطبوا المؤمنين بالجملة المؤكدة لانهم منكرون لايمانهم وأن يخاطبوا شياطينهم بما لا تأكيد فيه اذ شياطينهم ليسوا منكرين موافقتهم هذا هو الظاهر و يمكن أن يقال عدم تأكيد الجملة

الاولى من جملة نفاقهم بالمؤمنين براءتهم ان ايمانهم ليس مما ينبغي أن يشك فيه شاك حتى يحتاج الى تأكيد وأماتأكيد الجملة الثانية فلدفع ماتوهم ان شياطينهم شكوا فى ايمانهم لقولهم مع المؤمنين آمنا (قوله تأكيد لماقبله) يعنى ان عدم العطف امالان هذه الجملة تأكيد لماسبق لان الاستهزاء بالاسلام والعياذ بالله نفي له ونفيه يدل على الاصرار على الكفر أولانها بدل عن السابقة لان تحقير الاسلام تعظيم الكفر وهو مستلزم للموافقة مع الكفار فالجملة الثانية دالة على مايلابس الاولى ويلازمها فهى فى حكم قولنا أعجبنى الدار حسنها فان قيل بين تحقير الاسلام والشبات على الكفر ملابسة فما الحاجة الى اعتبار تعظيم الكفر قلنا لان ملابسة التعظيم مع الموافقة أظهر وقال العلامة التفتازانى الظاهر انه بمنزلة بدل الكل وأرباب البيان لايقولون بذلك فى الجملة التى لامحل لها ويعنون بما لامحل له من الاعراب مالايكون خبرا أوصفة أوحالا وان كان فى موقع المفعول للقول أقول على ماذكرنا اندفع ماذكره فتأمل (قوله أواستئناف وكان الشياطين الخ) الظاهر أن الاستئناف أولى لكون فائدته أكثر لاشتماله على السؤال والجواب الموجب لقوة وقوع الجواب فى ذهن السامع مع انه يدل على مايدل عليه التأكيد من تحقيق الجملة السابقة وكذا يدل على كون الجملة مقصودة بالذات كما يدل عليه اذا جعل بدلا (قوله سمى جزاء الاستهزاء الخ) فيه نظر فانه اذا كان الاستهزاء بمعنى جزاء الاستهزاء كان معناه الله يجازى الاستهزاء الخ لايكون للفظ بهم ارتباط بالفعل والاولى أن يقتصر بما قال أولا من ان معنى يستهزى بهم يجازيهم على استهزائهم (٨٧) حتى يكون المجموع بمعنى المجموع وعلى هذا يكون يستهزى بهم مجازا مرسلا وكذا على تقدير أن يكون بمعنى انزال الحقارة والهوان لان كلا منهما مسبب عن الاستهزاء الحقيقى (قوله أو يعاملهم معاملة المستهزى) بأن يريهم شيأ يميل طبعهم اليه وينفعهم فى الظاهر وهو فى المآل يوجب ضررهم ويؤذيهم (قوله أو يرجع وبال

مستهزؤن) تأكيد لماقبله لان المستهزئ بالشئ المستخف به مصر على خلافه أو بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر أواستئناف فكأن الشياطين قالوا لهم لماقالوا انا معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزئت واستهزأت بمعنى كأجبت واستجبت وأصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقة تهزأبه أى تسرع وتخف (الله يستهزئ بهم) يجازيهم على استهزائهم سمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة امالمقابلة اللفظ باللفظ أولكونه مماثلا له فى القدر أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء أو الغرض منه أو يعاملهم معاملة المستهزئ أمافى الدنيا فباجراء أحكام المسلمين عليهم واستمرارهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى فى الطغيان وأمافى الآخرة فبان يفتح لهم وهم فى النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين الى ان يعارضوهم وان استهزاءهم لايؤبه به فى مقابلة مايفعل الاستهزاء عليهم) من الرجوع لامن الرجوع ويحتمل أن يكون مراده أن يكون مجموع جملة الله يستهزئ بهم بمعنى الجملة المذكورة وأن يكون مراده ان معنى يستهزى يرجع وبال الاستهزاء بهم بمعنى عليهم فيكون الباء بمعنى على (قوله وانما استؤنف به ولم يعطف الخ) فيه نظر اذ هذا ليس ناشئا من الاستئناف بل من تخصيص لفظ الله تعالى بالذكر وتصديره ولذا قال الشريف العلامة ثم ان هذا الاستئناف لم يصدر بذكر الله وحده الالفائدتين الاولى التنبيه على ان الاستهزاء بالمنافقين هو الاستهزاء الابلغ الذى لااعتداد به باستهزائهم اصدوره عمن يضمحل علمهم وقدرتهم فى جنب علمه وقدرته والثانية الدلالة على أن الله تعالى يكفى مؤنة عباده المؤمنين ويقتلهم ولايحوجهم الى معارضة المنافقين تعظيما لشأنهم ولايلزم الاعتراض على الكشاف لانه قال هو استئناف فى غاية الجزالة والفخامة وفيه أن الله عز وجل هو الذى يستهزى بهم الاستهزاء الابلغ ومعناه ان فى هذا الكلام المستأنف هذه الفائدة ويدل كلامه على أن هذه الفائدة تترتب على الاستئناف دون العطف كما دل عليه كلام المصنف والمفهوم من كلامه فى غير ذلك الموضع ان تقديم اسم الله تعالى وبناء الخبر عليه يفيد الاختصاص لان الاستئناف مفيد ذلك ولذا قال فى قوله تعالى والله يقدر الليل والنهار انه يفيد الاختصاص مع انه ليس فيه الاستئناف بل العطف وقد يقال يحتمل أن يذهب الوهم على تقدير العطف الى أن ههنا مقدرا وهو المؤمنون تستهزئ بهم ويكون والله يستهزئ بهم معطوفا عليه فلا يحصل الغرض المذكور وهو انه لم يخرج المؤمنين أن يعارضوهم

(قوله يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا) قال الشريف العلامة لما كان المضارع دالا على الزمان المستقبل الذي تجدد شيأ بعد شئ على الاستمرار ناسب أن يقصد به اذا وقع موقع غيره ان معنى مصدره المفارق لذلك الزمان يحدث على منواله مستمرا استمرارا تجدديا لا ثبوتيا كما في الجملة الاسمية (قوله ويمدد عليه قراءة ابن كثير ويمدهم) لان الامداد اعطاء المدد وليجيء بمعنى المد في العمر (قوله ومصداق ذلك الخ) هذا من تتمة كلام المعتزلة يعني اضافة الطغيان اليهم للاشعار بان اسناد المد الى الله تعالى ليس على الحقيقة اذ لو كان المد من فعل الله تعالى كما هو مذهب أهل السنة لكان الطغيان أيضا من فعل الله تعالى فيجب أن لا يضاف اليهم بل أطلق وهذا لما أسندالمد في النحّ الى الشياطين لم يضف النحّ اليهم بل أطلق وههنا كلام وهو ان اضافة الطغيان اليهم للابسة الحالية والمحلية والوصفية والموصوفية ولا يلزم من ذلك أن لا يكون فعل الله تعالى مثلا اذا قيل بياض زيد وتشكله وطوله لا يدل ذلك على انها ليست فعل الله اذ هي بارادة الله تعالى مع صحة هذه الاضافة وأجاب عنه الشريف العلامة بان المراد ههنا ان في هذه الاضافة اشارة لطيفة الى أن الطغيان والغادي في الضلالة من الافعال التي اكتسبوها باختيارهم استقلالا وان الله تعالى برئ منه فليس يتعلق به خلقا ولا ارادة فحقه أن يضاف اليهم للاشعار (٨٨) بهذا الاختصاص لا بالاختصاص باعتبار المحلية والاتصاف فانه يفهم من

الله تعالى بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ايطاق قولهم انما هو بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال تعالى أولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين (ويمدهم في طغيانهم يعمهون) من مد الجيش وأمده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لامن المد في العمر فانه يعدى باللام كما لي له وبدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا المانع منه ان الله تعالى أطافه التي يتمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على أنفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا واما ممكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا أسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب مجازا وأضاف الطغيان اليهم لملابستهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك أنه لما أسند المد الى الشياطين أطلق النحّ وقال واخوانهم يمدونهم في الغي أو أصله يمدلهم بمعنى يملي لهم ويمد في أعمارهم كي ينتهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله تعالى واختار موسى قومه أو التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كالقيان والقيان تجاوز الحد في العتو والغلو في الكفر وأصله تجاوز الشئ عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وأرض عمهاء

تماديهم في الطغيان فلو أضيف على ذلك القصد لعريت الاضافة عن الفائدة أقول يفهم من ظاهر كلام العلامة ان لا فائدة في الاضافة على طريقة أهل السنة والحق أن يقال الاضافة للاشعار بانهم كاسبون له أي يحصل لهم بكسبهم وان لم يكن بخلقهم أو يقال الاضافة للمبالغة في طغيانهم وفرط عتوهم (قوله فحذف اللام وعدي الفعل بنفسه) رده الشريف العلامة بانه خلاف الاصل فلا يصار اليه الا بدليل (قوله وقيل التقدير يمدهم استصلاحا الخ) يلزم من هذا خلاف لا

ما أراده الله تعالى وهذا يناسب مذهب المعتزلة دون أهل السنة اذ عندنا خلاف ما أراده الله تعالى محال وانما لزم ذلك لأن مؤدى هذه العبارة أن الله تعالى يمدهم للاستصلاح أي ارادة الاستصلاح لأنه مفعول له ومثل هذا السؤال يرد على قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فان خلق الجن والانس للعبادة خلقهما لارادة حصولها منهما والجواب عن السؤال على قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وما خلقت بعضها وهم السعداء الا لارادة العبادة من ذلك البعض وقد قيل غير ذلك في تفسير الآية و يمكن تطبيقه على مذهب أهل السنة و يجاب عما ورد على قول المصنف وهو قوله استصلاحا لهم ان المراد من الاستصلاح طلب صلاح الحال لهم والطلب غير الارادة على ما ذكر في الكلام حيث استدلوا على تغايرهما بان المطلوب قد يكون غير مراد فان الله تعالى أمر أبا لهب مثلا بالايمان والأمر هو الطلب فيكون ايمانه مطلوبا وهو غير مراد والا لوقع وشبهوه بما اذا أمر السيد عبده بشئ وأراد خلافه منه ليؤدبه و يضربه فان الشئ المأمور به مطلوب مع انه غير مراد وفيه نظر فانا لا نسلم ان الطلب النفسي حاصل في الصورة المذكورة وانما الحاصل مجرد التلفظ بصيغة الامر وأما الامر الحقيقي وهو طلب الشئ فليس حاصلا والحق ان يقال ان المراد من الاستصلاح طلب الصلاح وليس المراد الطلب الحقيقي بل الطلب الظاهري الذي هو أمرهم بالمأمورات الواردة في القرآن وههنا كلام سنورده ان شاء الله تعالى

(قوله اختاروها عليه الخ) استعمال الشراء فى الاستبدال مجاز مرسل فى الظاهر لان الاشتراء استبدال مخصوص واستعماله فيما استعمال الاخص فى الاعم لكن صاحب الكشاف جعله استعارة حيث قال اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لأن الاشتراء فيه اعطاء بدل وأخذ آخر انتهى وهذا التعليل يدل على ان الاستبدال جزء معنى الاشتراء لأن الاستبدال اعطاء بدل وأخذ آخر واذا كان الاستبدال جزء معنى الاشتراء كان استعماله فيه مجازا مرسلا بعلاقة الكلية والجزئية اذ الاستعارة فرع التشبيه ولا يصح التشبيه بين معنى و بين ما يتضمن ذلك المعنى و يكون الجامع ذلك المعنى نفسه بل لابد أن يكون الجامع غير الطرفين فتأمل الآن تكون الاستعارة بالمعنى اللغوى (قوله ولذلك عدت الكلمتان) أى البيع والشراء من الاضداد ولا يخفى انه لم يلزم مما ذكر كونهما من الاضداد بل يلزم منه أن يكون الشراء ابدال الثمن والبيع أخذه ولا يلزم أن يكون لكل منهما معنيان أحدهما ضد الآخر فتأمل و يمكن أن يقال مراده انه لما كان كل من المعوضين مبيعا ومشترى فما كان مبيعا فهو بعينه مشترى و بالعكس كانت الكلمتان من الاضداد أى يكون البيع تارة بمعنى الاخذ وتارة بمعنى الاعطاء وكذا الشراء وفيه ما فيه ثم لك أن تقول ان كان الاستبدال بمعنى اعطاء شئ وأخذ آخر فلا يكون الاشتراء بمعنى الاستبدال فى الآية اذ ليس فى اشتراء الضلالة بالهدى اعطاء شئ وأخذ آخر وان لم يكن بمعناه بل بمعنى ترك شئ وأخذ شئ آخر كان هذا مخالفا لكلام الكشاف لانه يدل على ان الاستبدال فيه اعطاء شئ وأخذ شئ آخر اذ فهم من كلامه ان الاعطاء والأخذ معنى مشترك (٨٩) بين الاشتراء والاستبدال كما مر فتأمل

(قوله أخذت بالجملة الخ) الجملة مجتمع شعر الرأس والرأس الازعر القليل الشعر والدردر أصل الاسنان والعمر عطف بيان للطويل والجيدر بالجيم والمثناة والذال المعجمة القصير وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا أى اشترى المسلم بالاسلام النصرانية وهذا اشارة الى تنصر شخص بعد اسلامه وهو مشهور فى العرب (قوله ثم اتسع فيه الخ) أراد ان هذه

لامرئ بها قال * أعمى الهدى بالجاهلين العمه * (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اختاروها عليه واستبدلوها به وأصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان أحد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه أن يكون ثمنا و بذله اشتراء والا فاى العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما فى يده محصلا به غيره سواء كان من المعانى أو الاعيان ومنه قول الشاعر

أخذت بالجمة رأسا أزعرا * وبالثنايا الواضحات الدردرا

وبالطويل العمر عمرا جيدرا * كما اشترى المسلم اذ تنصرا

ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشئ طمعا فى غيره والمعنى انهم أخلوا بالهدى الذى جعله الله لهم بالفطرة التى فطر الناس عليها محصلين الضلالة التى ذهبوا اليها أو اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى (فما ربحت تجارتهم) ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء فى معانهم أتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارتهم ونحوه

(١٢ - (بيضاوى) - اول)

أعم مما قبله فان الاول هو أن يترك شيأ حصل فى يده و يحصل غيره فيكون مستلزما للتحصيل وترك الحاصل وهذا المعنى لا يدل على ذلك اذ لا يعتبر فيه التحصيل بل مجرد الطمع (قوله ترشيح للمجاز) الترشيح ذكر شئ يلائم المستعار منه فان الربح وكذا التجارة يلائم المستعار منه الذى هو معنى الشراء الحقيقى وأصل معنى الترشيح تربية الام ولدها بجعل اللبن فى فيه شيأ بعد شئ الى أن يقوى على المص ولما كان فى ذكر ما يلائم المستعار منه تقوية للاستعارة وتربية لها سمى ترشيحا وانما كانت فيه التربية المذكورة لانها مبنية على المبالغة فى التشبيه واتصال المشبه بالمشبه به فذكر ما يلائم المشبه به يؤكد هذا الاتصال كان فيه اشارة الى اتحاد المشبه والمشبه به لوجود خاصة المشبه به فى المشبه واعلم انهم قد اختلفوا فى ان الترشيح من المجاز اللغوى فيكون مستعملا فى غير معناه الحقيقى أو يكون مستعملا فيه وانما المجازى اثباته للمستعار له فالربح الذى هو حصول الزيادة بالتجارة هل هو مستعمل ههنا فى معناه الحقيقى حتى يكون التجوز فى اسناده وتعليقه بالمستعار له أو يكون غير مستعمل فيه فيكون مجازا لغويا فذهب البعض الى انه من المجاز اللغوى وهو الظاهر من كلام الكشاف ههنا فانه قال ذكر الربح والتجارة من الصنعة البديعة التى تباغ المجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها واخوات اذا لاحقت لم يركلام أحسن ديباجة منه فان اشكال المجاز اللغوى يناسب ان تكون مجازات لغوية قال صاحب الكشاف اعلم ان التعقيب بالملائم قد يكون تبعا للاستعارة الاصلى لا وجه له غيره كما فى * رأيت أسدا وافى البرائن عظيم اللبدتين لا يقصد بذلك الا زيادة تصوير الشجاع وانه أسد كامل ولا يذهب فيه الى شئ كالبرائن وشئ كاللبدة ومنه له ابد اظفاره

لم تقلم وقد يكون مستعملا مع الملاءمة كما فى قوله ولما رأيت النسر عز ابن دأية * وعشش فى وكريه جاش له صدرى فان طرفى الرأس يشبهان بالوكرين للنسر وقيل هما الرأس واللحية وكما فى الآية التى نحن فيها أقول فيه نظر فان وافى البراثن عظيم اللبدتين لابد ان تكون مستعملة فى معنى ولا يخفى ان استعمالها فى المعانى الاصلية لا وجه له فبقى ان يكون المراد غير المعنى الموضوع له وهو لو فرض انه ماذكر من تأكيد كمال الشجاعة يكون مجازا مستعملا مع الملايمة كما فى الآية التى نحن بصددها غاية الامر ان يكون مجازا مرسلا بالمناسبة كما لا يخفى ولمثل هذا قال السكاكى ان المراد بالاظفار فى قوله أنشبت المنية أظفارها شئ مخيل شبيه بالاظفار وكذا فى سائر نظائره ويمكن الجواب بان مراده ان وافى البراثن ليس مجازا مستعملا بمعنى آخر غير ماتقدم فان الأسد بمعنى الشجاع ووافى البراثن أيضا بمعناه فهو تأكيد له بخلاف الربح فانه ليس بمعنى الاستبدال الذى استعمل الاشتراء فيه ثم ان الفاضل التفتازانى قال فى شرح التلخيص ومما يدل على ان الترشيح ليس من المجاز والاستعارة ماذكره صاحب الكشاف فى قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا انه يجوز ان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام للوثوق بالعهد أو هو ترشيح لاستعارة الحبل لما يناسبه وقال الشريف العلامة فى حاشية الشرح فى هذا الكلام ايماء الى رد صاحب الكشاف حيث جوز فى الترشيح كونه حقيقة ومجازا كما فى قرينة الاستعارة بالكناية وله ان يؤول عبارة الكشاف بان المراد وهو ترشيح فقط فان الأول مع كونه ترشيحا فى الجملة استعارة وان كانت تابعة أيضا لاستعارة الحبل للعهد وقال فى شرح المفتاح واعلم ان ترشيح الاستعارة باق على حقيقته فلا يعتبر فيه تشبيه ولا استعارة ولذلك قال صاحب الكشاف فى قوله واعتصموا بحبل الله انه يجوز ان يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام استعارة للوثوق بالعهد أو ترشيحا لاستعارة الحبل لما يناسبه فاوقع الترشيح قسما للاستعارة أقول لا يخفى مخالفة كلاميه فى الحاشية والشرح فان الاحتمال الذى أبداه فى الحاشية وارد على نفسه واعلم ان ماذكره المحققان المذكوران دال على ان الترشيح لابد ان يكون حقيقة ولا يكون مجازا لكن الاستدلال بعبارة الكشاف لا يساعدهم فان عبارة الكشاف

ولما رأيت النسر عز ابن دأية * وعشش فى وكريه جاش له صدرى

والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمى شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل أو لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران (وما كانوا مهتدين) لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين

اذا أجرى على ظاهره يفهم منه ان الترشيح فى الآية المذكورة باق على حقيقته ولا يفيد ان كل ترشيح كذلك وقد يقال انه يمكن ان تؤول عبارة الكشاف بان يقال ان أو بمعنى الواو فقد أثبتها الكوفيون والاخفش والجرمى وعلى هذا فلا استدلال على ان الترشيح حقيقة لا استعارة وأولى من ذلك ان معنى كلامه ان المقصود الاصلى من الاعتصام الوثوق بالعهد نفسه من غير اعتبار كونه ترشيحا لاستعارة الحبل للعهد وان يكون المقصود الأصلى منه الترشيح ثم انه كيف يكون الاعتصام بالمعنى الحقيقى ولا يتصور معناه ههنا وكذا الربح الحقيقى والتجارة الحقيقية فى الآية المذكورة فلابد ان يكون بالمعنى المجازى وكذا فى جميع الصور وهو المفهوم من عبارة الكشاف على ما بينا (قوله ولما رأيت النسر عز ابن دأية) قال الشريف العلامة استعار لفظ النسر للشيب ولفظ ابن دأية وهو الغراب للشعر الاسود ورشح الاستعارتين بذكر التعشيش وهو أخذ العش وذكر الوكر وهو موضع الطائر الذى يأخذه للتفريخ قال العلامة واعلم ان الترشيح قد يكون باقيا على حقيقته تابعا للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها كقولك رأيت أسدا وافى البراثن كانك لا تريد به الا زيادة تصور الشجاع وانه أسد كامل من غير ان تذهب للفظ البراثن الى معنى آخر وقد يكون مستعارا من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له كما فى البيت فانه استعير فيه لفظ الوكر من معناه للرأس أقول قد حققنا ان وافى البراثن مجاز بمعنى الشجاع وانه مراد صاحب الكشف فلا تغفل (قوله ولذلك سمى شفا) بكسر الشين وبالفاء المشددة فان الشف هو الزيادة على الشئ يقال أشف بعض ولده على بعض اذا فضله عليه (قوله واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع الخ) المراد بالتلبس كون التجارة فعلا للتاجر وأثرا له وتحقيق هذا الاسناد على ماذكره صاحب الفوائد الغياثية أن لكل مركب هيئة موضوعة فان قام زيد مثلا له هيئة تركيبية موضوعة لمعنى هو نسبة مصدر الفعل الى ما هو فاعل له فاذا أريد بها نسبة ذلك المصدر الى ما يتعلق بذلك الفاعل كان مجازا فمعنى قولنا ربح التاجر ان التاجر فاعل الربح ومعنى قولنا ربحت التجارة ان التجارة سبب الربح والاول حقيقة والثانى مجاز وقد صرح بان هذا المجاز مجاز لغة وقد قيل انه مجاز عقلى اذ أثبت المتكلم حكما غير ما عنده ليفهم ما عنده ويتميز عن الكذب بالقرينة أقول هو ضعيف اذ الهيئة التركيبية ليست لفظا حتى يكون استعمالها فى غير ما وضعت له مجازا لغة وانما المسموع هو

الألفاظ المفردة وأما الهيئة التركيبية فامر معقول الان يتوسع فيقال المجاز اللغوى أعم مما هو واقع فى اللفظ المسموع بالذات أو فى شئ قائم باللفظ بجعله فى حكم المسموع ثم انه لاوجه لاثبات المتكلم حكما غير ماعنده اذ لايقدر المتكلم على الحكم على خلاف ماعنده الان يقال المراد الاثبات بحسب الظاهر (قوله الطالبتين) بكسر اللام والطالبة بمعنى المطلوب (قوله بطل استعدادهم) فان قلت الاستعداد الاصلى باق لايزول بالضلالات والاعتقادات الباطلة غاية الامر ان هذه الأمور مانعة للوصول الى المطلوب قلت مراده من الاستعداد الاستعداد القريب ولايخفى انه غير بعيد لان الضلالة بعد ماتثبت فى النفس احتاج ازالتها الى مؤنة كلفة ومشقة بعد ازالتها لاتبقى النفس على حالتها الاصلية فى اذعان الحق غالبا (قوله ولايضرب الا مافيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير) كذا فى الكشاف ويشعر بان عدم التغيير لاجل الغرابة ولايخفى ان كل تغيير لاينافى الغرابة فان من الامثال السائرة الصيف ضيعت اللبن بكسر تاء الخطاب ولو بدل الكسر بالفتح لم تزل الغرابة والاوجه ماقاله العلامة التفتازانى ان عدم التغيير لاجل ان المثل استعارة والاستعارة لفظ المشبه به المستعمل فى المشبه فيجب حفظ اللفظ الواقع فى المورد والا لم يكن اللفظ لفظ المشبه به فلم يكن استعارة (قوله والذى بمعنى الذين الخ) قيل عليه انه يجب جمع ضمير استوقد كما فى قوله كالذى خاضوا وأجيب بان توحيده نظرا الى ظاهر اللفظ وأورد على هذا الجواب انه يوجب جواز مررت بالرجال القائم بتوحيد الضمير نظرا الى صورة اللام المفردة وأجيب بان هذا هو القياس لكن لما كان اللام فى صورة لام التعريف حتى ذهب المازنى الى انه لام التعريف لم يعتبر صورته وجعل صلته تابعة للموصوف به فى الجمع هذا هو المفهوم من كلام

العلامة التفتازانى أقول يمكن الفرق بانه لم يذكر فى مثل الذى استوقد نارا موصوف مجموع لفظا ومعنى فجاز اعتبار حكم الذى الذى هو المفرد ورجع الضمير المفرد اليه واما فى نحو مررت بالرجال القائم فلم يجز ذلك لوجود الموصوف المجموع لفظا معنى فغلب حكم الموصوف

الطالبتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين من الربح فاقدين للاصل (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا) لما جاء تحقيقة حالهم عقيبها بضرب المثل زيادة فى التوضيح والتقرير فانه أوقع فى القلب وأقمع للخصم الألد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامرما أكثر الله فى كتبه الامثال وفشت فى كلام الانبياء والحكماء والمثل فى الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولايضرب الامافيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال أوقصة أوصفة لها شأن وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشأن كحال من استوقد نارا والذى بمعنى الذين كما فى قوله تعالى وخضتم

لانه المقصود وجعل الموصول صلة الى وصفه بالمشتق كما صرح به المصنف وغيره واعلم ان عبارة الكشاف ههنا هكذا فان قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذى موضع الذين كقوله تعالى وخضتم كالذى خاضوا والذى سوغ وضع الذى موضع الذين ولم يجوز وضع القائم موضع القائمين أمران أحدهما ان الذى لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه فى الكلام ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك تهكموا فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا على اللام وحده فى أسماء الفاعلين والمفعولين والثانى ان جمعه ليس بمنزلة من جمع بالواو والنون انما ذلك علامة لزيادة الدلالة أقول ليس فى كلامه تصريح بان أصل الذى الذين بحذف نونه وقوله لكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف يمكن ان يكون معناه ان الذى لكونه مستطالا استحق التخفيف ولذا بولغ فى الحذف فيه فعلم ان المعاوب فى الموصول التخفيف فلذا جعل الذى مقام الذين لان فى هذا الجمل تخفيفا لكن العلامة التفتازانى حمل عبارة الكشاف على ان الذى بمعنى الذين بطريق الحذف والتخفيف ثم قال صاحب الكشاف أوقصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذى استوقد نارا واعترض العلامة التفتازانى عليه بانه اذا كان الموصوف مثل الجمع والفوج جعل الذى تخفيف لذين مما لايقول به عاقل لما فيه أولا من تكلف فى جمع الذين وآخر فى افراد الضمير من غير حاجة أصلا أقول لايفهم من عبارة الكشاف ان التكلف المذكور لازم مع تقدير الجمع أو الفوج بل محصل كلامه الجواب عن السؤال بوجوه ثلاثة الاول جعل الذى بمعنى الذين الثانى قصد جنس المستوقدين الثالث تقدير الجمع والفوج ولايخفى انه لايلزم منه تكلف جعل الذى بمعنى الذين على تقدير الجمع والفوج اذ على كل تقدير يندفع السؤل المذكور وهو تمثيل الجماعة بالواحد فليتأمل نعم لوقال ان أصل الذى الذين فيلزم ماذكر من الاعتراض لكن لم يقل صاحب الكشاف ذلك بل غاية الامر ان أحد الاجوبة

عن السؤال الذى ذكره ان الذى فى هذا التركيب بمعنى الذين ولعل غرضه انه كذلك على تقدير عدم اعتبار الفوج أو الجمع لأن الذى مطلقا كذلك (قوله وهو وصلة الى وصف المعرفة الخ) قال الشريف العلامة المتبادر من قول صاحب الكشاف ان الذى لكونه وصلة الخ أنه بكماله اسم موضوع يتوصل به الى وصف المعارف بالجل كما ذهب اليه كثير من المحققين وظاهر ما ذكره فى المفصل بل صريحه يدل على ان اللام فى الذى حرف التعريف وان هذه اللام هى بعينها التى تعد فى الموصولات الا انها حينئذ اسم لا حرف لكونها بمنزلة الذى لكونها تخفيفا له وجمهور النحاة على ان اللام التى تعد من الموصولات ليس منقوصة من الذى بل هى اسم برأسها الا انها لما أشبهت حرف التعريف فى الصورة لزم ان يكون مدخولها مسبوكا من الجملة الفعلية وهى اسم فى صورة الحرف وصلتها فعل فى صورة الاسم فلذلك كان اعرابها ظاهرا فى صلتها مقدرا فى محلها واعترض صاحب الحواشى على ما نقل عن المفصل بان المعنى الذى وضع له ذلك اللام فى حال الاسمية والحرفية ان كان واحدا كان مستقلا بالمفهومية وغير مستقل بها هذا خلف وان كان متعددا كانت اللام المذكورة مشتركة وحينئذ لا يستقيم قوله هذه اللام بعينها اللام التى تعد فى الموصولات كما لا يستقيم ان يقال مثلا ان من الابتدائية هى بعينها من البيانية وأجاب عنه بانه يمكن التفصى عنه بان اللام الداخل على الذى لام التعريف وله معنى حرفى غير مستقل بالمفهومية واذا حذف الذى واكتفى عنه باللام ضمنت اللام معناه فقد انضم الى اللام معنى الذى وصار المجموع معنى مستقلا بالمفهومية (٩٢) أقول هذا مستكره بعيد جدا اذ يلزم منه ان يكون ما كان حرفا فى الاصل صار بحذف اسم متصل به اسما وصار مشتملا على معنى الاسم مستقلا بالمفهومية وليس له نظير فى كلامهم فالنقض عما اعترض به صاحب الحواشى ان يقال ان معنى قول العلامة الا انها حينئذ اسم لا حرف لكونها بمنزلة الذى الخ انه حرف فى حكم الاسم لكونها قائمة مقام الذى لكونها تخفيفا له واعلم ان الكلام فى جعل الذى بمعنى الذين انما

كالذى خاضوا ان جعل مرجع الضمير فى بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التى هى صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها لانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه أن لا يجمع كما لا تجمع أخواتها يستوى فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة تزيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء أبدا على اللغة الفصيحة التى عليها التنزيل ولكونه مستقلا لاصلته استحق التخفيف ولذلك يوقع فيه حذف ياؤهم كسرتهم اقتصر على اللام فى أسماء الفاعلين والمفعولين أو قصد به جنس المستوقدين أو الفوج الذى استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعى فى تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا (فلما أضاءت ماحوله) أى النار ماحول المستوقد ان جعلتها متعدية والا فأمكن أن تكون مسندة الى ما والتأنيث لان ماحوله أشياء وأماكن أو الى ضمير النار وما موصولة فى معنى الامكنة نصب على الظرف أو مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور (ذهب الله بنورهم) جواب لما والضمير للذى وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا

وتطويل الكلام فيه زائد على ما هو المقصود بالذات فان الغرض الاصلى من الآية تشبيه قصة المنافقين بقصة المستوقد لا تشبيه المنافقين بالمستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد نص عليه فى الكشاف فعبارته كالصريح فى انه لا يحتاج الى ان يجعل الذى بمعنى الذين بمعنى الجمع اذ التشبيه بين القصتين لا بين الجماعة والواحد ولان يجعل بمعنى الجنس ولا يحتاج أيضا الى تقدير الجمع والفوج لانه قال بعد تجويز الوجوه المذكورة على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم تشبيه الجمع بالواحد وانما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله تعالى ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت والمصنف ترك هذا التنبيه وتكلم بما يفيد بحسب الظاهر وجوب اعتبار أحد الأمور الثلاثة المذكورة فيحتاج فى اصلاح كلامه الى تكلف (قوله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها) يرد عليه انه اذا كان هذا معنى الوقود كان معنى مجرد لفظ استوقد طلب سطوع النار وارتفاع لهبها فلا حاجة الى ذكر لفظ النار بعده وهذا لا يرد على عبارة الكشاف فانه قال وقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ويفهم منه ان معنى الوقود ليس اشتعال النار بل مجرد الاشتعال فلا يلزم التكرار فتأمل (قوله أو الى ضمير النار وما موصولة فى معنى الامكنة الخ) فان قلت ما الفرق بين هذا الوجه والوجه الاول فان الفعل على الوجه الاول مسند الى ضمير النار وما حوله عبارة عن الامكنة أيضا قلت الفرق بان ما حوله على الاول مفعول به وفى هذا الوجه مفعول فيه وتوضيح المعنى على الاول فلما أضاءت النار الاماكن أو الاشياء التى حول المستوقد

أى جعلتها مضيئة وعلى هذا الوجه الآخر معناه فلما أضاءت النار فى أمكنة حول المستوقد صارت مضيئة هذا اذا كان الفعل لازما وان كان متعديا كان مفعوله محذوفا ويكون المعنى فلما أضاءت النار أشياء فيما حول المستوقد ويرد على الاول من هذين الوجهين ان النار لا توجد فيما حول المستوقد فليس تشرق فيه وأجاب عنه صاحب الكشاف بانه جعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها اسنادا للفعل الى السبب وفيه انه لا حاجة الى هذا التكلف لان النار موجودة فيما حوله لان ما حوله ما هو محيط به والنار توجد فيه لان وجود شئ فى آخر لا يلزم ان يكون فى جميع أجزائه كما ان كون الماء فى الكوز لا يستلزم ان يكون فى جميع أجزائه بل فى بعضه ويرد على الظرفية انه لابد من اظهار فى لانهم انما جوزوا حذفها من لفظ مكان حلاله على الظروف المكانية المبهمة لكثرة استعماله ولا كثرة فى الموصول المعبر به عن المكان بل هو قليل جدا هكذا قاله العلامة التفتازانى أقول فى قلة ما حول بمعنى المكان خفاء تأمل (قوله لانه المراد من ايقادها) فان قلت قد يكون المراد من ايقاد النار أمرا آخر غير النور قلت المقصود بحسب الغالب أو المقصود الأعظم من ايقاد النار فى الظلمة النور وهذا هو المراد ههنا بقرينة قوله وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ويحتمل ان يكون ذكر ذهاب النور ليستدل منه على ذهاب النار أو لانه أنسب بقوله تعالى وتركهم فى ظلمات ويحتمل أيضا ان يراد بالنور النار مجازا لكن الوجه الاول هو ماذكر فى الكتاب (قوله أو بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان) التمثيل قوله مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فان القصد من التمثيل وهو حال المنافقين مذكور فى البدل اذ المقصود ذهاب نورهم ووقوعهم فى الظلمات وانما قال على سبيل البيان اشارة الى ان المبدل منه ليس فى حكم المطروح بل هو معتبر أيضا فان ما صرح به فى التمثيل بيان حال المشبه به وهذا بيان حال المشبه (قوله والجواب محذوف) وهو قوله انطفأت ناره يدل عليه قوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات وأشار المصنف الى تقدير ماذكر بقوله ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره واختلفوا فى ان جعلها جوابا أولى أو جعلها استئنافا فبعضهم رجح (٩٣) الاول لعدم التقدير الذى هو خلاف الاصل ولان جعله تتمة الاول يوجب مطابقته للتمثيل الثانى وللاشتمال على المبالغة ولان الحمل على الاستئناف ضعيف لان السبب فى

انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها أو استئناف أجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره أو بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما فى قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وأمن الالتباس واسناد الذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله أو لان الاطفاء حصل بسبب خفى أو أمر سماوى كريح أو مطر أو للمبالغة

تشبيه حالهم قد علم فيما سبق فلا معنى للسؤال عن وجه التشبيه ورجع بعضهم الاستئناف لما فى جعله جوابا من عدم تطابق الضميرين لكونه مفردا فى الاول وجمعا فى الثانى وفيه مانع معنوى أيضا وهو انه لم يفعل ما يستحق ذهاب نوره بخلاف المنافق فجعله جوابا يحتاج الى تأويل أقول الظاهر من سوق العبارة جعله جوابا وجعله استئنافا لا يخلو من نوع خفاء ولذا قدم صاحب الكشاف جعله جوابا على جعله استئنافا وتابعه المصنف فان قلت فما معنى قول صاحب الكشاف ان الحذف أولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التى حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ فى اداء المعنى قلت معناه انه اذا لم يجعل ذهب الله جوابا بل يعتبر جواب آخر فالاولى حذفه للايجاز والاشارة الى أن الجواب مما لا يحيط به الوصف وليس مراده أن جعله استئنافا أولى من جعله جوابا فان قلت اذا قدر الجواب وهو انطفأت نارهم علم منه ذهاب النور فما وجه السؤال المقدر والجواب عنه بقوله ذهب الله بنورهم قلت لا يلزم من مجرد انطفاء النار ذهاب الله بنورهم وانما يعلم ذهاب نور النار ولا يعلم ذهاب الله بنورهم فالمقابل والوجه ان يقال الجواب المقدر بيان حال المستوقد وقوله تعالى ذهب الله بنورهم حال المنافقين (قوله أو بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان) فان ماقصد من التمثيل وهو حال المنافقين مذكور فى البدل اذ المقصود ذهاب نورهم ووقوعهم فى الظلمات وانما قال على سبيل البيان اشارة الى أنه ليس التمثيل فى حكم المطروح بل هو معتبر أيضا فان ما صرح به فى التمثيل بيان حال المشبه به وهذا بيان حال المشبه وقوله أو لان الاطفاء حصل بسبب خفى فيه ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ وان خفى على غيره فالمناسب ان يسند الفعل الى سببه الحقيقى الخفى حتى يعلم ثم ان مجرد كون السبب خفيا لا يصحح نسبة الفعل الى الله تعالى فان قيل نسب اليه باعتبار ان الكل منه تعالى فهو يرجع الى الوجه السابق ولعله لم يذكر صاحب الكشاف هذا الوجه لذلك ويمكن ان يقال ان مراده ان هذا التركيب وقع على عادة البلغاء من اسناد فعل يخفى فاعله الى الله تعالى (قوله أو للمبالغة) لان الاسناد الى الفاعل القوى مشعر بقوة الفعل الصادر فكيف اذا أسند الى الفاعل الذى هو أقوى من كل شئ بل لا قوة الا بالله العلى العظيم

(قوله ولذلك) أى ولاجل حصول المبالغة عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب ولذا قيل ذهبت بزيد معناه انى أذهبت زيدا وكنت معه فى الذهاب (قوله احتمل ذهابه بما فى الضوء من الزيادة) فان الضوء يستعمل لما يحصل من ذات الشئ كما للشمس ويخص النور بما يكون من غيره كالقمر فان نوره مكتسب من الشمس ولايخفى ان ماحصل لذات الشئ أقوى مما حصل فى الغير بسببه كما فى المثال المذكور (قوله الظلمة التى هى عدم النور) التصريح بان الظلمة أمر عدمى ليس بوجودى ردا لبعض المتكلمين الذى ذهب الى انها كيفية وجودية مانعة من الابصار (قوله وجمعها ونكرها) اما الجمع فهو للاشارة الى كثرة الظلمة حقيقة أوتوسعا بالاشعار الى ان الظلمة التى هم فيها ظلمة قوية كانها جمع من الظلمة كما ذكره المصنف واما التنكير فانه يفيد التعظيم (قوله فضمن معنى صير) فمعنى الكلام تركهم مصيرا ايا هم فى ظلمات ونمائم يجعل مجازا بمعنى صير لبعد المناسبة بينهما أولان (٩٤) الاضمار خير من المجاز (قوله فتركته جزر السباع ينشنه) الجزر جمع الجزيرة وهى الشياه التى أعدت للذبح والنوش التناول (قوله لانها تسد البصر وتمنع الرؤية) فان قلت اذا كان الظلمة أمرا عدميا كيف يسد الابصار ويمنع الرؤية قلت هذا على طريقة أهل العرف واللغة فانهم يجعلون عدم الشرط مانعا من وجود المشروط واما أرباب العلوم العقلية فلهم ان يقولوا ما ذكرنا غاية الأمر انهم يقولون عند عدم الضوء لاتتحقق الرؤية فيمكن اطلاق المانع عليها مجازا (قوله ظلمة الكفر وظلمة النفاق) الظلمة لما كانت مانعة من الابصار والوصول الى المقصد وتحصيل الغرض وهما لما نعان من الوصول الى المقصد الأصلى شبها بها واستعير اسمها لهما (قوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم الخ) أراد ان تخصيص المؤمنين بان نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم مشعر بان الكافرين فى الظلمة ولايخفى ان ثبوت الظلمات لازم اذا كان الضمير للمنافقين واما اذا كان الضمير للمستوقد فلا حاجة الى اعتبار كثرة الظلمة لكن اعتبارها بوجب قوة التشبيه (قوله ومفعوله من قبيل المطروح المتروك) لك ان تقول لم لايجوز ان يكون مفعوله أمرا عاما مقدرا فمعناه لايبصرون شيأ والجواب ان المبالغة فى هذا أقوى فكان فيه اشعار بأن ليس لهم الا بصار وحاسة البصر وهذا يستلزم ان لايبصروا شيأ بخلاف العكس اذ عدم ابصار الشئ لايستلزم نفى حس البصر (قوله مثل ضر به الله) أى حال ذكره الله الخ (قوله ومن صح له احوال الارادة فادعى أحوال المحبة) الارادة الاقبال بالكلية على الحق والاعراض عن الخلق وهى ابتداء المحبة ولذا قال صاحب المصطلحات الارادة جرة من نار المحبة فى القلب مقتضية لاجابة دواعى الحقيقة وقال صاحب

(قوله ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا أخذه وما أخذه الله وأمسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذى هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما فى الضوء من الزيادة و بقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا الا ترى كيف قرر ذلك وأكده بقوله (وتركهم فى ظلمات لايبصرون) فذكر الظلمة التى هى عدم النور واطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لايتراءى فيها شبحان وترك فى لاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى أفعال القلوب كقوله تعالى وتركهم فى ظلمات وقول الشاعر

فتركته جزر السباع ينشنه * يقضمن حسن بنانه والمعصم

والظلمة مأخوذة من قولهم ماظلمك ان تفعل كذا أى مامنعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و بايمانهم أوظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمدى أوظلمة شديدة كانها ظلمة متراكمة ومفعول لايبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والآية مثل ضربه الله لمن آثام ضر بامن الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقى متحيرا متحسرا تقر يراوتوضيحا لما تضمنته الآية الاولى و يدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم أضاعوا ما نطقت به ألسنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثار الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة أوارتد عن دينه بعد ما آمن ومن صح له أحوال الارادة فادعى أحوال المحبة فاذهب الله عنه ما أشرق عليه من أنوار الارادة وأمثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال و لاولاد ومشاركة المسلمين فى المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب أثره وانطماس نوره بأهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها (صم بكم عمى) لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وأبوا ان ينطقوا به

الفتوحات هى مقام لايبقى لصاحبه ارادة مع محبوبه ولاغرض ثم قال واختلف الناس فى حد الحب فما رأيت أحدا حده بالحد الحقيقى بل لايتصور ذلك فما حده من حده الا بنتائجه وآثاره ولوازمه وقد سئل بعض المحبين عن المحبة فقال الغيرة من صفات المحبة والغيرة تأبى الاالستر فلاحد (قوله بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير الخ) فانه لولا ذكر السلاح والمقذف لامكن حمل الاسد على معناه الاصلى لكن الآية لم يطوفيها ذكر المستعار له أى المشبه فان التقدير هم صم أى هم كصم فيكون تشبيها بليغا بحذف المشبه واداة التشبيه قال الشريف العلامة اعترض بانه اذا حذفت القرينة لم يصلح اللفظ للمعنى المجازى وأجيب بانه صالح له فى نفسه مع قطع النظر عن عدمها و ردبان صلاحية المعنيين ثابتة له فى نفسه أيضا مع وجودها اذا قطع النظر عنه فلامعنى لاشتراط عدمها فى هذه الصلاحية ثم الظاهر ان خلو الكلام المشتمل على ذكر اللفظ المستعار له عن ذكر المستعار مصحح لصلوح المستعار ان يراد منه المعنى المجازى اذلو اشتمل على ذكره أيضا لتعين المعنى الحقيقى فلا يكون صالحا للمعنى المجازى وان عدم قرينة المجاز مصحح لان يراد به معناه الاصلى اذ مع وجودها يتعين المعنى المجازى فلا يكون صالحا للمعنى الحقيقى فالخلو المذكور شرط لصلوح ارادة المعنى المنقول اليه وعدم القرينة شرط لصلوح ارادة المعنى المنقول عنه فيكون المجموع متعلقا بصلاحية المعنيين على التوزيع قال صاحب الحواشى فيه بحث اذ عدم قرينة المجاز موجب لارادة معناه الاصلى لامصحح لارادتها أقول قوله عدم قرينة المجاز موجب لارادة معناه الاصلى ممنوع لم لايجوز ان يقول القائل رأيت أسدا و يراد به الرجل الشجاع غاية الامر ان لا يكون هناك قرينة دالة (٩٥) على المعنى المجازى فان قلت المجاز لابد فيه من القرينة الصارفة فكيف يراد المعنى المجازى من غير قرينة قلت وجود القرينة الدالة لابد منه فى كون اللفظ مجازا لافى ارادة المعنى المجازى فان قلت المراد من وجوب ارادة المعنى الاصلى عند عدم القرينة انه يجب على السامع حمل اللفظ

> ألستهم و يتبصروا الآيات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم واتفت قواهم كقوله
> صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا
> وكقوله أصم عن الشئ الذى لاأريده * وأسمع خلق الله حين أريد
> واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لاالاستعارة اذ من شرطها أن يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير
> لدى أسدشاكى السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم
> ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال أبو تمام الطائى
> و يصعد حتى يظن الجهول * بان له حاجة فى السماء
> وههنا وان طوى ذكره بحذف المبتدأ لكنه فى حكم المنطوق به ونظيره

المسموع على المعنى الاصلى حينئذ قلت هذا أيضا ممنوع غاية الامر أن الظاهر عند عدم القرينة حمله على المعنى الاصلى وأما وجوبه ففير مسلم ثم انه أورد عليه أنه لايجرى فى الاستعارة المكنية اذ المذكور فيها المستعار له وأجيب بان المستعار فى قوله أنشبت المنية أظفارها هو السبع المذكور بطريق الكناية لان المعتبر فى الاستعارة بالكناية هو المكنى عنه لا المكنى به والمستعار له وهو الموت مطوى وحاصل هذا الكلام أنه يجب فى الاستعارة أن يكون المستعار له مطويا تحقيقا كما فى الاستعارة التصريحية أوفى حكم المطوى كما فى الاستعارة بالكناية لان قوله أنشبت المنية فى حكم قوله أنشبت السبع قال صاحب الكشاف فى هذا المقام ان الاستعارة جاءت فى الاسماء والصفات والأفعال تقول رأيت ليونا ولقيت صماعن الخير ودجا الاسلام وأضاء الحق وأورد العلامة التفتازانى عليه سؤالا وأجاب عنه فقال فان قيل الاستعارة فى الصفات والافعال تبعية وهى كما تجرى فيها تجرى فى الحروف فلم اقتصر عليها دونها قلت لانها لاتجرى فيها على هذه الطريقة أعنى التصريح بالمشبه به مذكورا بلفظ الحرف أقول لايخفى أن المشبه به فى الافعال والصفات هو المصدر وهو غير مذكور عند ذكرهما بل المذكور ما يشتق منه الآن يقال هو مذكور بمادته ووجوهره وان لم يذكر بصورته (قوله ومن ثم ترى المفلقين السحرة) المفلق هو الآتى بالعجائب (قوله يضربون بمعنى يعرضون) والصفح الاعراض والتنكير للدلالة على القوة (قوله يصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة فى السماء) الحاجة الى السماء مناسب للعلو المكانى لكن الصعود ههنا مستعمل للعلو الرتبى فترتيب الحاجة الى السماء عليه مبنى على تناسى التشبيه وجعل الصعود ههنا صعودا مكانيا ونسبة الظن الى الجهول امالان العارف يعلم أن لاحاجة للانسان الى السماء وامالانه يعلم أنه لاحاجة لخصوص ذلك الصاعد الى السماء وامالان الجهول يشبه عليه الصعود الرتبى بالصعود المكانى

(قوله أسد علي وفي الحروب نعامة) قال العلامة التفتازاني النزاع في هذا المقام أعني في كون مثل ماذكر تشبيها أو استعارة ليس لفظيا محضا بل مبنيا على ان اسم المشبه به ههنا مستعمل في معناه الحقيقي حتى لا يستقيم الكلام الا بتقدير الكاف ويكون تشبيها أو في معنى المشبه به كالرجل الشجاع مثلا ليكون استعارة بمعنى اللفظ المستعمل فيما يشبه بمعناه الاصلي ويصح الحمل من غير تقدير الكاف وهذا هو المختار عندي قال ابن مالك اذا قلت هذا أسد مشيرا الى السبع فلا ضير في الخبر واذا قلته مشيرا الى الرجل الشجاع فثم حذف المشبه به لانه مؤول بما فيه معنى الفعل وغرضه انه بمعنى الشجاع وقال في شرح التلخيص انا لانسلم ان أسد في زيد أسد مستعمل فيما وضع له بل مستعمل في معنى الشجاع فيكون مجازا واستعارة كما في رأيت أسدا يرمي بقرينة حمله على زيد ولا دليل لهم على ان أداة التشبيه ههنا محذوف وان التقدير زيد كالاسد فقولنا زيد أسد أصله زيد رجل شجاع كالاسد فحذف المشبه واستعمل المشبه به في معناه فيكون استعارة وبدل على ماذكرنا ان المشبه به في هذا المقام كثيرا ما يتعلق به الجار والمجرور كقوله أسد علي وفي الحروب نعامة انتهى كلامه ولا يخفى ان ماقاله جار في الآية الكريمة فتكون الالفاظ المثلاثة استعارات فيكون الاصل هم أشخاص لا يتفعون باسماعهم كالرجال الصم فحذف المشبه به وهو الاشخاص مع صفتها واستعمل الصم بمعناها ويرد عليه أي العلامة التفتازاني الاعتراض بأن صاحب الكشاف استدل على كونه تشبيها بأن شرط الاستعارة طي ذكر المستعار له لفظا وتقديرا لكن المشبه مقدر ههنا فلا يصح حمل الالفاظ على الاستعارة والعلامة التفتازاني لم يتعرض لهذا الدليل فان قيل لا يجب طي المشبه مطلقا بل يجب أن لا يذكر على وجه ينبئ على التشبيه كما حقق في موضعه فلناقد صرح الشريف العلامة بأن المراد من طي المشبه على الوجه المذكور أن لا يذكر على وجه يكون بين طرفيه حمل أو ماهو في معناه ولا يخفى وجود الحمل ههنا فلا تصح الاستعارة واعترض عليه الشريف العلامة بكلام طويل حاصله ان زيد أسد مسوق لبيان تشبيه زيد بالاسد فيكون الاسد مستعملا في معناه الحقيقي كما ذكره القوم وليس هذا اللمعنى المجموع وهو الرجل الشجاع مشبها بالاسد فان الشجاعة خارجة عن

أسد علي وفي الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر

هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي من تعلق الجار والمجرور به يشعر بأن أسدا في أسد على مستعمل في مفهوم مجتزء فلا يتصور حينئذ تشبيه فضلا عن الاستعارة بل يكون من قبيل اطلاق الملزوم على اللازم كما سيتم ان استعمال الاسد في معناه الحقيقي لا ينافي تعلق الجار به اذا لوحظ مع ذلك المعنى على سبيل التبع ماهو لازمه ومفهوم منه في الجملة من الجرأة والصول انتهى كلامه أقول الحق ههنا ايراد تفصيل وهو أن يقال ان كان المراد من قولنا زيد أسد تشبيه زيد بالاسد كان الاسد مستعملا في معناه الحقيقي فيكون الامر كما قاله الشريف العلامة وان كان المراد حمل معنى الاسد عليه كان الاسد مستعملا في معناه المجازي فان صح انه أريد به الرجل الشجاع كان استعارة فتأمل وأما اذا أريد المجترئ مرسلا والقرينة على ارادة أحد هذين المعنيين الحمل كما قاله العلامة التفتازاني فان دلت اذا أريد به الرجل الشجاع كما ذكرنا فلما ان يراد مفهومه أو فرده لا وجه للاول في نحو قولك زيد أسد و زيد ليس مفهوم الرجل الشجاع ولا ثانيا لان اخذ غير مفهوم اللفظ لان اسم الجنس موضوع للحقيقة الكلية فالرجل الشجاع موضوع للحقيقة الكلية فاذا استعمل الاسد فيه كان معناه ذلك نقول أولا المراد الاول وليس المراد من حمل المفهوم المذكور على زيد انه غير ذلك المفهوم بل ان بينهما اتحادا في الوجود كما في حمل سائر المفهومات على الافراد ونقول ثانيا المراد الثاني وهو معلوم اجمالا بالقرينة من غير تعيين ويمكن أيضا دفعه بأن يقال اسم الجنس موضوع للفرد المنتشر كما هو مذهب البعض فرجل شجاع معناه الفرد المنتشر فاذا استعمل الاسد بمعناه كان أيضا كذلك (قوله على ان الآية فذلكة التمثيل ونتيجته) يرد عليه شيآن أحدهما ان نتيجة التمثيل كونهم عميا ولا يعلم منه كونهم صما بكما والثاني انه على تقدير لزومهما أيضا فالاحسن تقديم العمى لكونه ظاهر اللزوم أقول الجواب عن الاول يعلم ضمنا من كلامه فان المستوقدين المذكورين لما تحيروا واختلت قواهم وتعطلت الحال انه شبه حال المنافقين بحالهم حصل في العقل ان حال المنافقين كحال المستوقدين في كونهم صما بكما عميا وعن الثاني انه يمكن أن يقال ان أول مايظهر من أمر النبوة هو ما يتعلق بالسماع وهو دعوى نبي ونزول القرآن ولما لم ينتفعوا به نفى عنهم السماع أولا ولما ذكر مايتعلق بالسماع ناسب أن يذكر مايتعلق بحواسهم ولما لم ينتفعوا بالنطق بأن طعنوا بالحق في جواب النبي عليه الصلاة والسلام نفى عنهم النطق ثم ان بعد الدعوى وانكارهم أظهر المعجزة التي تتعلق بالابصار ولما لم ينتفعوا منه نفى عنهم الابصار

(قوله فهي على حقيقتها) أي ليست مبنية على التشبيه قال صاحب الحواشي هذا غير مسلم اذ من المعلوم أن انطفاء النار لا يحصل الصمم والبكم والعمى لمستوقدها وأن التعبير عن اختلال الحواس وانتقاض القوى بهذه مجازات لا حقائق أقول الظاهر أن مراد المصنف ليس انطفاء النار مستلزما لما ذكر على كل حال حتى يرد الاعتراض بانه لا يحصل لهم الصمم والبكم والعمى بل مراده انه يمكن الحمل على الحقيقة على التقدير المذكور بان فرض مستوقد يحصل له الصمم والبكم والعمى باطفاء الله تعالى ناره وجعله بسببه متصفا بها ويكون ذلك المستوقد مشبها به بخلاف ما اذا كان ضمير راجعا الى المنافقين فيكون المراد على التقدير المذكور تشبيه حال المنافقين بحال من استوقد نارا ورأى ذهاب الله تعالى نارهم وجعلهم في غاية الحزن والدهشة والخوف فاقدى قوى السمع والنطق والبصر وهذا لا ينكر من قدرة الله تعالى فيكون أشد في تقبيح حال المنافقين وخسارهم فان قلت فما موقع جملة صم بكم عمي قلت اما جملة استئناف أو حال من مفعول تركهم والرابط الضمير الذي هو صاحب الجملة وهو جائز عند بعضهم من غير ضعف (قوله لان سببه أن يكون باطن الصماخ مكتنزا لانجويف فيه) ليس مطلق الصمم بسبب ذلك بل عدم التجويف نادر وقد يكون بفقد القوة أو لمانع آخر مثل غلظ العصب المفروش في باطن الصماخ وعدم تأثره من الصوت أو شيء آخر ثم ان المعنى الذي ذكر لا يناسب جعله حالا للمستوقد (قوله لا يعودون الى الهدى الخ) هذا ناظر الى أن يكون الضمير في الآية السابقة راجعا الى المنافقين وقوله فهم متحيرون لا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون يلائم ما اذا كان الضمير راجعا الى المستوقدين (قوله الاحكام السابقة) أي كونهم (٩٧) صما بكما عميا كونهم صما وعميا ظاهر السببية في عدم رجوعهم لان الاعمى لا يهتدي الى الطريق والاصم لا يسمع قول من يهديه اليه وأما كونهم بكما فلا ظهور سببيته لعدم الرجوع ويمكن أن يقال البكم لا يقدرون على أن يسألوا من يهديهم الى الطريق فهو سبب لعدم الاهتداء في الجملة (قوله للتساوي في الشك) يرد عليه أن الشك هو تساوي وقوع النسبة ولا وقوعها

فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما أوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة أذهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقضت قواهم وثلاثتها قرنت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم أصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر أصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه أن يكون باطن الصماخ مكتنزا لانجويف فيه فيشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه أن يبصر وقد يقال لعدم البصيرة (فهم لا يرجعون) لايعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه أو عن الضلالة التي اشتروها أو فهم متحيرون لا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم (أو كصيب من السماء) عطف على الذي استوقد أي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون أصابعهم في آذانهم وأو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن أو ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله أو كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين واسهما سواء في صحة

(١٣ - (بيضاوي) - اول)

عند العقل فقوله للتساوي في الشك معناه للتساوي في التساوي فالوجه أن يقال أو للشك وقد قال أهل العربية ان أو للشك أو غيره قال الرضي قال النحاة ان أو اذا كانت في الخبر يطلب بها ثلاثة معان الشك والابهام والتفصيل وقال صاحب المغني ان أو حرف عطف ذكره المتأخرون معاني انتهت الى اثني عشر أحدها الشك والمصنف تابع صاحب الكشاف في هذه العبارة والجواب أن يقال الشك هو تردد الخاطر وعدم اعتقاده باحد الطرفين فالمراد بقوله أو للتساوي في الشك ان أو للتساوي الواقع في صورة الشك فان الطرفين متساويان عند العقل في صورة تردده قال العلامة التفتازاني ماذكره صاحب الكشاف جار على ما اشتهر بينهم من ان أو كلمة شك الا أن تحقيق انها لاحد الامرين والشك هو المتبادر الى الفهم من اطلاقها في الخبر وان كانت تحتمل التشكيك والابهام على السامع والمبالغة في تفخيمه كقوله وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب وهو يستعمل لمجرد التساوي كما في الامر والنهي حيث يقال انها للتخيير والاباحة على ما قال في المفصل بعد جعلها لاحد الامرين انه قد يقال في الخبر للشك وفي الامر والنهي للتخيير والاباحة أقول فما في الكشاف ناظر الى أن الشك يتبادر وهو من أمارات الحقيقة على ما ذكر في الاصول وما في المفصل ناظر الى أن جعلها لاحد الامرين معنى مشترك بين الكل فالقول بانها موضوعة لاحد الامرين أولى من القول باشتراكها فالظاهر بين الامور المذكورة أو بكونها موضوعة لواحد منها (قوله فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة) هذا ناظر الى المثال الاول وقوله ووجوب العصيان ناظر الى الثاني

(قوله وأنت مخير فى التمثيل بهما أو بأيهما شئت) لك أن تقول ان هذا لا يستفاد من أو بل المستفاد منها انه يمكن التمثيل بأيهما شئت وأما التمثيل بمجموعهما فلا يس مستفادا من لفظه لان معنى كلمة أو كذا كر هو تساوى كل من أمرين فى شئ ولا يلزم من حصول شئ لكل واحد من أمرين أن يكون مجموعهما تلك الحالة ولا يخفى أن لا معنى لتشبيه حال المنافقين بمجموع الحالتين المذكورتين من حيث المجموع بل تشبيه حالهم بكل واحد من الحالتين أو بواحد فقط والجواب ان غرضه انه يستفاد من قوله تعالى أو كصيب أن حالهم أى المنافقين شبيه بالحالتين المذكورتين واذا كان كذلك صح التشبيه بهما جميعا أى بان يذكر الحالتان معا و يشبه حال المنافقين بكل منهما أو يذكر احداهما فقط و يشبه حالهم بها وليس المعنى انه يصح أن يشبه بالمجموع من حيث هو مجموع (قوله يقال للمطر والسحاب) فان قلت ما وجه اطلاق الصيب على السحاب والحال ان أهل الحكمة زعموا أن السحاب يتخار صعده من البحر فاذا وصل الى الجو البارد يغلظ وانجمد قلت قد يقال قال صاحب الكشاف فى الآية دلالة على ان السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماء ولا كر عم من زعم انه يأخذ من البحر ويؤيده قوله تعالى و ينزل من السماء من جبال فيها من برد أقول اما ان فى الآية دلالة على ذلك فمحل نظر اذ الظاهر من الصيب المطر وعلى هذا بل على احتماله لا يكون فى الآية دلالة على مذكر بل هذا يحتاج الى رواية وفى الطيبى أن الامام قال من الناس من قال ان المطر انما يحصل من ارتفاع إخرة رطبة من الارض الى الهواء فينعقد هناك من شدة برد الهواء ثم ينزل مرة أخرى والله تعالى أعلم بطل ذلك المذهب هنا بان بين أن ذلك الصيب نزل من السماء وكذلك بقوله وأنزلنا من السماء ماء طهورا وبقوله و ينزل من السماء من جبال فيها من برد أقول فيه نظر (قوله وأسحم دان) أى سحاب أسود قريب (قوله وتعريف السماء للدلالة) هذا دال على ان اللام للاستغراق وقوله بعد ذلك فاللام لتعريف الماهية يدل (٩٨) على ان اللام لتعريف الحقيقة والجنس لكن الاول على تقدير حمل السماء على

التشبيه بهما وأنت مخير فى التمثيل بهما أو بأيهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر والسحاب قال الشماخ * وأسحم دان صادق الرعد صيب * وفى الآية يحتملهما وتنكيره لانه أريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل أفق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء وقال * ومن بعد أرض بنا وسماء * أمديه ما فى الصيب من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية (فيه ظلمات ورعد وبرق) ان أريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة تجمعه مع ظلمة الليل وجمله مكانا للرعد والبرق لانهما فى أعلاه ومنحدره ملتبسين به وان أريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل

من الافراد وهو تعريف الجنس والحقيقة ونحوه علم الجنس واما على حصة معينة وارتفاعها

منها وهو العهد الخارجى واما على حصة غير معينة وهو العهد الذهنى واما على الكل وهو الاستغراق والحق أن يقال ان لام الاستغراق فى الاصل لام الجنس كما صرح به فى المطول حيث قال لام الاستغراق وهى لام الحقيقة يقصد به الاستغراق وقوله وهو تعريف الجنس والحقيقة فى مقابلة لام العهد والاستغراق أريد به أن لام الحقيقة اذا أريد بها نفس الحقيقة من غير نظر الى الافراد اختص بهذا الاسم لا اسم له غيره وأما اذا كان النظر الى الافراد فذلك اسم آخر دال على هذا أنظر صاحب الكشاف حيث أطلق لام الجنس على ما يفيد الاستغراق كما قال فى قوله ان الله يحب المحسنين ان اللام للجنس فيتناول كل محسن (قوله أمديه ما فى الصيب من المبالغة) التى فى الصيب من الجهات المذكورة) أى حصل بالجمل المذكورة زيادة وقوة فى المبالغة (قوله من المبالغة من جهة الاصل) قال العلامة التفتازانى فيه مبالغات من جهة المادة الاولى لان الصاد من المستعلية والياء مشددة والياء من الشديدة ومن جهة المادة الثانية لان الصوت فرط الانسكاب والوقوع من جهة صورته لان فيعلا صفة مشبهة دالة على الثبوت ولك أن تقول الوجه الاول متعلق بخصوص اللفظ لا تعلق له بالمعنى فلا يفيد المبالغة فى المعنى وأما الثالث فلان مجرد الثبوت لا يدل على المبالغة فتأمل (قوله لانهما فى أعلاه ومنحدره البرق يحدث فى أعلى المطر لانه لطيف جدا ينطفئ بسرعة فلا يبقى الى أن ينزل الى أسفل المطر وأما النار فلا صاعقة وهى التى تحدث من مادة غليظة قال ابن سينا ان البرق يحس فى الآن بلا زمان ولكن يمكن أن يبقى الى ان يصل الى بعض منحدر المطر وأما الرعد فهو فى أعلاه وأسفله لانه حصل من تموج الهواء الحاصل من انحراف السحاب فسبب خروج البرق فيستمر التموج الى أن يصل الى صماخ السامعين (قوله فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل) لا يخفى ان التطبيق ليس الظلمة نفسها وانما هو سبب الظلمة فيكون فيه توسع والمراد ما يترتب

على التطبيق من ظلمة الليل ظلمة الليل وفيه اشعار بأن الليل كلها موجودة فى السحاب وليس كذلك انظلمة الليل انما حصلت فى الجو فيكون بعض منها حاصلا فى السحاب وهذا هو المراد ويمكن أن يقال من الظلمات الظلمة الشديدة فى الغاية فكأنها ظلمات (قوله وارتفاعها بانها فاعل الظرف) ظاهر العبارة مشعر بان رفعها بكونها فاعلا للظرف متعين لكنه ليس بمراد وانما أراد ان كونها فاعلا لاظرف جائز بل أولى من جعلها مبتدأ وان كان هو أيضا جائزا قال الرضى قال أبو على وادعى انه مجمع عليه ان الظرف اذا عتمد على موصوف أو موصول أو ذى حال أو حرف استفهام أو حرف نفى فانه يجوز ان يرفع الظاهر لتقويته بالاعتماد كاسمى الفاعل والمفعول والصفة المشبهة ثم قال الرضى ويجوز أن يقال فى جميع ذلك ان الظرف خبر مقدم على المبتدأ (قوله اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها) قال ابن سينا فى كائنات الجو من طبيعيات الشفاء والسبب فى حدوث ذلك الصوت انه يحدث من مفاعلة مابين النار والرطوبة حركة عنيفة تكون هى سبب الصوت كما اذا أطفأت النار فيما بين أيدينا حدث صوت دفعة بحدوث حركة هوائية عنيفة سريعة دفعة يقرع عند ذلك المتحرك سائر الهواء ويحركه السريعة الصاعدة أو المائلة قرعا شديدا يحدث منه الصوت والذى يقال من حدوث الرعد بسبب اصطكاك الغيوم فبعيد الا ان يكون لها من الحركات ما يصير فى أحكام الرياح واعلم أن ابن سينا ذكر فى حدوث البرق انه قد يصدمع البخار الذى هو منشأ السحاب دخان فاذا وصل البخار الى الجو انعقد وانجمد وصار سحابا وبقى فيه (٩٩) من الدخان محتبسا غاية العرض للسحاب سببه عصر للدخان بسبب جمع أجزائه أى السحاب وميل بعضها الى بعض بسبب التكاثف ولا يقدر الدخان على الصعود لان أعلى السحاب جامد بسبب قربه الى الموضع الابرد فيستحيل الدخان ريحا عاصفة فى باطن السحاب يميل الى خرجه من جانب السحاب وتحرك فصار مشتعلا لان هذا الدخان لطيف منتهب للاشتعال فيشتعل بادنى سبب (قوله ويسقون من وردالبريص عليهم الخ) بردى نهر بدمشق والبريص يتشعب منه والتصفيق نقل من اناء الى اناء آخر للتصفية والرحيق صفوة الخمر السلسبيل السهل الانحدار وتعديته ورد بملى مع ذكر المفعول على تضمين معنى النزول والباء فى الرحيق للمصاحبة (قوله من العيمة) أى شهوة اللبن أى من أجل العيمة فمن يؤدى معنى اللام فقد يكون ما بعده غاية يقصد حصولها وقد يكون باعثا يتقدم وجوده والمثال المذكور من هذا القسم (قوله والصاعقة صفقة رعد هائل) قال ابن سينا فى طبيعيات الشفاء وأما الصاعقة فانها ريح سحابية مشتعلة ليست بلطيفة لطف البرق الذى لاجله لا يبقى شعاع البرق زمانا يعتد به بل هى ريح سحابية مشتعلة تنتهى الى الارض لاضوءها وحده بل جرمها المشتعل وأما قول المصنف قصفة رعد فالظاهر انه شبه صوت الرعد قال فى الصحاح رعد قاصف شديد الصوت (قوله الا أنت عليه) أى أهلكته قال ابن سينا وتذيب الصاعقة الصلب الضيقة على الرشة ولا تحرق الرشة وكذلك قد تذيب الذهب فى الصرة ولا تذيب الصرة لا ما يحرق من الذوب وهذا يخالف قول المصنف مخالفة ما (قوله اما صاعقة لقصفة الرعد) فهى نفسها صفتها والجواب أن المقصود ان ماذكر كان بحسب الاصل وقد صارت اسما لها فهى صفة لقصفة الرعد باعتبار الاهلاك لان الصوت الاهلاك كما قال صوتت صاعقة اذا أهلكته بالاحراق فاذا كان صفة للقصفة فالتاء للتأنيث لكون موصوفها مؤنثا واذا كان صفة الرعد فالتاء للمبالغة (قوله واغفر عوراء الكريم الخ) العوراء

وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها كما اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشئ بريقا وكلاهما مصدر فى الاصل ولذلك لم يجمعا (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه وأقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز أن يعول عليه كما عول حسان فى قوله

يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل

حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكأنه لما قال كرما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما أطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة (من الصواعق) متعلق بيجعلون أى من أجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشئ الا أتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع أو مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا أهلكته بالاحراق أو شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البناءين فى التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة وهى فى الاصل اما صفة لقصفة الرعد أو للرعد والتاء للمبالغة كما فى الراوية أو مصدر كالعافية والكاذبة (حذر الموت) نصب على العلة كقوله

وأغفر عوراء الكريم ادخاره * واصفح عن شتم اللئيم تكرما

الكلمة القبيحة أى استرقبح الكريم لاجل ادخار احسانه (قوله والجملة اعتراضية لامحل لها) فائدة الاعتراض انه لما شبه المنافقون بالمستوقد المذكور الحائد عن الموت بالحيلة المذكورة فهم منه ان المنافقين أيضا احتالوا فى دفع البلاء عنهم بالحيلة فرد عليهم بقوله تعالى والله محيط بالكافرين فلا يقدرون على ماذكر (قوله والله محيط بالكافرين) قال الشريف العلامة احاطة الله تعالى بالكافرين مجاز شبه شمول قدرته تعالى اياهم باحاطة المحيط بما أحاط به فى امتناع الفوات فكان هناك استعارة تبعية فى الصفة سارية اليها من مصدرها وان شبه حاله تعالى معهم بحال المحيط من المحاط أى شبه هيئة منتزعة من عدة أمور بأخرى مثلها كان هناك استعارة تمثيلية لاتصرف فى شئ من ألفاظ مفرداتها الا أنه لم يصرح الا بلفظ ماهو العمدة فى الهيئة المشبهة بها أعنى الاحاطة والبواقى من الالفاظ منوية فى الارادة على مامر تحقيقه فى نظائره ومن زعم ان كون هذه الاستعارة تبعية لاينافى كونها تمثيلية لما فى الطرفين من اعتبار التركيب ان أراد به أن معنى الاحاطة مركب فبطلانه ظاهر لانها كالضرب مدلولها مفرد وان أراد اعتبار هيئة منتزعة من مدلولها مع غيره لم يكن مدلول الاحاطة مشبها به فكيف يسرى منه استعارة الى الوصف المشتق منها ومن ههنا ينكشف أن الاستعارة التمثيلية لاتكون تبعية كما نبهت عليه مرة فى أولئك على هدى قال صاحب الحواشى فيه بحث لجواز أن يختار ان معنى الاحاطة مركب لا بالقياس الى لفظ الاحاطة بل بالقياس الى ألفاظ لوحظ اجزاء هذا المعنى بها حال التركيب مثلا لوحظ هذا المعنى وعنى لفظ الاحاطة بازائه ثم عبر عنه فى حال التشبيه بلفظ الاحاطة وليكف هذا القدر فى التركيب المعتبر فى التمثيل وما استدل به العلامة المحشى على التركيب يستلزم هذا القدر ولا يقتضى التركيب فى حال التشبيه كما عرفت آنفا ولو لم يكتف فى التركيب المعتبر فى التمثيل بهذا وشرط التعبير عن المعنى حال التشبيه بألفاظ مركبة لزم أن يكون تشبيه معنى معين اذا عبر عنه بألفاظ مركبة تمثيلا واذا عبر عنه بلفظ مفرد لا يكون تمثيلا وبعده لايخفى وعلى هذا كون الاستعارة تبعية لاينافى كونها تمثيلية أقول فى البحث المذكور بحث اما أولا فلان معنى الاحاطة غير مركب التركيب (١٠٠) المعتبر ههنا فان معناها كون الشئ حول آخر وهذا معنى مقيد لا مركب وفرق بين المقيد والمركب كما قرر فى علم البيان وأما ثانيا فلان الظاهر أن صحة التشبيه التمثيلى انما تكون اذا روعى الامور المنتزعة المتعددة من حيث انها متعددة مفصلة لا من حيث انها واحدة مجملة واللفظ الواحد لا يدل على المتعدد من حيث هو متعدد بل يدل عليها أى على الامور مجملة كما قالوا ان الانسان يدل على الحيوان الناطق مجملا أى من حيث انه واحد بلا تفصيل وتعدد ملاحظته والتفاوت ولفظ الحيوان الناطق يدل على معنييهما بالتفصيل فلا تكون الاحاطة مفيدة لما اعتبر فى التشبيه التمثيلى وأما ثالثا فلا نسلم بعد ماذكر اذ لا بعد فى تسمية شئ معين باسم خاص باعتبار حالة أخرى قال الشريف العلامة ومن المتأخرين من جوز أن يكون طرفا التشبيه التمثيلى مفردين وتوصل الى تجويز افراد الطرفين فى الاستعارة التمثيلية ثم قال أما التجويز الاول فوجه بوجهين أحدهما ان وجه الشبه فى التشبيه التمثيلى ربما كان منتزعا من عدة أوصاف بطرفين مفردين كما فى تشبيه الثريا بالعنقود فالواجب فيه تركب وجهه لا طرفيه وهو مردود لما مر من أنه خلاف المتبادر من العبارة فلا يصار اليه فى التعريفات لاسيما اذا لم يكن هناك ضرورة اليه ولم يقل من يتمسك بكلامه ان تشبيه الثريا بالعنقود تمثيل الوجه الثانى ان انتزاع وجه الشبه من متعدد فى طرفى التشبيه يوجب تعددا فى كل منهما بحسب المعنى دون اللفظ لجواز أن يعبر عن الامور المتعددة فى كل منهما بلفظ كقوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا وهو مردود أيضا بأن انتزاع وجه الشبه من تلك الامور المتعددة يستلزم أن يلاحظ كل منها قصدا فلا يصح أن يكون تلك العدة معبرا عنها بلفظ واحد فان الذهن انما ينتقل من اللفظ الواحد الى تلك العدة اجمالا بحيث لا يكون شئ منها متصورا متوجها اليه فى نفسه بحسب تلك الملاحظة الاجمالية فكيف يتصور انتزاع وجه الشبه منها بحيث يكون لخصوص كل واحد منها مدخل فيه لا يقال اذا لاحظناه اجمالا فى ضمن لفظ واحد فلنا بعد ذلك أن نلاحظ تفاصيلها وننتزع وجه الشبه لانا نقول هى من حيث انها لوحظ تفاصيلها ليست مدلولة لذلك اللفظ الواحد بل لالفاظ متعددة بحسبها مقدرة فى الارادة سواء كانت مقدرة فى نظم الكلام أولا كما سيأتى تحقيقه أقول حاصل ماقاله ان التشبيه التمثيلى الواقع فى التركيب البليغ وهو المبحوث فيه فى علم البيان يجب أن ينتزع من أمور يدل عليها بألفاظ متعددة ملحوظة تفصيلا فلو دل عليها بلفظ واحد لم يكن التشبيه تمثيليا (قوله استئناف ثان) الى قوله مع تلك الصواعق لايخفى أنه اذا قدر السؤال هكذا لا يلائمه الجواب بان البرق خطف

والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت والحياة ورد بأن الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة (والله محيط بالكافرين) لايفوتونه كما لايفوت المحاط به المحيط لايخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لامحل لها (يكاد البرق يخطف أبصارهم) استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول

أبصارهم لأن البرق شئ والصاعقة شئ آخر ولقد أحسن صاحب الكشاف حيث قال لما ذكر الرعد والبرق على مايؤذن بالشدة والهول فكان قائلا يقول لما ذكر الرعد والبرق كيف حالهم مع ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف أبصارهم (قوله كاد لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد الخ) لم نجد هذا التقرير في كتبهم والظاهر انه اذا لم يوجد سبب الخروج مثلا وهو الباعث عليه في مثل قوله كاد زيد يخرج لكنه قرب ذلك السبب وارتفع مانع الخروج ووجد الشرط صح أن يقال كاد زيد يخرج فان قيل المراد بالسبب الفاعل فكان في الصورة المذكورة السبب موجودا والشرط الذي هو الباعث عليه غير موجود قلنا مجرد وجود الفاعل لا يوجب جعل الفعل قريب الحصول والاولى الاكتفاء في معناه بقرب الخبر من الوجود بأي طريق كان (قوله ولذلك جاءت متصرفة) أي لاجل ان كاد خبر محض جاءت متصرفة بين منها المضارع وأما عسى فلما كانت موضوعة لانشاء الرجاء لاينشأ منه المضارع قال الرضي انما لم يتصرف في عسى لتضمنه معنى الحرف أي انشاء الطمع والرجاء كاعل والانشآت في الاغلب معاني الحروف والحروف لا يتصرف (١٠١) فيها وأما الفعل نحو بعت والاسمية نحو أنت حر فمعنى الانشاء عارض فيهما وماذكر نا يعلم قصور تقرير المصنف في تبين المقصود ههنا (قوله تنبيها على أن المقصود من القرينة هو قرب حصول مصدر الفعل) وقوله من غير أن معناه غير مقرون بها وانما جعل كذلك لان المضارع مشعر بالقرب من الحصول اذا كان مجردا من علامات الاستقبال لشئ منها ان وأما قوله بالدلالة على الحال فمعناه انه للحال بأحد المعنيين فاذا جعل خبر كاد الذي للقرب وجرد عن أن كان هذا قرينة

يقول ماحالهم مع تلك الصواعق وكاد من أفعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط أو لوجود مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه أن يكون فعلا مضارعا تنبيها على أنه المقصود بالقرب من غير أن لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما في أصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على أنه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم أدغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويخطف ويتخطف (كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا) استئناف ثالث كأنه قيل مايفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك وأضاء امامتعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نورلهم ممشى أخذوه ولازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك أظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظل الليل ويشهد له قراءة أظلم على البناء للمفعول وقول أبي تمام

هما أظلما حالي ثمة أجليا * ظلامهما عن وجه أمرد أشيب

فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد أن يجعل مايقوله بمنزلة مايرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد (ولوشاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) أي ولوشاء الله أن يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء وأراد حتى لا يكاد

لان مرادهما الحال وهو مؤكد للقرب فمعنى كاد زيد يخرج انه قرب خروجه في الحال وفيه مافيه (قوله هما أظلما حالي) مرجع الضمير للفعل والدهر المذكورين في البيت السابق وحالي بصيغة المثنى عبارة عما يتوارد عليه من الخير والشر والغنى والفقر واسناد الاظلام الى الفعل لانه لا يطيب للعاقل عيش لا تقطاعه عن الدنيا وزهرتها والتفكر في أمر الآخرة وأهوالها (قوله ثم أجليا) أي ثم كشفا ظلامهما عني وأنا أمرد في السن أشيب في العقل أوفي غيرأوانه لمقاساة الاهوال وفيه تجريد فانه جرد عن نفسه أمرد أشيب أوحقه أن يقول عن وجهي فعدل الى ماذكر (قوله فانه وان كان من المحدثين) قال العلامة التفتازاني أي من الذين نشؤا بعد الصدر الاول فالشعراء طبقات الجاهليون كامرئ القيس وزهير والمخضرمون أي الذين أدركوا الجاهلية والاسلام كحسان ولبيد والمقدمون من أهل الاسلام كالفرزدق وجرير يستشهد بأشعارهم ثم المحدثون كالبحتري وأبي تمام ولايستشهد بشعرهم أقول لعل ذلك لان مدار شعرهم ليس على محض السليقة والسماع من العرب العرباء بل لكتب اللغة والقواعد النحوية والصرفية مدخل فيه فلعلهم لم يتقنوا القواعد المذكورة أولاستنباط منها فوقع الخلل في أشعارهم (قوله مايقوله بمنزلة مايرويه) قال العلامة التفتازاني قد يفرق بان مبنى الرواية على الوقوف والضبط ومبنى القول على الدراية والاحاطة بالاوضاع والقوانين والاتقان في الاول أي في الدراية بالدال المهملة لا يستلزم الاتقان في الثاني أي الرواية بالواو (قوله لانهم حراص على المشي) لفرط شوقهم الى الخلاص مما وقعوا فيه من الظلمات والرعد والبرق

(قوله وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني) فيه بحث فان الظاهر انها لانتفاء الثاني لانتفاء الاول فان قولك لو جئتني لاكرمتك أن انتفاء الاكرام بسبب انتفاء المجيء وهذا هو المطابق لقول الجمهور وأما قول ابن الحاجب ان الاول سبب والثاني مسبب والسبب قد يكون أعم من السبب لجواز أن يكون لشئ أسباب مختلفة كالنار والشمس للاشراق وانتفاء السبب لا يوجب انتفاء المسبب بخلاف انتفاء المسبب فانه يوجب انتفاء السبب فقد رده العلامة التفتازاني بان ليس مقصود الجمهور هو ان يستدل بانتفاء الاول على انتفاء الثاني حتى يرد عليهم ما أورد عليهم بل مقصودهم ان معنى لو انتفاء الثاني في الواقع لسبب انتفاء الاول نعم قد يستعمل في مقام الاستدلال على ان انتفاء الاول لانتفاء الثاني ولو في الآية الكريمة بالمعنى الذي اعتبره الجمهور فانه يفيد ان عدم ذهاب سمعهم وأبصارهم بسبب عدم مشيئة الله تعالى في الواقع لذهابهما وان كان صادقا بالمعنى الآخر وهو الاستدلال بانعدام الذهاب دال على عدم المشيئة لكن لا في هذا الموضع (قوله والتنبيه على ان تأثير لا سباب في مسبباتها مشروط بمشيئة الله تعالى) هذه العبارة وكذا قوله مع قيام ما يقتضيه ليست على ما ينبغي لان الاسباب لا تأثير لها في المسببات وليس التأثير الا الله تعالى على قاعدة أهل الحق وليس لها اقتضاء أيضا بل لا دخل لها فيها وحق العبارة أن يقال والتنبيه على أن كون المسببات وجودها مرتبطة بالاسباب العادية واقع بقدرة الله تعالى ومشيئته (قوله وقوله ان الله على كل شئ قدير كالتصريح به والتقرير له) أي كالتصريح بالتنبيه المذكور وفيه بحث اذ لقائل أن يقول لا يلزم من قدرة الله تعالى على كل شئ أن يكون كل شئ واقعا بقدرته فان كونه تعالى قادرا على كل شئ معنى وهو انه تعالى يقوى (١٠٢)

على ايجاد كل شئ وان كل شئ واقع بقدرته معنى آخر وهو ان وجوده بالفعل في الواقع حاصل بقدرته لا بغيرها والجواب انه لما ثبت أن مذهب أهل الحق انه لا يجوز أن يكون مقدورين قادرين مؤثرين بان يصح من كل منهما ايجاده ببرهان التمانع وثبت أن الله تعالى على كل شئ قدير لزم أن لا يكون غيره قادرا على شئ مؤثرا فيه للزوم التمانع فكل شئ واقع بقدرته تعالى وقدرته تابعة لمشيئته في التأثير فثبت ان كل شئ واقع بمشيئته (قوله بمعنى شاء) أي بمعنى اسم الفاعل وبمعنى مشيء أي بمعنى اسم المفعول وعليه أي على هذا الاطلاق أي على كونه اسم مفعول وقع قوله تعالى ان الله على كل شئ قدير والله خالق كل شئ وذلك بوجهين أحدهما انه يفيد العموم فانه تعالى خالق كل شئ قادر عليه الثاني انه مناسب لقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم فان ذهاب السمع والبصر داخل في الشئ بمعنى مشيء ولا يدخل في شئ بمعنى شاء (قوله بلا مشنوية) الظاهر ان يقال المشنوية بمعنى الاستثناء مصدر أدخلت عليه ياء النسبة فصار معناه المنسوب الى الاستثناء شئ من الاشياء لان الشئ بمعنى المشيء وهو الذي شاء الله وجوده لا يمكن أن يكون واجبا ولا ممتنعا فلا يدخلان فيه حتى يحتاج الى الاستثناء عنهما (قوله والمعتزلة) هذا تعريض على الكشاف فان مضمون كلامه أن الشئ بمعنى ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيشمل الواجب والمستحيل فيحتاج الى استثنائهما عقلا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين لا يكفي التخصيص بالممكن في تصحيح قوله تعالى خالق كل شئ على مذهبهم من وجهين أحدهما انه ما ثبت ان كل ممكن فهو مخلوق لله تعالى اذ يجوز أن يكون ممكن لا يوجد أصلا ولم تتعلق الارادة بوجوده الثاني انهم ذهبوا الى ان العبد خالق لافعاله بل نقول اذا لم يكن أن يكون مقدور بين قادرين كما هو مذهب جمهور المعتزلة لا يدان يستثنى على مذهبهم أفعال العباد عن قوله تعالى ان الله على كل شئ قدير ولا يرد هذا على مذهب أهل السنة فان الشئ اذا كان بمعنى المشيء فكل شئ مقدور مخلوق على حسب المشيئة (قوله القدرة هي التمكن من ايجاد الشئ وقيل صفة تقتضي التمكن) قال صاحب المواقف القدرة صفة تؤثر وفق الارادة

يذكر الافي الشئ المستغرب كقوله * فلو شئت ان أبكي دما لبكيته * ولومن حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لأذهب بإسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة * وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وأبصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على أن تأثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيئة الله تعالى وأن وجودها مرتبط بأسبابها واقع بقدرته وقوله (ان الله على كل شئ قدير) كالتصريح به والتقرير له والشئ يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء أطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل أي شئ أكبر شهادة قل الله شهيد وبمعنى مشيء أخرى أي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شئ قدير الله خالق كل شئ فهما على عمومهما بلا مشنوية والمعتزلة لما قالوا الشئ ما يصح أن يوجد وهو يعم الواجب والممكن أو ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع أيضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشئ وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل

قدرة

وقيل ماهو قريب مبدأ للافعال المختلفة وكلامه يدل على ان القدرة ليست نفس التمكن بل صفة تقتضيه فبين كلاميهما اختلاف ثم لايخفى ان مذهب أهل الحق ان قدرة الله تعالى صفة موجودة ثابتة لذات الباري ومن البين ان التمكن أمر اعتباري عقلي ليس بموجود في الخارج ويمكن أن يقال مراده ان القدرة بحسب اللغة هي التمكن المذكور وماذكر صاحب المواقف وغيره من أهل الحق بيان المعنى الاصطلاحي (قوله القدير الفعال لما يشاء ولذلك الخ) ان أريد الفعال لما يشاء في الجملة فهذا لا يقتضي قلة اتصاف الغير به وان أريد الفعل لكل مايشاء على مايشاء لزم ان لايوصف به غير الباري بل يمتنع ان يوصف به غيره ويمكن أن يقال مراده انه قد يوصف به غيره مجازا قال صاحب الحواشي مافسر به القدرة يقتضي أن يكون القدير هو المتمكن من ايجاد الشئ أو ذو صفة مقتضية للتمكن من ايجاده لا الفعال اللهم الا ان اثبت نقلا الى هذا المعنى أقول لانسلم ان التفسير يقتضي ماذكر فان القدير صفة مبالغة فلابد أن يكون معناه زائدا على معنى القادر باعتبار المبالغة ولعل المبالغة المعتبرة فيه ماذكر فيكون معنى الفعال المتمكن من الفعل تمكنا ما وقال بعض المحققين القدير هو الفاعل لما يشاء على قدر مقتضيه الحكمة لازائدا عليه ولا ناقصا عنه (قوله وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران) أي وجود الاول و بقاء الثاني بقدرة الباري تعالى وفيه رد على من زعم ان الحادث يحتاج في حدوثه الى قادر لا في بقائه وهم جمهور المتكلمين ولما كان هذا أمرا شنيعا قالوا ان الجوهر لايخلو عن الاعراض وان العرض لا يبقى زمانين فلا يتصوره الاستغناء عن القادر في آن من الآنات وأما الجوهر فلا يخلو عن العرض فهي محتاجة في تلك الصفات الحادثة الى القادر قال صاحب الحواشي صورة هذا الدليل في الحادث ان الحادث في حال حدوثه شئ وكل شئ مقدور لله تعالى وفي الممكن ان الممكن في حال وجوده شئ وكل شئ مقدور لله تعالى ينتج ان الممكن في حال وجوده مقدور لله تعالى والاستدلال المذكور منظور فيه اذ لايلزم أن يكون صدق الاكبر والاوسط على ذات الاصغر في حالة (١٠٣) واحدة ألا ترى ان القياس المؤلف من زيد في حال تعطل حواسه نائم وكل نائم مستيقظ صادق ولايصدق زيد في حال تعطل حواسه مستيقظا قول فيه نظر لان الشئ بمعنى الشيء على ماذكر والحادث حال حدوثه والممكن

قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على مايشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته أو على مقدار ماتقتضيه مشيئته وفيه دليل على أن الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شئ وكل شئ مقدور لله تعالى والظاهر أن التمثيلين من جملة التمثيلات الواقعة وهو أن يشبه كيفية منتزعة من مجموع اضامات أجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيأ واحدا بأخرى

حال بقائه مشيأ ان والازم وقوع مالم يشأ الله تعالى فيلزم ان كونه مقدورا في هاتين الحالتين لان الله على كل شئ قدير فان الظاهر منه انه قادر على كل شئ في كل زمان فسقط ماقاله من انه لايلزم ان يكون صدق الاكبر والاوسط على ذات الاصغر في حالة واحدة فان قيل ماذكرتم أمر ظني فمنع للزوم الذي ذكره بل لانسلم صدق قولنا كل شئ مقدور لا يستلزم ان يكون مقدورا دائما اذ صدقه يحصل بان يكون مقدورا في بعض الاوقات كما ان قولنا كل انسان كاتب لا يستلزم ان يكون كاتبا دائما قلنا ماقاله المصنف هو ان فيه دليلا على ماذكر وهذا صحيح وان كان الدليل مفيدا للظن ولايخفى انه كذلك و يمكن أن يقال ان قوله تعالى ان الله على كل شئ قدير من غير تخصيص بزمان دون زمان وحال دون حال مشعر بانه قادر عليه في كل حال وزمان واعلم ان قدرته على شئ ليس الا باعتبار امكان ذلك الشئ كما تقرر في الكلام ان علة الاحتياج هو الامكان والممكن في حال البقاء محتاج الى القادر فثبت انه تعالى قادر على كل شئ في كل زمان فتأمل ثم النظر الذي ذكره ليس على ماتخيله لان قوله زيد في حال تعطل حواسه نائم في قوة زيد نائم في حال تعطل حواسه فيكون القياس هكذا زيد نائم في حال تعطل حواسه وكل نائم في حال تعطل حواسه مستيقظ في زمان ما فزيد مستيقظ في زمان ما وكذا حدوث الحادث أو يقال ان بقاء الممكن لما كان شيأ وكذا حدوث الحادث كذا كرنا وجب أن يكون مقدورا اذ كل ماتعلق به المشيئة تعلق به القدرة (قوله وان مقدور العبد مقدور الله تعالى) فيه ان القدرة على التفسير المختار عنده لا تشمل قدرة العبد أصلا اذ القدرة على ماقاله التمكن من الايجاد ومذهب أهل الحق ان العبد لا يتمكن من ايجاد شئ فلا يكون للعبد مقدور أصلا فلا يصح ان يقال مقدور العبد مقدور الله تعالى الا ان تفسر القدرة بغير التفسير الذي اختاره مثل ماقال ان القدرة هيئة يتمكن بها من الفعل لا يقال هذا أيضا غير صحيح عند أهل الحق لان العبد لا يتمكن من ايجاد شئ لانا نقول المراد من التمكن من الفعل أعم من التمكن من الكسب أو من الايجاد

(قوله فانه شبه حال اليهود) فان كلا من طرفي التشبيه مركب منتزع من متعدد أحدهما هو جهلهم التوراة مع عدم العمل بما فيه والطرف الآخر حمل الحمار للاسفار مع الجهل بما فيها ووجه الشبه بينهما فقدان الانتفاع بأبلغ نافع مع وجدانه والكد والتعب في استصحابه (قوله والغرض منها تمثيل حال المنافقين) فالمشبه في التشبيه الاول هو مجموع الأمور المتعددة التي هي حال المنافقين من الحيرة والشدة واظهارهم الايمان وما انتفعوا به من حفظ الدماء وسلامة الأموال والأهل وغير ذلك وزوالها عنهم بالقرب باهلاكهم وانشاء حالهم وابقائهم في الحساب الدائم والمشبه به حال المستوقدين وهو استيقادهم النار واضاءة النار ما حولهم في اطفاء نارهم والذهاب بنورهم ووجه الشبه اشتمالها على صلاح الحال في الظاهر أول (١٠٤)

مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من انطفأت ناره بعد ايقادها في ظلمة أو بحال من أخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو أن تأخذ أشياء فرادى فتشبهها بأمثالها كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ✻ لدى وكرها العناب والحشف البالي

بأن يشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حولها المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وانشاء حالهم وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني أنفسهم بأصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الآذان من الصواعق حذرا الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله تعالى شيأ ولا يخاص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بأنهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف أن تخطف أبصارهم لخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لاحراك بهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ما أوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحياة الابدية بالصيب الذي به حياة الارض وما ارتبكت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشككة بالظلمات وشبه ما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد أذنيه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله تعالى والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه أو رفد تطمع اليه أبصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة أو تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا أظلم عليهم ونبه سبحانه بقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم على أنه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم

والباطل كالظل والحرور (قوله وقيل شبه الايمان أو القرآن) أقول يمكن ان يقال في التمثيل الاول انه شبه حال الانسان في استعمال الحواس وتحصيل العقل بالملكة باستيقاد النار واضاءة العقل المذكور وما حصل من المعاني بالميل الى الطغيان ومشتهى النفس باطفائها وذهاب النور ووقوفهم في الجهالات الموجبة للدهشة والحيرة بالوقوع في الظلمات وفي التشبيه الثاني انه شبه حال من يحصل المعقولات الاول والمبادي الأولية بالصيب والجهالات بالظلمات المختلطة بالصيب وما أحتاج في الخلاص من الامور المخوفة بالرعد وما حصل فيه من الامور الهادية الى الطريق المستقيم مما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم بالبرق وما سمع منه عليه السلام

من الامور والمزمجة بالصواعق واعراضهم عنها بوضع الاصابع فى الاذان (قوله ولو شاء الله لجعلهم بالحالة الخ) لك ان تقول الجاعل والفاعل ليس الا الله تعالى اذ ليس لغيره تعالى تأثير بوجه من الوجوه عند أهل الحق فما معنى قوله لجعلهم بالحالة التى يجعلونها والجواب ان العباد وان لم يكونوا فاعلين لكن لهم كسب فالمعنى لو شاء الله لجعلهم بالحالة التى يكسبونها وهى اضاعة السمع والبصر اذ لو شاء الله لجعلهم دائما بالحالة التى يكسبونها وهذا هو المناسب لعبارة المصنف (قوله لما عدد فرق المكلفين وخواصهم وأحوالهم ومصارف أمورهم) الفرق المذكورة المؤمنون والكافرون المصرون والمنافقون وخواصهم وأحوالهم التى يمتاز بها كل فريق عن مقابله ومصارف أمورهم أعمالهم هزا لهو وتنشيطا فان هذا شأن من خاطبه الملك من الملوك (قوله واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها) هذا من زياداته على الكشاف وفيه ان الالتفات الى الخطاب يدل على هز السامع وتنشيطه لان الخطاب أشد تأثيرا وتحصيلا للنشاط وحصول الاسلوب الجديد ولكل جديد لذة خصوصا مثل هذا الخطاب واما انه يدل على الاهتمام بمضمون ما يخاطب به ففيه خفاء وتوضيحه ان اقبال المتكلم سيما اذا كان عظيم الشأن على السامع بان يخاطبه بعد ايراد الكلام بطريق الغيبة دال على ان مضمون الكلام أمر يعبأ به ويهتم بشأنه والا لما اشتغل بايراده بطريق الخطاب مقبلا على السماع (قوله أو للاعتناء بالمدعو) فان يا المراوض فى الاصل لنداء البعيد فاذا نودى به القريب كان فيه اشعار بان المدعو له مما يستحق ان يخاطب و يدعى له البعيد والقريب ففيه اشعار بالاهتمام بشأنه والحث عليه فايراد يا فى القريب يمكن ان يكون لهذه النكتة و يمكن ان يكون الاستقصاء شأن المدعو فكانه بعيد عن حضرة المتكلم (قوله لانه نائب مناب فعل) يرد عليه انه لزم منه وجود كلام من حرف واحد واسم وهو خلاف ما تقرر باجماع النحاة من ان الكلام لا يتأتى الا من اسمين أو فعل واسم وكون ياحرفا قائما مقام الفعل لا يدفع هذا السؤال لانه وان كان نائبا فليس بفعل ولا معناه معنى (١٠٥) الفعل عند الجمهور واما قول بعض

ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التى يجعلونها لانفسهم فانه على ما يشاء قدير (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها وجبر الكلفة العبادة بلذة المخاطبة وياحرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعى يارب ويا الله وهو أقرب اليه من حبل الوريد أو لغفلته وسوء فهمه أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل وأى جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه ممتنع لتعذر الجمع بين حرفى التعريف فانهما كمثلين وأعطى حكم المنادى وأجرى عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بأنه المقصود وأخمت بينهما هاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عما يستحقه أى من

(١٤ - (بيضاوى) - اول) الدعوة فتأمل (قوله فانهما كمثلين) بل لكل

معنى غير المعنى الآخر ويفيد ما يفيده الاخر واجتماع حرفين كذلك لا يستنكر كما فى لقد واستدل على أصل الدعوى بانه لو دخل اللام المنادى فاما ان يبنى معها وهو بعيد لكون اللام معاقبة للتنوين فهى كالتنوين فمن ثم قل البناء معها فاستكره دخولها مطردا فى المنادى المبنى واما ان يعرب وهو بعيد لحصول علة البناء وهى وقوع المنادى موقع الكاف وكونه مثله فى الافراد والتعريف أقول لا يلزم من كون الشئ معاقبا لاخر ان يكون مثله فى الاحكام بل كون معنى الشئ راجعا الى معنى آخر لا يستلزم ذلك كما صرح به الرضى فى باب تقديم معمول المصدر على المصدر قال وليس كل مؤول بشئ حكمه حكم ما أول به فلا يمتنع من تأويله بالحرف المصدرى من جهة المعنى ان يكون حكمه حكمه و يمكن ان يقال نصرة للنحاة ان اللام الداخل على المنادى يفيد مجرد التعريف كالنا يفيده مع شئ آخر ولا فائدة فى تكرر هذا التعريف فما كان حرف النداء يفيد تعين الشخص لا يبقى للام فائدة ومنع الاجتماع فى صورة تكون اللام جزء الكلمة فى العلو و بيان لما هو الاصل طرد للباب واما الاستدلال بمثل اجتماع حرفى التأكيد ففيه ان اجتماعهما يفيد زيادة التأكيد المطلوب فى المقام فان قيل لو تم الدليل المذكور لدل على انه لو امتنع اجتماع ادات التعريف سواء كان بينهما فاصلة كما فى يا أيها الرجل أو لا يكون قلنا لما توسط بينهما يا وهو المنادى وهو اسم مبهم احتيج بعده الى تبيين وتعريف فاتى بالاسم المعرف ليطابق الصفة الموصوف و يزيل الابهام تأكيدا فان حرف النداء يدل على تنبيه المخاطب وها حرف تنبيه على الاسم المبهم أولا ثم على المعين ثانيا مع انهما شئ واحد حقيقة وفى هذا التدرج من الابهام الى التوضيح نوع تأكيد كما صرح

به صاحب الكشاف ثانيها تكرير سرف التنبيه ثالثها تعميم الخطاب بحيث يشمل كل أحد وهو فى حكم ان يقال يازيد يا عمرو الى غير النهاية وهذا يدل على ان الذى وقع الخطاب له أمر عظيم يهتم به حتى انه يطلب من كل أحد (قوله ويدل عليه صحة الاستثناء منها) ان أراد صحة الاستثناء فى كل صيغة الجمع فلا يصلح لان يجعل دليلا اذ من لا يسلم انه للعموم لا يسلم صحة الاستثناء فى كل موضع وان أراد صحة الاستثناء فى بعض المواضع فهذا لا يدل على ان صيغة الجمع للعموم مطلقا والحاصل ان لقائل ان يقول يحتمل ان يكون للاستغراق وان يكون لغيره فعلم أحدهما من القرينة مثل الاستثناء ويمكن ان يقال انه لما ثبت العموم فى بعض المواضع ثبت فى كل موضع بالقياس اذ الظاهر ان معنى المجموع واحد اذ الصارف عنه غير ظاهر فتأمل (قوله لفظا) متعلق ببعم أى يعم الناس ويشمل بحسب اللفظ الموجودين فى زمان النزول لان النداء غير الموجود مما لا يقبل (قوله ومن سيوجد) أى الناس يشمل ويعم بحسب المعنى من سيوجد لانهم أيضا مأمورون بالعبادة (قوله ان صح رفعه) أى رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم لان مثل هذا لا يعلم الا من السماع من النبى صلى الله عليه وسلم (قوله ولا أمرهم) أى لأمرهم بالخصوص دون المؤمنين (قوله هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة الخ) هذا يدل على ان المعرفة ليست من العبادات فتكون العبادة عمل الجوارح فقط ولا باعث على هذا بل الظاهر ان

تعم العبادة أعمال القلب أيضا كيف لا وقد فسر العبادة باقصى غاية الخضوع والخضوع الباطن عمل القلب بل لا يتحقق الخضوع حقيقة بدون ذلك وحق العبارة ان يقال المطلوب من الكفار أولا تحصيل المعرفة التى هى رأس العبادات وأصلها ثم العبادات الأخرى على الطريق التى وضعها الشارع عليه وقوله والاقرار بالصانع فان من لوازم الشئ الخ يدل على ان العبادة لا يعبأ بها الا بعد الاقرار وفيه خفاء لانه اذا لم يكن الاقرار داخلا فى الايمان كما هو مذهب المحققين فلم تنصر العبادات من

المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة فى القرآن لاستقلاله بأوجه من التأكيد وكل ما ينادى الله لعباده من حيث انها أمور عظام من حقها أن يتفطنوا اليها ويقبلوا بقلوبهم عليها وأكثرهم عنها غافلون حقيق بأن ينادى له بألا كد الابلغ والجوع وأسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعا وذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام ان مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روى عن علقمة والحسن ان كل شئ نزل فيه يا أيها الناس فمكى ويا أيها الذين آمنوا فمدنى ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا أمرهم بالعبادة فان المأمور به هو القدر المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشئ وجوب ما لا يتم الا به وكما أن الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بما عقيبه ومن المؤمنين ازدیادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على أن الموجب للعبادة هى الربية (الذى خلقكم) صفة جرت عليه تعالى للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين وأريد بالرب أعم

بدون الاقرار باللسان نعم هذا صحيح على مذهب من جعل الاقرار لا بد منه فى حصول الايمان كما هو الراجح من مذهب المصنف على ما فهم من كلامه فى تفسير قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب (قوله تنبيها على ان الموجب للعبادة هى الربية) فان قلت هذه العبارة تدل على قصر الربوبية على الموجب للعبادة فكان معناه ان الربوبية لا تكون صفة لغير الموجب للعبادة فانهم صرحوا بان ضمير الفصل يفيد قصر المسند على المسند اليه كما فى زيد هو القائم انه يفيد قصر القيام على زيد وهذا ليس مضمون الكلام والمقصود منه بل يستفاد منه ان الموجب ليس الا الربوبية فانه يدل على ان علة العبادة هى الربوبية لا غيرها فيكون قصر الموجب على الربوبية والجواب ان ضمير الفصل كما يجىء لقصر المسند على المسند اليه وهو الغالب المشهور فقد يجىء لقصر المسند اليه على المسند نحو الكريم هو التقوى والحسب هو المال أى لا كريم الا التقوى ولا حسب الا المال ذكره فى المطول وههنا كلام آخر وهو انه لا يخلو اما ان يكون الايجاد داخلا فى الربوبية أولا فان كان الاول يكون لفظ خلقكم زائدا وان كان الثانى لا ينحصر الموجب للعبادة فى الربوبية بل الخالق والايجاد أيضا كذلك والجواب انا نختار الاول وافراده بالذكر صريحا بعد ما علم ضمنا للاشعار بانه أصل الاصول لانه أول نعمة وردت على الانسان (قوله ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص) يعنى اذا كان الخطاب للمشركين

وأريد بالرب أعم من الحقيق وغيره كان فى قوله تعالى الذى خلقكم صفة مقيدة وموضحة أى اعبدوا ربكم الموصوف بانه خلقكم لاالرب الذى لايتصف بهذه الصفة وكون الصفة المذكورة مقيدة ظاهر وكونها موضحة كذلك لان الايضاح تقليل الاشتراك فى المعارف وازالته (قوله للتعليل والتعظيم) فان الخلق دليل على الربوبية وهى علة للعبادة فكانه قيل علة العبادة الربوبية وعلة الربوبية أى دليلها الخلق والايجاد والاولى ان يقال ان الخلق علة للعبادة ولاينافى ذلك كون الربوبية علة لها لان الخلق داخل فى الربوبية (قوله كل مايتقدم الانسان بالذات أو بالزمان) فيه أن أهل السنة لايثبتون التقدم بالذات لغير الله فان التقدم بالذات هو العلة للشئ يعنى مايحتاج اليه الشئ ويمتنع وجوده بدونه فلو كان الذين من قبلكم شاملا لكل مايتقدم الانسان بالذات أو الزمان لزم ان يكون له أى للانسان شئ متقدم بالذات عليه مخلوق لله تعالى والحال انهم أى الاشاعرة نفوا ان يكون الشئ علة لشئ فان مذهبهم ان كل الممكنات مستندة الى الله تعالى ابتداء بلاواسطة ولاعلاقة بين الحوادث المتعاقبة الا باجراء العادة بخلق بعضها عقيب بعض كالاحراق عقيب مماسة النار والرى بعد شرب الماء فليس للمماسة والشرب مدخل فى وجود الاحراق والرى كذا فى المواقف وشرحه والجواب بان يقال مانفاه الاشاعرة هو التأثير أى ليس لبعض الحوادث تأثير فى البعض الآخر واما التوقف والتقدم بالذات فليس بمنتف عندهم فانه لاشك ان الكل موقوف على وجود الجزء وفيه نظر (قوله على الخام الموصول الثانى بين الاول وصلته) هكذا فى الكشاف وقال العلامة التفتازانى لم يعهد التأكيد اللفظى الا باعادة اللفظ الاول ومع ذلك فقد صرحوا باشاعته قبل الصلة وان أريد التأكيد من جهة المعنى عاد المحذور واحتيج الى بيان وجه اجتماع الموصول ألا يرى انهم لم يذهبوا فى مثل قول الشاعر * فصيروا مثل كعصف مأكول * الى ان الكاف تاكيد بل مزيدة فالاولى ان يقال ههنا ان كلمة من (١٠٧) مزيدة على ماهو مذهب الكسائى أو موصولة أو موصولة واقعة موقع خبر مبتدأ محذوف والجملة صلة الذين أقول فرق بين ان يقال ان هذا اللفظ تأكيد وبين ان يقال اقحم هذا اللفظ وزيد تأكيدا ولا يلزم من صحة اطلاق الثانى صحة اطلاق الاول لانهم اذا قالوا ان هذا اللفظ تأكيد أرادوا به انه اما تأكيد لفظى وهو تكرير اللفظ لا لمعنوى وهو ألفاظ مخصوصة واما كون الشئ مقحما أو زائدا لاجل التأكيد فرادهم بالتأكيد مطلق التقرير ثم نقول قد يكون التأكيد اللفظى بتكرير اللفظ الاول نحو ضربت أنت وضربت أنا بل صرح الرضى بأن التأكيد اللفظى قد يكون لاباعادة اللفظ الاول نحو هنيأ مريئا (قوله كأنه قيل اعبدوا ربكم راجين منه التقوى) رد صاحب الكشاف هذا الوجه وقال العلامة التفتازانى فى بيان وجه الرد انه لا وجه لتعليقه عن الاقرب بالا بعد وتوسطه بين وصفى المفعول لان الذى جعل لكم الارض الآية وصف للرب كما ان الذى خلقكم وصف له أيضا على ان تقييد العبادة بترجى التقوى ليس له كثير معنى أقول فيه بحث اما أولا فلانه لايجب أن يجعل الذى خلقكم وصفا للمفعول بل يمكن أن يكون مبتدأ كما صرح به صاحب الكشاف والمصنف ويمكن أيضا أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هو الذى على الاستئناف وأما ثانيا فلان المراد من التقوى الاحتراز والتجنب عن كل مايوجب البعد وهذا معنى صحيح يعتد به ومحصله اعبدوا ربكم حال كونكم راجين منه التقوى على الدوام من كل مايوجب البعد عن الرب وقد نبه عليه المصنف بقوله وهو التبرؤ عن كل شئ سوى الله تعالى ويكون الامر استحبابيا لا ايجابيا لان من على هذه الصفة نادر جدا هذا اذا كان المراد من التبرؤ عن الغير طرح الاسباب العادية والتوكل المحض على الله تعالى وان كان المراد منه اعتقاد ان ليس لغيره تعالى دخل وتأثير فيكون الامر للايجاب (قوله ويكون اذ خوف ورجاء) لك أن تقول يفهم من الكلام الرجاء وأما الخوف فلا يفهم منه ويمكن أن يقال المراد ههنا من الخوف الخوف عدم حصول المرجو الذى هو التقوى وهو لازم الرجاء لان ما هو مرجو لا يقطع بحصوله فيحتمل عدم الحصول

من الرب الحقيق والآلهة التى يسمونها أربابا والخلق ايجاد الشئ على تقدير واستواء وأصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس (والذين من قبلكم) متناول كل مايتقدم الانسان بالذات أو بالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب فى خلقكم والجملة أخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله أو لتمكنهم من العلم به بأدنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثانى بين الاول وصلته تأكيدا كما أقحم جرير فى قوله * باتيم تيم عدى لا أبالكمو * تيما الثانى بين الاول وما أضيف اليه (لعلكم تتقون) حال من الضمير فى اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا فى سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين جوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبرى من كل شئ سوى الله تعالى الى الله وان العابد ينبغى ان لايغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء

الاول أو معنوى وهو ألفاظ مخصوصة واما كون الشئ مقحما أو زائدا لاجل التأكيد فرادهم بالتأكيد مطلق التقرير ثم نقول قد يكون التأكيد اللفظى بتكرير اللفظ الاول نحو ضربت أنت وضربت أنا بل صرح الرضى بأن التأكيد اللفظى قد يكون لاباعادة اللفظ الاول نحو هنيأ مريئا (قوله كأنه قيل اعبدوا ربكم راجين منه التقوى) رد صاحب الكشاف هذا الوجه وقال العلامة التفتازانى فى بيان وجه الرد انه لا وجه لتعليقه عن الاقرب بالا بعد وتوسطه بين وصفى المفعول لان الذى جعل لكم الارض الآية وصف للرب كما ان الذى خلقكم وصف له أيضا على ان تقييد العبادة بترجى التقوى ليس له كثير معنى أقول فيه بحث اما أولا فلانه لايجب أن يجعل الذى خلقكم وصفا للمفعول بل يمكن أن يكون مبتدأ كما صرح به صاحب الكشاف والمصنف ويمكن أيضا أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هو الذى على الاستئناف وأما ثانيا فلان المراد من التقوى الاحتراز والتجنب عن كل مايوجب البعد وهذا معنى صحيح يعتد به ومحصله اعبدوا ربكم حال كونكم راجين منه التقوى على الدوام من كل مايوجب البعد عن الرب وقد نبه عليه المصنف بقوله وهو التبرؤ عن كل شئ سوى الله تعالى ويكون الامر استحبابيا لا ايجابيا لان من على هذه الصفة نادر جدا هذا اذا كان المراد من التبرؤ عن الغير طرح الاسباب العادية والتوكل المحض على الله تعالى وان كان المراد منه اعتقاد ان ليس لغيره تعالى دخل وتأثير فيكون الامر للايجاب (قوله ويكون اذ خوف ورجاء) لك أن تقول يفهم من الكلام الرجاء وأما الخوف فلا يفهم منه ويمكن أن يقال المراد ههنا من الخوف الخوف عدم حصول المرجو الذى هو التقوى وهو لازم الرجاء لان ما هو مرجو لا يقطع بحصوله فيحتمل عدم الحصول

لكن هذا خلاف ما يتبادر من عبارته بل المتبادر من عبارته الخوف من العقاب فانه استشهد بقوله تعالى يرجون رحمته و يخافون عذابه فتأمل (قوله على معنى أنه خلقكم ومن قبلكم فى صورة من يرجى منه التقوى) اذ لا يتصور أن يكون خلقهم حين كونهم راجين ولا مرجوا منهم التقوى فى الحالة المذكورة حقيقة والفرق بين التوجيهين أن لعل فى الاول على حقيقتها وفى الثانى استعارة تبعية كما هو شأن الاستعارة فى الحروف شبه رجاء التقوى منهم بكونهم على حالة تكون منشأ لصدور التقوى ووجه الشبه استلزام التقوى فى الجملة وههنا نظر وهو أن التوجيهين المذكورين يفيدان المغنيين الاسمين ولعل حرف تنبيه لا يكون اسما فى شئ من المعانى اللهم الا أن يكون المراد ان المعنى المقصود منه هو المعنى الحرفى لكن لما لم يتيسر التعبير عنه نفسه لعدم استقلاله عبر عنه بالمعنى الاسمى قال الشريف العلامة فى شرح المفتاح كان المعنى الحقيقى لكلمة لعل غير مستقل بالمفهومية واذا أريد أن يعبر عنه عبر عنه بالترجى كذلك معناها الجازى المراد بكلمة لعل فى قوله تعالى لعلكم تتقون غير مستقل بالمفهومية واذا أريد أن يعبر عنه عبر بالارادة على قواعد الاعتزال (قوله وقيل تعليل للخلق أى خلقكم لكى تتقوا) هذا قول ابن الانبارى وقال العلامة التفتازانى رده صاحب الكشاف بأن جمهور أهل اللغة اقتصروا فى

بيان معناه الحقيقى على الترجى والاسعاف وبأن عدم صلوحها لمجرد معنى اعلام العلية والفرضية مما وقع عليه الاتفاق الاتراك تقول دخلت على المريض كى أعوده وخدمت الماء كى أشربه لا يصح لعل لكن قال صاحب المغنى لعل لها معنيان أحدهما التوقع والثانى التعليل أثبته جماعة منهم الاخفش والكسائى وحملوا عليه قوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى (قوله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته الخ) هذا ظاهر اذا كانت العبادة بمعنى المعرفة كما فسروها فى قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أو كانت شاملة لها وأما اذا كانت العبادة غير المعرفة على ما قاله المصنف وصاحب الكشاف فلا يدل ظاهر الا على أن ظهور استحقاقه للعبادة بالنظر فى صفته والاستدلال بأفعاله وامارته على أن الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته ففيه خفاء فتأمل (قوله أو مدح منصوب أو مرفوع) أما الاول فتقديره أمدح الذى جعل لكم وأما الرفع فيتقدير مبتدأ (قوله وجعل من الافعال العامة) انما كان منها لان كل شئ ممكن لا يخلو عن جعل اما عند من يجعل الماهيات مجعولة بأنفسها فظاهر وأما عند غيرهم فباعتبار وجودها واتصافها بالاوصاف فان كلا منها بجعل الجاعل (قوله مع ما فى طبعه من الاحاطة بها) لان الارض أثقل من الماء لذا اذا طرح فيه التراب رسب فيه فان قلت الماء يرسب فى الارض اذا سكب عليها قلت دخوله فى خلال أجزاء الارض بسبب ما فيها من الاجزاء الهوائية وطبع الماء ثقيل والهواء خفيف فيقتضى أن يدخل فى الفرج و يخرج الهواء و يتمكن مكانها حتى يكون الثقيل تحت الخفيف كما هو الوضع الطبيعى ولذا قد يشاهد صوت خروج الهواء (قوله والسماء بناء) فان قلت ما الامتنان فى جعل السماء بناء قلت لما فيها من الكواكب التى هم بها يهتدون والقمر الذى به يحسبون الايام والشهور والشمس

Marginal note: 24 Dec

كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته و يخافون عذابه أو من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم فى صورة من يرجى منه التقوى لترجح أمره باجتماع أسبابه وكثرة الدواعى اليه وغلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق أى خلقكم لكى تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت فى اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر فى صنعه والاستدلال بأفعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كأجير أخذ الأجر قبل العمل (الذى جعل لكم الارض فراشا) صفة ثانية أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلاثة أوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله

فقد جعلت قلوص بنى سهيل * من الاكوار مرتعها قريب

و بمعنى أوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور و بمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول اخرى والعقد أخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا ظاهرا عن الماء مع ما فى طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لان يقعد و اويناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعى كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الافتراش عليها (والسماء بناء) قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد

التى بها نظام وجود كل حى اذ بها يظهر الزرع والاثمار ولذا كانت المواضع البعيدة عن الشمس وهى القريبة من القطب لاتصلح للسكن لالزرع والضرع (قوله أو أودع فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة قابلة) ان أراد أنه أودع فى الماء قوة فاعلة مؤثرة فى الحقيقة فهو خلاف مذهب أهل السنة القائلين بان لامؤثر الاالله وان أراد انه أودع فى الماء قوة فاعلة أى يصح أن يكون لها فعل لكن لاتأثير لها وانما التأثير لله تعالى فكيف يصح أن يقال يتولد من اجتماعهما أنواع الثمار و يمكن أن يقال مراده أن العادة جارية بان يتولد من اجتماع القوتين الثمار وان لم يكن لهما تأثير ودخل فان قلت لما لم يكن للقوة المذكورة فعل ودخل فى وجود الثمار فلم تسمى الفاعلة قلت لمظاهر من البارى تعالى عند وجود هذه القوة فعل سميت بالفاعلة مجازا وتوسعا بقى ههنا شئ يقال لما لم يكن للقوة الفاعلة تأثير فمن أين يعلم وجود هذا ومافائدة ايداعها فيه (قوله ولكن فى انشائهما درجا) لان انشاء الشئ بالتدريج يستلزم كثرة الاطوار والخلق و يناسب اللاحق بخلاف مااذا وجد الشئ دفعة (قوله أومن أسباب سماوية) ان قيل ان هذا التوجيه لايلائم اذا كان من للابتداء لان ابتداء نزول الماء ليس من الاسباب السماوية وانما ابتداء وجوده (١٠٩) السحاب وصعود الابخرة منها والجواب أنه كان ابتداء وجود السحاب من الاسباب يكون ابتداء نزول الماء منها فان النزول يكون من الاسباب بطريق جرى العادة فابتداؤه أيضا منها وههنا نظر (قوله تشير الاجزاء الرطبة من أعماق الارض) لاوجه لهذا التخصيص بل هذا لو وقع لكان قليلا وانما الاكثر ارتفاع الاجزاء الرطبة من البحار والانهار (قوله فاخرجنا به ثمرات) قال العلامة التفتازانى التنكير سيما فى جمع القلة يفيد البعضية على ماهو الظاهر أقول يعنى انه لما كان معنى قوله أخرجنا به ثمرا أخرجنا به بعض الثمرات كان المراد ههنا أيضا أخرجنا بعض الثمرات

الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمى به المبنى بنيتا كان أو قبة أوخباء ومنه بنى على امر أنه لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا (وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا فى اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان أجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما أو أودع فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما أنواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا أسباب وموادكما أبدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له فى انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها الاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس فى ايجاده دفعة ومن الاولى للابتداء سواء أريد بالسماء السحاب فان ماعلاك سماء أوالفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على مادلت عليه الظواهر أومن أسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من أعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات ولا كتناف المنكرين له أعنى ماء ورزقا كانه قال وأنزل لهم من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر كل الثمرات ولاجعل كل المرزوق ثمارا أو للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك أنفقت من الدراهم ألفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه أراد بالثمرات جماعة الثمرة التى فى قولك أدركت ثمرة بستانه و يؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد أولان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلاثة قروء أولانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان أريد به المرزوق ومفعوله ان أريد به المصدر كانه قال ورزقا اياكم (فلاتجعلوا لله أندادا) متعلق باعبدوا

الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمى به المبنى بنيتا كان أو قبة أوخباء ومنه بنى على امر أنه لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا (وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا فى اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان أجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما أو أودع فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما أنواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا أسباب وموادكما أبدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له فى انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها الاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس فى ايجاده دفعة ومن الاولى للابتداء سواء أريد بالسماء السحاب فان ماعلاك سماء أوالفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على مادلت عليه الظواهر أومن أسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من أعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات ولا كتناف المنكرين له أعنى ماء ورزقا كانه قال وأنزل لهم من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر كل الثمرات ولاجعل كل المرزوق ثمارا أو للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك أنفقت من الدراهم ألفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه أراد بالثمرات جماعة الثمرة التى فى قولك أدركت ثمرة بستانه و يؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد أولان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلاثة قروء أولانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان أريد به المرزوق ومفعوله ان أريد به المصدر كانه قال ورزقا اياكم (فلاتجعلوا لله أندادا) متعلق باعبدوا

وفيه نظر اذ ثمرات فى قوله تعالى أخرجنا به ثمرات لابد أن يكون المراد به البعض لما ذكروا وأما ما نحن فيه فيمكن أن يكون من للبيان كما سيجىء لكن هذا خلاف الظاهر لان الظاهر ان المبين مقدم على البيان وههنا بالعكس لان المبين ههنا مؤخر فان قيل اذا كان معنى من الثمرات بعض الثمرات فيكون معنى من هو معنى لفظ البعض فيكون من اسما لاحرفا قلت معنى من البعضية الخاصة المتعقلة بين الشيئين بحيث تكون تبعا لملاحظة الطرفين كما قال الشريف العلامة فى من للابتداء انها للابتداء الخاص المتعقل بين الشيئين فليتأمل (قوله لانه أراد به) قال العلامة التفتازانى يعنى الثمرات جمع الثمرة التى بمعنى الكثرة لا الوحدة (قوله أولان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض) بقى أن يقال ما النكتة ههنا فى استعمال جمع القلة بمعنى الكثرة و يمكن أن يقال اشارة الى أن كل جماعة من الثمرات المخرجة من الماء النازل من السموات وان كانت كثيرة فى نفسها فهى قليلة بالنسبة الى ما تحت القدرة أولانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة هذا هو المعتبر عند جمهور أهل العربية والاصول (قوله متعلقة باعبدوا) لان أول مايعتبر من العبادة التوحيد

(قوله على انه نهى معطوف) فيه نظر اذ لا يظهر وجه الفاء ههنا لان العبادة ليست متقدمة على التوحيد ولا بسببه بل التوحيد رأس العبادات وأصلها الا أن يقال الفاء ههنا للترتيب المذكور وهو عطف المبين على المجمل كما في قوله تعالى فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فيكون لا تجعلوا موضحا لا تعبدوا فيكون المراد من اعبدوا ربكم وحده ولا تشركوا به فان كان المراد بالفاء ماذكر نالم يتوجه عليه ما قاله العلامة التفتازاني من أن الاحسن الواو لا الفاء لكن هذا خلاف تفسير المصنف وصاحب الكشاف

(قوله أو نفي منصوب باضمار أن جواب له) قال العلامة التفتازاني وما جعل نفيا منصوبا باضمار ان كما في زرني فاكرمك فلا يشعر به كلام المصنف أي صاحب الكشاف بل يأباه لان تقدير أصالة التوحيد للعبادة يأبى كون العبادة مسببة له على ما هو شرط انتصاب المضارع بعد الاشياء الستة (قوله أو رفع) فيكون المعنى راجيا منكم التقوى فعدم الاشراك لكن المعنى الذي ذكره وهو قوله والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله أندادا ليس هذا المعنى الذي ذكرناه بل هو معنى الكلام اذا كان فلا تجعلوا جزاء لشرط مقدر قال العلامة التفتازاني معناه حينئذ خلقكم في صورة من يرجى منه التقوى أي الخوف من العقاب ليكون ذلك سببا لعدم اشراكم أقول فان قيل يرد عليه أنه يجب أن يكون ما قبل المنصوب (١١٠) بالفاء سببا لما بعدها والتقدير الذي ذكره لا يفيد ذلك بل تقول التوحيد

على انه نهى معطوف عليه أو نفي منصوب باضمار ان جواب له أو بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله أندادا أو بالذي جعل ان استئنافت به على انه نهى رفع خبرا على تأويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية أدخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى ان من خصكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير

اتيما تجعلون الى ندا * وما تيم لدى حسب نديد

من نديدند دودا اذا نفروا ندادت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي بالمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله أندادا ومازعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولانها تخالفه في أفعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما يريد الله بهم من خير فنهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا أندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد ابن عمرو بن نفيل

أربا واحدا أم ألف رب * أدين اذا تقسمت الامور

تركت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الرجل البصير

(وأنتم تعلمون) حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون محذوف أي وحالكم انكم من أهل

أصل التقوى فلا تكون التقوى سببا له كما مر في نفي كون العبادة سببا للتوحيد لكن مقتضى قاعدة نصب المضارع بعد النهي ونظائره ان يكون ما لم يكن فيه سببا لعدم الاشراك واذا كان التقوى ليس سببا لعدم الاشراك كان الخلق في صورة من يرجى منه التقوى كذلك أيضا والجواب ان التقوى فرع التوحيد لكن الخلق في صورة من يرجى منه التقوى ليس فرعا له فالدفعت الملازمة المذكورة توضيحه ان الخلق في صورة من يرجى منه التقوى عبارة عن خلقه بحيث يكون مستعدا لصدور التقوى والخلق المذكور بسبب صدور التوحيد اذ من لم يكن محققا على ما ذكر لم يصلح لان يصدر التوحيد والتقوى منه (قوله الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة) والاشياء الستة هي الامر والنهي والاستفهام والعرض والتمني والنفي والمراد بكونها غير موجبة عدم استفادة شئ من تلك الامور وفي عبارته تسامح والاولى أن يقال لاشتراكها في عدم الايجاب (قوله على انه نهى وقع خبرا على تأويل مقول فيه لا تجعلوا) اعلم أن صاحب الكشاف قال يحتمل أن يكون الذي جعل مرفوعا على الابتداء وفسره السراج بأن معناه أن يكون خبرا للمبتدأ بتأويل هو الذي جعلكم وحمله المصنف على ظاهره فلذا جعله مبتدأ خبره فلا تجعلوا ولا يخفى بعد المعنى عن ركاكة كما صرح به العلامة التفتازاني فالوجه أن يقال ان قوله تعالى فلا تجعلوا اذا جعل متعلقا بالذي جعل يكون جزاء شرط محذوف والمعنى هو الذي جعل لكم ما ذكر وخصكم بالنعم الظاهرة المتظاهرة واذا كان كذلك فلا تجعلوا لله شركاء (قوله تيما تجعلون) أي تجعلون تيما ند مضموما لي والحال ان تيما ليس مثلا لذي حسب مطلقا وان كان أدون فكيف يكون مثلي (قوله شابهت حالهم حال من يعتقد) يعني استعارة تبعية تهكمية تجعل غاية عجزهم بمنزلة القوة تهكما بادعاء أحد الضدين بمنزلة الضد الآخر كما جعل حاتم بمنزلة الجواد باستعارة الحاتم للبخيل

فاطلق النـدعلى كل منهما كما أطلق الحاتم على البخيل (قوله اضطر عقولكم الى اثبات موجد للمكنات متفرد بالوجوب الذاتى) لايخفى أن الكفار الخاطبين قائلون بان الله تعالى متفرد بالوجوب الذاتى موجد للمكنات كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقد نص المصنف قبل هذا باسطر أن المشركين ما زعموا ان الاصنام مثل الله تعالى فى ذاته وصفاته فالاولى أن يقال الاضطر عقولكم الى التوحيد الصرف وردالشرك فى العبادة واضاعة الاصنام (قوله وعلى هذا فالمقصود) لك أن تقول الظاهر اسقاط قوله على هذا بان يقال المقصود التوبيخ اذ التوبيخ مقصود على كل حال والجواب أن غرضه أن المراد على التقدير الثانى مجرد التوبيخ ولايمكن قصد تقييد الحكم والالزم أن لايكون الحكم المذكور شاملا لمن قدر على العلم ولم يعلم واما على التقدير الاول فيمكن أن يكون المراد التوبيخ مع تقييد الحكم فان التكليف المذكور لايتوجه الا على من قدر على النظر وعبارة الكشاف هكذا ومفعول يعلمون متروك كأنه قيل وأنتم من أهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد ويجوز أن يقدر وأنتم تعلمون (١١١) أمهالا تماثل أوأنتم تعلمون مابينهما من التفاوت أو أنتم تعلمون انها لاتفعل مثل أفعاله انتهى فلايرد عليه شئ من هذا الاعتراض الآخر (قوله فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والفعل بالماء وماأفاض عليه) لايخفى أنه جعل البدن فراشا والنفس سماء باعتبار أن البدن أمر ثقيل من الأمور السفلية ففيه شبه بالارض التى جعلت تحت الانسان والكفر من الامور العالية ففيه شبه بالسماء ثم ان العقل نازل على البدن بل مما يقوم بالسماء الذى هو النفس وما أفاض عليها من الفضائل العلمية والعملية المشبهة بالثمرات ليس مما تقوم بالبدن وتظهر منه فلا يلائم تفسير الماء النازل من السماء التى هى النفس بالعقل اذ هو ليس نازلا منها بل قائما بها وكذا لايلائم تشبيه الفضائل المذكورة بالثمرات المستخرجة من الارض ويمكن أن يقال المراد من السماء عالم القدس ومن الارض النفس ومن الماء القوى وأصول المعارف ومن الثمرات مايترتب عليها من الفضائل العلمية والعملية (قوله فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا) هذا اقتباس من الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع فالظهر مابينه النقل والبطن مايكشفه التأويل ولكل حد أى طرف من الظهر والبطن مطلع والمطلع المكان الذى يشرف على توفية خواص كل مقام أى موضع يطلع عليها بالترقى اليه فمطلع الظاهر تعلم العربية وتتبع مايتوقف عليه الظاهر من الناسخ والمنسوخ وغيرذلك ومطلع الباطن تصفية الباطن والرياضة (قوله بذت) بالذال المعجمة بمعنى غلبت (قوله واقحامه) أى الزامه العرب العرباء الخالصين فى العربية الذين لم يخالطوا العجم أصلا والعمازة بالزاء المعجمة المغالبة وبالراء المهملة المضارة (قوله وعرف الخ) عطف على قوله ذكرماهو الحجة ومعناه ان الله عرف أى وصف الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهى القرآن بما يتعرف به اعجازه وهو انه شئ لم يقدر أحد على الاتيان بسورة منه فيتيقن انه من عند الله

العلم والنظر واصابة الرأى فلو تأملتم أدنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للمكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات أومنوى وهو انها لاتماثله ولاتقدر على مثل مايفعله كقوله سبحانه وتعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لاتقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء فى التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الأمر بعبادة الله سبحانه وتعالى والنهى عن الاشراك به تعالى والاشارة الى ماهو العلة والمقتضى وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه تعالى خالق أصولهم ومايحتاجون اليه فى معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة أعم من المطعوم والرزق أعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه الامور التى لايقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته تعالى رتب تعالى عليها النهى عن الاشراك به ولعله سبحانه أراد من الآية الأخيرة معمادل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما أفاض عليه من المعانى والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما أفاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة) لما قرر وحدانيته تعالى وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ماهو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته التى بذت فصاحة كل منطيق والفمه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم فى المضادة والمضارة وتهالكهم على المعارضة والمعارة وعرف مايتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان

كما يدعيه فان قيل عدم الاتيان بمثل السورة لايدل على كونه من عندالله اما أولا فلانه يحتمل ان يقدر النبي صلى الله عليه وسلم على شئ لم يقدر عليه غيره ثانيا انه لايلزم من عدم قدرة الانسان مطلقا على مثل سورة ان يكون من عندالله اذ يحتمل ان يكون من جانب الملك قلنا هذا الزام المشركين المعارضين للنبي صلى الله عليه وسلم ومنهم جماعة يدعون انهم في غاية الفصاحة والبلاغة فكل مايقدر عليه واحد من الناس في أمر البلاغة يقدرون عليه فلا مجال للاحتمال الاول وأيضا هم يزعمون ان القرآن كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا كلام الله والنبي صلى الله عليه وسلم ادعى العكس فاثبات انه ليس بكلام النبي عليه الصلاة والسلام كاف في المقصود وهو ابطال زعم المشركين اذهم لم يقولوا بانه كلام الملك ولا يرضون به اذلو سلموا نزول الملك عليه لكان تسليما لصدقه عليه في نبوته (قوله مما يريهم) أي يوقعهم في الشك لانهم قالوا لو كان القرآن من عندالله لوجب ان ينزل دفعة حتى يكون مخالفا لما صنعه الشاعر والناثر من صوغ الكلام وابداعه نجما فنجما (قوله ازاحة للشبهة واقامة للحجة) لان المشركين قالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل في ردهم أنتم لاتقدرون على معارضة نجم واحد من نجوم القرآن فكيف اذا نزل دفعة واحدة فهو أشد في التبكيت والالزام (قوله لانها محيطة بطائفة من القرآن) فيه نظر فان السورة ليست محيطة بطائفة

منه بل مشتملة عليها اشتمال الكل على الجزء لا اشتمال الظرف على المظروف والاولى ان يقال لان بعض أجزائها محيط بالبعض فان مجموع المقدم والمؤخر محيط بالوسط أو يقال ان السورة محيطة بالمعاني وعبارة الكشاف فاما ان يسمى بسور المدينة وهي حائطها لانه طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أولانها محوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على مافيها انتهى

نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ماترى عليه أهل الشعر والخطابة مما يريهم كما حكى الله عنهم فقال وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة وأضاف العبد الى نفسه تعالى تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه تعالى وقرئ عبادنا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات وهي ان جعلت واوها أصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها أو محتوية على أنواع من العلم احتواء سور المدينة على مافيها أو من السورة التي هي الرتبة قال النابغة

ولرهط حراب وقد سورة * في المجد ليس غيرها بمطار

لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ أو طامراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية والقطعة من الشئ والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه ولهذا ختم سورة نفس ذلك عنه كالسافر اذا قطع ميلا أو طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه أخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد (من مثله) صفة سورة أي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض أو للتبيين وزائدة عند الاخفش أي بسورة مماثلة

وليس فيما ذكره المصنف (قوله ولرهط حراب وقد) بالحاء والراء والدال المهملة هما رجلان من بني أسد للقرآن في الاساس هذه أرض لا يطير غرابها أي كثيرة الثمار مخصبة والمراد هنا رتبة من المجد ثابتة لاتزول (قوله افراد الانواع) أي اتيان كل نوع من العلوم في سورة (قوله وتلاحق الاشكال) بان يورد في كل ماهي متناسقة فتكون المعاني متناسقة واطراف النظم متحاذية متلائمة أي اذا قطعت السور كان كل سورة نظما مستقلا تكون معانيها متناسبة ونظمها متجاذبا أي متجاورا متقاربا كما أورد في الكتب مسائل متعلقة بشئ في باب ومسائل متعلقة بآخر في باب آخر فيكون أعجب عند العقل وأحسن من ان يكون الكل سورة واحدة (قوله الى غيرها من الفوائد) مثل ان يكون لاحد غرض متعلق بآية خاصة بان يريد حفظها أو يتحقق نظمها أو معناها فاذا علم انها في أي سورة يحصل منها غرضه سريعا إذ بعد العلم بانها من أي سورة يطلبها من تلك السورة في أقصر زمان بخلاف مالم يكن القرآن سورا فان طلب الآية على هذا كان عسرا كما لايخفى (قوله ومن للتبعيض أو التبيين) قد رأولا ان معناه بسورة كائنة من مثله وهذا يدل على ان من للتبعيض لا للتبيين لانه على تقدير ان يكون من للتبيين لاحاجة الى تقدير كائنة اذ يصح المعنى بدونه سلمناه لكن عدم الحاجة اليه على تقدير كون من زائدة ظاهرة والظاهر ان قوله ومن للتبعيض الخ كلام مستقل ليس مرتبا على قوله أي بسورة كائنة من مثله فكانه قيل من الرأس من للتبعيض أو للتبيين

أو زائدة فتأمل (قوله أو لعبدنا ومن للابتداء أي بسورة كائنة ممن هو على حاله) لايخفى ان الاتيان بمثالى السورة المشتملة على الجل المتناسبة المشتملة على المعانى الصحيحة يمكن وانما المستحيل الاتيان بسورة من مثل القرآن فاذا رجع الضمير الى العبد وجب ان يقدر الكلام فأتوا بسورة مماثلة للقرآن من مثل العبد ولايخفى مافيه (قوله أوصلة فأتوا والضمير للعبد) يرد عليه انه يمكن ان يكون الضمير على هذا التقدير أيضا راجعا الى القرآن فيكون المعنى فأتوا من مثل القرآن بسورة وأجاب العلامة التفتازانى بان الذوق يشهد بان تعالى من مثله بالاتيان يقتضى وجود المثل ورجوع العجز الى ان يؤتى منه بشئ ومثل النبى صلى الله عليه وسلم فى البشرية والعربية موجود بخلاف مثل القرآن فى البلاغة والفصاحة واذا كان صفة للسورة فالمجموع عنه هو الاتيان بالسورة الموصوفة ولايقتضى وجود المثل بل ربما يقتضى انتفاءه وحاصله ان قولنا ائت من مثل الحماسة ببيت يقتضى وجود المثل بخلاف قولنا ائت ببيت مثل الحماسة أقول فيماذا كر خفاء فليتأمل (قوله لان مخاطبة الجم الغفير الخ) انما كان أبلغ لان فيه اشعارا بانه لو جمعوا واتفقوا لم يقدروا على الاتيان بمثله بخلاف مالو أمروا بالاتيان من شخص واحد فانه يمكن ان لايقدر شخص واحد على شئ واكن يقدر الجميع (قوله ولا يلائمه قوله الخ) يعنى طلب الاتيان بسورة من شخص متصف بصفة مخصوصة مماثل لشخص آخر لايلائم تعميم الامر بالاستعانة من كل واحد لانه اذا لم ينفع نصرة الشهداء من دون الله فى الاتيان بسورة من مثله فالظاهر انه لا يمكن الاتيان به أصلا فلا يبقى لتقييد الاتيان بمثل العبد كثير فائدة ويمكن أيضا ان يقال انه على تقدير رجوع الضمير الى العبد كان الانصار أنصار المثل العبد حقيقة لاله فالاولى اضافة الشهداء اليه لا اليهم (قوله أو بالتصور) أى بحسب العلم فان الله شهيد على كل شئ لا بمعنى انه تعالى حاضر عنده حضورا مكانيا فان هذا محال فى حقيقته وانما الحضور باعتبار علمه فان علمه تعالى محيط بجميع الاشياء لايغيب عنه شئ وبقال للعالم بالشئ انه مشاهده وشهده (قوله ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد) اذا كان دون بمعنى التجاوز كان من زائدة اذ يكفى ان يقال لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء دون المؤمنين أى متجاوزين المؤمنين كما فى البيت المذكور فان لفظ من زائدة فى البيت لكونه فى كلام غير موجب لانه نفى واما قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فكلام موجب ومن لاتكون زائدة فى كلام موجب الاعند الاخفش فليس المقصود أن دون ههنا بمعنى التجاوز وانما المقصود انها مستعملة كذلك فى الجملة وأما ههنا فمستعمل بمعنى غير كما قال المصنف من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله أو بمعنى قدام الشئ كما قال أو الذين يشهدون لكم بين يدى الله تعالى على زعمكم فاذا كان بمعنى غير فمن للتبعيض اذا كانت متعلقة بشهداء وللابتداء اذا كانت متعلقة بادعوا واذا كان دون بمعنى قدام كان بمعنى فى هذا هو المفهوم من كلام المصنف وهو قريب مما قاله صاحب الكشاف وقال العلامة التفتازانى ان كلمة من الداخلة على دون انما هى كما فى سائر الظروف غير المتصرفة وهى التى تكون منصوبة على الظرفية أبدا ولاينجر الا بمن خاصة وقد يقال انها اذا تعلقت بادعوا فلابتداء الغاية اذ الدعاء قد ابتدأ من دون الله واذا تعلقت بالشهداء على معنى انهم يشهدون بين يدى الله تعالى فللتبعيض كما سيجىء فى قوله تعالى لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم أن افعل يقع فى بعض الجهتين أقول يتبين فى أواخر كلامه مخالفته لهما لانه اذا كان معناه ادعوا الذين اتخذتموهم

للقرآن العظيم فى البلاغة وحسن النظم أو لعبدنا ومن للابتداء أى بسورة كائنة ممن هو على حاله عليه الصلاة والسلام من كونه بشرا أميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم أو صلة فأتوا والضمير للعبد صلى الله عليه وسلم والردالى المنزل أوجه لانه المطابق لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدى ولان الكلام فيه لافى المنزل عليه لحقه أن لاينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بأن يأتوا بمثل ماأوتى به واحد من أبناء جلدتهم أبلغ فى التحدى من أن يقال لهم ليأت بنحو ماأتى به هذا آخر مثله ولانه معجز فى نفسه لابالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولايلائمه قوله تعالى (وادعوا شهداءكم من دون الله) فانه أمر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة أو الناصر أو الامام وكأنه سمى به لانه يحضر النوادى وتبرم بحضوره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات أو بالتصور ومنه قيل للمقتول فى سبيل الله شهيد لانه حضرما كان يرجوه أو الملائكة حضروه ومعنى دون أدنى مكان من الشئ ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا أى خذه من أدنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو أى فى الشرف ومنه الشئ الدون ثم اتسع فيه

آلهة من دون الله أو ادعوا من دون الله شهداءكم بمعنى لا تستشهدوا بالله وادعوا الشهداء من الناس كما قاله صاحب الكشاف لا يلائم جعل من بمعنى في كما لا يخفى على المنصف فتأمل (قوله ومن متعلقة بادعوا والمعنى الخ) فيه ان المعنى الاول على ما ذكره يدل على ان الجار متعلق بشهداءكم ويكون قوله من انسكم الخ بيانا لقوله من حضركم لكنه مناف لما ذكره أولا من تعلق من بادعوا وقد يقال في الجواب ان قوله من انسكم وجنكم وآلهتكم ليس بيان من دون الله حتى يرد ما ذكر بل بيانه قوله غير الله فالمقصود ادعوا شهداءكم أي حاضريكم الذي هو الجن والانس والآلهة من دون الله أي غير الله وفيه ما فيه والاولى أن يقال انه ذكر حاصل المعنى وحق العبارة أن يقال وادعوا من دون الله شهداءكم أي من حضركم من الانس والجن والآلهة * واعلم أن المذكور خمسة أوجه والامر على الاولين للتبكيت والتعجيز وعلى الثالث والرابع للتهكم اذ على هذين الوجهين كان المراد من الشهداء الاصنام ولذا قال بعد ذكر هذين الوجهين وفي أمرهم أن يستظهروا بالجماد الخ وعلى هذا كان الاولى أن يقال أولياء وآلهة وعبارة الكشاف ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق وأما اذا كان المراد فصحاء العرب ووجوه الناس فالامر للاستدراج هكذا ذكره العلامة التفتازاني وههنا موضع نظر فتأمل وعلى التقدير الاخير كان الشهداء بمعنى الرؤساء فلذا اعتبر حذف المضاف ليكون الرؤساء التي هي أولياء الاصنام في مقابلة أولياء الله واعلم أن المفهوم من ظاهر كلامه ان الاوجه المذكورة على تقدير أن تكون من متعلقة بادعوا لانه قال ومن متعلقة بادعوا والمعنى الخ لكن قوله أو شهداءكم الذين اتخذتم من دونه أولياء أو آلهة الخ انما يصح على تقدير أن تكون من متعلقة بشهداءكم وحق العبارة أن يقال أو متعلقة بشهداءكم والمعنى شهداءكم وهم وهذا الوجه جائز ومضمون ما قاله صاحب الكشاف أن من متعلقة بادعوا أو بشهدائكم فان علقته بشهدائكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة على الحق أو ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله أو ادعوا شهداءكم من دون الله أي من دون أوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم أتيتم بمثله وهم وجوه المشاهد وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت أو ادعوا من دون الله شهداءكم يعني ان الله شاهدكم لانه أقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين أعناق أرواحكم والجن والانس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم من الجن والانس الا الله تعالى لانه قادر وحده على أن يأتي بمثله دون كل شاهد (قوله تعالى فان لم تفعلوا الآية) قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى اشتراطه تعالى في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله قلت لانهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا صح صدقه ثم لزموا العناد استوجبوا العقاب فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقة وضميمة ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة قال العلامة التفتازاني في قوله لان اتقاء النار الخ اشعار بان هذا تعبير بالملزوم عن اللازم واعترض بانه ينبغي أن يكون مجازا عن ترك العناد على ما اختاره صاحب المفتاح لا كناية اذ مبناها على التعبير باللازم عن الملزوم والجواب أن اطلاق الكناية على التعبير بالملزوم

فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطى أمر الى آخر قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين قال أمية

* يا نفس مالك دون الله من واق * أي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم أو رجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله سبحانه وتعالى فانه لا يقدر على أن يأتي بمثله الا الله أو وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما أتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة أو بشهدائكم أي الذين اتخذتموهم من دون الله أولياء وآلهة وزعمتم أنها تشهد لكم يوم القيامة أو الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى على زعمكم من قول الاعشى * تريك القذى من دونها وهي دونه * ليعينوكم وفي أمرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن العزيز غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله أي من دون أوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما أتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه أن يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله (ان كنتم صادقين) انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة أو امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار

عن اللازم شائع فى كلام المصنف ومبنى الفرق بينها وبين المجاز عنده على ارادة المعنى الحقيقى وعدمها كما سيجىء فى قوله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أقول ماذكر فى تفسير الآية أى قوله ولا جناح عليكم الآية أن الكناية ان يذكر معنى مقصود بلفظ لم يوضع له لكن استعمل فى الموضوع له لاعلى وجه القصد اليه بل لينتقل منه الى الشئ المقصود فيلزم ايراد انجاد مستعمل فى معناه الحقيقى لكن لايكون هو المقصود بالاثبات بل لينتقل منه الى طول القامة فخرج بقيد الاستعمال فى معناه المجاز وبقيد عدم القصد الصريح من الحقيقة هذا ماقاله وحينئذ نقول اذا جعل قوله تعالى فانقوا النار كناية يكون مستعملا فى معناه فعاد السؤال المذكور من انه لاوجه لربطه بالشرط المذكور وأما كونه غير مقصود بل المقصود منه شئ آخر كترك العناد فلايدفع الشبهة بل دافع الشبهة أن يقال ليس قوله تعالى فانقوا النار مستعملا فى معناه الحقيقى بل مستعملا فى ترك العناد كما اختاره صاحب المفتاح و يدل عليه أن صاحب الكشاف قال ونظيره أن يقول الملك لخشمه ان أردتم الكرامة عندى فاحذروا سخطى بريد فاتبعونى وأطيعوا أمرى وافعلوا ماهو نتيجة حذر السخط وأيضا الاتقاء من النار واجب على الاطلاق من غير تقييد بشرط وتعليق بأمر كما لايخفى فظهر منه أنه لايناسب جعل فانقوا النار جزاء الا انصراف عن معناه الحقيقى حتى يكون مجازا ولقائل أن يقول ظاهر هذه العبارة من الكشاف وهو قوله و يدل عليه الخ والعبارة الاخرى حيث قال فقيل ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فانقوا النار موضعه لان اتقاء النار ضيقة وضميمة ترك العناد من حيث انه من تتأتى له لان من اتقى النار ترك المعاندة يدل على أن المراد باتقاء النار ترك العناد فيكون مجازا غاية الامر استعمال لفظ الكناية فى المجاز وله وجه اذا كانت الكناية مستعملة (١١٥) فى المعنى اللغوى الذى هو ترك التصريح

النار التى وقودها الناس والحجارة) لما بين لهم مايتعرفون به أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وماجاء به وميزهم الحق عن الباطل رتب عليه ماهو كالفذلكة وهو انكم اذا اجتهدتم فى معارضته وعجزتم جزما عن الاتيان بمايساويه أو يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعدلمن كذب فعبر عن الاتيان الممكن بالفعل الذى يعم الاتيان وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشأن العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان التى للشك والحال يقتضى اذا الذى للوجوب فان القائل سبحانه وتعالى لم يكن شاكا فى عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم وخطابا بمعهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التأمل لم يكن محققا عندهم وتفه لوا لجزم بلا لانها واجبه الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع

له وظاهره ينافى ماذكره العلامة التفتازانى من ان الكناية مستعملة فى المعنى الموضوع له ثم انه منافٍ لما مر ح به فى المطول من ان الكناية ليست مستعملة فى المعنى الموضوع له بل فى لازمه (قوله ظهر انه معجز والتصديق به واجب) فان قيل عجزهم عن الاتيان بمثله لايدل على انه معجز مثبت للنبوة اذ يجوز أن يقدر غير النبى عليه الصلاة والسلام عليه قلنا الجواب عنه مذكور فيما سبق وهو ان هذه الآية الزام للمعاندين الذين هم فى غاية الفصاحة وتبكيت لمن استعان منهم فثبت اعجازه واذا ثبت فلا يظهر من غير النبى لما هو مذكور فى كتب الكلام وهو أن الله تعالى لايظهر المعجز الخارق على يد المدعى الكاذب (قوله تقريرا للمكنى عنه الخ) فانه لما كان الاتقاء لازما لترك العناد أى الايمان كان فى ذكره نوع تقرير له والاولى أن يقال نزل ملزوم الجزاء منزلته تقريرا الخ لان فى ذكر الملزوم تقريرا للازم وليس فى العكس كذلك الا ان يكون التلازم بينهما أى اللزوم من الجانبين ولذا قالوا فى الاستدلال على ان الكناية أبلغ من الصريح والمجاز أبلغ من الحقيقة انهما انتقال من الملزوم الى اللازم (قوله تهكما بهم) علة للتصدير بان اى استعمل الكلمة التى للشك فى الامر المتيقن استعمال لضد فى الضد فيزيل اليقين منزلة الشك للتهكم كما استعملت البشارة فى مقام الانذار فكلمة ان استعارة تبعية تهكمية (قوله ولانه لما صيرته ماضيا الخ) فان قلت هذا التعليل لايناسب اثبات عمل ما فان الجزء لايعمل فى الكل قلت غرضه انه لايصلح ان للعمل الا فى الفعل لا فى المركب من فعل وحرف هو لم فيقى أن يكون العمل للم واعلم أن قوله لما صيرته ماضيا فيه نظر فقد قال العلامة التفتازانى فى كلام الكشاف اشارة الى أن كلمة ان فى موضع اذا وانه للاستمرار لا لمجرد الاستقبال فظهر منه ان لم لم تجعل المضارع ماضيا بل الفعل بمعنى الاستمرار و يشمل الاستقبال ثم انه ان ادعى ان لم فى كل موضع دخل على المضارع و يجتمع مع ان يقلبه ماضيا فينشكل بمثل قوله تعالى فان لم تأتونى به وان ادعى أنها فى مثل هذا الموضع تقلبه ماضيا فلابد عليه من دليل

ثم ان العلامة النيسابوري ذكر في ترجمة قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا بس اگر نكنيد وخود هرگز نتوانيد كرد وهذا صريح في ان لم تجعله ماضيا فان قيل لعل لم يجعل الفعل المضارع ماضيا ثم بعد دخول ان صار للاستمرار قلنا فلا فائدة في جعله ماضيا بل لا معنى للجعل ماضيا في مثل قوله فان لم تأتوني به فالاولى أن يقال ان لم في هذا الموضع يفيد مجرد النفي (قوله أي وقودها احتراق الناس والحجارة) يعني انه اذا جعل مصدرا لا يصح حمل الناس والحجارة عليه فيجب ان يقدر شئ يصح الحمل به وهو الاحتراق وفيه ان هذا الحمل لا يصح أيضا كما ان حمل الناس عليه لا يصح اذ الايقاد الاشتعال وهو غير الاحتراق فانه يصح أن يقال اتقدت النار ولا يصح أن يقال احترقت وان كان بناء الحمل على المبالغة كما في زيد عدل يصح حمل الناس على الوقود بطريق المبالغة غاية الامر ان الاحتراق أقرب الى الوقود من الناس لانه أثره (قوله أو بنقيض ما كانوا يتوقعون الخ) هذا تعذيب الروح وما تقدم عليه عذاب البدن فيفيد الناس والاصنام النوعين من العذاب (قوله وعلى هذا لم يكن لتخصيص الكفار الخ) يعني ان المؤمنين الممتنعين من الزكاة أيضا معذبون بالذي يكنزونه من الذهب والفضة كما قال (١١٦) تعالى الذين يكنزون الذهب والفضة الآيتين وفيه نظر لان معنى الآية التي نحن في تفسيرها ان الحجارة توقد النار وتشتعل بها وهاتان الآيتان لا يدلان على اشتعال النار بما يكنزه المؤمنون وانما يدل على أنه يحمى فتكوى به جباههم والاجباء غير الاشتعال وغير مستلزم له ولعل الكافرين معذبون باجباء الذهب والفضة وكيهم بهما وباشتعال النار بهما أيضا وغيرهم من الكافرين معذبون بالنوع الاول (قوله بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم الخ) هكذا في الكشاف واعترض عليه بوجهين الاول ان سورة التحريم مدنية بلا خلاف من غير استثناء شئ من الآيات الثاني ان هذه الآية من جملة ما نزل فيها أيها الناس وقد سبق أنه يمكن أن يجاب عن الاول بأنه يجوز أن يكون تلك الآية من سورة التحريم مكية وتصريحه بذلك يدل على عدم الوفاق في جميع السورة وعن الثاني أن ما سبق رواية عن علقمة والجمهور على أن سورة البقرة مدنية (قوله وقرئ أعتدت الخ) قال في الصحاح اعتد تاعتادا أي أعده والعتاد العدة يقول احذر للامر عدته أي أهبته وآلته ومراد المصنف انه أخذ من العتاد فكان معنى اعتده في الاصل جعله عتادا وعدة ثم استعمل بمعنى أعددت فكان الشئ الذي أعد لآخر أهبة وآلة له (قوله استئناف أو حال باضمار قد) الاستئناف راجع على الحال اذ النار معدة للكافرين في كل حال لكن جعلها جملة حالية يوهم خلاف ذلك وكذا يوهم الامر بالتقوى منها في حال اعدادها للكافر بل لا في غير ذلك الحال ولم يتعرض صاحب الكشاف لكونها حالية أو استئنافية قال العلامة التفتازاني كان ينبغي ان يبين موقع هذه الجملة فانها متعلقة باحوال النار ولا يحسن الاستئناف والحال وعندي انها صلة بعد صلة كما في الخبر والصفة وان أبيت بناء على انه لم يسطر في كتاب فليكن عطفا بترك

فكأنه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما وان كلا في نفي المستقبل غير أنها أبلغ وهو صرف مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى أصله لا أن وعند الفراء لا فأبدلت ألفها نونا ولوقود بالفتح ما توقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم وآله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان أريد به المصدر فعلى حذف مضاف أي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير مناسب والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها أنفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار لمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عند بوا بها ومنشأ جرمهم كما عذب الكافرون بما كنزوه أو بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويفترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم طبعها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فلعله عنى به أن الاحجار كلها تلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة بازائها فانها يجب أن تكون قصة معلومة (أعدت للكافرين) هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ أعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف أو حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما

العاطف لكن عطف و بشر على لفظ المبنى للمفعول يقوى جانب الاستئناف أقول اما عدم حسن كونها حالية فلما ذكرناه واما عدم حسن كونها استئنافية فغير ظاهر ولعل وجه عدم الحسن ان مضمون الجملة الاستئنافية معلوم مما سبق واما كون لفظ المبنى للمفعول يقوى جانب الاستئناف فظاهر اذلا وجه لكون بشرحا لا مما سبق أو صلة له فان قيل لا يجوز ان يكون بشر معطوفا على أعدت على تقدير الاستئناف لانه جواب سؤال هو انه ما حال النار المذكور ولا يخفى أن بشر لا يصلح أن يكون جوابا لهذا السؤال قلنا لعله أراد بالاستئناف كونه جملة مستقلة (قوله لم يتصدوا للمعارضته الخ) لا يخفى ان ماذكر لا يستفاد من الآيتين وانما يستفاد منهما انهم دعوا الى المعارضة بالغ وجه ثم لم تقدروا على المعارضة واما انهم لم يتصدوا للمعارضة فغير مفهوم منهما ولا الالتجاء الى الجلاء وبذل المهج وانما يعلم من الخارج (قوله دال على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن) وللمخالف ان يقول انه يعبر عن المستقبل بالماضي لتحقق الوقوع ومثله كثير في القرآن كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار وللمجيب أن يقول انه خلاف الظاهر ولا يصار اليه الابدليل (قوله وماذكره) اشارة الى رد المعتزلة حيث قالوا الجنة والنار ليستا بمخلوقتين الان وانما تخلقان يوم الجزاء (قوله والمقصود عطف حال من آمن الخ) أي المعطوف جملة قوله و بشرهم الى قوله وهم فيها خالدون والمعطوف عليه جملة وصف عقاب الكافرين على مافهم من قوله فان لم تفعلوا الآية والجامع (١١٧) بينهما التضاد (قوله لاعطف الفعل نفسه الخ) يعني انما عطف الفعل مع الفاعل اذ لا يعطف مجرد الفعل على شئ بل اذا عطف الفعل يكون الفعل مع فاعله معطوفا ومثل ذلك العطف قد يقع في المفردات كقوله تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن فان الواو الوسطى لعطف مجموع الآخرين على الأولين وانما كان كذلك لعدم المناسبة بين الثالثة والاولين وانما المناسبة بين المجموعين فان كلا منهما مشتمل على

بما يعارض أقصر سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المعارضة لم يتصدوا للمعارضته والتجؤا الى جلاء الوطن و بذل المهج والثاني أنهما يتضمنان الاخبار عن الغيب على ماهو به فانهم لو عارضوه بشئ لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه أكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث أنه صلى الله عليه وسلم لو شك في أمره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة أن يعارض فتدحض حجته وقوله تعالى أعدت للكافرين دل على أن النار مخلوقة معدة الآن لهم (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات) عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن العظيم ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ماجرت به العادة الالهية من أن يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لا كتساب ماينجي وتثبيطا عن اقتراف ماير دي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب أن يطلب له مايشا كله من أمر أونهي فيعطف عليه أو على فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي أن يخوف هؤلاء و يبشر هؤلاء وانما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أو عالم كل عصر أو كل أحد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشأنهم وايذانا بأنهم أحقاء بأن يبشروا و يهنؤا بما أعدلهم وقرئ و بشر على البناء للمفعول عطفا على أعدت فيكون استئنافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر أثر السرور في البشرة

متقابلين (قوله أو على فاتقوا) فيكون حاصل الكلام فان لم تعارضوا القرآن فقد ثبت صدق النبي فاتركوا العناد واتقوا النار أيها الكافرون و بشر المؤمنين بالجنات أيها النبي قال العلامة التفتازاني ولما في الوجهين من البعد سيما الثاني فان ربطه بالشرط وعطف الامر لمخاطب على الامر لمخاطب آخر من غير التصريح بالنداء مما منعه النحاة ذهب صاحب المفتاح الى انه عطف على قل مرادا بها قل يا أيها الناس كانه قيل قل كذا وكذا و بشر المؤمنين ولما فيه من البعد من جهة اشتمال الكلام السابق على قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا وهو لا يصلح مقولا للنبي عليه السلام الا بتكلف ذهب بعضهم الى انه عطف على قل مرادا قل فان لم تفعلوا أو على محذوف يقابل بشر أي فانذر الكافرين و بشر المؤمنين أقول قد يقال يمكن ان يكون معطوفا على قوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم ويكون ههنا نداء مقدر بقرينة الخطاب ويكون التقدير و يا أيها النبي بشر فتأمل (قوله تفخيما لشأنهم الخ) لك ان تقول اذا خاطبهم الله تعالى بالبشارة كان التعظيم فيه أقوى والايذان بانهم أحقاء بان يبشروا أظهر وقد غير عبارة الكشاف فوقع فيما وقع قال لم يامر بذلك واحدا بعينه وانما كل أحد مامور به وهذا الوصف أحسن وأجزل لانه يؤذن بان الامر لعظمه ولخامة شأنه محقوق بان يبشر به والجواب انه خاطب الكفار سابقا بقوله فاتقوا فلو خوطب المؤمنون أيضا لكان تشريكا بينهما اذا غير الاسلوب دل على ان المؤمنين ليس حالهم كحال الكفار في اجراء الخطاب فكان فيه نوع تعظيم فتأمل (قوله فيكون استئنافا)

أى كلاما مستقلا انه حال كما فى القراءة الأخرى (قوله فعلى التهكم) بان ينزل الخوف منزلة السرور تهكما ثم استعمل لفظ البشارة فى الاخبار المذكور وهو الذى يوجب الخوف بان شبه الانذار بالبشارة باعتبار ان كلا منهما يوجب السرور ادعاء بتنزيل الخوف منزلة السرور ثم استعير لفظ البشارة للتخويف (قوله أو على طريقة قولهم الخ) فكان المراد من قولهم تحية بينهم ان الامر السهل الحسن فيما بينهم الضرب الوجيع فكيف الامر الشديد كذلك قوله فبشرهم بعذاب أليم ان اخبارهم بالعذاب الاليم هو الامر السهل فكيف الاخبار بالامر الفظيع الشديد وهى من الصفات الغالبة أى التى غلبت عليها الاسمية فتذكر من غير مقصود ولا موصوف (قوله وهى من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه) هذا أحسن من عبارة الكشاف من وجهين فانه قال والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل أو الكتاب أو السنة وفيه ان الصالحات ليس كل ما استقام أى كل واحد الا ان يفسر مجموع الصالحات بمجموع ما استقام وهو تكلف وأيضا فيه مذهب الاعتزال اذ فيه القول بالحسن العقلى وعبارة المصنف صريح فى قصر الحسن على الشرع والمراد بتحسين الشرع الحكم بترتب الثواب عليه (قوله واللام فيه للجنس) لتحقيق ان الجمع المحلى بلام الجنس قد يقصد به الحقيقة من حيث الوجود فى ضمن الافراد وحينئذ اما ان توجد قرينة البعضية فيحمل عليها

أولا فيحمل على العموم وههنا قرينة البعضية موجودة اذ المؤمنون لا يعملون كل عمل صالح بل لا يتيسر ذلك والمراد ههنا جنس العمل الصالح لا أن يوجد فى ضمن كل فرد (قوله ولذلك قلما ذكرا منفردين) أقول اما عدم ذكر الايمان منفردا فى الاكثر فلانه أس فيناسب ان يذكر بعده ما يتفرع عليه فانهما معا موجبان للبعد من العذاب مطلقا واما عدم ذكر العمل الصالح بدون الايمان فى الاكثر فسببه ظاهر اذ لا يعبأ بالعمل الا بعد الايمان واما قوله ولاغناء باس لا بناء عليه الخ ففيه نظر اذ ما

ولذلك قال الفقهاء البشارة هى الخبر الاول حتى لو قال لرجل لعبيده من بشر نى بقدوم ولدى فهو حر فاخبره وه فرادى عتق أو لهم ولو قال من أخبرنى عتقوا جميعا وأما قوله تعالى فبشرهم اعذاب أليم فعلى التهكم أو على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * والصالحات جمع صالحة وهى من الصفات الغالبة التى تجرى مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة

كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من آل لأم بظهر الغيب تأتينى

وهى من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل الخصلة أو الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب فى استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذى هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولاغناء باس لابناء عليه ولذلك قلما ذكرا منفردين وفيه دليل على انهما خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل أن الشئ لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه ان لم ينصب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه أو مجرور باضماره مثل الله لأفعان والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمى بها الشجر المظل لالتفاف أغصانه للمبالغة كأنه يستر ما تحته ستر واحدة قال زهير

كان عينى فى غربى مقتلة * من النواضح تسقى جنة سحقا

أى نخلا طوالا أم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر فى الدنيا ما أعد فيها للبشر من أفنان النعم كما قال سبحانه وتعالى فلا تعلم نفس

الايمان موجب للنجاة ليتة أولا أو آخرا فان أريد بان الايمان لا ينجى من العذاب مطلقا أولا وآخرا الا بالعمل الصالح قلنا مجرد جنس العمل الصالح لا ينجى ما لم يقابل لابد من قيد آخر وهو ان لا يكون مع العمل الصالح عمل غير صالح ويمكن الجواب عنه فتأمل (قوله وفيه دليل على انهما خارجة عن مسمى الايمان) ان أراد انه يدل على انه خارج عن مسمى الايمان المعتبر فى الشرع المنجى من عذاب الابد فدلالته ممنوعة لم لا يجوز أن يكون الايمان فى عرف الشرع عبارة عن مجموع التصديق والاعمال لكن الايمان المذكور فى الآية معناه التصديق كما قال الله تعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وان أراد انه يدل على خروج العمل عن الايمان اللغوى فقليل الجدوى اذ ليس النزاع بين الفريقين فيه بل فى الايمان الشرعى ويمكن أن يقال كل ما نطق به الشارع صلى الله عليه وسلم يحمل على معناه الشرعى ما لم يصرف عنه صارف (قوله سترة واحدة) هذا نظر الى لفظة الجنة لان معناها الستر ة الواحدة وهى كناية عن اتصال الستر بحيث لا يبقى فرجة وخلل بنفذ فيه الشمس والمبالغة باعتبار جعل الذات عين المصدر (قوله غربى) الغرب الدلو العظيم ناقة مقتلة بالقاف ثم التاء التى هى ثالثة الحروف مذللة مرنت على العمل النواضح الابل التى يستقى بها السحق جمع سحوق وهو الطويل

من النخل قال العلامة التفتازانى ولايخفى مافى ايثار الغرب وتثنيتها المنبئة عن دوام الانسكاب بتعاقبهما عجيبا وذهابا وذكر المذانة التى تخرج الدلو مليئا لا كالصعبة التى تسيل بنفرتها الماء وكونها من التواضح المتقررة على هذا الوصف وذكر الجنة المتفتقة الكثيرة الاشجار والنخل المفترقة الى الكثير من الماء سيما الطوال منها الصاعدة فى الهواء من المبالغات وجعل عينيه فى الغرب بين دون ان جعلهما غرب بين كناية لطيفة كأن ما ينصب من الغرب بين بنصب من العينين أقول أراد الاشعار بان ماء الغرب ليس الا ماء العين و يمكن أن يقال أيضا التكثة فيه الاشعار بان عينيه عين الماء لاغرب فيه الماء وهذا فيه مبالغة ليست فيما اذا جعل عيناه غرب بين (قوله لان الجنات على ماذكره ابن عباس سبع) يعنى أن ايراد الجنات بالجمع الصحيح المنكر الدال على القلة لما ذكر فان الجمع المنكر الصحيح من جموع القلة (قوله على حسب تفاوت الاعمال والعمال) ان أريد بالاعمال أعمال الجوارح فالمعنى ظاهر اذ يكون المراد من قوله العمال عقائدهم وأخلاقهم ماهى موجبة للاعمال لانها اسبابها وان أريد بها أعم منها فوجهه انه يمكن اذ يكون شرف العامل فى ذاته يقتضى رتبة خاصة من الجنة و بالنظر الى الاعمال يقتضى مرتبة أخرى فتأمل (قوله بل بجعل الشارع ومقتضى وعده) فان قيل مامعنى الاستحقاق والحال أن الثواب مجرد فضل الله تعالى قلنا معناه مجرد حصوله له واذا قيل بوجوب تحصيل مقتضى الوعد فالامر ظاهر لانه يجب فى نفس الامر أن يفوز بالثواب بمقتضى الوعد الشرعى فكان المراد بالاستحقاق وجوب الفوز بها (قوله لالذاته) هذا يدل على ان اللام دال على ان استحقاقهم لذلك لكن اللام لايدل على ذلك وانما (١١٩) هو أمر معلوم من الخارج والاولى أن يقال ولكن استحقاقهم لالذاته (قوله فأولئك حبطت) قال فى الكشاف فان قلت أما يشترط فى استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح وركز فى العقول أن الاحسان انما يستحق

ما أخفى لهم من قرة أعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ماذكره ابن عباس رضى الله عنهما سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفى كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام فى لهم تدل على استحقاقهم اياها لاجل ماترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لالذاته فانه لايكافئ النعم السابقة فضلا عن ان يقتضى ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده تعالى ولاعلى الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم لئن أشركت ليحبطن عملك وأشباه ذلك ولعله سبحانه وتعالى لم يقيده ههنا استغناء بما (تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت أشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود واللام فى الانهار للجنس كما فى قولك لفلان بستان فيه الماء الجارى أو للعهد والمعهود هى الانهار المذكورة فى قوله تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل

فاعله المثوبة والثناء اذا لم يعقبه بما يفسده كان شرط حفظها من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر ونقل العلامة التفتازانى عن الامام الرازى أن القول بالاحباط باطل لان من أتى بالايمان والعمل الصالح استحق الثواب الدائم فاذا كفر بعده استحق العقاب الدائم ولم يجز وجودهما جميعا ولا اندفاع أحدهما بالآخر اذ ليس زوال الباقى بطريان الطارئ أولى من اندفاع الطارئ لقيام الباقى والمخلص ان لا يجب عقلا ثواب المطيع وعقاب العاصى ثم قال وأجيب بما قاله بمنع عدم الاولوية بان الطارئ اذا وجد امتنع عدمه مع الوجود ضرورة امتناع الوجود والعدم ووجوده يستلزم عدم الباقى أعنى العدم بعد الوجود وهو ليس بمجرد فانه منقوض بانتفاء الشئ بطريان الضد كالحركة بالسكون والبياض بالسواد وأيضا الاحباط مما نطق به الكتاب والسنة فكيف يكون باطلا أقول غرض الامام أن ابطال حكم أحدهما بالآخر ليس أولى من العكس لان ابطال نفس أحدهما بذات الآخر ليس أولى من عكسه فكلامه أن للايمان حكما هو استحقاق النعيم الدائم وللكفر بعده حكم هو استحقاق العقاب الدائم وليس ابطال الاستحقاق الاول بالاستحقاق الثانى أولى من العكس وكلام المجيب يدل على ان وجود الكفر نفسه مستلزم لعدم الايمان فى حال الكفر وليس هذا مما ينازع فيه الامام اذ هو بديهى فلا يتوجه ما قاله المجيب أولا وثانيا نعم يرد انه اذا بطل الاصل بطل الحكم الذى ترتب عليه وأما بطلان ما قاله ثالثا فلان مراد الامام أن القول بالاحباط بحسب العقل كما يفهم من كلام الكشاف حيث قال وركز فى العقول الخ باطل وهو لا ينافى الاحباط بحكم الشرع والحاصل أن مراد الامام ان المحبط للعمل السابق ليس عملا آخر لما ذكر بل المحبط هو الله تعالى (قوله واللام فى الانهار للجنس الخ) قال فى الكشاف وأما تعريف الانهار فان يراد الجنس أو يراد أنهارها فعوض التعريف باللام عن التعريف بالاضافة أو يشار

باللام الى الانهار المذكورة فى قوله تعالى أنهار من ماء غير آسن الآية وقال العلامة التفتازانى ليس المراد من المعنى الثانى ان اللام عوض عن المضاف اليه بل المراد ان التعريف اللامى قائم مقام التعريف الاضافى أقول الظاهر ان الاحتمال الثانى يؤل اليه الاول اذ المراد بالجنس الذى هو الاحتمال الاول ليس الجنس من حيث هو بل فى ضمن بعض الافراد فتأمل حتى يظهر لك الفرق (قوله والمراد ماؤها على الاضمار أو المجاز أو الجارى أنفسها الخ) أما الاول فان يقدر لفظ الماء وأما الثانى بان يستعمل لفظ النهر فى الماء بطريق الارسال والعلامة ظاهرة وأما الثالث فبان يكون لفظ الانهار على حقيقته من غير تقدير واسناد الجرى اليه مجازا عقلى والى هذا أشار بقوله أو الجارى أنفسها (قوله أو خبر مبتدأ محذوف) وتقديره هم أو هى كلما رزقوا فان قلت الخبر يجب أن يكون محمولا على المبتدأ وههنا ليس كذلك قلت لا يلزم أن يكون الخبر محمولا على المبتدأ بل قد لا يصح الحمل نحو من أبوك والاولى أن يقال ان الخبر يجب أن يكون محمولا تحقيقا أو تأويلا والخبر اذا كان جملة فالخبر فى الحقيقة هو الامر المأخوذ ففى قولك زيد قام أبوه هو القائم الاب نقله الشريف العلامة عن بعض شراح التسهيل ويمكن التأويل ههنا بأن يقال تأويله هم قائلون هذا الذى رزقنا من قبل فى كل حين رزقوا شيأ (قوله كلما نصب على الظرف) يجب عليه أن يبين ان العامل فى كلما أى شئ فنقول قال النحاة العامل فى كلما وحيثما ما هو فى محل الجزاء فيكون العامل فيه ههنا قالوا ومما يناسب ايراده فى هذا المقام أن يبين العامل فى كلمات الشرط التى فيها معنى الظرفية فانها قريبة المعنى من كلما نقول قال الرضى العامل فى متى وكل ظرف فيه معنى الشرط الشرط على ما قاله الاكثرون ولا يجوز أن يكون جزاءه على ما قال بعضهم كما لا يجوز فى غير الظروف أقول فيه نظر لان متى ونحو أمثاله متعلقة بحسب المعنى بالجزاء لان قولك متى جئتنى أكرمتك معناه أكرمتك فى كل زمان جئتنى كما قال صاحب (١٢٠) المفتاح ان الشرط قيد للجزاء مثل قولك اذا طلعت الشمس آتيك معناه آتيك وقت طلوع الشمس ويمكن أن يقال كان متى ظرف للاكرام فهو ظرف المجىء أيضا فيكون العامل الشرط قال الرضى وانما اختير هذا لان الشرط أقرب فهو بالعمل أولى ولو كان العامل الابعد لكان الاختيار شغل الاقرب بضمير المفعول عند البصريين فيقال متى جئتنى فيه أكرمتك فان قيل يجب بيان الفرق بين كلما وكلمات الشرط فى الحكم بأن العامل فى كلما ما وقع موقع الجزاء والعامل فى كلمات الشرط هو الشرط قلنا قد فرق الرضى بينهما بأن كلما مضاف الى الجملة التى تليه والمضاف اليه لا يعمل فى المضاف بخلاف كلمات الشرط بقى ههنا كلام فتأمل (قوله ورزقا مفعول به) لان المشار اليه ههنا الذى المذكور فى الآية ينبغى أن يكون المرزوق لا الرزق الذى هو المعنى المصدرى (قوله ورزقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من الثمرة) فان قيل اذا كان المرزوق الخاص مبتدأ من جنس الثمرة كيف يقولون هذا الذى رزقنا من قبل اذ يلزم من هذا أن لا يكون المرزوق المذكور مبتدأ بل معادا اذ المعاد هو الذى تكرر وجوده قلنا كل شئ حادث سواء كان مبتدأ أو معادا له باعتبار كل وجود وحدوث ابتداء ففى ابتداء الرزق ابتداء حصوله أو ابتداء أخذه ثم ان كان المراد من هذا الذى رزقنا هذا مثل الذى رزقنا فى الجنة أو كان المراد بلفظ من قبل الوارد فى الآية ما كان فى الدنيا كان اندفاع السؤال ظاهرا قال العلامة التفتازانى فاذا كان من للابتداء كان من ثمرة ظرفا لغوا أقول لك أن تقول من ثمرة فى الحقيقة متعلقا بالابتداء المقدر ههنا فلا يكون لغوا بل يكون مستقرا فان قيل الظرف المستقر ما يكون متعلقا بالفعل العام قلنا قد سبق من كلام العلامة ان متعلق الظرف المستقر قد يكون فعلا خاصا نظرا الى القرينة والجواب أن يقال الابتداء جزء معنى من لانه الابتداء الخاص فيكون متعلقه رزقوا وانما قال رزقوا مرزوقا مبتدأ من الثمرة لتوضيح المعنى لا لانه مقدر وذلك أن تقول فى عبارة المصنف والكشاف تكرار فان من فى قوله مبتدأ من ثمرة ابتدائية فلزم تكرر معنى الابتداء فتأمل (قوله ويحتمل أن يكون بيانا كما فى قولك رأيت مثلك أسدا الخ) قلت فى هذا صاحب الكشاف وهذا مبنى بناء على ان من البيانية راجعة الى ابتداء الغاية كما صرح به العلامة التفتازانى لكن الجمهور على ان من البيانية مقابلة لمن

والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار أو المجاز أو المجارى أنفسها واسناد الجرى اليها مجازا كما فى قوله تعالى وأخرجت الارض أثقالها الآية (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا) صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة كأنه لما قيل ان لهم جنات وقع فى خلد السامع أنها مثل ثمار الدنيا أو أجناس أخر فأزيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال وأصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن فى الحال ويحتمل أن يكون من ثمرة بيانا لما تقدم كما فى قولك رأيت منك أسدا وهذا اشارة الى نوع مارزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار

الابتدائية وعرفوا من البيانية بأن يكون قبل من أو بعدها بمعنى يصلح أن يكون المجرور تفسيرا له و يوقع اسم ذلك المجرور عليه نحو خاتم من حديد أى الخاتم الذى هو الحديد والاولى حذف قوله رأيت منك أسدا حتى يطابق قول الجمهور قال الرضى قولهم لقيت من زيد أسدا من فيه تجريدية وليست للبيان المهم وتقديره لقيت من لقاء زيد أسدا (قوله لتميل النفس اليه أوّل مايرى) يعنى لولم يكن مشابها لثمرات الدنيا لماعلم انه شئ لذيذ فلم يمل اليه أول ما رآه بل بعد تحقيق أمره (قوله ظن أنه لايكون الا كذلك) فلم يظهر مزية ثمر الجنة على ثمر الدنيا مع كونهما من جنس واحد (قوله والاول أظهر لمحافظته على عموم كلما) ههنا وجه غير ماذكر للمحافظة على عموم كلما وهو انهم فى أول مرة قالوا هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا و بعد ذلك يحتمل أن يقولوا ذلك وأن يقولوا رزقنا من قبل فى الجنة ففى كل مرة يقولون القول المذكور مع جواز اختلاف المراد من لفظ من قبل فيكون عموم كلما محفوظا وهذا الوجه أولى مما ذكره اذ الدليل على تخصيص الذى رزقنا من قبل بما فى الدنيا ولا على (١٢١) تخصيصه بما فى الآخرة (قوله استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من اتفاوت العظيم فى اللذة والتشابه البليغ فى الصورة) جعل التشابه البليغ داعيا الى ماذكر ظاهرا وأما التفاوت العظيم فيكون مما له دخل فى الداعى المذكور ولايخلو عن خفاء وتوضيحه أن يقال انهم يقولون ذلك على سبيل التعجب بسبب الاشتراك البليغ فى الصورة والاختلاف العظيم فى اللذة (قوله والضمير على الاول راجع الى مارزقوا فى الدارين فانه مدلول عليه بقوله عزمن قائل هذا الذى رزقنا من قبل ونظيره قوله عزوجل ان يكن غنيا أوفقيرا فالله أولى بهما أى بجنسى الغنى والفقير وعلى الثانى الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل فى الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس فى الجنة من أطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل فى الصورة التى هى مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف فى اطلاق التشابه هذا وان للآية الكريمة محملا آخر وهو ان مستلذات أهل الجنة فى مقابلة مارزقوا فى الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة فى اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذى رزقنا أنه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما فى الشرف والمزية وعلوالطبقة فيكون هذا فى الوعد نظير قوله

جار هذا الماء لاينقطع فانك لاتعنى به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذى رزقنا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك أبو يوسف أبو حنيفة (من قبل) أى من قبل هذا فى الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه أول مايرى فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره و يتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لوكان جنسا لم يعهد ظن أنه لايكون أو فى الجنة لان طعامها متشابه فى الصورة كما حكى ابن كثير عن الحسن رضى الله عنهما ان أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فالاون واحد والطعم مختلف أو كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال والذى نفس محمد بيده ان الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى بواصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها فلعلهم اذا رأوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول أظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعى لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم فى اللذة والتشابه البليغ فى الصورة (وأتوا به متشابها) اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى مارزقوا فى الدارين فانه مدلول عليه بقوله عزمن قائل هذا الذى رزقنا من قبل ونظيره قوله عزوجل ان يكن غنيا أوفقيرا فالله أولى بهما أى بجنسى الغنى والفقير وعلى الثانى الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل فى الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس فى الجنة من أطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل فى الصورة التى هى مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف فى اطلاق التشابه هذا وان للآية الكريمة محملا آخر وهو ان مستلذات أهل الجنة فى مقابلة مارزقوا فى الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة فى اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذى رزقنا أنه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما فى الشرف والمزية وعلوالطبقة فيكون هذا فى الوعد نظير قوله

الضمير يدل على وحدته والدفع بان افراد الضمير نظرا الى الوحدة الجنسية وهو كونه مرزوقا أو ثمرا وجعل متشابها حالا نظرا الى التعدد النوعى كما ان يكن فى الآية مفرد الضمير نظرا الى الوحدة الجنسية وهو المشهود عليه وأولى بهما مثنى الضمير نظرا الى تعدد الصفتين و وجه الدلالة التى ذكرها المصنف ان هذا اشارة الى مارزقوا فى الجنة والذى رزقنا من قبل اشارة الى مارزقوا فى الدنيا فى مجموع هذا الذى رزقنا من قبل اشارة الى مارزقوا فى الدارين وأما اذا كان المراد بلفظ من قبل وهذا فى الجنة وهو الوجه الثانى فليس فيه اشارة الى مارزقوا فى الدنيا ولا يخفى انه على الوجه الاول يمكن أن يكون الضمير راجعا الى الرزق أيضا (قوله التشابه بينهما حاصل فى الهيئة الخ) هذا لايناسب كلام ابن عباس كما لايخفى الا أن يتكلف وفى قوله التى هى مناط الاسم اشارة الى توجيه كلامه (قوله وعن تشابههما تماثلهما فى الشرف والرتبة) فيه نظر لانا لانسلم ان مستلذات أهل الجنة مماثلة للاعمال فى الشرف الا أن يقال المراد من التماثل فى الشرف اشتراكهما فى مطلق الشرف أوكماله

(قوله للاشعار بأن مطهراطهرهن) وليس هو الا الله فيكون فيه مبالغة لان فى نسبة الفعل الى الفاعل الكامل المستقل اشعارا بكون فعله تاما كاملا (قوله وسمى باسمائها على سبيل الاستعارة الخ) لابد لاختلاف حقائق مطعومات الدنيا والآخرة من بيان فان قيل التفاوت العظيم بينهما يدل على اختلاف الحقائق قلنا هذا لابدل على ماذكر لانه قد يختلف آثار حقيقة واحدة بسبب تفاوت انحاء الوجود وغيرها من الامور اللاحقة ولا حاجة فى تحميل المقصود الى اختلاف الحقائق اذ يجوز أن يكون افراد حقيقة واحدة بتفاوت الصفات والآثار كتفاوت افراد الانسان فيكون حقيقة مطعوم واحد فى النشأة الاخروية يفيد أشياء لم تفده تلك الحقيقة فى النشأة الدنيوية ولا يلزم أن يكون فائدة المطعوم كسر ألم الجوع بل مجرد اللذة من غير أذية الجوع والعطش وقد يقال التفاوت العظيم فى آثار شيئين يدل ظنا على اختلافهما فى الحقائق والظن يكفى فى مثل هذا المقام وكذا قال بعضهم ان افراد الانسان ليست حقيقة واحدة بل لكل حقيقة أخرى (قوله كان التقييد بالتأبيد لغوا) فيه نظر اذ يجوز أن يكون تأكيد الدفع توهم التجوز (قوله بخلاف مالو وضع للاعم منه) أى للمكث الطويل فاستعمل فيه أى فى الابد بذلك الاعتبار أى بسبب وضعه للاعم وقوله كاطلاق الجسم على الانسان لايخفى أن استعمال اللفظ فى معنى أن يطلق ويراد به ذلك المعنى ولاخفاء فى انه اذا أطلق اللفظ الموضوع للاعم وأريد به الاخص كان مستعملا فى غير ماوضع له فيكون مجازا وقوله كاطلاق الجسم على الانسان ان أريد استعمال لفظ الجسم فى معنى الانسان فلا يخفى انه مجاز وان أريد جعل الجسم على الانسان كما فى قولنا الانسان جسم فالجسم فى هذه العبارة حقيقة لانه غير مستعمل فى الانسان بل باق على معناه الاصلى فلا يكون مما نحن فيه وهو استعمال لفظ الاعم فى معنى الاخص (قوله لما يشهد له من الآيات والسنن) أما الآيات فكقوله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وأما السنن فكما ورد فى صحيح مسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينادى منادان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا (قوله قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل أجزاءها مثلا متقاومة فى الكيفية متساوية فى القوة لا يقوى شئ منها على حالة الآخر الخ) هذا يدل على ان فساد الابدان فى الدنيا بواسطة تغلبة بعض العناصر على بعض بواسطة قوته وغلبة كيفيته واحالته بسببها الآخر وهذا من خلط الفلسفة بطريق أهل السنة والاولى الاقتصار على قوله ان الله تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة لان الله تعالى قادر على حفظ البدن وان كان بعض العناصر أقوى من البعض اذ ليس لغير الله تعالى تأثير فى شئ

ذوقوا ما كنتم تعملون فى الوعيد (وهم فيها أزواج مطهرة) مما يستقذر من النساء ويذم من أحوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل فى الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال

واذا العذارى بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور فملت

فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة أبلغ من طاهرة ومطهرة للاشعار بان مطهر اطهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو فى الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة لمطعوم هو التغذى ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهى مستغنى عنها فى الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر أحوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية فى بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولانشاركها فى تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع مايلزمها وتفيد عين فائدتها (وهم فيها خالدون) دائمون والخلد والخلود فى الاصل الثبات المديد دام أم لم يدم ولذلك قيل للاثافى والاحجار خوالد وللجزء الذى يبقى من الانسان على حاله مادام حيا خالد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد فى قوله تعالى خالدين فيها أبدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشترا كا أو مجازا والاصل نفيهما بخلاف مالو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به ههنا الدوام عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من أجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها فى الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل أجزاءها مثلا متقاومة فى الكيفية متساوية فى القوة لا يقوى شئ منها على حالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض

على طريقة أهل السنة بل الكل من الله تعالى لا دخل لشئ غيره (قوله مقصورا على المطاعم والمساكن والمناكح) فيه ان الملابس من أعظم اللذات الحسية فلا يكون العظم مقصورا عليها والجواب انه لا يضر بقصر المعظم فيما ذكر لان المراد بالمعظم أكثر الاجزاء وعلى عدم اعتباره لعدم كونه فى مرتبة الامور المذكورة (قوله بشر المؤمنين بها الخ) حاصل الكلام انه تعالى بشر المؤمنين باللذات الحسية بذكر أفراد اللذات الحسية التى هى أحسن وهى الثلاثة المذكورة (قوله ومثل ما أعدهم فى الآخرة بإبهى ما يستلذ به منها) أى من اللذات الحسية ولك أن تقول اللذات العقلية والمعارف الحاصلة أبهى وأحسن مما ذكر فلم لا تعتبر والذى يخطر ببالى أن ذكر الامور الثلاثة لان عموم الناس فى جميع الاوقات يستلذون بها وأما العارفون الواصلون فقليلون فى جميع الازمنة مع انه يمكن أن تؤول الثمرة بما يشمل اللذات العقلية والمعارف الالهية (قوله ليساعد فيه الوهم العقل) عدم مساعدة العقل فى بعض الاحكام العقلية مثل ان بعض الموجودات غير متحيز اذا الوهم لانفه بالمحسوسات حكم حكما تخيليا بان كل موجود متحيز وأما فى المعارف الممثل لها فى القرآن مثل وهن اتخاذ أولياء من دون الله فليس بظاهر انه مما ينازع فيه الوهم العقل وان سلم التنازع فالتمثيل باتخاذ العنكبوت بيته لا نسلم انه يفى التنازع والاولى الاقتصار على ان المعنى الصرف له خفاء فاذا مثل بالمحسوس صار ظاهرا ترتفع عنه الشبهة (قوله وجب الحاكاة) أى يجب حكاية

كما يشاهد فى بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم وأحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم أنه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء كان ملاك ذلك كله الدوام والثبات فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما أعد لهم فى الآخرة بإبهى ما يستلذ به منها وأزال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم فى التنعم والسرور (ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة) لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التى تعلق بها التمثيل فى العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه فى صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وجب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال فى الكتب الالهية وفشت فى عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل أعظم من كل عظيم كما مثل فى الانجيل غل الصدور بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء بالثاثر الزابير وجاء فى كلام العرب أسمع من قراد وأطيش من فراشة وأعز من بخ البعوض لما ماقالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين وأصحاب الصيب وعبادة الاصنام فى الوهن والضعف ببيت العنكبوت رجعا لها أقل من الذباب وأخس قدرا منه الله سبحانه وتعالى أعلى وأجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وأيضا لما أرشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحى منزل ورتب عليه وعيد من كفر به وعد من آمن به بعد ظهور أمره شرع فى جواب ما طعنوا به فيه فقال تعالى ان الله لا يستحيى أى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيى ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التى هى الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فانه انكسار يعترى القوة الحيوانية فيردها عن أفعالها فقيل حيى الرجل كما يقال نسى وحشى اذا اعتلت نساه وحشاه

المعقول بالمحسوس (قوله لما ماقالت الجهلة من الكفرة الخ) ليس فى الظاهر شئ يعطف عليه هذا الكلام والاولى أن يقال تقدير الكلام فالصحيح القول بان ضرب المثل جائز على الله تعالى لما ماقالت الجهلة من الكفرة ان الله تعالى أعلى من ان يضرب المثل بما ذكر (قوله والحياء انقباض النفس عن القبيح) المراد به انه ملكة نفسانية توجب انقباض النفس عن القبيح وكذا قوله وهو الوسط بين الوقاحة التى هى الجراءة على القبائح والخجل الذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا فان المراد بهما أى الجراءة والخجل الخلقان اللذان يوجبان الامرين المذكورين واستعمال الالفاظ الثلاثة فى الآثار المذكورة تجوز (قوله اذا اعتلت نساه) بفتح النون والقصر العرق الذى يخرج من الورك يستبطن الفخذ والمراد ان حيى اشتق من الحياء كما ان نسى مشتق من النساء ومعناه راجع الى اعتلال الحياة بسبب الانكسار المذكور كما ان معنى نسى راجع الى اعتلال النسا

(قوله فالمراد به الترك اللازم للانقباض) يعنى أن الاستحياء مستعمل فى لازمه الذى هو الترك فيكون المجاز المرسل فى بسطهى تبعيا وواقعا فى موقعه مفرد وقال صاحب الكشاف فان قلت كيف جاز وصف القديم بالحياء ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك فى حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حى كريم يستحيى اذا رفع العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل ترك تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج حياء منه أقول ليس معنى الحياء حقيقة هو الترك حتى يشبه تركه تعالى تخييب العبد ترك رد المحتاج فيستعمل فيه الاستحياء ويكون استعارة بل المعنى الحقيقى للحياء هو التغير والانكسار الذى يستلزم الترك كما قاله أولا وغاية توجيه كلامه أن يستعمل أولا الحياء فى الترك استحياء أى خوفا من الذم بطريق المجاز المرسل ثم شبه الترك أى ترك الشئ من غير استحياء بالترك الذى هو المجاز المرسل استحياء فيستعمل الاستحياء بالمجاز فيه وفائدة هذا التكلف زيادة المناسبة للمعنى المجازى مع المعنى المنقول عنه ولو استعمل أولا الاستحياء بمعنى الترك المطلق فات ذلك المقصود فتأمل وقال العلامة التفتازانى ان معنى قوله هو جار على سبيل التمثيل أى الاستعارة وهى التشبيه فى المصدر تنبيها على انها استعارة تبعية وبه ظهر أن المستعار فى الاستعارة التمثيلية قد يكون لفظا مفردا دالا على معنى مركب انتهى أقول قدم فى كلام الشريف العلامة أن الاستعارة التمثيلية لا تجامع التبعية فالتمثيل الذى وقع فى عبارة الكشاف بمعنى التشبيه (قوله كرعن الخ) الكرع الشرب والسبت الجلد المدبوغ والمراد منه مشافر الابل والمراد من اناء الورد المنهل الذى على حافاته الورد يصف الابل وكثرة الماء عندها وانها لا تشرب عطاشا لكن حياء من (١٢٤) الماء حيث يعرض نفسه عليها (قوله لما فيه من التمثيل أو المبالغة) فان ماذكر

دال على ان الاستعارة وقعت فى الاستحياء وعلى هذا كان مفيدا للتشبيه والمبالغة كما هو شأن الاستعارة فان قلت من أين يعلم التمثيل قلت من قوله لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحى لان معناه لا يترك ضرب المثل بها تركا شبيها بترك من يستحى فيعلم منه انه شبه تركه تعالى بترك المستحى

واذا وصف به البارى تعالى كما جاء فى الحديث ان الله يستحيى من ذى الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حى كريم يستحيى اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا

اذا ما استحين الماء يعرض نفسه * كرعن بسبت فى اناء من الورد

وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع فى كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم وأصله وقع شئ على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطنى كتابا ما أى أى كتاب كان أو مزيدة للتأكيد كما فى قوله تعالى فبما رحمة من الله ولا تعنى بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن كله

(قوله وتحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة) أى المشاكلة لما وقع فى كلام الكفرة ان الله يستحيى ان يضرب المثل بالأمور الحقيرة قال العلامة التفتازانى هب ان اثبات الاستحياء لله تعالى كما فى الحديث يحتاج الى التأويل واما نفيه كما فى الآية فلا يحتاج الى ذلك قلنا اذا نفيت أمثال ذلك على الاطلاق بمعنى انها ليست من شأنه وانه لا يتصف بها لم يحتج الى تأويل واما اذا نفيت على التقييد فقد رجع النفى الى القيد وأفاد ثبوت أصل الفعل وامكانه لا أقل فاحتاج الى التأويل انتهى أقول قد يفيد النفى نفى أصل الفعل أيضا فقد تعلق هذا فيما اذا أورد النفى على الفعل ثم بعد اراده أورد القيد حتى يصير القيد قيدا للنفى كما قال ابن الحاجب ان ماضربته تأديبا يحتمل وجهين أحدهما ان يكون التأديب قيدا للضرب ثم ورد النفى عليه فيفيد نفى الضرب المخصوص وهو الضرب للتأديب فيفيد وجود أصل الضرب ويحتمل ان يكون قيد النفى الضرب فصار معناه ان نفى الضرب للتأديب فانه قد يؤدب الشخص بعدم الضرب وعدم الالتفات اليه نظير ذلك ما قاله صاحب الكشاف فى قوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون ان قوله بنعمة ربك متعلق بنفى الجنون والتقدير ما أنت بمجنون بسبب نعمة الرب أى انتفى عنك الجنون بسببها وحينئذ نقول لا يخفى ان هذا الاحتمال لا يتمكن اجراؤه فى الآية التى نحن فى تفسيرها (قوله وضرب المثل اعتماله) والمراد ذكره (قوله وان بصلتها مخفوض المحل) لا يخفى انه اذا كان يستحيى بمعنى يترك كان مستغنيا عن حرف الجر لان ترك متعد بنفسه كما علم من اللغة نعم لو كان يستحيى بمعناه الحقيقى لوجب تقدير الحرف ولم يوجد فى الكشاف هذا الكلام

(قوله بل مالم يوضع لمعنى يراد منه) هذه العبارة قاصرة فان مالم يوضع لمعنى يراد منه مهمل لا يقع فى كلام من يعتد به ومراده انه لم يوضع لمعنى مخصوص لا يكون تأكيدا لشئ والاولى الاقتصار على قوله وضعت لان يذكر مع غيرها الخ قال العلامة التفتازانى ويشكل ببعض الحروف المفيدة للتأكيد مثل ان واللام حيث لا يعد صلة وان اشترط عدم العمل انتقض باللام حيث لم يعمل وزيادة بعض الحروف الجارة حيث عممت أقول عدم عدهما صلة لا يستلزم عدم كونهما صلة بل نقول الماعرفوا حروف الصلة بما يفيد تأكيد الكلام فكأنهم حكموا بان ان واللام من حروف الصلة والتصريح به غير لازم والجواب انهم لما عدوا حروف الزيادة فى بابها ولم يعدوا ما ذكر يتبادر منه ان ما ذكر وهو ان واللام ليستا منها (قوله و بعوضة عطف بيان لمثلا) انما لم يقل بدلا عنه لان المقصود بالذات ضرب المثل و بعوضة ذكر لرفع ايهامه ردا للمشركين قالوا ان الله تعالى أعلى من أن يذكر الامثال (قوله أو مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه الخ) قال العلامة التفتازانى لا خفاء فى أنه لا معنى لقولنا يضرب بعوضة الا بضم مثل اليه فتسمية مثل هذا مفعولا ومثلا (١٢٥) حالا بعيد جدا أقول وجه بعده ان الحال

كله هدى وبيان بل مالم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيرها فتفيده ثقاة وقوة وهو زيادة فى الهدى غير قادح فيه و بعوضة عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة أو هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وعلى هذا يحتمل ما وجوها أحدها أن تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف فى قوله تماما على الذى أحسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هى المبتدأ كأنه لما راد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو أحقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالى بما يهب مادينار ودينارا ن والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخوض (فما فوقها) عطف على بعوضة أو ما ان جعل اسما ومعناه مازاد عليها فى الجثة كالذباب والعنكبوت كأنه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو أكبر منه أو فى المعنى الذى جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه الصلاة والسلام ضرب به مثلا للدنيا ونظيره فى الاحتمالين ما روى ان رجلا بنى خوخة على طنب فسطاط فقالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة فى الالم كالخرور ومازاد عليها فى القلة كنخبة النملة لقوله عليه الصلاة والسلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة (فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم) اما حرف تفصيل يفصل ما أجمل ويؤكد ما به صدر و يتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شئ فزيد بذاهب أى هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها على الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا

شأنه ان يمكن تركه فى الكلام بحيث يكون الكلام بدونه مفيدا ومثلا فى الآية المذكورة ليس كذلك (قوله لتضمنه معنى الجعل) فللمعنى ان يضرب مثلا جاعلا اياه بعوضة هذا ما يقتضيه ظاهر لفظ التضمن والاولى ان يقال ان ضرب بمعنى جعل كما قاله صاحب الكشاف (قوله ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين) هذا على الوجه الاول متعين لان المعرفة لا تقع صفة للنكرة واما على الوجه الثانى فلا تتعين البدلية بل يجوز ان يكون وصفا (قوله فضلا) مفعول مطلق لفعل محذوف قيل فضلا بمعنى البقاء ففى قولنا فلان لا يعطى درهما فضلا عن الدينار أى بقى عدم اعطاء الدرهم بقاء عن اعطاء الدينار أى ذهب اعطاء الدينار مطلقا بقى عدم اعطاء الدرهم (قوله يشاك شوكة) قال العلامة التفتازانى الشوكة المرة من المصدر لا واحد الشوك قال الكسائى شكت الرجل أشوكه اذا أدخلت شوكة فى جسده وشيك هو على ما لم يسم فاعله يشاك شوكا أقول انما خص الشوكة بالمصدر اذ لا يصح ان يجعل واحد الشوك الذى هو العين والازم التكرار اذ لفظ يشاك معناه يدخل الشوك فى جسده والأولى ان يقال لو لم يجعل مصدر الزم ان تكون الشوكة مفعولا ليشاك فيكون له مفعولان أحدهما الضمير الراجع الى المسلم والآخر الشوكة لكن هذا الفعل لا يتكون له الا مفعول واحد (قوله معناه مهما يكن من شئ الخ) يمكن ان يقال تقديره مهما يكن زيد على حال ما فهو ذاهب فيفيد العموم والتأكيد (قوله وكان الاصل دخول الفاء على الجملة الخ) ليس هذا فى عبارة الكشاف وهو يدل على ان ما بعد اما جزاء والشرط هو يكن من شئ وذكر بعضهم ان غرض سيبويه من التفسير المذكور دلالتها على التأكيد وليس الغرض ان ههنا شرطا محذوفا ولكن قال النحاة ان زيدا فى قولنا اما زيد فمنطلق مبتدأ

(قوله وفى تصدير الجلتين به احاد لأمر المؤمنين الخ) لانه وضع لتأكيد ماصدر به فيفيد تأكيد علم المؤمنين بحقيته وهذا احاد وبفيد تاكيد جهل الكفرة وهو المبالغة فى ذمهم (قوله على سبيل الكناية) أى يكون فيه رمز واشارة الى الجهل فان هذا القول دليل غاية الجهل ويحتمل ان يكون المراد من القول المذكور أن المرادية قولون هو الجهل بالمثل كما يمكن بعرض القفا عن الابله فان قلت لم لم يذكر فاما الذين آمنوا فيقولون انه الحق من ربهم حتى يكون برهانا على العلم ومطابقا لقرينه وقسيمه قلت اهل المؤمنين اكتفوا بالعلم والخضوع والطاعة ولا حاجة لهم الى التكلم بذلك فلم يحك ذلك القول عنهم لاشعار بان غرضهم الكلى ليس ذلك وأما الكافرون فلفرط خبثهم وعنادهم لا يطيقون الاسرار فيظهرون مافى بطونهم بالتكلم به والاولى ان يقال يقولون لا يدل صريحا على العلم لكنه المقصود دون القول (قوله اسما واحدا) الظاهر جعله اسما واحدا كما الاستفهامية التى هى اسم واحد حقيقة وتوجيهه أن يكون المراد جعله ما مركبة مع ذا بمعنى ما الاستفهامية حتى يكون معنى ماذا ومعنى ما وحدها واحدا (قوله والحق أنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه أو معنى يوجب هذا الترجيح) ظاهر الكلام أن ارادة البارى تعالى دون العبد هو أحد هذين الامرين (١٢٦) لان مؤول الكلام اختلف فى معنى ارادته فقيل ارادته وفيه نظر من وجهين

وفى تصدير الجلتين به احاد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم لبيغ للكافرين على قولهم والضمير فى أنه للمثل أو لان يضرب والحق الثابت الذى لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق اذا ثبت ومنه ثوب محقق أى محكم النسج (وأما الذين كفروا فيقولون) كان من حقه وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه (ماذا أراد الله بهذا مثلا) يحتمل وجهين ان تكون ما استفهامية وذا بمعنى الذى ومابعده صلته والمجموع خبر ما وان تكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى أى شئ منصوب المحل على المفعولية مثل ماأراد الله والاحسن فى جوابه الرفع على الاول والنصب على الثانى ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها على ما عليه وتقال للقوة التى هى مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثانى قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف البارى تعالى به ولذلك اختلف فى معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره أمره بها فعلى هذا لم تكن المعاصى بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق أنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه أو معنى يوجب هذا الترجيح وهى أعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفى هذا استحقار واستذلال ومثلا نصب على التمييز أو الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) جواب ماذا

أحدهما تجويز الاحتمالين المذكورين لان الارادة مطلقا عند الاشاعرة هى الصفة المخصصة لاحد طرفى المقدور بالوقوع وأما كونها نفس الترجيح فهو ليس بمذهب لنا فاقل صاحب المواقف الارادة عند الاشاعرة صفة مخصصة لاحد طرفى المقدور بالوقوع والميل الذى يقولونه نحن لا نتكره لكن ليس ارادة فان الارادة بالاتفاق صفة مخصصة لاحد المقدورين بالوقوع والثانى أن يقال ارادة العبد أيضا

هى الصفة المخصصة ويمكن أن يقال معنى قوله الحق انه الحق ان الارادة مطلقا سواء كان ارادة البارى أو العبد لكن بقى النظر الاول والجواب عنه بأن وقوع الارادة بمعنى الصفة المخصصة لا يستلزم عدم وقوعه بمعنى نفس التخصيص فيه نظر (قوله فانه ميل مع تفضيل فيه) ان المفهوم من كلامهم ان الاختيار ترجيح أحد المقدورين وان كان مع غير تفضيل بأن يكون الطرفان متساويين عنده فانهم ذهبوا الى أن الجائع اذا كان عنده رغيفان متساويان من جميع الجهات فانه يختار أحدهما من غير داع يدعوه اليه بخصوصه ولو قيل المراد بالتفضيل الترجيح لكان نفس الارادة ويمكن أن يقال ان الاختيار فى أصل الوضع لما ذكر وان استعمل فى غيره نجوزا ثم ان الارادة على ما حققه ليست نفس الميل ولا مستلزمة له فكيف تكون أعم مطلقا كما هو ظاهر عبارته والجواب ان المراد من الترجيح ان كان هو الميل فالامر ظاهر وان كان شيأ آخر فهو مستلزم للميل وحينئذ نقول ان المراد من العموم العموم بحسب التحقق (قوله وفى هذا استحقار واستذلال) أى فى لفظة هذا أو فى كلام الكفرة استحقار واستذلال لما مثل فى القرآن المجيد من التمثيل بالعنكبوت وغيره فيكون الاستفهام للاستحقار (قوله جواب ماذا) يرد عليه انه اذا كان الاستفهام غير باق على حقيقته بل للاستحقار لا يحتاج الى جواب ولم لم يتعرض له صاحب الكشاف ويمكن أن يقال انه لا يفهم من كلامه أن الاستفهام غير باق على حقيقته وانه للاستحقار بل المفهوم أنه يفهم من العبارة المذكورة لاستحقار وهذا لا ينافى أن يكون الاستفهام باقيا على حقيقته وعلى تقدير أن يكون

للاستحقار يقال الجواب لدفع الاستحقار (قوله للاشعار بالحدوث والتجدد) اما الاول فلان وضع الفعل على الحدوث واما التجدد فان أريد به الحدوث فلا فائدة فى ذكره وان أريد به الحصول شيأ فشيأ فليس بلازم للفعل قال الشريف العلامة فى حاشية المطول ان أريد بالتجدد التدريج والتقضى شيأ فشيأ فالصحيح انه ليس داخلا فى مفهوم الفعل وضعا بل يفهم من خصوصية الحدث واقتضاء المقام والجواب ان المراد بالتجدد هو ان تحدث هداية بعد هداية لاحصول الهداية بالتدريج بأن يحصل جزء من الهداية بعد انقضاء جزء آخر فتأمل (قوله كما قال تعالى وقليل من عبادى الشكور) هذا لايدل على ماقصده فان الشكور والمبالغ فى الشكر (قوله وكثرة المهتدين باعتبار الفضل والشرف) كما قال الشاعر ولم أر أمثال الرجال تفاوتت * الى المجد حتى عد ألف بواحد (قوله والثالثة الجحود وهو ان تركبها مستصوبا اياها) الى قوله خلع ربقة (١٢٧) الايمان فيه بحث فان من الكبيرة مايثبت بالحديث الذى لم يبلغ حد التواتر لان الكبيرة ما ورد فى القرآن أو الحديث وعيد شديد لفاعله ومايثبت كونه كبيرة بحديث لم يبلغ حد التواتر لم يكن فاعلها المستصوب لها كافرا الا أن يراد بالكبيرة كبيرة ثبتت بنص متواتر أو يكون مجمعا عليها أو لم من دين الاسلام ضرورة بحيث يعرفها الخواص والعوام (قوله واستعماله فى ابطال العهد) فيه نظر اذ لو كان النقض ابطال العهد لزم أن يكون ذكر العهد مستدركا والوجه أن يقال انه بمعنى الابطال من غير اعتبار الاضافة فيه ويمكن أن يكون المراد استعمال النقض فى الابطال المتعلق بالعهد هنا وان لم تعتبر

أى اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد أو بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلتين بالنظر الى أنفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى أهل الضلال كما قال تعالى وقليل ماهم وقليل من عبادى الشكور ويحتمل أن يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال * قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا * وقال

ان الكرام كثير فى البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

(ومايضل به الا الفاسقين) أى الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة

* فواسقا عن قصدها جوائرا * والفاسق فى الشرع الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الاولى التغابى وهو أن يرتكبها أحيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو أن يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خطوطه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر ومادام هو فى درجة التغابى أو الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذى هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وبجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتى المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما فى بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على أنه الذى أعدهم للاضلال وأدى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه أفكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل بالبناء للمفعول والفاسقون بالرفع (الذين ينقضون عهد الله) صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب وأصله فى طاقات الحبل واستعماله فى ابطال العهد من

الاضافة فى معناه قال العلامة التفتازانى اتفقوا على أن فى مثل اظفار المنية ويد الشمال استعارة بالكناية واستعارة تخييلية لكن اضطرب كلامهم فى تحقيق الاستعارتين وفى أن قرينة الاستعارة بالكناية هل يلزم أن تكون تخييلية وان لفظ الاظفار واليد هل هو مستعمل فى معنى مجازى أم لا والاشبه مما أشار اليه المصنف وهو أن الاستعارة بالكناية فى اظفار المنية هو السبع المذكور كناية بذكر شئ من روادفه كالاظفار وهو مسكوت عنه صريحا ليس فى اللفظ أصلا لكن المذكور كناية فى حكم المذكور صريحا وهنا قد سكت عن الحبل المستعار ونبه عليه بذكر النقض حتى كأنه قيل ينقضون حبل الله تعالى أى عهده والنقض استعارة تحقيقية تصريحية حيث شبه ابطال العهد بابطال تأليف الجسم وأطلق اسم المشبه به على المشبه لكنها انما جازت بعد اعتبار تشبيه العهد بالحبل وبهذا ظهر ان الاستعارة بالكناية قد توجد بدون التخييلية وان قرينتها قد تكون تحقيقية وأما فى مثل اظفار المنية ويد الشمال فالمحققون على ان ليس الاظفار واليد مستعملين فى معنى مجازى محقق وهو ظاهر ولا متوهم على مازعم صاحب المفتاح بل هو فى

معناه لكن اثباته للمنية أو الشمال استعارة تخييلية بمعنى جعل شئ ليس له أقول لاوجه لجعل اليد والاظفار مستعملين فى حقيقتهما واثباتهما للمنية والشمال اذ من البين المكشوف انهما يساهما أى للمنية والشمال فكان الاثبات المذكور كذبا بديهى البطلان وتشبيه المنية بالسبع والشمال بالانسان لايصحح اثبات الاظفار واليد الحقيقيتين للمنية والشمال وهذا مما لاينبغى أن ينازع فيه وان ذهب الى خلافه كثيرون ولو ردهذا الاشكال ذهب صاحب المفتاح الى تخييل الاظفار وتوهمها للمنية وارتضاه صاحب الكشاف قال الشريف العلامة بعد ما نقل كلام صاحب الكشاف فقد أشار صاحب الكشف الى أن المخالب والاظفار واليد مجازات لمعان موهومة ولم يقصد بها أنفسها أصلا بل جعلت هى تنبيها فقط على المسكوت عنه وان النقض والافتراس والاعتراف كما نبين مستعارة لمعان محققه هى مقصودة فى الجملة وان لم تكن مقصودة بالذات والحق ان جعلها مستعارات لأمور موهومة تكلف لايخلو عن تعسف انتهى كلامه أقول الظاهر ان يقال ان الاظفار مستعملة فى مقدمات الموت والامور المفضية اليه وكذا المخالب ويد الشمال مجاز عن قوة بها يحرك الاشياء فهذه كلها مجازات حقيقية ولايحتاج الى اثبات شئ يكذبه صريح العقل والحس كما فى يد الشمال على ماذكر والى توهم معان بان تصور (١٢٨) المنية بصورة السبع وتخييل مخالب لها كما ذهب اليه السكاكى وصاحب الكشف وتكون هذه الا مثلة ممائلة للنقض المستعمل فى فسخ العهد فتكون استعارات تحقيقية وهذا وان كان خلاف ما قالوه لكن الحق أحق بان يتبع (قوله وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل الخ) الاظهر ان يقال هو ا رارهم بربوبية البارئ تعالى حين سؤالهم بقوله ألست بربكم فان قيل المشركون يقولون بربوبيته تعالى فلا ينقضون ذلك العهد قلنا المراد من اعترافهم بالربوبية اعترافهم بتوحيده تعالى بالربوبية والالوهية بقرينة قوله تعالى أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل الآية فان قيل لعل ذلك مراد المصنف فان اعترافهم بربوبيته تعالى حين السؤال بواسطة مانصب لهم من دلائل ألوهيته وركز فى عقولهم مايدعوهم الى الاقرار بها قلنا عبارته لاتساعد ذلك ثم انه يأبى ذلك قوله فى تفسير الآية انه نصب لهم دلائل وركز فى عقولهم مايدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى فنزل تمكنهم من العلم بها منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ثم انه يلوح من كلامه ان العقل يستقل بادراك ماذكر من توحيده تعالى ووجوبه وصدق رسوله من غير احتياج له فى ذلك الى ورود الشرع وهو غير مذهب أهل السنة ولذا قالوا من لم يبلغه دعوة نبى أصلا فانه معذور عند الاشاعرة فى الاعمال والايمان أيضا بل هو الاعتزال ولذا قال صاحب الكشاف فان قلت ما المراد بالعهد قلت ما ركز فى عقولهم من الحجة على التوحيد كانه أمر ووصاهم به وهو معنى قوله وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم والجواب ان التكليف بمجرد العقل خلاف مذهب أهل السنة ولايلزم من استقلال العقل بما ذكر تكليفه به وترتب الثواب بفعله والعقاب بتركه بل يجوز ان يكون الثواب والعقاب موقوفين على بعث الرسل فتامل (قوله بحتمل كل قطيعة الخ) يعنى يحتمل ان يكون قطعا خاصا كما قال فى الكشاف معنى قطعهم ما أمر الله به ان يوصل

حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط أحد المتعاهدين بالآخر فان أطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو أن العهد حبل فى نبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على أنه أسد فى شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شأنه أن يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه أول قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم أو المأخوذ بالرسل على الامم بأنهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا أمره ولم يخالفوا حكمه واليه أشار بقوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة عهد أخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد أخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولايتفرقوا فيه وعهد أخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولايكتموه (من بعد ميثاقه) الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهى الاستحكام والمراد به ماوثق الله به عهده من الآيات والكتب أو ماوثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل أن يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يحتمل كل قطيعة لايرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب فى التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير أو تعاطى شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل

قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم مابين الانبياء من الوصلة ويقوى ماذكرنا قوله تعالى ويفسدون فى الارض اذ لوحمل قوله تعالى ويقطعون ماأمر الله به ان يوصل على كل قطيعة كما قاله لدخل فيه الفساد فى الارض اذ هو أيضا قطيعة الا ان يكون تخصيصا بعد تعميم (قوله والثانى أحسن افظا ومعنى) اما لفظا فللقرب وعدم الفصل بين البدل والمبدل منه واما معنى فلوجوب صحة اسقاط المبدل منه وقيام البدل مقامه لكن لوحذف المبدل منه ههنا وقيل يقطعون ان يوصل لم يبق له كثير معنى وفيه نظر اذ لانسلم ان المبدل منه يجب ان يصح اسقاطه واقامة البدل مقامه كما هو مذكور فى المطول والاولى ان يقال اذا جعل ماأمر الله به مبدلا عنه كانت هذه الجملة غير مقصودة بالذات بخلاف ما اذا جعل المبدل منه الضمير فانه يكون أى الضمير غير مقصود بالذات لامجموع الجملة المذكورة (قوله استخبار فيه انكار الخ) الاولى ان يقال استخبار بمعنى التوبيخ والتعجيب اذ ليس هو فى الحقيقة استخبارا (قوله لان صدوره لاينفك عن حال وصفة الخ) هذا أحسن من عبارة الكشاف فانه قال حال الشئ تابعه لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها تتبع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية الخ وقال العلامة التفتازانى يعنى انه من حيث كونه تابعا له يكون بمنزلة الخاصة المساوية فيكون امتناع ثبوت الذات مستتبعا لامتناع ثبوت الحال ضرورة (١٢٩) انتفاء التابع بانتفاء المتبوع والعارض بانتفاء المعروض واذا كان امتناع ثبوت الحال تابعا ولازما لامتناع ثبوت الذات كان انكار الحال انكارا لذات الكفر بطريق الكناية من جهة ان حال الشئ تابع لذاته ورديف لها وكما يمكن باثبات التابع والرديف عن اثبات المتبوع والمردوف فكذا فى جانب الانكار وبهذا التقرير يندفع مايتوهم من ان غاية حال الشئ ان يكون لازماله وانتفاء اللازم لايستتبع انتفاء الملزوم فتحقق التابع أعنى انتفاء اللازم لايوجب تحقق المتبوع أعنى انتفاء الملزوم فلا ينتظم ماذكره من التفريع بقوله وكان انكار الحال انكار الذات الكفر أقول انما قلنا تقرير المصنف أولى من تقرير الكشاف اذ لا يرد عليه السؤال المذكور حتى يحتاج الى تكلف الجواب ثم ان فى كلام العلامة التفتازانى نظرا اما اولا فلان قوله من حيث كونه تابعا يكون بمنزلة الخاصة المساوية له ممنوع اذ التابع للشئ لايقتضى ان يكون مساويا له ولوسلمنا فهذا مستدرك فى كلامه اذ المقصود وهو كون امتناع الذات مستتبعة لامتناع ثبوت الحال بحصل بدون كونها مساوية واما ثانيا فلانه فرق بين ان يجعل ثبوت التابع كناية عن ثبوت المتبوع وان يجعل انتفاء التابع كناية عن انتفاء المتبوع فان ثبوت التابع مستلزم لثبوت المتبوع واما انتفاؤه فلا يستلزم انتفاءه لصحة وجود المتبوع بدون التابع دون العكس فتأمل (قوله فهو أبلغ الخ) لانه كناية عن انكار الكفر فيكون المدعى مع البرهان عليه معتبرا ولذا كانت الكناية أبلغ من الصريح كما تقرر فى علم البيان (قوله وأوفق لما بعده من الحال) انما كان أوفق لان فى كيف تكفرون سلوك بطريق البرهان وكذا فى كنتم أمواتا فأحياكم الآية لانها دلائل على وجوب الايمان وترك الكفر (قوله وكنتم أمواتا فأحياكم) فان قيل لابد فى قوله تعالى وكنتم أمواتا من تأويل على ما فسره المصنف قلنا تأويله انه كان مواد أبدانكم وأجزاؤها أمواتا

والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمى الامر الذى هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اذا قصدت قصده وأن يوصل يحتمل النصب والخفض على أنه بدل من ما أو ضميره والثانى أحسن لفظا ومعنى (ويفسدون فى الارض) بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التى بها نظام العالم وصلاحه (أولئك هم الخاسرون) الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص مايفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن فى الآيات بالايمان بها والنظر فى حقانتها والاقتباس من أنوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب (كيف تكفرون بالله) استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التى يقع عليها على الطريق البرهانى فان صدوره لاينفك عن حال وصفة فاذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو أبلغ وأقوى فى انكار الكفر من أتكفرون وأوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات وبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى أخبرونى على أى حال تكفرون (وكنتم أمواتا) أى أجساما لاحياة لها عناصر وأغذية وأخلاطا ونطفا ومضغا

(١٧ - (بيضاوى) - اول)

(قوله ونفخها فيكم) أى فى أبدانكم (قوله بخلاف البواقى) لان الاماتة متراخية عن الاحياء الاول بقدر المكث فى الدنيا والاحياء الثانى متراخ عن الاماتة بقدر المكث فى البرزخ واعلم أن بين كون أصل الابدان عناصر وأغذية واخلاطا وبين احيائها تراخيا فالظاهر أن ايراد الفاء للدلالة على أن هذه المدة بالنسبة الى المدتين الاخيرتين فى غاية القلة فكأنه لم يكن التراخى الاول موجودا فتأمل قال الكشاف فان قلت كيف قيل لهم أموات فى حال كونهم جمادا وانما قيل ميت فيما يصح فيه الحياة من البنية قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله بلدة ميتا ويجوز أن يكون استعارة لاجتماعهما فى أن لا روح لهما ولا احساس قال العلامة التفتازانى لا خفاء فى أنه من قبيل هم صم كم فتسميته استعارة تسامح أو ذهاب الى ما عليه البعض والحاصل انا لا نسلم ان الموت عدم الحياة مما من شأنه بل عدم الحياة مطلقا ولو سلم فالمعنى هم كالاموات أقول غرض العلامة ان المتبادر من عبارة الكشاف أن يكون الاموات مجازا اذا كان معناه الحقيقى عدم الحياة مما من شأنه الحياة وفيه تكلف لا حاجة اليه بل الظاهر الحمل على التشبيه لان طرفيه مذكوران فيكون المعنى كنتم كالاموات واعلم أنه اذا قيل المراد بقوله تعالى وكنتم أمواتا انهم كانوا أبدا انا لا أرواح فيها لان خاق البدن مقدم على نفخ الروح فيه لا يتوجه (١٣٠) سؤال الكشاف لان البدن هو البنية الصالحة للحياة (قوله قلت تمكنهم من العلم بهما الخ) فان قلت ما الدلائل التى نصبت لهم قلت الدلائل على صدق النبى صلى الله عليه وسلم القائل بالاحياء بعد الموت بايراد الآيات والاحاديث التى بينت ثبوتها لان فيها اخبارا باحيائهم من القبور والبعث والنشور (قوله فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته) فان قلت الاولى أن يقال الاعادة أهون عليه من الابداء حتى يطابق قوله تعالى وهو أهون عليه قلت فيما ذكر اشعار بانه يكفيه ولا حاجة الى اثبات أهونية الاعادة ثم ان الابداء والاعادة عليه تعالى سواء وقد ذكر فى تفسير قوله تعالى وهو أهون عليه توجيهات (قوله بان عدد عليهم النعمة فيثيبكم العامة والخاصة) الظاهر أن المراد من النعمة العامة هى الحياة الاولى التى تعم سائر الحيوانات وبالخاصة الحياة الثانية الابدية التى تخص الانسان دون الحيوانات (قوله قلت لما كانت وصلة الى الحياة الثانية الخ) يرد عليه أنه انما يوجب كون الاماتة نعمة اذا لم يتيسر طريق الى الحياة الحقيقية بدون الاماتة فاما اذا تيسر طريق آخر يحصل الحياة الحقيقية بدون الاماتة فان الله تعالى قادر عليه فلا يظهر أنه يوجب كونها أى الاماتة نعمة ثم ان كونهم أمواتا قبل الحياة ليس نعمة فالاولى الاختصار على ما ذكره ثانيا من أن المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة ويمكن أن يجاب بأنه لما كان المقدر فى علمه تعالى أن الوصول الى الحياة الحقيقية لا يكون الا بعد الموت كان الموت نعمة لحصر الطريق اليها فيه ثم ان المفهوم من الآية كون الاحياء بعد كونهم أمواتا نعمة ولا يفهم أن كونهم أمواتا نعمة (قوله لانا كل واحد من الجمل فان بعضها ماض و بعضها مستقبل الخ) لا يخفى عليك أنه كما لا يصح أن يكون كل جملة حالا لا يصح أن يكون المجموع أيضا حالا واما اذا أول بمعنى العلم لم يكن كل واحد ولا المجموع حالا والمراد من قوله بعضها ماض و بعضها مستقبل ان بعضها ماض بالنظر الى حال الكفر و بعضها مستقبل بالنظر اليه أيضا ولذا لا يصح أن يقع حالا عن يكفرون

مخلقة وغير مخلقة (فاحياكم) بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقى (ثم يميتكم) عند تقضى آجالكم (ثم يحييكم) بالنشور يوم ينفخ فى الصور أو للسؤال فى القبور (ثم اليه ترجعون) بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم أو تشرون اليه من قبوركم للحساب فما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا أنهم كانوا أمواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا أنهم يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم فى ازاحة العذر سيما وفى الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو أنه تعالى لما قدر على احيائهم أولا قدر على أن يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته والخطاب مع القبيلين فانه سبحانه وتعالى لما بين دلائل التوحيد والنبوة وعدهم على الايمان وأوعدهم على الكفر أكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحياة الثانية التى هى الحياة الحقيقية كما قال الله تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان كانت من النعم العظيمة مع أن المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة بامرها كما أن الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض و بعضها مستقبل وكلاهما لا يصح أن يقع حالا وأمع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم أمواتا جهالا فاحياكم بما أفادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون

(قوله لانها من طلائعها ومقدماتها) يعنى أن القوة النامية من طلائع القوة الحساسة لأن الجنين يعرض له أولا النمو ثم يستعد للحياة والحس على ما صرح به أهل الحكمة وشهد به القياس فان النطفة الصغيرة لا تستحيل الى البدن الكبير الا بانضمام الغذاء اليه وزيادتها فى الاقطار الثلاثة وهو لا يحصل الا بالقوة النامية واعلم ان ماذكر على طريقة أهل الحكمة واما أهل السنة فلا حاجة لهم الى اثبات القوة النامية لان الفاعل المستقل للكل هو الله تعالى (قوله قل الله يحييكم ثم يميتكم) هذا مستعمل فى الحقيقى وفى قوله اعلموا أن الله يحيى الارض بعد موتها الحياة مستعملة بمعنى القوة النامية على ما هو ظاهر كلامه وفيه خفاء اذ هذا انما فهم لو كان احياء الارض بمعنى اعطائها القوة النامية لها وهذا غير ظاهر بل المعنى الظاهر أن الله ينبت النبات فى الارض بعد عدم النبات فيها وهذا غير الاعطاء المذكور وان فرض استلزامه له وقوله أو من كان ميتا فاحييناه الحياة فيه بمعنى العلم والموت بمعنى الجهل (قوله على الاستعارة) هذا ناظر الى قوله أو معنى قائم بذاته يقتضى ذلك لان الحياة التى هى القوة الحساسة تقتضى الادراك فهى مشاركة لحياة البارى تعالى فى اقتضاء مطلق الادراك والحياة التى هى تقتضى القوة الحساسة منشأ لصحة الاتصاف بالعلم والقدرة فالحياة الحقيقية والحياة التى فى البارى مشتركان فى هذا المعنى وأما اذا أريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة كان استعمال الحياة فيها من قبيل استعمال اسم العلة فى المعلول فكان مجازا مرسلا (قوله مرة بعد أخرى) الاحياء قد تكرر فى الآية السابقة (قوله ما يتوقف عليه بقاؤهم) المراد التوقف العادى على ما هو مذهب أهل السنة لا العقلى كما هو مذهب الفلاسفة بل نقول هذه خلق ما يتوقف عليه أصل وجودهم اذ لو لم يكن ما فى الارض

فيثيبكم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة فى القوة الحساسة أو ما يقتضيها وبها سمى الحيوان حيوانا مجازا فى القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيها يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها فى كل مرتبة قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها وقال أو من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس واذا وصف بها البارى تعالى أريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا أو معنى قائم بذاته يقتضى ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء فى جميع القرآن (هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا) بيان نعمة أخرى مرتبة على الاولى فانها خلقتهم أحياء قادرين مرة بعد أخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم فى دنياكم باستنفاعكم بها فى مصالح أبدانكم بوسط أو بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على أنه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضى اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على أن الكل للكل لا أن كل واحد لكل

بشئ غير مقصود فى نفسه بل يكون الانتفاع به لأجل شئ آخر والمراد من الانتفاع بلا واسطة أن يكون الانتفاع بالشئ مقصودا فى ذاته (قوله لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض يستكمل به) هذه مسئلة مختلف فيها فذهب الاشاعرة الى انه لا يجوز تعليل شئ من أفعاله تعالى بشئ من الاغراض ووافقهم أساطين الحكماء وطوائف الاطبين وخالفهم المعتزلة واستدل عليه فى المواقف بانه لو كان فعله لغرض لكان هو ناقصا لذاته مستكملا بتحصيل الغرض لانه لا يصلح غرضا للفاعل الا ما هو أصلح له من عدمه أقول ان كان معنى الغرض ما يكون باعثا للفاعل على الفعل فلا نم أن يمنع لزوم النقصان والاستكمال لجواز أن يكون الباعث مجرد نفع الغير وكماله وان كان الغرض بمعنى الفائدة والامور النافعة فلا شك ان أفعاله تعالى تشتمل على الحكم والمصالح كما دلت عليه الآيات والاحاديث كما قال الشريف العلامة فى شرح المواقف ان أفعاله مشتملة على حكم ومصالح لا تحصى راجعة الى مخلوقاته لكنها ليست أسبابا باعثة على اقدامه تعالى فلا تكون أغراضا حتى يلزم استكماله تعالى بها وما ورد من الظواهر الدالة على تعليل أفعاله فهو محمول على الغاية والمنفعة دون الغرض والعلة الغائية ويمكن أن يقال المراد من الغرض ما هو أصلح للفاعل وحينئذ لو كان فعله للغرض كان فعله لتحصيل ما هو أصلح فكان مستكملا به نحو امن الاستكمال وهذا لا يلائم كلام المواقف لانه قال لا يصلح غرضا الا ما هو أصلح ٧ فالاولى أن يقال الغرض فائدة باعثة للفاعل على الفعل ويدعى الضرورة فى انه لا تكون الفائدة باعثة الا اذا كانت عائدة الى الفاعل واذا فسر الغرض

هذه لم يحصل وجود الآباء فكيف الأبناء (قوله بوسط أو بغير وسط) أى الاستنفاع أعم من أن يكون بوسط أو بغير وسط فالثانى مثل الغذاء والأول مثل الدواء فالثانى نافع بالذات والاول بواسطة ازالة المرض التى هى توجب الصحة والأولى أن يقال الثانى كالانتفاع بالغذاء مثلا والأولى كالانتفاع بالماء والمراد من الانتفاع بوسط أن يكون الانتفاع

بما ذكرناسقط البحث الذى ذكره العلامة التفتازانى فى شرح المقاصد حيث قال والحق ان تعليل بعض الافعال سما شرعية الاحكام بالحكم والمصالح ظاهر كايجاب الحدود والكفارات وتحريم المسكرات وما أشبه ذلك والنصوص أيضا شاهدة بذلك كقوله تعالى وماخلقت الجن والانس الاليعبدون ومن أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل الآية وأما تعميم ذلك بان لايخلوفعل من أفعاله عن غرض فمحل بحث (قوله الااذا أريد به جهة السفل) هذه العبارة صريحة فى حصر صحة الشمول فيما ذكروهو الموافق لظاهر عبارة الكشاف حيث قال ان أراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراى صح ذلك وأقول يمكن أن يكون مافى الارض شاملا للارض على سبيل التغليب فتأمل (قوله وجميعا حال من الموصول الثانى) والمعنى خلق لكم مافى الارض مجتمعة فقد قال الراغب ان جميعا يستعمل لتأكيد الاجتماع فعلم منه ان خلق مافى الارض فى زمان واحد ليحصل الاجتماع فى الخلق قال الراغب الجمع ضم الشئ بتقريب بعضه من بعض يقال جمعته فاجتمع وهذه الوحدة أعم من الوحدة الحقيقية أوماهو قريب منها ويؤيده قوله تعالى وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام فى تتمتها كماذكره المصنف ويشكل هذا أى ماذكره المصنف بماهو سم قاتل فانه لانفع له فكيف قيل خلق لكم مافى الارض جميعا ويمكن أن يقال فيه نفع لاجل دفع ضرر الحيوانات المؤذية وقتلها وأيضا ان الانسان كما ينتفع بالامور المستحسنة للذيذة بان يعلم انه تعالى خالق لها كذلك ينتفع بالامور الكريهة المنفرة للطبع بان يعلم انه تعالى خالقها أيضا فيعلم ان الله تعالى خالق لمايشاء وهذا مما يوجب (١٣٢) تأكيد الاعتقاد بأحوال الجنة وأهوال النار فان اللذة تحكى عن نعيم الجنة والالم يحكى عن أهوال النار (قوله وأصل الاستواء طلب السواء) قال فى الصحاح سويت الشئ فاستوى واستوى أى استولى وظهر واستوى الرجل أى انتهى شبابه وقال فى الكشاف الاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا اعتدل والظاهر مما نقلنا من الصحاح أن للاستواء معانى أحدها مايترتب على التسوية والثانى الاستيلاء والثالث الانتهاء وقد أطنب الراغب فى تفصيل معنى والفطور الاستواء ولم يذكر ماذكره المصنف من ان أصله الطلب المذكور فالحكم بان أصل الاستواء الطلب والاعتدال فرع عليه لايظهر له وجه (قوله واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء) لايخفى ان الاعتدال مطلقا ليس مستلزما للتسوية وضع الاجزاء فان الاعتدال فى الحر والبرد وكذا الاعتدال فى الاخلاق ليس بستلزم تسوية وضع الاجزاء الا ان يراد اعتدال خاص (قوله والاولى أوفق للاصل) ظاهر الكلام أن الاول أنسب فى هذا المقام لرعاية الاصل الذى هو طلب السواء من الاستواء بمعنى الاستيلاء للوجوه التى ذكرت وهو يفيد أن الاستيلاء مناسب للاصل لكن المعنى الاول أنسب ولك أن تقول مناسبة الاستيلاء مع الاصل للوجوه المذكورة غير ظاهرة والاولى أن يقال ان الاوفق بمعنى الموافق يعنى المناسب فيفيد ان المعنى الاول مناسب للاصل دون المعنى الآخر ويمكن أن يقال أوفق بمعنى ظهور الموافقة وان كان المعنى الآخر يمكن أن تستخرج الموافقة بينه مع الاصل فى الوجوه المذكورة بتكلف فتأمل (قوله والمراد بالسماء الخ) انما فسر بهذا ليشمل مافى السماء من الكواكب وغيرها مما لايعلمه الا الله دليل الشمول أن المراد من جهات العلو ليس نفس الجهات بل ماوجد فيها وفيه تأمل (قوله فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق مافيها عن خلق السماء وتسويتها) فيه نظر لان خلق مافى الارض ليس المراد منه خلق جميع أفراده وهو ظاهر بل المراد أجناسها فى ضمن بعض الافراد وهذا لايستلزم أن يكون بعد دحو الارض بل لعله قبل دحوها أى بسطها هذا البسط المشاهد فانه يمكن ان خلق الارض وخلق جميع أجناس مافيه ثم دحيت هذا الدحو المحسوس فلايستفاد من الآية الكريمة التى نحن فى تفسيرها تقدم دحو الارض على خلق

واحد ومابعد كل مافى الارض الاذا أريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثانى (ثم استوى الى السماء) قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شئ وأصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى أى استولى وملك قال

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

والاول أوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية أوجهات العلو وثم لمهلة لتفاوت مابين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخى فى الوقت فانه بخلاف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق مافيها عن خلق السماء وتسويتها الا أن تستأنف بدحاها مقدرا النصب لارض فعلا آخر دل عليه ألم تر أشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر أمرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر (فسواهن) عدلهن وخلقهن مصونة من العوج

اسماء وتسويتها حتى يكون منافيا لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها واعلم أن صاحب الكشاف قال استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شئ ومنه استعير قوله تعالى ثم استوى الى السماء أى قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما فى الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شئ آخر قال العلامة التفتازانى قوله من غير ان يريد فيما بين ذلك أى فى تضاعيف القصد الى السماء على ما صرح به فيما بعد ذلك وذكر ذلك تحقيقا لمعنى الاستعارة فان هذا بمنزلة قولك من غير أن يلوى فى تحقيق معنى القصد الجسمانى وجعل ذلك اشارة الى خلق لكم ما فى الارض وهم أقول الظاهر ان اللى الذى هو مصدر يلوى المذكور فى العبارة عبارة عن التعلق بشئ الذى يوجب نحوا من الفتور فى الفعل وعلى هذا لا يلزم فى تحقيق معنى الاستعارة عدم القصد الى شئ آخر حين القصد الى السماء بل مجرد ارادته تعالى لشئ يستلزم عدم الفتور فمجردها مستلزم لتحقق معنى الاستعارة لان قصده تعالى الى شئ لا يعرضه فتور بالقصد بوجه من الوجوه الى شئ آخر بل أشياء أخر فانه تعالى لا يشغله شأن عن شأن فلا تتفاوت ارادته تعالى لوجود شئ بان يقارن ارادته لشئ آخر أو أشياء فالحكم بانه تعالى حين قصده الى السماء ليس له ارادة لشئ آخر أصلا لا يستفاد من الكلام فهذا القول جسارة منه كما لا يخفى ولذا لم يذكره المصنف واعلم انه يمكن أن يكون التسوية المذكورة فى قوله تعالى رفع (١٣٣) سمكها فسوّيها غير التسوية التى ذكرت فى قوله تعالى فسوّيهن سبع سموات بان تحمل التسوية الاولى على تسويتها حال كونها واحدة لا سبعا وتكون التسوية عبارة عن خلق السماء جسما واحدا خاليا من العوج والفطور فعلى هذا يكون خلق السماء أولا وتكون التسوية الثانية جعلها سبعا من غير فطور وعلى هذا يمكن أن يكون ثم فى قوله ثم استوى للتراخى فى الزمان فتأمل (قوله لانه جمع أو فى معنى الجمع) أما الاول فبأن يكون جمع سماوة وأما الثانى فبأن يكون للجنس

والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع أو هو فى معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا (سبع سموات) بدل أو تفسير فان قيل أليس ان أصحاب الارصاد أثبتوا تسعة أفلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس فى الآية نفى الزائد مع أنه ان ضم اليها العرش والكرسى لم يبق خلاف (وهو بكل شئ عليم) فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصوّر الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج فى صدورهم من أن الابدان بعد ما تبددت وتفتتت أجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع أجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شئ منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها فى هاتين الآيتين أما الاولى فهى ان مواد الابدان قابلة للجمع والحياة وأشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة عليها يدل على أنها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى أن يزول ويتغير وأما الثانية والثالثة فانه عز وجل عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها وأشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائها وابداء ما هو أعظم خلقا وأعجب صنعا فكان أقدر على اعادتهم واحيائهم وأنه تعالى خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهى علمه وكمال حكمته جلت قدرته

(قوله والا فمبهم) لم يعلم من كلامه ان أى شئ من الوجهين المذكورين أولى لكن نص صاحب الكشاف بان الوجه العربى هو كون الضمير مبهما مفسرا بما بعده لحصول التبيين بعد الابهام (قوله مع انه ان ضم اليها العرش والكرسى لم يبق خلاف) والحق انه لا مخالفة أصلا بين كون السموات سبعا وبين كون الافلاك تسعة لان ما تسمى بالعرش والكرسى عند أهل الشرع يسميهما أصحاب الارصاد فلكين ثامنا وتاسعا وما سموهما سماءين (قوله وأشار الى البرهان عليه بقوله كنتم أمواتا فاحياكم الخ) لا يخفى أن المدعى وهو قبول المواد للتفريق وللجمع والحياة والموت ثبت بمجرد قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ولا حاجة فيه الى قوله تعالى ثم يميتكم (قوله فان تعاقب الافتراق والاجتماع) الى قوله وما بالذات يأبى ان يزول ويتغير لقائل أن يقول تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة لا يدل على ان الابدان قابلة لها مطلقا من غير تقييد بحال وزمان مخصوصين حتى يصح الافتراق والاجتماع على أجزائها فى كل زمان فلعل قبول الحياة مشروط بشرط أن يكون فى الابتداء فلا يحصل فى زمان آخر وان أراد بالقبول بالذات قبولها فى الجملة وفى بعض الازمان فلا يفيد المطلوب وهو صحة الحشر واعلم أن صحة الحشر بلغ من حيث الدليل النقلى الى أقصى الغاية حتى قال الامام الرازى ان الايمان بالنبى صلى الله عليه وسلم لا يجتمع مع انكار الحشر وعلى هذا فهو أى الحشر مستغنى عن مثل الدليل الذى ذكره

المصنف نعم هو مؤيد من يل للاستبعاد (قوله ومحلهما النصب أبدا على الظرفية الخ) فان قيل هذا يخالف مجيئه للتعليل فان التعليل غير الظرفية ثم انه اذا كان ذلك للتعليل كان حرفا كما لزم كما صرح به ابن هشام في المغني فكيف يكون ظرفا قلنا هذا أحد الاحتمالين اللذين ذكرهما والاحتمال الآخر أن يكون ظرفا والتعليل يستفاد من قوة الكلام لامن اللفظ فانه اذا قيل ضربته اذ أساء وأريد الوقت اقتضى ظاهر الحال أن الاساءة سبب الضرب والعلامة التفتازاني ذكر موافقا للرضي وابن هشام انهم جوّزوا كون اذا اسما مجرورا باضافة الظرف اليه مثل يومئذ و بعد اذ نجانا الله منها ونحو ذلك أو منصوبا بكونه مفعولا به مثل أتذكر اذ من يأتينا نكرمه ولم يجوزوا رفعه على الفاعلية لشدة بعده عن الظرفية لتي تلزمه في الغالب فظهر مما نقلنا ان قوله ومحلها النصب أبدا بالظرفية الخ معترض عليه بما نقلناه عن النحاة من انه قد يجيء منصوبا بكونه مفعولا به ومجرورا قيل يمكن أن يقال مراده أن اذ بالمعنى المذكور أولا وهو زمان نسبة ماضية تقع فيه أخرى منصوب بالظرف أبدا (قوله فعلى تأويل اذكر الحادث الخ) هذا جواب سؤال مقدر وهو ان اذ في مثل هذا الموضع لا يظهر منها معنى الظرفية وتوضيح (١٣٤) الكلام اذكر أخاعاد الحادث اذ أنذر قومه فهو في الحقيقة معناه واذكر أخا عاد الحادث في وقت انذاره قومه فيكون الحادث الخ بدلا من أخاعاد ولا يخفى ما فيه فالوجه أن يقال ان اذ في هذه الآية لمجرد الزمان فيكون بدلا من أخاعاد كما قال صاحب المغني في قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها أن اذ بدل اشتمال من مريم وقال العلامة التفتازاني الاحسن ان يجعل هذا الأمر عطفا على محذوف قبله أي اشكر النعمة في خلق السماء والارض واذكر واما على تقدير انتصابه بقولوا ذهو ظرف فالجملة بتمامها عطف على ماقبلها عطف القصة على القصة من غير التفات الى ما فيها من الجملة انشاء أو اخبارا وأقول لا يخفى أن اذا ما ظرف أبدا على قول أو غالبا على ما هو الحقيق فالاولى حمله على الظرف الا اذا صرف عنه صارف مثل قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها الآية اذ لا يمكن أن يكون ظرفا ولا باعث على صرفه عن الظرفية في مثل هذه الآية فالاولى أن يحمل على انه معمول قالوا ثم ان قوله واذكر على التأويل المذكور وهو أن يكون الحادث مقدرا فيه نظر ولا يخفى اذا قدر ما ذكر لم يمكن العامل في اذ أذكر بل الحادث المقدر واذا جعل العامل اذكر فالاولى أن لا يقدر الحادث بل يقال ان اذ لمجرد الزمان (قوله فهو رسل الله أو كارسل اليهم) ليس المراد كون كل ملك رسولا الى الناس ولا كون كل منهم كالرسول باعتبار الاشتراك في الاوصاف بل المراد ان بعضهم رسل و بعضهم كالرسل فيكون اطلاق الرسل عليهم بالتغليب لكن في اطلاق الملك على كل واحد منهم خفاء (قوله منقسمة الى قسمين الخ) ظاهر الكلام يدل على ان هذا الانقسام من كلام الحكماء لكن المذكور في كلامهم ان المجردات التي هي غير النفوس البشرية اما العقول العشرة واما النفوس الفلكية التي تحرك الافلاك واما ما ذكر من ان قسما منهم يدبرون الامر من السماء الى الارض وهم المدبرات أمرا فهم سماوية ومنهم أرضية فغير مذكور في كلامهم

ودقت حكمته وقد سكن نافع وأبو عمر ورويس الكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة) تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان أمرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه أخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه أخرى ولذلك يجب اضافتها الى الجمل كحيث في المكان و بنيتا تشبيها لهما بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب أبدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه وأما قوله تعالى واذكر أخاعاد اذ أنذر قومه بالاحقاف ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث وأقيم الظرف مقامه وعامله في الآية قالوا وأذكر على التأويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا ومضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل و بدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه من يدبر الملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل جمع شمأل والتاء اما تأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله تعالى و بين الناس فهم رسل الله أو كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب أكثر المسلمين الى أنها أجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء أنهم جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق جل جلاله والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العلويون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات

(قوله لعموم اللفظ وعدم المخصص) يمكن ان يقال ان ههنا مخصصا وهو قوله تعالى خليفة فانه يشعر بان الخطاب لمن كان الخليفة خليفة منهم والذين كانوا كذلك ملائكة الارض وكذا قال صاحب الكشاف والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته (قوله بل لقصور المستخلف عليه عن قبول الخ) فان قيل لم لم يجعل الله تعالى المستخلف قابلا للفيض حتى لا يحتاج الى الخليفة فان قدرته تعالى شاملة لجميع الممكنات قلنا يمكن ان يقال ان عدم الجعر المذكور لاظهار سعة القدرة باظهار ان الله تعالى قادر على خالق النوعين المذكورين نوع لا يكون قابلا للفيض بغير وسط ونوع يكون قابلا له بوسط والاول يستفيض بواسطة الثانى ويمكن ان يقال ان بعض الخلق قاصر فى ذاته عن قبول الفيض بغير وسط بحيث لا يمكن القبول وعلى هذا لا يكون تحت القدرة لانها شاملة للممكنات لا للممتنعات على ما قرر فى موضعه (قوله ومن كان منهم (١٣٥) أعلى رتبة كله بالواسطة) يلزم من هذا ان

امر افهم سماوية ومنهم أرضية على تفصيل أثبته فى كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل لابليس ومن كان معه فى محاربة الجن فانه تعالى أسكنهم فى الارض أولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس فى جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم فى الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذى له مفعولان وهما فى الارض خليفة أعمل فيهما لانه بمعنى المستقبل ومعتمد على مسنده اليه ويجوز أن يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام لانه كان خليفة الله فى أرضه وكذلك كل نبى استخلفهم الله فى عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوب به بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى أمره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لاترى أن الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قربهم بحيث يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار أرسل اليهم الملائكة ومن كان منهم أعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام فى الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك فى الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل البارى تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطى ذلك أو خليفة من سكن الارض قبله أو هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم أو يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر أبى القبيلة فى قولهم مضر وهاشم أو على تأويل من يخلفكم أو خلقا يخلفكم وفائدة قوله تعالى هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجعول بأن يشير عز وجل بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على مافيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضى ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها أو يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية واستكشاف عما خفى عليهم من الحكمة التى بهرت تلك المفاسد وألغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يحتاج فى صدره وايس

يكون موسى أفضل من ابراهيم عليهما السلام والجواب ان عدم تكليم الله تعالى مع ابراهيم غير معلوم قال القاضى عياض فى كتاب الشفاء واما ما ورد فى هذه القصة من مناجاة الله تعالى وكلامه معه أى مع النبى صلى الله عليه وسلم بقوله فاوحى الى عبده ما أوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحى الله تعالى الى جبرائيل وجبرائيل الى محمد الا شذوذا منهم ثم قال وكلام الله تعالى لمحمد ومن اختص من أنبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد فى شرع ما يمنعه فان صح فى ذلك خبر اعتمد عليه أقول فافهم من كلام

المصنف انه تعالى كلم النبى صلى الله عليه وسلم بلا واسطة مبنى على مذهب ذلك البعض نعم انه يلزم من كلام المصنف اما أفضلية موسى على ابراهيم أو تكليم الله تعالى مع ابراهيم ولزم أيضا تكلمه تعالى مع نبينا عليهم السلام (قوله أو خليفة من سكن الارض الخ) عطف على قوله والمراد آدم لانه خليفة الله (قوله أو من يخلفكم الخ) يعنى المراد بالخليفة آدم وبنوه باعتبار موصوف مفرد اللفظ جمع المعنى كذا قاله العلامة التفتازانى الظاهر ان الخلق فى قوله خلقا يتخلقكم بفتح الخاء المعجمة والقاف لانه مفرد فى معنى الجمع قال صاحب الصحاح الخليقة الخلائق تقول هم خليقة الله وهم خلق الله أيضا (قوله الى غير ذلك) متعلق بمقدر والمعنى ابدأ من الفوائد التى ذكرناها الى غير ما ذكرنا من الفوائد مثلا اظهار جهل الملائكة باسرار خلق الله والرد عليهم فى الجرأة على السؤال والطعن بحسب الظاهر فى الخليفة وان عليهم السكون حتى تظهر حكمة الخالق لهم لان من المعلوم ان أفعاله تعالى تشتمل على حكم ومصالح لا تحصى ولذا قال الخضر لموسى عليهما السلام فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا فان قوله تعالى

فى جوابهم انى أعلم مالاتعلمون من غير بيان الحكمة فى خلق الخليفة نوع من العقاب الدال على ماذكرنا (قوله ولاطعن فى بنى آدم على وجه الغيبة الخ) فيه ان الطعن على وجه الغيبة اذا كان المغتاب مجاهرا بفسقه لاينافى العصمة و يمكن ان يقال هو وان كان كذلك لكن ترك الطعن أولى بهم و بعلو رتبتهم والجواب ان غيبة المجاهر بالفسق بعدماوقع منه جائز لاقبل ان يفعل و وجه دلالة قوله تعالى بل عباد مكرمون الخ على ماادعاه من عدم الطعن ان الطعن على وجه الغيبة حرام ينافيه قوله وهم بامره يعملون (قوله واستنباط عماركز فى عقولهم الخ) يعنى بذلك انه ركز فى عقولهم انهم معصومون مطلقا واماغيرهم فقديكون معصوما وقدلايكون (قوله ونظروا اليهامفردة) الى قوله وقالوا الاولى ان يقال لم ينظروا الى الفائدة

باعتراض على الله تعالى جلت قدرته ولاطعن فى بنى آدم على وجه الغيبة فانهم أعلى من أن يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى أوتلق من اللوح أواستنباط عماركز فى عقولهم ان العصمة من خواصهم أوقياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن أنواع من الصب فالسفك يقال فى الدم والدمع والسبك فى الجواهر المذابة والسفح فى الصب من أعلى والشن فى الصب من فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا أوموصوفا محذوفا أى يسفك الدماء فيهم (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) حال مقررة لجهة الاشكال كقولك أتحسن الى أعدائك وأنا الصديق المحتاج القديم والمعنى أتستخلف عصاة ونحن معصومون أحقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عمارجحهم مع ماهومتوقع منهم على الملائكة المعصومين فى الاستخلاف لاالعجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذوثلاث قوى عليها مدار أمره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليهامفردة وقالوا ما الحكمة فى استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لاتقتضى الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه وأما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم مايتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد مايقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذى هو المقصود من الاستخلاف واليه أشار تعالى اجمالا بقوله (قال انى أعلم مالاتعلمون) والتسبيح تبعيد الله تعالى عن السوء وكذلك التقديس من سبح فى الارض والماء وقدس فى الارض اذاذهب فيها وأبعد و يقال قدس اذاطهر لان مطهر الشئ مبعد له عن الاقذار و بحمدك فى موضع الحال أى ملتبسين بحمدك على ماألهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ماأوهم اسناد التسبيح الى أنفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذى هو أعظم الافعال الذميمة بتطهير النفوس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة (وعلم آدم الاسماء كلها) امابخلق علم ضرورى بهافيه أوالقاء فى روعه ولايفتقر الى سابقة

الحاصلة من اجتماعها وكونهما أى الاوليين مطبعتين للثالثة فانهم نظروا الى المجموع لكن غفلوا عن فائدتها من حيث انها مجموعة وقاسوا حال اجتماعها على حال انفرادها واعلم انه يكفى فى قول الملائكة وهو أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء الخ مامر وهو التعجب والاستخبار والاستكشاف ولاحاجة الى نسبة الغفلة عن فضيلة القوتين المذكورتين اليهم وعدم علمهم بان التركيب يفيد مايقصر عنه الآحاد مع ان هذا يعلمه أكثر الناس ويكفى فيه النظر الصائب و بالجملة نسبة الغفلة والجهل الى جميع الملائكة من غير باعث خطأ والله العاصم (قوله تعالى قال انى أعلم مالا تعلمون) قال فى الكشاف فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان أفعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفى عليهم وجه الحسن قال العلامة التفتازانى ان أراد ان من شأنهم ان يعلموا ذلك ولو بعد حين لمافيهم من القوة العقلية فليس بكاف فى ترك التعجب وهو ظاهر وان أراد انهم كانوا يعلمون ذلك فليس بمعلوم ولا العبارة دالة عليه أقول الظاهر ان الملائكة كانوا يعلمون ذلك الحكم الاجمالى فى الوقت المذكور ولو من قوله تعالى انى أعلم مالاتعلمون فان فيه اشارة الى ماذكر وكان فى عدم التبيين نوع عتاب عليهم لما أفهمه ظاهر سؤالهم ففيه اشارة الى ان ليس لهم مثل هذا السؤال بل عليهم الطاعة بمقتضى الامر وعدم السؤال عن حكمة الافعال الى ان يبين الله لهم ماشاء كما قال الخضر لموسى ان اتبعتنى فلاتسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا (قوله امابخلق علم ضرورى فيه أو القاء فى روعه) الاول داخل فى الثانى بحسب الظاهر لان الالقاء فى الروع

اصلاح

أى القلب اما بخلق علم ضرورى فيه أو بخلق علم غير ضرورى منته الى ضرورى والمراد ما يقابل الاول ويمكن ان يقال ان المراد من الأول ما يكون بطريق التكلم بأن يقول الله له اما بوسط أو بغير وسط والمراد من الثانى ما ليس كذلك بل مجرد الالقاء فى القلب ويمكن أن يقال مراده أنه تعالى ألهمه أن يضع الألفاظ للمعانى و يبعث داعية له عليها كما قال النيسابورى التعليم اما بأن خلق الله تعالى له علما ضروريا بتلك الألفاظ أو ألهمه و بعث داعيته على الوضع لكن فى ارادة هذا المعنى من عبارة المصنف تكلف (قوله والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا الخ) الظاهر ان التعليم تحصيل العلم للغير وأما لو لك علمته فلم يتعلم فتوسع والغرض انى فعلت ما يوجب التعليم فلم يحصل العلم (قوله اخيافا) قال فى الصحاح قيل للناس اخياف أى متفرقون (قوله والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشئ الخ) هذا يدل على ان الاسم أصله الوسم كما هو مذهب الكوفيين لكن الراجح كما ذكر فى أول التفسير مذهب البصريين وهو ان أصله السمو و يمكن أن يقال ان قوله ما يكون علامة للشئ باعتبار مذهب الكوفيين وقوله ودليلا عليه باعتبار مذهب البصريين لأن الاسم معتبر فيه معنى العلو والدليل له علو على المدلول قال النيسابورى اشتقاق الاسم اما من السمة أو من السمو فان كان من السمة فالاسم هو العلامة وصفات الاشياء وخواصها (١٣٧) دالة على ماهياتها وعلامة عليها وان كان من السمو فدليله الذى كالمرتفع على ذلك الشئ (قوله واستعماله عرفا الخ) أى العرف العام لانه فى مقابلة الاصطلاح الذى هو العرف الخاص (قوله سواء كان مركبا أو مفردا مخبرا عنه أو خبرا أو رابطة بينهما) يجب أن يضاف اليه أو غير ذلك فان اللفظ قد لا يكون مخبرا ولا خبرا ولا رابطة كزيد فى ضربت زيدا مثلا والظاهر أن مراده صلاحية كونه

اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم أعجمى كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة أو الادمة بالفتح بمعنى الاسوة أو من أديم الارض لما روى عنه عليه الصلاة والسلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتى بنوه أخيافا أو من الادم أو الادمة بمعنى الألفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس و يعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشئ ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا فى اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا أو مفردا مخبرا عنه أو خبرا أو رابطة بينهما واصطلاحا فى المفرد الدال على معنى فى نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد فى الآية اما الاول أو الثانى وهو يستلزم الاول لان العلم بالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعانى والمعنى أنه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدة لادراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات وألهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها وأسمائها وأصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها (ثم عرضهم على الملائكة) الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا لتقدير أسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الأسماء سيما ان أريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء أو مدلولات الألفاظ

(١٨ - (بيضاوى) - اول)

مخبرا عنه أو خبرا أو رابطة وحينئذ يتحقق الحصر اذ كل لفظ فهو لابد أن يصلح لواحد من هذه الأمور بقى أنه يكفى أن يقال ان كل لفظ يصح أن يكون محكوما عليه فان الفعل والحرف يصح لفظهما أن يجعل محكوما عليه كمن حرف جر فتامل (قوله والمراد فى الآية اما الاول أو الثانى) يعنى لا وجه لارادة المعنى الثالث وهو الاسم المقابل للفعل فان المعنى الثالث أمر جديد حدث بعد نزول القرآن بسنين كثيرة لأنه اصطلاح النحاة فلا ينبغى أن يحمل اللفظ القرآنى عليه (قوله لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة يتوقف على العلم بالمعانى) الاولى أن يقال لان الاسم بالمعنى الثانى أخص منه بالمعنى الاول فان كل لفظ موضوع لمعنى علامة له يرفعه الى الذهن (قوله وألهمه معرفة ذوات الاشياء) فيلزمه من الآية نظر فان المفهوم من الاسم على ما ذكرنا الالفاظ والصفات والافعال واما اللفظ الموضوع لمعنى وهذا ان لا يستلزمان معرفة ذوات الاشياء الا أن يقال المراد العلم والمعرفة بوجه فتامل (قوله سيما ان أريد به الالفاظ) وجه لفظ سيما ههنا انه لو أريد بالاسماء الالفاظ ويكون المراد عرضهم الزم من قوله أنبئونى بأسماء هؤلاء أن تكون الالفاظ أسماء موضوعة بازائها وليس كذلك قال الله تعالى أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أفاد الشيخ الكامل صاحب الفتوحات فى الفصل الخامس والاربعين فى جواب الامام الحكيم الترمذى أنه تعالى علم آدم الاسماء كلها يعنى الاسماء الالهية التى توجهت على ايجاد حقائق الاكوان ومن جملتها الاسماء الالهية التى توجهت على ايجاد الملائكة والملائكة لا تعرفها ثم أقام المسمين بهذه الاسماء وهى صور التجليات الالهية التى هى للاسماء كالاوراد الصورية للارواح فقال للملائكة أنبئونى

بأسماء هؤلاء يعني الصور التي تجلى فيها الحق ان كنتم صادقين في قولكم نسبح بحمدك وهل سبحتمونى بهذه الاسماء التي تقتضيها هذه التجليات التي أتجلى فيها لعبادي ان كنتم صادقين في قولكم ونقدس ذواتنا عن الجهل فهل قدستم ذواتكم من جهلكم بهذه التجليات وما لهم من الاسماء التي ينبغي أن تسبحوني بها (قوله فان التصرف والتدبير واقامة العدل قبل تحقيق المعرفة الخ) فيه نظر لانه اذا كان المراد من الاسماء الالفاظ لم يلزم من عدم معرفة الالفاظ الموضوعة بازاء المعاني التصرف والتدبير قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق حتى يلزم المحال اذ لا يلزم من عدم معرفة أسماء الاشياء عدم معرفة مراتب استعدادات تلك الاشياء وقدر حقوقها اذ يجوز أن يعرف الشيء بالحس أو بالعقل ويعرف مراتب استعداده ولا يعرف اللفظ الموضوع بازائه (قوله ليكون تكليفا بالمحال) فان قيل التكليف بالمحال على ما ذكر في كتب الكلام أن يكلف الشخص بما يمتنع صدوره عنه وليس ما نحن فيه كذلك اذ عدم علم الملائكة بالاسماء وقت سؤال آدم عليه السلام لا يوجب أن يكون علمهم بها ممتنعا اذ يجوز علمهم بها بعد السؤال قريبا قال المتكلمون ما لا يطاق على مراتب أدناها أن يمتنع الفعل لعلم الله تعالى عدم وقوعه وتعلق ارادته أو اخباره بعدمه فان مثله لا تتعلق به لقدرة الحادثة وأقصاها أن يمتنع لنفس مفهومه كجمع الضدين والتكليف به لم يقع وجواز التكليف مختلف فيه والرتبة الوسطى أن لا تتعلق به القدرة الحادثة عادة كحمل الجبل والطيران الى السماء والظاهر أن قوله تعالى أنبئوني لو حمل على التكليف لم يكن تكليفا بالمحال على الاوجه الثلاثة المذكورة قلنا بل هو من القسم الاول اذ يفهم من القرآن أن علمه تعالى مما تتعلق بعدم اتيانهم والجواب أن تقول مراده ان الاخبار عن الاسماء في حال الجهل بها محال فلو كلف به لزم التكليف بالمحال (قوله والانباء اخبار فيه اعلام) (١٣٨) يرد عليه ان كل اخبار فيه اعلام اذ لو لم يكن فيه اعلام

وبذكره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن أو مسمياتها (فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء) تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف لم يكن من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجرى مجرى كل واحد منهما (ان كنتم صادقين) في زعمكم انكم أحقاء بالخلافة فعصمتكم أو ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بفرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعترى الانشاآت (قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا) اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان

بوجه من الوجوه لكان ساقطا من الكلام لا يلتفت اليه والجواب أن المراد من الاعلام اعلام نفس مفهوم الخبر فالنبأ يقال لخبر لا يعلمه المخاطب ويحصل العلم به بالاخبار لكن ما قاله الراغب من أن النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن لا يلائم هذا الا أن يراد بالعلم ما يعم غلبة الظن والحكمة

(قوله وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم) فيه ان هذا اعتراض وقد سبق ان ليس غرضهم الاعتراض لانهم معصومون لا يقال لعل المراد أنه لا يليق ما ذكر بالحكيم بحسب الظاهر لانا نقول عدم لياقته للحكيم بحسب الظاهر أمر محقق لكن قوله تعالى ان كنتم صادقين يفيد أنه ليس كذلك ثم انه أورد انه لا يظهر وجه تعليق الانباء على هذين الوجهين فان كونهم أحقاء بالخلافة بسبب عصمتهم وكون خلق الانسان واستخلافه وصفته ما ذكر لا يليق بالحكيم لا يوجب الانباء عن الاسماء وأجاب العلامة التفتازاني عن هذا بأن معناه ان كنتم صادقين فيما زعمتم من خلوهم من المنافع والاسباب الصالحة للاستخلاف فقد اديتم العلم بكثير من خفيات الامور فانبئوني بأسماء هذه الاشياء فانها ليست في ذلك الخفاء أقول ان حكم الملائكة بخلو الانسان عن المنافع والاسباب الصالحة من الاستخلاف يستلزم الاعتراض والطعن في بني آدم مما ليس فيهم وهو لا يليق بحالهم لانهم معصومون كما قلنا والأسلم أن يقال ان كلامهم يتضمن دعوى كونهم أعلم من هذه الخليفة لان كمال ذوى العلم بالعلم والعمل والثاني تابع للاول وليس هذا بطعن فيهم ولا مستلزما للاعتراض بل كان هذا سبب تعجبهم وسؤالهم عن سبب جعل آدم خليفة حتى يحصل لهم الطمأنينة وينكشف لهم حكمة خلق الخليفة فلما كان هذا مدعاهم قيل لهم أنبئوني بأسماء هؤلاء المسميات ان كنتم صادقين في انكم أعلم فان آدم علمهم هذه الاسماء فان كنتم صادقين في الاعلمية فأنبئوني بهذه الاسماء فيكون ههنا شيء مقدر يدل عليه سياق الكلام (قوله واشعار بان سؤالهم كان مجرد استفسار) لا يعلم بمجرد ما ذكر وانما يعرف ذلك من عصمتهم ويمكن أن يقال كمال المدح المستفاد من قولهم سبحانك مشعر بأن ليس غرضهم الطعن لان من كان هذا شأنه يستحيل الطعن فيه (قوله وانه قد بان لهم الخ فيه مراعاة للادب الخ) لا يظهر وجهه

فان تفويض العلم كله اليه تعالى شأن الملائكة دائما وأنه تعالى منزه عن النقص مطلقا قال الزمخشري هذا اعتراف بالعجز والتسليم فكانهم قالوا انك علمتنا أنهم مفسدون في الارض فتلقانا أتجعل فيها من يفسد فيها وأما هذه الاسماء فانك ما علمتنا فكيف نعلمها هذا كلامه واقتصر عليه ولم يذكر ما ذكره المصنف وليس في الكشاف ما ذكره أيضا ويمكن أن يقال ظهر ما خفي لهم من حكمة خلقه من قوله تعالى أنبئوني بأسماء هؤلاء بان يقال لما أمر الله تعالى اياهم في مقام المعاتبة بالانباء عن الاسماء فعلموا ان ترجيح آدم بالخلافة لاجل العلم بالاسماء وبعبارة أخرى يقال ان حكمة خلق آدم فهمت من قوله تعالى أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين يعني ان كنتم صادقين في استحقاق الخلافة أنبئوني بالاسماء فيفهم منه ان استحقاق الخلافة مستلزم للعلم بالاسماء فيكون آدم الذي يكون خليفة عالما بها فيكون العلم بها من جملة حكمة خلقه والله أعلم وأما وجه اشعار سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا بما ذكر في هذا الملهام فلانه فيه شكر أو توبة ففيه اشعار بنعمة متجددة هي حصول العلم لهم بشئ كان معتقلا عليهم وكان سبب جزاعهم في السؤال (قوله سبحان من علقمة الفاجر) ودليل علميته أنه نجاء غير مضاف ولا منونا قال الرضي ولا منع من أن يقال حذف المضاف اليه وهو مراد للعلم به وأبقى المضاف على حاله لاغلب أحواله أعني التجرد (١٣٩) عن التنوين (قوله اذ التابع يسوغ فيه الخ) لك أن تقول الملائم لما تبين أن يقال انه يجوز في المتبوع ما لا يجوز في التابع فان الباء في المثال المذكور داخل في المتبوع الذي هو الكاف ولا يجوز دخوله على أنت والجواب ان المراد أنه يجوز جعل أنت مجرورا محلا اذا كان تابعا ولا يجوز اذا لم يكن خرف الجر اذا كذلك وفيه ما فيه (قوله ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل) أي لاجل أنه يجوز في التابع ما لا يجوز في المتبوع جاز ما ذكر وفيه نظر اذ المثال المذكور عكس ما ذكر فانه يجوز في المتبوع وهو هنا مقارنته لحرف النداء ولم يجز ذلك المقارنة في التابع وهو الرجل والجواب أن مراده أنه يجوز في تابع المنادى تحليته بلام التعريف ولا يجوز في المنادى والاولى التمثيل بنحو يا رجل العاقل فتأمل (قوله بكسر الهاء فيهما) أي في صورة قلب الهمزة وصورة حذفها (قوله فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من أمور السموات والارض الخ) فظهر لزوم ما ذكرمن الآية بضم مقدمة أخرى هي أن الملائكة لا يعلمون ما خفي من أمور السموات والارض ولكن هذا أمر ظاهر من قواعد الشرع ثم ان عامه تعالى بما ظهر لهم من أحوالهم الظاهرة والباطنة لا يحتاج اليه فهاذا كر بل علمه بما خفي من أمور السموات والارض كاف والاولى أن يقال ان قوله تعالى ألم أقل لكم دال على تقدم القول المذكور فالظاهر انه اشارة الى قوله أعلم ما لا تعلمون لانه تقدم ذكره فهذا القول وهو قوله ألم أقل لكم دال على أنه المراد من قوله تعالى اني أعلم ما لا تعلمون بل على ان التفضيل تقدم سابقا فكانه قيل ألا اني أعلم ما لا تعلمون من مغيبات السموات والارض وما تبدون وما تكتمون وفائدته تأكيد الاعلمية لانه تعالى يعلم ما لا يعلمون ويعلم ما يعلمون (قوله وهو ان يتوقفوا متربصين الخ) أي الاولى لهم أن يتوقفوا متربصين ولا يتجرؤا على السؤال بطريق ظاهره الاعتراض والطعن في بني آدم (قوله وما تكتمون استنبطوا منهم أنهم أحقاء بالخلافة) وهذا لا يستلزم الاعتراض فان قلت من أين يعلم

والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما استقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد أجرى علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله * سبحان من علقمة الفاخر * وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين (انك أنت العليم) الذي لا يخفى عليه شائبة (الحكيم) المحكم لبدعائه الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وأنت فصل وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك أنت وان لم يجز مررت بأنت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان

(قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم) أي أعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما (فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) استحضار لقوله تعالى اني أعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه أبسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من أمور السموات والارض ما ظهر لهم من أحوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بما بدتهم على ترك الاولى وهو أن يتوقفوا متربصين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم فيما بينهم فيما تجعل فيها وما تكتمون استبطانهم انهم أحقاء بالخلافة وأنه تعالى لا يخلق خلقا أفضل منهم وقيل ما ظهر وا من الطاعة وأسروا بليس منهم من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فأفادت الاثبات والتقرير واعلم أن هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزيد

استبطانهم انهم أحقاء بالخلافة قالت من قولهم نجعل فيها من يفسد فيها الخ (قوله وفضله على العبادة) فانه تعالى لما جعل آدم خليفة في الارض ورجحه على الملائكة في أمر الخلافة وأشار الى استحقاقه الخلافة للعلم بأشياء لم تعلمها الملائكة مع كثرة عبادة الملائكة علم شرف العلم على العبادة (قوله وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به) قال في شرح المواقف اطلاق الاسماء المأخوذة من الصفات والافعال على الله تعالى فيه خلاف فذهب الكرامية والمعتزلة الى انه اذا دل العقل على اتصافه بصفة وجودية أوسلبية جاز أن يطلق عليه اسم يدل على اتصافه تعالى بها وقال القاضي أبو بكر كل لفظ دل على معنى ثابت لله جاز اطلاقه عليه بلا توقيف اذا لم يكن اطلاقه موهما لما لا يليق بكبريائه وقال الشيخ ومتابعوه الى أنه لا بد من التوقيف وهو المختار انتهى لكن كلام الامام الغزالي صريح في أنه لا بد من التوقيف في التسمية لا في الوصف (قوله بخصوص أو عموم) فالاول اذا كان الاسماء بمعنى الالفاظ والثاني اذا كان بمعنى العلامات (قوله وان علموا الملائكة وكلامهم تقبل الزيادة) لانهم علموا الاسماء بعد ان لم يعلموا (قوله والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم) يعني أن الحكماء سموا المجردات بالذات ملائكة وقالوا بعضهم مجرد بالذات والفعل وبعضهم مجرد بالذات دون الفعل وما هو مجرد بالذات والفعل أعلى من المجرد (١٤٠) بالذات دون الفعل وقالوا ما هو أعلى من القسمين ليس له كمال منتظر بل كل ما يمكن حصوله له فهو بالفعل حاصل (قوله وان آدم أفضل من هؤلاء الملائكة) انما قال من هؤلاء الملائكة ولم يقل وان آدم أفضل من جميع الملائكة مع انه قال قبل ذلك في قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة ان المقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وسيجيء الكلام في أن المأمورين بالسجود الملائكة كلهم أو طائفة منهم وما سبق صريح في انهم الملائكة جميعهم لان الحكم بان الملائكة جميعهم حكم ظاهري لا مقطوع به فلذا قال ان آدم أفضل من الملائكة المعلمين فان كان المعلمون كلهم كان آدم أفضل من جميعهم وان كانوا بعضهم كان آدم أفضل من ذلك البعض فلما كان فضله على كلهم محتملا لا محذور مما يحكم به (قوله لقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) فان الاعلم عالم بشئ كان غير الاعلم غير عالم به فهو أفضل من غير العالم به ولك أن تقول ان أراد انه يلزم ان يكون آدم أفضل من الملائكة من جهة مخصوصة من العلم بالاسماء فهو مسلم ولكن هذا خلاف ظاهر كلامه وان أراد انه يلزم أن يكون أفضل مطلقا فممنوع والجواب ان المراد هو الاول وسيجيء ما تصريحه به (قوله لانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها) لأنه تعالى يعلم حكمة خلق آدم وفيها من الخواص والحكم قبل خلقه لقوله انى أعلم ما لا تعلمون فان معناه ان في خلقه مصالح علمتها ولا تعلمون (قوله وأداء لحقه الخ) يدل على ان حق آدم ان تسجد له الملائكة وفيه خفاء لان الظاهر ان عليهم ان يجبروا ما صدر منهم في حقه وأما اعتبار خصوص السجود فلابد أن يكون فيه حكمة أخرى ويمكن أن يقال الامر بالسجود عتاب عليهم وازالة ما خطر في نفوسهم من كونهم أفضل منه فأمروا بالسجود الذي هو غاية التذلل جبرا لغاية جرأتهم في السؤال وغاية ظنهم على آدم (قوله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر كما ذكر) (قوله والاعطفه بما يقدر عاملا الخ) أي مع ما يقدر محوا فاطعوا (قوله والمأمور به اما المعنى الشرعي فالسجود له بالحقيقة هو الله تعالى) فيه ان السجود اذا كان بالمعنى الشرعي كان المعنى ضعوا الجبهة على قصد العبادة لآدم فيكون آدم مسجودا له بالحقيقة

العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص أو عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي أن يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله سبحانه وتعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والاتقرر قوله انك أنت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكلامهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وجعلوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم أفضل من هؤلاء الملائكة لانه أعلم منهم والاعلم أفضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وأنه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) لما أنبأهم بأسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا أمرهم بالسجود له اعترافا بفضله وأداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل أمرهم به قبل أن يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ففعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة بأسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر * ترى الاكم فيها سجدا للحوافر * وقال آخر * وقلن له اسجد لليلى فاسجدا * يعني البعير اذا طأطأ رأسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة لسجودهم

والجواب أن التقدير اسجدوا لله لآدم فيكون اللام الثانى للصلة أى مستقبلا لآدم كما قال المصنف فى قول حسان أو للتأقيت كما فى قوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس أى وقت دلوكها فيكون معنى الآية اسجدوا لله تعالى وقت خلق آدم (قوله ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من الدرجات) معناه بحسب الظاهر وصلة الى ظهور تفاوت درجات الملائكة فيما بينهم وهذا لا يظهر من الآية التى ذكرت الآن يقال المراد من تباين درجاتهم انتقالهم من درجة أدنى الى درجة أعلى (قوله كسجود اخوة يوسف) الظاهر أن سجود اخوة يوسف ليس مجرد تعظيم وتحية بل مع وضع الجبهة كما دل عليه قوله تعالى وخروا له سجدا (قوله أو التذلل أو الانقياد بالسعى فى تحصيل ما ينوط به معاشهم الخ) الضمير راجع الى آدم و بنيه المفهوم من ذكر آدم عليه الصلاة والسلام فان بعض الملائكة ملك الامطار و بعضهم ملك الارزاق وغير ذلك (قوله استكبارا من ان يتخذه وصلة الخ) هذه هى المعانى الثلاثة التى ذكرت للسجود وهى وضع الجبهة والتواضع لآدم تحية والتذلل والانقياد بالسعى فى تحصيل ما ينوط به معاشهم (قوله وان من الملائكة من ليس بمعصوم) عطف على قوله على ان آدم أفضل من الملائكة وهذا على تقدير كونه من الملائكة (قوله فلذلك صح عليه التغير الخ) أى لأجل أن ابليس من الجن عرض عليه ما ذكر واليه الاشارة بقوله تعالى كان من الجن فان فيه اشارة الى ان كونه من الجن سبب ما ذكر (قوله مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق واذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور) فيه أن ظاهر قوله فاذا صارت مهذبة مصفاة الخ يدل على انها اذا صارت مصفاة من الدخان صارت نورا وهو يدل على ان فرط الحرارة تابع لوجود الدخان و يرد عليه ان

نفخها شأنه أو سببا الوجود به فكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون نموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات بأسرها ونسخة لما فى العالم الروحانى والجسمانى وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات أمرهم بالسجود تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما أنعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام فى قول حسان رضى الله تعالى عنه

ألبس أول من صلى لقبلتكم * وأعرف الناس بالقرآن والسنن

أو فى قوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوى وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له أو التذلل والانقياد بالسعى فى تحصيل ما ينوط به معاشهم و يتم به كمالهم والكلام فى أن المأمورين بالسجود الملائكة كلهم أو طائفة منهم ما سبق (فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر) امتنع عما أمر به استكبارا من أن يتخذه وصلة فى عبادة ربه أو يعظمه و يتلقاه بالتحية أو يخدمه و يسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع (وكان من الكافرين) أى فى علم الله تعالى أو صار منهم باستصحابه أمر الله تعالى اياه بالسجود لآدم اعتقادا بأنه أفضل منه والافضل لا يحسن أن يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما أشعر به قوله أنا خير منه جوابا لقوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل على أن آدم عليه السلام أفضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وأن ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله أمرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله سبحانه وتعالى الا ابليس كان من الجن لجواز أن يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما روى أن من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولئن زعم أنهم لم يكن من الملائكة أن يقول انه كان جنيا نشأ بين أظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه أو الجن أيضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم أن الاكابر مأمورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم أن الاصاغر أيضا مأمورون به والضمير فى فسجدوا راجع الى القبيلين كأنه قال فسجد المأمورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما أن من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضرب من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط من محله كما أشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة رضى الله تعالى عنها أنه عليه الصلاة والسلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرنا فان المراد بنور الجوهر المضىء والنار كذلك غير أن ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت

الواقع انه كلما ازداد دخان النار قل حرها واذا صفيت من الدخان كانت أشد تسخينا واحراقا والقياس أيضا يقتضيه فان الدخان فيه جوهر هوائي والهواء ضعيف الحر فاليس فيه دخان كان شديد الحر ثم ان ظاهر الحديث المذكور يقتضي ان الجن مخلوق من غير النور بقرينة المقابلة مع الملائكة فتأمل (قوله ولا معهود غيرها) يرد عليه أن العهد يجب ان يكون بين المتكلم والمخاطب وليس من المعلوم أن الجنة المعهودة في زمان آدم حال الخطاب دار الثواب الآن بقال ان المعهود من الجنة في عرف أهل الشرائع والانبياء مطلقا دار الثواب والجواب ان المراد أن الجنة (١٤٢) معهودة بالنسبة اليهما ولا يلزم ان يكون قول الله تعالى لهما بهذه العبارة حتى

الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا أشبه بالصواب وأوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله سبحانه وتعالى ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الاتعاظ لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله تعالى من حاله انه يموت على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا أبي الحسن الاشعري رحمه الله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) السكنى من السكون لانها استقرار وليث وأنت تأكيد أكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما يخاطبهما أولا تنبيها على أنه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم أنها نخلة بعد قال انه بستان كان بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى أرض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا (وكلا منها رغدا) واسعا افاصفة مصدر محذوف (حيث شئتما) أي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين أشجارها الفائتة للحصر (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على أن القرب من الشئ يورث داعية وميلا يأخذ بمجامع القلب وبالهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشئ يعمي ويصم فينبغي أن لا يحوما حول ما حرم الله عليهما مخافة أن يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي أو بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلت للعطف على النهي أو الجواب له والشجرة هي الحنطة أو الكرمة أو التينة أو شجرة من أكل منها أحدث والاولى أن لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقر بالكسر اتباعا وهذي بالياء (فأزلهما الشيطان عنها) أصدر زلتهما عن الشجرة وجعلها على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن أمري أو أزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما ويعضده قراءة حمزة فأزالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان أزل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في أنه تمثل لهما فافقدها وهما بذلك أو ألقاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فالك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع أن يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم

يلزم أن تكون الجنة معهودة بالنسبة اليهما بل يمكن أن تكون بعبارة أخرى لكن عبر بما ذكر لهما بهذه العبارة في القرآن (قوله فيه مبالغات) لا يظهر مما ذكر الا مبالغتان النهي عن قرب الشجرة وجعله سببا لكونهما ظالمين والوجه الثالث التصريح بنسبة الظلم اليهما والاولى جعله سببا له لظالمين يحتمل كما ذكر فيهما مبالغتان والمبالغة الاخرى ما تقدم (قوله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة) قال العلامة التفتازاني فيه تغليب لانه أمر للغائب وهو الزوج بصيغة أسكن انتهى كلامه وهذا يدل على صيغة واحدة مستعملة في كلام واحد في المعنى الحقيقي والمجازي وفيه نظر لانه لا بد أن يكون مستعملا في المعنى الحقيقي لاستتار ضمير المخاطب فيه الذي هو المؤكد بأنت والحق ان

ههنا فعلا مقدرا وهي ليسكن والتقدير وليسكن زوجك الجنة وسيجيء فان قيل فعلى هذا ما فائدة لفظ أنت قلت الاهتمام بسكون آدم فانه الاصل كما فهم من اختصاص الخطاب به على ما ذكره المصنف (قوله وأزلهما عن الجنة) بمعنى أذهبهما فان قيل الاذهاب عن الجنة هو الاخراج فما وجه عطف قوله فأخرجهما على قوله فأزلهما فالمراد من الاخراج الاخراج من التلذذ والتنعم وهو غير الاخراج من الجنة وان كان لازما له واعلم أن الفاء في قوله تعالى فاخرجهما فاء السببية كالفاء في فأزلهما كذلك فان الاخراج من التلذذ والتنعم مسبب عن الاخراج عن الجنة كما ان الازلال مسبب عن نهي الله تعالى عن قرب الشجرة ويمكن أن يكون قوله تعالى

فازلهما عطفا على قوله قلنا (قوله أو من السماء) أى يكون المراد الهبوط من السماء حتى يشمل ابليس لانه أخرج عن الجنة قبل ذلك بسبب عدم السجود (قوله ببنى بعضكم على بعض بتضليله) أى يتظلم بعضكم على بعض بتضليل الشيطان ولولم يذكر هذه الجملة لكان مفهوم الكلام ظاهرا لصحة فان العداوة شاملة لكل منهما ولا بليس فان ابليس عدو آدم لكونه سببا بعدا بليس عن الرحمة والخروج عن الجنة وآدم عدو ابليس لانه أخرج آدم بوسوسته عن الجنة واهبط فى الدنيا لكنه ذكرها حتى يكون المراد التنادى بين الذرية لما سيجىء من قوله فمن تبع هداى حيث قسمهم الى المؤمنين والكافرين وبين بالكل من الفريقين من الجزاء كذا ذكره العلامة التفتازانى ويرد على هذا التوجيه ان تعادى الذرية ليس فى حال هبوط آدم فكيف يكون حالا منه الا أن يتكلف فيقال المراد الحكم بتعاديهم فى علم الله تعالى حال وجود هم ثم لا يخفى انه اذا كان المراد تعادى ذرية آدم كما فهم من كلام المصنف لا يلائم جعل ضمير اهبطوا شاملا لابليس اذ الملائم أن يكون المخاطبون هم المخاطبون فى اهبطوائم الظاهر ان الخطاب فى اهبطوا لهما ولابليس وكذا المراد من العداوة العداوة بينهم والخطاب فى قوله تعالى لكم لهم وأما الخطاب فى قوله فاما يأتينكم ان لم يصلح أن يكون خطابا لهم كما هذا بانا على ان يكون فى يأتينكم مضاف مقدر والتقدير اما يأتين ذريتكم ولا باعث على (١٤٣) جعل ضمير بعضكم عبارة عنهم (قوله موضع استقرار أو استقرار) يعنى اما أن يكون المستقر اسم المكان أو المصدر (قوله يريد به وقت الموت أو القيامة) لقائل أن يقول اما أن يراد بقوله تعالى لكم كل واحد من آدم وذريته أو مجموعهم وعلى التقديرين لا يصح جعل الحين على القيامة اذ ابليس لكل واحد استقرار ولا تمتع الى القيامة ولا للمجموع والجواب ان المراد من قوله ولكم لجنسكم فيصدق ان لجنس بنى آدم مستقرا فى الارض وتمتعا الى الموت وكذا الى

وحواء وقيل قام عند الباب فنادا هما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل فى فم الحية حتى دخلت به وقيل أرسل بعض أتباعه فازلهما والعلم عند الله سبحانه وتعالى (فأخرجهما مما كانا فيه) أى من الكرامة والنعيم (وقلنا اهبطوا) خطاب لآدم عليه الصلاة والسلام وحواء لقوله سبحانه وتعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما أصلا الجنس فكأنهما الانس كلهم أو هما وابليس أخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة أو دخلها مسارقة أو من السماء (بعضكم لبعض عدو) حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغى بعضكم على بعض بتضليله (ولكم فى الارض مستقر) موضع استقرار أو استقرار (ومتاع) تمتع (الى حين) يريد به وقت الموت أو القيامة (فتلقى آدم من ربه كلمات) استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته وهى قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا أنت ظلمت نفسى فاغفرلى انه لا يغفر الذنوب الا أنت وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال يارب ألم تخلقنى بيدك قال بلى قال يارب ألم تنفخ فى الروح من روحك قال بلى قال يارب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكنى جنتك قال بلى قال يارب ان تبت وأصلحت أراجعى أنت الى الجنة قال نعم وأصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة والحركة (فتاب عليه) رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقى الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على أن لا يعود اليه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القيامة واذا جعل الخطاب فى قوله تعالى اهبطوا لهما ولابليس يكون الحين بالنسبة اليهما الموت وبالنسبة اليه القيامة (قوله التأثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة) وفى بعض النسخ بالكلام والجراحة ويرد عليه انهما ليسا نفس التأثير وان كانا نفس التأثير لم يكونا مدركين بالحواس الظاهرة بل المدرك بحس البصر هو الكيفية المبصرة فى المجروح بسبب الجارح والمدرك بحس السمع هو اللفظ وهما ليسا تأثيرين وانما هما الحاصلان به وفى بعض النسخ بالكلام وحينئذ يرد ان الكلام الذى هو التأثير ليس مدركا باحدى الحاستين ويمكن أن يقال على تقدير النسخة الاولى أن المراد هو التأثير المدرك أثره والمراد من الكلام والجراحة المعنى المصدرى وهو التأثير وعلى تقدير الثانية يكون المراد من قوله التأثير المدرك باحدى الحاستين التأثير المدرك بسبب احداهما لا يعنى انهما بدركانه (قوله وهو الاعتراف بالذنب الخ) الاعتراف بالذنب ليس جزأ من التوبة مطلقا وانما اعتبره الفقهاء فى التوبة التى توجب عود الولايات وقبول الشهادات اذا كانت توبة من الذنب القولى ويحتمل أن يقال مراده من الاعتراف العلم والتصديق القلبى بصدور الذنب عنه فيكون عاملا لكل توبة وحاصل كلام الامام الغزالى فى الاحياء أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من أمور ثلاثة مرتبة علم وحال وفعل فالعلم أول والحال ثان والفعل ثالث أما العلم فهو معرفة ضرر الذنب وكونه حجابا بين العبد وبين

كل محبوب فاذا حصلت تلك المعرفة يتألم القلب بسبب فوات المحبوب فيسمى تألمه بسبب هذا الفعل المفوت للمحبوب ندما واذا غلب هذا الالم على القلب واستولى انبعث من هذا الالم فى القلب حالة تسمى ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال والماضى والاستقبال أما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذى كان ملابسا له وأما تعلقه بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب الى آخر العمر وأما بالماضى فبتلافى مافات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك فى الحال والاستقبال وتلافى الماضى ثلاثة معان مرتبة فى الحصول يطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما تطلق التوبة على معنى الندم وحده فان قلت كلامه يدل على ان حصول القصد الى الفعل له تعلق بالماضى والحال والمستقبل ولا بد أن يكون الفعل غير القصد فما هو قلنا الظاهر ان مقصوده ممن قوله وقصدا الى فعل الخ انه لا بد من قصد الى فعل هو مجموع الامور الثلاثة وهو الترك فى الحال والعزم على الترك فى الاستقبال وتلافى الماضى وهو كما ترى ليس جيدا اذ لو كان المراد ذلك لكان الانسب ذكر قوله تعالى ولكم فى الأرض الآية بعد ذكر الهبوط ثانيا (قوله احدهذين الامرين) الاول البلية والتعادى وعدم الخلود الثانى التكليف وكل منهما باعث على عدم مخالفة حكم الله أما الثانى فظاهر وأما الاول فلانه لما كان الهبوط الى دار بلية وجب عدم المخالفة لئلا يبلى (١٤٤) الله مخالف حكمه بالبلاء بل نقول أحد الامرين الاهباط على الوجه الأول والآخر

الاهباط على الوجه الثانى والاولى أن يقال مجرد الاهباط من الجنة (قوله ولذلك لا يستدعى الخ) أى لان لفظ جميعا تأكيد فى المعنى لا يستدعى اهباطهم جميعا اجتماعهم على الهبوط فى زمان واحد واذا كان جميعا حالا حقيقة يستدعى ذلك اجتماعهم فى زمان واحد لأن الحال بيان كيفية الفاعل أو المفعول وقت صدور الفعل فمعنى الكلام اهبطوا حال كونكم مجتمعين فلو لم يكن اجتماعهم فى زمان لما صح جعله حالا والحال أن تقول اذا لم يوجد معنى الحالية كيف يصح ان يجعل الرسل حالا لفظا والحال ان المعنى هو المقتضى للاعراب فاذا لم يكن فيه معنى الحالية كيف يعرب بالنصب على الحال فان قلت انه يفهم من قوله ان أجمعون فى قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون لا يفيد الاجتماع فى زمان واحد لكن قال صاحب الكشاف فى تفسيره سورة ص ان كلا لا احاطة وأجمعون للاجتماع قلنا قال العلامة التفتازانى ان ذلك بحسب أصل الوضع ودلالة الاشتقاق للاجتماع على كماله وهو الاجتماع فى زمان واحد لا مجرد الاجتماع فى الحكم فيحمل عليه اذا علمت تأكيد الشمول والاحاطة من لفظ آخر كما فى هذا الموضع بخلاف مثل جاءنى القوم أجمعون (قوله وهو كما ترى) أى ليس جيدا اذ لو كان المراد ذلك لكان أنسب ذكر قوله تعالى ولكم فى الارض الآية بعد ذكر الهبوط ثانيا (قوله ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون) أى لاجل التأكيد المذكور حسن الخ لما يقرر فى النحو من أنه تأكد الفعل فى الصورة المذكورة لئلا يلزم مزية الغير المقصود الذى هو الحرف على المقصود بالذات الذى هو الفعل (قوله لانه محتمل الخ) أى ان موضوعة فى الاصل للاستعمال فى المحتمل والهدى وان لم يكن كذلك لانه مجزوم الوقوع لكن مشترك الوقوع من حيث العقل أى العقل لم يستقل فى العلم بوقوعه بل لا بد من ان يستمع من النبى عليه السلام فاستعمل ان فى الآية مجازا

وا كتفى بذكر آدم لان حوّاء كانت تبعا له فى الحكم ولذلك طوى ذكر النساء فى أكثر القرآن والسنن (انه هو التوّاب) الرجاع على عباده بالمغفرة أو الذى يكثر اعانتهم على التوبة وأصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها البارى تعالى أريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة (الرحيم) المبالغ فى الرحمة وفى الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو (قلنا اهبطوا منها جميعا) كرر للتأكيد أو لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم فى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثانى أشعر بانهم أهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحدهذين الامرين وحدها كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله سبحانه وتعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسى ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن أراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثانى منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال فى اللفظ تأكيد فى المعنى كأنه قيل اهبطوا أنتم أجمعون ولذلك لا يستدعى اجتماعهم على الهبوط فى زمان واحد كقولك جاؤا جميعا (فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الشرط الثانى مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة أكدت به ان ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان يأتينكم منى هدى بازل أو رسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جاء بحرف الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لانه محتمل فى نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه أراد بالثانى أعم من الاول وهو ما أتى به

(قوله مراعيا مايشهد به العقل) يعنى ان ما نقل عن الشارع يعرض على العقل فان شهد به العقل قبل وكذا ان توقف فيه ولم يكن له سبيل الى اثباته ولا الى نفيه واما اذا شهد العقل الصريح بخلافه فيجب ان يؤول ما نقل عنه كما يؤول ما دل على التجسيم والتمكن أو يقال المراد من شهادة العقل شهادته بتصديق النبى صلى الله عليه وسلم لتحقق صدقه فى جميع ما قال فان ذلك معلوم بالعقل لا بالنقل وهذا الامر المعلوم بشهادة العقل أصل الاصول و يمكن ان يقال التكرير للتصريح بالاضافة التشريفية والاهتمام بشأن الهداية المنسوبة الى الله تعالى (قوله على آكد وجه وأبلغه) فالاول وهو عدم العقاب على آكد وجه يستفاد من عدم الخوف لانه نفى عنهم خوف العقاب فضلا عن ثبوته والثانى وهو الثواب يستفاد من عدم الحزن على فوات المحبوب لانه نفى عنهم الحزن على الفراق فيكون دليلا على عدم الفوات (قوله ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل) لا يخفى انه أراد بتميزها بالفصل ان يكون تميزا بفصل النبى عليه السلام فانه عليه السلام بين الآيات وفصل كلا منها

الرسل واقتضاه العقل أى فمن تبع ما أتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا عن أن يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب على آكد وجه وأبلغه وقرئ هدى على لغة هذيل ولا خوف بالفتح (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) عطف على فمن تبع الى آخره فسيم له كأنه قال ومن لم يتبع بل كفر وابالله وكذبوا بآياته أو كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية فى الاصل العلامة الظاهرة و يقال للصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من أى لانها تبين أيامن أى أمومن أوى اليه وأصلها أية أو أوية كتمرة فابدلت عينها ألفا على غير قياس أو أية أو أوية كرمكة فاعلت أو آئية كقائلة فحذف الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة أو مايعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من وجوه الاول ان آدم صلوات الله عليه كان نبيا وارتكب المنهى عنه والمرتكب له عاص والثانى انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعالى أسند اليه العصيان والغى فقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهى الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لو لا مغفرة الله تعالى اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجز عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعى مطالب بالبيان والثانى ان النهى للتنزيه وانما سمى ظالما وخاسرا لأنه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى لا وأما الاسناد الغى والعصيان اليه فسيأتى الجواب عنه فى موضعه ان شاء الله تعالى وانما أمر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله

عن غيرها فان العلماء صرحوا بان الآيات توقيفية (قوله لانها تبين أيامن أى) فيه خفاء و يحتمل ان يكون المراد انه تبين بعضها من بعض فان أيا يدل على البعض وكل آية تميز ما هى آية له عن غيره والآيات القرآنية فصلت بعضها من القرآن من بعض (قوله والمراد بآياتنا الآيات المنزلة أو مايعمها والمعقولة) تكذيب الآيات المنزلة بان يقال ان مقتضاها من الاخبار غير صحيح أو انها ليست من عند الله وتكذيب الآيات المعقولة ان يقال انها لا تدل على صانع متوحد جامع لصفات

الكمال لا شريك له وكان الآيات المنزلة ناطقة بانها من عند الله وكذا الآيات المعقولة تنطق بان لنا موجدا موصوفا بما ذكر فانكار كونها آية الله أو كون موجدها موصوفا بما ذكر انكار لما نطقت به الآيات فلذا تعاق بها التكذيب (قوله الاول انه لم يكن نبيا حينئذ الخ) فيه انه خاطبه تعالى بقوله وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة الآية وهذا الخطاب كان قبل صدور هذه القصة وقد صرح بعضهم بان من خاطبه تعالى بمثل هذا النداء لا يكون الا نبيا ولذا استدل على نبوة ذى القرنين بقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين كذا قاله النيسابورى الا ان يمنع ان نحو هذا الخطاب لا يكون الا مع النبى حال الخطاب (قوله ثلاثيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى) ان كان قوله جرى معطوفا على قوله فات لزم ان يكون ما جرى زائدا وان كان جملة معطوفة على قوله وانما أمر بالتوبة لم يكن لقوله وفاء بما قاله للملائكة وجه ظاهر لان ما جرى عليه معاتبته هو الاخراج عن الجنة وليس ذلك وفاء بما قاله الله تعالى للملائكة والجواب ان اخراجه من الجنة وهبوطه الى الارض سبب للخلافة فى الارض فيكون الاخراج بسبب اظهار ما قاله للملائكة وتقريره

(قوله ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء الخ) فان قيل عدم الحط عن الانبياء يدل على مؤاخذتهم به وهو يدل على انه معصية قلنا عدم الحط ههنا عبارة عن الابتلاء فى الدنيا وهو لا يوجب كون ماذكر معصية بل المعصية هى ما تكون منشأ للعقوبة الأخروية (قوله أو أدى الخ) عطف على عوتب أى انه فعله ناسيا لكنه أدى فعله الخ (قوله على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة الخ) يعنى ان الله تعالى قدر أن يكون أكل الشجرة سببا لما وقع على آدم لا أن الله تعالى قهره عليه وآخذه كمن تناول السم وهلك فان هلاكه قدر بسبب السم وأقول فيه بحث لا تحقيقه له فان كل معصية كذلك فانها سبب للعقوبة بطريق السببية المقدرة فلا تكون مؤاخذة واما تشبيهه بتناول السم على الجاهل بشأنه فليس كما ينبغى لان الجاهل بشأن السم لا يعلم انه ممنوع عنه بخلاف ما وقع من آدم فانه عالم به وان قيل بوقوعه عنه ناسيا رجع الى ما ذكر قبل هذا والجواب عن الاول انه لا يلزم مما ذكر أن تكون كل معصية كذلك أى لا تكون العقوبة عليها مؤاخذة لم لا يجوز ان تكون المعصية مفضية الى العقوبة الاخروية بطريق السببية المقدرة وبطريق

المؤاخذة أيضا توضيحه ان كل غير ملائم ترتب على شئ آخر فترتبه عليه بطريق السببية المقدرة لكن يمكن ان يكون الترتب المذكور بطريق المؤاخذة أيضا ويمكن ان لا يكون لها بل لمجرد السببية المذكورة والجواب عن الثانى ما مر من ان قوله ادى الخ معطوف على قوله عوتب فيكون من جملة صورة النسيان ومغايرته لما ذكر سابقا هى أن وقوع ما جرى ليس على طريق المعاتبة وما سبق هو ان وقوعه لاجلها (قوله لا يقال انه باطل الخ) أى لا يقال ان القول بان صدور الاكل من الشجرة عن آدم بالنسيان باطل وانما دل ما ذكر على بطلانه لان المذكور رد على ان الاكل بسبب أبو وسوسة الشيطان ولا يكون بالنسيان ومحصل الجواب المذكور انه لا منافاة بين ان يكون الاكل المذكور بالوسوسة وبالنسيان معا بان وسوس أولا بما ذكر ثم نسى آدم النهى لحمله الميل الذى حصل بسبب ما قاله الشيطان أولا على الاكل (قوله وان عذاب النار دائم) فيه ان ظاهره انه معطوف على ما تقدم من قوله ان الجنة مخلوقة وما يتصل به ولك ان تقول ضمير فيها فى قوله وفيها ان كان راجعا الى قصة آدم وهو الظاهر فلا نسلم ان فيها دلالة على دوام عذاب النار وان كان راجعا الى الآية وهو قوله والذين كفروا الآية فلا ارتباط لها بما قاله من ان الجنة مخلوقة وانها فى جهة عالية وان التوبة مقبولة ويمكن ان يقال ان هذه الآية داخلة فى قصة آدم ثم انه صرح فى شرح المواقف بان الاولى ان يحمل الخلود حقيقة فى المكث الطويل سواء كان معه دوام أو لا احترازا عن لزوم المجاز أو الاشتراك وعلى هذا فلا دلالة فى الآية على ان عذاب النار دائم (قوله بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون) لك ان تقول هذا الحصر ممنوع وانما يكون كذلك لو كان هم ضمير الفصل وليس كذلك اذ من شرط ضمير الفصل ان يكون الخبر محلى باللام بل هو

ناسيا لقوله سبحانه وتعالى فنسى ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن أسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه الصلاة والسلام أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وأدى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة على تناوله كتناول السم على الجاهل بشأنه لا يقال انه باطل لقوله تعالى مانعا كفار مكة وقاسمهما الآيتين لانه ليس فيهما ما يدل على ان تناوله حين ما قال له ابليس فاعل مقاله أو ورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى أن نسى ذلك وزال المانع لحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام أقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه فانه ظن أن النهى للتنزيه أو الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روى انه عليه الصلاة والسلام أخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرام على ذكور أمتى حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تفظيعا لشأن الخطيئة ليجتنبها أولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها فى جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان عذاب النار دائم وأن الكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها بتعداد النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت فى الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيأ منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان وأصوله وما هو أعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب أهل العلم والكتاب منهم وأمرهم أن يذكروا نعم الله تعالى عليهم ويوفوا بعهده فى اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا أول من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه فقال (يابنى اسرائيل) أى أولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى أبيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال

جملة مستقلة والجواب ان هذا على قول من حكم بان مثل هذا التركيب مفيد للحصر (قوله أى بالتفكر فيها والقيام بشكرها) أى اذكروا اذكرا ملتبسا بالتفكر أو اذكروا ملتبسين بالتفكر ويحتمل انه أراد تفسير الذكر بالتفكر (قوله وتقييد النعمة بهم الى قوله جهلة الغيرة والحسد على الكفران) فيه انه قد يكون موجبا للطاعة حتى يفوز بمثل النعمة الحاصلة للغير فانه اذا أعطى سلطان لواحد شيأ وعلم غيره بذلك خدم السلطان وأطاعه ليفوز بعطاء السلطان والجواب ان يقال النعمة على واحد تكون سببا لسخط الغير باطنا وكونه على خلاف ذلك قليل ثم ان الغالب ان الشكر لا يكون بالنعمة الواصلة الى الغير وانما يكون بالنعمة الحاصلة للشاكر فلهذا وقع التقييد المذكور (قوله فاول مراتب الوفاء هو الاتيان بكلمتى الشهادة) فيه نظر فان كلتى الشهادة ليستا أول مراتب الوفاء بالايمان كيف والوفاء لا يحصل بذلك أصلا اذ لا يحصل بمجرد كلتى الشهادة بل الاتيان بهما من مقدمات الايمان وكذا قوله من الله تعالى حقن الدماء اذ حقن الدماء ليس من جملة الثواب فان الثواب هو (١٤٧) العوض الاخروى وقد فسر العهد بالاتابة الا

أبو العرب وبنت الفكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرابيل بقلب الهمزة ياء (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) أى بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما أنعم الله على غيره جهله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما أنعم الله به عليه جهله حب النعمة على الرضى والشكر وقيل أراد بها ما أنعم الله به على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا والأصل اذكروا نعمتى باسكان الياء وقفا واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ماقبلها (وأوفوا بعهدى) بالايمان والطاعة (أوف بعهدكم) بحسن الاثابة والمهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الأول مضاف الى الفاعل والثانى الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فأول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتى الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أوفوا بعهدى فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم أوف بعهدكم فى رفع الآصار والأغلال وعن غيره أوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر أوف بالمغفرة والثواب أوافوا بالاستقامة على الطريق المستقيم أوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول أى والمعنى اوفوا بما عاهدتمونى من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين فى سورة المائدة فى قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل الى قوله ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار وقرئ أوف بالتشديد للمبالغة (وايای فارهبون) فيما تأتون وتذرون وخصوصا فى نقض العهد وهو أكد

ان يعم الثواب ٧ ويمكن ان يقال الايمان يعم الايمان ظاهرا وباطنا والتلفظ بكلمتى الشهادة الايمان الظاهرى (قوله وآخرها منا الاستغراق) هذا اذا كان الاستغراق المذكور بالاختيار (قوله بحيث يغفل عن نفسه) أى بحيث يغفل المستغرق عن نفسه (قوله وماروى عن ابن عباس رضى الله عنه) الى قوله فبالنظر الى الوسائط اما القول الاول فلان اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليس أول مراتب الوفاء بل الاول الاتيان بكلمتى الشهادة على ماذكره ورفع الآصار أى التكاليف الشاقة ليس أول مراتب الثواب وانما

الاول ماذكر وهو حقن الدم والمال على ماذكره واما القول الثانى فلان أداء الفرائض وترك الكبائر ليس بأول مراتب الايمان والعمل الصالح وانما الاول هو الاتيان بكلمتى الشهادتين واما القول الثالث فكونه من وسائط المراتب فيه نظر لان الاستقامة على الطريق المستقيم فى كل شئ لعلها نهاية المراتب والجواب انها أى الاستقامة عبارة عن العمل بما اقتضاه الشرع فى كل أمر صدر عن العبد وآخر المراتب الاستغراق فى بحر التوحيد لكن النعيم المقيم يمكن حمله على الفوز باللقاء الدائم فيكون آخر مراتب الوفاء كما ذكره المصنف ويمكن حمله على غيره فيكون من الوسائط فالجزم بانه من الوسائط فيه ما فيه (قوله وتفصيل العهدين فى قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل الخ) هذه الآية تشعر بان بنى اسرائيل هو فاعل العهد الاول والله تعالى أخذ عهدهم ويكون فاعل العهد الآخر وهو تكفير السيآت والادخال فى الجنات هو الله تعالى واعلم ان ما ضعفه بقيل هو الوجه اذ الظاهر ان الموفى هو الفاعل للعهد اذ لا معنى لايفاء الشخص بعهد غيره فيكون قوله عهدى فى قوله تعالى أوفوا بعهدى مضافا الى المفعول كما أن عهدكم مضاف الى المفعول أيضا كما قاله صاحب الكشاف واستحسنه العلامة التفتازانى وزيف غيره فورد

الاشكال على المصنف وهو انه قال ان الاضافة فى عهدى اضافة الى الفاعل والاضافة فى عهدكم الى المفعول وهو خلاف الظاهر وتصحيحه يحتاج الى التكلف وصرف العبارة عن الظاهر (قوله لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول) فيه انه يجوز ان يكون الاصل ارهبونى فارهبونى فحذف الفعل الاول فلما انفصل المفعول صار فاياى وحينئذ لا يكون هناك تقديم المفعول ويمكن الجواب بان فى الاحتمال المذكور ركنا فما والاولى ان يكون اياى ارهبوا فارهبون لكن قال العلامة التفتازانى لو لم يقدر الفعل مؤخرا لزم فى الكلام تغيير آخر وهو جعل الضمير المتصل منفصلا وهذا مع انه معارض بان الاصل تقديم العامل لا يطرد فى مثل زيدا فارهبوه والله فاعبدوه ونحو ذلك من الاسماء الظاهرة (قوله كانه قيل ان كنتم راهبين شيأ فارهبون) ففيه اشعار بان المستحق للرهبة هو الله تعالى لا غير وهذا ماذهب اليه صاحب الكشاف وقال صاحب المفتاح ان الفاء للعطف ومعناه اياى ارهبوا رهبة فارهبوا بعدها رهبة أخرى وما اختاره صاحب الكشاف أولى من حيث المعنى لانه دال على دوام الرهبة من الله تعالى لان الانسان يرهب فى الغالب عن شئ وقد يعاق الرهبة من الله تعالى بتطلق الرهبة فيفيد الرهبة من الله تعالى فى كل زمان بخلاف ما قاله صاحب المفتاح لانه يدل على تكرار الرهبة (١٤٨) ولا يلزم منه دوامها لكن جعل الفاء للجزاء مستلزم لزحلقة الفاء عن موضعه لانه فى تقدير اياى فارهبوا ارهبون فحذف الفعل الاول وأدخل الفاء على الفعل الثانى لانه لما جعلت تلك الفاء جزائية يجب ان تكون داخلة فى الاصل على ارهبوا المحذوف لانه هو الجزاء والثانى مفسره (قوله وفيما يخالفها الخ) عطف على فى القصص ومايتلوه ومطابقته لها فيما يخالفها من الاحكام من الحيثية التى ذكرت وهى ان كل واحدة منهما حق بالاضافة الى زمانها (قوله تنبيه الخ) خبر قوله وتقييد المنزل الخ أى وتقييد المنزل الخ تنبيه (قوله بل يوجبه) لانها دالة على حقيقته و وجوب الايمان به (قوله ولذلك عرض) أى من لاجل انها توجب الايمان عرض بوجوب الايمان به بقوله تعالى ولا تكونوا أول كافر به أى أرشد الى وجوب الايمان به بطريق التعريض لان فيه مبالغة كما سيجيء (قوله ولانهم كانوا أهل النظر الخ) عطف على قوله لذلك والمعنى عرض لذلك ولكونهم الخ (قوله لا يكن كل واحد منكم أول كافر به) يرد عليه انه رفع للايجاب الكلى لكن المطلوب هنا السلب الكلى وأجاب عنه العلامة التفتازانى بانه لتعميم النفى وادخال كل بعد اعتبار النفى أقول يعنى ان أصله لا يكن واحد منكم حتى يعم النفى ثم أدخل عليه كل وفيه نظر لانه اذا كان الاصل ماذكر وهو يفيد عموم السلب الذى هو المقصود فما وجه ادخال كلمة كل وعلى تقدير ان يكون الاصل ماذكر فاذا دخل لفظ كل يجب أن يتغير المعنى لانه حينئذ كلمة النفى داخلة على الكل والاولى أن يقال ان المراد منه عموم السلب بالقرينة كقوله تعالى ولله لا يحب كل مختال فخور فان قيل لا وجه لكون كل واحد منهم أول كافر به ولا لكون كل منهم أول مؤمن به لان أولية واحد منهم تنافى أولية الآخر قلت ليس المراد بالاولية الحقيقية بل الاضافية والمعنى ليكن كل واحد أول من آمن به وتكون الاولية بالاضافة الى المشركين أى ليكن كل منكم أقدم فى الايمان به من المشركين (قوله قلت المراد التعريض) فيه نظر فان

فى افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيأ فارهبون والرهبة خوف مع تحرز والآية متضمنة للموعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغى ان لا يخاف أحدا الا الله تعالى (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها أو مطابق لها فى القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار فى المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم فى أيام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى تنبيه على ان اتباعها لا ينافى الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله (ولا تكونوا أول كافر به) بان الواجب ان يكونوا أول من آمن به ولانهم كانوا أهل النظر فى معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه وأول كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير أول فريق أو فوج أو بتأويل لا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم فى الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك أما أنا فلست بجاهل أو ولا تكونوا أول كافر به من أهل الكتاب أو ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه أو مثل

التعريض من أقسام الكناية كما قال السكاكي الكناية تتفاوت الى تعريض وتلويح ورمز وغيره والكناية يمكن أن يراد بها المعنى الاصلي الموضوع له لكن المعنى الاصلي لايناسب ههنا كما فهم من كلامه وكلام صاحب الكشاف والجواب أن مراده ان التعريض قد يكون من أقسام الكناية ولا يلزم أن تكون الكناية اذ قد يكون مجازا كما صرح به السكاكي أيضا حيث قال والتعريض قد يكون مجازا والمقصود ان الواجب أن يكونوا أوّل مؤمن به كما ذكر (قوله مشتملة على ماهو كالمبادي) فان ذكر النعمة يصلح أن يترتب عليه عدم الايمان بما أنزل والوفاء بالعهد صالح لان يترتب عليه عدم الكفر والاشراك المذكور وانما قال كالمبادي لان ذكر النعمة لايوجب الايمان بما أنزل الله (قوله أمرهم بالتقوى التي هي منتهاه) يعني منتهى السلوك فيه بحث اذ ليست التقوى مطلقا منتهى السلوك بل منتهاه منتهى المراتب الثلاث للتقوى كما مر في تفصيل هدى للمتقين الا أن يكون المراد أمرهم بالتقوى التي هي منتهى مراتب التقوى فيكون منتهى الشئ بعض مراتبه والقرينة على ذلك أنه قال أولا فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى فيكون المنتهى منتهى التقوى وحق العبارة أن يقال أمرهم بالتقوى التي هي المنتهى والمقصود (١٤٩) من المقدمة (قوله والمعنى لايخلطوا الحق بالباطل) هذا على تقدير أن تكون الباء باء الصلة كما يقال خلطت الشئ بالشئ وقوله أولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الخ ناظر الى جعل الباء للسببية (قوله على ان الواو للجمع) هذا أدخل في التفريع فان النهي عن الجمع بين أمرين كل منهما قبيح أشد من النهي عن كل منهما لان الاول دال صريحا على أن المخاطب جمع بين القبيحين بخلاف الثاني فان كلا من النهيين لا يدل على ذلك وانما علم ذلك من مجموع النهيين ضمنا (قوله وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق) فان قيل اللبس بالباطل اشتغال به وهو مستقبح مطلقا وبواسطة كتمان الحق زاد استقباحه لا أن استقباحه منحصر في الكتمان قلنا الاشتغال بالباطل مستقبح نظرا الى ذاته لكن الاستقباح الناشئ من خصوص لبس الحق بالباطل انما هو لاجل الكتمان والاولى أن يقال ان الاشتغال بالباطل مستلزم لكتمان الحق لان الاشتغال مستلزم لكتمان نقيضه والحق نقيض الباطل واعلم أن الاشعار المذكور انما هو على تقدير أن تكون الواو للجمع أو على قراءة يكتمون وأما اذا كان قوله تعالى ويكتمون الحق معطوفا على تلبيس فلا اشعار فيه لان هذا نهي آخر (قوله عالمين بانكم لابسون كاتمون الخ) فان قيل الاولى أن يقال عالمين بأنكم لابسون كاتمون وبقبحهما أي قبح اللبس والكتمان قلنا العلم بالقبح لازم للعلم بهما كما لايخفى (قوله قد يعذر) أي في قليل بل نقول قالت الاشاعرة من نشأ على شاهق جبل ولم تبلغه دعوة نبي أصلا فانه معذور في ترك الاعمال والايمان أيضا كذا في شرح المواقف (قوله يعني صلاة المسلمين) ان قيل صلاة المسلمين مختلف في أركانها وشرائطها فما المأمور به الواجب قلنا الواجب المأمور به صلاة مشتملة على أركان اتفقوا على وجوبها فانهم اتفقوا على وجوب صلاة مشتملة على النية والقيام والقراءة والركوع والسجود وغير ذلك وقس على ماذكر الزكاة

من كفر من مشركي مكة وأول أفعل لافعل له وقيل أصله أوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي أو أأول من آل فقلبت همزته واوا وأدغمت (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى مايفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه (واياي فاتقون) بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ماهو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد أمرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص أهل العلم أمرهم بالتقوى التي هي منتهاه (ولا تلبسوا الحق بالباطل) عطف على ماقبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشئ مشتبها بغيره والمعنى لاتخلطوا الحق المنزل عليكم بالباطل الذي تخترعونه وتكتمونه حتى لايميز بينهما أو ولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله أو تذكرونه في تاويله (وتكتموا الحق) جزم داخل تحت حكم النهي كانهم أمروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه أو نصب باضمار أن على ان الواو للجمع بمعنى مع أي لاتجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده أنه في مصحف ابن مسعود وتكتمون أي وأنتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق (وأنتم تعلمون) عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه أقبح اذ الجاهل قد يعذر (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) يعني صلاة المسلمين وزكاتهم فان

(قوله وعبر عن الصلاة بالركوع الخ) فان التعبير عنها به بسبب اشتمالها عليه فيكون فيه احتراز عن الصلاة التي لا ركوع فيها كما هو شعار اليهود (قوله أي في جماعتهم الخ) ظاهر هذه الآية يدل على وجوب الجماعة وفيه خلاف بين الشافعية والاصح ان الجماعة في الجمعة فرض عين وفي غيرها فرض كفاية بحيث يظهر الشعار والتعليل الذي ذكره المصنف يدل على كونها سنة فيكون بعض الامور المذكورة للوجوب وبعضها للاستحباب وهو خلاف الظاهر ولا حاجة اليه كما قلنا (قوله تقرير مع توبيخ وتعجيب) قال العلامة التفتازاني التقرير عندهم يقال للحمل على الاقرار وللتحقيق والتثبيت وكلاهما يناسب ههنا وفي قوله تعالى أأنت قلت تقرير بالمعنى الاول أي يقر بانه لم يقل ذلك وفي قوله تعالى هل ثوب الكفار بالمعنى الثاني أقول فيه نظر فانه قد صرح في المطول بان التقرير بالمعنى الاول وهو الحمل على الاقرار أي حمل المخاطب على الاقرار بما يلي الهمزة كما تقول أضربت زيدا اذا أردت أن تحمله على الاقرار بالفعل وأنت ضربت في تقريره بالفاعل (١٥٠) ومما جعل الهمزة فيه للتقرير بالفاعل قوله تعالى حكاية أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم واذا كان كذلك كان التقرير في قوله أأنت قلت الحمل على الاقرار بالقول لا أن يقر بانه لم يقل ذلك نعم لو قيل معنى التقرير حمل المخاطب على الاقرار بثبوت ما يلي الهمزة أو نفيه أو على الاقرار بان الفاعل فعله أو بأنه لم يفعله لكان صحيحا والظاهر ان هذا مراده بقوله الاقرار بما يلي الهمزة وكذا في قوله في تقريره بالفاعل ثم ان التوبيخ ظاهر وأما التعجيب ففيه خفاء لان المخاطبين عارفون بحالهم وانهم يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم فكيف يحصل لهم التعجب عن ذلك الا أن يراد تعجيب غيرهم من السامعين بحالهم (قوله من البر) الاولى أن يعكس ويقال البر بالفتح من البر بالكسر حتى يكون المشتق مأخوذا من المصدر قال صاحب الكشاف البر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته (قوله يتناول كل خير) أي يطلق على كل خير لان المراد ههنا كل خير (قوله فان فعله فعل الجاهل بالشرع أو الاحمق الخالي عن العقل) الظاهر أن يقال ان فعله فعل الاحمق الخالي عن العقل فان من له أدنى عقل يعلم قبح ذلك ولذا قال الله تعالى أفلا تعقلون ووقع في الكشاف فانكم مسلوبو العقل لان العقول تأباه وتدفعه ولا يتوهم من هذا القول بالقبح العقلي لان هذا القبح هو ما يوجب تنفر الطباع السليمة عنه والقبح الشرعي ما يوجب ترتب العقاب في الآخرة وهما متغايران (قوله فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته) يقال فلان شديد الشكيمة اذا كان شديد النفس ومحصوله ان قوة نفسه تأبى عن الفعل المذكور (قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة) انما قدم ذكر الصبر لان الصبر مقدمة الصلاة فان من لا صبر له لا يقدر على امساك النفس عن الملاهي والعبث حتى يشتغل بالصلاة (قوله متصل بما قبله الخ) يدل على أن المخاطب

غيرهما كالصلاة ولا زكاة أمرهم بفروع الاسلام بعدما أمرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكاة من زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم أو من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل (واركعوا مع الراكعين) أي في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي

لا تذل الضعيف علك ان تر * كع يوما والدهر قد رفعه

41 (أتأمرون الناس بالبر) تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب (وتنسون أنفسكم) وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في أحبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون (وأنتم تتلون الكتاب) تبكيت كقوله وأنتم تعلمون أي تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل (أفلا تعقلون) قبح صنيعكم فيصدكم عنه أو أفلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والآية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ بنفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع أو الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم فيقيم غيره لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المأمور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر

42 (واستعينوا بالصبر والصلاة) متصل بما قبله كانهم لما أمروا بما يشق عليهم لما فيه من الكلفة وترك

بقوله استعينوا بنو اسرائيل لا المسلمون للزوم تفكيك النظم لان ماتقدم على الآية وماتأخر منها خطاب لبنى اسرائيل (قوله عن الاطيبين) هما الأكل والجماع (قوله أو يتيقنون انهم يحشرون) يعنى اذا فسر الملاقاة بالرؤية ونيل الثواب كان الظن بمعنى التوقع الذى هو تابع لمعناه الحقيقى لأن هذا ليس أمرا قطعيا وأما اذا كان المراد من الملاقاة الحشر والجزاء يجب أن يكون المراد من الظن العلم لأنه أمر متيقن (قوله وكأن الظن لما شابه العلم فى الرجحان أطلق عليه لتضمن معنى التوقع) أقول مراده مما ذكر أن استعمال الظن فى العلم يدل على التوقع لانه يناسب الظن بحسب معناه (١٥١) الاصلى اذ التوقع لا يستعمل فيما هو معلوم وفيه ان الرجوع اذا كان بمعنى الحشر لا يكون لتضمين التوقع وجه فالوجه أن يقال اذا كان الظن بمعنى العلم فتضمين التوقع باعتبار أن يكون الرجوع واللقاء بمعنى نيل ما عند الله ورؤيته واذا ضمن معنى التوقع كان معنى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم الذين يعلمون أى الذين يكونون من العلماء حال كونهم متوقعين اللقاء والاولى أن يقال التعبير عن العلم بالظن للايماء الى ان هذا العلم ليس بالغا المرتبة القصوى اذ ليس الخبر كالمعاينة (قوله مما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها) هذان الكلامان كالمتنافيين لان الأول يدل على كون الاعمال شاقة على نفوسهم والثانى يدل على كونه غير شاقه عليهم لان ما يستلذ ليس بشاق الا أن يقال ان الاعمال شاقة من وجه

وترك الرياسة والاعراض عن المال عوجلوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله أو بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلاة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روى أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ويجوز ان يراد بها الدعاء (وانها) أى وان الاستعانة بهما أو الصلاة وتخصيصها بالذكر الضمير اليها لعظم شأنها واستجماعها صاغر وا من الصبر أو جملة ما أمروا بها ونهوا عنها (لكبيرة) لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه (الا على الخاشعين) أى المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون) أى يتوقعون لقاء الله تعالى ونيل ما عنده أو يتيقنون أنهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود يعلمون وكأن الظن لما شابه العلم فى الرجحان أطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال أوس بن حجر شعر

فارسلته مستيقن الظن انه * مخالط ما بين الشراسيف جائف

وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها مما توقعة فى مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثمة قال عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عينى فى الصلاة (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) كرره للتأكيد وتذكير التفضيل الذى هو أجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تنخويفا لمن غفل عنها وأخل بحقوقها (وأنى فضلتكم) عطف على نعمتى (على العالمين) أى عالمى زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا فى عصره وموسى عليه الصلاة والسلام وبعده قبل أن يضربوا بما منحهم الله تعالى من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم أنبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف (واتقوا يوما) أى ما فيه من الحساب والعذاب (لا تجزى نفس عن نفس شيأ) لا تقضى عنها شيأ من الحقوق أو شيأ من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من أجزأ عنه اذا أغنى وعلى هذا تعين أن يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلى والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا تجزى فيه وممن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار وأجرى

مستلذة من وجه آخر (قوله وتذكير التفضيل الذى هو أجل النعم) لك أن تقول لا حاجة لتذكير التفضيل الى تكرير ذكر الانعام والاولى أن يقال كرره للتأكيد والاشعار بتفضيل التفضيل على سائر النعم لانه تخصيص بعد تعميم (قوله واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف) لأن الظاهر ان المراد تفضيلهم على معاصريهم من الناس (قوله ومن لم يجوز حذف العائد المجرور الخ) قال العلامة التفتازانى قال بعضهم قد يحذف العائد المجرور مع الجار كما فى هذه الآية واختلف النحويون فى هذا الحذف فقال الكسائى لا يجوز الا أن يكون قد حذف الجار أولا ثم العائد ثانيا وقال بعضهم لا يجوز الا أن يكون المحذوف جملة الجار والمجرور معا وقال أكثر أهل

العربية منهم سيبويه والاخفش يجوزالأمران والاقيس عندى ان الحرف قدحذف أولا فجعل الظرف مفعولا به كما قال الشاعر
ويوم شهدناه ثم حذف العائد انتهى فان قيل ليس فى المذاهب المنقولة المنع من حذف العائد المجرور وهو خلاف مافهم من كلام المصنف قلنا يمكن أن يقال مافهم من كلام المصنف هو مذهب الكسائى بان يقال من منع حذف العائد المجرور لم يمنعه حيثما كان مجرورا بل اذا أريد الحذف يجب (١٥٢) ان يحذف الجار ويتوسع فى المجرور ثم يحذف فيكون ماذكر بعد الاقوال

تفصيلا لمذهب الكسائى ويمكن أن يجعل ماذكر بعد الاقوال لمذهب البعض المذكور ويقال ماذكره المصنف مذهب ذلك البعض (قوله وعطف على نعمتى) فيكون التقدير اذكروا الحادث اذ نجيناكم لأن اذ كما قاله المصنف سابقا من الظروف أبدا فتأمل فان قيل قد ذكر سابقا أن اذ وضع لزمان نسبة ماضية ووقع فيه أخرى فأين النسبتان ههنا قلنا احداهما التى يتضمنها المقدر وهو الحادث اذ هو معنى الذى حدث والثانية التى يتضمنها نجيناكم (قوله سامه خسفا اذا أولاه ظلما) أى جعله وكلفه ظلما هكذا نقل عن شراح أبيات الكشاف وعلى هذا لا حاجة الى جعل يسومونكم بمعنى يبغونكم بل الاولى جعله بمعنى كانوهم وجعلوهم سوء العذاب وقال صاحب الكشاف يسومونكم من سامه خسفا وأصله من سام السلعة اذا طلبها كأنه بمعنى يبغونكم سوء العذاب انتهى والظاهر من كلام الكشاف ان يسومونكم بمعنى يولونكم ويحملونكم سوء العذاب كما قلنا لم يفهم منه انه يمكن جعل الكلام على يبغونكم نظرا الى المعنى الاصلى وقد غير المصنف عبارة الكشاف وشوشها كما ترى (قوله بسلوكم) يمكن أن يكون المضاف محذوفا أى بسبب ارادته اذ لوكان السلوك فيه نفسه سببا للفصل لزم تقدم الشئ على نفسه لأن السلوك فيه بسبب الفصل اذ لولم يفصل لم يتكن السلوك فيه فيكون السبب من قبيل السبب الغائى ولكن الظاهر ان مراده أن السلوك فى بعض البحر سبب لانفصال جميعه فعلى هذا تكون الباء شبيهة بباء الاستعانة وأما على

مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله أم مال أصابوا (ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل) أى من النفس الثانية العاصية أو من الاولى وكأنه أريد بالآية نفى أن يدفع العذاب أحد عن أحد من كل وجه محتمل فانه اما أن يكون قهرا أو غيره والاول النصرة والثانى اما أن يكون مجانا أو غيره والاول أن يشفع له والثانى اما باداء ما كان عليه وهو أن يجزى عنه أو بغيره وهو أن يعطى عنه عدلا والشفاعة من الشفع كأن المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل وأصله التسوية سمى به الفدية لانها سويت بالمفدى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ولا تقبل بالتاء (ولاهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله والضمير لما دات عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد أو الاناسى والنصر أخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر وأجيب بأنها مخصوصة بالكفار بالآيات والاحاديث الواردة فى الشفاعة ويؤيده أن الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان آباءهم تشفع لهم (واذ نجيناكم من آل فرعون) تفصيل لما أجمله فى قوله اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وعطف على نعمتى عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ أنجيتكم وأصل آل أهل لان تصغيره أهيل وخص بالاضافة الى أولى الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر للملك الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتجبر وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما أكثر من أربعمائة سنة (يسومونكم) يبغونكم من سامه خسفا اذا أولاه ظلما وأصل السوم الذهاب فى طلب الشئ (سوء العذاب) أفظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير فى نجيناكم أو من آل فرعون أو منهما جميعا لان فيها ضميرى كل واحد منهما (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) بيان ليسومونكم لذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى فى المنام أو قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكك فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيأ (وفى ذلكم بلاء) محنة ان أشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان أشير به الى الانجاء وأصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة أطلق عليهما و يجوز أن يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما (من ربكم) بتسليطهم عليكم أو ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم أو بهما (عظيم) صفة بلاء وفى الآية تنبيه على أن مايصيب العبد من خير أو شر اختبار من الله تعالى فعليه أن يشكر على مساره و يصبر على مضاره ليكون من خيرة المختبرين (واذ فرقنا بكم البحر) فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه

الاحتمال الثانى وهو ان يكون الفصل بسبب الانجاء فيكون للسببية الغائية كاللام ولا يحتمل أن يكون لغيرها (قوله تدوس بنا الجماجم والتريبا) الجماجم جمع الجمجمة وهى العجف والتريب عظام الصدر يصف خيلها بانها تعتاد المشى على القتلى لا تنفر منها (قوله مع ان ما تواتر من معجزاته الخ) فان قيل ظاهره يدل على ان كلها كذلك وفيه خفاء فان شق القمر مثلا ليس كذلك بل بدركه الاذكياء وغيرهم قلنا مراده من المتواتر ما يتبق من معجزاته وتواتر عندنا (١٥٣) وهو القرآن ولا يخفى أن ادراك الاعجاز يختص بالاذكياء وأما شق القمر وغيره فليس موجودا لان وانما ثابت وقوعه فى زمانه عليه الصلاة والسلام (قوله واخباره عليه الصلاة والسلام عنها من معجزاته) هذا سؤال وجواب فتأمل. ومحصول ماذكره ان بنى اسرائيل مع مشاهدة المعجزة الظاهرة الشاهدة الملجئة الى الايمان اتخذوا العجل وقالوا ما قالوا وأمة محمد صلى الله عليه وسلم الموجودون بعده آمنوا به مع انهم لم يشاهدوا معجزته ولم يدرك معجزته الباقية المتواترة الا الاذكياء منهم فلنا فضيلة كثيرة على بنى اسرائيل والحمد لله (قوله واذ وعدنا موسى أربعين ليلة) فيه اشكال وهو ان أربعين اما مفعول به أو مفعول فيه لا سبيل الى الاول لان مواعدة الزمان لا يرجع له ولا الى الثانى لأن المواعدة ليس فى أربعين ليلة بل قبلها وأجيب عنه بان المراد ملاقاة أربعين

فيه أو بسبب انجائكم أو ملتبسا بكم كقوله * تدوس بنا الجماجم والتريبا * وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط (فانجيناكم وأغرقنا آل فرعون) أراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان أولى به وقيل شخصه كما روى أن الحسن رضى الله تعالى عنه كان يقول اللهم صل على آل محمد أى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه (وأنتم تنظرون) ذلك أى غرقهم واطباق البحر عليهم أو انفلاق البحر عن طرق يابسة منذلة أو جثثهم التى قذفها البحر الى الساحل أو ينظر بعضكم بعضا روى أنه تعالى أمر موسى عليه السلام أن يسرى ببنى اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضرب به فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف أن يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فنظروا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم وأغرقهم أجمعين واعلم أن هذه الواقعة من أعظم ما أنعم الله به على بنى اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه الصلاة والسلام ثم انهم بعد ذلك اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل فى الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته أمور نظرية مثل القرآن والتحدى به والفضائل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم دقيقة تدركها الاذكياء وأخباره عليه الصلاة والسلام عنها، من جملة معجزاته على ما مر تقريره (واذ وعدنا موسى أربعين ليلة) لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعده الله موسى أن يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وعبر عنها بالليالى لانها غر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائى واعدنا لانه تعالى وعده الوحى ووعده موسى عليه السلام المجىء للميقات الى الطور (ثم اتخذتم العجل) الها أو معبودا (من بعده) من بعد موسى عليه السلام أو مضيه (وأنتم ظالمون) باشراككم (ثم عفونا عنكم) حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس (من بعد ذلك) أى الاتخاذ (لعلكم تشكرون) أى لكى تشكروا عفوه (واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) يعنى التوراة الجامع بين كونه كتابا منزلا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل أراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل فى الدعوى أو بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام أو النصر الذى فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا بالتدبر الكتاب والتفكر فى الآيات (واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم) فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم

(٢٠ - (بيضاوى) - اول)

ليلة أى ملاقاة ملائكة الوحى موسى وملاقاته وسى لهم أو لهذا لا يخفى عن خفاء والاظهر أن يقال واذ واعدنا موسى بالوحى وانزال التورية فالوعد من جانب الحق ماذكر ومن جانب موسى الانفراد عن أمته اربعين ليلة والاعتزال عنهم بمحض التوجه الى جانب الحق والتكلم منه بقرينة قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لاخيه هارون اخلفنى فى قومى الآيتين (قوله من بعد موسى أو مضيه) أراد ان الضمير اما راجع الى موسى وحينئذ يقدر مضاف وهو المضى واما راجع الى مضى موسى المفهوم من نحوى الكلام

(قوله خلوص الشئ عن غيره الخ) خلوص الشئ عن غيره انفصاله عنه والتفصي التخلص عن المضيق والبلية (قوله أوفتوبوا الخ) عطف على قوله فاعزموا على التوبة أي معنى فتوبوا اعزموا عليها فيكون مقدمة للتوبة الحقيقية أوتوبوا على المعنى الحقيق ويكون فاقتلوا متمما لها فتكون التوبة الندم والقتل (قوله والفاء الاولى للسبب والثانية للتعقيب) يحتمل أن يكون المراد التعقيب الذكري كقوله تعالى فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة قال في الكشاف الفاء الاولى للتسبب لا غير لان الظلم سبب التوبة يعني انها لمحض السببية كما قاله العلامة التفتازاني أقول المانع من كون الفاء للسببية مع العطف لزوم عطف الانشاء وهو قوله تعالى فتوبوا الى بارئكم على الاخبار وهو قوله انكم الخ (قوله وان من لم يعرف حق منعمه الخ) يرد عليه انه لم أمروا بالقتل في هذه الصورة دون (١٥٤) سائر الصور مع أن الصور التي حصل فيها عدم معرفة حق المنعم الحقيقي كثيرة

براءة من التفاوت وميزا بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة وأصل التركيب لخلوص الشئ عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه أو الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين أوفتوبوا (فاقتلوا أنفسكم) انما أمرتم بتسكم بالبخع أوقطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل أمروا أن يقتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتل العبدة روى ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر على المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين ألفا والفاء الاولى للتسبب والثانية للتعقيب (ذلكم خير لكم عند بارئكم) من حيث انه طهرة من الشرك وصولة الى الحياة الأبدية والبهجة السرمدية (فتاب عليكم) متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره ان فعلتم ما أمرتم به فقد تاب عليكم أو عطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الأمر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وأن من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك أمروا بالقتل وفك التركيب (انه هو التواب الرحيم) الذي يكثر توفيق التوبة أو قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك) أي لاجل قولك أو لن نقر لك (حتى نرى الله جهرة) عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية أو الحال من الفاعل أو المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة أو جمع جاهر كالكتبة فيكون حالا من الفاعل قطعا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به أن الله الذي أعطاك التوراة وكلمك أو انك نبي (فاخذتكم الصاعقة) لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة ولافراد

ويمكن ان يقال انهم وان استحقوا ذلك في كثير من الصور لكن الخبر الاسترداد بهذه الصورة وهي عبادة العجل لعظم الجريمة وقد يقال لما دعوا حياة باطلة للعجل وجعلوه الها معبودا بسببها عذبوا بابطال حياتهم (قوله أو حال من الفاعل أو المفعول) فعلى الاول كان المعنى حتى نرى الله مبصرين له جاهرا وعلى الثاني كان المعنى حتى نرى الله ظاهرا مبصرا (قوله على طريقه الالتفات) أي من الغيبة الى الخطاب فان من خوطب بقوله تعالى هم قوم موسى وهم قد ذكروا بطريق الغيبة في قوله تعالى واذ قال موسى لقومه فان قلت فلم ذكر قومه قبل هذا بطريق الخطاب مكررا في هذه الآية فكيف يكون فتاب عليكم التفاتا فالتفات ما وقع في هذه الآية بطريق الخطاب من هو من قول موسى فلا يقدح في كون ما وقع في كلام الله تعالى التفاتا (قوله لانها نوع من الرؤية) فانها على نوعين نوع منها بالعين ونوع آخر بالقلب (قوله وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى شبيه الاجسام الخ) فيه نظر اذ لم يعلم من الآية انهم طلبوا الرؤية المستحيلة المذكورة الآن بقال انهم لم تصل أفهامهم الى الانكشاف التام بلا كيفية ومواجهة بل قصر واله النظر على الرؤية في الجهة ويمكن ان يقال ان الرؤية بكل وجه محال عليهم في الدنيا لان تركيب أبدانهم يمتنع ان يطيق وذلك (قوله بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين ولافراد من الانبياء) فقوله وذلك اشارة اما الى وقوع الرؤية أو اشارة الى الامكان أو كونها واقعة لافراد من الانبياء غير ثابت وكذا امكانها للافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا اذ لقائل ان يقول من أين ثبت

الامكان لبعض الانبياء دون بعض وفى بعض الاحوال دون بعض ولم لا يجوز الامكان بالنسبة الى جميع الاحوال قال شارح المقاصد قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام تبت اليك وأنا أول المؤمنين معناه التوبة عن الجرأة والاقدام على السؤال بدون الاذن أوعن الرؤية فى الدنيا ومعنى الايمان التصديق بانه لا يرى فى الدنيا وان كانت ممكنة وما قال به بعض اسلفنا من وقوع الرؤية بالبصر ليلة المعراج فالجمهور على خلافه وقدر وى انه عليه السلام سئل هل رأيت ربك فقال نور انى أراه وقال القاضى عياض القول بانه صلى الله عليه وسلم رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص ولا أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم (قوله فانهم لم يدخلوا بيت المقدس الخ) ظاهر العبارة يدل على انه دليل تفسير الباب بباب القبة يعنى لما لم يدخلوا فى حياة موسى عليه السلام بيت المقدس فلا وجه لامرهم بالدخول فيه بل الامر وقع بدخول باب القبة التى كانت لهم وحينئذ يرد الاشكال على تفسير القرية ببيت المقدس لانه لما لم يدخلوا بيت المقدس فى حياته عليه السلام فما وجه أمرهم بالدخول فيها و يمكن ان (١٥٥) يقال انه علة لما قال أولا من ان المراد

من الانبياء فى بعض الاحوال فى الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخر واصعقين ميتين يوما وليلة (وأنتم تنظرون) ما أصابكم بنفسه أو أثره (ثم بعثناكم) من بعد موتكم) بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء أو نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم (لعلكم تشكرون) نعمة البعث أو ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة (وظللنا عليكم الغمام) سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا فى التيه (وأنزلنا عليكم المن والسلوى) الترنجبين والسمانى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السمانى وينزل بالليل ع ودنار يسيرون فى ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى (كلوا من طيبات ما رزقناكم) على ارادة القول (وما ظلمونا) فيه اختصار وأصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية) يعنى بيت المقدس وقيل أريحا أمروا به بعد التيه (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) واسعا ونصبه على المصدر أو الحال من الواو (وادخلوا الباب) أى باب القرية أو القبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه الصلاة والسلام (سجدا) متطامنين مخبتين أو ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه (وقولوا حطة) أى مسألتنا أو امرك حطة وهى فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة أو على انه مفعول قولوا أى قولوا هذه الكلمة وقيل معناه أمرنا حطة أى ان نحط فى هذه القرية ونقيم بها (نغفر لكم خطاياكم) بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطاياأصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه انه أبدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فأبدلت الثانية ياء ثم قلبت ألفا وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ماذكر (وسنزيد المحسنين) ثوابا جعل الامتثال توبة للمسىء وسبب زيادة الثواب للمحسن

لا مر بدخول القرية بعد خروجهم من التيه اذ هم لم يدخلوا فى حياة موسى عليه السلام فبهامع ان موسى عليه السلام مات هو وأخوه فى التيه كما نقل عن الاكثرين فى سورة المائدة يعنى لما لم يدخلوا القرية فى حياة موسى ناسب ان يفسر الامر بالامر بالدخول بعد الخروج من التيه لان الخروج من التيه بعد موسى بزمان قليل كما دل عليه القصة التى ذكرها فى تفسير سورة المائدة والاولى ان يقال ان لم يصح انهم دخلوا بيت المقدس فى حياة موسى يكون هذا الامر بالدخولين أى الدخول فى القرية والدخول فى الباب فى زمان يوشع وان صح انهم دخلوا فى القرية فى حياة موسى كان الامر فى حياته عليه السلام واعلم ان عبارة الكشاف ههنا هكذا القرية بيت المقدس وقيل أريحا من قرى الشام أمروا بدخولها بعد القبة والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التى يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه السلام هذا كلامه وهو لم يحمل عدم دخولهم فى حياة موسى بيت المقدس دليلا على ان المراد بالباب باب القبة لاباب القرية حتى يرد عليه ما ورد على المصنف من انه لو كان هذا دليلا على ما ذكر لزم ان لا يكون المراد من القرية بيت المقدس لانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه السلام بل قوله وهم لم يدخلوا بيت المقدس الخ كلام مستقل بحسب الظاهر وحينئذ نقول يحتمل انهم أمروا بالدخول فى حياة موسى عليه السلام ولم يدخلوا بل عصوا كما هو عادتهم ويحتمل انهم لم يؤمروا بالدخول فى حياته بل بعد موته فى زمان يوشع (قوله قرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول) الاظهر ما ذكره صاحب الكشاف وهو قوله وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء

(قوله ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله الخ) أى اشعارا بان المحسن بصدد زيادة الثواب وان لم يفعل ماذكر فكيف اذا فعله والمراد بما ذكر هو جملة ما أمر به قيل ووجه الاشعار انه لو كان فى صورة الجواب لم يحصل الجزم بزيادة ثواب المحسن بل هو معلق بما قبل لانه جزاء شرط مقدر على تقدير كونه جوابا للامر وأما الايهام بانه يفعل لاحالة فلان زيادة الثواب للمحسن تدل على انه يفعل ماذكر اذا لم يفعل لم يكن محسنا (١٥٦) (قوله متعلق بمحذوف تقديره الخ) هذه الفاء تسمى فاء الفصيحة عند الاكثرين

وأخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه تعالى يفعل لا محالة (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) بدلوا بما أمروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا (فانزلنا على الذين ظلموا) كرره مبالغة فى تقبيح أمرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه أو على أنفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتهم الى ما يوجب هلاكها (رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز فى الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روى انه مات به فى ساعة أربعة وعشرون ألفا (واذ استسقى موسى لقومه) لما عطشوا فى التيه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) اللام فيه للعهد على ما روى انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين تسيل كل عين فى جدول الى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا أو حجرا أهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فاعطاه لموسى مع العصا أو الحجر الذى فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل عليه السلام بحمله أو للجنس وهذا أظهر فى الحجة قيل لم يأمره بان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو أفضينا الى ارض لاحجارة بها حمل حجرا فى مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فيبيس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا فى ذراع والعصا عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت أو فضرب فانفجرت كما مر فى قوله تعالى فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه (قد علم كل أناس) كل سبط (مشربهم) عينهم التى يشربون منها (كلوا واشربوا) على تقدير القول (من رزق الله) يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت به (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب فى الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدى بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر عليه السلام الغلام وخرقه السفينة وبقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره فى عجائب صنعه فانه لما أمكن ان يكون من الاحجار ما ينحاق الشعر وينفرعن الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض أو لجذب الهواء من الجواب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك

قالوا وجه فصاحتها انباؤها عن ذلك المحذوف بحيث لو ذكر لم يكن بذلك الحسن لكن فى حذف كلمة قد بعض نقصان أقول يظهر منه ان التقدير الثانى من التقديرين المذكورين أولى لعدم اشتماله على النقصان ويمكن ايراد الفصاحة بعبارة أخرى هو افادة المعنى الكثير بعبارة قليلة (قوله كمقابلة الظالم المعتدى بفعله) فيه نظر لان هذا ليس باعتداء فان الاعتداء هو التجاوز عن الحد والذى أمر به الله بقوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى لا يكون تجاوزا عن الحد وانما سمى اعتداء مشاكلة وقتل الخضر الغلام لا يكون اعتداء حقيقة وانما هو بحسب الظاهر والاولى ان يقال التقييد لزيادة التقريع والتوبيخ أو يقال معناه لا تفسدوا افسادا معينا حال كونكم مفسدين افسادا آخر فيكون فيه دلالة على كثرة افسادهم وقال صاحب الكشاف ان المعنى أشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا فى الفساد فى حال افسادكم لانهم كانوا متمادين قال العلامة التفتازانى يعنى ورد الكلام نهيا لهم عما كانوا عليه والا فالفساد مستكر منهى عنه كيف كان (قوله لم يمتنع ان يخلق الله حجرا سخره لجذب الماء من تحت الارض الخ) فان قيل لو كان خاصيته ما ذكر لوجب ان لا ينفك عنه فكان يترتب عليه دائما كما ان الحجر الجاذب للحديد يجذب كلما القاه وكذا الحجر النافر من الخل ينفر عنه مادام باقيا فلا معنى لقوله لم يمتنع الخ أنه لم يمتنع أن يخلق الله حجرا يجذب الماء فى بعض الاوقات ولا يلزم ذلك دائما أيضا يجوز أن

واذ

يتحلف عنه لمانع وماذكره بعيد فى الغاية شبيه بكلمات الفلاسفة والاولى تركها والقول بأنه حصل الماء بخص القدرة الالهية (قوله أوضرب واحد) أى نوع واحد فان المن والسلوى وان كانا نوعين لكنهما باعتبار انهما طعام أهل التلذذ نوع واحد وهو معطوف على قوله لايختلف أى أراد بوحدته عدم الاختلاف بحسب الاوقات أوكونه نوعا واحدا (قوله الى عكرهم) بكسر العين الاصل يقال فلان عاد الى عكره أى أصل مذهبه (قوله تعالى أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هوخير) فان قيل مضمون قولهم لن نصبر على طعام واحد انهم لايكتفون على المن والسلوى وهذا لايستلزم اعراضهم عنهما مطلقا بل يحتمل أن يكونا مطلوبين كما ان النباتات أيضا مطلوبة فلا يلزم الاستبدال المذكور قلنا عدم الاكتفاء بهما يحتمل وجهين أحدهما أنا لانشتهيهما كل يوم بل نريد ان نأكلهما بعض الايام وفى بعض آخر نأكل شيأ آخر فقط وثانيهما أنا نريد ان لا نأكل كل يوم منهما ومن غيرهما وعلى كلا الوجهين يلزم الاستبدال اذ يلزم على كل تقدير أن يأكلوا مكانهما شيأ من البقول اما على الاول فظاهر واما على الثانى فلان كل غذائهم كان المن والسلوى فقط وهم يطلبون أن يبعض غذاؤهم فيكون بعض منه ماذكر والبعض الآخر البقول (قوله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة الخ) ليس مرجع الضمير اليهود الذين كانوا فى زمن موسى اذ هم لم يقتلوا النبيين بل المرجع مطلق اليهود وأما نسبة قتل النبيين اليهم فباعتبار ان بعضهم قتلوهم والبعض الآخر شأنهم ذلك فغلب الاول على الثانى

(واذقلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد) يريدون به مارزقوا فى التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لايختلف ولايتبدل كقولهم طعام مائدة الأمير واحد يريدون انه لاتتغير ألوانه ولذلك أجوا أوضرب واحد لانهما معا طعام أهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ماألفوه (فادع لنا ربك) سله لنا بدعائك اياه (يخرج لنا) يظهر ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة (مما تنبت الارض) من الاسناد المجازى واقامة المفعول مقام الفاعل ومن للتبعيض (من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ماأنبتته الارض من الخضر والمراد به أطايبه التى تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهولغة فيه (قال) أى الله أوموسى عليه السلام (أتستبدلون الذى هوأدنى) أقرب منزلة وأدون قدرا وأصل الدنو القرب فى المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ أدنأ من الدناءة (بالذى هوخير) يريد به المن والسلوى فانه خير فى اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعى (اهبطوا مصرا) انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم وأصله الحد بين الشيئين وقيل أراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه أوعلى تأويل البلد ويؤيده انه غير منون فى مصحف ابن مسعود وقيل أصله مصر ايم فعرب (فان لكم ماسألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة) أحيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه أو ألصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود فى غالب الامر أذلاء مساكين اما على الحقيقة أوعلى التكلف مخافة أن تضاعف جزيتهم (وباؤا بغضب من الله) رجعوا به أوصاروا أحقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به وأصل البوء المساواة (ذلك) اشارة الى ماسبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق) بسبب كفرهم بالمعجزات التى من جملتها ماعدد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر أو بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان وآية الرجم وانى فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعياء وزكرياء ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذلم يروا منهم مايعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما أشار اليه بقوله (ذلك بماعصوا وكانوا يعتدون) أى جرهم العصيان والتمادى والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدى الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات أسباب مؤدية الى تحرى كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ماحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصى واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ماذكر أو تقدم للاختصار ونظيره فى الضمير قول رؤبة يصف بقرة شعر

فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه فى الجلد توليع البهق

(قوله والذى حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست بالحقيقة) ممنوع فان كل صيغة موضوعة لمعنى مفرد أو تثنية أو جمع فما هو موضوع للمثنى كلفظة هما و للذان فهو للمثنى حقيقة وكذا ما هو موضوع للجمع وأما قوله ولذلك جاء الذى بمعنى الجمع فلقائل أن يقول ان الذى المستعمل فى معنى الجمع تخفيف الذين قيل معناه ان جمعها وتأنيثها ليسا على طريقة تثنية أسماء الاجناس وجموعها بالحاق العلامات وتغيير الصيغ بالنقصان والزيادة بخلاف زيد فيها مالا يجوز فى أسماء الاجناس فتأمل (قوله المخلصين منهم والمنافقين) هذا لا يناسب ما سيجىء من قوله تعالى من آمن منهم فانه لا يناسب أن يقال من آمن من مخلصى الايمان وغيرهم فالوجه تفسير الذين آمنوا بالمنافقين كما فعله صاحب الكشاف (قوله لما تابوا من عبادة العجل) وجه التخصيص كون العبادة المذكورة أشد جرائمهم وأفظع (١٥٨) أعمالهم (قوله وقيل المنافقين لانخراطهم فى سلك الكفرة) أى لذكرهم مع اليهود والنصارى والصابئين قال صاحب الكشاف ان الذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون (قوله من كان منهم فى دينه الخ) فيه نظر فانه قال أولا ان المؤمنين شامل للمنافقين وعلى هذا يلزم مما ذكر أن يكون المنافقون الذين على دينهم قبل النسخ داخلين فى الحكم الذى هو الفوز بالاجر وعدم الخوف والحزن وليس كذلك بل لا بد من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فالاولى التوجيه الثانى المذكور بقوله وقيل الخ ولذا اقتصر صاحب الكشاف عليه ويمكن تأييد الاول بان ايمان المنافقين بالله واليوم الآخر كلا ايمان كما مر فى تفسير قوله تعالى ومامهم بمؤمنين وأيضا هم ليسوا عاملين بمقتضى شرعهم لان

والذى حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذى بمعنى الجمع ﴿(ان الذين آمنوا) بألسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم فى سلك الكفرة (والذين هادوا) تهوّدوا يقال هاد وتهوّد اذا دخل فى اليهودية و يهود اما عربى من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا وكانهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه السلام (والنصارى) جمع نصران كندامى وندمان والياء فى نصرانى للمبالغة كما فى احمرى سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام أولانهم كانوا معه فى قرية يقال لها نصران أو ناصرة فسموا باسمها أومن اسمها (والصابئين) قوم بين النصارى والمجوس وقيل أصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة وأبدلها ياء أولانه من صبا اذا مال لانهم مالوا عن سائر الاديان الى دينهم أومن الحق الى الباطل (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) من كان منهم فى دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل فى الاسلام دخولا صادقا (فلهم أجرهم عند ربهم) الذى وعدهم على ايمانهم وعملهم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) حين يخاف الكفار من العقاب و يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر ان أو بدل من اسم ان وخبرها فلهم أجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها فى خبران من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم (واذ أخذنا ميثاقكم) باتباع موسى والعمل بالتوراة (ورفعنا فوقكم الطور) حتى أعطيتم الميثاق روى أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا (خذوا) على ارادة القول (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزيمة (واذكروا ما فيه) ادرسوه ولا تنسوه أو تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب أو اعملوا به (لعلكم تتقون) لكى تتقوا المعاصى أو رجاء

منكم

مقتضاه الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (قوله من كان منهم فى دينه الخ) الوجه أن يقال المراد بمن آمن من آمن بالقلب ليكون شاملا لكل من آمن سواء آمن قبل ذلك أى قبل النسخ أولا وأما اذا فسر من آمن بما ذكر وجعل مبتدأ أو بدلا كما ذكره لا يكون شاملا للمؤمن لانه على الصفة المذكورة وهو الايمان قبل النسخ (قوله وقد منع سيبويه دخولها فى خبران الخ) قال الرضى قال المصنف اتباعا لعبد القاهر ان هذا الملحق أى ملحق ان بليت ولعل منع دخول الفاء فى الخبر سيبويه خلافا للاخفش ونقل العبدى وأبو البقاء وابن يعيش ان الجمهور لدخول الفاء مع ان سيبويه خلافا للاخفش وقوله من حيث انها لا تدخل الشرطية معناه من حيث ان لا تدخل الجملة الشرطية لكن الفاء علامة ان ما قبلها الجملة الشرطية حقيقة أو حكما فلم يدخل على خبران (قوله أو رجاء

منكم أن تكونوا متقين) أي اذكروا ما فيه راجين أن تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح (قوله ويجوز عند المعتزلة أن يتعلق بالقول المحذوف الخ) لما كانت الارادة عند المعتزلة لا توجب وقوع المراد صح تعلقها أي الجملة المذكورة بالقول على قصد الارادة وأما عند أهل السنة لما أوجبت الارادة وقوع المراد لا يصح أن يتعلق بالقول على التقدير المذكور واذا تعلق نخذوا واذكروا كان الترجي على الحقيقة وأما اذا كان متعلقا بالقول كان صيغة الترجي مجازا لاستحالة تعلقه بالله تعالى حقيقة لان القول الارادة صفة حقيقية قائمة بذات الله تعالى لا توجب وقوع المراد وانما اللوجب لوقوعه تعلقها به لانا نقول اذا كان لعلكم تتقون متعلقا بقلنا على تقدير الارادة كانت الارادة بمعنى الترجيح والتخصيص وهو تعالى تلك الصفة بالمراد لا لوجه لان تكون الارادة تحمل على معناها وهو الصفة الحقيقية على هذا التقدير وانما قلنا ان الارادة لا توجب المراد عند المعتزلة لان الارادة عند جمهورهم هي العلم بما فيه المصلحة (قوله فلولا فضل الله عليكم الخ) هذه الفاء فاء السببية لان الترك سبب للخسران ولولا فضل الله تعالى (قوله ولولى الاصل لامتناع الشئ لامتناع غيره الخ) هذا تصريح في أن كلمة لو الشرطية اذا أدخل على لا أفادت ما ذكر ويرد عليه أنه لو كان كذلك لم تدخل الاعلى الجملة الفعلية لان حرف الشرط لا يدخل الا على الفعل قال الرضي قال البصريون (١٥٩) ان لولا كلمة بنفسها ولست لو الداخلة

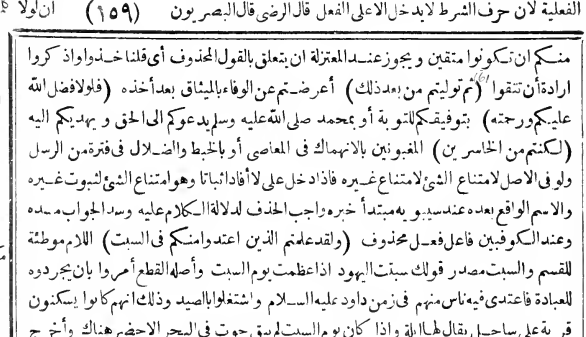
منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف أي قلنا خذوا واذكروا ارادة أن تتقوا (ثم توليتم من بعد ذلك) أعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد أخذه (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) بتوفيقكم للتوبة أو بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه (لكنتم من الخاسرين) المغبونين بالانهماك في المعاصي أو بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشئ لامتناع غيره فاذا دخل على لا أفادا ثباتا وهو امتناع الشئ لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه بمبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت) اللام موطئة للقسم والسبت مصدر قولك سبت اليهود اذا عظمت يوم السبت وأصله القطع أمروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على ساحل بقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك وأخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت خفرا وحياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله كونوا ايس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كأنما أريد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة

على لا لان الفعل بعد اذا أضمر وجوبا فلا بد من الاتيان بمضمر كما مر في باب الفاعل وليس بعد لولا مضمر وأيضا فظنة لا لا تدخل على الماضي في غير الدعاء وجواب القسم الا مكررا في الاغلب ولا تكرير بعد لولا فقال البصريون الاسم بعدها مبتدأ وقال الكسائي الاسم الواقع بعدها فاعل لفعل مقدر كما في قوله لو ذات سوار لطمتني وهو قريب من وجه وذلك ان الظاهر منها انها لو التي تفيد امتناع الأول لامتناع الثاني دخلت على لا لكونها حرف شرط فبقيت مع دخولها على لا على ذلك الاقتضاء فمعنى لولا على طلك عمر لولا يوجد على طلك عمر هذا كلامه فعلم أن ما ذكره القاضي ليس موافقا لمذهب البصري ولا لمذهب الكوفي اما الاول فلان لولا عندهم كلمة مستقلة وليست لو الداخلة على لا وأما الثاني فلانه عند الكوفي فاعل لفعل مقدر وليس بمبتدأ (قوله المغبونين بالانهماك في المعاصي) هذا ناظر الى تفسير الفضل بالتوبة وما ذكر بعده ناظر الى تفسيره بمحمد صلى الله عليه وسلم (قوله والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف الخ) قال الرضي قال البصريون الاسم المرفوع بعده مبتدأ وخبره محذوف وجوبا فتخصيص سيبويه بالذكر ليس كما ينبغي (قوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت) فان قلت ما الاعتداء فانه لم يعلم انهم حفروا الحياض يوم السبت ولا دخلوا الحيتان فيها ولا اصطادوا فيه قلنا جعلهم الحياض بحيث تدخل الحيتان فيها يوم السبت بمنزلة انهم اصطادوها في هذا اليوم وانما قيل في السبت ولم يقل في يوم السبت للاشعار بالاخلال بالتعظيم (قوله اللام موطئة للقسم) فيه نظر فانهم عرفوا اللام الموطئة للقسم بانها اللام التي تدخل على الشرط بعد القسم لصرف الجواب عن الشرط اليه ولا يخفى ان اللام في لقد علمتم ليس كذلك فلا تكون موطئة وقد اشتبه عليه لام جواب القسم باللام الموطئة له فاللام الموطئة له ما ذكرنا ولام جواب القسم هو مثل اللام في ولقد علمتم في الآية قالوا لام جواب القسم يلزمها في الماضي ان تكون داخلة على قد وفي

المضارع يلزمها النون المؤكدة هكذا قالوا وفى المغنى الرابع من أقسام اللام اللام الداخلة على أداة شرط للايذان بان الجواب بعدها مبنى على قسم قبلها لا على الشرط ومن ثم تسمى اللام المؤذنة وتسمى الموطئة أيضا لانها وطأت الجواب للقسم نحو قوله تعالى لئن أخرجوا لا يخرجون معهم الآية (قوله أو لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر عنها) أى ما تأخر عن المسخة أو العقوبة من الذنوب فان قلت كيف تحصل العقوبة بسبب الذنوب التى لم تحصل قلنا العقوبة الأخروية لا تحصل بسبب الذنب الذى لم يحصل واما العقوبة الدنيوية فلا يظهر عدم حصولها بسبب الذى لم يحصل ويتوقع بل يجب حصوله لو عاش صاحبه وهذا الوجه الاخير اختاره البيضاوى لكن الاولى الاقتصار على التوجيهات السابقة قال لانهم ان لم يكونوا ممسوخين لم يتهنوا عنها فهم فى حكم المرتكبين لها وقد يقال ان المسخة المذكورة جعلت عبرة كائنة لاجل صدور الذنب المتقدم ولأجل عدم صدور الذنب المتأخر والمنع منه ولا يخفى ما فيه (قوله أو مهزوبنا) لما تقرر عندهم ان الفعل اللازم اذا كان متعديا بحرف الجر جاز بناء اسم المفعول منه مسندا الى ذلك الجار نحو قوله سرت الى البلد فهو مسير اليه كذا قاله الرضى وحاصل قوله مكان هزء الخ

انه اما ان يكون الهزء بانيا على معناه بتقدير مضاف أو خارجا عن معناه فيكون بمعنى اسم المفعول (قوله أو الهزء نفسه) لا يخفى ان هذا المعنى كذب منزه عنه القرآن وقد قلد الزمخشرى فيما ذكر (قوله لان الهزء فى مثل ذلك جهل وسفه) هكذا فى الكشاف وظاهر هذا التقييد انه قد لا يكون سفها وجهلا لكنه قال فى تفسير قوله تعالى الله يستهزئ بهم فان قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية من العبث والجهل ألا يرى الى قوله أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فما معنى استهزائهم قلت معناه ازال الحقارة والهوان لهم الى آخر ما قال وعبارة السؤال المذكور تدل على ان مطلق الهزء جهل وسفه والجواب ان كون عبارة السؤال ماذكر لا تدل على انه مسلم عنده وقال العلامة التفتازانى قوله فى هذا المقام أى مقام التبليغ والارسال والجواب مما رفع اليه من القضية بخلاف مقام الاحتقار والتهكم مثل بشرهم بعذاب أليم (قوله لكنهم لما رأوا ما أمر وابه) الى قوله مالم يعرفوا حقيقته قال العلامة التفتازانى لفظة ما تكون سؤالا عن مدلول الاسم وحقيقة المسمى أو وصفه مثل ما زيد وجوابه الفاضل الكريم أقول فعلى هذا لا حاجة الى ما قاله المصنف لكنهم لما رأوا ما أمر وابه الى قوله أجروه مجرى مالم يعرفوا حقيقته والى هذا يشعر كلام المصنف حيث قال يسأل عن الجنس غالبا لان قوله غالبا يشعر بانه قد يسأل عن غير الجنس فلا حاجة الى العذر الذى ذكره المصنف قال السكاكى فيسأل بما عن الجنس تقول ما عندك أى أى أجناس الاشياء عندك وجوابه كتاب ونحوه أو عن الوصف تقول ما زيد وجوابه الكريم ونحوه

(فجعلناها) أى المسخة أو العقوبة (نكالا) عبرة تنكل المعتبر بها أى تمنعه ومنه النكل للقيد (لما بين يديها وما خلفها) لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم فى زمرة الاولين واشتهرت قصتهم فى الآخرين أو لعاصريهم ومن بعدهم أو لما حضرتها من القرى وما تباعد عنها أو لاهل تلك القرية وما حولها أو لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها (وموعظة للمتقين) من قومهم أو لكل متق سمعها (واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) أول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والمراد فكت عنه وقدمت عليه لاستقلالها بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء فى السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه طمعا فى ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبر بقاتله (قالوا أتتخذنا هزؤا) أى مكان هزؤ أو أهله ومهزوبنا أو الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا (قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) لان الهزؤ فى مثل ذلك جهل وسفه فنى عن نفسه ما رمى به على طريقة البرهان وأخرج ذلك فى صورة الاستعاذة استفظاعا له (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى) أى ما حالها وصفتها وكان حقه أن يقولوا أى بقرة هى أو كيف هى لان ما يسأل به عن الجنس غالبا الا تكون لما رأوا ما أمروا به على حال لم يوجد بها شئ من جنسه أجروه مجرى مالم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله (قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر) لامسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والبا كورة (عوان) نصف قال شعر * نواعم بين أبكار وعون * (بين ذلك) أى بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك أضيف اليه

بين

(قوله وعودهذه الكنايات) الى قوله يدل على ان المراد بها بقرة معينة ليس المراد من التعيين التعيين الشخصي اذ الدلالة عليه ممنوعة بل المراد مطلق التعيين أعم من ان يكون جنسيا أو شخصيا ولك ان تقول هذه العبارة تدل على ان ظاهر اللفظ يدل على ان المراد بقرة معينة لكن ماسيجيء من قوله و يؤيد الرأى الثانى ظاهر اللفظ يدل على ان ظاهر اللفظ لا يدل على التعيين بل يدل على خلافه فبينهما تناف فتأمل وهو من زيادته على الكشاف (قوله أى ماتؤمرونه بمعنى ماتؤمرون به) الظاهر من هذه العبارة انه من قبيل حذف المنصوب من أول الامر لان هذا الفعل يستعمل كثيرا مجردا عن الباء حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين (قوله وتقريعهم بالتمادى) عطف على قوله ظاهر اللفظ فان تقريعهم بالتمادى بدل على ان المراد مطلق البقرة اذلو كان المراد بقرة معينة لناسب التمادى والمراجعة فى السؤال حتى يتبين المراد (قوله مامورتم) لمراد من المامور المأمور به وجعل الفعل بمعنى المصدر ثم جعله بمعنى المفعول قليل جدا وان كان المصدر يجيء كثيرا بمعنى المفعول وقد تبع الزمخشرى فى ذلك ولك ان تقول المامور هو مايطلب منه أى العبد ولا وجه له ههنا ولوحمل على المامور به لايناسب مأمورتم مع انه راجع الى المعنى المتقدم (قوله ولذلك يؤكد به) ليس المراد التأكيد المصطلح اذ ليس تاكيدا (١٦١) لفظيا ولا معنويا وانما المراد وصف

بين فانه لايضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة و يلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن أنكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم و يلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما و يؤيد الرأى الثانى ظاهر اللفظ والمروى عنه عليه الصلاة والسلام لوذبحوا أى بقرة أرادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادى وزجرهم عن المراجعة بقوله (فافعلوا ماتؤمرون) أى ماتؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قولهم أمرتك الخير فافعل ماأمرت به أو أمرتكم بمعنى مأمورتم (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى لانه مثل قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال أصفر فاقع كما يقال أسود حالك وفى اسناده الى اللون وهو صفة صفراء الملابسته بها فضل تأكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد و به فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلى منه وتلك ركابى * هن صفر أولادها كالزبب

ولعله عبر بالصفرة عن السواد لما هو من مقدماته أو لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لاتؤكد بالفقوع (تسر الناظرين) أى تجبهم والسرور أصله لذة فى القلب عند حصول نفع أو توقعه من السر (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله (ان البقر تشابه علينا) اعتذار عنه أى ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثيرا فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر و يتشابه وتشابه بالياء والتاء وتشابه و يشابه وتشابه بطرح التاء وادغامها فى الشين على التذكير والتأنيث وتشابهت وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه

(٢١ - (بيضاوى) - اول)

قصده التأكيد هذا هو المفهوم من كلام العلامة التفتازانى ولقائل ان يقول التأكيد مايقرر أمر المتبوع فى النسبة أو الشمول وهو يؤكد أمر المتبوع فى النسبة لانه مثل زيد قائم قائم معه انه ليس بتأكيد لفظى ولا معنوى لان الاول تكرير اللفظ الاول والثانى يكون بالفاظ مخصوصة والجواب ان التأكيد تابع يقصد به ما ذكر والمراد من الفاقع ههنا ليس ذلك بل المراد فادة قوة الصفرة (قوله هن صفر الخ) انما كان الصفر بمعنى السود لان التشبيه بالزبب علم فى السواد عندهم (قوله وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لاتؤكد بالفقوع) قال العلامة التفتازانى ليس معنى الفاقع الاشديد الصفرة فيجوز ان يطلق ويراد الشديد السواد فيصح فى الابل صفراء فاقع بمعنى سوداء شديدة السواد أقول غرض المصنف انه لايوجد فى الاستعمال مثل ذلك بل اذا أريد بالصفراء السواد لاتوصف بالفاقع وليس غرضه ان يمتنع هذا التجوز (قوله تكرير للسؤال الاول) يعنى من حيث كونه سؤالا عن حالها و وصفها والافهو لم يكن بعينه السؤال الاول حقيقة بل المقصود السؤال عن البقرة الموصوفة بالصفة المذكورة ومن هذا ظهر أن الاولى حذف لفظ الاول والاقتصار على انه تكرير للسؤال كما قاله صاحب الكشاف (قوله بطرح التاء وادغامها على التذكير والتأنيث) هذا متعلق بقوله تشابه أى قرئ يشابه بالياء التى هى آخر الحروف وتشديد الشين وتشابه بالتاء التى هى ثالثة الحروف وتشديد الشين فالاول على تقدير التذكير والثانى على تقدير التأنيث والمقصود انه قرئ صورة تشابه بتخفيف الشين وحذف التاء أو بقلب التاء شينا وادغامها فى الشين وهذا أعم من أن يكون الحرف الاول ياء وتاء (قوله وتشابهت مخففا ومشددا) قد استشكل ذلك اذ لايظهر وجه تشديد الشين فى تشابهت والجواب انه قد جاء فى بعض اللغات بزيادة التاء فى أول الماضى

تفاعل وتفعل كما قال الشاعر * وتقطعت بى دونك الاسباب * وهذه القراءة على هذه اللغة فأصل تشابهت تتشابهت فقلبت التاء الثانية شينا ثم أدغمت (قوله واحتج به أصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى) لك أن تقول قوله تعالى وانا ان شاء الله لمهتدون حكاية كلام اليهود فكيف تحتج به الاصحاب ويمكن أن يقال الاحتجاج باعتبار ان الحديث المذكور مقرر ومحسن له ثم انه يعلم منه أن الاهتداء المخصوص بمشيئة الله تعالى ولا يلزم أن يكون جميع الحوادث كذلك والجواب ان حال الحوادث متساو بالنظر الى كونها بارادة الله تعالى او بالايجاب ولا قائل بالتفصيل بان بعضها بالايجاب وبعضها بالارادة بقى ههنا نظر لا يخفى على المتأمل قوله وان الامر الخ وجه الاحتجاج انه لما ظهر أن الذبح أمر به الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك انه ان شاء الله تعالى الهداية الى الذبح لاهتدينا علم انه حصل الامر بدون المشيئة لان مشيئة الذبح مستلزمة للاهتداء بالمراد ذبحها بخلاف الامر ثم انما يثبت المدعى بطريق أعم وهو انه من المعلوم انه قد أمر الله تعالى المكلف بشئ لم يقع منه فعلم انه ليس بمراد اذ لو كان المأمور مرادا لوقع (قوله وأجيب الخ) أى أجيب عما ذكروا بان تعليق المشيئة وادخال حرف الشرط باعتبار تعلقها أى ليس المعنى ان وجدت المشيئة بل المعنى ان علقت المشيئة (قوله لا ذلول حيث هى) أى لا ذلول فى مكان من الامكنة وفيه مبالغة (قوله ويسقى من اسقى) أى وقرئ يسقى بضم الياء (قوله وأهلها من العمل) أى سلمها أهلها من العمل (قوله وأخلص لونها) الموجود فى بعض النسخ بالواو والاولى أن يقال أو أخلص لونها بأو كما فى الكشاف وأكثر النسخ

بمعنى تتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة (وانا ان شاء الله لمهتدون) الى المراد ذبحها أو الى القاتل وفى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به أصحابنا على ان الحوادث بارادة الله سبحانه وتعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة وأجيب بان التعليق باعتبار التعلق (قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث) أى لم تذلل لكراب الارض وسقى الحرث ولا ذلول لا صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح أى حيث هى كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان أى حيث هو وتسقى من أسقى (مسلمة) سلمها الله تعالى من العيوب أو أهلها من العمل أو أخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له (لا شية فيها) لا لون فيها يخالف لون جلدها وهى فى الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر (قالوا الآن جئت بالحق) أى بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام ولان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام (فذبحوها) فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها (وما كادوا يفعلون) لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم أو لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل أو لغلاء ثمنها اذ روى ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعتكها لابنى حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها من اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من أفعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفى قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافى قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى أنهم ما قاربوا أن يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل (واذ قتلتم نفسا) خطابا للجمع لوجود القتل فيهم (فادارأتم فيها) اختصمتم فى شأنها اذ المتخاصمان يدفع بعضهما بعضا أو تدافعتم بان طرح كل قتلها عن نفسه الى صاحبه وأصله تدارأتم فادغمت التاء فى الدال واجتلبت لها همزة الوصل (والله مخرج ما كنتم تكتمون) مظهره لا محالة وأعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما أعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية (فقلنا اضربوه) عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص أو القتيل (ببعضها) أى بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب (كذلك يحيى الله الموتى) يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيى والخطاب مع من حضر حياة القتيل أو نزول الآية (ويريكم آياته)

(قوله وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام) الاستفهام يكون للتقرير (قوله تدافعتم بأن طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه) ان قيل ليس هذا بتدافع اذ التدافع ان يدفع كل منهما الآخر لا ان يدفع كل منهما القتل عن نفسه قلنا هذا أيضا تدافع لانه اذا دفع كل القتل عن نفسه وطرحه على صاحبه فكل منهما يدفع الآخر عن نفسه أى يدفع أذاه (قوله لانه حكاية حال مستقبل) أى حكاية حال مستقبل بالنسبة الى زمان النداء (قوله والخطاب مع من حضر حياة القتيل) فيه اشكال وهو ان كذلك خطاب للواحد ولعلكم تعقلون للجماعة قال العلامة التفتازانى يعنى صاحب الكشاف يكون الكلام خطابا معهم ان ضمير يريكم ولعلكم لهم لا حرف

دلائله

الخطاب فى كذلك فانه خطاب لمن يتاتى الكلام ايماء الى ان الاحياء أمر عظيم يجب ان يخاطب به كل من يتأتى له ان يخاطب والخطاب الى تقدير القول ليرتبط الكلام وينتظم أقول كون الخطاب الاول عاما فى الآية والخطاب الثانى والثالث لجماعة مخصوصة لايخلو عن شئ ومقتضى كلام المصنف ان المخاطب فى الآية مطلقا اما من حضر القتيل أو من حضر نزول الآية من غير تفصيل وتفرقة بين الخطابين والاولى أن يقال ان ذلك بمعنى ذلكم والخاطب بقوله تعالى كذلك وبقوله يريكم ولعلكم واحد قال الرضى قد يستعمل ذلك بمعنى ذلكم كقوله تعالى ذلك لمن خشى العنت منكم وقوله تعالى ذلك أدنى ان لاتعولوا كما يشار بما للواحد الى الاثنين كقوله تعالى عوان بين ذلك (قوله لكى) بناء على جعل تعقلون لازما وأما اذا جعل متعديا فالمفعول محذوف فيكون التقدير لعلكم تعقلون الحياة بعد الموت والبعث والحشر فلاحاجة الى التأويل الخ (قوله أوان من أراد ان يعرف أعدى عدوه الخ) فاما تأويل للآيات المذكورة فقال المراد بذبح البقرة تأويلا بكسر القوة الشهوية به وقوله حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر تأويل قوله تعالى لافارض ولابكر وقوله وكانت مجيبة رائقة المنظر تأويل قوله صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وقوله غير مذللة فى طلب الدنيا الى قوله مفاتحها تأويل قوله تعالى لاذلول تثير الارض الى قوله تعالى لاشية (١٦٣) فيها وقوله بحيث يصل أثره أى أثر الذبح الى نفسه الخ تأويل قوله تعالى كذلك يحيى الله الموتى (قوله فهى كالحجارة أو أشد قسوة) لايخفى ان القسوة الظاهرة التى هى اغلظ مع الصلابة أضعف فى القلوب من الحجر فكيف تكون مثل الحجارة أو أشد منها فى القسوة وان أريد بقسوة القلب نبوه عن الحق وانكاره وجحوده وبعده عن الاعتبار بالآيات فهى ليست مشتركة بين القلب والحجارة والجواب ان المراد من القساوة هو مايمنع التأثر عن الغير تأثرا مطلوبا بامنه ولايخفى ان هذا فى القلب الذى فى غاية

دلالته على كمال قدرته (لعلكم تعقلون) اى كى يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الأنفس كلها أو تعملوا على قضيته ولعله تعالى انما لم يجبه ابتداء وشرط فيه ماشرط لما فيه من التقرب وأداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالى بثمنه كما روى عن عمر رضى الله تعالى عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلاثمائة دينار وان المؤثر فى الحقيقة هو الله تعالى والاسباب أمارات لاأثر لها وان من أراد أن يعرف أعدى عدوه الساعى فى اماتته الموت الحقيق فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التى هى القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت مجيبة رائقة المنظر غير مذللة فى طلب الدنيا مسلمة عن دنسها الاسمة بهامن مقابحها بحيث يصل أثره الى نفسه فتحيا حياة طيبة وتعرب عما به يتكشف الحال ويرتفع مابين العقل والوهم من التدارىء والنزاع (ثم قست قلوبكم) القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما فى الحجر وقساوة القلب مثل فى نبوه عن الاعتبار ونم لاستبعاد القسوة (من بعد ذلك) يعنى احياء القتيل أو جميع ماعدد من الآيات فانها مما توجب لين القلب (فهى كالحجارة) فى قسوتها (أو أشد قسوة) منها والمعنى أنها فى القساوة مثل الحجارة أو أزيد عليها أو انها مثلها أو مثل ماهو أشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الحسن بالجر عطفا على الحجارة وانما لم يقل أقسى لما فى أشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة وأو للتخيير أو للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بما هو أقسى منها (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط

القساوة أشد من الاحجار فان الامور المذكورة فى الآية وهى انفجار الماء والانشقاق والهبوط مطلوبة من الاحجار وهى حاصلة منها وأما التسليم للحق المطلوب من القلب فهو غير حاصل للقلب المذكور (قوله وانما لم يقل أقسى الخ) اشارة الى سؤال وهو ان يقال مافائدة العدول عن الاقسى الى أشد قسوة مع انه لاحاجة الى ذلك والجواب أولا افادة المبالغة بسبب انه أدل على شدة القسوة لدلالته عليها بجوهر اللفظ الموضوع لها مع هيئة موضوعة للشدة وثانيا انه يدل على زيادة الشدة فى المفضل (قوله فأو للتخيير أو للترديد) الاول هو ان من عرفها تخير بين ان يشبهها بالحجارة وبين أن يقول هى أشد منها والترديد هو ان يقول القائل هى اما كالحجارة أو كشئ أشد منها ويمكن أن يقال ان لفظ أو بمعنى بل كما فى قوله تعالى الى مائة ألف أو يزيدون (قوله بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بما هو أقسى منها) هذا يناسب التوجيه الثانى من التوجيهين اللذين ذكرناهما لكن كلام الكشاف شامل للتوجيهين المذكورين جميعا صر يحا لأنه قال والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلا أو من عرف شبهها بالحجارة أو قال هى أقسى من الحجارة (قوله وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار الخ) فان قيل الأولى ان يكون لما يشقق فيخرج منه الماء مقدما على

مايتفجر منه الانهار أيكون ترقيا من الادنى الى الاعلى لان انفجار الانهار أعلى من خروج الماء قلنا بل التشقق أشد من انفجار الانهار مع انه يمكن ان يراد بالماء النهر (قوله تعليل للتفضيل) يعنى هو تفضيل بحسب المعنى لا بحسب اللفظ بل هو بحسبه عطف على قوله فهى كالحجارة فكانه قيل ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار الآية فلا يرد عليه ما يتوهم انه اذا كان تعليلا لما سابق لحسن ترك العطف (قوله أفتطمعون ان يؤمنوا لكم الخ) فان قيل ان بعض اليهود قد أسلموا كعبد الله بن سلام وقد كان فريق من أسلاف ذلك البعض يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه فلا يمنع كفر السلف اسلام الخلف قلنا الكلام فى السفلة والجهلة كما سيصرح به بقوله فما طمعك بسفلتهم وجهالهم وابن سلام من الاحبار والغرض استبعاد الطمع المذكور لاستحالته واستبعاده لان تقليد الآباء مركوز فى طباع الجهال غاية الركوز (قوله من أعلى الجبل انقيادا لما أراد الله به) هذه العبارة تدل على ان المراد بالخشية الانقياد لارادة الله وقال العلامة التفتازانى جعل صاحب الكشاف الخشية مجازا عن انقيادها اما لان البنية واعتدال المزاج شرط فى الحياة عند المعتزلة واما لان الهبوط والخشية على تقدير خلق العقل والحياة لا يصلح بيانا لكون الحجارة فى نفسها أقل قسوة أقول ماقاله أيضا من انه يتردى من أعلى الجبل انقيادا لما أراد الله لا يصلح بيانا لكون الحجارة أقل قسوة فان كل شئ منقاد لما أراد الله تعالى به وهذا لا يرد على الكشاف فانه صرح بان المراد من الانقياد الانقياد لامر الله تعالى وليس كل شئ كذلك والاولى أن تحمل الخشية على المعنى الحقيقى باعتبار خلق الحياة والعقل فيها ولا حاجة الى البنية عند أهل السنة وكون الهبوط والخشية على تقدير خلق الحياة والعقل لا يصلح بيانا لكون الحجارة أقل قسوة كما قاله العلامة التفتازانى فيه نظر فانه يفيد ان الحجر فى نفسه بحيث لو خلق له العلم بالبارى وصفاته تحصل له الخشية والهبوط بها وقلوبهم ليست كذلك (قوله ضمائر مابعده) أى جعل بالياء كالجعل مابعده من الفواصل وهو قوله تعالى وهم يعلمون (قوله فينافقون الفريقين) أى المؤمنين والكافرين اما النفاق مع المؤمنين فظاهر وأما النفاق مع غيرهم فباخفاء ما قالوه للمؤمنين من انهم على الحق ورسولهم هو المبشر به (قوله فالاستفهام على الاصل تقريع) فان قيل التقريع يكون على الفعل الذى وقع أى ما كان ينبغى أن يكون ذلك الامر الذى كان نحو قوله أفعصيت ربك وهذا يكون متعلقا بالماضى فلا يناسب الفعل المضارع قلنا هذا التقريع بان يكون حكاية الحال الماضية (قوله وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها) أى الاخفاء فى الدنيا لا يمنع المحاجة فى القيامة

من خشية الله) تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من أعلى الجبل انقيادا لما أراد الله تعالى به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن أمره تعالى والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة وتلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية ويهبط بالضم (وما الله بغافل عما تعملون) وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وأبو بكر بالياء على ما بعده والباقون بالتاء (أفتطمعون) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (ان يؤمنوا لكم) ان يصدقوكم أو يؤمنوا لاجل دعوتكم يعنى اليهود (وقد كان فريق منهم) طائفة من أسلافهم (يسمعون كلام الله) يعنى التوراة (ثم يحرفونه) كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم أو تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختار بن سمعوا كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور ثم قالوا سمعنا الله تعالى يقول فى آخره ان استطعتم أن تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا (من بعد ما عقلوه) أى فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة (وهم يعلمون) انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان أحبارهؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما ظنك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة فى ذلك (واذا لقوا الذين آمنوا) يعنى منافقيهم (قالوا آمنا) بانكم على الحق وان رسولكم هو المشار به فى التوراة (واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا) أى الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) بما بين لكم فى التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم أو الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب فى اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجد وافى كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثانى انكار ونهى (ليحاجوكم به عند ربكم) ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم فى كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا و يراد به انه جاء فى كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم أو بين يدى رسول ربكم وقيل عند ربكم فى القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعه (أفلا تعقلون) امامن تمام كلام اللائمين وتقديره أفلا تعقلون انهم يحاجونكم

(قوله جهلة لايعرفون الكتابة الخ) ظاهر كلامه يدل على انه فسر الامي بالجاهل باعتبار ان الجهل لازم في الامي أكثر فاذا فسر الكتاب بالكتابة كان قوله تعالى لايعلمون صفة مفيدة للذم ويحتمل أن تكون للتخصيص اذ الجاهل قد يعلم الكتابة واذا فسر الكتاب بالتوراة كان لمجرد الذم ويحتمل أن يكون للتأكيد لان الجاهل لايعلم التوراة (قوله تمنى داود الزبور على رسل) لك أن تقول هذا لايلائم جعل التمني بمعنى القراءة الخالية عن المعرفة اذ يدل على أن تمنى داود الزبور عار عن المعرفة والتدبر فتأمل قال العلامة التفتازاني هذا البيت مذكور لقصة عثمان رضي الله عنه وينبغي أن يكون قوله ليله بالاضافة لابتاء الوحدة على ما في النسخ بعرف ذلك بالتأمل أقول انما كان ينبغي أن يكون بهاء الضمير لابتاء الوحدة لان تاء الوحدة تدل على ان قراءته لكتاب الله ليلة واحدة من الليالي بخلاف ليله بالضمير واعلم انه قد ذكر للصراع الاول من البيت المذكور مصراع آخر (١٦٥) وهو وآخره لاقى حمام المقادر وهذا البيت صريح في انه قتل في آخره فليله بالضمير يناسب حمله على الذي قتل في آخره فكان الاضافة لنوع من الاختصاص (قوله وهذا لايناسب وصفهم بانهم أميون) يجوز ان يكون المراد بالامي من ليس له علم بالكتاب فيكون لايعلمون الكتاب وصفا كاشفا (قوله وقد يطلق بازاء العلم الخ) يعني ان المشهور ان الظن يطلق على الاعتقاد الراجح مع تجويز احتمال النقيض وبهذا المعنى لايشمل الظن المعتبر ههنا اذ ليس ههنا تجويز احتمال النقيض بل هم جازمون باعتقادهم الفاسد والمراد بالظن ههنا ما يقابل العلم فيشمل الاعتقاد الجازم الغير المطابق ويعلم مما ذكران العلم يطلق على كل رأي مستند الى قاطع والمراد

يحاجونكم به فيحجونكم أو خطاب من الله تعالى للمؤمنين متصل بقوله أفتطمعون والمعنى أفلا تعقلون حالهم وان لامطمع لكم في ايمانهم (أولايعلمون) يعني هؤلاء المنافقين أو اللائمين أو كليهما أواياهم والمحرفين (ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون) ومن جملتهما سرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء مافتح الله عليهم واظهارهم غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه (ومنهم أميون لايعلمون الكتاب) جهلة لايعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا مافيها أو التوراة (الأماني) استثناء منقطع والاماني جمع أمنية وهي في الاصل مايقدره الانسان في نفسه من تمنى اذا قدر ولذلك تطلق على الكذب وعلى ماتمنى ومايقرأ والمعنى ولكن يعتقدون أكاذيب أخذوها تقليدا من المحرفين أو مواعيد فارغة سمعوها منهم من الجنة لابد خلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا أياما معدودة وقيل الاماني قرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبر ومن قوله تمنى كتاب الله أول ليله * تمنى داود الزبور على رسل

وهو لايناسب وصفهم بانهم أميون (وان هم الا يظنون) ماهم الا قوم يظنون لاعلم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة (فويل) أي تحسر وهلاك ومن قال انه واد أوجبل في جهنم فعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل واعلم سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لافعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء (للذين يكتبون الكتاب) يعني المحرفين ولعله أراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة (بايديهم) تأكيد كقولك كتبته بيميني (ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم (فويل لهم مما كتبت أيديهم) يعني المحرف (وويل لهم مما يكسبون) بريديه الرشى (وقالوا لن تمسنا النار) المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب ولذلك يقال ألمسه فلا أجده (الا أياما معدودة) محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد أيام عبادة العجل أربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوما (قل أتخذتم عند الله عهدا) خبرا وعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال

بالقاطع البداهة أو البرهان (قوله لانه دعاء) فيكون مثل سلام عليك وان قيل هذا يناسب القول الاول وهو ان يكون الويل بمعنى الهلاك دون ما اذا جعل بمعنى الوادي أو الجبل المذكور لان معنى سلام عليك سلام مني عليك وهذا لايناسب المعنى الثاني قلنا هو على المعنى الثاني معرفة لانه علم لمكان مخصوص وحصر جواز الابتداء به لانه دعاء المذهب المشهور لا كثرة النحاة وأما المحققون منهم فلم يشترطوا في جواز كون المبتدأ نكرة الا كونه مفيدا نحو كوكب انقض الساعة قال الرضي قال ابن الدهان اذا حصلت الفائدة فاخبر عن أي نكرة شئت فلك أن تقول رجل في الدار وكوكب نقض الساعة قال الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة (قوله واللمس كالطلب له) قال في الصحاح اللمس المس باليد فتفسير اللمس بما هو كالطلب لايطابق ما في الصحاح نعم الالتماس الطلب والتلمس الطلب مرة بعد أخرى كذا في الصحاح (قوله وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوما) هذا توهم عجيب وغلط غريب وجهل فاحش لا أصل له وشبهة لامنشأ لها

(قوله وفيه دليل على أن الخلف في خبر الله تعالى محال) لك أن تقول هذا يدل على أن الخلف في وعد الله محال دون مطلق الخبر فأين العهد المذكور هنا واعلم ان في هذه المسئلة خلافا بين أهل الكلام فبعضهم على أن الخلف في خبر الله تعالى محال مطلقا سواء كان في الوعد أو الوعيد لان الخلف نقص تقدس الله تعالى منه وبعضهم على أن الخلف في الوعيد جائز دون الوعد لان الخلف في الوعيد ليس بنقص بل هو عفو وكرم والى هذا ذهب بعض أعاظم العلماء قدس الله أرواحهم (قوله على وجه أعم) فمعنى قوله بلى ايجاب ما تقول من مساس النار زمانا مديدا وادوهرا (١٦٦) طويلا الكل من كسب سيئة فأحاطت به الخطيئة وليس الحكم مخصوصا بفرقة اليهود (قوله بلى من كسب سيئة الآية) فان قلت ما فائدة قوله من كسب سيئة فقد يترتب احاطة الخطيئة ويخشى استمراره على المعصية فينجر أمره الى الكفر نعوذ بالله (قوله والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض) معناه ان الخطأ يغلب فيما لا يتوجه القصد اليه حقيقة بل يتوجه الى شئ آخر لكن يترتب عليه ما يقصد اليه حقيقة وانما قال غالبا لان الذنب يقال له الخطيئة وان توجه القصد اليه بالذات (قوله وتعليقه بالسيئة الخ) يمكن أن يكون الكسب ههنا بمعنى مطلق الاستجلاب فيكون مجرا مرسلا من قبيل استعمال اسم الكل في الجزء (قوله تحقيق ذلك) أي تحقيق ما ذكر من كسب السيئة واحاطة الخطيئة (قوله والآية كما ترى لا حجة فيها الخ) لان الحكم المذكور او مخصوص بالكافر كما صرح به (قوله وكذا الآية التي قبلها) وهي قوله تعالى فويل للذين يكتبون الآية لان الويل لا يدل على الخلود أو لان الحكم المذكور مخصوص بالكفار (قوله فيكون على ارادة القول) ليحصل الارتباط بين قوله لا تعبدوا وما قبله فيكون بدلا من الميثاق أو معمولا له بحرف الجر على تقدير البداية يكون المعنى واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم كما قاله صاحب الكشاف وعلى تقدير كونه معمولا بحرف الجر يكون المعنى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل بان لا تعبدوا الا الله

والباقون بادغامه (فان يخلف الله عهده) جواب شرط مقدر أي ان اتخذتم عند الله عهدا فان يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال (أم تقولون على الله ما لا تعلمون) أم معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى أي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع أحدهما أو منقطعة بمعنى بل أتقولون على التقرير والتقريع (بلى) اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه أعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفي (من كسب سيئة) قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب أليم (وأحاطت به خطيئته) أي استولت عليه وشملت جملة أحواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شئ من جوانبه وهذا انما يصح في شأن الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السالف بالكفر وتحقيق ذلك ان من أذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو أكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن ينهاه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالى ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله وقرأ نافع خطيآته وقرئ خطيئته وخطياته على القلب والادغام فيهما (فأولئك أصحاب النار) ملازموها فان الآخرة كما أنهم ملازمون أسبابها في الدنيا (هم فيها خالدون) دائمون أو لا يشون لبثا طويلا والآية كالتي لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده ليرجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان بدل على خروجه عن مسماه (واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا يعبدون الا الله) اخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا يعبد وافلما حذف ان رفع كقوله

ألا أيهذا الزاجري احضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

و يدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق أو معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قال وحلفناهم لا يعبدون وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب (و بالوالدين احسانا) متعلق بمضمر تقديره وتحسنون

(قوله وحسنى على المصدر) قال العلامة التفتازانى هذا رد على الزجاج حيث منع هذه القراءة وهم امنه ان حسنى تأنيث الاحسن فلا يستعمل بدون اللام (قوله وأنتم معرضون عادتكم الاعراض) فسره بذلك لان هذا أكثر فائدة من مجرد الاعراض وهذا ماشئ من الجملة الاسمية فتكون جملة حالية أى توليتم حال كونكم مستمرين على الاعراض والتولى ويحتمل أن تكون معترضة (قوله على نحو ماسبق) أى على التوجيهات التى ذكرت فى قوله تعالى واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الآية (قوله وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا أو دينا) فيه نظر فان اتصال واحد بآخر نسبا أو دينا لا يجعل قتل أحدهما الآخر قتل نفسه والاولى أن يكون المراد من قوله لا تسفكون دماءكم دماء المنتسبين بكم أو يقال قتل الرجل غيره يوجب قتله كما ذكر فتوسع فيه فجعل الاول عين الثانى (قوله فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا) ظاهر هذا الكلام انه تفريع على قوله وقيل الخ فيكون اسناد الاقرار اليهم على غير هذا الوجه حقيقة وفيه نظر والظاهر أن اسناد الافعال المذكورة الى الاسلاف بتقدير مضاف واما انه أخذ الميثاق من الموجودين فى زمان النبى فغير ظاهر اذ لا يعلم انهم عهد واذلك العهد فى زمنه صلى الله عليه وسلم نعم الخطاب فى قوله أنتم للموجودين فى عصره ونسبة القتل والاخراج اليهم بالاعتبار المذكور الآن (١٦٧) يقال المراد من أخذ الميثاق واقرارهم تكليفهم باحكام كتابهم وقبولهم لها (قوله فانه القتل فى الحقيقة) ليس المراد انه القتل حقيقة لغوية واطلاق القتل على غيره أعنى سفك الدم مجازا وانما المراد من القتل الحقيقى الشئ الذى أثره أقوى وأشد وأدوم من القتل الذى هو ازهاق الروح لان فائدة الحياة هى اللذات والبعد عن الآلام ولما كانت لذات الحياة الابدية أقوى وأدوم كانت زوالها أولى بان يسمى ما يوجبه قتلا وكذا القول فى الجلاء الحقيقى (قوله على معنى أنتم

أو أحسنوا (وذى القربى واليتامى والمساكين) عطف على الوالدين واليتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه (وقولوا للناس حسنا) أى قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائى و يعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة أهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به مافيه تخلق وارشاد (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) يريد بهما مافرض عليهم فى ملتهم (ثم توليتم) على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب أى أعرضتم عن الميثاق ورفضتموه (الاقليلا منكم) يريد به من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم (وأنتم معرضون) قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة وأصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض (واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) على نحو ماسبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا أو دينا أو لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم أو لا تفعلوا ما يريدبكم و يصرفكم عن الحياة الأبدية فانه القتل فى الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التى هى داركم فانه الجلاء الحقيقى (ثم أقررتم) بالميثاق واعترفتم بلزومه (وأنتم تشهدون) توكيد كقولك أقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وأنتم أيها الموجودون تشهدون على اقرار أسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا (ثم أنتم هؤلاء) استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى أنتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك أنت ذلك الرجل الذى فعل كذا نزل تغير الصفة بعد ذلك هؤلاء الناقضون) الى قوله نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات فان قيل اذا كان المراد أنتم هؤلاء الناقضون لا يحسن جعل تغير الصفة الناقضون لابد ان يكونوا معاهدين تغير الذات فالجواب ان جعل هؤلاء خبرا لانتم يفيد تغاير الذات لان قوله الناقضون يفيده حتى يتوجه عليه ماذكر فكانه قيل أنتم هؤلاء يفيد تغاير الذات وماهو الا بحسب الوصف الذى هو النقض كما سيجىء فكانه قيل استعمل مايفيد تغاير الذات فما يكون التغاير فيه بحسب الوصف توسعا للنكتة التى ستجىء لا يرد السؤال المذكور نعم يحسن هذا على بل الناقضون لابد ان يكونوا المعاهدين والظاهر ماوجهه الكشاف وهو ان المراد انكم قوم آخرون غير أولئك المقررين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات لكنه قال بعد ذلك كما نقول رجعت بغير الوجه الذى خرجت به ومعناه رجعت على صفة غير الصفة التى خرجت بها قال العلامة التفتازانى فيه تصريح بتغاير الوجوه وكناية عن تغاير الذات وماذاك الا بحسب الوصف ومن هذا يعلم انه يكفى فى المقصود اعتبار تغاير الصفة فما الحاجة الى اعتبار تغاير الذات وجعل تغاير الصفة منزلة تغاير الذات والجواب ان اعتبار تغاير الذات للمبالغة فى تقبيح حالهم وكانهم قوم آخرون يفعلون ما يحكى عنهم فيفيد انه كالمستحيل ان يعهد قوم ماذكر ثم ينقضون عهدهم و يفعلون خلاف

ماعاهدوه (قوله وعدهم باعتبار ما أسند اليهم حضورا الخ) يعنى جعلهم مخاطبين باعتبار اسناد هذه الافعال المذكورة اليهم وهى عدم السفك وعدم الاخراج من الديار وجعلهم غائبين باعتبار اسناد الافعال التى سيحكى عنهم فى قوله تقتلون أنفسكم الآية أو التعبير عنهم بضمير الخطاب باعتبار حضورهم والتعبير عنهم باسم الاشارة الذى من الاسماء الظاهرة التى فى حكم الغيب باعتبار الجمل التى يجىء ذكرها ولا يخفى ان هذا التقرير يناسب اتحاد الذات لا التغاير فتأمل (قوله اماحال والعامل فيه معنى الاشارة) فيه نظر اذ ليس الاشارة اليهم حال كونهم قاتلين مخرجين ويمكن توجيهه بتكلف فتأمل (قوله أو بيان لهذه الجملة) ان قيل لاخفاء فى ان معناهما متخالفان ليس احداهما متضمنة للاخرى بل هذه الجملة دالة على من اتصف بجملة تقتلون أنفسكم قلنا هؤلاء اشارة الى جماعة مخصوصة متصفة بصفة بيانها قوله تقتلون أنفسكم نحو قوله تعالى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك الآية والغرض من التوجيهين المذكورين وجه عدم عطف تقتلون أنفسكم على ماقبله (قوله وقيل هؤلاء تأكيد) لايخفى انه ليس بتأكيد لفظى ولا معنوى فلزم قسم آخر من التأكيد الا أن يقول هذا القائل انه تأكيد لفظى بان يقال هوى التأكيد اللفظى مالیس بمعنوى وهو الالفاظ المعينة (قوله بالروح المقدسة) الروح تذكر وتؤنث (قوله كالزير من الرجال) الزير من الرجال من يجب محادثة النساء ومجالستهن

منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما أسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تعالى (تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) اما حال والعامل فيها معنى الاشارة أو بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير (تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) حال من فاعل تخرجون أو من مفعوله أو كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بحذف احدى التاءين وقرئ باظهارها وتظاهرون بمعنى تتظاهرون (وان يأتوكم أسارى تفادوهم) روى ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه فى القتل وتخريب الديار واجلاء أهلها واذا أسر أحد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان يأتوكم أسارى فى أيدى الشياطين تتصدد والانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم أنفسكم كقوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقرأ حمزة أسرى وهو جمع أسير كجريح وجرحى وأسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو أيضا جمع أسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم (وهو محرم عليكم اخراجهم) متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشأن أو مبهم و يفسره اخراجهم أو راجع الى ماد ل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم بدل أو بيان (أفتؤمنون ببعض الكتاب) يعنى الفداء (وتكفرون ببعض) يعنى حرمة المقاتلة والاجلاء (فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا) كقتل قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير وضرب الجزية على غيرهم وأصل الخزى ذل يستحيا منه ولذلك يستعمل فى كل منهما (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) لان عصيانهم أشد (وما الله بغافل عما تعملون) تأكيد للوعيد أى الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن أفعالهم وقرأ عاصم فى رواية المفضل تردون على الخطاب اقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم فى رواية أبى بكر وخلف و يعقوب يعملون على ان الضمير لمن (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) آثروا الحياة الدنيا على الآخرة (فلا يخفف عنهم العذاب) بنقض الجزية فى الدنيا والتعذيب فى الآخرة (ولاهم ينصرون) بدفعهما عنهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى التوراة (وقفينا من بعده بالرسل) أى أرسلنا على أثره الرسل كقوله سبحانه وتعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا تبعه وقفاه به اذا أتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب (وآتينا عيسى بن مريم البينات) المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالغيبات أو الانجيل وعيسى بالعبرية أيشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة * قلت لزير لم تصله مريمه * ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل (وأيدناه) وقويناه وقرئ آيدناه بالمد (بروح القدس) بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق وأراد به جبريل وقيل روح عيسى عليه الصلاة والسلام ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان أو لكرامته على الله سبحانه وتعالى ولذلك أضافه الى نفسه تعالى أو لانه لم تضمه الاصلاب ولا الارحام الطوامث أو الانجيل أو اسم الله الاعظم الذى كان يحيى به الموتى وقرا ابن كثير القدس بالاسكان فى جميع القرآن (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم) بما لا تحبه يقال

(قوله و وسطت الهمزة بين الفاء وماتعلقت به الخ) ماتعلقت به الفاء من قوله ولقد آتينا موسى الكتاب الخ واعلم ان فى نحو هذه الجملة مذهبين أحدهما ان الهمزة مقدمة لفظا ومعنى على حرف العطف والثانى ان همزة الاستفهام مؤخرة عن حرف العطف فى الاصل ثم قدم رعاية للاستفهام المستحق للصدارة قال صاحب المغنى اذا كانت الهمزة فى جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بثم قدمت على العاطف تنبيها على اصالتها فى التصدر نحو أولم ينظروا أفلم يسيروا أثم اذا ماوقع آمنتم به واخواتها متأخرة عن حرف العطف نحو وكيف تكفرون فاين تذهبون فانى يؤفكون وهل يهلك الا القوم الفاسقون هذا مذهب سيبويه والجمهور وخالفهم جماعة أولهم الزمخشرى وزعموا ان الهمزة فى محلها الاصلى وان العطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف فيقولون التقدير فى أفلم يسيروا أمكثوا فلم يسيروا وفى أفنضرب عنكم الذكر صفحا أنهملكم فنضرب عنكم الذكر صفحا فيكون التقدير فى جملة أفكلما الخ أعرضتم أومثل ذلك ففى كلام المصنف اشارة الى المذهبين اما الاشارة الى الاول فقوله وسطت الهمزة بين الفاء وماتعلقت به واما الى الثانى فقوله الفاء للعطف على مقدر ثم قال أى صاحب المغنى ويضعف قول الزمخشرى ومن تبعه مافيه من التكلف وانه غير مطرد اما الاول فلدعوى حذف الجملة فان قوبل بتقديم بعض المعطوف على العاطف فقد يقال انه أسهل منه واما الثانى فلانه غير ممكن فى نحو أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقد جزم الزمخشرى فى مواضع بما يقوله الجمهور منها فى قوله تعالى أفأمن أهل القرى ان يأتيهم انه عطف على فأخذناهم بغتة أقول يفهم من كلام الزمخشرى ان الوجهين جائزان ولكل منهما وجه اما وجه الاول فعدم التقدير واما الثانى فعدم انقلاب الهمزة عن موضعه (قوله لتخصصه بالوصف) كما قال النحاة ان ذا الحال يقع نكرة اذا اختص بوصف أو بالاضافة الى آخر مافصلوه كما ذكروه فى موضعه (قوله والاشعار بان الفاعل الخ) هذا فى الظاهر ناظر الى المعنى الثانى ولعل عبارته أحسن من عبارة الكشاف فان المفهوم من عبارته ان المبالغة هى سؤال الشخص عن نفسه والمفهوم من عبارة المصنف المغايرة بينهما وهو الظاهر (قوله مانكرة بمعنى شئ مميزة لفاعل بئس المستكن الخ) لك ان تقول لم لايجوز ان يكون مااشتروا فاعل بئس أو بدلا من الضمير والاحتمال الاول نقله الرضى عن الفراء وأبى على قالا ان ما بمعنى الذى واشتروا به أنفسهم صلته قال ويضعفه قلة وقوع الذى مصرحا به فاعلا لنعم وبئس ولزوم حذف الصلة باجمعها فى فنعما هى لان هى مخصوص أى نعم الذى فعله من الصدقات وكذلك دققته دقا نعما انتهى كلامه ويمكن تضعيف الاحتمال

هوى بالكسر هوى اذا أحب وهوى بالفتح هويا بالضم اذا سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وماتعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل أن يكون استئنافا والفاء للعطف على مقدر (استكبرتم) عن الايمان واتباع الرسل (ففريقا كذبتم) كموسى وعيسى عليهما السلام والفاء للسببية أو للتفصيل (وفريقا تقتلون) كزكريا ويحيى عليهما السلام وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها فى النفوس فان الامر فظيع أو مراعاة للفواصل أو للدلالة على انكم بعد فيه فانكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا انى أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة (وقالوا قلوبنا غلف) مغشاة باغطية خلقية لايصل اليها ماجئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذى لم يختن وقيل أصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها أوعية للعلم لاتسمع علما الاوعته ولاتعى ماتقول أونحن مستغنون بما فيها عن غيره (بل لعنهم الله بكفرهم) رد لما قالوه والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم أوانها لم تأب قبول ماتقوله لخلل فيه بل لأن الله تعالى خذلهم بكفرهم كما قال تعالى فاصمهم وأعمى أبصارهم أوهم كفرة ملعونون فمن أين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك (فقليلا مايؤمنون) فايمانا قليلا يؤمنون ومامزيدة للمبالغة فى التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل أراد بالقلة العدم (ولما جاءهم كتاب من عند الله) يعنى القرآن (مصدق لما معهم) من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) أى يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبى آخر الزمان المنعوت فى التوراة أو يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه (فلما جاءهم ماعرفوا) من الحق (كفروا به) حسدا وخوفا على الرياسة (فلعنة الله على الكافرين) أى عليهم وأتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس ويدخلون فيه دخولا أوليا لأن الكلام فيهم (بئس مااشتروا به أنفسهم) مانكرة بمعنى شئ مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا

الثانى بان الحال على التمييز أولى من حمله على البدل لان وقوع التمييز بعده كثير واعلم ان المعنى على تقدير جعل ما موصولا فاعلا للفعل فبأظهر وأوضح من جعلها تمييزا بمعنى الشئ فالحمل عليه أولى ويمكن الجواب عن الوجهين المذكورين بما رضى اما عن الاول فبأن وقوع الذى فاعل نعم وبئس على قلة لا يوجب ان يكون ما غير فاعل ههنا واما عن الثانى فبأن يقال لما كان المخصوص مذكورا وهو متحد بالذات مع جزء من الصلة فهو فى حكم المذكور فكانه لم تخذف الصلة بتمامها والاولى ان يقال لما كان فى مثل نعما هى مانع من كون ما بمعنى الذى وهو حذف الصلة بتمامها لم يجعل بمعناه واما فى مثل بئس ما اشتروا فليس فيه المانع المذكور فجعل ما بمعنى الذى وكونها فاعلا أولى من كونها تمييزا (قوله فانهم ظنوا انهم خاصوا أنفسهم عن العقاب بما فعلوا) هذا ناقض ماسبق من قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به لانهم لما عرفوا ان النبى على الحق عرفوا ان مخالفته موجبة هلاك أنفسهم لا خلاصها فان قيل لعله أراد بالعقاب العقاب الدنيوى وهو عدم الرياسة فانهم ان أسلموا فات عنهم الرياسة قلنا هذا لا يناسب شراء الانفس لان شراء الانفس تخليصها من الهلاك الذى هو العذاب الأبدى ولعله لمثل ماذكرنا لم يلتفت اليه صاحب الكشاف بل اقتصر على الوجه الاول (قوله ان يكفروا بما أنزل الله هو المخصوص بالذم) قال العلامة التفتازانى هذا انما يصح لو قال كفروا بالحظ الماضى لظهور ان ما باعوا به أنفسهم واستبدلوا فى الماضى ليس هو ان يكفروا فى المستقبل أقول يمكن ان يقال لما كان ما اشتروا به أنفسهم مثل حب الرياسة والجاه وشئ يفضى الى (١٧٠) كفرهم فى المستقبل نزل ما يترتب على الشئ منزلته اتساعا بل هو الكفر السابق المستمر الحاصل فى المستقبل (قوله وهو علة ان يكفروا دون اشتروا والفصل) هذا رد على الكشاف فانه جعله علة لاشتروا وقال العلامة التفتازانى معنى كلام القاضى ان المخصوص وان لم يكن أجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله ولكن لاخفاء فى انه أجنبى بالنسبة الى الفعل الذى وصف به تمييز الفاعل و يمكن ان يقال ان اشتروا وصفة للتمييز فهو متمم له فليس ان يكفروا أجنبيا عنه مطلقا (قوله ووراء فى الاصل مصدر) قال فى الصحاح وراء بمعنى خلف وقد يجىء بمعنى القدام ولكن لم يتعرض لكونه فى الاصل مصدرا (قوله و يضاف الى الفاعل الخ) مفهوم كلامه ان وراء لا يكون مستعملا بالمعنى المصدرى لان ما يتوارى بالشئ ليس المعنى المصدرى وكذا ما يتوارى به الشئ فلا معنى اضافته الى الفاعل أو المفعول ولا يخفى ما فى كلامه من التكلف والاضطراب والاولى ان يقال ان وراء فى الاصل بمعنى الخفاء و يطلق للوراء على القدام لانه يحصل عنه خفاء ما فى خلفه وقد يطلق على الخلف لانه مختف بالشئ الذى يكون قدامه (قوله ما يتوارى به) أى ما يتوارى بالشئ وهو أى ما يتوارى بالشئ أى يصير مخفيا بسببه هو خلفه وما يوارى به أى ما يخفى الشئ يجب ان يكون قدامه فيكون وراء زيد اذا كان زيد فاعلا لا يكون خلفه أى ما يتوارى بزيد واذا كان زيد مفعولا يكون المعنى ما يخفى زيدا به (قوله فانهم لما كفروا بما يوافق التوراة الخ) لك ان تقول موافقة القرآن للتوراة اما باعتبار الصفات الالهية وأفعال الله وحكمه أو باعتبار الاحكام وعلى التقديرين لا يلزم من الكفر بالقرآن الكفر بالتوراة اذ الكفر باعتبار انه كفر بما نازل من عند الله وانه كفر بما نازل لا يستلزم انه كفر بان التوراة أيضا كذلك والجواب ان القرآن يوافق التوراة باعتبار انه نازل من عند الله فانه ذكر فى التوراة ان النبى صلى الله عليه وسلم الذى أنزل عليه القرآن حق فانكاره انكار للتوراة (قوله قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) ههنا اشكال وهو انه لا يخلو اما ان يكون الخطاب حقيقة مع الموجودين فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم أو المراد

صفته ومعناه باعوا أو اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خاصوا أنفسهم من العقاب بما فعلوا (أن يكفروا بما أنزل الله) هو المخصوص بالذم (بغيا) طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة أن يكفروا دون اشتروا والفصل (ان ينزل الله) لان ينزل أى حسدوه على ان ينزل الله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وسهل و يعقوب بالتخفيف (من فضله) يعنى الوحى (على من يشاء من عباده) على من اختاره للرسالة (فباؤا بغضب على غضب) للكفر والحسد على من هو أفضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى عليه السلام أو بعد قولهم عزير ابن الله (وللكافرين عذاب مهين) يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصى فانه طهرة لذنوبه (واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) يعم الكتب المنزلة بأسرها (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) أى التوراة (و يكفرون بما وراءه) حال من الضمير فى قالوا و وراء فى الاصل مصدر جعل ظرفا و يضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يوارى به وهو قدامه ولذلك عدمن الاضداد (وهو الحق) الضمير لما وراءه والمراد به القرآن (مصدقا لما معهم) حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كذبوا بها (قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) اعتراض عليهم

آباؤهم الذين قتلوا الانبياء من قبل فان كان الاول فيأباه قوله تعالى من قبل وأيضاهم ماقتلوا نبيا وان كان الثانى فلا يرتبط بقوله واذاقيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا الخ لان الظاهر ان هؤلاء القائلين الموجودون فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم ويمكن ان يختار الثانى ويقال المراد قالوا نؤمن أى نحن وآباؤنا تغليبا فزعموا انهم وآباءهم مؤمنون بالتوراة فرد الله عليهم بقوله فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أى لم تقتل آباؤكم الانبياء من قبل فالفعل فى الحقيقة مسند الى آبائهم لكنه أسند اليهم فى الظاهر اشعارا بانهم يرضون بالقتل وأن فعلهم كفعلهم وايمانهم كايمانهم قيل يمكن ان يكون المعنى فلم ترضون بقتل الانبياء ولم يرتضه العلامة التفتازانى لان قوله تعالى من قبل يأبى عنه أقول يمكن الجواب بان معناه قل فلم تقتلون الانبياء الكائنين من قبل أى لم ترضون بقتل الانبياء الكائنين من قبل (قوله وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم) فيه مبالغات أحدها اسناد الاشراب اليهم فكان حب العجل سار فى جميع أعضائهم الثانية حذف المضاف لان التقدير حب العجل أو عبادته فكان العجل نفسه أشرب فى قلوبهم الثالثة انه أسند الاشراب اليهم فهو متضمن لاسناد الاشراب الى قلوبهم ثم أكد ذلك بقوله فى قلوبهم (قوله وفى قلوبهم بيان لمكان الاشراب) فكان قائلا يقول الاشراب فى أى عضو فقيل فى قلوبهم وعلى ماجوزه بعضهم من ان فى قد تكون زائدة كما فى قوله تعالى اركبوا فيها يمكن ان يقال ان فى ههنا زائدة ويكون قلوبهم بدلا من الواو (قوله لانهم كانوا مجسمة أو حلولية) لايخفى ان المجسمة هم الذين يقولون بانه تعالى جسم والحلولية الذين قالوا بانه حال فى الجسم كما ذكر فى الكتب الكلامية ولا يلزم من عبادة العجل ذلك اذ يجوز ان تكون عبادتهم له بسبب مجرد شركهم فلعل هذ مفهوم من الخارج (قوله من دون الناس) أى من غير مشاركة الناس تاكيد للخلوص قيل يمكن ان يكون من للتعليل أى الخلوص لهم لعدم مشاركة الناس اياهم فان من قد يجىء للتعليل نحو مما خطيآتهم أغرقوا فادخلوا نارا فتأمل (قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) لقائل ان يقول لا يلزم من اختصاص الجنة لهم وعدم دخول غيرهم فيها ان يتمنوا الموت لان بين المفارقة عن الدنيا والدخول فى الجنة مددا متطاولة ويمكن ان يكون فيها شدائد ومتاعب لا يعلم قدرها الا الله ومنه زمان الكون فى البرزخ فهذا مانع من عدم تمنى الموت والجواب زعم اليهود على ماهو ظاهر كلامهم انهم اذا ماتوا دخلوا الجنة ليس بين مفارقتهم عن الدنيا والدخول فى الجنة الا أياما معدودة لان من مات فقبره اما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران ولما كان زعمهم ان لا يدخلوا النار الا سبعة أيام لزم عليهم

عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغه وانما أسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرأ نافع وحده أنبئاء الله مهموزا فى جميع القرآن (ولقد جاءكم موسى بالبينات) يعنى الآيات التسع المذكورة فى قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات (ثم اتخذتم العجل) أى الها (من بعده) بعد مجىء موسى أو ذهابه الى الطور (وأنتم ظالمون) حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته أو بالاخلال بآيات الله تعالى أو اعتراض بمعنى وأنتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية أيضا لابطال قولهم نؤمن بما أنزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة أسلافهم مع موسى عليهما الصلاة والسلام لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) أى قلنا لهم خذوا ما أمرتم به فى التوراة بجد واسمعوا سماع طاعة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك (وأشربوا فى قلوبهم العجل) تداخلهم حبه ورسخ فى قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب أعماق البدن وفى قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تعالى انما يأكلون فى بطونهم نارا (بكفرهم) بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة أو حلولية ولم يروا جسما أعجب منه فتمكن فى قلوبهم ماسول لهم السامرى (قل بئس ما يأمركم به ايمانكم) أى بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر أو ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة فى الآيات الثلاث الزاما عليهم (ان كنتم مؤمنين) تقرير للقدح فى دعواهم الايمان بالتوراة وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لم يأمركم بهذه القبائح ولا يرخص لكم فيها ايمانكم بها أو ان كنتم مؤمنين بها فبئسما يأمركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغى ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذا لستم بمؤمنين (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة) خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار (من دون الناس) سائرهم واللام للجنس أو المسلمين واللام للعهد (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) لان من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاقها وأحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال على رضى الله تعالى عنه لا أبالى سقطت على الموت أو سقط الموت على وقال عمار رضى الله تعالى عنه بصفين

ان يتمنوا الموت اذهم على زعمهم يكونون فى الراحة فى عالم البرزخ اذ من لم يكن فى الراحة يكون فى العذاب لكن زعمهم انهم لا يعذبون الا أياما معدودة فيكون معنى الآية قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة على ما زعمتم من ان لا مهلة طويلا بين الموت والدخول فى الجنة فتمنوا الموت (قوله جاء حبيب على فاقة) أى على حاجة وسوق الى الموت كذا قاله العلامة التفتازانى والظاهر انه حال عن المفعول المحذوف أى جاءنى حبيب حال كونى على حاجة وسوق الى الموت (قوله لأفلح من ندم الخ على التمنى) أى أفلح من ندم عند الموت على تمنيه سابقا فان المؤمن اذا حضره الموت يشر برضوان الله وكرامته فليس شئ أحب اليه مما أمامه فاحب لقاء الله وأحب الله لقاءه كما هو نص الحديث على قائله الصلاة والسلام (قوله لانهم لو تمنوا الموت لنقل أشهر) فان قيل يجوز ان يتمنوا فى غير الملأ قلنا لو تمنوا لتمنوا فى ملأ الناس حجة لما فى القرآن كما هو عادتهم الذميمة (قوله وان كان بالقلب لقالوا تمنينا) بمعنى ان سلمنا ان التمنى بالقلب لزم ان قالوا باللسان تمنينا (قوله على انه أريد بالذين أشركوا اليهود) كذا فى الكشاف وقال العلامة التفتازانى كلام ابتداء بيان لشدة حرص اليهود لانهم المراد بالاشركين والا لم يكن لهذا الكلام ربط بما قبله أقول لا حاجة الى التخصيص باليهود بل يمكن ان يكون المراد غيرهم كما قال فى الكشاف انه قيل أراد بالذين أشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز وألف مهرجان وعن ابن عباس هو قول الاعاجم أى هزار ارسال ورايله بما تقدم من قوله تعالى ولتجدنهم أحرص الناس على حياة الخ

الآن ألا ترى الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة رضى الله عنه حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا أفلح من ندم أى على التمنى سبحانك اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره (وان يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم) من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها أكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة أخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما أخبر لانهم لو تمنوا النقل واشتهر فان التمنى ليس من عمل القلب ليخفى بل هو أن يقول ليت لى كذا ولو كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ومادبق على وجه الارض يهودى (والله عليم بالظالمين) تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون فى دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) من وجد بعقله الجارى مجرى علم ومفعولاه محذوفان أى وأحرص الناس وتنكير حياة لانه أريد بها فرد من أفرادها وهى الحياة المتطاولة وقرئ بالام (ومن الذين أشركوا) محمول على المعنى وكأنه قال احرص من الناس على الحياة ومن الذين أشركوا وافراده بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحياة العاجلة والزيادة فى التوبيخ والتقريع فانهم لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز أن يراد وأحرص من الذين أشركوا بحذف أحرص لدلالة ما لا تل عليه وأن يكون خبر مبتدأ محذوف صفته (يود أحدهم) على أنه أريد بالذين أشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله أى ومنهم ناس يود أحدهم وهو على الاقوال بيان لزيادة حرصهم على طرق الاستئناف (لو يعمر ألف سنة) حكاية ودادتهم ولو بمعنى ليت وكان أصله لو أعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن (وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر) الضمير لاحدهم وأن يعمر فاعل مزحزحه أى وما أحدهم بمن يزحزحه من العذاب تعميره أو لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه أو مبهم وأن يعمر موضحه وأصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا أتت عليها السنون (والزحزحة التبعيد (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم (قل من كان عدوا لجبريل) نزل فى عبد الله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه بالوحى فقال جبريل فقال ذاك عدو ما عادانا مرارا وأشدها انه أنزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم أمره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضى

أحرص الناس على حياة المبالغة فى حرصهم فانه لما قيل هم أشد الناس حرصا والحال ان من الناس المشركين من الله يود أحدهم أن يعمر ألف سنة فحرصهم على الحياة مما لا يمكن وصفه (قوله وهو على الاولين الخ) قدم توجيهات ثلاث لقوله تعالى ومن الذين أشركوا فقال ان قوله تعالى يود على الاولين جملة مستقلة على طريقة الاستئناف اذ الكلام على هذين التوجيهين تم عند قوله تعالى ومن الذين أشركوا واما على التوجيه الثالث وهو ان يكون يود أحدهم صفة مبتدأ محذوف ويكون قوله تعالى ومن الذين أشركوا خبره فيكون هذا المجموع جملة معطوفة على السابقة (قوله لو يمنى ليت) تابع فى ذلك صاحب الكشاف وتوضيح المعنى انه فى تقدير يود أحدهم قائلا لو أعمر يمنى ليتنى أعمر الا انه نظرا لى لفظ أحدهم وهو غائب وذكرت الحكاية بلفظ الغيبة

كذا قاله العلامة التفتازاني والتقدير الذي ذكره لا يتم اذ لا وجه لمجرد قوله يود أحدهم قائلا لو أعمر بل لا بد من شئ آخر وهو ان يقال يود أحدهم العمر طويلا قائلا لو أعمر والظاهر ان هذا تكلف والحق ان لو ههنا حرف مصدري قال ابن هشام والذي أثبت لو المصدرية الفراء وأبو علي وأبو البقاء وان مالك وأكثر وقوعها بعد ود أو يود (قوله وان كان كما يقولان فليسا بعدوين) فكان منشأ توهمهم الباطل قياس الملائكة المقربين الى الله تعالى على خواص السلاطين المقربين اليهم وذلك فاسد لان الملائكة كلهم مطيعون لامر خالقهم ومتنزهون عن الحسد وعن الاخلاق الذميمة فلا وجه لعداوتهم بعضهم مع بعض (قوله فانه محل الفهم والحفظ) كون القلب محل الفهم ظاهر واما كونه محل الحفظ ففيه خفاء فان المسطور في كتب العلوم العقلية ان حافظة الصور الجزئية الخيال وحافظة المعاني الجزئية القوة الحاصلة في مؤخر الدماغ المسماة بالحافظة وحافظة المعاني الكلية وخزانتها هو العقل المفيض على النفوس بامر ربه (قوله فليمت غيظا الخ) فان قلت اذا كان الجواب أحد ماذكر فما وجه ربط فانه نزله به قلنا اما وجه ربط الاول فبان يقال المعنى فليمت غيظا لانه نزله الآية وتوضيحه ان سبب غيظهم وعداوتهم ﴿ (١٧٣) ﴾ نزوله على قلب النبي عليه السلام وهذا أمر محقق فليموتوا غيظا واما وجه ربط الثاني فبأن يقال بنزوله على قلبه باذن ربه فمن أنكر نزوله كان عدوا لله ومن كان عدوا لله كان الله عدوه واعلم ان ظاهر قوله وقيل محذوف انه غير محذوف على الوجه الاول وليس كذلك لانه على الوجه الاول أيضا محذوف لقوله لحذف الجواب وأقيم علته مقامه فالمراد ان يكون الجزاء محذوفا تقديره مع عدم ذكر شئ مقامه وحينئذ يكون قوله تعالى انه نزله الآية جملة مستأنفة كانه قيل ماسبب عداوة جبرائيل فقيل انه نزله الاية فتأمل (قوله أراد بعداوة لله تعالى مخالفته عنادا أو معاداة المقربين من عباده) ان قيل هذا يدل على ان عداوة الله تعالى ليست على معناها الحقيقي بل انما هي تجوز والمصنف فسر المحبة بميل النفس الى الشئ لاكمال أدرك فيه بحيث يحمله على ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل كمال فهو من الله تعالى لم يكن حبه الا لله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسر المحبة بارادة الطاعة ولا يخفى ان العداوة ضد المحبة فهي نفرة النفس ظاهرا عن الشئ لنقيصة أدركت فيه بحيث تحمله على ما يبعده عنه وعلى هذا فلا يجب ان يحمل عداوة الله على المعنى المجازي قلنا اعتقاد النقص في الله ليس مما يذهب اليه من له أدنى عقل فاليهود لم يدعوا ذلك وسيصرح به (قوله وصدر الكلام بذكره تفخيما لشأنهم) أي صدر الكلام بذكر الله مع ان اليهود لم يزعموا انهم أعداء الله بل زعموا انهم عدو جبرائيل والنبي عليهما السلام تنبيها على ان عداوة جبرائيل عداوة الله وكذا عداوة النبي عليه السلام عداوة الله وعداوة سائر الانبياء ثم ان قوله تعالى فان الله عدو للكافرين زيادة تفخيم شأن الانبياء والملائكة فانه يفيد ان من عادى الرسل والملائكة فان الله عدو لهم

الله تعالى عنه مدراس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال ومامنزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال ان كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولا تهم أكفر من الحمير ومن كان عدو أحدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه الصلاة والسلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثماني لغات قرئ بهن أربع في المشهور جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم برواية أبي بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقين وأربع في الشواذ جبرائل وجبرائيل كجبرا عيل وجبرئل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله (فانه نزله) البارز الاول لجبريل والثاني للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره (على قلبك) فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله تعالى كأنه قال قل ما تكلمت به (باذن الله) بامره أو تيسيره حال من فاعل نزله (مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) أحوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خالف بقية الانصاف أو كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب وأقيم علته مقامه أو من عاداه فالسبب في عداوته انه نزله عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا أو فهو عدو لي وأنا عدوه كما قال (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين) أراد بعداوة الله مخالفته عنادا أو معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشأنهم كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وأفرد الملكين بالذكر لفضلهما كأنهما

(قوله والتنبيه على ان معاداة الواحد) هذا غير مذكور فى الكشاف وهو انما يتم اذا كان الواو بمعنى او والا فلا يدل على ماذكر بل على شرفهما فتأمل (قوله وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الخ) لم يجعل الواو واو العاطفة الساكنة كما سكن الهاء فى وهو لانه يوجد مثل ذلك فى الواو العاطفة بل تجعل أو العاطفة للجملة الفعلية التى هى نبذة على الفاسقين لانه يمنى الذين فسقوا نظرا الى المعنى وان لم يصح جعل صلة للاول الفعل واعلم ان فيما ذكره موافقا لصاحب الكشاف نظرا اذ يلزم منه ان يكون الذين كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم كافرين مطلقا ولكن ماذكر بعده وهو قوله تعالى بل أكثرهم لا يؤمنون يدل على انهم ليسوا بكافرين مطلقا بل أكثرهم كافرون وبعضهم مؤمنون والجواب ان الفاسقين والكافرين والمعاهدين والنابذين فى الآية بعض اليهود وضمير أكثرهم راجع الى مطلق اليهود فيندفع السؤال وقال العلامة التفتازانى أو فى مثل هذه المواضع تفيد تساوى الامرين فى الوقوع مع ان الثانى أبعد وأليق بعدم الوقوع فيحمل على انها بمعنى بل وقد أثبتها الثقات وشهد بها الاستعمال ودلت عليه ههنا القرينة أعنى قوله بل أكثرهم لا يؤمنون (١٧٤) ترقيا الى الاغلاظ فالاغلاظ أقول فيه نظر لان تساوى الأمرين فى الوقوع مع كون أحدهما أبعد عن الوقوع لا وجه له ظاهر اذ بينهما تنافٍ والاولى ابدال لفظ الاستواء بالاشتراك (قوله فسقوا أو كلما عاهدوا الخ) قدمنى النظر الوارد فيه والجواب عنه والاولى ان يقال ان الهمزة مؤخرة عن حرف العطف تقديرا فتكون الجملة معطوفة على الجملة السابقة كما هو مذهب الجمهور (قوله أو ان لم ينبذ جهارا الخ) يعنى يتوهم من قوله تعالى نبذه فريق منهم ان الاقلين منهم نابذون فلزم ان لا يكون أكثرهم نابذين فلزم ان يكونوا مؤمنين فرد هذا التوهم بقوله تعالى بل أكثرهم لا يؤمنون اذ لا يلزم من عدم النبذ جهارا وتمردا بالتوراة وهو المراد من النبذ ههنا الايمان اذ يجوز ان يكونوا نابذين خفاء (قوله واعلم انه تعالى قد دل بالآيتين على ان جل اليهود أربع فرق الخ) العبارة الواضحة ان يقال ان المفهوم من قوله تعالى من الآية الثانية بيان حال العالمين باحكام التوراة كما هو المفهوم من قوله تعالى كانهم لا يعلمون وهم فرقتان فرقة تمسكوا باحكام التوراة ظاهرا كما ذكره وفرقة لم يتمسكوا بها ظاهرا وعلى هذا يكون مفهوم الآية الاولى بيان حال الجاهلين بها وهم قسمان أحدهما المتمردون المهمكون فى المعاصى المعرضون بالطبع عن تعلم أحكام التوراة والعمل بها الثانى الجاهلون الذين ليس لهم تمرد واعراض بالطبع لكن لم يتفق لهم تعلمها والبهم الاشارة بقوله تعالى بل أكثرهم لا يؤمنون وفى هذا القول اشارة أيضا الى الفرقة الخامسة الذين هم المؤمنون فهؤلاء كل اليهود لا جلهم وهو أولى من التخصيص بجهلهم فان قلت المفهوم من قوله على ان جل اليهود أربع فرق ان منهم فرقة خامسة فمن هى قلنا قد كان الفرقة الرابعة هم الذين تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها حقيقة الخ ومنه يعلم ان ههنا فرقة أخرى هم العالمون بها لكن لا يتمسكون بها ظاهرا فتأمل ففيه اشكال

من جنس آخر والتنبيه على أن معاداة الواحد والكل سواء فى الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى أحدهم فكأنه عادى الجميع اذ الموجب لعداوتهم ومحبتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما و وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وأبو عمرو و يعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد والباقون ميكائيل بالهمزة والياء بعدها وقرئ ميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل وميكائن (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون) أى المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل فى نوع من المعاصى دل على عظمه كأنه متجاوز عن حده نزل فى ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشئ نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك (أوكلما عاهدوا عهدا) الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على أن التقدير الا الذين فسقوا أوكلما عاهدوا وقرئ عوهد وعوهدوا (نبذه فريق منهم) نقضه وأصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما نسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض (بل أكثرهم لا يؤمنون) رد لما يتوهم من أن الفريق هم الاقلون أو أن من لم ينبذ جهارا فهم مؤمنون به خفاء (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) كعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله) يعنى التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول صلى الله عليه وسلم هو القرآن (وراء ظهورهم) مثل لاعراضهم عنه وأسابالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه (كأنهم لا يعلمون) أنه كتاب الله يعنى أن علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم أنه تعالى دل بالآيتين على أن جيل اليهود أربع فرق فرقة آمنوا

بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني أهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل أكثرهم لايؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطى حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذ فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون (واتبعوا ماتتلو الشياطين) عطف على نبذ أي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها أو تتبعها الشياطين من الجن أو الانس أو منهما (على ملك سليمان) أي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ماسمعوا أكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن يعلمون الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الجن والانس والريح له (وما كفر سليمان) تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على أنه كفر وان من كان نبيا كان معصوما منه (ولكن الشياطين كفروا) باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين (يعلمون الناس السحر) اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر مايستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لايستقل به الانسان وذلك لايستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي وأما مايتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية أو يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز أو لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه (وما أنزل على الملكين) عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار أو المراد به نوع أقوى منه أو على ماتتلو وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وماروى أنهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لايخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما أنزل نفي معطوف على ما كفر سليمان تكذيب لليهود في هذه القصة (ببابل) ظرف أو حال من الملكين أو الضمير في أنزل والمشهور أنه بلد من سواد الكوفة (هاروت وماروت) عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعلمية والعجمة ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية أبدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما

(قوله وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر) فيه نظر فان السحر مطلقا ليس بكفر وانما يكون كفرا اذا لحقه شئ موجب لكفر قال الفقهاء حرم فعل السحر اجماعا ويكفر مستحله ولو قال أعمله استوصف فان وصفه بما هو كفر كأن يعتقد التقرب الى الكواكب السبعة أو قال أفعل السحر بقدرتي لا بقدرة الله تعالى فهو كافر وان وصفه بما ليس بكفر فليس بكافر ففي الاطلاق المذكور نظر وكذا في قوله باستعماله لان استعمال السحر ليس بكفر مطلقا قال العلامة التفتازاني علم السحر مزاولة النفوس الخبيثة لافعال وأقوال يترتب عليها أمور خارقة للعادات ولا يروى خلاف في كون العمل به كفرا وعده نوعا من الكبائر مغايرا للاشراك لاينافي ذلك لان الكفر أعم والاشراك نوع منه أقول فيه نظر ذكرناه ثم ان تفسير علم السحر بالمزاولة المذكورة ليس كما ينبغي اذ المزاولة عمل وهو ليس بالعمل بل أثره (قوله والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله الخ) فيه نظر اذ لابد في تعريفه من اعتبار الخارق للعادة الا ان يقال هو المراد مما لايستقل به الانسان قال الامام الغزالي العلم انما يذم في حق العباد لاجل أمور ثلاثة الاول ان يكون مؤديا الى ضرر اما بصاحبه واما بغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق اذ شهد به القرآن وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ شكل من تلك الجواهر على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص في المطالع ويقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش والمخالفة للشرع ويتوسل بسببها بالاستعانة الى الشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور (قوله أو يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم) فيه نظر لان الفقهاء قالوا تعليم الشعبذة وتعلمها حرامان والشعبذة خفة اليد قال العلامة التفتازاني الشعوذة خفة في اليد وكذا الشعبذة وقيل للبريد الشعوذي لخفته ويعلم مما ذكرنا ان عمل خفة اليد التي هي الشعبذة حرام (قوله وحله لايخفى على ذوي البصائر) وتوضيحه أن يقال ان الملكين النازلين من السماء أي من سماء عالم القدس الروح والقلب والمرأة التي هي الزهرة النفس فانها حملت الروح والقلب على المعاصي وهما يربيان النفس ويطهرانها حتى تصفو فيحصل لها عروج وارتفاع ولحقت بسبب كمالها الى عالم القدس أيضا وليس فيما ذكر مناف لهذا التأويل فانه لايلزم من حمل النفس القلب والروح

على المعاصى اشتغالهما بها (قوله ومن جعل ما نافية أبدلهما من الشياطين بدل البعض) لانه اذا لم ينزل على الملكين شئ من السحر على ماهو مقتضى ما النافية فلا يشتغلان بالسحر ولا يعلمانه فوجب أن يكون هاروت وماروت غير الملكين لانهما أى هاروت وماروت يعلمان الناس السحر فلا وجه الا أن يكونا بدلين من الشياطين (قوله فعلى الاول) أى على القول بانهما ملكان نزلا من السماء ابتلاء للناس (قوله وعلى الثانى) أى على تقدير ما قاله اليهود من انهما مثلا بشرين فتأمل أو يقال المراد من الثانى كون ما نافية وأن يكون هاروت وماروت بدلين من الشياطين بدل البعض كما ذكر (قوله فمن تعلم مناوعمل به كفر) فيه نظر قدس ودفعه بان يقال ان المراد انه اذا اعتقد ما يوجب الكفر كاستحلاله أو يقال لعل هذا كفر فى شرع تقدم (قوله وفيه دليل على أن تعلم السحر ومالا يجوز اتباعه غير محظور) فيه نظر اذ هو خلاف كلام الفقهاء فانهم لم يجوزوا تعليم السحر وتعلمه فتأمل (قوله الضمير لما دل عليه من أحد) فان النكرة فى سياق النفى المقيد للعموم فالتقدير يتعلم الناس (قوله على الاضافة الى أحد الخ) قال ابن جنى هذا من أبعد الشواذ وذلك انه فصل بين المضاف والمضاف اليه بالظرف الذى هو به تم جعل المضاف اليه هو الجار والمجرور جميعا ولم يصلح أن تكون من مقحمة لتأكيد معنى الاضافة كالملام فى لا أباك لان هذه اضافة لفظية الى المفعول ليست بمعنى من (قوله لانهم يقصدون به العمل الخ) انما ذكرهذا لانه صرح سابقا ان مجرد تعلم السحر غير ضار وانما الضار العمل به (قوله والاظهر ان اللام للابتداء الخ) أى ليست للتأكيد كاللام التى فى لقد علموا وانما كان أظهر لان التأسيس خير من التأكيد (قوله يحتمل المعنيين) أى البيع والشراء كما مر فى تفسير قوله تعالى بئسما اشتروا به أنفسهم (قوله يتفكرون فيه أو يعلمون قبحه على التعيين الخ) فان قيل التقييد بقوله كانوا يعلمون على هذه التفاسير يدل على قبح صنيعهم يناسب على تقدير علمهم وليس كذلك بل شراء أنفسهم قبيح بما ذكر سواء علموا أو لم يعلموا فلنا معناه لو كانوا يعلمون لارتدعوا عن فعلهم القبيح ومحصول كلام المصنف ان العلم المثبت لهم أولا العلم الحاصل بالغريزة أى الخلقة والبديهة التى لا تعدل عنها والعلم المنفى عنهم انهم لم يتفكروا فلم يتقرر قبحه كما هو حقه عندهم وعملوا على خلاف ما اقتضاه الفعل الغريزى فانهم علموا اجمالا قبحه لكن لم يعلموا قبحه على التفصيل والتعيين أو انهم علموا قبحه لكن لم يتحقق عندهم حقيقة ما ترتب عليه من العذاب (قوله لا يبيعوا مثوبة من عند الله الخ) وانما قدر هذا التقدير لان جواب لو يجب أن يكون فعلية ماضوية (قوله ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها) فيه نظر اما أولا فلانه لا يدل على ثبات المثوبة بل على ثبات الخيرية للمثوبة واما ثانيا فلانا لا نسلم أنه يدل على الجزم بخيريتها وقد تكلف العلامة التفتازانى فى توجيه الاول فقال أصله لانابهم الله مثوبة نه فعدل الى مثوبة لهم للدلالة على ثبات المثوبة لهم واستقرارها على تقدير الايمان والتقوى ثم الى مثوبة من عند الله خيرتحسيرا لهم على حرمانهم الخير وترغيبا لمن سواهم فى الايمان والتقوى أقول لا يخفى ما فيه

اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت (ومايعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) فمعناه على الاول مايعلمان أحدا حتى ينصحاه ويقولاله انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم مناوعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على أن تعلم السحر ومالا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثانى مايعلمانه حتى يقولا انما نحن مفتونان فلا تكن مثلنا (فيتعلمون منهما) الضمير لما دل عليه من أحد (مايفرقون به بين المرء وزوجه) أى من السحر مايكون سبب تفريقهما (وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله) لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بأمره تعالى وجعله وقرئ بضارى على الاضافة الى أحد وجعل الجار جزأ منه والفصل بالظرف (ويتعلمون مايضرهم) لانهم يقصدون به العمل أولان العلم يجر الى العمل غالبا (ولاينفعهم) اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع فى الدارين وفيه ان التحرز عنه أولى (ولقد علموا) أى اليهود (لمن اشتراه) أى استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله تعالى والاظهر أن اللام لام الابتداء علقت علمها عن العمل (ماله فى الآخرة من خلاق) نصيب (ولبئس ماشروا به أنفسهم) يحتمل المعنيين على ما مر (لوكانوا يعلمون) يتفكرون فيه أو يعلمون قبحه على التعيين أوحقية مايتبعه من العذاب والمثبت لهم أولا على التوكيد القسمى العقل الغريزى أوالعلم الاجمالى بقبح الفعل أوترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعلمون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم (ولو أنهم آمنوا بالرسول والكتاب (واتقوا) بترك المعاصى كمنيد كتاب الله واتباع السحر (لمثوبة من عند الله خير) جواب لو وأصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به أنفسهم فحذف الفعل وركب الباقى جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من أن

من التكلف وعدم ظهور دلالة اللفظ عليه ويمكن أن يقال الاصل لايثبوا مثوبة من عند الله خيرا لهم فحذف الفعل والجار والمجرور وعدل الى الجملة الاسمية اشعارا بان المثوبة خير لهم وانه خير هم وللدلالة على ثبات الخيرية للمثوبة واذا ثبتت الخيرية للمثوبة ثباتا دائما كانت المثوبة أيضا دائمة والجواب عن الثاني ان خيرا اذا كان صفة يدل ظاهرا على ان المثوبة قد تكون خيرا وقد لا تكون خيرا وأما اذا رفع كان الحكم بان المثوبة مطلقا خير بق ههنا سؤال وهو ان مفهوم الشرط ان خيرية المثوبة على تقدير ايمانهم واتقائهم والحال ان خيريتها ثابتة سواء آمنوا واتقوا أولم يؤمنوا ولم يتقوا والجواب ان التقدير مثوبة من عند الله خير كائن لهم فحذف المشتق والجار والمجرور (قوله وتنكير المثوبة) يعني انما لم يقل لمثوبة الله خير بالتعريف بل أورد منكرا لماذكر (قوله والود محبة الشئ مع تمنيه الخ) لوكان كذلك لكان المناسب أن يقال مايحب الذين كفروا الخ بدل قوله تعالى مايودلان نفي الود على ماذكر لايستلزم نفي المحبة ههنا لكن المناسب ههنا نفي المحبة واعلم أن المفهوم من الصحاح ان الوديجيء بمعنى التمني وقد يجيء بمعنى المحبة فانه قال تقول وددت لوتفعل كذا أي تمنيت ووددت الرجل أحبه وأما كونه (١٧٧) بمعنى المحبة مع التمني الى آخر ماقال فلايفهم من الصحاح (قوله مزيد للاستغراق) أي لتأكيد الاستغراق والعموم ودفع توهم عدم الشمول قال العلامة التفتازاني يعني من التي في من خير مزيدة للاستغراق لان خيرا نكرة في سياق النفي فاعل أن ينزل وهو مفعول يود الداخل عليها ما النافية فيفيد من الاستغراقية زيادة في العموم وتأكيدا وايست صلة محضة أقول فيه نظر اما أولا فلان من لاتفيد زيادة في العموم بل تؤكد العموم وترفع توهم عدمه واما ثانيا فلانه ليست صلة محضة أي حرف زائد للتأكيد كما هو شأن الحروف الزائدة

يذهب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشئ من الثواب خير وقيل لولا تمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة مكثورة وانما سمى الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه (لوكانوا يعلمون) ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك التدبر أو العمل بالعلم (يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا) الرعى حفظ الغير لصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول عليه السلام راعنا أي راقبنا وتأن بنا فيانلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن أو سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما يفيد تلك الفائدة ولايقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا أو انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ أنظرنا من الانظار أي أمهلنا للحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين أي قولا ذا رعن نسبه الى الرعن وهو الطوح لما شابه قولهم راعينا وتسب للسب (واسمعوا) وأحسنوا الاستماع حتى لاتفتقروا الى طلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود أو واسمعوا ما أمرتم به بجد حتى لاتعودوا الى مانهيتم عنه (وللكافرين عذاب أليم) يعني الذين تهاونوا بالرسول عليه السلام وسبوه (مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين) نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين (ان ينزل عليكم من خير من ربكم) مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به ومايحبون ان ينزل عليكم شئ منه و بالعلم و بالنصرة واهل المراد به مايعم ذلك (والله يختص برحمته من يشاء) يستنبئه و يعلمه الحكمة و ينصره لايجب عليه شئ وليس لاحد عليه حق (والله ذو الفضل العظيم) اشعار بان النبوة من الفضل وأن حرمان بعض

(٢٣ - (بيضاوى) - اول)

والجواب أن يقال المراد من زيادة العموم قوته ومن قوله وليست صلة محضة انها ليست زائدة بلا فائدة (قوله لايجب عليه شئ وليس لاحد عليه حق) فيه بحث فان وجوب الشئ اما أن يكون عبارة عن استحقاق الذم بتركه أو ان يكون تركه مستلزما الاخلال بالحكمة كذا نقل عنهم أي عن القائلين بالوجوب وهم المعتزلة و بعض العلماء وحينئذ نقول الباري تعالى علم في الازل وجود كل حادث في وقته المعين على هيأته وأحواله المخصوصة فيجب صدور الحوادث عنه تعالى على ماقتضاه علمه الشامل اذ لولم يصدر لزم الجهل وهو موجب للذم ومخل بالحكمة وأما انه ليس لأحد عليه حق فلاينفي الوجوب بالمعنى المذكور وقد بسطنا هذا البحث في حاشيتنا على شرح المواقف (قوله فيه اشعار بان النبوة من الفضل) فيه رد للفلاسفة حيث يقولون النبوة تكون بالكسب لا بالفضل فان قلت ان أراد أن النبوة لاتكون الا بفضل الله تعالى فهذا الحصر لايفهم من الآية وان أراد أن النبوة قد تحصل بالفضل فهو مسلم لكن هذا ليس بمقصود والجواب أن يقال ان مقتضى قواعد الفلاسفة ان كل ماصدر من الله تعالى فهو بطريق الايجاب لا بالفضل والهبة فاذا ثبت أن بعض النبوة بطريق الفضل ثبت ان الكل كذلك اذ لاقائل

بالفصل (قوله وماعرف فيه من حكمته) فيه نظر اذ على هذا يكون خلافه محالفا للحكمة فيكون مذموما بالوجهين المذكورين فيكون ذلك الفعل واجبا عليه تعالى بالمعنى المعتبر عند المعتزلة كما مر والاولى حذف هذا والاقتصار على ماسبق (قوله والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشئ واثباتها في غيره) ان أراد أن معناه في اللغة مجموع هذين الأمرين فممنوع وان أراد أن كل واحد منهما معنى مستقل فيكون قوله ولذلك قد يستعمل في كل منهما قليل الجدوى قال في الصحاح ويقال نسخت الشمس الظل أزالته ونسخت الرياح آثار الديار غيرتها ونسخت الكتاب وانتسخته واستنسخته كله بمعنى وقال العلامة النيسابوري النسخ لغة الازالة والنقل أيضا وهو ان يغير الشئ من حال وصفة مع بقائه في نفسه وماذكر كله يدل على ان معنى النسخ اما مجرد الازالة والنقل واما ماذكرمن انه ازالة الصورة عن الشئ واثباتها في غيره فخلاف لما نقلنا (قوله منتصبة به) في اعراب كلمات الشرط اختلاف بين النحاة وهذا الذي ذكره مذهب سيبويه قال الرضي يمكن أن يقال على مذهب سيبويه ان كلمات الشرط والاستفهام متضمنة لحرفي الشرط والاستفهام فحذفتا لكثرة الاستعمال على ماذكر في حد الاسم (١٧٨) ان كلمات الشرط اما فاعلة للفعل مقدرا ومفعولة له والظاهر لكنه خالف ذلك في موضع آخر فقال وان قلت ان حرف الشرط مقدر قبل كلمات الشرط كما هو مذهب سيبويه فكلمات الشرط اذن معمولة لفعل مقدر يفسره مابعده أبدا سواء كانت مرفوعة أو منصوبة اذ حرف الشرط لايدخل الا على فعل ظاهر أو مقدر وذلك عند البصريين وههنا موضع نظر آخر فتأمل (قوله أو مثلها في الثواب) يعني وان لم يكن مثلها في النفع بل يكون خيرا منها فيه فان النسخ بناسب أن يكون النفع فيه أي الفائدة العاجلة الدنيوية في الناسخ أكثر حتى يتحقق النسخ

عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وماعرف فيه من حكمته (مانسخ من آية أونسها) نزلت لما قال المشركون أو اليهود ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشئ واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو الحكم المستفاد منها أو بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وماشرطية جازمة لنسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر مانفسخ من أنسخ أي نأمرك أو جبريل بنسخها أونجدها منسوخة وابن كثير وأبو عمر ونسأها أي نؤخرها من النسء وقرئ ننسها أي ننس أحدا اياها وتنسها أي أنت وتنسها على البناء للمفعول وتنسكها باضمار المفعولين (نأت بخير منها أومثلها) أي بما هو خير للعباد في النفع والثواب أومثلها في الثواب وقرأ أبو عمر وبقاب الهمزة ألفا (ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير) فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ أو بما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان ومايتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في عصر غيره واحتج بهامن منع النسخ بلابدل أو ببدل أثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو الأتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم أو الاثقل أصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما أتى به الله تعالى وليس المراد بالخير والمثل مايكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه وأجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم (ألم تعلم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وأمته لقوله ومالكم وانما أفرده لانه أعلمهم

ومبدأ

(قوله اذ الاصل اختصاص ان الخ) جواب سؤال وهو ان لقائل أن يقول لايلزم من الآية جواز النسخ اذ كلمات الشرط قد تدخل على المستحيل كما في قوله تعالى لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فأجاب بان دخولها على المستحيل قليل والاصل دخولها على الامور الممكنة (قوله ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير) هذا اثبات لعلم النبي عليه الصلاة والسلام بان الله على كل شئ قدير والغرض ان انكارهم لما ذكر بسبب جهلهم بقدرته على كل شئ (قوله والنسخ قد يعرف بغيره) أي بغير بدل هذا رد لقول من لم يجوز عدم النسخ بلابدل فانه تخييل من الآية انه لم يعرف الا ببدل مثل المنسوخ أو خير منه (قوله والمعتزلة على حدوث القرآن) عطف على قوله من منع النسخ الخ أي واحتج المعتزلة بهذه الآية على حدوث القرآن (قوله فان التغير والتفاوت من لوازمه) يتوهم من هذه العبارة انهما من لوازم الحدوث وليس كذلك بل الحق أن يقال ان التغير من ملزومات الحوادث لأن هذا استدلال بالتغير على الحدوث والاستدلال يكون من الملزوم على اللازم لا العكس اذ يلزم من وجود الملزوم وجود اللازم وعلى ماقلنا يكون مطابقا لما هو المشهور من الاستدلال بتغير العالم على حدوثه ويمكن أن يقال مراده ان التغير والتفاوت من لوازم القرآن وهما

مستلزمان للحدوث فيكون ههنا مقدمة مطوية أو يقال ان المراد من اللازم ههنا ما لا يتحقق بدون ذلك الشئ كما يقال فلان لزم بيته أى لا يخرج منه وقد مر هذا المعنى منقولا عن الشريف المحقق فى أوائل الكتاب وتوضيح الجواب فيما نحن فيه أن يقال لا تغير فى المعنى القائم بالذات بل التغير انما هو فى استمرار تعلقه بافعال المكلفين ولا نسلم ان التفاوت مستلزم للحدوث لم لا يجوز أن يكون امورا قديمة متفاوتة فان صفاته تعالى الذاتية قديمة كلها ومذهب أهل التحقيق مع انها متفاوتة فى التعلقات والأحكام لا يقال المعتزلة لم يقولوا بالصفات القديمة لانا نقول عدم قولهم بذلك لا يضرنا ومع ذلك فان بعضهم يقولون فى المعنى بالصفات القديمة وان نفوا ذلك بحسب الظاهر كما هو مذكور فى كتب الكلام (قوله وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شئ قدير) فيه نظر اذ كل منهما مستلزم للآخر فان القدرة على كل شئ تستلزم ملكية السموات والأرض وبالعكس فمن اتصف كونه قادرا على كل شئ يجب أن يكون له ملك السموات والأرض ومن اتصف بان يكون له ملك السموات والارض يجب أن يكون قادرا على كل شئ فجعل أحدهما دليلا على الآخر ليس أولى من العكس والجواب انهما وان كانا متلازمين فى نفس الأمر لكن استلزام أحدهما للآخر ظاهر عند العقل من استلزام الآخر فان استلزام كون الله تعالى ملك السموات والارض لكونه تعالى قادرا على كل شئ أظهر من العكس فان الايجاد بالفعل ظاهر لا ستلزام القدرة لان من لم يقدر لا يمكن أن يوجد بالاختيار لكن القدرة لا تستلزم الايجاد بالفعل (قوله وعلى جواز النسخ) لأن من له ملك السموات والأرض له أن يحكم فى ملكه بما شاء وارادمن نسخ حكم بآخر وغيره (قوله وانما هو الذى يملك أموركم ويجير بها على ما يصلحكم) الاول ناظر الى كونه تعالى له ملك السموات والارض والثانى الى قوله ولى ولا نصير (قوله والنصير فقد يكون أجنبيا عن

ومبدأ علمهم (ان الله له ملك السموات والارض) يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شئ قدير أو على جواز النسخ ولذلك ترك العاطف (وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير) وانما هو الذى يملك أموركم ويجير بها على ما يصلحكم والفرق بين الولى والنصير ان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيا عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه (ام تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) أم معادلة للهمزة فى ألم تعلم أى ألم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما أراد أم تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عليه السلام أو منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت فى أهل الكتاب حين سألوا أن ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل فى المشركين لما قالوا ان نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا تقرؤه (ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) ومن ترك الثقة بالآيات البينات وشك فيها وقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع فى الكفر بعد

لا يكون إعجاز عن النصرة لانا نقول المراد من الولى فى الآية الحاكم حقيقة وفى قولنا الولى قد يكون اعجازا هو أعم واعلم أن نبوت العموم من وجه بينهما لا يحتاج الى أن يقال الولى قد يضعف عن النصرة بل لو كان قادرا عليها ولم ينصر لم يكن نصيرا ويكون وليا (قوله أم معادلة لهمزة) الاستفهام للتوبيخ يعنى ان شأنهم أن يقترحوا بالسؤال وتفويض الامر الى الله المالك الامور كلها الذى ليس ولى ولا نصير لهم الا هو فلما اقترحوا بالسؤال صاروا عاملين بخلاف مقتضى علمهم كما فعل قوم موسى وعلى ما ذكر يكون المخاطب فى قوله تعالى ألم تعلم ليس بعينه المخاطب فى أم تريدون اذ الخطاب فى الاول هو النبى عليه الصلاة والسلام وأمته وفى الثانى أمته فقط هذا مضمون كلامه والوجه أن يقال اذا كانت أم متصلة يكون ألم تعلم خطابا للامة واذا كانت منقطعة يحتمل ان يكون ألم تعلم خطا بالنبى وأمته تقريرا لهم بل الأولى ان يكون المخاطب غير النبى صلى الله عليه وسلم فى الآيتين فى كلا التفسيرين ويكون الخطاب فى ألم تعلم خطابا عاما للمؤمنين (قوله قيل نزلت فى أهل الكتاب) لا يخفى ان الخطاب فى قوله ألم تعلم للنبى صلى الله عليه وسلم أوله ولأمته معا وعلى تقدير ان تكون هذه الآية نزلت فى اليهود أو المشركين يكون الخطاب فيها مع أحد هذين الفريقين فلا يبقى بين الآيتين ملاءمة كما ينبغى فالوجه ان تكون هذه الآية نازلة فى المؤمنين للنهى عن اقتراحهم كذا ذكره أولا والخطاب فى قوله ألم تعلم لهم أيضا فى الحقيقة وان كان فى الظاهر خطابا للنبى عليه السلام هذا توجيه كلامه فى هذا المقام وههنا بحث وهو انه قال أولا ان سبب نزول قوله تعالى ما ننسخ الآية قول المشركين أو اليهود ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بشئ ثم ينهاهم عنه وعلى هذا فلا يظهر وجه ان يكون الخطاب فى ألم تعلم ان الله الآية للنبى أوله ولأمته فيكون الخطاب للطاعنين فى النسخ الا ان يقال المقصود من الخطاب المذكور ان يقول الرسول وأمته للطاعنين فى

النسخ ماعلموا وتحقق عندهم مما هو دافع للطعن المذكور من قدرته تعالى على كل شئ وعلى هذا فأم في قوله تعالى أم تريدون متصلة بمعنى انه أضرب عن الاستفهام عن هؤلاء المخاطبين أو غيرهم الاول واستأنف استفهاما ثانيا واما اذا كانت متصلة فيكون معطوفا على مقدر والتقدير أتقنعون بالعلم بما ذكر وتتركون الاقتراح في السؤال أو تفترحون في السؤال وعلى هذا يمكن ان يقال المخاطبون المؤمنون أو غيرهم واما اذا كان أم تريدون معطوفا على ألم تعلم ويكون ألم تعلم خطابا للنبي وأمته كما ذكرا لمصنف لا بد ان يكون المخاطبون في أم تريدون المؤمنين فتأمل والله أعلم بأسرار كلامه وانما قلنا ان أم تريدون معطوف على مقدر ولم نجعله معطوفا على ألم تعلم كما فعله المصنف والنيسابوري لان المناسب ان يجعل ألم تعلم الآية دليلا على حقيقة النسخ ويكون أم تريدون كلاما آخر لا يرتبط بالنسخ لان سبب نزوله على ما قالوا اما ان المسلمين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم شجرة كانوا يعبدونها كما سألوا موسى عليه السلام ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة واما قول اليهود أو المشركين كما قاله المصنف ولا يخفى ان الاسئلة المذكورة غير مترتبة بالنسخ (قوله ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا الخ) هذا اشارة الى دفع سؤال توهم ههنا وهو ان الاقتراح في السؤال ليس كفرا حتى يرتبط به قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان فدفعه بان الاقتراح في السؤال قد يفضي الى الكفر على ما فصله لكن المفهوم من كلام صاحب الكشاف ان المراد من الكفر الاقتراح في السؤال ومن الايمان الثقة وترك الاقتراح فعلى ما قاله المصنف في الآية اضمار وعلى ما قاله صاحب الكشاف في الآية مجاز لكن المناسب

ان يقال ومن ترك الثقة بالآيات وشك فيها واقترح غيرها حتى وقع في الكفر بعد الايمان فقد ضل سواء السبيل والغرض ان الاقتراح المذكور مما يفضي الى الكفر نعوذ بالله منه ثم ان مافي قوله تعالى كما سئل موسى عليه السلام يحتمل ان تكون مصدرية ويكون معناه كسؤال موسى عليه السلام بان يكون المصدر مضافا الى المفعول لان قوم موسى عليه السلام أيضا قد اقترحوا في السؤال ويحتمل ان تكون موصولة أو موصوفة أي كالذي سئل موسى عليه السلام عنه أو كشئ سئل (قوله بالكفر منبعثا من أصل نفوسهم) أي يكون مقتضى الا أنفسهم لا مكتسبا وما يكون مقتضى الذات أقوى أو يكون المراد انه بالغ غايته كشئ هو مقتضى الذات واذا تعلق بحسد ا يكون مستقرا ويكون المعنى حسدا كائنا من عند أنفسهم واذا تعلق بود يكون لغوا فان قيل لم قيل من عند أنفسهم ولم يقل من أنفسهم قلت يمكن ان يقال انه لو قيل من أنفسهم لتوهم ان معناه ودمن أجل أنفسهم وليس بمراد (قوله اذ الامر غير مطلق) أي الامر بالعفو والصفح ليس بمطلق حتى يكون مستمرا في جميع الازمنة بحسب الظاهر بل مقيدا انتهاؤه بأمر معين هو اتيان الله بأمره (قوله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) جملة معترضة بين ما تقدم عليها وما تأخر عنها وهو قوله ان الله بما تعملون بصير ان جعل ما تأخر عنها متعلقا بما تقدم عليها وان جعل ما تأخر عنها من متعلقات تكون اعتراضية على مذهب من جوز الجملة الاعتراضية في آخر الكلام (قوله تجدوه عند الله أي ثوابه) أي تجدوا ثوابه ثابتا في علم الله وحكمه أو تجدوا ثوابه عند قربكم الى الله والرجوع اليه (قوله لا يضيع عنده عمل) لم يفسر معنى البصير وقد فسره صاحب الكشاف بانه تعالى عالم وفي معنى كونه تعالى سميعا بصيرا اختلاف والتحقيق انه اذا سمع أحد شيئا أو أبصره ظهر للسامع أو الباصر ذلك الشئ ظهورا لم يحصل له عند علم ذلك الشخص به قبل سمعه

الايمان ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من أبدل (ودكثير من أهل الكتاب) يعني أحبارهم (لو يردونكم ان يردوكم فلا لو تنوب عن أن في المعنى دون اللفظ (من بعد ايمانكم كفارا) مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين (حسدا) علة ود (من عند أنفسهم) يجوز ان يتعلق بود أي تمنوا ذلك من عند أنفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق أو بحسدا أي حسدا بالغا منبعثا من أصل نفوسهم (من بعد ما تبين لهم الحق) بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة (فاعفوا واصفحوا) العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه (حتى يأتي الله بأمره) الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم أو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه منسوخ بآية السيف وفيه نظر اذ الأمر غير مطلق (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على الانتقام منهم (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) عطف على فاعفوا كأنه أمرهم بالصبر والمخالفة والتجأ الى الله تعالى بالعبادة والبر (وما تقدموا لأنفسكم من خير) كصلاة وصدقة وقرئ تقدموا من أقدم (تجدوه عند الله) أي ثوابه (ان الله بما تعملون بصير) لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا (وقالوا) عطف على ودوا الضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى (لن يدخل الجنة

وأبصاره يعني ان من علم شيأ ظهر له ذلك الشئ نحو من الظهور ثم اذا أبصره ظهر ظهورا بمحو آخر فان الابصار عبارة عن ذلك الظهور فكونه تعالى بصيرا بالاشياء انها ظهرت ظهورا عنده تعالى من جنس الظهور المذكور وان كان أقوى منه بمراتب وقس عليه حال السمع وههنا كلام طويل لا يحتمله المقام (قوله الامن كان هودا أونصارى) أى قال لفريقان لا يدخل الجنة الا أحدهما لكن قال كل منهما بالتعيين أى قال اليهود لا يدخل الجنة الا اليهود وقالت النصارى لا يدخل الجنة الا النصارى ولما كان كل من اليهود والنصارى أحد الفريقين صدق ان كلا من اليهود والنصارى قال لن يدخل الجنة الا أحد الفريقين (قوله فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت) فيه نظر فان الامور البديهية ثابتة مع عدم الدليل عليها ويمكن ان يقال المراد القول الغير البديهي وما دعوه كذلك (قوله من أسلم وجهه لله) أى أسلم بقلبه وأخلصه له من غير شرك خفي وجلي وقوله وهو محسن أى عمل الصالحات فيكون من أسلم لله وهو محسن بمنزلة قوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات واعلم انه لا يلزم من الآية عدم

دخول العصاة في الجنة اذ ليس في الآية ما يفيد ذلك (قوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) دفع توهم اذ لا يلزم من مجرد حصول الثواب عدم الخوف والحزن (قوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) ان قلت فيه تكرار لان كذلك معناه مثل ذلك القول فيكون مثل قولهم اعادة له قلت كذلك بمعنى مثل ذلك وهو مفعول به لقال أى مثل الشئ الذى قالوه قال الذين لا يعلمون وقوله تعالى مثل قولهم مفعول مطلق أى قولا مثل قولهم في صدوره عن الاصرار والعناد والجهل فلا يكون مكررا وفيه مبالغة

الامن كان هودا أونصارى) لف بين قولى الفريقين كما في قوله تعالى وقالوا كونوا هودا أونصارى تهتدوا بفهم السامع وهود جمع هائد وتوحيد الاسم المضمر في كان وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى (تلك أمانيهم) اشارة الى الأمانى المذكورة وهى أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وأن لا يدخل الجنة غيرهم أو الى ما في الآية على حذف المضاف أى أمثال تلك الأمنية أمانيهم والجملة اعتراض والامنية أفعولة من التمنى كالاضحوكة والأعجوبة (قل هاتوا برهانكم) على اختصاصكم بدخول الجنة (ان كنتم صادقين) في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت (بلى) اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (من أسلم وجهه لله) أخلص له نفسه أو قصده وأصله العضو (وهو محسن) في عمله (فله أجره) الذى وعده على عمله (عند ربه) ثابتا عند به لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده و يحسن الوقف عليه و يجوز أن يكون من أسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من أسلم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) في الآخرة (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) أى على أمر يصح و يعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاهم أحبار اليهود فتناظروا وتفاولوا بذلك (وهم يتلون الكتاب) الواو للحال والكتاب للجنس أى قالوا ذلك وهم من أهل العلم والكتاب (كذلك) مثل ذلك (قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) كعبدة الاصنام والمعطلة و بخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم و بخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد المسخ ليس بشئ قلت لم يقصد ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من أصله والكفر بنبيه وكتابه مع أن ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به (فالله يحكم) يفصل (بينهم) بين الفريقين (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم أن يكذبهم و يدخلهم النار (ومن أظلم ممن منع مساجد الله) عام لكل من خرب مسجدا أو سعى في

ونو بيخ عظيم وكذا في حذف مفعول يعلمون فانه يفيد فرط الجهل (قوله والمعطلة) هم الذين نفوا الصانع تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله الخ) ذكر له وجوه من الاعراب أحدها ان المساجد المفعول الاول وان بذكر المفعول الثانى والثانى ان يكون ان يذكر مفعوله بتقدير مضاف أى كراهة ان يذكر والمفعول الثانى لمنع محذوف أى العبادة أو الدخول أو يكون المفعول الاول محذوفا أى منع الناس المساجد الثالث أن يكون ان يذكر بدلا من المساجد و يكون لمنع مفعول واحد أى منع ذكر الله فان قلت ان يذكر جملة فتكون في حكم النكرة واذا أبدل نكرة من معرفة يجب النعت قلت هذا في بدل الكل صرح به الرضى وما نحن فيه بدل الاشتمال بل قال أبو على وهو الحق يجوز تركه وصف النكرة المبدلة من المعرفة اذا استفيد من البدل ما لا يستفاد من المبدل منه كقوله تعالى بالوادى المقدس طوى اذا لم يجعل طوى اسم الوادى وههنا بحث وهو ان المفهوم من ظاهر هذه الآية انه لا أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه والحال ان المشرك أظلم من المانع المذكور قال العلامة التفتازانى أجيب بان المانع من ذكر الله تعالى

الساعى فى خراب المسجد لايكون الا كافرا مبالغة فى الكفر لا أظلم منه فى الناس أو المراد من المانعين الكفرة لان الكلام فيهم وقال العلامة النيسابورى هذا الظلم ان كان مشركا فقد جمع مع شركه هذه الخصلة الشنعاء فلا أظلم منه وان كان يدعى الاسلام ففعله مناقض لقوله لان من اعتقد معبودا عرف وجوب عبادته والعبادة تقتضى متعبدا فتخريب المتعبد مبنى على انكار العبادة ويستلزم انكار المعبود أقول هذا الجواب لايدفع السؤال من أصله لان الكافر الذى قتل نبيا أو ضربه وأهانه أظلم من المانع المذكور بل الجواب القاطع للشبهة ان المراد من مثل هذه العبارة شدة الظلم لا نفى الاظلمية فالمراد من الآية ان المانع المذكور شديد الظلم والمعنى الحقيقى للعبارة نفى وجود أظلم من المانع المذكور مع انه يستعمل فى لازمه الذى هو شدة الظلم فيكون مجازا مرسلا مركبا فانه كالاستعارة تكون مركبة كذلك المجاز المرسل ايس فى مفرد من المفردات بل فى المجموع من حيث المجموع قال فى المطول ان المجاز المركب كما يكون استعارة فقد يكون غير استعارة فان قلت كل واحد من هذه الالفاظ اما أن يستعمل فى موضوعه الحقيقى أو فى معناه المجازى فان كان الاول لزم ان يكون (١٨٢) المراد من الآية معناها الحقيقى وان كان الثانى لزم أن يكون ههنا مجازات

تعطيل مكان مرشح للصلاة وان نزل فى الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا أهله أو فى المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية (أن يذكر فيها اسمه) ثانى مفعولى منع (وسعى فى خرابها) بالهدم أو التعطيل (أولئك) أى المانعون (ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) ما كان ينبغى لهم أن يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا عن أن يجترؤا على تخريبها أو ما كان الحق أن يدخلوها الا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا عن أن يمنعوهم منها أو ما كان لهم فى علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد أنجز وعده وقيل معناه انهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلف الأئمة فيه فجوز أبو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره (لهم فى الدنيا خزى) قتل وسبى أو ذلة بضرب الجزية (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) بكفرهم وظلمهم (ولله المشرق والمغرب) يريد بهما ناحيتى الأرض أى له الارض كلها لايختص به مكان دون مكان فان منعتم أن تصلوا فى المسجد الحرام أو الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا (فأينما تولوا) فى أى مكان فعلتم التولية شطر القبلة (فثم وجه الله) أى جهته التى أمر بها فان امكن التولية لايختص بمسجد أو مكان أو فثم ذاته أى هو عالم مطلع بما يفعل فيه (ان الله واسع) باحاطته بالاشياء أو برحمته يريد التوسعة على عباده (عليم) بمصالحهم وأعمالهم فى الاماكن كلها وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنها نزلت فى صلاة المسافر على الراحلة وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لو أخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود أن يكون فى حيز وجهة (وقالوا اتخذ الله ولدا) نزلت لما قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو

مفردة قلت كل منها غير مستعمل فى شئ لا فى معناه الحقيقى ولا فى معناه الغير الحقيقى اذ لا يراد بكل منها شئ بل أريد بمجموع هذه الالفاظ معنى من المعانى لايقال فيلزم ان يكون كل واحد منها مهملا لانا نقول المهمل هو الذى لم يوضع لمعنى لانه لم يرد به معنى ويعلم مما ذكرنا سقوط ما قاله العلامة التفتازانى فى المطول بانا نقطع بان تقديم رجلا وتؤخر أخرى مستعمل فى معناه الاصلى وكذا ما قاله الشريف العلامة فى الحاشية وشرح المفتاح من ان التجوز فى مجموع ذلك

الملفظ لافى شئ من مفرداته لم تكون هى باقية على حالها قبل هذا التجوز من كونها حقيقة أو مجازا (قوله العرب ما كان ينبغى لهم الخ) هذه لتوجيهات لدفع سؤال توهم ههنا وهو ان معنى الكلام الاخبار بانهم لم يدخلوها الا خائفين وليس كذلك فوجه بان ما كان ينبغى لهم الا الدخول مع الخوف وان كانوا غير خائفين لظلمهم وعتوهم ويمكن ان يقال المراد انه لم يدخلوها الا خائفين من علو الاسلام وغلبة المؤمنين عليهم واستئصالهم ولعل هذا كان أمرا مستمرا بعد ظهور الاسلام لأنهم لما تحقق عندهم من معجزات النبى وقوة الاسلام يوما فيوما استقر فى خواطرهم خوف غلبة المؤمنين عليهم ويجوز أن يقال ان الله تعالى جعل فى قلوبهم الخوف تأييدا للنبى صلى الله عليه وسلم كما قال عليه الصلاة والسلام نصرت بالرعب مسيرة شهر وعلى هذا لايحتاج الى التوجيهات التى ذكرها (قوله يريد بهما ناحيتى الأرض الخ) الأولى ان يقال المشرق والمغرب موضوعان لناحيتى الأرض والمراد ان له تعالى الارض كلها (قوله ان منعتم أن تصلوا فى المسجد الحرام أو الأقصى) الأولى الاقتصار على المسجد الحرام لأنه ذكر ان المشركين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام واما منع المسلمين من المسجد الأقصى فلا وجه لذكره بحسب الظاهر (قوله وتنزيه للمعبود الخ) فيه نظر اذ لايخفى اما أن تفسر الوجه بالذات وعلى هذا التقدير لايصح ان يقال وجه الله فى كل مكان واما أن تفسر بالعلم أو صفة أخرى فلا يلزم تنزيه

المعبود عن الحيز والجهة الأن يفسر الوجه بالعلم ويقال فالمعبود لا حيز له اذا كان فى حيز وجهة لا يكون عالما بجميع ما فى الاحياز والجهات فتأمل (قوله فانه يقتضى التشبيه والحاجة وسرعة الفناء) فى الكل نظر اما أولا فلان التشبيه فى شئ من الصفات لا يستلزم المحال والجواب ان المراد المشاركة مع الامن فى الماهية والحقيقة واما ثانيا فلان كون اتخاذ الولد يستلزم الحاجة ممنوع والجواب ان اتخاذ الولد لا بد ان يكون لغرض من الاغراض فلزم الاحتياج واما ثالثا فلان اقتضاء سرعة الفناء فى حيز المنع وانما اتفق هذا فى الحيوان والنبات لعدم صلاحيتها للبقاء ولا يلزم منه ان يكون كلما تخذ ولدا سريع الفناء ولا يخفى ان أقوى الأمور اما مذكورة فى الجنس أو النوع ثم الاحتياج فان من اتخذ ولدا ما اتخذ الا لأشياء تقدس البارى تعالى عنها ككون الولد ناصرا ومقويا له أو كونه جمالا وزينة لأبيه أو خليفة له بعد موته أو غير هاوههنا كلام وهو ان اتخاذ الولد يمكن أن يحمل على وجهين أحدهما التولد بان يتولد منه شئ آخر والثانى التبنى وهو ان يتخذ أحد ولد غيره ابنا له و يراعيه كما يراعى الأب والأول ظاهر الاستحالة والثانى يستحيل بما ذكرنا والمفهوم من كلام العلماء ان النصارى قالوا عيسى ابن الله بانه تولد منه فقد قال فى شرح المواقف انه ورد فى الانجيل ولد الله عبدى بتشديد اللام فخففوا اللام وذلك يدل على ماذكرنا وسينقل المصنف انهم استحالوا الولد (١٨٣) بلا أب فقالوا ان الله أبوه لكن الوجه الاحتمال الثانى فيما قالت اليهود عزير ابن الله و بعض العرب الملائكة بنات الله (قوله وانما جاء بما الذى لغير أولى العلم الى قوله تحقيرا لشأنهم) كذا فى الكشاف وأورد عليه ان تغليب العقلاء يقتضى التعبير عنه بمن دون ما فيكون فى المبتدأ تغليب غير العقلاء لان المبتدأ كلمة ما فيهما وفى الخبر تغليب العقلاء وأجيب عنه بان لا بأس فيه فانه غلب غير العقلاء تحقيرا لشأنهم عن ان يجعلوا آلهة أو ابناء لله تعالى فكأنهم فى حكم

العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود أو منع أو مفهوم قوله تعالى ومن أظلم وقرأ ابن عامر بغير واو (سبحانه) تنزيه له عن ذلك فانه يقتضى التشبيه والحاجة وسرعة الفناء ألا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية مادام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا أو طبعا (بل له ما فى السموات والارض) رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه تعالى خالق ما فى السموات والارض الذى من جملته الملائكة وعزير والمسيح (كل له قانتون) منقادون لا يتمنعون عن مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولدا لان من حق الولد أن يجانس والده وانما جاء بما الذى لغير أولى العلم وقال قانتون على تغليب أولى العلم تحقيرا لشأنهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه أى كل ما فيهما و يجوز أن يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة أوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضى تنافيهما (بديع السموات والارض) مبدعهما ونظيره السميع فى قوله

أمن ريحانة الداعى السميع * يؤرقنى وأصحابى هجوع

أو بديع سمواته وأرضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها أن الولد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا

غير العقلاء بالنظر الى مقام الالوهية واما تغليب العقلاء فى الخبر فمعلى أصله فان الحقارة كما تكون ذاتية تكون اضافية فان الكامل حقير بالنسبة الى من هو أكمل منه بمراتب لا تحصى أقول الذى يخطر لى ان تغليب العقلاء فى الخبر ليدل على ان ما شامل للعقلاء أيضا لا مخصوص بغير العقلاء كما هو مقتضى ظاهر اللفظ (قوله من ثلاثة أوجه) أحدها سبحانه والثانى قوله بل له ما فى السموات والارض والثالث كل له قانتون فان الولد يستلزم أن يكون الولد جسما تعالى الصانع عنه وكونه تعالى مالك ما فى السموات والأرض يستلزم أن لا يكون جسما وأن يكون متعاليا عن شوائب النقص والوالدية تستلزمهما وكذا كون كل شئ عابدا له يستلزم أن لا يكون الله تعالى من جنس عابديه لكن الولد من جنس الوالد ولا يخفى ان هذه الامور اقناعية بالنسبة الى أهل الجدال قاطعة بالنظر الى أرباب الحدس والتخمين والكمال (قوله مبدعهما ونظيره السميع الخ) قد رد صاحب الكشاف هذا التوجيه فبين كل منهما تخالف قال العلامة التفتازانى ليس فى البيت استشهاد لأن داعى الشوق لما دعا القائل صار هو سميعا له عوته فتسبب لكونه سميعا فأوقع على الداعى اسم السميع لكونه سببا فيه أقول هذا تكلف ثم انه قال قد تقرر فيما بين النحويين ان الصفة اذا أضيفت الى الفاعل كان فيها ضمير يعود الى الموصوف فلا يصح الاضافة الا اذا صح الاتصاف مثل حسن الوجه حيث يصح اتصاف الرجل بالحسن لحسن وجهه وانما يصح زيد كثير الاخوان لاتصافه

بانه متقو بهم وعلى هذا لا يصح بديع السموات بان يكون السموات فاعلا على ماذكر فى الكشاف لامتناع اتصافه تعالى بذلك الا اذا أريد انه مبدع لها فان قلت اذا صح زيد كثير الاخوان باعتبار معنى يستفاد منه وهو زيد متقو بهم فلم لا يجوز أن يقال بديع السموات باعتبار معنى يستفاد منه وهو انه تعالى مبدع لها فلا يلزم فساد قول من قال البديع بمعنى المبدع قلنا هذا المعنى صحيح لكن لا يلزم منه أن يكون البديع بمعنى المبدع كما هو رأى المدعى المذكور (قوله والابداع اختراع الشئ لا عن شئ الخ) فيه نظر اذ هذا التفسير لا يلائم كون السماء فى الأصل دخانا ثم سوّاهن سبع سموات كما نطق به القرآن بل المناسب المعنيان الآخران (قوله وليس المراد به حقيقة أمر وامتثال الخ) لان أمر المعدوم لا فائدة فيه اذ ما ليس بموجود ليس له سمع حتى يسمع فيمتثل (قوله بل التمثيل الخ) هذا هو الذى ذكره المحققون وتوضيحه ان وجود كل شئ منه تعالى بعروض حالة يعبر عنها بتعلق الارادة وذهب بعضهم الى ان عادة الله جارية بان يقول كن أى هذه اللفظة عند ارادة ايجاد الشئ والمخاطب هو ذلك الشئ الموجود فى علم الله تعالى والمأمور به الدخول فى الوجود الخارجى هكذا نقله العلامة التفتازانى وفيه ما مر وما ذكره المصنف هو معنى قوله فيكون من غير التعرض الى معنى الامر وهو قوله كن وتحقيق الكلام فيه ان المشبه هو تعلق ارادة الله تعالى بوجود الشئ والمشبه به قول المكوّن المريد دخول شئ فى الوجود بلا توقف فاستعير اللفظ الموضوع للمشبه به فى المشبه ووجه الشبه استلزام توجه الفاعل الى الشئ حصول مطلوبه بلا توقف فتكون الاستعارة تحقيقية لا تمثيلية وأما ما قاله العلامة التفتازانى فى ابطال هذا الوجه بانه لا بد فى المشبه من اعتبار تعلق الارادة بتكوّن الشئ وسرعة حصوله بلا توقف

وامتناع وفى المشبه به من تعلق الأمر المطاع النافذ التصرف وسرعة انفعال المأمور وحصوله فتكون الاستعارة تمثيلية فأقول فيه نظر اذ لا ضرورة داعية الى اعتبار ما ذكر ثم ان ما ذكره لتوجيه كونه استعارة تمثيلية كما صرح به ليس كما ينبغى لان الاستعارة التمثيلية تحتاج الى ألفاظ مفصلة تدل على تفصيل الامور المعتبرة فى الطرفين كما حققه الشريف العلامة فى تصانيفه وقد مر ذلك ولا يخفى ان ما فى الآية ليس كذلك فعلم ان المراد من التمثيل التشبيه لا الاستعارة التمثيلية فيكون استعارة مفردة (قوله وفيه تقرير لمعنى الابداع) فيه نظر اذ يلزم منه أن يكون كل أمر مقضى مراد يكون لا عن شئ كما هو معنى الابداع على ما ذكره وليس كذلك اذ خلق الانسان مثلا من شئ هو النطفة بعد تطورها باطوار (قوله وهو ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغن عن ذلك) فيه نظر لانه ان أراد بقوله ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار وانه لا يمكن الا باطوار فهو غير ثابت وان أراد أن اتخاذ الحيوان الولد مما يكون باطوار فلا يفيد الغرض والحق ان المدعى المذكور غير مبرهن عليه بل حدسى وأمثال ما ذكره المصنف تنبيهات مؤكدة للاعتقاد (قوله فيكون بفتح النون) باضمار ان قال الرضى وأما النصب فى قراءة ابن عامر واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون فللتشبيه بجواب الأمر من حيث مجيئه بعد الأمر وليس بجواب له من حيث المعنى اذ لا معنى لقولك قلت لزيد اضرب تضرب ووجهه ان جواب الأمر ما يتضمن شيأ مترتبا على مضمون الأمر فى مثل الصورة المذكورة لأنهم شرطوا فى النصب بعد الفاء أن يكون ما قبلها سببا لما بعدها فيجب أن يكون مصدر الفعلين مختلفين نحو ائتنى فتحدثنى اذ معناه ليكن منك اتيان فتحديث فالتحديث مسبب عن الاتيان متأخر عنه ولا يمكن فى الصورة المذكورة مثل ذلك لان مصدر كن ويكون واحد فيصير معناه ليكن منك كون فكون (قوله تقليدا) أى من غير نظر وفكر ودليل لا انه يعتقد ذلك تقليدا لغيره فان أول من يعتقد ذلك ليسوا بمقلدين لغيرهم فى ذلك الاعتقاد الفاسد (قوله جهلة المشركين أو المتجاهلون من أهل الكتاب) الاولى

يكون والدا والابداع اختراع الشئ لا عن شئ دفعة وهو أليق بهذا الموضع من الصنع الذى هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذى يكون بتغيير وفى زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير فى له وبديع منصوبا على المدح (واذا قضى أمرا) أى أراد شيأ وأصل القضاء اتمام الشئ قولا كقوله تعالى وقضى ربك أو فعلا كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات وأطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشئ من حيث انه يوجبه (فانما يقول له كن فيكون) من كان التامة بمعنى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة أمر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهى ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى مستغن عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون بفتح النون واعلم ان السبب فى هذه الضلالة ان أرباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد (وقال الذين لا يعلمون) أى جهلة المشركين أو المتجاهلون من أهل الكتاب (لولا يكلمنا الله) هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة أو يوحى

الينا

أن يقال جهلة المشركين وأهل الكتاب أو المتجاهلون منهم فيكون اطلاق غير العالم على المتجاهل توسعا (قوله أو تأتينا آية) لا يخفى ان التكليم والايحاء بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم آية من الآيات فكيف يجعل اتيان الآية مقابلة الوحى والتكلم فالوجه أن يقال الوحى الآية المسموعة والآية المقابلة له الآية المشاهدة بالبصر (قوله نهى للسؤال عن حال أبويه) هذا تخصيص لما قيل فى الكشاف روى انه قال عليه الصلاة والسلام ليت شعرى ما فعل أبواى فنهى عن السؤال عن أحوال الكفرة (قوله لا يقدر أن يخبر عنها) يخبر بصيغة المجهول للمخاطب والمخاطب النبى أى لا تقدر ان تسمع حالهم وليس الغرض مما ذكر انه فى الواقع كذلك وانما الغرض المبالغة فى شدة عذابهم وفظاعة حالهم (قوله ولئن اتبعت أهواءهم الآية) يفهم من الآية ان ترتب عدم الولى والنصير بسبب اتباع الاهواء بعد مجىء العلم اليه عليه الصلاة والسلام والحال أن اتباع أهوائهم مطلقا سبب لترتيب الجزاء المذكور لا دخل فيه لمجىء العلم بل كل من اتبع أهواءهم فقد ضل لان أهواءهم زيغ وضلال والجواب ان هذا ليس بقيد وانما هو تصريح بما هو الواقع لان اتباع النبى صلى الله عليه وسلم فيما يستقبل من نزول هذه الآية لو فرض لا بد أن يكون بعد مجىء العلم لأن العلم قد جاء قبل ذلك كما لا يخفى والغرض من ذكر قوله بعد الذى جاءك من العلم تأكيد للتنفير عن اتباعهم بل فى الحقيقة تأكيد لتنفير أمته صلى الله عليه وسلم عن اتباعهم (قوله الذين آتيناهم الكتاب) لما ذكر الله تعالى مساوى أعمال اليهود ووخامة عاقبتهم على التفصيل المذكور فكأن سائلا يقول ما حال المؤمنين منهم فقيل هم الذين يتلون الكتاب حق تلاوته ويؤمنون به فلذا ترك العاطف وتخصيص ايتاء الكتاب بهم اشعار بان الذين لا يتلونه حق تلاوته ولا يؤمنون به كأنهم ما أوتوا الكتاب أو ههنا موصوف مقدر أى المؤمنون الذين آتيناهم الكتاب (قوله حال مقدرة) أى مقدرين التلاوة اذ لا يكون الاتيان فى حال التلاوة بل فى حال تقديرها (قوله أو خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا أهل الكتاب) يعنى على التقدير الاول لا حاجة الى أن يقال المراد بالموصول مؤمنو أهل الكتاب بل المعنى على ذلك التقدير ان أهل الكتاب الذين يتلونه حق تلاوته مؤمنون به فيكون هذا التخصيص مستفادا من الحال لان حق التلاوة لا يكون الا لهم فيصح الخبر عن الذين آتيناهم مع ما بعده باولئك يؤمنون به وأما اذا كان يتلونه خبرا فلا بد ان يقال المراد من الذين آتيناهم الكتاب المؤمنون منهم اذ لو لم يرد ذلك لم يصح الخبر عنهم بانهم يتلون الكتاب حق تلاوته واعلم انه يفهم من قوله يريد به مؤمنى أهل الكتاب ان المراد من الذين آتيناهم الكتاب المؤمنون منهم البتة ومن قوله أو خبر على ان المراد بالموصول مؤمنو أهل الكتاب انهم المرادون على هذا التقدير دون التقدير الأول وما هذا الا اختلاف ويمكن ان يقال انه بنى الكلام فى الأول على ما هو الظاهر لأن الظاهر ان يكون يتلونه خبرا اذ كونه حالا محتاج الى نوع تكلف وفى الثانى فصل ما هو المحتمل فوائده (قوله على ان المراد بالموصول الخ) التصريح بان ما قاله أولا من انه يريد به مؤمنى أهل الكتاب انهم المرادون البتة على تقدير

الينا بانك رسوله (أو تأتينا آية) حجة على صدقك والاول استكبار والثانى جحود لان ما أتاهم آيات الله استهانة به وعنادا (كذلك قال الذين من قبلهم) من الأمم الماضية (مثل قولهم) فقالوا أرنا الله جهرة هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء (تشابهت قلوبهم) قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) أى يطلبون اليقين أو يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى أنهم ما قالوا ذلك لخفاء فى الآيات أو لطلب مزيد اليقين وانما قالوه عتوا وعنادا (انا أرسلناك بالحق) ملتبسا مؤيدا به (بشيرا ونذيرا) فلا عليك ان أصروا وكابروا (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب لا تسأل على انه نهى للرسول صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال أبويه أو تعظيم لعقوبة الكفار كأنها لفظاعتها لا يقدر أن يخبر عنها أو السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) مبالغة فى اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله تعالى عنهم ولذلك قال (قل) تعليما للجواب (ان هدى الله هو الهدى) أى هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه (ولئن اتبعت أهواءهم) آراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه من أمللت الكتاب اذا أمليته والهوى رأى يتبع الشهوة (بعد الذى جاءك من العلم) أى الوحى أو الدين المعلوم صحته (ما لك من الله من ولى ولا نصير) يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن (الذين آتيناهم الكتاب) يريد به مؤمنى أهل الكتاب (يتلونه حق تلاوته) بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده أو خبر على أن المراد بالموصول مؤمنو أهل الكتاب (أولئك يؤمنون به) بكتابهم

كون يتلون خبرا على تقدير كونه حالا فان قيل اذا كان كونه خبرا أظهر كان أولى بان يقدم فى الذكر قلنا هو وان كان أظهر لكن احتمال الحالية أدق فلعله قدمه لذلك (قوله لما صدر قصتهم بالأمر بذكر النعم الخ) يعنى قوله تعالى بعد ذكر قصة آدم وهو يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم الخ (قوله والابتلاء فى الاصل التكليف بالأمر الشاق الى قوله ظن ترادفهما) فيه رد على الكشاف حيث جعل الابتلاء الاختبار وجعل الاختبار مجازا لاستحالة حقيقة الاختبار ممن لا يخفى عليه خافية فان المصنف صرح بان معنى الابتلاء حقيقة التكليف بالأمر الشاق وهذا فى حق الله تعالى صحيح واقع ولا يحتاج الى تجوز بغاية الأمر ان الابتلاء الذى صدر من الناس كان متضمنا للاختبار قال الراغب ان الابتلاء والبلاء يتضمن أمرين تعرف ما يجهل من حاله وظهور جودته ورداءته بعد فربما قصد الامران وربما قصد أحدهما فاذا نسب الى الله فهو الامر الثانى وكأنهم لما يجعلونه من ابتلاء الله بكذا اذا أصابه ما يكرهه ويشق عليه اما لأن حمل الأوامر والنواهى على المكاره وعدها من البلايا ليس بمناسب واما لأنه أيضا اختبار فانه قد يكون بالخير وقد يكون بالشر أقول فى كلا الوجهين نظر أما الأول فلانا لا نسلم ان حمل الاوامر والنواهى على ما يشق على الشخص وعدها من البلايا ليس بمناسب كيف وقد ورد الانبياء أشد الناس بلاء وأعظمهم أجرا وفيه نظر فتأمل واما الثانى فلانا لا نسلم انه حينئذ اختبار اذ الاختبار حقيقة انما يصدر ممن يجهل عاقبة الامور وهو فى حقه تعالى محال والجواب ان مراده انه يستلزم الاختبار بالمعنى الذى ذكره وهو ظهور الجودة والرداءة اذا نسب الى الله تعالى وبالوجهين المذكورين اذا نسب الى غيره فيكون ابتلاء الله نبيه بالكلمات

دون المحرفين (ومن يكفر به) بالتحريف والكفر بما يصدقه (فاولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الكفر بالايمان (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر من اضاعتها والخوف من الساعة وأهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة فى النصح وايذانا بانه فذلكة القصة والمقصود من القصة (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) كلفه بأوامر ونواه والابتلاء فى الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط أحد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعانى فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة فى قوله تعالى التائبون العابدون الآية وقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الى آخر الآية وقوله قد أفلح المؤمنون الى قوله أولئك هم الوارثون كما فسرت بها فى قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التى هى من سننه وبمناسك الحج وبالكوكب والقمر والختان وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنته الآيات التى بعدها وقرئ ابراهيم ربه على أنه دعاء به بكلمات مثل أرنى كيف تحيى الموتى واجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام بالالف جميع ما فى هذه السورة (فأتمهن) فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله تعالى وابراهيم الذى وفى وفى القراءة الاخيرة الضمير لربه أى أعطاه جميع ما دعاه (قال انى جاعلك للناس اماما) استئناف ان أضمرت ناصب اذ كأنه قيل فماذا قال له ربه حين أتمهن فأجيب بذلك أو بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذى له مفعولان والامام اسم لمن يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبى الا كان من ذريته مأموراً باتباعه (قال ومن ذريتى)

عطف

لا يستلزم أن يكون ذلك الابتلاء اختبارا (قوله فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة فى قوله تعالى الخ) فيه نظر اذ ليس هذه المذكورات ثلاثين بل المذكور فى سورة براءة عشر وهو قوله تعالى التائبون العابدون الآية وفى سورة الاحزاب عشر أيضا وهو قوله ان المسلمين والمسلمات الآية وفى سورة المؤمنين سبع فيكون المجموع سبعا وعشرين وقال فى الكشاف عشر فى براءة وعشر فى الاحزاب وعشر فى المؤمنين وسأل سائل وقال العلامة الثفتازانى ان قيل المذكور فى السورتين أربعة عشر ست فى المؤمنين وثمانية فى سأل سائل واذ سقط المكرر وجعل الدائمون فى الصلاة هم المحافظون عليها والذين فى أموالهم حق معلوم عين الفاعلين للزكاة بشمولها ما يوصل به الأقارب والأباعد ليرجع ما فى السورتين الى عشر لم يتحقق فى كل من براءة والأحزاب عشر لتكرار المؤمنين قلنا يجوز أن يجعل الدائمون أيضا غير المحافظين أو يجعل الراعون للامانات والعهد آيتين ليتحقق فى السورتين أحد عشر وفى براءة والاحزاب تسعة عشر فيصير المجموع ثلاثين لكنه لا يبقى حينئذ فى كل من براءة والاحزاب عشر (قوله على أنه تعالى عامله معاملة المختبر

بهن الخ) هذا لا حاجة اليه على ما فسر به الابتلاء كما لا يخفى (قوله عطف على الكاف الخ) قال العلامة التفتازاني فيه ان الجار والمجرور لا يصلح أن يكون مضافا اليه فكيف يعطف عليه وان العطف على الضمير المجرور كيف يصح بدون اعادة الجار وانه كيف جاز كون المعطوف مقول قائل والمعطوف عليه مقول قائل آخر فدفع الأولين بان الاضافة اللفظية في تقدير الانفصال ومن ذريتي في معنى بعض ذريتي فكأنه قال جاعل بعض ذريتي وهو صحيح أقول هذا يدل على ان من مستعمل بمعنى البعض والا لم يصح هذا الكلام ثم قال والثاني انه لعطف التلقين كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا أي وتكرم زيدا ير يد تلقينه بذلك ولم يجعله بتقدير أمر أي واجعل بعض ذريتي احترازا عن صورة الامر ودلالة على انه كائن واقع البتة وقد أشار المصنف الى دفع الاستئلة بالاجوبة المذكورة بقوله وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك و يرد على هذا التوجيه أن يصير معنى الكلام قال الى جاعلك و بعض ذريتي وهو فاسد والصواب أن يقال تقدير الكلام قال أي ابراهيم اجعلني و بعض ذريتي وطلب امامته بعد اخبار الله تعالى بأنه جعله اماما ظهارا لطلبها وشدة الرغبة فيها وجعل ما فوض الله تعالى عليه وسيلة الى فوض آخر ونعمة (١٨٧) أخرى وقال بعضهم انه عطف على الكاف

عطف على الكاف أي و بعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية أو فعولة قلبت راؤها الثانية ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق أو فعولة أو فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذرياتي بالكسر وهي لغة (قال لا ينال عهدي الظالمين) اجابة الى ملتمسه وتنبيه على أنه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها أمانة من الله تعالى وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما لك فقد نلته (واذ جعلنا البيت) أي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا (مثابة للناس) مرجعا يثوب اليه أعيان الزوار أو أمثالهم أو موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات أي لانه مثابة كل أحد (وأمنا) وموضع أمن لا يتعرض لاهله كقوله تعالى حرما آمنا و يتخطف الناس من حولهم أو يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله أو لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) على ارادة القول أو عطف على المقدر عاملا لاذا أو اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو أمر استحباب ومقام ابراهيم هو الحجر الذي فيه أثر قدمه أو الموضع الذي كان فيه الحجر حين قام عليه ودعا الناس الى الحج أو رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي أنه عليه الصلاة والسلام أخذ بيد عمر رضي الله تعالى عنه وقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي رحمه الله تعالى في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها و يتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا أي واتخذ

ولا يلزم أن يكون العامل في المعطوف هو العامل في المعطوف عليه كما قال تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة فان العامل في زوجك لا يكون اسكن بل ليسكن ويكون التقدير ليسكن زوجك الجنة أقول ههنا جملة مقدرة قبل واو العطف أو بعده والاول بتقدير اجعلني و بعض ذريتي والثاني بتقدير واجعل بعض ذريتي (قوله فعلية) كالسرية من الذر بمعنى التفريق والياء ياء النسبة كما ان السرية منسوبة الى السر قال في الصحاح السرية فعلية من السر وهو الجماع أو الاخفاء لان

الانسان كثيرا ما يسرها و يسترها عن زوجته وانما ضمت السين لان البنية قد تغير في النسبة خاصة (قوله أو فعولة) فيكون في الاصل درو راو فعولا كالسبوح والقدوس قلبت ضمة الراء الى الكسر للخفة ثم قلبت الواو ياء فصار ذرير ثم قلبت الراء الثانية ياء وأدغمت الياء في الياء فصار ذرية (قوله أو فعيلة الخ) فيكون الاصل ذروءة فقلبت ضمة الراء كسرة وقلبت الواو ياء ثم قلبت الهمزة ياء وأدغمت الياء في الياء فصار ذرية وعلى الثاني أصله ذريئة قلبت الهمزة ياء وأدغمت وكان الاعلال على هذا التقدير أخف (قوله اجابة الى ملتمسه) لان تخصيص الظالم بعدم نيل العهد دلالة على نيل غيره (قوله وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة) بل عصمتهم من الصغائر أيضا الذنب ظلم كبيرا كان أو صغيرا (قوله أو اعتراض معطوف على مضمر) لحاجة الى جعلها معطوفة على مضمر ان جعلت الواو اعتراضية لا عاطفة كما في قوله ان الثمانين وقد بلغتها * قد أحوجت سمعي الى ترجمان ذكر في المطول ان الواو في قوله وقد بلغتها اعتراضية لا عاطفة ولا حالية ذكره بعض النحاة وبه يشعر ما ذكره صاحب الكشاف في قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم

حليلا انها اعتراض لامحل لها من الاعراب (قوله أمر ناهما) اذا كان معنى العهد الامر فلا يظهر وجه التعدى بالى لان الامر لا يتعدى بالى بل المناسب ان يفسر بأوصينا اذ هو يتعدى بالى كما يقال أوصيت اليه الا ان يقال تعدى الامر بالى باعتبار التضمين أو يجعل الى زائدة للتأكيد كما أثبته الفراء كذا نقله صاحب المغنى (قوله آمنا اذا أمن كقوله تعالى فى عيشة راضية الخ) بان يكون آمنا من باب النسبة كلابن وتامر اذ الامن لا يقوم بالبلدة ولا تتصف البلد به بل انما يتصف به من اتصف بالادراك كالخوف (قوله أو آمنا أهله كقولك ليل نائم) فى هذه العبارة ايهام اذ الظاهر انه يلزم منه حذف الفاعل وتوضيحها ان نائما مسند الى ضمير الليل مجازا لكن المقصود الاصل ليل نائم أهله (قوله قاس ابراهيم الرزق على الامامة الخ) أى تصور ان الرزق مخصوص بالمخلصين كالامامة ولذا خص طالب الرزق بالمؤمنين فعرفه الله تعالى ان الرزق شامل لهم ولغيرهم (قوله والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب لتقليله) دفع سؤال عمن ان يرد وهو ان الشرط علة للجزاء لكن هنا ليس كذلك لانه ليس سبب التمتع فاجاب بانه سبب قلته (قوله وبئس المصير) الواو فيه ليست للعطف والالزم عطف الانشاء على الاخبار بل الواو للاستئناف كما قاله صاحب المغنى فى قوله واتقوا الله ويعلمكم الله ان واو ويعلمكم الله للاستئناف لا للعطف لما لزوم عطف الخبر على الامر (قوله قعدك الله تعالى) فى الكشاف أى سأل الله ان يقعدك قال العلامة التفتازانى هو مصدر بحذف الزوائد فى موضع المفعول المطلق بمحذوف على ما صرح فى المفصل لا فى موقع المفعول به على ما ذهب اليه البعض فبين كلامى المفصل والكشاف اختلاف فى الظاهر (قوله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع) فيه انه لا تصير القاعدة من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع بل المرتفع البناء عليها لانفسها فالاولى الاقتصار على الوجهين الاخيرين (قوله وفى ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها) فان قلت عبارته تشعر بان من البيت صفة للقواعد والحال ان الجار والمجرور لا يكون صفة للمعرفة قلت يجعل صفة للمعرفة بتقدير متعلق معرفة والتقدير القواعد الكائنة من البيت كما قال العلامة التفتازانى فى شرح قول صاحب التلخيص الفصاحة فى المفرد خلوصه الخ اذ التقدير الفصاحة الكائنة فى المفرد ويمكن ان يكون حالا بتأويل المتعلق والتقدير واذ يرفع ابراهيم القواعد الكائنة من البيت

الناس مقامه الموسوم به يعنى الكعبة قبلة يصلون اليها (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل) أمرناهما (أن طهرا بيتى) بان طهرا بيتى ويجوز ان تكون ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول بريد طهراه من الاوثان والانجاس وما يليق به أو أخلصاه (للطائفين) حوله (والعاكفين) المقيمين عنده أو المعتكفين فيه (والركع السجود) أى المصلين جمع راكع وساجد (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) بريد به البلد أو المكان (بلدا آمنا) ذا أمن كقوله تعالى فى عيشة راضية أو آمنا أهله كقولك ليل نائم (وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) أبدل من آمن من أهله بدل البعض للتخصيص (قال ومن كفر) عطف على من آمن والمعنى وأرزق من كفر قاس ابراهيم عليه الصلاة والسلام الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم فى الدين أو مبتدأ متضمن معنى الشرط (فأمتعه قليلا) خبره والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع لكنه سبب لتقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه (ثم أضطره الى عذاب النار) أى ألزمه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر أو الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على أنه من دعاء ابراهيم وفى قال ضميره وقرأ ابن عامر فأمتعه من أمتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة وأطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس (وبئس المصير) المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت) حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل سافة قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفى ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها (واسمعيل) كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان لمعة دخل فى البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان فى طرفين أو على التناوب (ربنا تقبل منا) أى يقولان ربنا تقبل منا وقد قرئ به والجملة حال منهما (انك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بنياتنا (ربنا واجعلنا

مسلمين لك) مخلصين لك من أسلم وجهه أو مستسلمين من أسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان أو الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد أنفسهما وهاجر أو ان التثنية من مراتب الجمع (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) أي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم أحق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما أعلما أن في ذريتهما ظلمة وعلما أن الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل أرادا بالامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن تكون من للتبيين كقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن (وأرنا) من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين (مناسكنا) متعبداتنا في الحج أو مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير والسوسي عن أبي عمرو ويعقوب أرنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري عن أبي عمرو بالاختلاس (وتب علينا) استتابة لذريتهما أو عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما (انك أنت التوّاب الرحيم) لمن تاب (ربنا وابعث فيهم) في الامة المسلمة (رسولا منهم) ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال عليه الصلاة والسلام أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي (يتلو عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحى اليه من دلائل التوحيد والنبوّة (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) ما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام (ويزكيهم) عن الشرك والمعاصي (انك أنت العزيز) الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد (الحكيم) المحكم له (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) استبعاد وانكار لان يكون أحد يرغب عن ملته الواضحة الغراء أي لا يرغب أحد عن ملته (الا من سفه نفسه) الا من استمهنها وأذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس وقيل أصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه وقول جرير

ونأخذ بعده بذناب عيش * أجب الظهر ليس له سنام

أو سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي (ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين) حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع له لا يرغب عنه

(قوله أو مستسلمين الخ) الفرق بينه وبين الاول ان الاول معناه التوحيد وهو التصديق القلبي بان لا رب سواه تعالى والثاني الانقياد في جميع الامور (قوله والمراد طلب الزيادة في الاخلاص الخ) يعني ان أصل الاخلاص حاصل له فلا وجه لطلبه بل المراد ما ذكر (قوله وعلمنا ان الحكمة الالهية الى قوله ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا) فيه شيآن أحدهما ان ما ذكره يقتضي انه لا بد ان يكون في الدنيا الحمقى ولا يوجب ان يكون من ذريتهما والثاني انه يقتضي ان يفسر الاسلام بالاقبال بالكلية على الله ولا يناسب تفسيره بأصل الاسلام المقابل للكفر لان اسلام كل الذرية بل أهل الدنيا لا يوجب تشويش المعاش بل اذا فسر به يجب ان يقال انهما خصا البعض لانهما علما ان بعض الذرية لا يكونون كذلك (قوله ويجوز ان يكون من للتبيين الخ) والتقدير واجعل أمة مسلمة لك من ذريتنا كما ان التقدير في قوله تعالى سبع سموات ومن الارض مثلهن سبع سموات ومثلهن من الارض فان قلت يلزم ان تكون الذرية مطلقا مسلمين لله تعالى فلم يستجب دعاؤهما قلنا لا يلزم استجابة كل الدعاء ولو سلمنا فلا نسلم انهما دعوا باسلام كل الذرية لان طلب اسلام الذرية أعم من الكل والبعض لان البعض ذرية أيضا (قوله ولذلك لم يتجاوز مفعولين) أي ليس بمعنى اعلم حتى يكون له ثلاثة مفاعيل (قوله فنصب على التمييز) قال صاحب الكشاف ويجوز ان يكون فيه شذوذ تعريف التمييز قال العلامة التفتازاني أي يجوز تعريف التمييز بالاضافة على الشذوذ كما جاز باللام ومنه البيت فيمن يجعل المنصوب تمييزا واما على اختياره في المفصل من انه أي ما ورد في البيت شبيه بالمفعول لا مميز فالمعنى انه لا يجوز تعريف المميز على الشذوذ كما جاز في المشبه بالمفعول الذي حقه التنكير بكونه في معنى التمييز واقعا موقعه ولا يضره كون ذلك باللام وهي قد تعد زائدة كما في اللئيم بخلاف الاضافة لان الاضافة أيضا قد لا يقصد بهما التعيين أيضا أقول لا يخفى ان الضمير نفسه راجع الى من وعلى هذا يكون مفيدا للتعريف كما في سائر الضمائر الراجعة الى الاسماء بخلاف اللام فانها اذا كانت زائدة لا يقصد بها معنى معين فتأمل

(قوله اذ قال له ربه أسلم) قال العلامة التفتازانى جعل اذ قال ظرفا لاصطفينا أحسن من جهة المعنى وتوسيط وانه فى الآخرة لمن الصالحين عطفا على لقد اصطفينا لابأباه انفظا انها تقرير وتأكيد لجملة اصطفيناه لان اصطفيناه فى الدنيا انما هو للنبوة ومايتعلق بصلاح الآخرة ولا حاجة الى ان يجعل اعتراضا أو حالا مقدرة أقول فيه نظر لانه اذا كان قوله تعالى وانه فى الآخرة لمن الصالحين تأكيدا لانكون الواو للعطف اذ لا تعطف الجملة المؤكدة على ماتؤكد هافتكون الواو اعتراضية أو حالية (قوله والضمير للملة) قال العلامة التفتازانى الضمير فيها لقوله أسلمت لا للملة على ماقيل لان قوله ووصى عطف على أسلمت فالمعنى قال ذلك فى حق نفسه ووصى به بنيه بان يذكره حكاية عن أنفسهم ولكن ترك الضمر الى المظهر أعنى ابراهيم ربما يرجح العطف على الكلام الاسبق وكون الضمير للملة وكذا عطف يعقوب على ابراهيم أقول ظهر من كلامه ان التصريح باسم ابراهيم وعطف يعقوب عليه يرجحان كون الضمير للملة وكذا تأنيث الضمير يدل على انها للملة (١٩٠) اذ لايحتاج الى تأويل واما على تقدير رجوعه الى أسلمت فيحتاج اليه كما

الاسفيه أومتسفه أذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر (اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) ظرف لاصطفيناه أو تعليل له أو منصوب باضمار أذكر كأنه قيل أذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال مانال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه وأخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة لداعية الى الاسلام روى أنها نزلت لما دعا عبدالله بن سلام ابنى أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وأبى مهاجر (ووصى بها ابراهيم بنيه) التوصية هى التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة وأصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كأن الموصى يصل فعله بفعل الموصى والضمير فى بها للملة أو لقوله أسلمت على تأويل الكلمة أو الجملة وقرأ نافع وابن عامر وأوصى والاول أبلغ (ويعقوب) عطف على ابراهيم أى ووصى هو أيضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه من وصاه ابراهيم (يابنى) على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره

رجلان من ضبة أخبرانا * اما رأينا رجلا عريانا

بالكسر و بنوا براهيم كانوا أربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل أربعة عشر و بنو يعقوب اثنا عشر روبيل وشمعون ولاوى و يهوذا و يشوخور وزبولون ونفتوفى ودون وكوذا وأوشير و بنيامين و يوسف (ان الله اصطفى لكم الدين) دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان لقوله تعالى (فلاتموتن الا وأنتم مسلمون) ظاهره النهى عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهى عن ان يكونوا على خلاف تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لاتصل الا وأنت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لاخير فيه وان من حقه أن لايحل بهم ونظيره فى الامر مت وأنت شهيد وروى ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت (أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أى ماكنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال

مر فهذه مرجحات ثلاثة فالحمل على مقتضاها أولى لحق العبارة ان يقال الضمير للملة وان أمكن الرجوع الى أسلمت (قوله ظاهره النهى عن الموت على خلاف حال الاسلام الخ) لايخفى ان الموت ليس بمقدور حتى يطلب الامتناع منه بل النهى فى الحقيقة متوجه الى الحال وهو عدم الاسلام بل نقول هو قيد اذ المقصود النهى عن الموت على غير حال الاسلام والنهى يتوجه الى القيد كما هو فى سائر المواضع قال العلامة التفتازانى الجمهور على انه كناية وان كان يحتمل المجاز أقول لك أن تقول لاوجه لاحتمال الكلام كونه مجازا أو كناية لأن الكناية انما تكون حيث يقصد ارادة المعنى الحقيقى وههنا لايتصور اذ لايتصور النهى

عن الموت كما نهى انه ليس بمقدور بل يجب أن يحمل على المجاز اذ معناه الحقيقى غير مراد أصلا وانما المراد النهى عن تلك الحال والجواب الحق ان كونه كناية باعتبار ان النهى يتوجه الى القيد فيمكن أن يكون التركيب باقيا على معناه الاصلى وان يراد بالتركيب غير معناه الأصلى بل يراد النهى عن غير حالة الاسلام فكانه قال لاتكونوا كافرين حالة الموت نعم يردان المجاز على ماحقق فى موضعه مايمتنع حمله على المعنى الأصلى والكناية مالايمتنع فبينهما تناف فتأمل (قوله كقولك لاتصل الا وأنت خاشع) اذ ليس النهى متعلقا بالصلاة نفسها بل تعلق بها باعتبار الخشوع فيكون فى الحقيقة متعلقا بعدم الخشوع (قوله أم منقطعة) قال العلامة التفتازانى أم منقطعة ومعنى بل الاضراب عن الكلام الأول لا بمعنى نفيه والحكم ببطلانه بل بمعنى الاخذ فيما هو أهم وهو التحريض على اتباع محمد عليه الصلاة والسلام باثبات بعض معجزاته وهو الاخبار عن أحوال الانبياء السابقين من غير سماع من أحد ولا قراءة من كتاب ومعنى الهمزة

الانكار بمعنى لم يكن أى ما كنتم حاضرين ذلك وماشاهدتم تلك الاحوال ولاسمعتم هذا المقال وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحى والخطاب للمؤمنين أقول فيه نظر اذ الكلام السابق أيضا لاثبات بعض معجزاته اذ هو اخبار عن حال ابراهيم وأدعيته وكونه على دين الاسلام والاخبار عن حال يعقوب ووصيته لبنيه والاولى أن يقال ان بل لمجرد الانتقال من غرض الى آخر وهو حال يعقوب وبنيه فى حال موته ثم قال وقيل الخطاب لليهود حيث زعموا انه ما كان نبى الا على اليهودية وقالوا للنبى ان يعقوب يوم مات وصى بنيه باليهودية ورده المصنف بانهم لو شهدوا ذلك الوقت وسمعوا وصية يعقوب لظهر لهم كونه على ملة الاسلام ووصيته لبنيه كذلك فكيف يقال لهم فى الرد عليهم أ كنتم حاضرين حين وصى يعقوب بنيه انى دعوتكم مثلا تقول لمن رمى أحدا بالفسق أ كنت حاضرا حين شرب وقتل ولا تقول حين صام وصلى وزكى أقول توجيهه ان قول القائل أ كنت حاضرا حين صلى وصام دال على ان الرامى المذكور يصح أن يقول ما قال لو حضر حين صلاته وصيامه لكنه لا يصح كما تقول كيف تصديت للمثنوى وأنت لا تعرف الفقه فانه يدل على ان له التصدى اذا كان عارفا بالفقه وقد يجاب بوجهين أحدهما أن الاستفهام حينئذ يكون للتقرير أى كانت أوائلكم حاضرين حين وصى بنيه عليه الصلاة والسلام بالاسلام والتوحيد وأنتم عالمون بذلك فما بالكم تدعون عليه اليهودية وثانيهما انه تم الانكار عند قوله ما تعبدون من بعدى ويكون قوله قالوا نعبد بيان لفساد قائم لا داخلا فى حيز الانكار (قوله أو متصلة الخ) قال العلامة التفتازانى قال صاحب الكشاف واذا كان الخطاب لليهود فالوجه ان تكون متصلة محذوفة المعطوف عليه أى أتدعون على الانبياء اليهودية أم تعلمون كونهم على الاسلام والتوحيد من جهة اعترافكم بحضور آبائكم مجلس وصيته واعلامهم (١٩١) اياكم قرناقرنا وليس الاستفهام على حقيقته بل على سبيل الفرض والتقدير والتفويض الى اختيارهم قصدا الى تبكيتهم والزامهم لقطعهم بالثانى من الامرين أعنى حضور اسلافهم أقول تبكيتهم لا يحتاج الى جعل أم متصلة بل يكفى كونها منفصلة فى تبكيتهم واقرارهم بعين ما ذكر ولذا ردد المصنف

لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه أو متصلة محذوف تقديره أ كنتم غائبين أم كنتم شاهدين وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه بالوحى وقرئ حضر بالكسر (اذ قال لبنيه) بدل من اذ حضر (ما تعبدون من بعدى) أى أى شئ تعبدونه أراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شئ مالم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد أفقيه أم طبيب (قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق) المتفق على وجوده وألوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد أو لانه كالأب لقوله عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنو أبيه كما قال عليه الصلاة والسلام فى العباس رضى الله عنه هذا بقية آبائى وقرئ اله أبيك على انه جمع بالواو والنون كما قال

ولما تبين أصواتنا * بكين وفدينا بالا بينا

كون أم متصلة أو منفصلة على تقديران يكون الخطاب لليهود قال العلامة التفتازانى فان قيل لا معنى للاسلام الذى عليه يعقوب وبنوه سوى الاذعان والقبول للاحكام والاخلاص لله لا تصديق نبينا عليه الصلاة والسلام والتوحيد والاسلام بهذا المعنى لا ينافى اليهودية ليلزم من ثبوتها انتفاؤها قلنا لا توحيدهم لقولهم عزير ابن الله ولا اسلام لاعنادهم واستكبارهم عن قبول كثير من الاحكام أقول الاولى ان يستدل على نفى توحيدهم بقوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله الآية (قوله أراد به تقريرهم على التوحيد الخ) ليس الغرض منه ان الاستفهام ليس على حقيقته لأن قوله تعالى حكاية عن يعقوب ما تعبدون من بعدى يحتمل أن يكون استفهاما حقيقة لان معنى ما تعبدون من بعدى أى شئ تقررفى خواطركم ان نعبده ويمكن ان لا يكون ما فى خواطركم معلوما ليعقوب عليه الصلاة والسلام لكن أراد بهذا السؤال مجرد تأكيده وتقريره وأخذ العهد عليه وهذا هو ظاهر ما قاله المصنف لكن ما روى ان سبب سؤال يعقوب عليه الصلاة والسلام عن بنيه والباعث على ارادة التقرير المذكور انه عليه الصلاة والسلام لما دخل مصر رأى أهله يعبدون الاوثان والنيران فخاف على بنيه أن يعبدوا شيأ منها بعد وفاته يؤيد الاول (قوله تغليبا للاب والجد أو لانه كالاب الخ) فيه ان التغليب لا بد ان يعتبر فيه انه كالاب اذ لو لم يجعل كالاب لم يصح اطلاق اسم الأب عليه وتغليب الأب على غير الأب لان الاطلاق المذكور تجوز ولا بد فى المجاز من العلاقة ولذا لم يورد صاحب الكشاف هذا التذييل ويمكن أن يجاب بان التجوز لا بد فيه من العلاقة لكن لا يجب أن تكون العلاقة المشابهة فيمكن أن يكون التغليب باعتبار علاقة أن اسمعيل ابن ابراهيم الذى هو أب فاطلق اسم الأب عليه تجوزا حينئذ تظهر المقابلة بين كون اطلاقه على سبيل التغليب أو على كونه شبيها بالأب بقى انه يمكن أن يكون التغليب باعتبار المشابهة فلا يلائم المقابلة المذكورة (قوله وفدينا بالا بينا) ألف فدينا للاشباع ومعنى الكلام جعلنا آباءهم فداءلنا

(قوله أومفرد وابراهيم وحده عطف بيان) فيكون اسماعيل واسحق معطوفين على أبيك (قوله لتعذر العطف على المجرور) أى تكرر لفظ لا لانه فى قوله تعالى واله آبائك لتعذر عطف لآبائه على الضمير المجرور وهو كاف الخطاب فى قوله تعالى الهك بدون اعادة الخافض وفيه بحث اذ قد صرح بعض المحققين بانه يجوز العطف بلا اعادة الجار كما قرأ حمزة فى قوله تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال الرضى وأجيب بان الباء مقدرو يجر بها وهو ضعيف لأن حرف الجر لا يعمل مقدرا فى الاختيار الا فى القسم لانه لا يفعل ولا يجوز أن يكون الواو للقسم لانه حينئذ يكون قسم السؤال لان قبله اتقوا الله الذى تساءلون به وقسم السؤال لا يكون الا مع الباء كما يجىء والظاهر ان حمزة جوّز ذلك بناء على مذهب الكوفيين لانه كوفى ولا نسلم تواتر القرآت السبع أقول فيه نظر اما أولا فلان اطلاقه ليس على ما ينبغى واما ثانيا فلانه يفهم من كلامه ان قراءة حمزة مبنى على الدراية لا على الرواية وقد قلد فى ذلك صاحب الكشاف ومن يحذو حذوه وقد خطأهم المحققون فى ذلك (قوله (١٩٢) والتأ كيد) عطف على التصريح أى فائدته التصريح بالتوحيد والتأ كيد أى

أومفرد وابراهيم وحده عطف بيان (الها واحدا) بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفى التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد أو نصب على الاختصاص (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد أومفعوله أومنهما ويحتمل أن يكون اعتراضا (تلك أمة قد خلت) يعنى ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة فى الاصل المقصود وسمى بها الجماعة لان الفرق تؤمها (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) لكل أجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم بأعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه الصلاة والسلام لا يأتينى الناس بأعمالهم وتأتونى بانسابكم (ولا تسألون عما كانوا يعملون) أى لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم (وقالوا كونوا هودا أونصارى) الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم أحد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى (تهتدوا) جواب الامر (قل بل ملة ابراهيم) أى بل نكون ملة ابراهيم أى أهل ملته أو بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ بالرفع أى ملته ملتنا أو نحكيه أو نحن ملته بمعنى نحن أهل ملته (حنيفا) مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف أو المضاف اليه كقوله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا (وما كان من المشركين) تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون (قولوا آمنا بالله) الخطاب للمؤمنين لقوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به (وما أنزل الينا) القرآن فلم ذكره لانه أول بالاضافة الينا أو سبب للايمان بغيره (وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) الصحف وهى وان نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها فهى أيضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب أو أبناءه ودرارريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق (وما أوتى موسى وعيسى) التوراة والانجيل أفردهما بالذكر بحكم أبلغ لان أمرهما بالاضافة الى موسى وعيسى

تأكيد الالوهية وتقريرها (قوله لكل أجر عمله) لهم أجر عملهم ولكم أجر عملكم فهذا قصر المسند اليه على المسند لان أجر عملهم مقصور على الانصاف بكونه لهم لا لكم وأجر عملكم مقصور على الانصاف بكونه لكم لا لهم كما قيل فى تميم أنا أى أنا مقصور على التميمية لا تتجاوز الى القيسية ويمكن ان يكون قصر المسند على المسند اليه أى الكون لهم مقصور على عملهم لا يتجاوز الى عملكم قال العلامة التفتازانى كلام صاحب الكشاف مشعر بان فى الآية قصر المسند على المسند اليه كما قالوا فى لكم دينكم ولى دين أى لا دينكم انما يقال أو عنهما كما قال فى ونحن له مسلمون لان حنيفا لفظ مفرد ولو كان حالا عنهما معا لثنى وفيه تعريض بصاحب الكشاف حيث لم يتعرض الى كونه حالا من المضاف لكن الوجهان صحيحان لان الملة مائلة عن الباطل وكذا ابراهيم فان قلت اذا كان حالا عن المضاف يجب تأنيثه ليطابق ذا الحال قلت يمكن ان يجرى على المضاف حكم المضاف اليه أو يكون حنيفا صفة محذوف أى دينا حنيفا أو على تشبيهه بفعيل الذى بمعنى مفعول كما قاله المصنف فى قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين (قوله أفردهما بالذكر بحكم أبلغ) وجه الابلغية ان ايتاء شئ لشخص أقوى من ايتاله عليه لان الايتاء معناه الاعطاء ثم ان الانزال مخصوص بالكتاب واما الايتاء فشامل له ولغيره فلو فسر أوتى بما هو أعم من التوراة والانجيل لكان أولى (قوله لان أمرهما الخ) علة للافراد بالذكر وحاصل ما ذكر ان للكتابين نسبة اليهما خاصة لا تكون لما سبق من الصحف اذ للكتابين أحكام خاصة بالنسبة اليهما بخلاف الصحف ولان الكتابين منزلان عليهما دون الصحف

مغاير

(قوله والنزاع وقع فيهما) أي دون الصحف فان اليهود كذبوا بالانجيل وعيسى والنصارى كذبوا التوراة وموسى (قوله وأحد لوقوعه فى سياق النفى عام الخ) قال العلامة التفتازانى أحد بمعنى الجماعة بحسب أصل الوضع لانه اسم لمن يصلح ان يخاطب يستوى فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث وهذا غير الاحد الذى هو أول العدد فى مثل قولهم الله أحد وليس كونه فى معنى الجماعة من جهة كونه نكرة فى سياق النفى على ما سبق الى كثير من الاوهام لأن يرى انه لا يستقيم لا نفرق بين رسول من الرسول الا بتقدير عطف أى رسول ورسول أقول هذا رد على المصنف ومن يحذو حذوه (قوله أو مزيدة لتأكيد) اى الياء مزيدة للتأكيد (قوله أو المثل مقحم) وفائدة الاقحام الاشعار فى ظاهر الامر بان مثله تام فى الهداية فهو كذلك وعلى هذا التقدير سوى كون الباء زائدة تكون ما موصولة أو موصوفة وعلى تقديره تكون ما مصدرية ويكون ما آمنتم بتأويل الايمان (قوله أو وعيد للمعرضين) الأولى ان يقال ووعيد للمعرضين بالواو الواصلة دون أو الفاصلة فيقال هو وعد للمخلصين (١٩٣) ووعيد للمعرضين (قوله أعرضوا عن الايمان الخ) بهذا يندفع سؤال توهم ههنا وهو ان التولى عبارة عن الاعراض عن الحق والشقاق وهو المخالفة مع الحق والشرط والجزاء متحدان فدفعه بان التولى هو الاعراض عن الايمان فلا يلزم الاتحاد ويكون المعنى فان تولوا وأعرضوا عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فهم مخالفون للحق ويظهر ان محمدا صلى الله عليه وسلم على الحق الصريح (قوله فسيكفيكهم الله) الضمير ان مفعولاه والسين للتأكيد فى مقابلة ان وقد أشعر كلام الزمخشرى بذلك فانه قال ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين وصرح فى

مغايرا لما سبق والنزاع وقع فيهما (وما أوتى النبيون) جملة المذكورين منهم وغيرهم المذكورين (من ربهم) منزلا عليهم من ربهم (لانفرق بين أحد منهم) كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض وأحد لوقوعه فى سياق النفى عم فساغ ان يضاف اليه بين (ونحن له) أى لله (مسلمون) مذعنون مخلصون (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق أو مزيدة تأتى تأكيد كقوله تعالى جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به أو المثل مقحم كما فى قوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله أى عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به أو بالذى آمنتم به (وان تولوا فانما هم فى شقاق) أى ان أعرضوا عن الايمان وأصروا تقولون لهم فاهم الا فى شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين فى شق غير شق الآخر (فسيكفيكهم الله) تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من ناواهم (وهو السميع العليم) اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع أقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجاز بكم لا محالة أو وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه (صبغة الله) أى صبغنا الله صبغته وهى فطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ أو هدانا الله هدايته وأرشدنا حجته أو طهرنا قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل فى قلوبهم تداخل الصبغ الثوب أو للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم به تتحقق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم عليه السلام (ومن أحسن من الله صبغة) لاصبغة أحد من صبغته (ونحن له عابدون) تعريض بهم أى لا نشرك به كشركهم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضى دخول قوله صبغة الله فى مفعول

(٢٥ - (بيضاوى) - اول) سورة براءة فقال أولئك سيرحمهم الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهو مؤكد الوعد ولم يتعرض المصنف الى ذلك (قوله أو للمشاكلة) هى التعبير عن الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته بالنظر الى المقابل كما فى قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك أو بالنظر الى الحال كما فى هذا المقام وفيها أى فى المشاكلة كلام وهو ان كل لفظ مستعمل فى المشاكلة فهو مجاز لانه استعمال للفظ فى غير ما وضع له فلم جعل باب المشاكلة خارجا عن البيان داخلا فى البديع قلنا المشاكلة من حيث انها مجاز داخلة فى البيان ومن حيث انها موجب لتزيين اللفظ فهو من علم البديع ولا بعد فى ذلك فكثيرا ما تكون مسئلة واحدة مسئلة علمين باعتبارين مختلفين وقد قررها هذا فى موضعه (قوله مصدر مؤكد لقوله آمنا) أى مصدر مؤكد لما ضمن هذه الجملة فيجب حذف عامله وهو صبغه (قوله وقيل على البدل من ملة ابراهيم) واذا كان مفعولا مطلقا تكون الجملة بدلا من آمنا بالله على تقدير ان يكون الخطاب للمؤمنين (قوله وذلك يقتضى دخول صبغة الله فى مفعول قولوا) أى ولا يكون اغراء ولا بدلا اذ لو لم يكن كذلك بل

كان اغراء و بدلا لزم فك النظم لانه يلزم منه الفصل بين المعطوف وهو نحن له عابدون والمعطوف عليه وهو آمنا بالاجنبي وهو صبغة الله وكذا بين البدل والمبدل منه (قوله ولن ينصبها على الاغراء أو البدل ان يضمر قولوا الخ) أى لن نصب صبغة الله على الاغراء ان يضمر قولوا على قوله نحن له عابدون لانه على تقدير الاغراء يصير التقدير هكذا الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فلا يلزم فك النظم ورده العلامة التفتازانى بأنه لا وجه لارتكاب التقدير بلا دليل مع ظهوره الوجه الصحيح واما على تقدير البدل فيقدر اتبعوا ملة ابراهيم اذ لو لم يقدر اتبعوا لزم ان يكون صبغة الله بدلا من جزء الجملة المتقدمة وهو ملة ابراهيم وان يكون ونحن له عابدون عطفا على جزء الجملة المتأخرة وهو آمنا مع عدم ارتباط بينك (١٩٤) الجملتين وهذا يوجب تفكيك النظم واذا قدر اتبعوا ويكون قوله تعالى قولوا

قولوا ولن ينصبها على الاغراء أو البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا أو اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب (قل أتحاجوننا) أتجادلوننا (فى الله) فى شأنه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روى ان أهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت (وهو ربنا وربكم) لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا كأنه أزلمهم على كل مذهب ينتحونه الحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلى بالاخلاص وكان لكم أعمالا ير بما يعتبرها الله فى اعطائها فلنا أيضا أعمال (ونحن له مخلصون) موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم (أم يقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق و يعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى) أم منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحزة والكسائى وحفص بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة فى أتحاجوننا بمعنى أى الامرين تأتون المحاجة أو ادعاء اليهودية أو النصرانية على الانبياء (قل أأنتم أعلم أم الله) وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه فى الدين وفاقا (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) يعنى شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا أحد أظلم من أهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة أو مثلها وكقولنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه الصلاة والسلام بالنبوة فى كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما فى قوله تعالى براءة من الله ورسوله (وما الله بغافل عما تعملون) وعيد لهم وقرئ بالياء (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) تكرير للمبالغة فى التحذير والزجر عما استحكم فى الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل المراد بالامة فى الاول الانبياء وفى الثانى أسلاف اليهود والنصارى (سيقول السفهاء من الناس) الذين خفت أحلامهم واستهونها بالتقليد والاعراض عن النظر بر يد به المنكرين لتغير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب واظهار المعجزة (ما ولاهم) ما صرفهم (عن قبلتهم التى كانوا عليها) يعنى بيت المقدس والقبلة فى الاصل الحالة التى عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا لمكان المتوجه نحوه للصلاة

آمنا بالله بدلا من اتبعوا ملة ابراهيم فلا يلزم فك النظم أيضا وعليه الرد المذكور فان قيل اذا كان صبغة الله مصدرا مؤكدا لآمنا كما ذكر لزم الفصل بين المؤكد والتأكيد بالاجنبي وهو قوله تعالى فان آمنوا الآية وكذا الفصل بين المعطوف وهو ونحن له عابدون و بين المعطوف عليه وهو آمنا قلنا هذا الفصل ليس مطلقا بأجنبي بل هو متعلق بقولوا فى المعنى لانه فى الحقيقة مؤكد للقول بآمنا الآية (قوله كأنه ألزمهم على كل مذهب ينتحلونه الحاما وتبكيتا الخ) يعنى ان فى أمر النبوة مذهبين أحدهما وهو الحق الذى ذهب اليه أهل السنة انها تفضل من الله تعالى على من يشاء من عباده والثانى وهو مذهب الفلاسفة ومن يحذو حذوهم انها تحصل بالكسب بالمواظبة على الطاعات وتزكية النفس وتطهيرها عن الرذائل

قل

(قوله قل لله المشرق والمغرب) تخصيص هاتين الجملتين بالذكر لمزيد ظهورهما حيث كان احداهما مطلع الانوار والاصباح والاخرى مغربهما ولكثرة توجه الناس اليهما لتحقيق الاوقات لتحصيل المقاصد والمهمات (قوله أو عدولا) ان أراد ان كل واحد عدل كما هو الظاهر فليس كذلك وان أراد ان المجموع عدول فكذلك أيضا والظاهر على هذا ان يكون الخطاب مع الصحابة واذا فسر الوسط بمعنى الخير كما قال تعالى كنتم خير أمّة أخرجت للناس لا يرد ماذكر ولا يخفى ان ما أورد انما يتوجه اذا فسر العدل بالذى يكون على طريق الاستقامة كما دل عليه قوله مزكين بالعلم والعمل واما اذا كان بمعنى غير الفاسق وكذا اذا أريد به القريب من الاعتدال فلا يتوجه ماذكر (قوله لا تثلمت به عدالتهم) فيه نظر اذ لا يلزم من مجرد الاشتغال بباطل مّا سلب العدالة لانه يجوز ان يكون الاشتغال به بمعرض شبهة وهو لا يستلزم الفسق الذى هو سلب العدالة ألا يرى ان كلا من المجتهدين اشتغلوا بالباطل وهو الخطأ الذى أدى اليه اجتهادهم مع ان كلا منهم عدل لا تزول عدالتهم بما ذكر ولضعف الدليل المذكور قال واستدل وكان هذا عادة للمصنف فى هذا الكتاب فاشار الى ضعف الدليل بقوله فاستدل كما هو عادة ابن الحاجب فى المختصر (قوله وتقديم الصلة الخ) أى تقديم الجار والمجرور الذى هو عليكم على شهيدا وهذا شرف عظيم لنبينا صلى الله عليه وسلم ولامّته لانه اكتفى فى الشهادة على الامّة بالنبى وحده وفى الشهادة على الامم بالامّة وحدها (قوله فالمخبر به على الاوّل) أى على ان تكون القبلة الكعبة لان معنى الآية وما جعلنا قبلتك الآن قبلة كنت عليها قبل ذلك وهى الكعبة فيكون هذا الجعل ناسخا لبيت المقدس وعلى الثانى أى على كون القبلة الصخرة يكون الجعل هو الجعل المنسوخ لان التوجه الى الصخرة نسخ (قوله أو لنعلم الآن الخ) أى لنعلم بعد الامر بالتحوّل الى الكعبة من يتبعك من أهل الكتاب ممن لا يتبعك منهم فان اتباع بعضهم للنبى عليه السلام كان لعارض هو توجهه الى الصخرة فلما تحوّلت القبلة ارتد بعضهم (قوله باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء) أى جزاء العبد بفعله فانه متعلق بعلمه تعالى بوقوع الفعل من العبد فى الحال اذ لو لم يفعل لم يتعلق علمه تعالى بانه فعل ولا يترتب عليه الجزاء

(قل لله المشرق والمغرب) لا يختص به مكان دون مكان بخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام أمره لا بخصوص المكان (يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة أخرى (وكذلك) اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة أى كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم أو جعلنا قبلتكم أفضل القبل (جعلناكم أمة وسطا) أى خيارا أو عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو فى الاصل اسم للمكان الذى تستوى اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التى وصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لا تثلمت به عدالتهم (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) علة للجعل أى لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وأنزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على أحد وما ظلم بل أوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين من قبلكم أو بعدكم روى ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو أعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسئل عن حال أمته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه السلام كالرقيب المهيمن على أمته عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها) أى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فانه عليه السلام كان يصلى اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلاة الى الصخرة تألفا لليهود أو الصخرة لقول ابن عباس رضى الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاوّل الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى ان أصل أمرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس (الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) لا لنمتحن به الناس ونعلم من يتبعك فى الصلاة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة آبائه أو لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الأوّل معناه ما رددناك الى التى كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به

(قوله أو لتمييز الثابت عن المتزلزل الخ) فان قيل ان أريد التمييز في الوجود العيني فهو حاصل قبل التحويل أو في الوجود العلمي فحاصل في علم الله بل عينه أقول يمكن اختيار الثاني بان يقال معناه حتى يتميز في العلم التابع عن غير التابع أي من يتصف بالتبعية في الحال وبالفعل ممن يتصف بعدم التبعية في الحال ولا يخفى ان هذا التمييز العلمي فرع اتصافهم بالفعل بالتبعية أو عدمها وهذا هو مراد المصنف أو يكون المراد التمييز عند النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (قوله أو يشهد له قراءة ليعلم الخ) أي يشهد لكون يعلم بمعنى يتميز لان يعلم بصيغة المفعول معناه ظاهر اعلم الخلق ولا يخفى ان علمهم بما ذكر ينشأ من تميز الله بينهما فهو سبب قريب لعلمهم ولا يخفى ان حصول المسبب شاهد على السبب فتأمل (قوله لما في من من معنى الاستفهام) قال الرضي ليس اداة الاستفهام التي في باب العلم مفيدة لاستفهام المتكلم بها للزوم التناقض في علمت أيهم قام لان علمت تفيد ان قائل هذا الكلام عارف بنسبة القيام الى هذا القائم المعين لما ذكر ان العلم واقع على مضمون الجملة فلو كان أي لاستفهام المتكلم لكان دالا على انه لا يعرف انتساب القيام اليه فينقلب اداة الاستفهام اذن لمجرد الاستفهام لا لاستفهام المتكلم والمعنى عرفت المشكوك فيه الذي يستفهم عنه وهو ان نسبة القيام الى أي شخص وذلك الشخص في فرضار يد (قوله أو مفعوله الثاني ممن ينقلب الخ) يعني على تقدير ان تكون من استفهامية يكون من يتبع الرسول جملة مستقلة تكون مفعولي نعلم واذا جعل من موصولة يكون من يتبع الرسول المفعول الاول وممن ينقلب على عقبيه مفعوله الثاني وحاصل الكلام ان ههنا ثلاث احتمالات الاول ان يكون نعلم بمعنى نعرف وتكون من موصولة وهو مع الصلة مفعوله وممن

ينقلب حال أيضا والثاني ان يكون العلم بمعناه الحقيقي وتكون من استفهامية ويتبع الرسول المفعول الثاني وممن ينقلب حال أيضا والثالث ان يكون من موصولة وممن ينقلب المفعول الثاني قال العلامة التفتازاني على تقدير ان تكون من استفهامية كان من ينقلب على عقبيه حالا من فاعل يتبع أي متميزا عنه وبهذا ينسد فم ما ذكره أبو البقاء من انه لا يجوز ان تكون من استفهامية لانه يلزم

موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه أسنده الى نفسه لانهم خواصه أو لتمييز الثابت من المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه و يشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة أو معلق لما في من من معنى الاستفهام أو مفعوله الثاني ممن ينقلب أي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب (وان كانت لكبيرة) ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة أو الردة أو التولية أو التحويلة أو القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة (الا على الذين هدى الله) الى حكمة الأحكام الثابتين على الايمان والاتباع (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة أو صلاتكم اليها لما روى انه عليه السلام لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت (ان الله بالناس لرؤف رحيم) فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاتهم ولعله قدم الرؤف وهو أبلغ محافظة على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر (قد نرى)

ربما

التعليق ولا يبقى لقوله ممن ينقلب متعلق اذ لا معنى لتعلقه بيتبع ولا وجه لتعلقه بنعلم لان ما بعد الاستفهام لا يتعلق بما قبله فان قيل لا قرينة على حذف المتميز قلنا ممنوع بل قرينة الكلام على انه مشترك الالزام اذ على تقدير ان تكون موصولة يجب هذا التقدير فهو لازم سواء كان حالا أو مفعولا ثانيا لكن عبارة المصنف توهم ان التقدير لازم على تقدير المفعولية ثم ان فيما نقلناه نظرا اذ يجوز ان يكون أبو البقاء جاعلا نعلم بمعنى نميز فلا يكون الالزام مشتركا اذ لا يجب حينئذ تقدير متميز والجواب ان كلامه يأبى هذا الاحتمال لانه قال لانه يلزم التعليق والتعليق من خصائص افعال القلوب فلا يكون نعلم بمعنى نميز والالم يكن منها (قوله فيكون كان زائدة) قيل ان أراد ان كانت مع اسمها مزيدة كانت كبيرة خبرا بلا ابتداء وان المخففة واقعة بلا جملة ومثله خارج عن القياس والاستعمال وان أراد ان كانت وحدها مزيدة والضمير باق على الرفع بالابتداء فلا وجه لا تصالها واستكنانه وغاية ما يتحمل انه لما وقع بعد كانت وكان من جهة المعنى في موقع اسم كان جعل متصلا مستكنا تشبيها بالاسم وان كان مبتدأ تحقيقا والاوجه في هذه القراءة ان يجعل في كان ضمير القصة ويقدر بعد اللام مبتدأ أي وان كان قصة التحويل كبيرة (قوله فكيف بمن مات من اخواننا) أي كيف يفعل بمن مات من اخواننا أضاعت صلواتهم أم لا (قوله ولعله قدم الرؤف وهو أبلغ محافظة على الفواصل) أي المشهور في الاستعمال ان يؤخر ما هو أبلغ كما يقال شجاع باسل وعالم نحرير ولا يقال بالعكس والحال ان الرؤف أبلغ من الرحيم لان الرأفة على ما قال في الصحاح شدة الرحمة فينبغي ان يتقدم الرحيم على الرؤف فتأخيره للمحافظة على الفواصل

(قوله ربما نرى) هذه العبارة تحتمل وجهين أحدهما ان تكون للتقليل كما هو مقتضى أصل وضعه فتكون قد كذلك والثانى ان تكون للتكثير فتكون قد كذلك أيضا ويكون معناه كثرة الرؤية وهذا لا يفهم من ظاهر الآية بل علم من خارج وكون قد للتكثير ذكره سيبويه قاله صاحب المغنى وقد صرح الزمخشرى به فقال معناه تكثير الرؤية (قوله ولم يسأل فيه) ليس فى الآية ما يدل على عدم السؤال غاية الامر انه ليس فيها ما يدل على السؤال ويمكن ان يقال لو وقع السؤال منه صلى الله عليه وسلم لكان الاولى ذكر السؤال (قوله لان البعيد يكفيه مراعاة الجهة) فيه نظر اما أولا فلان المذهب ان البعيد أيضا لا بد له ان يتوجه الى العين دون الجهة واما ثانيا فلان التوجه الى الجهة غير التوجه الى المسجد الحرام بل التوجه الى المسجد الحرام فى حكم التوجه الى الكعبة فلو كان التوجه اليها خارجا لكان التوجه اليه أيضا كذلك ويمكن ان يقال التوجه الى شطر المسجد الحرام يحتمل فى النظر معنيين أحدهما التوجه الى عينه والآخر التوجه الى جهته ولكن من المعلوم ان التوجه الى عين المسجد الحرام غير مقصود فبقى ان يكون المراد التوجه الى جهته لكن لو قيل فول وجهك شطر الكعبة لفهم منه ان المقصود التوجه الى عين الكعبة لان التوجه الى عينها أمر مقصود فغرض المصنف انه لو ذكر شطر الكعبة لتوهم ان المقصود التوجه الى عينها وليس كذلك على زعمه فاما اذا قيل شطر المسجد الحرام لم يتوهم ذلك لان المسجد الحرام ليس مقصودا التوجه الى عينه فيكون المراد التوجه الى جهته وانما قلنا يجب التوجه الى العين على البعيد أيضا ولا حرج لان الجسم المعين كلما ازداد البعد منه ازداد مقابله لان المراد بمقابلة العين ان يكون بين الخطين الشعاعيين الخارجين من العينين على طريق ساقى المثلث وان الخطين المذكورين كلما ازداد بعدهما عن العين ازداد بعد أحدهما عن الآخر فالمراد بمحاذاة العين انه لو خرج الخارجان من غير المصلى الى غير النهاية لكانت الكعبة بين ذلك الخطين قال العلامة التفتازانى أشار صاحب الكشاف الى انه قد ترك أحد مفعولى فول وشطر ظرف بمعنى اجعل وجهك فى جهة المسجد وسمته ولو كان مفعولا به كما فى لنولينك قبلة لما ذكر شطره بل اقتصر على المسجد أقول فيه نظر لانا نقول يجوز ان يكون مفعولا به ولم يقتصر على المسجد بل ذكر شطر يشعر بان الواجب التوجه الى جهته لا الى نفسه ثم قال وانما اعتبر استقبال الجهة دون العين مع ان القبلة التى يجب ان تستقبل هى الكعبة لما فى ذلك من الحرج على من بعد من مكة وفى ذكر المسجد دون الكعبة مع انها المقصود بالتوجه دلالة على ان الواجب هو الجهة اذ لو كان العين لكان المناسب ذكر الكعبة التى هى القبلة أقول على ما ذكر لو قيل شطر الكعبة لم يفهم منه الا ان الواجب الجهة دون العين ولو فهم منه ان الواجب العين لفهم من شطر المسجد وجوب التوجه الى عين المسجد وهو حرج أيضا على البعيد فتأمل وههنا كلامان أحدهما لم قيل فول وجهك شطر المسجد الحرام ولم يقل شطر الكعبة والثانى انه لم يقل فول وجهك المسجد الحرام والجواب انه قيل فول وجهك شطر المسجد ليستدل به على وجوب التوجه الى شطر الكعبة اذ المعلوم ان المقصود الكعبة لا المسجد الحرام لان لها الشرف الاصلى وشرف المسجد الحرام لاحاطته بها فيعلم من صريح القرآن وجوب التوجه الى المسجد والظاهر انه اذا وجب التوجه الى شئ وجب التوجه الى أشرف ما فيه حذرا عن ترجيح المرجوح فيعلم بهذا الوجه وجوب التوجه الى عين الكعبة وهذا الطريق أدخل فى البلاغة وعن الثانى انه لو قيل فول وجهك المسجد لتوهم المحاذاة الحقيقية بان يكون السهم المخروط الشعاعى الخارج عن العين واقعا على المسجد لو أخرج ذلك السهم الى غير النهاية وليس كذلك اذ هو حرج والاولى ان يقال ان فى ذكر الشطر دلالة ان المقصود بالذات ليس المسجد فبقى ان يكون المقصود لذاته الكعبة فتأمل فى هذا المقام

ربما نرى (تقلب وجهك فى السماء) تردد وجهك فى جهة السماء تطلعا للوحى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع فى روعه ويتوقع من ربه أن يحوله الى الكعبة لانها قبلة أبيه ابراهيم واقدم القبلتين وأدعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم يسأل (فلنولينك قبلة) فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له أو فلنجعلنك تلى جهتها (ترضاها) تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته (فول وجهك) اصرف وجهك (شطر المسجد الحرام) نحوه وقيل الشطر فى الاصل لما انفصل عن الشئ من شطر اذا انفصل ودار شطور أى منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم أى محرم فيه القتال أو ممنوع من الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه الصلاة والسلام كان فى المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روى انه عليه الصلاة والسلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة فى رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه فى مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر

(قوله وتبادل الرجال والنساء صفوفهم) أرادان الرجال قاموا فى مكان النساء والنساء فى مكان الرجال وقد صرح به فى الكشاف والظاهر ان مراده ان بعض الرجال قاموا مكان بعض النساء وبعض النساء قاموا مكان بعض الرجال مثلا اذا قام الامام وصف خلفه صفين صفر جالا وصفا نساء فاذا دار الامام الى جانب اليمين تحول ما فى يمين الامام من الرجال الى خلف الامام وتسوية الصفوف فاذا كانوا قريبين من صف النساء يبعدونهن من أمكنتهن حتى يقيموا مكانهن وكذا تحرك من فى يسار الامام الى قدام والنساء التى خلف هذه الرجال يتقدمن ويقفن مكان الرجال حتى يستوين مع النساء اللاتى فى جانب يمين الامام كل ماذكرنا يظهر بالتخيل الصحيح (قوله والقسم وجوابه سادمسد الشرط) عبارة الكشاف ان الجواب جواب القسم المحذوف سدمسد جواب الشرط وهذا هو الوجه الموافق لبعض نسخ الكتاب (قوله ﴿١٩٨﴾ لتضمن كتمهم انه عليه السلام يصلى الى القبلتين) مجرد صلاته صلى الله عليه وسلم الى القبلتين لا يستلزم علمهم بالتحويل الى الكعبة اذ الصلاة الى القبلتين يحتمل بان يصلى الى الكعبة أولا ثم الى بيت المقدس ثانيا كما ذهب اليه الاكثرون نعم لوقيل انه تضمنت كتمهم ان الصلاة الى الكعبة بعد صلاته الى بيت المقدس ثبت الغرض ويمكن ان يقال المراد بالصلاة الى القبلتين توجهه الى القبلتين فى صلاة واحدة كما هو الواقع وفى الوجه الاول أيضا بحث اذ لايلزم من مجرد العلم بان لكل شريعة قبلة ان يكون التحويل الى الكعبة حقا ثم انه بعد العلم بانه صلى الله عليه وسلم نبى صاحب شريعة علم بان تحوله الى الكعبة حق ولا حاجة الى العلم بالمقدمة الكلية المذكورة وهى ان لكل صاحب شريعة قبلة مخصوصة

فتحول فى الصلاة واستقبل المغرب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبلتين (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) خص الرسول بالخطاب تعظيما وايجابا بالرغبة ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتأكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة (وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم) جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتمهم انه صلى الله عليه وسلم يصلى الى القبلتين والضمير للتحويل أو التوجه (والله بغافل عما يعملون) وعد ووعيد للفريقين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالياء (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية) برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم (ما تبعوا قبلتك) جواب للقسم المضمر والقسم وجوابه سادمسد جواب الشرط والمعنى ماتركوا قبلتك لشبهة تزيلها بالحجة وانما لفوك مكابرة وعنادا (وما أنت بتابع قبلتهم) قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذى ننتظره تغير اله وطمعا فى رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق (ومابعضهم بتابع قبلة بعض) فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لايرجى توافقهم كما لايرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم) على سبيل الفرض والتقدير أى ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحى (انك اذا لمن الظالمين) وأكد تهديده وبالغ فيه من سبعة أوجه أحدها الاتيان باللام الموطئة للقسم ثانيها القسم المضمر ثالثها حرف التحقيق وهو ان رابعها تركيبه من جملة فعلية وجملة اسمية وخامسها الاتيان باللام فى الخبر وسادسها جعله من الظالمين ولم يقل انك ظالم لان فى الاندراج معهم ايهاما بحصول أنواع الظلم وسابعها التقييد بمجىء العلم تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى علماءهم (يعرفونه) الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم أو القرآن أو التحويل (كما يعرفون أبناءهم) يشهد للاول أى يعرفونه باوصافه كمعرفتهم أبناءهم لايلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضى الله تعالى عنه انه سأل عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنا أعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست أشك بل من ثمة بين القسم واللام الموطئة وان الفرضية فى وان المحققة واللام فى خبرها وتعريف الظالمين اذ المراد من الظالمين المرتكبون للظلم الفاحش كما قاله صاحب الكشاف والجملة الاسمية واذا الجزائية اقول ههنا وجه آخر من التأكيد وهو اتباع الاهواء بعد العلم أفحش من اتباع الاهواء قبله وان اتباع أهواء تلك الجهلة بعد العلم الذى فاض على رسول الله صلى الله عليه وسلم أفحش بمراتب ولذا قال صاحب الكشاف انك اذن لمن المرتكبين الظلم الفاحش وقد غفل عن ذلك العلامة التفتازانى وغيره (قوله بمعنى علمائهم) لك ان تقول كما يمكن أن يكون علماؤهم عارفين بما ذكر يجوز ان يكون غير العالمين منهم عارفين أيضا فما وجه التخصيص ويمكن أن يقال المعرفة حقيقة لعلمائهم وأما غيرهم فليس لهم معرفة وانما يعتقدونه تقليدا (قوله فقال أنا أعلم به منى بابنى الخ) يرد عليه انه على هذا التقدير لم يكن التشبيه على موقعه لأن المشبه به فى الاغلب يكون أقوى واذا لم

أقوى فيجب ان لا يكون أضعف لكن المشبه به ههنا أضعف على ما روى عن عبد الله بن سلام والجواب ان هذا التشبيه لبيان حال المشبه فشبه حال النبي بحال أبنائهم في مطلق المعرفة وفي هذا التشبيه لا يلزم أن يكون المشبه به أتم بل يجب أن يكون أشهر وههنا كذلك لان اشتهارهم بمعرفة أبنائهم أكثر من اشتهارهم بمعرفته صلى الله عليه وسلم بل قد يكون المشبه به دون المشبه وقد يكون مساويا كما صرح به في المطول فان الغرض وهو بيان الحال حاصل سواء كان المشبه به أقوى أولا (قوله تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن) أما التخصيص فظاهر وأما الاستثناء فلاخراجهم بكتمان الحق لأن حالهم خلاف الكتمان (قوله واللام للعهد الخ) على التقدير الاول من التقديرين المذكورين يكون اللام اشارة الى الحق المذكور سابقا في قوله تعالى ليعلمون انه الحق من ربهم وعلى التقدير الثاني يكون اشارة الى الحق المذكور قريبا (قوله من ربك حال) أي مؤكدة مثل هو الحق يقينا لأن الجملة المتقدمة وهي هو الحق دالة على كون الحق من الرب وأما العامل في هذه الحال ففيه خلاف قال الرضي الاولى عندي ما ذهب اليه ابن مالك وهو ان العامل معنى الجملة كما قلنا في المصدر المؤكد لنفسه ولغيره وفي مثل زيد أبوك عطوفا التقدير يعطف عليك أبوك عطوفا ففيما نحن فيه التقدير حق ذلك من ربك أي كائنا من ربك (قوله وليس بقصد واختيار) أي ليس الشك مما حصل بقصد واختيار حتى يصلح أن يكون منهيا عنه وبهذا رد قول أبي هاشم المعتزلي ان أول الواجبات على المكلف الشك (قوله بل اما تحقيق الامر الخ) فيكون في معنى النفي (قوله أو أمر الامة الخ) يعني لما كان الشك غير مقدور فتعلق النهي به عبارة عن تحصيل أشياء توجب زوال الشك فان قلت ان كان المراد بالمعارف المزيحة للشك الحاصل بالفعل فهذا لا يتعلق بالامة لان الامة غير شاكين وان كان المراد المعارف التي شأنها أن تزيل الشك وان لم يكن حاصلا بالفعل فلم لا يكون الخاطب بهذه المعارف التي قلت المعارف الحاصلة للنبي صلى الله عليه وسلم فلا يخاطب بتحصيلها وفيه ما فيه لأن المعارف ليس لها حد معين كلما حصلت معارف يمكن تحصيل معارف أخرى فتأمل ويمكن أن يقال اذا أريد المعارف المزيحة للشك في كون اليهود كاتمين له اندفع السؤال (قوله أي هو مولاها وجهه) اذا كان الضمير راجعا الى الله تعالى وقدم الوجه الاولى لان مرجعه ظاهر وضمير اياه راجع الى كل أحد (قوله واللام مزيدة للتأكيد الخ) لك أن تقول العامل وهو المولى مضاف الى ضمير كل وجهة فكيف يكون كل وجهة مفعول المولى والجواب أن المراد ان عامله محذوف والمذكور مفسر والتقدير ولكل وجهة هو مولى مولاها واذا أخر المعمول صارت العبارة هكذا وهو مولى كل جهة أهلها فيكون المفعول الاخير محذوفا (قوله فاستبقوا الخيرات) أي اذا كان لكل قوم جهة فينبغي الاستباق الى أحسن الجهات أو الى أحاسن الاشياء مطلقا أعم من الجهات وغيرها وكانه قيل واذا كان لكل جهة والحال ان أحاسن الاشياء مما يجب أن يطلب فاطلبوا الخيرات التي منها طلب الجهة المخصوصة (قوله تعالى أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا) قد فسره تفاسير وخطر لي وجه آخر وهو أن يكون معناه يأت بأنفسكم وأعمالكم جميعا أي مجتمعين حتى تصير كل نفس مقرونة بعملها فيكون في قوله تعالى يأت بكم الله جميعا تغليب (قوله ومن حيث خرجت)

في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته قد خانت (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن (الحق من ربك) كلام مستأنف والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما علمه الرسول صلى الله عليه وسلم أو الحق الذي يكتمونه أو للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذي أنت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه أهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق ومن ربك حال أو خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول أو مفعول يعلمون (فلا تكونن من الممترين) الشاكين في انه من ربك أو في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا شك فيه ناظر أو أمر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ (ولكل وجهة) ولكل أمة قبلة أو لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة (هو موليها) أحد المفعولين محذوف أي هو مولاها وجهه أو الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها أهلها واللام مزيدة للتأكيد جيء بها لضعف العامل وقرأ ابن عامر مولاها أي هو مولى تلك الجهة أي قد ولاها (فاستبقوا الخيرات) من أمر القبلة وغيره بما تنالون به سعادة الدارين أو الفاضلات من الجهات وهي المساعة للكعبة (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا) أي في أي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء أو أينما تكونوا من أعماق الارض وقلل الجبال يقبض أرواحكم أو أينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجمعكم لصلاتكم كأنها الى جهة واحدة (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع (ومن حيث خرجت)

يحتمل أن يكون متعلقا بقوله فول وجهك لانهم جوزوا عمل ما بعد الفاء فيما قبلها قال العلامة التفتازاني هذا يوجب اجتماع الحرفين فالوجه انه متعلق بمحذوف عطف عليه فول أي افعل ما أمرت فول وجهك ويجوز أن يجعل من حيث خرجت فى معنى الشرط أي أينما كنت وتوجهت فتكون الفاء جزائية أقول قد مر انه يجوز اجتماع حرفى العطف على ما جوّزه الكسائى فى قوله ور بك فكبر وقال العلامة فى ور بك فكبر بتخلل الفاء بين العامل والمعمول (قوله وقرن بكل علة معلولها) الاقران الاول ظاهر فإنك ذكرت أولا فان مرصاة الرسول صلى الله عليه وسلم مقارنة للامر بالتولية أو لاحيث قال تعالى فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام والاقران الثانى فى قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك والاقران الثالث فى الآية التى نحن فى تأويلها ويمكن تقرير بوجه آخر فتأمل فالاولى أن يقال انه كرر الامر بالتولية فى خمسة مواضع وعلل فى الموضع الاول برضا النبى صلى الله عليه وسلم والثانى بعلم أهل الكتاب بانه الحق و بان سنة الله (٢٠٠) تعالى جرت بان لكل صاحب شريعة قبلة والثالث بان الله تعالى شهيد على

كون التحويل حقا والرابع والخامس بعدم حجة الناس (قوله لانهم يسوقونها مساقها الخ) كذا فى الكشاف قال العلامة التفتازانى يرد عليه ان المذكور فى صدر الكلام لو تناول هذه لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز والا لم يصح الاستثناء لان الحجة مختص بالحقيقة فلا محيص سوى أن يراد بالحجة التمسك سواء كان حقا أو باطلا أقول يرد انه اذا أريد بالحجة التمسك كان قوله لانهم يسوقونها مساق الحجة مستدركا والجواب ان مراده ان الحجة مستعمل فى المعنى المجازى وان قوله لانهم الخ بيان لعلاقة المجاز (قوله وقيل الحجة بمعنى الاجتماع) ظاهره ان التفسير بهذا يدفع السؤال المذكور لكن لا يندفع الا بأن يفسر الاحتجاج بالتمسك لا بايراد الحجة لانه يرد عليه السؤال فعلى هذا الفائدة فى جعل الحجة بمعنى الاحتجاج اذما له الى الوجه الاول (قوله ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم الخ) فان قلت شرط الاستثناء أن يكون المستثنى داخلا فى المستثنى منه وههنا ليس كذلك قلت معناه لاعيب فيهم محققا ولا مقدرا غير المذكور وهذا المذكور داخل فى العيب المقدر أى الشئ الذى قدر كونه عيبا وان لم يكن فى نفس الامر كذلك بل شرفا وفضيلة فى الواقع (قوله فلا تخشوهم) أى لما لم يبق لهم عليك حجة فلا تخشوهم (قوله وارادتى اهتداءكم) ظاهر هذه العبارة يدل على ان ارادة الاهتداء معنى لعل و يلزم منه أن يكون لعل اسما كالارادة والجواب ان معنى الارادة يتصور على وجهين أحدهما ان يكون معنى مستقلا كما اشعر بلفظ الارادة فيكون اسما والثانى ان يجعل آلة للاحظة شيئين هما المخاطب والاهتداء وحينئذ يكون حرفا نظير ذلك ما ذكروا فى شريف العلامة فى حاشية المطول ان طلب الترك يعتبر على وجهين أحدهما اعتباره مستقلا و يعبر عنه بلفظه كاترك الصرب والثانى أن يكون آلة للاحظة النهى لا حالة مستقلة بنفسها فيكون معنى حرفيا معبرا عنه بحرف النهى (قوله أولئلا) أى

ومن أى مكان خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت (وانه) وان هذا الامر (للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون) وقرأ أبو عمرو د بالياء والباقون بالتاء (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر التحويل ثلاث علل تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم بايتاء مرضاته وجرى العادة الالهية على أن يولى أهل كل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها و يتميز بها ودفع حجج المخالفين على مانبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة طاهر شأن والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبادر الحرى أن يؤكد أمرها و يعاد ذكرها مرة بعد أخرى (لئلا يكون للناس عليكم حجة) ۞ علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت فى التوراة قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا و يتبعنا فى قبلتنا والمشركين بانه يدعى ملة ابراهيم و يخالف قبلته (الا الذين ظلموا منهم) استثناء من الناس أى الا الذين لا حجة لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده أو بداله فرجع الى قبلة آبائه و يوشك أن يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم لانهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة رأسا كقوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ ألا الذين ظلموا منهم على أنه استئناف بحرف التنبيه (فلا تخشوهم) فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم (واخشونى) فلا تخالفوا أمرا أمرتكم به (ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون) علة محذوف أى وأمرتكم لاتمام النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم أو عطف على علة مقدرة مثل واخشونى لاحفظكم منهم ولاتم نعمتى عليكم أولئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة

عطف على لئلا أى فولوا وجوهكم شطره لئلا نعمتى عليكم (قوله قدمه باعتبار القصد وأخر فى دعوة ابراهيم باعتبار الفعل) يعنى ان التزكية غاية التلاوة والتعليم والغاية متقدمة باعتبار القصد أى القصد اليها متقدم على ما يكون سببا لتحصيلها ومتأخرة باعتبار الفعل أى الغاية متأخرة فى الوجود عن سبب تحصيلها وهذا معنى ما قال العلماء ان الغاية متقدمة بحسب وجودها الخارجى وانما قدم عليه جملة يتلو عليكم آياتنا لان ثبوت الآيات لرسالة يتلاوة الآيات (قوله ليدل على انه جنس آخر) لأن التعليم الاول وهو تعليم الكتاب والحكمة جنس والتعليم الثانى وهو على ما يستفاد من قوله الاظهر بقى الخ تعليم مالا يعلم الا بالوحى وان قيل الكتاب والحكمة أيضا لا يعلم الا بالوحى فليس مالا يعلم الا بالوحى جنسا آخر قلنا لعله أراد بما لا يعلم الا بالوحى غير ما ذكر أولا مما يستفاد من أقوال النبى عليه الصلاة والسلام أو أفعاله (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) لما أمر الله تعالى عباده بالذكر والشكر كأن سائلا قال ما المذكر والشكر فقيل استعينوا بالصبر والصلاة فان الصلاة ذكر وشكر (٢٠١) ولما كان مدار أمر الصلاة على الصبر لان فيها صبرا بامساك النفس على اسكانها عما ينهى فيها وقدم الصبر على الصلاة (قوله تدل ولا تتولوا الآية) لما أمر بالصبر على مخالفة النفس ومن أشد الصبر الصبر على الجهاد رغب فيه بان المقتول فى سبيل الله ليس بميت بل هو حى (قوله وهو تنبيه الخ) فيه نظر لان الافهام من عدم الشعور ما قاله بل المفهوم منه ان حياتهم لا تدرك بالعقل والحس واما أن حياتهم ليست من جنس حياة الحيوانات فليس يفهم منه والجواب أن المراد ان المفهوم من الآية دخلا فى التنبيه على ما ذكره لانه يفهم من الآية انهم أحياء والحال ان أجزاء أبدانهم ليست لها حياة فيعلم ان حياتهم ليست بالابدان

دخول الجنة وعن على رضى الله تعالى عنه تمام النعمة الموت على الاسلام (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) متصل بما قبله أى ولاتم نعمتى عليكم فى أمر القبلة أو فى الآخرة كما أتممتها بارسال رسول منكم أو بما بعده أى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى (يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم) بحملكم على ما تصيرون به أزكياء قدمه باعتبار القصد وأخر فى دعوة ابراهيم عليه السلام باعتبار الفعل (ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) بالفكر والنظر الا لاطريق الى معرفته سوى الوحى وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر (فاذكرونى) بالطاعة (أذكركم) بالثواب (واشكروا لى) ما أنعمت به عليكم (ولا تكفرون) بجحد النعم وعصيان الامر (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر) عن المعاصى وحظوظ النفس (والصلوة) التى هى أم العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين (ان الله مع الصابرين) بالنصر واجابة الدعوة (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات) أى هم أموات (بل أحياء) اى بل هم أحياء (ولكن لا تشعرون) ما حالهم وهو تنبيه على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هى أمر لا يدرك بالعقل بل بالوحى وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند ربهم تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الألم والوجع والآية نزلت فى شهداء بدر وكانوا أربعة عشر وفيها دلالة على أن لارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة (ولنبلونكم) ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء (بشئ من الخوف والجوع) أى بقليل من ذلك وانما قاله بالاضافة الى ما وقعوا فيه ممنه ليخفف عليهم ويريهم أن رحمته لانفار قهم أو بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم فى الآخرة وانما أخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم (ونقص من الاموال والانفس والثمرات) عطف على شئ أو الخوف وعن الشافعى رضى الله تعالى عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الصدقات والزكوات

(٢٦ - (بيضاوى) - اول)

وأما أن حياتهم ليست من جنس حياة الحيوانات فانبأنه موقوف على ابطال التناسخ وقد أبطله المتكلمون والمشاؤن فليتأمل (قوله وعلى هذا فتخصيص الخ) أى على ما ذكر وهو ان الارواح باقية دراكة بعد موت البدن كان كل من الاموات حيا فما وجه تخصيص الحياة بالشهيد فأجاب بانه لاختصاصهم الخ ثم انه يمكن أن يكون لهم نوع آخر من الحياة لا يحصل لغيرهم كما ورد فى الحديث أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر كما روى . ولما لم عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية قال قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرواحهم فى جوف طير لها قناديل معلقة بالعرش تخضر تسرح من الجنة حيث شاءت (قوله عطف على شئ أو الخوف) الاول أوجه بشيئين لفظى ومعنوى أما الاول فلاتفاق المعطوف والمعطوف عليه فى التنكير وأما الثانى فلان تنكير بعض يدل ظاهرا على البعضية فلا حاجة الى أن يقال لشئ من نقص الاموال (قوله وعن الشافعى أن الخوف خوف الله تعالى) فان قلت معنى الابتلاء والاختبار

بالجوع ونقص الاموال والنفس والثمرة ظاهر لان معناه سلط عليكم الجوع ونقص شيء من أموالكم وأنفسكم لنختبر هل تشكرون الله أولا وأما معنى الابتلاء بالخوف من الله تعالى فغير ظاهر قلت معناه الابتلاء بشيء فيه الخوف من الله تعالى فنختبركم هل تخافون منه فتتركون ذلك الشيء أولا وإنما جعل الخوف على الخوف من الغير فوجهه لنبلونكم بشيء من الخوف حتى يظهر انكم تصبرون وتلجؤن الى الله تعالى في دفع ما يخاف منه أولا (قوله و بشر الصابرين) عطف على لنبلونكم عطف المضمون على المضمون كانه قيل ولیقع الابتلاء ولتنفع البشارة (قوله بان يتدبر ما خلق لاجله) أي يتصور بانه خلق لأجل العبادة والتسليم للقضاء وتكميل النفس ليفوز بالثواب في الدار الآخرة فيهون عليه فوات الاشياء (قوله وانه راجع الى ربه) لانه لما تحقق عند العبد انه فان البتة فهان عليه فوت ما تعلق به و يوجب عليه شكر الله فان ما تعلق به وهو باق (قوله أولئك عليهم صلوات من ربهم) جملة استئنافية جواب سؤال مقدر كانه قيل ما الذي يشر به فقيل أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة اذ ليفهم من هذا الكلام ما الذي يشر به والاولى

أن يقال ان السؤال المقدر ما الصابرين المسترجعين والجواب ماذكر (قوله ومن الله التزكية والمغفرة) قال صاحب الكشاف المعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة بعد رحمة والظاهر ان المراد من الرحمة في تفسير الصلاة على ما هو المشهور ما يشمل المغفرة وقال العلامة التفتازاني حاصل الرأفة راجع الى ايصال المسار ودفع المضار فيكون ذكر الرحمة بعد ذكر الصلاة تخصيص بعد تعميم لان المراد من الرحمة في الآية الرحمة العظيمة لافادة التنكير التعظيم فيمكن أن يكون المراد منها رؤية الله تعالى (قوله تعالى وأولئك هم المهتدون) تكرير أولئك لشدة الاعتناء بالمسند اليه وتميزهم وابراد ضمير الفصل المفيد للحصر اذ لو لم يكرر أولئك لم يلزم فرضا

ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم روح ولد عبدي فيقولون نعم فيقول الله أقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد (و بشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لمن تتأتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه الصلاة والسلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل به و بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه و يتذكر ما الله عليه ليرى ان ما أبقى عليه أضعاف ما استرد منه فيهون على نفسه و يستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) الصلاة في الاصل الدعاء ومن الله تعالى التزكية والمغفرة وجمعها لتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه (وأولئك هم المهتدون) للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى (ان الصفا والمروة) هما علما جبلين بمكة (من شعائر الله) من أعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة (فمن حج البيت أو اعتمر) الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين (فلا جناح عليه أن يطوف بهما) كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون أن يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن أحمد انه سنة و به قال أنس وابن عباس رضي الله عنهم لقوله فلا جناح عليه فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي رحمهما الله انه ركن لقوله عليه الصلاة والسلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي (ومن تطوع خيرا) أي فعل طاعة

فرضا

أن يكون الضمير ضمير فصل فان قلت كيف حصر الاهتداء في المسترجعين قلت المراد حصر الاهتداء بما وجب عند المصائب لا مطلق الاهتداء (قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية) لما ذكر الله تعالى في الآية حال الصابرين وأجرهم العظيم ناسب ان يذكر بعده أمر الحج لان فيه أنواعا من الصعوبات فيه الصبر على مشاق السفر والصبر على البعد عن الاهل والمال وكل منهما يشتمل على أصناف من الصبر كما لا يخفى (قوله فغلبا شرعا الخ) يفهم منه ان الحج والاعتمار من غير اضافة يفهم منهما الفعلان المخصوصان بخلاف حج ولذا قيل حج البيت (قوله وهو ضعيف الخ) لا يخفى ان المتبادر من رفع الجناح الجواز فيدل بظاهره على التخيير لكن غرضه ان مدلول الآية وهو الجواز لا يدل على نفي الوجوب فلا يلزم رفع الوجوب فلا يلزم منه نفيه حتى يستدل به على نفي الوجوب بل لعل شيأ آخر يدل على الوجوب وهو لا ينافي مقتضى الآية (قوله أي فعل طاعة) ان كان مراده ان معنى تطوع هو مادة كرر لزم زيادة لفظ خيرا وان كان مراده

انه معنى مجموع تطوّع خير الزم أن يكون تطوّع بمعنى فعل وهو بعيد (قوله وخيرا انصب على انه صفة مصدر محذوف) هذا الوجه يناسب قوله رادّ على ما فرض خيرا وقوله أو بحذف الجار بناسب أو تطوّع بالسعي وقوله أو بتعدية الفعل لتضمنه معنى أتى أو فعل يناسب الوجه الاول (قوله من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب) فان قلت ما فائدة هذا بعد ان قال ما أنزلنا من البينات والهدى قلت لا يلزم من الانزال التبيين اذ قد يكون الامر المنزل مجملا لا يهتدى اليه الا بنظر دقيق فلما قيل بيناه ظهر انه لا ابهام ولا اجمال بحيث يفهمه كل من يكون من أهل المعرفة فان قيل لا يلزم من الانزال ماذكر لكن يلزم من انزال البينات ان يكون المنزل مبينا قلنا المراد من البينات الدلائل والدلائل قد يكون فيها نوع خفاء بالنسبة الى البعض (قوله وقيل ما أحدثوه من التوبة الخ) فيه نظر اذ يفهم منه انه اذا يظهروا توبتهم لكانوا عليهم لعنة الله وليس كذلك فان من تاب وأصلح حاله كان مغفورا عند الله وان لم يظهر حاله عند الناس ويمكن ان يقال لو لم يظهروا حالهم لظن بهم انهم باقون على الكفر فكان ذلك سبب اقتداء غيرهم بهم فيصير عدم اظهار التوبة انما موجب اللعنة فلا تتم توبتهم الموجبة لرفعها (قوله نفخيما لشأنها وتهويلا) يعنى ان النار مما ينبغى ان تكون فى الخواطر (٢٠٣) حتى لا يفعل العاقل ما يستحقها بسببه فيكون تفخيما لشأنها وتهويلا (قوله استقر عليهم لعنة الله) هذا يدل على ان عليهم لعنة ثابتة مستمرة ما مطلق اللعنة أو لعنة خاصة ومع ذلك تتجدد عليهم اللعنة من الملائكة وغيرهم وهذا هو المفهوم من قوله يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون (قوله وقيل الاول لعنهم احياء الخ) انما عبر عن اللعن فى الحياة بالجملة الفعلية وعن لعنهم بعد الموت بالجملة الاسمية لان أمر الدنيا على التجدد والحدوث وأمر الآخرة على الثبات والاستقرار هكذا قال العلامة التفتازانى أقول

فرضا كان أو نفلا أو زاد على ما فرض الله عليه من حج أو عمرة أو طواف أو تطوّع بالسعى ان قلنا انه سنة وخيرا انصب على انه صفة مصدر محذوف أو بحذف الجار وايصال الفعل اليه أو بتعدية لفعل لتضمنه معنى أتى أو فعل وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب يطوع وأصله يتطوّع فادغم مثل يطوف (فان الله شاكر عليم) مثيب على الطاعة لا تخفى عليه (ان الذين يكتمون) كاحبار اليهود (ما أنزلنا من البينات) كالآيات الشاهدة على أمر محمد صلى الله عليه وسلم (والهدى) ومايهدى الى وجوب اتباعه والايمان به (من بعد ما بيناه للناس) خصصناه (فى الكتاب) فى التوراة (أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) أى الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين (الا الذين تابوا) عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه (وأصلحوا) ما أفسدوا بالتدارك (وبينوا) ما بينه الله فى كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما أحدثوه من التوبة ليمحوا به سمة الكفر عن أنفسهم ويقتدى بهم اضرابهم (فأولئك أتوب عليهم) بالقبول والمغفرة (وأنا التوّاب الرحيم) المبالغ فى قبول التوبة وافاضة الرحمة (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) أى ومن لم يتب من الكافرين حتى مات (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) استقر عليهم اللعن من الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم أحياء وهذا لعنهم أمواتا وقرئ والملائكة والناس أجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل فى المعنى كقولك أعجبنى ضرب زيد وعمرو أو فاعلا لفعل مقدر نحو وتعنهم الملائكة (خالدين فيها) أى فى اللعنة أو النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشأنها وتهويلا أو اكتفاء بدلالة اللعن عليها (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أى لا يمهلون أو لا يعتذرون ليعتذروا أو لا ينظر اليهم نظر رحمة (وإلهكم إله واحد) خطاب عام أى المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح أن يعبد أو يسمى الها (لا اله الا هو) تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان فى الوجود الها

لا يخفى ان أمر الآخرة على التجدد كما علم من تفسير قوله تعالى قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ثم الاولى ان يعرف بانه يتجدد فى الدنيا عليهم ما يوجب اللعن بخلاف الآخرة فان لعنهم فى الآخرة بسبب ما اكتسبوا فى الدنيا فيكون اللعن يتجدد عليهم اللعنة بسبب تجدد ما يوجبها أو بان الآخرة أبدية دون الدنيا فانها منقطعة والآخرة ثابتة وان تجدد فيها الامور فالثبوت أنسب بالآخرة والحدوث والتجدد مناسب للدنيا والظاهر ان هذا مراد العلامة (قوله تعالى وإلهكم إله واحد) تكرار لفظ الاله تقدير الوهيته تعالى (قوله تعالى لا اله الا هو) اعلم انهم صرحوا بان رفع المستثنى على البدل فى هذه الصورة ونحوها كالواجب حتى لا يكاد يستعمل لا اله الا الله بالنصب وأقول يظهر منه انه لا يجب ان يقام البدل مقام المبدل منه بل قد لا يصح فانه لا يصح اقامة لفظ الله مع اداة الاستثناء مقام المستثنى منه بخلاف ما فعلوه الا قليل اذ يصح ان يقال ما فعل الا قليل (قوله وازاحة لان يتوهم ان فى الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة) أى ازاحة ان يتوهم ان فى الوجود الها مستحقا للعبادة لكن لا يستحق العبادة من الخاطبين كما نبه عليه بقوله لا يستحق منهم العبادة

ومحصول ما ذكران الهكم إله واحد ينفى ان يكون للناس اله آخر وقوله تعالى لا اله الا هو ينفى ان يكون اله آخر فى الوجود مطلقا لا للناس

ولا لغيرهم وانما تعرض أولا لنفي الاله للناس شدة الاهتمام به لانهم اتخذوا آلهة والتعرض لنفي اله آخر مطلقا لرفع وهم عيسى اذ يرد في بعض الخواطر القاصرة (قوله وانما كان مولى النعم كلها) قدم ما فيه في أول التفسير (قوله وما سواه اما نعمة أو منعم عليه) ههنا كلام وهو ان القائل أن يقول لا يلزم من اختصاص الرحمة به تعالى اختصاص العبادة به اذ قد يستحق الشخص الحمد بسبب اتصافه بالكمال وان لم يكن منعما على الحامد كما ذكروا في تعريف الحمد فلعل أحدا غيره يستحق العبادة لاجل اتصافه بالكمالات وحينئذ تقول في الجواب هذا الآخر اما ان يكون مستجمعا لجميع الكمالات وهو خلاف المفروض لان الرحمة من جملة الكمالات فمن ليس له الرحمة لا يكون كاملا من جميع الجهات واما أن لا يكون مستجمعا لها وحينئذ لا يستحق العبادة اذ لا معنى لعبادة الناقص مع وجود الكامل كما حكم به الفطرة السليمة (قوله بخلاف الارضين) يحتمل أمورا أحدها انها ليست بطبقات الثاني انها طبقات لكن ليست متفاصلة بالذات الثالث انها متفاصلة ولكن ليست مختلفة بالحقيقة لكن قوله تعالى في سورة الطلاق ومن الارض مثلهن على ما فسر البعض به من ان في كل طبقة خلقا من خلق الله يدل على انها طبقات متفاصلة فتعين الاحتمال الثالث وهو عدم اختلاف تلك الطبقات حقيقة وهذا مما لا بد فيه من برهان مطابق للشرع ويمكن ان يقال افراد الارض وان تعددت لكنها لصغرها بالنسبة الى السموات فكأنها شئ واحد ولان تعدد الافلاك يظهر بالدلائل المذكورة في علم الهيئة بخلاف تعدد طبقات الارض فانه لم يقم برهان قطعي عقلي على تعدد طبقاتها (قوله أي بنفعهم) قال العلامة التفتازاني يعني يجوز أن تكون ما مصدرية وكان ينبغي أن يبين ضمير الفاعل والظاهر انه للبحر أو للجري لا للفلك لكونه جمعا فان قيل يجوز ان يرجع الضمير الى الفلك ولا يلزم ان يكون الفلك جمعا بل قد يكون مفردا فان هذه الصيغة مشتركة بين الجمع والمفرد قلنا الصيغة تنفي أن يكون الفلك مفردا وفيه نظر لان تأنيث الفلك بمعنى السفينة كما صرح به المصنف ويمكن ان يقال اما أن يعتبر تأنيثه لكونه بمعنى السفينة فيجب تأنيث الفعل الذي هو ينفع واما أن لا يعتبر تأنيثه فلا يصح تأنيث وصفه فتأمل (قوله ولذلك قدم البحر) أي لاجل ان ذكر السبب مقدم منظور في هذا المقام قدم الفلك على البحر لان الفلك سبب معرفة عجائبه وقدم ذكر البحر على السحاب والمطر لان البحر بسببهما (قوله على الاصل أو على الجمع) أي يحتمل أن تكون ضمة لام الفلك بناء على انه في الاصل كذلك ثم خفف فسكن أو على انه جمع لفلك بتسكين اللام (قوله كأنه استدل بنزول المطر الخ) يعني على هذا العطف كان كل من الانزال والبث آية مستقلة لان البث من تتمة الانزال وتكون المناسبة بين تينك الجملتين اما تضاد المتعلقين وهما السماء والارض كما ذكره العلامة التفتازاني أو السببية والمسببية فان انزال الماء سبب لبث الدواب في الارض (قوله أو على احيا) والمناسبة بينهما اما لان الحياة والبث متعلقان بالارض أو لان الاول سبب والثاني مسبب لان عيش الحيوانات بالماء والنبات (قوله مع ان الطبع يقتضي أحدهما) هذا شبيه بكلام المتفلسفين لكن مذهب أهل السنة ان لا اقتضاء للطبع وانما هو بمشيئة الله تعالى

ولكن لا يستحق منهم العبادة (الرحمن الرحيم) كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها أصولها وفروعها وما سواه اما نعمة أو منعم عليه لم يستحق العبادة أحد غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم أو لمبتدأ محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فائت بآية نعرف بها صدقك فنزلت (ان في خلق السموات والارض) انما جمع السموات وأفرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين (واختلاف الليل والنهار) تعاقبهما كقوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة (والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس) أي بنفعهم أو بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر وأحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل أو الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين (وما أنزل الله من السماء من ماء) من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو (فاحيا به الارض بعد موتها) بالنبات (وبث فيها من كل دابة) عطف على أنزل كأنه استدل بنزول المطر وتكوين النبات به وبث الحيوانات في الارض أو على أحيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة والبث النشر والتفريق (وتصريف الرياح) في مهابها وأحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الافراد (والسحاب المسخر بين السماء والارض) لا ينزل ولا يتقشع مع ان الطبع يقتضي أحدهما حتى يأتي أمر الله تعالى وقيل مسخر الرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله تعالى واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا (لآيات لقوم يعقلون) يتفكرون فيها وينظرون

(قوله بحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين) أقول المنطقة عبارة عن دائرة عظيمة على فلك البروج ترسم من حركته والمراد من القطبين نقطتان على الفلك هما أبعد النقط عن تلك المنطقة لتساوى الخطوط المستقيمة الواصلة بين كل منهما و بين المنقطة يعنى أن كل فلك متحرك بحركة خاصة فى الواقع على وجه خاص وله منطقة وقطبان و يمكن ان تكون حركته على خلاف ذلك الوجه بحيث تكون منطقة حركته مارة على النقطتين اللتين هما قطباه فى الواقع فان فلك الأفلاك مثلا له منطقة هى معدل النهار وله قطبان أحدهما الشمالى والآخر الجنوبى ويمكن ان تحركه مشيئة الله تعالى على وجه تكون منطقته مقاطعة للنقطتين اللتين هما قطباه فى الواقع (قوله لبساطتها وتساوى أجزائها) هذا لا يوجب ماذكر اذ يمكن ان تكون الاجزاء متفقة الحقيقة لكن حصل لبعضها من الخارج مايقتضى اتصافه بان يكون أوجا والآخر مايقتضى ان يكون حضيضا فان اتفاق الافراد فى الحقيقة لا يقتضى اتفاقها فى الصفات بل يقتضى اختلافها فيها والالم تتعدد الافراد واعلم ان ماذكر مبنى على بساطة الافلاك وانها متحركة وهذان مما ادعى أهل علم الهيئة والطبيعى وكل منهما غير مسلم عند أهل الشرع اما الاول فلما ورد على دليله من المنوع واما الثانى فلمخالفته ظاهر القرآن فانه يفهم منه ان الكواكب يسبحون فى الافلاك كما قال تعالى وكل فى فلك يسبحون ومما يجب ان يعلم ان الغرض يحصل على هذا التقدير أيضا اذ يمكن ان يقال ان حركة الكواكب يمكن ان تكون على خلاف مايحس منه فلابد من قادر مخصص الخ (قوله فلابد من قادر حكيم) يعنى لما لم يكن تفاوت فى أجزاء السموات فى الحقيقة فلا يمكن ان يكون أوج وحضيض الا بواسطة الفاعل الموجب كما هو مذهب الفلاسفة والالزم الترجيح بلا مرجح اذ لما تساوت الأجزاء فجعل بعضها متصفا بالاوجية و بعضها بالحضيضة ليس أولى من العكس ولا من ان يكون بدلهما جزآن آخران وفيه مامر ولو كان الفاعل للكل قادرا مختارا لكان التخصيص المذكور مستندا الى ارادته ومشيئته وههنا بحث غامض وهو ان تعلق الارادة بأحد طرفى الممكن ان كان بمقتضى ذات الواجب لزم دوام التعلق وان كان بارادته لزم احتياج تعلق الارادة بأحد الطرفين من تعلق آخر من الارادة وهكذا فلزم التسلسل فى التعلقات قال بعضهم هذا التسلسل غير مستحيل لانه فى الأمور الاعتبارية ورد بان مجموع التعلقات الغير المتناهية ترجحت على عدمها من غير مرجح وفيه نظر لانه يجوز ان يكفى فى ترجح المجموع من حيث هو كون كل جزء من ذلك المجموع علة لجزء آخر وقال بعض آخر يجوز ان تكون الذات القديمة موجبة لتعلق الارادة القديمة بوجود شئ فى وقت معين فالارادة والتعلق كلاهما قديمان والمراد حادث أقول اذا كان الذات مقتضية لتعلق الارادة بوجود الحادث فى وقت معين لم يكن قادرا بالمعنى الذى ذكره المتكلمون وهو صحة الفعل والترك بل يمتنع منه الفعل فى غير الوقت المعين و يلزم صدوره فى ذلك الوقت البتة قال فى شرح المواقف انه تعالى قادر أى يصح منه ايجاد العالم وتركه وليس شئ منهما لازما لذاته بحيث يستحيل انفكاكه والى هذا ذهب المليون كلهم وقال فى شرح المقاصد المشهور ان القادر هو الذى ان شاء فعل وان شاء ترك ومعناه ان يتمكن من الفعل والترك بحسب الدواعى المختلفة وعلى ماذكره هذا البعض ليس الفعل والترك بحسب الدواعى بل الذات تقتضى الفعل فى وقت معين وتقتضى الترك فى الأوقات بحيث يستحيل خلاف المقتضى المذكور والجواب ان صحة الفعل والترك عبارة عن عدم امتناعهما مطلقا فيلزم جواز كل منهما فى الجملة بل يجوز كل منهما بالارادة وهو لا ينافى الوجوب أى وجوب الفعل فى وقت بالارادة وامتناعه فى وقت نعم لو فسرت القدرة بصحة صدور الفعل وعدمه فى كل وقت كان منافيا للوجوب فى وقت وامتناعه فى وقت آخر واما ماقاله السيد فى شرح المواقف من ان وجود العالم أو عدمه ليس لازما للواجب تعالى فهو لا ينافى الوجوب والامتناع المذكورين وهو ظاهر اذ لو كان أحدهما لازما لامتنع الطرف الآخر فلم يقع فى شئ من الازمنة وقس عليه مانقلنا عن المقاصد لكن بقى على مقالة ذلك البعض ان محصل كلامه ان حدوث العالم بان يكون ذاته تعالى مقتضيا لتعلق ارادته بوجود العالم فى وقت معين فنقول لابد فى حدوثه من حصول ذلك الوقت فننقل الكلام الى حصول ذلك الوقت ونقول هو من جملة العالم فان كان تعلق

وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أى لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها أمور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا أن لا تتحرك السموات أو بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها أوج وحضيض أصلا وعلى هذا الوجه لبساطتها وتساوى أجزائها فلابد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ماتستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا

ارادته لوجود ذلك مقتضى ذات الباري تعالى مطلقا لزم وجود ذلك الوقت دائما وان كان ذاته تعالى مقتضيا لتعلق ارادته لوجود ذلك الوقت في وقت معين آخر غير ذلك الوقت لزم التسلسل في الاوقات وهو بديهي الاستحالة بل يلزم ان يكون لكل وقت وقت آخر وهو معلوم البطلان وهذا بحث آخر وهو ان شارح المقاصد قال ان الاصل المعول عليه في اثبات قادرية الباري تعالى انه صانع قديم له صنع حادث وصدور الحادث عن القديم لا يتصور الا بطريق القدرة دون الايجاب والا يلزم تخلف المعلول عن تمام علته حيث وجدت في الازل العبد دون المعلول انتهى وعلى هذا فقول اذا كان جائزا ان يقتضي الذات تعلق الارادة بالفعل في وقت معين فلم لا يجوز ان يقتضي الذات الفعل في وقت معين فيجوز ان يكون العالم حادثا مع ان الفاعل موجب ولا يلزم تخلف المعلول عن العلة لان الوقت المعين من تمام العلة وهو لم يحصل في الازل فليتأمل في هذا المقام (قوله اذ لو كان معه اله يقدر الى آخر الكلام) فيه نظر اذ لقائل ان يقول لم لا يجوز ان لا تتوافق ارادتهما ولا تختلف بان يتوجه أحدهما الى ايجاد بعض العالم ولا يلتفت الآخر الى وجوده ولا الى عدمه أو يكون أحدهما متوجها الى ايجاد بعض العالم والآخر متوجها الى ايجاد البعض الآخر من غير ان توجه كل منهما الى ايجاد ما يوجده الآخر ولا الى عدمه ففي هاتين الصورتين لا يلزم توارد علتين مستقلتين على مفعول واحد ولا العجز المنافي للالوهية ويمكن تقرير الدليل على التوحيد بحيث يسقط الاعتراض بان يقال لو كان لا مكن توجه كل منهما الى ايجاد العالم والا لزم العجز وعلى هذا فاذا توجه أحدهما الى ايجاد العالم لا مكن في هذه الحالة توجه الآخر اذ لو لم يمكن لكان المانع توجه الأول فكان الاول غالبا والثاني مغلوبا ولزم عجز المغلوب واذا لا مكن فاذا توجه لزم توارد العلتين المستقلتين وكذا نقول يمكن ان يريد الآخر في هذه الحالة العدم ولا يمكن حصول مرادهما ولا وقوع مراد أحدهما للزوم عجز الآخر وانما كان العجز منافيا للالوهية اذ لا له المعبود بالحق يجب أن يكون كاملا من جميع الجهات اذ لو كان ناقصا لم يكن معبودا بالحق بل الكامل هو الذي يستحق العبودية واما انه يجب وجود اله كامل من جميع الجهات والاوصاف فهو مما طبق عليه العقلاء كما نقله العلامة النيسابوري

عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه الآخر فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي للالهية وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما أشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام وأهله وحث على البحث والنظر فيه (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا) من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد أعم منهما وهو ما يشغله عن الله (يحبونهم) يعظمونهم ويطيعونهم (كحب الله) كتعظيمه والميل الى طاعته أي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه أصلها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في

الطاعة

(قوله لانه لاتنقطع محبتهم لله) هذا يدل على ان محبتهم لله أدوم وأمادلالته على انها أقوى فلا اذ لا يلزم من الدوام القوة والشدة اذ قد يكون ضعيف أدوم وجودا من القوى ثم ان قوله ولذلك يعدلون الخ لا يدل على انقطاع المحبة فتأمل والاولى أن يقال ان المحبة على قدر اعتقاد الكمال فى حق ذلك الشئ واعتقاد ايصال النفع منه ولا يخفى أن اعتقاد المؤمنين لكمال الله تعالى وجلاله وايصال النفع أقوى من اعتقاد الكافرين كمال الاصنام بل لا يبعد أن يقال ان الكافرين اذا رجعوا الى أنفسهم ورفضوا العناد وجدوا محبة الخالق تعالى فى أنفسهم أشد من محبة الاصنام لاعتقادهم الكمال فى حق الله تعالى فى القدرة وعدم قدرة الاصنام ولذا قد يتبرؤن عن الاصنام ويلجؤن الى الله تعالى فى الشدائد كما قال تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الآية (قوله ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد) وضع الظاهر موضع المضمر للتصريح بظلمهم وسبب عذابهم ولفظ اذ الذى للماضى لتنزيل ما هو كائن منزلة ما هو كائن ومن فوائد ذكر هذه الجملة بعد ذكر المتخذين للانداد ازالة انتظار السامع واضطرابه لانه لما سمع المخاطب عظيم جرمهم وقبح صنيعهم انتظر ان يعلم ما استحقوه بسببه فقيل ولو يرى الذين ظلموا وقال العلامة التفتازانى أما على قراءة ولو ترى بالخطاب فهو واضح أى ترى متعديا الى مفعول واحد وينبغى أن يكون اذ يرون بدلا من الذين ظلموا وكذا اذ تبرأ لانه لم يعهد الابدال من البدل وان القوة لله جميعا فى موقع بدل الاشتمال من العذاب وفى جعله بمنزلة المبصر المشاهد مالا يخفى أقول يجوز أن يكون اذ باقيا على ظرفيته من غير أن يكون بدلا فيكون ظرفا لير أى أى ولو يرى الذين ظلموا كائنين فى حال رؤيتهم العذاب واعلم انه (٢٠٧) اذا قرئ ولو يرى بياء الغيبة كان بمعنى العلم وأما اذا قرئ بتاء الخطاب كان بمعنى الابصار (قوله ولو يرى الذين ظلموا أندادهم لا تنفع لعلمه والخ) فيه نظر اذ لا يلزم من هذا الشرط هذا الجزاء فان عدم نفع الاصنام لا يستلزم عدم نفع غير الله مطلقا والجواب انهم لما اعتقدوا ان لا شئ أنفع لهم من الاصنام ولهذا عبدوها وظهر لهم انها لا تنفع علموا ان لا نافع الا

الطاعة وصونه عن المعاصى (والذين آمنوا أشد حبا لله) لانه لا تنقطع محبتهم لله تعالى بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعالى عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره (ولو يرى الذين ظلموا) ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد (اذ يرون العذاب) اذ عاينوه يوم القيامة وأجرى المستقبل مجرى الماضى لتحققه كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة (ان القوة لله جميعا) ساد مسد مفعولى يرى وجواب لو محذوف أى لو يعلمون ان القوة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا أشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا أندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولترى على انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى ولترى ذلك لرأيت أمرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا (وان الله شديد العذاب) على الاستئناف أو اضمار القول (اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) بدل من اذ يرون أى اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس أى تبرأ الاتباع من الرؤساء (ورأوا العذاب) أى رأين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ

الله (قوله ولو ترى لرأيت أمرا فظيعا) فان قلت على هذا التقدير لا يظهر اعراب قوله تعالى ان القوة لله جميعا ولو بطه بما سبق والاولى أن يقال ولترى اذ قرئ بالتاء الفوقانية كان خطابا عاما ويكون التقدير ترى أيها المخاطب فظيع حال الكافرين لعلمت ان القوة لله جميعا فلما يمكن أن يقال اذا كان الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يكون ان القوة لله جميعا حالا من ضمير يرون بتقدير عالمين أى يرون العذاب حال كونهم عالمين ان القوة لله أو يكون بدلا من العذاب كما مر (قوله على الاستئناف) أى كل من جملتى ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب اذ قرئ ان فيهما بالكسر يكون استئنافا جوابا للسؤال مقدر كان سائلا قال ان القدرة على العذاب والقوة عليه لمن فقيل ان القوة لله جميعا فيكون جوابا للسؤال ومفيدا للزيادة اذ يكفى فى الجواب أن يقال ان القوة على العذاب لله فلما قيل ان القوة والقدرة على كل شئ لله حصل المطلوب والزائد عليه وأما اذا كان بتقدير القول فالتقدير يقولون ان القوة لله جميعا ويمكن أن يقال المراد بالجملة المستأنفة الجملة المنقطعة عما قبلها على اصطلاح النحاة قال ابن هشام فى المغنى الجملة المستأنفة نوعان أحدهما الجملة المفتتح بها النطق والثانى الجملة المنقطعة عما قبلها نحو قوله تعالى قل ساتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض (قوله وقيل عطف على تبرأ) اشارة الى ضعف هذا الوجه لانه يصير رؤوا العذاب بدلا من يرون العذاب وهو لا يفيد قال العلامة التفتازانى ولان الحقيق بالاستعظام والاستفظاع هو تبرؤهم فى حال رؤية العذاب لا هو نفسه أقول لا يخفى ان التبرأ المذكور حقيق بالاستعظام لانه دال على وقوع أمر عظيم

(قوله تعالى وتقطعت بهم الاسباب) قال العلامة التفتازانى الباء للسببية بتقدير مضاف أى بكفرهم أو الحالية أى ملتبسة بهم أقول فيه نظر لان معنى تقطع زال ولا يخفى ان زمان زوال الاسباب عنهم ليس زمان التباسها بهم لكن الحالية تفيد الاتحاد والاولى ان تجعل الباء بمعنى عن فان الباء قد تجيء بمعنى عن كما فى قوله تعالى فاسئل به خبيرا (قوله ولو لأول أظهر) لشيئين لفظى ومعنوى اما اللفظى فلاستغنائه عن تقدير قد واما المعنوى فلان العطف يفيد كونه أمرا مستقلا فى افادة تفظيع الامر بخلاف ما اذا جعل حالا فانه ليس بمستقل بل فيه قيد لشئ آخر (قوله الوصل) بضم الواو وفتح الصاد المهملة جمع وصلة (قوله السبب الحبل الذى يرتقى به الشجر) هذا التخصيص غير مذكور فى الصحاح بل المذكور فيه ان السبب الحبل والسبب أيضا كل شئ يتوصل به الى غيره نعم ذكر العلامة النيسابورى انهم قالوا ان الحبل لا يدعى سببا الا بعد ان ينزل ويصعد به وعلى هذا يبقى أيضا الاشكال فى التخصيص بالشجر (قوله لو للتمنى ولذلك أجيب بالفاء) وتقدير الكلام لو ثبت لنا كرة فنتبرأ لحاصل المعنى ليت ثبوت الكرة فالتبرؤ وقوله ولذلك أجيب بالفاء يدل على ان لو الشرطية لا تدخل على جواب الفاء وانما تمنوا ذلك أى الكرة الى الدنيا والتبرؤ منهم فيها لان التبرؤ منهم فى الآخرة لا ينفع المتمنين المتبعين بكسر الباء ولا يضر المتبعين بفتحها فى عذاب دائم لا يعود عليهم بسبب التبرؤ عنهم شئ قال العلامة التفتازانى واما على قراءة مجاهد وهو قوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بإبناء الاول على الفاعل والثانى على المفعول ففيه اشكال لان الاتباع اذا تبرؤا فى الآخرة (٢٠٨) لم يكن هذا التمنى معنى بل ينبغى ان يكون من قبل المتبوعين على ما قيل ان حتمه ان يقرأ قال الذين اتبعوا على البناء للمفعول واعترض بان هذا يكون تمنيا لذل الدنيا بعد ذل الآخرة وفيه نظر أقول أى اعتراض على ما قال من انه لم يكن هذا التمنى معنى بانا لا نسلم ان لا معنى له بل معناه تمنى التابعون ذل الدنيا للمتبوعين بالتبرؤ عنهم فى الدنيا كما حصل لهم أى للمتبوعين ذل الآخرة ووجه النظر ان على هذا التقدير لا يلائم كما تبرؤا منا اذ ليس فى العبارة السابقة اشعار بتبرؤ المتبوعين من التابعين بل الكلام السابق مفيد لتبرؤ التابعين من المتبوعين فتأمل (قوله مثل ذلك الارآء) انما ذكر المصدر لئلا يحتاج الى التأويل فى تذكير اسم الاشارة وهذا على ما نقل سيبويه من تذكيرهذا المصدر وتأنيثه مثل اراءة وارآء واقامة واقام ونحوهما (قوله ومن للتبعيض) يدل على انها للتبعيض على كل من الاحتمالات المذكورة وفيه نظر اذ على تقدير ان يكون حالا لا مفعولا لاوجه لجعل من للتبعيض اذ على هذا التقدير يكون اكلوا مفعولا أحد هما حلالا والآخر مما فى الارض لانه فى الحقيقة مفعول على تقدير كون من للتبعيض اذ هو فى تقدير كلوا بعض ما فى الارض بل تكون ابتدائية أى كلوا كلا مبتدأ مما فى الارض قاله العلامة التفتازانى ثم قال فى الكشاف اشعار بانه لا يجوز ان تكون للتبيين أقول لا يظهر سبب عدم الجواز لانه اما بسبب لزوم تقدم البيان على المبين وهذا لا يصلح سبب الامتناع اما هو قد جوزوا تقديم البيان على المبين كما نص عليه الرضى واما بسبب ان الحلال ليس بعينه ما فى الارض لان ما فى الارض حلال وحرام وهو أيضا ليس بسبب اذ البيان لا يستلزم الحصر أى انحصاره فى المبين ولا العكس كما فى خاتم فضة وقوله تعالى واجتنبوا الرجس من الأوثان الا ان يثبت ان ما بعد من التبيينية يجب ان لا يكون أعم مما قبله نعم لو كان من للتبيين لم تكن العبارة مصرحة بان المقصود كل بعض جنس ما فى بعض الارض ولم يعلم ان ما فى الارض حلال وحرام ثم قال فان قيل لم لا يجوز ان يكون مما فى الارض حالا قدم عليه لتنكيره قلنا لان كون من التبعيضية ظرفا مستقرا وكون اللغو حالا مما لا يقول به النحاة أقول حاصل السؤال انه لم لا يجوز ان يكون على تقدير كون حلالا مفعولا ان يكون مما فى الارض حالا وتكون من تبعيضية أى حلالا حال كونه بعض ما فى الارض ومحصل الجواب انه لزم على تقدير كون مما فى الارض حالا أحد الامرين اما كون من التبعيضية أى مجموع من التبعيضية ومجرورها ظرفا مستقرا ان

(وتقطعت بهم الاسباب) يحتمل العطف على تبرأ أو رأوا والواو للحال والاول أظهر والاسباب الوصل التى كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك وأصل السبب الحبل الذى يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت على البناء للمفعول (وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا) لو للتمنى ولذلك أجيب بالفاء أى ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم (كذلك) مثل ذلك الارآء الفظيع (يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم) ندامات وهى ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والادخال (وما هم بخارجين من النار) أصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة فى الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا (يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا) نزلت فى قوم حرموا على أنفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا وصفة مصدر محذوف أو حال مما فى الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما فى الارض

(طيبا)

قدره متعلق عام كـكائن أو حاصل أى حـلالا كائنا أو يكون اللام وحالا ان علق بكلوا وكل منهما لايجوزه النحاة (قوله اذ الحلال دل على الاول) يعنى الوجه الثانى أولى اذ الحلال الخ قال العلامة التفتازانى قد يفسر الطيب بما تستطيبه الشهوة المستقيمة ورد بان مالبس كذلك اما حلال بلاشبهة فلامنع أو لاخارج بقيد الحلال أقول فيه نظر لان مالايكون حلالا بلاشبهة لايخرج بقيد الحلال اذ لعله يكون حـلالا لكن يكون بشبهة الاان يقال المراد من الحلال بلاشبهة ماعلم حكم الشرع بحليته ولك ان تقول ماذكره المصنف دل على انه لايجوز حمل الطيب على المعنى الاول وهو مايستطيبه الشرع اذ هو معنى الحلال فيكون تكرارا الا ان يقال المراد هنا بما يستطيبه الشرع مالا يستكرهه الشرع بوجـه من الوجوه وهو الحلال البين الذى ليس فيه شبهة أصلا كما ورد فى الحديث الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لايعلمهن الا الله الحديث (٢٠٩) وانما فسره صاحب الكشاف بالظاهر من كل شبهة وحينئذ فقوله اذ الحـلال دل على الاول بمنوع (قوله وجعلت ضمة الطاء كأنها على الواو) لان الواو المضمومة قـد تقلب همـزة كما فى وقتت (قـوله واستعير الأمر لتزيينه وبعثهم على الشر) فيه شيآن أحدهما انه اذا كان الامر بمعنى التزيين كان حق العبارة انما يأمركم السوء والفحشاء الثانى انه اذا كان بمعنى البعث كان حقها ان يقال انما يبعثكم للسوء أو على السوء والجواب انه على الاول الباء بمعنى اللام وفى الكلام قلب والاصل انما يأمر لكم السوء انما يزين لكم السوء فقلبت وقيل انما يأمركم بالسوء بمعنى انما يزين لكم السوء مثـل عرضت الناقة على الحوض اشعارا بان الاصل السوء وأولياء الشيطان يعرضون عليـه وعن الثانى ان الباء بمعنى اللام أو بمعنى على على ماجوزه الكوفيون من وقوع بعض حروف الجر مقام بعض (قوله واما اتباع المجتهـد فيما أدى اليـه اجتهاده الخ) يعنى ان الشارع صلى الله عليه وسلم أوجب على المجتهـد العـمل بمـا أدى اليه اجتهاده وظنه فاذا ظن حـل شئ من الاشـياء كان ذلك الشئ حلالا بالنسبة اليه البتة الى ان يتغير اجتهاده فـكان الحـكم بحل ذلك الشئ علما بالاظنا والظن واقع فى طريقـه بان يقف على دليـل واجتهـد فى تحقيق معناه يحصـل له الظن بان معناه كذا فاذا حصـل ذلك الظن وكان مفيـد للحل حصل له العلم بحله لانه فى الواقع حل له فى ذلك الوقت لا الظن واقعا فى طريقه أى فى دليـله الذى حصل العلم المذكور وهـذا تفصيل مذكور فى أوائل حاشيـة شرح المختصر لملا (قوله أى لو كان آباؤهم جهلة الخ) والتقدير اتتبعونهم ولو كان الحـال سواء كانت الواو حالية أو للعطف كما فى قوله أ.

(٢٧ - (بيضاوى) - اول)

(طيبا) يستطيبه الشرع أو الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول (ولاتتبعوا خطوات الشيطان) لاتقتـدوا به فى اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحـرام وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والبزى وأبو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان فى جمع خطوة وهى ما بين قدمى الخاطى وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها عليها و بفتحتين على انه جمع خطوة وهى المرة من الخطو (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة عنـد ذوى البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا فى قوله تعالى أولياؤهم الطاغون (انما يأمركم بالسوء والفحشاء) بيان لعـداوته و وجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه و بعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ماأنكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء مايتجاوز الحـد فى القبح من الكبائر وقيل الاول مالاحـد فيه والثانى ماشرع فيه الحـد (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) كانخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا وأما اتباع المجتهد لما أدى اليه ظن مستند الى مدرك شرعى فوجوبه قطعى والظن فى طريقه كما بيناه فى الكتب الاصولية (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كأنه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون (قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) ماوجـدناهم عليه نزلت فى المشركين أمروا باتباع القرآن وسائر ما أنزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل فى طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا وأعلم وعلى هذا فيهم ما أنزل الله التوراة لانها أيضا تدعو الى الاسلام (أولو كان آباؤهم لايعقلون شيأ ولايهتـدون) الواو للحال أو العطف والهمزة للرد والتعجيب وجواب لو محـذوف أى لو كان آباؤهم جهلة لايتفكرون فى أمر الدين ولايهتـدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد وأما اتباع الغير فى

اذ التقدير أحب الانقلاب ولو كان الانقلاب على أحبه فحذف الثاني لدلالة الاول عليه (قوله كالانبياء عليهم السلام والمجتهدين في الاحكام) العلم يكون حقا ظاهرا بالمعجزة واما كون المجتهد محقا فلقائل ان يقول من أين يظهر للعامي كونه محقا وقد يقال لعل المراد بالعلم مايشمل الظن لان غاية مايحصل للعامي ان يفهم ان المجتهد وصل اجتهاده الى كذا وكل مابلغ اجتهاده يجب العمل به لكن المقدمة الاولى ظنية اذ لم يحصل العلم بالسماع من المجتهد واذا كانت احدى مقدمات الدليل ظنية كانت النتيجة أيضا كذلك وفيه انه خلاف مامر من عدم اتباع الظن رأسا ففيه اشكال الا اذا احصلت قرائن توجب العلم ببلوغ اجتهاده اليه (قوله فهو في الحقيقة ليس بتقليد) يعني ان التقليد العمل بقول الغير من غير دليل وأما اتباع النبي وكذا اتباع المجتهد فليس كذلك بل هو بالدليل فان الشرع أوجب على العامي اتباع العالم وهذا دليل الاتباع (قوله ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق أومثل الذين كفروا كمثل البهائم الذي ينعق) في التوجيه الاول تقدير مضاف في طرف المشبه وفي الثاني تقدير مضاف في المشبه به وانما وجب هذا التقدير وان كان التشبيه مركبا لامفرقا ليكون فيه تشبيه كل جزء بجزء آخر لان المناسبة تقتضي اضافة المثل أي الحال والقصة في الطرفين الى المتناسبين الواقع أحدهما مثل موقع الآخر وان لم يكن المقصود تشبيهه به نحو مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ولم يحسن مثلهم كمثل نار استوقدت هذا محصول ماذكره العلامة التفتازاني والوجه الاول أظهر في الدلالة على ان داعي الكافرين داع لما لايسمع الادعاء ونداء وان كان الوجه الثاني يدل عليه أيضا نعم اذا قدر المضاف (٣١٠) في المشبه به كان كافيا في التشبيه اذ يكفي أن يقال مثل الذين كفروا كمثل البهائم بل الظاهر ان يقال ومثل الذين كفروا كمثل البهائم في ان لاتسمع الا دعاء ونداء وبالجملة فالوجه الاول أولى (قوله وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم الخ) ان أراد ان هذا الوجه ظاهر معنى اللفظ فليس كذلك لان المشبه به في الظاهر هو الذي ينعق بالبهائم لا نفس البهائم وان أراد ان ماله هذا فهو راجع الى الوجه الثاني من الوجهين الاولين وهو الذي قدر المضاف في جانب المشبه به ثم انه على هذا يلزم أن لا يكون للذي ينعق كثير فائدة بل يكفي ان يقال كمثل البهائم التي لاتسمع الادعاء ونداء (قوله وهذا يغني عن الاضمار) فيه نظر اذ فيه أيضا اضمار وهو قوله في دعائهم الاصنام والجواب ان المراد من الاضمار ههنا اضمار غير ماذكر اذ اضمار مثله مشترك بين هذين الوجهين والوجهين الاولين اذ في الوجه الاول لابد من تقدير ومثل داعي الذين كفروا في دعوته لهم كمثل الناعق في نعقه للبهائم وقس عليه الباقي من الوجوه لكن غير الوجه الاخير لابد فيه من اضمار شئ آخر في أحد الطرفين ولايلزم في هذا الوجه فان قلت ماوجه التشبيه في هذه الوجوه قلت وجهه عدم القائل في القول وفائدته وهو في الوجه الاول الدعوة من جانب المشبه والنعق من جانب المشبه به وقس عليه باقي الوجوه (قوله الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب) يعني لو جعل ماذكر تشبيها مفرقا بان تكون تشبيهات متعددة تشبيه الذين كفروا بالناعق وتشبيه دعوة الاصنام بنعق الناعق مالايسمع الادعاء وتشبيه الاصنام بمالايسمع الادعاء لم يصح الكلام اذ لزم أن يكون للاصنام سمع وأما اذا جعل الكلام من باب التمثيل المركب لايلزم ماذكر اذ فيه تشبيه المجموع بالمجموع أي فلا يلزم تشبيه الاصنام بمالايسمع الادعاء ورده العلامة التفتازاني بان التشبيه وان كان مركبا لكن المذكور في الجانبين لابد أن يكون له دخل في التشبيه وان يكون ماعتبر في أحد الجانبين مما له مناسبة في الجانب الآخر وبهذا يندفع مايقال ان مبنى التعريض على انه يجعل من التشبيهات المفرقة دون المركبة (قوله طيبات مارزقوا) اذا فسر الطيب فيما تقدم بما لاشبهة فيه فالظاهر ان المراد ههنا مستلذاتها كما صرح به صاحب الكشاف وليس المراد مالاشبهة فيه فقط لانه تقدم والمناسب عدم التكرار وأيضا ههنا مقام الامتنان فالمناسب تفسير

الدين اذا عم بدليل ماأنه محق كالانبياء والمجتهدين في الأحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما أنزل الله (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لايسمع الادعاء ونداء) على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق أومثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لايلقون أذهانهم الى مايتلى عليهم ولايتأملون فيما يقررمعهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولاتعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولاتفهم ماتحته أو تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لايساعده قوله الادعاء ونداء لان الاصنام لاتسمع الا أن يجعل ذلك من باب التمثيل المركب (صم بكم عمي) رفع على الذم (فهم لايعقلون) أي بالفعل للاخلال بالنظر (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم) لما وسع الأمر على الناس كافة وأباح لهم مافي الارض سوى ماحرم عليهم أمر المؤمنين منهم أن يتحروا طيبات مارزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا

الطيب بالمستلذ ومأسبق مقام التخويف بقرينة قوله ولاتتبعوا خطوات الشيطان فالمناسب تفسير الطيب بما لاشبهة فيه وههنا كلام آخر وهو ان يقال اذا كان المراد من الطيب فى الآية السابقة المعنى الذى رجحه المصنف فالمراد من الطيبات فى هذه الآية الحلال ويكون الامر بأكل بعض الطيبات الامر بأكل ما لاشبهة فيه من أنواع الحلال (قوله لاتمامه) أى لاتمام فعل العبادة ولك أن تقول العبادة نفس الشكر لانه فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لكونه منعما والعبادة أيضا كذلك فلايحسن قوله لايتم الابالشكر ويمكن ان يقال قد تكون العبادة بدون الشكر بان يعبد الله لاستحقاقه لها لالكونه منعما على الشاكر أو المراد بالشكر الشكر اللسانى (قوله بالاستيثار على مضطر آخر) بان يؤثر نفسه على ذلك المضطر الآخر بان ينفرد بأكل الموجود كله مع الاستغناء عن بعضه فهلك ذلك المضطر (قوله أو قصر حرمته على حال الاختيار الخ) مراده ان معنى الآية ليس قصر الحرمة على ما ذكر بل المعنى ماحرم عليكم هذه الاشياء أى الميتة فى حال من الاحوال الافى حال الاختيار فيكون المستثنى محذوفا مقدرا بقرينة قوله تعالى فمن اضطر غير باغ الخ (قوله مايتلبس بالنار) فيكون مجازا مرسلا بعلاقة السببية والمسببية وهذا مشارك للدم الذى هو الدية فى علاقة التلبس وان كان الدم سبب الدية بعكس المثال المذكور (قوله أكلت دما الخ) بعيدة مهوى القرط عبارة عن طول عنقها وطيبة النشر معناها طيبة الرائحة وحاصل معناه انه خوف زوجته بان يجعل ضرتها موصوفة بالابتداء وتخصيصها بما هذه المعانى بل نقلت مالى معنى التعجب واعلم ان التعجب اذا استعمل بالنسبة الى الله تعالى فهو لمجرد استعظام الشئ وأما اذا استعمل

(واشكروا لله) على مارزقكم وأحل لكم (ان كنتم اياه تعبدون) ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان عبادته تعالى لاتتم الابالشكر فالمعلق بفعل العبادة هوالامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انى والانس والجن فى نبأ عظيم أخلق ويعبد غيرى وأرزق ويشكر غيرى (انما حرم عليكم الميتة) أكلها والانتفاع بها وهى التى ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها ما أبين من حى والسمك والجراد أخرجهما العرف عنها أو استثناء الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ماخصه الدليل كالتصرف فى المدبوغ (والدم ولحم الخنزير) انما خص اللحم بالذكر لانه معظم مايؤكل من الحيوان وسائر أجزائه كالتابع له (وما أهل به لغير الله) أى رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال أصله رؤية الهلال يقال أهل الهلال وأهللته لكن لما جرت العادة أن يرفع الصوت بالتكبير اذا رؤى سمى ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره (فمن اضطر غير باغ) بالاستيثار على مضطر آخر وقرأ عاصم وأبو عمرو وحزة بكسر النون (ولاعاد) سد الرمق أو الجوعة وقيل غير باغ على الوالى ولاعاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصى بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعى وقول أحد رجحهما الله تعالى (فلا ائم عليه) فى تناوله (ان الله غفور) لما فعل (رحيم) بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ماذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ماذكر مما استحلوه لا مطلقا أو قصر حرمته على حال الاختيار كأنه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء مالم تضطروا اليها (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا) عوضا حقيرا (أولئك مايأكلون فى بطونهم الا النار) امافى الحال لانهم اكلوا مايتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار كقوله

أكلت دما ان لم أرعك بضربة * بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

يعنى الدية أوفى المآل أى لايأكلون يوم القيامة الا النار ومعنى فى بطونهم ملء بطونهم يقال أكل فى بطنه وأكل فى بعض بطنه كقوله * كلوا فى بعض بطنكم تعفوا * (ولايكلمهم الله يوم القيامة) عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم فى الكرامة والزلفى من الله (ولا يزكيهم) لايثنى عليهم (ولهم عذاب أليم) مؤلم (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) فى الدنيا (والعذاب بالمغفرة) فى الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية (فما أصبرهم على النار) تعجب من حالهم فى الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وماتامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى غيره تعالى فهوله مع خفاء السبب (قوله كذا قولهم شر أهر ذاناب) وتخصيصه بتقدير الصفة كما ذهب اليه البعض أى شر عظيم (قوله أو استفهامية) هذا مذهب شرذمة منهم (قوله أو موصولة ومابعدها صلته الخ) هذا مذهب الاخفش (قوله أى ذلك العذاب بان الله نزل الكتاب فرفضوه بالتكذيب) يعنى ليس سبب العذاب مجرد تنزيل الكتاب بالحق بل هو مع رفضهم له ولما كان الاول سببا مفضيا الى الثانى اكتفى به (قوله ليس البران تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) أى ليس البر مجرد ذلك ولكن البر لا يكون الا برمن آمن بالله الخ فيكون التوجه الى القبلة برا اذا اقترن به الايمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين فمن كفر بكتاب من كتب الله أو ببعض النبيين فلا فائدة فى التوجه الى القبلة وأما افراد الكتاب وجمع الملائكة والنبيين فللاشعار بقلة الكتاب بالنسبة الى عدد الملائكة والانبياء (قوله والاول

أوفى وأحسن) اما انه أوفى فلموافقته مع السابق وهو قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب واما انه أحسن فلان المقصود معرفة البر ومنه يعلم البار بخلاف العكس (قوله أو للمصدر) أى الضمير للمصدر وهو الاتيان (قوله والجار والمجرور فى موضع الحال) أى كائنا على حبه أى مع حبه فيكون على بمعنى مع صرح بذلك صاحب المغنى وهذا اعرابه على التقادير المذكورة (قوله لان ايتاءهم) خبره مقدر وهو صدقة وصلة (قوله يريد المحاويج منهم الخ) فيه نظر فان المحاويج هم المساكين فهم داخلون فى المساكين فذكرهم يكون تكرارا والجواب أن يقال المراد من المحاويج هم الفقراء وهم غير المساكين فان المسكين من يملك شيأ يقع موقعا من حاجته ولا يكفيه والفقير من لا يملك شيأ يقع موقعا من حاجته وفيه نظر اذ لو كان كذلك لزم أن يكون فقراء غير ذوى القربى واليتامى غير مذكورين فى الآية والاولى أن يقال المسكين شامل للفقير وتخصيص فقراء ذوى القربى لاختصاصهم بشدة اهتمام الشرع بهم لان فيهم جهتين فان قلت ايتاء ذوى القربى مأمور به سواء كانوا محاويج أو لا قلت الامر كذلك لكن ايتاء المذكورين فى الآية فرض فقيد ذوى القربى بالمحاويج ليكون ايتاؤهم فرضا فيكون ايتاء المذكورين فى الآية على طريق واحد وفيه نظر سيجىء (قوله يرعف به) أى يقدمه لانه تقدم بسببه فكانه يقدمه (قوله كما قال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه) فان قلت هذا لا يناسب ما قاله من الجاء الحاجة الى السؤال لان الحاجة فرع ان لا يكون فى يده شئ قلت يجوز أن يكون الفقير مالكا نفرس مع وجود الفقر فان الفقير كما عرفوه هو الذى ليس له مال يقع

كتخصيص قولهم * شر أهر ذاناب * أو استفهامية ومابعدها الخبر أو موصولة ومابعدها صلة والخبر محذوف (ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق) أى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب أو الكتمان (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله تعالى وكفرهم ببعض أو للعهد والاشارة اما الى التوراة واختلافها بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم فى تأويلها أو خلفوا خلاف ما أنزل الله تعالى مكانه أى حرفوا مافيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر ونقول وكلام علمه بشر وأساطير الاولين (لفى شقاق بعيد) لفى خلاف بعيد عن الحق (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) البر كل فعل مرضى والخطاب لاهل الكتاب فانهم أكثروا الخوض فى أمر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله تعالى عليهم وقال ليس البر ما أنتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينه الله واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين أى ليس البر مقصورا على أمر القبلة أو ليس البر العظيم الذى يحسن ان تذهلوا بشأنه عن غيره أمرها وقرأ حمزة وحفص البر بالنصب (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) أى ولكن البر الذى ينبغى أن يهتم به بر من آمن بالله أو لكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والاول أوفق وأحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر (وآتى المال على حبه) أى على حب المال كما قال عليه الصلاة والسلام لسائل أى الصدقة أفضل قال ان تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله أو للمصدر والجار والمجرور فى موضع الحال (ذوى القربى واليتامى) يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوى القربى لان ايتاءهم أفضل كما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك اثنتان صدقة وصلة (والمساكين) جمع المسكين وهو الذى أسكنته الخلة وأصله دائم السكون كالمسكير للدائم السكر (وابن السبيل) المسافر سمى به لملازمته السبيل كتسامى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به (والسائلين) الذين ألجأتهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه (وفى الرقاب) وفى تخليصها بمعاونة المكاتبين أو فك الاسارى أو ابتياع الرقاب لعتقها (وأقام الصلاة) المفروضة

موقعا من حاجته وهو لا ينافي مالكية الفرس (قوله ويحتمل أن يكون المراد بالاول نوافل الصدقات) فان قلت هذا لا يناسب ما تقدم من تقييد ذوي القربى واليتامى بالمحاويج وكذا المساكين والسائلين لان الاحتياج مستلزم لوجوب الصدقة عليهم قلت لا نسلم ذلك بل قد يكونون محاويج وليس على المعطي وجوب بل يعطيهم استحبابا كما اذا كان لاب غني ولد فقير فانه يجب عليه نفقة ولده ويستحب على غير الاب (قوله والموفون بعهدهم) فان قلت لم يقل وأوفى بعهده كما قيل وأقام الصلاة وآتى الزكاة قلت للدلالة على انه ليس مثل ماسبق فان الوفاء بالعهد شامل لجميع ماذكر فهو عام لما سبق فان الايمان بالله وفاء بالعهد وهو الاقرار بربوبيته تعالى حيث أخرج الذرية من ظهر آدم وعهد الايمان بالله تعالى متضمن العهد بالايمان بكتابه ورسله وملائكته وكذا اقامة الصلاة والزكاة وفاء بالعهد فان الذي آمن بالنبي عهد باقامة الصلاة والزكاة لانهما من فروعه المرتبة عليه (قوله تعالى اذا عاهدوا) فان قلت ما فائدة قوله اذا عاهدوا والحال انه معلوم من قوله والموفون بعهدهم قلنا الاشعار للمبالغة في الايفاء فكانه قيل الموفون بعهدهم حين المعاهدة فهو مشعر بسرعة الايفاء (قوله لتفضيل الصبر على سائر الاعمال) لك أن تقول الايمان أفضل منه وان قيل المراد من العمل ما يحصل باللسان والاركان فالايمان ليس بعمل قلنا فلم لا يعطف على الايمان ويمكن أن يقال عدم العطف للدلالة على عظم شرفه لكونه أمرا مستقلا (قوله تعالى وحين البأس) قد يقال هذا تخصيص بعد تعميم لان الباس داخل في الضراء وفيه

نظر لان وقت الباس ليس الضراء بل قد يترتب عليه وتوجد فيه (قوله عن الكفر وسائر الرذائل) فيه نظر اذ الرذائل وأنواع المعاصي كثيرة يمكن أن يكون الموصوف بما ذكر متكلما فان شرب الخمر مثلا ليس منافيا للخصال المذكورة ويمكن أن يقال ان ترك المعاصي داخل في الصبر أو الوفاء بالعهد فتأمل (قوله فقسموا لنقتلن الحر منكم) الى قوله فنزلت فأمرهم ان يتباروا أي يتساووا هذا يدل على ان

(وآتى الزكاة) يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكاة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها ومن الثاني أداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات أو حقوقا كانت في المال سوى الزكاة وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) عطف على من آمن (والصابرين في البأساء والضراء) نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر والضراء في النفس كالمرض (وحين البأس) وقت مجاهدة العدو (أولئك الذين صدقوا) في الدين واتباع الحق وطلب البر (وأولئك هم المتقون) عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا أو ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة أشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد أشير الى الاول بقوله من آمن بالله الى والنبيين والى الثاني بقوله وآتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله وأقام الصلاة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه أشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى) كان في الجاهلية بين حيين من أحياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى لا بقتل الذكر بالانثى ولا الحر بالعبد فقوله ولا يدل الخ فيه نظر لان سبب نزول الآية حلفهم على قتل الحر بالعبد والذكر بالانثى فالآية دلت على منعهم من قتل الحر بالعبد والذكر بالانثى والظاهر ان مراده من عدم الدلالة عدم الدلالة بالمفهوم دلالة معتبرة لما ذكر لا عدم الدلالة مطلقا وفيه ما سيجيء وفي الكشاف ان الآية تدل بمنهومها على ان غير الانثى لا يقتل بالانثى حيث قال من استدل به استدل بهذه الآية قال العلامة التفتازاني لوجه الدلالة انها بيان وتفسير لقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين فدل على اعتبار الموافقة ذكورة وحرية في القصاص لانها بمنهومها تدل على ان غير الانثى لا يقتل بالانثى ثم قال وفيه نظر اما أولا فلان الآية لا تدل بمنهومها على ان لا يقتل الحر بالعبد لان المفهوم انما يعتبر اذا لم يظهر للتقييد فائدة أخرى وههنا ظهرت الفائدة باعتبار ان الآية نزلت لذلك أقول فيه نظر اذ لو لم يعتبر المفهوم لم تدل الآية على ما هو المقصود من العزول من اعتبار المماثلة وعدم قتل الحر بالعبد والحاصل انه اذا حصلت فائدة لا تكون موقوفة على اعتبار المفهوم لا يعتبر المفهوم وأما اذا كانت الفائدة موقوفة عليه فعدم اعتباره ممنوع ثم قال وأما ثانيا فلانه لو اعتبر المفهوم لزم ان لا تقتل الانثى بالذكر نظرا الى مفهوم الآيتين ويدفع بانه يعلم بطريق الاولى وأما ثالثا فلانه لا عبرة بالمفهوم في مقابلة المنطوق الدال على قتل النفس بالنفس كيفما كانت لا يقال تلك حكاية عما في التوراة لا بيان للحكم في شرعنا لانا نقول شرائع من قبلنا سيما اذا ذكرت في كتابنا حجة وكم مثلها في أدلة أحكامنا حتى يظهر الناسخ وما ذكرهنا يصلح مفسرا فلا يجعل ناسخا أقول اذا كانت

فاما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وأمرهم أن يتباوؤا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي رضي الله تعالى عنهما قتل الحر بالعبد سواء كان عبده أو عبد غيره لما روى عن علي رضي الله تعالى عنه ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروى عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين أظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله تعالى النفس بالنفس لانه حكاية ما في التوراة فلا ينسخ ما في القرآن واحتجت الحنفية به على أن مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذلك كل فعل جاء في القرآن (فمن عفي له من أخيه شئ) أي شئ من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشئ مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشئ بمعنى تركه بل أعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عما سلف فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الآية كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة أخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه (فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان) أي فليكن اتباع أو فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطلب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها بالاحسان وهو أن لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على أن الدية أحد مقتضى العمد والا لما رتب الامر بادائها على مطلق العفو وللشافعي رضي الله تعالى عنه في المسئلة قولان (ذلك) أي الحكم المذكور في العفو والدية (تخفيف من ربكم ورحمة) لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم (فمن اعتدى بعد ذلك) أي قتل بعد العفو وأخذ الدية (فله عذاب أليم) في الآخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا أعافي أحدا قتل بعد أخذه الدية (ولكم في القصاص حياة) كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشئ محل ضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على أن في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحياة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحياة الأخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة ولكم في القصاص يحتمل أن يكونا خبرين لحياة وأن يكون أحدهما خبرا والآخر صلة له أو حالا من الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص أي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة أو في القرآن حياة للقلوب

مفسرة لما في التوراة لزم أن لا يكون مقصودا مما في التوراة قتل النفس بالنفس كيفما كانت (قوله وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب الخ) فيه نظر اذ المستدل استدل بان الاقتصار على القصاص يدل على تعيينه ولم يرد ان مجرد نسبة الوجوب اليه دال عليه (قوله وكذلك كل فعل جاء في القرآن) أي كل فعل مبني للمفعول رفع به المفعول اذا كان فاعل مصدره هو الله تعالى قرئ بصيغة المبني للفاعل ونصب ما بعده ويحتمل أن يكون المراد ان لفظ كتب في أي موضع اذا كان مفردا بلفظ المبني للمفعول جاز أن يقرأ بالبناء للفاعل فتأمل (قوله والا لما رتب ذلك) يعني لما رتب الدية على مطلق العفو علم انها أحد الامرين اللذين اقتضاهما القتل العمد اذ لو كان مقتضاه القود فقط لم يثبت من مطلق العفو بلا شرط عوض وجوب الدية ولك ان تقول بل يفهم من الآية ان ثبوت الدية مشروط بالعفو وليس الدية أحد مقتضى العمد حتى انه ليس له طلب الدية حتى يعفو عن القصاص والجواب أن يقال ان مجرد العفو لا يثبت شيأ بل انما يثبت العفو بالعوض فلو لم تكن الدية مقتضى العمد لم تثبت الدية بمجرد العفو من غير عوض (قوله وتقديرا للحكم على مراتبهم) فان المناسب بحال بعض القصاص وبحال بعض الدية (قوله من حيث انه جعل الشئ محل ضده) لك ان تقول لفظة في في مثل هذا كما في الحديث وهو قوله عليه السلام ان امرأة عذبت في هرة أي لاجل هرة فيكون المعنى ولكم القصاص حياة أي بسببه أي بسبب مشروعيته فجعله سببا لضده ممنوع والجواب انه لما كان القصاص موجبا للحياة فكأنه مشتمل عليها فجعل ظرفها توسعا (قوله وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني فيه تخصيص) اما الاول فلكون تقدير

(يا أولي

الأبة ولكم فى مشروعية القصاص أو فى الحكم به حياة واما الثانى فلان المعنى ولغير القاتل حياة فالتقدير ولكم أيها الذين لم تقتلوا (قوله وتذكير فعلها للفصل الخ) فان قيل وقد قال ابن الحاجب وأنت فى ظاهر غير الحقيق بالخيار فلا حاجة الى العذر فى ترك تأنيث الفعل قلت قد صرح الرضى بان الفعل اذا كان متصلا بغير المؤنث الحقيقى فالحاق العلامة أحسن واذا كان منفصلا عنه فالتذكير أحسن والقرآن واقع على الطريق الاحسن فلذا اشتغل بسبب التذكير الذى هو أحسن فى الفعل المذكور (قوله لان آية المواريث لا تعارضه الخ) وعلى هذا فيلزم الجمع بين ما أوصى و بين الميراث اذا أوصى للوارث (قوله والحديث من الآحاد الخ) يعنى ان الحديث الآحادى لا ينسخ القرآن كما هو مذكور فى علم الاصول ثم ان الظاهر ان الاقربين أعم من الذين ذكروا فى آيات المواريث فلا يلزم من ان لا وصية للوارث ان لا وصية للقريب مطلقا الا أن يقول المدعى انها منسوخة فى الاقارب الذين ورثوا لا مطلقا (قوله وتلقى الامة لها بالقبول لا يلحقه بالمتواتر) الظاهر ان يقال تلقى الامة له بالقبول لا يلحقه الخ وهذا مطابق لعبارة الكشاف فانه قال وتلقى الامة اياه بالقبول (قوله ولعله احترز عنه الخ) أى يحتمل انه احترز عن النسخ من فسر الوصية بالتفسير الذى ذكره اذ على هذين التفسيرين لا نسخ للوصية والاولى ان يقال انه احترز عن لزوم اجتماع الوصية والميراث للوالدين والاقربين اذ آية المواريث كما قاله المصنف مؤكدة للوصية ولو لم تفسر الوصية بما ذكرلزم ما ذكرنا (قوله وصل اليه وتحقق عنده) انما فسره بذلك ليكون شاملا للموصى الذى لم يسمع وكذا الشاهد لكنهما علما وتحقق عندهما الوصية فان الشهادة على الوصية لا حاجة فيها الى السماع من الموصى بل تثبت بالتسامع ما علم هو مذكور فى الفقه (قوله توقع وعلم الخ) قد يقال ان التوقع لا شئ مستلزم للظن بوقوعه وهو مناف للعلم فالمقصود من العلم ما يشمل الظن الذى يجرى مجرى العلم كما فهم من الكشاف وقال العلامة التفتازانى التوقع وان لم يستلزم الجزم لا ينافيه فجاز الجمع بينهما نعم استعمال التوقع فيما لا جزم بوقوعه أكثر وأظهر (قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) الآيات لما أمر الله تعالى فيما تقدم العباد بالاوامر المذكورة من الامر بالبر والوصية ونهى عن القتل وتبديل الوصية وغير ذلك حث على ما هو وسيلة الى الطاعات وزاجر عن المعاصى وهو الصوم

(يا أولى الالباب) ذوى العقول الكاملة ناداهم لتأمل فى حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس (لعلكم تتقون) فى المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له أو عن القصاص فتكفوا عن القتل (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت) أى حضر أسبابه وظهرت أماراته (ان ترك خيرا) أى مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن على رضى الله تعالى عنه أن مولى له أراد أن يوصى وله سبعمائة درهم فنهعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رجلا أراد أن يوصى فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف فقالت كم عيالك قال أربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا شئ يسير فاتركه لعيالك (الوصية للوالدين والاقربين) مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل أو على تأويل أن يوصى أو الايصاء ولذلك ذكر الراجع فى قوله فمن بدله والعامل فى اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باصمار الفاء كقوله

من يفعل الحسنات الله يشكرها * والشر بالشر عند الله مثلان

وردبانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم فى بدء الاسلام فنسخ بآية المواريث و بقوله عليه الصلاة والسلام ان الله أعطى كل ذى حق حقه ألا لا وصية لوارث وفيه نظر لان آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقى الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما أوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله أو بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما أوصى به الله عليهم (بالمعروف) بالعدل فلا يفضل الغنى ولا يتجاوز الثلث (حقا على المتقين) مصدر مؤكد أى حق ذلك حقا (فمن بدله) غيره من الاوصياء والشهود (بعد ما سمعه) أى وصل اليه وتحقق عنده (فانما اثمه على الذين يبدلونه) فما اثم الايصاء المغير أو التبديل الا على مبدليه لانهم الذين خافوا وخالفوا الشرع (ان الله سميع عليم) وعيد للمبدل بغير حق (فمن خاف من موص) أى توقع وعلم من قولهم أخاف أن ترسل السماء وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وأبو بكر موص مشددا (جنفا) ميلا بالخطأ فى الوصية (أو اثما) تعمدا للحيف (فاصلح بينهم) بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع (فلا اثم عليه) فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول (ان الله غفور رحيم) وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب

(قوله وفيه توكيد للحكم الخ) لانه اذا تحقق عند الشخص ان الصوم عبادة قديمة قد جرت الانبياء والامم عليه تأكد الصوم عنده لعلمه بانه أمر عظيم اهتم به اهتماما شديدا وقد يقال ان قوله وتطييب للنفس اشارة الى أن الامور الشاقة اذا عمت طابت (قوله أو الاخلال بادائه الخ) عطف على قوله المعاصي أي لعلكم تتقون المعاصي أو تتقون الاخلال بادائه وعلى هذا يكون ههنا تقدير أي أعلمتكم بالحكم المذكور وهو وجوب الصوم عليكم كما وجب على من قبلكم لاحترازكم عن الاخلال المذكور (قوله ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما) حاصل كلام الرضي انهم منعوا (٢١٦) ذلك لان الفصل بين بعض الصلة وبعضها لا يجوز لان المصدر بتأويل الفعل مع الموصول الحرفي وهو ان المصدرية وأنا لا أرى مانعا من ذلك اذ ليس كل مؤول بشئ حكمه حكم ما أول به وقد صرح صاحب الكشاف بان انتصاب أياما بصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة قال العلامة التفتازاني هذا بناء على تجويز عمل المصدر في الظرف مع تخلل الفاصل وان لم يجز في غيره (قوله وفيه ايماء الخ) لا يظهر وجه هذا الايماء ويمكن أن يقال ان راكب السفر عبارة عن يتلبس به ويستقر عليه كالمستقر الراكب على المركوب ولذا عبر عنه بقوله تعالى على سفر ففيه اشارة الى أن يكون الشخص مسافرا من أول اليوم لانه استقر على السفر وأما من سافر في اثناء اليوم فهو لم يستقر عليه فتأمل (قوله وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية) لانه الظاهر والحمل على الرخصة بتقدير الشرط (قوله وقرئ يطوقونه) بصيغة المبني للمفعول من باب تفعلون التفعيل (قوله ويطوقونه بالادغام كان في الاصل يتطوقونه فادغم التاء في الطاء وهذا مبني للفاعل من باب التفعل (قوله وبه يطيقونه) الاول بتشديد الياء الثانية والثاني بتشديد الطاء والياء أيضا (قوله معنى ثانيا الى قوله ثابتا) أي غير منسوخ فعناه من صام بالكلفة والمشقة فعليه فدية طعام مسكين (قوله أي يصومونه جهدهم وطاقتهم) بتقدير مضاف أي غاية جهدهم وطاقتهم وهذا يستلزم التعب والمشقة (قوله فزاد الفدية) يعني لفظ خيرا في قوله فمن تطوع خيرا مصدر خوت يا رجل فانت خائر أي حسن وفي قوله فهو خير له اسم تفضيل (قوله وجهدتم طاقتكم) أي تعتم غاية طاقتكم

على الذين من قبلكم) يعني الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه توكيد للحكم وترغيب في الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات بياض النهار فاهم لمعظم ما تشتهيه النفس (لعلكم تتقون) المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدأها كما قال عليه الصلاة والسلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء أو الاخلال بادائه لاصالته وقدمه (أياما معدودات) مؤقتات بعدد معلوم أو قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان أو ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء أو ثلاثة أيام من كل شهر أو بكما كتب على الظرفية أو على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صوموا كصومهم في عدد الايام لما روي أن رمضان كتب على النصارى فوقع في برد أو حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان أصابهم (فمن كان منكم مريضا) مرضا يضره الصوم أو يعسر معه (أو على سفر) أو راكب سفر وفيه ايماء الى أن من سافر أثناء اليوم لم يفطر (فعدة من أيام أخر) أي فعليه صوم عدد أيام المرض أو السفر من أيام أخر فأفطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب أي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه (وعلى الذين يطيقونه) وعلى المطيقين للصيام ان أفطروا (فدية طعام مسكين) نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك في أول الامر لما أمروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين بغير اضافة الفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه أي يكلفونه ويقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة أو القلادة ويتطوقونه أي يتكلفونه أو يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويطيقونه على ان أصلها يطوقونه ويتطيقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يطوقونه ويتطوقونه وعلى هذه القراآت يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد أول به القراءة المشهورة أي يصومونه جهدهم وطاقتهم (فمن تطوع خيرا) فزاد في الفدية (فهو) فالتطوع أو الخير (خير له وأن تصوموا) أيها المطيقون أو المتطوقون وجهدتم طاقتكم أو المرخصون في الافطار لينذرج تحته المريض والمسافر (خير لكم) من الفدية أو تطوع الخير أو منهما ومن التأخير للقضاء (ان كنتم

(قوله ذلكم) اشارة الى مافهم من الآية السابقة وهو وقت الصوم (قوله وفيه ضعف) لان فيه فصلا بين العامل والمعمول بالخبر سيما معمول هو بمنزلة جزء من الكلمة لأن ان المصدرية حرف موصول والفعل مع مافى حيزها صلتها (قوله فاضيف اليه الشهر وجعل علما) قال العلامة التفتازانى أى جعل المضاف والمضاف اليه علما والا لم يحسن اضافة شهر اليه كما لا يحسن انسان زيد وهذا لم يسمع بشهر رجب وشهر شعبان و بالجملة فقد اطبقوا على ان العلم فى ثلاثة أشهر مجموع المضاف والمضاف اليه شهر رمضان وشهر ربيع الاول وشهر ربيع الآخر وفى البواقى لا يضاف شهر اليه ثم فى الاضافة يعتبر فى أسباب منع الصرف وامتناع اللام ووجوبها حال المضاف اليه فيمتنع مثل شهر رمضان وابن داية من الصرف ودخول اللام ولا ينصرف مثل شهر ربيع الاول وابن عباس و يجب اللام فى مثل امرئ القيس و يجوز فى مثل ابن عباس أقول اما امتناع دخول اللام على رمضان وداية فلظهور امتناع الصرف فيهما أما الاول فللالف والنون المزيدتين والعلمية وأما الثانى فللتأنيث والعلمية وأما وجوب اللام فى مثل امرئ القيس وجوازه فى مثل ابن العباس نظرا الى الحال المضاف اليه كما صرح به فالظاهر ان السبب فيه ان القيس من الاسماء المرتجلة اذ لم يدر كونه معنى يكون جنسا والقاعدة ان العلم المرتجل اذا قارن ارتجاله اللام تكون اللام لازمة فكذا اذا كان المرتجل مضافا اليه لان المضاف اليه الذى وقع جزء العلم كان محلى باللام حين الوضع وأما العباس فليس كذلك اذ ليس بمرتجل بل منقول فيجوز فيه الامران كما هو القاعدة أما الدخول فلكونه صفة فى الاصل فيدخل فيه اللام تلميحا الى الوصف الاصلى وأما عدمه فبالنظر الى أن أصله مجرد عن اللام (قوله لامن الاتباس) فان قلت يجب ان لا يحذف لان حذف المضاف فى هذا المركب من قبيل حذف بعض الكلمة من غير سبب من الاعلال وغيره قلت جوزوا حذف بعض هذا العلم لانهم أجروا مثل هذا العلم مجرى المضاف والمضاف اليه حيث أعربوا الجزءين (قوله لارتماضهم فيه) قال فى الصحاح ارتاض الرجل من كذا اشتد عليه وافلقه (قوله لارتماض الذنوب فيه) لم يوجد فى الصحاح الارتماض بمعنى الاحتراق وانما ذكر ابن رمض جاء بهذا المعنى (قوله أو لوقوعه أيام رمض الحر) قال فى الصحاح يقال انهم انما قالوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسمى بذلك (قوله بما تضمن معنى الشرط) وهو الموصول بصلته (قوله وفيه اشعار) يعنى انه رتب عليه قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وجعله خبرا فيكون من قبيل ترتب الحكم على الوصف يعنى انه صار اشرفه بنزول القرآن فيه سببا للامر بصوم الذى هو من أعظم العبادات فيه (قوله وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر) لا حاجة فى جعله منصوبا به الى تقدير بل يجوز ان يقال من أدرك منكم الشهر فليصمه وخصص المسافر والمريض بما سيجىء (قوله فيكون) الى قوله مخصصا له لانه اذا جعل الشهر مفعولا به وشهد بمعنى ادرك

تعلمون) مافى الصوم من الفضيلة و براءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ماقبله أى اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من أهل العلم والتدبر علمتم أن الصوم خير لكم من ذلك (شهر رمضان) مبتدأ خبره مابعده أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان أو بدل من الصيام على حذف المضاف أى كتب عليكم الصيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا أو على انه مفعول وأن تصوموا وفيه ضعف أو بدل من أيام معدودات والشهر من الشهرة و رمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع دأية فى ابن دأية علما للغراب للعلمية والتأنيث وقوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الاتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش أو لارتماض الذنوب فيه أو لوقوعه أيام رمض الحر حين منا قلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة (الذى أنزل فيه القرآن) أى ابتدى فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر أو أنزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض أو أنزل فى شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبى صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم عليه السلام أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ أو صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم (هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان) حالان من القرآن أى أنزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدى الى الحق و يفرق بينه و بين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فمن حضر فى الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع الظهر موضع المضمر الاول لتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثانى على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على أنه مفعول به كقولك شهدت الجمعة أى صلاتها فيكون

كان شاملا للمقيم والمسافر فيكون قوله تعالى ومن كان منكم مريضا أو على سفر مخصصا مخرجا للمسافر والمريض عن الحكم المذكور وأما المريض فهو مخصص على التقدير الاول أيضا فيكون مراده من جعله مخصصا كونه مخصصا لعمومه اما (قوله ولعل تكرير ه لذلك) أى تكرير المسافر والمريض بعد ذكرهما أولا لأجل التخصيص ولك أن تقول التخصيص بستفاد من الآية السابقة والجواب انه ليس فياسبق تصريح بتخصيص صوم رمضان بخلاف الثانى (قوله أولئلا يتوهم نسخه كانسخ قرينه) أى تكرير ه لئلا يتوهم ان رخصة المسافر والمريض فى الآية منسوخة كانسخ القرين وهو قوله وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فانه منسوخ كما مر (قوله أولا فعال كل لفعله) أى مر مراعاة العدد لتكملوا العدة وأمر بالقضاء لتكبروا الله وبسركم لعلكم تشكرون والاول اوجه من حيث قلة التقدير والثانى من حيث (٢١٨) اتصال كل علة بمعلولها (قوله لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف)

(ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) مخصصاله لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكرير ه لذلك أولئلا يتوهم نسخه كانسخ قرينه (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) أى يريد ان يسر عليكم ولا يعسر عليكم فلذلك أباح الفطر فى السفر والمرض (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) عالل لفعل محذوف دل عليه ماسبق أى وشرع جملة ماذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما أفطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا العدة علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير أولافعال كل لفعله أو معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم أولتعلموا ماتعلمون ولتكملوا العدة ويجوز ان عطف على اليسر أى ويريد بكم لتكملوا كقوله تعالى يريدون ليطفؤا نور الله والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال ومايحتمل المصدر والخبر أى الذى هداكم اليه وعن عاصم برواية أبى بكر ولتكملوا بالتشديد (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) أى فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم روى ان اعرابيا قال لرسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت (أجيب دعوة الداع اذا دعان) تقرير للقرب ووعد للداعى بالاجابة (فليستجيبوا لى) اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما أجيبهم اذا دعونى لمهماتهم (وليؤمنوا بى) أمر بالثبات والمداومة عليه (لعلهم يرشدون) راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على أنه تعالى خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجاز يهم على أعمالهم تأكيدا له وحثا عليه ثم بين أحكام الصوم فقال (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) روى ان المسلمين كانوا اذا أمسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الآخرة أو يرقد واثم ان عمر رضى الله تعالى عنه باشر بعد العشاء

لايخفى ان العلف من غير ترتيب والاولى أن يقال ان لتكملوا العدة علة للامر بالقضاء فى عدة أيام أخر ولتكبروا الله على ماهداكم علة التيسير وقوله تعالى ولعلكم تشكرون علة عدم ارادة العسر (قوله أى يريد بكم لتكملوا) فتكون اللام زائدة للتأكيد وفيه أى فى جواز العطف المذكور بعد للفصل بينه وبين المعطوف عليه بجملة ولوقوع قوله ولعلكم تشكرون مفعول يريد ولا وجه له لان لعلكم تشكرون لايصلح لمفعولية يريد بل مايصلح لان يكون مفعول يريد هو يشكرون من غير لعل أى يريد شكركم (قوله ولذلك عدى بعلى) يعنى لما كان التكبير التعظيم فندم بالحمد فيكون المعنى ولتكبروا الله حامدين على ماهداكم وفى هذا الكلام تصريح بان قوله لتكبروا الله على ماهداكم تضمين قال العلامة التفتازانى فى تقدير التضمين طرق أحدها جعل الفعل المذكور حالا مثل لتحمدوا الله مكبرين ليكون ماتعلق به الجار والمجرور مذكورا قصدا وعكسه مثل لتكبروا الله حامدين واختار صاحب الكشاف هذا الوجه لان التعليل بالتعظيم حال الحمد وجعله مقصودا من التعظيم أنسب من العكس لان الحمد انما يستحسن ويطلب لما فيه من التعظيم أقول هذا دليل خاص بهذا المقام والدليل العام أن يقال ان جعل الفعل المذكور تابعا والمقدر أصلا مخالف للظاهر جدا ومشتمل على كثرة التغيير (قوله تمثيل لكمال علمه الخ) حاصله تشبيه حال الله تعالى فى الاطلاع على حالهم بحال من قرب مكانه منهم فى الاطلاع وقد صرح العلامة التفتازانى بانه يكون استعارة تبعية تمثيلية أقول وفيه بحث اما أولا فلما حققنا سابقا من كلام الشريف العلامة من ان الاستعارة التمثيلية لاتتحقق فى لفظ مفرد واما ثانيا

فلان المشبه به يجب ان يكون أقوى فى وجه الشبه من المشبه وههنا ليس كذلك وهو ظاهر والجواب عنه أن اطلاع القريب المكانى أظهر عند الجمهور وان كان أضعف فى نفس الامر وهذا الظهور كاف فى صحة التشبيه (قوله لا يكاد يخلو من رفث) أى من اظهار شئ يجب أن كنى به عنه أى لم يصرح به عند غيره وانما قال كناية عن الجماع ولم يجعله مجازا لامكان حمله على معناه الحقيقى (قوله شبه باللباس الخ) فيكون التقدير هن كلباس لكم وأنتم كلباس لهن حتى يكون تشبيها لا استعارة لان طرفى التشبيه مذكوران كقوله صم بكم أى هم كصم مبالغة فى التشبيه قال العلامة التفتازانى ان اللباس فى قول الجعدى استعارة وليس على حذف أداة التشبيه كما هو قول الاكثرين وذلك لان الظاهر ان عليه متعلق به كما فى أسد على أقول أراد ان اللباس بالمعنى الحقيقى لا يتعلق به الجار والمجرور اذ هو يتعلق بالمشتقات وما فى حكمها واللباس ليس كذلك اذ معناه الثوب فلزم أن يكون مجازا وفيه نظر اذ يجوز أن يكون المتعلق ههنا مقدرا كما قيل فى نحو أسد على أى مجترئ على فيكون التقدير فيما نحن فيه لباس مشتمل عليه (قوله وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل) أى التشبيه قال فى الكشاف فان قلت أهذا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه

قلت قوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة كما ان رأيت أسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت لم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر على الاستعارة التى هى أبلغ من التشبيه وأدخل فى الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان يدل عليه الحال أو الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من أن يكون استعارة أقول قد قرر المعلقون على الكشاف ما قاله ههنا ومنهم العلامة التفتازانى لكن المذكور فى التلخيص وشرحيه ان الاستعارة هى اللفظ المستعمل فى غير الموضوع له لعلاقة التشبيه ولا يخفى ان المفهوم مما قاله صاحب الكشاف من ان المراد من الخيط الابيض أول ما يبدو من طلوع الفجر ان الخيط الابيض المذكور فى الآية الكريمة ليس على معناه الاصلى بل بمعنى الفجر بعلاقة التشبيه بينه وبين المعنى الاصلى فكان استعارة لا تشبيها فان قيل المشروط فى الاستعارة ان لا يكون طرفا التشبيه مذكورين وههنا مذكوران فان أحد طرفى التشبيه الفجر والآخر الخيط الابيض قلنا اذا لم يكن استعارة فلا ينفى انه ليس بمجاز مرسل فثبت قسم ثالث من المجاز والحال ان صاحب التلخيص وشارحه حصر المجاز فى الاستعارة والمجاز المرسل واعلم انه يمكن أن يقال تقديره حتى يتبين لكم شئ كالخيط الابيض من الفجر بان يكون من بيانية لكن ما ذكره المصنف وصاحب الكشاف من تفسير الخيط الابيض باول ما يبدو من طلوع الفجر يأبى ذلك اذ على التقدير المذكور يكون الخيط الابيض على حقيقته فان قلت من الفجر بيان لاى شئ قلت بيان للشئ المقدر ان جعل تشبيها أى الشئ الذى كالخيط الابيض الذى هو الفجر والى ما ذكرنا أشار العلامة التفتازانى حيث قال وجه كونه تشبيها حذف الاداة ووجه الشبه كما فى زيد أسد لكنه لا يلائم

فندم وأتى النبى صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التى تصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) استئناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدى

اذا ما الضجيع ثنى عطفها ❊ تثنت فكانت عليه لباسا

أو لان كل واحد منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور (علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم) تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان أبلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب (فتاب عليكم) لما تبتم مما اقترفتموه (وعفا عنكم) ومحا عنكم أثره (فالآن باشروهن) لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع (وابتغوا ما كتب الله لكم) واطلبوا ما قدره لكم وأثبته فى اللوح المحفوظ من الولد والمعنى ان المباشر ينبغى ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل لنهى عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذى كتب الله لكم (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض فى الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين أبيض وأسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان تكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روى انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين أسود وأبيض ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى

قول صاحب الكشاف ان قوله من الفجر بيان للخيط الابيض وكذا تفسيره الخيط الابيض بأول مايبدو من طلوع الفجر كما ذكرنا اللهم الا أن تؤول العبارتان على وجه يصح الكلام فيقول معنى قوله من الفجر بيان الخيط الابيض انه بيان لما هو شبيه بالخيط الابيض ونقول مثل هذا التأويل في قوله لآخر ولا يخفى مافيه فتأمل (قوله فلعله كان قبل دخول رمضان) بان كانوا يصومون النفل لان رمضان وقت الحاجة الى البيان وتأخير البيان عن وقت الحاجة لايجوز (قوله أو كتفي أولا باشتهارهما في ذلك) أي باشتهار الخيط الابيض والاسود في بياض الصبح وسواد آخر الليل (قوله آخر وقته فينفي صوم الوصال) فيه نظر اذ غاية مايدل عليه هو انقطاع الوجوب عند آخر اليوم ولايلزم منه حرمة الوصال قال العلامة التفتازاني مبنى دلالته على نفي الوصال هو ان الليل غاية للصيام والى متعلق به وهو ظاهر للايجاب ولما في تلك الدلالة من المناقشة قال صاحب الكشاف قالوا فيه دليل على نفي الوصال (قوله لان النهي في العبادات يوجب الفساد) العبارة المحررة ان يقال فعل شئ في العبادات نهي عن ايقاعه فيها يوجب فسادها وفيه نظر اذ الغيبة مثلا منهي عنها في الصوم ولا تفسده والجواب ان المراد من النهي النهي عن شئ يكون النهي عنه مخصوصا بالعبادة والغيبة ليست كذلك اذ ليس النهي عنها مخصوصا بالعبادة بل هي منهي عنها مطلقا (قوله وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد) عدل عن عبارة الكشاف وهو غير محسن في ذلك العدول اذ في عبارة الكشاف اشعار الى ضعف القول المذكور دون عبارة المصنف لانه قال صاحب الكشاف قالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لايكون الا في المسجد وأورد عليه ان التقييد بقوله تعالى في المساجد دليل على ان الاعتكاف قد يكون في غير المسجد والا لما كان للتقييد فائدة قال العلامة (٢٢٠) اقتفازاني وجه دلالته على ماذكر بان المباشرة حرام في الاعتكاف اجماعا

فلو لم يكن ذكر في المساجد لبيان ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد لزم اختصاص حرمة المباشرة باعتكاف يكون في المسجد وهو باطل وفاقا و عبارة أخرى ان التقييد يدل على ان له مدخلا في علية الحكم فالمتعلق به المتوقف

يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز أو اكتفى أولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا (ثم أتموا الصيام الى الليل) بيان لآخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد (تلك حدود الله) أي الاحكام التي ذكرت (فلا تقربوها)

عليه اما تحقق الاعتكاف أو حرمة المباشرة والثاني منتف فتعين الاول أقول نهى

السؤال باق بعد فان محصل السؤال ان صاحب الكشاف فسر الاعتكاف بما فسر به المصنف واذا كان كذلك فعدم تحققه في غير المسجد ظاهر ولا حاجة الى التقييد بقوله في المساجد ومحصل البيان المذكور ان هذا القيد لبيان اختصاص الاعتكاف بالمسجد اذ لو لم يكن كذلك لم يكن له فائدة ويرد عليه ان اختصاص الاعتكاف بالمسجد لا يفهم من التقييد بل المفهوم منه خلافه وأما قوله لو لم يكن كذلك لم يكن له فائدة ففيه نظر لم لا يجوز أن يكون له فائدة كما سيجيء والاولى أن يقال والله أعلم المراد من العكوف في الآية هو اللبث بقصد القربة فيكون العكوف مستعملا في جزء المعنى الشرعي لانه اللبث في المسجد بقصد القربة وحينئذ ظهر فائدة قوله في المساجد لان المانع من المباشرة هو اللبث بقصد القربة في المساجد فان قيل اللبث بقصد القربة ما لم يمكن تحققه في غير المساجد أولا والاول منتف اجماعا فتعين الثاني فيكون العكوف هو اللبث بقصد القربة في المساجد فيكون ذكر المساجد تكرارا قلنا سلمنا ان اللبث بقصد القربة لا يكون الا في المسجد لكن لا يلزم منه أن يكون المكث في المسجد جزأ من معنى العكوف حتى يلزم ان يكون ذكر في المساجد مكررا فان قيل اندفع التكرار لكن يبقى كونه مستغنى عنه قلنا العدول عن ذكرها لبيان شرفها حيث جعل هذه العبادة مخصوصة بها فان قيل لا يخفى ان عبارة المصنف قاصرة عن افادة المراد لانه قال الآية تدل على ان الاعتكاف يكون في المساجد ولا تدل على أنه لا يكون في غير المساجد وهذا هو الغرض فلنا مراده ان الاعتكاف مخصوص بالمساجد واعلم أن صاحب الكشاف لم يجزم بان فيه ماذكر بل نقل عن المفسرين وما المصنف فقد جزم بان فيه دليلا على ماذكر وفيه ماذكر ولذا قال العلامة التفتازاني وجه دفع الدليل ظاهر بل ربما يدعى دلالته على ان الاعتكاف قد يكون في غير المسجد وقال الطيبي قال صاحب التقريب ليس فيه مايدل على ذلك (قوله أي تلك الاحكام التي ذكرت) أي الامور الواجبة والمحرمة التي ذكرت فان بعض الأمور المذكورة كاتمام الصوم الى الليل واجب وبعضها وهو المباشرة

حرام يرد عليه ان بعض الأحكام المذكورة اباحات وهى كلوا واشربوا باشروا وابتغوا ونحو ذلك والنهى عن قرب المباحات مشكل وأشكل منه النهى عن قرب الواجب فالظاهر الاقتصار على التوجيه الثانى أى المحارم (قوله نهى أن يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل) فيه نظر اما أولا فلأنه يدل على ان بين الحق والباطل شيأ آخر غيرهما وليس كذلك ويمكن ان يقال المراد بالحق الحلال البين وبالباطل الحرام والحد الحاجز الشبهة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس الى آخر الحديث الطويل الذى ماذكر المصنف الا جزأ منه فظن بماذكرنا ان المصنف قصر فى تقدير المقصود واما ثانيا فلان الاحكام المشار اليها أحكام شرعية والضمير فى قوله تعالى راجع اليها فالمعنى النهى عن قرب تلك الاحكام لا عن قرب الحاجز بين الحق والباطل فتأمل والاولى ان يقال حد الشئ ما يمنع ان يدخل فيه وتلك الاحكام التى هى النحريم موانع لان يدخل أحد ما يحرم بسببها فيكون المعنى تلك أحكام الله المانعة عن الاشتغال بما حرمه (قوله ويجوز ان يراد بحدود الله محارمه) المحرم الذى مر صر يحا شئ واحد هو المباشرة فتعدد المحارم باعتبار انه يستفاد مما ذكر محارم فان كل ما مر يدل على محرم هو ترك ذلك المأمور والمأمور اواجب المذكور من أول آيات الصوم والقضاء بالشرط المذكور واتمامه الى الليل (٢٢١) (قوله و ينصب نصب على الظرف والحال الخ) والمعنى لا تأكلوا أموالكم فى المعاملة الحاصلة بينكم أو حاصلة بينكم بالباطل وحصول المال بين الجماعة ان يقدر كل على أخذه ويمكن ان تحمل الآية على ان معناه لا تأكلوا أموالكم المشتركة بينكم بالباطل حتى يفهم بالطريق الاولى النهى عن المال الخاص بالغير وعلى هذا التوجيه ظهر فائدة بينكم ولا يتوجه السؤال بانه لم لم يقل ولا تأكلوا مال الغير بالباطل فان قلت هذه العبارة غير ظاهر مطابقتها لسبب النزول على ما دل

نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يدانى الباطل فضلا عن ان يتخطى عنه كما قال عليه الصلاة والسلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو أبلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) مخالفة الأوامر والنواهى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) أى ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذى لم يبحه الله تعالى و بين نصب على الظرف أو الحال من الأموال (وتدلوا بها الى الحكام) عطف على المنهى أو نصب باضمار ان والادلاء الالقاء أى ولا تلقوا حكومتها الى الحكام (لتأكلوا) بالتحاكم (فريقا) طائفة (من أموال الناس بالاثم) بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة أو ملتبسين بالاثم (وأنتم تعلمون) انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها أقبح روى ان عبدان الحضرمى ادعى على امرئ القيس الكندى قطعة من أرض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وفيه دليل على ان حكم القاضى لا ينفذ باطنا و يؤيده قوله عليه الصلاة والسلام انما أنا بشر وأنتم تختصمون الى ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشئ من حق أخيه فانما أقضى له قطعة من نار (يسألونك عن الاهلة) سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ (قل هى مواقيت للناس والحج) فانهم

عليه الحديث المذكور قلنا ظهر تطبيقها بما قلنا فان النهى عن أكل المال المشترك يدل على النهى عن المال الخاص بالطريق الاولى (قوله أو نصب باضمار ان) الوجه هو الاول لان الوجه الثانى نهى عن الجمع ولا يلزم النهى عن كل واحد مع انه المقصود قال العلامة التفتازانى أمثال هذا الكلام وان كان للنهى عن الجمع لا ينافى ان يكون كل من الامرين منهيا أقول وهو وان كان كذلك لكن توجيه الكلام على وجه يدل على المنع من كل واحد أولى (قوله أو ملتبسين بالاثم) أى تكون الباء للملابسة واما على الاحتمال الاول فتكون للسببية أو الاستعانة (قوله مع العلم بها أقبح) أى الاتيان بالمعصية مع العلم بكونها معصية أقبح وعلم منه ان الاتيان بها مع عدم العلم بكونها معصية قبيح ولا يخفى ان المراد من القبح اتضح الشرعى ولقائل ان يقول لا نسلم ان ارتكاب المعصية مع عدم العلم بكونها معصية قبيح لان القبيح هو الحرام ولا يأثم الشخص بها ومعصية الا بعد العلم بكونه معصية كما هو مذكور فى كلام العلماء الا ان يقال قد يكون الاتيان بالمعصية مع الجهل بحالها موجبا للاثم لتقصير الفاعل فى تحقيق حالها وعدم الاحتياط (قوله تعالى يسألونك عن الاهلة) لما ذكر أمر الصوم الذى هو وقت بر ؤية الهلال فى وقت خاص ذكر بعده ما يتعلق بالاهلة ليكون تقريبا الى ذكر أحكام الحج المتعلقة بها (قوله قل هى مواقيت للناس والحج) قد يجعل هذا من قبيل الاسلوب الحكيم والاولى ان يقال ان السؤال سؤال عن الحكمة والفائدة وأجيب ببيان

الحكمة وليس السؤال عن السبب الموجب اذ ليس عبارة السؤال دالة عليه هذا ما اختاره صاحب الكشاف لكن عبارة المصنف وهي قوله أو انهم لما سألوا عما لا يعنونه الخ يدل على انه من الاسلوب الحكيم لان مضمون هذا الكلام انهم سألوا عما لا يتعلق بالنبوة من سبب تشكلات الاهلة وعلتها فأجيبوا بالحكمة والفائدة تنبيها على ان اللائق بحالهم مثل هذا السؤال وهو السؤال عن فائدة الاهلة لانه متعلق بأمر النبوة ولا يخفى ان هذا ليس مطلوبهم من السؤال على الوجه المذكور فيكون من قبيل الاسلوب الحكيم (قوله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) ان قيل لا حاجة الى الذين يقاتلونكم لانه مفهوم من قاتلوا لان المقاتلة

سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل أمره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان تكون معالم للناس يؤقتون بها أمورهم ومعالم للعبادات المؤقتة يعرف بها أوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه أداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر (وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها) وقرأ أبو عمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون بالكسر (ولكن البر من اتقى) وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف ولكن ورفع البر كانت الانصار اذا أحرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب أو فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم أنه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الأمرين أو أنه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا أيضا من أفعالهم في الحج ذكره للاستطراد أو انهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها أو ان المراد به التنبيه على تعكيسهم في السؤال بتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر بان تعكسوا مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله (وأتوا البيوت من أبوابها) اذ ليس في العدول بر فباشروا الأمور من وجوهها (واتقوا الله) في تغيير أحكامه والاعتراض على أفعاله (لعلكم تفلحون) لكي تظفروا بالهدى والبر (وقاتلوا في سبيل الله) جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه (الذين يقاتلونكم) قيل كان ذلك قبل ان أمروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبان والنساء أو الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون أن لا يوفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم أو الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت (ولا تعتدوا) بابتداء القتال أو بقتال المعاهد أو المفاجاة به من غير دعوة أو المثلة أو قتل من نهيتم عن قتله (ان الله لا يحب المعتدين) لا يريد بهم الخير (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) حيث وجدتموهم في حل أو حرم وأصل الثقف الحذق في ادراك الشئ علما كان أو عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال

فاما تثقفوني فاقتلوني * فمن أثقف فليس الى خلود

لا تكون الا من الجانبين فنقول معنى الآية قتلوا الذين يشتغلون بقتلكم أو اقتلوا الذين ينصبون لقتالكم ويتوقع منهم ذلك وهم الشبان الأقوياء أو الذين يريدون قتلكم وهم الكفرة كلهم وانما حمل على ذلك لان المأمور في الحقيقة ليس القتل من الجانبين واما حمل يقاتلون على ما ذكره فلان قتلهم أي قتل المؤمنين الكفرة ليس مشروطا بالمقاتلة من جانبهم وعلى الاول حكم الآية منسوخ من حيث المفهوم أي مفهومه منسوخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة فان قيل على الثاني أيضا منسوخ لان الوجه الثاني يدل على نفي قتل الشيوخ والصبيان والنساء فيكون منسوخا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة قلنا الحديث دال على المنع من قتلهم وهو حكم مفرد في بعض ما ذكر فقوله قاتلوا المشركين كافة مخصص بالحديث اذا قيل اذا كان قاتلوا بمعنى اقتلوا كما ذكر فما فائدة العدول عن الثاني الى الاول وأخرجوهم قلنا المبالغة في قتل الكفرة لان من يكون بصدد المقاتلة يكون اهتمامه بالقتل أشد (قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم) فان قيل ظاهر هذا مخالف لما سبق لانه دال على قتل المشرك أينما وجد سواء اشتغل بالقتل أم لا وسواء كان له قوة القتال أم لا اذ القتل غير مقيد بقيد فنقول المراد الامر بقتلهم حيث قاتلوا في حل أو حرم فهو في الحقيقة مبين للمراد من الاول وهو العموم المكاني وليس المراد تعميم العموم الذي هو المعنى الثالث من المعاني المذكورة في الآية السابقة

(قوله كالاخراج من الوطن) فيه نظر فان كل أحد يخرج من وطنه لخوف القتل بل الهارب من القتل فكيف يكون الاخراج من الوطن أشد من القتل (قوله حتى يقتلوا بعضكم) ليس المراد حتى يقتلوا كلكم وهذا الكلام بظاهره يدل على ان المراد بضمير المخاطبين البعض واما ضمير الغائبين فالمراد منه الكل وقال العلامة التفتازاني المراد بضمير الغائبين أيضا البعض لانه ليس المراد النهي عن قتالهم جميعا الى ان يصدر القتل منهم جميعا قول أراد انه لو أريد بضمير الغائبين الجميع لكان المعنى ماذكر وهو ان قتلهم مشروط بان يصدر القتل منهم كلهم ولم يقتلوا لو صدر القتل من بعضهم وهو ليس مراد بل المراد انه لو قاتل بعضهم وجب قتلهم (قوله أي فلا تعتدوا على المنتهين) يدل على ان قوله تعالى لاعدوان الا على الظالمين كناية عن النهي عن العدوان على المنتهين فيكون هو المراد هكذا قال العلامة التفتازاني أقول جعله كناية يدل على انه يمكن انه يراد المعنى الحقيقي لكن اذا أريد به المعنى الحقيقي لا يرتبط بما سبق فان قيل اذا أريد به المعنى الحقيقي كان هناك مقدر فكانه قيل فان انتهوا فلا عدوان عليهم وليس العدوان الا على الظالمين قلنا اذا قدر ماذكر لا يصلح قوله تعالى فلا عدوان الآية لان يكون كناية اذ يجب حمله حينئذ على المعنى الحقيقي وفيه نظر (قوله أو انكم ان تعرضتم الخ) فعلى هذا يكون ههنا جمل مقدرة أي انتهوا فلا تتعرضوا لهم فان تعرضتم صرتم ظالمين ولا عدوان الا على الظالمين (قوله أي كل حرمة) وهو ما يجب ان يحافظ عليها ويجري فيه القصاص ليس على الاطلاقه فان بعض الجنايات لا قصاص فيها وكذا قوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم مستثنى عنه ماذكر فان الاشياء المذكورة لا يجري فيها الاعتداء بالمثل (قوله أي لا تجعلوها مقدمة آخذة بأيديكم) لأن القاء الشيء الى الشخص لا يوجب أخذه

(وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح (والفتنة أشد من القتل) أي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركم في الحرم وصدهم اياكم عنه أشد من قتلكم اياهم فيه (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) أي لا تبدأوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام (فان قاتلوكم فاقتلوهم) فلا تبالوا بقتالهم ثم فاعلم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقاتلوكم فيه فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو أسد (كذلك جزاء الكافرين) مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا (فان انتهوا) عن القتال والكفر (فان الله غفور رحيم) يغفر لهم ما قد سلف (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) شرك (ويكون الدين لله) خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب (فان انتهوا) عن الشرك (فلا عدوان الا على الظالمين) أي فلا تعتدوا الى المنتهين اذ لا يحسن أن يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وأنكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم ولقاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء (الشهر الحرام بالشهر الحرام) قالوا لهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة وانفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا أن يقاتلوهم فيه لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه فلا تبالوا به (والحرمات قصاص) احتجاج عليه أي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله واد خلوا عليهم عنوة وافتلوهم ان قاتلوكم كما قال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وهو فدلكة التقرير (واتقوا الله) في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم (واعلموا أن الله مع المتقين) فيحرسهم ويصلح شأنهم (وأنفقوا في سبيل الله) ولا تمسكوا كل الامساك (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) بالاسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوي العدو ويسلطهم على اهلاكم ويؤيده ما روي عن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه انه قال لما أعز الله الاسلام وكثر أهله رجعنا الى أهالينا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت أو بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بايديكم انفسكم والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والنسرة أي لا توقعوا أنفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بأيديكم أو لا تلقوا بأيديكم أنفسكم الها فحذف المفعول (وأحسنوا) أعمالكم وأخلاقكم أو تفضلوا على المحاويج (ان الله يحب المحسنين وأتموا الحج والعمرة لله) أي ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله تعالى وهو على هذا يدل على وجوبهما وإليه ذهب قراء فمن قرأ وأقيموا الحج والعمرة لله وما روي جابر رضي الله تعالى عنه انه قيل يا رسول الله

(قوله فجاز أن يكون الوجوب بسبب اهلالهما الخ) هذا بناء على ان الاهلال بالعمرة يوجبها وان كانت مستحبة فى الاصل (قوله أى اتيانهما تامين كاملين) الى قوله و يؤيده قراءة من قرأ وأقيموا على هذا يكونان واجبين لانه أمر باتيانهما حال كونهما كاملين مستجمعى الاركان والشرائط بخلاف ما اذا حمل اللفظ على ظاهره فانه يدل على وجوب اتمامهما ولا يدل وجوب الاتمام على وجوب الاصل اذ لعل المعنى انه اذا شرعتم فيهما فأتموهما والحج المستحب وكذا العمرة المستحبة ان شرع فيهما

يجب اتمامهما قال العلامة التفتازانى قوله أقيموا صريح فى الوجوب والاصل يوافق القراءتين وحينئذ يحتاج فى الجواب الى أن يقال ان هذه القرينة صارفة عن حمل الامر على الوجوب وهو تصريح الحديث بنفى الوجوب واثبات الافضلية والتطوع هذا انما يصح لو ثبت سبق الحديث ليكون قرينة على عدم الوجوب وأما اذا سبقت الآية ودلت على الوجوب كما هو الاصل فرفعه بالحديث يكون نسخا للكتاب بخبر الواحد وانه غير جائز أقول اذا تقدمت الآية لا يلزم نسخ الكتاب بخبر الواحد اذ الآية وان دلت ظاهرا على الوجوب لكن وقوع الحديث بعده يبين ان المراد منه ليس الوجوب بل الاستحباب فالثابت الوجوب فى الواقع حتى يكون الحديث رافعا له فلم يلزم تأخير البيان وهو جائز فى الجملة وكذا لا يلزم بيان الكتاب بخبر الواحد وهو أيضا جائز (قوله فمن تمتع بالعمرة الى الحج) أى فمن تمتع بالعمرة منتهيا انتفاعه بها الى الشروع فى الحج اشهره والتمتع ان يحرم بالعمرة فى أشهر الحج ويأتى بمناسكها ثم يحرم بالحج من جوف مكة ويأتى بأعماله ومقابله القران وهو ان يحرم بهما معا ويأتى بمناسك الحج ويدخل فيها مناسك العمرة والافراد هو ان يحرم بالحج وبعد الفراغ منه بالعمرة (قوله فهو دم جبران الخ) أى هو جبر لما أساءه من تأخير الحج

العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك فعارض بما روى أن رجلا قال لعمر رضى الله تعالى عنه انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين على أهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله أهللت بهما فجاز أن يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه ترتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك أو أن تفرد لكل منهما سفرا أو أن تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوى أو أن تكون النفقة حلالا (فان أحصرتم) منعتم بقال حصره العدو وأحصره اذا حبسه ومنعه عن المضى مثل صده وأصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعى رحمهما الله تعالى لقوله تعالى فاذا أمنتم ولنزوله فى الحديبية ولقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض أو غيرهما عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى لما روى عنه عليه الصلاة والسلام من كسر أو عرج فقد حل وفعله الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت الزبير حجى واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستنى (فما استيسر من الهدى) فعليكم ما تيسر أو فالواجب ما استيسر أو فاهدوا ما استيسر والمعنى ان أحصر المحرم وأراد ان يتحلل تحلل بذبح هدى تيسر عليه من بدنة أو بقرة أو شاة حيث أحصر عند الاكثر لانه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية بها وهى من الحل وعند أبى حنيفة رحمه الله تعالى يبعث به و يجعل للمبعوث على يده يوم أمارا فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) أى لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدى المبعوث الى الحرم بلغ محله أى مكانه الذى يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدى محله على ذبحه حيث يحل الذبح فيه حلا كان أو حراما واقتصاره على الهدى دليل على عدم القضاء وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدى جمع هدية كجدى وجدية وقرئ من الهدى جمع هدية كطية فى مطية (فمن كان منكم مريضا) مرضا يحوجه الى الحلق (أو به أذى من رأسه) كجراحة وقمل (ففدية) فعليه فدية ان حلق (من صيام أو صدقة أو نسك) بيان لجنس الفدية وأما قدرها فقد روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لكعب ابن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق على ستة مساكين أو انسك شاة والفرق ثلاثة آصع (فاذا أمنتم) الاحصار أو كنتم فى حال سعة وأمن (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج فى أشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج (فما استيسر من الهدى) فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا أحرم بالحج ولا يأكل منه وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى انه دم نسك فهو كالاضحية (فمن لم يجد) أى الهدى (فصيام ثلاثة أيام فى الحج) فى أيام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال أبو حنيفة رحمه الله فى

أشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذى الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز صوم يوم النحر وأيام التشريق عند الاكثرين (وسبعة اذا رجعتم) الى أهليكم وهو أحد قولى الشافعى رضى الله تعالى عنه أو نفرتم وفرغتم من أعماله وهو قوله الثانى ومذهب أبى حنيفة رحمه الله تعالى وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة أيام (تلك عشرة) فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم متوهم أن الواو بمعنى أو كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان أكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما (كاملة) صفة مؤكدة تفيد المبالغة فى محافظة العدد أو مبينة كمال العشرة فانه أول عدد كامل اذ به تنتهى الآحاد وتتم مراتبها أو مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدى (ذلك) اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى لانه لا متعة ولا قران لحاضرى المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك أى التمتع منهم فعليه دم جناية (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم فى الحرم أو فى حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده وأهل الحل عند طاوس وغير المكى عند مالك (واتقوا الله) فى المحافظة على أوامره ونواهيه وخصوصا فى الحج (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن لم يتقه كى يصدكم العلم به عن العصيان (الحج أشهر) أى وقته كقولك البرد شهران (معلومات) معروفات وهى شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند أبى حنيفة رحمة الله تعالى عليه وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف على ان المراد بوقته وقت احرامه أو وقت أعماله ومناسكه أو ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة فى بقية ذى الحجة وأبو حنيفة رحمه الله وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمى شهران أو بعض شهر أشهرا اقامة للبعض مقام الكل أو اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد (فمن فرض فيهن الحج) فمن أوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا أو بالتلبية او سوق الهدى عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعى رحمه الله تعالى وان من أحرم بالحج لزمه الاتمام (فلا رفث) فلا جماع أو فلا فحش من الكلام (ولا فسوق) ولا خروج عن حدود الشرع بالسيآت وارتكاب المحظورات (ولا جدال) ولا مراء مع الخدم والرفقة (فى الحج) فى أيامه نفى الثلاثة على قصد النهى للمبالغة وللدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة فى انفسها ففى الحج أقبح كلبس الحرير فى الصلاة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف فى الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان أمروا أن يقفوا أيضا بعرفة (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) حث على الخير عقب به النهى عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت فى أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام فى السؤال والتثقيل على الناس (واتقون يا أولى الالباب) فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم أمرهم بان يكون المقصود بها هو الله تعالى فيتبرأ من كل شئ سواه وهو مقتضى العقل المعرى

(قوله أو مقيدة) معطوفة على قوله مؤكدة لان قوله تعالى تلك عشرة يحتمل كمال بدليتها وعدمه (قوله اشارة الى الحكم المذكور عندنا) وهو الحكم بوجوب الهدى على المتمتع (قوله تعالى ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) فان من كان أهله حاضريه ليس له ميقات معين بل تكون كلها ميقاته يحرم فى أى موضع فهو غير مقصر بخلاف غير الحاضر فانه قصر فى انه لم يحرم بالحج فى ميقاته (قوله أو اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد) هذا يدل على ان وقت الحج شهران فقط والاولى الاقتصار على ما ذكر أولا (قوله وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعى) المراد بما ذهب اليه الشافعى ما مر من ان وقت الاحرام بالحج هو الاشهر المذكورة اذ يفهم من قوله تعالى فمن فرض فيهن الحج انه لا يجوز فرض الحج الا فيها اذ لو جاز فى غيرها لما كان لقوله تعالى فيهن فائدة (قوله حثهم على التقوى ثم أمرهم بان المقصود بالتقوى هو الله تعالى) فان قيل لا يخفى ان التقوى الاحتراز عن مخالفة الله تعالى فيكون الحث على التقوى هو الأمر بتقوى الله فما معنى قوله حثهم على التقوى ثم أمرهم الخ قلنا الاحتراز عن المخالفة المذكورة قد يكون لأجل الغير رياء فلما كان الامر بالتقوى محتملا لهذا وان كان بعيدا ازيل هذا الاحتمال بقوله تعالى واتقون يعنى ان التقوى لا تكون الا لله تعالى ولا يلاحظ فيها غيره بل يجب أن تكون له تعالى لا يقال كان الاولى أن يقول فاتقون يا أولى الالباب حتى يدل على ان الأمر بالتقوى هو

الأمر بتقوى الله تعالى فيكون أدل على الغرض وهو ان التقوى ما تكون لله لا ما نقول فى قوله تعالى واتقون بعد قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى دلالة على ان هذا العام مخصوص بذلك الخاص كما يقال افعل هذا الأمر وافعله عندى (قوله ان تبتغوا) قال العلامة التفتازانى هذا الظرف متعلق بقوله جناح أو عليكم أقول على التقدير الثانى يكون متعلقا بما تعلق به عليكم وهو واقع فتقديره ليس جناح واقعا عليكم فى الابتغاء فالغرض نفى وقوع الجناح عنهم فى الابتغاء (قوله لذلك يجمع مع اللام) أى ولان تنوين الجمع المؤنث السالم تنوين المقابلة لا تنوين التمكن اجتمع مع لام التعريف وما رأيت هذا الكلام فى غيره من الكتب قال الرضى انما يسقط التنوين مع لام التعريف لاستكراه اجتماع حرف التعريف مع حرف يكون فى بعض المواضع علامة التنكير وهذا الكلام يدل على منافاة التنوين مطلقا مع اللام (قوله وذهاب الكسرة تبع التنوين) هذا هو المذهب الراجح فلهم اختلفوا فى ان الممنوع بالذات من غير المنصرف هو التنوين والكسرة معا أو التنوين والكسرة تبع واختار المحققون الثانى قال الرضى والاقرب الثانى أعنى سقوط الكسرة تبعا للتنوين وذلك لان الكسرة تعود فى الضرورة مع التنوين تابعا له مع انه لا حاجة داعية الى اعادة الكسرة (قوله من غير عوض الخ) معناه أن ذهاب الكسر تبع لذهاب التنوين فى غير المنصرف بلا عوض اللام أو الاضافة

عن شوائب الهوى فلذلك خص أولى الالباب بهذا الخطاب (ليس عليكم جناح ان تبتغوا) أى فى ان تبتغوا أى تطلبوا (فضلا من ربكم) عطاء وروزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم فى الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت (فاذا أفضتم من عرفات) دفعتم منها بكثرة من أفضت الماء اذا صببته كثرة وأصله أفضتم أنفسكم فحذف المفعول كما حذف فى دفعت من البصرة وعرفات جمع سمى به كأذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهذا ليس كذلك أولان التأنيث امان يكون بالتاء المذكورة وهى ليست تاء تأنيث وانما هى مع الالف التى قبلها علامة جمع المؤنث أو بتاء مقدرة كما فى سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمى الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما أبصره عرفه أو لان جبريل عليه السلام كان يدور به فى المشاعر فلما أراه إياه قال قد عرفت أولان آدم وحواء تعارفا فيه فتعارفا أولان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة فى ذلك وهى من الاسماء المرتجلة لان يجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعد وهى مأمور بها بقوله تعالى ثم أفيضوا أو مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل مستحب وعلى تقدير

وعرفات ليس كذلك أى ليذهب منه التنوين لعدم الصرف حتى يتبعه الكسر فاذا كسر وانما حذف الكسر تبعا للتنوين فيما لا ينصرف للنص من أول الامر على ان حذف التنوين لعدم الصرف لا لشئ آخر هكذا قال الرضى ويمكن أن يقال لما كانا أى التنوين والكسر خاصين للاسماء صرنيا أحدهما بالآخر غاية الارتباط اذ كانهما يلفظ بهما دفعة وحذف منه التنوين تبعه الكسر (قوله أولان التأنيث) هذا دليل آخر على عدم منع دخول الكسر والتنوين لكن الدليل الاول فيه الزام منع الصرف مع انه جواز دخول الكسر والتنوين وفى هذا الدليل الزام الصرف وفى عبارته نظر لان قوله أولان التأنيث معطوف على قوله لان تنوين الجمع فيكون تحت قوله وانما نون وكسر وفيها العلمية والتأنيث فيصير المعنى وانما نون وكسر وفيها العلمية والتأنيث لان التأنيث الخ ولا يخفى ان قوله لان التأنيث الخ يفيد ان ليس تأنيث فى عرفات فيؤول المعنى الى انه وانما نون وكسر وفيهما العلمية والتأنيث لانه ليس فيه تأنيث وهذا حكم باجتماع النقيضين فتأمل (قوله وهى ليست بتاء التأنيث الخ) أى ليست التاء لمحض التأنيث وان دلت عليه فى الجملة (قوله وهى من الاسماء المرتجلة) أى عرفة من الاسماء الموضوعة أولا لهذا الموقف لا أن لها معنى آخر ثم نقل الى هذا المعنى فان قلت ما ذكر من وجوه النسمية يدل على انها مأخوذة من المعرفة قلنا هذا مجرد احتمال ليس بمرضى عند المحققين ولو سلم فلا يوجب كونه من الاعلام المنقولة لان مجرد القياس والجواز لا يكفى فى كون العلم منقولا بل لا بد ان يوجد فى الاستعمال كذا قاله العلامة التفتازانى فتأمل واعلم مما ذكرنا ان حق العبارة ان يقال وهى من الاسماء المرتجلة الا أن يتحقق استعمال عرفة جمعا للعارف وعبارته أوضح من عبارة الكشاف فانه قال وهى من الاسماء المرتجلة لان عرفة لا يعرف فى أسماء الاجناس الا أن يكون جمع عارف فان معناه بحسب الظاهر ان عرفة اذا كان جمع عارف يكون مما يعرف من أسماء الاجناس وحق العبارة أن يقال ان عرفة اذا كان جمع عارف يكون من أسماء الاجناس

(قوله والامر به غير مطلق) يعني ان الامر بالذكر ليس بمطلق بل مقيد بالافاضة فلا يلزم أن تكون الافاضة واجبة لان مقدمة الواجب المقيد قد لا تكون واجبة فان انتصاب مقدمة لوجوب الزكاة وهو أي الوجوب مقيد بالنصاب لكن تحصيله ليس بواجب قاله العلامة التفتازاني ويمكن بيان وجوب الوقوف بعرفة بان ذكر الافاضة بكلمة اذا الدالة على القطع وهو في حكم الشرع الوجوب كأنه قال الافاضة واجبة عليكم فاذا أتيتم بها فاذكروا الله ثم انها تقتضي سابقية الكون والاستقرار بعرفات ليكون مبدؤها منها وهو معنى الوقوف بها والحضور فيها أقول فيه نظر اما في الاول فلأنه يصح ان يقال اذا صليتم العيد فكبروا وهو لا يدل على وجوب صلاة العيد واما في الثاني فلما ذكرناه من ان كونها مبدأ الافاضة لا يتوقف على الوقوف بها كما قيل اذا أفضت من رأس الجبل فاعمل كذا لا يتوقف كون رأس الجبل مبدأ الافاضة على الوقوف به والجواب عن الاول بانا لا نسلم صحة العبارة المذكورة وهي اذا صليتم العيد فكبروا عند من لم يقل بوجوب العيد لا بحسب التوسع ولو سلم فهو خلاف الظاهر لكن الكلام فيما هو الظاهر وعن الثاني ان المراد من الوقوف بها الحضور فيها سواء وقف أو مر بها (قوله مأمر بها عرفة) المأمر طريق ضيق بين الجبلين (قوله ويؤيد الاول الخ) وجه التأييد ان الحديث يدل على ان اتيان المشعر الحرام كان بعد الركوب من المزدلفة وكان لدعاء

انه واجب فهو واجب مقيد لا واجب مطلق حتى تجب مقدمته والأمر به غير مطلق (فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشاءين (عند المشعر الحرام) جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة وواد يحسر وهو يؤيد الاول ما روى جابر انه عليه الصلاة والسلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى أسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة وصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه أفضل والافالمزدلفة كلها موقف الاودي محسر (واذكروه كما هداكم) كما علمكم أو اذكروه ذكرا حسنا كهداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية أو كافة (وان كنتم من قبله) أي الهدى (لمن الضالين) أي الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى وان نظنك لمن الكاذبين (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك أحسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر أي لابي يريد آدم من قوله سبحانه وتعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه (واستغفروا الله) من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه (ان الله غفور رحيم) يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه (فاذا قضيتم مناسككم) فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها (فاذكروا الله كذكركم آباءكم)

كان محل الكاف النصب بان يكون بمعنى المثل وان يكون صفة موصوف مصدر كذكرا وان كانت كافة لم يكن الكاف عاملا لانه حرف لان ما الكافة لا تلحق الكاف الا اذا كانت حرفا حتى تكفها عن العمل ولم يكن لها معمول أيضا لان ما الكافة تكفها عن العمل ثم انه اذا كانت ما كافة لم يبق معنى صحيح الا بتقدير شئ وهو أن يكون كشئ هداكم به فيبعد أن تجعل كافة حتى يحتاج الى كثرة تقدير ولم تجعل ما بمعنى الذي قال صاحب المغني ان بعضهم جعل ما في قوله تعالى كلهم آلهة كافة وبعضهم جعل ما موصولة والتقدير كالذي هو آلهة لهم وظني أن ما ذكر تكلف والحق ما قاله صاحب المغني من ان الكاف في كما هداكم للتعليل وما مصدرية أي اذكروه لتعليمه اياكم (قوله بجمع) اسم المزدلفة لاجتماع الناس فيها (قوله وثم لتفاوت الخ) فكأنه قيل أفيضوا من عرفات ثم لا تفيضوا من المزدلفة ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الافاضتين قال العلامة التفتازاني ان التفاوت والبعد في المرتبة انما يعتبر بين المعطوف والمعطوف عليه وهو ههنا عدم الاحسان الى غير الكريم وعدم الافاضة من المزدلفة لكن قد جرت عادة صاحب الكشاف انه يعتبر في أمثال هذه المواضع التفاوت بين المعطوف عليه وبين ما دخله النفي في المعطوف لا بينه وبين النفي ذكر في قوله وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ان ثم للدلالة على بعد ما بين توليهم الادبار وكونهم منصورين أقول الذي يخطر لي ان ثم للتفاوت بين الافاضتين المتحدتين ذاتا المتغايرتين اعتبارا فان

التقدير أفيضوا من عرفات ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهو عرفات أيضا فالاولى الافاضة من عرفات من حيث هي والثانية الافاضة منه أيضا لكن اعتبر من حيث انها أي الافاضة سنة قديمة وشرع مستمر جرت عليها الاعصار فتم الدلالة على هذا التفاوت وقدم مر نظير ذلك في تفسير قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (قوله والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم الخ) فيكون المعنى أي اذكروا أشد ذكرا أي أشد اذكرية فيلزم جعل الذكر ذكرا وههنا كلام وهو ان يكون المشبه به يجب أن يكون أقوى من المشبه والحال انه يجب أن يكون ذكر الله أقوى والجواب ان ذكرهم الآباء أشهر عندهم وهذا يكفي في كونه مشبها به فانه قد يكتفي في المشبه به بكونه أشهر وان لم يكن أقوى في ذاته (قوله أو على ما أضيف اليه على ضعف) للزوم العطف على المضمر المجرور من غير اعادة الخافض هذا مذهب البصريين وأما الكوفيون فجوزوا ترك الاعادة مستدلين بقراءة حمزة في قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام وقد مر ما قلناه عن الرضي فيه (قوله وذكرا من فعل المذكور) أو ذكرا مصدر الماهو مبني للمفعول لا الماهو مبني للفاعل (قوله تفصيل لما ذكرين الخ) قال العلامة التفتازاني فان قيل ههنا قسم آخر وهو من يطلب الآخرة فقط ولا يطلب شيأ من الدنيا قلنا ليس هذا القسم موجودا فلا تأب الآخرة فقط بحيث لا يحتاج الى حسنة لا يوجد في الدنيا أقول فيه (٢٢٨)

فاكثروا ذكره و بالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن أيامهم (أو أشد ذكرا) اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم أو كذكر أشد منه وأبلغ وعلى ما أضيف اليه على ضعف بمعنى أو كذكر قوم أشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى أو كذكركم أشد مذكورية من آبائكم أو بمضمر دل عليه المعنى تقديره أو كونوا أشد ذكرا لله منكم لآبائكم (فمن الناس من يقول) تفصيل لما ذكرين لما مقل لا يطلب بذكر الله تعالى الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد الحث على الاكثار والارشاد اليه (ربنا آتنا في الدنيا) اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا (ومالة في الآخرة من خلاق) أي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا أو من طلب خلاق (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة) يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير (وفي الآخرة حسنة) يعني الثواب والرحمة (وقنا عذاب النار) بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله تعالى عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار أمثلة لمرادها (أولئك) اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما (لهم نصيب مما كسبوا) أي من جنسه وهو جزاؤه أو من أجله

نظر لان الاحتياج الى الحسنة في الدنيا لا يستلزم طلبها فلعل طالب الآخرة قصر نظره على طلبها وجعل أمره الدنيوي الى مشيئة الله متوكلا عليه مفوضا أمره اليه راضيا بكل ما ورد عليه ولذا ورد في الحديث من جعل الهموم هما واحدا هم الآخرة كفاه الله هم دنياه وظني ان في هذا المقام وقعا كتفاء فانه ذكر قسمان وترك ثالث لانه اذا كان حال طالب الحسنة في الدنيا والآخرة ما ذكر كان حال طالب الآخرة فقط أحرى بان يكون مقرونا بالفوز والفلاح (قوله أو من طلب خلاق) قال العلامة التفتازاني كقوله فان قيل الطلب انما هو في الدنيا وأما في الآخرة فليس الا الحظ أو الحرمان قلنا لفظ في الآخرة ليس ظرفا للطلب بل معناه ليس له في الآخرة وبالنسبة اليها طالب نصيب أصلا أقول في السؤال والجواب نظر اما في السؤال فلانا لا نسلم عدم الطلب مطلقا في الآخرة غاية الامر أن يكون حصول المطلوب مترتبا على الطلب بالتراخ ان كان الطالب من أهل الجنة وعدم حصوله ان كان من أهل النار واما في الجواب فلانه تكلف مستغنى عنه والحق ان يقال ان تقدير الكلام وماله من خلاق أي طلب خلاق في الآخرة بان يكون في الآخرة متعلقا بخلاق وصفة له أي خلاق كائن في الآخرة وقدم لكونه ظرفا (قوله أي من جنسه) فيكون من تبعيضية أي بعض أفراد هذا الجنس وقوله أو من أجله فيكون من ابتدائية والمراد بمنزلة الفاعل قال العلامة التفتازاني وعلى تقدير ان يكون أولئك اشارة الى الفريقين تكون من تبعيضية لا ابتدائية فاعلية اذ ليس ما أعطي الفريق الاول من الامور الدنيوية بسبب أعمالهم الردية أقول يمكن ان يشمل الفريقين بان يكون الفريق الاول فاعلا لفعل حسن لكن لما لم يكونوا طالبين للآخرة عوض عن فعلهم الحسن في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق ثم انه لو أريد بالنصيب ما يقدر ان يدل الى الانسان سواء كان خيرا أو شرا يصح ان يشمل الفريق الاول أيضا اذ يمكن ان يترتب على فعلهم القبيح بلايا ومصائب في الدنيا والآخرة

(قوله أو ما دعوا به الخ) قال العلامة التفتازاني وان جعل كبهم عبارة عن دعائهم وطلبهم إياه الحسنيين يكون من تبعيضية بمعنى انهم لا يعطون الا البعض مما طلبوا وهو القدر الذي استوجبوه في الدنيا نظرا الى المصالح وفي الآخرة نظرا الى الاستحقاق أقول فيه نظر اما أولا فلاحتمال ان يعطى بعض الفريقين كل ما طلبوا في الدنيا أو في الآخرة والدنيا واما ثانيا فلان الاستيجاب والاستحقاق اللذين ذكرهما غير مطابق لمذهب أهل السنة الا ان يقال أجرى كلامه على طريقة المعتزلة كما هو مذهب صاحب الكشاف (قوله والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه) في هذا التعريف دور ودفع الدور ان يقال الجهل بسبب الشيء والاولى ان يقال التعجب بديهي والتعريف تنبيه فلا دور في الحقيقة (قوله في أمور الدنيا وأسباب المعاش) أراد به ان ههنا محذوفا ويكون التقدير هكذا في أمور الحياة الدنيا أي ما يتعلق بها وقوله أو في معنى الدنيا أراد به المقصد أو ما قصود ويكون المعنى يعجبك قوله في مقصد الحياة الدنيا أو مقصودها أي مقصود من مقاصدها وكذا لما فسر صاحب الكشاف الكلام بهذا التفسير أي فسر الحياة الدنيا بمعنى الدنيا قال لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا فتأمل والوجه الاوجه من الوجوه المذكورة ما ذكر أولا (قوله شديد العداوة) يفهم منه ان الالداد بأفعل التفضيل والالم يفسر بشديد بل بأشد والدليل على انه أفعل الصفة وليس بأفعل التفضيل انه جمع على لد ومؤنثه لداء وما بينى منه أفعل الصفة لا يبنى منه أفعل التفضيل فان قيل ما سيجيء من قوله وهو أشد الخصوم خصومة يدل على انه أشد الخصوم قلنا هذا لازم معناه لا ان معناه لاشد (قوله نزلت في صهيب الخ) على مقتضى الرواية المذكورة يكون يشري بمعنى يشتري لا بمعنى يبيع كما ذكره أولا

كقوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا أو ما دعوا به تطهيرهم منه ما قدرناه فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال (والله سريع الحساب) يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة أعمالهم في مقدار لمحة أو بوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات (واذكروا الله في أيام معدودات) كبروه في أدبار الصلاة وعند رمي الجمار وهي أيام التشريق (فمن تعجل) فمن استعجل النفر (في يومين) يوم القر والذي بعده أي فمن نفر في ثاني أيام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عند أبي حنيفة (فلا اثم عليه) باستعجاله (ومن تأخر فلا اثم عليه) ومن تأخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال وقال أبو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتأخير التخيير بينهما والرد على أهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر (لمن اتقى) أي الذي ذكر من التخيير أو من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به أو لاجله حتى لا يضر بترك ما يهمه منهما (واتقوا الله) في مجامع أموركم لعلمكم بأنكم اليه تحشرون) للجزاء بعد الاحياء وأصل الحشر الجمع وضم المتفرق (ومن الناس من يعجبك قوله) يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه (في الحياة الدنيا) متعلق بالقول أي ما يقوله في أمور الدنيا وأسباب المعاش أو في معنى الدنيا فنهما مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان أو يعجبك أي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يتربه من الدهشة والحيرة أو لانه لا يؤذن له في الكلام (ويشهد الله على ما في قلبه) يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه (وهو ألد الخصام) شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز أن يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى أشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم (واذا تولى) ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا (سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل) كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم وأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم أو كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف أو بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل (والله لا يحب الفساد) لا يرتضيه فاحذر واغضب عليه (واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم) حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر بإتقائه فجاء من قولك أخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه (فحسبه جهنم) كفته جزاء وعذابا يوم جهنم على الدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب (ولبئس المهاد) جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف وللعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب (ومن الناس من يشري نفسه) يبيعها أي يبذلها في الجهاد أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل (ابتغاء مرضاة الله) طلبا لرضاه قيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي أخذه المشركون وعذبوه ليرتد

(قوله كافة اسم للجمله لانها تكف الاجزاء عن التفرق) هكذا ذكره العلامة التفتازانى أقول فى كون الجملة من حيث هى جملة مانعة من تفرق الاجزاء بحث الا ان يقال المراد من الشرع ان اجتماع الجملة يمنع التفرق وبنافيه والاولى ان يقال لان الجملة تكف وتمنع مالا يمنعه كل جزء (قوله بكليتكم) أى لا يبقى شئ بكليتكم الا والاسلام يستقر فيه لا يبقى مكان لغيره فكافة على الاحتمال الاول ولى الثانى حال عن الضمير وعلى الثالث والرابع عن السلم فان قيل ان الحال يجب ان يكون حالا من الفاعل أو المفعول والسلم ظرف ليس واحدا منهما قلنا هو قسم من أقسام المفعول به لانهم قسموا المفعول به الى ما كان بواسطة الحرف وبغير واسطة فان قيل كيف يصح ان لا يبقى مكان لغيره ولا بد للانسان من ضبط أمور (٢١٠) المعايش مع انه لا حاجة الى ذلك بل لا بد ان يسرى السلم الى كل الاجزاء واما انه لا يدخل فيها شئ آخر فان حاجة اليه فلا منافى كلامه انه لا يبقى مكان مختص بغيره أو يقال اذا كان ضبط طريق المعاش بطريق الشرع كان من جملة السلم حينئذ (قوله بالتفرق والتفريق) التفرق ان يدخل بعضهم فى السلم دون بعض والتفريق ان يدخلوا فى بعض أمور الاسلام دون بعض فيفرقون بين أمور الدين أو يفرق بين الانبياء والشرائع كما قال تعالى لا نفرق بين أحد من رسله أى لا نفرق بينهم فى الايمان بان نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم (قوله الآتون ببأسه على الحقيقة) أى فاعل الآتون مع بأسه لان فاعل الاتيان بل فاعل كل شئ هو الله تعالى عند أهل الحق فان قيل هم ما ينظرون ذلك قلنا المراد تمثيل حالهم بحال من ينظر ذلك فانهم لما حصلوا ما استوجبوا العذاب شبه حالهم بحال من انتظره فاستعمل العبارة المذكورة فيهم أو المعنى ما ستحقوا والا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام (قوله وقضى الأمر) عطف على هل ينظرون الا ان يأتيهم الله لان هذه الجملة اخبار فى المعنى وان كان انشاء فى الصورة (قوله وكم خبرية أو استفهامية) على تقدير ان تكون خبرية فاسؤال عن حالهم وسبب طغيانهم وجحودهم الحق فيكون المسؤل عنه غير مذكور وعلى تقدير ان تكون استفهامية فالاستفهام للتقرير أى حملهم على الاقرار بنزول الآيات الكثيرة وكم آتيناهم قيل انه فى موضع المصدر أى سلهم هذا السؤال وقيل انه مفعول به وقيل بيان للمقصود وهذه كما ترى لا تخلو عن شئ (قوله وكم نصب على المفعولية) أى على الخبر

فقال ابى شيخ كبير لا ينفعه كان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلونى وما أنا عليه وخذوا مالى فقبلوه منه وأتى المدينة (والله رؤف بالعباد) حيث أرشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق فى الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائى وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير أو السلم لانها تؤنث كالحرب قال

السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

والمعنى استسلموا لله وأطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين أو اداخلوا فى الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب للمؤمنى أهل الكتاب فالمعنى بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل وألبانها أو فى شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب أو فى شعب الاسلام وأحكامه كلها فلا تخلوا بشئ والخطاب للمسلمين (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) بالتفرق والتفريق (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (فان زللتم) عن الدخول فى السلم (من بعد ما جاءتكم البينات) الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق (فاعلموا أن الله عزيز) لا يعجزه الانتقام (حكيم) لا ينتقم الا بحق (هل ينظرون) استفهام فى معنى النفى ولذلك جاء بعده (الا أن يأتيهم الله) أى يأتيهم أمره أو بأسه كقوله تعالى أو يأتى أمر ربك فجاءها بأسنا أو يأتيهم الله ببأسه فحذف الاتى به للدلالة عليه بقوله تعالى ان الله عزيز حكيم (فى ظلل) جمع ظلة كقلة وقلل وهى ما أظلك وقرئ ظلال كقلال (من الغمام) السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاءه العذاب كان أفظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير (والملائكة) فانهم الواسطة فى اتيان أمره أو الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل أو الغمام (وقضى الامر) أتم أمر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضى موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة (والى الله ترجع الامور) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم على البناء للمفعول على انه من الرجوع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ أيضا بالتذكير وبناء المفعول (سل بنى اسرائيل) أمر للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد والمراد بهذا السؤال تقرير بعض (كم آتيناهم من آية بينة) معجزة ظاهرة أو آية فى الكتب شاهدة على الحق والصواب على أيدى الانبياء وكم خبرية أو استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية أو الرفع بالابتداء على حذف العائد من

المذهولية لآتيناهم قدمت لتصدرها (قوله ومن للفصل) قال العلامة التفتازانى قالوا اذا فصل بين كم وميزها حسن ان يؤتى بمن وقال الرضى واذا كان الفصل بين كم الخبرية وميزها بفعل متعد وجب الاتيان بمن لئلا تلتبس بمفعول ذلك الفعل المتعدى وحال كم الاستفهامية المجرور وميزها مع الفصل كحال كم الخبرية فى جميع ماذكر وبين هذين النقلين اختلاف من وجوه أحدها ان النقل الاول يدل على ان حكم الفصل مطلقا ذلك والثانى يدل على ان الآتيان بمن فيها اذا كان الفصل بفعل متعد وثانيها ان الاول يدل على حسن الفصل ولا يدل على الوجوب بخلاف الثانى وثالثها أن الاول يدل على ان حكم كم مطلقا ذلك والثانى على انه مخصوص كم الخبرية وكم الاستفهامية المجرور وميزها ويمكن ان يقال فى دفع الاختلاف ان الفصل بمن حسن مطلقا وهو مقتضى النقل الاول وان الفصل بها واجب فى صورة مخصوصة وهى ماذكره الرضى ولا منافاة بين الحسن فى جميع الصور وبين الوجوب فى بعضها (قوله بعد ماوصلت اليه وتمكن من معرفتها) فيه أمور أحدها انه فيه نوع تكرار لان الوصول معلوم مما سبق لان لفظ الايتاء والتبديل ينبئ عن المجىء والوصول فلا بد من القول بان جاءته ههنا مستعمل فى المعنى المجازى ولهذا قال صاحب الكشاف معناه من بعد ما تمكن من معرفتها والمراد حتى المعرفة الثانى انه قال وتمكن من معرفتها ثم قال بدلوها بعد ما عقلوها وهذا الاخير يكفى ان يقال فى تفسير قوله تعالى من بعد ماجاءته من بعد ما عقلوها وكان ذكر الوصول والتمكن من المعرفة مستدركا فتأمل الثالث انه قال وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها وهو لا يناسب التفسير المتقدم وهو قوله وتمكن من معرفتها فان قلت كيف ترتب هذا الجزاء وهو قوله تعالى فان الله شديد العقاب على الشرط والحال ان هذا الجزاء مقدم على الشرط فان الله تعالى متصف فى الازل بكونه شديد العقاب قلنا لمعنى ومن يبدل نعمة الله من بعد ماجاءته يعاقبه الله أشد عقوبة لان الله شديد العقاب أولان هذا الشرط سبب الاخبار بانه شديد العقاب كذا قاله العلامة التفتازانى وكونه سبب الاخبار المذكور باعتبار ان فاعله يستحق التهديد والتخويف والاخبار بانه تعالى شديد العقاب فكأنه قال ومن يبدل نعمة الله يستحق أن يخبر بان الله شديد العقاب (قوله مزين بالعرض) أى كل منهما يطلق عليه انه مزين باعتبار جريان العادة على ان عند حصول هذه الاشياء حصل التزيين وفيه رد على الكشاف حيث جعل المزين الشيطان بناء على مذهبه من انه لا يصدر عن الله تعالى قبيح واذا نسب اليه لا بد من تأويل وهوأى التزيين عندهم فيما نحن فيه عبارة عن خذلانهم وامهالهم حتى استحبوا الحياة الدنيا (قوله ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى) فيه انه بدل على انه لو لم يكونوا متقين لم يكونوا مستعلين عليهم الكفار وليس كذلك بل المؤمنون كلهم لهم استعلاء على الكفار الأن يراد بالتقوى التقوى من الشرك (قوله متفقين على الحق) قال صاحب الكشاف يريد فاختلفوا فيه وفى قراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث والدليل عليه قوله عز وجل وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث النبيين فاختلفوا عليهم والاول وجه قال العلامة التفتازانى لدلالة الآية والقراءة عليه ولكون الاتفاق على الايمان كما فى أول زمن آدم وآخر زمن نوح مقررا محققا بخلاف الاتفاق على الكفر أقول كون الآية والقراءة

الخبر الى المبتدأ وآية تميزها ومن للفصل (ومن يبدل نعمة الله) أى آيات الله فانها سبب الهدى الذى هو أجل النعم بجعلها اسباب الضلالة وازديادا الرجس أو بالتحريف والتأويل الزائغ (من بعد ماجاءته) من بعد ماوصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ماعقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل (فان الله شديد العقاب) فيعاقبه أشد عقوبة لانه ارتكب أشد جريمة (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) حسنت فى أعينهم وأشربت محبتها فى قلوبهم حتى تهالكوا عليها وأعرضوا عن غيرها والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شئ الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلقه الله فيهما من الامور الجبهية والاشياء الشهية مزين بالعرض (ويسخرون من الذين آمنوا) يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب أى يستهزئون بهم ويستجهلونهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كأنهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة) لانهم فى عليين وهم فى أسفل السافلين أو لانهم فى كرامة وهم فى مذلة أو لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم فى الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى (والله يرزق من يشاء) فى الدارين (بغير حساب) بغير تقدير فيوسع فى الدنيا استدراجا تارة وابتلاء أخرى (كان الناس أمة واحدة) متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس أو نوح أو بعد الطوفان أو متفقين على الجهالة والكفر فى فترة ادريس أو نوح (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) أى فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قرله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذى علمته

دالة على انهم كانوا متفقين على الحق فيه خفاء اذ يمكن كون الناس كفارا على دين واحد باطل ثم صاروا مختلفين فى أديانهم الباطلة فبعث الله النبيين لتحكم بينهم فيما اختلفوا فيه بان يبطلوا أديانهم الباطلة والجواب عنه انه لو كان كذلك لكان الاولى البعث قبل الاختلاف وعبارة المصنف خالية عن الاشعار بالترجيح الذى ذكره صاحب الكشاف ولا بد منه (قوله بريد به الجنس ولا بريد الخ) رد على الكشاف حيث قال أو مع كل واحد منهم كتابه قال العلامة الطيبى هذا الثانى أيضا صحيح لان النبيين عام فخص لتقييده بقوله وأنزل معهم الكتاب بالمشهورين الذين أنزل معهم الكتاب أقول يمكن أيضا أن يقال ان النبيين على العموم ونسبة انزال الكتاب تغليب فان بعضهم أنزل عليهم الكتاب والبعض الآخر تابع لهم ففلب الاول على الثانى ونظير ذلك كثير (قوله وما اختلف فيه فى الحق والكتاب) فان قلت قوله تعالى وما اختلف فيه يدل على ان بعض الناس محق وبعضه مبطل لكن الحصر المذكور يدل على ان كلهم مبطل لانه أفاد ان الاختلاف لا يكون الا من الذين أوتوا الكتاب بغيا بينهم قلنا كون الاختلاف بسبب البغى لا يستلزم ان يكون كلهم على الباطل بل يجوز ان يكون بعضهم على الحق لكن مخالفة بعضهم الحق يكون للبغى (قوله فجعلوا ما أنزل من حجا للاختلاف سببا لاستحكامه) هذا يدل على ان ما اختلف بمعنى ما استحكم واستمر اختلافهم وانما فسر بذلك لان الكلام السابق وهو ان التقدير فاختلفوا فبعث الله النبيين يدل على الاختلاف قبل بعث النبى وقوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات يدل على تأخر الاختلاف عنه فبينهما اختلاف

واذا فسر الاختلاف باستحكامه حصل الاقناع وارتفع الاختلاف

من عدد الانبياء مائة وأربعة وعشرون ألفا والمرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والمنزل كورقى القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون (وأنزل معهم الكتاب) يريد به الجنس ولا يريد به انه أنزل مع كل واحد كتابا يخصه فان أكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم (بالحق) حال من الكتاب أى ملتبسا بالحق شاهدا به (ليحكم بين الناس) أى الله أو النبى المبعوث أو كتابه (فيما اختلفوا فيه) فى الحق الذى اختلفوا فيه وأوقعوا التباس (وما اختلف فيه) فى الحق أو الكتاب (الا الذين أوتوه) أى الكتاب المنزل لازالة الخلاف أى عكسوا الامر فجعلوا ما أنزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه (من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم) حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) أى للحق الذى اختلف فيه من اختلف (من الحق) بيان لما اختلفوا فيه (باذنه) بأمره أو بارادته ولطفه (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) لا يضل سالكه (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) خاطب به النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجىء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفتهم وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار

(قوله ومعنى الهمزة فيه الانكار) قال صاحب الكشاف الهمزة فيه للتقرير والانكار وكلام المصنف أحسن هذا حفظ المصنف روح الله روحه اذ لا فائدة فى الحمل على التقرير أى الحمل على الاقرار على ما صرح به العلامة التفتازانى بل المقصود انكار ذلك الحسبان بمعنى انه لا ينبغى ان يكون ذلك لكن يرد ههنا انه صرح بأن النبى عليه الصلاة والسلام داخل فى المخاطبين وكيف ينسب ذلك الحسبان اليه الا ان يقال نسبه اليه صلى الله عليه وسلم على سبيل التغليب كما قالوا فى قوله تعالى أو لتعودن فى ملتنا ان نسبة العود الى الكفر الى شعيب عليه السلام على التغليب قال العلامة الطيبى أراد صاحب الكشاف ان المخاطبين بقوله أم حسبتم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيجب وجود هذا الحسبان منهم لان التقرير والانكار والاستبعاد يقتضى ذلك وكان كذلك لما روينا عن البخارى وأبى داود والنسائى عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد لقينا من المشركين شدة فما لنا لا تستنصر لنا لا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الارض ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه أقول فظهر ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مخاطبون بذلك الخطاب والهمزة للانكار وذلك يقتضى وجود الحسبان منهم فان الحديث صريح فى ان ذلك الحسبان للصحاب لا للنبى عليه السلام واعلم ان صاحب الكشاف صرح بان فى هذه الآية التفاتا ولما خفى وجهه تركه المصنف وتوجيه الالتفات على ما ذكره العلامة الطيبى ان قوله تعالى كان الناس أمة واحدة الآية كلام مشتمل بظاهره على ذكر اختلاف الامم السالفة والقرون الخالية وعلى ذكر من بعث اليهم من الانبياء وما لاقوا منهم من الشدائد بعد اظهار المعجزات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر على المشركين فمن هذا الوجه كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه مرادين من هذا الكلام غائبين يؤيده قوله فهدى الله الذين آمنوا فاذا قيل بعد ذلك حسبتم كان نقلا من الغيبة الى الخطاب

والكلام الاول تعريض للمؤمنين بعدم التثبت والتصبر لاذى المشركين وكانه وضع ذلك موضع كان من حق المؤمنين التشجع والصبر تأسيا بمن قبلهم كما صرح به الحديث النبوى وهو المضرب عنه ببل التى تضمنها أم أى دع ذلك أحسبوا أن يدخلوا الجنة لآية فيؤل ذلك الى الخطاب أقول حاصل كلامه ان الالتفات عند صاحب الكشاف هو التعبير عن شئ باحد الطرق الثلاثة مع ان من شأنه التعبير عنه بطريق آخر بحسب الظاهر ولا يستلزم الالتفات التعبير عن الشئ سابقا بالفعل وههنا كذلك ولا يخفى ما فيه من التكلف (قوله وفيها توقع الخ) قال العلامة الطيبى قال فى الاقليد انما تضمنت معنى التوقع لانها جعلت نقيضة قد وفى قد معنى التوقع تقول قد ركب الامير لقوم ينتظرون ركوبه وقولك لما يركب معناه ما وجد بعد ما كنت تتوقعه أقول لا يظهر معنى التوقع ههنا من المخاطبين فان سبب النزول على ما نقلنا لا يدل على ذلك بل الظاهر انكار حسبان دخول الجنة مع عدم اتيان البأساء والضراء فليتأمل (قوله حكاية حال ماضية) يعنى ان شرط نصب حتى ان يكون مستقبلا اما حقيقة أو بالنظر الى ما قبلها

واعتبر كذلك فاذا نظر الى كون القول المذكور مستقبلا نظرا الى ما قبله نصب واذا اعتبر انه حكاية حال ماضية رفع لفوات شرط النصب (قوله سئل عن المنفق فأجاب ببيان المصرف) الاولى أن يقال سئل عن المنفق فأجاب ببيان المصرف الذى هو أهم على نحو تضمن بيان المنفق وعبارة الكشاف حيث قال قد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف أحسن من عبارة المصنف (قوله مصدر نعت به للمبالغة) كلامهم دال على انه ليس تقدير فى قوله وهو كره لكم كما صرحوا به فى انما هى اقبال وادبار ويرد عليه انه لو لم يقدر لم يكن التركيب صحيحا واما المبالغة فانما نشأت من حمل المصدر عليه ظاهرا وان كان ذو مقدرا كما قالوا ان الاصابع فى قوله يجعلون أصابعهم فى آذانهم بمعنى الانامل لكن التعبير عن الانامل بالاصابع يفيد المبالغة (قوله وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه الخ) فيه اشارة الى رد سؤال كان قائلا يقول كراهة التكاليف ليست من شأن المؤمنين فأجاب بان الكراهة أمر طبيعى لا مدخل للاختيار فيه فلا ينافى كمال الايمان ويفهم من كلامه ان ما يكرهونه مخصوص بما كلفوا به شرعا لكن قد يكره الشخص أمرا دنيويا متضمنا للخير الدنيوى فهو خير له فلو أريد به ما يشمل هذا الامر لكان أعم فائدة الا أن يقال لا التفات الى الامر الدنيوى الصرف وأيضا ما سبق هو مما كلفوا به (قوله وانما ذكر عسى الخ) يعنى ان كون الشئ محبوبا أو مكروها لما لم يكن أمرا ثابتا لانقلاب الامر بعد التحقيق قيل عسى لانه مستعمل فى غير المحقق وفيه نظر لان محبة الشئ الذى هو شر وكذا كراهة الشئ المحبوب أمر متحقق كثير الوقوع فبقى ايراد السؤال على لفظ عسى والحق أن يقال ان عسى من

(ولما يأتكم) ولم يأتكم وأصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعلت مقابل قد (مثل الذين خلوا من قبلكم) حالهم التى هى مثل فى الشدة (مستهم البأساء والضراء) بيان له على الاستئناف (وزلزلوا) وأزعجوا ازعاجا شديدا بما أصابهم من الشدائد (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) لتناهى الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على أنه حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه (متى نصر الله) استبطاء له لتأخره (ألا ان نصر الله قريب) استئناف على ارادة القول أى فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى أن الوصول الى الله تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات (يسألونك ماذا ينفقون) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن عمرو بن الجموح الانصارى كان شيخا هماذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت (قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه أهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان فى سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا فى الآية واقتصر فى بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما أنفقتم من خير (وما تفعلوا من خير) فى معنى الشرط (فان الله به عليم) جوابه أى ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفى ثوابه وليس فى الآية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة أو فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف أو بمعنى الاكراه على المجاز كانهم أكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها (وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم) وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم (وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم) وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضى بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها (والله يعلم) ما هو خير لكم (وأنتم لا تعلمون)

انه يقين قال الرضى قال الجوهرى عسى من الله تعالى واجبة لاستحالة الطمع والاشفاق وقوله عسى ربه ان طلقكن الآية للتخويف كما ان أوفى كلامه للتشكيك لا لشك وقال أبو عبيدة عسى من الله تعالى ايجاب على احدى لغتى العرب ان عسى للرجاء واليقين فيجب أن يكون ايراد عسى لما ذكرنا لا لما ذكره المصنف (قوله والسائلون هم المشركون الخ) قال العلامة النيسابورى أكثر المفسرين على ان السائلين هم المسلمون ولا بد كما ذكره المصنف من انه صلى الله عليه وسلم رد العير والاسارى (قوله لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة) يشعر بان نزولها سبب الاخذ وهو غير ظاهر ولعل المراد انه وقت النزول وقع الاخذ (قوله وكفر به أى بالله) فيه شيآن أحدهما ان القتال فى الشهر الحرام ليس بكفر الثانى ان فى الآية تكرارا لان القتال اذا كان كفرا كان كفرا فيكفى أن يقال أول الامر انه كفر والجواب عن الاول انه كان كفرا من اعتقد الحل وعن الثانى ان فيه ترقيا وكانه قيل أولا انه ذنب كبير بل كفر فالعطف باعتبار تغاير المفهوم وان كان ماصدقا على واحد

(قوله ونار) أى كل نار (قوله اذ لا يقدم العطف على الموصول الخ) المراد بالموصول ههنا الصد وعن سبيل الله صلته (قوله ولا على الهاء فى به الخ) وأيضا فلا معنى للكفر بالمسجد الحرام الا بتكلف قال العلامة التفتازانى كتب صاحب الكشاف حاشية فى هذا الموضع حاصلها ان عطف وكفر به على صد عن سبيل الله انما جاز قبل تمامه صلته التى من جملتها والمسجد الحرام المعطوف على سبيل الله لوجهين الاول ان الكفر بالله والصد عن سبيله متحدان معنى وكانه لا فصل بالاجنبى

ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها (يسألونك عن الشهر الحرام) روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية فى جمادى الآخرة قبل بدر بشهر بن ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمى وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذ عر فيه الناس الى معايشهم وشق ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبة وردد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهى أول غنيمة فى الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه فى ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل أصحاب السرية (قتال فيه) بدل اشتمال من الشهر الحرام وقرئ عن قتال بتكرير العامل (قل قتال فيه كبير) أى ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال فى الشهر الحرام مطلقا فان قتال فيه نكرة فى حيز مثبت فلا يعم (وصد) صرف ومنع (عن سبيل الله) أى الاسلام أو ما يوصل العبد الى الله سبحانه وتعالى من الطاعات (وكفر به) أى بالله (والمسجد الحرام) عطف على ارادة المضاف أى وصد المسجد الحرام كقول أبى دؤاد

أكل امرئ تحسبين امرأ ✽ ونار توقد بالليل نارا

ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء فى به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار (واخراج أهله منه) أهل المسجد الحرام وهم النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون (أكبر عند الله) مما فعلته السرية خطاء بناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وأفعل مما يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (والفتنة أكبر من القتل) أى ما ترتكبونه من الاخراج والشرك أفظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمى (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم) اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك أعبد الله حتى أدخل الجنة (ان استطاعوا) وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بى فلا تبق على وايذان بانهم لا يردونهم (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك

مطلق القتال فى الشهر الحرام من غير تخصيص ببعض دون بعض فالوجه العموم كما فى قولهم تمرة خير من جرادة (قوله كما هو مذهب الشافعى) قال العلامة التفتازانى بناء على انه لو أحبطت الاعمال مطلقا لما كان للتقييد بقوله فيمت وهو كافر فائدة واحتج أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه بقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وأجيب بانه يحمل على المقيد عملا بالدليلين ورد بان ذلك انما يكون اذا كان القيد فى الحكم واتحدت الحادثة واما فى السبب فلا يجوز أن يكون المطلق سببا كالمقيد أقول اذا كان المطلق سببا لا يكون المقيد من حيث هو مقيد سببا بل السبب هو المطلق الحاصل فى ضمنه فلا يكون للتقييد دخل فى الحكم فلا فائدة فى ذكر القيد وههنا موضع نظر ثم قال ثمرة الخلاف تظهر فيمن صلى ثم ارتد نعوذ بالله ثم أسلم يلزمه عند أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه قضاء تلك الصلاة خلافا للشافعى رضى الله تعالى عنه وفيه نظر أقول لعل وجه النظر ان حبوط العمل انما هو بابطال أجره أى لا يترتب ثواب عليه لا

حبطت أعمالهم) قيد الردة بالموت عليها فى احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهى لغة فيه (فى الدنيا) لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية (والآخرة) بسقوط الثواب (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) كسائر الكفرة (ان الذين آمنوا) نزلت أيضا فى أصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم أجر (والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله) كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كأنهما مستقلان فى تحقيق الرجاء (أولئك يرجون رحمة الله) ثوابه أثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع فى الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم (والله غفور) لما فعلوا خطأ وقلة احتياط (رحيم) باجزال الاجر والثواب (يسألونك عن الخمر والميسر) روى انه نزل بمكة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا أفتنا يا رسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم أحدهم فقرأ قل يا أيها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من يشربهما ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن أبى وقاص فى نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه أنصارى بلحى بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر رضى الله عنه انتهينا يارب والخمر فى الاصل مصدر خمره اذا ستره سمى بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كأنه يخمر العقل كما سمى سكرا لانه يسكره أى يحجزه وهى حرام مطلقا وكذا كل ما أسكر عند أكثر العلماء وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر أيضا مصدر كالموعد سمى به القمار لانه أخذ مال الغير بيسر أو سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله تعالى (قل فيهما) أى فى تعاطيهما (اثم كبير) من حيث انه يؤدى الى الانتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور وقرأ حمزة والكسائى كثير بالثاء (ومنافع للناس) من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفى الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير

انه يلزم قضاؤه (قوله وحتى للتعليل) لك ان تقول يمكن أن يكون للانتهاء أى ولا يزالون يقاتلونكم الى أن يردوكم عن دينكم ويمكن ان يقال هذا غير مناسب اذ هم لم يرتدوا أصلا فالمناسب التعليل (قوله لبطلان ما تخيلوه) هو تخيلهم فى الاسلام ان عملهم المرضى سبب نجاتهم فانه اذا ارتد الشخص وفى علم الله تعالى انه يستمر على الردة الى الموت نعوذ بالله تعالى صار اعتقاده ان أعماله موجبة لنجاته خيالا باطلا (قوله أولئك يرجون رحمة الله) يعنى يستحقون أن يرجوا رحمة الله وهذا مناسب لهم والا فكل مؤمن يرجوا رحمة الله والمراد من الرحمة الكاملة (قوله أثبت لهم الرجاء الخ) الامر الاول بيان فائدة اثبات الرجاء لهم والاخيران مصححان لهذا الاثبات والمراد من عدم قطع الدلالة انه لا يدل مجرد العمل على الرحمة اذ لها شروط مثل الاخلاص فى العمل والعلم بتحققها فى غاية العسر (قوله حيث يؤدى الى الانتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور) أى ليس معنى قوله تعالى فيهما اثم كبير ان شرب الخمر حرام وكذا الميسر والا لانتهوا جميع الصحابة عن شربها بعد نزول الآية وكانوا ممنوعين منها لكن الروايات المذكورة دلت على خلاف ذلك وسيجىء الاشارة الى ما ذكرنا حيث قال والاظهر انه ليس كذلك لما مر واعلم ان العلامة النيسابورى قال فى تفسيره انه ليس فى الآية بيان انهم عن أى شئ سألوا فيحتمل انهم سألوا عن حقيقته وماهيته ويحتمل انهم سألوا عن حل الاندفاع وحرمته ويحتمل انهم سألوا عن حل شربه وحرمته الا أنه تعالى لما أجاب بذكر الحرمة دل تخصيص الجواب على ان ذلك السؤال كان واقعا عن الحل والحرمة واما كيفية دلالة الآية على الحرمة فهى انها

مشتمله على ان فى الخمر اثما والاثم حرام وقد جعل الله الاثم لازما لماهية الخمر فيلزمها الاثم على جميع التقادير من الشرب وغير ذلك من وجوه الانتفاع وانما لم يقنع كبار الصحابة بهذه الآية طلبا لما هو آكد فى التحريم ثقة واطمئنانا اه كلامه وهو صريح فى أن هذه الآية حاكمة بحرمة شرب الخمر وعلى هذا يشكل بشرب بعض أكابر الصحابة بعد نزول هذه الآية (قوله قل العفو) لك ان تقول عبارة السؤال فى الموضعين واحد فكيف يختلف المعنى وعلى تقديره لم يعلم المراد فى الموضعين قلنا يعلم المراد فى الموضعين بقرينة الجواب ففى الموضع الاول لما أجيب بما يصلح أن

يتفق من الخير علم ان السؤال عن المنفق وفى الثانى لما أجيب عن السؤال بالعفو علم ان السؤال عن كيفية الانفاق ومضمون الكلام فى الاول يسألونك أى شئ ينفقونه وفى الثانى يسئلونك على أى طريقة ينفقون أينفقون أيضا متيسرا أو أعم منه أى سواء كان متيسرا أو متعسرا فاجيب بانفاق المتيسر السهل لا المتعسر (قوله أى مثل ما بين ان العفو أصلح الخ) لك أن تقول هذا أمر قريب والمشار اليه بذلك بعيد والجواب ان الشئ لما تكلمو به صار بعيدا وقد مر ذلك فى ذلك الكتاب وقال العلامة لتفتازانى ان قوله تعالى فى الدنيا والآخرة ما ان يتعلق بيتفكرون أو بيبين الله وعلى الاول فقوله كذلك أى ذلك التبيين اما أن يكون اشارة الى جواب يسألونك ماذا ينفقون أو الى جواب يسألونك عن الخمر والميسر وعلى الثانى لم يتبين المشار اليه بقوله كذلك فكأنه جميع ما سبق من البيانات أقول يمكن ان يقال لما بين صاحب الكشاف المشار اليه على الاول اكتفى به اذ لا فرق بينهما فى أن المشار اليه بذلك اما تبيين كون العفو أصلح أو تبيين جواب سؤال عن الخمر والميسر فان قيل مثل هذين التبيينين ليس فى الآخرة اذ ليس فيها أحكام وتكاليف قلنا المراد يبين الله لكم الآيات فى أمر الدنيا والآخرة وما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون فتعملون بما هو أنفع (قوله وتتسع له الطاقة) هذا يدل على ان عدم مداخلة اليتامى خارج عن وسع الطاقة وليس كذلك فمعنى وسع الطاقة ههنا التيسر ولا يخفى ان عدم مداخلة اليتامى لاصلاحهم ليس بمتيسر بل متعسر (قوله وقرئ بالضم) أى قرئ لا تنكحوهن بضم التاء والمعنى واحد

المروة وتقوية الطبيعة (واثمهما أكبر من نفعهما) أى المفاسد التى تنشأ منهما أعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر لان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل ولا ظهر انه ليس كذلك لما مر من ابطال مذهب المعتزلة (ويسألونك ماذا ينفقون) قيل سائله أيضا عمرو بن الجموح سأل أولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق (قل العفو) العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال

خذى العفو منى تستديمى مودتى * ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

وروى أن رجلا أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببيضة من ذهب أصابها فى بعض المغانم فقال خذها منى صدقة فاعرض عليه الصلاة والسلام عنه حتى كرر عليه مرارا فقال هاتها مغضبا فأخذها فحذفها حذفا لو أصابه لشجه ثم قال يأتى أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وقرأ أبو عمرو برفع العفو (كذلك يبين الله لكم الآيات) أى مثل ما بين ان العفو أصلح من الجهد أو ما ذكر من الاحكام والكاف فى موضع النصب صفة لمصدر محذوف أى تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع (لعلكم تتفكرون) فى الدلائل والاحكام (فى الدنيا والآخرة) فى أمور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع فيهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم أو يضركم أكثر مما ينفعكم (ويسألونك عن اليتامى) لما نزلت ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (قل اصلاح لهم خير) أى مداخلتهم لاصلاحهم أو اصلاح أموالهم خير من مجانبتهم (وان تخالطوهم فاخوانكم) حث على المخالطة أى انهم اخوانكم فى الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة (والله يعلم المفسد من المصلح) وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح أى يعلم أمره فيجازيه عليه (ولو شاء الله لأعنتكم) أى ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم أى كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهى المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم (ان الله عزيز) غالب يقدر على الاعنات (حكيم) يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) أى ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم أى ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان أهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله تعالى سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب روى انه عليه الصلاة والسلام بعث مرثدا

الغنوى

(قوله ولأمة مؤمنة خير من مشركة) فيه انه يفيد ان فى المشركة نفعا لكن المؤمنة خير منها وليس كذلك اذ لا نفع فى المشركة لا يقال لعل الخير ههنا ليس صيغة التفضيل بل بمعنى النافع لانا نقول اذا استعمل الخير بل افعل من فلا بد ان يكون للتفضيل والجواب ان التفضيل يفيد أن يكون المفضل عليه يشارك المفضل تحقيقا أو تقديرا كما قال الله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا أى ان كان فى النار خير كما يقتضيه حال الكفرة فى اختيارهم ما يوجب النار فلا بد أن تكون الجنة خيرا منها كذا قاله الرضى فمعنى الآية ولامة مؤمنة خير من مشركة لو فرض ان فى المشركة صلاحا وفائدة ويمكن أن يقال ان النفع أعم من الدينى والدنيوى وللمشركة لنفع الدنيوى وهذا حظ النفس (قوله والواو للحال ولو بمعنى ان) انما جعل لو بمعنى (٢٣٧) ان لان المراد الاستقبال لا الماضى أى

الغنوى الى مكة ليخرج منها أناسا من المسلمين فأتته عناق وكان يهواها فى الجاهلية فقالت ألا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك أن تتزوج بى فقال نعم ولكن أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت (ولامة مؤمنة خير من مشركة) أى ولامرأة مؤمنة حرة كانت أو مملوكة فان الناس كلهم عبيد الله وإماؤه (ولو أعجبتكم) بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه (ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) تعليل للنهى عن مواصلتهم وترغيب فى مواصلة المؤمنين (أولئك) اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات (يدعون الى النار) أى الكفر المؤدى الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم (والله) أى وأولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم (يدعو الى الجنة والمغفرة) أى الى الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة (باذنه) أى بتوفيق الله تعالى وتيسيره أو بقضائه وارادته (ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) لكى يتذكروا أو ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز فى العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى (ويسألونك عن المحيض) روى ان أهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يؤاكلونها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى أن سأل أبو الدحداح فى نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجىء والميت والعلم سبحانه وتعالى انما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت فى أوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع (قل هو أذى) أى الحيض شئ مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه (فاعتزلوا النساء فى المحيض) فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه أذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة (ولا تقربوهن حتى يطهرن) تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائى وعاصم فى رواية ابن عياش يطهرن أى يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله (فاذا تطهرن فأتوهن) فانه يقتضى تأخير جواز الاتيان عن الغسل وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه اذا طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل (من حيث أمركم الله) أى المأتى الذى أمركم الله به وحلله لكم (ان الله يحب

أقول هذا اشارة الى ضعف ما قاله صاحب الكشاف اما أولا فلانه خلاف الظاهر جدا بل ليس معناه ما ذكر واما ثانيا فلأن الظاهر انه اذا قدر المعنى ولو كان الحال أعجبكم لا يستقيم المعنى الا اذا قدر شئ أى ولو كانت الحال انها أعجبتكم (قوله وهو على عمومه) أى عدم تزويج المشركين المسلمات باق على عمومه ولا يستثنى منه شئ بخلاف تزوج المشركات فانه يستثنى منه الحرة الكتابية (قوله روى ان أهل الجاهلية) الى قوله فنزلت ههنا اشكال وهو ان الآية غير ظاهرة الدلالة على رد ما فعلوه من عدم الموا كلة والمساكنة بل الاعتزال ظاهر فى مطلق البعد عنهن كما سيجىء فى كلام صاحب الكشاف فكيف تكون الآية نازلة فى ردهم ولو كانت كذلك لناسب أن يكون فيها اشعار بسوء صنيعهم والمنع عما فعلوا والجواب ان قوله تعالى فأتوهن من حيث أمركم الله مشعر بان المنع انما هو عن الوطء والاعتزال

لا تنكحوا المشركات فى المستقبل وان أعجبتكم وهذا خلاف ما قاله العلامة التفتازانى من ان كلمة لو فى هذا الموضع لا تكون لانتفاء الشئ لانتفاء غيره وللمضى وكذا كلمة ان لا تكون بقصد التعليق والاستقبال بل المعنى فيهما ثبوت الحكم البتة ولذا يقال انه للتأكيد ثم قال الواو عند بعضهم للعطف على مقدر أى الامة المؤمنة خير من المشركة ولو لم تعجبكم وكذا الاولى خير من الثانية لو تعجبكم وعند صاحب الكشاف انه للحال ومقتضاه ان يكون الواقع بعد الواو أعنى الفعل مع الحرف فى موقع الحال ولا يستقيم فلذا قال صاحب الكشاف المعنى ولو كان الحال كذا دون الحال لو كان كذا ولا يخفى حاله

انما هو عن ترك الوطء والاولى أن يقال قوله تعالى قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض دال على ان علة الاعتزال انما هى كون المحيض أذى كما صرح به المصنف ولا يخفى ان كونه اذى انما هو بالنسبة الى الوطء لا بالنسبة الى المواكلة والمساكنة فعلم ان المراد من الاعتزال ترك الوطء وما قاله صاحب الكشاف لا يحتاج الى هذا التكلف فانه قال روى ان أهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها ولم يساكنوها فى بيت فلما نزلت أخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فأخرجوهن من بيوتهن فقال ناس من الاعراب ان البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت وان استأثرناها هلكت الحيض فقال عليه الصلاة والسلام انما أمرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت لكن ليس فيه سبب النزول (قوله نساؤكم حرث لكم أى موضع حرث لكم) يمكن أن يكون مراده انه بتقدير مضاف فيكون المجاز فى حكم الاعراب وان يكون حرث بمعنى موضع الحرث فيكون المجاز فى نفس الكلمة وهذا التعبير فيه مبالغة وكانه جعل فائدة لنساء الحرث بل جعلهن عين الحرث اشعارا بان الفائدة الكلية ليست طلب الشهوة بل طلب الولد كما أشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله تناكحوا تكثروا فانى أباهى بكم الامم يوم القيامة ولو بالسقط (قوله شبهن بها تشبيها لما يلقى (٢٣٨) فى أرحامهن بالبذور) هذا يدل على ان تشبيه النساء بمواضع الحرث فرع تشبيه النطفة بالبذور لان كمال حسن الاول بالثانى (قوله فأتوا حرثكم) هذه الفاء فاء الجزاء اى اذا كانت النساء موضع حرث فأتوا حرثكم أنى شئتم (قوله تعالى وبشر المؤمنين) أى الكاملين هذا عطف على قل هو أذى وفيه تحريض على امتثال ما سبق وتقدم لان التبشير لا يكون لا للمطيع هذا قاله العلامة التفتازانى وفيه شئ وهو ان قل هو أذى جواب لقوله تعالى ويسألونك عن المحيض لكن قوله تعالى وبشر المؤمنين لا يصلح جوابا للسؤال المذكور ولعله معطوف على مقدر مثل أخبرتكم بذلك وانذر المخالفين وسيجىء نظيره عن قريب فى كلام العلامة (قوله تجعلوه تعالى ولا تجعلوا الله عرضة) قال العلامة التفتازانى النهى فى قوله ولا تجعلوا يحتمل أن يكون عطفا على الاوامر التى فى حيز قل ويحتمل أن تكون عطفا على مقدر أى امتثلوا ما أمرتم به ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم وهذا هو الظاهر أقول لان عطف على ما فى حيز قل يوجب أن يكون داخلا فى الجواب عن السؤال المذكور ولا يخلو عن بعد (قوله وان مع صلتها عطف بيان لها) أى عطف بيان للايمان نص عليه صاحب الكشاف ويكون المعنى لا تجعلوا الله حاجزا للاشياء التى حلفتم عليها ان لا تفعلوها وهى البر والتقوى والاصلاح وهذا أى كونه عطف بيان مخالف لما قاله ابن هشام فى المغنى من ان عطف البيان لا يخالف متبوعه فى التعريف والتنكير قال وأما قول الزمخشرى ان مقام ابراهيم عطف بيان لآيات بينات فسهو وعلى هذا يكون بدلا ولا يلزم النعت فقد رد الرضى على ابن الحاجب وجوب وصف النكرة المبدلة من المعرفة (قوله ويتعلق ان تبروا بالفعل أو بعرضة) هذا متعلق بقوله أو للتعليل أى اذا كان اللام فى قوله تعالى لايمانكم للتعليل فيجوز أن يكون ان تبروا مفعول للجعل بتقدير اللام وان يكون متعلقا بعرضة وعلى الاول معناه ولا تجعلوا الله للبر عرضة أى حاجزا لأجل ايمانكم والمقصود ان جعلكم الله للبر عرضة أى حاجزا لكثرة حلفكم به منهى عنه ولذا قال ويتعلق ان تبروا بالفعل

التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) أى المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى (نساؤكم حرث لكم) مواضع حرث لكم شبهن بها تشبيها لما يلقى فى أرحامهن من النطف بالبذور (فأتوا حرثكم) أى فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله (أنى شئتم) من أى جهة شئتم روى أن اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها فى قبلها كان ولدها أحول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (وقدموا لانفسكم) ما يدخر لكم من الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية عند الوطء (واتقوا الله) بالاجتناب عن معاصيه (واعلموا أنكم ملاقوه) فتزودوا ما لا تفتضحون به (وبشر المؤمنين) الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم الدائم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل أمره منهم (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) نزلت فى الصديق رضى الله تعالى عنه لما حلف أن لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضى الله تعالى عنها أو فى عبد الله بن رواحة حلف أن لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين أخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشئ وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول ولا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من أنواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز أن تكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل أو بعرضة أى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثانى ولا

أي بالنهي دون النهي وعلى الثاني لاتجعلوا الله حاجز اللبر لاجل ايمانكم به ولايخفى ان الظاهر جعله متعلقا بعرضة (قوله معرضاً لايمانكم به) أي معرضا متعلق به ويأتيه ويرد عليه كثرة حلفكم لان كثرة الحلف به تعالى توجب الجراءة على الاسم الشريف ولا يناسب فرط التعظيم (قوله أو كقول العرب لا والله بلى والله لمجرد التأكيد) ظهر منه انه لو قال هذين اللفظين بقصد التأكيد مع كذبه لايؤاخذ القائل بتأكيدكذبه بهما وهذا موضع نظر اذ كيف يجوز أن يؤكد شخص كلامه الكاذب بالاسم الشريف فالظاهر الحمل على الاولين وهو أن يكون صدوره بسبق اللسان أو منع الجهل بمعناه الا أن يخصص الحكم بمثل ماقال القائل سأفعل ذلك والله قاصدا فعله أو يخص بغير الكذب (قوله لقوله ولكن يؤاخذكم الخ) دليل على ان المراد مايقصد به التأكيد أو على كل مما ذكر ولايخفى انه لايناسب ظاهر معنى التأكيد اذ فيه كسب القلب أيضا الا أن يراد بالكسب قصد الحلف (قوله حيث لم يجعل الخ) فيفهم من الآية حال يمين اللغو وحال يمين انعقد عليها القلب اذ يعلم انه لايؤاخذ بالاول ولم تجعل المؤاخذة على الثاني (قوله أضيف الى الظرف على الاتساع) قد مر ان الاتساع في الظرف ان لايقدر معه في توسعا ولك أن تقول لما يجوز أن تكون الاضافة بمعنى في كضرب اليوم ولا اتساع فيكون الاتساع على مذهب من لم يجوز الاضافة بمعنى في (قوله بأنفسهن) أي يتربصن بأنفسهن من غير أن يكون اكراه وتكليف من الغير يعني هذا التربص مما لابد منه ان يتعاطى به تكليف من الغير بل عليهن ان يتربصن بلاباعث من الغير ففيه تأكيد كما لايخفى (قوله وبؤيده فان فاؤا) وجه التأييد انه يدل على ان الفيئة لاتكون الا بعد أربعة أشهر وكذا عزم الطلاق بالمعنى المذكور فلو كان الايلاء موجودا قبل أربعة أشهر لزم تحقيق الفيئة قبلها أيضا (قوله تعالى وان عزموا الطلاق) الآية تدل على انه لايقع الطلاق بمجرد مضى المدة كما هو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه بل لابد من الطلاق وقوله تعالى فان الله سميع عليم يدل على ان المراد من عزم الطلاق عزم يكون معه الطلاق والا لما ناسب قوله فان الله سميع عليم وأما التأويل بان العزم لايخلو في الغالب عن مقاولة ولابد من ان يحدث نفسه فيكون المراد بالسماع سماع الكلام النفسي بخلاف الظاهر (قوله وبناؤه على المبتدأ يزيد فضل تأكيد لثبوت التقوى) فان يتربصن منسوب الى فاعله والجملة منسوبة الى المبتدأ فكان فيه تكرار الاسناد وانما قال فضل تأكيد لان أصل التأكيد حاصل من

تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولاتطع كل حلاف مهين وان تبروا علة للنهي أي أنهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ عليه لايكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين (والله سميع) لايمانكم (عليم) بنياتكم (لايؤاخذكم الله بالغو في أيمانكم) اللغو الساقط الذي لايعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين مالاعتد معه كما سبق به اللسان أو تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله و بلى والله لمجرد التأكيد لقوله (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) والمعنى لايؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لاقصد معه ولكن يؤاخذكم بهما أو باحدهما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم ألستكم وقال أبو حنيفة اللغو أن يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لايعاقبكم بما أخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيه (والله غفور) حيث لم يؤاخذ باللغو (حليم) حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الحدث بها للتوبة (للذين يؤلون من نسائهم) أي يحلفون على ان لايجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن (تربص أربعة أشهر) مبتدأ وماقبله خبره أوفاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف أضيف الى الظرف على الاتساع أي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا بطلاق ولذلك قال الشافعي لا إيلاء الا في أكثر من أربعة أشهر و يؤيده (فان فاؤا) رجعوا في اليمين بالحنث (فان الله غفور رحيم) للمولي اثم حنثه اذا كفر أو ماتوخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة (وان عزموا الطلاق) وان صمموا قصده (فان الله سميع) لطلاقهم (عليم) بغرضهم فيه وقال أبو حنيفة الايلاء في أربعة أشهر فما فوقها وحكمه ان المولي ان فاء في المدة بالوطء ان قدر و بالوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ أن يكفر والابانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان أبى عنهما طاق عليه الحاكم (والمطلقات) يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت عليه الآيات والاخبار أن حكم غيرهن خلاف ماذكر (يتربصن) خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بانه مما يجب أن يسارع الى امتثاله وكأن المخاطب قصد أن يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله و بناؤه على المبتدأ يزيد فضل تأكيد (بانفسهن) تهييج و بعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها و يحملنها على التربص

التعبير بصيغة المضارع لما قاله من انه خبر فى معنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد (قوله وأصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به فى الآية) فيه نظر من وجهين أحدهما ما لا نسلم ان أصله ما ذكر بل لفظ مشترك بين المعنيين المذكورين كما هو مذكور فى الكشاف الثانى ان المراد من القرء فى الآية على القول المرجح للشافعى ليس مجرد الانتقال من الطهر الى الحيض بل الطهر المتخلل بين الحيضتين كما ذكر أوّلا قال الامام النووى فى المناهج وهل بحسب طهر من لم تحض قرأ قولان بناء على ان القرء انتقال من طهر الى حيض أو طهر محتوش بدمين والثانى أظهر (قوله وهو بدل على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية) لك أن تقول بل الحيض بدل على براءة الرحم (قوله من الولد والحيض) الظاهر الاول اذ ليس الحيض مخلوقا فى الرحم وانما ينصب اليها من أعضاء أخر وأما المخلوق فيه فهو الولد (قوله فالمضاع فيها من قروء نسائكن) فالقرء بمعنى الطهر اذ الحيض لا يوصف بالضياع اذ هو لا يجامع من فيه (قوله فطلقوهن لعدتهن) أى هذا اللام للتأقيت كما قال الله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس فالمعنى فطلقوهن وقت عدتهن فيعلم ان المراد من العدة الطهر لا الحيض اذ الطلاق المشروع لا يكون فى الحيض (٢٤٠) لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن الخ ومحصل هذا الكلام ان ثلاثة قروء عبارة عن العدة فيجب ان يكون الطهر لا الحيض لان العدة هى الطهر لا الحيض لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اذ هو آمر بالطلاق وقت العدة والطلاق فى الحيض ممنوع شرعا فيجب ان تكون العدة الطهر (قوله عليه السلام ثم تحيض ثم تطهر) لما لم يكتف بالطهر الاول علم ان الطهر الاوّل لا يدل على براءة الرحم فالطلاق فى الحيض الذى بعد الطهر الاوّل ممنوع فيجب ان يكون طهرا ثانى حتى يصح الطلاق فيه (قوله ليس المراد منه تقييد نفى الحل بايمانهن الخ) لا يخفى ان الظاهر هو التقييد المذكور وهذا يناسب مذهب أبى حنيفة من ان الكافر غير مكلف بالفروع خلافه فيحتاج الى تقدير و يكون التقدير ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ولا يكتمن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر (قوله للآية التى تتلوها) وهى قوله تعالى الطلاق مرتان اذ يفهم منها ان الكلام فى الطلاق الرجعى كما سيصرح به (قوله فالضمير أخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه الخ) أى لا امتناع فى ان يكون الضمير خاصا والمرجوع اليه عاما كما انه لا امتناع فى تكرار الظاهر وتخصيصه مع بقاء القسم على عمومه ولك ان تفرق بينهما بان الظاهر اذا خصص بشئ كان تخصيصه بذكر الشئ معه واما الضمير فيكون راجعا الى ما سبق وهو عام والاولى ان يقال المرجوع المذكور معنى وهو المطلقة الرجعية لانه يستفاد من الكلام كما قالوا فى قوله تعالى ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد ان ضمير أبويه يرجع الى الميت المستفاد من الكلام (قوله والتاء لتأنيث الجمع) قال الزجاج بعولة جمع بعل كذكور وذكورة وعم وعمومة والهاء زيادة مؤكدة لمعنى تأنيث الجمع وهذه الامثلة سماعية لا قياسية فلا تقول فى كعب كعوبة (قوله مصدر نعت به) أى البعولة مصدر فى الاصل أريد منها المتصف بها (قوله وافعل ههنا بمعنى الفاعل) أى ليس المراد منه أفعل التفضيل ليكون المعنى و بعولتهن أقوى وأزيد حقا فى الرجعة من الزوجات اذ لا

(ثلاثة قروء) نصب على الظرف أو المفعول به أى يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض كقوله عليه الصلاة والسلام دعى الصلاة أيام اقرائك وللطهر الفاصل بين الحيضتين كقول الاعشى
مورثة مالا وفى الحى رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا
وأصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به فى الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن أى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض وأما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان فى قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء أمسك بعد وان شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التى أمر الله تعالى ان تطلق لها النساء وكان القياس أن يذكر بصيغة القلة التى هى الاقراء ولكنهم يتسعون فى ذلك فيستعملون كل واحد من البناءين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) من الولد أو الحيض استعجالا فى العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول فى ذلك (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) ليس المراد منه تقييد نفى الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافى الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغى له ان يفعل (و بعولتهن) أى أزواج المطلقات (أحق بردهن) الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التى تتلوها فالضمير أخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤلة أو مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به أو أقيم مقام المضاف المحذوف أى وأهل بعولتهن وأفعل ههنا بمعنى الفاعل (فى ذلك) أى فى زمان التربص (ان أرادوا اصلاحا) بالرجعة

ليس لها حق فى الرجعة انما الرجعة للزوج وقال صاحب الكشاف المعنى ان الرجل اذا أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لان لها حقا فى الرجعة قال العلامة الطيبى بشير الى أن تسمية اباء المرأة رجعة للتلبس اما للتغليب أو المشاكلة أو من باب الصيف أحر من الشتاء وذلك ان الشارع أبغض المفارقة وأحب الموافقة فكان طلب الرجعة من البعولة أبلغ فى بابه من طلب الفرقة من المرأة أقول هذا المعنى غير مفهوم من كلام الكشاف ولا يخلو عن ركاكة بل ظاهر من ما قاله لعلامة التفتازانى المعنى انهم أحق بتلبسهم بالرجعة منهن بالاباء هذا ما ذكروا والذى يخطر لى ان معناه و بعولتهن أحق بردهن من مفارقتهن كما روى العلامة الطيبى عن أبى داود عن محارب بن دينار ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أحل الله شيأ أبغض اليه من الطلاق وفى رواية قال أبغض الحلال الى الله الطلاق فالمعنى ان المراد بالرجعة والطلاق لكنه أحق بالرجعة من الطلاق ومرجعه ان الرجعة أنسب وأصلح له من الفراق وتوضيحه ان الزوج أحق بالرجعة منه بالمفارقة والمفضل عليه واحد بالذات مختلف بالاعتبار كما يقال زيد باعتبار انه عالم أشرف منه باعتبار انه شاعر (قوله بل التحريض الخ) فيكون ههنا مقدر و يكون التقدير و بعولتهن أحق بردهن فليردوهن ان أرادوا اصلاحا و يمكن ان يقال هذا قيد لكونهم أحقاء بالرجعة أى هم أحق بالرجعة اذا لم (٢٤١) يقصدوا ضرار الزوجات أى الرجعة مناسبة لهم

لاضرار المرأة وليس المراد منه شرطية قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) أى ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن فى الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا فى الجنس (وللرجال عليهن درجة) زيادة فى الحق وفضل فيه لان حقوقهم فى أنفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوه أو شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن بشار كونهن فى غرض الزواج و يخصون بفضيلة الرعاية والانفاق (والله عزيز) يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام (حكيم) يشرعها لحكم ومصالح (الطلاق مرتان) أى التطليق الرجعى اثنان لما روى أنه صلى الله عليه وسلم سئل أين الثالثة فقال عليه الصلاة والسلام أو تسريح باحسان وقيل معناه التذليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة (فامساك بمعروف) بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول (أو تسريح باحسان) بالطلقة الثالثة أو بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيأ) أى من الصداقات روى أن جميلة بنت عبد الله بن أبى ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسى و رأسه شئ والله ما أعيبه فى دين ولا خلق ولكنى أكره الكفر فى الاسلام وما أطيقه بغضا الى رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل فى جماعة من الرجال فاذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة أصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند الترافع

وتنفهم اذا لم يقصدوا الضرار فان قصدوه فليسوا أحق بالرجعة بل هم أحقاء بالتفريق (قوله لان فى الجنس) أى الحق الواجب لهن على الازواج ليس من جنس الحق الواجب لهم عليهن وهو ظاهر ولكن المثلية باعتبار صفة الوجوب واستحقاق المطالبة وانما صرح بنفى الجنسية لان المثلية على المشهور انما تستعمل اذا كان المثلان من جنس بل من نوع واحد (قوله وللرجال عليهن درجة) المراد من الرجال الازواج وانما عبر

(٣١ - (بيضاوى) - اول)

بالرجال للاشعار بان للرجال من حيث انهم رجال درجة وشرف على النساء والمراد من الدرجة جنس الفضل والشرف من غير قيد الوحدة فلا ينافى ان يكون للرجال شرف من جهات عليهن (قوله لما روى انه عليه الصلاة والسلام الخ) أراد انه علم من الحديث المذكور ان ليس المراد بقوله تعالى مرتان التثنية للتكرير والا لم يكن لاثبات الثالث وجه فيكون المراد منه العدد المعين فيكون المراد الطلاق الرجعى (قوله وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ) أى على ان يكون معنى قوله تعالى الطلاق مرتان وهو المعنى الثانى من المعنيين المذكورين يكون قوله تعالى فامساك بمعروف أو تسريح باحسان حكم مبتدأ لا يتفرع على ما سبق اذ المعنى انه اما ان يمسك الزوجة بالطريق الحسن أو يطلق وهذا لا يختص بكون الطلاق مرة بعد أخرى واما على المعنى الاول وهو ان المراد ان الطلاق الرجعى اثنان فتصريح قوله فامساك بمعروف أو تسريح باحسان مما سبق متفرع عليه ولا يخفى ان الفاء لا تناسب كونه حكما مبتدأ كما تناسب المعنى الاول (قوله أو تخيير الخ) يعنى بعد ان علمنا كم كيفية التطليق فاما ان تمسكوهن أو تطلقوهن كما علمنا كم (قوله ولكنى أكره الكفر فى الاسلام) معناه أخاف ان يفضى الى ما هو كفر فى الدين (قوله فرأيته كذا وكذا) أى رأيته أقبل فى عدة هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها كذا صرح به فى الكشاف

(قوله وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة) وهى قراءة ان يخافا مبنيا للفاعل بالياء التحتانية اذ يرجع معنى الكلام الى انه لايحل لكم أيها الازواج الاخذ المذكور الا ان يخاف الزوجان ان لايقيما حدود الله وهو ليس بملائم للآية (قوله واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع لايجوز من غير كراهة وشقاق) هذا يستفاد من قوله تعالى فان خفتم ان لايقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به (قوله ولا بجميع ماساق لزوج اليها) هذا يستفاد من قوله تعالى مما آتيتموهن (قوله لان النهى عن العقد

وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على اقراءة المشهورة (الا أن يخافا) أى الزوجان وقرئ بالبناء للفاعل وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن (أن لايقيما حدود الله) بترك اقامة أحكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب (فان خفتم) أيها الحكام (أن لايقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) على الرجل فى أخذ ما فتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة فى اعطائه (تلك حدود الله) اشارة الى ماحد من الاحكام (فلا تعتدوها) فلا تتعدوها بالمخالفة (ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون) تعقيب للنهى بالوعيد مبالغة فى التهديد واعلم أن ظاهر الآية يدل على ان الخلع لايجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ماساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وماروى أنه عليه الصلاة والسلام قال لجميلة أتردين عليه حديقته فقالت أردها وأزيد عليها فقال عليه الصلاة والسلام أما الزائد فلا والجهور راستكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لايدل على فساده وانه يصح بلفظ المفادأة فانه تعالى سماه افتداء واختلف فى أنه اذا جرى بغير لفظ الطلاق هل هو فسخ أو طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله (فان طلقها) فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضى أن يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان أو تفسير لقوله أو تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على أن الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض أخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين (فلا تحل له من بعد) من بعد ذلك الطلاق (حتى تنكح زوجا غيره) حتى تزوج غيره والنكاح يستند الى كل منهما كالتزوج وتعاق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لابد من الاصابة لما روى ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى وان مامعه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدين أن ترجعى الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل أن يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة فى هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه أبو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له (فان طلقها) الزوج الثانى (فلا جناح عليهما أن يتراجعا) أن يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الآخر بالزواج (ان ظنا أن يقيما حدود الله) ان كان فى ظنهما انهما يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب نظن ولا نعلم ولانه لايقال علمت ان يقوم زيد

لايدل على فساده) مثل البيع وقت النداء يوم الجمعة فانه منهى عنه مع انه منعقد (قوله وقوله تعالى فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان الخ) هذا متعين اذ لو لم يكن كذلك لزم وقوع الطلاق بعد الفسخ بالخلع اذ لو لم يكن قوله تعالى فان طلقها تفسيرا لقوله أو تسريح باحسان لوجب ان يكون حكما لما وقع بعد الخلع (قوله والآية مطلقة قيدتها السنة) فانه يجوز كما انه يجوز تخصيص الكتاب بخبر الواحد عندنا قال العلامة التفتازانى من قواعدهم ان الزيادة على الكتاب لايجوز بخبر الواحد الا اذا كان مشهورا تلقته الامة بالقبول فيكون كالمتواتر وان لم يبلغ مرتبته تكبر العسيلة (قوله ويحتمل أن يفسر النكاح بالاصابة) قال العلامة لنيسابورى مذهب جمهور المجتهدين ان النكاح ههنا بمعنى الوطء لان قوله زوجا يدل على العقد أقول فيه نظر اذ الاصابة التى هى الوطء

زيد

انما تكون من جانب الزوج لامن جانب الزوجة (قوله والعود الى المطلقة ثلاثا) لان الطباع تستقبح العود الى المطلقة ثلاثا بعد أن دخل بها غيره وانما ردع الشرع عن العود الى المطلقة ثلاثا زجرا للزوج عن الطلاق الثلاث والاولى أن يقال الحكمة فى هذا الحكم الردع عن العود الى المطلقة ثلاثا والحكمة فى هذا الردع المنع عن الطلاق ثلاثا (قوله وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له) استدل بهذا الحديث على رد مذهب أبى حنيفة لان المراد فى الحديث ليس لعن المحلل حتى يكون التحليل حراما بل المراد النكاح بشرط التحليل

زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافى العلم (وتلك حدود الله) أى الاحكام المذكورة (يبينها لقوم يعلمون) يفهمون ويعملون بمقتضى العلم (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أى آخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذى به ينتهى قال

كل حى مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى أجله

والبلوغ هو الوصول الى الشئ وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد فى الآية ليصح ان يرتب عليه (فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف) اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار أو خلوهن حتى تنقضى عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم فى بعض صوره للاهتمام به (ولا تمسكوهن ضرارا) ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة أو الحال بمعنى مضارين (لتعتدوا) لتظلموهن بالتطويل أو الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بضرارا اذ المراد تقييده (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) بتعريضها للعقاب (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) بالاعراض عنها والتهاون فى العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد فى الامر انما أنت هازئ كأنه نهى عن الهزؤ وأراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت ألعب فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق (واذكروا نعمة الله عليكم) التى من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة) القرآن والسنة أفردهما بالذكر اظهارا لشرفهما (يعظكم به) بما أنزل عليكم (واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شئ عليم) تأكيد وتهديد (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أى انقضت عدتهن وعن الشافعى رحمه الله تعالى دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) المخاطب به الاولياء لما روى انها نزلت فى معقل بن يسار حين عضل أخته جميلاء أن ترجع الى زوجها الاول بالاستئناف فيكون دليلا على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولى معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضى العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم النساء وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به

(قوله ويعملون بمقتضى العلم) لك ان تقول حدود الله مبينة لجميع الناس سواء يعملون بمقتضى العلم أو لا يعملون به غاية الامر ان فائدة التبيين لا تحصل الا لمن عمل بعلمه دون من لم يعمل فكانه لم يبين لهم فيكون المعنى تحصل فائدة البيان لقوم يعملون (قوله ومود اذا انتهى أجله) أى واقع فى الردى والهلاك اذا انتهت مدته (قوله من غير تطويل) اذ لو راجعها وأعاد نكاحها ثم طلقها لطالت العدة (قوله وهو اعادة للحكم فى بعض صوره) يعنى انه ذكر هذا الحكم أولا بقوله فامساك بمعروف أو تسريح باحسان وهو عام لجميع الصور أعم من ان يكون عند بلوغ الاجل والقرب منه وقوله تعالى فامسكوهن الخ اعادة لذلك فى بعض الصور وهو قرب الاجل (قوله اذ المراد تقييده اذا كان الضرار منصوبا على انه علة) أى مفعولا له يكون الضرار الذى هو التطويل اعتداء ألبتة أو ارادة الضرار ارادة الاعتداء الذى هو التطويل كما ظهر من كلامه فكيف يقيد بالاعتداء فالاولى أن يقال معنى قوله تعالى لتعتدوا لتعتدوا بارادة الاضرار يعنى لما كان الاعتداء حاصلا بالامساك وارادة الاضرار فكان الاعتداء سببا غائيا للامساك وغرضا منه كما قالوا فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فان التقاطهم ليس لأجل العداوة ولكن لما كانت العداوة مترتبة عليه جعلت كالعلة على ما فهم من الاطلاق (قوله وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت ألعب فنزلت) فان قلت ما ربط نزول قوله تعالى ولا تتخذوا آيات الله هزوا بما سبق من الآية قلت قد علم مما سبق ان الطلاق واقع سواء قيل بالجد أو بالهزل فمن أراد الان يقع بالهزل فقد حكم بخلاف مطلق الآيات فاتخذها هزوا (قوله ثلاثة جدهن جد) ليس هذا الحكم مخصوصا بهذه الامور الثلاثة بل غيرها شريك لها فيه وانما خصصت بالذكر لزيادة اهتمام (قوله واذكروا نعمة الله عليكم) هذا ذكر مانع من الهزء بالآيات فكانه قيل لا تتخذوا آيات الله هزوا لانه صاحب النعم العظام عليكم ولا يحسن اتخاذ آيات صاحب هذه النعم هزوا لانه كفران عظيم (قوله ودل سياق الكلامين الخ) يعنى دل الكلام الاول وهو قوله تعالى واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن الآية على ان المراد من البلوغ المقاربة من الاجل ليصح ترتب قوله تعالى فامسكوهن بمعروف عليه وهذا الكلام يدل على ان البلوغ الحقيقى لا مقاربته والا لم يكن للنهى عن الفضل معنى اذ قبل بلوغ الاجل حقيقة تمنع نكاحها شرعا

(قوله اذا تراضوا بينهم) أى الخاطب رضى بالمرأة والمرأة رضيت بالخاطب وفائدة لفظ بينهم ان يعلم كل منهم رضى الآخر والتقدير اذا تراضوا تراضيا محققا (قوله بالمعروف) حال من الضمير المرفوع وتقديره اذا تراضوا بينهم ملتبسين بالمعروف (قوله وفيه دلالة الخ) لان التراضى بغير الكفء ليس من التراضى بالمعروف (قوله أو ان الكاف لمجرد الخطاب) لايخفى ان الخطاب من غير الخاطب لايتصور فراده انه للخطاب مع الخاطب أى من يصلح للخطاب أى شخص كان واليه أشار بقوله دون تعيين الخاطبين وفيه مافيه (قوله والفرق بين الحاضر والمنقضى) ماوجد باهذا الكلام فى غيره من التفاسير وفيه ان الخطاب لايفرق بين الحاضر والمنقضى بل بين الحاضر أى المخاطب وغير الحاضر (قوله للدلالة على ان حقيقة المشار اليه الخ) فان قيل الحكم المذكور مما يتصوره كل واحد من العقلاء قلت مراده ان العقل لاطريق له الى هذه الاحكام ومايعلم بالاستدلال وانما يفهم من الشارع وليس المراد ان تصوره مطلقا مخصوص بالنبى صلى الله عليه وسلم (قوله (٢٤٤) ذلك يوعظ به) أى يوعظ به وعظا نافعا والافكل الناس يوعظون به لان الكفار مكلفون بالفروع (قوله أطهر من دنس الآثام) قال العلامة لتفتازانى ينبغى أن يكون هذا من وصف الشئ بصفة صاحبه لان التنزه من دنس الاثام والتلطخ به يكون من صفات العبد لامن صفات الفعل أقول لايبعد أن يقال المراد من الاطهر وجب الطهارة باستعمال لفظ المسبب فى السبب (قوله ومعناه الندب أو الوجوب الخ) لايصلح حمله على الوجوب لان الارضاع مقيد بحولين كاملين وهو لايجب لقوله تعالى لمن أراد أن يتم الرضاعة وصرح المصنف بانه دليل على ان أقصى المدة حولان وانه يجوز أن ينقص عنه فقد ناقض نفسه وتصحيح كلامه يحتاج الى تقدير وهو أن يقال حولين كاملين متعلق بمقدر أى ترضع الوالدات حولين كاملين وكان أصل الارضاع واجبا بالشرائط المذكورة وان كان فى تمام المدة المذكورة غير واجب فتأمل (قوله أجرة لبن الخ) الوالدات اذا لم تكن مطلقات فلهن النفقة والكسوة سواء أرضعن أو لم يرضعن كما صرح به العلامة الطيبى فلذا اختار حمل الوالدات على المطلقات والوالدات المطلقات يستحققن الاجرة اذا لم يتبرعن بل يرضعن بالاجرة وهن فى هذه الصورة يستحققن أجرة المثل أو المسمى وههنا موضع تأمل (قوله تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى الخ) كونه دليلا على ماذكر مسلم وأما كونه تعليلا للايجاب والتقييد المذكورين فغير ظاهر اذ التكليف بالوسع لايستلزم ايجاب المؤن ليس علته ولا للتقييد بالمعروف والاولى أن يقال ان ذكره يعلم ان تكليف الوالد بالانفاق والكسوة لايكون الا ذا تيسره لانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها (قوله وذلك لايمنع امكانه) رد على المعتزلة حيث منعوا جواز التكليف بالمحال وأصحابنا جوزوه لكن قالوا بعدم وقوعه وهو الظاهر من الآية

كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج (اذا تراضوا بينهم) أى الخطاب والنساء وهو ظرف لان يتنكحن أو لاتعضلوهن (بالمعروف) بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروأة حال من الضمير المرفوع أو صفة لمصدر محذوف أى تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفؤ غير منهى عنه (ذلك) اشارة الى مامضى ذكره والخطاب للجميع على تأويل القبيل أو كل واحد أو ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين أو للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه أمر لايكاد يتصوره كل أحد (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) لانه المنتفع به والمنتفع (ذلكم) أى العمل بمقتضى ماذكر (أزكى لكم) أنفع (وأطهر) من دنس الآثام (والله يعلم) مافيه من النفع والصلاح (وأنتم لاتعلمون) لقصور علمكم (والوالدات يرضعن أولادهن) أمر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب أو الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبى الا من أمه أو لم يوجد له ظئر أو عجز الوالد عن الاستئجار والوالدات يعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن (حولين كاملين) أكده بصفة لكمال لانه مما يتسامح فيه (لمن أراد أن يتم الرضاعة) بيان للمتوجه اليه الحكم أى ذلك لمن أراد اتمام الرضاعة أو متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان أقصى مدة الارضاع حولان ولاعبرة بما بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه (وعلى المولود له) أى الذى يولد له يعنى الوالد فان الولد يولد له ونسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه (رزقهن وكسوتهن) أجرة لهن واختلف فى استئجار الام فجوزه الشافعى ومنعه أبو حنيفة رحمه الله تعالى مادامت زوجة أو معتدة نكاح (بالمعروف) حسب ما يراه الحاكم بقدر يفى به وسعه (لاتكلف نفس الا وسعها) تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على أنه سبحانه وتعالى لايكلف العبد بما لايطيقه وذلك لايمنع امكانه

والالقيل لم يصح ان تكلف نفس الا وسعها (قوله تفصيل له) أى اعدم تكليف النفس الا بالوسع لا يخفى ان النهى عن المضارة أعم من النهى عن التكليف بما ليس فى الوسع فلا يحسن تفسير النهى عن المضارة بالنهى عن التكليف بما ليس مقدورا بل يجب ان يفسر بما يشمل النهى عن التكليف المذكور فلو قال فلا يكلف كل منهما الآخر بما ليس فى وسعه لكان أولى والظاهر ان يقال انه لما ورد التكاليف المذكورة مثل ارضاع الوالدات أولادهن ورزقهن وكسوتهن بالمعروف فيما ماذكر بان التكليف مطلقا لا تتعلق بما ليس فى الوسع فلا تكلف نفس ما ليس مقدورا اذ يقال قوله تعالى لا تضار الخ دليل على نفى التكليف بما ليس مقدورا فانه للمنهى عن الضرار فالتكليف بما ليس فى الوسع بالطريق الاولى يكون منهيا (قوله فلا ينبغى ان يضر ابه أو يتضارا بسببه) الاول نظرا الى ان يكون يضار بمعنى يضر والثانى الى انه بمعناه والاول ظاهر واما الثانى فتوضيحه انه اذا كان لكل منهما غاية الشفقة مع الولد لا يتضرر واحد منهما بتكليف الآخر له بما ينفع الولد والشفقة عليه مطلقا أى لا ينبغى لواحد منهما ان يكلف الآخر بما يضر لان هذا قد يؤل الى ضرر الولد بسبب اعراض المكلف وتضجره عن ولده فتأمل (قوله من أتى اليه احسانا) فعنى ما آتيتم ما أحسنتم به اليهن (قوله وجواب الشرط محذوف الخ) توضيح المقصود هنا ان اذا سلمتم شرط يكون جزؤه مثل ما تقدم فيكون التسليم المذكور شرطا لرفع الجناح فى الاسترضاع فاجابوا عنه بان هذا ليس شرطا حقيقة وانما المراد من الكلام المذكور أولوية التسليم فيكون التركيب المفيد للشرط حقيقة

(لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده) تفصيل له وتقرير أى لا يكلف كل واحد منهما الآخر بما ليس فى وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا من قوله لا تكلف وأصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل أو لفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز أن يكون بمعنى تضر والباء من صلته أى لا يضر الوالدان بالولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيما ينبغى له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على أنه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها مرة واليه أخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على أنه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغى أن يضرابه أو ان يتضارا بسببه (وعلى الوارث مثل ذلك) عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبى أى مؤن الرضاعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقى من الابوين من قوله عليه الصلاة والسلام واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعى رحمه الله تعالى اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولادة وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن أبى ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب أبى حنيفة وقيل عصباته وبه قال أبو يوسف وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة (فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور) أى فصالا صادرا عن التراضى منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الرأى من شرت العسل اذا استخرجته (فلا جناح عليهما) فى ذلك وانما عتبر ترا ضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم أحدهما على ما يضر به لغرض أو غيره (وان أردتم ان تسترضعوا أولادكم) أى تسترضعوا المراضع لاولادكم يقال أرضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك أنجح الله حاجتى واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه (فلا جناح عليكم) فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع (اذا سلمتم) الى المراضع (ما آتيتم) ما أردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وقراءة ابن كثير ما أتيتم من أتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ أوتيتم أى ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الاجرة (بالمعروف) صلة سلمتم أى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل (واتقوا الله) مبالغة فى

مستعملا فى افادة الاولوية مجازا وههنا احتمالات الاول ان يقال ان اذا فى اذا سلمتم شرط لمجرد الظرفية كما فى قولك اذا غربت الشمس أجيئك بمعنى أجيئك وقت غروب الشمس فلا حاجة الى تقدير جزاء الثانى ان يقال ان لا جناح عليكم المذكور معناه لا جناح عليكم فى نفس الاسترضاع ولا جناح عليكم المقدر الذى هو جواب الشرط معناه لا جناح عليكم مطلقا بعد أداء الاجرة فيما يتعلق بالاسترضاع ولواحقه ليظهر منه ان قوله تعالى اذا سلمتم ليس قيدا لنفى الجناح الاول بل لكلام آخر فان قيل اذا كان اذا سلمتم مع جوابه المقدر جملة شرطية كان حقها ان تعطف على الجملة الاولى فلم يعطف قلنا يمكن ان يكون ترك العطف لجعلها بدلا من جملة وان أردتم ان تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم ويمكن ان يكون جوابا للسؤال كأنه لما قيل فلا جناح عليكم سأل سائل هل رفع الجناح مطلقا أو رفع الجناح اذا سلمنا أجورهن فقيل بل اذا سلمتم (قوله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع الخ) فان قلت فيه شيآن أحدهما ما الدليل على ان المراد

ماذكر الثانى انه خلاف ماتقرر من اعتبار مفهوم الشرط وهو انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط والجواب عنهما ان اشتراط التسليم فى صحة الاسترضاع خلاف اتفاق العلماء فلا يعتبر مفهوم الشرط قال العلامة الطيبى ظاهر التركيب يوجب ان يكون التسليم شرطا لصحة حكم الاسترضاع لان قوله اذا سلمتم ما آتيتم لهن ما أردتم ايتاءه فلا جناح عليكم ان أردتم ان تسترضعوا فجعل رفع الجناح عن ارادة حكم الاسترضاع مشروطا بتسليم الأجرة وليس بشرط باتفاق العلماء فيكون محمولا على الندب الى الاولى ويجوز ان يكون شرطا وان يجرى على الوجوب مبالغة فيكون نصا على ان يكون المعطى أكثر ثوابا أقول فى صحة وقوع مثل هذه المبالغة فى القرآن نظر (قوله أى وأزواج الذين الخ) لا حاجة الى هذا التقدير لان يذرون أزواجا فى قوة يذرون أزواجهم فضمير يتربصن بانفسهن راجع الى أزواجهم فالربط يحصل بالضمير المذكور ولعل هذا أولى مما ذكره اذ على ماذكر لا يظهر كثير فائدة لقوله تعالى ويذرون أزواجا (قوله وتأنيث العشر باعتبار الليالى الخ) هذا بناء على ماتقرر من ان تجريد العشر ونحوه عن التاء علامة كونه مؤنثا لان مميزه الذى هو عبارة عنه مؤنث وادخال التاء عليه علامة كون مميزه الذى هو عبارة عنه مذكرا (قوله اذ الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلاثة أشهر اذا كان ذكرا الخ) هذا الكلام مناف لظاهر الحديث المنقول فى المشكاة عن الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح لان الظاهر ان لا روح فى الجنين الا بعد انقضاء المدة المذكورة وهى أربعة أشهر فلا يخفى ان هذا مناف لما قاله المصنف من ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلاثة أشهر اذ الحركة لا تكون بدون الروح اللهم الا أن يقال ان معنى الحديث ان كمال نفخ الروح فى جميع الاعضاء لا يكون الا بعد المدة المذكورة وهذا لا ينافى نفخ الروح فى الجملة وفى بعض الاعضاء قبل المدة التى ذكرت فى الحديث هذا ما ظهر لى والله ورسوله أعلم (قوله لكن القياس يقتضى الخ) أى القياس على سائر أحكام الأمة يقتضى ماذكر فان الأمور المتعلقة بها نصف ما للحرة الا ما لا يقبل التنصيف كالطلاق (قوله والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى) لقائل ان يقول لا حاجة الى التمسك بالاجماع بل يجوز ان يقال وخص الحامل عن عموم الآية لقوله تعالى وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن فان قيل لم قدم حكم هذه الآية على قوله تعالى والذين يتوفون وجعل مخصصا لعمومه ولم يعكس حتى يكون عموم الآية المذكورة باقيا قلنا لانه لو عكس لزم نسخ قوله تعالى وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن وقد قرر فى الاصول ان التخصيص خير من النسخ واعلم ان الفقهاء استدلوا بقوله تعالى وأولات الاحمال على التخصيص المذكور والظاهر ان كقوله بالكاف والمعنى والاجماع خص كما خص قوله تعالى (قوله انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا) فان كان مدة الحمل أطول فتعتد الى وضع الحمل وان كان أربعة أشهر وعشر أكثر بان وضعت قبل هذه المدة تعتد بها احتياطا فى العمل بمقتضى الآيتين فان مقتضى قوله تعالى واولات الاحمال أجلهن التربص مدة الحمل ومقتضى قوله تعالى والذين يتوفون منكم تربص أربعة أشهر وعشرا وفى الاحتياط المذكور التربص فى المدتين (قوله فلا جناح عليكم) انما لم يقل فلا جناح عليهن لان هذا آكد اذ هو

المحافظة على ماشرع فى أمر الاطفال والمراضع (واعلموا ان الله بما تعملون بصير) حث وتهديد (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بانفسهن أربعة أشهر وعشرا) أى وأزواج الذين أو والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء أى يستوفون آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير فى مثله قط ذهابا الى الأيام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضى لهذا التقدير ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلاثة أشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان أنثى فاعتبر أقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته فى المبادى فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعى والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل منه لقوله تعالى وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن وعن على وابن عباس رضى الله تعالى عنه انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا (فاذا بلغن أجلهن) أى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) أيها الأئمة أو المسلمون جميعا (فيما فعلن فى أنفسهن) من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليهن للعدة (بالمعروف) بالوجه الذى لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح (والله بما تعملون

كالدليل لانه اذا لم يمكن جناح على الأئمة بسببهن فلا جناح عليهن اذا فعلن مانهين عنه لكن للائمة ان يمنعوهن (قوله التعريض والتلويح إلخ المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا) الى قوله والكناية تعريف التعريض مأخوذ من قول ابن الأثير فانه قال فى المثل السائر التعريض هو اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقى أو المجازى بل من جهة التلويح والاشارة فيختص باللفظ المركب كقول من يتوقع صلة والله انى محتاج فانه تعريض بالطلب مع انه لم يوضع له لا حقيقة ولا مجازا وانما فهم المعنى من عرض اللفظ أى من جانبه انتهى فيكون التعريض استعمال اللفظ فى معنى لا يصح استعماله فيه لا بطريق الحقيقة ولا بطريق المجاز وهذا مثل قول السائل جئتك لأسلم عليك فانه لا يصح الكلام المذكور فى طلب العطاء لا حقيقة وهو ظاهر ولا مجازا اذ لم يرد مثل ذلك فى كلامهم واما تعريف الكناية فليس مأخوذا من كلامه بل مأخوذ من كلام صاحب الكشاف وليس هذا التعريف تعريفا للكناية بالحقيقة فانه مشترك بينها وبين المجاز فانه قد يكون بذكر اللازم وارادة الملزوم كما اذا أطلق المسبب وأريد السبب كما فى أمطرت السماء نباتا أى غيثا فلا بد فى تعريفها من أمر آخر هو عدم القرينة الصارفة عن ارادة المعنى الموضوع له واعلم ان فيما قاله ابن الأثير خفاء اذ لا يظهر ان المعنى التعريضى لا يصح استعمال اللفظ فيه لا حقيقة ولا مجازا وهذا هو اللازم من كلامه فانه قال المعنى التعريضى هو ما لا يكون اللفظ موضوعا له لا حقيقة ولا مجازا واذا لم يوضع لا حقيقة ولا مجازا لم يصح استعمال اللفظ فيه حقيقة ولا مجازا والظاهر فى هذا المقام ما لخصه بعض الفضلاء وهو ان المعنى التعريضى ما لا يستعمل اللفظ فيه لا حقيقة ولا مجازا اولا كناية والحقيقة اللفظ المستعمل فيما وضع له فقط والمجاز اللفظ المستعمل فيما لم يوضع له فقط والكناية اللفظ (٢٤٧) المستعمل فيهما معا فى غير الموضوع له اصالة وفى الموضوع له تبعا هذا كلامه على ما نقله الشريف العلامة فى شرح المفتاح وفيه بحث اذ لا معنى لاستعمال اللفظ فيما وضع له الا قصد المعنى من اللفظ ولا يخفى ان المعنى التعريضى مقصود من اللفظ فيكون مستعملا فيه والجواب ان كونه مقصودا لا يستلزم كونه مقصودا من اللفظ

تعملون خبير) فيجازيكم عليه (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) التعريض والتلويح بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هى الدلالة على الشئ بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد لطويل وكثير الرماد للضياف والخطبة بالضم والكسر امر الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة أو نافقة ومن غرضى ان أتزوج ونحو ذلك (أو أكننتم فى أنفسكم) أو أضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا (علم الله انكم ستذكرونهن) ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ (ولكن لا تواعدوهن سرا) استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن أى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا وجماعا بل بالسر عن الوطء لانه مما يسرتم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن فى السر على ان المعنى بالمواعدة فى السر المواعدة بما يستهجن (الا ان تقولوا

اذ معنى كونه مقصودا ان لا تكون ارادته بواسطة فطلب العطاء مستفاد من قوله جئتك لاسلم عليك وهو مقصود المسلم لكن لا يلزم ان يكون القصد بذلك اللفظ ذلك المعنى بل هو مقصود له ولكن لا من هذا اللفظ بل المقصود من اللفظ معناه الحقيقى وجعل هذا المعنى وسيلة الى المعنى التعريضى والحق ان يقال ان الكناية ان يذكر لفظ بقصد به ما يتبع المعنى الموضوع له مع جواز ارادته والتعريض ان يقصد معنى لا من اللفظ بل يقصد باللفظ معنى ويجعل ذلك المعنى اشارة الى معنى آخر لعلاقة بينهما وهذا هو معنى كلام الكشاف فانه قال التعريض ان يذكر شيأ يدل به على شئ لم يذكره فان قوله الشئ الغير المذكور يدل على انه غير مراد من اللفظ أى لم يستعمل اللفظ فيه أصلا اذ لو كان مستعملا فيه لكان مذكورا كما صرح به الشريف العلامة فى شرح المقام عند تفسير كلام الكشاف وظهر من ذلك ما فرع العلامة التفتازانى على كلام الكشاف حيث قال فمثل جئتك لاسلم عليك كناية وتعريض منظور فيه اذ لا يصح ان يكون معنى واحد فى كلام تعريضا وكناية اذ المعنى التعريضى على ما علم من كلام الكشاف كما مر ان لا يكون مقصودا من اللفظ والمعنى الكنائى مقصود منه وهما متنافيان والعجب انه فرق بين الكناية والتعريض بان المعنى الكنائى ما يكون مذكورا والتعريض ما لا يكون مذكورا فان قلت انه أراد ان جئتك لأسلم عليك كناية بالنظر الى المعنى الموضوع له وهو التسليم وتعريض بالنظر الى طلب العطاء لانه قال فى مثال التعريض مثل ان يذكر المجىء للتسليم بلفظ يدل على التقاضى وطلب العطاء فالتسليم مقصود وطلب العطاء عرض وقد أميل اليه من عرض اى جانب قلنا لا يصح التسليم ان يكون كناية بالنظر الى المعنى الموضوع له بل كون الشئ كناية لا بد ان يكون بالنظر الى غير المعنى الموضوع (قوله وفيه نوع توبيخ) اذ هو دال على عدم صبرهم عن الرغبة فيهن والسكوت عنهن (قوله عبر بالسر عن الوطء ثم عن النكاح لانه سبب فيه) لك ان تقول السر المذكور اما عبارة عن الوطء أو عن النكاح فما وجه قوله عبر بالسر

عن الوطء ثم عبر عن النكاح والجواب ان جعله عبارة عن النكاح باعتبار انه يعبر به عن الوطء لظهور المناسبة بينهما ثم جعل السر الذي بمعنى الوطء مجازا عن النكاح لظهور العلاقة بينهما وانما التزم هذا التكلف لعدم المناسبة الظاهرة بين السر والنكاح (قوله وهو غير موعود) بمعنى لو كان قوله تعالى الا ان تقولوا قولا معروفا مستثنى من السر منقطعا كان المفهوم منه واعدوهن قولا معروفا وهو التعريض وليس التعريض موعودا فيه وظاهر كلامه انه سواء كان السر عبارة عن النكاح أو الوطء لا يكون الاستثناء منقطعا فانه لما نفى كون كل منهما موعودا كان المستثنى من أحدهما موعودا لكن كلام العلامة الطيبي يدل على ان كلام المصنف مبني على ارادة النكاح فانه قال وعلى هذا القول وهو ان يراد بالسر عقد النكاح لا يجوز الاستثناء ان يكون منقطعا قال القاضي لانه يؤدي الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود أي التعريض واقع في الحال فلا يكون موعودا انتهى كلامه ولا يخفى دلالته على ما ذكرنا (قوله ولا تعزموا عقدة النكاح الخ) هذا وما سيجيء بعده وهو قوله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه يدلان على المؤاخذة باعمال القلوب قال الراغب دواعي الانسان الى الفعل على مراتب السانح ثم الخاطر ثم التفكر ثم الارادة ثم الهمة ثم العزم فالهمة اجماع من النفس على الامر والعزم هو العقد على امضائه ولهذا قال تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله هذا كلامه أقول اذا ظهر أمر على النفس فهو في أول الامر يقال له السانح لان السنوح الظهور ثم بعد ذلك اذا تحرك يسمى خاطرا لان الخطور هو التحرك ثم ان توجه النفس اليه بان يتأمل فيه سمي ذلك تفكرا ثم اذا ظهر له فائدة واعتقد النفس ذلك حصل

له ميل ان يفعله يسمى ذلك الميل ارادة ثم اذا اجتمعت القوى على ان الامر المذكور ينبغي ان يفعل فهذا الاجماع يسمى همة للقصد الكامل اليه ثم اذا عقد القلب على تحصيله وامضائه يسمى ذلك عزما (قوله واعلموا أن الله غفور حليم) فان قلت المناسب ان يقال واعلموا أن الله عزيز حكيم اذ العزة والغلبة مناسب للحذر قلت المقصود عدم الاقناط فانه لما قيل ان الله تعالى يعلم ما في النفس

فاحذروه يمكن ان يحصل القنوط اذ لا يخلو أحد من الخواطر الباطلة والعزم على ما لا ينبغي واذا كان الله تعالى يؤاخذ العبد على ما في القلوب فؤاخذته بالاعمال بالطريق الاولى فيحصل للشخص القنوط من رحمة الله فلما قيل ان الله غفور حليم حصل الرجاء بالعفو والمغفرة وقيل فيه ايذان بان المنهي عنه مما يجب أن يجتنب عنه ولذلك نهى عن العزم دون الفعل وتنبيه على أن من اراد تركه ولم يعاجل بالعقوبة فانه تعالى يمهله فيأخذه أخذ عزيز مقتدر أقول هذا الوجه وان كان مناسبا للحليم لكن لا يناسب الغفور فرضه ان في ذكر الحليم تنبيها على ما ذكر الا ان التنبيه في ذكر المجموع (قوله الا ان تفرضوا أو تفرضوا) كذا في الكشاف وفيه اشكال لانه يصير معنى الآية ان طلقتم النساء لا جناح عليكم ما لم تمسوهن الا أن تفرضوا أو حتى يفيفهم انها اذا فرض لهن بعد الطلاق ثبت الجناح وليس كذلك اذ الفريضة ليس الا قبل الطلاق والجواب ان يقال ان معنى الآية الا أن تفرضوا أو حتى تفرضوا الا ان فرضتم قبل الطلاق أو حتى فرضتم والتعبير بصيغة المضارع للدلالة على كون الفرض مستقبلا بالنسبة الى ما سبقه كما قالوا ان حتى تنصب المضارع اذا كان مستقبلا اما في الحقيقة أو بالنظر الى ما قبلها والذي تقرر عندي ان يقال ان أو بمعنى الواو وجملة تفرضوا معطوفة على تمسوهن فتكون لهم مقدرة عليها فيكون المعنى لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فان انتفى هذا المجموع بان مسها أو لم يمسها لكن فرض لها فعليها الجناح وهذا هو الذي أفاده المصنف بقوله والمعنى لا تبعة على المطلق الى قوله فلها نصف المسمى وكون أو بمعنى الواو أثبته الكوفيون

فرلا معروفا) وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف أي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة أو الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سر اه وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه (ولا تعزموا عقدة النكاح) ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد أي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح فان أصل العزم القطع (حتى يبلغ الكتاب أجله) حتى ينقضي ما كتب من العدة (واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم) من العزم على ما لا يجوز (فاحذروه) ولا تعزموا (واعلموا ان الله غفور) لمن عزم ولم يفعل خشية من الله سبحانه وتعالى (حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة (لا جناح عليكم) لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى (ان طلقتم النساء مالم تمسوهن) أي تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء ومد اللام في جميع القرآن (أو تفرضوا لهن فريضة) الا ان تفرضوا أو حتى تفرضوا أو وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على

والاخفش والجرمي ونقل صاحب المغني عن بعضهم ان أوفى الآية بمعنى الواو ويؤكده قول بعض المفسرين انها نزلت في رجل أنصاري طلقت امرأته قبل المسيس وقبل الفرض (قوله ومتعوهن عطف على مقدر أي فطلقوهن ومتعوهن) المفهوم من الكشاف انه عطف على ماهو في موقع الجزاء أي اذا طلقتم النساء بدون المسيس والفرض فلا مهر لهن ومتعوهن بمعنى ان الحكم هذا وذاك فلا يضر عطف الاشياء على الاخبار هكذا قاله العلامة التفتازاني أقول عدم المضرة لان منع العطف المذكور انما هو فيما اذا كان المعطوفان لا يكونان لهما محل من الاعراب اما اذا كان لهما محل منه فلا يمنع اذا كان بينهما مناسبة ولا يخفى ما يعرض من التكلفات فالاولى ماقاله المصنف (قوله وهو مقدم على المفهوم) يعني ان المفهوم من قوله تعالى ان لا متعة على الموسوة المفروضة لكن

المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى أو مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمي لها فلها نصف المسمى فنطوق الآية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي لوجوب على الجملة في الاخيرتين (ومتعوهن) عطف على مقدر أي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى رأي الحاكم ويؤيده قوله (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) أي على كل من الذي له سعة والمقتر الضيق الحال مايطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها عن ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي رحمه الله تعالى في أحد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرأ حمزة والكسائي وحفص وابن ذكوان بفتح الدال (متاعا) تمتيعا (بالمعروف) بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة (حقا) صفة لمتاعا أو مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا (على المحسنين) الذين يحسنون الى أنفسهم بالمسارعة الى الامتثال أو الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين قبل الفعل للمشارفة ترغيبا وتحريضا (وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة) لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها (فنصف ما فرضتم) أي فلهن أو فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها (الا ان يعفون) أي المطلقات فلا يأخذن شيأ والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو في لاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه (أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح) أي الزوج المالك لعقده وحله مما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض أصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعي رحمه الله تعالى (وان تعفوا أقرب للتقوى) يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا

حكم التي لم يفرض لها تبعه حكم قسيمها وهي التي فرض لها (قوله الا ان يعفون) الاستثناء متصل والمعنى لهن الشطر في كل حال الا في حال العفو (قوله وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه) لان معنى الآية ان على الزوج نصف ما فرض للزوجة لا الكل الا أن تعفو الزوجة أو يعفو الزوج يعني ان في صورة عفو الزوج ليس لها النصف بل كل المهر فلو كان الطلاق مشطرا ثبت الشطر بمجرد الطلاق ولا يتبع به عفو الزوج فلا وجه لاستثناء عفو الزوج لان اعطاء الزوج الشطر الذي صار ملكه لا يسمى عفوا بل هبة (قوله وهو يؤيد الوجه الاول) وهو ان يكون المراد من الذي بيده عقدة النكاح الزوج وانما كان مؤيدا لان عفو الولي ليس أقرب الى التقوى ولك ان تقول هذا يعين الوجه الاول (قوله والعفو على وجه التخيير ظاهر) لان العفو اسقاط شئ يمكن أن يستوفى بخلافه على الوجه الآخر وهو كون الشطر عائدا الى الزوج بنفس الطلاق (قوله وتسميتها عفوا الخ)

أى تسميته اعطاء الزوج الزيادة على الحق أى الزيادة على حق الزوجة عفوا على المشاكلة باعتبار وقوعه فى صحبة عفو الزوجات أو باعتبار ان عادتهم سوق المهر الى الزوجة عند التزوج فالزوج مطالبة الشطر من الزوجة واسترداده منها فاذا لم يطالب فقد عفا عن المطالبة فيكون المراد بالعفو فى قوله تعالى أو يعفو اسقاط حق المطالبة وان كان مستلزما لمطالبة الشطر وانما احتيج الى هذين التوجيهين لان العفو ترك شئ لا اعطاؤه فان قلت ما وجه كونه أقرب الى التقوى وليس ترك العفو مما فيه حرج حتى يكون العفو أقرب الى نفى الحرج قلت المقصود انه أقرب الى العفو أقرب الى التقوى والعفو تفضل أكد ذلك بان قيل لا تتركوا التفضل وفيه مبالغة فان النهى عن النسيان دليل على النهى عن الترك فان الشئ اذا ترك قد يصير منسيا أى المقصود منه عدم ترك التفضل فيكون مجازا فى المجاز مبالغة (قوله أى الوسطى بينها) لانها المتوسطة بين الصلوات لان مجموع الصلوات خمس وصلاة العصر ثالثها (قوله لانها المتوسطة بالعدد) أى بين الاثنين اللتين هما صلاة الصبح والاربعة التى هى الباقية (قوله ووتر النهار) العلة الاول دليل لكون صلاة المغرب وسطى بمعنى كون عدد ركعاتها بين أعداد ركعتى الصبح وركعات غيره من الصلوات وهذه العلة علة كون صلاة المغرب وسطى بمعنى الفضلى لكون الوتر أشرف من الشفع (قوله وقرئ بالنصب على الاختصاص) فيكون التقدير وأمدح صلاة الوسطى (قوله حال المسايفة) بالسين والفاء من السيف أى فى حال ضرب السيف من الجانبين (قوله ومامصدرية أو موصولة) والتقدير على الاول مثل تعليمكم أى تعليم الله اياكم وعلى الثانى مثل الذى علمكموه الله فان قلت على التقديرين ما معنى المثلية قلنا المراد من المثلية الاستواء فى صفة الكمال والحسن (قوله وقرئ متاع بدلها) اى بدل الوصية أى قرئ متاعا لازواجهم متاعا (قوله وبمتاع على قراءة من قرأ الخ) أى قراءة من قرأ متاعا لازواجهم متاعا الى الحول لان المتاع الاول بمعنى التمتيع فيكون تعديه بمقتضى المفعول ومتاعا الثانى بمعنى ما يتمتع به

اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو (ولا تنسوا الفضل بينكم) أى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض (ان الله بما تعملون بصير) لا يضيع تفضلكم واحسانكم (حافظوا على الصلوات) بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها فى تضاعيف أحكام الاولاد والازواج لثلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها (والصلاة الوسطى) أى الوسطى بينها أو الفضلى منها خصوصا وهى صلاة العصر لقوله عليه الصلاة والسلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلاة الظهر لانها فى وسط النهار وكانت أشق الصلوات عليهم فكانت أفضل لقوله عليه الصلاة والسلام أفضل العبادات أحزها وقيل صلاة الفجر لانها بين صلاتى النهار والليل والواقعة فى الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهرتين واقعتين طرفى الليل وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ والصلاة الوسطى وصلاة العصر فتكون صلاة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص والمدح (وقوموا لله) فى الصلاة (قانتين) ذاكرين له فى القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت فى الصبح (فان خفتم) من عدو أو غيره (فرجالا أو ركبانا) فصلوا راجلين أو راكبين ورجالا جمع راجل أو رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلاة حال المسايفة واليه ذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يصلى حال المشى والمسايفة ما لم يمكن الوقوف (فاذا أمنتم) وزال خوفكم (فاذكروا الله) صلوا صلاة الامن أو اشكروه على الامن (كما علمكم) ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلاة حالتى الخوف والامن أو شكرا بوازيه وما مصدرية أو موصولة (ما لم تكونوا تعلمون) مفعول علمكم (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم) قرأ ابان بالنصب أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية أو ليوصوا وصية أو كتب الله عليهم وصية أو ألزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون أو وحكمهم وصية أو والذين يتوفون أهل وصية أو كتب عليهم وصية أو عليهم وصية وقرئ متاع بدلها (متاعا الى الحول) نصب بيوصون ان أضمرت والا فبا لوصية وبمتاع على قراءة من قرأ

لانه بمعنى التمتيع (غير اخراج) بدل منه أو مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول أو حال من أزواجهم أى غير مخرجات والمعنى أنه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك فى أول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله أربعة أشهر وعشرا وهو وان كان متقدما فى التلاوة فهو متأخر فى النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع أو الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابى حنيفة رحمه الله (فان خرجن) عن منزل الازواج (فلا جناح عليكم) أيها الائمة (فيما فعلن فى أنفسهن) كالتطيب وترك الاحداد (من معروف) مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على أنه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة وأخذ النفقة وبين الخروج وتركها (والله عزيز) ينتقم ممن خالفه منهم (حكيم) يراعى مصالحهم (وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) أثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد ما أوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك أوجبها ابن جبير لكل مطلقة وأول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان تكون اللام للعهد والتكرير للتأكيد أو لتكرر القضية (كذلك) اشارة الى ما سبق من أحكام الطلاق والعدة (يبين الله لكم آياته) وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا (لعلكم تعقلون) لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها (ألم تر) تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأرباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ومن لم يسمع فانه صار مثلا فى التعجيب (الى الذين خرجوا من ديارهم) يريد أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيها طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله تعالى وقدره أو قوما من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم (وهم ألوف) أى ألوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون وقيل متألفون جمع الف أو آلف كقاعد وقعود والواو للحال (حذر الموت) مفعول له (فقال لهم الله موتوا) أى قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بأمر الله تعالى ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وانما أسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا (ثم أحياهم) قيل مر حزقيل عليه السلام على أهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله تعالى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء (ان الله لذو فضل على الناس) حيث أحياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليهم حالهم ليستبصروا (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أى لا يشكرونه كما ينبغى ويجوز أن يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار (وقاتلوا فى سبيل الله) لما بين أن الفرار من الموت غير مخلص منه وان المقدر لا محالة واقع أمرهم

(قوله بدل) قال العلامة التفتازانى أى بدل اشتمال أقول هذا اذا أريد بالمتاع التمتيع وأما اذا كان المتاع صادقا على غير الاخراج بان يراد به أى بالمتاع ما يتمتع وينتفع والمراد بغير الاخراج السكنى كان بدل الكل لا بدل الاشتمال لان المبدل منه عام والبدل خاص فيكون كما اذا قيل لمن له خمس اخوة أحدهم زيد جاءنى أخوك زيد وفسر صاحب الكشاف المتاع بان تمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملا أى ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن فيكون المتاع عبارة عن شيئين أحدهما الانفاق والثانى الاسكان فعلى هذا كان بدل البعض (قوله أو مصدر مؤكد) أى مؤكد لغيره كما يدل عليه التمثيل المذكور لان هذا القول يحتمل ان يكون خلاف ما يقوله المخاطب وان يكون وفاقه فان المتاع يحتمل عدم الاخراج وان يكون غيره فالفعل المقدر لا يخرجن فيكون غير اخراج بمعنى انتفائه هذا مضمون كلام العلامة التفتازانى ولا يخفى ما فيه من البعد والتكلف (قوله أثبت المتعة للمطلقات جميعا) خص عنه المطلقة قبل الدخول ان وجب لها مهر بتسمية صحيحة أو فاسدة أو فرض فلا متعة لها اذ بقى لها نصف المهر (قوله ويجوز ان تكون اللام للعهد) يعنى أريد بالمطلقات ههنا اللاتى لم يمسهن الازواج ولم يفرضوا لهن فريضة (قوله ألم تر الى الذين خرجوا) لما قال الله تعالى كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون عقبه بالآية العظيمة التى هى احياء الجماعة بعد اماتتها (قوله تقرير) أى حمل على الاقرار جعل سماع قصتهم من المخبر الصادق كالرؤية والرؤية ان كانت بمعنى الابصار فتعديته بالى باعتبار انها بمعنى النظر وان كانت بمعنى العلم فباعتبار ان معناه ألم تعلم منتهيا علمك الى حال الذين خرجوا الخ (قوله ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فيه اشارة الى ان الكفار أكثر من المؤمنين

(قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حالح) فائدة لفظ ذا مع كون المشار اليه غير محسوس متعين ومع الاستغناء عنه بقوله الذى جعل المفعول المعلوم كالمشاهد ليتوجه اليه ويعين بعد الابهام (قوله يقرض الله) قراض الله تعالى عبارة عن تقديم العمل الصالح فيحصل بدله من الثواب شبه الاشتغال بالعبادة لاجل نيل الثواب باعطاء المال لاخذ العوض (قوله حالا من الضمير المنصوب) وهو الهاء فى يضاعفه فيه نظر لان هذا الضمير راجع لى القرض الحسن وهو ليس باسم عين كثيرة بل الاضعاف الكثيرة جزاؤه كما استفيد من قوله جزاء الا ان يقال ان مراده من قوله حال من الضمير المنصوب انه حال من المضاف الى ذلك الضمير وهو الجزاء (قوله فلا تبخلوا عليه الخ) أى لا تبخلوا على الله تعالى بترك الانفاق وانصرف فى المصارف التى أمر الله تعالى بالصرف فيها (قوله ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل) فصل هذه القصة عن القصة السابقة للاشعار بان كلا منهما أمر مستقل بالتعجب واظهار القدرة الكاملة (قوله مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف للملكا) انما لم يذكر الحالية ههنا لانها أى (٢٥٢) الحالية لا تخلو عن نوع تكلف وفى الاول لا تجوز الوصفية الا بتقدير فلذا جعلها حالا

بالقتال اذ لوجاء أجلهم ففى سبيل الله والا فالنصر والثواب (واعلموا أن الله سميع) لما يقوله المتخلف والسابق (عليم) بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء (من ذا الذى يقرض الله) من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذى صفة ذا أو بدله واقراض الله سبحانه وتعالى مثل لتقديم العمل الذى به يطلب ثوابه (قرضا حسنا) اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس أو مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن بالجهاد والانفاق فى سبيل الله (فيضاعفه له) فيضاعف جزاءه أو تجعله على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذى يقرض الله فى معنى أيقرض الله أحد وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب (أضعافا كثيرة) كثرة لا يقدرها الا الله سبحانه وتعالى وقيل الواحد بسبعمائة وأضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب أو المفعول الثانى لتضمن المضاعفة معنى التصيير أو المصدر على ان الضعف اسم مصدر وجمعه للتنويع (والله يقبض ويبسط) يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرأ نافع والكسائى والبزى وأبو بكر بالصاد ومثله فى الاعراف فى قوله تعالى وزادكم فى الخلق بسطة (واليه ترجعون) فيجازيكم على حسب ما قدمتم (ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل) الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض (من بعد موسى) أى من بعد وفاته ومن للابتداء (اذ قالوا لنبى لهم) هو يوشع أو شمعون أو شمويل عليهم السلام (ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله) أقم لنا أميرا ننهض معه للقتال بدبر أمره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال أى ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف للملكا (قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا) فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى أتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو التوقع عنده

وفى الثانى تجوز فرم يتعرض للحالية (قوله مستفهما عما هو التوقع عنده) هذا يدل على ان عسى ليس مستعملا فى معناه الحقيقى اذ لا وجه لاستفهام المتكلم عن توقعه واما قوله فهو سؤال عما هو التوقع عنده ففيه نظر اذ التوقع عنده ترك القتال فكان السؤال عن ترك القتال فلا حاجة الى لفظ عسى بل يكفى ان يقال هل لا تقاتلوا ان كتب عليكم القتال فان قيل المراد ترك القتال من حيث انه متوقع وهذه الحيثية مستفادة من عسى قلنا لا يظهر من كلامه معنى التركيب فانه لما دخل هل على عسى لابد أن تفيد تقرير مدخولها وهو لا يستقيم من كلامه وقال صاحب الكشاف ادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده تقريرا ومظنون وأراد بالاستفهام تقرير ان التوقع كائن وانه صائب فى ظنه فيفهم منه ان معنى الكلام هل أصبت فى ظنى عدم قتالكم ان كتب عليكم وكلام المصنف خال عن هذه الفائدة اذ تى ذكرها صاحب الكشاف ولو قيل ان معنى هل عسيتم هل يتوقع منكم لكان أولى وأخف تكلفا مما ذكر وقال العلامة التفتازانى فى كلامه صريح فى ان الاستفهام عن التوقع على ما صرح به فى قوله فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومعنى الاستفهام التقرير بمعنى التثبيت للتوقع وان كان الشائع فى الاستعمال من اتقرير الحمل على الاقرار فان قيل القياس الاستفهام عما دخله حرف الاستفهام وهو ههنا التوقع والظن أعنى مضمون عسى لا مضمون خبره الذى هو ان لا تقاتلوا فكان ينبغى ان يجعل الاستفهام والتقرير عائدا الى التوقع بمعنى كون ترك القتال متوقعا مظنونا فى الجملة لا الى توقع المستفهم بالخصوص ليندفع بانه لا معنى لاستفهام الرجل عن توقعه فتعين الصرف الى التوقع قلنا لا خفاء فى ان مدلول اللفظ التوقع والرجاء من المتكلم لا غير ولا معنى لاستفهامه عنه ولو لمجرد التقرير فانه مقرر بمجرد دلالة الكلام والتحقيق انه لما كان المقصود حصول مضمون الخبر كانت القيود من

الاستفهام والتوقع ونحو ذلك عائدة اليه حتى كأنه حاول اثبات ترك المقاتلة مفيدة بكونه على سبيل التوقع دون الجزم ثم بكونه مستفهما عنه للتقرير أقول فيه نظر اما أولا فلانا نقول الاستفهام عن المتوقع لمجرد التقرير وقوله فانه مقرر بمجرد دلالة الكلام فلنا هو وان كان معلوما فالاستفهام مفيد تأكيد التقرير وامانيا فلان ما قلناه وهو كأنه حاول اثبات ترك المقاتلة على سبيل التوقع هو بعينه تقرير توقع ترك المقاتلة فلا وجه لنفي الثاني واثبات الاول ثم لا يخفى ان الاستفهام للتقرير هو مجرد الاثبات فتقييد اثبات

تقرير اوتثبيتا وقرأ مافع عسيتم بكسر السين (قالوا ومالنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) أى أى غرض لنا فى ترك القتال وقد عرض لنا مايوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بنى اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا أولادهم وأسروا من أبناء الملوك أربعمائة وأربعين (فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم) ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد أهل بدر (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم فى ترك الجهاد (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) طالوت علم عبرى كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روى ان نبيهم صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ان يملكهم أتى بعصا فقاس بها من بملك عليهم فلم يساوها الا طالوت (قالوا أنى يكون له الملك علينا) من أين يكون له ذلك ويستأهل (ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) والحال أنا أحق بالملك منه وراثة ومكنة وانه فقير لامال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا أوسقاء أودباغا من أولاد بنيامين ولم تكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة فى أولاد لاوى بن يعقوب والملك فى أولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق (قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم) لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك أولا بان العمدة فيه اصطفاء الله سبحانه وتعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون أعظم خطرا فى القلوب وأقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لاما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم بعديده فينال رأسه وثالثا بان الله تعالى مالك الملك على الاطلاق فله أن يؤتيه من يشاء ورابعا انه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره (وقال لهم نبيهم) لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم (ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت) الصندوق فعلوت من التوب وهو الرجوع فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقاق ومن قرأه بالهاء فلعله أبدله منه كما أبدل من تاء التأنيث لاشتراكهما فى الهمس والزيادة ويريد به صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد موها بالذهب نحوا من ثلاثة أذرع فى ذراعين (فيه سكينة من ربكم) الضمير للاتيان أى فى اتيانه سكون لكم وطمأنينة أو للتابوت أى مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه الصلاة والسلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بنى اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحوالعدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صورة الانبياء

ترك المقاتلة بالاستفهام للتقرير تقييد للشئ بنفسه فتأمل فى هذا المقام (قوله ومالنا ألا نقاتل) عطف على مقدر فكان تقديره قالوا ونقاتل البتة ومالنا ان لا نقاتل أى ليس لنا غرض فى ترك القتال بل غرضنا فى القتال بسبب الاخراج من البلاد والانفراد من الابناء وانما قدر حرف الجر وهو فى اذ لا يستقيم المعنى بدونه لان ظاهر المعنى وما حصل لنا عدم القتال فاذا قدر فى صار المعنى صحيحا (قوله يدفعه منع صرفه) فى الكشاف ووزنه ان كان من الطول فعلوت أصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبرانى وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة فحينئذ يكون الحكم بالاشتقاق ليكونه عربيا ومنع الصرف لكونه أعجميا (قوله والحال أنا أحق منه الخ) أراد انه حال عن ضميره فان قلت

الحال يبين هيئة ذى الحال وليس نحن أحق بالملك مبينا لهيئة صاحب الضمير قلت هو متضمن لافادة هيئة صاحب الضمير فانهم اذا كانوا أحق منه كان هو متصفا بان لهم فضلا عليه وأحق بالملك منه ويمكن ان يقال هاتان الحالتان كأنهما علتان لما هو حال فى الحقيقة والمعنى أنى يكون له الملك علينا غير مستحق له لانا أحق بالملك منه فان قلت هذا التقرير وهو كونه غير مستحق للملك ينافى قوله تعالى ونحن أحق بالملك منه لانه يدل على استحقاقه للملك أكلهم أحق بالملك منه كما هو مفهوم صيغة التفضيل ولا يصح الجواب ان يقال افعل بمعنى الفاعل لان أفعل اذا كان مستعملا بمن لا يكون بمعنى الفاعل قلنا المراد انه ليس مستحقا للملك علينا ولا يصلح له لانا أحق بالملك منه

وكونه غير مستحق للملك عليهم لا يستلزم كونه غير مستحق للملك مطلقا (قوله وقيل التابوت هو القلب الخ) هذا التفسير لا يلائم ماسيجيء من قوله تعالى وبقية مما ترك آل موسى على ما فسره برضاض الالواح وغيره اللهم الا ان يقال ان بقية على هذا التقدير عطف على التابوت (قوله صار كاللازم) ذكر صاحب الكشاف انه يحتمل ان يكون متعديا حذف مفعوله فصار كاللازم ويحتمل ان يكون لازما بمعنى فصل فصولا كوقف فانه جاء متعديا كوقفه وقفا وجاء لازما كوقف وقوفا واذا كان لازما كان معناه انفصل وتفسير فصل بانفصل يدل على انه لازم في أصله لان انفصل لازم حقيقة وماذكر بعده من ان معناه فصل نفسه يدل على انه متعد فيكون مراده من قوله انفصل بالجنود بيان حاصل المعنى (قوله لم أطعم نقاخا ولا بردا) النقاخ بالنون والقاف والخاء المعجمة الماء العذب والبرد النوم (قوله وانما علم ذلك بالوحي الخ) لم لا يجوز ان يعلم ذلك بالالهام من غير ان يكون نبيا ولا سمع من النبي (قوله اذ الاصل في الشرب منه الخ) أي ظاهر هذا التركيب وهو جعل منه متعلقا بالشرب يدل على ان الشرب من النهر نفسه من غير واسطة شيء آخر كالكف وغيره (قوله كما قدم الصابئون) أي كما قدم

الصابئون في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فيكون قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني جملة بين أجزاء كلام واحد كما ان الصابئون كذلك (قوله وتعميم الاول ليتصل الاستثناء) اعلم انه قد يتوهم منه ان جعل قوله تعالى الا من اغترف غرفة استثناء من قوله فمن شرب منه اذا كان الاستثناء متصلا واما اذا جعل منقطعا فيحتمل ان يكون منه وان يكون من الجملة التي قبلها لكن الحق انه اذ جعل الشرب في الاول بمعنى الكرع والاستثناء منقطعا مما ذكر وهو من شرب فظاهر معناه اذ على هذا يلائم الاستثناء لان معناه فمن كرع أو من النهر فليس مني لكن من اغترف غرفة بيده فهو مني واما اذا جعل استثناء من قوله ومن لم يطعمه فانه مني فليس كذلك لانه ان كان معناه ومن لم يطعمه فهو مني لكن من اغترف غرفة بيده فليس مني حتى يخالف المستثنى المستثنى منه فلا يظهر وجه لكن اذ لا وهم حاصل من السابق بل مفهوم السابق دل على ان الشارب ليس منه فيكون الا من اغترف غرفة بيده على الوجه المذكور مؤكدا لهذا المفهوم وان قيل الا من اغترف غرفة بيده معناه لكن من اغترف غرفة بيده فانه مني فلا يصح ان يكون استثناء من قوله ومن لم يطعمه فانه مني لوجوب مخالفة المستثنى والمستثنى منه في الحكم فلا يظهر وجه الاستثناء الا اذا اعتبر مفهوم هذا القول وهو ان من شرب فليس مني وعلى هذا فلا يكون في الحقيقة من قوله تعالى ومن لم يطعمه بل مما دل عليه وهو المفهوم المخالف فجعله استثناء من قوله فمن شرب منه فليس مني هو الحق بل قسم واعلم ان كلام المصنف صريح في ان الاستثناء المذكور متصل وكلام صاحب الكشاف صريح في انه منفصل لانه فسر قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني من كرع منه فليس

من آدم الى محمد عليهم الصلاة والسلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما أبناؤهما أو أنفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما أو أنبياء بني اسرائيل لانهم أبناء عمهما (تحمله الملائكة) قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع أنبيائهم يستفتحون به حتى أفسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في أرض جالوت الى أن ملك الله طالوت فاصابهم بلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت (ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) يحتمل أن يكون من تمام كلام النبي عليه السلام وان يكون ابتداء خطاب من الله سبحانه وتعالى (فلما فصل طالوت بالجنود) انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة وأصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري الله لهم نهرا (قال ان الله مبتليكم بنهر) معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه (فمن شرب منه فليس مني) فليس من أشياعي أو ليس بمتحد معي (ومن لم يطعمه فانه مني) أي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا أو مشروبا قال الشاعر * وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا * وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل أو باخبار النبي عليه السلام (الا من اغترف غرفة بيده) استثناء من قوله فمن شرب منه وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم والصابئون على الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون غرفة بضم الغين (فشربوا منه الا قليلا منهم) أي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه أن لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء

بمتصل فى وجه ماقاله المصنف ان الظاهر من الاستثناء الاتصال ووجه كلام الكشاف ماسيجىء وقال العلامة التفتازانى لاخفاء فى ان من اغترف بيده ليس ممن شرب منه بمعنى الكرع ولا ممن لم يذقه بل قسم مقابل لهما محتاج الى ان يبين حكمه والحكم فى أحد القسمين المقابلين له المنع المعبر عنه بقوله فليس منى وفى الآخر عدم المنع بل الاتصال والاتحاد وقد استثنى المغترف وليس استثناء متصلا لعدم الدخول أقول فان قلت من أين يعلم ان الشرب بمعنى الكرع قلت من قوله تعالى فشربوا منهم الاقليلا منه لان هذا بمعنى الكرع لا بمطلق الشرب لان المخالفين لامر النبى فى الشرب الاكثرون على مايدل عليه التفاسير والروايات فعلم ان الشرب فى قوله فشربوا ليس لمطلقه والالم يكن مخالفة لان مطلق الشرب ليس بمنهى عنه لقوله تعالى الامن اغترف غرفة بيده وحمل الشرب فى قوله فشربوا على الكرع والشرب فى قوله فمن شرب على مطلقه لايخلو عن بعد (قوله وتعميم الاول ليتصل الاستثناء) أى تعميم الشرب فى قوله تعالى فمن شرب منه فليس منى بان يكون بطريق الكرع أولا (٢٥٥) ليكون الاستثناء متصلا اذ لو جعل الشرب على الكرع لم يدخل المستثنى الذى هو الاغتراف باليد فى المستثنى منه الذى هو الكرع (قوله والذين آمنوا معه) أى كائنين معه (قوله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه) فان قيل تخصيص ماذكر وهو قوله الذين يظنون انهم ملاقوا الله بالبعض من ذلك القليل لادليل عليه فالاولى ان يكون عاما والتعبير بذلك تشريف لهم وتكريم وافادة ان كلامنهم ظان انه ملاق الله قلنا هذه النكتة تدل على جواز ارادة ماذكر لكن الظاهر خلافه لان ضمير قالوا بحسب الظاهر للذين آمنوا وهذا يناسب ان يكون الظانون بعضا منهم لا كلهم حتى يكون القائل بالكلام الاول بعضا منهم والقائل بالكلام الثانى البعض الآخر وهم خلص فان قلت المؤمنون كلهم تيقنوا انهم ملاقو الله لان تيقن الآخرة واجب داخل فى الايمان فلا وجه لتخصيصه بالبعض من المؤمنين الذين ذكرتم قلنا لعل هذا على تقدير ان يكون المراد الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب كما صرح به المصنف فتأمل والمعلوم من الكشاف وتعليقاته ان المراد من الظن قوة اليقين فان المؤمنين وان كانوا متشاركين فى أصل اليقين لكنهم متفاوتون فى درجاته وهذا الوجه يدفع السؤال المذكور على كل تقدير الا ان التعبير عن كمال اليقين بالظن لايخلو عن بعد (قوله ومن مبينة أو مزيدة) اذا كان كم خبرية فمن بيانية أى كثيرة فيه واذا كانت استفهامية فمن زائدة لانه فى كلام غير موجب واعلم ان كون كم للاستفهام لم يذكر فيما رأيناه من التفاسير ولم يظهر لوجه (قوله فوزنها فعة أو فلة) يعنى على التقدير الاول حذف لام الفعل وهو الواو وعلى التقدير الثانى حذف عين الفعل وهو الالف المقلوبة عن الحرف الاصلى (قوله فكسر وهم بنصره) الظاهر من هذا الكلام تفسير الاذن بالنصر ويمكن تفسيره بالارادة (قوله مداحض) المدحض المزلق (قوله فى مخالاته) بكسر الميم التى يجعل فيها الخلاء وهو قشور الحنيش الرطب

أو أفرطوا فى الشرب منه الاقليلا منهم وقرئ بالرفع جملا على المعنى فان قوله فشربوا منه فى معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل ثلثمائة آلاف وقيل ألفا روى ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه وادواته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضى وهكذا الدنيا القاصد الآخرة (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه) أى القليل الذين لم يخالفوه (قالوا) أى بعضهم لبعض (لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) لكثرتهم وقوتهم (قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله) أى قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه أو علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير فى قالوا للكثير المنخذلين عنه اعتذارا فى التخلف وتخذيلا للقليل وكأنهم تقاولوا به والهرب بينهما (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الخبر والاستفهام ومن مبينة أو مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته أو من فاء اذا رجع فوزنها فعة أو فلة (والله مع الصابرين) بالنصر والاثابة (ولما برزوا لجالوت وجنوده) أى ظهروا لهم ودنوا منهم (قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) التجؤا الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا أولا افراغ الصبر فى قلوبهم الذى هو ملاك الامر ثم ثبات القدم فى مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا (فهزموهم باذن الله) فكسروهم بنصره أو مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم (وقتل داود جالوت) قيل كان ايشا فى عسكر طالوت معه ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذى يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد كلمه فى الطريق ثلثة أحجار وقالت له انك بها تقتل جالوت فحملها فى مخلاته ورماه فقتله ثم زوجه طالوت بنته (وآتاه الله الملك) أى ملك بنى اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك (والحكمة) أى النبوة (وعلمه مما يشاء) كالسرد وكلام الدواب والطير (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض

(قوله لما أخبرت بهامن غير تعرف واستماع) يمكن ان يقرأ أخبرت بصيغة المبنى للفاعل فيكون المعنى ظهور رسالتك عند الناس بما خبرت به من القصص والتواريخ من غير تعرف واستماع من الغير وان يكون على صيغة المبنى للمفعول فيكون معناه انك لمن المرسلين لما قص الله عليك من أنباء الانبياء وقصصهم (قوله واللام للاستغراق) هذا مما زاد على الكشاف وفيه نظر لان تلك اشارة الى الجماعة فلا يصلح ان يكون الرسل صفة لها اذا كان اللام للاستغراق اذ معنى الرسل على هذا التقرير كل واحد واحد من الرسل والجماعة غير كل واحد الا ان يراد بالاستغراق مجموع الافراد والاولى ان يجعل اللام للعهد أى الرسل الذين علمت حالهم قال العلامة الطيبى النظم يقتضى ان يجعل التعريف فى المرسلين وفى الرسل للجنس وان يراد بالآيات جميع الآيات المذكورة من لدن

لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين) ولولا أنه سبحانه وتعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم اغلبوا وأفسدوا فى الارض أولفسدت الارض بشؤمهم وقرأ فع هنا وفى الحج دفاع الله (تلك آيات الله) اشارة الى ماقص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبارة وقتل داود جالوت (نتلوها عليك بالحق) بالوجه المطابق الذى لايشك فيه أهل الكتاب وأرباب التواريخ (وانك لمن المرسلين) لما أخبرت بهامن غير تعرف واستماع (تلك الرسل) اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها فى السورة أوالمعلومة للرسول صلى الله عليه وسلم أوجماعة الرسل واللام للاستغراق (فضلنا بعضهم على بعض) بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره (منهم من كلم الله) تفصيل له وهو موسى عليه الصلاة والسلام وقيل موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كلم الله موسى ليلة الحيرة فى الطور ومحمدا عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج حين كان قاب قوسين أوأدنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلام الله كما أن الله كلمه ولذلك قيل كلم الله بمعنى مكالمه (ورفع بعضهم درجات) بان فضله على غيره من وجوه متعددة أوبمراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خصه بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين وقيل ابراهيم عليه السلام خصه بالخلة التى هى أعلى المراتب وقيل ادريس عليه السلام لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل أولو العزم من الرسل (وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى فى تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره (ولوشاء الله) أى هدى الناس جميعا (ماقتتل الذين من بعدهم) من بعد الرسل (من بعد ماجاءتهم البينات) أى المعجزات الواضحة لاختلافهم فى الدين وتضليل بعضهم بعضا (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن) بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا (ومنهم من كفر) لاعراضه عنه بخذلانه (ولوشاء الله ماقتتلوا) كرره للتأكيد (ولكن الله يفعل مايريد) فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان

مفتتح السورة أقول فى كون اللام فى الرسل للجنس نظر اذ لا يصح ان يقال جماعة الرسل جنسهم فتأمل (قوله بان خصصناه بمنقبة) فيه اشارة الى ان فضل بعضهم على بعض بتفضيل الله لا بمقتضى الذات (قوله وبينهما بون بعيد) أى بين الطور وقاب قوسين بون بعيد أو بين المرتبتين وهى التكلم فى الطور والتكلم فى قاب قوسين أو بين المرسلين وهو المكلم فى الطور والمكلم فى قاب قوسين وهذا هو المقصود الاصلى وعدد كر من كلم الله بخصوص الاسم امالانه يكون مشتركا بين المتعدد أولوضوح المكلم وشهرته أولان المقصود ههنا ذكر شرف التكلم وانما ذكر اسم عيسى للتصريح بان معجزاته وآياته من كرامة الله لا لكونه الها أوابنه كما زعمت النصارى وافادة انه ابن مريم لانه ابن الله الحوادث

(قوله وهو محمد عليه الصلاة والسلام) وانما ذكر بين الكلام وبين عيسى فان خير الأمور أوساطها (قوله كأنه العلم المتعين) أى كأنه المشهور والمتعين (قوله أعلى المراتب) ليس المراد انها أعلى كل مرتبة اذ مرتبة المحبة أعلى ولذا كان ابراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله عليهما الصلاة والسلام ولعل المراد انها أعلى من غير المحبة وقد بسط القاضى عياض الفرق بينهما فى كتاب الشفاء (قوله ويخذل من شاء عدلا) فيه ان الخذلان أو لاضلال لا يلزم ان يكونا للعدل بل بحسب الارادة والمشيئة وعدم الفضل فى شأنه الا ان يقال الخذلان المناسب لكل من خذل بحسب الفطرة فهو وضع الشئ فى محله فيكون عدلا (قوله لكن بقاطع) ليس المراد انه يعلم من الآيات المذكورة ان التفضيل لا يكون الا بالقاطع وانما هو أمر يعلم من خارج بل الغرض ان يعلم من الآيات انه يجوز تفضيل بعضهم على بعض

(قوله وانما رفعت ثلاثتها الخ) أى المناسب لقصد التعميم ان يفتح الثلاثة ليكون لا النفى الجنس فرفعها لنكتة ذكرها فان قلت اذا قدر السؤال الذى ذكره كان الجواب المطابق ان يقال ليس فيه أى فى اليوم بيع ولا خلة ولا شفاعة من غير الزيادة المتقدمة عليه قلنا الآية مشتملة على الجواب مع زيادة الفائدة (قوله والكافرون هم الظالمون) فان قيل ضمير الفصل للحصر فيجب ان يكون الظلم مقصورا على الكفار ولا يتجاوز الى غيرهم وليس كذلك لان الفاسقين أيضا ظالمون قلنا قد يجىء الضمير المذكور لمجرد التأكيد وقد يجىء لقصر المسند اليه على المسند فهذا يصح ان يكون من كل منهما قال العلامة التفتازانى فى شرح التلخيص فيكون ضمير الفصل لمجرد التأكيد اذا كان التخصيص حاصلا بدونه بان يكون فى الكلام ما يفيد قصر المسند على المسند اليه نحو ان الله هو الرزاق أو قصر المسند اليه على المسند نحو الكريم هو التقوى فان قيل لعل المراد كل الظلم فلنا اذا أريد بالكافر مانع الزكاة كما صرح به المصنف فليس هو بكامل فى الظلم بل الكامل فيه الكافر ويمكن ان يقال الكمال له مراتب منها مرتبة الظلم الحاصل لمانع الزكاة وان كان الكافر أشد ظلما

(قوله والمعنى انه مستحق العبادة لا غير) قد سبق فى الكتاب ان الاله بمعنى المعبود حقا كان أو باطلا لكن ههنا لا يصح ان يكون المراد هذا المعنى العام والا لاختل الحصر اذ المعبود الباطل كثير فلذا قال المراد من الاله المعبود بالحق (قوله وللنحاة خلاف) يعنى ان بعضهم على ان لا حاجة الى تقدير الخبر اذا الكلام يتم بدونه (قوله فى الوجود أو يصح ان يوجد) الفرق ان الاول لا ينفى بحسب الظاهر امكان اله آخر وانما ينفى وجوده والثانى ينفى امكانه (قوله وكل ما يصح له فهو واجب) أى كل ما صح له من الصفات الحقيقية التى منها الحياة بخلاف الصفات الاضافية ككونه موجدا للزيد بالفعل فانه

الحوادث بيد الله سبحانه وتعالى نابعة لمشيئته خيرا كان أو شرا ايمانا أو كفرا (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) ما أوجبت عليكم انفاقه (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) من قبل أن يأتى يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فرطتم والاخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه أو تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه أخلاؤكم أو يسامحكم به ولا شفاعة الا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم فى حط ما فى ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها فى التقدير جواب هل فيه بيع أو خلة أو شفاعة وقد فتحها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب على الاصل (والكافرون هم الظالمون) يريد والتاركون للزكاة هم الظالمون الذين ظلموا أنفسهم أو وضعوا المال فى غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا لهم وتهديدا كقوله ومن كفر مكان ومن لم يحج وإذانا بان ترك الزكاة من صفات الكفار لقوله تعالى ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة (الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف فى انه هل يضمر للاخبر مثل فى الوجود أو يصح أن يوجد (الحى) الذى يصح أن يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان (القيوم) الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام والقيم (لا تأخذه سنة ولا نوم) السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع

وسنان أقصده النعاس فرنقت * فى عينه سنة وليس بنائم

والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفى للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فان من أخذه نعاس أو نوم كان مؤفا للحياة قاصرا فى

(٣٣ - (بيضاوى) اول)

قد لا يتصف البارى تعالى به وقد بسط هذا الكلام فى علم الكلام

(قوله من قام بالامر حفظه) فان قيل اذا كان القيام بمعنى الحفظ فمن أين يعلم الدوام بل معناه المبالغ فى الحفظ ولم يفهم من مجرد ذلك دوام الحفظ اذ يمكن وقوع الحفظ الذى بلغ مرتبة قوته وان لم يكن دائما كما انه يمكن وقوع السور الشديد مثلا وان لم يكن دائما والجواب ان المراد من المبالغة فى الحفظ دوامه لان المتبادر من الجنس الفرد الكامل وكمال الحفظ بدوامه فان من لم يحفظ الشئ دائما فكأنه لم يحفظ (قوله والنوم حال تعرض للحيوان الخ) قد يعرض هذا من المرض كالاغماء والغشى ولا يسمى فى العرف نوما والاولى أن يعتبر قيد آخر فى التعريف وهو ان يمكن ايقاظ صاحبه (قوله وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه الخ) فان فى صورة الاثبات اذا أريد المبالغة يقدم الاضعف فتقول شجاع باسل وفى صورة النفى يعكس فتقول ليس باسل بل ليس بشجاع ولا يقال ليس بشجاع بل ليس بباسل كما لا يخفى واعلم ان تقديم السنة على النوم يفيد المبالغة من حيث ان نفى السنة يدل على نفى النوم فنفيه ثانيا صريحا يفيد المبالغة (قوله تأكيد لكونه حيا قيوما) لك أن تقول ان المصنف فسر الحى بمن يصح ان يعلم ويقدر ومجرد ما ذكر لا يستلزم عدم كون الحياة

مؤلفة والجواب أن يقال ان كل صفة حصلت له تعالى يجب أن تكون فى مرتبة الكمال فالحياة أيضا كذلك فهو الحى الكامل حياته فيجب ان لا يعرضه فتور ونعاس والتفات كمال الحياة وقس عليه صفة القيوم واعلم ان من فوائد قوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم انه لما قيل انه تعالى حى يمكن أن يختلج فى بعض الخواطر القاصرة ان حياته تعالى من جنس حياة الاحياء الأخر فاز يل ذلك بقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم (قوله ولذلك ترك العاطف) أقول لما تقرر فى المعانى من ان الجمل التى أكد بعضها ببعض يترك العاطف بينهما لشدة الاتصال (قوله وتقرير لقيوميته) فان لما فى السموات وما فى الارض يدل على اختصاصها به فيكونان مختصين به تعالى من حيث الوجود ومن حيث الحفظ لان اختصاصها به من غير وجه دون وجه ترجيح من غير مرجح فيكون هو تعالى حافظا لهما دون غيره فيكون قيوما (قوله واحتجاج على وحدانيته) اذ لما كان ما فى السموات وما فى الارض مختصا به لامدخل للغير بالتصرف فيهما لم يمكن الهة آخر اذ لو كان لكان له التصرف أيضا (قوله فهو أبلغ من له السموات والارض وما فيهن) لانه يعلم من التركيب القرآنى ان له السموات والارض وان لم يصرح به بقرينة قوله تعالى له ما فى السموات وما فى الارض لان ما فى السموات والارض أعم من أجزائهما أو من الاجسام الحاصلة فيهما واذا كان كل واحد من أجزائه مالله تعالى فالكل أيضا كذلك فهذا طريق

الاستدلال وهو فائت فى العبارة المذكورة وهو له السموات والارض وما فيهن وههنا نظر وهو ان ما ذكر من عموم الحكم للاجزاء وللاشياء المتمكنة يعلم من قوله وما فيهن فيكون فيه استدلال أيضا بكون السموات والارض له وان علم صريحا أيضا من قوله له السموات والارض و يمكن أن يقال غرضه ان قوله تعالى ما فى السموات وما فى الارض بتكرير ما دل على ان كل جزء للسموات وكل جزء للارض سواء كان ذلك الجزء خاصا بواحد منهما كالفصل أو مشتركا بينهما كالجنس فهو لله تعالى وأما قوله وما فيهن فلا يدل على ما ذكر صريحا بحاله بل على ما ذكر ضمنا بطريق الالتزام لان الجزء المشترك له وكذا انقول فى الامور الخارجة فان ظاهر هذه العبارة دال على ان الامور الموجودة فيهما مملوكة له تعالى وأما الامور التى وجدت فى احداهما دون الاخرى فلا يدل ظاهر العبارة عليه فتأمل (قوله مستقل بان يدفع الخ) يوهم انه يمكن دفع ما يريده شفاعة لكن لا بالاستقلال والحال ان دفع ما اراد الله ليس بممكن والاولى ان يقال لا يمكن لاحد أن يدفع البلاء النازل على شخص بشفاعة الا باذنه (قوله أو أمور الدنيا والآخرة وعكسه) الاول أن يكون ما بين أيديهم أمور الدنيا وما خلفهم أمور الآخرة والثانى وهو تعكس الاول أن يكون ما بين أيديهم أمور الآخرة وما خلفهم أمور الدنيا لان الشخص مستقبل للآخرة مستدبر للدنيا (قوله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتى الخ) التفرد فى العلم يحصل بشيئين أحدهما كونه عالما والثانى انتفاؤه عن غيره وهذان حصلا من مجموع القرينتين اذ من الاولى يعلم انه تعالى عالم بجميع الاشياء ومن الثانية انه لا يعلم غيره شيأ الا أن يعلمه الله وأما كونه دالا على وحدانيته تفرده بالعلم مستلزم للوحدانية اذ لو كان الهة آخر لزم اشتراكه فى العلم اذ الاله المعبود بالحق يجب أن يتصف بجميع صفات الكمال (قوله تصوير لعظمته الخ) أراد ان المعنى بهذه العبارة الدلالة على غاية العظمة والكبرياء لان من له ذلك الكرسى لا بد أن يكون عظيما غاية العظمة ولذا قال العلامة التفتازانى انه من باب اطلاق المركب الحسى المتوهم على المعنى العقلى المحقق (قوله ولذلك يسمى كرسيا)

الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفى الجمل التى بعده (له ما فى السموات وما فى الارض) تقرير لقيوميته واحتجاج به على تفرده فى الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا فى حقيقتهما أو خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو أبلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) بيان لكبرياء شأنه سبحانه وتعالى وانه لا أحد يساويه أو يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا عن أن يعاوقه عنادا أو مناصبة أى مخاصمة (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضى أو أمور الدنيا وأمور الآخرة أو عكسه أو ما يحسونه وما يعقلونه أو ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما فى السموات والارض لان فيهما العقلاء أو لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام (ولا يحيطون بشئ من علمه) من معلوماته (الا بما شاء) أن يعلموه وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتى التام الدال على وحدانيته سبحانه وتعالى (وسع كرسيه السموات والارض) تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسى فى الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه أو ملكه مأخوذ من كرسى العالم والملك وقيل جسم بين يدى العرش ولذلك سمى كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه الصلاة والسلام ما السموات السبع والارضون السبع من الكرسى الا كحلقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور

لان ماهو كرسي في الحقيقة قد يوضع بين يدي العرش الذي هو السرير العظيم (قوله تعالى ولا يؤوده حفظهما) فان قيل لم ذكرت هذه القرينة بواو العطف بخلاف القرائن السابقة قلنا انها ليست تأكيدا لما قبلها اذ لا يلزم من حفظه السموات والأرض سعة الكرسي لهما ولا يلزم من العلو والعظمة عدم الاود بحفظهما (قوله اذا تقيوم هو القائم بنفسه الخ) أي الموجود بنفسه فالمراد من القيام الوجود والمبالغة فيه المستفادة من الصيغة أن يكون حصول الوجود بنفسه وما كان وجوده بنفسه فهو واجب الوجود والواجب يكون موجدا لغيره (قوله منزه عن التحيز والحلول) الظاهر ان هذا مستفاد من قوله تعالى القيوم لانه الموجود بذاته أي ما يكون ذاته كافية في وجوده لا يحتاج الى سواه فلا يكون متحيزا ولا حالا في شئ والا لاحتاج وجوده الى الحيز والمحل بل نقول اذا كان متحيزا كان جسما فكان مركبا من الاجزاء فيحتاج اليها واذا كان حالا فيه كان محتاجا اليه فلا تكون ذاته كافية في وجوده ويحتمل أن يستفاد من أشياء أخر مذكورة في الآية فتأمل (قوله منزه عن التغير والفتور) هذا يستفاد من قوله لا تأخذه سنة ولا نوم وفيه انه ينفي تغيرا وفتورا مخصوصا يكون بالسنة والنوم ولا يلزم من مجرد ماذكر عدم التغير والفتور أصلا ويمكن أن يقال انه

مستفاد من قوله ولا يؤوده حفظهما أو من

بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكأنه منسوب الى الكرس وهو الملبد (ولا يؤوده) أي ولا يثقله مأخوذ من الاود وهو الاعوجاج (حفظهما) أي حفظه السموات والارض فحذف الفاعل وأضاف المصدر الى المفعول (وهو العلي) المتعالي عن الانداد والاشباه (العظيم) المستحقر بالاضافة اليه كل ماسواه وهذه الآية مشتملة على أمهات المسائل الالهية فانها دالة على أنه تعالى موجود واحد في الالوهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من أذن له عالم الاشياء كلها جليها وخفيها كلها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤوده شاق ولا يشغله شأن متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان أعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيآته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله (لا اكراه في الدين) اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا لحمله عليه ولكن (قد تبين الرشد من الغي) تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلائل الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي أي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم أو خاص باهل الكتاب لما روي ان

قوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم علمه بجميع الاشياء (قوله عليه السلام لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت) فان قيل مفهوم الحديث ان الموت يمنع من دخول الجنة لكنه ليس كذلك بل هو سبب الدخول فيها والجواب ان المراد من قوله الا الموت الا تأخر الموت وامتداد الحياة والمعنى انه لم يمنع من دخوله الجنة الا امتداد حياته وتأخر الموت عن تلك المدة (قوله اذا لا اكراه في الحقيقة الخ) لك أن تقول الاكراه الزام الغير ما يخالف مشتهى طبعه فنفي الاكراه في الدين غير متحقق بالنسبة الى كل أحد حتى يصح نفي جنس الاكراه بل انتفاؤه بالنسبة الى طبق الاصل السعيد كما يظهر من كلام المصنف ويمكن أن يكون المعنى لا ينبغي ان يكون اكراه في الدين لوضوح دلائله القاطعة بحيث لا يبقى شك لمن له أدنى تأمل ويمكن ان يقال المراد من الاكراه ههنا ما ذكره لكن قوله في الحقيقة يأبى عن ذلك (قوله أي لا تكرهوا في الدين) أي على الدخول في الدين والاولى أن يقال ان في بمعنى على أي لا تكرهوا على الدين كما قال لا تكرهوا فتياتكم على البغاء (قوله أو خاص بأهل الكتاب لما روى الخ) لما يجوز أن يكون سبب نزولها قصة بعض أهل الكتاب كما ذكر لكن يكون الحكم عاما لهم ولغيرهم

غيره فتأمل (قوله لا يناسب الاشباح) أي الاشباح مطلقا سيما الاشباح التي لها حياة اذ كل حيوان تأخذه السنة والنوم (قوله مالك الملك والملكوت) مستفاد من قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض لان السموات وما فيها سوى الكواكب مغيبات عن الحس وهو المراد بالملكوت (قوله عالم بالاشياء كلها وجزئيها) لانه فسر ما بين الايدي بالمحسوسات والمحسوسات الجزئيات وفسر ما خلفهم بالمعقولات وهي شاملة للكليات وعدم التقييد بشئ يفيد العموم في الخطابيات فيفيد

(قوله فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله) انما قدم الكفر بالطاغوت على الايمان بالله لان الشخص مالم يخالف الشيطان ويترك عبادة غيره تعالى لم يؤمن بالله فالكفر بالطاغوت مقدم على الايمان كما قالوا ان التخلية والتحلية مقدمتان على التحلية (قوله قلب عينه ولامه) أي جعل عينه مكان لامه ولامه مكان عينه ثم جعلت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها (قوله فقد استمسك بالعروة الوثقى) فيه استعارتان تبعية وتحقيقية فقوله تعالى استمسك المأخوذ من الاستمساك تبعية والعروة الوثقى تحقيقية (قوله لا انفصام لها) جملة حالية من العروة الوثقى أو مستأنفة كأنه قيل هل لها انقطاع بوجه فقيل لا (قوله والمراد بهم من أراد ايمانه الخ) انما فسره بذلك لينا سب قوله تعالى يخرجونهم من الظلمات الى النور اذ لو كان المراد منهم المؤمنين بالفعل لكان الاخراج تحصيلا للحاصل ولك أن تقول اذا فسر الظلمات بالجهالات واتباع الهوى كما فعله المصنف يمكن أن يكون المراد من المؤمنين الذين يؤمنون بالفعل ولا حاجة الى التأويل الذي ذكره لان المؤمن قد يعرض له الجهالات والشبه والوساوس المؤدية الى الكفر لولم يعصمه الله (قوله أو حاج لاجله شكر اله) هذه العبارة ليست على ما ينبغي لانه لم يحاج في ربه شكر اله في الحقيقة والاولى ماذكره صاحب الكشاف وهو انه وضع المحاجة في ربه موضع ماوجب عليه من الشكر على ان آتاه الله الملك وكأن المحاجة كانت كذلك ويكون المعنى جعل محاجة ابراهيم في ربه بدل ماوجب عليه من شكر ربه لان آتاه الله الملك وهذا الوجه فيه تكلف والاول من الوجهين الذين ذكرهما أولى ويمكن أن يقال المعنى ان محاجة ابراهيم في ربه بسبب جعل الله اياه ملكا لان ملكه صار سبب عتوه وطغيانه حتى حاج ابراهيم في ربه فتكون اللام المقدرة لمجرد العلية لا للغرض والاولى أن يقال ان الحرف المقدر هو الباء السببية لا اللام (قوله على الوجه الثاني) المراد من الوجه الثاني أن يكون المراد من قوله تعالى ان آتاه الله الملك وقت ان آتاه الله حتى يكون ظرف بدلا عن ظرف (قوله لا عن حجة الى أخرى) بل الحجتان من نوع واحد لان كلا منهما من مقدورات الله تعالى لا يشك عاقل في عدم قدرة الغير عليه أما

أنصارا يكان له بنان تنصر اقبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما أبو هما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما ففا بيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يارسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر اليه فتزلت فخلاهما (فمن يكفر بالطاغوت) بالشيطان أو الاصنام أو كل ماعبد من دون الله أوصد عن عبادة الله تعالى فعلوت من الطغيان قلبت عينه ولامه (ويؤمن بالله) بالتوحيد وتصديق الرسل (فقد استمسك بالعروة الوثقى) طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لتمسك المحق من النظر الصحيح والرأي القويم (لا انفصام لها) لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته (والله سميع) بالاقوال (عليم) بالنيات ولعله تهديد على النفاق (الله ولي الذين آمنوا) محبهم أومتولي أمورهم والمراد بهم من أراد ايمانه وثبت في علمه أنه يؤمن (يخرجهم) بهدايته وتوفيقه (من الظلمات) ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر (الى النور) الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر أو حال من المستكن في الخبر أو من الموصول أو منهما أو استئناف مبين أو مقرر للولاية (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) أي الشياطين أو المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما (يخرجونهم من النور الى الظلمات) من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات أو من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا بأي تعاق قدرته تعالى وارادته به (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه) تعجيب من محاجة نمروذ وحماقته (ان آتاه الله الملك) لان آتاه أي أبطره ايتاء الملك وجعله على المحاجة أو حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاديتني لاني أحسنت اليك أو وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة (اذ قال ابراهيم) ظرف لحاج أو بدل من ان آتاه الله الملك على الوجه الثاني (ربي الذي يحيي ويميت) بخلق الحياة والموت في الاجساد وقرأ حمزة رب بحذف الياء (قال أنا أحيي وأميت) بالعفو عن القتل والقتل وقرأ نافع أنا بالف (قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) اعرض ابراهيم عليه الصلاة والسلام عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى أخرى ولعل نمروذ زعم أنه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فبقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته أو اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم

الاحياء ظاهر وأما الاماتة فلانه ليس فى قدرة العبد وانما الذى يقدر عليه قطع العضو مثلا والاماتة التى هى زهوق الروح وخروجه عن البدن فبقدرة الله تعالى فالادعاء نمرود من الاحياء والاماتة ليستا على حقيقتهما فكفى لابراهيم عليه الصلاة والسلام ان يدفع ما قاله بانه ليس باحياء واماتة حقيقة لكنه انتقل الى مثال آخر أظهر دلالة على المطلوب كالشمس فى غاية الظهور لا يقدر الكافر ادعاء مثله وانما لم يفعل ذلك فى أول الامر لان سكوت الخصم بعد ان اشتغل بالبحث والجدال أقطع وفى الزامه أظهر (قوله بالامتناع عن قبول الهداية) انما فسره بذلك لان الشخص قد يكون كافرا ظالما لنفسه وممنا لكن الظالم الذى لا يهديه الله من خاتى للاباء والامتناع عن قبول الحق (قوله اذ رأيت الخ) انما قدر هذا ليكون عطف قصة على قصة ولم يعطفه على الذى حاج ليكون تقديره ألم تر الى مثل الذى مر والمنكرون للبعث والحشر كثير فى زماننا صلى الله عليه وسلم لما سيجىء من انه لا يصح (٢٦١) أن يقال ألم تر الى مثل فلان واعتذر بعضهم عن هذا التقدير بانه أخف من تقدير ألم تر لانه متعد بنفسه فيحتاج الى زيادة تقدير وقال بعض آخر الكاف فى موضع نصب معطوفة على معنى الكلام تقديره عند الفراء والكسائى هل رأيت كالذى حاج ابراهيم أو كالذى مر على قرية أقول فان قيل اذا كان الكاف بمعنى المثل لا حاجة الى تقدير رأيت بل تجعله معطوفا على الذى حاج فالمعنى ألم تر الى مثل الذى مر على قرية قلنا يرد عليه ما ذكره العلامة التفتازانى من ان ألم تر يتعاق الى المتعجب منه ولا يصح ان يقال ألم تر الى مثله بل يقال ألم رأيت مثله (قوله أو استبعادا ان كان كافرا) لا يختص الاستبعاد بالكافر اذ يمكن استبعاد احياء الموتى من المؤمن لانه بعيد عن نظر العقول وان كان مصدقا به بالنظر الى النصوص نعم التوقف فيه أو الجزم بخلافه مختص بالكافر (قوله وهى خاوية على عروشها) بان سقط السقف أولا ثم سقط الحائط عليه (قوله فألبثه مائة عام الخ) انما فسره بذلك لان الاماتة وهى الفعل الذى هو ازالة الروح واخراجه عن البدن لا يكون فى المائة بل فى زمان قليل ثم لبث الشخص ميتا (قوله على الاضراب) أى يكون أو بمعنى بل كما فى قوله تعالى الى مائة ألف أو يزيدون (قوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) فان قيل ما وجه ربط هذه الجملة بما قبلها بالفاء قلت ههنا مقدر تقديره ان حصل لك عدم طعم أو تغير فى أمر البعث فانظر الى طعامك وشرابك السريع التغير حتى تعرف انه لم يتسنه فانه من الآيات العظام فمن قدر على مثله قدر على البعث ويمكن ان يكون المراد من قوله تعالى فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه انظر الى ما طعمته وشربته قبل ذلك فانك تجده غير متغير عما كان وعلى هذا يكون طعامه وشرابه معادين الدين على اعادة المعدوم (قوله تقضى البازى) أصله تقضض البازى وهو سقوطه فى طيرانه فاستثقل ثلاث ضادات فقلب الاخير ياء

عليه الصلاة والسلام الاصنام سجنه أياما ثم أخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذى تدعو اليه وحاجه فيه (فبهت الذى كفر) فصار مبهوتا وقرئ فبهت أى فغلب ابراهيم الكافر (والله لا يهدى القوم الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج أو سبيل النجاة أو طريق الجنة يوم القيامة (أو كالذى مر على قرية) تقديره أو أرأيت مثل الذى فحذف لدلالة ألم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته أكثر من ان يحصى بخلاق مدعى الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام ألم تر الى الذى حاج أو الذى مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كأنه قيل ألم تر كالذى حاج أو كالذى مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا للمعارضته وتقديره أو ان كنت تحيى فاحى كاحياء الله تعالى الذى مر على قرية وهو عزير ابن شرحيا أو الخضر أو كافر بالبعث وبؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل القرية التى خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القرى وهو الجمع (وهى خاوية على عروشها) خالية ساقطة حيطانها على سقوفها (قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها) اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيى ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى فى موضع نصب على الظرف بمعنى متى أو على الحال بمعنى كيف (فاماته الله مائة عام) فالبثه ميتا مائة عام أو أماته الله فلبث ميتا مائة عام (ثم بعثه) بالاحياء (قال كم لبثت) القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث أو شارف الايمان وقيل ملك أو نبى (قال لبثت يوما أو بعض يوم) كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال أو بعض يوم على الاضراب (قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء أصلية ان قدرت لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل أصله لم يتسنن من الحأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازى وانما أفرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا وعنبا وشرابه عصيرا أو لبنا وكان

(قوله بالشين المعجمة) أي بشين معجمة بعدها راء مهملة وفي قراءة هذه الراء بالراء المهملة وفي قراءة الباقين بالزاي المعجمة (قوله فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير فكل اعلم ان الله على كل شيء قدير) هكذا في الكشاف قال الامام لايخلو هذا التأويل عن تعسف بل الوجه القوي لما تبين له أمر الامانة والاحياء على سبيل المشاهدة قال الله على كل شيء قدير فان قيل كيف يكون مشاهدة احياء الموتى واليقين به سببا لهم بان الله على كل شيء قدير قلنا يمكن ان تكون المشاهدة المذكورة سببا لهم بما ذكر بانا لما شاهدنا ماذكر أفلهمه الله تعالى بذلك أو جعل النص المذكور دالا على كمال القدرة أقول في هذا الترديد تأمل (قوله أو ما قبله) عطف على ما بعده أي

(٢٦٢)

فاعل تبين ومضمر يفسره قوله انه لي ان الله على كل شيء قدير أو يفسره ما قبله وهو عزير الاحياء (قوله أولم تؤمن) فان قيل ما فائدة هذا السؤال والجواب الله تعالى لم يخف عليه حقيقة قلنا هذا من قبيل الكلام مع أهل المحبة بما كان معلوما سائل ومخاطب كما فعل موسى في قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى وفعل موسى عليه السلام في قوله هي عصاي أتوكأ عليها الآية وقول بعضهم لما كان السؤال بكيف قد يستعمل في الشك في شيء قوله أو لم تؤمن والرد بلى ليزول الاحتمال المفظي في العبارة عن قبيل قول ابراهيم ليطمئن قلبي بدل على فقد الطمأنينة فلما عدم زال ليزول من قلبي النكرة في كيفية الاحياء بتصوير هذه المشاهدة وتزول الكيفية المحتجبة وقول العلامة الطيبي هذا تكلف والقول ما سبق وهو ان في جبلة الانسان الاختلاج والشك وان قريحته طلب الدلائل والتوفيق من الله وقرئ

الكل على حاله وقرأ حمزة والكسائي لم يتسن بغير الهاء في الوصل (وانظر الى حمارك) كيف تفرقت عظامه وانظر اليه سالما في مكانه كما بقي بطنه حفظناه بالماء وعلفه كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول أدل على الحال وأوفق لما بعده (ولنجعلك آية للناس) أي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي أنه أتى قومه على حماره وقال أنا عزير فكذبوه فقرأ التوراة من الحفظ ولم يحفظها أحد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا وأولاده شيوخا فاذا احدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة (وانظر الى العظام) يعني عظام الحمار أو الاموات الذين تعجب من احيائهم (كيف ننشزها) كيف نحييها أو نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام أي أنظر اليها محياة وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب ننشرها من أنشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى أنشر (ثم نكسوها لحما فلما تبين له) فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير (قال اعلم ان الله على كل شيء قدير) بحذف الاول لدلالة الثاني عليه أو يفسره ما قبله أي فلما تبين له ما أشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والآمر مخاطبه أو هو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت (واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى) انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود أنا أحيي وأميت قال له ان احياء الله تعالى برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر أن يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة أخرى (قال أولم تؤمن) بلى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحياة قال له ذلك وقد علم أنه أغرق الناس في الايمان ليجيب بما أجاب به فيعلم السامعون غرضه (قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) أي بلى آمنت ولكن سألت ذلك لازديد بصيرة وسكون قلب بضامة العيان الى الوحي والاستدلال (قال فخذ أربعة من الطير) قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه اياما الى ان احياء النفس بالحياة الابدية انما يتأتى بامانة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة المشهورة بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه أقرب الى الانسان وأجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به أو جمع كصحب (فصرهن اليك) فاملهن واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شيانها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة بكسر الصاد وهما لغتان

قال ومما صيد الاعناق فيهم جبلة * ولكن أطراف الرماح تصورها

وقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه * على الليث قنوان الكروم الدوالح

وقرئ

المعقود الدوالح بالحاء المهملة من دلح اذا مشى بحمله غير منبسط الخطو لثقله عليه (قوله تعالى ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) لعل وضع الاجزاء على الجبال ليشاهد الحال مشاهدة ظاهرة ولعل الواقعة بمحضر ملأ كثير فناسب وضع الاجزاء على مكان عال حتى يشاهدها خلق كثير وههنا كلام وهو ان لقائل ان يقول ان اللازم من الآية الكريمة ان بعد التجزئية والدعوة وضم بعض الاجزاء الى بعض كانت الطيور الاربعة ولم يعلم ان الارواح الكائنة في الطيور بعد العود هي بعينها التي كانت قبل لكن احياء الميت انما يكون إذا كان الروح بعينه معادا فيه قلت قوله تعالى ثم ادعهن يأتينك سعيا يدل على ان الطيور المعادة بعينها هي المبتدأة لان الضمير عائد الى الطيور الاربعة المشخصة ثم ان السؤال والفعل المذكور بن يدلان عليه والا لم يحصل الغرض (قوله فيقتلها و يمزج بعضها ببعض الخ) ان أراد بالقتل المذكور افناء القوى البدنية فلا معنى لمزج بعضها بعض حتى تنكسر سورتها وان أراد بالقتل كسر سورتها كان قوله و يمزج بعضها ببعض تكرارا فتأمل (قوله مثل الذين ينفقون أموالهم الخ) قال صاحب الكشاف ولا بد ههنا من تقدير مضاف أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة أقول قد يقال يمكن عدم اعتبار الحذف بان يشبه المنفق نفسه بالحبة نفسها فيكان المنفق يحصل بسببه أمورا كثيرة نافعة يحصل بسبب الحبة أيضا أمور كثيرة نافعة لكن هذا التشبيه غير ملائم والملائم تشبيه النفقة بالحبة حتى يكون كل من الطرفين مادة لامور كثيرة أو تشبيه المنفق بالباذر ليكون كل شئ سببا فاعليا في الظاهر (قوله ومن أجله تفاوت الاعمال في مقادير الثواب) ظاهره يدل على ان تفاوت ثواب الاعمال منحصر في ان يكون لتفاوت النية والاخلاص أو التعب وهذا ينافي ما قاله أولا والله يضاعف لمن يشاء بفضله الا ان لا يقصد بتقديم الجار والمجرور وهو قوله ومن أجله الحصر أو يكون المراد من أجل ماذكر حتى يعم الكل (قوله ان يعتد باحسانه على من أحسن اليه) معنى يعتد احسانه يصير احسانه معدودا فاذا تعدى بالباء صار معناه يجعله معدودا فيؤل المعنى الى ان المن ان يعد المحسن احسانه على من أحسن اليه (قوله والاذى أن يتطاول عليه الخ) بان يقول له مثلا باعداالله بيني و بينك أو أنت ثقيل علينا والاذى أعم من ذلك لكن المراد أذى يبطل به الثواب اه ولذا فسر بعضهم الاذى بان يذكر احسانه لمن لا يحب الذي أحسن اليه وقوفه عليه (قوله وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى) اي تركهما أعلى من نفس الانفاق

وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها وهما لغتان مشددة الراء من صره يصره و يصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع أيضا (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) أي ثم جزأهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت أربعة وقيل سبعة وقرأ أبو بكر جزؤا وجزء بضم الزاي حيث وقع (ثم ادعهن) قل لهن تعالين باذن الله تعالى (يأتينك سعيا) ساعيات مسرعات طيرانا أو مشيا روى أنه أمر بان يذبحها و ينتف ريشها و يقطعها فيمسك رؤسها و يخلط سائر أجزائها و يوزعها على الجبال ثم يناديهن فنعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى آخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى أن من أراد احياء نفسه بالحياة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها و يمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل أو الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم عليه الصلاة والسلام و يمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى أراه ما أراد ان يريه في الحال على أيسر الوجوه وأراه عز برا بعد ان أماته مائة عام (واعلم ان الله عزيز) لا يعجزه عما يريده (حكيم) ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله و يذره (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة) أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف (أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) أسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى أنه يخرج منها ساق يتشعب لكل منه سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة (والله يضاعف) تلك المضاعفة (لمن يشاء) بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن أجل ذلك تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب (والله واسع) لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة (عليم) بنية المنفق وقدر انفاقه (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى) نزلت في عثمان رضي الله تعالى عنه فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها وأحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه أتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من أحسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما أنعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى (لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم

(قوله لعله لم يدخل الفاء الخ) أى الموضع موضع الفاء لكن ايراد هايشعر بان ثبوت الخبر لهم ليس بسبب ذلك (قوله وقد تضمن ما أسند اليه معنى الشرط) المراد بما أسند اليه الذين ينفقون أموالهم الخ فان قلت يتوهم تناقض بين كلامه وكلام صاحب الكشاف فانه صرح بان المبتدا ههنا لم يتضمن معنى الشرط وصرح المصنف بانه يتضمن معناه قلنا لم يتضمن بصيغة باب التفعيل معناه لم يعتبر تضمن معنى الشرط والسببية وان كان متضمنا

فلا منافاة (قوله بان يعذره ويغفر رده) أى بان يعذر السائل رد من طلب السائل منه شيأ (قوله وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة) قال العلامة الطيبى هذا يصح فى المعطوف عليه لكن لا يصح فى المعطوف وهو مغفرة لانه غير موصوف أقول لعل فى هذا الكلام أى كلام الكشاف والمصنف اشارة الى أنه يجوز العطف على المبتدا الموصوف من غير ذكر صفة للمعطوف اذ يصح فى المعطوف ما لا يصح فى المعطوف عليه كرب شاة وسخلتها (قوله ولا يريد به رضا الله تعالى عنه ولا ثواب الآخرة) يفهم منه انه لو قصد الرياء ورضا الله تعالى عنه والثواب لا يكون العمل باطلا وهذه مسئلة خلافية وللامام الغزالى فيه تفصيل ذكره فى كتاب الاحياء وأما الشيخ عز الدين ابن عبد السلام الذى لقبه تلميذه بسلطان العلماء فقد ذهب الى انه اذا انضم الى العمل الرياء بطل مطلقا سواء كان قصد الرضا أو الثواب مساويا للرياء أو غلب أحدهما (قوله ونثبيتا من أنفسهم) فان قيل هذا اذا كان ابتغاء مرضاة الله تعالى ونثبيتا من أنفسهم أيضا فاذا كان أحدهما فحكمه قلنا هاذان متلازمان فاذا وجد أحدهما وجد الآخر فمن أنفق ابتغاء مرضاة الله تعالى فقد ثبت ومن يثبت فهو من ابتغى رضا الله تعالى عنه حقيقة (قوله وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق الخ) لو فسر التثبت بتعويد النفس على الانفاق وبذل المال فى المصارف الحقة لكان ماذكره ظاهرا

يحزنون) اعلم انه يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما أسند اليه معنى الشرط اما بانهم أهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا (قول معروف) ردجميل (ومغفرة) وتجاوز عن السائل والحاحه أو نيل المغفرة من الله بالرد الجميل أو عفو من السائل بان يعذر ويغفر رده (خير من صدقة يتبعها أذى) خير عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة (والله غنى) عن انفاق بمن وايذاء (حليم) عن معاجلة من يمن ويؤذى بالعقوبة (يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) لا تحبطوا أجرها بكل واحد منهما (كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) كابطال المنافق الذى يرائى بانفاقه ولا يريد به رضا الله تعالى ولا ثواب الآخرة أو مماثلين الذى ينفق رئاء الناس والكاف فى محل النصب على المصدر أو الحال ورئاء نصب على المفعول له أو الحال بمعنى مرائيا أو المصدر أى انفاقا رئاء (فمثله) أى فمثل المرائى فى انفاقه (كمثل صفوان) كمثل حجر أملس (عليه تراب فاصابه وابل) مطر عظيم القطر (فتركه صلدا) أملس نقيا من التراب (لا يقدرون على شئ مما كسبوا) لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا والضمير للذى ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس أو الجمع كما فى قوله

ان الذى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد

(والله لا يهدى القوم الكافرين) الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرئاء والمن والاذى على الانفاق من صفات الكفار ولا بد للمؤمن أن يتجنب عنها (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم) وتثبيتا بعض أنفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها أو تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من أصل أنفسهم وفيه تنبيه على أن حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال (كمثل جنة بربوة) أى ومثل نفقة هؤلاء فى الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون أحسن منظرا وأزكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتهما لغات فيها (أصابها وابل) مطر عظيم القطر (فآتت أكلها) ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالسكون للتخفيف (ضعفين) مثلى ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما أريد بالزوج الواحد فى قوله تعالى من كل زوجين اثنين وقيل أربعة أمثاله ونصبه على الحال أى مضاعفا (فان لم يصبها وابل فطل) أى فيصيبها طل أو فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من أحواله ويجوز أن يكون التمثيل لحالها عند الله تعالى بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين فى زلفاهم بالوابل والطل (والله بما تعملون بصير) تحذير عن الرئاء وترغيب فى الاخلاص (أيود أحدكم) الهمزة فيه للانكار (ان تكون له جنة من نخيل وأعناب

(قوله تغليبا لهما) يعني يفهم من قوله تعالى له فيها من كل الثمرات ان فيها كل شجرة حتى يحصل كل ثمرة فتخصيص النخل والاعناب بالذكر تغليبا لهما (قوله أو العطف جملا على المعنى) يعني لا يصح عطف أصابه الكبر على يكون له جنة لان ان الناصبة للمضارع لابد أن تكون للاستقبال فلو كان معطوفا على يكون له جنة لكان ان الاستقبالية مقدرة على أصابه الكبر وهي لا تدخل على الماضي أقول فان قلت لم لا يجوز أن يكون أصاب بمعنى يصيب قلنا لانه لا باعث على التعبير عن المستقبل بالماضي في هذا المقام بل الانسب اعتبار عروض الكبر قبل كما يظهر للمتأمل (قوله أو يكون باعتبار المعنى) كما قال في اصابه الكبر (قوله و يضم اليه ما يحبطه كرياء) هذا لا يناسب ما في الآية اذ مفهوم أن يكون له جنة الخ ان يكون له جنة فيها من كل الثمرات و بعد ذلك أصابها اعصار فاحترقت لكن من عمل رياء لا يحصل له من اول الامر شيء لان ما يحصل ثمرة ثم طرأت عليها آفة حتى يناسب حال الجنة المذكورة فان قيل لعل المراد انضمام رياء حاصل بعده قلنا قال الامام حجة الاسلام في كتاب الاحياء بعد أن يكون ما يطرأ من الرياء مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراياته بطاعة الله بعد الفراغ منها فالاولى ان يقال انه لبيان حال من كان له عمل صالح ثم فعل ذنبا يجعل يوم القيامة العمل الصالح عوضا لذنبه كمن آذى المسلمين فتجعل أعماله طوع لاء (قوله وتخصيصه بذلك) هذا ناظر الى التفسير الثاني أي تخصيص ما أخرج بذلك

تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات) جعل الجنة منهما مع فيهما من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها من كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر أنواع الاشجار و يجوز أن يكون المراد بالثمرات المنافع (وأصابه الكبر) أي كبر السن فان النافلة والعالة في الشيخوخة أصعب والواو للحال أو للعطف جملا على المعنى فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر (وله ذرية ضعفاء) صغار لا قدرة لهم على الكسب (فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت) عطف على أصابه أو تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الاعمال الحسنة و يضم اليها ما يحبطها كرياء و ايذاء في الحسرة والاسف فاذا كان يوم القيامة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شأنه وأشبهم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبه الى عالم الزور والتفت الى ماسوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) أي تتفكرون فيها فتعتبرون بها (يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) من حلاله أو جياده (ومما أخرجنا لكم من الأرض) أي ومن طيبات ما أخرجنا لكم من الحبوب والثمرات والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره (ولا تيمموا الخبيث منه) أي ولا تقصدوا الرديء منه أي من المال أو مما أخرجنا لكم وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه أكثر وقرئ ولا تؤموا ولا تيمموا بضم التاء (تنفقون) حال مقدرة من فاعل تيمموا و يجوز أن يتعلق به منه و يكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه (واستم بآخذيه) أي وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته (الا ان تغمضوا فيه) الا أن تتسامحوا فيه مجازمن أغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا أي تحملوا على الاغماض أو توجدوا مغمضين وعن ابن عباس رضي الله عنه كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه (واعلموا أن الله غني) عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم (حميد) بقبوله واثابته (الشيطان يعدكم الفقر) في الانفاق ولوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون و بضمتين وفتحتين (و يأمركم بالفحشاء) و يغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي (والله يعدكم مغفرة منه) أي بعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم (وفضلا) خلفا أفضل مما أنفقتم في الدنيا أو في الآخرة (والله واسع) أي واسع الفضل لمن أنفق (عليم) بانفاقه (يؤت الحكمة) تحقيق العلم واتقان العمل (من يشاء) مفعول أول أخر للاهتمام بالمفعول

(٣٤ - (بيضاوي) - اول)

أي بعدم انفاق الخبيث منه لان التفاوت فيما كثر مما في سائر الاشياء كما لا يخفى فان الجواهر المعدنية يظهر تفاوت المراتب الغير المتناهية فيها كل الظهور وغرضه انه لما كانت الرداءة فيه أكثر مما في غيره ناسب ان ينهى عن انفاق الرديء منه (قوله مجاز من أغمض بصره اذا غضه) واما جعله كناية على ما جوزه العلامة التفتازاني ففيه ان قصد المعنى الحقيقي غير ملائم (قوله وقرئ تغمضوا الخ) هذا بفتح الميم على بناء المجهول (قوله والوعد في الاصل يستعمل في الخير والشر) قال الفراء وعدته خيرا و وعدته شرا فاذا أسقطوا الخير والشر قالوا في الخير الوعد والعدة وفي الشر الايعاد والوعيد (قوله و يغريكم على البخل) فيكون يأمركم استعارة تبعية

(قوله أي خير كثير) فيكون التنكير للتعظيم (قوله فان المتفكر كالمتذكر) أي من يعلم شيأ بالفكر فكأنه علمه سابقا ثم تذكره لظهوره عنده وتألفه به ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم كلمة الحكمة ضالة المؤمن وقال بعض أساطين الحكماء العلم تذكر وغرض المصنف بيان نكتة التعبير عن التفكر بالتذكر (قوله تعالى من نفقة) ومن تذرلتأكيد العموم فان مفهوم ما أنفقتم بالمعنى المطابق الدال ظاهر على العموم وتنكير نفقة أي أي نفقة كان يؤكد العموم وكذا زيادة من (قوله فيجازيكم عليه) فان قيل ظاهر هذا الكلام يدل على ان العلم بتعلقه والاولى ان يجعل العلم كناية عن المجازاة والافمن المعلوم انه معلوم لله تعالى وعبارة الكشاف وهو يجازيكم عليه قال العلامة التفتازاني يعني ان اثبات العلم كناية عن هذا المعنى والافهو معلوم قلنا يمكن أن يقال مراده تفسير قوله تعالى فان الله يعلمه بقوله فيجازيكم وتكون

الفاء الثانية هي الفاء الاولى التي كررت أو يقال ان الفاء في قوله

فيجازيكم لتفصيل المجمل كما في قوله تعالى فقد سألوا موسى أكبر من ذلك وقولهم توضأ فغسل وجهه ويديه ومسح رأسه ورجليه (قوله فنعم شيأ ابداؤها) يعني ان ههنا مضافا محذوفا وهو الابداء وكان هي في الاصل ابداؤها فحذف الابداء فصار المتصل منفصلا فصار هي (قوله ولمن لم يعرف بالمال) فانه اداأظهر الصدقة ظن في شأنه مالا ينبغي وقد يفضي الى طمع الظامة في ماله والمفهوم منه ان اخفاء صدقة من لم يعرف بالمال أولى سواء كانت فريضة أو نافلة (قوله جملة فعلية مبتدأة أو اسمية معطوفة على مابعد الفاء) اذا كانت مبتدأة غير معطوفة كانت استئنافا لابمعنى انه جواب سائل قال هل تكفر السيآت فقيل نكفر عنكم من سيآتكم بل يكون استئنافا باصطلاح اي النحاة واما قول العلامة التفتازاني انه بمنزلة الاستئناف فلا يظهر له وجه وجيه (قوله مجزوما على محل الفاء) قال العلامة التفتازاني أراد ان مجموع الجزاء وهو الفاء مع مابعدها مجزوم ومابعدها وحده مرفوع اذلا أثر للعامل فيه فقراءة الرفع والجزم محمولة على هذين الاعتبارين يعني ان مجموع الفاء والذي بعدها قائم مقام فعل مجزوم فيعطف عليه ونكفر بالجزم والذي بعد الفاء مرفوع أي يكونوا لفعل الذي بعدها مقام فعل مرفوع وليس للعامل أثر فيه فعطف ونكفر بالرفع عليه بذلك الاعتبار ولذا قالوا اذا وقع الجزاء فعلا مضارعا مع الفاء كان خبر مبتدأ محذوف (قوله ترغيب في الاسرار) اذهو يدل على ان الله تعالى خبير بالعمل فلا تخافوا ضياع العمل

الثاني (ومن يؤت الحكمة) بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر أي ومن يؤته الله الحكمة (فقد أوتي خيرا كثيرا) أي أي خير كثير اذ حيزه خيرا الدارين (وما يذكر) وما يتعظ بما قص من الآيات أو وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما تذكر كرلما أودع الله في قلبه من العلوم بالقوة (الا أولوا الالباب) ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى (وما أنفقتم من نفقة) قليلة أو كثيرة سرا أو علانية في حق أو باطل (أو نذرتم من نذر) بشرط أو بغير شرط في طاعة أو معصية (فان الله علمه) فيجازيكم عليه (وما للظالمين) الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها أو يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذر (من أنصار) من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه (ان تبدوا الصدقات فنعما هي) فنعم شيأ ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ أبو بكر وأبو عمرو وقالون بكسر النون وسكون العين وروى عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو أقيس (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء) أي تعطوها مع الاخفاء (فهو خيرا لكم) فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره أفضل لنفي التهمة عنه عن ابن عباس رضي الله عنه صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا (ويكفر عنكم من سيآتكم) قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء أي والله يكفر أو الاخفاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة أو اسمية معطوفة على مابعد الفاء أي ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفاء ومابعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات (والله بما تعملون خبير) ترغيب في الاسرار (ليس عليك هداهم) لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كلهن والاذى وانفاق الخبيث (ولكن الله يهدي من يشاء) صريح بان الهداية من الله تعالى وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم (وما تنفقوا من خير) من نفقة معروفة (فلانفسكم) فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله

(قوله أى وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث) لك ان تقول اذا كانت النفقة ليست الا لابتغاء وجه الله لاتجامع ان من بها لان المن بها يوجب ان لاتكون لمحض وجه الله تعالى بل له وللمن والاولى ان يقال معنى قوله وليس نفقتكم الخ ان ليس وضع النفقة والامر بها الا لابتغاء وجه الله تعالى فما لكم تمنون بها وتصرفونها عن موضعها وعما وضعت النفقة لاجله وجعلها جلة حالية أولى لان قوله تعالى وماتنفقوا من خير يوف اليكم وقوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم لايتحقق الابان تكون النفقة لابتغاء وجه الله (قوله على لاحب لا يهتدى بمناره) اللاحب بالحاء المهملة الطريق الواضح والمنار علم الطريق والمقصود نفى الاهتداء والمنار جميعا اذ الطريق الواضح لايدان يهتدى بمناره فنفى الاهتداء بالمنار يفيد نفى الاهتداء أيضا كما انه يفيد نفى المنار اذ لوكان له منار لوجب ان يهتدى به قال العلامة التفتازانى لاينجى ان هذا الوجه أعنى فى السؤال والالحاف جميعا ادخل فى التعفف وفى ان يحسبوا أغنياء لكن المصنف جعله كالمرجوح لما ان هذه الطريقة انما تحسن اذا كان ذلك القيد بمنزلة اللازم فان الغالب

أى وليست نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفى فى معنى النهى (وماتنفقوا من خير يوف اليكم) ثوابه أضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة أو ما يخلف للنفق استجابة لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روى ان ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار ورضاع فى اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما أسلموا ان ينفعوهم فنزلت وهذا فى غير الواجب أما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكفار (وأنتم لاتظلمون) أى لاتنقصون ثواب نفقاتكم (للفقراء) متعلق بمحذوف أى اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ماتنفقونه للفقراء أو صدقاتكم للفقراء (الذين أحصروا فى سبيل الله) أحصرهم الجهاد (لايستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا فى الأرض) ذهابا فيها للكسب وقيل هم أهل الصفة كانوا نحو من أربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون أوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم (يحسبهم الجاهل) بحالهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين (أغنياء من التعفف) من أجل تعففهم عن السؤال (تعرفهم بسيماهم) من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (لايسألون الناس الحافا) الحاحا وهو أن يلازم المسؤل حتى يعطيه من قولهم لحفنى من فضل لحافه أى أعطانى من فضل ماعنده والمعنى انهم لايسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفى للامرين كقوله

* على لاحب لايهتدى بمناره * ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال أو على الحال (وماتنفقوا من خير فان الله به عليم) ترغيب فى الانفاق وخصوصا على هؤلاء (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) أى يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل فى أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه لم يملك الا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل فى ربط الخيل فى سبيل الله والانفاق عليها (فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف أى ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية (الذين يأكلون الربوا) أى لآخذون له وانما ذكر الاكل لانه أعظم منافع المال ولان الرباشائع فى المطعومات وهو زيادة فى الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم أو نقد بنقد الى أجل أو فى العوض بان يباع أحدهما بأكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلاة للتفخيم على لغة من يمد الالف بعدها شبيها بالواو الجمع (لايقومون) اذا بعثوا من قبورهم (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) الاقياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء (من المس) أى الجنون وهذا أيضا من زعماتهم ان الجنى يمسه فيختاط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلايقومون أى لايقومون من المس الذى بهم بسبب أكل الربا أو بيقوم أو بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لااختلال عقولهم ولكن لان الله أربى فى بطونهم ما أكلوه من الربا فانقلهم (ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا) أى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربا والبيع

من حال الشفيع ان يطاع فيكون نفى اللازم نفيا للزوم بطريق برهانى وليس الالحاف بالنسبة الى السؤال كذلك بل لايبعد ان يكون ضده أشبه باللازم أقول ماذكره صحيح اذا لم تكن قرينة على ارادة نفى الأمرين جميعا لكن ههنا قرينة عليها وهو ظهور التعفف وحسبان الجاهل اياهم أغنياء (قوله والفاء للسببية وقيل للعطف) لايخفى انها مع كونها للعطف تفيد السببية أيضا فالمراد بقوله للسببية

مجردها من غير افادة العطف (قوله لان من أعطى درهمين بدرهم الخ) لك ان تقول هذا يدل على رداءة حال معطى الربا لانه المضيع المذكور ولا يدل على حال آكله الا ان يقال ان الآكل هو سبب التضييع فيكون شريكا فى الاثم قيل لان من أعطى درهما بدرهمين أخذ درهما من مال الغير من غير عوض وهو حرام لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه أقول فيه نظر لان هذا اذا لم يكن برضاه اذ ليس أخذ مال الغير برضاه حراما مطلقا بل قد يحل كما فى غير صورة الربا وقيل لا يجب ان نعلم حكمة كل حكم فلعل حكمة الربا مخفية علينا والظاهر ان هذا أنسب بالتشديدات الواردة فى الربا وللامام الغزالى رضى الله عنه كلام طويل فى هذه المسئلة فى كتاب الاحياء وههنا كلام وهو ان نص القرآن دال على ان اثبات الحالة المذكورة لآكل الربا لا بمجرد أكل الربا بل بسبب قوله ان البيع مثل الربا لكن جمهور (٢٦٨) المفسرين على حمل الآية على وعيد من يتصرف فى مال الربا لا على وعيد من يستحل هذا العقد كذا ذكره العلامة النيسابورى (قوله والله لا يحب لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين) ان قيل اسقاط قوله محبته للتوابين أولى اذ يتبادر منه انه يحب الكفار لكن لا كما يحب التوابين ولكن الله لا يحب الكفار الاثيم الذى لم يتب والجواب ان محبة الله تعالى عبارة عن انزال الرحمة والكفار الاثيم المسلم وان لم يتب فهو داخل فى الرحمة على مذهبنا (قوله ان كنتم مؤمنين بقلوبكم) انما قيد بهذا لان أول الكلام وهو قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا يدل على ان الخطاب مع المؤمنين وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين يدل على عدم تقرر ايمانهم فلما قيد بقوله بقلوبكم أفاد ان الذين آمنوا يراد به الذين آمنوا بحسب الظاهر فناسب ان يقيد بقلوبكم ليصير المعنى يا أيها الذين آمنوا فى الظاهر ان كنتم مؤمنين بالقلوب ذروا ما بقى من الربا (قوله من الاذن بفتحتين) يعنى انه جعل الاذن الذى هو الاستماع بمعنى العلم فيصير معنى الايذان الاعلام (قوله لا يدى لنا) باقحام اللام مثل لا أباله فيكون يدى مضافا حقيقة واما عند ابن الحاجب فليس بمضاف لكنه شبيه فحذف النون لشبهه بالمضاف (قوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله) يفهم منه انه لو لم يتب من المجموع ليس له رأس المال وفيه نظر اذ انتفاء التوبة عن المجموع يحصل بانتفاء التوبة عن أحدهما فلزم ان يكون اذا تاب عن اعتقاد الحل لكن لم يتب من أخذ الربا مع اعتقاد حرمته لا يكون له رأس المال وليس كذلك واما ما قاله المصنف من انه مرتد وماله فىء فعلى أحد التقديرين وهو ان يعتقد حل الربا والاولى ان يقال وان تبتم من اعتقاد الحل ويدل عليه ان أول الكلام فى مستحل الربا

فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربا أصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من أعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها أو توقع رواجها يجبر هذا الغبن (وأحل الله البيع وحرم الربا) انكار لتسويتهم وابطال للقياس بمعارضة النص (فمن جاءه موعظة من ربه) فمن بلغه وعظ من الله تعالى وزجر كالنهى عن الربا (فانتهى) فاتعظ وتبع النهى (فله ما سلف) تقدم أخذه التحريم ولا يسترد منه وما فى موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على رأى سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله (وأمره الى الله) يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى شأنه ولا اعتراض لكم عليه (ومن عاد) الى تحليل الربا اذ الكلام فيه (فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لانهم كفروا به (يمحق الله الربوا) يذهب ببركته ويهلك المال الذى يدخل فيه (ويربى الصدقات) يضاعف ثوابها ويبارك فيما أخرجت منه وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربى أحدكم مهره وعنه عليه الصلاة والسلام ما نقصت زكاة من مال قط (والله لا يحب) لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين (كل كفار) مصر على تحليل المحرمات (أثيم) منهمك فى ارتكابه (ان الذين آمنوا) بالله ورسوله وبما جاءهم منه (وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة) عطفهما على ما يعمهما لا نافتهما على سائر الاعمال الصالحة (لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم) من آت (ولا هم يحزنون) على فائت (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا) واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا (ان كنتم مؤمنين) بقلوبكم فان دليله امتثال ما أمرتم به روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت (فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله) أى فاعلموا بها من أذن بالشئ اذا علم به وقرأ حمزة وعاصم فى رواية ابن عياش فآذنوا أى فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضى أن يقاتل المربى بعد الاستتابة حتى يفىء الى أمر الله كالباغى ولا يقتضى كفره روى أنها لما نزلت قالت ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله (وان تبتم) من الارتباء واعتقاد حله (فلكم رؤس أموالكم

(قوله أوعلى الامر) فضميره عبارة الكشاف وهي مستقيمة لانه قال وقرأ أعطاه فاظره بمعنى صاحب الحق ناظره وهذه فاظره على الامر لكن عبارة المصنف تقتضي ان تكون صيغة واحدة مشتركة بين الامر والخبر وليس كذلك فتأمل (قوله كاتب بالعدل) قال صاحب الكشاف هو متعلق بكاتب تعلق التابع بالمتبوع وقال العلامة التفتازاني يتوجه أن يقال لم لم يجعلوه متعلقا بقوله فليكتب مع ان الفعل أولى وجوابه ان سوق الكلام يشعر بان القصد ههنا الى حال الكاتب انه كيف ينبغي ان يكون وأيضا كر فاعل الفعل بلفظ اسم فاعله نكرة قيل الجدوى جدا بخلاف ما اذا قيد أقول لا يخفى ان الغرض الاصلي (٢٦٩) ان تكون الكتابة بالعدل لانه اذا كانت كذلك لا يتفاوت الحال في ان يكون الكاتب عدلا أو لا فيمكن أن يقال بالعدل متعلق بقوله تعالى فليكتب وجعل الفاعل نكرة محضة من غير تقييد اشعار بان الكاتب يجوز ان يكون أي كاتب كان لكن يجب أن تكون كتابته بالعدل فالمدفع ما قاله العلامة التفتازاني ثم انه لو كان المراد حال الكاتب لقيل كاتب عدل ويؤيد ما قلنا ما يجيء بعده متصلا به ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله والجواب ان كون الكتابة بالعدل يعلم من كون الكاتب عدلا وأيضا كونه عدلا مؤيد لثبوت الحق (قوله مثل ما علمه الله من كتبه الوثائق) قال في الكشاف مثل ما علمه الله كتابة الوثائق وقال العلامة التفتازاني هذه العبارة مشعرة بان ما مصدرية أو كافة ومفعول علم محذوف أي يكتب على الوجه الذي علمه الله أقول

أموالكم لا تظلمون) باخذ الزيادة (ولا تظلمون) بالطل والنقصان و يفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ما قلنا اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء (وان كان ذو عسرة) وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة أي وان كان الغريم ذا عسرة (فنظرة) فالحكم نظرة أو فعليكم نظرة أو فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على الخبر أي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره أو صاحب نظرته على طريق النسب وفناظره على الامر أي فسامحه بالنظرة (الى ميسرة) يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عنه الاضافة كقوله * واخلفوك عد الامر الذي وعدوا * (وان تصدقوا) بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد (خير لكم) أكثر ثوابا من الانظار أو خير مما تأخذون لضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلاة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة (ان كنتم تعلمون) ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) يوم القيامة أو يوم الموت فتأهبوا لمصيركم اليه وقرأ أبو عمرو و يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم (ثم توفى كل نفس ما كسبت) جزاء ما عملت من خير أو شر (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين يوما وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين) أي اذا دا بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا أو آخذا وفائدة ذكر الدين أن لا يتوهم من التداين المجازاة و يعلم نوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة و يكون مرجع ضمير فاكتبوه (الى أجل مسمى) معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج (فاكتبوه) لانه أوثق وأدفع للنزاع والجمهور على أنه استحباب وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلم (وليكتب بينكم كاتب بالعدل) من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة أمر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع (ولا يأب كاتب) ولا يمتنع أحد من الكتاب (ان يكتب كما علمه الله) مثل ما علمه الله من كتبة الوثائق أو لا يأب أن ينفع الناس كتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله وأحسن كما أحسن الله اليك (فليكتب) تلك الكتابة المعلمة أمر بها بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا و يجوز أن تتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة (وليملل الذي عليه الحق) وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد

لا يظهر من كلام الكشاف ان ما مصدرية أو لا لكن المعنى مثل تعليم الله لا مثل ما علمه الله بل الظاهر ان ما موصولة أو موصوفة فالكاف في موضع المفعول المطلق أي كتابة مثل كتابة علم الله أي علم كتابة الوثائق بذلك الطريق (قوله و يجوز الخ) وفرق بين الوجهين ان قوله فليكتب على الاول تأكيد محض وعلى الثاني يفيد معنى جديدا فيكون تأسيسا (قوله بالامر الخ) أي بقوله فليكتب كما صرح به صاحب الكشاف (قوله النهي عن الامتناع مطلقة ثم الامر بها مقيدة) تأنيث هاتين اللفظتين باعتبار كونهما حالين عن الضمير بن الراجعين الى الكتابة (قوله والاملال والاملاء واحد) وهو الاقرار

(قوله وكانه قيل اراد ان تذكرا حدهما الاخرى ان ضلت) يعني ان التركيب المذكور يستعمل في هذا المعنى لان التذكير فيما الكلام فيكون هو المقصود وما يتعلق به لا ارادة (قوله لأداء الشهادة أو التحمل) أداء الشهادة فرض كفاية ان التحمل فرض وقد يكونان فرض عين وقد يكونان فرض (٢٧٠) كفاية (قوله فرض كفاية على غير قياس أو من قاسط بمعنى ذي قسط الخ)

(وليتق الله ربه) أي المملي أو الكاتب (ولا يبخس) ولا ينقص (منه شيأ) أي من الحق أو مما أملى عليه (فان كان الذي عليه الحق سفيها) ناقص العقل مبذرا (أو ضعيفا) صبيا أو شيخا مختلا (أو لا يستطيع أن يمل هو) أو غيره مستطيع للاملال بنفسه لخرس أو جهل باللغة (فليملل وليه بالعدل) أي الذي يلي أمره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا أو مختل العقل أو وكيل أو مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم أو الوكيل (واستشهدوا شهيدين) واطلبوا أن يشهد على الدين شاهدان (من رجالكم) من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال أبو حنيفة تقبل شهادة الكفار بعضهم على بعض (فان لم يكونا رجلين) فان لم يكن الشاهدان رجلين (فرجل وامرأتان) فليشهد أو فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند أبي حنيفة (ممن ترضون من الشهداء) لعلمكم بعدالتهم (ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى) علة اعتبار العدد أي لاجل ان احداهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم أعددت السلاح أن يجيء عدو فادفعه وكأنه قيل اراده ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) لاداء الشهادة أو التحمل وسموا شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة (ولا تسأموا أن تكتبوه) ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين أو الحق أو الكتاب وقيل كني بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت (صغيرا أو كبيرا) صغيرا كان الحق أو كبيرا أو مختصرا كان الكتاب أو مشبعا (الى أجله) الى وقت حلوله الذي أقربه المدينون (ذلكم) اشارة الى أن تكتبوه (أقسط عند الله) أكثر قسطا (وأقوم للشهادة) واثبت لها وأعون على اقامتها وهما مبنيان من أقسط وأقام على غير قياس أو من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في أقوم كما صحت في التعجب لجموده (وأدنى أن لا ترتابوا) وأقرب في أن لا تشكوا في جنس الدين وقدره وأجله والشهود ونحو ذلك (الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها) استثناء من الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين أو عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد أي الا أن تقابضوا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على أنه الخبر والاسم مضمر تقديره الا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني أسد هل تعلمون بلاءنا * اذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها أو على كان التامة (وأشهدوا اذا تبايعتم) هذا التبايع أو مطلقا لانه أحوط والاوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند أكثر الائمة وقيل انها

أما الاول فلان القياس في أفعل التفضيل عند الجمهور ان لا يبنى الا من الثلاثي المجرد وأما الثاني فلانه اذا كان من قاسط والقاسط هو الجائر لقوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ولا يخفى ان هذا الذي يخالف المقصود ههنا فيجب أن يكون القاسط بمعنى ذي قسط أي ذي العدل على طريقة تامر ولابن بمعنى لابراد بالقاسط ههنا المعنى الحقيقي الظاهر وهو الذي يقوم به القسط بل من هو ذو قسط ومن يتعلق به القسط كما يقال تامر بمعنى ذي تمر وأقوم يكون من قوم بمعنى مستقيم أي أشد استقامة (قوله وانما صحت الواو) أي لان فعل الواو بان تقاب الفا كقلبت في اقام التي للماضي لما ذكر أي لان فعل صيغة التعجب لجموده وعدم التصرف فيه قطعا وحمل صيغة التفضيل على التعجب لمشابهة بينهما من حيث انهما لا يبنيان الا من ثلاثي مجرد ليس بلون ولا عيب (قوله والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين أو عين) ليس في كلامه فائدة لفظ الحاضرة وقال العلامة النيسابوري التجارة للوجوب تصرف في المال لطلب الربح سواء كانت المبايعة بدين أو عين فالتجارة حاضرة فاذن المراد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال انتهى كلامه وظهر منه ان التجارة ههنا ليست بالمعنى المذكور ولا يظهر أيضا فائدة لفظ الحاضرة لان المعنى أن يكون المتجر فيه وهو الاعراض حاضرا وما ذكره العلامة النيسابوري هو الذي ذكره صاحب الكشاف وقد غيره المصنف فلزم عليه ما لزم (قوله هذا التبايع) وهو التجارة

الحاضرة انما كرر الشاهدين لانه لما حكم بان لا بأس بعدم الكتابة فى الصورة المذكورة توهم ان لا بأس بترك الاشهاد أيضا فدفع ذلك التوهم بقوله واشهدوا (قوله فى احكامها ونسخها) الاحكام بكسر الهمزة ضد النسخ ومعنى كلامه انه قال بعضهم ان الاوامر المذكورة للوجوب لكنه اختلف ذلك البعض فبعضهم يقول ان كونها للايجاب محكم أى ثابت وبعضهم يقول ان كونها للايجاب منسوخ غير ثابت (قوله ولانه ادخل فى التعظيم من الكناية) أى ادخل فى التعظيم من ايراده بالضمير فان ايراد الظاهر فى مقام المضمر يشعر بشدة الاهتمام فيكون دالا على التعظيم (قوله تعالى واتقوا الله) معطوف على قوله واشهدوا اذا تبايعتم (قوله تعالى ويعلمكم الله) هذه الواو ليست عاطفة والازم عطف الاخبار على الانشاء بل واو الاستئناف كما صرح به ابن هشام حيث قال الثانى من أقسام الواو وهو ان يرفع ما بعدها وهو الواو الاستئنافى نحو لنبين لكم ونقر الارحام ونحو واتقوا الله ويعلمكم الله

(قوله وفيه مبالغات) الاولى الامر بالتقوى الثانية تعليق الامر بالتقوى على الاسم الذى يشتمل على جميع صفات الجلال والقهر والغلبة فكانه قيل فليتق القهار المنتقم المهلك الى غير ذلك من الصفات الثالثة ذكر الرب فان من هو رب الشخص ومربيه يستحق ان يتقى (قوله تعالى آثم قلبه) صريح فى مؤاخذة الشخص بأعمال القلب (قوله ونظيره العين زانية الخ) أى كان منشأ الكتمان وهو عدم التلفظ بها وأدائها منسوبا الى الشخص كذلك العين منشأ للزنا وان كان الزانى هو الشخص واعلم ان عند أهل التحقيق ان الآثم بالحقيقة هو القلب

للوجوب ثم اختلف فى احكامها ونسخها (ولا يضار كاتب ولا شهيد) يحتمل البناءين ويدل عليه انه قرئ ولا يضار بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير فى الكتبة والشهادة أو النهى عن الضرار بهما مثل أن يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حدطهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان (وان تفعلوا) الضرار أو مانهيتم عنه (فانه فسوق بكم) خروج عن الطاعة لاحق بكم (واتقوا الله) فى مخالفة أمره ونهيه (ويعلمكم الله) أحكامه المتضمنة لمصالحكم (والله بكل شئ عليم) كرر لفظة الله فى الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولانه أدخل فى التعظيم من الكناية (وان كنتم على سفر) أى مسافرين (ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة) فالذى يستوثق به رهان أو فعليكم رهان أو فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر فى الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك رحمهما الله لانه عليه السلام رهن درعه فى المدينة من يهودى على عشرين صاعا من شعير أخذه لاهله بل لاقامة التوثق للارتهان مقام التوثق بالكتابة فى السفر الذى هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف (فان أمن بعضكم بعضا) أى عض الدائنين بعض المديونين واستغنى باما نته عن الارتهان (فليؤد الذى ائتمن أمانته) أى دينه سماه أمانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذى ايتمن بقلب الهمزة ياء والذى ائتمن بادغام الياء فى التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة فى حكمها فلا تدغم (وليتق الله ربه) فى الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات (ولا تكتموا الشهادة) أيها الشهود أو المديونون والشهادة شهادتهم على أنفسهم (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) أى يأثم قلبه أو قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية أو للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وأفعاله أعظم الافعال وكأنه قيل يتمكن الاثم فى نفسه وأخذ أشرف أجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب على حسن وجهه (والله بما تعملون عليم) تهديد (لله ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا (وان

الذى هو النفس الناطقة وعلى هذا فاسناد الاثم اليه حقيقة ليس من قبيل نسبة الزنا الى العين فان قيل اذا كان جميع الآثام صادرة عن القلب كما ذكر فلم أسند اليه بعض الآثام دون البعض وما فائدة الاسناد اليه قلت لان بعض الآثام قد يظهر فى بعض الاعضاء وله دخل فيه كالنظر الى مالا يجوز فيسند الى ذلك البعض وأما الكتمان فليس لغير القلب دخل فيه فاسند الى القلب للاشعار بان ليس لغيره مدخل فيه أو لان الكتمان لما كان منشؤه القلب فعلم من مجرد الكتمان انه اثم القلب فلما صرح به أكد ذلك (قوله أو للمبالغة الخ) لك أن تقول الامر بالعكس فان نسبة الشئ الى المجموع أقوى من نسبته الى جزء منه اذ الاول يدل على تعلقه بجميع أجزاء الشئ والثانى يدل على تعلقه ببعضها ويمكن أن يقال لو قيل فانه آثم ولم يقل قلبه أمكن أن يتوهم ان نسبة الاثم اليه باعتبار بعض الاجزاء التى ليست كالقلب فى الشرف فاذا صرح بالقلب حصلت المبالغة (قوله وقرئ قلبه بالنصب) قال العلامة التفتازانى هو كقوله سفه نفسه فيمن جعله تمييزا أو على انتزاع الخافض فيكون المعنى آثم فى قلبه

(قوله يعني مافيها من السوء والعزم عليه الخ) لوقال مافيها من العزم على السوء لكان أولى لان المؤاخذة ليست بالسوء بل بالعزم عليه وهذه المسئلة تفصيل فى كتاب الاحياء (قوله وهو صريح فى نفي وجوب التعذيب) للمعتزلة ان يقولوا لا يجوز ان يجب التعذيب وتجب مشيئته أيضا كما انه يجب عليك شئ وأنت تريده أيضا وتشاؤه والجواب ان هذا خلاف الظاهر جدا فلا يحمل عليه مع عدم الباعث (قوله بدل البعض من الكل) لا يخفى ان المغفرة والتعذيب ليسا جزأين من الحساب بل أمران مترتبان عليه فليس بدل البعض بل بدل الاشتمال وقال العلامة الطيبي فيسل ان أريد بقوله يحاسبكم معناه الحقيقي يكون قوله يغفر بدل الاشتمال كقولك أحب زيدا علمه وان أريد به المجازاة يكون قوله يغفر لمن يشاء بدل البعض كقولك ضربت زيدا رأسه وقال بعضهم ان الضمير المجرور فى يحاسبكم به الله يعود لما فى أنفسكم وهو مشتمل كما ذكر على الخاطر السوء وهي ما يحصيه الانسان من الوسواس وحديث النفس والغفران والعذاب انما يرد ان على ما اعتقده وعزم عليه من السوء لا حديث النفس فهو ان الاعتبار هو بدل البعض أقول فى الكلامين نظر اما فى الاول فلأن المجازاة ليست مركبة من الغفران والعذاب حتى يكون كل منهما بعضا لها فيكون بدل البعض كيف ولو كانت مركبة منهما لزم تحققهما عند المجازاة وليس كذلك اذ قد تحصل المجازاة و يحصل أحدهما دون الآخر وا تحقيق ان المجازاة أمر كلي منحصر فى نوعين أحدهما ثواب و لآخر التعذيب لكن لا يكفي فى بدل البعض كون البدل فردا من أفراد المبدل منه بل لابد أن يكون جزأ منه وأما فى الثاني فلان محصوله ان مافى أنفسكم كلي مشتمل على أفراد متعددة أو مجموع مركب من أمور متعددة هي الخواطر والوساوس والعزائم والغفران والتعذيب انما يتعلق ن ببعض تلك الامور وهذا كما ترى ليس ببدل البعض من الكل بل ذكر ما تعاني ببعض الشئ وقال العلامة التفتازاني هذا التفصيل بمنزلة بدل البعض ان جعل المغفرة والعذاب من جملة الحساب و بمنزلة بدل الاشتمال ان جعلا من توابعه وثمراته وتفاريعه ومتعلقاته أقول محصله أنه ان أريد بالحساب المعنى الحقيقي فالغفران والتعذيب فى حكم بدل الاشتمال وان أريد به المعنى المجازي فهما فى حكم بدل البعض فهو راجع الى الكلام الاول من الكلامين المذكورين من هذا الوجه ولكن بينهما فرق من حيث ان هذا الكلام يدل على انهما ليسا ببدلين بل فى حكم البدل بخلاف الكلام الاول فانه يدل ظاهرا على انهما بدلان حقيقية (قوله وادغام الراء فى اللام لحن) قال صاحب الكشاف ومدغم الراء فى اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن أبي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن و ينسب الى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم قال العلامة التفتازاني هذا على عادته فى اقترآت السبع اذا لم تكن على وفق قاعدة العربية ومن قواعدهم ان الراء لا تدغم الا فى الراء وقد يجاب بان القراآت السبع متواترة والنقل بالتواتر انما يفيد علمي وقول النحاة نفي ظني ولو سلم عدم التواتر فالامر ان ثبتت لغة بنقل العدول و يرجح بكونه اثباتا ونقل ادغام الراء فى اللام عن أبي عمرو من الشهرة والوضوح بحيث لا مدفع له ووجهه من حيث التعليل ما بينهما من شدة التقارب حتى كاد يتماثلان (قوله فيكون الضمير للمؤمنين الخ) أي الضمير الذي ينوب عنه التنوين الذي فى لفظ كل فانه كان فى الاصل كلهم فحذف الضمير وعوض عنه التنوين (قوله والفرق بينه و بين الجمع انه شائع فى وحدان الجنس الخ) قال

تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه) يعني ما فيها من السوء والعزم عليه ترتب المغفرة والعذاب عليه (يحاسبكم به الله) يوم القيامة وهو حجة على من أنكر الحساب كالمعتزلة والروافض (فيغفر لمن يشاء) مغفرته (ويعذب من يشاء) تعذيبه وهو صريح فى نفي وجوب التعذيب وقدر فهما ابن عامر وعاصم و يعقوب على الاستئناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلها بدلا منه بدل البعض من الكل أو الاشتمال كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وادغام الراء فى اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا فى مثلها (والله على كل شئ قدير) فيقدر على الاحياء والمحاسبة (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه) شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة إيمانه والاعتداد به وانه جازم فى أمره غير شاك فيه (والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) لا يخلو من أن يعطف المؤمنون على الكل فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول وا ؤمنين أو يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتبار وصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه أو لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن أو الجنس والفرق بينه و بين الجمع انه شائع فى وحدان الجنس والجمع فى جموعه ولذلك قيل الكتاب أكثر من الكتب (لا نفرق بين أحد من رسله) أي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا

معناه

العلامة التفتازانى هذا غير مسلم للقطع واتفاق أئمة التفسير والاصول والنحو على ان الحكم فى مثل الرجال فعلوا كذا على كل فرد لا على كل جماعة وهكذا فسره فى كل موضع من الكتاب فليتدبر (قوله فاحد بمعنى الجمع) قال العلامة التفتازانى والمراد منه ههنا جمع من الجنس الذى يدل عليه الكلام فمعنى لا نفرق بين أحد لا نفرق بين جمع من الرسل أقول يرد عليه انه حينئذ لا فائدة فى لفظ أحد ههنا بل ينبغى ان يقال لا نفرق بين رسله بل نقول لفظ أحد موهم اذ قد يتوهم ان لا نفرق بين جماعة خاصة أى واحد من الجماعات وان يفرق بين جماعة أخرى والجواب انه لو قيل لا نفرق بين جماعة من الرسل والنكرة فى سياق النفى لفهم انه لا نفرق بين شئ من الجماعات أصلا ولزم عدم التفريق فى جميع أفراد الرسل فكذا أحد الذى هو بمعنى الجماعة يلزم منه عموم النفى وحينئذ نقول عدم التفريق بين كل جمع أبلغ من عدم التفريق بين المجموع (قوله أجبنا) المراد بالاجابة ههنا الاجابة بالقبول أى اعتقدنا وجوب العمل بالامر والنهى والمراد باطاعتها أطعناه بالعمل به (قوله لا ينتفع بطاعتها الخ) أى لا ينتفع بطاعة العبد غيره ولا يتضرر بمعصيته أى المنفعة والمضرة مخصوصتان بالعامل وهذان التخصيصان يستفادان من تقديم الجزأين (قوله فيه اعتمال) الاعتمال الجد والمبالغة فى العمل والسبب فى ذلك ان أكثر النفوس الى الشر أميل (قوله فان الذنوب كالسموم الخ) يرد عليه ان الذنوب ليست نفس الخطأ والنسيان بل تترتب عليهما وحينئذ لا يظهر ارتباط قوله فان الذنوب كالسموم بقوله

أو بأنفسهما اذ المراد بقوله بأنفسهما أنفس الخطأ والنسيان الا أن يراد بالذنوب ما يشمل نفس الخطأ والنسيان بان يقال المراد بالذنب ما يمكن ان يؤاخذ الشخص به ولو قال بدل قوله أو بأنفسهما أو بما أدى اليه الخطأ والنسيان لكان أولى فتأمل (قوله لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة) فيه دلالة على ان ما وعده الله تعالى لا بد ان يحصل لكن لا يجب ان يدوم فتثبت الحاجة الى استدامته أى طلب دوامه وهذا جواب عن اشكال يتوهم ههنا وهو انه لما وعد الله بالتجاوز عن الخطأ والنسيان فما الحاجة الى الدعاء المذكور والجواب الآخر ان المراد من الدعاء المذكور اظهار الاعتداد بالنعمة المذكورة التى هى المجاوزة عن الخطأ والنسيان وقال بعضهم فى دفع السؤال ان رفع المؤاخذة بالخطأ والنسيان عرف بالسمع من قول النبى صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتى الخطأ والنسيان ولعل رفعهما كان اجابة لهذه الدعوة واعترض عليه بان المعتزلة وكثيرا من أهل السنة على انه لا يجوز التكليف بغير المقدور حتى يكون ترك المؤاخذة فضلا يستدام ونعمة يعتد بها وانما ذلك على رأى من جوز التكليف بغير المقدور وأجيب بان غير المقدور هو نفس الخطأ والنسيان وليس الكلام فى المؤاخذة على الخطأ نفسه بل على ما يترتب عليه كقتل المسلم بالرمى الى صيد أقول لك ان تقول الرمى الى الصيد فى الصورة المذكورة والوقوع على المسلم كلاهما وقع بقدرة الشخص فالخطأ الذى هو غير مقدور يمكن ان يقال المراد من المقدور المقدور بالذات وهو الذى تتعلق به الارادة أولا ولا يخفى ان وقوع السهم على الشخص لا يكون كذلك فتأمل (قوله واعتدادا بالنعمة فيه) الضمير الكائن فى فيه عائد الى التجاوز و يرد عليه ان التجاوز نفسه نعمة لا ان النعمة فيه والجواب ان النعمة المترتبة على تجاوز الله تعالى عن الذنوب عام كون العبد معذبا بل كونه منعما لان كل أحد لا يخلو عن أحدهما (قوله ويؤيد ذلك الخ) الظاهر ان ذلك اشارة الى الاعتداد المذكور وتوضيحه انه لما قال عليه السلام رفع عن أمتى الخطأ والنسيان فالظاهر انه رفع عن كل واحد من

على معناه كقوله تعالى وكل آتوه داخرين واحد فى معنى الجمع لوقوعه فى سياق النفى كقوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفى الفرق بالتصديق والتكذيب (وقالوا سمعنا) أجبنا (وأطعنا) أمرك (غفرانك ربنا) اغفرلنا غفرانك أو نطلب غفرانك (واليك المصير) المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة أو ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها و يتيسر عليها كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه (لها ما كسبت) من خير (وعليها ما اكتسبت) من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصى غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت أجد فى تحصيله وأعمل بخلاف الخير (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) أى لا تؤاخذنا بما أدى بنا الى نسيان أو خطأ من تفريط وقلة مبالاة أو بأنفسهما اذ لا تمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدى الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطى الذنوب لا يبعد ان يفضى الى العقاب وان لم تكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه و يؤيد ذلك مفهوم قوله عليه الصلاة

الامة الخطأ والنسيان فى كل زمان وحينئذ لا حاجة الى الاستدامة المذكورة فيكون الدعاء المذكور لاجل الاعتداد بالنعمة ويحتمل ان يكون ذلك اشارة الى مجموع ماذكر بان يقال يحتمل ان يرفع الخطأ والنسيان عن الامة فى بعض الاحيان فيحتاج الى الاستدامة أى طلب دوام الرفع المذكور (قوله عباً ثقيلا) العبء بكسر العين وسكون الباء الحمل (قوله للمبالغة) أى ليس التشديد للتعدية الى مفعولين كما فى قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به بل لمجرد المبالغة فى الحمل (قوله فيكون صفة لاصرا) أى على التوجيه الثانى واما على الاول فهو صفة للمصدر المحذوف الذى هو الحمل (قوله من قتل الانفس) هذا هو المستفاد من قوله تعالى فاقتلوا أنفسكم ويحتمل ان يراد من قتل الانفس تعيين القصاص فان فى شريعة موسى عليه السلام القصاص متعينا لا يندفع بالعفو والصلح (قوله وقطع موضع النجاسة) فانه تعين فى شريعة موسى عليه السلام قطع موضع النجاسة من الثياب (قوله أو من التكاليف الشاقة التى لا تفى بها طاقة البشر) هذا غير الأمر المذكور سابقا فانه الامر الشديد المتعسر وهذا الامر المتعذر الغير المقدور (قوله تعالى واعف عنا) يمكن ان يقال المراد به العفو ما تقرر من جزاء أعمالنا السيئة واغفر لنا استر لذنوبنا حتى لا يطلع عليه فنفتضح به على رؤس الاشهاد وارحمنا بنيل الكرامات ورفعة الدرجات فتكون هذه الكلمات الكريمة جامعة لطلب عدم الانتقام وستر الذنوب والتفضل ولا مقصود الا هذه الامور الثلاثة لان المطلوب رفع ما يكون سببا للبعد وتحصيل القرب (قوله تعالى وانصرنا على القوم الكافرين) ان قيل ما فائدة لفظ القوم وهلا قيل فانصرنا على الكافرين حتى يكون المطلوب النصر على كل واحد من الكفرة قلنا النصرة على كل واحد واحد لا تستلزم النصرة على المجموع من حيث هو مجموع لان الشخص قد يكون غالبا على كل واحد اذا انفرد ولا يكون غالبا على المجموع (قوله وهو يرد قول من استنكر) قال النووى فى الاذكار نقلا عن بعض المتقدمين انه يكره ان يقول سورة البقرة وسورة الدخان والعنكبوت وشبه ذلك قالوا وانما يقال السورة التى يذكر فيها البقرة وشبه ذلك قلت وهذا خطأ مخالف للسنة فقد ثبت بالاحاديث الصحيحة استعمالها فيما لا يحصى من المواضع كقوله صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما فى ليلة كفتاه وهذا الحديث فى الصحيحين وأشباهه كثيرة لا تنحصر انتهى كلامه

والسلام رفع عن أمتى الخطأ والنسيان (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) عبأ ثقيلا يأصر صاحبه أى يحبسه فى مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة (كما حملته على الذين من قبلنا) حملا مثل حملك اياه على من قبلنا أو مثل الذى حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة فى اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكاة أو ما أصابهم من الشدائد والمحن (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) من البلاء والعقوبة أو من التكاليف التى لا تفى بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والملائم للتخلص منه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى المفعول الثانى (واعف عنا) وامح ذنوبنا (واغفرلنا) واسترعيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة (وارحمنا) وتعطف بنا وتفضل علينا (أنت مولانا) سيدنا (فانصرنا على القوم الكافرين) فان من حق المولى أن ينصر موالیه على الاعداء أو المراد به عامة الكفرة وروى انه عليه الصلاة والسلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة فعلت وعنه عليه السلام أنزل الله تعالى آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بالفى سنة من قرأهما بعد العشاء الاخيرة أجزأتا عن قيام الليل وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغى أن يقال السورة التى تذكر فيها البقرة كما قال عليه الصلاة والسلام السورة التى تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل يارسول الله وما البطلة قال السحرة

﴿ تم الجزء الاول من تفسير البيضاوى ويليه الجزء الثانى أوله سورة آل عمران ﴾

فهرست الجزء الاول من تفسير البيضاوى

صحيفة		صحيفة	
٢	بيان كون اللام فى الحمد للاختصاص والكلام فى القصر وغيره	٧٠	بيان ان الاخبار بوقوع شئ لاينفى كونه مقدورا
٥	بيان أرفع العلوم قدرا	٧٢	بيان تأويلات المعتزلة للختم ونحوه المسند الى الله تعالى
٦	تفسير سورة الفاتحة	٧٧	بيان كون المنافقين أخبث الكفرة
٧	بيان أسامى الفاتحة	٨٤	بيان ان كمال الايمان بماذا يكون
٨	بيان كون البسملة من الفاتحة أم لا	٨٨	بيان ان الطلب غير الارادة
١٠	بيان متعلق البسملة	٩١	بيان فائدة ضرب الامثال
١١	بيان تحقيق معنى الباء	١٠٢	بيان معنى الشئ وانه يعم البارى فى بعض الاطلاقات
١٣	بيان الكلام فى لفظ الاسم واشتقاقه وما فيه من الخلاف	١٠٦	بيان ان أسماء الجموع للعموم
١٥	بيان أصل لفظ الجلاله وتحقيق اشتقاقه	١٠٩	بيان كيفية المطر والسحاب
١٩	بيان تحقيق القول فى الرحمن الرحيم	١١١	بيان الدليل على اعجاز القرآن وكونه حجة
٢١	بيان مباحث الحمد لله	١٢١	بيان انه ليس فى الجنة من أطعمة الدنيا الا الاسماء
٢٣	بيان مباحث أل الجنسية	١٢٣	بيان حسن التمثيل وشروطه
٢٨	بيان الفرق بين الملك والمالك	١٢٥	بيان معنى أما وتحقيق القول فيها
٣١	بيان الالتفات	١٢٧	بيان الفسق ودرجات الفاسق
٣٢	بيان الضمائر وملحقاتها	١٣٣	بيان اثبات صحة الحشر وبيان المقدمات المتوقفة عليها
٣٧	بيان تقسيم النعم	١٣٤	بيان الاختلافات فى حقيقة الملائكة
٤١	بيان الكلام على آمين وتحقيق معنى اسم الفعل	١٣٧	بيان القول فى معنى الاسماء التى علمها الله للملائكة
	تفسير سورة البقرة	١٣٨	بيان التكليف بالمحال وما قيل فيه
٤٢	بيان تحقيق القول فى الحروف المبدوء بها السور	١٤٠	بيان مزية الانسان بالعلم وان اللغات توقيفية
٤٨	بيان معنى الهدى وأقسامه	١٤١	بيان أن آدم أفضل من الملائكة وان ابليس قيل انه من الملائكة وانه منهم نوعا يتوالدون
٥٢	بيان معنى التضمين وتحقيق القول فيه	١٤٢	بيان ما قيل فى وسوسة ابليس لآدم مع طرده من الجنة
٥٤	بيان معنى الايمان والنفاق عند أهل السنة والمعتزلة والخوارج	١٤٥	بيان ما تمسكت به الحشوية من عدم
٥٨	بيان دليل من ذهب الى ان الرزق يعم الحلال والحرام		
٦٢	بيان معنى اليقين وانه لا يوصف به علم البارى تعالى		
٦٧	بيان معنى الكفر فى الشرع		

صحيفة	
	عصمة الانبياء والجواب عنه
١٥٢	بيان ما تمسكت به المعتزلة من عدم الشفاعة لارباب الكبائر والجواب عنه
١٥٣	بيان كيفية انفلاق البحر لبني اسرائيل وانه من الآيات الملجئة للايمان
١٥٩	بيان ما قيل فى مسخ المعتدين فى السبت قردة انه من مسخ القلوب
١٦٠	بيان قصة أصحاب البقرة
١٦٦	بيان ان المعاصى يجر بعضها بعضا حتى تؤدى الى الكفر
١٧١	بيان ان من أيقن بالجنة أحب التخلص اليها بالموت
١٧٢	بيان السر فى كراهة اليهود لسيدنا جبريل
١٧٤	بيان ان جبل اليهود أربع فرق
١٧٥	بيان ان الساحر لا يكون الا خبيث النفس مثل الشيطان
١٧٨	بيان النسخ وانه من المصالح
١٨٢	بيان اختلاف الأئمة فى دخول الكفار المساجد
١٨٣	بيان الدليل على ابطال الولد له سبحانه
١٨٦	بيان الاشياء التى كلف بها سيدنا ابراهيم
١٨٧	بيان مقام ابراهيم والصلاة التى تصلى عنده
١٩٠	بيان أولاد ابراهيم
١٩٢	بيان أن الانتساب الى الاشراف لا ينفع عند الله بمجرده

صحيفه	
١٩٧	بيان أن التوجه الى جهة الكعبة أوعينها
٢٠١	بيان ان حياة الشهداء لا تدرك الا بالوحى وان الارواح جواهر قائمة بنفسها تبقى بعد الموت دراكة
٢٠٥	بيان الدليل على وجود الاله ووحدته
٢١٣	بيان انحصار الكمالات الانسانية فى ثلاثة وبيانها
٢١٥	بيان نسخ الوصية للوارث بعد وجوبها
٢١٧	بيان وقت نزول صحف ابراهيم والتوراة والانجيل والقرآن
٢٢٠	بيان الاعتكاف وانه خاص بالمسجد
٢٢٤	بيان الحصر فى الحج وفدائه
٢٢٧	بيان المشعر الحرام ما هو
٢٣٢	بيان عدد الانبياء والرسل
٢٣٤	بيان سرية عبدالله بن جحش
٢٣٥	بيان ما نزل فى الخمر من الآيات
٢٣٦	بيان اطلاق المشركين على اليهود والنصارى
٢٣٩	بيان الايلاء وحكمه
٢٤٠	بيان القرء والاختلاف فيه
٢٤١	بيان الخلع وابتدائه
٢٤٤	بيان أقصى مدة الرضاع
٢٤٦	بيان عدة المتوفى عنها زوجها
٢٥٦	بيان فضل بعض الانبياء على بعض
٢٦٠	بيان المحاجة التى قام بها سيدنا ابراهيم مع النمروذ

تمت

الجزء الثاني

من التفسير المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل تأليف امام المحققين وقدوة المدققين القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي وهو نسبة الى قرية يقال لها البيضاء من أعمال شيراز توفي سنة احدى وتسعين وسبعمائة رحمه الله وأسكنه من الفردوس أعلاه آمين

﴿ وبهامشه حاشية العلامة الفاضل أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني رحمه الله آمين ﴾

﴿ قد قرر المجلس الاعلى بالازهر تدريس هذا الجزء ﴾
﴿ لطلبة السنة السابعة ﴾

322284

﴿ طبع بمطبعة ﴾
دار الكتب العربية الكبرى
﴿ على نفقة أصحابها ﴾
﴿ مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكري وعيسى ﴾
﴿ بمصر ﴾

(قوله وكان حقها ان يوقف عليها) لان هذه الالفاظ مقطوع بعضها عن بعض (قوله ايدل على انها فى حكم الثابت) ذهب سيبويه وكثير من النحاة الى انها حركت لالتقاء الساكنين وآثر الفتحة للمحافظة على التفخيم فى الله واختاره جار الله فى المفصل ورد عليه ماذكره المصنف من ان التقاء الساكنين فى الوقف غير محذور ولذا لم يحرك فى لام (قوله فان الميم فى حكم الوقف) هذا دليل على ان اسقاط الالف للادراج لانه انما (٢) يكون اذا كان الحرف الذى قبل الساقط لايكون فى حكم الوقف (قوله واحد اثنان) بالقاء حركة الهمزة على الدال (قوله نجوما) هذا تكرار لان كونه نجوما يفهم من نزل قال صاحب الكشاف انما قال نزل لان القرآن نزل منجما والاولى للمصنف ان يقول أى نزل نجوما (قوله جملة) أى نزل كل من كل منهما دفعة واحدة (قوله لانهما أعجميان الخ) فيه بحث أما أولا فلان فى دخول اللام فى الاعلام الاعجمية نظرا كما صرح به العلامة التفتازانى واما ثانيا فلما نقل العلامة الطيبى عن الزجاج ان النحاة اختلفوا فى التوراة قال الكوفيون هى من وريت والاصل توريه فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها وردذلك بان تفعلة بفتح العين لايكاد يوجد فى كلامهم وقال بعضهم تفعلة مثل توصية قلبت الى تفعلة كما يجوز فى توصية توصاة وهذا ليس بثبت وقال البصريون أصله فوعلة وهى مثل الحوقلة فاصلها وورية فقلبت الواو الاولى تاء وانجيل من النجل الحق وهو الاصل ويفهم مما نقلناه ان النحاة على انهما مشتقتان من الورى والنجل ويفهم من كلامه ان كونهما اسمين أعجميين أمر ثابت بدليل آخر غير ماذكر من التأييد المذكور لكنه خلاف ظاهر كلام الكشاف حيث قال هو أى فتح الهمزة دليل على العجمة والظاهر انهما اسمان للكتابين المنزلين على لسان أهل الملتين فيحكم بكونهما أعجميين وكونهما علمين بينين فى غاية البعد (قوله وأنزل الفرقان) أراد به جنس الكتب الالهية كذا فى الكشاف قال الطيبى فيكون من عطف العام على الخاص كقوله والشمس والقمر والنجوم أقول فيه نظر فان مامثل به ليس من عطف العام على الخاص اذ النجوم ليس عاما بالنسبة الى الشمس والقمر اذ لايصدق عليهما بل من

﴿ سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(الم الله لااله الاهو) انما فتح الميم فى المشهور لالتقاء الساكنين وكان حقها أن يوقف عليها لالتقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها فى حكم الثابت لانها أسقطت للتخفيف للادراج فان الميم فى حكم الوقف كقولهم واحد اثنين بالقاء حركة الهمزة على الدال لالالتقاء الساكنين فانه غير محذور فى باب الوقف ولذلك لم تحرك الميم فى لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ أبو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل (الحى القيوم) روى انه عليه الصلاة والسلام قال ان اسم الله الأعظم فى ثلاث سور فى البقرة الله لااله الاهو الحى القيوم وفى آل عمران الله لااله الاهو الحى القيوم وفى طه وعنت الوجوه للحى القيوم (نزل عليك الكتاب) القرآن نجوما (بالحق) بالعدل أو بالصدق فى إخباره أو بالحجج المحققة انه من عند الله وهو فى موضع الحال (مصدقا لما بين يديه) من الكتب (وأنزل التوراة والانجيل) جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى والنجل وورودهما بتفعلة وإفعيل تعسف لانهما أعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الأنجيل بفتح الهمزة وهو ليس من أبنية العربية وقرأ أبو عمر وابن ذكوان والكسائى التوراة بالامالة فى جميع القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون فانه قرأ بالفتح كقراءة الباقين (من قبل) من قبل تنزيل القرآن (هدى للناس) على العموم إن قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما (وأنزل الفرقان) يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ماعداها كأنه قال وأنزل سائر ما يفرق به بين

H. بقرا ... Mosque ...

عطفا للكل على الجزء لان النجوم عبارة عن مجموع الكواكب والشمس وكذا القمر بعض منها الا ان يقال ان هذا على مذهب من يقول الجمع المحلى باللام للجنس (قوله على العموم ان قلنا الخ) لك ان تقول ان كان المراد ان جميع ما فيهما هدى للناس فعلى تقدير كونها متعبدين بشرع من قبلنا فليس هدى للناس على العموم لان بعضها منسوخ وان أراد ان ما فيهما هدى فى الجملة فهذا الحكم عام لجميع الناس وان لم نكن متعبدين بشرع من قبلنا لان فيهما ما يفيد التوحيد وصفات البارى والبشارة بالنبى عليه السلام وهذه أمور هدى للناس جميعهم (قوله أو القرآن) فيكون من عطف الصفة على الموصوف كذا قال المعلقون على الكشاف أقول فيه نظر اذ العطف بين أنزل الفرقان ونزل الكتاب لا بين الفرقان والكتاب حتى يكون من عطف الصفة على الموصوف والجواب ان المقصود فى الحقيقة ان عطف أنزل الفرقان على نزل الكتاب باعتبار تغاير الفرقان والكتاب فكأنه من عطف الصفة على الموصوف فان قلت فكيف قيل أنزل الفرقان والحال ان القرآن نزل نجوما وأنزل يقتضى ان يكون نزوله دفعة واحدة قلنا المراد من انزال القرآن انزاله الى السماء الدنيا فانه أنزل الى السماء الدنيا ثم نزل نجوما فان قلت فعلى هذا ينبغى ان يقدم أنزل الفرقان على نزل عليك الكتاب قلنا تقديم التنزيل لانه المقصود بالذات (قوله أو المعجزات) عطف على قوله سائر ما يفرق (قوله بآيات الله) ان قيل لو قيل بآية الله لكان آكد اذ العذاب الشديد يترتب على الكفر بآية من آيات الله كما انه مترتب على الكفر بآيات الله قلنا ذكر الآيات لان الواقع من من كفر ليس كفره مخصوصا بآية بل كان كافرا بالآيات كاليهود والنصارى فانهم كافرون بالآيات أو لان من كفر بآية فقد كفر بالذى جاء بها فكأنه كفر بجميع آيات ذلك النبى أو المراد العذاب البالغ الى أقصى المراتب وهو مترتب على الكفر بالآيات (قوله ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم) فيكون التنكير للنوع أو التعظيم أى نوع بلغ الغاية (قوله كليا كان أو جزئيا) أى يعلم

(٣)

الحق والباطل أو الزبور أو القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه بشارة بهما فى كونه وحيا منزلا و يتميز بأنه معجز يفرق به بين الحق والمبطل أو المعجزات (إن الذين كفروا بآيات الله) من كتبه المنزلة وغيرها (لهم عذاب شديد) بسبب كفرهم (والله عزيز) غالب لا يمنع من التعذيب (ذو انتقام) لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جىء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة فى اثبات النبوة تعظيما للأمر و زجرا عن الاعراض عنه (ان الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء) أى شئ كائن فى العالم كليا كان أو جزئيا ايمانا أو كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذا الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الأرض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله (هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء) أى من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم بالاتقان فعله فى خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم أى صوركم لنفسه وعبادته (لا اله الا هو) اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله

الكلى على ما هو عليه أى على الوجه الكلى و يعلم الجزئيات على ما هى عليه أى بالوجه الجزئى وفيه رد على ما هو المشهور بين المتفلسفة من انه تعالى لا يعلم الجزئيات الا بوجه كلى لانه فى الحقيقة نفى للعلم بالجزئى مع ان بعض دلائلهم على علم الواجب تعالى يدل على انه تعالى يعلم الجزئيات على وجوه جزئية كما انه تعالى يعلمها على وجوه كلية فانهم قالوا العلم بالعلة التامة يستلزم العلم بالمعلول ولا شك ان كل شئ فاما ان يكون لواجب علته التامة فيلزم ان يكون معلولا له أو ليس بعلته التامة فنقول الواجب يعلم معلوله الاول على الوجه الجزئى لانه على هذا الوجه معلوله وهو تعالى مع هذا المعلول علة تامة لمعلول ثان فيجب ان يكون الواجب عالما بهذا المعلول الثانى أيضا لانه تعالى عالم بالعلة التامة لهذا المعلول الثانى لانه يعلم ذاته تعالى و يعلم معلوله الاول ومع علة تامة للمعلول الثانى وقس على ما ذكرنا سائر المعلولات (قوله ترقيا من الادنى الى الاعلى) اما باعتبار المكان فهو ظاهر واما باعتبار المكانة فلان السماء أشرف من الارض (قوله ما اقترف فيها) فان المقصود من الآية تخويف أهل الارض مما اقترفوا أى اكتسبوا فيها يعنى يعلم ما صدر من أهل الارض وما اختاج فى قلوبهم فيجب ان يحذر كما قال تعالى قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله (قوله وهو كالدليل على كونه تعالى حيا) وانما قال كالدليل اذ لا يكون ايراد الآية للاستدلال على كونه حيا بل المقصود علمه بجميع الاشياء ليحذر منه ثم انه ليس دليلا تاما على كونه حيا بل لابد من مقدمة أخرى هى ان من كان عالما بجميع العالم بجميع الاشياء فلابد ان يكون حيا (قوله وقرئ تصوركم أى صوركم لنفسه وعبادته) أراد ان معنى تصوركم ما ذكر فيكون صوركم مطلقا وتصوركم مقيدا وقوله وعبادته معطوف على نفسه عطف تفسير (قوله كالدليل على قيوميته) لان القيوم على ما فسره الدائم القائم بتدبير الخلق وانما قال كالدليل على القيومية لمثل ما ذكرنا آنفا وترك المصنف شيأ يجب ان ينبه عليه

وهو ان قوله تعالى كيف يشاء دال على انه فاعل بالاختيار لا بالايجاب كما هو مذهب الفلاسفة فهي الآية الرد عليهم من وجهين بل من وجوه
أحدها كونه تعالى عالما بالجزئيات الثاني كونه فاعلا بالمشيئة والاختيار الثالث كونه تعالى مستقلا بالفاعلية فان ظاهر قوله تعالى هو الذي
يصوركم دال على الاستقلال (قوله قيل هذا احتجاج الخ) يمكن ان يكون قوله هذا اشارة الى قوله تعالى ان الله لا يخفى الآية فيكون المعنى
ان الرب الحقيق لا بد ان يكون متصفا بما ذكر وعيسى عليه الصلاة والسلام ليس كذلك و يمكن ان يكون مستفادا من قوله هو الذي
يصوركم في الارحام كيف يشاء و يمكن ان يكون اشارة الى العزيز الحكيم فان الرب ينبغي ان يكون في غاية العلم ونهاية القدرة وعيسى
ليس على ماذكرنا (قوله تعالى هو الذي أنزل عليك) ان قيل قد سبق في أول السورة نزل عليك الكتاب وههنا قال أنزل وجه
الاول يقتضي ان يكون نزولا تدريجا والثاني ان يكون دفعة قلنا أراد ههنا مطلق النزول أو يكون الانزال بمعنى التنزيل (قوله على
تأويل كل واحدة الخ) أي على ان يراد بهن كل واحدة من المحكمات أو يجعل مجموعها في حكم آية واحدة (قوله لا جال أو مخالفة ظاهر)
هذا الكلام مع ماسبق يدل على انه (٤) يمكن ان تكون آية واحدة محكمة ومتشابهة بان تكون لا اجال فيها لكن فيها مخالفة

(العزيز الحكيم) اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا احتجاج على من زعم أن عيسى
كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من أولها الى
نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم وأجاب عن شبههم (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه
آيات محكمات) فأحكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال والاحتمال (هن أم الكتاب) أصله يرد
اليها غيرها والقياس أمهات فأفرد على تأويل كل واحدة أو على ان الكل بمنزلة آية واحدة (وأخر
متشابهات) محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال أو مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها
فضل العلماء و يزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم الموقوف عليها استنباط
المراد بها فينالوا بها و باتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها و بين المحكمات معالي
الدرجات وأما قوله تعالى الر كتاب أحكمت آياته فمعناه أنها حفظت من فساد المعنى وركاكة
اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه أنه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ وأخر جمع
أخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه أن القياس أن
يعرف ولم يعرف لانه في معنى المعرف أو عن آخرين (فاما الذين في قلوبهم زيغ) عدول عن
الحق كالمبتدعة (فيتبعون ما تشابه منه) فيتعلقون بظاهره أو بتأويل باطل (ابتغاء الفتنة)
طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه (وابتغاء تأويله)
وطلب أن يؤولوه على ما يشتهونه و يحتمل أن يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين أو كل واحدة
منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل (ومايعلم تأويله) الذي يجب أن
يحمل عليه (الا الله والراسخون في العلم) أي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر

ظاهر فتكون محكما باعتبار انه لا اجمال فيها ومتشابهة باعتبار مخالفتها للظاهر وان قيل ما فيه مخالفة ظاهر فلا بد ان يكون فيه اجمال فنقول ينبغي ان يكتفي في تعريف المتشابه بما فيه اجمال ولذا عرف في الاصول المحكم بما يتضح المعنى والمتشابه بما لا يتضح معناه (قوله ولا يلزم منه معرفته الخ) فيه نظر لانه اذا اعتبر العدل لاجل ان القياس يقتضي ان يكون معدولا عن الآخر فيجب اعتبار التعريف لاجل ان القياس يقتضي ان يكون معدولا عن المعرفة والاولى ان يقال لا يلزم تعريفه لانه كما عدل عن الصيغة عدل عن التعريف المتشابه الى التنكير (قوله أو طلب ان يؤولوه الخ) يشير الى ان الواو في قوله تعالى وابتغاء تأويله بمعنى أو (قوله والاول الخ) أي ابتغاء الفتنة شأن العالم المعاند وابتغاء التأويل شأن الجاهل فان الحاكم بما أول التأويل الباطل لا يكون غرضه الفتنة بل ادعى انه على الحق (قوله الذي يجب ان يحمل عليه) لو قال يجب ان يحمل عليه أو على مثله لكان تاما اذ التأويل الذي ذكر في المتشابه لا يجب ان يحمل عليه بعينه بل يمكن في بعض المواضع ان يؤول تأويلا آخر و يجب ان يقال ههنا مضاف مقدر أي تأويله الذي يجب ان يحمل على جنسه (قوله أي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف الخ) ظاهر الكلام يدل على اختيار الوقف على قوله تعالى والراسخون في العلم فيكون الراسخون في العلم من الذين يعلمون تأويلها أيضا وهو الراجح من وجوه أما أولا فلانه اذا علم الراسخون التأويل كان أكثر فائدة من ان لا يعلموه واما ثانيا فلانه اذا وقف على الا الله وجعل قوله تعالى يقولون آمنا به خبرا عن الراسخين لم يكن لتخصيص الراسخين في العلم كثير فائدة لان غير الراسخين في العلم يقولون أيضا آمنا به واما ثالثا فلانه على تقدير ما ذكر في الوجه الثاني لا يكون لقوله تعالى وما يذكر الا أولوا الالباب كثير ملائمة فهذا الموقع وعورض بانه خلاف الظاهر من وجوه أحدها ان قوله فأما الذين في قلوبهم زيغ الخ يدل على ان

اتباع المتشابه مذموم وكذا ابتغاء تأويله والتوجيه الذي ذكره المصنف من ان المراد بالتأويل تأويل مخصوص خلاف الظاهر وثانيها أن أما في قوله فأما الذين في قلوبهم زيغ بدل على وجود اما أخرى خصوصا في القرآن المجيد ولهذا قال بعضهم اما الا يوجد في القرآن وما بعدها مرفوع الا بفعل أو بمثاث وهذا يدل على ان التقدير وأما الراسخون في العلم يقولون الآية وثالثها ان الذوق السليم يحكم بان الانسب ان يكون والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلام مستقل ورابعها ان قوله تعالى يقولون آمنا به أنسب بعد فهمهم لمعاني المتشابه كما لا يخفى على المتأمل حال هذه الأمور ورجح الامام في تفسيره الوقف على الا الله ويمكن ان يجاب عن الوجه الاول بان المذموم على ما يفهم من الكلام اتباع المتشابه لاجل ابتغاء الفتنة لا اتباعه مطلقا وعن الثاني بان اما الأخرى مع ما في حيزه مقدر أي فاما الذين ليس في قلوبهم زيغ فلا يتبعون المتشابه لابتغاء الفتنة وعن الثالث بان الانسبية التي ذكرها انما تكون اذا لم يمكن باعث على الحمل على خلافه وقد بينا الوجوه التي ترجح خلافه وعن الرابع انا لا نسلم ان الايمان أنسب بعدم فهمهم معنى المتشابه ولئن سلمنا فهذا يعارضه الوجوه المرجحة لخلافه (قوله أو بما دل القاطع الخ) فان قلت ما الدليل النص (٥) القاطع على ما هو المراد منه لا يلزم ان لا يعلمه

المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية أو بما دل القاطع على أن ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد (يقولون آمنا به) استئناف موضح لحال الراسخين أو حال منهم أو خبر ان جعلته مبتدأ (كل من عند ربنا) أي كل من المتشابه والمحكم من عنده (وما يذكر الا أولوا الالباب) مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعد به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتزيينه وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته أو انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه كما انه جواب عن قولهم لا أب له غير الله فتبين أن يكون هو أبا به بانه تعالى مصور الجنة كيف يشاء فيصور من نطفة أب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون أب المصور (ربنا لا تزغ قلوبنا) من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أقامه على الحق وان شاء أزاغه عنه وقيل لا تبتلينا بما لا نزيغ فيها قلوبنا (بعد اذ هديتنا) الى الحق او الايمان بالقسمين من المحكم والمتشابه وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر بإضافته اليه وقيل انه بمعنى أن (وهب لنا من لدنك رحمة) تزلفنا اليك ونفوز بها عندك أو توفيقا للثبات على الحق أو مغفرة للذنوب (انك أنت الوهاب) لكل سؤل وفيه دليل على أن الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شئ (ربنا انك جامع الناس ليوم) لحساب يوم أو لجزائه (لا ريب فيه) في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على أن معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل

يكاد أن يبلغه فهم أحد فكان من مشابهة المتشابه الذي معناه غير مفهوم بل نقول الحكم بانه تعالى عالم مناسب للحكمة من وجه أي من حيث الاطلاق ومناسب للمتشابه من حيث الكيفية فان كيفية علمه تعالى بالاشياء غير معلوم لاحد (قوله أو انها جواب عن تشبث النصارى الخ) أما وجه تشبث النصارى بما ذكر فهو انهم قالوا ان الكلمة التي هي اقنوم العلم من الاقانيم الثلاثة التي أثبتوها انتقلت الى بدن عيسى فيكون ربا وأما وجه الجواب عنه فهو ان الآية تدل على انه تعالى منزل العلوم الى من يشاء من عباده فهو الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب الذي هو منبع العلم والمعارف فيكون كلمة الله عبارة عن افاضة العلوم الى عيسى ولا يلزم شئ مما ذكره النصارى (قوله بعد اذ هديتنا) لا يخفى ان اذ هنا ليس للظرفية بل لمجرد الزمان فكان المعنى بعد زمان هدايتنا فاقل بعضهم من ان اذ واذا تلازم الظرفية ليس بقوي (قوله لكل سؤل) هذا العموم مفهوم من عدم ذكر الموهوب فالتخصيص بموهوب ومسؤل دون آخر تخصيص بلا مخصص كما قاله أهل العربية في فلان يعطي انه حذف المفعول ليدل على أن لا اعطاء لغيره (قوله لا يجب عليه شئ) في فهمه مما ذكر نوع خفاء فان كون الشخص وهابا لكل مسؤل لا ينافي أن يجب عليه شئ غاية الامر أنه يلزم أن لا يكون وهابا لذلك الشئ وقد يقال ان قوله انك أنت الوهاب يدل على أنه الوهاب لكل شئ ولكل نعمة فلا يجب عليه شئ والا لما كان واهبا

لذلك الشئ الذى يجب عليه فتامل (قوله فان الالهية تنافيه) لان اخلاف الميعاد كذب مناف للكمال الذى هو مقتضى الالهية (قوله لوتن الخطاب) أى غير الكلام من الخطاب الى الغيبة ووجه اشعاره بالتعظيم تعليق الحكم بصريح اسم الله تعالى يعنى أن الالوهية منافية لاخلاف الميعاد فانجازه مما يهتم به فهو أمر عظيم ثم انه كما دليل والمدلول الصريحين فان الوهيته دليل على عدم اختلاف الميعاد لانه نقص والالوهية تقتضى الكمال من جميع الجهات (قوله واستدل به الوعيدية) أى المعتزلة على عدم رفع العذاب عن الفساق فانه تعالى أوعدهم بالعذاب وهو لا يخلف الميعاد (قوله تعالى شيأ) مفعول مطلق أى شئ من الاشياء و يمكن أن يكون مفعولا به أى لن تدفع عنهم بدل رحمة الله تعالى شيأ من العذاب فان رحمة الله تدفع العذاب اذ رفع العذاب لا يكون الا بالرحمة فالمعنى ان رحمة الله تدفع العذاب وأموالهم وأولادهم لا يكونان (٦) بدل الرحمة فى دفع العذاب (قوله وقيل استئناف) وعلى هذا يكون مبتدأ

(ان الله لا يخلف الميعاد) فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لوتن الخطاب واستدل به الوعيدية وأجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لادلة منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا (ان الذين كفروا) عام فى الكفرة وقيل المراد به وفد نجران أو اليهود أو مشركو العرب (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) أى من رحمته أو طاعته على معنى البداية أو من عذابه (وأولئك هم وقود النار) حطبها وقرئ بالضم بمعنى أهل وقودها (كدأب آل فرعون) متصل بما قبله أى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن أولئك أو توقد بهم كما توقد باولئك أو استئناف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء كدأبهم فى الكفر والعذاب وهو مصدر دأب فى العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن (والذين من قبلهم) عطف على آل فرعون وقيل استئناف (كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم) حال باضمار قد أو استئناف بتفسير حالهم أو خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم (والله شديد العقاب) تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم) أى قل لمشركى مكة ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر فى سوق بنى قينقاع فحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك أصبت أغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده لهم بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائى بالياء فيهما على أن الامر بان يحكى لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه (وبئس المهاد) تمام ما يقال لهم أو استئناف وتقديره بئس المهاد جهنم أو ما مهدوه لانفسهم (قد كان لكم آية) الخطاب لقريش أو لليهود وقيل للمؤمنين (فى فئتين التقتا) يوم بدر (فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم) يرى المشركون المؤمنين مثلى عدد المشركين وكان قريبا من ألف أو مثلى عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم فى أعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لقوهم كثرهم فى أعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين أو يرى المؤمنون المشركين مثلى المؤمنين وكانوا

وكذبوا بآياتنا خبره وهو معنى قوله أو خبر ان ابتدأت الخ (قوله حال باضمار قد) و يكون ذو الحال والعامل فيها مستفادين من الكلام لان المعنى أولئك مشبهون بآل فرعون أو يكون الحال حالا من ضمير الفعل الذى هو صلة الذين (قوله باغمار) بالغين المعجمة جمع غمر بضم الغين وسكون الميم وضمها وهو من لم يجرب الامور فيكون قوله لا علم لهم بالحرب كالبيان (قوله على أن الامر بان يحكى لهم الخ) يعنى أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يحكى ما أخبر الله به من وعيدهم بعين اللفظ الذى ذكره الله من حالهم فانه تعالى قال لنبيه مستغلبون وتحشرون الى جهنم

وأمر النبى عليه الصلاة والسلام أن يذكرها اللفظ بعينه لهم وكأنه قيل قل ما أقول لك ستغلبون وتحشرون الى جهنم (قوله وقيل للمؤمنين) رجح أن يكون الخطاب للكفرة لانه اذا كان الخطاب لهم كانت الآية آية باعثة على اسلامهم واذا كان الخطاب للمؤمنين كانت موجبة لزيادة اعتقادهم لكن كون الآية آية للعرض الاول أقوى لان الاهتمام باسلام الكفرة أتم (قوله وذلك بعد ما قللهم فى أعينهم) الضمير الاول للمؤمنين والضمير الثانى للكافرين وكذا ضمير اجترؤا وضمير عليهم راجع الى المؤمنين والضمير الاول فى لاقوهم للمشركين والثانى للمؤمنين وقوله غلبوا يمكن أن يكون مبنيا للفاعل وضميره راجع الى المؤمنين و يكون مبنيا للمفعول فيكون راجعا الى الكفار (قوله أو يرى المؤمنون المشركين) الى قوله و يؤيده قراءة نافع و يعقوب فيه نظر فانه اذا كان معنى الكلام ما ذكر كان ينبغى أن يقال ترونهم مثليكم والعجب أن صاحب الكشاف صرح بان قراءة نافع لا تساعد هذا المعنى وذ نروانى

بيان عدم المساعدة أن خطاب لكم للمشركين فينبغي أن يكون خطاب تردونهم أيضا لهم حذرا من تغاير النظم ويمكن دفع هذا أي دفع عدم المساعدة بان قراءة نافع على تقدير أن يكون الخطاب في لكم للمؤمنين ودفع الاول بان يكون التفات من الخطاب الى الغيبة قال العلامة الطيبي لايستقيم أن يكون المعنى ترون أيها المسلمون المشركين مثليهم لان المعنى على هذا مثل المشركين الا أن يكون التفاتا ثم نقل عن صاحب الانتصاف أنه قال الخطاب على قراءة نافع للمسلمين أي ترونهم يامسلمون ويكون الضمير في مثليهم أيضا للمسلمين وهو لفظ غيبة والمعنى ترون أيها المسلمون المشركين مثليهم أي مثليكم وفيه التفات في جملة واحدة وهو وان كان صحيحا لكن غالب الالتفات يأتي في جملتين قال العلامة التفتازاني الخطاب لمشرك قريش فيكون الضمير في مثليهم للفئة الكافرة بطريق الغيبة لا للمخاطبين بترونهم ليلزم الالتفات من الخطاب الى الغيبة وقوله تعالى وأخرى (٧) كافرة ليست عبارة عن المخاطبين بقوله لكم بحيث يكون مقتضى الظاهر التعبير عنهما بطريق الخطاب ليلزم الالتفات من الخطاب الى الغيبة فاعلم أنه لا التفات في هذا الكلام أصلا أفول غرضه في قوله الحكم يكون المخاطبين بقوله تعالى لكم غير المراد بقوله تعالى وأخرى كافرة أن ليس القصد الى التعبير عن المخاطبة بالغيبة بل القصد الى أن الضمير المذكور بطريق الغيبة غير المذكور بطريق الخطاب وان كان المذكوران شيأ واحدا (قوله تعالى زين للناس الآية) الذي يخطر في فهمي القاصر أنه لما ذكر في الآية أمر الغزو والجهاد وكان من الممكن الواقع كثيرا أن المجاهد يجاهد لاجل نهب المال والنساء والخيل وغيرها دفع ذلك بان الامور المذكورة متاع الحياة الدنيا لابد من انقطاعها وعند الله الثواب الذي يبقى أبدا فينبغي أن يكون نظر المجاهد الى اعلاء الدين وطلب ثوابه لاحصول الامور الدنيوية الدنيئة (قوله سماها شهوات) قال صاحب الكشاف الوجه في ذكر الشهوات ان يقصد خسيسها فتسمى شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها ولهذا قال المصنف ان الآية في معرض الذم (قوله تعالى والقناطير المقنطرة) معناه القناطير الكثيرة المتكاملة فان من عادة العرب أن يشتقوا من لفظ الشئ الذي يريدون المبالغة في وصفه مايتبعونه كقولهم ظل ظليل وانما خص المال الكثير بالذكر لان المال القليل يكون محمودا لان أمر المعاش مرتبط به (قوله أو المطهمة) هي التامة الخلق والمسوّمة بهذا المعنى كأنها مشتقة من السوم في البيع لان الحسن الخلقي يسام كثيرا أو من السومة بمعنى العلامة لانها كأنها علم في الحسن (قوله وفرق الجباني) فقال مزين الشهوات المباحة هو الله تعالى ومزين الشهوات المحرمة الشيطان (قوله تعالى ورضوان من الله) لعل الرضوان عبارة عن الفيوض المعنوية الفائضة على

وكانوا ثلاثة أمثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول أي يريهم الله أو يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص أو الحال من فاعل التقتا (رأي العين) رؤية ظاهرة معاينة (والله يؤيد بنصره من يشاء) نصره كما أيد أهل بدر (ان في ذلك) أي التقليل والتكثير أو غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية أيضا يحتملها ويحتمل وقوع الامر على ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم (لعبرة لأولى الابصار) أي لعظة لذوي البصائر وقيل لمن أبصرهم (زين للناس حب الشهوات) أي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وإيماء إلى أنهم انهمكوا في محبتها حتى أحبوا شهوتها كقوله تعالى أحببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء أو لانه يكون وسيلة الى السعادة الأخروية اذا كان على رجه يرتضيه الله تعالى أو لانه من أسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم (من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث) بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة ألف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في أنه فعلال أو فنعال والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها أو المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم (ذلك متاع الحياة الدنيا) اشارة الى ما ذكر (والله عنده حسن المآب) أي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) يريد به تقرير أن ثواب الله تعالى خير من مستلذات الدنيا (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) استئناف لبيان ما هو خير ويجوز أن يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير (وأزواج مطهرة) مما يستقذر من النساء (ورضوان من الله) قرأ عاصم في رواية أبي بكر في جميع

الارواح ولهذا كان الرضوان أكبر وأعلى من الجنان التي هي عبارة عن الفيوض الصورية المتعلقة بالاجسام (قوله وأوسطها الجنة) ولذا وقع ذكرها في الوسط حتى يكون الترتيب الوضعي مناسبا للترتيب الطبعي لأن المغفرة هي غير الذنب وهي وان كانت من المطالب العالية لكنها ليس باعظم منها مطلقا بل القرب من الله تعالى و رضوان منها أكبر وهو الفيض الروحاني كما فسرنا الآن يقال المراد من الاستغفار طلب ما يكون كالآلة أو موجبا للاندراج أعم من أن يكون مغفرة الذنوب أولا (قوله في استحقاق المغفرة والاستعداد لها) لا يلائم ذكر الاستحقاق بل الاولى الاقتصار على ذكر الاستعداد (قوله للدلالة على استقلال كل واحد منها وكالهم فيها) أي لو لم يعطف لتوهم جعل بعضها صفة للبعض المتأخر للمقدم فكان المقيد والقيد مستقلا لا كل واحد ولما كان كل منها صفة كمال موجبة للمدح كان فيه اشارة الى كمالهم فيها اذ الناقص في صفة لا يمدح بها بالاستقلال (قوله والنفس أصفى) لقلة ما يشوش النفس من الامور الخارجة و بعدهما اختلج فيهم في النهار من الخواطر والوساوس الحاصلة من استماع كلمات الناس واجتماع الشخص معهم والاشتغال بالامور الدنيوية (٨) (قوله شبه ذلك) أي التبيين بالطريق المذكورة التي هي نصب الدلائل

القرآن بضم الراء ماخلا الحرف الثاني في المائدة وهو قوله تعالى رضوانه سبل السلام بكسر الراء وهما لغتان (والله بصير بالعباد) أي بأعمالهم فيثيب المحسن و يعاقب المسيء أو بأحوال الذين اتقوا فلذلك أعدلهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فأدناها متاع الحياة الدنيا وأعلاها رضوان الله تعالى لقوله تعالى و رضوان من الله أكبر وأوسطها الجنة ونعيمها (الذين يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) صفة للمتقين أو للعباد أو مدح منصوب أو مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة أو الاستعداد لها (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار) حصر لمقامات السالك على أحسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى إما تو سل وإما طلب والتوسل إما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما وإما بالبدن وهو إما قولي وهو الصدق وإما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة وإما بالمال وهو الانفاق في سبل الخير وأما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة أعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها أو لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها أقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والروع أجمع سيما للمجتهدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون (شهد الله انه لا اله الا هو) بيّن وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها (والملائكة) بالاقرار (وأولوا العلم) بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد (قائما بالقسط) مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى و وهبنا له اسحق و يعقوب نافلة ومن هو

من الله تعالى واقرار الملائكة واحتجاج العلماء في البيان والكشف بشهادة الشاهد يعني ليس المراد من الشهادة معاني متعددة حتى يكون بمعنى التبيين بالنظر الى الله تعالى و بمعنى الاقرار بالنظر الى الملائكة و بمعنى التصديق بالنظر الى أولي العلوم بل معناها أي معنى الشهادة واحد بالنظر الى الكل وهو الكشف والتبيين شبه التبيين والكشف بشهادة الشاهد ثم استعير له لفظ الشهادة وانما يقدر لفظ شهد على الملائكة وأولي العلم ليكون كل بمعنى آخر ولا يلزم الجمع بين المعنى الحقيقي والمجازي ولا الجمع بين المعنيين المجازيين لانه خلاف الظاهر مع الاستغناء بالمجاز المشهور المستفيض وفي كلامه مشيء وهو أنه يفهم من أوّل كلامه وهو قوله بين وحدانيته الخ أي شهد بمعنى بين فيكون البيان أحد طرفي التشبيه وقوله في البيان والكشف صريح في أن البيان وجه الشبه لا طرفي التشبيه لو قال شبه بذلك لزوم التيقن والانكشاف بشهادة الشاهد اندفع الايراد واعلم أنه لا يظهر وجه تخصيص الاقرار بالملائكة والايمان بالمؤمنين بل الاقرار واقع من كل منهما فلذا قال صاحب الكشاف ولذلك شبه بشهادة الشاهد اقرار الملائكة وأولي العلم واحتجاجهم عليه وأما الاحتجاج فكما أنه واقع من المؤمنين يمكن وقوعه من الملائكة اذ ليس في الشرع ما يأبى الاستدلال لكن لما كان الاحتجاج منهم غير ظاهر خصه بالعلماء (قوله أي مقيما للعدل) فتكون الباء للتعدية (قوله أو عن هو) قال صاحب الكشاف هو وجه أي انتصابه حالا عن هو وجه من انتصابه عن فاعل شهد لانه أقرب وأدل على المقصود الذي هو دخول القيام بالقسط تحت الشهادة لانه اذا كان حالا عن ضمير هو كان التوجيه مع قيده الذي هو الحال مشهودا به بخلاف ما اذا كان حالا من فاعل شهد فليست الشهادة واقعة عليه وأشار المصنف بقوله وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة للاله أو حالا عن الضمير أي اذا جعل حالا عنه كان المعنى شهد الله أنه لا اله الا هو أي شهد الله

بتوحيده حال كونه قائما بالقسط وكأنه قيل شهد بالتوحيد وبكونه قائما بالقسط بخلاف ما اذا كان حالا عن فاعل شهد فان القيام حال الفاعل الشاهد وليس بداخل فى المشهود به وقس عليه حاله اذا جعل قائما صفة لاله (قوله مؤكدة) اذ مفهوم الحال معلوم من الكلام السابق فان الله الذى لا اله الا هو لابد أن يكون قائما بالقسط (قوله ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد) فان قلت المفهوم من التكرير المذكور مزيد الاعتناء بالتوحيد نفسه لا بادلته قلنا لا يعرف التوحيد الا من الادلة فمزيد الاعتناء بالتوحيد موجب لمزيد الاعتناء بادلته (قوله والحكم به بعد اقامة الحجة) وهى شهادة الله تعالى وملائكته وأولى العلم (قوله لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته) لان الحكمة فعل الشئ على ما ينبغى ففى أول الحال علم نفس الفعل ثم بعد التأمل فيه ظهرت الحكمة (قوله أو الصفة لفاعل شهد) هذا خلاف ما تقرر عندهم من تقدم النعت على المعطوف ولذا لما قال صاحب الكشاف العزيز الحكيم صفتان قال العلامة التفتازانى يعنى الصفة المعنوية لا النعت النحوى وقرر ان رفعهما بالبدلية أو بكونهما خبر مبتدأ محذوف (قوله وقد روى فى فضلها) أى فى فضل الشهادة والعهد المذكور من شهد (٩) بالوحدانية يدخل الجنة (قوله وهى دليل الخ) أى الشهادة أى فضلها دليل على شرف علم الكلام اذ التوحيد انما يعلم منه (قوله على انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان أو بما يتضمنه) لا يخفى ان الايمان هو تصديق النبى صلى الله عليه وسلم فى ضروريات الدين وعلى هذا لا يكون بدل الكل لان ماذكر سابقا هو التوحيد والايمان ليس نفسه بل يشمله وغيره وكذا اذا فسر الاسلام بما يشمل الايمان وغيره اذ على هذا التقدير زاد العموم والشمول فالعلم أن صاحب الكشاف قال بالبدلية على تقدير فتح ان لكن لم يذكر انه بدل الكل ولعل سببه ماذكرنا فان قلت انه صرح بما ذكرتم قال والبدل هو المبدل منه فى المعنى فيكون مراده بعين البدل بدل الكل لانه المبدل منه قلنا قال العلامة التفتازانى اما ان بدل الكل عين المبدل فظاهر واما كون بدل الاشتمال كذلك فباعتبار انه المقصود بالنسبة الى المبدل منه والمحكوم عليه بالحكم عليه فعلم منه ان كلام الكشاف ليس مخصوصا ببدل الكل فتأمل (قوله وبدل اشتمال ان فسر بالشريعة) وتكون الشريعة هى القواعد المبينة للاعمال اذلو أريد بها أعم منها بحيث تكون شاملة للعقائد أيضا لكان المبدل منه الذى هو التوحيد جزأ منه فلم يكن بدل الاشتمال وههنا شئ وهو ان الرضى ذكر ان بدل الاشتمال أن يكون المخاطب منتظرا للمبدل عند سماع المبدل منه وههنا ليس كذلك (قوله على وقوع الفعل على الثانى) بأن يجعل ان الدين عند الله الاسلام مفعول شهد ويكون التقدير شهد الله ان الدين عنده الاسلام (قوله أو اجراء شهد الخ) فيكون ان المكسورة بالاعتبار الاول والمفتوحة بالاعتبار الثانى وكلامه صريح فى جواز الاعتبارين لكلمة واحدة فى تركيب واحد لكن ظاهر كلام

والعامل فيها معنى الجملة أى تفرد قائما أو أحقه لانها حال مؤكدة أو على المدح أو الصفة للمنفى وفيه ضعف للفصل وهو مندرج فى المشهود به اذا جعلته صفة أو حالا من الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل عن هو أو الخبر لمحذوف (لا اله الا هو) كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة ويليق عليه قوله (العزيز الحكيم) فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير أو الصفة لفاعل شهد وقد روى فى فضلها انه عليه الصلاة والسلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى ان لعبدى هذا عندى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة وهى دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله (ان الدين عند الله الاسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للاولى أى لا دين مرضى عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائى بالفتح على انه بدل من أنه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان أو بما يتضمنه و بدل اشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وأن بالفتح على وقوع الفعل على الثانى واعتراض ما بينهما أو اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم أخرى لتضمنه معناهما (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى أو من أرباب الكتب المتقدمة فى دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا أو فى التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا فى أمر عيسى عليه السلام (الا من بعد ما جاءهم العلم) أى بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج (بغيا بينهم) حسدا بينهم وطلبا للرئاسة لا لشبهة وخفاء

الكشاف يقتضي منعه لانه اقتصر على ايقاع شهد على الدين ولم يذكر هذا الاحتمال (قوله وهو الدين القويم الخ) فيه انه يفهم منه ان الدين القويم هو مجرد التوحيد وليس كذلك بل الدين القويم هو المركب منه ومن غيره مما يجب الايمان به ويمكن ان يقال اسلام النفس فيه عبارة عن ان لا يجعل للشيطان والهوى نصيبا فيها وهذا متضمن للايمان بكل ما يجب به الايمان فصح انه الدين القويم (قوله أو مفعول معه) فان قيل يجب في المفعول معه ان يكون تعلق الحكم به وبالمصاحب في وقت واحد لكن تعلق الفعل المذكور وهو اسلام النفس بالفاعل وهو النبي صلى الله عليه وسلم مقدم على تعلقه بمن تبعه قلنا يجب في المفعول معه ان يكون تعلق الفعل به و بصاحبه حاصلا في وقت سواء كان التعلق الثاني حاصلا مع الاول أيضا أولا (قوله وهم رضوابه) الضمير راجع الى الذين في عصره و يفهم منه ان (١٠) يقتلون بمعنى يرضون بالقتل والباعث عليه الحكم بان الخطاب في قوله تعالى

في الامر (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) وعيد لمن كفر منهم (١٨) (فان حاجوك) في الدين أو جادلوك فيه بعد ما أقمت الحجج (فقل أسلمت وجهي لله) أخلصت نفسي وجملتي لا أشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت به الحجج ودعت اليه الآيات والرسل وانما عبّر بالوجه عن النفس لانه أشرف الاعضاء الظاهرة ومَظْهَر القُوى والحواسّ (ومن اتبعن) عطف على التاء في أسلمت وحسُن للفصل أو مفعول معه (٩) (وقل للذين أوتوا الكتاب والامّيين) الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب (أأسلمتم) كما أسلمتُ لمّا وضّحت لكم الحجّة أم أنتم بعدُ على كفركم ونظيرُه قوله فهل أنتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة أو للمعاندة (فان أسلموا فقد اهتدوا) فقد نفعوا أنفسهم بان أخرجوها من الضلال (وان تولوا فانما عليك البلاغ) أي فلم يضرّوك اذ ما عليك إلاّ أن تبلّغ وقد بلّغتَ (والله بصير بالعباد) وعد و وعيد (٢٠) (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم) هم أهل الكتاب الذين في عصره عليه السلام قَتَلَ أوائلهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبيّ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر إن كليت ولعلّ ولذلك قيل الخبرُ (٢١) (أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) كقولك زيدٌ فأفهم رجلٌ صالحٌ والفرق أنه لا يغيّر معنى الابتداء بخلافهما (وماهم من ناصرين) يدفع عنهم العذاب (٢٢) (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) أي التوراة أو جنس الكتب السماوية ومنْ للتبعيض أو للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير (يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم) الداعي محمد عليه الصلاة والسلام وكتاب الله القرآن أو التوراة لما روي أنه عليه الصلاة والسلام دخل مِدْراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أيّ دين أنت فقال على دين ابراهيم فقالا له إنّ ابراهيم كان يهوديّا فقال هلمّوا الى التوراة فانها بيننا و بينكم فأبيا ونزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليُحكَم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما

فبشرهم لأجل المعاصرين (قوله كقولك زيد فافهم الخ) فان قيل ما هذه الفاء قلنا جزائية والتقدير واذا كان ما ذكرنا فافهم فان قوله فافهم مؤخر عن الجملة بحسب التقدير اذ هو في معنى قولك زيد رجل صالح فافهم (قوله والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما) الاولى ان يقال انه لا يغير معنى الجملة من الحكم بثبوت الخبر على المبتدأ بخلافهما لكن الثبوت المذكور مناسب لمعنى الشرط وهو لا يوجد في الجملة المذكورة بعدهما فلذا منعا من دخول الفاء (قوله تعالى وماهم من ناصرين) فان قيل الاولى ان يقال وماهم من ناصر ليفيد عموم النفي أي ليس لهم ناصرا صلا فضلا عن ناصرين قلنا النكتة فيه الاشعار بان نصر الجماعة لا يحصل الا من جماعة لا من واحد

هذا اذا كانت من زائدة واما اذا كانت تبعيضية وهو المفهوم من شرح عبارته فلا حاجة الى التوجيه المذكور (قوله ومن للتبعيض أو البيان) اذا كانت من للبيان يجوز ان يحمل الكتاب على الوجهين المذكورين واما اذا كانت للتبعيض فيجب ان يحمل الكتاب على التوراة لا جنس الكتب السماوية لان من التبعيضية توجب ان يكون ما قبلها جزأ من مجرورها لا جزئيا له لكن النصيب من جنس الكتب السماوية جزئي له لا جزؤه يحتمل التعظيم والتحقير فالاول ان يعطوا نصيبا وافرا من التوراة والثاني ان يعطوا شيأ قليلا لكن الاول أنسب بهذا المقام لان المقام مقام التوبيخ وهو يناسب العلم الكثير فكأنه قيل انهم مع كثرة علمهم بما في التوراة فعلوا ما هو شأن الجهال ولذا اقتصر صاحب الكشاف عليه (قوله وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما

بينهم) ظاهر العبارة مشعر بان كون الاختلاف فيما بينهم مترتب على القراءة المذكورة لكن مفهوم الآية دال على ذلك على كل قراءة فان بينهم دال على وقوع الاختلاف بين اليهود وهم الذين أوتوا نصيبا من الكتاب وقد وقع فى هذا الوهم من عبارة الكشاف فانه قال وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد ماوقع من الاختلاف بين من سلم من أحبارهم و بين من لم يسلم هذا كلام الكشاف وامّا ذكر الوجه المذكور بعد قوله وقرئ توهم المصنف انه متفرع على القراءة المذكورة فقال فيكون الاختلاف فيما بينهم بالفاء وليس كذلك والحق ماقاله العلامة التفتازانى من ان معنى كلام الكشاف ان الوجه فى تفسير الآية ان لايراد ماسبق من الاختلاف بين اليهود والرسول فى ملة ابراهيم أو فى الرجم بل يراد اختلاف يقع بينهم بدليل قوله ليحكم بينهم (قوله استبعادا لتوليهم) مستفاد من ثم لان ثم للتراخى بين الشيئين وهو دال على بعدما بينهما فاستعمل للاستبعاد (قوله وفيه دليل الخ) هذا مستنبط من اطلاق القول بان الكتاب حاكم وهذا اذا كان المراد غير الرجم واما اذا كان المراد اياه فيثبت كونها حجة فى الفروع (قوله لان توفية ايمانه وعمله الخ) هذا دليل على عدم (١١) الخلود و رد للمعتزلة ولهم ان يقولوا توفية ايمانهم وعملهم بتخفيف العذاب فى النار (قوله الاتحلة القسم) أى الاتصديق قوله تعالى وان منكم الاواردها كان على ربك حتما مقضيا (قوله كدخولها عليه مع لام التعريف) أى دخول ماعليه مع لام التعريف فى يا الله (قوله وقيل أصله يا الله أمنا بخير) أى دلنا بخير هذا قول الكوفيين وهو ضعيف لانه لايصح ماذكروه فى مثل قول القائل اللهم العنه واهلكه (قوله يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك) فان قيل الاولى

(ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب (وهم معرضون) وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ التخصيص بالصفة (ذلك) اشارة الى التولى والاعراض (بانهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات) بسبب تسهيلهم أمر العقاب على أنفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ (وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) من أن النار لن تمسهم الا أياما قلائل أوان آباءهم الانبياء يشفعون لهم أو انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام أن لايعذب أولاده الا تحلة القسم (فكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه) استعظم لما يحيق بهم فى الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات روى ان أول رأية ترفع يوم القيامة من رأيات الكفار رأية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار (و وفيت كل نفس ما كسبت) جزاء ما كسبت وفيه دليل على أن العبادة لاتحبط وأن المؤمن لايخلد فى النار لان توفية ايمانه وعمله لاتكون فى النار ولا قبل دخولها فاذن هى بعد الخلاص منها (وهم لايظلمون) الضمير لكل نفس على المعنى لانه فى معنى كل انسان (قل اللهم) الميم عوض عن يا ولذلك لايجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وناء القسم وقيل أصله يا الله أمنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته (مالك الملك) يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية (تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) تعطى منه ماتشاء من تشاء وتسترد الملك الاول عمّا والآخر ان بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوّة ونزعها نقلها من قوم الى قوم (وتعزمن تشاء وتذل من تشاء) فى الدنيا وفى الآخرة وفيهما بالنصر والادبار والتوفيق

حذف هذا القيد فانه تعالى يتصرف فى الاشياء كما شاء لا كتصرف الملاك فانهم يتصرفون تصرفات مخصوصة لايمكن لهم غيرها اما عقلا أوشرعا فلما المراد انه تعالى يتصرف تصرف الملاك من حيث انه لامانع له من التصرف بل يتصرف بالحق بخلاف غير المالك فانه ممنوع منه فان قيل هذا الكلام مطابقا لكلام الكشاف يقتضى التشبيه وهو ان تصرفه تعالى كتصرف الملاك والمشبه به يجب ان يكون أقوى وليس ههنا كذلك قلنا قد لايكون وجه الشبه به فى المشبه أتم بل قد يكون أظهر وههنا كذلك فان تصرف الملاك أظهر من حيث انه محسوس ولو قيل المعنى انه مالك الملك لامالك غيره فى الحقيقة حتى لايكون تشبيه بالملاك لكان أولى وهذا الاختصاص هو مفهوم قوله تعالى ولله ملك السموات والارض (قوله فان الميم عنده تمنع الوصفية) يعنى ان التصرف المذكور يمنع كون اللهم موصوفا قال العلامة التفتازانى لانه بالاختصاص والتعويض خرج عن كونه متصرفا فيه فصار مثل حيل وباذ الميم بمنزلة صوت مضموم الى اسم مع بقائهما على معنييهما وجوز قوم كونه صفة أقول لايجوز ان يكون صفة للميم المشددة لانه صوت والا ان يكون صفة الله اذلو وصف به لزم الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبى الذى هو الميم وقول المصنف عنده الخ يشير الى ان غيره ذهب الى جواز كونه موصوفا (قوله فالملك الاول عام الخ) لانه تعالى مالك جميع

الملك واما ايتاء الملك لاحد ونزعه منه فانما يكونان فى البعض (قوله لانه المقضى بالذات الخ) هذا اثبت بكلام الفلاسفة فانهم ذكروا ان الخير مقصود بالذات والشر مقصود بالعرض فان النار مثلا خلقت للنفع واما احراقها لبيت الفقير فانما يقع بالعرض وفى المواقف وشرحه قالت الفلاسفة الخير واقع بالقصد الاول والشر داخل فى القضاء دخولا بالتبع والعرض (قوله اذ لا يوجد شر جزئى الخ) ماذكر لا يلزم منه ان يكون الشر مقصودا بالعرض لا يجوز ان يكون الجزئى مقصودا بالذات أيضا الا ان يدعى البداهة فى المدعى المذكور ويجعل ماذكر (١٢) تنبيها عليه (قوله أولان الكلام وقع فيه الخ) فانه يفهم من القصة المذكورة

ان الله تعالى يؤتى البلاد المذكورة لأمة النبى صلى الله عليه وسلم وهو الخير أى الايتاء المذكور الخير الذى يساق الى المؤمنين (قوله لابيتها) أى لابنى المدينة وهما حرتان يكتنفانها والحرة كل أرض ذات حجارة سود كأنها محترقة من الحر والحيرة بكسر الحاء مدينة بقرب الكوفة وتشبيه القصور بأنياب الكلاب فى بياضها وصغرها وانضمام بعضها الى بعض (قوله بالتعقيب أو الزيادة والنقص) فالأول دخول ابتداء ضوء النهار فى ظلمة الليل أو دخول بدو ظلمة الليل فى ضوء النهار والثانى ان يزيد اليوم فى الطول فصار بعض زمان الليل داخلا فى النهار أو يزيد الليل فى الطول فصار بعض النهار أى بعض زمانه داخلا فى الليل (قوله تعالى من دون المؤمنين) الذى يخطر لى فى حل هذا التركيب والله أعلم ان المعنى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء كائنين من غير المؤمنين أى حال كونهم على الكفر فعلم ان الكفر مانع عن الولاية وان الايمان يستوجبها وقال العلامة التفتازانى حاصل المعنى لا تؤثروا موالاة الكافرين على موالاة المؤمنين أقول فان قيل هذا لا ينفى المشاركة بان يكون موالاة المؤمنين والكافرين معا قلنا لما أمكن ان يكون الموالاة كلها للمؤمنين جعل بعضها للكافرين يستلزم اشارة ولاية الكافرين على المؤمنين (قوله مايجب اتقاؤه أو اتقاء) فعلى الاول تقاة مصدر بمعنى المفعول وعلى الثانى مفعول مطلق (قوله كما قال عيسى عليه الصلاة والسلام كن وسطا وامش جانبا) أى كن وسطا فى عاشرتهم

والخذلان (بيدك الخير انك على كل شئ قدير) ذكر الخير وحده لانه المقضى بالذات والشر مقضى بالعرض اذ لا يوجد شر جزئى مالم يتضمن خيرا كليا أو لمراعاة الادب فى الخطاب أولان الكلام وقع فيه اذ روى أنه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام فاخذ المعول منه فضرب ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء منه مابين لابتيها الكأنه بهما مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال أضاءت لى منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لى منها قصور رصعناء وأخبرنى جبريل عليه السلام ان أمتى ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر أيضا بيده بقوله انك على كل شئ قدير (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب) عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحياة وسعة فضله دلالة على أن من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول فى مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال أحدهما فى الآخر بالتعقيب أو الزيادة والنقص واخراج الحى من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها وامانتها أو انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر الميت بالتخفيف (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء) نهوا عن موالاتهم لقرابة وصداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا فى الله أو عن الاستعانة بهم فى الغزو وسائر الامور الدينية (من دون المؤمنين) اشارة الى أنهم الاحقاء بالموالاة وان فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة (ومن يفعل ذلك) أى اتخاذهم أولياء (فليس من الله فى شئ) أى من ولايته فى شئ يصح أن يسمى ولاية فان موالاتى المتعادين لا يجتمعان

قال تود عدوى ثم تزعم أننى * صديقك ليس النوك عنك بعازب

(الا أن تتقوا منهم تقاة) الا أن تخافوا من جهتهم مايجب اتقاؤه أو اتقاء والفعل معدى بمن لانه فى معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا فى الاوقات كلها الا وقت الخيفة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا (ويحذركم

ومخالطتهم وامش جانبا من موافقتهم فيما يأتون ويذرون (قوله وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح) هذا الاشعار بسبب تعليق التحذير بذات الله تعالى من غير ذكر صفة معينة من الصفات كالقهر مثلا فان الذات المقدسة دالة على جميع صفات القهر واما اذا ذكر صفة معينة فلا يكون هذا الاشعار (قوله تعالى أو تبدوه) فان قلت وجه ذكر العلم بخفيات الضمير ظاهر فما وجه ذكر العلم بما يبدو ويظهر منها قلنا الغرض من ذكره تعالى علمه بما خفي وما ظهر في مرتبة واحدة ليس بينهما تفاوت كل منهما ظاهر عنده كما هو هو (قوله ولا يصح ان يكون ما شرطية) فان للعلامة (١٣) التفتازاني عليه اعتراضا مشهورا وهو انه اذا كان الشرط ماضيا والجزاء مضارعا جاز فيه الرفع والجزم من غير تفرقة بين ان الشرطية وأسماء الشرط وقد يجاب بان رفع المضارع في الجزاء شيء ذكر فيه في الشعر نص عليه المبرد وشهد به الاستعمال حيث لا يوجد الا في قول الشاعر

فان أتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالي ولا حرمي

(قوله ولكن الحمل على الخبر أوقع معنى لانه حكاية كائن وأوفق للقراءة المشهورة) كرر ما للتأكيد والتذكير (والله رؤف بالعباد) اشارة الى أنه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم أو انه لذو مغفرة وذو عقاب أليم فترجى رحمته وتخشى عذابه (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم أن الكمال الحقيقي ليس الا لله وأن كل ما يراه كمالا من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقرب اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته (يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) جواب للامر أي يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويمنحكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة (والله غفور رحيم) لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في أقوام زعموا على عهده صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأمروا أن يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل (قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا) يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا

الله نفسه والى الله المصير) فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة أحكامه وموالاة أعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم أن المحذر منه عقاب يصدر منه تعالى فلا يؤمن به دونه بما يحذر من الكفرة (قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله) أي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها أو تبدوها (ويعلم ما في السموات وما في الارض) فيعلم سركم وعلنكم (والله على كل شيء قدير) فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه وكأنه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات بأسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) يوم منصوب بتود أي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف أعمالها أو جزاء أعمالها من الخير والشر حاضرة لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا أو بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت أو خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح أن تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر أوقع معنى لانه حكاية كائن وأوفق للقراءة المشهورة (ويحذركم الله نفسه) كرر ما للتأكيد والتذكير (والله رؤف بالعباد) اشارة الى أنه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم أو انه لذو مغفرة وذو عقاب أليم فترجى رحمته وتخشى عذابه (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم أن الكمال الحقيقي ليس الا لله وأن كل ما يراه كمالا من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقرب اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته (يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) جواب للامر أي يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويمنحكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة (والله غفور رحيم) لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في أقوام زعموا على عهده صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأمروا أن يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل (قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا) يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا

لانقلب كان عن الماضوية فيصير المعنى وما كان عملت أي عملت سابقا أي في الدنيا نوادخ (قوله بحيث يحملها على ما يقربها اليه) توضيحه ان ميل النفس الى الكمال مراتب في الضعف والقوة فاذا دام الميل المذكور ضعيفا فلم يصل الى ان يحمل الشخص على ما يقربه الى الشيء الكامل لم يسم حبا (قوله من الله وبالله والى الله) يعني حدوثه من الله تعالى وبقاؤه به وانتهاؤه اليه بمعنى انه في الحقيقة كمال له تعالى باعتبار ذاته أي الكمال دال على عظمته تعالى (قوله لم يكن حبه الا لله وفي الله) أي يكون حبه مختصا بالله تعالى حقيقة لا يكون لغيره اشتراك معه فيه وحبه في الله تعالى عبارة عن ان يكون الحب في رضاه فيؤل الى الاول (قوله على طريق الاستعارة أو المقابلة) وجه الاول بان الرضى شبه بالحب لانه ترك الاعتراض وهو موجب الجلة للقرب الى الشيء الموصل الى الحب فيشتركان في استلزام القرب

وكذا فى ايصال النفع فاستعير المحبة للرضا فى الاول بأن يقال ان المحبة مستلزمة للرضا فيكون استعمالها فيه مجازا مرسلا ولعل هذا مراده من الاستعارة فان المجاز المرسل أيضا استعارة لغوية ووجه الثانى ان الرضى وقع فى الآية مقابلا للمحبة المذكورة سابقا فعبر عنه بلفظ المحبة للمشاكلة فان قيل على هذا التقدير أيضا تكون المحبة مجازا اذ لا يخفى ان المراد بها غير معناها الحقيقى فما وجه جعله مقابلا للاستعارة قلنا لفظ المحبة وان كان مجازا على التقديرين لكن الاعتبار مختلف فبالاعتبار الاول يكون استعمالها فى الرضى للمشابهة وعلى الثانى يكون استعمالها فيه باعتبار المصاحبة واعلم ان ظاهر كلامه يدل على ان مجموع ماذكر من قوله أى يرضى عنكم الى قوله يبوئكم فى جوار قدسه معنى قوله تعالى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم لكن ليس كذلك بل معنى الاول يرضى عنكم

(فان الله لا يحب الكافرين) لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على أن التولى كفر وانه من هذه الحيثية ينفى محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين (30) (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على مالم يقو عليه غيرهم لما أوجب طاعة الرسول وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق وأولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب أو عيسى وأمه مريم بنت عمران بن ماثان بن العازار بن أبى يوذ بن يوزن بن زربابل بن ساليان بن يوحنا بن أوشيا بن أمون بن منشكن بن حازقا بن أخاز ابن يوثام بن عوزيا بن يورام بن سافط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشى بن عوبد ابن سلمون بن ياعز بن نحشون بن عمياد بن رام بن حصروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وكان بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة (ذرية بعضها من بعض) حال أو بدل من الآلين أو منهما ومن نوح أى انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض فى الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر أو فعولة من الذرء أبدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وأدغمت (والله سميع عليم) باقوال الناس وأعمالهم فيصطفى من كان مستقيم القول والعمل أو سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها (31) (اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك مافى بطنى) فينتصب به إذ على التنازع وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذ جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون فظن أن المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابنى خالة من الاب روى انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هى فى ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا إن رزقتنى ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا فى عهدهم للغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير أو طلبت ذكرا (محررا) معتقا لخدمته لا أشغله بشئ أو مخلصا للعبادة ونصبه على الحال (فتقبل منى) مانذرته (انك أنت السميع العليم) لقولى ونيتى (فلما وضعتها قالت رب

ومعنى الثانى يتجاوز عما فرط منكم واما كشف الحجب والتقريب فى جناب العز فهما لازمان لما ذكر متفرعان عليه (قوله وانه من هذه الحيثية) أى التولى من حيث انه كفر فتكون النكتة فى العدول عن المضمر الى المظهر ذريعة ٧ (قوله تعالى وآل عمران) فان قيل آل عمران داخل فى آل ابراهيم فما وجه ذكرهم صريحا بعد ان كانوا داخلين فى آل ابراهيم قلنا ذكرهم لان يعرف العالمون شرف آل عمران وليس التخصيص بعد التعميم لزيادة الشرف كيف ونبينا سيد العالمين صلوات الله وسلامه عليه داخل فى آل ابراهيم عليهم السلام (قوله فينصب به) أى ينتصب بعلم (قوله وكان لعمران بن يصهر الخ) أى كان لعمران أبى موسى عليه الصلاة والسلام بنت أكبر من هرون أخى موسى فظن بعض المفسرين ان المراد من عمران عمران بن يصهر وبنته مريم وزوجته هى التى ولدتها وهذا الظن فاسد لأن صريح القرآن دال على ان لزكرياء كفالة مريم فان قيل لعل زكريا آخر كان فى ذلك الزمان وله كفالة مريم أخت موسى قلنا زكريا هو أبو يحيى وهو فى زمان عيسى كما استفيد من القرآن ولم يوجد شخص سمى يحيى قبله كما قال تعالى لم نجعل له من قبل سميا (قوله فلعلها بنت الامر على التقدير أو طلبت ذكرا) توضيح الاول انها قالت انى نذرت لك مافى بطنى محررا ان كان وتوجيه الثانى انها أرادت بالعبارة المذكورة وهى قوله تعالى انى نذرت لك مافى بطنى محررا طلب الولد الذكر فكان المقصود ههنا ارزقنى ولدا ذكرا حتى يكون خادما لبيت المقدس (قوله ونصبه على الحال) فيه ان النذر لابد له من متعلق هو فعل الناذر وهو ههنا جعله محررا فذكر محررا بعده

انى

وجعله حالا يفرع تكرارا فالاولى ماتقله العلامة النيسابوري عن ابن قتيبة ان معناه نذرت لك أن أجعل مافي بطني محررا وعلى هذا يكون محررا مفعولا ثانيا لاجعل ويكون ان اجعل متعلق معنى النذر (قوله لان تأنيثها علم منه) أي تأنيث مافي البطن علم من الحال المذكور اذ لو لم يعلم من تأنيث الضمير جزما انها أنثى اذ يمكن ان يكون المرجع مذكرا وتأنيث الضمير باعتبار النفس أو التسمية أو غيرها (قوله وانما قالته تحسرا الخ) أي ليس المراد من قولها رب انى وضعتها أنثى الاخبار بمفهومه اذ لا فائدة فيه بل المراد اظهار التحسر والتحزن باظهار فوات المقصود الذي هو تحرير الولد الذكر فان قيل كما علم المخاطب ماذكر علم أيضا تحسرها اذ لا يخفى عليه تعالى خافية قلت المقصود من الاظهار المذكور طلب رحمة من الله تعالى بقبولها لما كان الولد الذكر كما قال الله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن (قوله تعالى رب انى وضعتها أنثى) فان قيل قد تقرر في العربية ان ان لدفع الانكار التحقيقي أو التقديري ولا انكار ههنا حتى يدفع قلنا نقل في المطول عن عبد القاهر انه قال قد يدخل للدلالة على ان الظن كان من المتكلم في الذي كان أنه لا يكون وعليه رب انى وضعتها أنثى ورب ان قومي كذبون ولقد أحسن بعض أهل العربية حيث قال يجوز اراد ان على الجملة لاظهار المقصود على وجه التأكيد فيكون قوله تعالى انك أنت السميع وكذا قوله في مريم وانى أعيذها بك من هذا للتنبيه قبيل اظهار المقصود على وجه التأكيد (قوله تعالى رب انى نذرت لك الخ) ظاهر هذه العبارة دال على ان النذر كان بعد الحمل لكن النذر المحكي عن أم مريم كان قبل الحمل فلما ان يؤول قوله انى نذرت لك مافي بطني واما ان

يقال ان النذر تكرر منها أما قبل الحمل فبالطريق المذكور في التفسير واما بعد الحمل فبالطريق الذي حكي عنها في القرآن (قوله وهو استئناف) أي كلام مستقل من الله تعالى لا انه تحت القول حكاية عن أم مريم (قوله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها) أي تعظيما لموضوعها الذي هو مريم وتجهيلا لامها بشأنها اشعارا بان لها شأنا عظيما

انى وضعتها أنثى) الضمير لما في بطنها وتأنيثه لانه كان أنثى وجاز انتصاب أنثى حالا عنه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد أو على تأويل مؤنث كالنفس والحيلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو أن تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره (والله أعلم بما وضعت) أي بالشئ الذي وضعت هو استئناف من الله تعالى لتعظيم الموضوع وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب وضعتُ على أنه من كلامها تسلية لنفسها أي والعلم لله سبحانه وتعالى فيه سرا أو الانثى كانت خيرا وقرئ وضعت على انه خطاب الله تعالى لها (وليس الذكر كالانثى) بيان لقوله والله أعلم أي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز أن يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فتكون اللام للجنس (وانى سميتها مريم) عطف على ماقبلها من مقالها ومابينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على أن الاسم والمسمى والتسمية أمور متغايرة (وانى أعيذها بك) أجيرها بحفظك (وذريتها من

(قوله أي لعلم الله فيه سرا) وهو كونها أما لعيسى من غير أب وهو مظهر المعجزات العظيمة (قوله بيان لقوله والله أعلم بما وضعت) باعتبار انه كقوله والله أعلم بما وضعت على ماذكر يدل على تعظيم شأن المولود لان المقصود من قوله تعالى ليس الذكر كالانثى انه ليس الذكر الذي طلبته كالانثى التي وهبت لها لان لها شأنا عظيما لم يحصل للذكر وهو كونها أم عيسى والجملة الثانية مبينة للغرض من الاولى (قوله أي وليس الذكر الذي طلبت) الى قوله فيكون اللام للجنس حاصل قوله انه اذا كان الكلام المذكور قول الله تعالى كان اللام في الكلمتين للعهد لان الذكر فهم من الكلام السابق وهو التحرير والانثى ذكرت صريحا واما اذا كان المذكور كلام أم مريم كان اللام فيهما للجنس والفرق انه على التقدير الاول كان المتكلم وهو الله تعالى عالما بشأن الانثى التي وضعت فيحسن ان تجعل اللام للعهد والانثى عبارة عن أنثى مخصوصة ويكون المعنى ليس الذكر الذي طلبته أم مريم كالانثى التي وهبت لها لان لها شأنا عظيما واما اذا كان المتكلم أم مريم وهي لم تعلم شأنها فلا يحسن ان يكون معنى كلامها ان ليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت بل الوجه ان يكون المعنى ليس جنس الذكر الذي طلبت لجنس الانثى التي وهبت اذ المقصود خدمة بيت المقدس والذكور مشتركون في صلاحيته دون الاناث فارادة الانثى المخصوصة ليس بذلك الحسن ولقد أحسن في هذا التفصيل الذي غفل عنه صاحب الكشاف والله الموفق (قوله ومابينهما اعتراض) فان قيل مابينهما كلام الله تعالى وهما كلام أم مريم ولا يكون كلام متكلم معترضا بين كلامي متكلم آخر قلنا هما أيضا من كلام الله تعالى وان كان حكاية عن أم مريم (قوله وفيه دليل الخ) لان المسمى هو المفعول الاول والاسم المفعول الثاني وهما متغايران والا لزم جعل الشئ نفسه وصيرورة الكلام بلا فائدة ولما كانت التسمية

فعل المتكلم يجب ان يكون مغايرا للاسم والمسمى اذهما ليس بفعل المتكلم (قوله ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود الخ) قلت فى هذا التفسير صاحب الكشاف ولا باعث على تغيير الحديث من الظاهر اذلا مانع من مس الشيطان للمولود واستهلاله صارخا ثم ان معنى الحديث على ما ذكره ان مس الشيطان للمولود استعارة شبه حالة الشيطان فى قصد اغواء بحال من يمس الشئ باليد وتعيينه لما يريد به وفيه ان قصد الشيطان الاغواء لا يوجب استهلاله ولا وصراخه الا ان يراد بالاستهلال غير المعنى الظاهر منه فان قيل استهلال الولد يكون أول زمان الوضع والاعاذة المذكورة انما كانت بعد الوضع وبعد قولها انى وضعتها أنثى وبعد التسمية فكيف تكون الاعاذة مانعة من مس الشيطان واغوائه قلنا الواو لا تفيد الترتيب فلعل الاعاذة متقدمة على القولين المذكورين وان كانت مذكورة بعدها فان قلت لم قالت وانى سميتها مريم وقالت (١٦) أعيذها بلفظ المضارع قلنا لافادة استمرار الاعاذة كانها قالت أعيذها فى كل زمان مستقبل (قوله فان الله تعالى عصمها الخ) هذا اشارة الى جواب سؤال يتوهم من الحديث المذكور وهو انه يلزم منه شرف عيسى وأمه على العالمين سيما المرسلين وليس كذلك فأجاب بان العصمة لا الشرف ما عليهم بل ببركة الاعاذة المذكورة ومع قطع النظر عما ذكر لا يلزم شرفهما عليه اذ جهات الشرف كثيرة غاية الأمر ان لهما كمالا خاصا ليس لغيرهما (قوله بوجه حسن الخ) لما كان القبول مصدرا كان الظاهر ان يكون الكلام فتقبلها ربها قبولا حسنا فيجب ذكر وجه الباء ههنا فوجه أولا بان يراد بالقبول ما يقبل به الشئ وهو ما يكون منشأ التعلق بالاختصاص وعبر عنه بالوجه فتكون الباء للسببية وثانيا بان يقدر مضاف أى فتقبلها ربها بذى قبول حسن وهو منشأ او الاختصاص المذكور وثالثا بان يجوز ان يكون تقبل بمعنى استقبل بالمعنى الذى ذكره فتكون الباء صلة (قوله لأنه محل محاربة الشيطان) قيل يفهم منه ان اسم المكان يجرى على مفعال ولو على الشذوذ والاولى ان يقال لما كان هذا الموضع محل محاربة الشيطان فكان المصلى جعله آلة لحربه معه (قوله جواب كلما ناصبه) صريح فى ان العامل فى كلة الشرط التى هى كلما الجزاء وقد صرح الرضى بخلافه وقال العامل فى كل ظرف فيه معنى الشرط الشرط على ما قاله الاكثرون ولا يجوز ان يكون جزاءه على ما قال بعضهم ولو جاز عمل الجزاء فى أداة الشرط لقلنا الشرط أولى لانهما فعلان توجها الى شئ والاقرب أولى بالعمل (قوله وجعل ذلك معجزة لزكريا الخ) فيه ان الكلام المذكور لا يستلزم اشتباه الأمر عليه اذ يجوز ان يكون الاستفهام لتحقيق ان مريم تعلم مع صغرها من أين لها الرزق أم لا والا يجب انه نقل هذه العبارة عن نبينا صلى الله عليه وسلم ومعلوم انه يعلم حقيقة الأمر ولا اشتباه عليه

الشيطان الرجيم) المطرود وأصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع فى إغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة (فتقبلها ربها) فرضى بها فى النذر مكان الذكر (بقبول حسن) أى بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر أو تسلمها عقيب ولادتها قبل أن تكبر وتصلح للسدانة روى أن حنة لما ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم فقال زكريا أنا أحق بها عندى خالتها فأبوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه أقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت أقلامهم فتكفلها زكريا وبجوز أن يكون مصدرا على تقدير مضاف أى بذى قبول حسن وأن يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل أى فاخذها فى أول أمرها حين ولدت بقبول حسن (وأنبتها نباتا حسنا) مجاز عن تربيتها بما يُصْلِحها فى جميع أحوالها (وكفلها زكريا) شدد الفاء حمزة والكسائى ونصبوا زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش على أن الفاعل هو الله تعالى وزكريا مفعول أى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا (كلما دخل عليها زكريا المحراب) أى الغرفة التى بنيت لها أو المسجد أو أشرف مواضعه ومقدمها سمى به لانه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس (وجد عندها رزقا) جواب كلما وناصبه روى أنه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس (قال يا مريم أنى لك هذا) من أين لك هذا الرزق الآتى فى غير أوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة لزكريا يدفعه اشتباه الامر عليه (قالت هو من عند الله) فلا تستبعده قيل تكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة (إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقدير لكثرته

(قوله أو بغير استحقاق تفضلا به) فان قيل تفسير الحساب بالاستحقاق لا يظهر وجهه قلنا لا استحقاق ان يكون كل رزق اسبب عمل من الاعمال فكان كل رزق مقابلا لعمل وهذا نوع من الحساب فان محصوله ان يكون أعداد الارزاق في مقابلة أعداد الاعمال (قوله أي من جنسهم الخ) الظاهر انه أراد بالملائكة واحدا منها فيكون من (١٧) قبيل اطلاق اسم الكل على الجزء مجازا

أو بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل أن يكون من كلامه أو أن يكون من كلام الله تعالى روى أن فاطمة رضي الله تعالى عنها أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمي بابنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها أنى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجمع أهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت على جيرانها (هنالك دعا زكريا ربه) في ذلك المكان أو الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله تعالى (قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه في غير أوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لي من لدنك ذرية لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة (انك سميع الدعاء) مجيبه (فنادته الملائكة) أي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده وقرأ حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير (وهو قائم يصلي في المحراب) أي قائما في الصلاة ويصلي صفة قائم أو خبر أو حال آخر أو حال عن الضمير في قائم (أن الله يبشرك بيحيى) أي بأن الله وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول أو لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم أعجمي وإن جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل (مصدقا بكلمة من الله) أي بعيسى عليه السلام سمي بذلك لانه وجد بأمره تعالى دون أب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر أو بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته (وسيدا) يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في أنه ما هم بمعصية قط (وحصورا) مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي أنه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت (ونبيا من الصالحين) ناشئا منهم وأكائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة (قال رب أنى يكون لي غلام) استبعادا من حيث العادة أو استعظاما أو تعجبا أو استفهاما عن كيفية حدوثه (وقد بلغني الكبر) أدركني كبر السن وأثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون سنة (وامرأتي عاقر) لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) أي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر أو كما أنت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد أو كذلك الله مبتدأ وخبر أي الله على مثل هذه الصفة يفعل ما يشاء بيان له أو كذلك خبر مبتدأ محذوف أي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان له (قال رب اجعل لي آية) علامه أعرف بها الحبل لأستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار (قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام) اى لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره فضاء حق النعمة وكأنه قال آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر وأحسن الجواب

والمفهوم من كلام صاحب الكشاف ان المراد جنس الملائكة فيكون الجمع المحلى باللام بمعنى الجنس لا الاستغراق على ما ذكره في مواضع من الكشاف ولا يخفى ان نداء الجنس الذي هو الحقيقة ليس له معنى الا ان يحمل على واحد من افراده فيؤل الى كلام المصنف فيكون ههنا نسبة الفعل الى واحد من الجنس فيكون مثل أكلت الخبز حيث حمل اللام على الجنس والوحدة مفهومة من قرينة الأكل قال العلامة التفتازاني في هذا على طريقة نسبة حكم الفرد من الجنس الى الجنس نفسه وهو بدل على ان المجاز في النسبة وتأمل (قوله مبالغا في حبس النفس عن الشهوات) يعني ان الحصور من يكون قادرا على الشهوات لكن منع نفسه عنها فاما من لم يقدر فلا يسمى حصورا (قوله واستفهاما عن كيفية حدوثه) لا يخفى ان الجواب المذكور وهو قوله تعالى

كذلك الله يفعل ما يشاء لا يناسب الاستفهام بهذا المعنى فيكون فائدة الجواب منعه عن السؤال عن كيفية الحدوث بل عليه الاذعان (قوله أي يفعل ما يشاء مثل ذلك الفعل) فيكون كذلك معمولا ليفعل ما يشاء وتقديمه للاهتمام (قوله أو كما أنت عليه الخ) هذا الوجه ليس بقوي اذ الكبر والعقر ليسا بأمرين يوجبان التعجب بل حصول الولد منهما موجب له فلا يحسن ان يشبه أحدهما بالآخر ولذا لم يذكره صاحب الكشاف وذكر الوجه الآخر (قوله وأحسن الجواب

ما اشتق من السؤال) أى مستخرجا ومتفرعا منه وهينا كذلك فان السؤال لتحصيل أمر يوجب الشكر واعتقال اللسان عن كلام البشر يوجبه أيضا (قوله والمراد بالكلام مادل على الضمير) بطريق عموم المجاز اذ هو معنى شامل للمعنى الحقيقى للتكلم والمعنى المجازى وهذا أحسن من عبارة الكشاف حيث قال فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثنى منه قلت لما أهوى الى الكلام وفهم منه ما فهم سمى كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا هذا كلامه ويتوهم منه ان التكلم ههنا مستعمل فى المعنى الحقيقى والمجازى معا وهو غير جائز كما قال العلامة التفتازانى لكن يمكن حمل كلام الكشاف على ما يوافق كلام المصنف (قوله روائف اليتيك) المراد بالجمع التثنية لان لكل أليه رونفا ولذلك قال وتسقطارا بصيغة التثنية وسقوط النون بالجزم (قوله وهو مؤكد لما قبله) اذ الأمر بذكر الله يفهم من حبس لسانه عن تكليم الناس (قوله وتقييد الأمر بالكثرة الخ) لك ان تقول لعل التصريح بالكثرة للمبالغة فى الكثرة أو دفع توهم ان الامر يستعمل فى غير الكثرة مجازا والجواب ان مبنى كلامه على الظاهر والاحتمالان المذكوران مبنيان عليهما على خلافه (قوله أو ارهاطا) هو تأسيس النبوة بظهور الخوارق قبل البعثة (قوله لقوله وما أرسلنا قبلك الا رجالا) اذا كان الرسول أخص من النبى كما هو المقرر لا يلزم من نفى الارسال نفى الاستنباء اذ الارسال جعل الشخص رسولا والاستنباء جعل الشخص نبيا نعم لو ثبت ان الارسال فى الآية بمعنى الاستنباء ثبت المدعى (قوله وقسم السجود الخ) ههنا وجه آخر أولى مما ذكر وهو الدلالة على ان السجود أشرف من الركوع فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فان قيل وعلى هذا يعلم ان القنوت أشرف من السجود لتقدم الاول على الثانى فى الذكر قلنا لا يلزم مما ذكرنا فان القدر مقدم فى الوجود على الباقين فتقدمه يكون لذلك ويمكن ان يقال أيضا تقدمه لاجل ان القيام أشرف من السجود كما هو مذهب امامنا الشافعى رضى الله عنه (قوله أو للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب) هذا اذا علم تقدم الركوع على السجود فى شريعتهم واما اذا لم يعلم ذلك كيف يحصل التنبيه المذكور (قوله للايذان الخ) لك ان تقول هذا لا يدل ان يحصل لو قيل واركعى واسجدى مع الراكعين بل يلزم من تعبير المصلين بلفظ الراكعين (قوله فكتبوه أمن هو قانت الخ) يرد عليه ان الدوام ليس معتبرا فى معنى القنوت بل الدوام لو استفيد فانما يستفاد من آناء الليل فلا يثبت من قوله تعالى أمن هو قانت الخ ان القنوت نفسه دوام الطاعة (قوله على سبيل التهكم) يمكن توضيح التهكم انه فهم من الكلام كأن الكفرة زعموا ان النبى صلى الله عليه وسلم شاهد الواقعة المذكورة لما ذكر

ما اشتق من السؤال (الأرمز) اشارة بنحو يد أو رأس وأصله التحرك ومنه الرامز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام مادل على الضمير وقرئ رمزا بفتحتين كحكم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رمز وزعلى أنه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله

متى ما تلقنى فردين ترجف * روائف اليتيك وتستطارا

(واذكر ربك كثيرا) فى أيام الخمسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على أنه لا يفيد التكرار (وسبح بالعشى) من الزوال الى الغروب وقيل من العصر أو الغروب الى ذهاب صدر الليل (والابكار) من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار (واذ قالت الملئكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) كلموها شفاها كرامة لها ومن أنكر الكرامة زعم ان ذلك كان بمعجز لزكريا أو ارهاصا لنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام فان الاجماع على أنه سبحانه وتعالى لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا وقيل أطهموها والاصطفاء الاول تقبلها من أمها ولم يقبل قبلها أنثى ونفر يقها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها تطهيرها مما يستقذر من النساء والثانى هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب وتبرئتها مما قذفتها به اليهود بإنطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين (يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين) أمرت بالصلاة فى الجماعة بذكر أركانها مبالغة فى المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك فى شريعتهم أو للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب أو ليقترن اركعى بالراكعين للايذان بان من ليس فى صلاتهم ركوع ليس مصليا وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة كقوله تعالى وأدبار السجود وبالركوع الخشوع والانحناء (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك) أى ماذكرنا من القصص من الغيوب التى لم تعرفها الا بالوحى (وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم) أقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا بالقلام هى التى كانوا يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق

(قوله على ان وقوع الاختصام والبشارة فى زمان متسع) زمان البشارة لما أمكن ان يكون زمان البشارة وزمان الاخبار عن الاصطفاء واحدا لم يتعرض لتوجيه هذا الابدال واما الاختصام المذكور فالظاهر انه مقدم على البشارة بزمان كثير فاحتيج الى التوجيه المذكور فهو جواب سؤال انه لو كان قوله تعالى اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك الآية بدلا من اذ يختصمون لكان زمان الاختصام و زمان البشارة واحدا لكنهما غيران فاجاب بان زمانهما واحد بمتدفيه اتساع فالاختصام يقع فى بعضه والبشارة تقع فى بعض آخر هذا هو المفهوم من كلام العلامة التفتازانى فى حاشية الكشاف فان قيل ما وجه الاحتياج الى اعتبار وحدة الزمان واتساعه قلنا لان هذا البدل لا يكون الا بدل الكل اذ ليس بدل البعض ولا الاشتمال واذا كان بدل الكل يجب ان يكون الزمان واحدا ولم يمكن ان يكونا واحدا الا باعتبار اتساعه بتجزئته بجزأين (قوله لقيته سنة كذا) يعنى يقال لقيته فى سنة كذا مع أن الملاقاة فى جزء منه فيكون الاختصام وان كان فى جزء والبشارة فى جزء آخر يقال زمانهما واحد (قوله فانه اسم جنس مضاف) أى المبتدا وهو اسمه اسم جنس مضاف فيشمل جميع الاسماء لان اسم الجنس المضاف للاستغراق (١٩) لكن يرد ان هذا يستلزم أن يكون كل من أسمائه كل واحد من الثلاثة وليس كذلك وانما كل واحد واحد منها فالاولى الاقتصار على انه اسم جنس فيكون الغرض انه اسم جنس من غير اعتبار الاستغراق ويكون مفهوما كليا صادقا على أفراد كثيرة (قوله فلما كانت صفة الخ) أى ابن مريم وان لم يكن اسما بل صفة جعل حكم الاسم لانه يميز تمييز الاسماء فان قيل لم لا يجوز أن يكون صفة لعيسى كما جوزه على تقدير كون عيسى خبرا للمبتدأ المحذوف قلنا اذا كان عيسى خبرا عن اسمه يكون المراد لفظ عيسى ولفظه لا يوصف بان مريم (قوله تنبيها على انه يولد من غير أب) يمكن أن يقال الاضافة الى مريم لتشريفها بانها أم عيسى من غير أب (قوله حال مقدرة من كلمة) أى اسم المقدر اوجاهته لانه عليه السلام فى تلك الحالة لم يحصل له الوجاهة (قوله كلام الانبياء من غير تفاوت) فان قيل مم يعلم ماذكرنا قلنا من قوله تعالى وكهلا اذ لو أريد مجرد التكلم لكان ذكر الكهل قليل الجدوى (قوله أحواله المختلفة المتنافية الخ) تنافى الاحوال المذكورة باعتبار ان الوجاهة فى الدنيا والآخرة تنافى التكلم فى المهد لان الوجاهة المذكورة لم تحصل له فى المهد وكذا قوله من المقربين أى داخلا فى جملة الملائكة التى فى السموات ينافى كونه فى المهد أى لا يجتمعان فى زمان واحد وكونه متكلما فى المهد ينافى كونه متكلما كهلا وتنافى الاحوال دال على نفى الالوهية اذ هذا النوع من التغيير يستلزم الحدوث بل كل منها يستلزمه كما يظهر بالتأمل الصادق (قوله حال ثالث من كلمة) الوجه أن يقال حال رابع من كلمة أو ثالث من ضميرها فان وجيها حال أول ومن المقربين ثان كما نص عليه فى الكشاف ويكلم الناس ثالث ومن الصالحين رابع

معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لاشبهة فيه عندهم فبقى أن يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل (أيهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم أى يلقونها ليعلموا أو يقولوا أيهم يكفل مريم (وما كنت لديهم اذ يختصمون) تنافسا فى كفالتها (اذ قالت الملائكة) بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض أو من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة فى زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا (يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم) المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق وأصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة أو بما طهره من الذنوب أو مسح الارض ولم يقم فى موضع أو مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لاطائل تحته وان مريم لما كان صفة تميز تمييز الاسماء نظمت فى سلكها ولا ينافى تعدد الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل أن يراد به ان الذى يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له من سواه ويجوز أن يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على أنه يولد من غير أب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب (وجيها فى الدنيا والآخرة) حال مقدرة من كلمة وهى وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره للمعنى والوجاهة فى الدنيا النبوة وفى الآخرة الشفاعة (ومن المقربين) من الله وقيل اشارة الى علو درجته فى الجنة أو رفعه الى السماء وصحبة الملائكة (ويكلم الناس فى المهد وكهلا) أى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمى به ما يمهد للصبى فى مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر أحواله المختلفة المتنافية ارشاد الى أنه يعزل عن الالوهية (ومن الصالحين) حال ثالث من كلمة أو ضميرها الذى فى

كان

(قوله تعجب أو استبعاد عادى) لك أن تقول قوله لم يمسسنى بشر لا يناسب التعجب ولا الاستبعاد اذ عدم المس فيما مضى لا يوجب التعجب ولا الاستبعاد العادى اذ يمكن أن يكون تتزوج فى المستقبل فالوجه الاقتصار على الوجه الاخير كما قال العلامة النيسابورى (قوله اشارة الى أنه تعالى كما يقدر الخ) فيه ان فى هذا الكلام دلالة على ان خلق الاشياء بمجرد قول كن وأما أن فيه الاشارة الى خلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد فممنوع (قوله أو عطف على يبشرك الخ) لا يخفى أنه على تقدير قراءة ونعلمه بالنون كان الاولى أن يكون استئنافا (قوله مضمنا معنى النطق) فيكون التقدير ورسولا الى بنى اسرائيل ناطقا بأنى قد جئتكم

يكلم (قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) تعجب أو استبعاد عادى أو استفهام عن أنه يكون بتزوج أو غيره (قال كذلك الله يخلق ما يشاء) القائل جبريل أو الله تعالى وجبريل حكى لها قول الله تعالى (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) اشارة الى أنه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا بأسباب ومواد يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك (ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت أنها تلد من غير زواج أو عطف على يبشرك أو وجيها والكتاب الكتبة أو جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء (ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم) منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول أرسلت رسولا بانى قد جئتكم أو بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكأنه قال وناطقا بانى قد جئتكم وتخصيص بنى اسرائيل لخصوص بعثته اليهم أو للرد على من زعم أنه مبعوث الى غيرهم (أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) نصب بدل من أنى قد جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على هى أنى أخلق لكم والمعنى أقدر لكم وأصور شيأ مثل صورة الطير وقرأ نافع إنى بالكسر (فأنفخ فيه) الضمير للكاف أى فى ذلك الشئ المماثل (فيكون طيرا باذن الله) فيصير حيا طيارا بأمر الله نبه به على أن احياءه من الله تعالى لا منه وقرأ نافع هنا وفى المائدة طائرا بالالف والهمزة (وأبرئ الأكمه والأبرص) الأكمه الذى ولد أعمى أو الممسوح العين روى أنه ربما كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى عليه الصلاة والسلام وما يداوى الا بالدعاء (وأحيى الموتى باذن الله) كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم) بالمغيبات من أحوالكم التى لا تشكون فيها (إن فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات أو مصدقين للحق غير معاندين (ومصدقا لما بين يدى من التوراة) عطف على رسولا على الوجهين أو منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم أى وجئتكم مصدقا (ولأحل لكم) مقدر باضماره أو مردود على قوله انى قد جئتكم بآية أو معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولأطيب قلبك (بعض الذى حرم عليكم) أى فى شريعة موسى عليه الصلاة والسلام كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل فى السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى عليه الصلاة والسلام ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتوراة كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص فى الازمان (وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله

(قوله لخصوص بعثته) أى لان بعثته مخصوصة بهم (قوله فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية) أى لما لم يكن الاحياء من جنس أفعال البشر يتوهم من قوله عليه الصلاة والسلام أحيى الموتى اللاهوتية فكرر ذكر باذن الله لدفع التوهم المذكور وأما ابراء الأكمه والأبرص فهو من جنس أفعالهم فلذا لم يكرر باذن الله بعده وفيه أن ابراء الاكمه يعنى ممسوح العين ليس من جنس الافعال البشرية وذكر باذن الله فى قوله فيكون طيرا باذن الله لانه أيضا ليس من جنس الافعال البشرية (قوله ان كنتم موفقين للايمان) انما فسر بهذا لانه لو أبقى المؤمنين على معناه الحقيقى لم يحتاجوا الى الآية اذ الآية لتحصيل الايمان فاذا حصل فلا حاجة اليها (قوله ان كنتم مصدقين للحق) أى مصدقين للحق بعد ظهوره (قوله على الوجهين) أى على الوجهين المذكورين فى تفسير ورسولا الى بنى اسرائيل (قوله أو مردود على قوله قد جئتكم) أى قد جئتكم بآية لاحل لكم (قوله ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتوراة الخ) اذ يعلم من الانجيل ان ما فى التوراة من تحريم الاشياء بلا تقييد فى الظاهر معناه تحريمها الى زمان معين واذا كان معنى ما فى التوراة ما ذكر كان الانجيل مبينا مصدقا له (قوله فان النسخ فى الحقيقة الخ) أى ليس النسخ ابطالا للحكم السابق حتى يكون الناسخ مبطلا للمنسوخ بل مبينا للحكم المنسوخ

ربى

(قوله الفارقة بين النبي والساحر) فان الرسل يظهرون الخوارق لاجل دعوة الحق وأما السحرة فليس دعوتهم ماذكر ولا اظهار الخوارق لاجله ولك ان تقول ان دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل ليس مجرد ان الله ربي وربكم بل هي شهادة أن لا اله الا الله وان الله رب كل شئ و يردمثله على ماسيجيء من قوله ان الله ربي وربكم اشارة الى استعمال القوة النظرية باعتقاد الحق الذي غايته التوحيد هو شهادة أن لا اله الا الله (قوله أوجئتكم بآية على ان الله ربي وربكم) هذه قراءة من قرأ ان بفتح الهمزة وهو من القراءة الشاذة فكان على المصنف بيان القراءة المذكورة (قوله فتحقق) (٢١) كفرهم الخ) اشارة الى أن الكفر

ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) أي جئتكم بآية أخرى أظهر منها بأن الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر أوجئتكم بآية على أن الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض والظاهر أنه تكرير لقوله قد جئتكم بآية من ربكم أي جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله أي لما جئتكم بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة وأطيعون فيما أدعوكم اليه ثم شرع في الدعوة وأشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بأن بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام قل آمنت بالله ثم استقم (فلما أحس عيسى منهم الكفر) تحقق كفرهم عنده تحقق مايدرك بالحواس (قال من أنصاري الى الله) ملتجأ الى الله تعالى أو ذاهبا أو ضاما اليه ويجوز أن يتعلق الجار بأنصاري ضمنا معنى الاضافة أي من الذين يضيفون أنفسهم الى الله تعالى في نصري وقيل الى ههنا بمعنى مع أو في أو اللام (قال الحواريون) حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص ألوانهن سمي به أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عليه الصلاة والسلام من اليهود وقيل قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها (نحن أنصار الله) أي أنصار دين الله (آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) لتشهد لنا يوم القيامة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) أي مع الشاهدين بوحدانيتك أو مع الانبياء الذين يشهدون لانبيائهم أو مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس (ومكروا) أي الذين أحس منهم الكفر من اليهود بأن وكلوا عليه من يقتله غيلة (ومكر الله) حين رفع عيسى عليه الصلاة والسلام وألقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث أنه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لايسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج (والله خير الماكرين) أقواهم مكرا وأقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب (إذ قال الله) ظرف لمكر الله أو خير الماكرين أو لمضمر مثل وقع ذلك (ياعيسى إني متوفيك) أي مستوفي أجلك ومؤخرك الى أجلك المسمى عاصما إياك من قتلهم أو قابضك من الارض من توفيت مالي أو متوفيك نائما الذروى أنه رفع نائما أو ممتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل أماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء اليه ذهبت النصارى

ليس أمر المحسوسا اذ هو أمر قلبي فيكون المراد من احساس الكفر تحقق العلم به كتحقق المحسوس (قوله أو في أوالى الام) وعلى الاول معناه من أنصاري في سبيل الله وعلى الثاني من أنصاري لتقرير دين الله (قوله لايسند الى الله تعالى) لان الحيلة فعل العاجز وهو تعالى منزه عنه وعلى هذا فمعنى المكر هو التدبير (قوله ظرف لمكر الله) قال العلامة التفتازاني هذا أوجه من التعليق بخير الماكرين اذ ليس لتعليق كونه أقدر على العقاب بزمان دون زمان كثير معنى (قوله أو ممتك عن الشهوات العائقة عن العروج الخ) لك أن تقول ينفهم منه ان من لم يمتك عن شهوة يعرج الى السماء فيجب القول بان سائر الانبياء ليسوا كذلك فيلزم فضل عيسى على سائر

الانبياء والجواب ان العروج الى الملكوت بالروح شامل لجميع الانبياء وهو المراد ههنا أما اذا أريد العروج بالبدن فنقول ان اللازم ممنوع اذ لايلزم من ارتفاع موانع الشئ وجوده لم لايجوز أن يكون موقوفا على شرط وجودي فيجوز أن يكون لبدن عيسى خاصة تستلزم العروج عند رفع الموانع وهي كونه حاصلا من نفخ جبريل وليس لابدان غيره من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم تلك الخاصية ولايلزم مما ذكر فضيلته عليهم كما ان لاجسام الملائكة خاصية الرجوع الى السماء ولايلزم منه تفضيلهم على غيرهم من الانبياء

(ورافعك إلىّ) الى محل كرامتى ومقرّ ملائكتى (ومطهّرك من الذين كفروا) من سوء جوارهم أو قصدهم (وجاعل الذين اتّبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يعلونهم بالحجّة أو السيف فى غالب الامر ومتّبعوه من آمن بنبوّته من المسلمين والنصارى والى الآن لم تسمع غلبة لليهود عليهم ولم يتّفق لهم ملك ودولة (ثمّ الىّ مرجعكم) الضمير لعيسى (عليه الصلاة والسلام) ومن تبعه ومن كفر به وغلّب المخاطبين على الغائبين (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين (فأمّا الذين كفروا فأعذّبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفّيهم أجورهم) تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفّيهم بالياء (والله لا يحبّ الظالمين) تقرير لذلك (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره (نتلوه عليك) وقوله (من الآيات) حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وأن يكونا خبرين وأن ينتصب بمضمر يفسّره نتلوه (والذكر الحكيم) المشتمل على الحكم أو المحكم الممنوع عن تطرّق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح (إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم) انّ شأنه الغريب كشأن آدم (عليه الصلاة والسلام) (خلقه من تراب) جملة مفسّرة للتمثيل مبيّنة لما به الشبه وهو أنه خلق بلا أب كما خلق آدم من التراب بلا أب وأمّ شبّه حاله بما هو أغرب منه افحاما للخصم وقطعا لموادّ الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب (ثمّ قال له كن) أى أنشأه بشرا كقوله تعالى ثمّ أنشأناه خلقا آخر أو قدّر تكوينه من التراب ثمّ كوّنه ويجوز أن يكون ثمّ لتراخى الخبر لا المخبر (فيكون) حكاية حال ماضية (الحقّ من ربّك) خبر محذوف أى هو الحقّ وقيل الحقّ مبتدأ ومن ربك خبره أى الحقّ المذكور من الله تعالى (فلا تكن من الممترين) خطاب للنبىّ صلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة الثبات أو لكلّ سامع (فمن حاجّك) من النصارى (فيه) فى عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) أى من البيّنات الموجبة للعلم (فقل تعالوا) هلمّوا بالرأى والعزم (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أى يدع كلّ منّا ومنكم نفسه وأعزّة أهله وألصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانّما قدّمهم على الانفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم (ثمّ نبتهل) أى نتباهل بأن نلعن الكاذب منّا والبهلة بالضمّ والفتح اللعنة وأصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) عطف فيه بيان روى انهم لمّا دعوا الى المباهلة قالوا حتّى ننظر فلمّا تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوّته ولقد جاءكم بالفصل فى أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيّا إلّا هلكوا فإن أبيتم إلّا ألف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلىّ رضى الله عنه خلفها وهو يقول اذا أنا دعوت فأمّنوا فقال أسقفهم يا معشر النصارى إنّى لأرى وجوها لو سألوا الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية ألفى حلّة حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفسى بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوّته وفضل من أتى بهم من أهل بيته (إنّ هذا) أى ما قصّ من نبأ عيسى ومريم (لهو القصص الحقّ) بجملتها خبر إنّ أو هو فصل يفيد أنّ ما ذكره فى شأن عيسى ومريم حقّ دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه لانّه أقرب الى المبتدأ من الخبر وأصلها ان تدخل على المبتدأ (وما من إله إلّا الله)

(قوله وأن ينتصب بمضمر الخ) أى يكون ذلك منتصبا بمضمر (قوله مبينة لما له الشبه) الاولى أن يقال لما فيه التشبيه (قوله ويجوز أن يكون ثم لتراخى الخبر لا المخبر) أى يكون لتراخى الاخبار بهذا القول وهو قال له كن عن خلقه من التراب لا لتراخى نفس القول المذكور عن خلقه من التراب لان القول المذكور وخلقه من التراب معا لكن الاخبار عن قول كن مؤخر عن الخلق كقولك أعطيته اليوم ألفا ثم أنا أعطيته أمس ألفين أى ثم أخبركم انى أعطيته أمس فيكون المعنى فيما نحن فيه خلق آدم أى صوره بشرا سويا ثم أخبركم أنه قال كن فيكون (قوله وألصقهم) عطف على عزة أهله والمعنى أشد اتصالا منهم بقلبه (قوله وهو دليل على نبوته) أى كلام العاقب والاسقف دليل على نبوته اذ علم من كلامهما انهم علموا نبوته بما ذكر فى كتبهم وبما شاهدوا منه صلى الله عليه وسلم (قوله أو هو فصل يفيد الخ) أى هذا قصر اضافى لا حقيقى اذ ليس الحق منحصرا فيما ذكر حقيقة بل بالاضافة الى ما ذكروه من أمر عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام (قوله لانه أقرب الى المبتدأ الخ) أصل اللام

صرح

أن تدخل على المبتدأ لانه لام الابتداء لكن لما امتنع دخولها عليه ههنا للزوم اجتماع حرفي التأكيد وهو ان واللام دخلت على ماهو أقرب الى المبتدأ الذي هو موضعها الاصلي (قوله لا أحد سواه يساويه الخ) لك أن تقول لم لا يجوز أن تكون آلهة متفاوتا قدرهم وحكمتهم والجواب ان الالوهية وهي المعبودية بالحق تقتضي أن يكون المعبود على أكمل حال ولو كان أحد أكمل منه لكان ذلك الاكمل هو المعبود لا من هو ناقص عنه وقد أوضحنا ذلك أكمل ايضاح في أوائل الحواشي التي كتبناها على شرح المواقف (قوله بل والى فساد العالم) يرد عليه ان المشركين كثير في العالم مع انه غير فاسد والجواب أن المراد بالفساد خلاف

صرّح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للردّ على النصارى في تثليثهم (وإنّ الله لهو العزيز الحكيم) لا أحد سواه يساويه في القدرة التامّة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهيّة (فإنْ تولّوا فإنّ الله عليم بالمفسدين) وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدلّ على انّ التولّي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدّي الى فساد النفس بل والى فساد العالم (قل يا أهل الكتاب) يعمّ أهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران أو يهود المدينة (تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) لا يختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها (ألّا نعبد إلّا الله) أن نوحّده بالعبادة ونخلص فيها (ولا نشرك به شيأ) ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه أهلا لان يعبد (ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لانّ كلّا منهم بعضنا بشر مثلنا روي أنّه لمّا نزلت اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال عديّ بن حاتم ما كنّا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلّون لكم ويحرّمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك (فإنْ تولّوا) عن التوحيد (فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون) أي لزمتكم الحجّة فاعترفوا بأنّا مسلمون دونكم أو اعترفوا بأنّكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل (تنبيه) أنظر الى ما راعى في هذه القصّة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرّج في الحجاج بيّن أوّلا أحوال عيسى عليه الصلاة والسلام وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالوهيّة ثمّ ذكر ما يحلّ عقدتهم ويزيح شبهتهم فلمّا رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثمّ لمّا أعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا أسهل وألزم بأن دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثمّ لمّا لم يجد ذلك أيضا عليهم وعلم انّ الآيات والنذر لا تغني عنهم أعرض عن ذلك وقال فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون (يا أهل الكتاب لم تحاجّون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل إلّا من بعده) تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم عليه الصلاة والسلام وزعم كلّ فريق أنّه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى انّ اليهوديّة والنصرانيّة حدثتا بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وكان ابراهيم قبل موسى بألف سنة وعيسى بألفين فكيف يكون عليهما (أفلا تعقلون) فتدّعون المحال (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم) ها حرف تنبيه نبّهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة أخرى مبيّنة للاولى أي أنتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم أنّكم جادلتم فيما لكم به علم ممّا وجدتموه في التوراة والانجيل عنادا أو تدّعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر له في كتابكم

ماهو الاصلح ولا شك ان الشرك مستلزمه (قوله ولا يراه أهلا لان يعبد) هذا في الظاهر تكرار اذ جعل غيره تعالى شريكا في استحقاق العبادة هو ان يعتقد انه أهل لان يعبد والجواب ان المراد من قوله ولا نجعل الخ نفي الشرك الجعلي أي كونهم جاعلين لغير الله شريكا له في استحقاق العبادة وأريد بالجعل الشرك والمراد من قوله ولا نراه أهلا لان يعبد نفي كون غيره مستحقا للعبادة في الواقع (قوله قال هو ذاك) فاعل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه ان اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله ذاك أي طاعتهم في تحليل بعض الاشياء وتحريمها أو بالعكس (قوله اعترفوا بانا مسلمون دونكم أو اعترفوا الخ) الاول ان يكون المقصود من الكلام هو الحقيقة والثاني ان يكون للتعريض فيكون المقصود الاصلي اثبات الكفر لاهل الكتاب (قوله ثم ذكر ما يحل عقدتهم الخ) هو قوله تعالى ان مثل عيسى الآية فان شبهتهم الداعية الى الاعتراف بالوهيته كونه بغير أب والآية أبطلت هذه الشبهة (قوله وانقادوا بعض الانقياد) هو قبولهم الجزية وترك المباهلة كما دلت عليه القصة (قوله وعلم ان الآيات والنذر الخ) ثم انه لما ظهر لجاجهم وعنادهم نفى الله تعالى عنهم العقل بقوله أفلا تعقلون وأثبت شركهم في الآيتين (قوله انكم جادلتم الى قوله عنادا) معناه انكم علمتم ما في التوراة وجادلتم الحق بان تصروا على خلاف ما فيه عنادا (قوله أو تدعون وروده فيه) لا يخفى

ان هذه العبارة دلت على انهم كاذبون فيما ادعوا و رود فيه فكيف يفسر به قوله تعالى فما ليس لكم به علم الان يقال المراد من العلم به بادعائهم فكانهم كانوا يدعون أشياء ليست فى التوراة و يزعمون العلم بها و يفهم مما ذكر انهم لم يدعوا و رود كيفية دين ابراهيم فى التوراة وهذا بعيد لان دعواهم ان ابراهيم كان على دينهم يدل على انهم يدعون العلم بدين ابراهيم و و رود فى كتابهم فالاولى الاختصار على الوجه الاول كما فعله صاحب الكشاف (قوله وقيل هؤلاء يعنى الذين) هذا هو مذهب الكوفيين (قوله أصله أأنتم) بتوسط ألف بين همزة الاستفهام وهمزة أنتم (قوله بالمد من غير همزة) أى باسقاط همزة أنتم (قوله تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان) هو قوله تعالى يا أهل الكتاب لم تحاجون الآية فانه على ما فسره دال على ان ابراهيم ما كان يهوديا ولا نصرانيا (قوله لاشتراك الالزام) أى دليل البرهان المذكور على انه لم يكن على الاسلام كما دل على انه لم يكن يهوديا ولا نصرانيا لان نفى اليهودية والنصرانية بسبب انهما تحققا بعد ابراهيم وهذا بعينه جار فى كونه ليس على ملة الاسلام لانه أيضا قبلها واعلم ان المفهوم من كلام المصنف ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يكن على ملة الاسلام فتكون شريعته مخالفة لملة الاسلام فى الفروع قال العلامة النيسابورى فى هذا المقام فان قيل قولكم ابراهيم على دين الاسلام ان أردتم به الموافقة فى الاصول فليس هذا محتملا بدين الاسلام وان أردتم به الموافقة فى الفروع لزم ان لا يكون محمد صاحب شريعة بل كان مقررا لشرع قبله قلنا نختار الاول والاختصاص (٢٤) ثابت لان اليهود والنصارى مخالفون فى الاصول فى زماننا لا فى زمانهم

من دين ابراهيم وقيل هؤلاء يعنى الذين وحاججتم صلته وقيل هاأنتم أصله أأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع وأبو عمر وهأأنتم حيث وقع بالمد من غير همز و ورش أول مد وقبل بالهمز من غير ألف بعد الهاء والباقون بالمد والهمز والبزى بقصر المد على أصله (والله يعلم) ما حاججتم فيه (وأنتم لا تعلمون) وأنتم جاهلون به (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان (ولكن كان حنيفا) مائلا عن العقائد الزائغة (مسلما) منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام (وما كان من المشركين) تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح وردّ لادّعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم عليه السلام (إنّ أولى الناس بابراهيم) انّ أخصهم به وأقربهم منه من الولى وهو القرب (للذين اتّبعوه) من أمّته (وهذا النبيّ والذين آمنوا) لموافقتهم له فى أكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبيّ بالنصب عطفا على الهاء فى اتّبعوه و بالجرّ عطفا على ابراهيم (والله ولىّ المؤمنين) ينصرهم و يجازيهم الحسنى لايمانهم (ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلّونكم) نزلت فى اليهود لما دعوا حذيفة وعمّارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى أن (وما يضلّون إلا أنفسهم) وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم أو ما يضلّون الا أمثالهم (وما

واشراك عزير والمسيح بالله الى غير ذلك من قبائح أفعالهم أو الثانى ولا يلزم ماذكر لجواز انه تعالى نسخ تلك الفروع بشرع موسى ثم فى زمان محمد نسخ شرع موسى بتلك الشريعة التى كانت ثابتة فى زمان ابراهيم فيكون محمد صاحب الشريعة مع موافقة شرعه شرع ابراهيم فى معظم الفروع هذا لفظ النيسابورى

يشعرون

بعينه وهو دال على ان المراد من كونه مسلما انه على ملة الاسلام ولا باعث على مجرد جعله منقادا (قوله لموافقتهم له فى أكثر ما شرع لهم على الاصالة) شرع بصيغة المجهول وتوضيح المقصود ان يقال لموافقة النبى والمؤمنين فى أكثر ما شرع الله لهم على الاصالة لا بمجرد اتباع ابراهيم بل لانه صلى الله عليه وسلم صاحب شرع بالاصالة أى بالاستقلال الا ان شرعه موافق لشرع ابراهيم فى أكثر الفروع كما ان محمدا يوافق مجتهدا آخر فيما اجتهد فيه وان لم يكن أحدهما تابعا للآخر بل كل منهما مستقل بنفسه (قوله عطف على الهاء فى اتبعوه) الذين اتبعوا ابراهيم وهذا النبى هم المؤمنون فلا فائدة فى ذكر المؤمنين بعده الا ان يقال من عطف الصفات بعضها على بعض (قوله ولو بمعنى ان ذكر) فى قوله تعالى بود أحدهم لو يعمر ألف سنة ان لو بمعنى ليت وههنا ان لو بمعنى ان والوجه ان يقال ان لو فى مثل هذا الموضع حرف مصدرى فيكون معنى الكلام ودت طائفة من أهل الكتاب اضلالكم فتكون ان الواقعة فى قوله ولو بمعنى أن أن المفتوحة وهى الحرف المصدرى وكما حققنا هذه المسئلة فى سورة البقرة (قوله وما يتخطاهم الاضلال الخ) الكلام على هذا استعارة تمثيلية شبه حال من لا يتخطى الاضلال منه الى غيره ولا يؤثر فيه ولا يعود وبال اضلاله الا عليه بحال من لا يضل الا نفسه تقديرا وعلى الوجه الآخر يكون التجوز فى أنفسهم

(قوله يلبسون الحق مع الباطل) هذا تفسير يلبسون بفتح الباء وليس الحق مع الباطل كالبس ثوبي زور (قوله كالبس ثوبي زور) هذا تمثيل حديث وهو ان المشبع بما لم يملك كالبس ثوبي زور وتوضيحه ان المشبع هو الذي يظهر انه شبعان وليس به والمراد بهذا المتصف وليس ثوبي زور هو الذي استعار ثوبي زور ليتجمل به أو يتمسك به لتقبل شهادته فهو يشهد بهتوراً ويظهر انه له وليس له فيلتبس بجهتي زور وبصيركانه لابس ثوبين من الزور ووجه الشبه بين المتصف بما لم يملك ولابس ثوبي زور ان المتصف ادعى الكذب بزعم انه فضيلة ويفوق الناس بزعمه الباطل فيكون له جهتان (٢٥) شبيهتان بالزور واضافة الثوب الى الزور للاختصاص كما في خاتم الجود (قوله أي دبرتم ذلك الخ) أي دبرتم التدبير المذكور وهو الامر بالايمان أول النهار والكفر آخره للعلة المذكورة وهي مضمون قوله تعالى ان يؤتى الخ أي بسبب التدبير المذكور هو اتيتم الله أحد العلم والكتاب والدين الحق كما آتاكم وتوضيحه ماذكره صاحب الكشاف ان معناه لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم فاتم ذلك ودبرتموه لاتشيع آخر يعني ان مايكم من الحسد والبغي ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ماقلتم (قوله عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين) العطف على الوجه الثاني ظاهر واما على الاول انكم دبرتم ما ذكر لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وبما يتصل به عند كيفركم من محاجتهم لكم عند ربكم (قوله ان الهدى هدى الله) اعتراض هذا يتعلق بالتفسير الثاني لا بالاول اذ على هذا الوجه يكون ان يؤتى أحد كلام الله تعالى كما ان قل ان الهدى هدى الله كذلك (قوله لايجدي بطائل) قال في الصحاح معناه لايستفاد منه كثير فائدة ووجه دلالته على ان كيدهم لايجدي بطائل هو ان معنى الكلام ان الهدى الذي اهتدى به المسلمون هدى الله الغالب على كل شئ فلا ينفع كيدهم في دفع الهدى المذكور (قوله وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم) أي يكون على الوجه الثالث وهو ان يكون ان يؤتى خبر ان أو بمعنى حتى لان حاصل الكلام حينئذ فل ان هدى الله ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم ولا يصلح عطف يحاجوكم

يَشْعُرُونَ) وزُوره واختصاص ضرره بهم (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وأنتم تشهدون) أنها آيات الله أو بالقرآن وأنتم تشهدون نعته في الكتابين أو تعلمون بالمعجزات أنه حق (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) بالتحريف وابراز الباطل في صورته أو بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء أي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كالبس ثوبي زور (وتكتمون الحق) نبوة محمد عليه السلام ونعته (وأنتم تعلمون عالمين بما تكتمونه) (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار) أي أظهروا الايمان بالقرآن أول النهار (واكفروا آخره لعلهم يرجعون) واكفروا به آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك ابن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها أول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من أحبار خيبر تقاولوا بأن يدخلوا في الاسلام أول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا عليه الصلاة والسلام بالنعت الذي ورد في التوراة لعل أصحابه يشكون فيه (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم أولا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم أرجى وأهم (قل إن الهدى هدى الله) هو يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) متعلق بمحذوف أي دبرتم ذلك وقائم لان يؤتى أحدا والمعنى أن الحسد حملكم على ذلك أو بلا تؤمنوا أي ولا تظهروا ايمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لأشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيدتبانهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على أن كيدهم لايجدي بطائل أو خبر إن على أن هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع تؤيد الوجه الاول أي الا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وقرئ إن على انها نافيه فيكون من كلام الطائفة أي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم (أو يحاجوكم عند ربكم) عطف على أن يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم عند ربكم والواو ضمير أحد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير أتباعهم (قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك)

(٤ - (بيضاوي) - ثاني)

عذر بكم عليه اذ الحاجة عند الله ليس هدى (قوله وعموم المتقين الخ) يعنى انه لابد من رابط للجزاء بالشرط والغالب هو الضمير وقد يقوم شئ آخر مقام الضمير وهو ههنا عموم المتقين لان عمومها المعنى كلمة الشرط يقوم مقام الرابط فكانه قيل فان الله يحبه وغيره من المتقين (قوله بما يسرهم الخ) هذان توجيهان لقوله تعالى لا يكلمهم الله الاول انه نفى الكلام بما يسرهم وان وقع التكلم بالشئ الآخر والثانى نفى التكلم مطلقا فى القيمة وقوله ان الملائكة يسئلونهم جواب سؤال هو انه كيف لا يكلمهم بشئ أصلا وقد قال تعالى فوربك لنسألنهم والجواب عنه ان المراد أمر الله الملائكة بالسؤال منهم وقوله أولا ينتفعون بكلمته وآياته معناه انهم لا ينتفعون بها فى الدنيا فيكون عدم التكلم مجازا عن عدم الانتفاع لان ما لا ينتفع به فكانه معدوم (قوله والظاهر انه كناية لا مجاز) لانه يمكن ان يراد من عدم التكلم المعنى الحقيقى فلا وجه للحكم بانه مجاز والا لصح ارادة المعنى الحقيقى (قوله يقولون الخ) أى يصرفون ألسنتهم بقراءة الكتاب وتفسيره قوله فيميلونها الخ فكان لسانهم يريد أن يتكلم بالمنزل اعلامهم بانه حق وعادتهم بقراءته لكنهم يميلونه من المنزل الى المحرف (قوله لانهم يزعمون ذلك صريحا) أى يزعمون ان المحرف من عند الله ولا يكتفون بان يحدثوا المحرف فى التوراة ثم يقرؤنه فيها (قوله وهذا لا يقتضى الخ) يعنى يفهم من قوله تعالى وما هو من عند الله انه أى المحرف ليس

كعبد الله بن سلام استودعه قرشىّ ألفا ومائتى أوقية ذهبا فأدّاه اليه (ومنهم مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) كفنحاص بن عازراء استودعه قرشىّ آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون فى القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرأ حمزة وأبو بكر وأبو عمر و يؤدّهُ اليك ولا يؤدّهُ اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وكذا روى عن حفص والباقون باشباع الكسرة (الّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا) الّا مدّة دوامك قائما على رأسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى والترافع واقامة البيّنة (ذٰلِكَ) اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤدّه (بِأَنَّهُمْ قَالُوا) بسبب قولهم (لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ) أى ليس علينا فى شأن من ليسوا من أهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتابٌ وذمٌّ (و يقولون على الله الكذب) بادّعائهم ذلك (وهم يَعْلَمُونَ) أنّهم كاذبون وذلك لانّهم استحلّوا ظلم من خالفهم وقالوا لم نجد لهم فى التوراة حرمةً وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلمّا أسلموا تقاضَوْهم فقالوا سقط حقّكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك فى كتابهم وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شئ فى الجاهليّة الّا وهو تحت قدمىّ الّا الامانة فانها مؤدّاة الى البرّ والفاجر (بَلَى) اثبات لما نفوه أى بلى عليهم فيهم سبيل (مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) استئناف مقرّر للجملة التى سدّت بلى مسدّها والضمير المجرور لمَنْ أوتمنه وعموم المتقين ناب عن الراجع من الجزاء الى مَنْ وأشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعمّ الوفاء وغيره من أداء الواجبات والاجتناب عن المناهى (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ) يستبدلون (بِعَهْدِ اللّٰهِ) بما عاهدوا الله عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات (وَأَيْمَانِهِمْ) و بما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه (ثَمَنًا قَلِيلًا) متاع الدنيا (أُولٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللّٰهُ) بما يسرّهم أو بشئ أصلا وإنّ الملائكة يسألونهم يوم القيامة أو لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر أنّه كناية عن غضبه عليهم لقوله (وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فانّ من سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن التكلّم معه والالتفات نحوه كما انّ من اعتدّ بغيره يقابله و يكثر النظر اليه (وَلَا يُزَكِّيهِمْ) ولا يثنى عليهم (ولهم عذابٌ أليمٌ) على ما فعلوه قيل انّها نزلت فى أحبار حرّفوا التوراة و بدّلوا نعت محمّد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرهما وأخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت فى رجل أقام سلعة فى السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل نزلت فى تراافع كان بين الاشعث بن قيس و يهودىّ فى بئر أو أرض وتوجّه الحلف على اليهودىّ (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا) يعنى المحرّفين ككعب ومالك وحُيَىّ بن أخطب (يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ) يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزّل الى المحرّف أو يعطفونها بشبهة الكتاب وقرئ يَلُوُنَ على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفه بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها (لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ) الضمير للمحرّف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ يَحْسَبُوهُ بالياء والضمير أيضا للمسلمين (و يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم و بيان لانّهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا أى ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضى أن لا يكون فعلُ العبد فعلَ الله تعالى (و يقولون على الله الكذب وهم يعلمون)

تأكيد

من فعل الله تعالى بل من فعل العبد فيكون فعل العبد ليس فعل الله تعالى فيكون العبد خالقا لفعله كما هو مذهب المعتزلة فاجاب بان المعنى ان الحرف ليس منزلا من عند الله تعالى على نبيه وان كان فعله تعالى اذ لا يلزم من نفي الاخص وهو الانزال من عنده نفي الاعم الذي هو كونه فعله تعالى (قوله بسبب كونكم معلمين الكتاب الخ) لك ان تقول يكفي في الربانية كون الشخص عالما بالكتاب كما دل عليه قراءة ابن كثير ونافع وغيرهما فما فائدة التعليم قلنا فائدته اعتبار العمل فان التعليم عمل وقد قال الربانى من له كمال عمل وعلم وأما قوله فائدة التعليم معرفة الحق والخير للاعتقاد فنفيه ان معرفة الحق والخير مقدم على التعليم فكيف يكون بسببه الا ان يقال ان التعليم يوجب زيادة المعرفة وكمالها وثباتها (قوله عطفا على ثم يقول) يدل على ان هذا العطف متحقق على الوجهين وهما كون لا مزيدة وغيرها (قوله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر الخ) فيه انه نهى عن اجتماع الامرين (٢٧) المذكورين ولا يلزم النهي عن كل منهما وهو المطلوب قلنا ما نهى عن مجموع الامرين المذكورين يلزم النهي عن كل منهما لان أحد الامرين يستلزم الآخر كما يفهم مما سيجيء من ان الامر بعبادة نفسه والنهي عن عبادة غيره من النبيين مما لا وجه له لانهما كفاؤه فاذا تحقق أحدهما وجب ان يتحقق الامر الآخر فيتحقق المجموع وقوله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه هذا بيان حاصل معنى قوله ثم يقول للناس كونوا عبادا لي (قوله وغير مزيدة الخ) يعني اذا كانت غير مزيدة يكون النهي متوجها الى مجموع القول وعدم الامرين المذكورين أي ليس لمن آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس كونوا عبادا لي ولا يأمرهم بان يعبدوا الملائكة والنبيين والمقصود انه اذا أمر الناس بعبادة نفسه يجب ان يأمرهم بعبادة غيره من الانبياء والملائكة لانهما كفاء له في عدم صلاحية المعبودية فاثباتها لنفسه ونفيها عن غيرهم ترجيح من غير مرجح وههنا نظر وجواب فتأمل واعلم ان على كلا الوجهين التفاتا في الآية لان حق الكلام أن يقال ولا يأمرهم اذ الضمير عبارة عن الناس المذكورين سابقا (قوله بل ينهى عنه) فانه صلى الله عليه وسلم نهى العرب عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فان قيل لم يقل وينهاكم أن تتخذوا الخ قلنا اذا كان عدم الامر بالاتخاذ المذكور والامر بعبادة نفسه منهيا عنه كما هو مقتضى الوجه الثاني فيكون النهي عن الاتخاذ مع الامر المذكور كذلك بطريق الاولى (قوله واذا كان هذا حكم الانبياء الخ) هذه الاشارة الى أخذ العهد والنبيون لما كانوا أصحاب الوحي أمكن أخذ الميثاق عنهم وأما غيرهم من الأمم فاخذ الميثاق عنهم بواسطة أنبيائهم

تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) تكذيب وردّ على عبدة عيسى عليه السلام وقيل انّ أبا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نعبد غير الله وأن نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلّم عليك كما يسلّم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله (ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول كونوا ربانيين والربّاني منسوب الى الربّ بزيادة الألف والنون كالمحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل (بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) بسبب كونكم معلّمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فانّ فائدة التعليم والتعلّم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب تعلّمون بمعنى علمين وقرئ تدرسون من التّدريس وتُدرسون من أدرس بمعنى درّس كأكرم وكرّم ويجوز أن تكون القراءة المشهورة أيضا بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم تدرسونه على الناس (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة أتأكيد معنى النفي في قوله ما كان أي ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمرهم باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا أو غير مزيدة على معنى انه ليس له أن يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ كفائه أربابا بل ينهى عنه وهو أدنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال وقرأ أبو عمرو على أصله برواية الدوري باختلاس الضمّ (أيأمركم بالكفر) انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله (بعد إذ أنتم مسلمون) دليل على أنّ الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لأن يسجدوا له (وإذ أخذ الله ميثاق النبيّين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم به أولى وقيل معناه انه تعالى أخذ الميثاق من النبيّين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الأمم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ أخذ الله النبيين الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم وقيل المراد أولاد النبيين

(قوله واللام فى لما موطئة) كانها وطئت طريق جواب القسم أى سهلته لفهمه (قوله الجرية) أى كونها موصولة فالضمير الراجع اليه محذوف والتقدير أتيتكموه كما سيجىء لكن هذا المعنى غير ظاهر ولذا اقتصر بعض المفسرين على الشرطية الاان يقال ان ما الموصولة مبتدأ متضمن لمعنى الشرط (قوله لاجل اتيانى اياكم الخ) فان قيل ما وجه جعل الايتاء المذكور علة لاخذ الميثاق قلنا اختصاصهم بالفضيلة المذكورة وهى الايتاء المذكور يوجب الايمان بالرسول المصدق لهم ونصره فان قيل النبيون عام لكن أصحاب الكتب ليسوا كذلك بل بعضهم قلنا الكتاب وان كان خاصا لكن الحكمة عامة للكل فيكون المجموع للمجموع والاولى أن يقال ان من لم ينزل عليه كتاب فى حكم من نزل عليه من حيث وجوب الاتباع (قوله وقرئ لما بمعنى حين) اذا كان لما ظرفا كان فعله الذى تعلق هو به محذوفا أى (٢٨) لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم وجب عليكم الايمان

به فليفيد جواب القسم ولا يجوز ان يكون ظرفا لقوله لتؤمنن لان هذه اللام تمنع أن يعمل ما بعدها فيما قبلها ويكون لتؤمنن سادا مسد جواب القسم (قوله فليشهد بعضكم على بعض) فعلى القول الاول من الاقوال المذكورة فى تفسير ميثاق النبيين وكذا على باقيها يكون شهادة بعضهم على بعض شهادة كل نبى وشهادة بعض الامة على من سواهم وعلى القول الثالث يكون شهادة بعضهم بعض ما ذكر أو يكون شهادة بعض الامة على بعض وقس عليه القول الآخر (قوله عطف على الجملة المتقدمة) وهى فاولئك هم الفاسقون والهمزة متوسطة بينهما للانكار أى لا يبغون

على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل أو مسلموهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لانا أهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام فى لما موطئة للقسم لان أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية والموصولة سادت مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية أى لاجل اتيانى اياكم بعض الكتاب ثم مجىء رسول مصدق له أخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه أو موصولة والمعنى أخذه للذى آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم أو لمن أجل ما آتيتكم على ان أصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا وقرأ نافع آتينا كم بالنون والالف جميعا (قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى) أى عهدى سمى به لانه يؤصر أى يشد وقرئ بالضم وهو لغة فيه كعبر وعبر أوجع إصار وهو ما يشد به (قالوا أقررنا قال فاشهدوا) أى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة (وأنا معكم من الشاهدين) وأنا أيضا على اقراركم وتشاهد كم شاهد هو تأكيد وتحذير عظيم (فمن تولى بعد ذلك) بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة (فاولئك هم الفاسقون) المتمردون من الكفرة (أفغير دين الله يبغون) عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار أو محذوف تقديره أتتولون فغير دين الله تبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند أبى عمرو وعاصم فى رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم (وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها) أى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت أو مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون أن يمتنعوا عما قضى عليهم (واليه يرجعون) وقرئ بالياء على ان الضمير لمن (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم) أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وأيضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم

من العطف المذكور عطف الانشاء على الاخبار لان الاستفهام ليس حقيقة بل للانكار (قوله او أى طائعين بالنظر واتباع الحجة) ظاهر يدل على حصر سبب الاسلام طوعا فى النظر واتباع الحجة وليس كذلك اذ يجوز أن يكون السبب حصول العلم بداهة بوجوب الاسلام طوعا وكرها وهذا هو الظاهر من حال الملائكة الذين هم فى السموات (قوله أو مختارين الخ) هذا تفسير آخر لقوله تعالى وله أسلم الى قوله طوعا وكرها فالاسلام بالمعنى الاول هو تسليم الدين والايمان وبالمعنى الثانى التسخير تحت الحكم وعدم القدرة عن الخروج عنه فان الكفار أيضا يستسخرون تحت حكم القضاء ومرادهم بهم (قوله وأيضا المنسوب الى واحد من الجمع الخ) لا يخلو اما أن يكون المنسوب المذكور ثابتا للجميع فى الواقع أولا وعلى الاول لا يصح أن يقال المنسوب الى واحد ينسب الى الجمع لان معنى العبادة المذكورة ان الشئ الذى هو غير ثابت للجميع ينسب اليه بسبب ثبوته لواحد منهم وعلى الثانى يكون النسبة الى الجمع كذبا وأما ما وقع فى بعض العبارات من نسبة ما هو ثابت للواحد الى الجمع فلعل فيه تقديرا بان يقال فى مثله فعلها الجماعة اذا فعل

واحدمنهم أن المراد فعله بعض الجماعة فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه توسعا والمانعي هذا الاحتمال لم يتعرض له صاحب الكشاف ولا العلامة البيضاوي بل اقتصرا على الوجهين الآخرين ويمكن أن يقال ان النسبة المذكورة بطريق المجاز العقلي وقد أسلفنا البحث فيه (قوله والجواب أنه ينافي قبول الخ) حاصل هذا الجواب أن الاسلام هو الاعمال الخمسة المعلومة ويجوز أيضا ان يكون الدين تلك الاعمال ومفهوم الآية ان الاعمال التي هي غير الاسلام اذا جعلها الشخص دينا وأعرض عن الاسلام لن يقبل منه ولا يلزم من عدم قبول الاعمال المذكورة عدم قبول كل شئ غير الاسلام (قوله أي الواقعين في الخسران) انما فسره بذلك لان الخاسر اذا حمل على ظاهره يقتضي مفعولا فلما لم يذكره جعل بمعنى (٢٩) الواقع في الخسران حتى لا يقتضي

المفعول وهذا يظهر ما سيجيء من قوله ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى دخلوا في الصلاح (قوله عطف على مافي ايمانهم من معنى الفعل الخ) فان معناه بعد ان آمنوا وبعد ان يشهد بأصدق وأكمن باعتبار ان أكمن عطف على موضع أصدق لانه مجزوم لولم يكن الفاء فكانه مجزوم (قوله وعلى الوجهين الخ) أما على الاول فلان الظاهر ان المعطوف خارج عن المعطوف عليه وأما على الثاني فلان الاقرار وهو الشهادة لوكان داخلا في حقيقة الايمان كان ذكره بعد ذكر الايمان خاليا عن الفائدة (قوله ومفهومه ينافي جواز لعن غيرهم) لان تقديم الجار والمجرور وهو عليهم يقتضي حصر

أو بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك إجلالا له والنزول كما يعدّى بالى لأنه ينتهي الى الرسل يعدّى بعلى لأنه من فوق وانما قدم المنزل عليه عليه السلام على المنزل على سائر الرسل لأنه المعرّف له والعبار عليه (لانفرق بين أحد منهم) بالتصديق والتكذيب (ونحن له مسلمون) منقادون أو مخلصون في عبادته (ومن يبتغ غير الإسلام دينا) أي غير التوحيد والانقياد لحكم الله (فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينافي قبول كل دين يغايره لا قبول كل مايغايره ولعل الدين أيضا للاعمال (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات) استبعاد لأن يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ماوضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكاره وذلك يقتضي أن لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على مافي ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فأصدق وأكن أو حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان (والله لا يهدي القوم الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم أعرض عنه (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه على نفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون أو العموم فان الكافر أيضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه (خالدين فيها) في اللعنة أو العقوبة أو النار وان لم يجز كرهما لدلالة الكلام عليهما (لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك) أي من بعد الارتداد (وأصلحوا) ما أفسدوا ويجوز أن لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح (فان الله غفور) يقبل توبته (رحيم) يتفضل عليه قيل اتهازلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه أن سلوا هل لي من توبة فارسل اليه أخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب (إن الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا) كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن أو كفروا

اللعنة عليهم (قوله مطبوعون على الكفر) فيه انه قال في ختم الله على قلوبهم الآية ان الختم هو الطبيعة التي حصلت في النفس بمنع الايمان وقبول الحق ويعبر عنه بالطبع وقال أيضا ان ختم الله الآية علة للحكم السابق الذي هو توبة الابذار وعدمه وعلى ماذكر يكون الطبع مستلزما لعدم الايمان أبدا والا لم يصح ان يكون علة للتسوية المذكورة والاستثناء المذكور ههنا وهو قوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية ينافي ذلك والجواب ان أولئك اشارة الى القوم المذكورين بعد استثناء التائبين منهم فبقي الذين بقوا على الكفر وهم مطبوعون على الكفر بقي ههنا ان يراد لعل لا يظهر وجهه فان ماذكر هو الفرق البتة فالاولى اسقاطه (قوله فان الكافر الخ) جواب سؤال وهو انه كيف يعم الناس الكافرين وهم لم يلعنوا من كفر بعد ايمانه وتصديقه الرسول فاجاب بان الكافر وان لم يلعن صريحا من كان بالصفة المذكورة وهي الكفر بعد الايمان لكنه يلعنه ضمنا فانه يلعن مخالف الحق ومن كان

بالصفة المذكورة مخالف له (قوله ولذلك لم تدخل الفاء) توضيحه أن ادخال الفاء فى الخبر يشعر بان المبتدأ متضمن لعلة ترتيب الخبر عليه لكن حمل عدم قبول التوبة على احدى الصور المذكورة لم يكن علة عدم قبولها ما تضمنه المبتدأ فلا يصح ايراد الفاء على الخبر (قوله الثابتون على الضلال) انما فسره بذلك لان مطلق الضلال ليس مخصوصا بهم بل يشملهم وغيرهم لكن الترتيب يدل على الاختصاص بسبب ضمير الفصل وكون الخبر محلى باللام فوجب أن يفسر بما ذكر حتى يصح الاختصاص ولك أن تقول الثبات على الضلال ليس مخصوصا بهم لان غيرهم قد يكون ثابت الضلال والاولى أن يفسر بكامل الضلال لان لهم كمال الضلال لارتدادهم بعد الايمان وتصديق النبى صلى الله عليه وسلم أو لكفرهم بعيسى والانجيل وبمحمد والقرآن وحمل الضلال على كماله ذكره العلامة النيسابورى ويمكن أن يقال الثبات على الضلال مستفاد من عدم قبول التوبة ويكون القصر اضافيا احترازا عمن تقبل توبتهم (قوله كانه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية الخ) توجيهه أن يقال عدم قبول ملء الارض ذهبا كناية عن عدم قبول الفدية أصلا فكانه قيل لن يقبل من أحدهم فدية ولو كانت الفدية ملء الارض لانه غاية الفدية وانما وجهه به لان ظاهر الكلام يقتضى أن يكون المعنى فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ان يفتدى به ولو يفتدى به كذا وهذا المعنى غير ملائم (قوله أو المراد ولو افتدى بمثله) أى لن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا لو افتدى به ولو افتدى بمثله أيضا لم يقبل (قوله لان المثلين فى حكم شئ واحد) علة للزيادة والحذف المذكورين أى قد يزاد مثل الشئ ويضاف اليه نحو قولك مثلك لا يبخل وتريد أنت لا تبخل وقد يحذف المثل المضاف اليه نحو أبو يوسف أبو حنيفة وانما زيد وحذف لان حكم مثل الشئ حكم نفسه فاذا زيد جعل حكم الشئ للمثل واذا حذف جعل حكم المثل للشئ (قوله لان من لا تقبل منه الفدية الخ) أى لم يحصل من قوله تعالى لن يقبل الخ الاقناط الكلى اذ يمكن أن لا يقبل منه الفدية لكن يعفى عنه تكرما أى تفضلا فلما قيل أولئك لهم عذاب أليم حصل الاقناط الكلى من العفو (قوله ومن مزيدة للاستغراق) الظاهر انه أراد بالاستغراق نفى الناصر مطلقا اذ هو المقصود لكن كون من مفيدة له ليس مسلما الا اذا دخلت على النكرة المفردة نحو ما جاءنى من أحد أما اذا دخلت على الجمع فلا تفيده ويمكن أن يكون مراده من الاستغراق استغراق الجمع كما قاله صاحب المفتاح من أن الجمع المحلى باللام يفيد استغراق الجمع لا المفرد (قوله بيرحاء) قال شارح البخارى اختلفوا فى ضبطه قال القاضى عياض روينا بفتح الباء والراء وبفتح الراء وضمها مع كسر الباء قال وبالرفع قرأناه على شيوخنا بالاندلس والروايات فيه القصر وروينا أيضا بالمد قال التيمى وحا مقصور كذا المحفوظ ويجوز أن يمد فى اللغة وقد جاء حاء فى اسم قبيلة وبيرحا بستان من بساتين المدينة أى البستان الذى فيه بيرحا أضيف البير الى حا وكانت بساتين المدينة تدعى بالآبار التى فيها وبيرحا بفتح الباء وسكون التحتانية وفتح الراء وهو مقصور لا يتيسر فيه اعراب فهو كلمة واحدة لا مضاف ومضاف اليه (قوله بخ بخ)

بمحمد بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق أو كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون أو نرجع اليه وننافقه باظهاره (لن تقبل توبتهم) لأنهم لا يتوبون أو لا يتوبون الا اذا أشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا فى شأنهم وابرازا لحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة أو لأن توبتهم لا تكون الا نفاقا لا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه (وأولئك هم الضالون) الثابتون على الضلال (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا) لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية أدخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشئ ما يملؤه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء أو الخبر لمحذوف (ولو افتدى به) محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا أو معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به فى الدنيا ولو افتدى به من العذاب فى الآخرة أو المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين فى حكم شئ واحد (أولئك لهم عذاب أليم) مبالغة فى التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما (وما لهم من ناصرين) فى دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق (لن تنالوا البر) أى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير أو لن تنالوا بر الله الذى هو الرحمة والرضى والجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) أى من المال أو ما يعمه وغيره كبذل الجاه فى معاونة الناس والبدن فى طاعة الله والمهجة فى سبيله روى انها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يا رسول الله ان أحب أموالى الى بيرحاء فضعها حيث أراك الله فقال بخ بخ ذاك مال

رابح

كلمة تقال عند المدح والرضى بالشئ قال الرضى يقال باسكان الحاء وتنوينها مكسورة فان وصلت خفضته ونونته مكسورا لحاء وربما شددمنونا مكسورا وهى من الاصوات الدالة على التعجب وقال القاضى عياض (٣١) حكى الكسر بلا تنوين وروى بالرفع

رابح أو رائح وانى أرى ان تجعلها فى الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه فى سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فقال زيد انما أردت ان أتصدق بها فقال عليه السلام ان الله قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق أحب الاموال على أقرب الاقارب أفضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ماتحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين (وماتنفقوا من شئ) أى من أى شئ محبوب أوغيره ومن لبيان ما (فان الله به عليم) فيجازيكم بحسبه (٩٧) (كل الطعام) أى المطعومات والمراد كلها (كان حلا لبنى اسرائيل) حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لاهن حل لهم (الا ماحرم اسرائيل) يعقوب (على نفسه) كلحوم الابل وألبانها وقيل كان به عرق النسا فنذر ان شفى لم يأكل أحب الطعام اليه وكان ذلك أحبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوى باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبى ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فيه فهو كتحريمه ابتداء (من قبل ان تنزل التوراة) أى من قبل انزالها مشتملة على تحريمها حرم عليهم اظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود فى دعوى البراءة مما نعى عليهم فى قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآيتين بان قالوا السنا أول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفى منع النسخ والطعن فى دعوى الرسول عليه السلام موافقة ابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل وألبانها (قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) أمر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم مالم يكن محرما روى انه عليه السلام لما قاله لهم بهتوا ولم يحيروا ان يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته (٩٨) (فمن افترى على الله الكذب) ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بنى اسرائيل ومن قبلهم (من بعد ذلك) من بعد مالزمتهم الحجة (فأولئك هم الظالمون) الذين لاينصفون من أنفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح لهم (٩٩) (قل صدق الله) تعريض بكذبهم أى ثبت ان الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) أى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابراهيم أومثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التى اضطركم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية وألزمتكم تحريم طيبات أحلها الله لابراهيم ومن تبعه (وما كان من المشركين) فيه اشارة الى ان اتباعه واجب فى التوحيد الصرف والاستقامة فى الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود (ان أول بيت وضع للناس) أى وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل (للذى ببكة) للبيت الذى ببكة وهى لغة فى مكة كالنبيط والنميط وأمر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هى موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه أو من بكه اذا دقه فانها تبك أعناق الجبابرة روى انه عليه السلام سئل عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة وقيل أول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو أول بيت بناه آدم فانطمس فى الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان فى موضعه

واذا كررت فالاختيار تحريك الاول منونا واسكان الثانى (قوله رابح أو رائح) أحدهما بالمثناة التحتانية وقلبها همزة والجيم أوالحاء وعلى هذا معناه قريب يروح نفعه لقربه من البلد والآخر بالموحدة والحاء (قوله وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب) علم ذلك من تصدق البئر والفرس فانه ليس صدقة الغرض تتعلق بها الا ذا زكاة فيها (قوله ويحتمل التبيين) وعلى هذا معناه شيأ مما يحبون (قوله أى المطعومات) أى المراد من الطعام المطعومات كما صرح به العلامة التفتازانى فى هذا الموضع من حاشية الكشاف وحينئذ يلزم أن يكون لفظ كل لغوا اذ المراد من المطعومات كل واحد واحد منها لما قالوا من ان الجمع المحلى باللام للاستغراق ولو كان اللام فى الجمع للجنس كما ذهب اليه صاحب الكشاف فى مواضع اندفع السؤال والاولى أن يفسر الطعام بالمطعوم فيكون المراد كل المطعوم أى كل فرد من افراده ويمكن أن يقال مراد المصنف من قوله أى المطعومات تفسير كل الطعام لا تفسير الطعام (قوله وفى منع النسخ) عطف على قوله فى دعوة البراءة فان تحريم اسرائيل أى يعقوب عليه الصلاة والسلام ماذكر يعنى نفسه يدل على نسخ حله (قوله والتجنب عن الافراط والتفريط) دلالته على التجنب عن بعض اطاهر الا أن يقال الشرك افراط وتأمل والطاهر

ان الامر باتباع ابراهيم وتخصيصه من بين سائر الاديان يدل على ماذكر (قوله وهو لايلائم ظاهر الاية) اذ هو يدل على أن الذى ببكة الآن هو أول بيت وضع وأما النقل المذكور فيدل على أن أول بيت وضع للناس هو الضراح الذى رفع فى زمان الطوفان (قوله حال من المستكن الخ) وهو فاعل الفعل الذى هو العامل فى الظرف والتقدير للذى استقر ببكة مباركا (قوله لانه قبلتهم الخ) هذا يدل على كونه هدى بالنسبة الى بعض العالمين لانه ليس بقبلة لكلهم فان قبلة بعضهم كالهود يين المقدس وأما العلة الثانية وهى قوله تعالى فيه آيات فيفيد انه هدى (٣٢) بالنسبة الى جميع العالمين (قوله كانحراف الطير عن موازاة الكعبة) أرادانها لانطير فوق الكعبة بل تنحرف حتى لاتكون فوقها حال الطيران وقوله على مدى الاعصار أى من الزمان القديم الى الآن (قوله أى ومنها أمن دخله) هذا التقدير يناسب العطف على مقام ابراهيم على ماذكر أولا فى اعرابه وهو اذا كان مقام مبتدأ خبره منها وأما المناسب للتقدير الثانى فهو ماذكر ثانيا من كونه بدلا وهو أولى لعدم التقدير ولذا اقتصر عليه صاحب الكشاف (قوله كقوله عليه الصلاة والسلام الخ) فانه عليه السلام ذكر الثلاث ولم يذكر الاثنين لان قرة العين فى الصلاة ليست من الامور الدنيوية فلا يصح أن يجعل الثالث منها أقول يمكن أن يقال اذا أريد بأمور الدنيا أمور تحصل فيها وان كانت متعلقة بالآخرة باعتبار ظهور الاثر تكون قرة العين فى الصلاة من أمور الدنيا لكن المعنى الاول أولى وأحسن بمراتب كما لايخفى الدلالة على ذوى البصائر فلذا حمل العلماء الحديث على المحمل الاول ووجه حسنه أنه صلى الله عليه وسلم لما عدد الاثنين هم بالاعراض عن الأمور الدنيوية فكأنه قال فى نفسه مالى ولأمور الدنيا فاعرض عنها وذكر شيأ عظيما يتعلق بالآخرة (قوله لأن فيهما غنية عن غيرهما) أى فى ذكر مقام ابراهيم وأمن الداخل مايغنى عن ذكر غيرهما اذا الأول متضمن لبقاء الأثر برؤية القدم وفى الثانى الأمن من العذاب يوم القيامة والاول بالنسبة الى الدنيا والثانى بالنسبة الى الدار الآخرة (قوله وكل مأتى الى الشئ فهو سبيله) قال العلامة الطيبى معناه كل ماتأتى به الى الشئ من الاسباب فهو سبيله

قيل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما أهبط آدم أمر بان يحجه و يطوف حوله ورفع فى الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات وهو لايلائم ظاهر الآية وقيل المراد انه أول بيت بالشرف لا بالزمان (مباركا) كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن فى الظرف (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما قال (فيه آيات بينات) كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وأن ضوارى السباع تخالط الصيود فى الحرم ولاتتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره الله كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى أو حال أخرى (مقام ابراهيم) مبتدأ محذوف خبره أى منها مقام ابراهيم أو بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات أثر القدم فى الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الاالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة أعدائه ألوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه (ومن دخله كان آمنا) جملة ابتدائية أوشرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه فى معنى أمن من دخله أى ومنها أمن من دخله أوفيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة لان فيهما غنية عن غيرهما فى الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والأمن من العذاب يوم القيامة قال عليه السلام من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعند أبى حنيفة من لزمه القتل بردة أوقصاص أوغيرهما والتجأ الى الحرم لم يتعرض له ولكن أجبر على الخروج (ولله على الناس حج البيت) قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائى وعاصم فى رواية حفص حج بالكسر وهما لغتان نجد (من استطاع اليه سبيلا) بدل من الناس بدل البعض من الكل مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعى رضى الله تعالى عنه انها بالمال ولذلك أوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد أجرة من ينوب عنه وقال مالك رحمه الله تعالى انها بالبدن فيجب على من قدر على المشى والكسب فى الطريق وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى انها بمجموع الامرين والضمير فى اليه للبيت أو الحج وكل مأتى الى الشئ فهو سبيله (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) وضع كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا على تركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا وقد أكد أمر الحج فى هذه الآية من وجوه

(قوله الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر) وجه كونه تأكيدا اشعاره بان الحج كأنه أمر ثابت وجب من قبل لا حاجة له الى الأمر به فى هذا الزمان بل أخبر عن وجوبه بالثابت وقال صاحب الكشاف وجه التأكيد اشعاره بانه هو واجب لله تعالى فى رقاب الناس لاينفكون عن أدائه والخروج عن عهدته أى لاينفكون عن وجوب أدائه ووجوب الخروج عن عهدته (قوله فانه كايضاح بعد ابهام) لوحذف الكاف لكان أولى لانه فى الحقيقة ايضاح للمراد من الناس فانه أوضح ان المراد من الناس ليس العام الظاهر بل المقيد وهم المستطيعون ولذا قال صاحب الكشاف الثانى من وجوه (٣٤) التأكيد ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراده فى صورتين مختلفتين (قوله لانه تكليف شاق) يمكن أن يقال ان هذا تعليل لتأكيد أمر الحج بالوجوه المذكورة أى فدأكد وجوب الحج فى هذه الآية من وجوه لأنه شاق الخ أى لما كان هذا التكليف تكليفا شاقا جامعا لأنواع المشقة أكد بالتأكيدات حتى يخافوا ويحذروا من تركه غاية الحذر ويمكن أن يقال علة الاشعار بعظم السخط أى انما أشعر بعظم السخط لأنه تكليف شاق فأكد غاية التأكيد ليخافوا ويحذروا من تركه (قوله وكفرت به خمس ملل) أى أصحابها هم اليهود والصابئون والنصارى والمجوس والذين أشركوا (قوله يمنع النسخ الخ) أى ابتغاء عوج سبيل الله تعالى الذى هو دين محمد صلى الله عليه وسلم ويكون امابمنع النسخ

الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه فى الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد أنه حق واجب لله تعالى فى رقاب الناس وتعميم الحكم أولا ثم تخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه فى هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس وانعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روى أنه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب الملل فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر (٧٣) (قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) أى بآيانه السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم أقبح لان معرفتهم بالآيات أقوى وانهم وان زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة والانجيل فهم كافرون بهما (والله شهيد على ما تعملون) والحال انه شهيد مطلع على أعمالكم فيجازيكم عليها لاينفعكم التحريف والاستسرار (٧٤) (قل ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) كرر الخطاب والاستفهام مبالغة فى التقريع ونفى العذر لهم واشعارا بأن كل واحد من الامرين مستقبح فى نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى أنوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم فى الجاهلية من التعادى والتحارب ليعود والمثله ويحتالون لصدهم عنه (تبغونها عوجا) حال من الواو أى باغين طالبين لها عوجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا أن فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو هما أو بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل أمر دينهم (وأنتم شهداء) انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال أو أنتم عدول عند أهل ملتكم يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم فى القضايا (وما الله بغافل عما تعملون) وعيد لهم ولما كان المنكر فى الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان فى هذه الآية صدهم للمؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون (٧٥) (ياأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردكم بعد ايمانكم كافرين) نزلت فى نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودى فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ماقيل فيه وكان الظفر فى ذلك اليوم للأوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح

(٥ - (بيضاوى) - ثانى)

وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه اذا كان النسخ مما يثبت دين محمد صلى الله عليه وسلم كما هو حقه اذ هو دال على نسخ سائر الاديان وأيضا اذا تغيرت صفة الرسول المبعوث فى آخر الزمان المذكورة فى التوراة كان هذا متمسكهم أى اليهود فى ابطال الدين الحنيفى (قوله ولما كان المنكر فى الآية الأولى الخ) يعنى ان الشهادة تتعلق بالأمور الظاهرة ولذا ليس لأحد أن يشهد بشئ حتى يظهر عنده فلما كان كفرهم ظاهرا ناسب الشهادة ولما كان ذكر فى الغفلة مناسبا لاحتيالهم ولاخفاء مكرهم لأنهم لما كانوا يخفون الضد ويحتالون فيه كان ظاهر حالهم مشعرا بانهم على ان الله غافل عما

يعملون اذ ليس من شأن من يعلم أنه تعالى مطلع على خفيات حاله وعمله أن يخفى مثل العمل المذكور (قوله ومن يتمسك بدينه أو يلتجئ اليه) فعلى الأول ههنا مضاف محذوف وعلى الثانى تكون الباء بمعنى الى وعلى كل تقدير يكون فى الاعتصام تجوز كما سيجىء (قوله حق تقواه) فائدة هذا التقييد أنه يمكن أن يفهم من اتقوا الله انه يجب التقوى فى الجملة ولا يجب استفراغ الوسع فلما قيل حق تقاته اندفع ذلك التوهم (قوله كقوله فاتقوا الله ما استطعتم) يعنى ان معناه ومعنى قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته واحد لا أن هذا منسوخ بالاول كما ذهب اليه بعضهم (قوله وفى هذا الامر تأكيد للنهى الخ) النهى عن طاعتهم هو الذى ذكر فى الآية السابقة وهى يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب الآية وانما كان تأكيدا له لان طاعتهم توجب أمورا

نهى الله تعالى عنها منها الشرك وهم مشركون بعبادة عزير والمسيح (قوله وقد يتوجه الى المجموع دونهما) أى دون الفعل فقط أو القيد فقط واعلم ان هذا التفصيل غير مذكور فى هذا الموضع من الكشاف ولك ان تقول اذا كان النهى متوجها بالذات نحو الفعل فلا فائدة فى ذكر القيد بل المناسب تركه لئلا يتوهم خلاف المقصود فان قولك لا تشرب الخمر عطشانا النهى فيه يتوجه بالذات الى أصل الفعل الذى هو الشرب فقيد العطشان يجب ان يترك لئلا يتوهم ان النهى يتوجه الى شربها فى الحالة المذكورة لا فى غيرها ويمكن ان يقال يجوز ان يكون فائدة القيد ان يعلم ان النهى عن الفعل فى الحالة المذكورة يوجب النهى عنه فى غيرها بطريق الاولى كما يقال لا تزن تائقا فانه لا شك ان النهى يتوجه بالذات الى مطلق الزنا لكن القيد المذكور يوجب النهى فى غير الحالة المذكورة بطريق الاولى لانه اذا كان منهيا عن حال التوقان ففى غيرها أولى (قوله وللوثوق به والاعتماد عليه) الاعتصام معطوف على قوله الحبل أى استعار للكتاب الحبل واستعار للوثوق به أى بالحبل الاعتصام (قوله أعداء الخ) فان قيل ما وقع قوله تعالى اذ كنتم أعداء قلنا انه ظرف للنعمة اذ هى بمعنى الانعام والمعنى واذكروا نعمة الله عليكم فى زمان كونكم أعداء فحصل التأليف والمحبة بينكم فان قيل كيف تكون العداوة والمحبة فى زمان واحد قلنا يمكن ان يكون حصول احداهما فى جزء منه والأخرى فى آخر نظير ما مر فى تفسير قوله تعالى اذ قالت الملائكة يا مريم بين انه بدل من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة فى زمان واحد متسع

السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد ان أكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بين قلوبكم فعلموا أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما أمر الرسول بان يخاطب أهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله الله ويكلمهم (96) (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) انكار وتعجيب لكفرهم فى حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر (ومن يعتصم بالله) ومن يتمسك بدينه أو يلتجئ اليه فى مجامع أموره (فقد هدى الى صراط مستقيم) فقد اهتدى لا محالة (97) (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع فى القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان تنزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفى هذا الامر تأكيد للنهى عن طاعة أهل الكتاب وأصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما فى تؤدة وتخمة والياء ألفا (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) أى ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا أدرككم الموت فان النهى عن المقيد بحال أو غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد أخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفى (98) (واعتصموا بحبل الله) بدين الاسلام أو بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة من الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة من التردى وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز (جميعا) مجتمعين عليه (ولا تفرقوا) ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب أو لا تتفرقوا تفرقكم فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضا أو لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة (واذكروا نعمة الله عليكم) التى من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدى الى التألف وزوال الغل (اذ كنتم أعداء) فى الجاهلية متقاتلين (فالف بين قلوبكم) بالاسلام (فاصبحتم بنعمته اخوانا) متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله وقيل كان الأوس والخزرج أخوين لابوين

فوقع

(قوله خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم الخ) فيه ان مجرد خطاب الجمع على النحو الذى ذكر لا يفيد انه واجب على الكل لان معناه انه يجب على بعض منكم الأمر والنهى فهذا صريح فى انه يجب على البعض ويمكن ان يفهم من الآية انه واجب على الكل اذ الوجوب على البعض ليس على بعض معين ولا معنى للوجوب على البعض الغير المعين فتعين الوجوب على الكل فتأمل (قوله أو للتبيين الخ) هنا نظر لان أحد الاحتمالين باطل لانه لا يخلو اما ان يصلح كل واحد للتصدى للامر بالمعروف والنهى عن المنكر أولا وعلى الاول يبطل قوله اذ لا يصلح له كل أحد وعلى الثانى يبطل الاحتمال الثانى وهو ان يكون من للتبيين وقد غير عبارة الكشاف فوقع فيما وقع وعبارته ان من للتبعيض وقيل للتبيين ويمكن ان يقال لما كان واجبا على الكل لا يسقط بفعل البعض كما هو الشأن فى الكفارات فالوجوب على الجميع يناسب التبيين (٣٥) والسقوط بفعل البعض يناسب التبعيض والاولى ان يقال ان الأول نظر الى التصدى لمنصب الاحتساب العام والثانى للامر بالمعروف والنهى عن المنكر اذ الاطلاع عليه مع القدرة فان كل أحد مكلف بذلك (قوله وعطف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الخ) لك ان تقول النهى عن المنكر ليس من جملة الدعوة الى الخير بل هو ردع عن الشر والجواب ان النهى طلب الكف عن المنهى والكف عنه خير فطلبه دعوة الى الخير (قوله لان جميع ما أنكره الشرع حرام) ان أراد بانكار الشرع التحريم صار الكلام خاليا عن الفائدة وان أراد به مجرد النهى عنه فكون جميع ما أنكره الشرع حراما ممنوع لان المكروه مما أنكره الشرع وليس بحرام ثم ان مفهوم كلامه ان كل منكر حرام وهو خلاف ما قاله العلماء قال الامام الغزالى فى الاحياء المنكر الذى يجب النهى عنه أعم من المعصية لان من رأى صبيا أو مجنونا يشرب الخمر فعليه ان يريق خمره مع ان شرب الصبى والمجنون الخمر ليس بمعصية ثم ان بعض العلماء قد صرح بان النهى عن المنكر يشمل النهى عن المكروه والعجب انه جعل الأمر بالمعروف منقسما الى الواجب والمندوب والظاهر ان يقال النهى كالامر ينقسم الى الواجب والمندوب فالنهى عن الحرام واجب والنهى عن المكروه مندوب (قوله والاظهر الخ) فيه ان ما ثبت فيه الحجة والبينة الموجبة للاتفاق عليه لا يصح التفرق والاختلاف فيه سواء كان أصلا وفرعا واما اختلاف المجتهدين فليس مما ثبت فيه الحجة المذكورة فقوله والاظهر فيه ما فيه بل الوجه ان يقال على التفسير المذكور النهى عام فى الاصول والفروع (قوله لقوله عليه السلام اختلاف أمتى رحمة) قال الشيخ الامام تقى الدين السبكى فى

فوقع بين أولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الله بالاسلام وألف بينهم برسوله صلى الله عليه وسلم (وكنتم على شفا حفرة من النار) مشفين على الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذ لو أدرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فى النار (فانقذكم منها) بالاسلام والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وتأنيثه لتأنيث ما أضيف اليه أو لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة وأصله شفو فقلبت الواو ألفا لتحرك ما قبلها وحذفت فى المؤنث (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم آياته) دلائله (لعلكم تهتدون) ارادة ثباتكم على الهدى وازدياد لم فيه (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل أحد اذ للمتصدى له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه رأسا أثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية أو للتبيين بمعنى وكونوا أمة يدعون كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح دينى أو دنيوى وعطف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله (وأولئك هم المفلحون) المخصوصون بكمال الفلاح روى انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهى عن المنكر واجب كله لان جميع ما أنكره الشرع حرام والاظهر ان العاصى يجب عليه أن ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) كاليهود والنصارى اختلفوا فى التوحيد والتنزيه وأحوال الآخرة على ما عرفت (من بعد ما جاءهم البينات) الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهى فيه مخصوص بالتفرق فى الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف أمتى رحمة ولقوله عليه الصلاة والسلام من اجتهد فاصاب فله أجران ومن أخطأ فله

فتاويه ليس اختلاف الامة رحمة وليس الحديث معروفا عند المحدثين ولم أقف له عن سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع ولا أظن له أصلا (قوله وقيل يوسم أهل الحق الخ) ظاهر هذه العبارة يدل على انه معنى لا يوجد فى الكناية لكنه ليس كذلك لان الكناية توجب صحة ارادة المعنى الحقيقى فيجب وقوع بياض وجوه المؤمنين وسواد وجوه الكافرين ويمكن ان يقال مراده من قوله وقيل بيان جواز ارادة المعنى الحقيقى حتى تتحقق الكناية والاولى ان يقال المقصود منه ان المعنى بهذه العبارة المعنى الحقيقى وليست الكناية (قوله وهم المرتدون الخ) على هذا التقدير لا يتبين حكم جميع الناس والاولى هو التفسير الثالث وهو ان يراد جميع الكفار والحكم بان كل من كفر فهو كافر بعد الايمان لانه آمن حين خطاب ألست بربكم (قوله أوجزاء لكفركم) الظاهر

ان هذا على مذهب من جوز ان تكون الحروف الجارة ينوب بعضها عن بعض أو ان الباء قد تكون بمعنى اللام فتكون الباء ههنا بمعنى اللام والجزاء مقدر ويمكن ان يكون ماذكره حاصل المعنى (قوله لانه لا يحق عليه شئ الخ) أى الظلم ثانية يفسر بنقص حق الغير وليس لاحد حق فى ملكه تعالى بل ما وجد فى أيدى المخلوقين فهو حق خالص لله تعالى لا يشوبه شركة الغير وثانية يفسر بفعل يكون الفاعل ممنوعا منه اما شرعا أو عقلا وهو تعالى ليس ممنوعا عن فعل من الافعال اذ لا أحد يمنعه والعقل السليم لا يحكم بقبح شئ صدر منه (قوله دل على خير يتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ) لك ان تقول المناسب التعبير بالجملة الاسمية ليدل على الدوام والثبات واما الفعل الماضى فهو لمثبوت خير يتهم فى الزمان الماضى دون الحال والجواب انه مدح ولا وجه لمدح شخص بما ثبت له فيما مضى ولم يثبت له فى الحال بل اتصف بخلافه ثم انه من المعلوم ان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا صاعدين فى الكمال والشرف الى آخر أزمانهم فاذا كانوا خيرا فى الزمان الماضى فبطريق الاولى أن يكونوا خيرا فى الزمان الآتى ولو عبر بالجملة الاسمية لم يعلم منها صريحا انهم خير فى أول الامر (قوله أوفيما بين الامم المتقدمين) أى مشهور فى الامم الماضية ان أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير الامم بان يعلم من الانبياء (قوله واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة) فيه أن الظاهر أن المخاطبين بهذا الخطاب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلا يدل على صحة الاجماع مطلقا فان قيل قد ثبت عصمة الامة

أجر واحد (وأولئك لهم عذاب عظيم) وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم (يوم[102] تبيض وجوه وتسود وجوه) نصب بما فى لهم من معنى الفعل أو باضمار اذكر و بياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم أهل الحق بياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعى النور بين يديه و بيمينه وأهل الباطل باضداد ذلك (فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم) على ارادة القول أى فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون أو أهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه أو جميع الكفار كفروا بعد ما أقروا به حين أشهدهم على أنفسهم أو تمكنوا من الايمان بالنظر فى الدلائل والآيات (فذوقوا العذاب) أمر اهانة (بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم أو جزاء لكفركم (وأما الذين ابيضت[103] وجوههم ففى رحمة الله) يعنى الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره فى طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم (هم فيها خالدون) أخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كأنه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون (تلك[104] آيات الله) الواردة فى وعده و وعيده (نتلوها عليك بالحق) متلبسة بالحق لا شبهة فيها (وما الله يريد ظلما للعالمين) اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شئ فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شئ فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال (ولله[105] ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الامور) فيجازى كلا بما وعده الله وأوعد (كنتم[106] خير أمة) دل على خير يتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم فى علم الله أو فى اللوح المحفوظ أو فيما بين الامم المتقدمين (أخرجت للناس) أى أظهرت لهم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) استئناف بين به كونهم خير أمة أو خبر ثان لكنتم (وتؤمنون بالله) يتضمن الايمان بكل ما يجب أن يؤمن به لان الايمان به انما يحق و يعتد به اذا حصل الايمان بكل ما أمر ان يؤمن به وانما أخره وحقه ان يقدم لانه قصد ذكره للدلالة على انهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على أن الاجماع حجة لانها تقتضى كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق ولو أجمعوا على باطل كان أمرهم على

خلاف

عن الاجماع على الخطاب قلنا هذا دليل مستقل على أن الاجماع حجة فكونه حجة يفهم منه لا من الآية التي استدل بها ههنا (قوله لكان خيرا لهم الخ) فان قيل هذه العبارة تدل على ان ما هم عليه نافع لكن الاسلام أنفع لهم فما هذا النفع الذي حصل من دينهم قلنا الرياسة والحظوظ الدنيوية والامان بقبول الجزية (قوله وهذه الجملة والتي بعدها الخ) المراد بهذه الجملة قوله تعالى منهم المؤمنون وما عطف عليه والمراد بالتي بعدها لن يضروكم الا أذى وانما كان ذكرهما على سبيل الاستطراد لان المقصود الاصلي بيان ان أهل الكتاب لو آمنوا لكان خيرا لهم ولا يخفى أن الجملتين المذكورتين لا يفيدان ذلك الغرض (قوله للتراخي في الرتبة) فان عدم كونهم منصورين بل مخذولين أعظم درجة من توليهم الادبار وفرارهم ومفهوم كلامه ان ثم على تقدير الجزم للتراخي في الرتبة وأما على تقدير عدمه فتكون بمعنى التراخي في الزمان لكن عبارة الكشاف صريحة في انها على تقدير عدم الجزم للتراخي في الرتبة فانه صرح بان ثم لا ينصرون عطف على جملة الشرط والجزاء وان ثم للتراخي في الرتبة (قوله الا معتصمين أو ملتبسين

بذمة الله تعالى الى قوله واتباع سبيل المؤمنين) فيه ان ذمة المسلمين هي قبول الجزية فعلى تقدير أن تكون الذلة قبول الجزية كما هو بعض الاحتمالات التي ذكرها كان معنى الكلام ضربت عليهم الجزية في كل حال الا في حال الالتباس بقبول الجزية وهذا كلام متناقض وعبارة الكشاف ههنا ان المعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين أي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية انتهى وليس في كلامه أن الذلة هي الجزية ويمكن أن يقال اذا أريد بالذلة الجزية يكون المراد من الحبلين المذكورين دين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين واذا أريد من الذلة هدر النفس والمال والاهل كان المراد من الحبلين التمسك بالكتاب وقبول الجزية وهذا التفصيل هو مراد المصنف (قوله وقيل معناه الخ) يدل على ان المعنى الاول وهو أن يكون ذلك الثاني اشارة الى الكفر والقتل أرجح من أن يكون اشارة الى ضرب الذلة والمسكنة وايجاب الغضب ووجه رجحان الاول أنه على التقدير الثاني لا حاجة الى تكرير لفظ ذلك بل يكفي ان يقال ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق وبما عصوا وكانوا يعتدون اذ على هذا التقدير كل من المذكورات سبب ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب وأيضا المعنى الاول يفيد فائدة لم يفدها المعنى الثاني وهي أن العصيان الصغير يفضي الى الكبير والاصرار على الكبيرة يفضي الى الكفر (قوله في المساوي) هذه العبارة موهمة للمعنى المخالف للمقصود اذ المتبادر من نفي التساوي في المساوي أن يكون لكل منهم مساو بعضهم أكثر مساو لكن الاولى أن يقال المراد ليسوا سواء في الحال ولذا قال صاحب الكشاف ليسوا مستوين ولم يذكر في المساوي

خلاف ذلك (ولو آمن أهل الكتاب) ايمانا كما ينبغي (لكان خيرا لهم) لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه (منهم المؤمنون) كعبد الله بن سلام وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد (107) (لن يضروكم الا أذى) ضررا يسيرا كطعن وتهديد (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) ينهزموا ولا يضروكم بقتل وأسر (ثم لا ينصرون) ثم لا يكون أحد ينصرهم عليكم أو يدفع بأسكم عنهم نفي اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم أخبر بانه تكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في الرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان ذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر (108) (ضربت عليهم الذلة) هدر النفس والمال والاهل أو ذل التمسك بالباطل والجزية (أينما ثقفوا) وجدوا (الا بحبل من الله وحبل من الناس) استثناء من أعم عام الاحوال أي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين أو ملتبسين بذمة الله أو كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين أو بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين (وباؤا بغضب من الله) رجعوا به مستوجبين له (وضربت عليهم المسكنة) فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على أهله واليهود في غالب الامر فقراء ومساكين (ذلك) اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم أيضا (ذلك) أي الكفر والقتل (بما عصوا وكانوا يعتدون) بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع أيضا (109) (ليسوا سواء) في المساوي والضمير

(قوله عبر عنه بالتلاوة الخ) أى عبر عن تلاوة القرآن فى التهجد بما ذكر لأنه أظهر دلالة على المدح اذ يمكن أن يفهم من التهجد غير الصلاة وأبلغ لذكر الآناء بلفظ الجمع واعلم أن التهجد هو الصلاة بعد النوم ولم يعلم من التلاوة آناء الليل ان يكون بعد النوم بل يمكن قبله وتبع فى هذا الكشاف الا أن يقال المراد منه عدم النوم لاترك النوم كما هو معناه اللغوى (قوله بشارة لهم الخ) هذا كله بسبب ذكر قوله والله عليم بالمتقين بعد ذكر عدم الكفران اذ فى هذا الذكر اشعار بان عدم الكفران بسبب التقوى (قوله ما ينفق الكفرة الخ) لا يظهر وجه تخصيص الرياء بالمنافقين والسمعة بالكفرة فان الرياء قصد ارائهم والسمعة قصد اسماعهم وكل منهما يجرى فى كل منهما والاولى أن يقال ما ينفق الكفرة قربة أو (٣٨) مفاخرة وخوفا أو رياء أو سمعة (قوله أو نعت وصف به البرد) انما قدر له موصوف لانه اذا كان بمعنى الصفة كان بمعنى البارد فصار معنى الكلام كمثل ريح فيها برد قائم بالبرد فلزم برد ان فان قلت لا يخفى ان هذا المعنى الحقيقى غير مطابق الواقع فما وجهه ذلك قلنا معنى قولهم بردبارد برد شديد أو بالنسبة بطريق المجاز العقلى (قوله لان الاهلاك عن سخط أشد) أى انما شبهه بحرث قوم ظلموا أنفسهم لان اهلاك حرث القوم المذكور يكون عن سخط وهذا الاهلاك أشد فيفيد احباط أعمالهم أشد الاحباط (قوله وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يقل الخ) يعنى لما كان هذا التشبيه تشبيها للحالة المركبة من الانفاق وظهوره فى الدنيا دون الآخرة بالحالة المركبة الاخرى التى هى ظهور الحرث أو لانهم عروض الريح

اصحاب

المذكورة واهلاكهم لم يجعل كلمة التشبيه واردة على الحرث فعلم من ذلك أن التشبيه ههنا لم يكن تشبيه ما ينفقون بالحرث ولو كان كذلك لوجب اقتران كلمة التشبيه بالمشبه به الذى هو الحرث ووجه الشبه عدم الانتفاع بما شأنه النفع مع توقع الانتفاع والسعى فى تحصيله واعلم ان صاحب الكشاف ذكر فى تفسير قوله تعالى مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع انه لابد من تقدير مضاف وتقديره مثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق وقال العلامة التفتازانى انما وجب تقدير المضاف لان التشبيه وان كان مركبا لكن لا خفاء فى أن المناسبة تقتضى اضافة المثل فى الطرفين الى المتناسبين انتهى كلامه وعلى هذا يجب تقدير مضاف ههنا لكن ظاهر كلام الكشاف دال على انه لا يجب التقدير حيث قال هو من التشبيه المركب ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح أو مثل ما ينفقون

لاهل الكتاب (من أهل الكتاب أمة قائمة) استئناف لبيان نفى الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من أقمت العود فقام وهم الذين أسلموا منهم (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) يتلون القرآن فى تهجدهم عبر عنه بالتلاوة فى ساعات الليل مع السجود ليكون أبين وأبلغ فى المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان أهل الكتاب لا يصلونها لما روى انه عليه الصلاة والسلام أخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من أهل الاديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم (١١٥) (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات) صفات أخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين فى الليل مشركون بالله ملحدون فى صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون فى الاحتساب متباطؤن عن الخيرات (وأولئك من الصالحين) أى الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه (١١١) (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه) فان يضيع ولا ينقص ثوابه ألبتة سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائى وما يفعلوا من خير فان يكفروه بالياء والباقون بالتاء (والله عليم بالمتقين) بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو أهل التقوى (١١٢) (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) من العذاب أو من الغناء فيكون مصدرا (وأولئك أصحاب النار) ملازموها (هم فيها خالدون (١١٣) مثل ما ينفقون) ما ينفق الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة أو المنافقون رياء أو خوفا (فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر) برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو فى الاصل مصدر نعت به أو نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك بردبارد (أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعاصى (فاهلكته) عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط أشد والمراد تشبيه ما أنفقوا فى ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما فى الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يقل بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز أن يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث (وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) أى ما ظلم المنفقين ضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها أو ما ظلم

كمثل تلك ريح وهو الظاهر من عبارة المصنف أيضا فليتأمل (قوله وقرئ ولكن أنفسهم يظلمونها الخ) أي قرئ لكن بالتشديد حتى يكون من الحروف المشبهة بالفعل وعلى هذا يكون أنفسهم اسمها فيجب تقدير مفعول يظلمون ولا يجوز ان يكون أنفسهم مفعول يظلمون والا لوجب تقدير ضمير شأن ليكون اسمها لكن لا يجوز تقديره بعد لكن الا في الشعر بحسب الاستعمال (قوله ولكن من يبصر جفونك يعشق) انما قدر ههنا ضمير الشأن لان من يبصر الخ جملة شرطية جزاؤها يعشق فلو جعل من الشرطية اسما لكن لزم أن لا يكون للكن خبر فتعين أن يكون من الشرطية مع الجملة التي بعده خبرا والاسم محذوف ولا يصح أن يكون ههنا شئ مقدرا الا ضمير الشأن (قوله على تضمين معنى المنع أو النقص) فان قيل قوله هذا موافق لما قال في الكشاف هذا نحو قولهم لا ألوك جهدا ولا ألوك نصحا على التضمين والمعنى لا أمنعك نصحا ولا أنقصك ويفهم منه ان التضمين ليس بالمعنى المشهور الذي ذكر في أوائل الكتاب من انه جعل المتضمن فيه على معناه والمضمن حالا كما في أحد الله اليك ان المعنى أحد الله منتهيا اليك بل معنى التضمين ههنا استعمال اللفظ فيما يتضمنه ويستلزمه ولذا قال العلامة التفتازاني معنى لا ألوك جهدا لا أمنعك جهدا لان من قصر في حق فقد منعك شيأ مما انه صرح في أوائل الحاشية بان معنى التضمين أن يبقى الفعل المذكور على معناه الحقيقي مع حذف حال مأخوذ من الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية فقولنا أحد اليك فلانا أحد منتهيا اليك جده ويتأتى كيفيه على كذا معناه نادما على كذا وقد يعكس أي يجعل المذكور حالا والمضمن أصلا كما قال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى يؤمنون بالغيب ان

معناه يعترفون ولا بد من اعتبار الحال أي يعترفون به مؤمنين والا لكان مجازا محضا لا تضمينا فهذا المذكور في أوائل الحاشية مناقض لما ذكره ههنا فلنا ما ذكروا ههنا تحمل على الوجه الثاني من وجهي التضمين فيكون المعنى ههنا لا يمنعونكم خبالا مقصرين كما قالوا في تفسير يؤمنون بالغيب ان معناه يعترفون بالغيب مؤمنين فيكون

أصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن أي ولكن أنفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشأن لانه لا يحذف الا في ضرورة الشعر كقوله

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه * ولكن من يبصر جفونك يعشق

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) وليجة وهو الذي يعرفه الرجل أسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار (من دونكم) من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا أو بمحذوف هو صفة بطانة أي بطانة كائنة من دونكم (لا يألونكم خبالا) أي لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير وأصله ان يعدى بالحرف وعدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع أو النقص (وداوا ما عنتم) تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية (قد بدت البغضاء من أفواههم) أي في كلامهم لانهم لا يتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم (وما تخفي صدورهم أكبر) مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون) ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز أن تكون الثلاث الاول صفات لبطانة (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) أي أنتم أولاء الخاطؤن في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم وهو خبر ثان

نفيا للمنع والتقصير في الخبال فان النفي الوارد على الفعل المقيد قد يتوجه الى الفعل والقيد معا كما في قوله ما جئتك راكبا انما النفي المجيء والركوب معا وقد مر في كلام المصنف مثله فان قيل اذا صح المجاز فما وجه اعتبار التضمين وانه تكلف قلنا اعتبار زيادة المعنى لأنه في صورة المجاز يعتبر معنى واحد هو المعنى المجازي وفي صورة التضمين يعتبر معنيان المضمن والمضمن فيه فتأمل (قوله لان بدوه ليس عن روية واختيار) يعني انهم يبذلوا الجهد في خفاء البعض لكن قد يظهر منهم آثار البعض من غير اختيار تام فيكون ما يخفي صدورهم أكبر لانه حصل من بذل وسعهم وغاية جهدهم (قوله مستأنفات الخ) أي علل لعدم أخذ المؤمنين بطانة من دونهم والجمل الأربع هي قوله تعالى لا يألونكم خبالا وددوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات الآية فان كلا منها صالح لعدم أخذ البطانة المذكورة واما الجمل الثلاث فهي من قوله لا يألونكم خبالا الى قوله تعالى وما تخفي صدورهم أكبر والفرق بين الوجهين أنه على التقدير الاول يفيد عدم اتخاذ البطانة من دونهم مطلقا وعلى الثاني ان كانت الصفة مقيدة كان النهي مخصوصا بالمتصف بالصفات المذكورة فان كانت مبينة كانت عامة (قوله أو هو خبر ثان لأولاء) على الأول أولاء اشارة الى المؤمنين وعلى الثاني اشارة الى الكافرين المخالفين على قياس أنت زيد تحبه يمكن وجه آخر

أو خبر لاولاء والجملة خبر لأنتم كقولك أنت زيد تحبه أو صلته أو حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز أن ينصب أولاء بفعل مضمر يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا (وتؤمنون بالكتاب كله) بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) نفاقا وتغريرا (واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) من أجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام وأهله حتى يهلكوا به (ان الله عليم بذات الصدور) فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل أن يكون من المقول أي وقل لهم ان الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على أسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم (116) (ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة (وان تصبروا) على عداوتهم أو على مشاق التكاليف (وتتقوا) موالاتهم أو ما حرم الله جل جلاله عليكم (لا يضركم كيدهم شيأ) بفضل الله عز وجل وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن المحد في الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريأ على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره (ان الله بما تعملون) من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) أي محيط علمه فيجازيكم بما أنتم أهله وقرئ بالياء أي بما يعملون في عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه (117) (واذ غدوت) أي واذكر اذ غدوت (من أهلك) أي من حجرة عائشة رضي الله عنها (تبوئ المؤمنين) تنزلهم أو تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام (مقاعد للقتال) مواقف وأماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل أن تقوم من مقامك (والله سميع) لأقوالكم (عليم) بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه وقد دعا عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يدعه قبل فقال هو وأكثر الأنصار أقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وأشار بعضهم الى الخروج فقال عليه الصلاة والسلام رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى أعدائنا وبالغوا حتى دخل ولبس لأمته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى

(قوله أو صلته) أي صلة أولاء وهو اذا كان أولاء موصولا (قوله وفيه توبيخ الخ) هذا يستفاد من مجموع ما ذكر وهو حب المؤمنين لأهل الكتاب مع عدم ايمانهم بكتاب المؤمنين وايمان المؤمنين بكتابهم لكن ظاهر كلامه انه يستفاد من تؤمنون بالكتاب كله وتوجيهه ان تخصيص الايمان بكل الكتاب بالمؤمنين دال على ان غيرهم ليسوا كذلك فيدل على كونهم أصلب

(قوله دعاء عليهم الخ) عبارة الكشاف ان المراد بزيادة غيظهم زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز أهله فيكون دعاء زيادة الغيظ كناية عن دعاء قوة الاسلام وقال العلامة التفتازاني يشير الى ان هذا من كناية الكناية عبر بدعاء موتهم بالغيظ عن ملزومه الذي هو دعاء زيادة غيظهم الى حد الهلاك وبه عن ملزومه الذي هو قوة الاسلام وعز أهله فهو يفيد ان المقصود قوة الاسلام الموجب لغيظهم الموجب لهلاكهم فلا يحصل الترتيب المذكور بل المعنى مجموع ما ذكر من الدعاء بزيادة الغيظ وقوة الاسلام المفضي الى هلاكهم فتأمل (قوله ولا تتعجب) ظاهر النهي عن التعجب المذكور يفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم اطلاعه تعالى على ما في الصدور فالأولى الوجه الأول (قوله ولأن المجد) هذا يدل على ان الدعوى التي هي عدم ضير كيدهم أصلا مسبب عن الجد المذكور وفيه ما فيه لان الجراءة على الخصم لا تنافي ضير الخصم فالأولى الاقتصار على ما ذكره أولا كما فعله صاحب الكشاف فان قيل كيف وقع الضرر على المسلمين من كيد العدو يوم أحد قلنا هذا من عدم الصبر والتقوى لأن بعضهم خالف أمر النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر في السير وسيجيء

يقاتل

(قوله والظاهر انه ما كانت عزيمة الخ) أى ليس أمرا صادرا باختيارهم وقصدهم بل بمجرد خاطر وحديث نفس حصل بغير اختيار لأن العزيمة المذكورة لا تناسب من كان الله وليه وانما قال الظاهر لأنه يمكن حصول العزم ثم ولاية الله لهم بازالته والصبر والثبات على الحرب ومانقل فى الكشاف عن ابن عباس من انهم أضمروا أن يرجعوا فعصمهم الله يدل ظاهرا على انهم عزموا على الرجوع لأن أضمر ويدل على انهم قصدوا الرجوع باختيارهم وهذا هو العزم (٤١) (قوله لما يدل على قلتهم) لان هذا

يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بشعب أحد يوم السبت ونزل فى عدوة الوادى وجعل ظهره وعسكره الى أحد وسوى صفوفهم وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا[115] (اذهمت) متعلق بقوله سميع عليم أو بدل من اذ غدوت (طائفتان منكم) بنو سلمة من الخزرج و بنو حارثة من الأوس وكانا جناحى العسكر (أن تفشلا) ان تجبنا وتضعفا روى أنه عليه الصلاة والسلام خرج فى زهاء ألف رجل وعد لهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن أبى فى ثلثمائة رجل وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصارى وقال أنشدكم الله والاسلام فى نبيكم وأنفسكم فقال ان أبى لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فضوامع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر أهما كانت عزيمة لقوله تعالى (والله وليهما) أى عاصمهما من اتباع تلك الخطرة و يجوز أن يراد والله ناصرهما فلا يهما يفشلان ولا يتوكلان على الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أى فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر[116] (ولقد نصركم الله ببدر) تذكير ببعض ما أفادهم التوكل و بدرماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به (وأنتم أذلة) حال من الضمير وانما قال أذلة ولم يقل ذلائل تنبيها على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح (فاتقوا الله) فى الثبات (لعلكم تشكرون) بتقوا كم ما أنعم به عليكم من نصره أو لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لأنه سببه[120] (اذ تقول للمؤمنين) ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم أحد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة (ألن يكفيكم أن يمدكم بكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) انكار أن لا يكفيهم ذلك وانما جاء بلن اشعارا بأنهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل أمدهم الله يوم بدر أولا بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير أو للتدريج[124] (بلى) ايجاب لما بعد لن أى بلى يكفيكم ثم وعدهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال (ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم) أى المشركون (من فورهم هذا) من ساعتهم هذه وهو فى الأصل مصدر من فارت القدر اذ غلت فاستعير للسرعة ثم أطلق للحال التى لا ريث فيها ولا تراخى والمعنى ان يأتوكم فى الحال (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فى حال اتيانهم بلا تراخ ولا تأخير (مسومين) معلمين من التسويم الذى هو اظهار سيما الشئ لقوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت أو مسلمين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم و يعقوب بكسر الواو[122] (وما جعله الله) وما جعل امدادكم بالملائكة (الا بشرى لكم) الا بشارة لكم بالنصر

(٦ - (بيضاوى) - ثانى) فتشكرون لحذف الجملة والفاء وأقيم تشكرون موضع ما حذف (قوله اشعارا بانهم كالآيسين عن النصر) تبع فيه الكشاف فانه قال وانما جاء بلن الذى هو لتأكيد النفى للاشعار بأنهم كانوا فى قلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم كالآيسين من النصر وفيه شئ أن أحدهما ان كون لن لتأكيد النفى مما رده صاحب المغنى حيث قال ولا يفيد لن لتأكيد النفى خلافا للزمخشرى فى كشافه الثانى أنه ان سلم اشعار ما باليأس كان اشعاره باليأس من كفاية امداد الله لهم بالآلاف من الملائكة وليس من شأن المؤمنين أن يظنوا ان أمداد الله تعالى لهم بالآلاف من الملائكة غير كاف لهم والجواب ان هذا القول لهم يشعر بانهم لشدة يأسهم عن النصر

الوزن وزن جمع القلة (قوله أو لعلكم ينعم الله عليكم) هكذا عبارة الكشاف وقال العلامة التفتازانى يعنى انه كناية أو مجاز عن نيل نعمة أخرى توجب الشكر هذا كلامه يعنى انه يمكن ان جملة يشكرون كناية عن نيل نعمة أخرى فيكون المراد المعنى الغير الحقيقى مع جواز ارادة المعنى الحقيقى أو يجعل مجازا بان يراد المعنى الغير مع عدم جواز ارادة المعنى الحقيقى ولك أن تقول لا يخلو اما أن يكون ههنا صارف مانع عن ارادة المعنى الحقيقى أو لا فان كان الاول فلا يجوز ان يكون كناية وان كان الثانى فلا يجوز ان يكون مجازا فلا وجه للابهام بقوله انه كناية أو مجاز بل الحق انه كناية لانه لا مانع من ارادة الحقيقى والذى يخطر لى ان غرض صاحب الكشاف ان ههنا مقدرا وكانه فى الاصل لعلكم ينعم الله عليكم

لماذكرهم انكروا عدم كفاية امداد الله تعالى بالملائكة المذكورة (قوله أو وما بالنصر ان كان اللام فيه للعهد) اذا كان اللام للعهد كان المعنى النصر المعهود الواقع يوم بدر ليقطع طرفا من الذين كفروا ولا يخفى ان مطابق النصر ليس لماذكر (قوله للتنويع دون الترديد) لان القطع والكبت وقعا معا ولا يناسب الترديد الذي يكفي فيه أحدهما مبهما (قوله ويحتمل أن يكون معطوفا الخ) لا يخفى ان العطف المذكور على هذين الاحتمالين من عطف الخاص على العام لكن عطف الخاص على العام أو محل النظر بل لا يظهر التركيب على الاحتمال الثاني

وهو أن يكون العطف على شئ معنى ملائم ولعل صاحب الكشاف يضعف الاحتمالين المذكورين لماذكرنا قال وقيل ان أو يتوب منصوب باضمار ان وأن يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الامر أو على شئ وكانه لم يستحسن هذا الوجه ولم يرتض به والمصنف ذهل عما أشار اليه صاحب الكشاف فجزم بالاحتمال المذكور (قوله صريح في نفي وجوب التعذيب الخ) لانه علق بالمشيئة فلو كان واجبا لما صح تعليقه بها ثم ان التقييد بالتوبة وعدمها وهو أن يكون المعنى يغفر لمن يشاء بالتوبة ويعذب من يشاء بعدمها كالمنافي لظاهر الآية اذ هو يدل على انهما معلقان بالمشيئة مطلقا لكن التقييدين المذكورين منافيان للاطلاق المذكور واعلم ان التعليق بالمشيئة كما ذكرنا يفيد بحسب الظاهر ان لا وجوب لاحدهما لكن مذهب المعتزلة انه يجب التعذيب لمن لم يتب وبين هذين الامرين تناف وانما قال كالمنافي لاحتمال أن يكون المراد من الآية التقييد وان كان خلاف الظاهر جدا (قوله ولعل التخصيص بحسب الواقع الخ) ليس المراد من قوله تعالى أضعافا مضاعفة ان هذا النوع من الربا حرام دون غيره لتخصيصه بالذكر لاجل ان بعض الناس كان يأكل الربا أضعافا مضاعفة فنزلت الآية في شأنه (قوله وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة) أي المقصود بالذات من خلق النار عذاب الكافرين وأما قصد عذاب العصاة بها فانما هو لاجل تشبههم بالكفار (قوله دليل عزة التوصل الخ) أي قلة التوصل الى ما جعل خبر الواحد منهما وهو الرحمة فيما نحن فيه وانما كان دليلا عليها اذ المفهوم من ظاهر ان طاعة الله والرسول لا توجب الجزم بالرحمة مثلا واذا كان كذلك

(ولتطمئن قلوبكم به) ولتسكن اليه من الخوف (وما النصر الا من عند الله) لا من العدة والعدد وهو تنبيه على أنه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما أمدهم وعدهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العالقة الى الأسباب أكثر وحثا على ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم (العزيز) الذي لا يغالب في أقضيته (الحكيم) الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة (ليقطع طرفا من الذين كفروا) متعلق بنصركم أو وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض وأسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من صناديدهم (أو يكبتهم) أو يخزيهم والكبت شدة الغيظ أو وهن يقع في القلب أو للتنويع دون الترديد (فينقلبوا خائبين) فينهزموا منقطعي الآمال (ليس لك من الأمر شئ) اعتراض (أو يتوب عليهم أو يعذبهم) عطف على قوله أو يكبتهم والمعنى ان الله مالك أمرهم فاما أن يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم ان أسلموا أو يعذبهم ان أصروا وليس لك من أمرهم شئ وانما أنت عبد مأمور لا نذار هم وجهادهم ويحتمل أن يكون معطوفا على الأمر أو شئ باضمار ان أي ليس لك من أمرهم أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم شئ أو ليس لك من أمرهم شئ أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وان تكون أو بمعنى الا أن أي ليس لك من أمرهم شئ الا أن يتوب الله عليهم فتسر به أو يعذبهم فتشفي منهم روي ان عتبة بن أبي وقاص شجه يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بأن فيهم من يؤمن (فانهم ظالمون) فاستحقوا التعذيب بظلمهم (ولله ما في السموات وما في الأرض) خلقا وملكا فله الامر كله لا لك (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له (والله غفور رحيم) لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة) لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى أجل ثم يزيد فيه زيادة أخرى حتى يستغرق بالشئ اليسير مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة (واتقوا الله) فيما نهيتم عنه (لعلكم تفلحون) راجين الفلاح (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) بالتحذير عن متابعتهم وتعاطي أفعالهم وفيه تنبيه على أن النار بالذات معدة للكافرين وبالعرض للعصاة (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في أمثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له (وسارعوا) بادروا

واقبلوا

كان الوصول اليها عزيزا فيكون المراد من القلة لذلة الاضافية لانه لما لا تستلزم الطاعة الرحمة فقد تتخلف الاولى عن الثانية لشقاوة الخاتمة نعوذ بالله فوجود الثانية بالنسبة الى الاولى قليل فان قيل لا يخفى أن اطاعة الله والرسول تستلزم الرحمة مع ان بعضهم صرحوا بان عسى ولعل فى القرآن الكريم للايجاب وكلام صاحب الكشاف فى تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون فى أوائل سورة البقرة قريب من هذا قلنا وان كان الامر كذلك لكن ايراد لعل التى هى فى الاصل بمعنى الرجاء يفيد بحسب الظاهر نظرا الى معناه الحقيقى أن اطاعة الله والرسول لا تستلزم الرحمة فيكون الوصول اليها عزيزا قليلا وفيه مافيه والاولى أن يقال ان المراد من عزة التوصل قوة شرف التوصل بالمذكورة والدليل عليه انه لما كان لعل مفيدا بحسب الظاهر لعدم استلزام الطاعة المذكورة الرحمة كان الوصول اليها فى غاية الشرف (قوله وانها خارجة عن هذا العالم) أى عن السموات والأرض اذ ثبت أن عرض الجنة مساو لعرضهما فلو لم تكن خارجة عنهما لزم تداخل أحدهما أى أحد المتساويين فى الآخر فلزم تداخل الاجسام (٤٣) وهذا مطابق لما روى عن أنس رضى الله عنه انه قال الجنة فوق السموات السبع تحت العرش وأيضا اذا كان العرض الذى هو أقصر الامتدادين مساويا للسموات والارض فطولها الذى هو أطول الامتدادين أعظم منهما فيجب أن تكون الجنة خارجة عنهما وفيه نظر فتأمل فان قيل هذا يفهم من قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض فلم خصصه بانه مفهوم من أعدت قلنا معنى كونها خارجة عن هذا العالم ان مكانها خارج عن مكان هذا العالم الذى هو السموات والارض ولا يفهم من كون عرض الجنة كعرض السموات

وأقيموا (الى مغفرة من ربكم) الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو (وجنة عرضها السموات والارض) أى عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول ومن ابن عباس كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض (أعدت للمتقين) هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم (الذين ينفقون) صفة مادحة للمتقين أو مدح منصوب أو مرفوع (فى السراء والضراء) فى حالتى الرخاء والشدة أو الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة أو مضرة أى لا يخلون فى حال ما بل ينفاق مقدار واعليه من قليل أو كثير (والكاظمين الغيظ) الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا (والعافين عن الناس) التاركين عقوبة من استحقوها مؤاخذته وعن النبى عليه الصلاة والسلام ان هؤلاء فى أمتى قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت (والله يحب المحسنين) يحتمل الجنس و يدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم (والذين اذا فعلوا فاحشة) فعلة بالغة فى القبح كالزنى (أو ظلموا أنفسهم) بان أذنبوا أى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك (ذكروا الله) تذكروا وعيده أو حكمه أو عظيم (فاستغفروا لذنوبهم) بالندم والتوبة (ومن يغفر الذنوب الا الله) استفهام بمعنى النفى معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار ولوعد بقبول التوبة (ولم يصروا على ما فعلوا) ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر وان عاد فى

والارض انها خارجة عن هذا العالم أى مكانها خارج عن مكانهما اذ يمكن أن تعدم السموات والارض وتوجد الجنة مكانهما فكان عرضها كعرضهما مع ان مكانها على هذا التفسير عين مكانهما لا خارجا عنه فلا يلزم خروجها عن هذا العالم بل يفهم ما ذكر من أعدت للمتقين اذ لما كانت الجنة موجودة الآن ولا يمكن أن لا يكون مكانها خارجا عن مكانهما للزوم التداخل لزم أن تكون الجنة خارجة عنهما واعلم أن العلامة التفتازانى ذكر فى تفسير كلام الكشاف ان المراد من التشبيه المذكور المبالغة فى تساع الجنة وليس القصد تحديد عرض الجنة ليمتنع كونها فى السماء هذا كلامه ولا يخفى ان هذا مناف لكلام المصنف وهو انه يفهم من الآية كون الجنة خارجة عن هذا العالم (قوله أو مدح منصوب أو مرفوع) فالاول أن يكون بتقدير أمدح الذين ينفقون والثانى أن يكون بتقديرهم الذين ينفقون (قوله بالندم الخ) أراد ان لا يكتفى أن يقول المذنب أستغفر الله بل يجب التوبة والندم (قوله تذكروا) انما فسره بذلك ليعلم أن المراد بالذكر الذكر القلبى لا اللسانى والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعمومها المغفرة ان قيل المفهوم من قوله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله حصر المغفرة وقصرها عليه وأما سعتها وعمومها فكيف يفهم قلت يفهم من ايراد الجمع المحلى باللام اذ يفهم ان كل ذنب صدر من الشخص

لا يغفره الا الله وهو يستلزم سعة المغفرة (قوله تعالى وهم يعلمون) اشارة الى ان من لم يعلم كونه فعل ذنبا وأصر به بسبب جهله فلعله كان مغفو والعلم أن صاحب الكشاف صرح بان النفي منصب على الفعل والقيد وفسره العلامة التفتازاني بان النفي متوجه على الاصرار من غير اعتبار نفي القيد واثباته وقال هو المناسب للآية أقول بل لا يمكن أن يتوجه النفي الى القيد وهو العلم والقيد

والقيد معا لان ماسبق وهو قوله تعالى فاستغفروا لذنوبهم يدل على علمهم (قوله جملة مستأنفة الخ) أي ان عطفت والذين اذا فعلوا فاحشة على المتقين أو على صفته وهي الذين ينفقون كان أولئك الخ جملة مستأنفة والفرق بين هذين الوجهين ان الذين اذا فعلوا الخ على الوجه الاول غير المتقين وعلى الثاني داخل فيهم (قوله وتنكير جنات على الاول الخ) أي على كونه خبرا لقوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة يدل تنكير جنات على ماذكر وجه الدلالة ان تنكير جنات التي هي جمع قلة يدل على التقليل فيكون فيه تقليلان أي لهم جنات قليلة بالنسبة الى الجنة التي هي عرضها السموات والارض أعدت للمتقين (قوله مستوجبون) هذا بظاهره مخالف لكلام أهل السنة ويمكن أن يراد من الاستيجاب الالزام عادة (قوله هذه النكتة) أي للاشعار بان العامل المذكور كالاجير (قوله فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين) انما قال ذلك لان أصل الهدى والموعظة قد حصل للمتقين بحتمل (قوله قد خلت اعتراض الخ) هذا على التقدير الاخير (قوله وحالكم انكم أعلى شأنا منهم) يفيد علوشأن الكافرين لكن ليس لهم علوا لانظرا الى أمور الدنيا أوغلبتهم على المؤمنين يوم أحد ولو قيل المراد بالاعلى ههنا المبالغة في العلو لكان أولى (قوله ونداولها

اليوم سبعين مرة (وهم يعلمون) حال من يصروا أي ولم يصر واعلى قبيح فعلهم عالمين به (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين أوعلى الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم أدون مما للمتقين الموفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين أنه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله (ونعم أجر العاملين) لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض مافوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر هذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم أجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات (قد خلت من قبلكم سنن) وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل أمم قال

ماعاين الناس من فضل كفضلكمو * ولا رأوا مثله في سالف السنن

(فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) لتعتبروا وانما تر ون من آثارهلاكهم (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) اشارة الى قوله قد خلت أومفهوم قوله فانظروا أي أنه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين أو الى ماخلص من أمر المتقين والتائبين وقوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن (ولا تهنوا ولا تحزنوا) تسلية لهم عما أصابهم يوم أحد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم (وأنتم الاعلون) وحالكم انكم أعلى منهم شأنا فانكم على الحق وقتلاكم لله وقتلاؤكم في الجنة وانهم على الباطل وقتلاهم للشيطان وقتلاهم في النار أولانكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم أو وأنتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالنهي أي لانهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله أو بالاعلون (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) قرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها والمعنى ان أصابوا منكم يوم أحد فقد أصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم أولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم أحد فان المسلمين بالوانهم قبل ان يخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم (وتلك الايام نداولها بين الناس) نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقوله

فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر

والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشئ بينهم فتداولوه والأيام تحتمل الوصف والخبر ونداولها

يحتمل الخبر والحال) اذا كانت الأيام وصفا كان نداولها خبرا وان كان خبرا يحتمل أن يكون نداولها خبرا وان يكون حالا (قوله ليكون كيت وكيت الخ) أى ليكون قتل الكافرين ودخولهم جهنم وشهادة المسلمين ودخولهم الجنة ورفعة الاسلام (قوله والقصد فى أمثاله الخ) أى الغرض من تعليل الشئ بحصول علمه تعالى مثلا أو نفيه ليس حصول علمه تعالى أو نفيه بل الغرض من قوله وليعلم الله الذين آمنوا مثلا وجود المؤمنين التائبين بطريق البرهان فان علمه تعالى بهم دليل على ثبوتهم وحينئذ نقول لا يخفى اما أن يكون المراد من اثبات المعلوم اثباته فى الخارج فيلزم أن يكون ثبوته فى الخارج أزليا والا لم يصح الاستدلال من علمه تعالى على ثبوته اذ صحة الاستدلال انما هو بالاستلزام أو يكون المراد اثباته فى علم الله تعالى ولا يخفى أن اثباته فى علم الله تعالى وعلمه تعالى به واحد فلا وجه للحكم بالقصد الى الاول دون الثانى والجواب باختيار الاول ولا يلزم أزلية المعلوم فى الخارج لان المراد من العلم هو تعلق العلم الحادث أى التعلق بالموجود الحالى فتأمل (قوله أو يتخذ منكم شهودا معدلين الخ) قال فى الكشاف أو وليتخذ منكم بالشهادة من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة بما يبتلى به صبركم على الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس انتهى وفيه ان كونهم شهداء على الناس بواسطة كونهم عدولا وأفضل من غيرهم من الامم وكونهم كذلك موجب لصلوح الشهادة اما صبرهم على الشدائد فكونه موجبا لصلوح كونهم شهودا لا يخلو عن خفاء الا أن يقال الصبر على الشدائد فى سبيل الله ينبئ عن قوة الايمان وهى تنبئ عن العدالة وهى موجبة لصلوح كونهم شهودا والاولى أن يقال المراد من الصبر على الشدائد الجهاد ومن لم يصبر عليها وفر من الجهاد صار صاحب الذنب الكبير وخرج عن العدالة على التفصيل المذكور فى كتب الفقه (قوله تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة الخ) لما كان الاستفهام للانكار دل الكلام على ان دخول الجنة لا يكون بدون الجهاد وليس كذلك الا أن يقال المراد دخول الجنة أول الامر لكن المتخلف عن الجهاد من غير عذر لا يدخلها الا بعد دخول النار لجزاء التخلف فتأمل (قوله ولم تجاهدوا) دل على ان نفى العلم بالمجاهدين كناية عن نفى الجهاد (قوله على ان أصله يعلمن) أى بنون التأكيد تشبيها للنفى بالنهى على ان الواو للجمع لكن المقصود نفى الامرين جميعا (قوله وهو توبيخ لهم الخ) فان قيل مم انهزامهم يستفاد قلنا من معاينة الموت وقتل اخوانهم اذ فيه اشعار بانهم لو لم ينهزموا لقتلوا كاخوانهم وعبارة صاحب الكشاف أى رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من اخوانكم وأقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذه العبارة أوضح دلالة على انهزامهم اذ يفهم منها انهم شارفوا على القتل فلو لم ينهزموا لقتلوا كاخوانهم (قوله فان فى تمنيها تمنى

يحتمل الخبر والحال والمراد بها أوقات النصر والغلبة (وليعلم الله الذين آمنوا) عطف على علة محذوفة أى نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم أو الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد فى أمثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشئ موجودا (ويتخذ منكم شهداء) ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء أحد أو يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد (والله لا يحب الظالمين) الذين يضمرون خلاف ما يظهرون أو الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على أنه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم أحيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين (135) (وليمحص الله الذين آمنوا) ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم (ويمحق الكافرين) ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشئ قليلا قليلا (136) (أم حسبتم ان تدخلوا الجنة) بل أحسبتم ومعناه الانكار (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ولما تجاهدوا وفيه دليل على ان الجهاد فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان أصله يعلمن فحذفت النون (ويعلم الصابرين) نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كأنه قال ولما تجاهدوا وأنتم صابرون (137) (ولقد كنتم تمنون الموت) أى الحرب فانها من أسباب الموت أو الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم أحد على الخروج (من قبل ان تلقوه) من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) أى فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها أو على تمنى الشهادة فان فى تمنيها تمنى

غلبة الكفار) أي الثاني في ضمن الاول وان لم يكن قصدهم الامر الثاني والتوبيخ لتقصيرهم في النظر حتى يعلموا استلزام الاول الثاني (قوله ووعد للرسول بالحفظ وتأخير الاجل) فيه خفاء اذ لا يفهم مما ذكر وهو كون الموت بالأجل وأنه باذن الله تعالى الحفظ ولا تأخير الاجل بل يفهم مجرد التشجيع وان الجهاد والحرب لا يغير الاجل المعين واعلم ان صاحب الكشاف قال ان من فوائده ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتثامهم عليه من الحفظ والكلاءة وتأخير الاجل وهذا كلام صحيح وأما كونه وعدا على ما ذكر المصنف ففيه نظر ويحتاج ما ذكره الى شئ آخر والفرق بين ما ذكره صاحب الكشاف وبين ما ذكره المصنف ان الآية على قول صاحب الكشاف تذكير ما وقع في الماضي (٤٦) وعلى ما ذكره المصنف وعد النبي صلى الله عليه وسلم بما سيجيء في المستقبل

غلبة الكفار[138] (ومامحمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا بالموت أو القتل (أفان مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم) انكار لارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين لخلوه بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله و بقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد وفاته روى أنه لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى أنه قتل النبي عليه الصلاة والسلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس ورجعل الرسول عليه الصلاة والسلام يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنه يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك مما يقول هؤلاء وأبرأ اليك منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت (ومن ينقلب على عقبيه فان يضر الله شيأ) بارتداده بل يضر نفسه (وسيجزي الله الشاكرين) على نعمة الاسلام بالثبات عليه كأنس واضرابه[139] (وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله) الا بمشيئة الله تعالى أو باذنه لملك الموت عليه الصلاة والسلام في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس أجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخر ون عنه ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ وتأخير الاجل (كتابا) مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) صفة له أي مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم أحد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم وأخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك أقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانهزم المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) أي من ثوابها (وسنجزي الشاكرين) الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ عن الجهاد[140] (وكأين) أصله أي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين ثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكأن كذلك عن وجهه أنه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم

(قوله انكار لارتدادهم) الى قوله بعد علمهم بخلو الرسل قبله و بقاء دينهم متمسكا به فجعل الفاء للتعقيب ويفهم مما ذكر ان ههنا مقدرا وكانه قيل وعلم تحقق موتهم و بقاء دينهم متمسكا به أفان مات الخ فيكون انكار الارتدادهم وانقلابهم بخلوه عليه الصلاة والسلام بعد علمهم بما ذكر أي بعد العلم بما ذكر يجب عدم الارتداد لا الارتداد (قوله وقيل الفاء للسببية الخ) هذا كلام صاحب الكشاف وتبعه المعلقون عليه وغيرهم وفيه نظر اذ لا معنى لجعل خلو الرسل و بقاء دينهم متمسكا به سببا لما ذكر حتى يحتاج الى انكاره بل يجب ان يجعل الاول سببا لنقيض ما ذكر اللهم الا أن يتكلف تكلفا بعيدا والوجه أن يقال ان الفاء في مثل هذا المقام مقدم على الهمزة في التقدير لكن قدمت الهمزة لصدارتها من حيث الاستفهام والتقدير فان مات الخ فتكون الباء للسببية حاصل الرسل بقاء دينهم لا انكار ارتدادهم بموته صلى الله عليه وسلم أي لما خلت الرسل و بقي دينهم بعدهم ينبغي ان لا يصير وا مرتدين بعد موته صلى الله عليه وسلم واعلم ان ما قلنا من ان الهمزة مؤخرة في التقدير عن حرف العطف في مثل هذا المقام المذكور هو مذهب الجمهور قال صاحب المغني اذا كانت الهمزة في جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو ثم فقدمت على العاطف فنبهوا على اصالتها في التصدير و تجعل أخواتها متأخرة عن حرف العطف كما هو قياس جميع أجزاء الجملة المعطوفة نحو وكيف تكفرون والى أين تذهبون هذا مذهب سيبويه والجمهور ومن الناس من فهم خلاف ما ذكرنا وهو أن الهمزة في مثل هذا المقام مؤخرة عن حرف العطف وهو مذهب الزمخشري انتهى وهذا المذهب أوقع الزمخشري فيما ذكر

(قوله ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد) لان هذا البناء يدل على التكثير فالانسب أن يكون قتل مسندا الى الجماعة التي هم الربيون حتى يتحقق الكثرة وفيه ان النبي متعدد في المعنى لان كأين للكثرة ويمكن الجواب بان الكثرة أنسب بالربيين لانهم أمم الانبياء والامم أكثر من أتباعهم وأيضا كثرة النبي باعتبار المعنى وكثرة الربيين باعتبار اللفظ والثاني أولى بالاعتبار وبالجملة فادة الكثرة في الربيين أظهر من كائن من نبي ويؤيد ما ذكرنا افراد ضمير منه الراجع الى النبي (قوله وهذا تعريض بما أصابهم الخ) فان بعض المؤمنين ضعفوا واستكانوا حيث قالوا ليت ابن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان (قوله ليكون عن خضوع وطهارة الخ) أي أخروا طلب التثبيت عن دعاء مغفرة الذنوب ليكون دعاء التثبيت أقرب الى الاجابة لان دعاء الطاهر من ذنوبه الخاضع لله أقرب الى الاجابة (قوله لان ان قالوا أعرف) وحق الاعرف ان يكون مسندا اليه (قوله لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث) أي دلالته على ان نسبة القول اليهم بطريق صدوره عنهم فان قالوا صريح في انهم فاعلو القول فتكون نسبة القول اليهم بجهة الفاعلية بخلاف قولهم فانه ليس في الاضافة تصريح بانهم فاعلو القول المذكور اذ يكفي في الاضافة أدنى ملابسة

ربعملي في لعمري فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم أبدلت الياء الاخرى ألفا كما أبدلت من طائي (من نبي) بيان له (قاتل معه ربيون كثير) ربانيون علماء أتقياء أو عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون أو ضمير النبي ومعه ربيون حال منه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله) فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما أصابهم من قتل النبي أو بعضهم (وما ضعفوا) عن العدو أو في الدين (وما استكانوا) وما خضعوا للعدو وأصله استكنن من الكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة أو استكنوا من الكون لانه يطلب من نفسه أن يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما أصابهم عند الارجاف بقتله عليه الصلاة والسلام (والله يحب الصابرين) فينصرهم ويعظم قدرهم (وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) أي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى أنفسهم هضما لها واضافة لما أصابهم الى سوء أعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون أقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لأن أن قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عند الله (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم) أي الى الكفر (على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا ما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان وأشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم (بل الله مولاكم) ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل أطيعوا الله مولاكم (وهو خير الناصرين) فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى أبو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا أن يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن (بما أشركوا بالله بسبب اشراكهم به (ما لم ينزل به سلطانا) أي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطانا وهو كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * وأصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان (ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) أي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر

(قوله بسبب الاستغفار الخ) هذه السببية تستفاد من الفاء (قوله بالضم) أي بضم العين (قوله وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر) أي المراد من قوله تعالى ما لم ينزل به سلطانا انهم جعلوا شركاءه ما ليس لهم حجة في الواقع على كونهم شركاء ولا تنزل أيضا والغرض دفع ان يتوهم مما لم ينزل انه حجة في الواقع لكن لم تنزل كما ان الظاهر من المصراع المذكور نفي الانجحار وان كان المقصود ان ليس بها ضب ولا انجحار (قوله فوضع الظاهر موضع المضمر) أي وضع مثوى الظالمين موضع مثواهم للتغليظ فان وصف الظلم يوجب تغليظ

الامر على الظالم ولذكر علة سوء المثوى فان الظالم يستحق ان يكون مثواه سيأ (قوله من أحسه اذ أبطل حسه) هذا لا يخلو عن بعد وقول الصحاح يدل على ان أصل معنى حس قيل قال حسناهم بمعنى استأصلناهم قتلا قال تعالى اذ تحسونهم باذنه وكلام الكشاف يوافق كلام الصحاح (قوله تفضلا (٤٨) ولما علم من ندمهم على المخالفة) يفهم منه ان العفو عنهم لما علم من ندمهم على المخالفة ليس بطريق التفضل ويمكن ان يقال ان المراد ان العفو انما يمجرد التفضل من غير النظر الى ما يصدر منهم من الندم على المخالفة أو التفضل بسبب الندم بان يكون الندم سببا عاديا (قوله كما ذكر) فيه ان يكون المعنى اذ كر محمد اذ تصعدون فيكون النبي من جلتهم لكنه ليس كذلك كما فهم من الآية وهذا الاعتراض لم يرد على الكشاف لانه ذكر ان بعضهم قرأ يصعدون بالياء فيحتمل بالياء ان يكون تقدير اذكر على هذا الاحتمال والجواب ان المقصود ان المقدر فعل من جنس أذكر وهو اذكروا فيكون الخطاب للمعتدين واما ما جوزه العلامة التفتازاني من انه من قبيل يا أيها النبي اذا طلقتم النساء ففيه ما ذكر (قوله ونعاسا بدل الاشتمال) لانه ينتظر السامع ان ازال الأمنة باى طريق كان فأفهم البدل انه بالنعاس (قوله وأمنة حال منه متقدمة) على ما هو القاعدة من انه اذا كان صاحب الحال نكرة يجب تقديم الحال عليه امثالا بتنبس بالصفة في (قوله أو مفعوله) عطف على قوله نصب على المفعول (قوله أو وقعتهم أنفسهم الخ) يقال أهمه الامر يعنيين أحدهما أحزنه الأمر وأقلقه والآخر كان الامر مهما له فالتفسير الاول مأخوذ من المعنى الاول والثاني من المعنى الثاني والحصر المذكور مستفاد من المقام لان الكلام في حكاية شدة الأمر بدليل قوله تعالى يظنون بالله الخ وهو الظن المختص بالملة الجاهلية كقوله حاتم الجود

للتغليظ والتعليل (٤٥) (ولقد صدقكم الله وعده) أي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما أقبلوا جعل الرماة يرشقونهم بالنبل والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم (اذ تحسونهم باذنه) تقتلونهم من حسه اذا أبطل حسه (حتى اذا فشلتم) جبنتم وضعف رأيكم أو ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل (وتنازعتم في الامر) يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم قمنا وقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف أمر الرسول فثبت مكانه أميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون وهو المعنى بقوله (وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون) من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم (٤٦) (منكم من يريد الدنيا) وهم التاركون المركز للغنيمة (ومنكم من يريد الآخرة) وهم الثابتون محافظة على أمر الرسول عليه السلام (ثم صرفكم عنهم) ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم (ليبتليكم) على المصائب و يمتحن ثباتكم على الايمان عندها (ولقد عفا عنكم) تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة (والله ذو فضل على المؤمنين) يتفضل عليهم بالعفو أو في الاحوال كلها سواء أديل لهم أو عليهم اذ الابتلاء لا يضار حمة (٤٧) (اذ تصعدون) متعلق بصرفكم أو ليبتليكم أو بمقدر كاذكروا الاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال أصعد نا من مكة الى المدينة (ولا تلوون على أحد) لا يقف أحد لاحد ولا ينتظره (والرسول يدعوكم) كان يقول الى عباد الله الى عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة (في أخراكم) في ساقتكم أو جماعتكم الاخرى (فأثابكم غما بغم) عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم أو فجازاكم غما بسبب غم أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت ولا ضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما أصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فأثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم أي فآساكم في الاغمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثر بكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما أصابكم من الهزيمة (والله خبير بما تعملون) عليم بأعمالكم و بما قصدتم بها (٤٨) (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا) أنزل الله عليكم الامن حتى أخذ كم النعاس وعن أبي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها أو هو المفعول وأمنة حال منه متقدمة أو مفعول له أو حال من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على انه جمع آمن كبار و بررة وقرئ أمنة بسكون الميم كأنها المرة من الامن (يغشى طائفة منكم) أي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا (وطائفة) هم المنافقون (قد أهمتهم أنفسهم) أوقعتهم أنفسهم

(قوله أو استئناف على وجه البيان لما قبله) فيكون ايقاعا أنفسهم هو الظن المذكور (قوله وهو الظن المختص الخ) فيكون اضافة الظن الى الجاهلية للاختصاص كقولهم حاتم جود و رجل صدق (قوله فلم يبق لنا من الامر شئ) فيكون الاستفهام انكاريا فيكون بمعنى النفى (قوله أو هل يزول عنا الخ) فيكون الاستفهام حقيقيا (٤٩) (قوله من الاخلاص والنفاق) هذا يدل على ان الخطاب فى هذه الآية مع المؤمنين والمنافقين معا فان اظهار الاخلاص يناسب المؤمنين واظهار النفاق يناسب المنافقين لكن سوق الآية يدل على ان الخطاب مع المنافقين فقط لان المخاطبين هم الذين يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا ولا ينفى انهم المنافقون لا المخلصون والعجب ان صاحب الكشاف جعل الخطاب مخصوصا بالمؤمنين فالاعتراض عليه أقوى

(قوله أى وفعل ذلك ليبتلى) فان قيل ما المعطوف عليه قلنا يمكن أن يكون فيكون تحت قل أى وقل فعل الله ذلك ليبتلى (قوله ويخلصه من الوساوس) معناه مافى القلوب من الوساوس أى يجعله مجردا عن مقارنة الوساوس فيكون الاعتقاد خالصا عن شائبته وهذا كما مر من ان يقال وليمحص ما فى قلوبكم فان تمحيص القلوب تجردها من الوساوس وهذا لا يستلزم بقاء الاعتقاد الصحيح بل يجوز

فى الهموم أو مابهمهم الاهم أنفسهم وطلب خلاصها (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) صفة أخرى لطائفة أو حال أو استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر أى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يحق أن يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية وأهلها (يقولون) أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من يظنون (هل لنا من الامر من شئ) هل لنا مما أمر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل أخبر ابن أبى بقتل بنى الخزرج فقال ذلك والمعنى انا نمنعنا تدبير أنفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شئ أو هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شئ (قل ان الامر كله لله) أى الغلبة الحقيقية لله تعالى ولأوليائه فان حزب الله هم الغالبون أو القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ أبو عمرو و يعقوب كله بالرفع على الابتداء (يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك) حال من ضمير يقولون أى يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون النصر مبطنين الانكار والتكذيب (يقولون) أى فى أنفسهم واذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون أو استئناف على وجه البيان له (لو كان لنا من الامر شئ) كما وعد محمد أو زعم ان الامر كله لله ولاوليائه أو لو كان لنا اختيار وتدبير ولم نبرح كما كان رأى ابن أبى وغيره (ما قتلنا ههنا) لما غلبنا أو لما قتل من قتل منا فى هذه المعركة (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) أى لخرج الذى قدر الله عليهم القتل وكتبه فى اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفعهم الاقامة بالمدينة ولم ينج منهم أحد فانه قدر الامور ودبرها فى سابق قضائه لا معقب لحكمه (وليبتلى الله ما فى صدوركم) وليمتحن ما فى صدوركم و يظهر سرائرهم من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف أى وفعل ذلك ليبتلى أو عطف على محذوف أى ليرز لنفاذ القضاء وأصالح الحجة وللابتلاء أو على قوله لكيلا تحزنوا (وليمحص ما فى قلوبكم) وايكشفه و يميزه أو يخلصه من الوساوس (والله عليم بذات الصدور) بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد و وعيد وتنبيه على انه غنى عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين (٤٩) (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) يعنى ان الذين انهزموا يوم أحد انما كان السبب فى انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بالمخالفة التى صلى الله عليه وسلم بترك المركز والحرص على الغنيمة أو الحياة فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصى يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتال قبل اخلاص التوبة والخروج من المظالمة (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بعقوبة الذنب كى يتوب (٥٠) (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) يعنى المنافقين (وقالوا لاخوانهم) لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم فى النسب أو المذهب (اذا ضربوا فى الارض) اذا سافروا فيها أو أبعدوا للتجارة أو غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية (أو كانوا غزا) جمع غاز كعاف وعفى (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا)

تكون ساذجة لا يتصور فيها شئ وههنا نظر لما قد أثبتنا ان الخطاب مع المنافقين وهو لا يناسب التخليص من الوساوس (قوله لاجلهم وفيهم) الباعث على هذين التأويلين ان قالوا لاخوانهم بدل بحسب الظاهر على ان الاخوان مخاطبون لكنهم ليسوا كذلك كما سيصرح به (قوله لكنه جاء على حكاية الحال الماضية)

هذه الحكاية على ماذكروا هي ان تقدر نفسك كانك موجود في ذلك الزمان الماضي أوكانه موجود الآن واعلم ان المصنف تبع فيها ذكر صاحب الكشاف واعترض المعلقون عليه بان حكاية الحال الماضية انما تكون حيث يؤتى بصيغة الحال والمذكور ههنا صيغة الاستقبال لان معنى اذا ضربتم براحتين يضربون في المستقبل قال الزجاج اذا هذا لمجرد الزمان وقال قطرب كلة اذ واذا يقوم كل منهما مقام الآخر وهذان الجوابان مبنيان على استعمال اذا في غير المستقبل وهذا ان لم يوجد في استعمال العرب لكن القرآن أولى بان يستشهد به وهو حجة على غيره (٥٠) وليس غيره حجة عليه كما صرح بذلك كله العلامة النيسابوري (قوله يعني المنافقين) الدال على انهم منافقون ما في قوله يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك (قوله على ان يكون اللام لام العاقبة) أي ليست اللام لام العلة لان جعل الحسرة في القلوب لا يكون علة باعثة على القول المذكور (قوله حسرة في قلوبهم خاصة) انما قال خاصة لان الاعتقاد المذكور حسرة في قلوبهم سواء كان المؤمنون مثلهم أولا فلم يقل خاصة لزم ان لا يكون الاعتقاد المذكور حسرة اذا وافقهم المؤمنون لكن ليس كذلك فاذا قيل خاصة صح الكلام لان عدم موافقة المؤمنين لهم موجب لكون الاعتقاد المذكور حسرة في قلوبهم خاصة دون قلوب المؤمنين (قوله تعالى ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم الآيتين) فان قيل لم قدم القتل في الاية الاولى وأخر في الثانية قلنا لانه رتب في الآية الاولى المغفرة والثواب على ما تقدم فكان تقديم القتل أنسب لان ثوابه أكثر واما في الآية الثانية فلما رتب فيها الحشر وكان مساويا بالنسبة الى الموت والقتل وكان الموت أكثر كان تقديم الموت أنسب (قوله جواب القسم) فاللام في لمغفرة لام جواب القسم واللام في ولئن متم اللام الموطئة للقسم (قوله فما ينالون المغفرة والرحمة الخ) تخصيص هذا بالذكر صريح في ان المخاطبين هم المؤمنون حقا (قوله بطره على جاشه) جاش القلب بالهمز ورعه وعند الفزع وفلان رابط الجأش وربيط الجأش كأنه يربط نفسه من الفرار بشجاعته (قوله حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه) هذا رابط للآية بما سبق (قوله للتأكيد والدلالة الخ) تبع في هذه العبارة الكشاف وفيه توسع وحق العبارة أن يقال وما مزيدة لتأكيد الدلالة الخ لان أصل الدلالة على الحصر استفيد

مفعول قالوا وهو بدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا أو لا تكونوا أي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم (والله يحيي ويميت) رد لقولهم أي هو المؤثر في الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد (والله بما تعملون بصير) تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا (151) (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم) أي متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات (لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون) جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها ولم تموتوا وقرأ حفص بالياء (152) (ولئن متم أو قتلتم) اي على أي وجه اتفق هلاكم (لالى الله تحشرون) لالى معبود كم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لاستحالة تحشرون فيوفيكم جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر (153) (فبما رحمة من الله لنت لهم) أي فبرحمة ومامزيدة للتأكيد والتنبيه والدلالة على ان لينهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه (ولو كنت فظا) سيئ الخلق جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك (فاعف عنهم) فيما يختص بك (واستغفر لهم) فيما لله (وشاورهم في الامر) أي في أمر الحرب اذ الكلام فيه أو فيما يصح أن يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة (فاذا عزمت) فاذا وطنت نفسك على شئ بعد الشورى (فتوكل على الله) في امضاء أمرك على ما هو أصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم أي فاذا عزمت لك على شئ وعينته لك فتوكل على ولا تشاور فيه أحدا (ان الله يحب المتوكلين) فينصرهم ويهديهم الى الصلاح (154) (ان ينصركم الله) كما نصركم يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا أحد يغلبكم (وان يخذلكم) كما خذلكم يوم أحد (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) من بعد خذلانه أو من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من

من تقديم الجار والمجرور ولك ان قيل ان فى كلام الكشاف حذفا والمعنى ما من زيدة والظرف مقدم للتأكيد والدلالة (قوله أوظن به الرماة) معطوف على قوله انهم فيكون المعنى انما براءة الرسول عما اتهم به أو عما ظن به الرماة (قوله وأما المبالغة فى النهى الخ) لان ما كان لنبى معناه على ماذكر ما صح لنبى وهذا آكد من صريح النهى عن الغلول من وجهين أحدهما كون الكلام فى صورة الخبر لانه يفيدان لا حاجة الى النهى الصريح والثانى نفى امكان ما هو لنبى فيفيد انه لا صحة لغلول النبى فضلا عن وقوعه (قوله ومبالغة ثانية) لان المبالغة الاولى استفيدت من قوله وما كان لنبى على ماذكرنا (قوله فلا ينقص ثواب مطيعهم الخ) دل هذا الكلام على ان نقص زيادة ثواب المطيع وعقاب العاصى ظلم وهذا خلاف مذهب أهل السنة بل (٥١) مذهبهم أنه يقال حاكم على الاطلاق يفعل ما يشاء لو عذب المطيع أو يزيد فى عذاب العاصى لم يكن ظالما والعجب ان هذا كلام المعتزلة والجواب أن المراد من الظلم ههنا خلاف الوعد والاولى أن يقال المراد منه ما ذكر من نقص الثواب وزيادته ولو لم يذكر المقابل وقال لا ينقص من ثواب مطيعهم الخ لكان أولى حتى يكون لا ينقص الخ مفسرا للا يظلمون الا أن يقال الفاء يقصر به كما فى قوله تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم (قوله تعالى أفمن اتبع رضوان الله) هذه الفاء مقدمة فى الحقيقة على همزة الاستفهام وقد توضح فى قوله تعالى أفان مات أو قتل انقلبتم فتكون الفاء لسببية ما تقدم وهو توفية كل نفس ما كسبت لا نكار تسوية من اتبع ومن باء

الله وتحذيرعما يستجلب خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا أن لا ناصر لهم سواه وآمنوا به (٥٥٤) (وما كان لنبى أن يغل) وما صح لنبى أن يخون فى الغنائم فان النبوة تنافى الخيانة يقال غل شيأ من المغنم يغل غلولا وأغل اغلالا اذا أخذه فى خفية والمراد منه امابراءة الرسول عليه السلام عما اتهم به اذ روى أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها أوظن به الرماة يوم أحد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيأ فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة فى النهى للرسول صلى الله عليه وسلم على ما روى أنه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب أن يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له أن يوجد غالا أو أن ينسب الى الغلول (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يأت بالذى غله يحمله على عنقه كما جاء فى الحديث أو بما احتمل من وباله واثمه (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعنى تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله أن يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك أولى (وهم لا يظلمون) فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد فى عقاب عاصيهم (٥٥٥) (أفمن اتبع رضوان الله) بالطاعة (كمن باء) رجع (بسخط من الله) بسبب المعاصى (ومأواه جهنم وبئس المصير) الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب أن يخالف الحالة الأولى ولا كذلك المرجع (٥٥٦) (هم درجات عند الله) شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت فى الثواب والعقاب أو هم ذوو درجات (والله بصير بما يعملون) عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها (٥٥٧) (لقد من الله على المؤمنين) أنعم على من آمن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدا محذوف مثل منه أو بعثه (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) من نسبهم أومن جنسهم عربيا مثلهم يفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مقتدرين به وقرئ من أنفسهم أى من أشرفهم لانه عليه السلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم (يتلو عليهم آياته) أى القرآن بعدما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى (ويزكيهم)

(قوله تعالى وبئس المصير هنا تقدير) والمعنى مأواهم يقال فى شأنه بئس المصير فيكون متعلق خبر محذوف (قوله عالم باعمالهم) تبع فى هذا التفسير الكشاف وهو يدل على أن كونه تعالى بصيرا عين كونه عالما وهو ذهب من قال بعضهم من ان البصر علمه بالمبصرات والحق انه ليس كذلك قال فى شرح المواقف اتفق المسلمون على أنه تعالى سميع بصير لكنهم اختلفوا فى معناه فقالت الفلاسفة والكعبى وأبو الحسن البصرى ذلك عبارة عن علمه تعالى بالمسموعات والمبصرات وقال الجهور منا ومن المعتزلة والكرامية انهما صفتان زائدتان على العلم وتوضيحه انا اذا علمنا شيأ علما تاما جليا ثم ابصرناه فانا نجد بالبديهة فرقا بين الحالتين ونعلم بالضرورة ان الحالة الثانية تشتمل على أمر زائد مع حصول العلم وفيها فذلك لزائد هو الابصار (قوله وقرئ من أنفسهم) بفتح الفاء من النفاسة بمعنى

الشرف (قوله والمعنى وان الشان كانوا الى ضلال مبين) هكذا فى الكشاف والمعنى أن ان مخففه من المثقلة واسمها وهو ضمير الشان محذوف كما قاله العلامة التفتازانى وهذا خلاف ماقاله ابن الحاجب من ان حذفه منصوب باضعيف الامع ان اذا خففت فانه لازم (قوله والواو عاطفة للجملة الخ) فالاول أن تكون الهمزة مؤخرة عن الواو لكنها قدمت لتصدرها والثانى أن تكون مقدمة فى الاصل على الواو (قوله وما ناظرفه المضاف) ضمير ظرفه راجع الى قاتم أى لما أصابكم فاتم (قوله وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه) هكذا عبارة الكشاف وهى مناسبة لمذهبه لانهم على أن مثل هذا لايكون بارادة الله لان تغليب الكفار على المؤمنين قبيح وهو تعالى لايريد القبيح والمناسب لاهل السنة أن يقال الاذن بمعنى الارادة (قوله وليميز الؤمنون والمنافقون) ان أراد التميز عند الله فيرد عليه ان الطائفتين متمازتان فى علمه تعالى دائما وان أراد التميز عند الناس يرد عليه ان لا معنى لتفسير قوله تعالى وليعلم المؤمنين بتميزهم عند الناس اذ المراد بالعلم علم الله تعالى والاولى أن يقال مراده ان معنى قوله وليعلم المؤمنين ليميز الله المؤمنين فيتميز المؤمنون عند الخلق لكنه اكتفى بالثانى وهو لازمه (قوله أوكلام مبتدأ) عطف على جملة ما أصابكم (قوله تعالى هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) فان قيل انهم كافرون لانهم منافقون لما سيجىء من قوله والله أعلم بما يكتمون لم من النفاق قلنا المراد انهم للاصرار على الكفر وكمال اظهاره أقرب منهم للايمان الظاهرى (قوله تأكيد وتصغير) أى تحقير لانه مشعر بانه أمر صادر عن مجرد اللسان وليس منه فى قلب شئ (قوله على جوده اض بالماء حاتم) هذا استشهاد بابدال المظهر من ضمير الغائب فان حاتما بدل من ضمير جوده وانما جعل بدلا منه لانه مجرور اذ القوافى على الكسر

بظهرهم من دنس الطباع وسوء الاعتقاد والاعمال (ويعلمهم الكتاب والحكمة) أى القرآن والسنة (وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ضلال ظاهر (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قاتم أنى هذا) الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ماسبق من قصة أحد أو على محذوف مثل أفعلتم كذا وقتم والمناظرفه المضاف الى أصابتكم أى أقاتم حين أصابتكم مصيبة وهى قتل سبعين منكم يوم أحد والحال انكم نلتم ضعفيها يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من أين هذا أصابنا وقد وعدنا الله النصر (قل هو من عند أنفسكم) أى بما اقترفتموه أنفسكم من مخالفة الأمر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة أو اختيار الخروج من المدينة وعن على رضى الله تعالى عنه باختياركم الفداء يوم بدر (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على النصر ومنعه وعلى أن يصيبكم ويصيب منكم (وما أصابكم يوم التقى الجمعان) جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم أحد (فبإذن الله) فهو كائن بقضائه أو تخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء (وقيل لهم) عطف على نافقوا داخل فى الصلة أو كلام مبتدأ (تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا) تقسيم للامر عليهم وتخيير بين أن يقاتلوا للآخرة أو للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة أو ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) لو نعلم مايصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما أنتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة أو لو نحسن قتالا لاتبعناكم فيه وانما قالوه دغلا واستهزاء (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان لانخزالهم بكلامهم هذا فانهما أول أمارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين) يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم) يظهرون خلاف مايضمرون لانواطئ قلوبهم ألسنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير (والله أعلم بما يكتمون) من النفاق ومايخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه فيصلا يعلم واجب وأنتم تعلمونه مجملا بأمارات (الذين قالوا) رفع بدلا من واو يكتمون أو نصب على الذم أو الوصف للذين نافقوا أو جر بدلا من الضمير فى بافواههم أو قلوبهم كقوله

على حالة لو أن فى القوم حاتما * على جوده اض بالماء حاتم

(لاخوانهم) أى لاجلهم يريد من قتل يوم أحد من أقاربهم أو من جنسهم (وقعدوا) حال مقدرة بقد أى قالوا قاعدين عن القتال (لو أطاعونا) فى القعود بالمدينة (ماقتلوا) كما لم نقتل قرأهشام ماقتلوا بتشديد التاء (قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) أى ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت وأسبابه فانه أحرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن عن الموت فان أسباب الموت كثيرة كما

أن القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس (163) (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) نزلت فى شهداء أحد وقيل فى شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول أو من يحسب أو الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه فى الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين (بل أحياء) أى بل هم أحياء وقرئ بالنصب على معنى بل أحسبهم أحياء (عند ربهم) ذوو زلفى منه (يرزقون) من الجنة وهو تأكيد لكونهم أحياء (164) (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله تعالى والتمتع بنعيم الجنة (ويستبشرون) يسرون بالبشارة (بالذين لم يلحقوا بهم) أى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم (من خلفهم) أى الذين من خلفهم زمانا أو رتبة (ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة وحال من تركوا من خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا أو قتلوا كانوا أحياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على أن الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى فى آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس رضى عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل معلقة فى ظل العرش ومن أنكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم أحياء يوم القيامة وانما وصفوا به فى الحال لتحققه ودنوه أو أحياء بالذكر أو بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب فى الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما أنعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح (165) (يستبشرون) كرره للتأكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف عليهم ويجوز أن يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال أنفسهم (بنعمة من الله) ثوابا لاعمالهم (وفضل) زيادة عليه كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم (وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائى بالكسر على انه استئناف معترض دال على أن ذلك أجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له أعماله محبطة وأجوره مضيعة (166) (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) صفة للمؤمنين أو نصب على المدح أو مبتدأ خبره (للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون

(قوله أو الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف) يرد عليه ان الذين قتلوا كيف ينهون عن الحساب وأجيب بانهم أحياء ونفوسهم باقية مدركة ولقائل أن يقول لا فائدة لهذا النهى لانهم يعلمون انهم أحياء ولا يحسبون انهم أموات وأيضا فى وصول هذا النهى اليهم خفاء ولابد من نقل وبالجملة فهذا الوجه من الاعراب كما ذكروا ليس كما ينبغى الا أن يتكلف فيقال المقصود من نهى الشهداء عن الحساب المذكور نهى غيرهم ثم انه على ما ذكروا فيه جواز حذف أحد مفعولى باب حسبت والاقتصار على الآخر وهو قليل (قوله بل احسبهم) بلفظ الامر أحياء هذا التقدير الذى ذكروه ليس بمرضى اذا كان حال الشهداء انهم أحياء فالمناسب الامر بالعلم لا الظن فيناسب أن يقدر بل اعلمهم أحياء خصوصا اذا كان المخاطب بهذا الخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم الا أن يقال ايراد الحسبان للمشاكلة (قوله مدرك بذاته) فيه انه يلزم أن يكون مدركا وأما كونه بذاته مدركا من غير حاجة الى آلة فغير ظاهر لم لا يجوز أن يكون بعد خراب البدن متعلقا بشئ يكون ذلك الشئ آلة لادراكه كما صرح به بعض أهل الكشف والتحقيق فان الحديث الذى روى عن ابن عباس صريح فى ان أرواحهم متعلقة باجسام فيحتمل ان تكون تلك الاجسام آلات لادراكها كما فى هذه النشأة أبدانهم آلات له الا ان يقال مراده من ادراكه بالذات عدم احتياجه الى البدن الذى تعلق به فى الدنيا فان ادراكه باق مع خرابه (قوله واحماد الخ) الحمد فى الآية للشهداء بسرورهم بحسن حال اخوانهم (قوله ويجوز ان يكون الاول الخ) أى يجوز ان يكون الاستبشار الأول استبشارا بحال اخوانهم وهذا الاستبشار استبشار بحال أنفسهم فهذا احتمال والاحتمال الأول الذى ذكره ان يكون الاستبشار ان بحال الاخوان (قوله على انه استئناف معترض) كذا فى الكشاف ومعناه انه كلام مبتدأ ليس معطوفا على ما سبق وكونه معترضا لكونه فى آخر الكلام وليس بمعطوف ومن هذا علم ان الجملة المعترضة لا يلزم ان تكون بين كلامين متصلين (قوله المقصود من ذكر الوصفين) المراد من الوصفين الاحسان والتقوى لا النعت النحوى (قوله لان المستجيبين كلهم الخ) فانهم أى المستجيبين الصحابة وهم بالصفتين المذكورتين

(قوله و ينقص حتى يدخل صاحبه النار) فان قيل الايمان وان كان ضعيفا لا يوجب دخول الشخص فى النار بل يوجب خروجه عنها كما ورد فى الحديث انه يخرج من النار من كان فى قلبه حبة من خردل من ايمان قلنا ضعف الايمان يوجب ترك الواجب وفعل المنهى الموجبين للدخول فى النار (قوله وما بعده بيان لشيطنته) أى جملة استئنافية تكون دليلا على كونه شيطانا (قوله أوصفته وما بعده خبره) أى الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف أولياءه خبر فالمعنى انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه (قوله يعنى ابليس عليه اللعنة) فان قيل محصل كلامه ههنا انه ان كان ذا اشارة الى المثبط كان المراد من الشيطان المعنى اللغوى وان كان اشارة الى القول كان المراد من الشيطان ابليس ولا يظهر توجيه هذا الفرق قلنا الفرق انه على الاول لابد أن يكون المراد من الشيطان غير ابليس لان نعما واباسفيان غيره واما اذا أريد القول فلاباعث على ان يراد بالشيطان غير ابليس بل يمكن ان يقدر مضاف كما ذكر حتى يكون الشيطان ابليس كما هو المتبادر من لفظ الشيطان فان قيل كيف ينسب قولهما الى الشيطان قلنا لما حصل القول المذكور بسبب الشيطان وبوسوسته نسب اليه (قوله الضمير للناس الخ) أى ضميرهم راجع الى الناس فى قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم الذين على الاول أى ان يفسر الاولياء بالقاعدين عن القتال والى الاولياء ان كان المراد من الاولياء أباسفيان وأصحابه وهو التفسير الثانى

متفقون روى أن أباسفيان وأصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب أصحابه للخروج فى طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج عليه الصلاة والسلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى على ثمانية أميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الاجر وألقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فمزلت (الذين قال لهم الناس) يعنى الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس أو نعيم بن مسعود الاشجعى وأطلق عليه الناس لانه من جنسهم كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد أو لانه انضم اليه ناس من المدينة وأذاعوا كلامه (ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) يعنى أباسفيان وأصحابه روى انه نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج فى أهل مكة حتى نزل بمر الظهران فارتحل الله الرعب فى قلبه وبداله أن يرجع فمر بركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل اتى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم أتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم أحد الاشريد أفترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لاخرجن ولو لم يخرج معى أحد فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله (فزادهم ايمانا) الضمير المستكن للمقول أو المصدر فان أولفاعله ان أريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم وأظهر وا حمية الاسلام وأخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضى الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم تجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج (وقالوا حسبنا الله) محسبنا وكافينا من أحسبه اذا كفاه وبدل على أنه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا فقولك هذا رجل حسبك (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو (فانقلبوا) فرجعوا من بدر (بنعمة من الله) عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه (وفضل) وربح فى التجارة فانهم لما أتوا بدرا وافوا بها سوقا فتجروا وربحوا (لم يمسسهم سوء) من جراحة وكيد عدو (واتبعوا رضوان الله) الذى هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصاب فى الدين وظهار الجراءة على العدو والحفظ عن كل مايسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتحطئة لرأيه حيث حرم نفسه مافازوا به (انما ذلكم الشيطان) يريد به المثبط نعيما أو أباسفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته أو صفته وما بعده خبر ويجوز أن تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف أى انما ذلكم قول الشيطان يعنى ابليس عليه اللعنة (يخوف أولياءه) القاعدين عن الخروج مع الرسول أو يخوفكم أولياءه الذين هم أبوسفيان وأصحابه (فلا تخافوهم) الضمير للناس الثانى على الاول والى الاولياء على الثانى (وخافون) فى مخالفة أمرى فجاهدوا مع رسولى (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضى ايثار خوف الله تعالى على خوف الناس (ولا يحزنك

للاولياء (قوله يحتمل المفعول والمصدر) فعلى الاول معناه ان يصلوا الى أولياء الله شيأ من الامور الضارة وعلى الثانى معناه لن يضر واشيأ من الضرر (قوله وفى ذكر الارادة الخ) الاولى ان يقال ان فى ذكرها دليلا على المقصود الذى هو عدم جعل الحظ لهم فى الآخرة لانه اذا لم يرد الله لهم حظا فى الآخرة لم يحصل لهم ذلك الحظ لايقال لوقيل لايجعل الله لهم حظا فى الآخرة لكان دليلا على ارادة عدم الجعل فكان أبلغ لانا نقول لايلزم من عدم الجعل ارادة عدم الجعل بل عدم ارادة الجعل مع ان المقصود عدم الجعل فالمناسب المبالغة فيه (قوله وانما تملى بدل منه) لم يجعلوه مفعولا ثانيا لان المفعول الثانى من هذا الباب يجب ان يحمل على الأول لكن ههنا ليس كذلك ولهذا لم اجعله مفعولا ثانيا حكم بتقدير مضاف حتى يصح الحمل (قوله وانما قدر على مفعول واحد لان التعويل الخ) أى المبدل منه فى حكم المنحى من حيث انه غير مقصود بالذات والبدل المذكور يصح ان يكون قائما مقام المفعولين لان ان مع صلتها يصح قيامهما مقام مفعولى باب حسبت فان قيل قد مر جواز حذف (٥٥) أحد مفعولى باب حسبت فما الحاجة

الى عدم قيام البدل مقام المفعولين قلنا فرق بين الاقتصار والحذف فالاقتصار ان لايكون مفعول ثان لما مذكورا ولا مقدرا والحذف ان لايكون مذكورا ويكون مقدرا وههنا الاقتصار لا الحذف (قوله فكان حقها الخ) لان قاعدة علم الخط ان ما المصدرية تفصل عن الحرف الذى قبلها تنبيها على كونها مع مابعدها فى حكم كلمة واحدة (قوله استئناف بما هو العلة للحكم قبلها) يعنى دليل على الحكم المتقدم وهو عدم الحسبان المذكور فانه اذا كان الاملاء لزيادة الاثم كان دليلا على

الذين يسارعون فى الكفر) يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين أوقوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لايحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله (انهم لن يضروا الله شيأ) أى ان يضروا أولياء الله شيأ بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون بها أنفسهم وشيأ يحتمل المفعول والمصدر وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاى حيث وقع ماخلا قوله فى الانبياء لايحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاى فيه والباقون كذلك فى الكل (يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة) نصيبا من الثواب فى الآخرة وهو يدل على تمادى طغيانهم وموتهم على الكفر وفى ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى أراد أرحم الراحمين أن لايكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم فى الكفر لانه تعالى لم يرد أن يكون لهم حظ فى الآخرة (ولهم عذاب عظيم) مع الحرمان عن الثواب (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان ان يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم) تكرير للتأكيد أو تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين أوارتد من العرب (ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم) خطاب للرسول عليه السلام أولكل من يحسب والذين مفعول وانما نملى لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو المفعول الثانى على تقدير مضاف مثل ولاتحسبن الذين كفروا أصحاب ان الاملاء خير لانفسهم أو ولاتحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل فى الخط ولكنها وقعت متصلة فى الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائى ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما فى حيزه مفعول وفتح سينه فى جميع القرآن ابن عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من أملى لفرسه اذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء (انما نملى لهم ليزدادوا اثما) استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح هنا وبكسر الاولى ولايحسبن بالياء على معنى ولايحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم

عدم حسبان ان أملاءهم خير لهم (قوله وعند المعتزلة الخ) أى ليست للارادة حتى يكون المعنى لارادة الله ازدياد اثمهم كما هو مذهب أهل السنة لان ارادة ازدياد اثمهم قبيح عند المعتزلة وهو غير جائز على الله تعالى (فوله وبكسر الاولى) أى بكسر ان فى انما نملى لهم خير لانفسهم (قوله ولايحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة) لك ان تقول لايخلو اما أن يكون املاء الله تعالى لهم لازدياد الاثم أوللتوبة فان كان الاول لم يكن هذا التفسير صحيحا وان كان الثانى لم يكن التفسير الاول صحيحا والجواب ان كلا من الامرين محتمل لانه يصح ان يكون مراد الله تعالى من املائهم زيادة اثمهم ويحتمل ان لايكون كذلك بل يكون املاؤهم لتوبتهم لان الله يفعل ما يشاء والتفسيران المذكوران على هذين الاحتمالين فان قيل اذا كان املاؤهم لتوبتهم ودخولهم فى الايمان يجب ان يتوبوا ويدخلوا فى الايمان والالزم خلاف مراد الله تعالى وهو باطل على مذهب أهل الحق قلنا لزوم ما ذكر انما يكون اذا لم يقدر شئ آخر فاما اذا قدر بان يقال انما نملى لهم لامكان التوبة فى زمان الاملاء أى للاتساع فى زمان مكان التوبة فلا

(قوله على هذا) أى قراءة انما الثانى بالفتح كذا فى الكشاف وقال العلامة التفتازانى يعنى ان ما على هذه القراءة مصدرية وليزدادوا فى موضع الخبر ولما لم يكن الاملاء الذى للتوبة والدخول فى الايمان ملائما لمقارنة العذاب بل الثواب جعل الواو حالية داخلة فى حيز النهى عن الحسبان بمنزلة ان يقول ليزدادوا وليكون لهم عذاب وظاهر ان هذا المعنى لا يحصل بالواو العاطفة بل ليس ههنا ما يحسن عطف هذه الجملة عليه نعم للاعتراضية وجه انتهى وفيه ان ان المفتوحة مصدرية فلا باعث على جعل ما مصدرية بل يلزم منه اجتماع حرفين مصدريين فالظاهر ان يقال ان ما كافة والجواب ان ما يجعل الفعل بتأويل المصدر وأن تجعل الجملة التى بعدها بتأويل المصدر فان المعنى ولا يحسبن الذين كفروا ازديادا ملائنا لهم للاثم (قوله على هذا الخ) ليس كما ينبغى اذ على القراءة المشهورة وهى قراءة الاولى بالفتح وانما الثانية على الكسر يجوز ان تكون الواو حالية أيضا فلا وجه لتخصيص الحالية بالقراءة الشاذة واعلم ان فى عبارة المصنف حيث قال يجوز اشارة الى كون جواز الواو اعتراضية بخلاف عبارة الكشاف اذ ليس فيها اشعار بما ذكر فانه جزم بان الواو على القراءة الغير المشهورة للحالية (قوله الخطاب لعامة المؤمنين) أى خطاب أنتم على هذا يكون المناسب أن يكون المؤمنون مخلصين اذ لو كان المراد منهم المؤمنين مطلقا سواء كانوا مخلصين أو منافقين لناسب أن يقال ما كان الله ليذركم

بل للتوبة والدخول فى الايمان وانما نملى لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا خير لهم ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم (ولهم عذاب مهين) على هذا يجوز أن يكون حالا من الواو أى ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين (173) (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين فى عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحى الى نبيه باحوالكم أو بالتكاليف الشاقة التى لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبدل الاموال والانفس فى سبيل الله ليختبر النبى به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وقرأ حمزة والكسائى حتى يميز هنا وفى الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء (174) (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء) وما كان الله ليؤتى أحدكم علم الغيب فيطلع على ما فى القلوب من كفر وايمان ولكن الله يجتبى لرسالته من يشاء فيوحى اليه ويخبره ببعض المغيبات أو ينصب له ما يدل عليها (فآمنوا بالله ورسله) بصفة الاخلاص أو بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما أوحى اليهم روى أن الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدى أنه عليه السلام قال عرضت على أمتى وأعلمت من يؤمن بى ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم أنه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت (وان تؤمنوا) حق الايمان (وتتقوا) النفاق (فلكم أجر عظيم) لا يقادر قدره (175) (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) القراآت فيه على ما سبق ومن قرأ بالتاء

لكن الظاهر ان قوله لا يترككم مختلطين الخ تفسير قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين وهو يدل على ان المراد بالمؤمنين ما يعم المخلصين والمنافقين وبالجملة قد غير عبارة الكشاف عما ينبغى وهى كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التى أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض (قوله أو ينصب له ما يدل عليها) يعنى أن اطلاع النبى صلى الله عليه وسلم على الغيب يكون بطريقين أحدهما بطريق الوحى والثانى أن يشاهد أمرا يدل على أمر يكون من بعد كما نصب للنبى صلى الله عليه وسلم علامات دالة على مصارع الكفار يوم بدر على ما ذكره بعض أكابر أهل الكشف والتحقيق (قوله ولا يقولون الا ما أوحى لهم) أى لا يقولون فى أمر الشرائع والاخبار عن الله تعالى وعن الغيب (قوله انه عليه الصلاة والسلام قال عرضت على أمتى الخ) يمكن أن يكون المراد من الامة أمة الاجابة ويكون معنى قوله أعلمت من يؤمن بى أعلمت من يؤمن بى من الخلائق ومن يكفر بى ويمكن أن يكون المراد أمة الدعوة فيكون المعنى عرضت على أمة دعوتى أى الخلائق الواصلة اليهم دعوتى ثم الظاهر أن المراد من قوله أعلمت من يؤمن بى الخ من كان موجودا فى عصره ولاقاه ويمكن أن يكون المراد غيره والله ورسوله أعلم (قوله وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق) هذا لا يلائم ان يكون الخطاب فى أول الآية لعامة المؤمنين لمخلصيهم ومنافقيهم بل المناسب أن يكون لمنافقيهم خاصة وحينئذ يخالف هذا الخطاب للخطاب السابق فى هذه الآية وهو قوله تعالى ما أنتم عليه فانه صرح بانه عام للمخلص وغيره واعلم أن تعليق تتقوا بالنفاق من زياداته على الكشاف والمناسب ان يبقى التقوى على اطلاقه فيكون المعنى وتتقوا ما يجب أن يتقى حتى يشمل المخلص وغيره (القراآت فيه ما سبق) من قوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم الآية

(قوله ليتطابق مفعولاه) أي ليحمل أحدهما على الآخر (قوله وان جعله الموصول) أي ان جعل فاعل تحسبن الموصول (قوله كان المفعول الاول محذوفا) لم يجز أن يكون هو مفعولا أول لانه ضمير مرفوع فلا يقع مفعولا (قوله بيان لذلك) أي بيان لكونه شرا لهم (قوله والمعنى سيلزمون الخ) هما بناء على أن يطوقون استعارة تبعية والمستفاد من الحديث انه على معناه الحقيقي ولا منافاة اذ يمكن أن يطوق البخيل حقيقة ويلزم أيضا وبال بخله لزوم الطوق (قوله وهو أبلغ في الوعيد) لأن الوعيد في الخطاب والحضور أشد منه في الغيبة (قوله لولا ما بيننا من العهد) هذا مخالف لما قاله الفقهاء من ان العهد ينقض باسماع الذمي كلمة الكفر

بالتاء قد رضا فليتطابق مفعولاه أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم أو من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه أي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم (بل هو) أي البخل (شر لهم) لاستجلاب العقاب عليهم (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه الصلاة والسلام مامن رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جعله الله شجاعا اقرع عنقه يوم القيامة (ولله ميراث السموات والارض) وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله أو أنه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة (والله بما تعملون) من المنع والاعطاء (خبير) فمجازيهم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو أبلغ في الوعيد (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) قالته اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي أنه عليه الصلاة والسلام كتب مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه الى يهودي فينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حتى سأل القرض فلطمه أبو بكر رضي الله عنه على وجهه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انهم لم يخف عليه وانه أعد لهم العقاب عليه (سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق) أي سنكتبه في صحائف الكتبة أو سنحفظه في علمنا لا يهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله عز وجل واستهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس أول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه أمثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء (ونقول ذوقوا عذاب الحريق) أي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل وانما لك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله به للخوف من فقده ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال (ذلك) اشارة الى العذاب (بما قدمت أيديكم) من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان أكثر أعمالها بهن (وأن الله ليس بظلام للعبيد) عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء (الذين قالوا) هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا (ان الله عهد الينا) أمرنا في التوراة وأوصانا (أن لا نؤمن

(٨ - (بيضاوي) - ثاني)

ما ذكر لا يخلو عن تكلف والاولى أن يقال والله أعلم ان المقصود من قوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ورد اليهود في جحده فيكون كناية عن كذبهم في جحده (قوله أو سنحفظ) لا يخفى ان كل شئ محفوظ في علم الله تعالى ازلا وأبدا فالاولى أن يقال هو كناية عن اعداد العذاب لهم (قوله لان أكثر أعمالها بهن) أي أكثر أعمالها الباهرة (قوله يستلزم) لا يخفى انه تعالى كيف يشاء يفعل في ملكه بان يعاقب المطيع أو يثيب العاصي لا يكون ظلما كما هو مذهب أهل الحق ففي الظلم عنه تعالى لا يقتضي ما ذكره المصنف الذي يخطر في خاطري والله أعلم ان المعني وان الله ليس بظلام

(قوله أي سنكتبه) فان قيل الظاهر لقد كتبناه في صحائف الكتبة لان نزول الآية بعد ان قالوا ذلك القول والظاهر ان الكتبة كتبوه قلنا المراد سنثبت وعديته في صحائف الكتبة لا نمحوه (قوله واستهزاء بالقرآن والرسول) لان قولهم استهزاء بقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله (قوله وفيه مبالغات) الاولى انه تعالى قال هذا القول لهم بذاته المتعالى لا بواسطة الثانية انه تعالى أمرهم بما ذكر فأوجب عليهم الذوق الثالثة أمرهم بالذوق الذي هو دال على قوة ادراكهم للعذاب ووصوله الى باطنهم لان الذوق مستلزم له الرابعة وصف العذاب بالاحراق وما ذكر نافي ايراد الذوق أولى مما ذكره المصنف لما فيه من التكلف (قوله والمعنى انه لم يخف عليه الخ) جعل هذا المجموع معنى

لعبيد لو عذبهم يعني ان تعذيبهم بسبب أفعالهم وبكونه تعالى ليس بظلام بتعذيبهم اذ لو كان الله تعالى يتعذيبهم لكان ظلاما بهم البتة والاول ثبوت السبب والثاني رفع المانع وأيضا يمكن أن يقال ان المراد من الظلام التعذيب بغير جرم وبكون المعنى ذلك العذاب الذي هو جزاء أفعالهم من غير زيادة رب بسبب بغير جرم فلو زاد في الجزاء لزم التعذيب بغير جرم لان الزيادة تعذيب من غير جرم وذكر الظلام بصيغة المبالغة مع ان ظاهر ذكر الظالم لان صدور فعل ناقص عن الكامل نقص كامل فلو صدر ظلم ما من الله تعالى وهو أكل من غيره بل هو الكامل على الاطلاق وكل كمال مستفاد منه لكان ذلك الظلم في غاية الشناعة والعظم ومن صدر منه ظلم عظيم كان ظلاما (قوله وهذا من مفتريا تهم) محصل ما ذكر ان ما نقلوه من التوراة كذب لانه لا فائدة لتخصيص المعجزة بايجاب الايمان بل كل معجزة دال على ايجاب الايمان ولك أن تقول مفهوم قولهم ان كل معجزة لا توجب الايمان وان أوجبت صدق صاحبها بل الموجب للايمان هو هذه المعجزة الخاصة فيجب اثبات ان المعجزة كلها توجب الايمان لمجرد الدعوى والاولى أن يقال ان كذبهم يستفاد من قوله تعالى ان كنتم صادقين ثم انه يمكن أن يستفاد من كون الذين قالوا ان الله عهد الينا هم الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء فان فنحاص هو قائل بالقولين المذكورين (٥٨) واخوته في حكمه عليهم اللعنة فيكون الذين الثانية صفة للذين السابقة

وهو الظاهر من العبارة فيكون المعنى انقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا فدل على كذبهم في هذا القول لانه تهديد لهم بهذا القول كما يدل على كذبهم في القول السابق (قوله تعالى بالبينات) ان قيل المناسب تقديم الذي قلتم لانه أظهر في الزامهم قلنا يمكن الذي قلتم داخلا في البينات فيكون تخصيصا بعد تعميم فلذا أخرتم انه نقل عن السدي ان هذا الشرط جاء في التوراة مع الاستثناء قال من جاءكم بزعمه انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار الا المسيح ومحمدا

لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله أي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم لان أكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك (٥٩) (قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات و بالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا و يحيى بمعجزات أخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فلهم لم تؤمنوا بمن جاء به في معجزات أخر واجتراؤا على قتله (٦٠) (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشئ اذا حبسته والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر و بالزبر وهشام و بالكتاب باعادة الجار للدلالة على انهما مغايرة للبينات بالذات (٦١) (كل نفس ذائقة الموت) وعد ووعيد للصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله * ولاذا كر الله الا قليلا * (وانما توفون أجوركم) تعطون جزاء أعمالكم خيرا كان أو شرا تاما وافيا (يوم القيامة) يوم قيامكم من القبور روضة ومن رياض الجنة أو حفرة من حفر النار (فمن زحزح عن النار) بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزحزح وهو الجذب بعجلة (وأدخل الجنة فقد فاز) بالنجاة ونيل المراد

والفوز

عليهما الصلاة والسلام وكانت هذه العادة جارية الى مبعث المسيح (قوله للدلالة) يعني اذا لم تكرر الباء يمكن أن يكون الزبر والكتاب عين البينات بالذات وغيرها بالاعتبار فكان شئ واحد ينة باعتبار تبيينه الاشياء وكتابا باعتبار اشتماله على الاحكام والشرائع فكان العطف بتغاير الاعتبار فيكون من عطف صفات شئ واحد بعضها على بعض لكن اذا كررت الباء كان مشعرا بتغايرهما بالذات اذ لو كانا واحدا بالذات لكان الظاهر عدم تكريرها وكذا نقول في و بالكتاب (قوله بالنصب مع التنوين وعدمه) أي بنصب الموت مع تنوين ذائقة وعدم تنوينها كما في قول أبي الاسود الدؤلي فذ كرته ثم عاتبته * عتابا رفيقا وقولا جميلا فالهيته غير مستعتب * ولاذا كر الله الا قليلا الاصل ذاكرا بتنوين بحرور امعطوفا على مستعتب ولا اضافة لان الله منصوب واسم لفاعل معتمد على النفي (قوله ولفظ التوفية الخ) انما لم يقل بدل بشعر بايصال بعض الاجر في القبور حتى يكون هذا الكلام دليلا على نعيم القبر وعذابه لان توفية الاجور يوم القيامة يدل على أن قبله ايصال بعض الاجور ولعله يكون في الدنيا (قوله تعالى فمن زحزح) فان

والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس مايحب أن يؤتى اليه (وما الحياة الدنيا) أي لذاتها وزخارفها (لامتاع الغرور) شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر أو جمع غار

(٦٣) (لتبلون) أي والله لتختبرن (في أموالكم) بتكليف الانفاق ومايصيبها من الآفات (وأنفسكم) بالجهاد والقتل والاسر والجراح ومايرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) من هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين أخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا أنفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لايرهقهم نزولها (وان تصبروا) على ذلك (وتتقوا) مخالفة أمر الله (فان ذلك) يعني الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزومات الامور التي يجب العزم عليها أو مما عزم الله عليه أي أمر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأي على الشئ نحو امضائه

(٦٤) (واذ أخذ الله) أي اذكر وقت أخذه (ميثاق الذين أوتوا الكتاب) يريد به العلماء (لتبيننه للناس ولاتكتمونه) حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب والام جواب القسم الذي ناب عنه قوله أخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب (فنبذوه) أي الميثاق (وراء ظهورهم) فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه (واشتروا به) وأخذوا بدله (ثمنا قليلا) من حطام الدنيا واغراضها (فبئس ما يشترون) يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار وعن علي رضي الله تعالى عنه ما أخذ الله على أهل الجهل ان يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا

(٦٥) (لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لاتحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب أي فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء وفتح الياء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده فكأنه قيل ولايحسبن الذين يفرحون بما أتوا فلا يحسبن أنفسهم بمفازة والمفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول (ولهم عذاب أليم) بكفرهم وتدليسهم روي أنه عليه الصلاة والسلام سأل اليهود عن شئ مما في التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيها وأروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة

(٦٦) (ولله ملك السموات والارض) فهو يملك أمرهم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير

(٦٧) (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب) لدلائل واضحة على وجود الصانع وحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما

قيل البعد عن النار مستلزم لدخول الجنة فما فائدة التصريح بذكره مع انه موهم لعدم الاستلزام قلنا قد يكون البعد من النار بأن يكون البعيد من أصحاب الاعراف وهو السور الذي بين الجنة والنار (قوله فاما متاع بلاغ) أي متاع يبلغ به الى مقاصد الآخرة (قوله لمن معزومات الامور) أي العزم ههنا مصدر بمعنى المفعول أي المعزوم فيكون المراد منه اما معزوم العبد أو معزوم الله تعالى وهو المراد بقوله ما عزم الله تعالى عليه (قوله ما أخذ الله) أي أخذ الميثاق على أهل الجهل أن يتعلموا بعد أخذ الميثاق على أهل العلم أن يعلموا (قوله أو المفعول الاول محذوف) أي المفعول الاول للايحسبن محذوف وبمفازة مفعوله الثاني ويكون فلا تحسبنهم تأكيد وهذا اذا جعل التأكيد مجموع فلا تحسبنهم وأما اذا جعل التأكيد للفعل والفاعل اذ ليس المذكور سابقا الا الفعل والفاعل فالضمير المنصوب المتصل بالتأكيد هو المفعول الاول ولا حذف هكذا ذكر العلامة التفتازاني ولايخفى ما في اتصال الضمير المنصوب الذي هو المفعول الاول

للاحسن يؤكده من البعد والتكلف ولعل ترك صاحب الكشاف لهذا الوجه لما ذكرنا (قوله لان مناط الاستدلال) على وجود الباري تعالى الجامع لصفات الكمال تغير الموجودات من حال مخصوص الى حال آخر مخصوص اذ هذا التغير لا بد له من مغير اذ لا يمكن أن يكون تغير الشئ مقتضى ذاته والا لزم أن يكون التغير المخصوص لازماله لا ينفك عنه أصلا وليس كذلك فثبت مغير خارج عن المتغير فثبت شئ غير الامور المذكورة يكون تغيرها بسببه فان كان ذلك الشئ متغيرا أيضا نقلنا الكلام الى تغيره ونقول ان كان بتغير آخر وهو أيضا متغير وهلم جرا فلزم اما تسلسل وان كان بمتغير لا يكون متغيرا أصلا ثبت وجود ذات مغير للاشياء لا يكون متغيرا أصلا وهذا هو واجب الوجود اذ كل ممكن يقبل التغيرات وجوده من غيره فلم يكن موجودا فوجد بارادة موجده فهو قابل للتغير من موجده ثم ان لنظام المحكم المستمر الذي في خلق السموات والارض والاختلاف المذكور دلال على توحد الذات المقدسة واتصافها بالعلم والقدرة والارادة الكاملة الى غيرها من الصفات وهذا التقرير وان اعتبر فيه بعض المقدمات

الحدسية التي يمنعها الجادل المعاند لكنه كاف لذوي البصائر ولهذا قيل لآيات لاولي الالباب (قوله كتغير العناصر) هذا مأخوذ من كلام الفلاسفة فانهم أثبتوا للعناصر صورا جسمية ونوعية وكذا أثبتوا للافلاك حركات وضعية يقبل بها وضاعها التي هي نسب أجزائها بعضها الى بعض والى الخارج عنها وأما أهل الشرع فلم يثبتوا للعناصر الصور بل قالوا ان كل جسم مركب من أجزاء لا تتجزأ وكذا لم يثبتوا للافلاك حركات وضعية بل قالوا ان الكواكب يسبحون في الافلاك كما نص عليه في القرآن الكريم مثل قوله تعالى كل في فلك يسبحون

سبق في سورة البقرة واعلم الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة أنواعه فانه اما أن يكون في ذات الشئ كتغير الليل والنهار أو جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها أو الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل أوضاعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها (قوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) أي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه الصلاة والسلام من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب ومن ثم كان الايماء فهو حجة للشافعي رضي الله عنه في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بقاديم بدنه (ويتفكرون في خلق السموات والارض) استدلالا واعتبارا وهو أفضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام لاعبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلاة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل أهله (ربنا ماخلقت هذا باطلا) على ارادة القول أي يتفكرون قائلين ذلك وهذه اشارة الى المتفكر فيه أي الخلق على أنه أمر بديع المخلوق من السموات والارض أو اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ماخلقته عبثا صالعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها أن يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك اينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك (سبحانك) تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض (فقنا عذاب النار) للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة (ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) غاية

فالاولى أن يكتفى بمطلق التغير فان كل ما ذكر متغير الاحوال (قوله ومضطجعين) هذا تفسير لقوله تعالى وعلى جنوبهم ولك ان تقول لم يقل ومضطجعين وما فائدة العدول عنه مع انه أخصر وأقول والله أعلم لعل من فوائده تنويع العبارات بازاء الحالات لا الاعتبارات فعبر أولا عن حالة من الاحوال بالمصدر الذي هو القيام وعن حالة بصيغة قعود الذي هو جمع قاعد الذي هو المشتق وعن حالة ثالثة بالجار والمجرور (قوله فهو حجة للشافعي رضي الله عنه) يعني تخصيص التفكر آن الاضطجاع بالذكر يدل على تعينه بعد العجز عن القعود وانه لا يجوز الاستلقاء كما هو رأي الحنفية فان قيل الظاهر ان المراد من تذكرون غير الصلاة ولذا قال وقيل معناه يصلون فلا يكون حجة لان حمل الذكر على الصلاة خلاف الظاهر قلنا الذكر يحمل على الاطلاق فهو شامل للصلاة فيكون فيه حجة فتأمل والاولى أن يقال مراده ان الآية على التفسير المتأخر حجة للشافعي (قوله وفائدة الفاء الخ) توضيح ما ذكر انه لما كان من فوائد خلق السموات والارض ما ذكر من كونهما مبدأ لخلق الانسان الى آخر ما قاله كان للخالق العناية بخلق الانسان والرحمة عليه

فكان هذا باعثا على طلب الوقاية عن عذاب النار يعني لما كتب بنار حمته وتفضل علينا في الدنيا بالنعم المذكورة قائم علينا في الآخرة بالحفظ من عذاب النار (قوله من أدرك مرعى الضمان فقد أدرك) الضمان اسم جبل فيه مرعى عظيم اكتفى بتظيره بما ذكر شئ وهوان الشرط والجزاء في من ادرك الضمان متحد ولابد من تأويل الجزاء بان يراد فقد أدرك غاية المرعى أو المرعى الكامل وأما قوله تعالى من تدخل النار فقد أخزيته فليس كذلك لان ادخال النار عذاب جسماني والآخزاء عذاب روحاني كما سيجيء في كلامه والجواب أن المراد ان الجزاء مفهوم من الشرط في كل من المثالين فان الاخزاء مفهوم من ادخال النار فلو أبقى الجزاء على حاله لكان كلاما خاليا عن الفائدة فيجب أن يحمل الاخزاء على كماله ولك أن تقول كل الاخزاء أيضا مفهوم من ادخال النار فتأمل (قوله وفيه اشعار بان العذاب الروحاني أفظع) فانه رتب في هذا الكلام العذاب الروحاني وهو الاخزاء على الجسماني الذي هو ادخال النار وجعل الثاني شرطا والاول جزاء ولايخفى أن المراد من الجملة الشرطية الجزاء فيشعر بان الروحاني أفظع اذ لو كان الجسماني أفظع لكان الظاهر أن يجعل جزاء حتى يكون هو المقصود بالذات وأيضا المفهوم من قوله تعالى فقد اعذاب النار طلب الوقاية من عذابها وقوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته كأنه دليل على الطلب المذكور (٦١) فكأنه قيل نطلب الوقاية من عذاب النار لترتب الخزي عليه وهذا التقدير يدل على ان غاية ما يخاف من العذاب الروحاني (قوله ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة) رد لما قاله صاحب الكشاف من ان نفي النصرة مستلزم لنفي الشفاعة (قوله وفيه مبالغة الخ) لان الظاهر انه ان كان المنادي مسموعا كان كلامه مسموعا بطريق الاولى ولايخفى ان المنادي غير مسموع فيجب تقدير شئ وهوان يكون التقدير

غاية الاخزاء وهو نظير قولهم من أدرك مرعى الضمان فقد أدرك والمراد به تهويل الاستعاذة منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني أفظع (والمالظالمين من أنصار) أراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصر دفع بقهر (ربنا انناسمعنا مناديا ينادي للايمان) أوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص (أن آمنوا بربكم فآمنا) أي بان آمنوا فامتثلنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) كبائرنا فانها ذات تبعة (وكفر عنا سيئاتنا) صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر (وتوفنا مع الابرار) مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم محبون لقاء الله ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه والابرار جمع بر أو بار كأرباب وأصحاب (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) أي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما أظهر امتثاله لما أمر به سأل ما وعده عليه لاخوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة أو قصور في

سمعنا نداء منادي ينادي للايمان (قوله وفي تنكير المنادي الخ) اطلاقه باعتبار انه لايضاف الى شئ وبيانه بان يقال اسمعنا منادي الايمان وانما كان الاطلاق أولا ثم التقييد ثانيا دالا على التعظيم لان ماذكر انما يكون فيمن يقوى الاهتمام به (قوله لتضمنها الخ) فبالاعتبار الاول يتعدى بالى وبالثاني بالباء (قوله بان آمنوا) فيكون ان مفسرة لانها بعد النداء الذي بمعنى القول وفيه ان ان آمنوا لايلائم ان يكون تفسيرا لينادي للايمان ولالايمان فقط اذ لايلائم ان يقال سمعت مناديا أي آمنوا يوافق ماذكرنا ماقاله صاحب المغني ان الكوفيين أنكروا ان التفسيرية البتة وهو متجه لانه اذا قيل كتب فيه ان افعل لم يكن افعل نفس كتبت كما كان الذهب نفس العسجد في قولك هذا عسجد أي ذهب وهذا لو جئت بأي في المثال المذكور مكان ان لم تجده مقبولا عند الطبع ويمكن ان يقال ان هنا مقدرا والمعنى ينادي للايمان أي قال آمنوا حتى آمنوا تفسيرا لينادي للايمان فتأمل (قوله أو بان آمنوا) الظاهر ان هذا بدل عن قوله تعالى للايمان فيكون المعنى ينادي بان آمنوا أي بطلب الايمان لان ان وان جعلت الفعل بمعنى المصدر لكن بقي اعتبار المعنى في الماضي والاستقبال في المستقبل والطلب في الامر (قوله جمع بر أو بار) قال العلامة التفتازاني الجمهور على انه لم يثبت جمع فاعل على أفعال وان أصحاب جمع صحب بالسكون وصحب بالكسر مخفف صاحب بحذف الالف (قوله مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة) اذا لم يكن من الموعودين بان كان سيئ العاقبة أو قاصرا في الامتثال لاوجه للدعاء بالعبارة المذكورة لان معناها طلب ما وعده الله واذا لم يكن الداعي من الموعودين لاوجه لدعائه

بان يقول آتنا ماوعدتنا والاولى الاقتصار على الامرين الاخيرين وهو امتثال الامر والاستكانة أي الخضوع (قوله وهو أخص من أجاب) لان استجاب لايستعمل الافى اجابة الدعوة بخلاف أجاب فانه بمعنى جواب النداء والسؤال والدعاء وأيضا الاستجابة لاتستعمل الافى تحصيل المطلوب بخلاف أجاب (قوله على ارادة القول) يحتمل وجهين أحدهما ان يكون استجاب بمعنى قال والثانى ان يكون التقدير قائلا انى لاأضيع (قوله أولانهما من أصل واحد) لايظهر من هذا وجه كون بعضكم من بعض الا باعتبار الاتصال فهو راجع الى ما بعده (٦٢) (قوله بين بها الخ) الشركة المذكورة فهمت من قوله من ذكر أو أنثى فراده ان

علة الاشتراك تفهم من هذا القول لانه اذا كان بعضهم من بعض ومتصلا به فحكم كل من البعضين حكم الآخر فحكم النساء يكون حكم الرجال فى جزاء الاعمال (قوله والثانى أفضل) أى أوجه تقدم قتلوا على قاتلوا لان القتل الذى فهم من قتلوا وهو الشهادة أفضل من المقاتلة وهذا اذا كان المقاتل والمقتول واحدا واما اذا كانا متغايرين فالوجه هو مادكر (قوله أولان المراد الخ) (قوله والمراد أمته) فيكون ههنا مضاف مقدر أى لا يغرر أمتك (قوله تنزيلا للسبب الخ) المبالغة ان أصل لايغرنك لاتكن مسرورا فنهى التقلب عن الغارية ليستدل به على تعاق النهى باغترار المخاطب لان كون التقلب غارا سبب لصيرورة المخاطب مغترا وهذا موافق لما قاله العلامة التفتازانى ان فيه اشعارا

الامتثال أو تعبدا واستكانة ويجوز ان يعاق على محذوف تقديره ماوعدتنا مانزلا على رسلك أو مجولا عليهم وقيل معناه على ألسنة رسلك (ولا تخزنا يوم القيامة) بان تعصمنا عما يقتضيه (انك لاتخلف الميعاد) بإثابة المؤمن وإجابة الداعى وعن ابن عباس رضى الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة فى الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها وفى الآثار من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف [173] (فاستجاب لهم ربهم) الى طلبتهم وهو أخص من أجاب ويعدى بنفسه وباللام (انى لاأضيع عمل عامل منكم) أى بانى لاأضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول (من ذكر أو أنثى) بيان عامل (بعضكم من بعض) لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر أو لانهما من أصل واحد أو لفرط الاتصال والاتحاد أو للاجتماع والاتفاق فى الدين وهى جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روى ان أم سلمة رضى الله عنها قالت يارسول الله انى أسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت [174] (فالذين هاجروا) الخ تفصيل لاعمال العمال وما أعدلهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك أو الاوطان والعشائر للدين (وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى) بسبب ايمانهم بالله ومن أجله (وقاتلوا) الكفار (وقتلوا) فى الجهاد وقرأ حمزة والكسائى بالعكس لان الواو لاتوجب ترتيبا والثانى أفضل أو لان المراد لمقتل منهم قوم قائل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير [175] (لا كفرن عنهم سيآتهم) لامحونها (ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عندالله) أى أثيبهم بذلك اثابة من عندالله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد (والله عنده حسن الثواب) على الطاعات قادر عليه [176] (لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أو تثبيته على ما كان عليه كقوله فلاتطع المكذبين أو لكل أحد والنهى فى المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لاتنظر الى مايكفرة عليه من السعة والحظ ولاتغتر بظاهر ماترى من تبسطهم فى مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روى ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين فى رخاء وعيش فيقولون ان أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت (متاع قليل) خبر مبتدا محذوف أى ذلك لتقلب متاع قليل لقصر مدته فى جنب ماأعد الله للمؤمنين قال عليه الصلاة والسلام ماالدنيا فى الآخرة الامثل مايجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) أى مامهدوا لانفسهم [177] (لكن الذين اتقوا

بان السبب عين التقلب والمسبب الاغترار والنهى ورد عن الاول والمراد النهى عن الثانى (ره)

أعنى الاغترار مجازا أو كناية ولك ان تقول لاظهر السببية ههنا لان كون التقلب غارا ليس سببا لكون المخاطب مغرورا لان الغارية والمغرورية متضايفان وقد صرحوا بان القطع والانقطاع والكسر والانكسار مثلا متضايفان وقد حقق فى العلوم العقلية ان المتضايفين لايصح كون أحدهما سببا للآخر بل هما معا فى درجة واحدة والاولى ان يقال عاق النهى بكون التقلب غارا ليفيد نهى المخاطب عن الاغترار لان نفى أحد المتضايفين الذى هو الغارية يفيد نفى المتضايف الآخر الذى هو الاغترار (قوله وبئس المهاد)

ر بهم لهم جناب تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله) النزل والنزل مايعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال أبو الشعر الضبى

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا (وما عند الله) لكثرته ودوامه (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) نزلت فى عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل فى أربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل فى أصحمة النجاشى لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف (وما أنزل اليكم) من القرآن (وما أنزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى (لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا) كما يفعله المحرفون من أحبارهم (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) ماخص بهم من الاجر وعدده فى قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين (ان الله سريع الحساب) لعلمه بالاعمال ومايستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزاء (يأيها الذين آمنوا اصبروا) على مشاق الطاعات ومايصيبكم من الشدائد (وصابروا) وغالبوا أعداء الله بالصبر على شدائد الحرب وأعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته (ورابطوا) أبدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين للغزو وأنفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من رابط انتظار الصلاة بعد الصلاة وعنه عليه الصلاة والسلام من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لايفطر ولاينفتل عن صلاته الا لحاجة (واتقوا الله لعلكم تفلحون) فاتقوه بالتبرى مما سواه لكى تفلحوا غاية الفلاح أو واتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المرتبة التى هى الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس والله أعلم

﴿سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يأيها الناس) خطاب يعم بنى آدم (اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) هى آدم (وخلق منها زوجها) عطف على خلقكم أى خلقكم من شخص واحد وخلق منه أمكم حواء من ضلع من أضلاعه أو محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير

الصادقة (قوله والمراد أمته) فيكون ههنا مضاف مقدر أى لايغرن أمتك (قوله وانما دخلت اللام الخ) أى لام التأكيد تدخل على خبر ان ومنع دخولها على اسمها حذرا من اجتماع حرفى التأكيد لكن ههنا دخلت على الاسم لتأخره عن الخبر فلا يلزم الاجتماع المذكور (قوله لان سرعة الحساب الخ) لان غرضه من الحساب ظهور ما يستحق المكلف من الجزاء وترتيبه عليه ومنه يعلم مافهم من كلامه ان العلم بالجزاء داخل فى سرعة الحساب (قوله المعبر عنها) أى صفة المقامات الثلاثة فالصبر على الطاعات المرتبة الاولى التى هى الشريعة ورفض العادات المرتبة الثانية التى هى الطريقة ومرابطة السر على جناب الحق المرتبة الثالثة التى هى الحقيقة

﴿سورة النساء﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قوله وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة) أى خلق منها زوجها تقرير لماذكر وفيه انه لايلزم من خلق حواء من آدم خلقهم من نفس واحدة بل خلقهم من نفسين غاية الامر ان احداهما خلقت من الأخرى وظن ان ماذكروه قاصر عن توضيح المراد والمعنى والله أعلم انه جعل الاصل الاول لكم نفسا واحدة وهذا صحيح لانه آدم وحواء أصلان من الاول وعلى هذا ظهر كون خلق ههنا زوجها تقريرا للجملة الاولى التى هى خلقكم من نفس واحدة

(قوله اذ الحكمة تقتضي ان يكون النساء أكثر) كما سيجيء في قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور انه لعل تقديم الاناث لكونها أكثر لتكثير النسل فعلى مقتضى ماذكره ههنا يكون كون الاناث أكثر خلاف الحكمة والذي يخطر لي ان تقديم الاناث هناك لكونها أكثر في آن الاسلام الذي هو آخر لزمان وردفي الحديث ان من اشراط الساعة ان يقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة رجل واحد ووصف الرجال بالكثرة ههنا للاهتمام بشأنهم أولان الرجال أكثر منهم في مجموع أزمنة وجودهم من لدن آدم عليه السلام الى يوم القيامة وهذا لا ينافي ان يكون النساء أكثر في آخر لزمان (قوله بيان لكيفية توليدهم منهما) لان توليدهم من نفس واحدة يناسب بيان كيفيته اذ هو أمر خفي يتردد العقل فيه أهو من مجرد النفس الواحدة أو منها مع الزوج التي خلقت منها (قوله وذكر كثيرا) أي الظاهر بقضي أن يقال رجالا كثيرة بالتأنيث وإيراده هابالتذكير باعتبار تأويل الرجال بالجمع فكأنه قيل ان المراد جمع رجال كثيرا ونساء (قوله ولان المراد) يعني لما كان ربكم خلقكم من نفس واحدة فبينكم قرابة واتصال وهو يوجب الشفقة والرحمة من بعضكم على بعض كما يخفى على سليم الطبع (قوله وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة) أي الضمير المجرور وكبعض الكلمة لان هذا الضمير (٦٤) قوي الاتصال لان اتصاله من وجهين أحدهما باعتبار كونه ضميرا متصلا والثاني باعتبار انه متصل بالجار وتبع في تضعيف قراءة حمزة صاحب الكشاف وقال العلامة النيسابوري ومن قرأ بالجر فالعطف على الضمير المجرور وفي به وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدون اعادة الخافض لان الضمير المتصل من تمة ماقبله ولاسيما المجرور فاشبه العطف على بعض الكلمة الا أن قراءة حمزة تمائبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الطعن فيها بقياس واما كيت العنكبوت فقوا قال بعض أكابر علم القراءة وهو الشيخ الجزري في كتابه النشر الذي عمله في القراآت كم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر انه انكارهم بل أجمع الائمة المقتدى بهم من السلف على قبولها كخفض والارحام واعلم أن الظاهر من قول العلامة النيسابوري ان كل حرف من قراءة كل من القراء السبعة متواتر انكره خلاف ماقاله الجزري في النشر فقال زعم بعض المتأخرين أن القراآت لا يثبت الا بالتواتر ولا يخفى ما فيه لانا ان اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من حرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الائمة السبعة وغيرهم فلو لقد كنت اجنح الى هذا القول ثم ظهر فساده وموافقة أئمة السلف والخلف وقال القراآت المنسوبة الى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة الى المجمع عليه والشاذ فيراد من هؤلاء السبعة اشهرهم وكثرة الصحيح المجمع عليه في قراءتهم تركن النفس الى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم انتهى كلامه وعلى هذا ظهر ضعف ماقيل من كون كل حرف من القراآت السبعة متواترة (قوله اما على انه لما جرى مجرى الاسماء) يعني ليس في اللغة جمع فعيل صفة على فعالى بل على فعال وفعلاء وفعلى ككرام وكرماء وكمريض ومرضى وامافعيل اسما فيجمع على فعائل فاليتيم لما جرى مجرى الاسماء كصاحب وفارس في عدم ذكر الموصوف معهما أجري مجرى الاسماء فجمع على يتائم كما جمع أصيل على أصائل ثم نقل بعض الحروف عن مكانه كما ذكر

خلقهم من نفس واحدة (وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) بيان لكيفية توليدهم منهما والمعنى وانشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة وا كتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكن أكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة مواليها أولان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهل منزله وبنى جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث (واتقوا الله الذي تساءلون به) أي يسأل بعضكم بعضا فيقول أسألك بالله وأصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها (والارحام) بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا أو على الله أي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك أي مما يتقى أو يتساءل به وقد نبه سبحانه وتعالى ادفرن الارحام باسمه الكريم على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول ألا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله (ان الله كان عليكم رقيبا) حافظا مطلعا (وآتوا اليتامى أموالهم) أي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات أبوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى أو على

(قوله لانه من باب الآفات) أى اليتم من الآفات لانه التجرد من الاب لجمع جمع ماهو آفة كمرض جمع على مرضى (قوله قبل أن يزول الخ) فى الكشاف وفيه أنه اذا كان اطلاق اليتيم على البالغ بطريق الاتساع كما ذكر كان اليتيم حقيقة من لم يصل الى البلوغ فاذا بلغ زال عنه اسم اليتيم فلا وجه لقوله أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم ولعل مراده قبل أن يزول عنهم هذا الاسم بطريق الاتساع أى قبل مجىء زمان لا يطلق عليه اسم اليتيم اتساعا فانه أول زمان البلوغ وفيما يقرب منه يطلق عليه اسم اليتيم فاذا بعد لم يطلق عليه وقال العلامة التفتازانى اطلاق لفظ اليتامى حقيقة لغوية لا عرفية أو مجاز باعتبار ما كان لقرب العهد بالصغر والاشارة الى وجوب المسارعة الى دفع أموالهم حتى كأن اسم اليتيم باق بعد غير زائل انتهى ولو قال المصنف أول بلوغهم وفى وقت كان اسم اليتيم كأنه باق عليهم لم يرد شئ (قوله وهذا تبديل وليس بتبديل) فان التبديل هو اعطاء شئ وأخذ آخر والتبدل أخذ شئ وترك شئ آخر وكذا الاستبدال فان استبدال الحرام من أموال اليتامى بالحلال من الاوصياء أن يتركوا حلال أموالهم و يأخذوا أموال اليتامى التى هى حرام عليهم وكذا أخذ أموالهم بترك حفظها (قوله ذهابا الى الصفة) يعنى استعملت كلمة مافى النساء مع اختصاصها أو غلبتها فى غير ذوى العقول لان التفرقة بين من وما انما هى اذا أريد الذات أما اذا أريد الوصف كما

انه جمع على تمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع تمى على يتامى كاسرى وأسارى والاشتقاق يقتضى وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورود فى الآية امالبلغ على الاصل أو الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على أن يدفع اليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم ان أونس منهم الرشد ولذلك أمر بابتلائهم صغارا أو لغير البالغ والحكم مقيد فكأنه قال وآتوهم اذا بلغوا و يؤيد الاول ماروى ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم أو الامر الخبيث وهو اخذ الرذل أموالهم بالامر الطيب الذى هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) ولا تأكل هارهاء مضمومة الى أموالكم أى لا تنفقوهم امعا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر أجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف (انه) الضمير للاكل (كان حوبا كبيرا) ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا (وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء) أى ان خفتم أن لا تعدلوا فى نساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ماطاب لكم من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن أو ان خفتم أن لا تعدلوا فى حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا أن لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم لوفاء محقه لان المتحرج من الذنب ينبغى ان يتحرج من الذنوب كلها على ماروى انه تعالى لما عظم أمر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنى فقيل لهم ان خفتم أن لا تعدلوا فى أمر اليتامى فخافوا الزنى فانكحوا ماحل لكم واعمابر عنهن بما ذهابا الى الصفة أو اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره أوماملكت أيمانكم وقرئ بقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة أى ان خفتم ان تجوروا (مثنى وثلاث ورباع) معدولة عن اعداد مكررة هى نتين نتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربع غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت أصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوب على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ماشاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين فيه وكيفية قسمتها هذه البدرة

(٩ - (بيضاوى) - ثانى)

مادون من يحكم الوضع على ماذكره صاحب الكشاف وصاحب المفتاح وغيرهما وههنا المراد من ما الصفة أى انكحوا الموصوفة باى صفة أردتم من البكر والثيب والشابة واضدادها الى غير ذلك من الاوصاف (قوله أوماملكت أيمانكم) فان المراد مما ملكت أيمانكم الجوارى فانه عبر عنهما بما لقلة عقولهن (قوله فانها بنيت صفات الخ) أى صيغت للوصفية وان لم توضع أصولها التى هى ثلاثة وأربعة لها (قوله وقيل لتكرير العدل) لانها أخرجت عن أوزانها الاصلية وعن التكرار الى الوحدة (قوله متفقين فيه ومختلفين) لا يخفى مافى هذه العبارة ومحصلها الاذن لكل واحد من الناكحين يريد الجمع أن ينكح

أى عدد شاء من الاعداد المذكورة سواء كان كل ناكح متفقين فيه أو مختلفين فان الضمير فى ينكح راجع الى كل ناكح ولوقيل سواء كان الناكحون متفقين فى العدد أو مختلفين لكان أولى (قوله ولوأفردت كان المعنى تجويز الجمع) أى لوقيل انكحوا ماطاب لكم من النساء اثنين وثلاثا وأربعا لكان المعنى اجمعوا بين هذه الاعداد ولا يظهر التوزيع أى ان لكل واحد أن ينكح اثنين فقط والفرق بين العبارتين أنه اذا قيل انكحوا اثنين وثلاثا وأربعا فمجرد العبارة يظهر منها أن يجوز الجمع بين الاقسام المذكورة بان ينكح كل الاربع ويحتمل أن يكون المراد التوزيع بان ينكح بعض اثنين و بعض ثلاثا و بعض أربعا وأما اذا قيل انكحوا اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا فلا وجه له لان يقال معناه يجوز الجمع بين هذه الاقسام بان ينكح كل اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا والازم جواز نكاح أكثر من أربع والاحاديث الصحاح مانعة عنه وفيه نظر اذ يمكن أن يقال اذا نظر الى الاحاديث بكلمة التوزيع أو أريد العبارة الاولى وبالجملة فكلامه موضع نظر وقال صاحب الكشاف الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح بريد الجمع ما أراد من العدد الذى أطاق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولوأفردت لم يكن له معنى وتوضيحه أنه اذا قيل اقتسموا هذا المال درهمين وثلاثة وأربعة لم يصح جعل درهمين حالا من المال اذ ليس المال درهمين أما اذا كرر ظهر معنى آخر هو التفصيل فكأنه قيل اقتسموا هذا المال حال كونه درهمين درهمين باعتبار القسمة أو ثلاثة ثلاثة أى اقتسموا هذا المال كائنا قسمته على هذا التفصيل المخصوص وصاحب الكشاف لما جعل ظهور ما ذكر اقتسموا هذا المال الخ يفهم منه ظهار ان لا معنى لقول القائل انكحوا ماطاب لكم من النساء اثنين وثلاثة وقد صرح العلامة التفتازانى بان حكم الطيبات فى افراد النكاح حكم المال المذكور فى القسمة حيث قال لم يصح جعل درهمين حالا من المال الذى هو ألف درهم بخلاف ما اذا كرر فان القصد منه الى الوصف والتفصيل فى حكم الاقتسام وكذا الطيبات فى حكم النكاح انتهى كلامه فظهر الفرق بين كلام المصنف وصاحب الكشاف فان المفهوم (٦٦) من كلام المصنف ان معناه يجوز الجمع دون التوزيع وكلام

صاحب الكشاف يدل على ان ليس له معنى اذ لا معنى لخطاب الجمع بنكاح ماطاب من النساء حال كونه اثنين اذ لا يصح

درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولوأفردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولوذكرت بأولذهب تجويز الاختلاف فى العدد (فان خفتم أن لا تعدلوا) بين هذه الاعداد أيضا (فواحدة) فاختاروا أوفانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف أوخبره تقديره فتكفيكم واحدة أوفالمقنع واحدة (أوماملكت أيمانكم) سوّى بين الواحدة من

للجميع نكاح ثنتين ولا ثلاثة فان قيل يفهم من قوله لم يجوز أن ينكحوا اثنين اثنين ومن قوله ثلاث الازواج انه يجوز أن ينكحوا ثلاثة ثلاثة وأما انه يجوز أن ينكح بعض اثنين و بعض ثلاثة فلا يفهم منه قلنا اذا جاز أن ينكح كل واحد ثنتين أوثلاثا أوأربعا يلزم جواز أن ينكح واحد ثنتين والآخر ثلاثا والآخر أربعا اذ لا وجه لتجويز نكاح كل واحد ثنتين أوثلاثا والمنع من نكاح بعض ثنتين والبعض الآخر ثلاثة وأربعا فتأمل جدا فى هذا المقام فقد بقى ما فيه من الكلام والتوفيق من الملهم العلام (قوله ولوذكرت بأولذهب) أى لوقيل فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى أوثلاث أورباع لكان المعنى ان الناكحين أن يأخذ وانوعا خاصا من هذه التقسيمات بان يكون كل ناكح اثنين أوثلاثا أوأربعا ولم يظهر انه يجوز أن ينكح واحد اثنين وآخر أربعا لان مفهوم أو تجويز أحد الامرين أو الامور وأما جواز الجمع فانما يفهم من خارج والحاصل أن لواو تدل على جواز الجمع من هذه الانواع من الاعداد وهذا أى الجمع بان ينكح واحد اثنين وآخر ثلاثة وآخر أربعا فان هذه الانواع اجتمعت فى الناكحين وأما أو فلا يدل على الجمع وقد أهمل شيأ لابد من ذكره وذكره صاحب الكشاف حيث قال الواو دلت على اطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع مختلفين فى تلك الاعداد بان شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك فان قوله محظورا عليهم ما وراء ذلك غير مذكور فى كلام المصنف ووجب ذكره ليتحرز عن مذهب من جوز نكاح التسع استدلالا بان اثنين وثلاثا وأربعا تسع وذلك لان من نكح الخمس أوما فوقها لم يحافظ على القيد المذكور أى كيفية النكاح وكونه على هذا التقدير والتفصيل بل جاوز الى خماس وسداس (قوله تعالى فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة الخ) يتوجه عليه وعلى ما تقدم وهو قوله وان خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى الخ سؤال وهو أن يلزم من القول المتأخر أن يكون نكاح الواحدة مشروطا بما نخوف عدم العدل فلا يجوز بدونه ومن القول المتقدم أن يكون نكاح غير اليتامى مشروطا بخوف عدم الاقساط فى اليتامى ولا يجوز بدونه والذى يخطر لى والله أعلم ان المراد فان خفتم أن لا تعدلوا فالاحسن أن تنكحوا واحدة فالاحسنية مشروطة بالخوف المذكور وقس عليه قوله تعالى فان خفتم ان لا تقسطوا الخ

(قوله أقرب من ان لا تميلوا) أى أقرب الى عدم الميل والجور من اختيار كثرة الازواج فان عدم الميل فى هذه الصورة أيضا قريب لان فى قدرة الزوج ان لا يميل عن الحق ولا يجور وهو شأن المؤمن اذ حصول الجور والميل انما هو لعارض لكن عدم الجور أقرب حصولا فى اختيار الواحدة وا تسرى وان توقف فى القرب الى عدم الميل فى صورة اختيار الواحدة فاقرب يته أمر محقق وأما قربيته الى عدم الميل والجور فاختيار الواحدة أقرب والمراد ببيان شدة القرب كما قال تعالى لأصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا فان المراد أنه لو فرض مستقر ومقيل يكون فيه نفع لكان الجنة خيرا منه وأحسن (قوله ولعل المراد بالعيال الخ) اذا كان المراد بالعيال الازواج كان ذلك اشارة الى التسرى فوجه الاقربية ظاهر لأن التسرى أقرب الى عدم كثرة العيال بالنسبة الى اختيار الواحدة وهو قريب الى عدمها كما لا يخفى وان كان المراد الاول اذ يصح أن يجعل ذلك اشارة الى اختيار الواحدة وكان الاقربية بالنسبة الى كثرة الازواج فان قيل عدم كثرة الازواج متحقق فى كل من الصورتين وهما اختيار الواحدة والتسرى فما معنى كون أحدهما قريبا الى عدم كثرة الازواج والآخر أقرب قلنا المراد من الأقرب الى عدم كثرة الازواج أقوى وأشد مناسبة لعدمها وظاهر ان مناسبة التسرى لعدم الكثرة أقوى وأشد من اختيار الواحدة (قوله لجواز العزل) فيه انه يجوز العزل عن الزوجة أيضا عند الشافعى والاولى أن يقال لان الولد الحاصل

(٦٧)

من التسرى له المقص من جانبها فقد يعزل عنها أشد لدفع هذه المنقصة بخلاف الزوجة وأيضا قد يعزل عن الامة حذرا عن صيرورتها مستولدة (قوله و بضمهما على التوحيد) أى بضم الصاد والدال على صيغة الفرد وهى صدقة من (قوله نظرا الى مفهوم الآية) يفهم من ان كون النحلة بمعنى الفريضة أن ايتاء الصداق فرض مقدر على الزوج (قوله أو حال) يعنى اذا كان النحلة بمعنى الديانة كان مفعولا واذا كان

الازواج والعدد من السرارى لخفة مؤنهن وعدم وجوب انقسام بينهن (ذلك) أى التقليل منهن أو اختيار الواحدة أو التسرى (أدنى أن لا تعولوا) أقرب من أن لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة أن لا تعيلوا من أعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان أريد الاولاد فلان التسرى مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع (وآتوا النساء صدقاتهن) مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة فى ظلمة (نحلة) أى عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا أعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظرا الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها فى معنى الايتاء أو الحال من الواو أو الصدقات أى آتوهن صدقاتهن ناحلين أو منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فتكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له أو حال من الصدقات أى دينا من الله تعالى شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور مواليتهم (فان طبن لكم عن شئ منه نفسا) الضمير للصداق حملا على المعنى أو مجرى مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة

حالا كان بمعنى الدين ولا يتوهمن انه اذا كان بمعنى الديانة جاز أن يكون مفعولا له وان يكون حالا و يمكن حمل عبارته على ان الديانة التى هى المصدر اذا أبقيت على معناها كانت مفعولا له واذا جعلت بمعنى الدين كانت حالا وقد غير عبارة الكشاف وهى المعنى آتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول له و يجوز أن يكون حالا من الصدقات أى دينا من الله شرعه وفرضه (قوله حملا على المعنى) أى حملا على ما هو راجع الى معنى الصدقات و يقوم مقامها فانه لو قيل آتوا لنساء صداقهن يصح كما آتوا النساء صداقاتهن (قوله أو يجرى مجرى اسم الاشارة) أى تذكير الضمير وافراده باعتبار ان الضمير راجع الى الصدقات بتأويل المذكور كما فى بيت رؤبة قال صاحب الكشاف ومن الحجج المسموعة من أفواه العرب ما روى عن رؤبة انه قيل له فى قوله فيها خطوط من سواد و بياض * كانه فى الجلد توليع البهق فقال أردت كان ذلك قال العلامة التفتازانى لما توجه انه لا بد فيه من التأويل بالمذكور من غير توسط اسم الاشارة أجاب أى صاحب الكشاف بان الفصحاء من العرب قد اعتبر واذلك حيث قال رؤبة أردت كان ذلك مشيرا الى الخطوط وجعل الحجة قول رؤبة لا نفس البيت لاحتمال أن يكون تذكير الضمير باعتبار الخبر وهو توليع البهق انتهى ولا يخفى ما فى المذكور من القصور فان السؤال انه لما وجب التأويل بالمذكور فما فائدة اعتبار اسم الاشارة ولم لم يجعل الضمير فى القرآن عائدا الى الصدقات بتأويل المذكور وكذا فى قول رؤبة فيجب فى الجواب بيان نكتة ولا يخفى ان ما ذكره فى الجواب من أن الفصحاء اعتبر واذلك لا يغنى عن بيان النكتة لان السؤال

المذكور بقي اذ يجوز أن يقال لم اعتبر الفصحاء ذلك و يمكن أن يقال ليس مراد رؤية من الجواب المذكور وسط اسم الاشارة بل مراده انه كما يجوز ان يقال كان ذلك اشارة الى الخطوط بتأويل المذكور كذلك يجوز ان يقال كانه بان يكون الضمير راجعا الى الخطوط بهذا التأويل (قوله تلويح) قال الاصمعي اذا كان في الدابة ضروب من الألوان من غير بهق فذلك التوليع والبلق السواد والبياض (قوله لكن جعل العمدة) أي الظاهر ان يقال ان وهبن عن طيب حتى يكون عن طيب من متعلقات الفعل لكنه جعل الطيب مسندا وعمدة في الكلام مبالغة في اعتبار طيب النفس (قوله أقيمت مقام مصدريهما) قال صاحب الكشاف وقد يوقف على فكلوه و يبتدأ هنيأ على الدعاء وعلى انهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنيأ مريئا قال العلامة التفتازاني قوله وعلى انهما صفتان بيان وتتميم لقوله على الدعاء كسابقه وعلى هذا ظهر ما في تقرير المصنف من التقصير في بيان المراد (قوله أو وصف بهما المصدر) أي كلوه أكلا هنيأ (قوله يتأتمون) قال صاحب الصحاح تأثم تحرج عن الاثم أي يتحرجون ان يقبل أحدهم الخ (قوله وهو اللائم) أي (٦٨) كون المراد من أموالكم أموال السفهاء وأضيف الى الاولياء كما ذكر هو الملائم للآية المتقدمة وهو قوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم والآية المتأخرة وهي قوله تعالى فادفعوا اليهم أموالهم واعلم ان صاحب الكشاف فسر السفهاء باليتامى حيث قال والدليل على انه خطاب للاولياء في أموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وفيه ان ما ذكر لا يدل على ان الخطاب في خصوص أموال اليتامى لان حكم السفهاء مطلقا كذلك سواء كانوا يتامى أولا فلذا لم يخصص المصنف أموال السفهاء بأموال اليتامى بل أبقاها على اطلاقها وهو الظاهر ولا باعث على الصرف عن ظاهر مع ان الحكم في مطلق السفهاء كذلك (قوله ثم ينظر الى أيديهم) أي ثم او يطلب منهم شيء من المال و ينظر من ان يخرج من أيديهم شيء (قوله وهو أوفق الخ) لان قيام الشخص واتفاعه بماله لا بمال غيره (قوله ما يقام به) أي ما يقوم به شيء أي جعل الله الاموال تقاوموا بها أي يحصل القيام لكم ورفع الخلل عنكم بها (قوله واجعلوها مكانا لرزقهم) ايراد لفظ في مشعر بان المراد جعل أموالهم محلا لرزقهم وهذا لا يكون الا بالتجارة ولو قيل وارزقوهم منها أظن ان المراد ان رزقهم من نفس المال (قوله عدة جميلة) بان يقال لهم ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم أموالكم (قوله ما عرفه الشرع أو العقل بالحسن) الاولى الاكتفاء بالاول وان كل قول معروف اما واجب أو مندوب أو مباح وكل منها حسن في الشرع كما صرح به المصنف في منهاج الاصول و يمكن ان يقال مراده بما عرفه الشرع ما يحكم الشرع بترتيب الثواب عليه و بما عرفه العقل ما يكون ملائما للطباع السليمة (قوله بان يحتلم الخ) لم يذكر دليل حصول البلوغ بالاحتلام وذكر دليل البلوغ بالسن لان فيه اختلافا كما ذكره ولا اختلاف في حصوله بالاحتلام ودليل حصوله بالاحتلام قوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا وقوله صلى الله

* كانه في الجلد توليع البهق * اذ مثل فقال أردت كأن ذاك وقيل للابتداء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم شيأ من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب (فكلوه هنيأ مريأ) فخذوه وانفقوه حلالا لا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنأ الطعام ومرأ اذا ساغ من غير خصص أقيمتا مقام مصدر يهما أو وصف بهما المصدر أو جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما تحمد عاقبته روى ان ناسا كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيأ مما ساق اليها فنزلت (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) نهى للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم فيضيعوها وانما أضاف الاموال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهى لكل أحد ان يعمد الى ما خوله الله تعالى من المال فيعطي امرأته وأولاده ثم ينظر الى أيديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقولهم واستهجانا لجعلهم قواما على أنفسهم وهو أوفق لقوله (التي جعل الله لكم قياما) أي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرأ نافع وابن عامر قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به (وارزقوهم فيها واكسوهم) واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما تحتاجون اليه (وقولوا لهم قولا معروفا) عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع أو العقل بالحسن والمنكر ما أنكره أحدهما لقبحه (وابتلوا اليتامى) اختبروهم قبل البلوغ بتتبع أحوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى بان يدفع اليه ما يتصرف فيه (حتى اذا بلغوا النكاح) حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم

عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يحتلم الحديث (قوله لانه يصلح للنكاح عنده) أي يصلح للنكاح بخلاف ماقبل البلوغ فانه لايصلح للاستقلال فيه (قوله من غير تاخير عن حد البلوغ) يعتبر معه أساس الرشد (قوله والجملة الخ) أي الجملة المذكورة بعد حتى مع قوله تعالى فادفعوا اليهم أموالهم وانما قال دفع أموالهم اليهم يشترط فيه ايناس الرشد لان الجزاء مقصود بالذات والشرط قيده بمنزلة الظرف (قوله تعالى ولاتأكلوها الخ) فان قيل هذا نهى عن أكلهم اسرافا وبدارا معا فاين النهى عن أحدهما فقط قلنا النهى عنه قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف اذ يعلم منه النهى عن أكل مالهم بغير المعروف لكن الاسراف والمبادرة غير المعروف (قوله بقدر حاجته وأجرة سعيه) هذا ظاهر اذا كانت الأجرة وقدر الحاجة مساويين اما اذا زاد أحدهما على الآخر فكيف يأخذ بقدر (٦٩) الحاجة أو أجرة السعي قلنا الظاهر ان

أو يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام اذا استكمل الولد خمس عشرة سنة كتب ماله وماعليه وأقيمت عليه الحدود وثماني عشرة عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى و بلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده (فان آنستم منهم رشدا) فان أبصرتم منهم رشدا وقرئ أحسستم بمعنى أحسستم (فادفعوا اليهم أموالهم) من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الآية أن الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لايدفع اليهم مالم يؤنس منهم الرشد وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها و يؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد (ولاتأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا) مسرفين ومبادرين كبرهم أو لاصرافكم ومبادرتكم كبرهم (ومن كان غنيا فليستعفف) من أكلها (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) بقدر حاجته وأجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعنه عليه الصلاة والسلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما أفآكل من ماله قال كل بالمعروف غير متأثل مالا ولاواق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولاتأكلوها يدل على انه نهي للاولياء أن يأخذوا و ينفقوا على أنفسهم أموال اليتامى (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) بانهم قبضوها فانه أنفى للتهمة وأبعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لايصدق في دعواه الابالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك خلافا لابي حنيفة (وكفى بالله حسيبا) محاسبا فلا تخالفوا ماأمرتم به ولاتتجاوزوا ماحد لكم (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) يريد بهم المتوارثين بالقرابة (مما قل منه أوكثر) بدل مما ترك باعادة العامل (نصيبا مفروضا) نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله أو حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب أو على الاختصاص بمعنى أعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روى ان أوس بن الصامت الانصاري

في مال اليتيم ثم ان الظاهر ان المبالغة في العفة للاشعار بان على الغني عادة الاحتراز عن أكل مال اليتيم و بذل الوسع فان لايأكل مال اليتيم باحتيال انه ماله حتى يتحقق عنده انه ليس مال اليتيم (قوله وايراد هذا التقسيم) يعني لايظهر من ظاهر قوله تعالى ولا تأكلوها انه خطاب لمن فلما جيء بالتقسيم المذكور علم المخاطب لان الاكل بالمعروف من أموال اليتامى انما يكون للاولياء (قوله يريد بهم المتوارثين بالقرابة) أي المراد من الاقربين الذين يكون بينهم مع الرجال توارث بان يكون كل منهما صالحا للارث والغرض ميراثه ليس لمطلق الاقارب نصيب بل هو للقرب المذكور (قوله نصب على انه مصدر مؤكد) والتقدير فرض لهم فريضة يجعل نصيبا مفروضا بمعنى المفروضة (قوله أو حال الخ) هذا بيان حاصل المعنى والتقدير يثبت لهم نصيبا مفروضا اما قدم المصنف الحال على ذي الحال لكونه نكرة (قوله أوس بن الصامت) قال العلامة التفتازاني في الكتب المعتبرة والروايات الصحيحة ان أوس ابن ثابت أخا حسان استشهد باحد وأوس بن الصامت استشهد في خلافة عثمان رضي الله عنه

مراده تعيين أجرة السعي وذكر قدر الحاجة للتصريح بانه لابد من الحاجة فتأمل (قوله ومبادرين كبرهم) أي سابقين كبرهم أي مسرفين في مالهم مخافة ان يكبروا فيأخذوه من أيدي الاولياء (قوله مشعر بان الولي له حق في مال الصبي) امادلالة الاكل بالمعروف على ماذكر فظاهر واما الاستعفاف فقد قالوا في دلالته انه مبالغة في العفة ولا يتحقق بمجرد الامتناع عما لاحق له فيه أصلا هذا كلامهم وفيه ان المعنى اذا كان ممنوعا من أكل مال اليتيم كما هو مذهب الشافعي وأصحابه رضي الله عنهم فلا وجه لكونه صاحب الحق

(قوله أم كحة) بالحاء المهملة وبضم الكاف (قوله فزوى) جمع (قوله عن الحوزة) هي مجتمع الملك موضع السلطنة (قوله القضيخ) بالضاد والخاء المعجمتين قيل لعله المسجد الذي سكنه أصحاب الصفة (قوله وهو دليل الخ) لانه تعالى خاطب

خالف زوجته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة أوقتادة وعرجفة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهما كانوا يورثون النساء ولا لطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت أم كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد القضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال أوس شيأ فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب (واذا حضر القسمة أولوا القربى) ممن لا يرث (واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) فاعطوهم شيأ من المقسوم تطييبا لقلوبهم وقصد فاعليهم وهو أمر ندب للبالغ من الورثة وقيل أمر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك أو لمادل عليه القسمة (وقولوا لهم قولا معروفا) وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم) أمر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم أو للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم فلا يتركوه أن يضر بهم بصرف المال عنهم أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم أو للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا أن يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال أولاده (فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) أمرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما أمرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم أمرهم أن يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب أو للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع لورثته ويذكره التوبة وكلمة الشهادة أو لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا أو ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع لورثة (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) ظالمين أو على وجه الظلم (انما يأكلون في بطونهم) ملء بطونهم (نارا) مايجر الى النار يؤول اليها وعن أبي برزة رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج أفواههم نارا فقيل من هم فقال ألم تر أن الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا (وسيصلون سعيرا) سيدخلون نارا وأي نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته وأصليته وصليته ألقيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا أطبتها (يوصيكم الله) يأمركم ويعهد اليكم (في أولادكم) في شأن ميراثهم وهو اجمال لتفصيله (للذكر مثل حظ الانثيين) أي يعد كل ذكر باثنين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرم بان بالكلية وقد اشتركا في

أولا بان للاقربين نصيبا مفروضا ولم يبين القدر المفروض ثم بين بقوله يوصيكم الله (قوله ثم لا يرث) لما ذكر في الآية السابقة حال الاقربين الوارثين ذكر هنا حال الاقربين غير الوارثين (قوله أو مادل عليه القسمة) أي المقسوم الذي هو الميراث (قوله وليخش الذين حالهم و وصفهم انهم) فيكون بعض الصلة محذوفا و يفسر تركوا يشارفوا الان الترك غير حاصل بالفعل لان الترك بعد الموت فلا وجه للخوف (قوله أمرهم بالتقوى الخ) أي أمرهم باخشية أولا في قوله تعالى وليخش الذين لو تركوا ثم أمرهم ثانيا بالتقوى الذي هو غاية الخشية ثم أمرهم بالقول المعروف في قوله تعالى وليقولوا قولا سديدا (قوله ظالمين أو على وجه الظلم) يعني ظالما حال أو تمييز (قوله في بطونهم) هذا يستفاد من لفظ في لان المعنى نارا كائنا في بطونهم وحقيقة الظرفية أي كاملا ان يكون المظروف مساويا للظرف فاذا أكلوه قدر ما يملأ البطن لم يكن الماكول في البطن حقيقة أي كله بل في بعض الجهة (قوله سيدخلون نارا وأي نار) شديدة الاحراق شأنها من الشدة بحيث تستحق أن تسأل عن حالها وتتحقق كيفيتها (قوله يقال صلي النار) بكسر اللام هذا وصليته معنيان حقيقيان ولهما لازم هو لدخول في النار فاستعمل ههنا في اللازم واذا ضممت الياء

شددت اللام أولا كان بالمعنى الحقيقى الذى هو الادغام فى النار (قوله وان كانت المولودة واحدة) يعنى اذا كانت خالصة ليس معها ذكر من الأولاد والأولى أن يقال ان الضمير فى كانت راجع الى الولد لأنه ذكر فى ضمن أولادكم وتأنيثه باعتبار الخبر كما مر (قوله واقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان) يعنى انه ذكر ان للذكر مثل الانثيين وللبنت معه الثلث بعد ماتبين فيجب أن يكون للاثنتين ثلثان فالحرى أن تستحقه مع أخت مثلها فان قيل هذا الدليل والذى يجىء بعده يدل على عدم النقص عن الثلث ولا يدل على عدم استحقاق الزيادة قلنا قوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين يدل (٧١) على عدم استحقاق الزيادة لأنه اذا كانت مافوق الاثنتين لا تستحق أكثر من الثلثين فهما بطريق الأولى (قوله لقوله فلهما الثلثان مما ترك) اى قوله تعالى فى آخر السورة فى آية يستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فى الكلالة (قوله فانه يفضى الى تفضيل الأنثى الخ) يعنى اذا كان مع الأبوين الزوج فله النصف فلو كان فرض الأم فى هذه الصورة ثلث كل المال وبقى للاب السدس لزم أن يكون للام ضعف ما للاب والحال أن الأب مساو للام فى القرب الى الميت والجهة التى هى الكون أصلا قريبا (قوله فان كانوا الخ) كالاخوة للاب فانهم لا يردون مع الأب لكن يردون الأم من الثلث الى السدس (قوله من غير اعتبار الثلث) أى من غير اعتبار أن يكون الاخوة ثلاثة وان كان

الجهة والمعنى للذكر منهم (قوله فان كن نساء) أى ان كان الأولاد نساء خالصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر أو على تأويل المولودات (فوق اثنتين) خبر ثان أو صفة للنساء أى نساء زائدات على اثنتين (فلهن ثلثا ما ترك) المتوفى منكم و يدل عليه المعنى (وان كانت واحدة فلها النصف) أى وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف فى الثنتين فقال ابن عباس رضى الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم مافوقهما لانه تعالى لما بين أن حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه أنثى وهو الثلثان اقتضى ذلك أن فرضهما الثلثان ثم لما أوهم ذلك أن يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين و يؤيد ذلك أن البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع أخيها فالحرى ان تستحقه مع أخت مثلها وان البنتين أمس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله تعالى فلهما الثلثان مما ترك (ولأبويه) ولأبوى الميت (لكل واحد منهما) بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا (السدس مما ترك ان كان له) اى للميت (ولد) ذكرا أو أنثى غير ان الأب يأخذ السدس مع الأنثى بالفريضة وما بقى من ذوى الفروض أيضا بالعصوبة (فان لم يكن له ولد ورثه أبواه) فحسب (فلامه الثلث) مما ترك وانما يؤخذ حصة الأب لأنه لما فرض أن الوارث أبواه فقط وعين نصيب الأم علم أن الباقى للاب وكأنه قال فلهما ما ترك أثلاثا وعلى هذا ينبغى أن يكون لما حاجب كان معهما أحد الزوجين ثلث ما بقى من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضى الى تفضيل الانثى على الذكر المساوى لها فى الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع (فان كان له اخوة فلامه السدس) باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم يأخذون السدس الذى يحجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد من له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة أو الاخوات وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص أخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائى فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التى قبلها (من بعد وصية يوصى بها أو دين) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها أى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من صية أو دين وانما قال بالواو التى للاباحة دون الواو المفيدة للدلالة على انهما متساويان فى الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهى متأخرة فى الحكم لانها مشبهة بالميراث

خلاف مقتضى الظاهر (قوله ولا الأخوات الخلص) يفهم منه أنه لو اجتمع الأخ والأخت يحجبون الأم من الثلث الى السدس و يرد عليه انه أيضا خلاف الظاهر لأن الظاهر انه مخصوص بالاخوة الخلص نعم يحتمل أن تكون صورة الاجتماع داخلة فى الاخوة باعتبار التغليب (قوله بأو التى للاباحة الخ) أى التسوية وعدم اختلاف الحكم متعلق بالأمرين جميعا أو باحدهما (قوله وهى متأخرة فى الحكم) أى تنفيذ الوصايا مؤخر عن أداء الدين بل يجب أولا أداء الدين ثم تنفيذ الوصية (قوله لأنها مشبهة بالميراث) وجه التشبيه ان الميراث ثبت بالموت كما ان الوصية كذلك بخلاف الدين فانه ثابت قبل الموت

(قوله شاقة على الورثة) فان أخذها من غير عوض وصل الى الموروث بخلاف الدين (قوله ومندوب اليها الجميع) أى جميع المؤمنين يدعو الى الوصية لقوله صلى الله عليه وسلم ماحق مسلم عنده شئ يبيت ليلتين الا وصيته مكتوبة عنده (قوله فالدين انما يكون) هذا وجه رابع لتقدم الوصية لأنها كثيرة بالنسبة الى الدين بل هو نادر (قوله أو موروثكم منهم) عطف على ممن برثكم (قوله ولا يستثنى منه الخ) فان أولاد الأم ذكورا واناثا يستوون فى الميراث وكذا المعتق والمعتقة فان كلا منهما يرث كل التركة بالعصوبة (قوله ويستوى الخ) أى اذا كانت الزوجة واحدة ولم يترك الزوج ولدا لها الربع وكذا اذا كانت الزوجة أكثر من واحدة سواء كانت ثلاثا أو أربعا بالمجموع الربع (٧٢) وقس عليه حال الصورة التى ورثت الزوجة فيها الثمن (قوله من ورث) أى

يورث من المجرد لمزيد فيه (قوله والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد) أى اذا كان مفعولا له كان بمعنى القرابة المذكورة أما اذا كانت خبرا أو حالا يكون بمعنى القريب الذى لا يكون والدا ولا ولدا فيكون كالة التى بمعنى القريب المذكور الميت (قوله وتوريث من أورث) أى يكون من باب الافعال فيكون المعنى يورث غيره وترك الميراث له وههنا اشكال وهو أنه اذا كان الرجل الوارث والكالة ليس بولد ولا والد فضمير له يرجع الى الرجل على ماقاله المصنف وصاحب الكشاف فيكون المعنى وان كان الوارث ليس بولد ولا والد وله أخ أو أخت من الأم فلكل منهما السدس فلزم دخول أخى الميت من الأب اذا كان هذا لأخ من الام وان كان هذا الاخ ليس للاختين

شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بفتح الصاد (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) أى لا تعلمون من أنفع لكم ممن برثكم من أصولكم وفروعكم فى عاجلكم وآجلكم فتحرفوا فيهم ما أوصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روى ان أحد الوالدين اذا كان أرفع درجة من الآخر فى الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته أو ممن يورثكم منهم أو أوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته أو ممن لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة أو تنفيذ الوصية (فريضة من الله) مصدر مؤكد أو مصدر يوصيكم الله لانه فى معنى يأمركم ويفرض عليكم (ان الله كان عليما) بالمصالح والرتب (حكيما) فيما قضى وقدر (ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن) أى ولد وارث من بطنها أو من صلب بنيها أو بنى بنيها وان سفل ذكرا كان أو أنثى منكم أو من غيركم (من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين) فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما فى النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا فى الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا أولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوى الواحدة والعدد منهن فى الربع والثمن (وان كان رجل) أى الميت (يورث) أى يورث منه من ورث صفة رجل (كالة) خبر كان أو يورث خبره وكالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا أو مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من أورث وكالة من ليس له ولد ولا والد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكالة تحتمل المعانى الثلاثة وعلى الاول خبر أو حال وعلى الثانى مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهى فى الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فآليت لا أرثى لها من كالة * ولا من حفا حتى ألاقى محمدا فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها الموروث والوارث بمعنى ذى كالة كقولك فلان من قرابتى (أو امرأة) عطف على رجل (وله) أى وللرجل والكتنى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه (أخ أو أخت) أى من الام ويدل عليه قراءة أبى وسعد بن مالك وله أخ أو أخت من الام وأنه ذكر فى آخر السورة ان

أخا الميت وبد من قيد آخر يخرج به هذا الاخ وان كان ضمير له راجعا الى الميت فهذا مع انه خلاف ماقاله المصنف وصاحب الكشاف لا يخفى مافيه وبالجملة الاولى الاقتصار على أن يكون الرجل هو الميت (قوله وكالة يحتمل المعانى الثلاثة الخ) المعنى الاول من لم يخلف والدا ولا ولدا الثانى قرابة ليست من جهة الوالد والولد الثالث من لا يكون ولدا ولا والدا وعلى الاول وهو أن يكون بمعنى من لم يخلف ولدا ولا والدا يكون خبر الرجل أو حالا اذا كان يورث خبرا (قوله فآليت الخ) أى حلفت لأرحم الناقة من كلالتها أو اعيائها ولا من رقة قدميها ولا من حفى حتى ألاقى محمدا أى لنبى صلى الله عليه وسلم (قوله لانها كالة) أى ضعيفة بالنسبة الى قرابة البعضية (قوله وانه ذكر الخ) معطوف على قوله قراءة أبى أى لما ذكر فى آخر السورة ان للاختين الثلثين والاخوة كل المال علم أن المراد

من الاخت والاخ ههنا ولد الام لقوله تعالى فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث اذ لو كان المراد ههنا أعم من ولد الام كان اطلاق الحكم بانهم شركاء فى الثلث مناقضا للحكم المذكور فى آخر السورة (قوله لان الادلاء الخ) أى النسبة الى الميت بسبب الام والظاهر ان أدلاءهم لما كان بمحض الانوثة حصلت قوة للاناث بسبب قوة المناسبة للواسطة التى هى الام فيصير هذا سببا لكون حصة الاناث كالذكور ولك أن تقول الادلاء وان كان بمحض الانوثة لكن الذكورة توجب ترجيح الذكر كما فى سائر صور اجتماع الذكور والاناث وأيضا لما كانت أولاد الام منتسبين الى الميت بالام فالظاهر أن يرثوا من الميت كما يرثون من الام التى هى الواسطة والاولى أن يحال تعيين هذه الانصباء الى التعبد والقول بان الحكمة فيها مخفية (٧٣) (قوله ومفهوم الآية الخ) لان الفرض ان الميت

للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق بأولاد الام وان ماقدرهم ههنا فرض الام فينبغى أن يكون لاولادها (فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) سوى بين الذكر والانثى فى القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية أنهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن نص فيه بالاجماع (من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار) أى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث أو قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور فى هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول فى قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم (وصية من الله) مصدر مؤكد أو منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة أى لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة أو وصية منه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار الكاذب (والله عليم) بالمضار وغيره (حليم) لا يعاجل بعقوبته (تلك) اشارة الى الاحكام التى قسمت فى أمر اليتامى والوصايا والمواريث (حدود الله) شرائعه التى هى كالحدود المحدودة التى لا يجوز مجاوزتها (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) توحيد الضمير فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليستا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم) أى يفعلنها يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنى لزيادة قبحها وشناعتها (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) فاطلبوا ممن قذفهن أربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن (فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت) فاحبسوهن فى البيوت واجعلوها سجنا عليهن (حتى يتوفاهن الموت) يستوفى أرواحهن الموت أو يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن فى أوائل الاسلام فنسخ بالحدود يحتمل أن يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد أن يجلدن كيلا يجرى عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولهذا كرر الحد استغناء بقوله تعالى الزانية والزانى (أو يجعل الله لهن سبيلا) كتعيين الحد الخاص عن الحبس أو النكاح المغنى عن السفاح (واللذان يأتيانها منكم) يعنى الزانية والزانى وقرأ ابن

كلالة أى لم يخلف ولدا ولا والدا خص عنه أى أخرج هذه الصورة وهى اذا كان الاخ أو الاخت مع الام من حكم مفهوم الآية (قوله أو قصد المضارة الخ) أى بان يقصد بالوصية وان كانت بالثلث وما دونه مضارة الورثة دون القربة أى التقرب من الله تعالى (قوله وهو حال الخ) أى اذا كان يوصى على البناء للفاعل كان غير مضار حالا من الضمير المستقر فيه وان قرئ على البناء للمفعول كان حالا من الضمير المستقر فى يوصى المبنى للفاعل المفهوم من يوصى المبنى للمفعول (قوله أى لا يضار وصية من الله الخ) المراد بالمضر بتوصية الله مخالفتها وقد وصى الله تعالى بشيئين أحدهما عدم الزيادة على الثلث فى الوصية والثانى عدم قصد الضرر بالاولاد (قوله وخالدين حال

مقدرة الخ) لان الخلود غير موجود حال الدخول وانما الموجود التقدير والفرض كما فى المثل الذى ذكره والمعنى معه صقر يتقدر به ان يصيد غدا (قوله لانهما جريا الخ) أى ليس خالدين فى الحقيقة صفة الجنات بل صفة للداخلين فيها وهم من يطع الله ورسوله فلو جعل صفة للجنات لوجب ابراز الضمير فيقال خالدين هم فيها كما ثبت فى كتب النحو (قوله يستوفى أرواحهن الموت الخ) يعنى يتوفى باق على أصل معناه وصحة المعنى اما باعتبار شئ مقدر وهو الملائكة واما باعتبار تشبيه الموت بشخص مستوف أرواحهن فههنا استعارة (قوله كتعيين الحد الخ) الوجه الاول ناظر الى التفسير الاول والوجه الثانى ناظر الى التفسير الثانى

(قوله بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد) قال فى الصحاح التوبيخ التهديد والتقريع التضييق ثم قال التضييق التعيير واللوم فيكون حاصل المعنى بالتهديد والتعيير واللوم وقيل بالتعيير والجلد (قوله فاقطعوا الخ) قال صاحب الكشاف معنى قوله تعالى فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما استحييتما فان نابا وأصلحا فاعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقوبة ويحتمل أن يكون خطابا للمشهود العاثرين على سوأتهما وأراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام فان نابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما انتهى كلامه وعلى هذا ظهر ما فى كلام المصنف من الاجمال والابهام ثم ان قوله فاقطعوا عنهما الايذاء مناسب لما فسره أولا صاحب الكشاف وقوله فاعرضوا عنهما بالستر مناسب لما فسره ثانيا ثم ان تفسير الايذاء بالتعيير والجلد لا يناسب تفسير قطع الايذاء بالستر لانه بعد الجلد لا معنى للستر لكن صاحب الكشاف لما فسر الايذاء بالتهديد لا الجلد ناسب (٧٤) تغيير قطعه بالستر فتأمل (قوله فى السحاقات) أما الاول فبقرينة ارادة صيغة التأنيث وأما الثانى فبقرينة صيغة المذكر (قوله كالمحتوم على الله) فان قيل بل هو محتوم عليه بمقتضى وعده اذ يمتنع تخلف وعده قلنا المراد من المحتوم الواجب عقلا وقبول التوبة ليس كذلك بل هو شبيه به (قوله ملتبسين بها) انما فسر بذلك ولم يفسر بجهل كون الفعل معصية لان التوبة لا تخصهم بل من علم كون الفعل معصية ثم تاب فهو داخل تحت هذا الحكم بل من لم يعلم كونه معصية قد لا يحتاج الى التوبة لان فعل الجاهل معفو عنه وانما قلنا قد لا يحتاج لان الجاهل بما كره قد يؤاخذ بتقصيره فى تحقيق الامر (قوله سوى بين من فسر التوبة الخ) هذا الكلام يدل على ان قوله ولا الذين يموتون وهم كفار هم الذين لم يتوبوا أصلا وحينئذ لم يظهر الدال المعطوف عليه ادلو عطف على الذين يعملون السيئات بوهم أن يكون المعنى وليست التوبة للكفار الذين ماتوا على الكفر ولم يتوبوا أصلا وهذا كلام لا فائدة فيه الا أن يراد من التوبة ما يترتب عليها وهو الغفران ويمكن أن يقال معنى الآية وليست التوبة للذين يعملون السيئات من الفسقة حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار بان تكون توبتهم فى حال حضور الموت حتى يكون القيد المذكور وهو قوله حتى اذا حضر أحدهم الموت الخ قيدا لهما (قوله للمبالغة فى عدم الاعتداد بها) المراد بالمبالغة اتأكيد ولا يخفى ان تسوية توبة الفرقة الاولى وعدم توبة الفرقة الثانية تؤكد عدم القبول لأن أصل عدم القبول حاصل من قوله تعالى وليست توبة للذين يعملون السيئات (قوله و بالذين الخ) يعنى نسب السوء الذى هو مفرد الى المؤمنين والسيئات التى هى الجمع باللام الى المنافقين اشعارا بان أفعالهم السيئة كثيرة حتى كأنهم فاعلوا كل سيئة (قوله وقيل) المعنى على ما قال صاحب الكشاف لا يحل لكم

كثير واللذان بتشديد النون وتسكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تسكين (فآذوهما) بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد (فان نابا وأصلحا فاعرضوا عنهما) فاقطعوا عنهما الايذاء أو اعرضوا عنهما بالاغماض والستر (ان الله كان توابا رحيما) علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزنى الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى فى السحاقات وهذه فى اللواطين والزانية والزانى فى الزناة (انما التوبة على الله) أى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته (للذين يعملون السوء بجهالة) متلبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته (ثم يتوبون من قريب) من زمان قريب أى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر أحدهم الموت وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان أمد الحياة قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل أو قبل أن يشرب فى قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض أى يتوبون فى أى جزء من الزمان القريب الذى هو ما قبل أن ينزل بهم سلطان الموت أو يزين السوء (فاولئك يتوب الله عليهم) وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله (وكان الله عليما) فهو يعلم باخلاصهم فى التوبة (حكيما) والحكيم لا يعاقب التائب (وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار) سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار و بين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين و بالذين يعملون السيئات المنافقون اتخذ عف كفرهم وسوء أعمالهم و بالذين يموتون الكفار (أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما) تأكيد لعدم قبول توبتهم و بيان ان العذاب أعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل أصله أعددنا فابدلت

أن تأخذوهن على سبيل الارث كما تجاوز الموارث وهن كارهات لذلك ومكروهات ومعناه ان المنع مخصوص بما اذا كانت كارهات أو مكرهات والمفهوم منه انه لامنع اذا لم يكن كذلك وليس كذلك والجواب ان الغالب الكراهة وما خرج مخرج الغالب لايعتبر مفهومه (قوله فتزوجوهن كارهات الخ) الظاهر أن الارث عبارة عن (٧٥) دعوى حق الاختصاص بالامور الثلاثة

الدال الاولى تاء (يأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها) كان الرجل اذا مات وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته وقال أنا أحق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لايحل لكم أن تأخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك أو مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائى كرها بضم فى مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح مايكره عليه (ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) عطف على أن ترثوا ولاتأكيد النفى أى ولاتمنعوهن من التزويج وأصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة بيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن أو يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له تقديره ولاتعضلوهن للإفتداء الاوقت أن يأتين بفاحشة أوولا تعضلوهن لعلة الا أن يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وأبو بكر ببينة هنا وفى الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن (وعاشروهن بالمعروف) بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول (فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) أى فلاتفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ماهو أصلح دينا وأكثر خيرا وقد تحب ماهو بخلافه وليكن نظركم الى ماهو أصلح للدين وأدنى لى الخير وعسى فى الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) تطايق امرأة وتزوج أخرى (وآتيتم احداهن) أى احدى الزوجات جمع الضمير لانه أراد بالزوج الجنس (قنطارا) مالا كثيرا (فلاتأخذوا منه شيأ) أى من القنطار (أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا) استفهام انكار وتوبيخ أى أتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما فى قولك فعلت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم وافترائهم المأثم قيل كان الرجل منهم اذا أراد امرأة جديدة بهت التى تحته فاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها فيصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض) انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة أو ما أوثق الله عليهم فى شأنهن بقوله فامساك بمعروف أو تسريح باحسان أو ما أشار اليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله (ولاتنكحوا ما نكح آباؤكم) ولاتنكحوا التى نكحها آباؤكم ولاتماد كرما دون من لانه أريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر (من النساء) بيان ما نكح على الوجهين (الا ماقد سلف) استثناء من المعنى اللازم للنهى وكأنه قيل وتستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ماقد سلف أو من لفظ للمبالغة فى التحريم والتعميم كقوله

المذكورة فيكون كرها على هذا التقدير قيد الالتزوج للارث (قوله تعالى ولا تعضلوهن الخ) فان قيل هذا الايناسب ماقاله من ان المعصية عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها لأن الوارث ما آتاها شيأ قلنا يكون المراد حينئذ بما آتيتموهن ما أتاهن من جنسكم (قوله وقيل الخطاب الخ) يفيد ان التفسير الذى تقدم مبنى على ان الخطاب فى ترثوا وتعضلوا لغير الازواج وقوله بعد ذلك وقيل تم الكلام الخ يفيد ان الخطاب فى ترثوا للعصبة وفى لاتعضلوا للازواج (قوله لانه أريد به الصفة الخ) أى المراد منه المنكوحة أو المزوجة وقيل مصدرية على ارادة المفعول فيكون ما نكح بعض المنكوحة (قوله للمبالغة الخ) كذا فى الكشاف وتوضيحه انك جعلت ما تنكح آباؤكم شاملة لما يمكن نكاحها ولما لايمكن كما جعل العيب شاملا للعيب المحقق والمفروض حتى يدخل فيه اشجاعه المستفادة من

قوله بهن فلول الخ) وانما أفاد المبالغة لانه اذا حصرت المنكوحة فيما يتحيل نكاحها ظهرت المبالغة فى حرمة جميع منكوحات الآباء بحيث لاتشذ احداهن من الحكم المذكور مع ان أصل التحريم والتعميم حصلا من قوله تعالى ولاتنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء لأن ما من صيغ العموم واذا تحققت ماقلنا ظهر لك ما فى كلام المصنف وصاحب الكشاف من الاجمال

(قوله فانه لامؤاخذة الخ) قال العلامة النيسابوري قال بعضهم انه صلى الله عليه وسلم أمرهم عليهم مدة ثم أمر بمفارقتهن وانما فعل ذلك ليكون صرفهم على التدريج وزيف بعضهم هذا القول وقال ما أقر أحدا على نكاح امرأة أبيه في الجاهلية وروى انه صلى الله عليه وسلم بعث أبا بردة الى رجل عرس بامرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله (قوله مارخص لامة من الامم) قال العلامة النيسابوري بل ان زرادشت بني المجوس بزعمهم قال بحل نكاح الامهات والبنات الا ان أكثر المسلمين اتفقوا على انه كان كذابا (قوله سبيل الخ) هذا الخصوص بالذم وفاعل أساء الضمير المبهم المستقر فيه المبين بالتمييز (قوله لانه معظم مايقصد منهن) لك أن تقول معظم مايقصد منهن الاستمتاعات لا النكاح بمعنى التزوج الذي هو مراد ههنا كما صرح به الفقهاء وأيضا في قوله ولانه المتبادر الى الفهم نظر اذ لقائل أن يقول بل المراد الاستمتاع لا نفس العقد ويمكن أن يقال المقدر ههنا يحتمل أحد شيئين اما النكاح أو الاستمتاع فان كان الاول فهو المطلوب وان كان الثاني فيدل على حرمة النكاح لان الغرض منه وفائدته الاستمتاع فاذا حرم وأيضا يجب تقدير النكاح ههنا فاما ان يكون المقدر بمعنى الوطء أو العقد وظهر من حرمة العقد حرمة الوطء بلا توهم الخلاف دون العكس (قوله وكذا الباقيات) أي العمات بجميع الجهات الثلاث أي العمة لابوين أي من كانت أختا للاب لابوين أي من كانت أختا لاب أي من كانت أختا لاب والعمة للام أي من كانت أختا لاب

من الأم وقس عليه الخالات (قوله وأمرهما على قياس النسب الخ) يعني حكم الرضاعة حكم النسب باعتبار المرأة التي أرضعت فتكون المرضعة أما للرضيع وبناتها اخواته وأخواتها خالاته وقس عليه وكذا حكم الرضاعة حكم النسب باعتبار الفحل الذي نسب اليه اللبن اي والد الطفل الذي ولدته المرضعة ودرت عليه اللبن فيكون ذلك الوالد أبا الرضيع وبناته اخوات الرضيع واخوانه عماته وقس عليه وانما قال باعتبار والد الطفل الخ ولم يقل باعتبار زوج المرضعة لانه يمكن ان يكون لبن المرأة منسوبا الى رجل مع انه ليس بزوج لها بان يطأها بشبهة أو يطأها بملك اليمين ثم تولدت من ذلك الوطء فان حكمهما حكم الزوج اذا كان لبن المرأة منسوبا اليهما فلو كان لرجل خمس مستولدات فارضعت كل منها طفلا رضعة صار الرجل اباه وحرمت كل منهما على الطفل لانها موطوآت أبيه لا لكونها أمهات وكذا لو وطئ رجل امرأة بشبهة فحبلت وولدت ثم أرضعت طفلا بهذا اللبن يصير الرضيع ابنا للواطئ ويفهم من قوله باعتبار المرضعة الخ انه ليس حكم الرضاعة حكم النسب باعتبار الطفل الرضيع فلا تحرم أخوات الرضيع على صاحب اللبن ولا المرضعة على اخوته (قوله واستثناء الخ) اما الاول فصورته ان يكون لرجل ابن من امرأة ثم تزوجت هذه المرأة زوجا آخر وولدت منه بنتا فان هذه البنت التي هي أخت ابن لزوج الاول ربيبة الزوج الاول فتحرم مع ان أخت الابن الرضعي للرجل غير محرمة عليه أي على ذلك الرجل لكن الحرمة الاولى للمصاهرة أي لكونها بنت زوجته لا للنسب واما الثاني وهي أم أخت الرجل من الرضاع فصورته ان ترضع امرأة ذكرا وأنثى وتكون تلك المرأة ليست ولدة لهما فلا يحرم أم تلك الانثى التي هي أم أخت الذكر من الرضاع على ذلك الذكر ويحرم أم الاخت من غير الرضاع فانه اذا نكح رجل امرأة وحصل له منها ابن ثم نكح أخرى وحصل منها بنت فان هذه الزوجة الثانية أم أخت الرجل الذي هو ابن المذكور وحرمت عليه لان هذه الحرمة ليست بسبب النسب بل بسبب كونها زوجة أبيه وهو المراد

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ماقد سلف ان أمكنكم أن تنكحوهن وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ماقد سلف فانه لامؤاخذة عليه الا انه مقرر (انه كان فاحشة ومقتا) علة للنهي أي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله مارخص فيه لامة من الامم مقوتا عند ذوي المروآت ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة أبيه المقتي (وساء سبيلا) سبيل من يراه ويفعله (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت) ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم مايقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الأكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ماقبله ومابعده في النكاح وأمهاتكم نعم من ولدتك أو ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها أو ولدت من ولدها وان سفلت وأخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل أنثى ولدها من ولدك ذكرا ولدك والخالة كل أنثى ولدها من ولدا أنثى ولدتك قريبا أو بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أما والمرضعة أختا وأمرهما على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي درعليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع مايحرم من النسب واستثناء أخت ابن الرجل وأم أخيه من

بالمصاهرة (قوله فان حرمتهما من النسب الخ) أى اذا كان حرمة أخت ابن الرجل باعتبار النسب بان يكون الاخت أخت الابن فى النسب وكذا الابن ابنا للرجل فى النسب تكون الحرمة أى حرمة أخت ابن الرجل عليه بسبب المصاهرة لا بسبب النسب كما يناه وقس عليه الصورة الأخرى وهى أم أخت لرجل (قوله مقيدة للفظ الخ) المراد بالاتى مع صلتها مجموع قوله تعالى اللاتى دخلتم بهن اذ المعنى ور بائبكم اللاتى يكن فى حجوركم من نسائكم الخ بان يكون من نسائكم متعلقا بيكن كما ان فى حجوركم كذلك حتى يكون من نسائكم اللاتى دخلتم بهن مقيدا للحكم لا قوله فى حجوركم ذهو ليس مقيدا كما سيبين (قوله ولا يجوز تعليقها الخ) حتى يكون المعنى وأمهات نسائكم اللاتى دخلتم بهن فتكون أمهات النساء ليست بحرام مطلقا بل شرط الحرمة ان يكون النساء مدخولا بهن (قوله اللهم الا اذا جعلتها للاتصال) أى من جعل من للاتصال فيكون المعنى أمهات نسائكم المتصلة بالنساء اللاتى فى حجوركم ور بائبكم اللاتى فى حجوركم المتصلة بالنساء اللاتى دخلتم بهن فان أمهات النساء متصلة بانساء والربائب (٧٧) أيضا متصلة بهن اما الاول فلانهن أى

الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما من النسب بالمصاهرة دون النسب (وأمهات نسائكم ور بائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) ذكر أولا محرمات النسب ثم محرمات الرضاعة لان هالحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمى به لانه يربى كما يربى ولده فى غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بر بائبكم واللاتى بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات أيضا لان من اداة علقتها بالربائب كانت ابتدائية واذا علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم اذا جعلتها للاتصال كقوله

اذا حاولت فى أسد فجورا * فانى لست منك ولست منى

على معنى ان أمهات النساء و بناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال فى رجل تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج أمها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روى عن على رضى الله تعالى عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز أن يكون الموصول الثانى صفة للنساء بن لان عاملهما مختلف وفائدة قوله فى حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن فى احتضانكم أو بصدد تقوى الشبه بينها و بين أولادكم وصارت أحقاء بان تحجروها بحراهم لتقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن على رضى الله تعالى عنه أنه جعله شرطا والامهات والربائب يتناولان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن أى دخلتم معهن الستر وهى كناية عن الجماع و يؤثر فى حرمة المصاهرة ما ليس بزنا كالوطء بشبهة أو ملك يمين وعند أبى حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) تصريح بعد اشعار ودفعا للقياس (وحلائل أبنائكم) زوجاتهم سمين الزوجة حليلة لحلها أو لحلولها مع الزوج (الذين من أصلابكم) احتراز عن المتبنين لا عن أبناء الولد (وان تجمعوا بين الاختين) فى موضع الرفع عطفا على المحرمات

لا يخفى ان شبهها بالبنات وكونها فى حكمهن تقوية لعلة حرمتهن و يفهم من قوله الشبه بينهما مع قوله تقوية العلة وتكميلها ان علة حرمة الربيبة مشابهتها بالولد فاصل المشابهة تتحقق بكونها ولد الزوجة المدخولة فان كلا من ربيبته التى هى بنت المدخولة و ولد الرجل من أمها يصدق عليه انه ولد مدخولة الرجل واعلم ان ما جعله المصنف تقوية لعلة جعله صاحب الكشاف نفس العلة فقال فائدة قيد فى حجوركم التعليل للتحريم والظاهر ان نظر المصنف ههنا أدق ثم ان فى كلاميهما اشارة الى عدم اعتبار مفهوم القيد اذا عتباره انما يكون اذا لم يكن له فائدة أخرى غير انتفاء الحكم عند انتفائه واما اذا اعتبر فائدة أخرى كما فيما نحن فيه فلا يلزم اعتبار المفهوم كما قرر فى الاصول (قوله تصريح بعد اشعار ودفعا للقياس) يعنى لو لم يذكر فان لم يكونوا الخ أمكن ان يقيس قائس غير المدخول بها منهن على المدخول بها بجامع كونها بنت الزوجة (قوله لا عن ابناء الولد) فانهم أيضا من أصلاب هم غاية الامر ان يكون بواسطة

(قوله والظاهر ان الحرمة) أى كما يحرم جمع الاختين فى النكاح كذا يحرم الجمع بينهما فى الوطء بملك اليمين وقس عليه غير هذه الصورة (قوله فان المحرمات المعدودة الخ) أى كما يحرم نكاح العمات والخالات وغيرهن يحرم وطؤهن بملك اليمين وعلى هذا فالمناسب ان يكون حرمت عليكم وطء أمهاتكم وبناتكم الآية حتى يشمل حرمة الوطء بالنكاح وبملك اليمين ويفهم منه حرمة النكاح اذ معظم المقصود من النكاح الوطء والباقى توابعه واذا حرم الوطء حرم النكاح ويفهم مما ذكره ههنا خلاف ما ذكره أولا من تقدير النكاح فتأمل فان قلت يفهم من قوله والمحرمات المعدودات انه يحرم وطء الام والبنت بملك اليمين والحال انهما اذا صارا ملكا والد او الولد عتقا فى الحال فما معنى تحريم وطئهما بملك اليمين قلنا قد يقران فى الملك كما اذا وهب للمكاتب أو وصى له باحدهما فكان القريب كسوبا يقوم بكفاية نفسه فانه يجوز له قبوله واذا قبله ملك ولا يعتق عليه (قوله أو ما ملكت أيمانكم) وهو الذى مر فى قوله تعالى فان ختم ان لا تعلموا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم (قوله لان آية التحليل مخصوصة فى غير ذلك) يعنى أو ما ملكت أيمانكم يراد به ماسوى الجمع بين الاختين الاماقد (٧٨) سلف كما قال فيما سلف ولم يذكر ههنا التوجيه الثانى من التوجيهات الذى ذكر

والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هى محرمة فى النكاح فهى محرمة فى ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلى رضى الله تعالى عنهما حرمتهما آية وأحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله أو ما ملكت أيمانكم فرجح على كرم الله وجهه التحريم وعثمان رضى الله عنه التحليل وقول على أظهر لأن آية التحليل مخصوصة فى غير ذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام (الاماقد سلف) استثناء من لازم المعنى أو منقطع معناه لكن ماقد سلف مغفور لقوله (ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء) ذوات الازواج أحصنهن التزويج أو الازواج وقرأ الكسائى بكسر الصاد فى جميع القرآن لانهن أحصن فروجهن (الا ما ملكت أيمانكم) يريد ما ملكت أيمانكم من اللاتى سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبى لقول أبى سعيد رضى الله تعالى عنه أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج كفار فكرهنا أن نقع عليهن فسألنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله

وذات حليل أنكحتها رماحنا ✻ حلال لمن يبنى بها لم تطاق

وقال أبو حنيفة لو سبى الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابى واطلاق الآية والحديث حجة عليه (كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد أى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع أى هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل (وأحل لكم) عطف على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت (ما وراء ذلكم) ماسوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما فى معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها (ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين)

فيما سلف واهله ترك لاشتماله على التكلف واعلم ان صاحب الكشاف لما لم يذكر ههنا فى توجيه الاستثناء الا كونه منقطعا وقال العلامة التفتازانى اقتصاره عليه اشارة الى انه لا يناسب ان يقدر متصلا ويقصد التأكيد والمبالغة كما فى قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وذلك لانه عقب هذا بقوله ان الله كان غفورا رحيما وذلك بقوله انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا انتهى وتوضيحه انه لو قصد من الاستثناء التأكيد والمبالغة لا يناسب قوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما لان الغفران والرحمة لا يناسب تأكيد التحريم بخلاف قوله تعالى مفعول انه كان فاحشة الآية فان جميع ما ذكر مبالغة فى التحريم ويفهم منه ان المناسب الاقتصار على كون الاستثناء منقطعا ويدل عليه ترك الاحتمال الاول الذى ذكره المصنف ههنا (قوله وغير هذا الحرف ٧) أى غير المحصنات من النساء المذكور ههنا فانه أيضا قرىء بالفتح ولعل عدم قراءة الكسر لعلم كونها ذوات أزواج اذ لو قرئ بالكسر أى بكسر الصاد لم يعلم ذلك (قوله واياه عنى الفرزدق الخ) أى أراد الفرزدق بقوله وذات حليل الخ المسبية فان أنكحتها رماحنا دال على انها أخذت بالحرب (قوله وخص عنه بالسنة) أى أخرج عما وراء ذلك محرمات الرضاع وغيرها مما ذكر فانها أيضا محرمة سوى المحرمات الثمان المذكورة وكونها ثمانيا باعتبار ان قوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله تعالى وأخواتكم من الرضاعة مشتملة على ثلاثة أصناف من المحارم الاصول بحسب النسب أو الرضاع وفروع الصلب الاصول بالسبب والرضاع وان كان ما بحسب الرضاع لا يذكر الا بعضه فهذه ثلاثة أصناف والخمسة الباقية هى ما ذكر بقوله تعالى وأمهات نسائكم الى قوله تعالى والمحصنات من النساء

(قوله والمعنى) الى قوله ارادة لايخفى انه يمكن ان يقال بتقدير اللام فكان المعنى لان تبتغوا ولاحاجة الى تقدير الارادة لان الارادة تستفاد من اللام فكان غرضه بيان حاصل المعنى والارادة بمعنى الطلب هنا لا بالمعنى المشهور اذ لا يجوز تخلف المراد عن الارادة الالهية عندنا (قوله ان تبتغوا بامرالكم بالصرف) هكذا في أكثر النسخ وعلى هذا يكون ههنا مفعول مقدر وهو النساء كما صرح به صاحب الكشاف وفي بعض النسخ من غير الباء وعلى هذا يكون المفعول الصرف مجازا من قبيل استعمال اسم السبب في المسبب لان الابتغاء والطلب سبب الصرف (قوله بدل الاشتمال) لما وجب تعلق الاحلال بشئ من الافعال الا لتعلق الاحكام بالذوات كما مر فالسامع متشوف الى ذكر شئ بعده فيكون بدل الاشتمال (قوله ولاحجة فيه) لان اللازم منه صلاحية المال للصداق ولايلزم منه ان لايكون غيره صالحا له أيضا ولايخفى ان تخصيص المال بالذكر مشعر بما قاله الحنفية لكن السنة مثل قوله عليه الصلاة والسلام الوارد في المتفق عليه بين الصحيحين من رواية سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل التمس ولو خاتما من حديد

مفعول له والمعنى أحل لكم ماوراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء بأموالكم بالصرف في مهورهن أو أثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز أن لايقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل ارادة ان تصرفوا أموالكم محصنين غير مسافحين أو بدل مما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على أن المهر لابد وان يكون مالا ولاحجة فيه والاحصان العفة فانها تحصن النفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه (فما استمتعتم به منهن) فمن تمتعتم به من المنكوحات أوفما استمتعتم به منهن من جماع أو عقد عليهن (فآتوهن أجورهن) مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع (فريضة) حال من الاجور بمعنى مفروضة أو صفة مصدر محذوف أي ايتاء مفروضا أو مصدر مؤكد (ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيما يزاد على المسمى أو يحط عنه بالتراضي أو فيما تراضيا به من نفقة أو مقام أو فراق وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتحت مكة ثم نسخت لما روى انه عليه الصلاة والسلام أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس اني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وهي النكاح المؤقت بوقت معلوم سمي بها اذا الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمكينه مما تعطى وجوزها ابن عباس رضي الله عنهما ثم رجع عنه (ان الله كان عليما) بالصالح (حكيما) فيما شرع من الاحكام (ومن لم يستطع منكم طولا) غنى واعتلاء وأصله الفضل والزيادة (أن ينكح المحصنات المؤمنات) في موضع النصب بطولا أو بفعل مقدر صفة له أي ومن لم يستطع منكم أن يعتلي نكاح المحصنات أو من لم يستطع منكم غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله (فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) يعني الاماء المؤمنات فظاهر الآية حجة للشافعي رضي الله تعالى عنه في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا وأول أبو حنيفة رحمه الله تعالى طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن أصحابنا من حمله أيضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم

يكتف بقوله ومن لم يستطع منكم ان ينكح المحصنات نعم اذا كان الطول بمعنى الغنى وهو التفسير الثاني كان تاما لان عدم الاستطاعة يحتمل لكن المقصود هنا عدم وجدان مهر الحرائر (قوله فظاهر الآية حجة للشافعي) لان حمل طول نكاح المؤمنات على ملك فراش الحرة وحمل النكاح في الشرع على الوطء خلاف الظاهر (قوله على أن النكاح هو الوطء) فيصير المعنى من لم يكن تحته حرة يطؤها فما ملكت (قوله ومن أصحابنا من حمله أيضا على التقييد) أي حمل لفظ المؤمنات في قوله تعالى المحصنات المؤمنات على انه للتقييد حتى لايجوز نكاح الأمة الكتابية لانه محمول على الافضل كما ذهب اليه أبو حنيفة (قوله وجوز نكاح الأمة لمن قدر على الحرة الكتابية) يفهم منه ان ما تقدم من مذهب الشافعي عدم جواز نكاح الأمة لمن قدر على الحرة الكتابية والا لم يكن فرق بين هذا المذهب وبين ما نقل عن الشافعي فان قيل كيف شرط نكاح الأمة بعدم القدرة على الحرة الكتابية مع

أن القرآن الكريم قيد المحصنات بالمؤمنات فيفهم ان من لم يقدر على الحرة المؤمنة يجوز له نكاح الامة كما هو مذهب بعض الاصحاب قلنا حمل الشافعي المؤمنات في المحصنات المؤمنات لا على التقييد بل حمل ذكره على الأعم الاغلب فان المؤمن في الغالب لا يرغب في نكاح الكافرة فكأنه قيل ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح لمحصنات المؤمنات وغيرها والاختصار على المؤمنات لما ذكر (قوله ونقصان حق الزوج) لان ولده منها تابع لها ويجب عليه ان يخليها في بعض الاوقات لخدمة سيدها (قوله فاكتفوا بظاهر الايمان الخ) فيه نظر اذ لا يلزم من كونه تعالى أعلم بإيمانهن الحقيقي الاكتفاء بظاهر الايمان نعم لو لم يكن العلم بإيمانهن مطلقا الا الله تعالى وجب لنا الاكتفاء بظاهر الايمان لكن لا يلزم من كونه تعالى أعلم بإيمانهن حصر العلم فيه بل يلزم عدم الحصر فالوجه الاكتفاء بالتفسير الثاني (٨٠) كما فعله صاحب الكشاف (قوله واعتبار ايمانهم مطلقا لا شعاره) اذ

يمكن اعتبار شرط آخر هو كون مباشر العقد الولي أو وكيله (قوله بغير مطل وضرار ونقصان) المطل هو عدم الاداء بغير عذر والاضرار هو الاحواج الى التقاضي والملازمة (قوله عفائف) قال العلامة النيسابوري ظاهر الكلام ههنا حرمة نكاح الزانية لكن الاكثرين على أن الامر في الآية للاستحباب لان الواجب ان تكون الامة عفيفة لصحة نكاح أخدان السر قال العلامة النيسابوري قال أكثر المفسرين المسافحة هي التي ترمي مع كل من أرادها ومتخذة الاخدان هي التي لها صديق معين (قوله تعالى فاذا أحصن الخ) هذا الشرط للدلالة على ان الاحصان بالتزوج في حق الاماء لا يزيد على الحد الذي كان عليها قبل التزوج (قوله لقوله تعالى وقيل ويشهد الخ) هذا دليل يدل على أن المراد بالعذاب الحد لا العذاب الاخروي كما لا يخفى (قوله الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه) ظاهر الحديث يقتضي حرمة انكاح الاماء اذ ما يفضي الى الهلاك محرم فليحمل الحديث على المبالغة (قوله غفور ان لم صبر) فان قلت ما مناسبة ذكر الغفور ههنا قلت والله أعلم لعل المراد مغفرة الصغائر التي حصلت عند عدم النكاح بسبب قوة الشبق (قوله واللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة) فيه ان الارادة الالهية اذا تعلقت بشيء لا ينفك الشيء عنه فان التعلق وحصول المراد واحد لانها أي الارادة الالهية علة تامة للشيء ولا ينفك المعلول عن علته التامة الا أن يقال ان الكلام في ارادة حصول الشيء في المستقبل أو يقال ان الارادة الالهية تعلقت في الازل بوجود الاشياء في الازمنة المستقبلة كما صرح به بعض المحققين من أهل علم الكلام ولو قيل لتأكيد معنى الارادة كما صرح به صاحب الكشاف لم يتوجه اليه شيء

والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج (والله أعلم بإيمانكم) فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر دون بتفاضل ما بينكم في الايمان فرب أمة تفضل الحرة فيه ومن حقكم أن تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده (بعضكم من بعض) أنتم وأرقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام (فانكحوهن باذن أهلهن) يريد بأربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لاشعار له على أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن حتى يحتج به الحنفية (وآتوهن أجورهن) أي أدوا اليهن مهورهن باذن أهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره أو الى موالي هن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب أن يؤدي اليه وقال مالك رضي الله عنه المهر للامة ذهابا الى الظاهر (بالمعروف) بغير مطل واضرار ونقصان (محصنات) عفائف (غير مسافحات) غير مجاهرات بالسفاح (ولا متخذات أخدان) أخلاء في السر (فاذا أحصن) بالتزويج قرأ أبو بكر وحمزة بفتح الهمزة والصاد والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد (فان أتين بفاحشة) زنى (فعليهن نصف ما على المحصنات) يعني الحرائر (من العذاب) من الحد لقوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لأن الرجم لا يتنصف (ذلك) أي نكاح الاماء (لمن خشي العنت منكم) لمن خاف الوقوع في الزنى وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعارا لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقعة الاثم بل خوض القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء (وأن تصبروا خير لكم) أي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه الصلاة والسلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه (والله غفور) لمن لم يصبر (رحيم) بان رخص له (يريد الله ليبين لكم) ما تعبدكم به من الحلال والحرام وأما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن أعمالكم وليبين مفعول يريد واللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد

أردت لكيما يعلم الناس أنه * سراويل قيس والوفود شهود

(قوله وليبين مفعول له) هذا على اصطلاح ابن الحاجب ومن يحذو حذوه وأما المتقدمون من النحاة فيجعلون مثله مفعولا به بالواسطة لا مفعولا له (قوله يريد الحق لاجله) أى لاجل التبيين فيكون الحق انزال القرآن مثلا (قوله ويغفر لكم ذنوبكم) اذا تبتم عن المعاصى (قوله أو يرشدكم الى ما يمنعكم) فيكون يتوب عليكم مجازا من قبيل اسم المسبب فى السبب فان الارشاد المانع من المعاصى والحاث على التوبة سبب قبول التوبة وكذا الارشاد الى ما يكون كفارة للسيئات (قوله كرره للتأكيد والمقابلة) المراد بالمقابلة مقابلة والله يريد أن يتوب عليكم وقوله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات الآية أريد ذكر مقابله ليكون مشعرا بابطال ارادتهم والعطف بين هاتين الجملتين لمناسبة المقابلة

بين المريدين والمرادين (قوله فان اتباع الشهوات الائتمار لها) يريد دفع سؤال هو ان بعض الصالحين قد يشتغل بشهوات النفس وليس داخلا فى الحكم المذكور فاجاب بان المراد بمن يتبع الشهوات ليس المشتغل بها وانما هو المؤتمر لها ومطيعها وأما الصالحون فما كان اشتغالهم بالشهوات المباحة الا لاجل تجويز الشرع (قوله بالاضافة الى ميل من اقترف) أى ليس المراد بالعظيم العظيم فى ذاته اذ لعل مطلوبهم ليس كذلك بل قنعوا باقتراف الذنوب على الندور لعلمهم بان اقتراف الذنوب العظيمة فى أنفسها ليس من شأن الصحابة (قوله هذه الثلاث) وهى يريد الله ليبين لكم الآية والله يريد أن يتوب عليكم الآية ويريد الله أن يخفف عنكم الآية

وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له أى يريد الحق لاجله (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) مناهج من تقدمكم من أهل الرشد لتسلكوا طرقهم (ويتوب عليكم) ويغفر لكم ذنوبكم أو يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصى ويحثكم على التوبة أو الى ما يكون كفارة لسيئاتكم (والله عليم) بها (حكيم) فى وضعها (والله يريد أن يتوب عليكم) كرره للتأكيد والمبالغة (ويريد الذين يتبعون الشهوات) يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها وأما المتعاطى لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له فى الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت (ان تميلوا) عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات (ميلا عظيما) بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها (يريد الله أن يخفف عنكم) فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثمان آيات فى سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وان الله لا يغفر أن يشرك به وان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوأ يجز به وما يفعل الله بعذابكم (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار (الا أن تكون تجارة عن تراض منكم) استثناء منقطع أى ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه أو اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة أى تجارة صادرة عن تراضى المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التى بها يحل تناول مال الغير لانها أغلب وأرفق لذوى المروآت ويجوز أن يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المراد بالنهى المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم أى الا أن تكون التجارة أو الجهة تجارة (ولا تقتلوا أنفسكم) بالبخع كما تفعله جهلة الهند أو بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روى أن عمرو بن العاص تأوله فى التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم أو بارتكاب ما يؤدى الى قتلها أو باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقى للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من أهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع فى التوصية بين حفظ النفس والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس

(قوله أو اقصدوا) أى ولكن اقصدوا (قوله لانها أغلب وأرفق لذوى المروآت) بخلاف الاستيهاب وطلب الصدقات ويجوز أن يراد بها الانتقال مطلقا استعمالا للخاص فى العام حتى يشمل ما ذكرنا (قوله تأوله فى التيمم لخوف البرد) أى أول الالقاء فى التهلكة وحمله عليه فى اثبات التيمم بخوف البرد (قوله فانه القتل الحقيقى) أى ارتكاب الذنوب الموجبة للهلاك فى الآخرة فالمراد من القتل الحقيقى قطع فوائد الحياة وترتيب ما يناسب عليها ويجوز أن يراد بها القتل مطلقا استعمالا للخاص فى العام حتى يشمل ما ذكرنا (قوله وقيل المقصود بالنهى الخ) فيكون الاكل بمعنى الصرف استعمالا لاسم المسبب فى السبب والظاهر أن المراد من الاكل على غير هذا التفسير الاخذ وقد فسر به الاكل فى قوله تعالى الذين يأكلون الربا (قوله بالبخع) البخع هو قتل النفس غما (قوله بين حفظ النفس والمال الذى هو شقيقها) حفظ المال فهم من النهى من أكل المال

بالباطل فان أكل المال بالباطل مستلزم لعدم حفظ المال (قوله لما أمر بنى اسرائيل بقتل الانفس) لايخفى ان أمر بنى اسرائيل بقتل الانفس للجريمة الكبيرة التى هى عبادة العجل كما قال تعالى واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ولايدل ماذكر على انه تعالى رحيم بامة محمد صلى الله عليه وسلم لا على بنى اسرائيل كما فهم من كلامه وقوله نهى أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن قتل الانفس (قوله أو اتيانا بما لايستحقه) الظاهر ايراد الواو مكان أو حتى يكون الافراط فى التجاوز عن الحق تفسير العدوان والاتيان بما لايستحق ظلما ثم انه اذا كان العدوان التجاوز عن الحق كان بعينه الظلم فلاحاجة الى ذكره بعده الا أن يقال ان العطف باعتبار التغاير فى المفهوم ثم ان العدوان التجاوز عن الحد ولذا فسره صاحب الصحاح بالظلم وأما الافراط فى التجاوز فلم يذكر فى الصحاح (قوله مصلية) أى مشوية (قوله على ارادة الجنس) فيكون حاصل معنى هذه القراءة والقراءة المشهورة واحدا لان اجتناب الجنس لايكون الا باجتنابه عن جميع الكبائر (قوله والاقرب أن الكبيرة) الفقهاء صرحوا بان الراجح من تعريف الكبيرة انها ما يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب أو سنة ولايخفى الفرق بين هذا و بين ماقاله المصنف الا أن يقال مراده من الوعيد الوعيد الشديد ولكن مثل هذا التكلف لايلائم التعريف سيما تعريف الكبيرة

وتستوفى فضائلها رأفة بهم و رحمة كما أشار اليه بقوله (ان الله كان بكم رحيما) أى أمر ما أمر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم وقيل معناه انه كان بكم يا أمة محمد رحيما لما أمر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه (ومن يفعل ذلك) اشارة الى القتل أو ماسبق من المحرمات (عدوانا وظلما) افراطا فى التجاوز عن الحق واتيانا بما لايستحقه وقيل أراد بالعدوان التعدى على الغير و بالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب (فسوف نصليه نارا) ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى و بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية و يصليه بالياء والضمير لله تعالى أو لذلك من حيث انه سبب الصلى (وكان ذلك على الله يسيرا) لاعسر فيه ولاصارف عنه (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) كبائر الذنوب التى نهاكم الله و رسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس (نكفر عنكم سيئاتكم) نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف فى الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا أو صرح بالوعيد فيه وقيل ماعلم حرمته بقاطع وعن النبى صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الكبائر الى سبعمائة أقرب منها الى سبع وقيل أراد به ههنا أنواع الشرك لقوله ان الله لايغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى مافوقها وماتحتها فاكبر الكبائر الشرك وأصغر الصغائر حديث النفس و بينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له أمران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لايتمالك فكفها عن أكبرهما كفر عنه ماارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت

التى فيها الخلاف (قوله لقوله ان الله لايغفر الخ) يمكن أن يكون وجه الاستدلال به على مازعمه هذا القائل ان المفهوم من قوله تعالى ان تجتنبوا الخ ان الكبائر غير مغفورة اذ قيد غفران السيئات باجتنابها والمفهوم من قوله تعالى ان الله لايغفر أن يشرك به ان الشرك غير مغفور فتكون الكبائر أنواع الشرك لكنه ضعيف اذ لقائل أن يقول لانسلم أنه يلزم من الآية عدم غفران الكبائر وانما المفهوم منه ان الكبائر اذا اجتنب عنها كفرت السيئات الاخرى ثم انه استدلال بالموجبين من الشكل الثانى فلاينتج (قوله وأصغر الصغائر حديث النفس) هذا لايطابق ماقاله العلماء منهم حجة الاسلام فقال فى كتاب الاحياء أول مايرد على النفس الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وهذا يسمى حديث النفس ولايؤاخذ به لانه لايدخل تحت الاختيار وماقاله الحجة مطابق لما ورد فى الحديث فانه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز عن أمتى ماوسوست به صدورها مالم تعمل به أو تكلم فان الوسوسة حديث النفس على ماصرح به أهل اللغة وقد ورد فى رواية أخرى عفى لامتى ماحدثت به أنفسها واذا كان حديث النفس مما ليس للاختيار فيه مدخل فلاوجه لعدها من الصغائر فان قلت لعله أراد بحديث النفس ليس ماذكر بل الهم والعزم على الفعل الذى جعلوه مما يؤاخذ به العبد كما صرح به حجة الاسلام قلت هذا فاسد من وجهين أحدهما لايطلق على العزم حديث النفس على مانص عليه الحجة فانه قال أما العزم والهم فلايسمى حديث النفس والثانى أن الحكم بان العزم مطلقا أصغر الصغائر منظور فيه لأن المعلوم ان العزم على القتل أكبر من غصب قليل من المال أخذ فكيف يكون أصغر الصغائر (قوله فكفها عن أكبرهما كفر عنه ماارتكبه) هذا خلاف ظاهر الآية لان ظاهر مفهومه ان الاجتناب عن جميع الكبائر مكفر للصغائر وان أريد جنس الكبيرة فهو أيضا مستلزم للاجتناب عن جميعها (قوله ولعل هذا مما يتفاوت

باعتبار

باعتبار الاشخاص والاحوال) أى لعل كون الذنب كبيرا يختلف باعتبار تفاوت الاشخاص والاحوال وتفاوت أحوال شخص واحد فالذنب الصغير الصادر من غير الكامل يمكن أن يتصف بالكبر اذا صدر من الكامل واستشهد عليه بما ذكر من قوله ألا يرى انه تعالى عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم فى أخذ الفداء من أسارى بدر بقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم فيه عذاب عظيم وفى اذنه عليه السلام للمنافقين فى عدم الخروج الى الغزو بقوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم الآية واعلم انه لا يلزم من عتاب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم صدور الذنب عنه اذ قد يمكن أن يكون العتاب بصدور شئ لا يليق بكماله صلى الله عليه وسلم وان لم يكن ذنبا اذ الكامل قد يصدر منه على الندور ما لا يناسبه فلا يلزم منه ما ادعاه من كون كبر الذنب ربما يتفاوت بتفاوت الاشخاص والاحوال وان كان مريدا له لم يكن قوله لم يعد على غيره خطيئة فضلا عن ان يؤاخذه عليها محل نظر ٧ فتأمل (قوله من الامور الدنيوية كالمال والجاه) انما خص بهما لأن تمنى الامور الاخروية توجب له ثوابا فلا يكون مذموما بخلاف تمنى الامور الدنيوية اذ لا يكون له ثواب فيكون ضائعا (قوله وانه تشه لحصول الشئ له من غير طلب) قال العلامة النيسابورى قال أهل السنة التمنى ارادة ما يعلم أو يظن عدم حصوله فى المستقبل ولك ان تقول ان ارادة الشئ هو طلبه فكيف قال المصنف ان التمنى لا يكون مع الطلب وأيضا المعلوم عدم حصوله لا يطلب فاما ما يظن عدم حصوله ويحتمل حصوله لم لا يطلب ثم ان صاحب المفتاح قال أما النوع الاول من الطلب فهو التمنى أما ترى كيف تقول ليت زيدا جاءنى تطلب كون غير الواقع فيما مضى واقعا ويمكن أن يقال ان الارادة ليست الطلب بل التشهى فاندفع الاعتراض الاول فان مراد المصنف ان التمنى هو تشهى النفس لحصول الشئ من غير اعتبار الطلب فيه لا مع اعتبار عدم الطلب حتى لا يمكن أن يجتمع مع الطلب وان لا يكون فاندفع الثانى ثم انه يمكن أن يقال أيضا مراد المصنف من طلب الشئ قصد تحصيله والتوجه اليه وهذا لا يعتبر فى التمنى اذ قد يعلم عدم حصوله قطعا فكيف يرى حصوله وأما صاحب المفتاح فمراده من الطلب ليس الا التشهى وميل الطبع اليه والتمنى مطلقا كذلك وعلى هذا اندفع الاعتراض الثالث (قوله فان تمنى ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر) لأن القدر يقتضى ان لا يكون ذلك الشئ له وهو يشتهى أن يكون ذلك الشئ له لان اشتهاءه خلاف ما قدر له متضمن لعدم الرضا بما قدر له مع ان فيما قدر له لا بد أن يكون حكمة وان خفيت وهو أى عدم الرضا به انكار تلك الحكمة وهو معارضة مع الحكمة (قوله وتمنى ما قدر له بكسب بطالة وتضييع) لان الكسب سبب لحصوله فينبغى أن يشتغل بالكسب ولا فائدة فى مجرد التمنى بل هو تضييع الحظ الذى هو الامر المقدر له بكسب لانه اذا اكتفى بمجرد التمنى ولم يشتغل بالكسب لم يحصل له مطلوبه (قوله وتمنى ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال) فانه اذا قدر له شئ عن غير كسب لا بد له من حصوله فى وقته المقدر فقبل حصوله يكون التمنى ضائعا وفى وقته يكون التمنى محالا فالضياع والاستحالة بالنظر الى وقتين لا انهما يجتمعان فى وقت واحد لتنافى الصفتين (قوله وجعل ما قسم له الخ) الظاهر انه بصيغة المصدر عطف على النصب أى المراد جعل ما قسم لكل منهم كالمكتسب له بصيغة المفعول أى جعل ما قسم لكل وارث كالشئ الذى اكتسبه ذلك الوارث وعلى هذا لا تكون من للسببية بل التبعيضية لان ما اكتسبه أعم مما ذكر (قوله أمر المواجهة) أى أمر الخطاب لا أمر الغائب (قوله أو لا تتمنوا الخ) بين هذا الوجه والوجه الاول ان على الوجه الاول الحث على السؤال بمثل ما أعطاه الله الناس وعلى هذا الوجه الحث على سؤال مطلق النعم

باعتبار الاشخاص والاحوال ألا ترى انه تعالى عاتب نبيه عليه الصلاة والسلام فى كثير من خطراته التى لم تعد على غيره خطيئة فضلا أن يؤاخذه عليها (وندخلكم مدخلا كريما) الجنة وما وعد من الثواب أو ادخالا مع كرامة وقرأ نافع هنا وفى الحج بفتح الميم وهو أيضا يحتمل المكان والمصدر (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضى للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادى معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشه لحصول الشئ له من غير طلب وهو مذموم لان تمنى ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمنى ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمنى ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) بيان لذلك أى لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن أجله فاطلبوا الفضل من الله تعالى بالعمل لا بالحسد والتمنى كما قال عليه الصلاة والسلام ليس الايمان بالتمنى وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له (واسألوا الله من فضله) أى لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التى لا تنفد وهو يدل على أن المنهى عنه هو الحسد أو لا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم وقرأ ابن كثير والكسائى وسلوا الله من فضله وسلهم

(قوله فهو يعلم مايستحقه كل انسان الخ) هذا يدل على ان كل ما أعطى شخصا فهو بسبب استحقاقه فهو يدل على ان كل انسان في حد ذاته مستحق لان يرد عليه من الله تعالى شئ وهذا الاستحقاق ليس من ذاته بل من الله تعالى والازم أن يكون اعطاء هذا الاستحقاق لاستحقاق آخر وهلم جرا فاذا ثبت الاستحقاق الذاتي ثبت ان كل ما حدث في العالم يجب أن يكون على النحو الذي وجد وهذا مما صرح به حجة الاسلام في كتاب الاحياء وههنا أمر غامض فتأمل فالاولى أن يقال ان الله عالم بحال كل شخص وسؤاله من فضله فيعطيه اذا أراد (قوله فاسألوا الله مثله الخ) هذا خلاف ما نقل العلامة النيسابوري عن المحققين فانه قال قال المحققون لايجوز للانسان أن يقول اللهم أعطني دارا مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان وان كان هذا غبطة لاحسدا بل ينبغي أن يقول اعطني ما يكون صلاحا في ديني ودنياي ومعادي واسألوا الله من فضله كل ما يقربه الى يسوقه اليكم أي اسألوا الله بعض فضله وعطائه بوسيلة ما يقرب فضله ويسوقه اليكم وحاصله افعلوا ماتصلون به الى فضل الله ورضوانه (قوله وروي ان أم سلمة) يعني نزلت الآية المشتملة على قوله تعالى واسئلوا الله من فضله فيدل على ان النساء لايسألن ما للرجال ولكن يسألن من فضل الله تعالى فان فضل الله لانهاية له يعطيه من يشاء فلعله تعالى يعطي لامرأة واحدة أكثر مما يعطي رجالا كثيرة (قوله مع الفصل بالعامل) أي الفصل بالعامل الذي هو جعلنا بين كل الذي هو الموصوف ومما ترك الذي هو الصفة واما (٨٤) جوزه لأن الكل معمول جعلنا فهو مؤخر تقديرا (قوله لانه في معنى الوراث)

لان المولى بمعنى الوارث ثم انه اعترض على هذا الوجه والوجه الاول انه ليس لكل تركة موالي وكذا ليست لكل ميت وأجيب عنه بان المراد ان لكل جعلنا جنس الموالي قل أو كثر حتى ان من لاوارث له فبيت المال وارثه فان قلت فلم يقل ولكل جعلنا مولى حتى يكون شاملا للواحد والاكثر فان المولى جنس قلنا العدل ايراد الجمع للايماء بان الغالب كثرة الموالي (قوله فان الاقربون لايتناولهم كالا يتناول الوالدين) الظاهر ان هذا بناء على ماقاله أكثر الفقهاء اليه ان الوالدين والاولاد لايدخلون في الاقارب عرفا بل القريب من ينتهي اليه بواسطة وأجيب عنه بان المراد بالاقربين المعنى اللغوي فيشمل الاولاد والتصريح بذكر الوالدين لشرفهم وزيادة الاهتمام بشأنهم (قوله أو لكل قوم جعلناهم الخ) أورد عليه ان جعل الجار والمجرور مبتدأ بتقدير الموصوف قليل وان لكل قوم من الموالي جميع ماترك الولدان لانصيب منه وأجيب انه مع قلته ثابت في القرآن الكريم كقوله تعالى ومما ان الاله مقام معلوم ومما دون ذلك وان ما يستحقه القوم بعض التركة لما فيها من مؤن التجهيز وقد يكون الدين والوصية (قوله موالي الموالاة) لما كان المولى لفظا مشتركا في معاني كثيرة منها الحليف المعاهد والمقصود ان الذين عقدت أيمانكم هو مولى الموالاة الذين هم المعاهدون (قوله فنسخ بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) فيه انه اذا كان للميت ذو رحم فهو أولى بالارث من الحليف الذي هو الاجنبي واما اذا لم يكن للميت ذو رحم وقرابة فلم تدل هذه الآية على عدم ارث الحليف فلا يلزم نسخ آية والذين عقدت ايمانكم بل يلزم التخصيص (قوله أو الازواج) وعلى هذا الخطاب في ايمانكم للاولياء (قوله وقوله فآتوهم جملة مسببة) بصيغة المفعول لان ماتقدم سبب لانه اذا كان للذين عقدت ايمانكم نصيب كما فهم من العطف المذكور لزم وجوب اتيانهم النصيب (قوله وقرأ الكوفيون) أي قراء الكوفة من

فصل الذين وشبهه اذا كان أمرا مواجها به وقبل السين واو أو فاء بغير همز وحزة في الوقف على أصله والباقون بالهمز (ان الله كان بكل شئ عليما) فهو يعلم مايستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان أم سلمة قالت يارسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت (ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون) أي ولكل تركة جعلناها وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل أو لكل ميت جعلناها وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لايتناولهم كالا يتناول الوالدين أو ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف على هذا فالجملة من مبتدأ وخبر (والذين عاقدت ايمانكم) موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح ويورث أو الازواج على ان العقد عند النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره (فآتوهم نصيبهم) أو منصوب بمضمر يفسره مابعده كقولك زيدا فاضربه أو معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود وأقيم الضمير المضاف

السبعة وهم عاصم وحمزة والكسائى عقدت بغير ألف أى عقدت عهودهم ايمانكم أى أيديكم فانه لما كان مماسة الايمان أى الايدى علامة مقارنة للعهد نسب عقد العهد الى الايمان فيكون عهودهم مفعولا وايمانكم فاعلا (قوله ثم حذف كما حذف) لان تقدير القراءة الأخرى وهى ان يقرأ عاقدت ايمانكم اياهم (قوله واقامة الشعائر) أى الأمور الدينوية التى يعتبر فيها اعلام الناس كالأذان والخطبة (قوله والشهادة فى مجامع القضايا) أى الشهادة فى جميع الأمور التى تعلق بها قضاء القاضى فان شهادة الرجال معتبرة فى الجميع وشهادة النساء معتبرة فى بعضها دون البعض الآخر كالقصاص والحدود (قوله والاستبداد بالفراق) أى الاستقلال بالفراق بين الزوجين (قوله لتقتص) يحتمل ان يكون هذا الحكم باجتهاده صلى الله عليه وسلم وان يكون المراد من الاقتصاص ضرب من التعزير (قوله شأنه الخ) فيه ان علو الشأن يقتضى زيادة وأنه على علو الكرم الذى هو أنسب بالعفو قال تعالى خذ العفو (قوله أو انه يتعالى ان يظلم أحدا فانتم عباده ينبغى لكم ان لا تظلموا الغير ولا تنقصوا حقه وتخلقوا باخلاق الله على قدر استطاعتكم (قوله وان ختم شقاق بينهما) لم يذكر المصنف ولا صاحب الكشاف ما المراد من الخوف ونقل العلامة النيسابورى عن ابن عباس ان المراد العلم وقال الفقهاء اذا شهد الشقاق

اليه مقامه ثم حذف كما حذف فى القراءة الاخرى (ان الله كان على كل شئ شهيدا) تهديد على منع نصيبهم (الرجال قوامون على النساء) يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبى وكسبى فقال (بما فضل الله بعضهم على بعض) بسبب تفضيله تعالى الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة فى الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم فى الميراث والاستبداد بالفراق (وبما انفقوا من أموالهم) فى نكاحهن كالمهر والنفقة روى أن سعد ابن الربيع أحد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبى زهير فلطمها فانطلق بها أبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذى أراد الله خير (فالصالحات قانتات) مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج (حافظات للغيب) لمواجب الغيب أى يحفظن فى غيبة الازواج مايجب حفظه فى النفس والمال وعنه عليه الصلاة والسلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان أمرتها أطاعتك وان غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لأسرارهم (بما حفظ الله) بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له أو بالذى حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة والوكانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذى حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال (واللاتى تخافون نشوزهن) عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز (فعظوهن واهجروهن فى المضاجع) فى المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف أولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت أى لا تباشروهن (واضربوهن) يعنى ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلاثة مرتبة ينبغى أن يتدرج فيها (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) بالتوبيخ والايذاء والمعنى فاز بلوا عهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له (ان الله كان عليا كبيرا) فاحذروه فانه أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم أو انه على علو شأنه يتجاوز عن سيآتكم ويتوب عليكم فانتم أحق بالعفو عن أزواجكم أو انه يتعالى ويتكبر أن يظلم أحدا أو ينقص حقه (وان خفتم شقاق بينهما) خلافا بين المرأة وزوجها أضمرهما وان لم يجرد كرهما جرى مايدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف امالاجرائه مجرى المفعول به كقولك يا سارق الليلة أهل الدار أو الفاعل كقولهم نهارك صائم (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) فابعثوا أيها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبين الامر أو اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من أهله وآخر من أهلها فان الاقارب أعرف ببواطن الاحوال وأطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج

بينهما بعث حكما من أهله وحكما من أهلها لقوله تعالى وان خفتم شقاق بينهما الآية (قوله اما لاجرائه الخ) فان قلت لم يجعل الاضافة بمعنى فى كما فى ضرب اليوم على ما قاله ابن الحاجب قلت يحتاج الى التجوز والتكلف (قوله رجلا وسطا) قال فى الصحاح يقال وسط فى قومه اذا كان أوسطهم نسبا وأرفعهم مجدا (قوله وقيل الخطاب للازواج والزوجات) فالمراد من الحكم الجنس فيحتمل العقد والمعنى ابعثوا أيها الازواج والزوجات التى وقع الشقاق جماعة حكما من أهله وجماعة حكما من أهلها

(قوله واستدل به على جواز التحكيم) لفظ استدل مشعر بضعف الاستدلال ووجه ضعفه ماذكره بقوله ان النصب لاصلاح ذات البين (قوله ولا يلزمان الجمع والتفريق) أى ليس للحكمين ان يؤثرا النكاح ولا الطلاق والفسخ اذ الاصل الظاهر فى التقرير والارتفاع المذكورين رضا الزوجين (قوله الضمير الاول للحكمين الخ) انما رجح هذا الوجه على الوجهين الآخرين لان على الوجه الأخير وهو ان كون الضمير راجعا الى الزوجين لا تظهر فائدة بعث الحكمين واما على الوجه الآخر وهو ان يكون الضميران راجعين الى الحكمين فلان المتبادر من التوفيق ههنا التوفيق بين الزوجين بقرينة المقام وذكر الشقاق

والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين أو لتبيين الامر ولا يلزمان الجمع والتفريق لا بأذن الزوجين وقال مالك لهما أن يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه (ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) الضمير الاول للحكمين والثانى للزوجين أى ان قصدا الاصلاح أوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين أى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين أى ان أرادا الاصلاح وزوال الشقاق أوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من أصلح نيته فيما يتحراه أصلح الله مبتغاه (ان الله كان عليما خبيرا) بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ) صنما أو غيره أو شيأ من الاشراك جليا أو خفيا (وبالوالدين احسانا) واحسنوا بهما احسانا (وبذى القربى) وبصاحب القرابة (واليتامى والمساكين والجار ذى القربى) أى الذى قرب جواره وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه (والجار الجنب) البعيد والذى لا قرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاث حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب (والصاحب بالجنب) الرفيق فى أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه يحب بحصول بجنبك وقيل المرأة (وابن السبيل) المسافر أو الضيف (وما ملكت أيمانكم) العبيد والاماء (ان الله لا يحب من كان مختالا) متكبرا يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت اليهم (فخورا) يتفاخر عليهم (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من قوله من كان أو نصب على الذم أو رفع عليه أى هم الذين أو مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به وقرأ حمزة والكسائى ههنا وفى الحديد بالبخل بفتح الحرفين وهى لغة (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) الغنى والعلم فهم أخفاء بكل ملامة (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شأنه فهو كافر نعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كأهانة النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصيحا لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل فى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس) عطف على الذين يبخلون أو الكافرين ونمط اشتراكهم فى الذم ولوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق لا على ما ينبغى من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء فى القبح واستجلاب الذم أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه

بينهما (قوله بالظواهر) الظاهر من كلامه ان المراد من العليم العالم بالظواهر ومن الخبير العالم بالبواطن حتى يكون لفا ونشرا على الترتيب لكن الاولى ان يقال ان العليم هو العالم بالظاهر والباطن والخبير العالم ببواطن الأمور وبهذا فسروه ويحصل منه تأكيد العلم بالبواطن وانما أكد العلم بالبواطن لان العلم بالباطن مستلزم للعلم بالظاهر فالعلم بالباطن أولى بالتأكيد (قوله وقرئ بالنصب بتقدير اخص) فيفيد ان نوع اختصاص بالاحسان بسبب اجتماع القرب والجوار (قوله على الاختصاص) أى قرئ ذى القربى (قوله والجار الجنب) قيل جنب فعل بمعنى المفعول من جنبه بجانبه أى المجنوب المنحى وقيل المعنى ذى الجنب بمعنى الجانب وهو الناحية وهو عبارة عن البعد (قوله بدل من قوله من كان) كذا فى الكشاف هذا على تقدير ان يكونا أى المختال الفخور والذين يبخلون بقوله طائفة واحدة وكذا الوجه الثالث واما على الوجهين الاخيرين فلا يلزم الاتحاد ويفهم مما ذكره ان بدل الكل ما صدق هو والمبدل منه على ذات واحدة وان كان بين البدل والمبدل منه عموم من وجه (قوله أخفاء بكل ملامة) هو الخبر المقدر المحذوف (قوله كما أهان النعمة بالبخل والاخفاء) فان اهانة كل شئ ان يفعل به ما لا يليق وشأن النعمة ان يجاد بها لان الجود منشأ نفع الدارين والجود مستلزم للاظهار فى الجملة فثبت ان ما لا يجود بالنعمة أو يخفيها فعل ما لا يليق بها

(قوله تعالى فساء قرينا) أى فساء قرينه قرينا فالمخصوص الذى يوجب الارتباط بالمبتدأ محذوف (قوله واعوانه الداخلة والخارجة) أما الاولى فالنفس والقوى الحيوانية واما الخارجة فشياطين الجن والانس (قوله وتنبيه على ان المدعو الى أمر لاضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا) لان المفهوم من الآية التوبيخ على عدم الايمان والانفاق مع العلم بعدم ضررهما (قوله ينبغى ان يجيب اليه احتياطا) معناه ينبغى ان يفعله للاحتراز عن احتمال الذم اللاحق بعدم فعله وهذا فيما يحتمل الضرر بعدم فعله فلا يلزم منه انه اذا دعى أحد الى شئ فعله وتركه متساويان فى عدم الضرر ان يكون فعله أولى (قوله وانما قدم الايمان ههنا وأخره فى الآية الأخرى) وهى قوله تعالى والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر لان القصد ههنا التخصيص اذ المقصود من قوله تعالى وماذا عليهم الحث على الايمان وماذكر بعده ولما كان الايمان أشرف قدم ليوافق الوضع الطبع والمقصود من ذكر الايمان فى الآية السابقة التعليل أى تعليل انفاق الأموال ورياء الناس عدم الانفاق لاجل الله تعالى وفى سبيله لعدم الايمان (قوله لا ينقص من الأجور ولا يزيد فى العقاب) لانخفى ان المعنى الحقيقى للظلم ليس مجموع (٨٧) المعنيين المذكورين هما نقص الاجر والزيادة المذكوران حتى يكون تحقق الظلم مستلزما لتحققهما معا فيلزم عدم تحقق الظلم بوقوع أحدهما دون الآخر والأولى أن يقال الظلم ههنا بمعنى ضر الغير بما لا يستحقه فالمعنى ان الله لا يضر أحدا بما لا يستحقه بمثقال ذرة فما ذكر تفصيل المعنى وايراد أنواعه (قوله وفى ذكره ايماء) أى فى ذكر مثقال الذرة اشارة خفية الى أن الظلم وان كان حقيرا فجزاؤه عظيم لان فى ذكر المثقال ايماء الى ثقل الظلم لما كان الظلم المذكور حقيرا القدر فيكون ثقله باعتبار الجزاء (قوله وأنث الضمير لتأنيث الخبر) فان قيل تأنيث الخبر بعد تأنيث الاسم فالقول بكون تأنيث الاسم باعتبار تأنيث الخبر دور قلنا ليس دخول التاء على الحسنة والسيئة للتأنيث بل للنقل فليس دخول التاء على الحسنة التى هى الخبر باعتبار تأنيث الاسم حتى يلزم ماذكر (قوله تشبيها بحروف العلة) قال بعضهم شبهها فى امتداد الصوت وقال الرضى النون مشابهة للواو فى الغنة وقال آخرون حذف تخفيفا لكثرة الاستعمال (قوله فضاعف ثوابها) لان جعل الفعل الواحد فعلين كالصلاة الواحدة صلاتين غير معقول فالمراد من المضاعفة التكثير فى الاجر كان يستحق عشرة أجور فيجعل مائة وان كان كل أجر دائما لان الثواب هو المنفعة الخالصة الدائمة وما قلناه هو معنى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فالعجب ان العلامة التفتازانى فسر الثواب بما ذكر ثم جعل مضاعفته عبارة عن دوامه وعدم تناهيه (قوله زائدا على ما وعد فى مقابلة العمل) فما وعد فى مقابلة العمل لابد أن يحصل بسبب الوعد وهذا الزائد ليس كذلك بل ان شاء أعطى والا لا يعطه كما قال تعالى ويرزق من تشاء بغير حساب (قوله لانه تابع للاجر) هو الموعود بالعمل الصالح وهذا الزائد ليس كذلك فنسبته بالاجر تجوز لما ذكر

بقوله ومن يكن الشيطان له قرينا (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) ليتجروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) تنبيه على أن الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد بلبس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز أن يكون وعيدا لهم بان يقرنهم الشيطان فى النار (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) أى وما الذى عليهم أو أى تبعة تحيق بهم بسبب الايمان والانفاق فى سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى أمر لا ضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا وأخره فى الآية الأخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثم (وكان الله بهم عليما) وعيد لهم (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) لا ينقص من الأجر ولا يزيد فى العقاب أصغر شئ كالذرة وهى النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفى ذكره ايماء الى أنه وان صغر قدره عظم جزاؤه (وان تك حسنة) وان يكن مثقال الذرة حسنة وأنث الضمير لتأنيث الخبر أو لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة (يضاعفها) يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى (ويؤت من لدنه) ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد فى مقابلة العمل (أجرا عظيما) عطاء جزيلا وانما سماه أجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه (فكيف) أى فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم (اذا جئنا من كل

(قوله والعامل فى الظرف مضمون المبتدأ والخبر) المراد من الظرف المعمول اذا والمبتدأ والخبر فكيف حال هؤلاء الكفرة والمعنى يشتد حال هؤلاء الكفرة و يهول اذا جئنا (قوله تشهد على صدق هؤلاء لشهداء لعلمك بعقائدهم) أقول ههنا شيئان الاوّل مافائدة جعل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم شهيدا على الانبياء مع كمالهم الثانى ان الشهادة على صدق الشهداء انما تتعلق له للعلم بعقائدهم ولا لاستجماع شرعه مجامع قواعدهم بل مدارها على أن يعلم ان مايقولون فى شأنه انه صادق والجواب عن الاوّل ان فائدته اظهار شرف نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء وعن الثانى أن المزكى للشاهد يعتبر فى تزكيته الخبرة الباطنة وهى أن يعلم باطن أحوال الشاهد حتى يتبين له ان يزكيه وهذا مما قرر فى الفقهيات ولايخفى أن المزكى اذا كان عالما بعقائد الشاهد وأعماله كان تزكيته أقوى وأشد اعتبارا والعلم بعقائدهم اشارة الى الامور القلبية والاستجماع المذكور اشارة الى الاعمال يعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم عالم بعقائد الانبياء وأعمالهم فاذا صار مزكيا لهم صلوات الله عليهم (قوله وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة) وحينئذ شهادته صلى الله عليه وسلم بعد شهادة الانبياء لتقوية شهادتهم (قوله وقيل الى المؤمنين) فان قيل الشهيد الذى ذكر فى قوله تعالى من كل أمة بشهيد

أمة بشهيد) يعنى نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح أعمالهم والعامل فى الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشان (وجئنابك) يامحمد (على هؤلاء شهيدا) تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين كقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لوتسوى بهم الارض) بيان لحالهم حينئذ أى يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الأمر أو الكفرة والعصاة فى ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوّى بهم الارض كالموتى أو لم يبعثوا أولم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء (ولا يكتمون الله حديثا) ولايقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال أى يودون ان تسوّى بهم الارض وحالهم انهم لايكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الأمر عليهم فيتمنون ان تسوّى بهم الأرض وقرأ نافع وابن عامر تسوّى بهم على ان أصله تتسوى فادغمت التاء فى السين وقرأ حمزة والكسائى تسوى على حذف التاء الثانية يقال سوّيته فتسوى (ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون) أى لاتقوموا اليها وأنتم سكارى من نحو نوم أوخمر حتى تذهبوا وتعلموا ماتقولون فى صلاتكم روى ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم أحدهم ليصلى بهم فقرأ أعبد ماتعبدون فنزلت وقيل أراد بالصلاة مواضعها وهى المساجد وليس المراد منه نهى السكران عن قربان الصلاة وانما المراد النهى عن الافراط فى الشرب والسكر من السكر وهو الشد وقرئ سكارى بالفتح

المؤمنون أوالانبياء قلت بل الانبياء لوجهين أحدهما أنه يدل على أن شهيد كل أمة منهم والمؤمنون ليسوا كذلك والثانى ان على كل أمة شهيدا خاصا وليس المؤمنون كذلك بل شهادتهم على الناس جميعا (قوله أوالكفرة والعصاة) هذا يقتضى أن تكون الكفرة والعصاة مختلفين بالذات فالذين كفروا جمع والذين عصوا جمع آخر فالتقدير الذين كفروا والذين عصوا فيلزم حذف الذين وهو غير جائز وقد صرح المصنف بذلك فى تفسير قوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به حيث قال الخائى هو الرسول صلى الله عليه وسلم والمصدق أبو بكر رضى الله عنه

وذلك يقتضى اضمار الذى وهو غير جائز (قوله فتسوى بهم الارض الخ) هذه المذكورات ثلاثة أوجه وعلى الاول الباء للملابسة أى تسوى الارض ملتبسة بهم وعلى الآخرين الباء صلة كما يقال مر به أى جعلتهما مستويين (قوله لايقدرون على كتمانه) انما قدر ذلك اذ المفهوم من ظاهر العبارة انهم قادرون على الكتمان ولايكتمون باراداتهم لكنهم لايقدرون عليه (قوله الواو للحال) أى حال من الذين كفروا أى ودهم تسوية الارض فى حال عدم الكتمان والكذب (قوله من نحو نوم أوخمر) قال العلامة النيسابورى خالف الصحابة جمهور الصحابة والتابعين فقال ان السكر ههنا يراد به غلبة النوم والجواب ان لفظ السكر حقيقة فى سكر الخمر والاصل فى الاطلاق الحقيقة ومتى استعمل مجازا لم يستعمل الامقيدا كقوله وجاءت سكرة الموت وأيضا أجمع المفسرون على انها فى شرب الخمر انهى وظاهر هذا الكلام أن الجمهور على أن المراد بالسكر ههنا سكر الخمر لا النوم وكلام المصنف يخالفه فتأمل (قوله وليس المراد نهى السكران عن قربان الصلاة الخ) فان قيل هذا يخالف لما فسره به أولا وهو قوله لاتقوموا اليها وسكرى

وأنتم سكارى فلنا ماذكره أولا المعنى الحقيقي وهذا هو المعنى الكنائي وانما جعل المراد ماذكر لان عدم الافراط فى الشرب مستلزم لعدم قربان الصلاة حال السكر دون العكس اذ لا يلزم من عدم قربان الصلاة حال السكر عدم الافراط فى الشرب (قوله أى جنبا غير عابرى) هذا مطابق لما ذكروه من أنه لا يحمل على غيره اذا كانت تابعة لجمع منكور غير محصور فان الجنب فى حكم الجمع المنكور الغير المحصور (قوله وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث) لانه يعلم من التقدير الذى ذكره بقاء الجنابة مع التيمم بل يفهم من الآية أن الجنب يجوز أن يقرب الصلاة حال الجنابة فى السفر ولا يخفى أنه لا يجوز الا فى حال التيمم فلو كان التيمم رافعا للجنابة لم تكن الصلاة فى حال الجنابة (قوله وفى الآية تنبيه الخ) لانه اذا وجب تطهير البدن عن الحدث والخبث فتطهير القلب الذى هو ملاك الامر ومداره أولى (قوله فاحدث بخروج الخارج من أحد السبيلين) يمكن أن يكون مراده ان قوله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط مستعمل فى حقيقته التى هى المجىء من الارض المطمئنة ويكون ههنا مقدر هو فاحدث بحدوث الخارج من أحد السبيلين ويمكن أن تجعل الفاء للترتيب الذكرى وهو ذكر المفسر بعد المجمل كما فى قوله تعالى فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة

وسكرى على انه جمع كهالكى أو مفرد بمعنى وأنتم قوم سكرى أو جماعة سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة للجماعة (ولا جنبا) عطف على قوله وأنتم سكارى اذ الجملة فى موضع النصب على الحال والجنب الذى أصابته الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجرى مجرى المصدر (الا عابرى سبيل) متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من أعم الأحوال أى لا تقربوا الصلاة جنبا فى عامة الاحوال الا فى السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم أو صفة لقوله جنبا أى جنبا غير عابرى سبيل وفيه دليل على أن التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابرى سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد به قال الشافعى رضى الله عنه وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه لا يجوز له المرور فى المسجد الا اذا كان فيه الماء أو الطريق (حتى تغتسلوا) غاية النهى عن القربان حال الجنابة وفى الآية تنبيه على أن المصلى ينبغى له أن يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكى نفسه عما يجب تطهيرها عنه (وان كنتم مرضى) مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد أو مرضا يمنعه عن الوصول اليه (أو على سفر) لا تجدونه فيه (أو جاء أحد منكم من الغائط) فاحدث بخروج الخارج من أحد السبيلين وأصل الغائط المكان المطمئن من الارض (أو لامستم النساء) أو ماسستم بشرتهن بشرتكم وبه استدل الشافعى على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل أو جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع أقل من الملامسة (فلم تجدوا ماء) فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث أو جنب والحالة المقتضية له فى غالب الامر مرض أو سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر من أسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن

فان القول المذكور هو بعينه السؤال الاكبر فتأمل (قوله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط) لك أن تقول سابق هذا الكلام وهو قوله تعالى وان كنتم مرضى أو على سفر ولاحقه أيضا وهو فلم تجدوا ماء فتيمموا الآية يدل على ان المناسب أن يقال ههنا أو جئتم أو من الغائط فلم قيل أو جاء أحد منكم قلت والله أعلم لعل النكتة فيه الاشعار بان على الجانى من الغائط ان يكون مفردا ليس معه غيره وهذه النكتة غير مرعية فى غيره بقى ههنا ان يكون الجواب ان يقال لعل

المراد فتيمموا وليتم ذلك الأحد فهم مخاطبون فى الصور الثلاث والواحد فى صورة واحدة فحذف لدلالة القرينة وهى فتيمموا عليه أو يقال أحد بمعنى الجماعة كما قالوا فى قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله بلفظ أحد للنكتة المذكورة والتغيير (قوله فلم تتمكنوا من استعماله) المفهوم منه ان المراد من عدم وجدان الماء عدمه حسا أو حكما وانما قال ذلك لان فى صورة المرض لا يشترط فى جواز التيمم فقد الماء حسا وههنا نظر وهو ان التقييد المذكور فى الشرط وهو خوف الاستعمال أو المنع من الوصول عبارة عن عدم التمكن من استعماله فلزم التكرار اذ يلزم اعتبار عدم التمكن مقدرا تارة وصريحا أخرى وهو قوله فلم تجدوا فان قيل يمكن ان يجعل قوله تعالى فلم تجدوا قيدا لقوله تعالى أو جاء الخ فلنا لا باعث على هذا الجعل وتخصيص القيد بهذين دون غيرهما مع ان قوله اذ الممنوع عنه كالمفقود مناسب للمرضى (قوله والحال المقتضية له فى غالب الأمر) انما قال فى غالب لانه قد يباح التيمم من غير السببين المذكورين كما اذا تيمم الصحيح لفقد الماء (قوله ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض) فالاول خروج الخارج من أحد السبيلين والثانى اللمس فان كونه سببا للحدث باعتبار

اللذة الحاصلة منه قال الفقهاء اذا لمس الرجل المرأة التي ليست محرما له انتقض وضوء اللامس للنص ووضوء الملموس لانثرا كهما في اللذة (قوله وكأنه قيل وان كنتم جنبا مرضى أو على سفر) يرد عليه انه اذا كان المراد ماذكر لزم الاستغناء عن قوله ولاجنبا الا عابري سبيل اذ يفهم الحكم المذكور من قوله تعالى وان كنتم مرضى أو على سفر فراد معناه وان كنتم جنبا مرضى أو على سفر ويمكن ان يقال لم يكتف بما ذكر ثانيا لزيادة الاهتمام بحال الجنابة التي هي محتاجة الى كثرة الماء مع ان المؤمنين كانوا كثيري الاسفار والغزوات وعرض لهم عدم الماء في السفر كما هو مذكور في موضعه (قوله وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء) هذا اذا كانت الرؤية قلبية والمعنى الم تعلم منتهيا علمك اليهم (قوله بعد تمكنهم منه أو حصوله لهم) فالاول بالنظر الى الاختيار والثاني الى الاستبدال فيهما لف ونشر مرتب (٩٠) (قوله بانكاره) متعلق بالاختيار أو الاستبدال (قوله حظا يسيرا) جعل

التنكير للتحقير ولك ان تقول لو جعل التنكير للتعظيم لكان أدخل في افادة المقصود ههنا الذي هو تقبيح حال اليهود وتقريعهم فان اشتراء الضلالة بالهدى مع كثرة العلم بما في التوراة أقبح من اشترائهما مع قلته ويمكن ان يقال لما عملوا بخلاف ما في التوراة لم يكن حظهم من علمه عظيما بل لو قيل حظهم في حكم العدم لم يبعد (قوله لتوكيد الاتصال الاسنادي) فان كفى متصل بالله اتصالا اسناديا لانه فاعل كفى وأيضا هو أكفى مضاف الى الله بواسطة حرف الجر فيكون بينهما اتصال أي تعالق اضافي وفيه انه لما كانت الباء زائدة لم يكن موجبا للربط والاتصال وقد صرح صاحب المغني بذلك حيث قال الحرف الزائد نحو الباء في كفى بالله شهيدا لم يدل ما للربط بل لتقرير الكلام وتاكيده والاولى ان يقال ان الباء الزائدة لتأكيد الاسناد كما قال غيره (قوله فانه يحتملهما وغيرهم) هذا بيان لكونه بينا فان قلت ما موضع هذا الجار والمجرور من الاعراب قلت فيهم من قولهم انه صفة بالتأويل كما قالوا في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان ان المعنى فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات يفهم ان المعنى وعد الله الذين آمنوا الذين هم هؤلاء (قوله أي مدعوا عليك بلا سمعت الخ) أي اسمع قولنا لك في حال كونك مدعوا عليك وقال العلامة التفتازاني أي اسمع ندعو عليك بلا سمعت مجابا قيل هذه الدعوة بحيث يصح انك غير مسمع انتهى ولا يخفى ان هذا الكلام جمع بين النقيضين لان اسمع دال على كونه سامعا حال الخطاب فقوله بحيث يصح انك غير مسمع دال على نفيه

تفصيل أحواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر بخلافه كأنه قيل وان كنتم جنبا مرضى أو على سفر أو محدثين جئتم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء (فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) أي فتعمدوا شيأ من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على خشب صلد ومسح به أجزأه وقال أصحابنا لابد من ان يعلق باليد شئ من التراب لقوله تعالى في المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه أي بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب ومار وي انه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وأيديكم الى المرافق (ان الله كان عفوا غفورا) فلذلك يسر الأمر عليكم ورخص لكم (ألم تر الى الذين أوتوا) من رؤية البصر أي ألم تنظر اليهم أو القلب وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء (نصيبا من الكتاب) حظا يسيرا من علم التوراة لان المراد أحبار اليهود (يشترون الضلالة) يختارونها على الهدى أو يستبدلونها به بعد تمكنهم منه أو حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يأخذون الرشى ويحرفون التوراة (ويريدون أن تضلوا) أيها المؤمنون (السبيل) سبيل الحق (والله أعلم) منكم (باعدائكم) وقد أخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم (وكفى بالله وليا) بلى أمركم (وكفى بالله نصيرا) يعينكم فتقوا عليه وا كتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي (من الذين هادوا يحرفون) بيان للذين أوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض أو بيان لاعدائكم أو صلة لنصيرا أي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم أو خبر محذوف صفته يحرفون (الكلم عن مواضعه) أي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها أو يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة (ويقولون سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك (واسمع غير مسمع) أي مدعوا عليك بلا سمعت لصم أو موت أو اسمع غير مجاب الى

(قوله أواسمع غير مسمع كلا ما لخ) أى كلاما فى حكم غير المسموع لان مالا يرضاه السامع لا يتوجه اليه حتى يسمع بكماله فكأنه غير مسموع (قوله فيكون مفعولا به) يعنى على التقادير الثلاثة المذكورة يكون غير مسمع حالا وعلى هذا التقدير مفعول به (قوله اذا سبه) فيكون المراد من المكروه السب (قوله وانما قالوه نفاقا) قد يقال ان المراد انه على التقدير الاخير نفاق لانه على هذا التقدير دعاء خير له صلى الله عليه وسلم فان قيل هذا لا يناسب تصريحهم بعصيانا أجاب عنه صاحب الكشاف بان الكفرة يواجهون النبى صلى الله عليه وسلم بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء أو يقال لم ينطقوا بذلك ولكن المالم يؤمنوا جعلوا كلامهم نطقوا به ويعلم منه ان المصنف ترك شيأ يجب تأويله عليه ولك ان تقول المالم يصرحوا بالتقدير المذكور الذى هو لفظ مكروه فكان كلامهم بحسب الظاهر يحتمل الوجوه المتعددة التى ذكرت فلم يتحقق نفاقهم لان نفاقهم انما يتحقق اذا صرحوا بما يوجب تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم أو كان ظاهر افيه وامامعنا فليس كذلك بل الظاهر الدعاء (٩١) عليه ويمكن ان يقال هذا القول مطابق

ماتدعو اليه أواسمع غير مسمع كلا ماترضاه أواسمع كلا ماغير مسمع اياك لان أذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به أواسمع غير مسمع مكروها من قولهم أسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا (وراعنا) انظرنا نكلمك أو تفهم كلامك (ليا بألسنتهم) فتلاعبها وصرفا للكلام الى مايشبه السب حيث وضعوا راعنا الشابه لما يتابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها أو فتلاعبها وضما لما يظهرون من الدعاء والتوقير الى مايضمرون من السب والتحقير نفاقا (وطعنا فى الدين) استهزاء به وسخرية (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا) ولو ثبت قولهم هنا مكان ماقالوه (لكان خيرا لهم وأقوم) لكان قولهم ذلك خيرا لهم وأعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو فى مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه (ولكن لعنهم الله بكفرهم) ولكن خذلهم الله وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) أى الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويحتمل ان يراد بالقلة العدم كقوله * قليل التشكى للهم يصيبه * أو الا قليلا منهم آمنوا أو سيؤمنون (يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها) من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها يعنى الاقفاء أو نتركها الى ورائها فى الدنيا أو فى الآخرة وأصل الطمس ازالة الاعلام المائلة وقيل يطلق بمعنى الطمس فى ازالة الصورة والمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل أن نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها أصغار والادبار أو نردها الى حيث جاءت منه وهى أذرعات الشام يعنى اجلاء بنى النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء أو من قبل أن نطمس وجوها بان نعمى الأبصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) أو نخزهم بالمسخ كما خزينا أصحاب السبت أو نمسخهم مسخا مثل مسخهم أو نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه أو للذين على طريقة الالتفات

والقول الاول اظهار الكفر ولا يخفى ان النفاق أشد فلنا المراد ان هذا القول نظرا الى ذاته خير وان كان شرا من القول الاول من جهة دلالته على النفاق (قوله كقوله قليل التشكى للهم) اللهم مايوجب الهم والحزن وانما كان القلة ههنا بمعنى العدم لان الصبر فى الاحزان يناسبه عدم الشكوى مطلقا لا قلته (قوله أو الا قليلا منهم آمنوا أو سيؤمنون) فان قيل فعلى هذا يلزم اتفاق القراء على غير المختار لان فى مثله اختيار الرفع على البداية كما فى قوله ما فعلوه الا قليل وأيضا اذا كان القليل مؤمنون فكيف يصح لعنهم جميعا بكفرهم قلنا المراد انه استثناء من قوله تعالى لعنهم الله أى لعنهم الله الا قليلا فلا يؤمنون أى لا يؤمن أكثرهم (قوله على طريقة الالتفات) لان الظاهر أن يقال أو نلعنكم كذا فى الكشاف وفيه انهم صرحوا بان المنادى اذا كان موصولا فحق الضمير العائد اليه أن يكون غائبا نحو قوله يا من يعز علينا أن نفارقهم واذا كان كذلك فحق الضمير العائد الى الموصول ههنا أن يكون ضمير الغائب فايراد لعنهم على مقتضى الظاهر فلا يكون التفاتا لان الالتفات هو التعبير على خلاف مقتضى الظاهر ولذا صرحوا بان الالتفات فى نحو المثال المذكور فلذا صرحوا بان الضمير الواقع بعد تمام المنادى حقه أن يكون بطريق الخطاب وههنا كذلك لان المنادى قدم عند قوله تعالى يأيها الذين أوتوا الكتاب

انفاق لانه كلام يحتمل دعاء الخير فاظهروا ان قصدهم بهذا القول اظهار دعاء الخير مع ان بواطنهم مخالفة له (قوله تعالى ليا بألسنتهم) مفعول له وكذا قوله طعنا فى الدين أو حال بتأويل المشتق (قوله لدلالة ان عليه) لان ان مع جزائها فاعل فى ههنا فيدل على تقدير فعل هو ثبت (قوله ويجوز ان يراد بالقلة العدم) فيكون هذا الكلام من قبيل قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقد مر توضيح مثله (قوله تعالى لكان خيرا لهم الخ) فان قيل كيف كان هذا القول خيرا لهم والحال انه نفاق

وأما قول الشاعر فهم المنادى عند قوله أن نفارقهم (قوله وعطفه على الطمس) أى عطف اللعن بالمعنى الاول الذى هو المسخ فى الدنيا على الطمس يوجب أن لا يكون الطمس مسخ الصورة فى الدنيا لان اللعن هو المسخ فى الدنيا أيضا فلزم التكرار ولك أن تقول اللعن المذكور هو مسخ مخصوص هو جعلهم قردة وخنازير والطمس تخليط الوجوه وجعلها على هيئة أدبارها فلا يلزم على التقدير المذكور أن يكون الطمس عين المسخ (قوله ومن حمل الوعيد الخ) أى يرد على من حمل الوعيد فى الآية على المسخ فى الدنيا بان قال المراد من الطمس محو تخطيط الصورة فى الدنيا واللعن هو المسخ المخصوص فى الدنيا حتى يكون الوعيد منحصرا فى تغيير الصورة فى الدنيا يتجه عليه أنه لم يقع المسخ فاجاب بانه بعد مترقب فيقع فيما يستقبل وبان وقوعه مشروط بعدم ايمان جماعة لكن بعضهم قد آمن فلذا لم يقع ولا يخفى أن اطلاق قوله الوعيد يدل ظاهرا على ان هذا القائل حمل الطمس واللعن على المسخ فيدل على انه مترقب وأما اذا كان مراده حمل اللعن على غير تغيير الصورة فى الدنيا فلا يلزم وقوعه اذ الوعيد أحد الشيئين الطمس أو اللعن فلا يكون المسخ فى الدنيا مترقبا لان المترقب هو ما يعتقد أن يقع ولا يقال فيما شك فى وقوعه أنه مترقب (قوله وان ذنبه لا يمحى عنه أثره الخ) يفهم منه ان فعل الله تعالى موقوف على استعداد المحل وفيه شوب من كلام الفلاسفة والاولى الاقتصار على الوجه الاول ثم ان لقائل أن يقول من أين يعلم أنه لا يمحى عنه أثره فان استدل بعدم الغفران كان دورا والجواب أن يقال ان قوله لان ذنبه لا يمحى عنه أثره دليل على عدم الغفران وليس موجبا للعلم بعدم الغفران (٩٢) بل عدم الغفران علم من النص فالعلم بعدم الغفران دليل على العلم بعدم انمحاء

أثره وعدم انمحاء الاثر علة فى نفس الامر لعدم الغفران فلا دور (قوله اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى منه) أى انما قيد المعتزلة من يشاء بمن تاب للتحفظ على عموم آيات الوعيد فان آيات الوعيد عامة فى الظاهر غير مقيدة بالمشيئة كقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ليس الجزاء مقيدا بالمشيئة حتى لو يشأ الله لم يكن مخلدا فيها فيجب أن يحافظ على هذا العموم ويجعل قوله تعالى يغفر ما دون ذلك لمن يشاء بمعنى لمن تاب حتى تكون الى آيات الوعيد باقية على عمومها من غير تقييد بالمشيئة فاجاب المصنف بانه ليس حفظ عموم آيات الوعيد أولى من حفظ عموم هذه الآية وترك التقييد بالتائب (قوله نقض المذهبهم) يعنى لزم من كلامهم ان غفران غير الشرك من التائب وغير التائب متعلق بالمشيئة ولا يخفى أن الامر الكائن بالمشيئة أمر اختيارى لا واجب ففغران غير الشرك من التائب ليس واجبا لكن عندهم أنه واجب واعلم أنه يلزم على المعتزلة شئ آخر وهو ان الشرك وغيره من الكبائر متساويان عندهم فى عدم الغفران من غير التائب وفى الغفران من التائب فلا وجه لتخصيص ذكر عدم غفران شرك من لم يتب وغفران كبائر من تاب بل الوجه على مذهبهم أن يقال لا يغفر كبائر من لم يتب ويغفر لمن تاب (قوله وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب) أقول فيه أنه لا يلزم أبدية عذاب المشرك اذ يمكن أن يكون عظمه بزيادة عذابه بالذى يخطر فى فهمى القاصر ان من أثبت لله تعالى شريكا فقد اعتقد نقصا قائما وأثبت شيأ منافرا له تعالى على الدوام فيستحق فى مقابلته أن يلحق به شئ منافر على الدوام حتى يكون جزاء السيئة بمثلها والشئ المنافر الدائم هو العذاب الخالد فان قلت اثبات النقص الدائم ظاهر اذا اعتقد المشرك وجود الهين خالقين للعالم اما اذا اعتقد الشرك فى المعبودية كعابد الوثن فالنقص الدائم قلت صلاحيته تعالى للشرك فى المعبودية نقص دائم أثبته المشرك لان هذا المشرك اعتقد أن ذات الله تعالى لا تأبى الشركة

أو الوجوه ان أريد به الوجاهة وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة فى الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة فى الدنيا قال انه بعد مترقب أو كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة (وكان أمر الله) بايقاع شئ أو وعيده أو ما حكم به وقضاه (مفعولا) نافذا وكائنا فيقع لا محالة ما أوعد به ان لم تؤمنوا (ان الله لا يغفر ان يشرك به) لانه بت الحكم على خلود عذابه وأن ذنبه لا يمحى عنه أثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره (ويغفر ما دون ذلك) أى ما دون الشرك صغيرا كان أو كبيرا (لمن يشاء) تفضلا عليه واحسانا والمعتزلة حملوه بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافى وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هى حجة عليهم فهى حجة على الخوارج الذين زعموا أن كل ذنب شرك وان صاحبه خالد فى النار (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) ارتكب ما يستحق دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) يعنى أهل الكتاب قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم

في المعبودية اذ لو كان تقتضي ذاته امتناعها لم تصح الشركة في زمان أصلا واذا لم يقتض امتناعها كان صالحا لها دائما أي صالحا لان يجعل له شريك في أي زمان من الازمنة (قوله في زعمهم انهم أبناء الله وأزكياء عنده) فان قيل الافتراء هو أن يقول عن الشخص مالم يقله وهم لم ينقلوا ماذكروا عن الله تعالى بل يقولون من عند أنفسهم قلنا كونهم أبناء الله وأزكياء عنده لو حصل فانما يكون بتعليم من الله فدعواهم ماذكر مستلزم لان الله أعلمهم بذلك (قوله ويجوز أن يكون المعنى الخ) أي يجوز أن يكون

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله مانحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه وأثنى عليها (بل الله يزكي من يشاء) تنبيه على ان تزكيته تعالى هي المعتد بها دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبيح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين وأصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا أو قولا (ولا يظلمون) بالذم أو العقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حق (فتيلا) أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة (انظر كيف يفترون على الله الكذب) في زعمهم انهم أبناء الله وأزكياء عنده (وكفى به) بزعمهم هذا أو بالافتراء (اثما مبينا) لايخفى كونه مأثما من بين آثامهم (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام أرضى عند الله مما يدعو اليه محمد وقيل في حيي بن أخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل أصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود أو غيره (ويقولون للذين كفروا) لاجلهم وفيهم (هؤلاء) اشارة اليهم (أهدى من الذين آمنوا سبيلا) أقوم دينا وأرشد طريقا (أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) يمنع العذاب عنه بشفاعة أو غيرها (أم لهم نصيب من الملك) أم منقطعة ومعنى الهمزة انكار أن يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم (فاذا لا يؤتون الناس نقيرا) أي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون أحدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم ان بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا فقراء أذلاء متفاقرين ويجوز أن يكون المعنى انكار انهم أوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيأ واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا الناس على النصب (أم يحسدون الناس) بل أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أو العرب أو الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وأنكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكأن بينهما تلازما وتجاذبا (على ما آتاهم الله من فضله) يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم (فقد آتينا آل ابراهيم) الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأبناء عمه (الكتاب والحكمة) النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم (فمنهم) من اليهود (من

المعنى انكار مجموع الامرين المذكورين وانكار المجموع المذكور بسبب انكار الجزء الاول ودليله عدم اعطائهم الناس نقيرا فان هذا الشح يضاد الملك وهذا مما زاد على الكشاف ولا يظهر وجهه لان الكناية مصححة لارادة المعنى الحقيقي وههنا ليس كذلك لان الاستفهام لا يصح ههنا حمله على المعنى الحقيقي كما لا يخفى والاولى أن يقال ان أم اذا كان بمعنى بل مجردا من غير اعتبار الهمزة كما صرح به صاحب المغني صح (قوله واذن اذا وقع بعد الفاء أو الواو لا لتشريك مفرد) ذكروا في كتبهم ان اذن اذا وقعت بعد الواو أو الفاء يجوز الالغاء والاعمال ولم يذكروا القيد الذي ذكره المصنف وهو أن يكون بغير التشريك في المفرد والظاهر ان مراده أن لا يذكر بعد الواو والفاء مفرد مثل قوله فاما اذن

آتيك اذا لا يجوز في هذه الصورة الاعمال لوجود اعتماد ما بعدها على ما قبلها (قوله وكأن بينهما تلازما وتجاذبا) انما قال كان اذ قد يوجد الحسد بدون البخل كما اذا تمنى مجيء زوال صفة كمال للغير كالعلم وقد يوجد البخل بغير الحسد كما اذا منع بخيل بماله من غير تمني زوال ما للغير (قوله ارادة المعنى الحقيقي) فيصح أن يكون كناية وأبناء عمه هم أنبياء بني اسرائيل الذي هو يعقوب بن اسحق أخي اسمعيل جد النبي صلى الله عليه وسلم (قوله فمن اليهود) انما قال ذلك لأن الظاهر ان الضمير راجع الى البخلاء الحاسدين وهو غير مناسب فقال ان الضمير راجع الى مطلق اليهود

(قوله بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى الخ) أى الظاهر ان المراد بالتبديل اما اعادة ذلك الجلد بعينه على صفة أخرى بعد زواله وفنائه أو بزوال أثر الاحراق من نضجه وقلة احساسه أو عدمه من غير فنائه بل مع بقائه وانما رجح كون الجلد بعينه الجلد الاول لان المناسب أن يكون الجلد المحترق النضيج هو بعينه الجلد الذى كان عند صدور المعصية فى الدنيا ولعل هذا هو الحكمة فى تبديل الجلد مع قدرته على عذاب الكافر مع غير التبديل ومن عدم النضيج (قوله والعذاب فى الحقيقة للنفس العاصية) جواب سؤال وهو انه لزم من هذا القول التعذيب من غير معصية فان هذا الجلد الثانى الذى هو بدل الجلد الأول لم يقارف معصية قط مع انه يعذب بالاحراق فأجاب بان المعذب هو النفس العاصية التى اقترفت المعاصى فى الدنيا لأن العذاب ادراك الالم والمدرك هو النفس لا الجلد فلا محذور أى لا يلزم المحذور الذى ذكره (قوله قدم ذكر الكفار ووعيدهم الخ) أى قيل أولا ان الذين كفروا الآية لان الآيات السابقة فى بيان حال الكفار (قوله فينانا لا جوب فيه) قال العلامة التفتازانى الفينان المتصل المنبسط فقيل من الفنن كانه كثير الافنان وقيل فعلان من الفين وليس بواضح اشتقاقا وانصرافا انتهى فقوله فقيل اشارة الى أن ما قاله صاحب الصحاح من ان فينان من الفين بالفاء والياء التى هى آخر الحروف ضعيف من وجهين أحدهما لاشتقاق اذ لا يظهر وجه اشتقاق الفينان من الفين اذ لا مناسبة بين معنى الفينان والفين لان الفين هو الساعة والثانى انصراف فينان ولو كان فعلان لكان غير منصرف وأما الجوب فهو بضم الجيم وفتح الواو جمع جوبة وهى الفرجة (قوله خطاب عام للمكلفين وان نزلت الخ) هذه العبارة أحسن من عبارة الكشاف حيث قال الخطاب عام لكل واحد وقيل نزلت فى عثمان بن طلحة لأن جعلها نازلة فى عثمان بن طلحة لا يناسب ان يجعل مقابلا لعموم الخطاب اذ يصح ان تنزل الآية فى شخص معين لكن يكون حكمه عاما (قوله أو يرضى بحكمكم) هذا فى صورة التحكيم وهو ان يجعل المخاصمان ثالثا حاكما للحكم بينهما (قوله أو نعم الشئ الذى يعظكم به) فيه نظر لأن ما فى نعم على هذا التقدير اما أن يكون عبارة عن الشئ الموصوف بالذى أو عبارة عن الذى وعلى الاول لزم حذف الموصول الذى هو الذى وهو غير جائز كما مر قريبا واما أن يكون عبارة عن الذى وهو الصفة فلزم حذف الموصوف

آمن به) بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بما ذكر من حديث آل ابراهيم (ومنهم من صد عنه) أعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن فى ذلك توهين أمره فكذلك لا يوهن كفر هؤلاء أمرك (وكفى بجهنم سعيرا) نارا مسعورة يعذبون بها أى ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما أعد لهم من سعير جهنم (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) كالبيان والتقرير لذلك (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا أو بان يزال عنه أثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال (ليذوقوا العذاب) أى ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق لهم مكانه جلد آخر والعذاب فى الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور (ان الله كان عزيزا) لا يمتنع عليه ما يريده (حكيما) يعاقب على وفق حكمته (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض (لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا) فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها) خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح فى عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما أغلق باب الكعبة وأبى أن يدفع المفتاح ليدخل فيها رسول الله وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فلوى على كرم الله وجهه يده وأخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس رضى الله عنه أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامره الله أن يرده اليه فامر عليا رضى الله عنه أن يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحى بان السدانة فى أولاده أبدا (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) أى وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه أمركم أو يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم (ان الله نعما يعظكم به) أى نعم شيأ يعظكم به أو نعم الشئ الذى يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به أو مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من أداء الامانات والعدل فى الحكومات (ان الله كان سميعا بصيرا) باقوالكم وأحكامكم وما تفعلون فى الامانات (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) يريد بهم أمراء المسلمين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده

ويندرج

الذى هو الفاعل والجواب ان غرضه مما ذكر توضيح المعنى والاختيار ان التقدير نعم الذى أو يقال حذف الشئ وجعل صفته منابه فيصير فاعلا (قوله بعدما أمرهم بالعدل) أى بعد أمرهم بالعدل فى قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل (قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فان المستنبطين الذين علموا الحكم بالاستنباط هم العلماء المجتهدون (قوله الأن يقال الخطاب لاولى الامر الخ) يمكن أن يكون المراد بأولى الامر العلماء وحينئذ يكون الخطاب فى فان تنازعتم للعلماء يعنى ان تنازعتم أيها العلماء المجتهدون فارجعوا فيه الى الله ورسوله فيكون التنازع بينهم ان حكم الله تعالى فى المسئلة ماذا أقول فان قيل تنازعتم قبل الاجتهاد لا وجه له اذ على كل منهم ان يجتهد ويعمل بمقتضى اجتهاده فيكون بعد الاجتهاد ولا يخفى ان الاجتهاد لا يكون الا بعد الاطلاع على نصوص الكتاب والسنة و بذل الوسع فى تحقيق مقاصدها وعلى هذا فالرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حصل قبل

و يندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمراء السرية أمر الناس بطاعتهم بعد ما أمرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم (فان تنازعتم) أنتم وأولو الامر منكم (فى شئ) من أمور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد أن ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف المرؤس الأدنى يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة الالتفات (فردوه) فراجعوا فيه (الى الله) الى كتابه (والرسول) بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكر والقياس وقالوا انه تعالى أوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس وأجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس و يؤيد ذلك الامر به بعد الامر ببطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فان الايمان يوجب ذلك (ذلك) أى الرد (خير) لكم (وأحسن تأويلا) عاقبة أو أحسن تأويلا من تأويلكم بالرد (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودى فلم يرض المنافق بقضائه وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى لعمر قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر رضى الله تعالى عنه للمنافق أكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر قد فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفى معناه من يحكم بالباطل و يؤثر لاجله سمى بذلك لفرط طغيانه أو لتشبهه بالشيطان أو لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال (وقد أمروا أن يكفروا به و يريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) وقرئ أن يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله تعالى أولياؤهم

فاشير الى الاجماع بقوله وأولى الامر فاما القياس فذلك قوله تعالى فان تنازعتم فى شئ الخ والجواب انه لا بد للاجماع من مستند هو النص أو القياس فهو راجع الى واحد منهما اذ اجتماعهم على شئ من غير مستند غير معقول كما صرح به (قوله و يؤثر لأجله) أى يختار على غيره لأجل الحكم بالباطل (قوله سمى بذلك لفرط طغيانه) ذكر وجوها ثلاثة فى تسمية كعب بالطاغوت اذ كان المراد بالطاغوت ههنا كعبا وتوضيحه ان تسميته به اما لشدة طغيانه فيكون من باب اطلاق العام وارادة الخاص واما لتشبهه بالشيطان الذى اسمه الطاغوت وعلى هذا فيكون الطاغوت استعارة ووجه تشبهه فرط الطغيان واما لعلاقته بالشيطان من حيث ان التحاكم اليه متضمن للتحاكم الى الشيطان وعلى هذا يكون الطاغوت مجازا مرسلا وكذا على الاول ثم ان الاولى أن يقال التحاكم اليه التحاكم الى الشيطان حكما من حيث ان حكمه حكمه (قوله كما قال وقد أمروا ان يكفروا به) الظاهر ان قوله تعالى وقد أمروا الآية دال على ان المراد من الطاغوت كعب اذ لو كان المراد منه الشيطان لكان الظاهر الاضمار فى قوله تعالى و يريد من غير تصريح بذكر الشيطان

الاجتهاد فما معنى الرد الى الله ورسوله عند التنازع المذكور قلنا يمكن أن يقال صورة التنازع أن يقول المجتهد بعد الاجتهاد ان الحكم فى المسئلة ما أدى اليه اجتهادى وهو وجوب حكم معين مثلا والآخرون لم يسلموا حكمه لانهم لم يجتهدوا بعد فحينئذ يجب عليهم الاجتهاد ان أرادوا تحقيق المسئلة (قوله فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة الخ) يرد عليه ان مناهقسما آخر وهو المثبت بالاجماع ولذا قال فى التفسير الكبير هذه الآية مشتملة على أصول الفقه لأن أصول الشريعة الكتاب والسنة وأشير اليهما بقوله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول والاجماع والقياس

(قوله حذف لام الفعل اعتباطا) بلا علة أي تخفيفا انما قال حذف اعتباطا اذ لا يصح أن تقلب الياء لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذف ثم تقلب فتحة اللام الى الضمة لأن الفتحة دليل على ان ههنا كان ألف فلا تغير بخلاف ما اذا حذفت الياء اعتباطا لأن الفتحة على هذا التقدير ليس دليلا على شئ فلذا حذفت وغيرت (قوله هو مصدر أو اسم للمصدر) ظاهر عبارة الصحاح انه مصدر ولم يتعرض الى الاحتمال الآخر قال صد عنه يصد صودا (قوله و يصدون في موضع الحال) هذا اذا كان رأيت بمعنى أبصرت وهذا هو الظاهر واما اذا كان بمعنى علمت يكون مفعولا ثانيا (قوله أو خاليا بهم) فالمعنى قل لهم حال كونك في مجرد أنفسهم لا بخلط معهم غيرهم (قوله لأن معمول الصفة لا يتقدم الموصوف) فقوله في أنفسهم لا يتعلق ببليغا والا لزم تقدم معمول الصفة التي هي بليغا على الموصوف هذا ما ذكر لكن الاصح عند جميع الكوفيين و بعض البصريين انه يجوز تقديم معمول الصفة على الموصوف اذا كان المعمول ظرفا (قوله وكأنه احتج بذلك الخ) فان قيل اللازم من عدم طاعة الرسول عدم طاعة الله وهو يستلزم

الكفر ولكن ليس كل كافر مستوجب القتل فان الذمي كافر وليس بمستوجب له قلنا المراد انه يستوجبه ان لم يحصل له الامان وهذا التخصيص علم من نصوص أخر (قوله كأن من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته) فان قيل يجوز ان يسلم أحد رسالة الرسول ولكن لم يطعه ولم يرض بحكمه قلنا الايمان هو التسليم والرضا لا مجرد تصديق الرسالة والا لزم ان يكون اليهود العارفون بكونه رسول الله من المؤمنين قلنا لم يرض بحكمه كان كارها لرسالته وكان كافرا وقد أوضحنا ذلك فيما علقناه على تفسير أوائل البقرة لكن بقي ههنا شئ وهو ان الآية الآتية وهي قوله تعالى فلا ورب لك لا يؤمنون الآية نزلت في الزبير وخاطب بن أبي بلتعة حين تخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم للزبير فقال خاطب لأن كان ابن عمتك فهذا يدل على عدم رضا خاطب بحكمه صلى الله عليه وسلم مع انه من الصحابة فكيف لم يحكم بكفره بل حكموا بان كلامه اساءة أدب ويمكن ان يقال المراد من قوله ولم يرض بحكمه الرضا القلبي ولم يلزم من قول خاطب عدم الرضا القلبي اذ قد يعلم شخص كون حكم حقا و يرضى به باطنا لكن حمله الغضب والجدل على التكلم بغير الحق (قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك الخ) لك ان تقول بلغ ان يستغفروا الله في قبول توبتهم فما الحاجة الى المجيء الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى استغفاره لهم والجواب ان يقال والله أعلم ان لمجيء اليه واستغفاره لهم يدل على متابعته واطاعته أو يقال انهما يوجبان تزكيته وقبول التوبة والرحمة العظيمة (قوله واذ يتعلق به) فالتقدير ولو أنهم جاؤك اذ ظلموا أنفسهم

الطاغوت يخرجونهم (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول) وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) هو مصدر أو اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه و بين السد أنه غير محسوس والسد محسوس و يصدون في موضع الحال (فكيف) يكون حالهم (اذا أصابتهم مصيبة) كقتل عمر المنافق أو القتمة من الله تعالى (بما قدمت أيديهم) من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك (ثم جاؤك) حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض (يحلفون بالله) حال (ان أردنا الا احسانا وتوفيقا) ما أردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء أصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما أردنا بالتحاكم الى عمر الا أن يحسن الى صاحبنا و يوفق بينه و بين خصمه (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب (فأعرض عنهم) أي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم أو عن قبول معذرتهم (وعظهم) بلسانك وكفهم عما هم عليه (وقل لهم في أنفسهم) أي في معنى أنفسهم أو خاليا بهم فان النصح في السر أنجح (قولا بليغا) يبلغ منهم و يؤثر فيهم أمر بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء عليهم السلام وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في أنفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم على الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) بسبب اذنه في طاعته وأمره للمبعوث اليهم بان يطيعوه وكأنه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان أظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) بالنفاق والتحاكم الى الطاغوت (جاؤك) تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به (فاستغفروا الله)

(قوله وانما عدل عن الخطاب) أى الظاهر ان يقال فاستغفرت لهم كما خوطب بقوله جاؤك (قوله أو حالا من الضمير فيه) ههنا احتمال آخر وهو ان يكون رحيما حال من الله فيكونا حالين متوافقين كما انهما على الاول حالان متداخلتان لكنه رجح التداخل ليستفاد من العبارة حصولهما معا (قوله لانها تزاد أيضا فى الاثبات) يعنى انه قد تزاد لا فى الاثبات فى القسم نحو لا أقسم فتكون ههنا لتأكيد القسم لا غير اذ كونها لتأكيد القسم أمر محقق موجب جلها على تأكيده لها فى صورة النفى لان كونها له أى لتأكيد القسم أمر محقق وكونها لنفى القسم أمر محتمل اذ يحتمل فى هذه الصورة ان تكون لتأكيد القسم وان تكون لنفى القسم فوجب حمل المحتمل على المحقق الذى هو تأكيد القسم اذ الاصل عدم ثبوت المحتمل فلا يثبت من غير سبب (قوله تعالى ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت الآية) دال على ان الايمان لا يحصل بدون الرضا القلبى فان قلت ماذا كيف يدل على الرضا بما كلف به بل هو أصل التكاليف لكن الرضا القلبى ليس أمرا اختياريا بل أمر طبيعى فلا يتوجه توقف الايمان عليه اذ قد لا يقدر الشخص على تحصيل الرضا القلبى قلنا المراد من الرضا ما يحصل باسبابه الحاصلة بالاختيار وان كانت مكروهة بالطبع كمن شرب دواء كريها يعلم ان شفاءه فيه فهو راض بارادته ان يشربه وان كان طبيعته كارهة (قوله وان (٩٧) مصدرية أو مفسرة) فى مصر البحث فى كون

بالتوبة والاخلاص (واستغفر لهم الرسول) واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشأنه وتنبيها على ان من حق الرسول أن يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه و يشفع له ومن منصبه أن يشفع فى كبائر الذنوب (لوجدوا الله توابا رحيما) لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا و رحيما بدلا منه أو حالا من الضمير فيه (فلا ورب ك) أى فورب ك ولا مزيدة لتأكيد القسم لا لتظاهر لا فى قوله (لا يؤمنون) لانها تزاد أيضا فى الاثبات كقوله تعالى لا أقسم بهذا البلد (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه (ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت) ضيقا مما حكمت به أو من حكمك أو شكا من أجله فان الشاك فى ضيق من أمره (و يسلموا تسليما) و ينقادوا لك انقيادا بظاهرهم و باطنهم (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) تعرضوا بها للقتل فى الجهاد أو اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية أو مفسرة لان كتبنا فى معنى أمرنا (أو اخرجوا من دياركم) خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ أبو عمرو و يعقوب أن اقتلوا بكسر النون على أصل التحريك أو اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع فى نحو قوله تعالى ولا تنسوا الفضل وقرأ حمزة وعاصم بكسرهما على الأصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل (ما فعلوه الا قليل منهم) الناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور أكثرهم و وهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا أو لاحد مصدرى الفعلين

مثل ان هذه مفسرة لانه لا يمكن ان يجعل مكانه أى ومر الجواب أيضا (قوله لان كتبنا فى معنى أمرنا) لو كان كذلك لكان التركيب هكذا ولو أنا أمرنا عليهم لكن أمر لا يتعدى بعلى فتأمل ولعل اقتصار صاحب الكشاف على كونها مصدرية لاجل ماذكرنا والاولى ان يقال ان كتبنا بمعنى أوحينا الذى فى حكم القول (قوله انقيادا بظاهرهم و باطنهم) هذا يناسب ان يكون المراد بالايمان الايمان الكامل

لان أصل الايمان المقابل للكفر لا يستلزم الانقياد

الظاهرى بل هو أمر باطنى قلبى (قوله خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل) أى أو اخرجوا من دياركم خروجا مثل خروجهم أى مثل خروج بنى اسرائيل (قوله اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل) لك ان تقول لم قال فى قراءة أبى عمرو و يعقوب ان ضم الواو للاتباع وقال ههنا ضم لواو باجرائهما مجرى الهمزة ولم يقل للاتباع كما قال فى الاول و يمكن ان يقال الاتباع معلوم مما سبق فأراد ههنا ايراد علة أخرى للضم (قوله لما بين ان ايمانهم لم يتم الخ) لم يتعرض لمرجع الضمائر المذكورة فى قوله فلا ورب ك لا يؤمنون الى آخر الآيات و يمكن ان يقال انها راجعة الى مجموع من فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين وحينئذ يظهر معانى الآيات فكان معنى ما فعلوه الا قليل منهم ما فعلوه الا المؤمنون حقا لا المؤمنون مطلقا لكن يلزم منه ان يكون المؤمنون حقا قليلا بالنسبة الى المنافقين والمفهوم من الكشاف ان ضمير عليهم راجع الى المؤمنين الذين قالوا انه لو أمرنى محمد ان أقتل نفسى لقتلتها والقائل ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر ولذا قال العلامة التفتازانى ضمير عليهم ليس لهؤلاء القائلين خاصة بل للمؤمنين جميعا وفيه توبيخ عظيم حيث جعلهم أقل انقيادا من بنى اسرائيل

(قوله لانه أشد لتحصيل العلم ونفي الشك) يفهم منه انه لولم يفعلوا ما يوعظون به يحصل العلم ونفي الشك لكن حصولهما عند فعله أشد وهذا لان الاعتقاد يقوى بسبب الاعمال ولذا صرح المحققون من العلماء الكبار منهم الامام حجة الاسلام رحمه الله بان الغرض من الأمر بالعبادات البدنية تقوية صفات القلب وتاكيدها (قوله في شراج من الحرة) الشراج بكسر الشين وبالجيم جمع شرج بسكون الراء وهو مسيل الماء والحرة أرض ذات حجارة سود والجدر بسكون الدال الهملة الجدار الصغيرة والمراد ما يحيط بالزرعة وقوله لان كان ابن عمتك أي هذا الحكم ولقضاء لانه كان ابن عمتك فان أم الزبير صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم أمر الزبير أولا بالمسامحة فلما أغضبه خصم الزبير استوفى للزبير حقه واعلم ان ما قاله المصنف من ان القصة جرت بين الزبير وحاطب هو الذي في الكشاف لكن قال العلامة التفتازاني ان في الصحيحين ان القصة جرت بين الزبير وبعض الانصار وحاطب لم يكن من الانصار (قوله لان اذا جواب وجزاء) اذا كان كذلك يجب ان لا يتقدم على الشرط الذي هو لو ثبتوا لأن الكلمة الشرط التصدير ولذا قال في تفسير قوله تعالى فاذن لا يؤتون لو كان لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون ثم انه يفهم من اذن معنى الشرط

لأن اذن في جواب قول القائل ماذا يكون لهم بعد التثبيت فلا حاجة الى تقدير لو تثبتوا بعد اذن كما قاله العلامة التفتازاني واعلم ان الرضي قال الذي يلوح لي في اذن ويغلب في ظني ان أصله اذ حذفت الجملة المضافة اليها وعوض منها التنوين ولم يكن قبل اذ ظرف في صورة المضاف اليه فكسره نادر والوجه فتحه ليكون في صورة ظرف منصوب لأن معناه الظرف انتهى فيكون اذن ههنا ظرفا وكان الأصل اذ ثبتوا حذفت الجملة وعوض منها التنوين واللام جواب قسم مقدر والتقدير اذن والله لآتيناهم (قوله مرافقة أكرم الخلائق وأعظمهم قدرا الخ) وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون (قوله بيان للذين حال منه أو من ضميره) ويكون المعنى النبيين والصديقين ثم ان المفهوم من كلامه انه مع كونه بيانا للذين يجوز أن يكون حالا من ضميره باعتبار ان ضميره عبارة عنه فيلزم منه أيضا بيان الذين فان قلت الحال لا يكون الا عن فاعل أو مفعول به والذين في هذا التركيب مضاف اليه ليس بفاعل ولا مفعول قلت يجعله حالا بتأويل وهو ان يجعل مع بمعنى المقارن (قوله وحث كافة الناس على ان لا يتأخروا عنهم) أي عن المجموع بيان تأخر عن كل الاصناف الاربعة وان وجب تأخر غير الانبياء عنهم ثم ان المراد من المعية المذكورة رؤية المطيعين الانبياء والصديقين وغيرهما في بعض الاوقات أو في كلها وان كان مع البعد في الدرجة كما قال العلامة التفتازاني ليس المراد من كون المطيعين مع المذكورين في الآية ان كلهم في درجة واحدة فان ذلك يقتضي التسوية بين الفاضل والمفضول وانه محال لكن المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخرون بعد المكان لأن الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا (قوله المتجاوزون حد الكمال) فيه ان أهل التكميل لا يتجاوزون حد الكمال والاولى أن يقال البالغون حد الكمال والتكميل ثم ان قوله وهم

وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء أو على الافعال قليلا (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومطاوعته طوعا ورغبة (لكان خيرا لهم) في عاجلهم وآجلهم (وأشد تثبيتا) في دينهم لانه أشد لتحصيل العلم ونفي الشك أو تثبيتا لثواب أعمالهم ونصبه على التمييز والآية أيضا نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن أبي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه الصلاة والسلام اسق يا زبير ثم أرسل الماء الى جارك فقال حاطب لأن كان ابن عمتك فقال عليه الصلاة والسلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم أرسله الى جارك (واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء (ولهديناهم صراطا مستقيما) يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم أبواب الغيب قال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم) مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة أكرم الخلائق وأعظمهم قدرا (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) بيان للذين أو حال منه أو من ضميره فسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات الى أوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء وأخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم

الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل الى آخره شامل للصديقين لكن المناسب ذكر صفة تميز الانبياء عن غيرهم فالوجه أن يقال المراد به الفائزون بالعلم والعمل لا بارشاد واحد من أبناء النوع بخلاف الصديقين وغيرهم فان فوزهم بما ذكر بسبب هداية الأنبياء ولذا قال صاحب الكشاف هم أفاضل صحابة الأنبياء الذين تقدموا في تصديقهم كأبي بكر رضي الله عنه وصدقوا في أفعالهم وأقوالهم قال العلامة البيضاوي الصديق مبالغة في الصادق وهو من غلب على أقواله الصدق قال وذكر أكثر المفسرين ان الصديق من صدق بكل الدين لا يخالجه شك كقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون لكن لم يذكر المصنف في تفسيره الصديق ما يناسب المعنى اللغوي ووجه تسميته به (قوله اما أن يكون عرفانهم بالبراهين الخ) لا يخفى أن الادراك الحاصل بالامارة والاقناع هو الظن ولا يسمى عرفانا الا أن يقال العرفان لما يحصل من امارة واحدة لكنه قد يحصل من الامارات ولذا قال المصنف واما أن يكون بامارات واقناعات بلفظ الجمع أو يراد بالعرفان الاعتقاد أعم من اليقين والظن الصادق ثم ان عبارته لم تشمل الصديق الذي كان مدار أمره على مجرد التصفية من غير النظر والاستدلال (قوله فيه معنى التعجب) (٩٩) أي كانه قيل وما أحسن أولئك رفيقا

أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته ولك أن تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما أن يكونوا بالغين درجة العيان أو واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والأولون اما أن ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشئ قريبا وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أولا فيكونون كمن يرى الشئ بعيدا وهم الصديقون والآخرون اما أن يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون في العلم الذين هم شهداء الله في أرضه واما أن يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون (وحسن أولئك رفيقا) في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز أو الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق أو لانه أريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روى أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال مالي من وجع غير اني اذا لم أرك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة خفت أن لا أراك هناك لانى عرفت انك ترفع مع النبيين وان أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا فنزلت (ذلك) مبتدأ اشارة الى ما للمطيعين من الأجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم أو الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم (الفضل) صفته (من الله) خبره أو الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة (وكفى بالله عليما) بجزاء من أطاعه أو بمقادير الفضل واستحقاق أهله (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالائر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح (فانفروا) فاخرجوا الى الجهاد (ثبات) جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان بثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع أيضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه (أو انفروا جميعا) مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات

وان لم يكن المراد معنى التعجب حقيقة بل المراد المبالغة في المدح (قوله لانه يقال للواحد والجمع كالصديق) هكذا في الكشاف وقال العلامة التفتازاني يعني انه ليس وصفا محضا يجب جعله بجمع الموصوف بل من الاوصاف الجارية مجرى الاسماء المستوى فيها الواحد والجمع فيجوز أن يكون في المعنى جمعا حالا من أولئك أو تمييزا منه مطابقا له ويجوز أن يكون مفردا قصد به بيان الجنس من غير النظر الى تعداد الأنواع فيكون

تمييزا من أولئك باعتبار الجنس ولا تجب المطابقة لكونه ملحقا بالاسماء (قوله أو الفضل خبره ومن الله حال) فيه وجهان آخران أحدهما أن يكون من الله خبر بعد خبر هو الفضل والثاني أن يكون من الله صفة الفضل بتقدير المتعلق معرفا أي الفضل الكائن من الله (قوله واستحقاق أهله) فيه ان مذهب أهل الحق ان العبد ليس بمستحق للثواب بل الثواب مجرد الفضل الا أن يقال الاستحقاق بحسب الوعد (قوله فالحذر والحذر كالائر والاثر) يعني الحذر بكسر الحاء وبسكون المعجمة هو بمعنى الحذر بفتح المهملة والمعجمة (قوله وقيل ما يحذر به) فان كان ذلك معناه الحقيقي اللغوي فيكون حقيقة والا فيكون مجازا مرسلا باستعمال الشئ وارادة آلته به (قوله ويجمع على ثبين جبرا الخ) فان أصل ثبة ثبي حذف منه الياء ثم جمع على ثبين بزيادة الياء والنون جبرا للام الفعل المحذوفة فهما ليسا لمحض الجمعية (قوله لكن يقتضي اطلاق لفظها الخ) فيه ان ظاهر لفظ الاية يقتضي الاختصاص بالحرب لقوله تعالى خذوا حذركم فان الحذر على ما فسره مختص به فليس في لفظها اطلاق بل تخصيص بالحرب والاولى أن يقال لما ثبتت المبادرة الى الحرب فهمت المبادرة الى الخيرات كلها لان المبادرة الى الحرب بسبب انه خير ومشتمل على المنفعة الدينية وهو أمر مشترك بين جميع الخيرات

(قوله من بطأ) اى منقولا من بطؤ بضم الطاء (قوله تنبيها على فرط تحسرهم) فيه انه دال على صدور القول منهم البتة فان لام التأكيد تفيد تأكيد ما دخلت عليه وأما على فرط تحسرهم فلا يظهر و يمكن أن يقال ان المراد انهم يقولون ذلك البتة فى كل وقت من أوقات اصابة الفضل من الله تعالى وهو يدل على ذلك (قوله فان هذا قول من لا موالاة بينكم و بينه) فان قلت فعلى هذا لا يناسب لفظ كأن بل المناسب أن يقال ليقولن من لم يكن الخ قلنا المراد من قوله تعالى كان لم يكن انه كأن لم تكن المودة مطلقا لا فى الظاهر ولا فى الباطن فان المنافقين يوادون المؤمنين فى الظاهر فنبه القرآن على ان كلامهم كلام من لا مودة ظاهرة و باطنة بينكم و بينه (قوله أو حال من الضمير فى ليقولن) عطف على قوله اعتراض أى قوله تعالى كان لم يكن اعتراض أو حال من ضمير ليقولن أى مظنون فى شأنهم عدم المودة (قوله وقيل انه متصل بالجملة الاولى) أى الجملة الشرطية المتقدمة وهى قوله تعالى فان أصابتكم مصيبة الآية فكانه قيل اذا لم أكن معهم شهيدا كان لم يكن بينكم و بينه مودة بالمعنى ظاهر لأن القول المذكور وهو فان أصابتكم الآية قول نشأ من عدم المودة (قوله وقيل يا أطلق للتنبيه على الاتساع) أى ذكرهنا لمجرد التنبيه وهذا موافق لما فى الصحاح وجوز أبو على ادخال حرف النداء على الفعل والحرف من غير اضمار المنادى للتنبيه لا للنداء على سبيل الاتساع فان حرف النداء يتضمن التنبيه فجرد عن معنى النداء وأطلق (قوله تنبيها على ان الجهاد الخ) فانه تعالى حصر حاله فى القتل والغلبة (قوله وأن لا يكون قصده بالذات الى القتل الخ) هذا لا يفهم مما ذكر وانما المفهوم منه أن المقصود القتل والغلبة والاولى أن يقال انه يفهم من قوله تعالى فى سبيل الله فان المقاتلة فى سبيل الله هى أن يكون لاعلاء الدين كما نص عليه فى صحيح البخارى من رواية قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن فى سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة الله العليا فهو فى سبيل الله (قوله وتخليص ضعفة المسلمين الخ)

كلها كيفما أمكن قبل الفوات (وان منكم لمن ليبطئن) الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطؤن منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى أبطأ وهو لازم أو ثبطوا غيرهم كثبط ابن أبى ناس يوم أحد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم جوابه صلة من والراجع اليه ما استكن فى ليبطئن والتقدير وان منكم لمن أقسم بالله ليبطئن (فان أصابتكم مصيبة) كقتل وهزيمة (قال) أى المبطئ (قد أنعم الله علىّ اذ لم أكن معهم شهيدا) حاضرا فيصيبنى ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل من الله) كفتح وغنيمة (ليقولن) أكده تنبيها على فرط تحسره وقرئ بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من (كأن لم يكن بينكم و بينه مودة) اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو (ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما) للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا موالاة بينكم و بينه وانما يريد أن يكون معكم لمجرد المال أو حال من الضمير فى ليقولن أو داخل فى المقول أى يقول المبطئ لمن يبطئه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم و بين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستعن بكم فتفوز وإيانا فازيا ليتنى كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم و رويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى فى ليتنى محذوف أى يا قوم وقيل يا أطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمنى وقرئ بالرفع على تقدير فانا أفوز فى ذلك الوقت أو العطف على كنت (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) أى الذين يبيعونها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم فى طلب الآخرة أو الذين يشترونها و يختارونها على الآخرة وهم المبطؤن والمعنى حثهم على ترك ما حكى عنهم (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) وعده الاجر العظيم غلب أو غلب ترغيبا فى القتال وتكذيبا لقولهم قد أنعم الله علىّ اذ لم أكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل أو يغلب تنبيها على أن المجاهد ينبغى أن يثبت فى المعركة حتى يعرض نفسه بالشهادة أو الدين بالظفر والغلبة وأن لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين (ومالكم) مبتدأ وخبر (لا تقاتلون فى سبيل الله) حال والعامل فيها ما فى الظرف من معنى الفعل (والمستضعفين) عطف على اسم الله تعالى أى وفى سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم عن العدو أو على سبيل بحذف المضاف أى وفى خلاص المستضعفين و يجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله تعالى يعم أبواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من أيدى الكفار

فيه ان أعظم أبواب الخير اعلاء الدين والجواب بان التخليص المذكور من اعلاء الدين والاولى أن يقال من أعظمها وأخصها (قوله فاستجاب الله دعاءهم الخ) فيه ان استجابة دعائهم حصول الامرين جميعا وهما الخروج وجعل الناصر ولولى لكل منهم لكن ما وقع ليس كذلك بل أحدهما للبعض والآخر للآخر والجواب من وجوه الاول أنه يمكن أن تكون الواو فى واجعل بمعنى أو أثبته بعضهم منهم الزمخشرى والمقصود من الدعاء طلب أحد الامرين لكل منهم وقد حصل الثانى أن يكون المراد من الاخراج من القرية التخلص من أيدى أهلها وقد حصل الامران لكل منهم والله تعالى خلصهم منهم كما جعل لكل منهم وليا ونصيرا الثالث أن يكون المراد من استجابة دعائهم استجابة جعل الولى والنصير لهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة فصار النبى صلى الله عليه وسلم وليا وناصرا لهم وبقى بعضهم فى مكة حتى جاء نصر الله والفتح فسار النبى صلى الله عليه وسلم واستعمل عليهم عتابا

أعظمها وأخصها (من الرجال والنساء والولدان) بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين أو ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة فى الحث وتنبيها على تناهى ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم الصبيان وأن دعوتهم أجيبت بسبب مشاركتهم فى الدعاء حتى يشاركوفى استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقى منهم خير ولى وناصر بفتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا أعز أهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما سند اليه فان اسم الفاعل أو المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله) فيما يصلون به الى الله سبحانه وتعالى (والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) فيما يبلغ بهم الى الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) لما ذكر مقصد الفريقين أمر أولياءه أن يقاتلوا أولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) أى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله سبحانه وتعالى للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا أولياءه فان اعتمادهم على أضعف شئ رأوهنه (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) أى عن القتال (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واشتغلوا بما أمرتم به (فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) يخشون الكفار أن يقتلوهم كما يخشون الله أن ينزل بهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ منهم صفته ويخشون خبره وكخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر أو الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل أهل خشية الله منه (أو أشد خشية) عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان أفعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تعالى أى وكخشية الله تعالى أو كخشية أشد خشية منه على الفرض اللهم الا أن نجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله تعالى أو خشية أشد خشية من

وايتاء الزكاة بل كلفوا بغيرهما وتخصيصهما من بين سائر التكاليف لزيادة الاهتمام واعلم أن المصنف ترك شيأ ذكره صاحب الكشاف ينبغى أن يذكر وهو أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال كف فريق منهم لا شكا فى الدين لكن نفروا عن الاخطار بالارواح وانما قلنا انه ينبغى أن يذكر لانه أشد فى التوبيخ والتقريع (قوله وقع موقع المصدر) والمعنى تخشون الناس خشية مثل خشية الله (قوله ان جعلته حالا) فيكون المعنى يخشون الناس حال كونهم أشد خشية من أهل خشية الله (قوله لان أفعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه) فان معنى أشد خشية شخص يكون خشيته أقوى وظاهر أن الشخص المذكور موصوف بالخشية وليس من جنسها (قوله وكخشية الله) الى قوله خشية منه على الفرض معناه أو كخشية من كانت خشيتهم منه أشد من خشية الله وانما قال على سبيل الفرض لانهم لم يخشوا من الناس خشية كخشية أشد خشية منه أى من الله تعالى اذ ليس أحد يكون خشيتهم منه أشد من خشيتهم من الله (قوله اللهم الى آخره)

(قوله حتى يشاركوا) أى صار دعاؤهم مستجابا فى الصورة المذكورة بسبب دعاء الولدان حتى يكون تنبيها على أنه يجب مشاركة الصبيان فى استنزال الرحمة واستدفاع البلية فى جميع الصور (قوله تعالى من لدنك وليا) أى وليا كائنا من لدنك أو من محض رحمتك وعنايتك (قوله عتاب بن أسيد) بفتح الهمزة وكسر السين (قوله لا يؤبه به) بصيغة المجهول أى لا يبالى بشأنه ولا يعتمد عليه (قوله من اضافة المصدر الى المفعول به) فالمعنى يخشون الناس كخشيتهم الله (قوله واشتغلوا بما أمرتم) أى ليس المقصود أن تكليفهم منحصر فى اقامة الصلاة

يعني يمكن أن يكون من جزمه بالاعتبار المذكور بان يجعل الخشية متصفة بالخشية (قوله قرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله الخ) الغرض ان الفاء مقدر ههنا كما في الشعر فان المبتدأ فيه مقدر وماذكره المصنف مخالف لما قاله الرضي من أن حذف الفاء مختص بالضرورة (قوله أو على انه كلام مبتدأ الخ) أي رفع يدرككم على انه كلام مبتدأ لا جواب للشرطية وعلى هذا فانما متصل بما يظاهون أيتما تكونوا ثم استؤنف فقيل يدرككم الموت (قوله وقرئ مشيدة) بصيغة المفعول (قوله اعلموا أن الباسط والقابض هو الله) توضيحه انهم لو تفكروا في حدوث حادث علموا انتهاءه الى الباري لاستحالة الدور والتسلسل فعلموا أن لكل حادث فاعلا هو الله تعالى ولا يخفى أن القبض والبسط أمران حادثان فيكونان أيضا من الله تعالى وههنا

كلام فتأمل (قوله لانها السبب فيها) أي بسبب فعل قبيح صدر منها كما لا يخفى ولك أن تقول ان أراد بالسبب السبب الحقيقي الذي له دخل في وجود الشيء وهو الموقوف عليه فليس كذلك اذ ليس لفعل من أفعال الشخص دخل في وجود ما عرض له بالمعنى المذكور سواء كان المسبب حسنة أو سيئة بل الفاعل المستقل هو الله تعالى كما هو مذهب أهل الحق وان أراد بالسبب ما يوجد الشيء عنده بارادته تعالى فالحسنة أيضا كذلك اذ توجد الحسنة عند صدور فعل حسن من العبد والجواب أن المراد ما صدر من النفس من القبيح سبب للسيئة والبلية بمعنى انها لولم توجد لم تحصل السيئة فان عادة الله تعالى جرت على أن البلية لم تنزل الا بعد المعصية لكن لا يصح أن يقال ان وجود الحسنة لم تكن الا بعد صدور الفعل الحسن من النفس ولو لم يكن الاول لم يكن الثاني فان كثيرا من الحسنات حاصلة من غير صدور فعل حسن من النفس (قوله لاستحلابها بالمعاصي) فان قيل اذا كان المخاطب بما ذكر وهو الانسان مطلقا كان النبي صلى الله عليه وسلم داخلا فيه لكن العلة المذكورة لا تناسب قلنا الظاهر أن المخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم اذ الخطاب لمن لم يعلم الحكم المذكور وهو عالم به وان دخل في الخطاب نقول المعاصي شاملة لما هو ترك الاولى قليلا وجوز واله صلى الله عليه وسلم صدور ما هو ترك الاولى قليلا كما وقع في قصة أسارى بدر (قوله لاحجة فيهما للماتريدية والمعتزلة) يعني لا يتوهم من قوله تعالى قل كل من عند الله أنه حجة لنا في أن خالق أفعال العباد هو الله تعالى لان المراد من الكل المذكور في الآية النعمة والبلية وهما ليسا من أفعال العباد فلا يلزم من كونهما

خشية الله (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل أنهم ما نفوه وهو به ولكن قالوه في أنفسهم فحكى الله تعالى عنهم (قل متاع الدنيا قليل) سريع انتقضي (والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) أي ولا تنقصون أدنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه أو من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة (أينما تكونوا يدرككم الموت) قرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله

* من يفعل الحسنات الله يشكرها * أو على أنه كلام مبتدأ وأينما متصل بلا تظلمون (ولو كنتم في بروج مشيدة) في قصور أو حصون مرتفعة والبروج في الأصل بيوت على أطراف القصور ومن تبرجت المرأة اذا اظهرت وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفها لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عندك) كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية أي وان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله سبحانه وتعالى وان تصبهم بلية كقحط أضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها (قل كل من عند الله) أي بسط وقبض حسب ارادته (فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) يعتقدون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا أن الكل من عند الله سبحانه وتعالى أو حديثا ما كبهائم لا افهام لها أو حادثا من صروف الزمان فيفتكرون فيه فيعلمون أن القابض والباسط هو الله سبحانه وتعالى (ما أصابك) يا انسان (من حسنة) من نعمة (فمن الله) أي تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ما يدخل أحد الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا أنت قال ولا أنا (وما أصابك من سيئة) من بلية (فمن نفسك) لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله سبحانه وتعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير أن الحسنة احسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله أكثر والآيتان كالمتكررة لاجئة فيهما للماتريدية والمعتزلة (وأرسلناك للناس رسولا) حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل

مخلوقين لله تعالى كون أفعال العباد مخلوقة له أيضا ولا يتوهم من قوله تعالى وما أصابك من سيئة فمن نفسك ان أفعال العباد مخلوقة لهم الاتجهين المراد منه كما ذكر بعد (قوله والتعميم ان علق بها) أى بالحال لك أن تقول التعميم مستفاد من أرسلناك للناس اذا كان للناس متعلقا بالفعل فما فائدة تعليقه برسولا مع انه يلزم منه خلاف الوضع الطبع ويتوهم من تقديم الجار والمجرور انه رسول للناس لاغيرهم مع انه رسول الثقلين الأنس يقال الناس أعم من الانس والجن كما قالوا فى تفسير سورة النساء أو يقال انه قصر بالنظر الى من ادعى انه رسول الى بعض الناس لا الى جميعهم يمكن أن يقال اذا كان الظرف متعلقا برسولا فهم صريحا كونه رسولا للناس جميعا بخلاف ما اذا كان متعلقا بالفعل فانه يفهم ضمنا الخ (قوله ولا خارجا من فى زور كلام) هذا استثناء فان خارجا هنا لمنصوب على المصدر مع انه مشتق لأن اسم لاهو زور ابس بتصف خارجا بانه خبر لا لانه اذا تقدم خبرا لا على اسمها يبطل عملها فى الخبر فوجب تقدير خبر أى لا زور كلام يخرج خارجا من فى أى خروجا فيكون مصدر (قوله فتزلت) أى انه صلى الله عليه وسلم منزه عن ان يكون مراده ماذكروه بل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم مبلغ ما أمر بتبليغه فتكون طاعته طاعة الآمر (قوله من تناقض المعنى الخ) قال العلامة النيسابورى اختلف المفسرون فى المراد من سلامته من الاختلاف فقال أبو بكر الاصم معناه ان المنافقين كانوا يتواطؤن على أنواع كثيرة من المكايد والرسول صلى الله عليه وسلم يخبرهم عنها فقيل لهم ان ذلك لو لم يكن باخبار الله تعالى لم يطرد صدقه ويظهر أنواع الاختلاف وقال أكثر المتكلمين انجاء معانيه وتلاؤم مقاصده مع انه مشتمل على علوم كثيرة وفنون غزيرة ولو كان من عند غير الله لم يخل من تناقض واضطراب وقال أبو مسلم المراد نظمه

والتعميم ان علق بها أى رسولا للناس جميعا كقوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله * ولا خارجا من فى زور كلام * (وكفى بالله شهيدا) على رسالتك بنصب المعجزات (من يطع الرسول فقد أطاع الله) لانه عليه الصلاة والسلام فى الحقيقة مبلغ والآمر هو الله سبحانه وتعالى روى أنه عليه الصلاة والسلام قال من أحبنى فقد أحب الله ومن أطاعنى فقد أطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا فنزلت (ومن تولى) عن طاعته (فما أرسلناك عليهم حفيظا) تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف (ويقولون) اذا أمرتهم بامر (طاعة) أى أمرنا طاعة أو مناطاعة وأصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات (فاذا برزوا من عندك) خرجوا (بيت طائفة منهم غير الذى تقول) أى زورت خلاف ما قلت لها أو ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت امامن البيتوتة لأن الامور تدبر بالليل أو من بيت الشعر أو البيت المبنى لانه يسوى ويدبر وقرأ أبو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما فى المخرج (والله يكتب مايبيتون) يثبته فى صحائفهم للمجازاة أو فى جملة ما يوحى اليك لتطلع على أسرارهم (فاعرض عنهم) فلا تبال بهم أو تجاف عنهم (وتوكل على الله) فى الامور كلها سيما فى شأنهم (وكفى بالله وكيلا) يكفيك مضرتهم ويتنقم لك منهم (أفلا يتدبرون القرآن) يتأملون فى معانيه ويتبصرون ما فيه وأصل التدبر النظر فى ادبار الشئ (ولو كان من عند غير الله) أى ولو كان من كلام البشر كما تزعم الكفار (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية وكون كله بل جزء منه بالغا حد الاعجاز ومن المعلوم ان الانسان اذا كان فى غاية البلاغة اذا كتب كتابا مشتملا على المعانى الكثيرة فلا يدان يظهر التفاوت فى كلامه بحيث يكون بعضه قويا وبعضه سخيفا انتهى كلامه فقد حمل المصنف الاختلاف على جميع ما ذكره المفسرون وكلامه ظاهر الا ما ذكره من التناقض واعلم ان صاحب الكشاف قد حمل الاختلاف على بلوغ بعضه حد الاعجاز وقصور بعضه عنه ولا يخفى انه مستكل اذ يلزم منه جواز ظهور المعجزة على يد الكاذب بل ربما يقدح فى اعجاز القرآن ولا محيص عنه الا أن يحمل على الفرض والتقدير بمعنى انه لو كان لكلام غيره مرتبة الاعجاز فى البعض خاصة أو على ان يكون ذلك القدر مأخوذا من كلام الله تعالى كما فى الاقتباس وغيره هكذا ذكره العلامة التفتازانى وفيه نظر اما أولا فلانا لا نسلم انه يلزم منه جواز ظهور المعجزة على يد الكاذب اذ لا نسلم انه يجوز أن يكون ظهور الخارق المذكور على يد غير النبى صلى الله عليه وسلم مشروطا بعدم الدعوى الكاذبة وعند الدعوى لا يقدره الله تعالى على ذلك ليتميز النبى عن غيره واما ثانيا فلا نا لا نسلم انه يلزم منه القدح فى اعجاز القرآن اذ صدور معجزة واحدة من غير النبى لا يلزمه القدح ولما فى عبارة الكشاف من الاشكال غير المصنف عبارته الى ما قال من كون بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه

يصعب معارضته و بعضه يسهل (قوله ولعل ذكره ههنا الخ) ان أراد بما سبق من الاحكام السابقة المتقدمة على هذا الموضع من القرآن فغير ظاهر اذ لم يمض قريبا احكام متناقضة وان أراد ما سبق من الاحكام المتناقضة قبل نزول الآية فلا يظهر وجه ايراد هذه الآية ههنا فلا بد من بيان مخصص لايراد ها في هذا الموضع والاولى أن يقال ايراد ها ههنا لانه لما ذكر ان طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى أورد هذه الآية دليلا على رسالته حتى تكون طاعته طاعته أي القرآن الذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم معجزة من عند الله وهذا هو الذي ذكره العلامة النيسابوري (قوله لكانت اذاعتهم مفسدة) لك أن تقول ظاهر أن اشاعته الخوف مفسدة وأما اذاعة الامن فكيف تكون مفسدة والجواب أن يقال يمكن كونه مفسدة لانه اذا أخبر بوعد الظفر على قوم فاذيع ذلك الخبر واشتهر سعى هؤلاء القوم واستعدوا للقتال استعدادا بليغا أو يستمدون من غيرهم فيشتبه الامر على المسلمين وهو مفسدة (قوله ولو ردوا ذلك الخبر الخ) أي لو لم يذيعوا بل فوضوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلم المتفكرون منهم أي من الصحابة ما يليق به فمن هذه تكون تبعيضية ان كان المستنبطون بعضهم و بيانية ان كانوا كلهم (قوله على أي وجه يذكره) هو مفعول ثان لعلم أي علم المستنبطون الخبر بفتحتين ان

يذكر بأي وجه وفي أي زمان ومكان بخلاف ضعفة المسلمين الذين لا رأي لهم فانهم لم يعلموا ان الخبر بأي وجه ينبغي ان يذكر بل ذكره قبل وقته فعلى هذا فاعل يذكر ضمير الجماعة لكن لا يخفى ما في عبارته من الابهام والاولى أن يقال في تفسير قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه المراد يفعلون به ما ينبغي و يليق بسبب انهم أهل الاستنباط وجودة القرائح (قوله ولو ردوه الى الرسول الخ) أي لو سكتوا عن الخبر حتى يسمعوه من الرسول وأولى الامر وتعرفوا منهم ان الخبر هل هو مما يذاع أو لا لعلمه الذين يستنبطونه منهم أي الذين يتلقون العلم من الرسول وأولى الامر فعلى هذا المستنبطون هم المدينون والاستنباط تلقيهم العلم من جهة الرسول وأولى الامر من ههنا ابتدائية (قوله بالرسال الرسول وانزال الكتاب) انما خصص الفضل والرحمة بما ذكر اذ لو جعلا على اطلاقهما كان المعنى ولو لم يكن فضل الله ورحمته عليكم لأمن قليل منكم واهتدى فيرد انه اذا لم يكن الفضل مطلقا كيف يهتدي البعض واذا خصصا بما ذكر لم يرد السؤال اذ عدم الفضل والرحمة المخصوصين لا يستلزم عدم الفضل والرحمة مطلقا اذ يجوز أن يكونا بوجه آخر كما ان زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل اهتديا الى الصواب ولك أن تقول لو جعلا على اطلاقهما لم يرد السؤال اذ لا يلزم من عدم الفضل والرحمة على الجميع عدمهما على البعض لكن معنى الآية لو لا الفضل الله ورحمته على الجميع لاهتدى الا القليل فان قيل مفهوم الآية ان عدم الرحمة على الجميع يستلزم اهتداء القليل لكن الظاهر ان الاول لا يستلزم الثاني عقلا اذ يجوز ان يجتمع عدم هداية الجميع وعدم هداية كل بعض قلنا لا بد من ترتب جواب لو على عدم مدخولها بأي وجه كان ولا يجب ان يكون عقليا بل يجب ان يكون بوجه من الوجوه أعم من ان يكون عقلا أو عادة أو غيرهما كان يكون في قضاء الله ان عدم شمول الرحمة لهم مع وجود الرحمة لبعضهم وعلى هذا يستلزم عدم الرحمة على الجميع الرحمة على بعضهم فيستقيم الكلام

ولعل ذكره ههنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف) مما يوجب الامن أو الخوف (أذاعوا به) أفشوه كما كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوحي اليه من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة أذاعوا به لعدم حزمهم فكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة أو لتضمن الاذاعة معنى التحدث (ولو ردوه) أي ولو ردوا ذلك الخبر (الى الرسول والى أولي الأمر منهم) الى رأيه ورأي كبار أصحابه البصراء بالامور أو الأمراء (لعلمه) لعلم ما أخبر وابه على أي وجه يذكر (الذين يستنبطونه منهم) يستخرجون تدابيره بتجاربهم وأنظارهم وقيل كانوا يسمعون أراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود بالاعلى المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا أنه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر أي يستخرجون علمه من جهتهم وأصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر أول ما يحفر (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بارسال الرسول وانزال الكتاب (لاتبعتم الشيطان) بالكفر والضلال (الا قليلا) أي الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمر و بن نفيل و ورقة بن نوفل أو الاتباع قليلا على الندور (فقاتل في سبيل الله) ان تثبطوا تركوك وحدك (لا تكلف الا نفسك) الا فعل نفسك لا يضرك تخاذلهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك أحد فان الله ناصرك

(قوله وقرئ لا تكلف بالجزم) بان يكون لا للنهي كذا في الكشاف ولا يخفى أن النهي ههنا طلب عدم التكليف بالفعل لكن كونه تعالى طالبا لعدم التكليف ليس مما ينبغي بل المناسب أن يخبر تعالى عن عدم التكليف ويمكن أن يقال ان لا هذه للنهي في الاصل لكن استعملت ههنا في غيره فتعمل نظرا الى أصلها وايرادا الكلام في صورة النهي وارادة النفي للمبالغة في عدم التكليف فكأنه مأمور بعدم التكليف (قوله تعالى فقاتل في سبيل الله) قال صاحب الكشاف لما ذكر في الآية السابقة تثبيطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فقال الآية وظاهر كلام المصنف رحمه الله موافقته لكن قصة المنافقين قد بعدت فالاولى أن يقال اعني لما تفضل الله عليك بالنعم التي هي شرف الرسالة والمعجزات وعلى المؤمنين بهدايتهم

بارسالك قاتل في سبيل الله لتقويم دينه الحق واعلاء كلمته شكرا للنعمة المذكورة لا تكلف الا نفسك لا ضرر عليك اذا لم يساعدك أحد وحرض المؤمنين وليس عليك الا تحريضهم (قوله والله أشد بأسا من قريش) لا يخفى أن بأس قريش هو بأس الله اذ لا فاعل الا الله تعالى فالمعنى بأس الله اذا لم يكن بسبب قريش أشد من بأسه الحاصل بسببهم لان البأس الحاصل بسبب قريش انما يكون بالقتل أو الجرح ولكن في قدرة الله تعالى أشد منه (قوله فان قاله المسلم زاد وبركاته) أي ان قال السلام عليك ورحمة الله يقول وعليك السلام ورحمة الله وبركاته (قوله لما يروى الخ) فان قيل ظاهره انه استدلال على وجوب أحد الامرين لان الكلام فيه لكن الحديث لم يدل على لوجوب

لا الجنود روى أنه عليه الصلاة والسلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت خرج عليه السلام ومامعه الا سبعون لم يلو على أحد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا تكلف بالنون على بناء الفاعل أي لا تكلف لا أنا لا تكلف أحدا الا نفسك فقوله (وحرض المؤمنين) على القتال اذ ما عليك في شأنهم الا التحريض (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) يعني قريشا وقد فعل بان ألقى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا (والله أشد بأسا) من قريش (وأشد تنكيلا) تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه (من يشفع شفاعة حسنة) راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضررا أوجلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله تعالى ومنها الدعاء لمسلم قال عليه الصلاة والسلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك (يكن له نصيب منها) وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها (ومن يشفع شفاعة سيئة) يريد بها محرما (يكن له كفل منها) نصيب من وزرها ساوطها في القدر (وكان الله على كل شئ مقيتا) مقتدرا من أقات على الشئ اذا اقتدر قال

وذي ضغن كففت الضغن عنه * وكنت على مساءته مقيتا

أو شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها) الجمهور على أنه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو أن يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال صلى الله عليه وسلم انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه أقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل أولا للترديد بين أن يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يجيء تمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية وواجب الثواب أو الرد على المنهب وهو قول قديم للشافعي رضي الله تعالى عنه (ان الله كان على كل شئ

(١٤ - (بيضاوي) - ثاني) فالجواب أنه استدلال على أن المراد من التحية السلام وان وقع الفصل بين المدعى والدليل وانما دل الحديث المذكور بقوله فاين ما قال الله تعالى الآية في أن يقال الحديث لا يدل على قول الجمهور وهو أن المراد بالتحية السلام بل يجوز أن يكون المراد الدعاء مطلقا والسلام داخل فيه فيجب في تخصيص الآية بالسلام أنه من دليل آخر فتأمل (قوله السلامة عن المضار الخ) السلامة المفهومة من السلام عليك (قوله فلا يرد في الخطبة قراءة القرآن الخ) ظاهره يدل على ان الرد في الصورة المذكورة لا يجوز ولا يكره وليس كذلك بل يستحب الجواب في الخطبة واختار الامام النووي وجوب الرد على القارئ (قوله ومنه قيل الخ) أي من أجل ما ذكر وهو الحديث المذكور قيل أولا للترديد فانه علم منه أن النبي صلى الله عليه وسلم حيا المسلم في بعض الصور ببعض التحية

وحياه فى بعضها بتمامها و يفهم من اطلاق هذا القول أنه لو قال المسلم السلام عليك و رحمة الله لم يجب على المجيب أن يقول و رحمة الله بل يكفى أن يقول وعليك السلام لانه أتى ببعض التحية وهو ظاهر كلام الفقهاء على ما صرح به الدميرى لكن ظاهر الآية وتفسير المصنف لها يدل على أنه لو قال المسلم السلام عليك و رحمة الله يجب أن يقال فى الجواب مثل ما ذكره بان يقال وعليك السلام و رحمة الله وكذا لو زاد المسلم لفظ و بركاته (قوله أو صفة للمصدر) أى جمعا لا ريب فيه (قوله فانه لا يتطرق الكذب الى خبره الخ) فيه ان عدم تطرق الكذب الى خبر المخبر لا يستلزم أن يكون أكثر صدقا من الآخر اذ يجوز أن يخبر أحد عن ثلاثة أخبار مثلا وصدق فيها مع انه لم يخبر عن غيرها وأخبر آخر عن مائة خبر أكثرها صدق فانه يصدق أن المخبر الاول لم يتطرق الكذب الى خبره مع ان الآخر أكثر صدقا و يمكن أن يقال المراد من أظهر صدقا من الله فان الدليل القاطع قام على صدقه تعالى فى جميع أخباره بخلاف غيره من المخلوقين ثم ان الأولى فى العبارة المذكورة لا ينبغى أن يكون أحد مثله تعالى فى الصدق فالاولى أن يقال المراد من العبارة ان الله تعالى أصدق من كل أحد وانما دل على ذلك لان كون شخصين متساويين فى الصدق لا يتأتى بل لا بد أن يكون أحدهما أصدق فاذا نفى الاصدقية عن أحدهما ثبتت للآخر فلما نفى فى الاية أصدقية غير الله تعالى ثبتت أصدقيته تعالى ومثله يقع فى العرف كثيرا مثل أن يقال ليس احد أعلم من زيد مثلا و يراد به أعلم زمانه لا ان غيره ليس باعلم مع أنه يجوز أن يكون مثله (قوله فئتين حال عاملها لكم) أو ما لكم فالمعنى على الاول ما حصل لكم حال كونكم فئتين وعلى الثانى ما تصفون (قوله من الضمير) أى من الضمير الذى هو فى لكم والتقدير فما حصل لكم فئتين تفترقون فى أمر المنافقين (قوله وفى المنافقين حال من فئتين) لك أن تقول الحال اما حال عن الفاعل أو عن المفعول وفئتين ليس أحدهما و يمكن أن يقال ان مراده ان فئتين بمعنى فريقين فيكون فيه ضمير مستتر وفى المنافقين حال من ذلك الضمير قال الرضى فى باب المبتدأ والخبر اما الجامد فان كان مؤولا بالمشتق تحمل الضمير نحو هذا القاع غير فج كله أى غليظ وكله ههنا تأكيد للضمير وان لم يكن مؤولا لم يتحمل خلافا للكسائى وكأنه نظر الى ان زيد أخوك معناه زيد متصف بالاخوة وهذا زيد معناه هذا متصف بالزيدية والجامد على هذا كله متحمل للضمير عند الكسائى انتهى كلامه فتأمل واذا جاز فى خبر المبتدأ مثل ما ذكر جاز فى الحال أيضا اذ لا يظهر مانع (قوله ولو نصب على جواب التمنى لجاز) هذا يدل على أن لو ههنا يجوز أن تكون للتمنى وهو يحتاج الى تكلف فالاولى أن يقال انها مصدرية وقد تقدم هذا البحث (قوله فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة أو عن اظهار الايمان) هذان التفسيران متدافعان لانه لا يخلو اما أن يكون اظهار الايمان كافيا فى دفع الاخذ والقتل أولا فان كان الاول فلا حاجة الى الهجرة فيكون ذكر الهجرة فى التفسير الاول مستدركا وان كان الثانى فلا يكون اظهار الايمان مانعا من القتل مع انه مفهوم الكلام بل

بالهجرة

حسيبا) يحاسبكم على التحية وغيرها (الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر أو الله مبتدأ والخبر (ليجمعنكم الى يوم القيامة) أى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة أو مفضين اليه أو فى يوم القيامة ولا له الا هو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهى قيام الناس من القبور أو للحساب (لا ريب فيه) فى اليوم أو فى الجمع فهو حال من اليوم أو صفة للمصدر (ومن أصدق من الله حديثا) انكار أن يكون أحد أكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال (فما لكم فى المنافقين) فما لكم تفرقتم فى أمر المنافقين (فئتين) أى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فى اسلامهم وقيل نزلت فى المتخلفين يوم أحد أو فى قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن أو قوم أظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك مالك قائما وفى المنافقين حال من فئتين أى متفرقين فيهم أو من الضمير أى فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين (والله أركسهم بما كسبوا) ردهم الى حكم الكفرة أو نكسهم بان صيرهم للنار وأصل الركس رد الشئ مقلوبا (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) أن تجعلوه من المهتدين (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) الى الهدى (ودوا لو تكفرون كما كفروا) تمنوا أن تكفروا ككفرهم (فتكونون سواء) فتكونون معهم سواء فى الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمنى لجاز (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله) فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتتحققوا ايمانهم بهجرة هى لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما أمر بسلوكه (فان تولوا) عن الايمان الظاهر

لابد من الهجرة والمذكور فى الكشاف الاحتمال الاول ولم يلتفت الى ماذكره ثانيا فظهر منه أنه لابد من الهجرة الصحيحة فى دفع الاخذ والقتل ووافق العلامة النيسابورى صاحب الكشاف حيث قال فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة الصحيحة فخذهم فى حكم سائر المشركين فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ودفع السؤال أن يقال مراده أوظاهر الايمان بالهجرة فيكون محصل التفسيرين واحدا (قوله ولا لول أظهر لقوله فان اعتزلوكم) قال العلامة التفتازانى انما كان العطف على الصلة أرجح لان الاستثناء يشعر بان سبب ترك التعرض لهم أمران أحدهما الاتصال بالمعاهدين والآخر الاتصال بالقوم الكافرين ان كان العطف على الصفة ونفس الكف عن القتال ان كان العطف على الصلة لكن قوله فان اعتزلوكم الخ يشعر بانه الكف لان المعنى ان كفوا عن قتالكم فلا سبيل لكم عليهم فينبغى الاستثناء على وجه يفيد ذلك أى اقتلوهم الا الذين يصلون بالمعاهدين أو الذين كفوا عن قتالكم فيكون هذا تقريرا له أقول يرد عليه انه اذا كان المعنى ماذكر يعنى ان الاعتبار على الكف عن القتال فما فائدة جاؤكم وما فائدة التفصيل بل الاولى ان يقال الا الذين يكفون عن قتالكم ويمكن ان يقال لما كان المفهوم من قوله تعالى فان اعتزلوكم ان الكف والانقياد كافيان فى الامان من غير اعتبار قيد آخر لكن العطف على الصلة يقتضى اعتبار أمر واحد وهو المجىء الى الرسول والعطف على الصفة يوجب اعتبار شيئين أحدهما مجىء قوم كافين عن (١٠٧) القتال الى النبى صلى الله عليه وسلم والثانى

بالهجرة أو عن اظهار الايمان (فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم) كسائر الكفرة (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) أى جانبوهم رأسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم أى الا الذين يتصلون ويلتجئون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل هم الاسلميون فانه عليه الصلاة والسلام ودع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فلما مر من الجوار مثل ماله وقيل بنو بكر بن زيد مناة (أو جاؤكم) عطف على الصلة أى أو الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المأمور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فالحق بالمعاهدين أو أتى الرسول صلى الله عليه وسلم وكف عن قتال الفريقين أو على صفة قوم وكأنه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين أو قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول أظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة أو بيان ليصلون أو استئناف (حصرت صدورهم) حال باضمار قد ويدل عليه أنه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم أو بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف أى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض (أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) أى عن أن أولا وأو كراهة أن يقاتلوكم (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وأزال الرعب عنهم (فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم) فان لم يتعرضوا لكم (وألقوا اليكم السلم)

مجيئهم الى هؤلاء القوم فكان العطف على الصلة أقرب الى الاطلاق المفهوم من قوله فان اعتزلوكم الخ فان قلت ما فائدة تخصيص المستثنين المذكورين بالذكر ولم يذكر الحكم العام أولا فيقال الا الذين يكفون عن القتال قلت لعل تخصيصهما بالذكر الحث على الكف بهذين الطريقين وان أمكن الكف بغيرهما أو يقال الكف عن القتال يمكن ان يكون بالطريقين المذكورين وان يكون

بغيرهما لكن الغالب لهما ما يستثنى ٧ صر بخلافهما هو الغالب وتجعل الصورة الأخرى فى حكم المستثنى بقوله فان اعتزلوكم يعنى ان لم يتصلوا بالمعاهدين ولم يجيبوا اليكم لكن كفوا عن القتال وانقادوا لكم دخلوا فى الامان (قوله وقرئ غير الماطف الخ) كذا فى الكشاف وفيه ما فيه اما أولا فلان كونه بيانا ففيه تكلف بعيد باعتبار ان المقصود من كل منهما الكف عن القتال واما ثانيا فلانه يلزم على كل من التقادير المذكورة ان يكون من استثنى من وجوب الأخذ والقتل هو الجامع بين الصفتين الاتصال بالمعاهدين والمجىء الى الرسول والمؤمنين ويفهم منه انه لا يكفى واحد منهما وليس كذلك والاولى ان يقال ان على هذه الوجوه أو محذوفة قال الرضى قد يحذف أو كما تقول كل ممكن لقيام قرينة دالة على المراد (قوله وبدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم الخ) أى يدل على كونه حالا القرآنان المذكورتان اذ الوجه كونهما حالا وقراءة حصرات صدورهم على لغة أكلونى البراغيث وانما أيدكونه حالا بما ذكر لان المبرد على ان حصرة صدورهم صفة لمقدر هو قوما وانما قدر هكذا لئلا يلزم تقدير قد فتكون حالا موطئة وقال العلامة التفتازانى اعترض بان المقصود من الحال الموطئة هو الصفة فلابد من قد سيما عند حذف الموصوف فيكون ماذكر التزاما لزيادة الاضمار من غير ضرورة أقول فيه نظر (قوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم) الظاهر ان قوله تعالى فلم يقاتلوكم الخ مفسر لقوله فان اعتزلوكم

والالم يكن فائدة لقوله فان اعتزلوكم (قوله أى لا يقتله فى شئ من الاحوال الخ) كذا فى الكشاف وظاهر هذه العبارة يدل على أن خطأ منصوب فيه لاحال لان المعنى الا فى حال الخطأ أو الا فى زمانه ولو قيل خطأ بمعنى خاطئا والمعنى لا ينبغى لمؤمن ان يقتل مؤمنا متصفا بصفة الاخطئا أى متصفا بالخطأ لكان أولى (قوله الا لاخطأ) فيكون مثل قعدت عن الحرب جبنا فان الجبن سبب للقعود كما أن الخطأ سبب للقتل (قوله والاستثناء منقطع) انما جعل الاستثناء منقطعا على هذا التقدير لانه لو جعل متصلا لفسد اذ المعنى لا يطلب من المؤمن ترك القتل فى كل حال الا فى حال الخطأ فيلزم ان يكون القتل حال الخطأ مطلوبا وليس كذلك (قوله سمى العفو عنها صدقة حثا عليه) أى على العفو وسبب كونه حثا كثرة النصوص الواردة فى الحث على الصدقات وعظم ثوابها (قوله وهو متعلق بعليه) أى عليه المقدر فى قوله فتحرير رقبة لانه فسر بقوله فعليه تحرير رقبة (قوله على الحال من القاتل أو الاهل أو الظرف لا يخفى ان تصد قوا حال عن الاهل بحسب الظاهر لانهم المصدقون وامّا جعله حالا عن الضمير الراجع الى القاتل فباعتبار أمر مقدر هو عليه والمعنى الا ان يصدقوا عليه والا فعليه تحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله (قوله من قوم كفار محاربين) أوفى تضاعيفهم والمعنى ان يكون واحدا من هؤلاء القوم أو لم يكن وبكون بينهم وهذا هو المراد بكونه فى تضاعيفهم به والدليل الذى ذكره صريح فى انه لا بد ان يكون من قوم يكون جميعهم عدوّا وانما قال دون الدية لأهله اذ فى صورة الانفراد تجب الدية ويرثه بيت المال لان القرابة لا ترث (قوله اذ لا وراثة بينه وبينهم) أى بين المقتول وبين الكفار الذى هو فيهم فلا يرثون منه (قوله ولانهم محاربون) فلا يستحقون ان يأخذ وا من القاتل المسلم الدية (قوله ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا الخ)

الاستسلام والانقياد (فاجعل الله لكم عليهم سبيلا) فأذن لكم فى أخذهم وقتلهم (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم) هم أسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار أتوا المدينة وأظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا (كلما ردوا الى الفتنة) دعوا الى الكفر والى قتال المسلمين (أركسوا فيها) عادوا اليها وقلبوا فيها أقبح قلب (فان يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم) ويبذلوا اليكم المهادنة (ويكفوا أيديهم) عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب فى التعرض (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل والسبى لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم فى قتلهم (وما كان لمؤمن) وما صح له وليس من شأنه (أن يقتل مؤمنا) بغير حق (الا خطأ) فانه على عرضته ونصبه على الحال أو المفعول له أى لا يقتله فى شئ من الاحوال الا حال الخطأ أو لا يقتله لعلة الا للخطأ أو على أنه صفة مصدر محذوف أى لا قتلا خطأ وقيل ما كان نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع أى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل أو الشخص أو لا يقصد به زهوق الروح غالبا أو لا يقصد به محظور كرمى مسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه أو يكون فعل غير المكلف وقرئ خطء بالمد وخطى كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت فى عياش بن أبى ربيعة أخى أبى جهل من الام لقى حارث بن زيد فى طريق وكان قد أسلم ولم يشعر به عياش فقتله (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة) أى فعليه أو فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحرك لعتيق للكريم من الشئ ومنه محرر الوجه لاكرم موضع منه سمى به لان الكرم فى الاحرار واللؤم فى العبيد والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس (مؤمنة) محكوم باسلامها وان كانت صغيرة (ودية مسلمة الى أهله) مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر الموارث لقول الضحاك بن سفيان الكلابى كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنى أن أورث امرأة أشيم الضبابى من عقل زوجها وهى على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال قال لم يكن فى ماله (لا أن يصدقوا) الا أن يتصدقوا عليه بالدية سمى العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه أو بمسلمة أى تجب الدية عليه أو يسلمها الى أهله الا حال تصدقهم عليه أو زمانه فهو فى محل النصب على الحال من القاتل أو الاهل أو الظرف (فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) أى فان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين أوفى تضاعيفهم ولم يعلم إيمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) أى وان كان من قوم كفرة معاهدين أو أهل الذمة فحكمه حكم المسلمين فى وجوب الكفارة والدية وانما قيد بهذا اذا كان المقتول معاهدا أو كان له وارث مسلم (فمن لم يجد) رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل

يعني لا تلزم الدية من قتل شخصا يكون من قوم معاهدين اذ يجوز ان يكون هذا الشخص ليس معاهدا ولا مؤمنا ولا وارث له مسلم فلا تلزم الدية نعم اذا كان معاهدا فتلزم الدية للمعهد واذا كان مسلما وله وارث مسلم فلزوم الدية قائم وعلى هذا الاولى ان يقال أو كان مسلما وله وارث (قوله أي فعليه صيام شهرين ذا توبة) أي يجب عليه صيام شهرين فذا توبة حال من ضمير عليه الذي هو المفعول واعلم ان المراد من التوبة ليس غفر الذنب اذ لا ذنب في قتل الخطأ بل المراد الرجعة والتأسف عليه فايجاب ما ذكر لترتب اثواب عليه مع الزجر عما صدر عنه من ترك الاحتياط (قوله لما فيه (١٠٩) من التهديد العظيم قال ابن عباس الخ)

به اليها (فصيام شهرين متتابعين) فعليه أو فالواجب عليه صيام شهرين متتابعين (توبة) نصب على المفعول له أي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته أو على المصدر أي وتاب الله عليكم توبة أو الحال بحذف مضاف أي فعليه صيام شهرين ذا توبة (من الله) صفتها (وكان الله عليما) بحاله (حكيما) فيما أمر في شأنه (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا وله اذا أريد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد أخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا أو المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم (يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله) سافرتم وذهبتم للغزو (فتبينوا) فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا في الموضعين هنا وفي الحجرات من التثبت (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام) لمن حيا كم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الف أي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام أيضا (لست مؤمنا) وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح أي مبذولا له الامان (تبتغون عرض الحياة الدنيا) تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت (فعند الله مغانم) لكم (كثيرة) تغنيكم عن قتل أمثاله لماله (كذلك كنتم من قبل) أي أول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة خفت بها دماؤكم وأموالكم من غير أن يعلم مواطأة قلوبكم ألسنتكم (فمن الله عليكم) بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين (فتبينوا) وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيد للتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي أن سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت أهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاقوا حقروا به وكبروا وكبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله

أي لاجل التهديد العظيم الذي يفهم من الآية قال ابن عباس انه لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا والظاهر انه أراد التشديد والتخويف والزجر العظيم عن قتل المؤمن لانه أراد بعدم قبول توبته عدمه حقيقة اذ روي عنه ان توبته مقبولة (قوله والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب) أي العذاب المذكور مخصوص بمن لم يتب عن القتل والغرض ان من تاب تقبل توبته ولا يعذب العذاب المذكور والظاهر ان المراد من الجمهور جمهور المسلمين فان المعتزلة موافقة للاشاعرة في انه جزاء من لم يتب ولما كان لسائل ان يقول كيف يكون جزاؤه ماذكر عند أهل السنة والحال انهم على ان المؤمن العاصي المرتكب للكبيرة لا يخلد في النار قال في الجواب ان

توجيه الآية عندنا بان يقدر قيد وهو الاستحلال فكأنه قيل ومن يقتل مؤمنا متعمدا مستحلا للقتل جزاؤه جهنم خالدا فيها والآية واما بان يقال المراد من الخلود المكث الطويل (قوله وعندنا الخ) أي عند أهل السنة (قوله فان الدلائل متظاهرة) أي الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين بأي معصية كانت لا يدوم عذابهم فان الاحاديث دلت على انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فهي دالة على ان المؤمن يخرج آخرا وان صدرت منه أي معصية كانت (قوله فاطلبوا بيان الأمر وثباته) أي الامر المبين الثابت والحاصل انه لا تعجلوا في الامر بل توقفوا واجتهدوا بقدر الوسع في طلب القرائن والدليل على حال من القى اليكم السلم (قوله وترتيب الحكم على ما ذكر الخ) أي وترتيب الامر بالتبين على حالهم المستفاد من قوله تعالى كذلك كنتم من قبل

(قوله وفيه دليل على صحة ايمان المكره) لان اطلاق الآية دل على ان كل من أظهر الاسلام يجب عدم المبادرة الى قتله فدخل فى هذا الاطلاق من آمن للخوف من القتل ويمكن أن يقال ان الحديث المذكور دل على ماذكر فتأمل (قوله فيه ان المجتهد قد يخطئ) لانه علم من الآية ان توبيخهم لمجرد الخطأ فى القتل بل لعدم التثبت والاجتهاد ولذا كرر قوله فتبينوا فعلم منه انه لو تثبتوا ولم يتجلوا لم يكن عليهم شئ لو أخطأوا فهذا يدل على خطأ المجتهد وعدم مؤاخذته (قوله أو من الضمير الذى فيه) وهو الذى يرجع الى اللام التى هى الموصول اذ المعنى الذين يقعدون (قوله لانه لم يقصد به قوم باعيانهم) أى القاعدون فى حكم النكرة اذ المقصود جماعة من القاعدين غير معينين فيكون نظير قول الشاعر ولقد أمر على اللئيم يسبنى (قوله ومن قعد عن الجهاد من غير علة) يفهم من اطلاق العلة ان الضرر ههنا مطلق سواء كان بسبب فى البدن ككف وعرج ومرض أو بسبب عدم الاهبة كما صرح به العلامة النيسابورى (قوله والقاعدون على التقييد السابق) أى تقييدهم بغير أولى الضرر اذ لو لم يعتبر التقييد لزم الاختلاف فى الكلام اذ يفهم من التصريح بالتقييد أولا أن أجر القاعد للضرر كأجر المجاهد والا لم تكن فائدة بتقييد غير أولى الضرر لكن يفهم من هذه الجملة التفاوت بين الفريقين فى الدرجة وادا قيد بما كرارتفع الخلاف واعلم ان صاحب الكشاف صرح بما يوافق المصنف من التقييد فقال المعنى فضل الله المجاهدين على القاعدين غير أولى الضرر فتكون هذه الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف ثم قال فان قلت قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين (١١٠) درجات فمن هم قلت اما المفضلون درجة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء

وأما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين أذن لهم فى التخلف اه والكلامان متناقضان كما ترى فان الاول دال على ان ليس للمجاهدين على القاعدين الاضراء فضل بل هما متساويان والكلام الثانى الصريح فى فضل المجاهدين على القاعدين الاضراء بدرجة والذى يخطر لى والله أعلم باسرار كلامه ان المفهوم من الكلام الأول وهو قوله

فقال لا اله الا الله فقتله وقال ردّ وفر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر (لايستوى القاعدون) عن الحرب (من المؤمنين) فى موضع الحال من القاعدين أو من الضمير الذى فيه (غير أولى الضرر) بالرفع صفة للقاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم أو بدل منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالنصب على الحال أو الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين أو بدل منه وعن زيد بن ثابت أسهارات ولم يكن فيها غير أولى الضرر فقال ابن أم مكتوم وكيف وأنا أعمى ففشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلسه الوحى فوقعت فخذه على فخذى حتى خشيت أن ترضها ثم سرى عنه فقال اكتب لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر (والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم) أى لامساواة بينهم وبين من قعد من الجهاد من غير علة وفائدة تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد فى الجهاد فرفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته (فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخفض أى بدرجة أو على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه أو الحال بمعنى ذوى درجة (وكلا) من القاعدين والمجاهدين

تعالى لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم استواء المجاهدين وعد والقاعدين الاضراء الذين يكون لهم شدة الحرص على الجهاد ولا يقدرون أصلا والمراد بالجملة الثانية وهى فضل الله المجاهدين الخ ان الله فضل المجاهدين على الاضراء الذين لا يكونون كذلك والمراد من الجملة الثالثة وهى قوله تعالى وفضل الله المجاهدين على القاعدين الذين ليس لهم عذر واعلم انه قال العلامة النيسابورى المعنى لايستوى القاعدون والمجاهدون الأولى الضرر فاسم يساوون المجاهدين بدليل قوله صلى الله عليه وسلم انّ بالمدينة لحديثا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم العذر وفى رواية الا شركوكم فى الاجر وهذا يدل على ان الاستواء فى الاجر لا فى الفضيلة وقد ذكر الامام حجة الاسلام فى كتاب الاحياء انه صلى الله عليه وسلم قال الناس أربعة رجل آتاه الله عز وجل علما ومالا فهو يعمل بعلمه فى ماله فيقول رجل لو آتانى الله تعالى ما آتاه لعملت كما يعمل فهما فى الاجر سواء ورجل آتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله فى ماله فيقول رجل لو آتانى الله تعالى مثل ما آتاه عملت كما يعمل فهما فى الوزر سواء وروى أيضا انه صلى الله عليه وسلم قال لما رجع من تبوك الى المدينة تركنا أقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار الا أشركونا فى ذلك قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية قال الامام لا ترى كيف أشركوا بالنية فى محاسن عمله ومساويه ثم قال وفى الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل فى مجاعة فقال فى نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس

فأوحى الله الى نبيهم ألا قل لهان الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك وأعطاك مالوكان طعاما فتصدقت فعلم من الاحاديث التى نقلناها استواء القاعدين الاضراء الذين ذكرناهم مع المجاهدين فان قيل فلم لم يعطف الجملة الثانية على الاولى وعطف الثالثة على الثانية قلنا يمكن ان يقال لماذكر نفى الاستواء بين المجاهدين والقاعدين غير أولى الضرر وجب ان يبين كيفية نفى الاستواء فبين بالجملتين الاخيرتين كيفيته فلذا أتى لاجل انهما بيان للاولى لم يعطف أو يقال لما نفى الاستواء المذكور كأن سائلا سأل فماحال الفريقين فاجيب بماذكر والله أعلم (قوله لحسن عقيدتهم الخ) أى اعطاء المثوبة الحسنى التى هى مشتركة بين الفريقين لاجل اشتراكهما فى العقيدة وتفضيل المجاهدين على القاعدين لأجل العمل الذى هو الجهاد (قوله و يجوز ان ينتصب درجات على المصدر) فيكون المعنى وفضلهم الله تفضيلات (قوله لاضمار فعلها) أى غفر الله لهم مغفرة ورحمهم رحمة (قوله (١١١) كررتفضيل المجاهدين) يمكن ان يقال ذكر نفضيلهم ثلاث مرات أحدها ضمنا وهو يعلم من نفى الاستواء والثانية والثالثة ذكرنا صريحين واما المبالغة بحسب الاجمال فهو انه أثبت للمجاهدين تفضيلا بدرجة ثم أثبت أجرا عظيما واما بحسب التفضيل فيعلم من التفاوت بالدرجات والمغفرة والرحمة فان قيل يلزم ان لا يكون القاعد مغفورا مرحوما قلنا المغفرة والرحمة المذكورتان هنا العظيمتان وهذا لا ينافى ان يكون القاعد أيضا مغفورا مرحوما نعم يستلزم تفاوت المغفرتين والرحمتين أو يقال ان لهم مغفرة ورحمة بسبب الجهاد وهذا لا ينافى ان يكون للقاعد مغفرة بسبب آخر (قوله وقيل الاول ماخوطهم

(وعدالله الحسنى) المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) نصب على المصدر لان فضل بمعنى أجر أو المفعول الثانى له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل وأعطاهم زيادة على القاعدين أجرا عظيما (درجات منه ومغفرة ورحمة) كل واحد منها بدل من أجرا و يجوز أن ينتصب درجات على المصدرية كقولك ضربته أسواطا وأجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعليهما كرر تفضيل المجاهدين و بالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ماخوطهم فى الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثانى ماجعل لهم فى الآخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله سبحانه وتعالى و بالدرجات منازلهم فى الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثانى هم الذين أذن لهم فى التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (وكان الله غفورا) لما عسى أن يفرط منهم (رحيما) بما وعدهم (ان الذين توفاهم الملائكة) يحتمل الماضى والمضارع وقرئ توفيهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى أن الله يوفى الملائكة أنفسهم فيتوفونها أى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها (ظالمى أنفسهم) فى حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فاهل نزلت فى أناس من مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة (قالوا) أى الملائكة توبيخا لهم (فيم كنتم) فى أى شئ كنتم من أمر دينكم (قالوا كنا مستضعفين فى الارض) اعتذروا بما ونحوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة أوعن اظهار الدين واعلاء كلمة الله (قالوا) أى الملائكة تكذيبا لهم أوتبكيتا (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة (فأولئك مأواهم جهنم) لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد أو الخبر قالوا والعائد محذوف أى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة التى قبلها مستنتجة منها (وساءت مصيرا) مصيرهم

فى الدنيا) هذا الكلام الخ لدفع سؤال توهم ههنا وهو انه يظهر اختلاف بين قوله فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم الخ و بين فضل الله المجاهدين على القاعدين الخ اذ يفهم من الكلام الاول ان التفاوت بينهما بدرجة واحدة ومن الثانى ان التفاوت بينهما بدرجات ومغفرة ورحمة ولا حاجة فى دفع السؤال الى الاقوال المذكورة ههنا بعد التحقيق الذى قلنا (قوله وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه) هذا التفسير بعيد فى هذا الموضع لان الكلام فى المجاهدين مع الكفار ولذا قيد بغير أولى الضرر وأيضا المتبادر من القاعدون ههنا من لم يقم الى جهاد الكفار (قوله يحتمل الماضى والمضارع) بحذف احدى التاءين وفى هذا الاحتمال نظر اذ لا يطابق ماجيء بعده من الصيغ الماضية الا أن يحمل على غير المضى حقيقة بل يقال انها للمستقبل حقيقة وعبر عنها بالمضى للقطع بتحققها (قوله حين كانت الهجرة واجبة) هذا دليل الظلم لان ترك الواجب ظلم (قوله حال من الملائكة باضمار قد) هذا اذا كان صيغة الماضى على حقيقتها وأما اذا كانت بمعنى المستقبل فلا حاجة الى الاضمار (قوله وهو جملة معطوفة

أوجهنم وفى الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) استثناء منقطع لعدم دخولهم فى الموصول وضميره ولاشارة اليه وذكر الولدان ان أريد به المماليك فظاهر وان أريد به الصبيان فللمبالغة فى الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وأن قوّامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت (لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه أو حال منه أو من المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان أسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه أو بدليل (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة أمر خطير حتى ان المضطر من حقه أن لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه (وكان الله عفوّا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا) متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه أى يفارقهم على رغم أنوفهم وهو أيضا من الرغام (وسعة) فى الرزق واظهار الدين (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) وقرئ يدركه بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار أن كقوله

سأترك منزلى ببنى تميم * وألحق بالحجاز فأستريحا

(فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما) الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت أجره عند الله تعالى ثبوت الأمر الواجب والآية الكريمة نزلت فى جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايع عليه رسولك صلى الله عليه وسلم فمات (واذا ضربتم فى الأرض) سافرتم (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) بتنصيف ركعاتها ونفى الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده أنه عليه الصلاة والسلام أتم فى السفر وأن عائشة رضى الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة وأوجبه أبو حنيفة لقول عمر رضى الله تعالى عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضى الله تعالى عنها

الخ) أى قوله تعالى فاولئك جملة معطوفة على قالوا ويتجه لان قول الملائكة لهم الكلام المذكور الدال على التوبيخ على ترك الواجب دال على سوء عاقبتهم (قوله لا يتمكن الرجل من اقامة دينه) أى لم يتيسر له فعل الواجبات وترك المحرمات وههنا مناقشة فى ان المفهوم من الآية توبيخ الملائكة الجماعة المذكورة الواجب عليهم الهجرة من مكة على تركها ومن اقعدهم الكفار فكان وجوب الهجرة سببا للتوبيخ على الاقامة وهذا لا يدل على ما ذكر المصنف فان قيل يفهم من الآية وجوب الهجرة من مكة والتوبيخ على تركها ولا يخفى أن وجوب الهجرة انما كان لعدم تيسر اقامة الدين للمسلمين فهذا السبب أينما وجد وجبت الهجرة قلنا لعل وجوب الهجرة أول الامر لا لمجرد ما ذكر بدله وشئ آخر هو دفع أذى المشركين لان المشركين آذوهم وعذبوهم لان يرجعوا عن الاسلام وكان فى هذا خوف ارتدادهم ويوهن أمر الاسلام ويؤيد ذلك ان بعضهم يساعدون الكفار كما ذكر المصنف (قوله لعدم دخولهم فى الموصول وضميره والاشارة) لان الموصول عبارة عن الظالمين وكذا الضمير والاشارة لكن المستضعفين ليسوا ظالمين (قوله ان أريد المماليك فظاهر وان أريد به الصبيان الخ) يعنى يفهم من العفو ان الهجرة واجبة عليهم لكن يعفى عنهم بضعفهم فاذا أريد بهم المماليك فالامر ظاهر أى ظاهر ان عدم الوجوب عليهم لاجل ضعفهم وأما اذا كان المراد الصبيان فليس عدم الوجوب عليهم لضعفهم بل لانهم غير مكلفين بشئ ولو كانوا أقوياء لم يجب عليهم شئ فايرادهم للمبالغة والاشعار المذكورين وفيه أنه يفهم لو لم يستضعف الصبيان لوجبت عليهم الهجرة الا أن يقال نفى الوجوب عليهم يعلم من موضع اول آخر وحينئذ يكون المراد من العفو ليس ترك الاخذ بالذنب بل مجرد عدم الاخذ (قوله الوقوع والوجوب متقاربان) لا بد من تبيين معنى الوقوع حتى يظهر ما ذكر فنقول ان كان المراد بوقوع شئ على شئ اتصافه به أو اتصاله به فهذا لا يقارب الوجوب وان أريد وجوب صدوره منه فهذا عين معنى الوجوب لا تقاربه وان أريد به معنى آخر فلا بد أن يبين حتى يتكلم فيه ويمكن أن يقال الوقوع والوجوب بحسب أصل اللغة متقاربان لان الوجوب فى اللغة السقوط والاولى الاقتصار على ما ذكره آخرا بان المعنى ثبت (قوله ثبوت الامر الواجب) أى ثبوتا مثل ثبوت الامر الواجب فى تحقق الوقوع

(قوله كالتام فى الصحة) أى ليس معنى انها تمام غير مقصورة بل المراد ماذكر (قوله والثانى لاينفى جواز الزيادة) لك أن تقول اذا كانت الصلاة فى الاصل ركعتين وأقرت عليهما فى السفر كيف تجوز الزيادة مع ان الزيادة والنقص فى الفريضة غير جائزين فانه لايجوز أن يصلى الصبح مثلا أربع ركعات ويمكن أن يقال المراد من قولها أقرت فى السفر أى أقرت الصلاة الواجبة فى السفر على ركعتين ومعنى زيدت فى الحضر زيدت الصلاة الواجبة على ركعتين فى الحضر وكون الصلاة الواجبة فى السفر ركعتين لاتنافى جواز الزيادة عليها بان تكون الزيادة غير واجبة كما فى الرواية الثانية عن عائشة رضى الله عنها فانها تدل على ان الصلاة الواجبة فى السفر ركعتان مع جواز الزيادة عليها (قوله فلاحاجة الى تأويل الآية) أى من أوجب القصر للحديثين المذكورين اضطر الى تأويل الآية لان ظاهرها عدم وجوب القصر فاوظاهرها ماذكر أى لاقصر حقيقة بل

الركعتان صلاة تامة فى نفسها غير مقصورة من الرباعية وذكر القصر فى الآية لانه لماذكر التعبير بعدم الجناح الدال بحسب الظاهر على عدم وجوب القصر لتطيب أنفسهم لانهم كانوا يتخيلون ان فى القصر جناحا وحرجا (قوله شريطة باعتبار الغالب) يعنى ذكر ان خفتم الخ ليس لانه شرط القصر حقيقة فلايقصر ونه عند عدم الخوف بل لاجل انه كان الغالب الخوف فى السفر فى وقت نزول الآية لكثرة المشركين وأهل الحرب (قوله تعلق بمفهومه من خص) مراده من المفهوم مفهوم الخطاب أى تخصيص الخطاب بالنبى صلى الله عليه وسلم يشعر بان هذه الصلاة مخصوصة به ومن معه لانه ذكر فى الآية حال الصلاة اذا كان

الرسول صلى الله عليه وسلم فى المؤمنين ولم يذكر حالها حين لم يكن فيهم فيمكن أن ينفهم ان الصلاة المذكورة مخصوصة بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم (قوله علمة الفقهاء الخ) فيكون المراد أنه اذا كنت فيهم كان الحكم ماذكر واذا لم تكن فيهم فليقم بهم امامهم تلك الصلاة (قوله وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم) أى الطائفة المذكورة فى قوله تعالى فلتقم طائفة منهم معك تدل على وجود طائفة أخرى (قوله فغلب المخاطب الخ) أى غلب المخاطب الذى هو النبى صلى الله عليه وسلم على الغائب الذى هم المؤمنون (قوله ظاهره يدل على ان الامام يصلى بكل طائفة مرة) لان قوله فليصلوا معك يدل بظاهره على ان تمام صلاة كل من الطائفتين مع تمام صلاة الامام وذا لايكون الابان يصلى بكل مرة

أول مافرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت فى السفر وزيدت فى الحضر فظاهرهما يخالف الآية الكريمة فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام فى الصحة والاجزاء والثانى لاينفى جواز الزيادة فلاحاجة الى تأويل الآية بانهم ألفوا الاربع فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم أن ركعتى السفر قصر ونقصان فسمى الانبان بهما قصرا على ظنهم ونفى الجناح فيه لتطيب به نفوسهم وأقل سفر تقصر فيه أربعة برد عندنا وستة عند أبى حنيفة وقرئ تقصروا من أقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف أى شيأ من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا زيادة من عند الاخفش (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) شرطية باعتبار الغالب فى ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما يعتبر فى قوله تعالى فان خفتم أن لايقيما حدود الله فلاجناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه أيضا فى حال الامن وقرئ من الصلاة أن يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة أن يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على أنه تعالى علم الرسول صلى الله عليه وسلم كيفيتها ليأتم به الأئمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو (وليأخذوا أسلحتهم) أى المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم (فاذا سجدوا) يعنى المصلين (فليكونوا) أى غير المصلين (من ورائكم) يحرسونكم يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ومن يصلى معه فغلب المخاطب على الغائب (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) لاشتغالهم بالحراسة (فليصلوا معك) ظاهره يدل على أن الامام يصلى مرتين بكل طائفة مرة كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخل وان أريد به أن يصلى بكل ركعة ان كانت الصلاة ركعتين فكيفيته أن يصلى بالاولى ركعة ويتنظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتأتى الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظر قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلموا بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه يصلى بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتى الاخرى فتصلى معه ركعة ويتم صلاته ثم تعود الى وجه العدو

(قوله ونظيره قوله والذين تبوؤا الدار والايمان) لان التبوأ حقيقة للدار فجعل متعلقا بالايمان أيضا أى كما ان الاخذ فى الحقيقة متعلق بالاسلحة فجعل متعلقا بالحذر توسعا (قوله وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب) لان معنى الكلام لا حرج عليكم فى ترك أخذ السلاح بسبب ماذكر فيدل بمفهومه على ان عليهم حرجا ان لم يأخذوا عند عدم الاعذار المذكورة (قوله وخذوا حذركم) الظاهر انه عطف على مقدر وهو فخذوا الرخصة فى ترك أخذ السلاح (قوله مسايفين) أى مصارعين السيوف ومرامين أى تراموا السهام ومشخنين بصيغة المفعول أى مجروحين (قوله وهذا دليل على أن المراد بالذكر الصلاة) أى ذكرهذا الحكم وهو ان للصلاة وقتا محدودا لا يجوز اخراجها عنه فى أى حال يناسب أن يحمل الذكر فى قوله فاذكروا الله على الصلاة (قوله واما واجبة الخ) أى الصلاة واجبة كيفما أمكن الا أن هذه الجملة متعلقة بقوله تعالى فاذا اطمأننتم الخ اذ كون الصلاة لها وقت محدود ليس له اختصاص بحال الاطمئنان بل متعلق به وبغيره من الأحوال المذكورة وحمل الجملة عليها المذكورة وهى قوله تعالى ان الصلاة الآية على ماذكر لاطلاقها وعدم تقييدها بشئ (قوله مما هممت به) الظاهر ان الهم كان

وتأتى الاولى فتؤدى الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تعود وتأتى الأخرى فتؤدى الركعة بقراءة وتتم صلاتها (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) جعل الحذر آلة يتحصن بها المغازى فجمع بينه وبين الاسلحة فى وجوب الأخذ ونظيره قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) تمنوا أن يناوا منكم غرة فى صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان مالاجله أمروا باخذ الحذر والسلاح (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) رخصة لهم فى وضعها اذا ثقل عليهم أخذها بسبب مطر أو مرض وهذا مما يؤيد أن الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب (وخذوا حذركم) أمرهم مع ذلك باخذ الحذر كى لا يهجم عليهم العدو (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب أن يحافظوا فى الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله سبحانه وتعالى (فاذا قضيتم الصلاة) أديتم وفرغتم منها (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) فدوموا على الذكر فى جميع الاحوال أو اذا أردتم أداء الصلاة واشتد الخوف فادوها كيفما أمكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين (فاذا اطمأننتم) سكنت قلوبكم من الخوف (فاقيموا الصلاة) فعدلوا واحفظوا أركانها وشرائطها وأتوا بها تامة (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) فرض محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن أوقاتها فى شئ من الاحوال وهذا دليل على أن المراد بالذكر الصلاة وأنها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب فى المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيفما أمكن وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يصلى المحارب حتى يطمئن (ولا تهنوا) ولا تضعفوا (فى ابتغاء القوم) فى طلب الكفار بالقتال (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون) الزام لهم وتقريع على التوانى فيه بأن ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب مالا يرجوه عدوهم فينبغى أن يكونوا أرغب منهم فى الحرب وأصبر عليها وقرئ أن تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهى عن الوهن لا جله والآية نزلت فى بدر الصغرى (وكان الله عليما بأعمالكم وضمائركم (حكيما) فيما يأمر وينهى (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس) نزلت فى طعمة بن أبيرق من بنى ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودى فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فأخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودى فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل (بما أراك الله) بما عرفك الله وأوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل (ولا تكن للخائنين) أى لاجلهم والذب عنهم (خصيما) للبرآء (واستغفر الله) مما هممت به (ان الله كان غفورا رحيما) لمن يستغفره (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) يخونونها فان وبال خيانتهم يعود

بالاختيار والالم يؤمر بالاستغفار عنه وقد صرح الامام حجة الاسلام بان الهم مما يؤاخذ به العبد قال العلامة التفتازانى والنيسابورى قال بعض الطاعنين فى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام لولا ان الرسول صلى الله عليه وسلم اراد أن يخاصم لاجل ذلك الخائن لما ورد النهى عنه ولما أمر بالاستغفار والجواب ان النهى عن الشئ لا يقتضى حصول المنهى عنه بل ثبت فى الرواية ان قوم طعمة لما التمسوا منه صلى الله عليه وسلم ان بدرأ عن طعمة و يلحق السرقة باليهودى توقف وانتظر الوحى ولعل القوم شهدوا بسرقة اليهودى و براءة طعمة ولم يظهر للرسول صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح فى شهادتهم فهم بالقضاء على اليهودى فاطلعه الله على حقيقة الحال ولعل المراد واستغفر لاولئك الذين يدعون براءة طعمة انتهى وعلى هذا ظهر تقصير المصنف فى تبيين معنى الاستغفار والنهى عن الجدال (قوله أوجعل المعصية خيانة لها) كذا فى الكشاف وليس مراده ان المعصية شبهت بالخيانة فاستعيرت الخيانة لها ثم سرى الى الاستعارة التبعية فى الفعل فحينئذ يلزم ان يكون معنى يختانون أنفسهم يعصون أنفسهم ولا وجه له بل المراد ان المعصية

عليها أوجعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وأمثاله أوله ولقومه فانهم شاركوه فى الاثم حيث شهدوا على براءته وخاصموا عنه (ان الله لا يحب من كان خوانا) مبالغا فى الخيانة مصرا عليها (أثيما) منهمكا فيها روى أن طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله (يستخفون من الناس) يستترون منهم حياء وخوفا (ولا يستخفون من الله) ولا يستحيون منه وهو أحق بان يستحيا ويخاف منه (وهو معهم) لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه و يؤاخذ عليه (اذ يبيتون) يدبرون و يزورون (ما لا يرضى من القول) من رمى البرىء والحلف الكاذب وشهادة الزور (وكان الله بما يعملون محيطا) لا يفوت عنه شئ (ها أنتم هؤلاء) مبتدأ وخبر (جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا) جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا أوصلة عند من يجعله موصولا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا) محاميا يحميهم من عذاب الله (ومن يعمل سوأ) قبيحا يسوء به غيره (أو يظلم نفسه) بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك و بالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة (ثم يستغفر الله) بالتوبة (يجد الله غفورا) لذنوبه (رحيما) متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) فلا يتعداه و باله كقوله تعالى وان أسأتم فلها (وكان الله عليما حكيما) فهو عالم بفعله حكيم فى مجازاته (ومن يكسب خطيئة) صغيرة أو ما لا عمد فيه (أو اثما) كبيرة أو ما كان عن عمد (ثم يرم به بريئا) كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان أو (فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) بسبب رمى البرىء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوّى بينهما وان كان مقترف أحدهما دون مقترف الآخر (ولولا فضل الله عليك ورحمته) باعلام ما هم عليه بالوحى والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لهمت طائفة منهم) أى من بنى ظفر (أن يضلوك) عن القضاء

جعلت خيانة توسعا فصارت كسائر الخيانات فنسبت اليهم الخيانة والاولى ان يقال الخيانة بمعنى المضرة فمعنى يختانون يضرون أنفسهم (قوله جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا) أى يظهر منها وجه كون هؤلاء خبرا أى يفهم منه معنى ها أنتم هؤلاء المجادلون ولو لم يذكر هذه الجملة لم يظهر لها أنتم هؤلاء فائدة (قوله أوصله عند من يجعله موصولا) وهو مذهب الكوفيين (قوله أم من يكون عليهم وكيلا) قال العلامة التفتازانى أم فى مثل هذا الموضع أعنى اذا وقع بعدها اسم استفهام تكون بمعنى بل لا متصلة ولا منقطعة قال صاحب المغنى معنى أم المنقطعة الاضراب ثم تكون تارة للاضراب مجردا وتارة تتضمن مع ذلك استفهاما انكاريا أو طلبا فمن الاول نحو قوله تعالى هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور (قوله ولذلك سوى بينهما) أى جعل جزاءهما واحدا وهو فقد احتمل أى جعل جزاء كاسب الخطيئة وهى الصغيرة أو ما لا عمد فيه مع الرمى وكذا جزاء كاسب الاثم وهو الكبيرة أو ما يكون عمدا مع الرمى واحدا مع ان كسب الصغيرة أو ما لا عمد فيه ليس ككسب الكبيرة أو ما فيه عمد البهتان وانما جعل كذلك لانه وان لم يقترف الاثم المبين بالاستقلال لكنه اقترفه فى ضمن الرمى لانه متضمن لابراء النفس الخاطئة (قوله وجمعه للتعظيم أوله ولامثله) هكذا وقع فى كثير من النسخ والظاهر ان المراد من جمع الضمير جمعه فى مثل هذا الموضع كما فى قوله ولولا فضل الله عليكم و رحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا يكون بما ذكر كما قال فى تفسير سورة هود فى قوله فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله ان جمع الضمير فى قوله لكم اما لتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم أوله وللمؤمنين أيضا لانهم كانوا يجادلونهم وكان أمر الرسول يتناولهم من حيث انه يجب عليهم

أتباعه فى كل امر الاماخصه الدليل والاصح ماوقع فى كثير أيضا ان المعنى ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ماهممت عليه والضمير للرسول (قوله وليس القصد فيه الى نفى الهم الخ) اذ من الظاهر ان الهم المذكور حاصل للطائفة المذكورة فيكون المعنى لهمت طائفة منهم هماموثرا (قوله اذ الافضل أعظم من النبوة) يدل على ان النبوة أعظم من الرسالة والامر كذلك على ماصرح به العلماء ولا يلزم منه تفضيل النبى على الرسول لان (١١٦) كل رسول نبى عندالجمهور وههنا كلام فصلناه فى الحواشى التى كتبناها على شرح المواقف (قوله كل مايستحسنه الشرع ولاينكره العقل) لاحاجة الى ماذكره آخرا فان كل مايستحسنه الشرع لابد ان لاينكره العقل (قوله وان من فعل خيرا الخ) اعلم ان ظاهر قوله تعالى ومن يفعل ذلك الآية يدل على ان من فعل خيرا لمحض وجه الله تعالى لايدخل فيه رياء وسمعة كان له أجر عظيم وهذا لاينفى ان يكون اذا كان الخير لله مع شوب من الرياء أن لايكون له أجر مطلقا اذ الآية تنفى الاجر المقيد بالعظم ولاتنفى الاجر مطلقا ثم ان هذه المسئلة وهى ان يكون العمل لله ولغيره للعلماء فيها اختلاف فقال الامام حجة الاسلام اذا غلب جهة الله تعالى على الرياء كان الفاعل مثابا وقال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام من كبار العلماء الرياء بأى وجه كان محبط للعمل قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين قال الامام النووى فى شرح صحيح مسلم العمومات الواردة فى فضل الجهاد عند اتمامها لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصا وكذا الثناء على العلماء والمتقين فى وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك مخلصا (قوله ونخل بينه وبين ماختاره) هذا من كلمات المعتزلة ولذا أورده صاحب الكشاف فى كثير من المواضع لكن المناسب لمذهب أهل السنة ماذكره أولا (قوله كرره الله تعالى للتأكيد الخ) أى ذكر الله تعالى سابقا ان الله لايغفران يشرك به فذكره ههنا للتأكيد أو لقصة طلحة وارتداده والظاهر هذا الوجه لان مجرد التأكيد لايخصص ذكره بهذا المقام

بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفى همهم بل الى نفى تأثيره فيه (وما يضلون الا أنفسهم) لانه ماأزلك عن الحق وعادو باله عليهم (ومايضرونك من شئ) فان الله سبحانه وتعالى عصمك وماخطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الأمر لامیلا فى الحكم ومن شئ فى موضع النصب على المصدر أى شيأ من الضرر (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم) من خفيات الأمور أومن أمور الدين والاحكام (وكان فضل الله عليك عظيما) اذلا فضل أعظم من النبوة (لاخير فى كثير من نجواهم) من متناجيهم كقوله تعالى واذهم نجوى أو من تناجيهم فقوله (الا من أمر بصدقة أو معروف) على حذف مضاف أى الانجوى من أمر أوعلى الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففى نجواه الخير والمعروف كل مايستحسنه الشرع ولاينكره العقل وفسرهنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائرما فسر به (أو اصلاح بين الناس) أو اصلاح ذات البين (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما) بنى الكلام على الامر وترتب الجزاء على الفعل ليدل على أنه لما دخل الآمر فى زمرة الخيرين كان الفاعل أدخل فيهم وأن العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله سبحانه وتعالى لان الاعمال بالنيات وأن كل من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله أجرا و وصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة مافات فى جنبه من أعراض الدنيا وقرأ حمزة وأبو عمر ويؤتيه بالياء (ومن يشاقق الرسول) يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين فى شق غير شق الآخر (من بعد ماتبين له الهدى) ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات (ويتبع غير سبيل المؤمنين) غير ماهم عليه من اعتقاد أوعمل (نوله ماتولى) نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخل بينه وبين ماختاره (ونصله جهنم) وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه (وساءت مصيرا) جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه سبحانه وتعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما أو أحدهما أو الجمع بينهما والثانى باطل اذ يقبح أن يقال من شرب الخمر وأكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها أولم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه فى مرصاد الافهام الى مبادئ الاحكام (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) كرره للتأكيد أولقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انى شيخ مهنمك فى الذنوب الا أنى لم أشرك بالله شيأ منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصى جرأة وماتوهمت طرفة عين أنى أعجز الله هربا وانى لنادم تائب فما ترى حالى

(قوله فان الشرك أعظم أنواع الضلالة الخ) لك ان تقول نفي الصانع تعالى كما هو رأى المعطلة أعظم من الشرك والظاهر انه لا يحتاج الى ما ذكرنا للدعوى المذكورة اذ من البين ان الشرك ضلال عظيم (قوله واتماذ كر في الآية الاولى الخ) أي ذكر سبحانه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما وذكر في تلك الآية الافتراء (قوله وذلك اما لتأنيث أسمائها) فيه ان لبعض أسماء الاصنام علامة التأنيث دون البعض الآخر عن ابن عباس قال صارت الاوثان التي كانت بعد قوم نوح في العرب اما ود وكانت بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبني غطيف وهذا لم يذكر صاحب الكشاف هذا الوجه الا ان يقال المراد من الداعين الذين يعبدون اللات ومناة والعزى ثم ان تأنيث العزى ومناة ظاهر واما تأنيث اللات فلانها كما قاله المصنف في تفسير سورة النجم فعله من لوى لانهم كانوا يلون عليها (قوله وماذ كر فان يسمن فانثى الخ) هذا لغز والمعنى ماذ كر اذا سمن وكبر صار أنثى ويكون شديد اللزام واللصوق بشئ وليس له أضراس (قوله كرباب) وهذا التشبيه ليس بجيد فانه يقتضي أن يكون الرباب بكسر الراء كالاناث لكن في الصحاح أنه بضم الراء (قوله وثنا) بالتخفيف وتثقيل الثاء وسكونها كالاسد يجمع على أسد بضم السين وعلى أسد بسكونها (قوله وأنثابهما الخ) قرئ اثنابقلب الواو همزة مع تخفيف الثاء المثلثة وسكونها (قوله واشارة الى تحريم كل ما أحل) أي ليس المقصود من ذلك آذان الانعام مجرد تحريمها بل تحريمها وتحريم غيرها (قوله ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل أو بالقوة) المراد من الكامل بالقوة ما يكون مستعدا وقابلا للكمال لكن لم يصل اليه بعد ونقصه عبارة عن ازالة قابليته كالخصاء للعبد فان العبد الصبي صالح لان يصير رجلا كامل القوة من غير نقص يعترض من الخصاء فمن فعل به الخصاء فقد أزال استعداده وكتغير فطرة الصبي وتحبيب الكفر اليه فانه نقص يعرض لمن يستعد للكمال وهو الاسلام

عند الله سبحانه وتعالى فتزلت (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق فان الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة واتماذ كر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة أهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله سبحانه وتعالى (ان يدعون من دونه الا اناثا) يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه و يسمونه أنثى بني فلان وذلك اما لتأنيث أسمائها كما قال

وما ذكر فان يسمن فانثى * شديد الازم ليس له ضروس

فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فاذا كبر سمي حلمة أو لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها أو لعله سبحانه وتعالى ذكر ها بهذا الاسم تنبيها على أنهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود أن يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى وهو جمع أنثى كرباب ورب وقرئ أنثى على التوحيد وأنثا على أنه جمع أنيث كخبث وخبيث و وثنا بالتخفيف ووثنا بالتثقيل وهو جمع وثن كأسد وأسد وأسد وأنثا وأنثابهما على قلب الواو لضمها همزة (وان يدعون) وان يعبدون بعبادتها (الا شيطانا مريدا) لانه الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها فكأن طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير وأصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام أمرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها (لعنه الله) صفة ثانية للشيطان (وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) عطف عليه أي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه وتعالى أولا على أن الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختيار يا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغي أن يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي أفظع الضلال لثلاثة أوجه الاول أنه مريد منهمك في الضلال لا يعاق بشئ من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني أنه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن أو الثالث أنه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع أي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء (ولأضلنهم) عن الحق (ولأمنينهم) الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب (ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام) يشقونها لتحريم ما أحل الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما أحل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل أو القوة (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) عن وجهه وصورته وصفته ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة

(قوله والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا أو أتاه فعلا) يعني يحتمل قوله تعالى أن يكون حكاية عن قول الشيطان بأن تكلم بالجمل المذكورة ويحتمل أن يكون حكاية عن فعل الشيطان فجعلها تحت القول على المجاز والعلامة ان من يريد يفعل شيأ قرر مع نفسه وخاطبها فالشيطان اذا أراد الافعال قال مع نفسه لاضلنهم ثم فعل الاضلال ولهذا قال المحققون منهم الشريف العلامة تبعا لابن سينا ان المتفكر يناجي نفسه ويحاورها بان

المعاني لاتتصور الامع تخيل الالفاظ بازائها مقدمة وانما خص ماذكر بالجمل الاربع لأضلنهم الخ لوم يدخل لاتخذن من عبادك في الحكم لان لاتخذن مجمل تفصيله الجمل الاربع (قوله عنها) حال والمعنى لايجدون محيصا بالبعد عنها (قوله فان جعل مصدرا فلا يعمل فيما قبله) عدم عمل المصدر فيما قبله هو المشهور بين النحاة لكن الرضى قال وأنا لأرى منعا من تقدم معموله عليه اذا كان ظرفا أوشبهه قال تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة (قوله وحق على انه حال من المصدر) على تقدير ماذكر يكون المصدر وهو وعد الله مفعولا مطلقا وعامله يدخلهم بمعنى يعدهم الدخول فكيف يكون حالا والحال لايكون الاعن الفاعل والمفعول به ولم يذكره صاحب الكشاف وتوجيهه كلامه أن يجعل حالا من الادخال الذي هو المصدر المقدر وهو مفعول به فتأمل (قوله جملة مؤكدة) بسبب انها أثبتت صدقه ونفت أصدقية غيره بل أثبتت أصدقيته تعالى

الشمس والقمر وتغيير فطرة الله تعالى التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لايعود على النفس كمالا ولا يوجب لهما من الله سبحانه وتعالى زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة وحكاية عما ذكره الشيطان نطقا أو أتاه فعلا (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) بإشاره مايدعو اليه على ما أمر الله به ومجاوزته عن طاعة الله سبحانه وتعالى الى طاعته (فقد خسر خسرانا مبينا) اذ ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكان من النار (يعدهم) مالا ينجزه (ويمنيهم) مالا ينالون (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة أو بلسان أوليائه (أولئك مأواهم جهنم ولايجدون عنها محيصا) معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل أيضا فيما قبله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا) أي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة لاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز أن ينصب الموصول بفعل يفسره مابعده وعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم اياه ثم وحقا على انه حال من المصدر (ومن أصدق من الله قيلا) جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب) أي ليس ماوعد الله من الثواب ينال بامانيكم أيها المسلمون ولا بامانى أهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ماوقر في القلب وصدقه العمل روى أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نحن أولى منكم بنبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين وبدل عليه تقدم ذكرهم أي ليس الامر بامانى المشركين وهو قولهم لاجنة ولانار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا ولا أماني أهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودة ثم قرر ذلك وقال (من يعمل سوأ يجز به) عاجلا أو آجلا لما روى انها لما نزلت قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه فمن ينجو مع هذا يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أما تحزن امامرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يارسول الله قال هو ذاك (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه (ومن يعمل من الصالحات) بعضها أو شيأ منها فان كل أحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها (من ذكر أو أنثى) في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان أو من الصالحات أي كائنة من ذكر أو أنثى ومن

كما حققنا قبل (قوله فمن ينجو مع هذا يارسول الله الخ) حمل الصديق رضي الله عنه قوله تعالى على ان من عمل سوأ يجز به يوم القيامة ويعذب به فلذا قال فمن ينجو من عذاب الله يوم القيامة فاجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه ليس المراد من الجزاء مازعمت بل الجزاء أعم من المصائب الدنيوية والاخروية فقول النبي صلى الله عليه وسلم في جواب الصديق يدل على ان الجزاء أعم من أن يكون عاجلا أو آجلا في الآخرة (قوله في موضع الحال من المستكن في يعمل الخ) فالمعنى ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى

(قوله ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب) أى لاجل ان عدم نقص الثواب دال على عدم زيادة العقاب اقتصر على ذكره عقيب الثواب ولم يلتفت الى عدم زيادة العقاب فى الآية السابقة لان الاول دال على الثانى (قوله تنبيه على ان ذلك منتهى ماتبلغه القوة البشرية) فيه ان العلم بانه لارب سوى الله تعالى وهو التوحيد وعمل الصالحات وترك السيئات واتباع الملة الحنيفية أمر مشترك بين المؤمنين الموقنين وراء مراتب أخرى فى معرفة الله بسبب القابلية والارادة الالهية فكيف يقال ان التوحيد منتهى ماتبلغه القوة البشرية نعم لو كان المراد من اسلام الوجه هو الفناء فى التوحيد بان يقطع النظر عن غير الله لكان لما قاله وجه (قوله تشبه بكرامة الخليل عند خليله) يفهم أن اطلاق خليل الله على ابراهيم ليس حقيقة لغوية بل بالمجاز بالوجه المذكور ولذا صرح صاحب الكشاف بانه مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله ولك أن تقول قوله من الخلة يفيد ان من معانى الخليل من يوافق الآخر فى الخصائل والاخلاق وابراهيم عليه السلام تخلق باخلاق الله تعالى بل هذا شأن الاكابر كما ورد تخلقوا باخلاق الله فلم لايجوز أن يكون الخليل المطلق على ابراهيم عليه السلام بهذا المعنى حتى يكون حقيقة قال العلامة النيسابورى قيل الخليل هو الذى يوافقك فى أخلاقك وقال صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله فلما بلغ ابراهيم مبلغا بلغه من تقدم فلا جرم استحق اسم الخليل والجواب أن الخليل حقيقته المحبوب وهو من تميل النفس اليه لكمال ادراك فيه ومحال أن يكون الله تعالى محبا لشئ حقيقة بالمعنى المذكور فلابد من التأويل والامور المذكورة بيان ماأخذ هذه الكلمة أى الخليل فتأمل (قوله والجملة استئناف جىء بها للترغيب الخ) أى الواو فى واتخذ ليست للعطف اذ ليس مايحسن عطف هذه الجملة عليه اما عطفه على اتبع فلفساد المعنى لان اتبع عطف على أسلم فهو صلة من وأما عطفه على من أحسن دينا فلعدم الجهة الجامعة التى تصحح العطف فتكون جملة مستقلة مستأنفة برأسها كقوله ويعلمكم الله بعد قوله واتقوا الله ونحو ونقر فى الارحام مانشاء بالرفع بعد قوله لنبين لكم (قوله الازمة) القحط

ومن للابتداء (وهو مؤمن) حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لااعتداد به دونه فيه (فاولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا) بنقص شئ من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى أن لايزاد عقاب العاصى لان المجازى أرحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر يدخلون الجنة هنا وفى غافر ومريم بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله) أخلص نفسه لله لايعرف لها رب سواه وقيل بذل وجهه له فى السجود وفى هذا الاستفهام تنبيه على أن ذلك منتهى ماتبلغه القوة البشرية (وهو محسن) آت بالحسنات تارك للسيآت (واتبع ملة ابراهيم) الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها (حنيفا) مائلا عن سائر الأديان وهو حال من المتبع أو من الملة أو ابراهيم (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما أعاد ذكره ولم يضمر تفخيما لشأنه وتنصيصا على أنه الممدوح والخلة من الخلال فانه ودتخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر أو من الخل وهو الطريق فى الرمل فانهما يتوافقان فى الطريقة أو من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان فى الخصال والجملة استئناف جىء بها للترغيب فى اتباع ملته صلى الله عليه وسلم والايذان بانه نهاية فى الحسن وغاية كمال البشر روى أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث الى خليل له بمصر فى أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فأومنها الغرائر حمراء من الناس فلما أخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فأخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم هذا فقالت من خليلك المصرى فقال بل هو من عند خليلى الله عز وجل فسماه الله خليلا (ولله مافى السموات ومافى الارض) خلقا وملكا يختار منهما من شاء ومايشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقررا لوجوب طاعته على أهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال (وكان الله بكل شئ محيطا) احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها (ويستفتونك فى النساء) فى ميراثهن اذ سبب نزوله أن عيينة بن حصن أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أخبرنا انك تعطى الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلاة والسلام كذلك أمرت (قل الله يفتيكم فيهن) يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم (وما يتلى

(قوله لاختلاله لفظا ومعنى) اما لفظا فلانه عطف على الضمير المجرور من غير اعادة الخافض واما معنى فلان الافتاء فى حكم النساء وميراثهن فلو عطف مايتلى على الضمير يكون المعنى فى حكم مايتلى عليكم وهذا فاسد (قوله والافبدل من فيهن) أى بدل البعض لكنه لايناسب ماسبق لان ماسبق فى حكم ميراث النساء لاخصوص اليتامى منهن والجواب أن يقال لما ورث يتامى النساء مع قوة صعفهن عن الجهاد المانع عن الميراث بزعم الجاهلية فغيرهما من النساء أولى بالميراث فتأمل (قوله أوضمير المستكن) فيه انه يصير المعنى حينئذ قل الله يفتيكم مايتلى عليكم فى الكتاب فلزم خلو الجملة الخبرية عن ضمير المبتدأ وهو مستلزم لعدم الربط الا أن يتكلف فيقدر شئ بان يقال مايتلى عليكم فى الكتاب النازل (١٢٠) من عنده وهذا التكلف لم يذكره صاحب الكشاف بل اقتصر على ان مايتلى عليكم فى الكتاب عطف على اسم الله تعالى أوضميره المستكن فى يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله سبحانه وتعالى والى مافى القرآن من قوله تعالى يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين مختلفين باعتبارين مختلفين ونظيره أعذانى زيد وعطاؤه أو استئناف معترض لتعظيم المتلوعليهم على أن مايتلى عليكم مبتدأ وفى الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز أن ينصب على معنى و يبين لكم مايتلى عليكم أو يخفض على القسم كأنه قيل وأقسم بما يتلى عليكم فى الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور فى فيهن لاختلاله لفظا ومعنى (فى يتامى النساء) صلة يتلى ان عطف الموصول على ماقبله أى يتلى عليكم فى شأنهن والابدل من فيهن أوصلة أخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم فى زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشئ الى جنسه وقرئ يتامى بياء بين على أنه أيامى فقلبت همزته ياء (اللاتى لاتؤتونهن ما كتب لهن) أى فرض لهن من الميراث (وترغبون أن تنكحوهن) فى أن تنكحوهن أوعن أن تنكحوهن فان أولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات وياكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا فى ميراثهن والواو تحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لايلزم من الرغبة فى نكاحها جريان العقد فى صغرها (والمستضعفين من الولدان) عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لايورثون النساء (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) أيضا عطف عليه أى و يفتيكم أومايتلى فى أن تقوموا واهذا اذا جعلت فى يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن و يجوز أن ينصب وأن تقوموا باضمار فعل أى و يأمركم أن تقوموا وهو خطاب للائمة فى أن ينظر والهم و يستوفوا حقوقهم أو للقوام بالنصفة فى شأنهم (وماتفعلوا من خير فان الله كان به عليما) وعدلن آثر الخير فى ذلك (وان امرأة خافت من بعلها) توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر (نشوزا) تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها (أواعراضا) بان يقل مجالستها ومحادثتها (فلاجناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا) أن يتصالحا بان تحط له بعض المهر أوالقسم أوتهب له شيأ تستميله به وقرأ الكوفيون أن يصلحا من أصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز أن ينتصب صلحا على المفعول به و بينهما ظرف أوحال منه أوعلى المصدر كالقراءة الاولى والمفعول بينهما أوهو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح (والصلح خير) من الفرقة أوسوء العشرة أومن الخصومة

عليكم فى الكتاب عطف على اسم الله تعالى أوضميره المستكن فى يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله سبحانه وتعالى والى مافى القرآن من قوله تعالى يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين مختلفين باعتبارين مختلفين ونظيره أعذانى زيد وعطاؤه أو استئناف معترض لتعظيم المتلوعليهم على أن مايتلى عليكم مبتدأ وفى الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز أن ينصب على معنى و يبين لكم مايتلى عليكم أو يخفض على القسم كأنه قيل وأقسم بما يتلى عليكم فى الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور فى فيهن لاختلاله لفظا ومعنى (فى يتامى النساء) صلة يتلى ان عطف الموصول على ماقبله أى يتلى عليكم فى شأنهن والابدل من فيهن أوصلة أخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم فى زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشئ الى جنسه وقرئ يتامى بياء بين على أنه أيامى فقلبت همزته ياء (اللاتى لاتؤتونهن ما كتب لهن) أى فرض لهن من الميراث (وترغبون أن تنكحوهن) فى أن تنكحوهن أوعن أن تنكحوهن فان أولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات وياكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا فى ميراثهن والواو تحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لايلزم من الرغبة فى نكاحها جريان العقد فى صغرها (والمستضعفين من الولدان) عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لايورثون النساء (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) أيضا عطف عليه أى و يفتيكم أومايتلى فى أن تقوموا واهذا اذا جعلت فى يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن و يجوز أن ينصب وأن تقوموا باضمار فعل أى و يأمركم أن تقوموا وهو خطاب للائمة فى أن ينظر والهم و يستوفوا حقوقهم أو للقوام بالنصفة فى شأنهم (وماتفعلوا من خير فان الله كان به عليما) وعدلن آثر الخير فى ذلك (وان امرأة خافت من بعلها) توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر (نشوزا) تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها (أواعراضا) بان يقل مجالستها ومحادثتها (فلاجناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا) أن يتصالحا بان تحط له بعض المهر أوالقسم أوتهب له شيأ تستميله به وقرأ الكوفيون أن يصلحا من أصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز أن ينتصب صلحا على المفعول به و بينهما ظرف أوحال منه أوعلى المصدر كالقراءة الاولى والمفعول بينهما أوهو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح (والصلح خير) من الفرقة أوسوء العشرة أومن الخصومة

(قوله أوعن أن تنكحوهن) يعنى يمكن أن لايقدر عن فيكون المعنى ترغبون فى نكاحهن أو يقدر عن والمعنى النفرة عن نكاحهن وماذكر مشير الى كل من المعنيين (قوله والعرب ما كانوا يورثونهم) لانهم كانوا يورثون من يشهد القتال و يحوز الغنيمة كما مر والمستضعفون من الولدان كذلك (قوله وان جعلته بدلا فالوجه نصبهما الخ) أى لايصح عطفها على يتامى النساء على تقدير ان يكون بدلا من فيهن اذ يلزم من العطف ان يكون ان تقوموا لليتامى بدلا أيضا من فيهن ولكن لو كان بدلا لكان بدل الخصومة غلط ولزم ترك بيان المقصود لان المقصود بيان ميراث النساء والقيام لليتامى بالقسط شئ آخر (قوله من أصلح بين المتنازعين الخ) لايخفى أن معنى اصلح بين المتنازعين أوقع الصلح بينهما فيلزم ان يكون لفظ الصلح بعده تكرارا لايقال ان أصلح بمعنى أوقع لان قوله من أصلح بين المتنازعين يأباه (قوله أوعلى المصدر) فيكون الصلح بمعنى الاصلاح (قوله والمفعول بينهما) أى بينهما هو المفعول أوهو محذوف والمعنى ان يصلحا أحدهما (قوله والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة أومن الخصومة) فيه انه لاخير فى الفرقة وسوء العشرة ولا فى الخصومة المذكورة و يمكن ان يقال اطلاق الخير بمعنى التفضل بناء على التقدير أى لو كانت الخصومة أمرا

محمودا لكان أصلح خيرا وأحمد منه قال الرضى اذا قلت أنت أعلم من الجماد فكأنك قلت ان أمكن ان يكون للجماد علم فانت أعلم منه وههنا كلام وهو انه لما كان الصلح خيرا والتنازع شرا فلم لم يقل أولا فليصلحا بينهما صلحا والجواب انه لمزيد الاهتمام فانه أثبت أولا ان الاضرر في الصلح ثم أثبت انه هو الخير لا غيره (قوله ولذلك اغتفر عدم مجانستهما) أي لما كان قوله تعالى والصلح خير وقوله تعالى وأحضرت الأنفس الشح جملتين محكمتين معترضتين لم يعتبر (١٢١) فيهما التجانس وعلم منه ان احداهما

الخصومة ولا يجوز أن يراد به التفضيل بل بيان أنه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله (وأحضرت الانفس الشح) ولذلك اغتفر عدم مجانستهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها وأحب غيرها (وان تحسنوا) في العشرة (وتتقوا) النشوز والاعراض ونقص الحق (فان الله كان بما تعملون) من الاحسان والخصومة (خبيرا) عالما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه أقام كونه عالما بأعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب (وان تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) لان العدل أن لا يقع ميل ألبتة وهو متعذر فلذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك (ولو حرصتم) أي على تحري ذلك والاهتمام فيه (فلا تميلوا كل الميل) بترك الاستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله (فتذروها كالمعلقة) التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل (وان تصلحوا) ما كنتم تفسدون من أمورهن (وتتقوا) فيما يستقبل من الزمان (فان الله كان غفورا رحيما) يغفر لكم ما مضى من ميلكم (وان يتفرقا) وقرئ وان يتفارقا أي وان يفارق كل منهما صاحبه (يغن الله كلا) منهما عن الآخر ببدل أو سلوة (من سعته) غناه وقدرته (وكان الله واسعا حكيما) مقتدرا متقنا في أفعاله وأحكامه (ولله ما في السموات وما في الارض) تنبيه على كمال سعته وقدرته (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا أو بأوتوا ومساق الآية لتأكيد الأمر بالاخلاص (واياكم) عطف على الذين (أن اتقوا الله) بان اتقوا الله ويجوز أن تكون أن مفسرة لان التوصية في معنى القول (وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الأرض) على ارادة القول أي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله (وكان الله غنيا) عن الخلق وعبادتهم (حميدا) في ذاته حمد أو لم يحمد (ولله ما في السموات وما في الارض) ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما أفاض عليها من الوجود وأنواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا (وكفى بالله وكيلا) راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما ومابينهما تقرير لذلك (ان يشأ يذهبكم أيها

غير معطوفة على الأخرى لان الواو في كل منهما اعتراضية اذ لو كانت الثانية معطوفة على الاولى لوجب التجانس والتناسب (قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا الخ) لك ان تقول الصلح فرع النزاع لكن المذكور في الآية خوفه لا نفسه فالمراد من الصلح المذكور ههنا رفع مخافة النزاع (قوله وهو متعذر الخ) اذا كان العدل متعذرا أي محالا كما ذكره صاحب الكشاف فكيف عدل الرسول صلى الله عليه وسلم وان أراد انه متعذر من غيره فلا يربط به قوله ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ ويمكن ان يقال المراد من قوله فيعدل انه عدل في القسم والبيتوتة لهن (قوله ببدل أو سلوة) بان يحصل للزوج زوجة أخرى وللزوجة زوج آخر وسلوة أي تسل من غير ما ذكر وليس المراد

(١٦ - (بيضاوى) - ثانى) من الغنى سعة الرزق حتى يرد انه يفهم من الكلام المذكور انه لو لم يتفرقا لم يوسع الرزق عليهم (قوله لتأكيد الامر بالاخلاص) فان قيل يفهم انه ذكر سابقا الامر بالاخلاص حتى تكون هذه الآية مؤكدة له قلنا قد سبق في آيات في قوله ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله فانه يتضمن الامر بالاخلاص (قوله ويجوز ان تكون مفسرة الخ) وقد مر منا البحث في مثله (قوله تدل بحاجتها على غناه) لانه لما كان كل واحد من المخلوقات محتاجا اليه وجب غناه تعالى اذ لو كان محتاجا أيضا لزم الدور (قوله راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته) ومابينهما تقرير لذلك فان قلت تقرير يغن يدل على مرجو فما وجه تعالى وبئس

مافى السموات ومافى الارض ظاهر واما البعض الآخر فلا يظهر تقريره له وهو قوله تعالى ولقد وصينا الخ فلنا يفهم من اختصاص التقوى به تعالى انه الرزاق لاغيره اذ لو كان شخص آخر رزاقا لوجب رعايته وتقواه فلما كان هو الرزاق لجميع الخلائق لاغيره كان كافيا فى الاعتماد عليه فى الرزق (قوله فليطلبهما) يفهم من كلامه انه اذا طلب بالعبادة الامر الأخروى والدنيوى معا يفوز بهما كالمجاهد يجاهد للثواب والغنيمة وفيه اختلاف بين العلماء فقال الامام حجة الاسلام اذا أشرك فى العبادة غير وجه الله تعالى فالاعتبار الى غلبة الباعث فان كان وجه الله أغلب كان مثابا والافلا وقال ابن عبد السلام انه لا أجر فيها فيه شرك وقصد غير وجه الله بوجه من الوجوه سواء تساوى القصدان أو اختلفا والآيات والأحاديث دالة على هذه قال أبو هريرة كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول لمن أشرك فى عمله خذ أجرك ممن عملت له وروى عباد ان الله عز وجل يقول فى الكلمات القدسية

أنا أغنى الاغنياء عن الشرك من عمل لى عملا فأشرك معى غيرى ودعت نصيبى لشريكى وفى هذا المعنى أحاديث أخر بالجملة المختار هو التقرير الثانى اذ لا اختلاف فيه بين العلماء (قوله عارفا بالاغراض الخ) الأولى ان يقال معنى ثواب الدنيا أعم من ان يكون أراد به دعائه أو يفعل لطلب ذلك الثواب وحينئذ يقول معنى سميعا سميعا للدعوات ومعنى بصيرا بصيرا بأفعال العباد الدالة على مطالبهم فيجزيهم على حسب أغراضهم ومطالبهم وهو علة الجواب وهو فلا تتبعوا الخ (قوله فليطلبهما) أى لمن كان الضمير راجعا الى المذكور وهو أحد الجنسين لوجب توحيد الضمير لان المرجع واحد وهو أحد الجنسين ولا يخفى ان ماذكر وجه صحة تثنية الضمير واما وجه العدول عن الظاهر الذى هو التوحيد فهو ان فى الافراد وهم أن الحكم متعلق أحدهما دون الآخر (قوله و يشهد عليه) لان ضمير الجمع لا يرجع الى الواحد أصلا وقد يرجع الى المثنى بالتوسع كما ان القلوب وهو صيغة الجمع مستعمل بمعنى التثنية فى قد صغت قلوبكما (قوله لان تعدلوا عن الحق الخ) صلة تعدلوا فيكون تعدلوا من العدول لا من العدل وهذه على تقدير ان يكون ان تعدلوا علة للنهى الذى هو الاتباع فى هذه العبارة (قوله تعالى وان تلووا أو تعرضوا) لم يوضح المصنف حق التوضيح ولا صاحب الكشاف ولا البيضاوى ولا أبو حيان الفرق بين اللى والاعراض والظاهر ان المراد من اللى ههنا أداء الشهادة على غير وجهها الذى تستحق الشهادة ان يكون عليه ومن الاعراض ان لا يقوم بها أصلا بوجه

الناس) يفسكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب (ويأت بآخرين) و يوجد قوما آخرين مكانكم أو خلقا آخرين مكان الانس (وكان الله على ذلك) من الاعدام والايجاد (قديرا) بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا أيضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف أمره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم كما روى أنه لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يجاهد للغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فما له يطلب أخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة أو ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله سبحانه وتعالى لم تخطئه الغنيمة وله فى الآخرة ما هى فى جنبه كلا شئ أو فعند الله ثواب الدارين فيعطى كلا ما يريده كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزده فى حرثه الآية (وكان الله سميعا بصيرا) عارفا بالاغراض فيجازى كلا بحسب قصده (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مواظبين على العدل مجتهدين فى اقامته (شهداء لله) بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله سبحانه وتعالى وهو خبر ثان أو حال (ولو على أنفسكم) ولو كانت الشهادة على أنفسكم بان تقروا عليها بالان الشهادة بيان للحق سواء كان عليه أو على غيره (أو الوالدين والاقربين) ولو على والديكم وأقاربكم (ان يكن) أى المشهود عليه أو كل واحد منه ومن المشهود له (غنيا أو فقيرا) فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة لأولا تجوروا فيها ميلا أو ترحما (فالله أولى بهما) بالغنى والفقير و بالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما أو لهما صالحا لما شرعها وهو علة الجواب أقيمت مقامه والضمير فى بهما راجع للمادل عليه المذكور وهو جنسا الغنى والفقير لا اليه والا لوحد و يشهد عليه أنه قرئ فالله أولى بهم (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) لان تعدلوا عن الحق أو كراهة أن تعدلوا من العدل (وان تلووا) ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل قرأه نافع وابن كثير وأبو بكر وأبو عمر وعاصم والكسائى بسكون اللام و بعدها واو الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا بعنى وان وليتم اقامة الشهادة فأديتموها (أو تعرضوا) عن أدائها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم عليه (يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمسلمين أو للمنافقين أو لمؤمنى أهل الكتاب

(قوله أثبتوا على الايمان الخ) فاثبتوا على تقدير ان يكون الخطاب للمسلمين وقوله أو آمنوا به يقلو بكم على تقدير ان يكون الخطاب للمنافقين وقوله آمنوا اما ما عاما على تقدير ان يكون الخطاب المؤمنى أهل الكتاب (قوله ومن يكفر بشئ من ذلك) يعنى لا يتوهم من ظاهر هذه العبارة ان الضلال البعيد هو الكفر بمجموع ماذكر بل الضلال البعيد هو الكفر بواحد منها فظاهر ان يقال الواو ههنا بمعنى أو بدلائل دلة على ان الكفر بكل واحد من الأمور المذكورة موجب للضلال البعيد واما ما قال العلامة التفتازانى من انه يجعل الواو بمعناها الحقيقى والحكم بالامور المتعاطفة قد يرجع الى كل واحد منها وقد يرجع الى المجموع والتعويل على القرائن فعليه انه اذا كان الحكم راجعا الى كل واحد كان خلاف الظاهر جدا من قبيل ان يقول القائل جاء فى زيد وعمرو وبكر ويقصد أن الجائى أحدهم

اذ روى أن ابن سلام وأصحابه قالوا يارسول الله نا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزيز ونكفر بما سواه فنزلت (آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل) اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه أو آمنوا به يقلو بكم كما آمنتم بألسنتكم أو آمنوا ايمانا خاليا عن الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثانى الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذى نزل والذى أنزل بفتح النون والهمزة والزاى والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاى (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) أى ومن يكفر بشئ من ذلك (فقد ضل ضلالا بعيدا) عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه (ان الذين آمنوا) يعنى اليهود آمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام (ثم كفروا) حين عبدوا العجل (ثم آمنوا) بعد عوده اليهم (ثم كفروا) بعيسى عليه الصلاة والسلام (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم أو قوما منكرر منهم الارتداد ثم أصروا على الكفر وازدادوا تماديا فى العى (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) اذ يستبعد منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لأنهم لو أخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان فى أمثال ذلك محذوف تعانى به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم (بشر المنافقين بان لهم عذابا أليما) يدل على أن لآية فى المنافقين وهم قد آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وفسادا لامر على المؤمنين ووضع بشر مكان أنذرتهم بهم (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) فى محل النصب أو الرفع على الذم بمعنى أريد الذين أو هم الذين (أيبتغون عندهم العزة) أيتعززون بموالاتهم (فان العزة لله جميعا) لا يتعزز الا من أعزه الله وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا يؤ به بعزة غيرهم بالاضافة اليهم (وقد نزل عليكم فى الكتاب) يعنى القرآن وقرأ عاصم نزل وقرأ الباقون نزل على البناء للفعول والقائم مقام فاعله (أن اذا سمعتم آيات الله) وهى المخففة والمعنى أنه اذا سمعتم (يكفر بها و يستهزأ بها) حالان من لآيات جىء بهما لتقييد النهى عن المجالسة فى قوله (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) الذى هو جزاء الشرط بما اذا كان من مجالسه هازئا معاندا غير مرجو يؤ بده الغاية وهذا قد كان نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم الآية والضمير فى معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها و يستهزأ بها

المنافقين (قوله يدل على ان الآية فى المنافقين) اذ لم يعلم صريحا من الآية جزاء من تكرر منه الكفر مع ان المناسب التصريح به للتهديد والتخويف لعظم الجرم فيناسب ان يكون بشر المنافقين الآية تصريحا بجزائهم وهذا يدل على ان لآية فى المنافقين اذ لو لم يكن لم يحصل ماذكرناه من المقصود (قوله ولا يؤ به بعزة غيرهم بالاضافة اليهم) دفع سؤال وهو انه قد تكون العزة أى الغلبة لغير المذكورين بل تكون للكفار فقال ان عزة الكفار ليست بمعتبر بها بالنسبة الى عزة المؤمنين (قوله بما اذا كان من مجالسه) متعلق بقوله لتقييد النهى (قوله غير مرجو) هذا التقييد غير مفهوم من الآية بل المفهوم منها النهى عن مجالسة الهازئ لكافر بالآية فالظاهر ابقاء الآية على ظاهرها كما أبقى المصنف على اطلاقه قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا الآية ولم يقيد بمن لم يكن مرجو الاسلام وليس

هذا موجودا فى الكشاف ولا النيسابورى (قوله وقرئ بالفتح على البناء) فيه ان ما قالوه هو ان يقال اذا أضيف الى ما صدره ما أولا وان يجوز بناؤه على الفتح لكن مثلهم ليس كذلك فالاولى أن يقال انه منصوب بانه خبر تكونون المقدر (قوله حينئذ أوفى الدنيا) أى فى الآخرة أوفى الدنيا (قوله واحتج به أصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم) لان مالكية السيد العبد

حجة له عليه (قوله وهو ضعيف الخ) فان قيل عدم البينونة بمجرد الارتداد يثبت الحجة للكافر على المسلم فيذكر قلنا ممنوع اذ ليس له ان يمنع نكاح المسلم فى حال الارتداد بل المنع انما هو من الشرع وان قيل اذا بقيت الزوجية الى حين يتوقف الوطء و يمنع الى عود الزوج الى الاسلام فلم يحصل التملك و يمنع التصرف الى الاسلام قلنا فى صورة لزوجية أمة معين يمكن انتظاره وهو انقضاء العدة واما فى صورة شراء العبد المسلم فلم يكن أمد يوقف و يمنع التصرف الى حصوله وأيضا لزوجية حاصلة قبل الكفر بخلاف تلك المبيع فانه فى حين الكفر (قوله ليخالوهم مؤمنين) أى فيخيل المنافقون المؤمنين أى يوقعون فى خيال المؤمنين انهم مؤمنون فعلى هذا كان يراؤن بمعنى التفعيل و يحتمل أن يكون للمقابلة بان يرى كل واحد صاحبه مثسيا على ما فصله المصنف

ولك أن تقول معنى يراؤن الناس فيلزم اراءة الناس أعمالهم للمنافقين لا اراءة الناس اياهم

اتريدون

استحسان أعمالهم الا أن يقال ان الاستحسان أيضا عمل (قوله وهو أقل أحواله) أى كون المرائى لا يفعل الا بحضرة مرائيه هو أقل الاحوال (قوله فانهم لا يذكرون فيها الا التكبير والتسليم) حتى يراؤن الناس زمان ابتداء صلاتهم (قوله والمعنى مرددين بين الكفر والايمان) لانهم فى الحقيقة والباطن كافرون وفى الظاهر مؤمنون فمن نظر الى ظاهرهم يحكم بايمانهم ثم اذا وجد فيهم أصل الكفر تردد

(الكم اذا مثلهم) فى الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم أوالكفران رضيتم بذلك أولان الذين يقاعدون الخائضين فى القرآن من الاحبار كانوا منافقين و يدل عليه (ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) يعنى القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر أو للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبنى كقوله تعالى مثل ما أنكم تنطقون (الذين يتربصون بكم) ينتظرون وقوع أمر بكم وهو بدل من الذين يتخذون أو صفة للمنافقين والكافرين أو ذم مرفوع أو منصوب أو مبتدأ خبره (فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم) مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم (وان كان للكافرين نصيب) من الحرب فانها سجال (قالوا ألم نستحوذ عليكم) أى قالوا للكفرة ألم نغلبكم و نتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس أن يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل (ونمنعكم من المؤمنين) بان خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا فى مظاهرتهم فاشركونا فيما أصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على أمر دنيوى سريع الزوال (فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) حينئذ أو فى الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به أصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينافى أن يكون اذا عادا الى الايمان قبل مضى العدة (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) سبق الكلام فيه أول سورة البقرة (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان (يراؤن الناس) ليخالوهم مؤمنين والمرآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم أو للمقابلة فان المرائى يرى من رائيه عمله وهو يريه استحسانه (ولا يذكرون الله الا قليلا) اذ المرائى لا يفعل الا بحضرة من رائيه وهو أقل أحواله أولان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم (مذبذبين بين ذلك) حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون أى يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين أو واو يذكرون أو منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهى جعل الشئ مضطربا وأصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصاصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى أخذوا تارة فى دبة وتارة فى دبة وهى الطريقة (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين أو لا صائرين الى أحد الفريقين بالكلية (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) فانه صنيع المنافقين ودينهم فلا تشبهوا بهم

فى أمرهم (قوله أوسلطان يسلط عليكم عقابه) كما سلط بختنصر على بنى اسرائيل أى سلطانا جائرا يسلط الله عليكم عقاب ذلك السلطان ومحصول الكلام انه يمكن أن يكون السلطان عبارة عن الحجة وأن يكون عبارة عن الشخص له السلطنة (قوله وانما كان كذلك الخ) لنافيه كلام علقناه على قصة المنافقين فى أوائل تفسير سورة البقرة (قوله والتحريك أوجه) قال فى الكشاف الوجه التحريك وقال العلامة التفتازانى لان أفعالا يكون جمع فعل بالتحريك كجمل وأجمال لا بالسكون فانه شاذ ففرق ما بين عبارة الكشاف والمصنف (قوله لان الناظر يدرك النعمة أولا فيشكر شكرا مبهما الخ) فيه نظر فان الشكر هو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لكونه منعما فالشكر لا يكون الا بعد معرفة الشاكر المنعم فما معنى قوله فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به والجواب ان مراده ان الشاكر يعرف أولا المنعم معرفة غير حقيقية (١٢٥) فيشكره ثم يعرفه معرفة كاملة فيؤمن بها يمانا كاملا وتوضيحه ان المراد بالايمان الايمان المعتبر الذى هو اعتقاد اتصاف المنعم بصفاته الكمالية و يمكن أن يقال وجه تقديم الشكر ظهوره أولا قبل ظهور الايمان فان الايمان أمر قلبى خفى لا يظهر الا بافعال الجوارح الدالة على تعظيم المنعم المتعالى وهو الشكر (قوله ان رجلا ضاف قوما) يقال ضفت الرجل ضيافة اذا نزلت عليه ضيفا (قوله فنزلت) رخصة فى ان يشكر كما ذكره العلامة البيضاوى (قوله وقرئ من ظلم على البناء للفاعل الخ) قال صاحب الكشاف يجوز أن يكون من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب الجهر بالسوء من القول الا الظالم على لغة من يقول ما جاءنى زيد الا عمرو والمعنى ما جاءنى الا عمرو وقال العلامة التفتازانى لغة بنى تميم يجوزون فى غير الجنس البدل اما بضرب من التأويل كالتعاون من الانيس واما على جعل المبدل منه بمنزلة غير المذكور حتى يكون الاستثناء مفرغا والنفى عاما الا انه صرح بنفى بعض أفراد العام لزيادة الاهتمام بالنفى عنه أو لكونه مظنة لتوهم الاثبات فيقولون ما جاءنى زيد الا عمرو بمعنى ما جاءنى الا عمرو فكذا هنا المعنى لا يحب الله الجهر بالسوء الا الظالم وذكر الله لزيادة تحقيق نفى هذه القضية عنه فان قيل ما بعد الا حينئذ لا يكون فاعلا وهو ظاهر فيكون بدل غلط قلنا انما يكون بدل غلط لو لم يكن هذا الخاص فى موقع العام ولم يكن المعنى ما جاءنى أحد الا عمرو فان قيل فيكون لفظ الله مجازا عن أحد ولا سبيل الى ذلك قلنا بل يكون لا يحب الله مؤولا بلا يحب أحد فيه وواقعا وقعه من غير تجوز فى لفظ الله انتهى كلامه وفيه نظر لانه اذا كان لا يحب الله بمعنى لا يحب أحد فلا يخلو ان لا يحب مشترك بين العبارتين ومستعمل فى معناه الحقيقى فلا مجاز فيه أصلا فيكون المجاز فى

(أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق أو سلطانا يسلط عليكم عقابه (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) وهو الطبقة التى فى قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم أخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين وأما قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم أنه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهى لغة كالسطر والسطر والتحريك أوجه لانه يجمع على ادراك (ولن تجد لهم نصيرا) يخرجهم منه (الا الذين تابوا) عن النفاق (وأصلحوا) ما أفسدوا من اسرارهم وأحوالهم فى حال النفاق (واعتصموا بالله) وثقوا به أو تمسكوا بدينه (وأخلصوا دينهم لله) لا يريدون بطاعتهم الا وجهه سبحانه وتعالى (فأولئك مع المؤمنين) ومن عدادهم فى الدارين (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) فيساهمونهم فيه (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) أيتشفى به غيظا أو يدفع به ضررا أو يستجلب به نفعا وهو الغنى المتعالى عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كدوء مزاج يؤدى الى مرض فاذا أزاله بالايمان والشكر ونفى نفسه عنه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة أولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به (وكان الله شاكرا) مثيبا يقبل اليسير ويعطى الجزيل (عليما) بحق شكركم وايمانكم (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روى أن رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فمو تب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا أى ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله (وكان الله سميعا) لكلام المظلوم (عليما) بالظالم (ان تبدوا خيرا) طاعة و برا (أو تخفوه) أو تفعلوه سرا (أو تعفوا عن سوء) لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله (فان الله كان عفوا قديرا) أى يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام

لفظ الله فيلزم المحذور الذى فرعنه والجواب انا لانسلم ان لايحب مستعمل فى هذا التركيب فى معنى بل لايقصد به شئ فكان لايحب الله مفرد كزيد ولايحب جزء منه فكما ان جزء زيد لايقصد به معنى فكذلك لايحب الا ان الفرق ان جزء زيد ليس له معنى ولايحب له معنى لكن لايقصد به معنى عدم الحب وان كان مرادا فى هذا التركيب لكن لامن لفظ لايحب بل يقصد بالمجموع المجموع من غير التجوز فى واحد من أجزاء اللفظ فيكون هذا من المجاز المركب الذى كل جزء منه لاحقيقة ولامجاز اذ هما فرع لاستعمال اللفظ ويمكن أن كل جزء لم يستعمل ولم يقصد به معنى فتأمل (قوله فانتم أولى بذلك) أى أنتم أولى بالعفو لضعف قدرتكم بل لعدم قدرتكم على اتصال الشر حقيقة اذ هو انما لله تعالى وأيضا لولم يعف انتقم من الغير يحتمل ان يصير المنتقم منه مصرا على الضرب بل القطع والقتل (قوله تعالى ويريدون ان يفرقوا الخ) لك ان تقول بين هذين الكلامين تناف فكيف يجمع بينهما بالواو بيان

فانتم أولى بذلك وهو حث للمظلوم على العفو بعد مارخص له فى الانتصار حملا على مكارم الاخلاق (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولاواسطة اذ الحق لايختلف فان الايمان بالله سبحانه وتعالى لايتم الا بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا أو اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل فى الضلال كما قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال (أولئك هم الكافرون) هم الكاملون فى الكفر لاعبرة بايمانهم هذا (حقا) مصدر مؤكد لغيره أو صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا أى يقينا محققا (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) أضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على أحد وهو يقتضى متعددا لعمومه من حيث انه وقع فى سياق النفى (أولئك سوف نؤتيهم أجورهم) الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لامحالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب (وكان الله غفورا) لما فرط منهم (رحيما) عليهم بتضعيف حسناتهم (يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء) نزلت فى أحبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوى على ألواح كما كانت التوراة أو كتابا نعاينه حين ينزل أو كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) جواب شرط مقدر أى ان استكبرت ماسألوه منك فقد سألوا موسى عليه السلام أكبر منه وهذا السؤال وان كان من آبائهم أسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ فى ذلك وأن ما اقترحوه عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم (فقالوا أرنا الله جهرة) عيانا أى أرناه نره جهرة أو مجاهرين معاينين له (فاخذتهم الصاعقة) نار جاءت من قبل السماء فاهلكتهم (بظلمهم) بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم مايستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها وذلك لايقتضى امتناع الرؤية مطلقا (ثم اتخذوا العجل من بعد ماجاءتهم البينات) هذه الجناية الثانية التى اقترفها أيضا أوائلهم والبينات المعجزات ولايجوز

التنافى انه فسر التفريق بين الله ورسله بأن يؤمن بالله ويكفر برسله وهذا دال على الكفر بجميع الرسل وقوله نؤمن ببعض ونكفر ببعض صريح فى الايمان ببعضها والكفر ببعض آخر والجواب ان يقال ان التفريق بين الله ورسله يمكن بالتفريق بين الله وكل أحد من رسله وان يكون بالتفريق بينه وبين بعضهم فانه مستلزم للكفر بمجموعهم وهو التفريق بين الله وبين الرسل وحينئذ يكون قوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض تفسيرا للجملة المتقدمة عليه وهكذا نقول ان قوله تعالى ويريدون ان يفرقوا بيان لقوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله فان التفريق هو الكفر بالله ورسله ولذا قال المصنف الكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل

حملها

(قوله هم الكاملون فى الكفر الخ) هذا يستفاد من ضمير الفصل وتعريف المشتق اذ مفهومه انهم كافرون لاغير ولما لم يكن الواقع كذلك علم ان المراد الكمال (قوله وانما دخل بين على أحد) قد سبق تزييف هذا الكلام وتحقيق الحق فيه فليرجع اليه (قوله على تلوين الخطاب) أى على الالتفات من التكلم الى الغيبة (قوله جواب شرط مقدر الخ) لايخفى ان لاربط بين الشرط والجزاء المذكورين بل هو مثل قولك ان تكرمنى فقد أكرمتك أمس ولابد من تقدير شئ آخر والاولى ان يقال التقدير وهذا ليس بعجب منهم فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فتكون الفاء للتعليل قال الرضى قد يكون فاء السببية بمعنى لام السببية اذا كان مابعده سببا لما قبله كقوله أخرج منها فانك رجيم وتقول أكرم زيدا فانه فاضل (قوله لما يستحيل فى تلك الحالة التى كانوا عليها) أى كونهم على ذلك

النحو من التركيب البدنى الضعيف الذى لايطيق الرؤية أوكونهم فى الدنيا ورؤيته تعالى لاتكون الافى الآخرة (قوله ويجوز الى قوله فيظلم) لوكان كذلك لكان الظاهر ان يقال وبظلم حتى يكون الكلام فيما نقضهم وكفرهم وقتلهم الخ وبظلم حرمنا عليهم الخ الا ان يقال فبظلم بدل مما سبق (قوله فيكون من صلاة وقوله الخ) فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع عليها بكفرهم لان طبع الله على هذا التقدير من متعلقات قولهم قلوبنا غلف الذى هو معطوف على المجرور الذى هو نقضهم فلا يعمل فى الجار الذى هو الباء فى فبما نقضهم والالزم اعمال مايتمالى (١٢٧) بالمجرور فى الجار وهو غير صحيح (قوله تعالى بل طبع الله الخ) لك ان تقول ما الفرق بين كون القلوب فى الاكنة كما هو التفسير الثانى وبين كونها مطبوعا عليها حتى يضرب عن الاول الى الثانى قلنا غرضهم من قولهم قلوبنا فى أكنة ان قلوبهم هكذا خلقت فلا جرم منهم ومعنى الاضراب انه ليس الأمر كذلك بل الطبع عليها بسبب فعلهم الذى هو الكفر فتأمل (قوله ويجوز ان يعطف مجموع هذا الخ) فيكون المعنى فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين الكفر بعيسى وبهت مريم وقولهم انا قتلنا المسيح وفيه دليل على دلالة النهى على التحريم لان الله تعالى جعل أخذ الربا مقيدا بكونه منهيا عنه سببا لتحريم الطيبات فيدل

حالها على التوراة اذ لم تأتهم بعد (فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا) تسلطا ظاهرا عليهم حين أمرهم بان يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) بسبب ميثاقهم ليقبلوه (وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) على لسان موسى والطور مطل عليهم (وقلنا لهم لاتعدوا فى السبت) على لسان داود عليه الصلاة والسلام ويحتمل أن يراد على لسان موسى حين طال الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به فى زمن داود عليه الصلاة والسلام وقرأ ورش عن نافع لاتعدوا على أن أصله لاتعتدوا فأدغمت التاء فى الدال وقرأ قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) على ذلك وهو قولهم سمعنا وأطعنا (فبما نقضهم ميثاقهم) أى فخالفوا ونقضوا فعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز أن تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لايؤمنون الا نادرا لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل فى جاره (وكفرهم بآيات الله بالقرآن أو بما جاء فى كتابهم (وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف) أوعيبة للعلوم أوفى أكنة مما تدعونا اليه (بل طبع الله عليها بكفرهم) فجعلها محجوبة عن العلم أوخذلها ومنعها التوفيق للتدبر فى الآيات والتذكر فى المواعظ (فلا يؤمنون الا قليلا) منهم كعبدالله بن سلام أوايمانا قليلا اذ لاعبرة به لنقصانه (وبكفرهم) بعيسى عليه الصلاة والسلام وهو معطوف على بكفرهم لانه من أسباب الطبع أوعلى قوله فبما نقضهم ويجوز أن يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ماقبله ويكون تكريرذكر الكفر اذا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعنى نسبتها الى الزنا (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) أى بزعمه ويحتمل أنهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون وأن يكون استئنافا من الله سبحانه وتعالى بمدحه أووضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح (وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم) روى أن رهطا من اليهود سبوه وأمه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه رفعه الى السماء فقال لاصحابه أيكم رضى أن يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فألقى الله عليه شبهه فأخذ وصلب وقتل وقيل دخل طيطانوس اليهودى بيتا كان هو فيه فلم يجده وألقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن أنه عيسى فأخذ وصلب وأمثال ذلك من الخوارق التى لاتستبعد فى زمان النبوة وانما نهم الله سبحانه

على ان النهى عنه سبب لما ذكر ولو لم يكن النهى دالا على الحرمة لم يصلح ان يكون سببا لما ذكر (قوله وأوضعا للذكر الحسن الخ) أى ان اليهود وصفوا عيسى بما تنزه شأنه عنه فرد ذكر الله تعالى ماذكروه مما يوجب الذم وذكره بما يوجب المدح (قوله وهو معطوف على بكفرهم) ظاهر هذه العبارة انه رجح العطف على بكفرهم والكشاف سوى بين العطف عليه وبين العطف على قوله فبما نقضهم لانه قال الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ميثاقهم ويجوز ان يعطف على مابليه وهو قوله تعالى وبكفرهم فانظر ما بين عبارة الكشاف والمصنف

(قوله لا بقولهم هذا على حسب حسبانهم) أى لم يذمهم الله تعالى لمجرد قولهم المذكور اذ هو مطابق ظنهم أو ليس قصدهم الكذب حتى يذمهم وانما ذمهم باعتبار ما يستفاد من كلامهم من التبجح والسرور بقتله والمعنى ان تقول يمكن ان يكون ذمهم بانهم جزموا بقتل عيسى مع وجود ما يمكنه فتأمل (قوله تعالى وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه) ههنا شكلان أحدهما ان الظاهر من قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح الخ ان جميع اليهود على اعتقادهم انهم قتلوا عيسى وهذا القول أعنى ان الذين اختلفوا فيه الخ على ما فسره يدل على ان بعضهم فى التردد والثانى ان الذين اختلفوا فيه بعضهم فى التردد وبعضهم غير متردد بل جازم بقتله فكيف يصح اطلاق الحكم بان الذين اختلفوا فيه لفى شك والجواب ان المراد بالشك ههنا ما يعم ابقابل العلم وكلهم فى الشك فى قتله بهذا المعنى اذ ليس لهم علم به وامّا تردد بعضهم فى قتله فمعناه انهم اعتقدوا اعتقادا راجحا فى قتله فاختلج فى قلوبهم الشبهة المذكورة (قوله فيتصل الاستثناء الخ) لا يخفى ان اتباع الظن الذى هو المستثنى ليس داخلا فى العلم بأى معنى كان نعم لو كان المعنى مالهم من اتباع علم الا اتباع الظن لكان كما قال رأسا الا كتفى صاحب الكشاف بكونه مستثنى منقطعا (قوله هذا كان توعيدا لهم الخ) أى هذا الكلام كالوعيد لاهل الكتاب لانه فهم منه انهم

وتعالى بما دل عليه الكلام من جزاءتهم على الله سبحانه وتعالى وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات الباهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسب حسبانهم. وشبهه مسند الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول أو فى الامر على قول من قال لم يقتل أحد ولكن أرجف بقتله فشاع بين الناس أو الى ضمير المقتول لدلالة ما قتلناه على أن ثم مقتولا (وان الذين اختلفوا فيه) فى شأن عيسى عليه الصلاة والسلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله سبحانه وتعالى يرفعنى الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت (لفى شك منه) لفى تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح أحد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك أكده بقوله (مالهم به من علم الا اتباع الظن) استثناء منقطع أى لكنهم يتبعون الظن ويجوز أن يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه النفس جزما كان أو غيره فيتصل الاستثناء (وما قتلوه يقينا) فتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح أو متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقول الشاعر

كذاك نخبر عنها العالمات بها * وقد قتلت بعلمى ذلكم يقينا

من قولهم قتلت الشئ علما وتحريه علما اذا تناهى علمك فيه (بل رفعه الله اليه) رد وانكار لقتله واثبات لرفعه (وكان الله عزيزا) لا يغلب على ما يريده (حكيما) فيما يريه لعيسى عليه الصلاة والسلام (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) أى وما من أهل الكتاب أحد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لاحد وعود اليه الضمير الثانى والاول لعيسى عليه الصلاة والسلام والمعنى ما من اليهود والنصارى أحد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل أن يموت ولو حين أن تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك أنه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان أحدا فى معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل أن يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير لعيسى عليه أفضل الصلاة والسلام والمعنى أنه اذا نزل من السماء آمن به أهل الملل جميعا روى أنه عليه الصلاة والسلام ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى أحد من أهل الكتاب الا ليؤمنن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات ويلبث فى الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله (فبظلم من الذين هادوا) أى فبأى ظلم منهم (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) يعنى ما ذكر فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) ناسا كثيرا أو صدّا كثيرا (وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه) كان الربا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهى على التحريم (وأكلهم أموال الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) دون من تاب وآمن (لكن الراسخون فى العلم منهم) كعبد الله بن سلام وأصحابه (والمؤمنون) أى منهم

يؤمنون به قبيل موتهم ولا ينفع الايمان فامر حق فلو لم يؤمنوا به قبيل ذلك الوقت لكانوا كافرين مستحقين للعذاب او فان قيل ما فائدة قبيل موته مع ان من المعلوم ان الايمان لا يكون الا فى الحياة قبل الموت قلنا لو لم يكن هذا القيد لتوهم انه يمكن ان يكون الايمان بعد البعث (قوله تعالى وأكلهم أموال الناس بالباطل) اما ان يحمل هذا على غير الربا بقرينة المقابلة أو يحمل من

عطف العام على الخاص كما فى قولك ذكره الامام وجميع المحققين (قوله ان جعل يؤمنون خبرا لاولئك) يلزم منه انه لولم يجعل خبرا لاولئك لم يكن المقيمين الصلاة منصوبا على المدح ولم يظهر وجهه لانه يجوز ان يكون جملة معترضة قال العلامة النيسابورى طعن الكسائى فى القول بالنصب على المدح بانه يكون بعد تمام الكلام وههنا ليس كذلك لان الخبر أولئك والجواب ان الخبر يؤمنون ولو سلم فالدليل على أنه لا يجوز الاعتراض بالمدح بين المبتدأ وخبره وعبارة الكشاف هكذا وارتفع الراسخون على الابتداء و يؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح ولا يرد على هذه العبارة ما ورد على عبارة المصنف ثم قوله ان جعل الخ بدل على أن النصب احتمال آخر مثل أن يكون حالا عن ضمير المؤمنون (قوله أو الضمير فى يؤمنون) يلزم منه أن يكون المعنى والمؤمنون هم والمقيمون الصلاة ولا يخفى ما فيه ولم يذكره فى الكشاف (قوله لاحد الوجوه المذكورة) (١٢٩) وهو العطف على الراسخين أو على الضمير أو على انه مبتدأ (قوله لانه المقصود بالآية) أى لان الايمان بالانبياء والكتب مقصود الآية لان الآية فى بيان حال الراسخين فى العلم من أهل الكتاب و يناسبه ذكر ايمانهم بالقرآن واقامتهم الصلاة وايتاء الزكاة أى بهذه الصفات يمتازون عن غيرهم من أهل الكتاب و يمكن أن يقال تأخرهما للتصريح بما علم ضمنا للتأكيد (قوله جواب لاهل الكتاب) هذا لا يناسب بعض الوجوه المذكورة هناك (قوله فان ابراهيم أول أولى العزم منهم) أى أول أولى العزم من النبيين من بعد نوح لأنه أول أولى العزم منهم مطلقا فان نوحا منهم بالاتفاق وسيصرح المصنف به فى قوله فاصبر كما صبر أولوا العزم

أومن المهاجرين والانصار (يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) خبر المبتدا (والمقيمين الصلوة) نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لأولئك أو عطف على ما أنزل اليك والمراد بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى يؤمنون بالكتب والانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون أو على الضمير فى يؤمنون أو على أنه مبتدأ والخبر أولئك سنؤتيهم (والمؤتون الزكوة) رفعه لاحد الاوجه المذكورة (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالآية (أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما) على جهلهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وفرأ حمزة سيؤتيهم بالياء (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان أمره فى الوحى كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب والاسباط وعيسى وأيوب و يونس وهرون وسليمان) خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم أول أولى العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين أشرف الانبياء ومشاهيرهم (وآتينا داود زبورا) وفرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور (ورسلا) نصب بمضمر دل عليه أوحينا اليك كارسلنا أو فسره (قد قصصناهم عليك من قبل) أى من قبل هذه السورة أو اليوم (ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) وهو منتهى مراتب الوحى خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم (رسلا مبشرين ومنذرين) نصب على المدح أو باضمار أرسلنا أو على الحال و يكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فيقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبعه ونعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على أن بعثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والا كثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا أو بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس أو على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر و بعد ظرف لها أو صفة (وكان الله عزيزا) لا يغلب فيما يريده (حكيما) فيما يدبره من أمر النبوة وخص كل نبى بنوع من الوحى والاعجاز (لكن الله يشهد) استدراك عن مفهوم

(١٧ - (بيضاوى) - ثانى)

من الرسل والمراد بقوله وعيسى آخرهم أى آخر أولى العزم المذكورين فى الآية (قوله أو فسره قد قصصنا) أى رسلا منصوب بعامل يفسره قد قصصنا (قوله وفضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه ما أعطى كل واحد منهم) صريح فى أنه صلى الله عليه وسلم كلمه الله تكليما كموسى وهذا بناء على ما قاله الامام النووى فى شرح صحيح مسلم انهم اختلفوا فى أن نبينا صلى الله عليه وسلم كلم به عز وجل ليلة الاسراء بغير واسطة أم لا فحكى عن الاشعرى وقوم من المتكلمين انه كلمه وعزا هذا القول بعضهم الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس (قوله والآخر حال) أى اذا جعل واحدا منها خبرا كان الآخر حالا (قوله ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر) أى على مصدر فلا يتقدم عليه ما يتعلق به وقد نقلنا عن الرضى ان الحق خلاف ما ذكر (قوله وخص كل نبى بنوع من الوحى والاعجاز) مناسب لزمانه فانه لما كان فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم ظهور البلاغة خص بالقرآن الذى هو

معجز وهذا لايلائم ماسبق من انه تعالى أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم الخ (قوله قالوا ما نشهد لك) فيكون قوله تعالى لكن الله يشهد الخ ردا لهذا القول (قوله وعلى الثالث حال من المفعول) لان ضمير بعلمه على هذا التقدير راجع الى القرآن والمعنى أنزل القرآن ملتبسا بعلمه بما يستفاد منه وهو ما يحتاج اليه أمر المعاش والمعاد (قوله وفيه تنبيه على انهم الخ) فى كونه تنبيها على مودتهم لما ذكر نظر وكذا فى أصل مودتهم بل قوم منهم يجحدون فيبعد أن يقال ان أهل الكتاب يودون العلم بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم (قوله يدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع الخ) هذا اذا فسر الظلم بالظلم على النفس وأما اذا فسر بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهو داخل فى الكفر ثم انه يمكن أن يكون المراد بالظلم على النفس بالاعتقادات الباطلة وان لم يكن كفرا كاعتقادات أهل البدع (قوله وبانه يؤدى الخ) لان التقدير ان تؤمنوا يكن الايمان خيرا لكم (قوله ما اشتملتا عليه الخ) أى ما قام لهما وما فى جوفهما (قوله وما تركبتانه) هو أجزاؤها (قوله لقوله لاتقولوا على الله الا الحق) لانخفى أن اليهود قالوا على الله غير الحق من كون عزير ابنا له نعم ما سيجىء من قوله ولاتقولوا ثلاثة مناسبة للنصارى بل يبعد أن يدعى ان الخطاب مخصوص بهم لما ذكره والجواب عن عدم اختصاص النصارى واشراك اليهود فى القول الغير الحق ان ظاهر قوله انما المسيح الخ أو أن يكون تفسير القوله تعالى ولاتقولوا على الله الا الحق فيكون مختصا بالنصارى (قوله خالدين حال مقدرة) الظاهر انه حال من مفعول ايهديهم فان أريد بالهداية هدايتهم فى الدنيا الى طريق جهنم أى الى مايؤدى الى الدخول فيها فهم فى هذه الحالة غير خالدين فيها نعم ان

ماقبله فكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا أوحينا اليك قال انهم لايشهدون ولكن الله يشهد أو انهم أنكروه ولكن الله يثبته ويقرره (بما أنزل اليك) من القرآن المعجز الدال على نبوتك روى أنه لما نزل انا أوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت (أنزله بعلمه) أنزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ أو بحال من يستعد للنبوة و يستأهل نزول الكتاب عليه أو بعلمه الذى يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها (والملائكة يشهدون) أيضا بنبوتك وفيه تنبيه على أنهم يودون أن يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغنى عن النظر والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولاسبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو أتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا (وكفى بالله شهيدا) أى وكفى بما أقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا) لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون أغرق فى الضلال وأبعد من الانقلاع عنه (ان الذين كفروا وظلموا) محمد اعليه الصلاة والسلام بانكار نبوته أو الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم أو بأعم من ذلك والآية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المرادبهم الجامعون بين الكفر والظلم (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا) لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على أن من مات على كفره فهو خالد فى النار وخالدين حال مقدرة (وكان ذلك على الله يسيرا) لايصعب عليه ولايستعظمه (يأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) لما قرر أمر النبوة و بين الطريق الموصل الى العلم بها وعيد من أنكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد (فآمنوا خيرا لكم) أى ايمانا خيرا لكم أو ائتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لايحذف مع اسمه الا فيما لابد منه ولانه يؤدى الى حذف الشرط وجوابه (وان تكفروا فان لله ما فى السموات والارض) يعنى وان تكفروا فهو غنى عنكم لايتضرر بكفركم كما لاينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما فى السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه (وكان الله عليما) باحوالهم (حكيما) فيما يربطهم (ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم) الخطاب للفريقين غلت اليهود فى حط عيسى عليه الصلاة والسلام حتى رموه بانه ولد من غير رشدة والنصارى فى رفعه حتى اتخذوه الها وقيل الخطاب للنصارى خاصة فانه أوفق لقوله (ولاتقولوا على الله الا الحق) يعنى تنزيهه عن الصاحبة والولد (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم) أوصلها اليها وحصلها فيها (وروح منه) وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجرى مجرى الاصل والمادة له وقيل سمى روحا لانه كان يحيى الاموات أو القلوب (فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة) أى الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم و يشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله

أو الله ثلاثة ان صح أنهم يقولون الله ثلاثة أقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة (انتهوا) عن التثليث (خيرا لكم) نصبه كما سبق (انما الله اله واحد) أي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما (سبحانه أن يكون له ولد) أي أسبحه تسبيحا من أن يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء (له ما في السموات وما في الارض) ملكا وخلقا لا يماثله شئ من ذلك فيتخذه ولدا (وكفى بالله وكيلا) تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه وتعالى قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه أو يعينه (لن يستنكف المسيح) لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى أثره عليك (أن يكون عبد الله) من أن يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روى أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحبكم قالوا عيسى عليه السلام قال عليه السلام وأي شئ أقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت (ولا الملائكة المقربون) عطف على المسيح أي ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيد الله واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقال مساقه لرد قول النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي أن يكون المعطوف أعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه أن الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله أراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤس وان أراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين هم حول العرش أو من أعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) ومن يرتفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون بالاستحقاق (فسيحشرهم اليه جميعا) فيجازيهم (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكأنه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة أو لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا) عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن أي قد جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين أو رسول الله صلى الله عليه وسلم أو القرآن (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه) في ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب (وفضل) احسان زائد عليه (ويهديهم اليه)

أريد الهداية الى جهنم الهداية اليها في الآخرة لكان لما ذكر وجه ثم انه يمكن تقدير فعل يكون خالدين حالا من فاعله وهو يدخلون (قوله أي واحدا بالذات لا تعدد فيه بوجه من الوجوه) هذا صريح في أن المراد بلا تقولوا ثلاثة هو القول الثاني وهو أن الله ثلاثة لان قوله تعالى انما الله اله واحد رد لمقالتهم وهو يرد أن الله مركب من ثلاثة أقانيم ولا يرد كون الآلهة ثلاثة نعم لو قال واحد لا شريك له ولا تعدد فيه يرد هذه المقالة أيضا (قوله لا يماثله شئ من ذلك يتخذه ولدا) لان الولد لا بد أن يكون من جنس الوالد (قوله للرد على عبدة المسيح والملائكة) لا يتوهم منه أن جماعة عبدوا الملائكة والمسيح فقال المراد انه للرد على عبدة المسيح وعلى عبدة الملائكة أيضا (قوله باعتبار التكثير دون التكبير الخ) الاول بالثاء المثلثة والثاني بالباء الموحدة يعني أن المبالغة تحصل في المعطوف باعتبار الكثرة دون الكبر والعظمة يعني لن يستنكف المسيح وهو شخص واحد ولا الاشخاص الكثيرة التي هم الملائكة المقربون (قوله وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه) فيه انه لو لم يستلزم ذلك لزم مذهب ثالث لم يقل به أحد لان مذهب أهل السنة ان الانبياء أفضل من الملائكة من غير تفصيل ومذهب المعتزلة العكس من غير تفصيل لكن كون الملائكة المقربين أفضل من عيسى دون البعض الآخر من الانبياء تفصل في التفضيل فالاولى الاختصار على ما ذكر سابقا (قوله فانه قد يكون باستحقاق) كما يطلق المتكبر على الله (قوله فكأنه قال فسيحشرهم اليه جميعا) يوم يحشر العباد للمجازاة أو لمجازاتهم يعني اذا كان ما ذكر تفصيلا لجزاء المتكبرين يجب أن تكون اثابة لمؤمنين الصالحين من تفصيل جزاء المستكبرين ووجهه أن اثابة المؤمنين تقدير روحاني للمستكبرين

(قوله لانه جعل أخوها عصبة) هذا يفهم من قوله تعالى وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين لانه يدل على ان الاخ عصبة لان شأن العصبة أن تكون حصته كذلك ويفهم من قوله تعالى وله أخت فلها نصف ماترك ان المراد ماذكر لان الاخت لام لاترث النصف أصلا وكذا قوله تعالى وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين لأن تفضيل الذكر من الاخوة على الانثى لايكون فى الاخوة من الام بل هما متساويان فى الحصة (قوله والولد على ظاهره الخ) يعنى ان الولد أعم من ان يكون ابنا أو بنتا اذ كون الاخت ترث النصف لابد فيه ان لايكون للميت ابن ولابنت هذا رد على الكشاف فانه صرح بان المراد من الولد الابن (قوله ان أريد يرثها الخ) ان أريد يرثها جميع المال فلابد ان لايكون للميت ولد مطلقا لا ابن ولا بنت وان كان المراد يبرث يرث فى

الجملة فالمراد الذكر لان البنت لاتمنع ميراث الاخ مطلقا (قوله والآية كما لاتدل الخ) أى الآية دلت على سقوط الاخوة بالولد لقوله تعالى وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فتدل على انه ان كان لها ولد لم يرثوا لكن لاتدل على سقوط الاخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم به أى بغير الولد بل هو مسكوت عنه لكن السنة أى الحديث دل على سقوط الاخوة بغير الولد أى بالاب (قوله ان فسرت بالميت) يعنى لو كان المراد بالكلالة الميت وهى من لم يكن لها ولد ولا والد كان معنى الكلام انه يرث الاخ من الميت التى لم يكن لها أب ولا ولد فعلم انه اذا كان لها أب لم يرث والا كان القيد مستدركا فعلم ان مراده بقوله ان الآية أنها لاتدل مطلقا أى على كل احتمال على ماذكر بل على بعض الاحتمالات لانه اذا فسر الكلالة بمن لم يكن أبا ولا ابنا قوم لايدل على ماذكر وهو سقوط الاخوة بغير الولد ثم انه اذا فسر الكلالة بالميت يوجب ان يكون المراد من المرء الهالك وكذا الاخت الهالكة هى الكلالة وهى التى لايكون لها ولد ولا والد فيلزم استدراك قوله وليس له ولد وكذلك قوله ان لم يكن لها ولد اذ هذا القيد يفهم من الكلالة (قوله وتنبيه) محمول على المعنى لان الاخت مفرد اللفظ (قوله ضلالكم الذى من شأنكم الخ) لايخفى ان العمل على خلاف مافى الآية بعد نزولها ضلال واما قبلها فليس كذلك فالاولى ان يفسر الضلال بالتحير فى الامر أو العمل على خلاف ماينبغى ويليق!

الى الله سبحانه وتعالى وقيل الى الموعود (صراطا مستقيما) هو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة (يستفتونك) أى فى الكلالة حذف للدلالة الجواب عليه روى أن جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف أصنع فى مالى فنزلت وهى آخر مانزل من الاحكام (قل الله يفتيكم فى الكلالة) سبق تفسيرها فى أول السورة (ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ماترك) ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له أو حال من المستكن فى هلك والواو فى وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين أو الاب لانه جعل أخوها عصبة وان الام لايكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لكنها لاترث النصف (وهو يرثها) أى والمرء يرث أخته ان كان الامر بالعكس (ان لم يكن لها ولد) ذكرا كان أو أنثى ان أريد يرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لاتحجب الاخ والآية كلها تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على أنهم لايرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله قل الله يفتيكم فى الكلالة ان فسرت بالميت (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على أن الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين) أصله وان كانوا اخوة وأخوات فغلب المذكر (يبين الله لكم أن تضلوا) أى يبين الله لكم ضلالكم الذى من شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحرى واخلافه أو يبين لكم الحق والصواب كراهة أن تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين (والله بكل شئ عليم) فهو عالم بمصالح العباد فى المحيا والممات * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا وأعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

﴿سورة المائدة مدنية وآيها مائة وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة

(قوله شدوا العناج الخ) العناج حبل يشد فى أسفل الدلو ثم يشد الى العراق والعرقوتان الخشبتان المعترضتان على الدلو كالصليب والكرب الحبل الذى يشد فى وسط العراق ثم يثنى و يثلث ليكون هو الذى يلى الماء فلا يعفن الحبل الكبير فاستعار عقد الحبل على الدلو للعهد و يرشح بذكر شد العناج وشد الكرب هكذا قال جمع من المعلقين على الكشاف وفيه ان المذكور فى البيت هو العقد بلا تقييد بشئ وهو أعم من عقد الحبل على الدلو الا ان يراد انه استعمل العقد أولا فى عقد الحبل على الدلو بطريق استعمال العام فى الخاص مجازا ثم استعمل فى العهد تجوز اعن هذا المعنى وفيه تكلف لكن الباعث عليه استعمال الالفاظ المخصوصة ههنا بعقد الحبل على الدلو (قوله ولعل المراد بالعقود الخ) هذا مخالف لما قاله صاحب الكشاف لانه قال الظاهر انها عقود الله عليهم فى دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه فانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل لكن كلام المصنف شامل لما ذكره صاحب الكشاف وغيره وهو أى كلام المصنف أعم فائدة وأيضا ليس ههنا تفصيل الحلال والحرام فقط بل غيره من التعاون على البر والتقوى وكيفية الوضوء وغيرهما (قوله ان حملنا الامر على المشترك الخ) فيكون معنى الامر وهو أوفوا تراجيح الايفاء فيكون شاملا لما يجب ايفاؤه وما يحسن أى يستحب (قوله كل حى لا يميز) يشمل الصبى قبل سن التمييز الا ان يراد حى لا يكون قابلا للتمييز (قوله واضافتها الى الانعام للبيان) كذا فى الكشاف وفيه انهم قد شرطوا فى الاضافة البيانية ان يكون بين المضاف والمضاف اليه عموم وخصوص من وجه كخاتم فضة فان الخاتم أعم من الفضة من وجه والفضة أعم منه من وجه آخر لكن البهيمة ليست كذلك بالنسبة الى الانعام فان الانعام لا توجد بدون البهيمة قال العلامة التفتازانى اشترطوا فيها كون المضاف اليه جنسا للمضاف كخاتم فضة وههنا

الامر بالعكس (قوله فى الاجترار) هو اخراج الجرة وهى ما تجره النعم من العلف من الكرش الى الفم فتمضغه ثم تبتلعه (قوله واضافتها الى الانعام للملابسة الشبيه) أى الاضافة بمعنى اللام تجعل الشبيه اختصاصا فكان المراد من بهيمة الانعام ما يماثلها (قوله الا محرم ما يتلى عليكم) يعنى ما يتلى عليكم مستثنى متصل وليس من جنس بهيمة

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العناج وشدّ وا فوقه الكربا

وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التى عقدها الله سبحانه وتعالى على عباده وألزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب (أحلت لكم بهيمة الانعام) تفصيل للعقود والبهيمة كل حى لا يميز وقيل كل ذات أربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز وهو معناه البهيمة من الانعام وهى الازواج الثمانية وألحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام فى الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام للملابسة الشبه (الا ما يتلى عليكم) الا محرم ما يتلى عليكم كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة أو الا ما يتلى عليكم تحريمه (غير محلى الصيد) حال من الضمير فى لكم وقيل من واو أوفوا وقيل

الانعام التى هى المستثنى منه لان ما يتلى لفظ فقد يحرم ما يتلى ليكون من جنس المستثنى منه وكذا الا ما يتلى عليكم تحريمه فان قيل يلزم على التقدير الثانى حذف الفاعل قلنا قال العلامة الطيبى فى توجيهه انه حذف المضاف وهو التحريم وأقيم الضمير المجرور مقامه فصار الضمير المرفوع مجرورا فاستتر فى يتلى (قوله حال من الضمير فى لكم) على تقديران يكون حالا عن ضمير لكم كان المعنى أحلت لكم بهيمة الانعام حال كونكم غير محلى الصيد وأنتم حرم فلزم عدم الاحلال حال احلال الصيد وهم حرم وليس كذلك اذ الاحلال حاصل فى الحال المذكور وفى غيره واما ما قاله العلامة التفتازانى من انه يمكن دفع هذا الاشكال بان المراد بالانعام أعم من الانسى والوحشى مجازا أو تغليبا أو كيفما شئت واحلالها على عمومها مختص بحال كونهم غير محلين للصيد فى الاحرام اذ معنى تحريم البعض وهو الوحشى ففيه انه يلزم منه استدراك الاحلال بل يكفى ان يقال أحلت لكم بهيمة الانعام غير محرمين لان فى حال الاحرام لم يحل جميع الانعام بل البعض محرم وهو الوحشى كما ذكروه والجواب ان المراد من محلى الصيد وأنتم حرم على هذا التقدير الصائدون حال الاحرام فحينئذ صح أن يقال أحلت جميع الأنعام حال كونكم غير صائدين حالة الاحرام فيلزم انهم اذا كانوا صائدين حالة الاحرام لم يحل لهم جميعها بل يحرم البعض وهو ما كان سببا لصيده (قوله وقيل من واو أوفوا) فان قيل لزم أن يكونوا مكلفين بايفاء العقود حال كونهم غير محلين دون حال الاحلال لكنهم مكلفون فى كل حال بايفاء العقود فنقول لا يلزم ما ذكره انما يلزم لو لم تكن الحالة دائمة أما اذا كانت دائمة فلا والحال ان عدم احلال الصيد حال الاحرام لازم لا يفاء العقود اذ هو من جملتها اذ المراد منه على هذا التقدير عدم اعتقاد حل الصيد حالة الاحرام فهو مثل قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط اذ لا يلزم منه عدم الشهادة المذكورة حين عدم القيام بالقسط لأن

القيام بالقسط أمر داتي لله تعالى كما في زيد أبوك عطوفا فانه يلزم منه عدم الأبوة اذا لم يكن عطوفا اذ العطوفة لازمة (قوله وفيه تعسف) اذ يلزم منه استثناء المحلين للصيد في حال الاحرام عن المؤمنين وهو غير ملائم لأن شأن المؤمنين ليس احلال الصيد حال الاحرام بل تحريمه ثم ان حق

العبارة على تقدير الاستثناء أن يقال وهم حرم حتى يرجع الضمير الى المستثنى الذي

استثناؤه وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول (وأنتم حرم) حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم (ان الله يحكم ما يريد) من تحليل أو تحريم (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أي جعل شعارا سمي به أعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج وأعلام النسك وقيل دين الله اذ له سبحانه وتعالى ومن يعظم شعائر الله أي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده (ولا الشهر الحرام) بالقتال فيه أو بالنسيء (ولا الهدى) ما أهدي الى الكعبة جمع هدية كجدى في جمع جدية السرج (ولا القلائد) أي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها أشرف الهدي أو القلائد أنفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله تعالى ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل أو لحاء شجر أو غيرهما ليعلم به أنه هدي فلا يتعرض له (ولا آمين البيت الحرام) قاصدين لزيارته (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) أن يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استئكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون أن يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم بن شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين (واذا حللتم فاصطادوا) اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الأمر دلالة الامر الآتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ أحللتم يقال حل المحرم وأحل (ولا يجرمنكم) لا يحملنكم أو لا يكسبنكم (شنآن قوم) شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر أضيف الى المفعول أو الفاعل وقرأ ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو أيضا مصدر كليان أو نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت أكثر كعطشان وسكران (أن صدوكم عن المسجد الحرام) لان صدوكم عنه عام الحديبية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على أنه شرط معترض أغنى عن جوابه لا يجرمنكم (أن تعتدوا) بالانتقام وهو ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) للتشفي والانتقام (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) فانتقامه أشد (حرمت عليكم الميتة) بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية (والدم) أي الدم المسفوح لقوله تعالى أو دما مسفوحا وكان أهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها (ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) أي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه

هو المحلون (قوله وهي اسم ما أشعر) لفظ اسم يدل على ان الشعيرة ليست بصفة مع ظهور الاشتقاق ودلالة على معنى زائد على الذات والدليل على عدم وصفيته ان المراد منها ما ثبي مخصوص جعل شعارا لحج فلم يبق فيه ايهام الذات (قوله والمختار أن اسم الفاعل الموصوف لا يعمل) لضعف مشابهته للفعل لأن الموصوفية تقتضي شبهه بالفعل اذ هي من خصائص الاسم (قوله ورضوانا بزعمهم) لأن المشركين يزعمون أن الحج يقربهم الى الله (قوله وعلى هذا فالآية منسوخة) لأن مفهوم آمين البيت الحرام يبتغون على هذا التفسير ان المشركين اذا كانوا آمين البيت الحرام لا يتعرض لهم ولا يخفى أنه منسوخ بقوله تعالى واقتلوهم حيث وجدتموهم و يرد على المصنف أنه وان لزم نسخ هذا الحكم لكن الآية مشتملة على أحكام كثيرة غير هذا الحكم فلا يلزم نسخ الآية الا أن يراد نسخ بعض ما فيها (قوله ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا) اذ من المعلوم أن ليس والمتخنقة المقصود ههنا من الامر ايجاب الصيد ولا استحبابه لأن الأمر ههنا لازالة الحرمة فيدل على الاباحة بخلاف الصور الأخرى اذ يمكن أن يكون في بعضها ما يناسب الايجاب والاستحباب (قوله لأنه شرط معترض أغنى عن جوابه لا يجرمنكم) صريح في أن جزاء الشرط لا يتقدم عليه اذ لو كان جائز التقدم لكان تقدير الجزاء لغوا

(قوله وهو يدل على ان جوارح الصيد الخ) هذا شامل للطيور كالصقر والبازى اذا اصطادت لأنها داخلة فى جوارح الصيد (قوله الا ما أدركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة) فسروها بان لا يصير الحيوان الى حركة المذبوح فيفيد ان كلا مما ذكر اذا صار الى حركة المذبوح يكون حراما (قوله من ذلك) أى مما ذكر من المنخنقة (قوله وقيل الاستثناء مخصوص) يعنى أن الجمهور على ان الاستثناء متعلق بكل من المذكورات فقوله من ذلك اشارة الى جميع ما ذكر من قوله والمنخنقة الخ وقال بعضهم ان الاستثناء مخصوص بما أكل السبع (قوله مسمى على الأصنام) أى مذكورا على وجه تعظيم الأصنام بان يقال اذبح هذه الغنم مثلا باسم اللات وقال العلامة النيسابورى يأتى ذبح على اعتقاد تعظيم أصنم ويحتمل أن يكون الذبح للاصنام وافعا عليها (قوله والنصب واحد الانصاب) فيكون مفردا ولذا ذكر بعد ذلك وقيل جمع (قوله لأنه دخول فى علم الغيب) فيه أنه يحتمل انهم كانوا يجعلونه موجبا للظن ولا يعلمون العلم الا اذا ثبت انهم كانوا يزعمونه وقال العلامة النيسابورى قال الواحدى

انما حرمه لأنه طلب معرفة الغيب وانه مختص بالله تعالى وضعف بان طلب الظن بالامارات المتعارفة غير منهى عنه كالفأل وكما يدعيه أصحاب الفراسات ولذا قال أى النيسابورى كونه فسقا بمعنى المسير ظاهر وأما بمعنى طلب الخير والشر فوجهه انهم كانوا يعتقدون ان ماخرج من الامر والنهى فهو بارشاد الاصنام واعانتها فلذلك كان فسقا وهو أيضا موقوف على ثبوت ما ذكر والأسلم أن يكون اشارة الى المسير والى تناول ما حرم عليهم (قوله ان أريد بربى) أى ان أراد المستقسم الله بقوله ربى (قوله أو المسير المحرم) هذا عطف على قوله دخول

(والمنخنقة) أى التى ماتت بالخنق (والموقوذة) المضروبة بنحو خشب أو حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته (والمتردية) التى تردت من علو أو فى بئر فماتت (والنطيحة) التى نطحتها أخرى فماتت بالنطح والتاء فيها للنقل (وما أكل السبع) وما أكل منه السبع فمات وهو يدل على أن جوارح الصيد اذا أكلت مما اصطادته لم تحل (الا ما أدركتم ذكاته) الا ما أدركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما أكل السبع والذكاة فى الشرع لقطع الحلقوم والمرىء بمحدد (وما ذبح على النصب) النصب واحد الانصاب وهى أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هى الاصنام وعلى بمعنى اللام أو على أصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو عج والواحد نصاب (وأن تستقسموا بالازلام) أى وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وذلك أنهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرنى ربى وعلى الآخر نهانى ربى والثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهى تجنبوا عنه وان خرج الغفل أجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد (ذلكم فسق) اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد أن ذلك طريق اليه وافتراء على الله سبحانه وتعالى ان أريد بربى الله وجهالة وشرك ان أريد به الصنم أو الميسر المحرم أو الى تناول ما حرم عليهم (اليوم) المراد به يوما بعينه وانما أراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل أراد به يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع (يئس الذين كفروا من دينكم) أى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها أو من أن يغلبوكم عليه (فلا تخشوهم) أن يظهروا عليكم (واخشون) وأخلصوا الخشية لى (اليوم أكملت لكم دينكم) بالنصر والاظهار على الاديان كلها أو بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على

فى علم الغيب فكأنه قال وكون الاستقسام فسقا لانه دخول فى علم الغيب الخ أى ان كان المراد به المعنى الأول أو لانه الميسر المحرم ان كان المراد المعنى الثانى وقوله أو الى تناول ما حرم عليهم عطف على قوله الى الاستقسام (قوله وأخلصوا الخشية لى) يدل على النهى من الخشية من غير الله تعالى مطلقا وفيه ان يأس الذين كفروا من الدين القويم لا يستلزم عدم خشية المؤمنين مطلقا انما يستلزم عدم خشية المؤمنين من غلبة الكفار على دينهم مع ان الفاء فى فلا تخشوهم تدل على الاستلزام المذكور وان أريد النهى عن الخشية من غيره تعالى اذ ليس لغيره تعالى تأثير أصلا ففيه انه لا دخل لذلك فى يأس الذين كفروا من دين المؤمنين والجواب أن المراد واخشونى فى أمر دينكم أى لا تخشوهم فى أن يصيروا سببا للتغيير دينكم لانه تعالى حكم بيأس الكافرين واكن اخشونى فى أمر الدين فانى قادر على تقليب قلوبكم وجعلكم مرتدين (قوله على قواعد العقائد) هى أصول الاعتقادات والمراد بأصول الشرائع القواعد التى تستنبط منها الاحكام والمراد بقوانين الاجتهاد ما يجب أن يراعى فيه وهذا جواب عن دليل نفاة القياس فانهم تمسكوا على ابطاله بان الدين كمل فى آخر عهد النبى صلى الله عليه وسلم فلو كان القياس جائز ا بعده كان ذلك القياس لا بد أن يكون لاظهار حكم لم يكن معلوما فكان القياس

موجبا لكمال الدين فلم يكن كاملا فى ذلك الزمان والجواب عنه ماذكر وهو ان المراد باكمال الدين تحقيق قواعد العقائد وتبيين قواعد الاجتهاد وهذا لاينافى وقوع الاجتهاد وتخريج الاحكام بعده (قوله بالهداية والتوفيق) لك أن تقول الهداية والتوفيق كانا حاصلين قبل ذلك اليوم وكذا ماذكر سابقا من التنصيص على قواعد العقائد والتوفيق المذكور والجواب ان المراد كمال الهداية والتوفيق وكذا المراد كمال التنصيص (قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا) فيه ان ظاهره انه معطوف على قوله تعالى أكملت لكم دينكم فيكون المعنى اليوم رضيت لكم الاسلام دينا ويتوجه حينئذ انه لافائدة لهذا التخصيص اذ هو تعالى راض بكون الاسلام لهم دينا من أول الامر والجواب ان المراد بالرضى حكمه تعالى باختيار الاسلام لكم حكما أبديا لاينسخ وكان هذا فى ذلك اليوم (قوله بان يأكلها تلذذا) يفهم منه انه اذا أكل المضطر الميتة للتلذذ لا لسد الرمق كان حراما عليه الا أن يقال هذا لايتصور فتأمل (قوله أو مجاوزا حد الرخصة) لك أن تقول الاضطرار لايجامع تجاوز حد الرخصة لان المضطر مأذون فى الاكل حتى يزول

أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد (وأتممت عليكم نعمتى) بالهداية والتوفيق أو باكمال الدين أو بفتح مكة وهدم منار الجاهلية (ورضيت لكم الاسلام دينا) اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لاغير (فمن اضطر) متصل بذكر المحرمات ومابينهما اعتراض لما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر الى تناول شئ من هذه المحرمات (فى مخمصة) مجاعة (غير متجانف لاثم) غير مائل له ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا أو مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد (فان الله غفور رحيم) لايؤاخذه بأكله (يسئلونك ماذا أحل لهم) لما تضمن السؤال معنى القول أوقع على الجملة وقد سبق الكلام فى ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسئلونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ فى أمثاله والمسؤل ما أحل لهم من المطاعم كأنهم لما تلى عليهم ماحرم عليهم سألوا عما أحل لهم (قل أحل لكم الطيبات) مالم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب أو مالم يدل نص ولا قياس على حرمته (وماعلمتم من الجوارح) عطف على الطيبات ان جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ماعلمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على أهلها من سباع ذوات الاربع والطير (مكلبين) معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضربها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب يكون أكثر فيه وآثر أو لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة فى التعليم (تعلمونهن) حال ثانية أو استئناف (مما علمكم الله) من الحيل وطرق التأديب فان العلم بها الهام من الله تعالى أو مكتسب بالعقل الذى هو منحة منه سبحانه وتعالى أو مما علمكم الله أن تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وأن ينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه (فكلوا مما أمسكن عليكم)

الاضطرار الا أن يقال ذلك للتأكيد (قوله كقوله غير باغ ولا عاد) يظهر منه ان المراد من الباغى من يأكلها تلذذا ومن العادى من جاوز حد الرخصة لكنه فسر فى سورة البقرة الباغى بالمستأثر على مضطر آخر (قوله لان يسئلونك بلفظ الغيبة) فالمناسب ان يقول يقال لهم بضمير الغائب ولو كان مكان يسئلون تسئلون بلفظ الخطاب لكان المناسب لكم لا لهم (قوله لما تضمن السؤال معنى القول أوقع على الجملة) لا حاجة الى التضمين المذكور بل السؤال اذا كان عن حكم لايتعلق الا بالجملة (قوله أو مالم يدل نص ولا قياس على حرمته) عطف على قوله مالا تستخبثه الطباع السليمة فان قيل خرج عنه مايدل الاجماع على حرمته قلنا وهو الاجماع لابد له من وجود نص وجده العلماء المجمعون وان كان غير ظاهر علينا كما ذكر فى الاصول فهو داخل فى القسم الاول (قوله مشتق من الكلب لان التأديب الخ) يعنى لما كان المراد من المكلب معلم الجوارح ومؤدبها وهو أعم من أن يكون مؤدبا للكلب ولغيره فلم اشتق له اسم من الكلب فأجاب بجوابين أحدهما ان التأديب للكلب أكثر وآثر والثانى ان الكلب شامل لجميع أنواع السباع ومنها جوارح الطيور كما سيأتى فى كلام المصنف (قوله سلط عليه كلبا من كلابك) لابد من ايراد زيادة واردة فى الحديث ذكرها صاحب الكشاف وهى فأكله الاسد اذ بهذه الزيادة يعلم مقصوده وهو ان الكلب شامل لكل سبع (قوله وفائدتها المبالغة) هذه المبالغة اما المبالغة فى صيغة التفضيل واما بذكر التكليب بعد ذكر تعليم الجوارح (قوله أو مكتسب بالعقل الذى هو منحة منه) أى لما كان العقل الذى هو الكاسب نعمة من الله تعالى لانه موجد العقل فكان ماتعملون مما علمكم الله أى من الاشياء التى يكون البارى سبب العلم بها وهذا تكلف اذ هذا العلم اما بمحض الالهام أو بسبب العقل الذى هو منحة منه تعالى

(قوله بما جل ودق) أى بالامر الظاهر والامر الخفى أو بالامر العظيم والصغير (قوله اليوم أحل لكم الطيبات) فان قيل الطيبات قبل هذا اليوم كانت حلالا فما المراد من اليوم ليس يوما بعينه بل المراد منه الزمان الحاضر وما بدانيه من الازمنة الماضية والآتية ومن هذا يظهر ان تفسير اليوم بالزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية كما فعله المصنف سابقا ليس كما ينبغى بل يجب ان يجعل شاملا للازمنة الماضية كما فعله صاحب الكشاف ثم ان الاولى أن يقال ان اعادة هذا الحكم لان يعلم صريحا بقاء هذا الحكم عند اكمال هذا الدين للاهتمام بشأنه (قوله وتقييد الحل بإيتائهن الخ) مفهوم هذا الكلام تقييد أصل الحل بالايتاء لانه الحث على الاولى الآن يقال يعلم من النصوص الاخر انه ليس الايتاء شرطا فى جواز الوطء فالمفهوم غير معتبر ههنا ومعنى الكلام حينئذ والمحصنات حل لكم اذا آتيتموهن اجورهن وكذا اذا لم تؤتوهن لكن ذكر الاول وترك الثانى للاهتمام بالاول (قوله تعالى محصنين غير مسافحين) فيه تأكيد للاهتمام بالاحصان اذ هو معلوم من قوله تعالى محصنين (قوله اذا أردتم القيام الى الصلاة) تسمية القيام بالى يدل على ان القيام الى الصلاة التوجه اليها وحينئذ يلزم استدراك فى الكلام لان التوجه الى الصلاة هو قصدها واردتها فيكون معنى أردتم القيام الى الصلاة أردتم القصد والتوجه اليها ولا يخفى انه يكفى أن يقال اذا توجهتم الى الصلاة أو اذا أردتموها يؤيد ذلك ما سيجىء من انه يحتمل أن يكون المعنى اذا قصدتم الصلاة والجراب أن يقال المراد من القيام الى الصلاة الاشتغال بها وفيه ما فيه والاولى أن يقال المعنى اذا توجهتم الى الصلاة وهو قريب مما ذكره ثانيا (قوله لان التوجه الى الشئ الخ) فيه انه ان أراد أن التوجه الى الشئ والقيام له قصد حقيقة فليس كذلك لان القيام الى الشئ ليس قصدا حقيقة بل مستلزم له وان أرادا نهما مستلزمان له ففيه ان التوجه الى الشئ قصدا حقيقة لا مستلزما له (قوله وقيل الامر فيه للندب) قال صاحب الكشاف يحتمل أن يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وأن يكون للندب وفى كلا مهما نظر اذ لا وجه لكون الامر للندب والازم خروج المحدث عن هذا الحكم مع ان المقصود بالذات حكمه فالوجه هو الاول (قوله وهو ضعيف الخ) فيه ان المصنف قال فى تفسير قوله تعالى ولا الشهر الحرام ان المراد لقتال فيه وهو صريح فى سورة التوبة بان الجمهور على ان حرمة المقاتلة فى الأشهر الحرم منسوخة

وهو مالم تأكل منه لقوله عليه الصلاة والسلام لعدى بن حاتم وان أكل منه فلا تأكل انما أمسك على نفسه واليه ذهب أكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك فى سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا (واذكروا اسم الله عليه) الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله أولما أمسكن بمعنى سموا عليه اذا أدركتم ذكاته (واتقوا الله) فى محرماته (ان الله سريع الحساب) فيؤاخذكم بما جل ودق (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) يتناول الذبائح وغيرها وبه قال الذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى على رضى الله تعالى عنه نصارى بنى تغلب وقال لا تواعلى النصرانية ولم يأخذ وامنها الا الخمر ولا يلحق بهم المجوس فى ذلك وان ألحقوا بهم فى التقرير على الجزية لقوله عليه الصلاة والسلام سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم (وطعامكم حل لهم) فلا عليكم أن تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك (والمحصنات من المؤمنات) أى الحرائر أو العفائف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات (اذا آتيتموهن أجورهن) مهورهن وتقييد الحل بإيتائها لتأكيد وجوبها والحث على ما هو الاولى وقيل المراد بإيتائها التزامها (محصنين) أعفاء بالنكاح (غير مسافحين) غير مجاهرين بالزنا (ولا متخذى أخدان) مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين) يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة) أى اذا أردتم القيام كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على أن من أراد العبادة ينبغى أن يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة أو اذا قصدتم الصلاة لان التوجه الى الشئ والقيام اليه قصده وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روى أنه عليه الصلاة والسلام صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضى الله تعالى عنه صنعت شيأ لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق أريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلاة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك أول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه الصلاة والسلام المائدة

(قوله لان مطلق اليد يشتمل عليها) قال المحققون من الفقهاء ان اسم اليد عند الجمهور موضوع للعضو من الاصبع الى المنكب وجعل المحققون الى فى هذا الكلام غاية للترك والمعنى اتركوا منها الى المرفق والغاية لاتدخل فى ذى الغاية على المشهور فلايدخل المرفق فى المتروك وهذا الوجه أولى من الوجوه التى ذكرها المصنف اما الوجه الاول فقد قدح فيه واما الثانى فلانه خلاف الجمهور واما الثالث فلان اللازم غسل المرافق احتياطا بخلاف الاول فان وجوب غسلها مفهوم الكلام (قوله احتياطا) أى لما احتمل دخول المرافق فى وجوب الغسل حكم بوجوب غسلها لتيقن الخروج عن العهدة (قوله لكن لما لم تتميز الغاية عن ذى الغاية الخ) لان المرفق مفصل الذراع والعضد ولم يتميز فى الحس عن الذراع (قوله احتياطا) أى لما لم تتميز اليد عن المرفق حكم بوجوب غسل المرفق لتيقن غسل اليد (قوله بخلاف مالو قيل امسحوا رؤسكم) فعلى هذا اذا كانت الباء زائدة كما اختاره المصنف كان فى حكم وامسحوا رؤسكم فيقتضى الاستيعاب لان الحرف الزائد يقتضى تأكيد ما دخل عليه فيفيد تأكيد مسح جميع الرأس فان قيل ان الباء وان كانت زائدة فهى تفيد التبعيض قلنا لم يبق الفرق بين اذا كانت زائدة أو للتبعيض وهو خلاف كلام المصنف (١٣٨)

فتأمل (قوله أخذا باليقين) لان ما يثبت بقيننا وجوب مسح بعض الرأس فلا يثبت وجوب الزائد الا بدليل عليه (قوله أخذا بالاحتياط) أى لما احتمل ان يكون الواجب مسح كل الرأس حكم بوجوبه للخروج عن العهدة بيقين (قوله وجهه الخ) أى وجه كونه للتبعيض ماذكر من أنه يدل على مطلق الالصاق فيشمل مسح البعض والكل لان الباء موضوعة للبعض (قوله جزء الباقون على الجوار) ههنا اشكال وهو ان أرجلكم على هذه القراءة اما معطوف على رؤسكم أو على وجوهكم وعلى الاول يلزم ان يكون الواجب المسح لا الغسل وعلى الثانى يلزم ان يكون هذا الجر لا لعامل له

من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها (فاغسلوا وجوهكم) أمروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك (وأيديكم الى المرافق) الجمهور على دخول المرفقين فى المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم أو متعلقة بمحذوف تقديره وأيديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق لمعنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا وأما دخولها فى الحكم أو خروجها فمن دلالة الحال عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن فى الآية وكانت الأيدى متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضى خروجها والا لم تكن غاية لقوله تعالى فنظرة الى ميسرة وقوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب ادخالها احتياطا (وامسحوا برؤسكم) الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل بالمنديل وجهه أن يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكأنه قيل وألصقوا المسح برؤسكم وذلك لايقتضى الاستيعاب بخلاف مالو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء فى قدر الواجب فاوجب الشافعى رضى الله تعالى عنه أقل مايقع عليه الاسم أخذا باليقين وأبو حنيفة رضى الله تعالى عنه مسح ربع الرأس لانه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك رضى الله تعالى عنه مسح كله أخذا بالاحتياط (وأرجلكم الى الكعبين) نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب عطفا على وجوهكم وبؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول أكثر الائمة والتحديد بالمسح لم يحد وجوه الباقون على الجوار ونظيره كثير فى القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم أليم وحور عين بالجر فى قراءة حمزة والكسائى وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب فى ذلك وفائدته التنبيه على

انه مع ان الاعراب لابد ان يكون له عامل وقد يقال ان الجر على الجوار لا اعراب ولا بناء فلا حاجة الى العامل واما قول صاحب الكشاف هو معطوف على الممسوح لا الممسوح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد ففيه انه اذا عطف على الممسوح يلزم وجوب مسحهما لا غسلهما وقد طولوا الكلام فى هذا المقام والذى ظهر لى والله أعلم ان يقال ان ههنا حذف مضاف والتقدير عبداً أرجلكم الى الكعبين ويكون هذا التقدير مثل قوله تعالى والله يريد الآخرة بجر الآخرة على تقدير والله يريد عرض الآخرة فيكون مبدأ أرجلكم منصوب معطوفا على وجوهكم ولا حاجة الى القول بالجر على الجوار مع ان هذه المسئلة مما اختلف فيه النحاة فان قيل مثل هذا التقدير حيث لا التباس قلنا لا التباس ههنا لان قراءة النصب دالة على وجوب الغسل فقراءة الجر يجب ان تطابق تلك القراءة وهذا يحصل بأن يقدر ماذكرنا وقال العلامة التفتازانى أقرب ماقيل فى غسل الارجل ان قراءة النصب توجب الغسل لانه لا مجال للعطف على محل الجار والمجرور مع الالتباس فوجب حمل قراءة الجر عليه بطريق المشاكلة أو الجر على الجوار لانتفاء الالتباس

بضرب الغاية أو تقدير وامسحوا بأرجلكم مرادا به الغسل الشبيه بالمسح تنبيها على وجوب الاقتصار أو بالتزام الجمع بين الحقيقة والمجاز دفعا لاختلاف القراءتين ولا يخفى ما في كل من الاحتمالات من التكلف (قوله وفي الفصل بينه الخ) ايراد المسح بين غسل الوجه واليدين غسل الرجل اشعار بوجوب رعاية الترتيب بين الامور المذكورة اذ لو لم يكن الترتيب واجبا لكان الاولى ذكر غسل الاعضاء الثلاثة متصلة وافراد ذكر المسح وانما قال ايماء ولم يقل دلالة ذلك ان تقول هذا يدل على حسن الترتيب وهو لا يدل على الوجوب (قوله وأرجلكم مغسولة) فان قيل يلزم عطف الاخبار على الانشاء لان هذه الجملة معطوفة على قوله تعالى فاغسلوا فالجواب ان هذا الاخبار بمعنى الانشاء لان المقصود فاغسلوا أرجلكم لكنه ذكر بصيغة الاخبار للمبالغة فكأنه أمر محقق أخبر عنه

(قوله فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) الباء ههنا زائدة كما قاله (١٣٩) المصنف في تفسير قوله وامسحوا برؤسكم

أنه ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليها ولا يغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين أخويه ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وأرجلكم مغسولة (وان كنتم جنبا فاطهروا) فاغتسلوا (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان أنواع الطهارة (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) أي ما يريد الأمر بالطهارة للصلاة أو الامر بالتيمم تضييقا عليكم (ولكن يريد ليطهركم) لينظفكم أو ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب أو ليطهركم بالتراب اذا أعوزكم التطهير بالماء فتحول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله أن يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد أن يطهركم وهو ضعيف لان أن لا تقدر بعد المزيدة (وليتم نعمته عليكم) ليتم شرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين أو ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمته والآية مشتملة على سبعة أمور كلها مثنى طهارتان أصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وأن آنهما مائع وجامد وموجبهما حدث أصغر وأكبر وأن المبيح للعدول الى البدل مرض أو سفر وأن الموعود عليهما طهر الذنوب واتمام النعمة (واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام اتقدكم المنعم وترغبكم في شكره (وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا) يعني الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره أو ميثاق ليلة العقبة أو بيعة الرضوان (واتقوا الله) في انساء نعمته ونقض ميثاقه (ان الله عليم بذات الصدور) أي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات أعمالكم (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أي العدل أقرب

وحينئذ لا ينافي وجوب استيعاب الوجه واليدين (قوله ليطهركم بالتراب) لقائل ان يقول اذا كان التراب لا يرفع الحدث ولا يدفع الخبث عند الشافعية فما معنى التطهير بالتراب نعم هذا التفسير مناسب لمن ذهب الى ان التيمم رافع للحدث ولذا ذكر النيسابوري ان التراب يوجب التكدير فكيف يكون التراب منظفا ومطهرا وقال اما الحرميين القول بكون التراب مطهرا قول ركيك ومنعه الامام أبو حامد لكن ما قالاه مناف لما ورد في صحيح البخاري من انه صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا الا ان يراد بالتطهير التطهير عن الذنوب ولعل التيمم كذلك أو كون المراد رفع مانع الصلاة بشروطه (قوله لان لا تقدر بعد المزيدة) هذا خلاف ما صرح به الرضي حيث قال الظاهر ان تقدر بعد اللام الزائدة التي بعد فعل الامر والارادة نحو أمرت لاعدل ويريد الله ليذهب عنكم (قوله أو ليتم برخصه الخ) الحكم ان ثبت على خلاف الدليل فرخصة والا فعزيمة (قوله سبعة) أحدها الطهارة الثاني الطهارة الاصلية الثالث غير المستوعب الرابع آلة الطهارة الخامس الموجب للطهارة السادس المبيح للعدول السابع الموعود عليها (قوله أصل وبدل) الاصل الطهارة بالماء والبدل التيمم (قوله مستوعب وغير مستوعب الخ) فالمستوعب الغسل لانه يستوعب جميع البدن وغير المستوعب الوضوء وهو غسل ومسح والمحدود ما تطهر الوجه واليد والرجل وغير المحدود ما تطهر الرأس وان آنهما مائع وجامد أي آلة الطهارة فالمائع الماء والجامد التراب (قوله ليذكركم المنعم الخ) فان الاثر يدل على المؤثر (قوله فضلا عن جليات أعمالكم)

ذكر ذلك لبيان ربط هذه الجملة بما سبق فان انشاء النعم ونقض الميثاق أمران قد يكونان خفيين وقد يكونان جليين (قوله وبين انه مقتضى الهوى) أي الجور ومقتضى الهوى اذا تبين ان الجور مقتضى البغض (قوله وتكرير هذا الحكم) الظاهر ان يقال المشار اليه هو قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء الخ لانه ذكر هذا الحكم في سورة النساء في قوله يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم وقوله ان الاولى نزلت في المشركين معناه ان مافي سورة النساء نزلت فيهم أي في العدل معهم والثانية نزلت في بيان العدل مع اليهود والقرينة على ذلك انه لما كان آباء بعض المؤمنين وأقاربهم كانوا مشركين أمر المؤمنين برعاية العدل معهم ولما كان بعد هذه الآية التي في المائدة حكاية اليهود ناسب ان تكون الآية لبيان حال اليهود (قوله وكانه قال وتعدهم) هذا القول الاول أولى لان الوعد بالقول ليس مقصودا بذاته بل المقصود نفس القول وان كان الوعد بالقول من القائل الصادق يفيدنا في حكم القول (قوله وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعاق سلاحه) هذا لايناسب ذكر القوم في الآية اذ الهائم شخص واحد الا اذا قيل بتقدير مضاف وهو البعض أو يقال ان القوم أرسلوا ذلك الواحد يبسط يده

للتقوى صرح لهم بالامر بالعدل وبين أنه بمكان من التقوى بعد مباناتهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا للعدل مع الكفار فاظنك بالعدل مع المؤمنين (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود أو لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء ثائرة الغيظ (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم) انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف بيانه وقيل الجملة في موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) هذا من عادته تعالى أن يقرع حال أحد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم) روي أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا ألا كانوا أكبوا عليهم وهموا أن يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله عليهم كيدهم بأن أنزل عليهم صلاة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي أنه عليه الصلاة والسلام أتى قريظة ومعه الخلفاء الأربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده فنزل جبريل فأخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعاق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء أعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا أحد أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فنزلت (اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم) بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه (فكف أيديهم عنكم) منعهما ان تمتد اليكم ورد مضرتها عنكم (واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) شاهدا من كل سبط ينقب عن أحوال قومه وينفش عنها أو كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما أمر وابه روي أن بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقر وابمصر أمرهم الله سبحانه وتعالى بالمسير الى أريحاء من أرض الشام وكان بها الجبارة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وأمر موسى عليه الصلاة والسلام أن يأخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما أمروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم أن يحدثوا قومهم فرأوا أجراما عظيمة وبأسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم ونكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم ابن يوسف (وقال الله اني معكم) بالنصرة (لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي

فنسب الفعل الى مجموع القوم توسعا (قوله وآمنتم برسلي) ان قيل لم أخر ذكر الايمان بالرسل عن الصلاة والزكاة قلنا لعله رعاية لما يدرك من أحوال المؤمن فان ما يدرك من حال المؤمن أولا الاعمال ثم يستدل به على الايمان وأشرف الاعمال التي تدرك في العموم الصلاة والزكاة

وعزرتموهم

وعزرتموهم) أى نصرتموهم وقويتموهم وأصله الذب ومنه التعزير (وأقرضتم الله قرضا حسنا) بالانفاق فى سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول (لأكفرن عنكم سيآتكم) جواب للقسم المدلول عليه باللام فى لئن ساد مسد جواب الشرط (ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك) بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم (منكم فقد ضل سواء السبيل) ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن أن يكون له شبهة ويتوهم له معذرة (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم) طردناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية) لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائى قسية وهى اما مبالغة قاسية أو بمعنى رديئة من قولهم درهم قسى اذا كان مغشوشا وهو أيضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين (يحرفون الكلم عن مواضعه) استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة أشد من تغيير كلام الله سبحانه وتعالى والافتراء عليه ويجوز أن يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه (ونسوا حظا) وتركوا نصيبا وافيا (مما ذكروا به) من التوراة أو من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما أنزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه أشياء منها عن حفظهم لما روى أن ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) خيانة منهم أو فرقة خائنة أو خائن والتاء للمبالغة والمعنى أن الخيانة والغدر من عادتهم وعادة أسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم (الا قليلا منهم) لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل استثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية (فاعف عنهم واصفح) ان تابوا وآمنوا أو عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف (ان الله يحب المحسنين) تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على أن العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم) أى وأخذنا من النصارى ميثاقهم كما أخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم أخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله سبحانه وتعالى (فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا) فالزمنا من غرى بالشئ اذا لصق به (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية أو بينهم وبين اليهود (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) بالجزاء والعقاب (يا أهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس (قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم فى التوراة وبشارة عيسى عليه الصلاة والسلام باحمد صلى الله عليه وسلم فى الانجيل (ويعفو عن كثير) مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه أمر دينى أو عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)

(قوله وأصله الذب) أى المنع فان من نصر آخر وقوّاه ذب عنه (قوله بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن الخ) عروض الشبهة بعد الميثاق المذكور ممكن أيضا الا أنه أبعد من عروضها قبله وقال النيسابورى ان الضلال بعد الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم أبشع فلذا خص بالذكر (قوله استئناف لبيان قسوة قلوبهم) فكان التحريف والنسيان دليلين على قسوة قلوبهم وان كانت القسوة سببا فى الواقع (قوله اذ لا ضمير فيه) أى لا ضمير فى يحرفون الذى هو الجملة الحالية يرجع الى صاحب الحال الذى هو القلوب (قوله والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة أسلافهم) فيه ان كون الغدر من عادة أسلافهم غير داخل فى الكلام وانما هو معلوم من غير هذا الموضع فلا يلائم قوله والمعنى الخ وانما معناه انك تطلع فى كل وقت على خائنة ممن وجد منهم فى زمانك ويمكن ان يقال غرضه ان المقصود انك تطلع على خائنة منهم فى كل زمان وهو يدل على ان أسلافهم كانوا خائنين فى كل زمان لان الولد سر أبيه أو تعلم من كلامهم ان أسلافهم كانوا كذلك لانهم ينسبون ما فعلوا اليهم (قوله وقيل تقديره ومن الذين الخ) قرينة هذا التقدير قوله تعالى ميثاقهم اذ لو لم يقدر ذلك لكان الظاهر ان يقال ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا الميثاق فان قيل فما وجه هذا الضمير على تقدير عدم التقدير قلنا تأكيد نسبة الميثاق اليهم (قوله من غرى بالشئ اذا لصق به) فتكون العداوة والبغضاء يلصقان بهم لا ينفكان عنهم (قوله وهم نسطورية الخ) النسطورية الذين قالوا بان أقنوم العلم اتحد بجسد المسيح بطريق الاشراق كما تشرق الشمس من كوة على بلور واليعقوبية هم القائلون بان الاقنوم المذكور اتحد بجسد المسيح بان صار لحما ودما والملكانية هم الذين قالوا بنقل اقنوم العلم الى جسد المسيح فامتزج بناسوته امتزاج الخمر بالماء (قوله قد جاءكم من الله الخ) هذا تأكيد لقوله تعالى قد جاءكم رسولنا الخ لان مجىء النور والكتاب يؤكد مجىء الرسول

للتمييز ولذا لم يقع العطف بينهما (قوله لان المراد بهما واحد) الواحد الاول على تقدير ان يكون النور هو الكتاب المبين والثانى على تقدير ان يكون النور محمدا صلى الله عليه وسلم ومراده انه على هذا التقدير المراد بالضمير النور والكتاب فهو مثنى المعنى موحد اللفظ للاشعار بانهما فى حكم أمر واحد لان من اتبع أحدهما لابد ان يكون متبعا للآخر (قوله وقيل لم يصرح به واحد منهم ولكن لما زعموا الخ) ورد أن القرآن صرح بكفرهم مع انه على هذا التقدير لا يلزم كفرهم فان القول بما يستلزم الكفر غير الكفر كما قالوا ان الالزام غير الالتزام وتوضيحه ان صاحب المواقف بعد ما ذكر انه لا يكفر أحد من أهل القبلة نقل ان المعتزلة كفرت فى أمور وكذا المعتزلة كفروا أهل السنة ثم قال ما حاصله ان جميع ما ذكروه القول بما يستلزم الكفر ولا يلزم الكفر منه لان الالزام غير الالتزام والجواب انه ان سلم أنهم لم يصرحوا بما ذكر لكن حكم قولهم المذكور حكم صريح الالتزام اذ من البين الذى فى غاية الظهور ان القول المذكور مستلزم لما ذكر بخلاف الاقوال من أهل القبلة فان استلزامها للكفر ليس بذلك الظهور فلذا لم تكفر وههنا نظر وهو ان زعم ان فيه أى فى المسيح لاهوتا يمكن (١٤٢) أن يكون المراد ان اللاهوت ظهر فيه ظهورا تاما وهذا لا يستلزم الكفر وان

يعنى القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم (يهدى به الله) وحد الضمير لان المراد بهما واحد أو لانهما كواحد فى الحكم (من اتبع رضوانه) من اتبع رضاه بالايمان منهم (سبل السلام) طرق السلامة من العذاب أو سبل الله (ويخرجهم من الظلمات الى النور) من أنواع الكفر الى الاسلام (باذنه) بارادته أو توفيقه (ويهديهم الى صراط مستقيم) طريق هو أقرب الطرق الى الله سبحانه وتعالى ومؤد اليه لا محالة (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به أحد منهم ولكن لما زعموا أن فيه لاهوتا وقالوا لا الاه الا واحد لزمهم أن يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم (قل فمن يملك من الله شيأ) فمن يمنع من قدرته وارادته شيأ (ان أراد أن يهلك المسيح) عيسى (ابن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا) احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره أن المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية (ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير) ازاحة لما عرض لهم من الشبهة فى أمره والمعنى أنه سبحانه وتعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير أصل كما خلق السموات والارض ومن أصل كخلق ما بينهما فينشئ من أصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن أصل بجانسه اما من ذكر وحده كما خلق حوّا أو من أنثى وحدها كعيسى أو منهما كسائر الناس (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) أشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون أو الملقبون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق تحو ذلك مزيد بيان فى سورة آل عمران (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) أى فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم

لا الاه الا واحد لم يلزم منه أن يكون المسيح هو الله بل يلزم ان يكون الاله موجودا فيه (قوله وتقريره ان المسيح مقدور الخ) المراد بالمقدور ما يكون وجوده بالقدرة وبالمقهور ما يكون تحت حكم البارئ واثبات الحكمين ظاهر أما الاول فيحدوثه وأما الثانى فبالقياس الى جميع أمثاله وأما الثالث فلان ماهو حادث لابد أن يكون قابلا للفناء (قوله ازاحة لما عرض لهم من الشبهة فى أمره) يفهم من تفسيره ان الشبهة التى توجب اعتقاد كون المسيح هو الله كونه مخلوقا من غير أب لان المذكور هو ذلك لكن بطلانها فى غاية الظهور اذ كونه غير مخلوق من أب لا يصلح أن يتوهم فى منه ماذكر نعم كونه مصدرا للاحياء مثلا يصلح أن يكون منشأ لغلط الجاهلين (قوله كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون) الخبيب بضم الخاء المعجمة تصغير الخب اسم لابن عبد الله بن الزبير واذا جاز جمع اسم الابن واطلاقه على أشياع الاب واطلاقه على أشياع الابن أولى وفيه نظر اذ الابن نفسه داخل فى الاول دون الثانى وقال العلامة التفتازانى وجه التمثيل انه لما جاز جمع خبيب لابيه وأشياع ابيه فاولى أن يجوز جمع ابن الله للابن وأشياعه أقول فيه أيضا نظر لان المراد من أبناء الله على ما فسره صاحب الكشاف وتبعه المصنف أشياع الابن فلا يدخل فيه الابن فقوله فاولى الخ غير مناسب للمقام (قوله وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان فى سورة آل عمران) انما قال لنحو ذلك لانه لم يذكر ذلك بعينه فى السورة المذكورة لما ذكره هو قريب منه من كونهم محبين لله وغلوهم فى أمر عيسى (قوله فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه) أى من كان حبيب الله تعالى لا يفعل شيأ يوجب أن يكون سببا لان يعذبه الله وفيه ان الاحباء هم المحبوبون فالأنسب أن يقال ان المحب لا يعذب المحبوب بهذه الانواع المذكورة (قوله وقد عذبكم

فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ) وقال العلامة النيسابورى يمكن المعارضة بوقعة أحد و بقتل أحياء الله كالحسن والحسين رضى الله عنهما وأجيب بان المعارضة بوقعة أحد مساقطة لانهم وان ادعوا أنهم الاحياء لكن ما ادعوا انهم الابناء أقول لو عورض بقتل الانبياء لكان أولى والاولى الاكتفاء من هذه الثلاثة بالمسخ فان بديهة العقل حاكمة بان المسخ على صورة حيوان خسيس لا تعرض لأحياء الله بخلاف القتل والاسر فانهما عارضا الاحياء (قوله بل أنتم بشر ممن خلق) فان قيل هذا لا يناسب ما فسر به قوله نحن أبناء الله وأحباؤه لان كونهم أشياع ابن الله لا ينافى البشرية قلنا المقصود من هذا القول انهم من جنس البشر يعذبهم الله لو يشاء كسائر البشر فقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه يدل على ان غرضهم انهم ليسوا ممن يعاملهم الله كسائر البشر و يحكم فيهم بما يحكم فيهم واليه أشار المصنف بقوله يعاملكم معاملة الناس (قوله أى جاء كم على حين فتور) فتكون على بمعنى فى كما فى قوله تعالى على ملك سليمان (قوله أى لا تعتذروا فقد جاء كم) فتكون الفاء لسببية ما بعد لما قبلها فان النهى عن الاعتذار سبب مجىء البشير والنذير و يسمى مثل هذه الفاء فصيحة لانه يفصح عن المحذوف بحيث لو ذكر لم يكن له ذلك الحسن (قوله وكانوا أحوج ما يكون اليه) أى كانوا فى وقت هو أحوج أوقات كونهم أى وجودهم اليه أى البعث (قوله اذ جعل فيكم أنبياء) ان حمل التركيب على المعنى الحقيقى فكثرة الانبياء باعتبار موسى وهرون و يوسف وان ارتكب التجوز فجميع أنبياء بنى اسرائيل داخلون بمعنى انه قدر فى جنسكم الانبياء (قوله حين قتلوا يحيى الخ) أى تكاثر الملوك فيهم بعد قتل يحيى كما تكاثر الانبياء بعد فرعون أى لما قتلوا يحيى انقطع كثرة الانبياء عنهم بشؤم فعلهم القبيح وفى أكثر النسخ حتى قتلوا الخ وعلى هذا فيكون المعنى تكاثر الانبياء والملوك فيهم قبل يحيى فلما قتل يحيى انقطع عنهم كثرة ماذكر (قوله وقيل المراد بالعالمين عالمى زمانهم) انما قال قيل لانه لا حاجة الى هذا التخصيص لان فلق البحر وتظليل الغمام وأمثالهما لم توجد فى غيرهم (قوله سميت بذلك الخ) فعلى هذا يكون الاصل الارض المقدس ساكنها فحذف المضاف فانقلب الضمير المجرور مرفوعا واستتر (قوله وقيل الطور وما حوله الخ) فتقديسه باعتبار تجليه تعالى لموسى كما قال تعالى انك بالوادى المقدس طوى وتقديس دمشق وغيره ممكن أيضا باعتبار كونها مسكن الانبياء أو لغيره (قوله قسمها لكم) أى أفردها وعينها لكم من جملة الارض (قوله ولكن ان آمنتم الخ) متعلق بالتفسيرين المذكورين

فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترضوا بأنه سيعذبكم بالنار أياما معدودات (بل أنتم بشر ممن خلق) ممن خلقه الله تعالى (يغفر لمن يشاء) وهم من آمن به و برسله (و يعذب من يشاء) وهم من كفر والمعنى أنه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عنده (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) كلها سواء فى كونها خلقا وملكا له (واليه المصير) فيجازى المحسن باحسانه والمسىء باساءته (يا أهل الكتاب قد جاء كم رسولنا يبين لكم) أى الدين وحذف ظهوره أو ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره و يجوز أن لا يقدر مفعول على معنى يبدئ لكم البيان والجملة فى موضع الحال أى جاء كم رسولنا مبينا لكم (على فترة من الرسل) متعلق بجاء كم أى جاء كم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحى أو بيان حال من الضمير فيه (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) كراهة أن تقولوا ذلك وتعتذروا به (فقد جاء كم بشير ونذير) متعلق بمحذوف أى لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاء كم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام اذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبى وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كان بينهما ستمائة أو خمسمائة وتسع وستون سنة وأربعة أنبياء ثلاثة من بنى اسرائيل و واحد من العرب خالد بن سنان العبسى وفى الآية امتنان عليهم بأن بعث اليهم حين انطمست آثار الوحى وكانوا أحوج ما يكونون اليه (واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمت الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء) فأرشدكم بشرفكم بهم ولم يبعث فى أمة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء (وجعلكم ملوكا) أى وجعل منكم أو فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا ملوكين فى أيدى القبط وأنقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وأمورهم سماهم ملوكا (وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم الله وقيل المراد بالعالمين عالمى زمانهم (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة) أرض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين و بعض الاردن وقيل الشأم (التى كتب الله لكم) قسمها لكم أو كتب فى اللوح أنها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم

(قوله والنصب على الجواب) أى على جواب لا ترتدوا فان المضارع المدخول للفاء اذا كان بعد واحد من الامور الستة التى منها النهى يكون منصوبا (قوله من الذين يخافون الله) لانهم لم يخافا الجبابرة ولو كان معنى يخافون يخافون الجبابرة لوجب أن يكونا خائفين أيضا (قوله فعلى هذا الواو لبنى اسرائيل الخ) اذ لا يجوز رجوعه الى الجبابرة لانهم لم يكونوا خائفين لا من الله تعالى ولا من بنى اسرائيل فيكون التقدير من الذين يخافونهم (قوله و يشهد له) أى لما قال صاحب القيل وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اذا أريد برجلان كالب و يوشع و يخافون من الله وهو المعنى الاول يكون يخافون بالضم من باب الافعال (قوله ويجوز أن يكون علمهما بذلك الخ) و يجوز أن يقال انهما صارا ملهمين بذلك لحسن سيرتهما وصفاء سريرتهما (قوله على التأكيد والتأبيد) التأكيد مستفاد من لن (قوله قالوا ذلك استهانة بالله و رسوله الخ) لك أن تقول لم لا يجوز أن يكون ما قالوا لشدة خوفهم وضنهم بارواحهم وأما قوله فافرق بيننا و بين القوم الفاسقين لا يدل على ما ذكر اذ يجوز أن يكون فسقهم لعدم اطاعتهم أمر نبيهم وقال صاحب الكشاف والظاهر انهم قصدوا بذلك استهانة بالله ورسوله وعبارة المصنف أقرب الى المناقشة والجواب أن يقال لو كان عدم ذهابهم الى الجبابرة من الخوف لوجب عليهم تعليل عدم الذهاب بالخوف فالعدول عنه الى هذه العبارة الدالة على عظم الجراءة تدل على الاستهانة (قوله وقيل اذهب أنت و ربك يعينك) الظاهر ان هذا أيضا استهزاء لان المعلوم من عادة الله تعالى انه لا يغلب واحد بلا أنصار على الجموع الكثيرة القوية (قوله والرجلان المذكوران الخ) هذا جواب سؤال يتوهم على قوله انى لا أملك الا نفسى وأخى وتقريره ان الرجلين المذكورين كانا يوافقان موسى عليه السلام فلم قال لا أملك الا نفسى وأخى فاجاب بما ذكر (قوله أو على اسم ان) و يكون المعنى ان أخى لا يملك الا نفسه (قوله ورفعه عطفا على الضمير فى لا أملك) فيه انه يلزم أن يكون أخى فاعل املك وهو فاسد الا أن يقال فى مثل هذه الصورة أن يكون العامل فى المعطوف قد لا يكون العامل فى المعطوف عليه والمعنى انى لا يملك أخى الا نفسه قوله وجره عند الكوفيين الخ) فانهم جوّزوا العطف على المضمر المجرور من غير اعادة الخافض و يكون التقدير الا نفس أخى

وأطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم (ولا ترتدوا على أدباركم) ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر أو لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله سبحانه وتعالى (فتنقلبوا خاسرين) ثواب الدارين ويجوز فى فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب (قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين) متغلبين لا تتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى أجبره وهو الذى يجبر الناس على ما يريده (وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون) اذ لا طاقة لنا بهم (قال رجلان) كالب و يوشع (من الذين يخافون) أى يخافون الله سبحانه وتعالى و يتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة أسلما وسارا الى موسى عليه الصلاة والسلام فعلى هذا الواو لبنى اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف أى من الذين يخافهم بنو اسرائيل و يشهد له أنه قرئ الذين يخافون بالضم أى المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة أى من الذين يخوفون من الله عز وجل بالتذكير أو يخوفهم الوعيد (انعم الله عليهما) بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلان أو اعتراض (ادخلوا عليهم الباب) باب قريتهم أى باغتوهم وضاغطوهم فى المضيق وامنعوهم من الاصحار (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لتعسر الكر عليهم فى المضايق من عظم أجسامهم ولانهم أجسام لا قلوب فيها و يجوز أن يكون علمهما بذلك من اخبار موسى عليه الصلاة والسلام وقوله كتب الله لكم أو مما علما من عادة الله سبحانه وتعالى فى نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى عليه الصلاة والسلام فى قهر أعدائه (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) أى مؤمنين به ومصدّقين بوعده (قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا) نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد (ما داموا فيها) بدل من أبدا بدل البعض (فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب أنت وربك يعينك (قال رب انى لا أملك الا نفسى وأخى) قاله شكوى بثه وحزنه الى الله سبحانه وتعالى لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه و يجوز أن يراد باخى من يواخينى فى الدين فيدخلان فيه و يحتمل نصبه عطفا على نفسى أو على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير فى لا أملك أو على محل ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير فى نفسى (فافرق بيننا و بين القوم الفاسقين) بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه أو بالتبعيد بيننا و بينهم وتخليصنا من صحبتهم (قال فانها) فان الارض المقدسة محرمة

(قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابنى آدم الخ) يمكن أن يكون معطوفا على قوله واذ قال موسى اذ هو فى تقدير واذكر اذ قال موسى (قوله ولم يردهما ابنى آدم الخ) زيف هذا بما سيجىء من قوله تعالى فبعث الله غرابا الآية اذ لو كانا غيرابنى آدم من صلبه لما التبس على القاتل مواراة أخيه بالدفن (قوله ظرف للبعض أو حال منه) فعلى الاول يكون التقدير نبأهما فى زمان قربانهما وعلى الثانى نبأهما واقعا فى زمان قربانهما وهذا مما زاد على الكشاف وفيه نظر لانهم

صرحوا بان الحال قيد للعامل فيكون الوقوع فى زمان القربان كما فى ضربت زيدا راكبا اذ الركوب فى وقت الضرب فتأمل (قوله أو بدل على حذف مضاف) بدل البعض من الكل (قوله ظرف للنبأ) لان نبأهما فى الاصل مصدر لانه حينئذ بمعنى المفعول فلم يبن لتلبيح الاصل (قوله لفرط الحسد على قبول قربانه) لك أن تقول يحتمل أن يكون التوعد المذكور لفرط العداوة على ما ترتب عليه من تزوج هابيل توأمته أى توأمة قابيل والجواب انه لما كان التزوج المذكور سبب تقبل قربانه نسب التوعد بالقتل اليه (قوله وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق) فيه ان المعلوم من قواعد الشرع ان كل نفس متقية كانت أو عاصية اذا فعلت الطاعة وأخلصت النية قبلت منها قال القرطبى قال علماؤنا رحمهم الله المخلصون وهم المؤمنون يعملون الفواحش

(محرمة عليهم) لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم (أربعين سنة يتيهون فى الارض) عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التى كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روى أن موسى عليه الصلاة والسلام سار بعده بمن بقى من بنى اسرائيل ففتح أريحاء وأقام بها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض فى التيه ولما احتضر أخبرهم بان يوشع بعده نبى وأن الله سبحانه وتعالى أمره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبنى اسرائيل واما يتيهون أى يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة أحد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا فى التيه وانما قاتل الجبابرة أولادهم روى انهم لبثوا أربعين سنة فى ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضىء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذى يحملونه والا كثر على أن موسى وهرون كانا معهم فى التيه لانه كان ذلك روحالهما وزيادة فى درجتهما وعقوبة لهم وأنهما ماتا فيه مات هارون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع أريحاء بعد ثلاثة أشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع (فلا تأس على القوم الفاسقين) خاطب به موسى عليه الصلاة والسلام نادما على الدعاء عليهم وبين أنهم أحقاء بذلك لفسقهم (واتل عليهم نبأ ابنى آدم) قابيل وهابيل أوحى الله سبحانه وتعالى الى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت أجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل زوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فأكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يردهما ابنى آدم لصلبه وانهما رجلان من بنى اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بنى اسرائيل (بالحق) صفة مصدر محذوف أى تلاوة ملتبسة بالحق أو حال من الضمير فى اتل أو من نبأ أى ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاولين (اذ قربا قربانا) ظرف لنبأ أو حال منه أو بدل على حذف مضاف أى واتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله سبحانه وتعالى من ذبيحة أو غيرها كالأن الحلوان اسم ما يحلى به أى يعطى وهو فى الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا فقبل كان قابيل صاحب زرع وقرب أردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جلا سمينا (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) لانه سخط حكم الله سبحانه وتعالى ولم يخلص النية فى قربانه وقصد الى أخس ما عنده (قال لأقتلنك) توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك (قال انما يتقبل الله من المتقين) فى جوابه أى انما أتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلى فلم تقتلنى وفيه اشارة الى أن الحاسد ينبغى أن يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد فى تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا فى ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وأن الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق (لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين) قيل

والكبائر فحسناتهم توضع فى السكفة المظلمة فيكون لكبائرهم ثقل فان كانت الحسنات أثقل دخل الجنة وان كانت السيئات أثقل دخل النار وهذا صريح فى قبول الطاعات والحسنات من غير المتقين اذ لو لم تقبل أصلا لم تدخل فى الميزان ولم يكن لها أثر فيحمل الكلام على ان القربان المذكور لم يتقبل الا من المتقين وأقول يمكن أن يقال المراد من التقوى التقوى من الشرك والكفر والعبادة انما تتقبل من المتقين من الشرك فان من كان مشركا وكان خاتمته الى الشرك

فلا تنقبل منه الطاعة لكن خاتمة قابيل الى الشرك على ماروى انه لما قتل أخاه هرب عن أرض اليمن الى عدن فاتاه ابليس وقال انما أكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدم النار و يعبدها فبنى بيت نار وهو أول من عبد النار (قوله لان الدفع لم يبح بعد) أى دفع السائل لم يكن مباحا يومئذ (قوله أو نحو يا لماهو الافضل) هذا لا يناسب قوله تعالى انى أخاف الله رب العالمين لانه يفيد ان تحرى الافضل للخوف والخوف انما يكون علة للاحتراز عن غير الجائز لا عن المفضول الجائز ولذا لم يذكره صاحب الكشاف (قوله وانما قال ما أنا بباسط يدى اليك الخ) أى انما قال بالجملة الاسمية ليفيد العموم فى الازمنة (قوله ارادة أن تحمل انمى لم بسطت اليك يدى) أى مثل انمى اذ لا انم عليه حتى يتحمل عنه عين ذلك الانم ثم لك أن تقول تحمل مثل الانم الذى لم يقع لاوجه له اذ يلزم منه أن يكون للقاتل انمان انم قتله لصاحبه وانم قتل صاحبه (١٤٦) اياه لو وقع واما تمثيله بالمستبان ما قالا فعلى البادى فقياس مع الفارق فان

السب وقع من الجانبين فتحمل البادى انم السب الصادر من الساب الآخر فان قلت المراد من مثل انمه أى مثل انم هابيل هو انم قتل قابيل اياه لان هذا الانم مثل انم هابيل لو بسط يده الى قتل قابيل قلنا فيكون المعطوف والمعطوف عليه واحدا لكن الظاهر ان المراد ههنا جمع الاثمين وهذا التفسير لصاحب الكشاف وتبعه المصنف لكن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة قالوا معناه تحمل انم قتلى وانمك الذى كان قبل قتلى وفسره الزجاج بالتفسير الثانى من التفسيرين اللذين ذكرهما المصنف ويمكن أن يقال انه أراد اجتماع الاثمين عليه لكن لا يلزم من مجرد ارادة شئ وقوعه لكن بقى اما الباعث على هذا التفسير حتى يحوج الى هذا التكلف (قوله فالمراد بالذات ان لا يكون له الخ) فى لك أن تقول اذا كان المقصود بالذات ماذكر فلم عدل الى المعنى الذى ذكره ويمكن الجواب بان العدول لردعه عن القتل وتخويفه منه بان جزاءه الدخول فى النار (قوله لم يجز أن يكون المراد بالانم الخ) فيه أن ارادة هابيل عقوبة قابيل بانمه مستلزمة لارادة انمه اذ هذا القول صدر قبل القتل فكانه قال أريد أن أتم بقتلى فعوقبت به ولو قيل المراد انى أريد ان عوقبت بانمك السابق على قتلى بقى انه لم يظهر لقوله بانمى معنى (قوله أو على ان قتل أخيه) أى تصور قتل أخيه دعاه (قوله وكيف حال عن الضمير) أى على أى حال يوارى وهى المواراة على تلك الكيفية المخصوصة (قوله كلمة تجزع وتحسر) أى تحسر وأجزع عن العجز عن مواراة سوأة أخى وقوله والمعنى الخ أى أصل معناه ذلك لكن استعمل ههنا فيما ذكر من التحسر (قوله اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت) فان ما بعد الفاء

كان هابيل أقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله سبحانه وتعالى لان الدفع لم يبح بعد أو تحر يا لما هو الافضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما أنا باسط فى جواب لئن بسطت للتبرى عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من أن يوصف به و يطلق عليه ولذلك أكد النفى بالباء (انى اريد أن تبوء بانمى وانمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما أستسلم لك ارادة أن تحمل انمى لو بسطت اليك يدى وانمك بسطك يدك الى ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادئ مالم يعتد المظلوم وقيل معنى بانمى بانم قتلى و بانمك الذى لم يتقبل من أجله قربانك وكلا هما فى موضع الحال أى ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا هما واعلم ان رد معصية أخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد أن يكون لك لا لى فالمراد بالذات أن لا يكون له لا أن يكون لاخيه ويجوز أن يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصى جائزة (فطوعت له نفسه قتل أخيه) فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على أنه فاعل بمعنى فعل أو على أن قتل أخيه كأنه دعاها الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله (فقتله فأصبح من الخاسرين) دينا وذنيا اذ بقى مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه) روى أنه لما قتله تحير فى أمره ولم يدر ما يصنع به اذ كان أول ميت من بنى آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه فى الحفرة والضمير فى ليريه لله سبحانه وتعالى أو للغراب وكيف حال من الضمير فى يوارى والجملة ثانى مفعولى يرى والمراد بسوأة أخيه جسده الميت فانه مما يستقبح أن يرى (قال ياويلتا) كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى ياويلتى احضرى فهذا أوانك والويل والويلة الهلكة (أعجزت ان أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى) لا أهتدى الى مثل ما اهتدى اليه وقوله فأوارى عطف على أكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى ههنا لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا أوارى أو على تسكين المنصوب تخفيفا (فأصبح من النادمين) على قتله لما كابد فيه من التحير

الناصبة يكون مسببا عما قبلها كما فى قوله أماتانا فتحدثنا فان الاتيان سبب للتحديث فيكون حاصل المعنى لو تأتينا نحدثنا وما ذكره رد على الكشاف فان قيل ما المراد من الاستفهام فى قوله تعالى أعجزت قلنا المراد التعجب اذ تعجب من قصوره عن الغراب وعدم هدايته لما اهتدى اليه فيكون عدم الاهتداء تفسير القوله أعجزت الخ والام يعطف فالمناسب ما اهتديت الى ما اهتدى (قوله وعدم الظفر بما فعله من أجله) أى عدم الفوز بشئ قتل بسببه قابيل أخاه من أجل ذلك الشئ وهو تزوج توأمته لانه خلاف حكم الله الذى أوحاه الى آدم (قوله والمقصود منه تعظيم الخ) يعنى كما ماذكرمن وجوه الشبه يمكن اجراؤه فى غير ما ذكرنا بان يقال مثلا من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل اثنين أو جماعة لكن تشبيهه بقتل الجميع للتهويل وتعظيم أمر القتل (قوله من أجل أمثال تلك الجناية) أى من أجل الاحتراز عن أمثال تلك الجناية وهى القتل (قوله تعالى ثم انهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون) فان قيل ما فائدة فى الارض مع انه معلوم ان اسرافهم ليس الا فى الارض لا فى غيره قلنا ليعلم أن اسراف ذلك الكثير ليس أمرا مختصوصا بهم بل انه تشمر شره فى الارض وسرى الى غيرهم (قوله و بهذا اتصلت الآية بما قبلها) فان مضمون الآية المتقدمة وهى قوله تعالى وانل عليهم الآية عصيان ابن آدم بالقتل بعد نهيه عنه كما دل عليه قوله انى أريد أن تبوء بإثمى واثمك اذ صار مضمون هذه الآية بسبب ماوقع فى آخرها وهو قوله تعالى ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون ثم بنى اسرائيل بالقتل بعد نهيهم عنه فصار محصلها واحدا وهو القتل بعد النهى عنه فحصل الاتصال بينهما و يمكن

فى أمره وحمله على رقبته سنة أو أكثر على ماقيل وتلهذه للغراب واسوداد لونه وتبرئ أبويه منه اذ روى أنه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من أجله (من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل) بسببه قضينا عليهم وأجل فى الاصل مصدر أجل شمر اذا جنى واستعمل فى تعليل الجنايات كقولهم من جرك فعلته أى من أن جررته أى جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا أى ابتداء الكتب ونشؤه من أجل ذلك (أنه من قتل نفسا بغير نفس) أى بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص (أوفساد فى الارض) أو بغير فساد فيها كالشرك أوقطع الطريق (فكأنما قتل الناس جميعا) من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه أو من حيث ان قتل الواحد وقتل الجميع سواء فى استجلاب غضب الله سبحانه وتعالى والعذاب العظيم (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) أى ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو أومنع عن القتل أو استنقاذ من بعض أسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها فى القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا فى المحاماة عليها (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون) أى بعدما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من أجل أمثال تلك الجناية وأرسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كى يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون فى الارض بالقتل ولا يبالون به و بهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال فى الامر (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) أى يحاربون أولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما وأصل الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة بالاصوصية وان كانت فى مصر (ويسعون فى الارض فسادا) أى مفسدين و يجوز نصبه على العلة أو المصدر لان سعيهم كان فسادا فكأنه قيل ويفسدون فى الارض فسادا (أن يقتلوا) أى قصاصا من غير صلب ان أفردوا القتل (أو يصلبوا) أى يصلبوا مع القتل ان قتلوا وأخذوا المال وللفقهاء خلاف فى أنه يقتل و يصلب أو يصلب حيا و يترك أو يطعن حتى يموت (أوتقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) تقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى

أن يقال ان المراد اتصال هذه الآية بما سبق من الآيات الواردة فى بنى اسرائيل من قوله تعالى ولقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل الى قوله تعالى وانل عليهم فان تلك الآيات بيان لعصيان بنى اسرائيل وطغيانهم وهذه الآية بسبب هذا الكلام الأخير مشتملة على عصيانهم أيضا فلذا حصل الاتصال وفى بعض النسخ اتصلت القصة بما قبلها أى اتصلت قصة بنى آدم بما قبلها وعلى هذا فلا شار اليه بهذا قوله بعدما كتبنا الخ فانه يوجب اتصال قصة ابنى آدم بما قبلها من أحوال بنى اسرائيل اذ تبين منه أن ذكر القصة هكذا لاجل حال بنى اسرائيل من أنه كتب عليهم بسببها ما ذكر من مفهوم قوله تعالى كتبنا الخ ثم انهم تجاوزوا عما كتب الله عليهم (قوله لان سعيهم كان فسادا) أى افسادا ليلائم قوله يفسدون والظاهر أن الغرض ان يسعون بمعنى يفسدون مجازا وقوله لان سعيهم كان فسادا أى مستلزما له فذكر السبى وأريد ما هو لازم له مجازا

(قوله واو على هذا للتفصيل) أي على ما فسر بان يكون كل من العقوبات في صورة أخرى وقيل انه للتخيير ضعفه جمهور الفقهاء بانه يلزم منه انه اذا أخاف السبيل من غير القتل والاخذ أن يقتله الامام واذا قتل وأخذ المال أن ينفيه (قوله تعالى ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) ان قيل قال الامام النووي في فتاويه وفي شرح صحيح مسلم اذا قتل الشخص قصاصا سقط عنه عقوبة الآخرة فكيف يكون له الخزي في الدنيا وفي الآخرة العذاب العظيم قلنا اذا قتل قاطع الطريق قصاصا سقط عنه اثم القتل وبقي عليه اثم اخافة السبيل فانه ضرر بجماعة المسلمين وهذا الاثم عام لكل قاطع طريق فيكون له في الآخرة عذاب بسبب الاخافة لكن هذا مخالف في الظاهر للحديث الصحيح الذي رواه النووي أنه قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيأ فعوقب به كان كفارة له في الآخرة اذ يعلم منه أنه اذا اقتصر على مجرد الاخافة وفي من الارض يسقط عنه الاثم فليس له في الآخرة عذاب لكن الآية دلت على ان عليه العذاب ويمكن أن يقال معنى الحديث أنه يسقط به ما يتعلق بالله تعالى واخافة السبيل فيه حق الله وحق المسلمين وبالتفي يسقط الاول دون الثاني ويمكن أن يقال لهم عذاب في الآخرة ان لم يتحر لهم الخزي في الدنيا (قوله يسقط بالتوبة حق وجوبه لاجوازه) يفهم منه ان قتله مع كونه قصاصا واجب في هذه الصورة لا يسقط بعفو ولي القصاص بخلاف سائر صور القصاص (قوله بمحاربة أعدائه الظاهرة والباطنة) فالظاهرة الكفرة المحاربون والباطنة النفس الحيوانية الامارة والشيطان (قوله أولان الواو في مثله بمعنى مع) كذا في الكشاف فيكون الضمير راجعا الى ما في الارض الموصوف بكونه مع مثله قال العلامة التفتازاني لا يخفى ان ما في الارض ليس معمولا للملك الفعل المحذوف ولا متعلقا به من جهة المعنى بل بمعنى الحصول المستفاد من الظرف الواقع خبرا ان أعني حصل لهم ولا يجوز أن يجعل هو العامل في المفعول معه لانه اذا كان العامل معنى وجازا عطف تعين العطف على مثل المزيد وعمرو بالجر ولا يجوز عمرا بالنصب اه أي اذا كان مثله معمولا للفعل المستفاد من الظرف يجب أن يكون مرفوعا لانه يجب عطفه على الضمير الذي يكون فاعل حصل (قوله والجملة تمثيل للزوم العذاب) أي مجاز مركب عنه من غير نظر الى مفردات التركيب يعني ان هذا المجموع مستعمل في معنى المجموع الذي هو لا سبيل لهم الى الخلاص من العذاب (قوله للمبالغة) يعني ان المناسب لقوله تعالى يريدون أن يخرجوا أن يقال ما يخرجوا فالعدول عنه الى ما ذكر لنكتة هي المبالغة فان ماهم يخارجين فيه تكرر ان نسبة الخروج اليهم وتأكيد النفي بالباء كما قالوا زيد بضارب أبلغ من يضرب زيد لان فيه تقوى النسبة (قوله والفاء للسببية الخ) هذا من تتمة كلام المبرد وتوضيحه ان اللام في السارق والسارقة لام الموصول فيكون اسما الفاعل فعلين في صورة الاسم والتقدير ماذكر فيكون المبتدأ متضمنا معنى الشرط

(١٤٨)

ان أخذوا المال ولم يقتلوا (أو ينفوا من الارض) ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في موضع ان اقتصر واعلى الاخافة وفسر أبو حنيفة النفي بالحبس وأوفى الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق (ذلك لهم خزي في الدنيا) ذل وفضيحة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) استثناء مخصوص بما هو حق الله سبحانه وتعالى وبدل عليه قوله تعالى (فاعلموا أن الله غفور رحيم) اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان أسقطت العذاب وأن الآية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) أي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة (وجاهدوا في سبيله) بمحاربة أعدائه الظاهرة والباطنة (لعلكم تفلحون) بالوصول الى الله سبحانه وتعالى والفوز بكرامته (ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض) من صنوف الاموال (جميعا ومثله معه ليفتدوا به) ليجعلوه فدية لانفسهم (من عذاب يوم القيامة) واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت أن لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به واذكر وشيأن اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك أولان الواو في ومثله بمعنى مع (ما تقبل منهم) جواب لو ولو وما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه (ولهم عذاب أليم) تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) وقرئ بخرجوا من أخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة أي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية

فلذا يصح دخول الفاء فى الجزاء وهذه الفاء تمنع عمل ما بعدها فيما قبلها بالاتفاق فلا يكون الكلام من باب شريطة التفسير (قوله وهو المختار فى أمثاله) فيه نظر اذ يلزم منه أن يكون القرآن على غير المختار وأما ترجيح النصب بما ذكره ففيه ان العلامة التفتازانى ذكر ان الامر يقع فى مثل هذا الموقع خبرا للمبتدا بلا تأويل وذلك لكونه فى الحقيقة جزاء الشرط وتفضيل سيبويه قراءة النصب على قراءة العامة انما هو على تقدير عدم التأويل أى تأويل الكلام بالجملة الشرطية وعدم الصرف من باب شريطة التفسير وعبارة الكشاف أحسن من عبارة المصنف فانه قال وقراءة عيسى بن عمر بالنصب وفضله سيبويه على قراءة العامة وانما كان أحسن لانه لم يجزم بكون النصب مختارا لما نقله عن سيبويه مع أن العلامة (١٤٩) الطيبى نقل عن صاحب الفوائد أن سيبويه

دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذى سرق والتى سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار فى أمثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة أخذ مال الغير فى خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار أو ما يساويه لقوله عليه الصلاة والسلام القطع فى ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف فى ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه فى شرح المصابيح والمراد بالايدى الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه أيمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما فى قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى أن القطع هو المنكب والجمهور على أنه الرسغ لانه عليه الصلاة والسلام أتى بسارق فامر بقطع يمينه منه (جزاء بما كسبا نكالا من الله) منصوبان على المفعول له أو المصدر ورود على فعلهما فاقطعوا (والله عزيز حكيم فمن تاب) من السراق (من بعد ظلمه) أى بعد سرقته (وأصلح) أمره بالتنصى عن التبعات والعزم على أن لا يعود اليها (فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) يقبل توبته فلا يعذبه فى الآخرة وأما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (يعذب من يشاء و يغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير) قدم التعذيب على المغفرة ابتداء على ترتيب ما سبق أو لان استحقاق التعذيب مقدم أو لان المراد به القطع وهو فى الدنيا (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) أى صنيع الذين يقعون فى الكفر سريعا أى فى اظهاره اذا وجدوا منه فرصة (من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) أى من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو تحتمل الحال والعطف (ومن الذين هادوا) عطف على من الذين قالوا (سماعون للكذب) خبر محذوف أى هم سماعون والضمير للفريقين أو للذين يسارعون و يجوز أن يكون مبتدأ ومن الذين خبره أى ومن اليهود قوم سماعون واللام فى للكذب امامزيدة للتأكيد أو لتضمين السماع معنى القبول أى قابلون لما تفتريه الاحبار أو للعلة والمفعول محذوف أى سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أى لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء والمعنى على الوجهين أى مصغون لهم قابلون كلامهم أو سماعون منك لاجلهم والانهاء اليهم و يجوز أن تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثانى مكرر للتأكيد أى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين (يحرفون الكلم من بعد

ما فضل النصب مطلقا بل فضله اذا بنى الاسم المتقدم على فعل الامر أما اذا لم يبن عليه بل بنى على محذوف جاء الفعل طارئا عليه فعنده لا يكون النصب مختارا ولذا قال تقديره حكم السارق والسارقة فيما يتلى عليكم والتبس الامر على الزمخشرى فظن ان الكل باب واحد (قوله ودل على فعلهما فاقطعوا) بل الجزاء والنكال يدلان على فعلهما وانما لم يعطف نكالا على جزاء للاشعار بان القطع للجزاء علة للنكال (قوله اكتفاء بتثنية المضاف اليه) أى لم يثن المضاف اليه لكونه تكرر بالتثنية (قوله والتفصى عن التبعات) أى عن مظالم العباد التى حصلت بالسرقة (قوله والعزم على عدم العود اليها) أى السرقة هذا باعتبار انه جعل التوبة مجرد الندم على ما فعل فيجب اعتبار العزم المذكور معه (قوله لان ما فيه حق للمسروق منه) فيه نظر اذ لو كان عدم السقوط لما ذكر لزم السقوط اذا عفا المسروق منه وليس كذلك بل الفقهاء صرحوا بان حد السرقة محض حق الله تعالى (قوله ابتداء على ترتيب ماسبق) فان العقوبة المستفادة من فاقطعوا أيديهما الآية مقدم فى الذكر على المغفرة التى هى قبول التوبة (قوله لا بآمنا) اذ لو كان متعلقا به لكان مقول قولهم آمنا بافواههم وليس كذلك لوجهين (قوله ليكذبوا عليك فى كلامك) انما قال فى كلامك لان الافتراء المطلق لا حاجة فيه الى سماع كلام المفترى عليه وانما الكذب فى كلامه بان يزيد وينقص مايحتاج اليه (قوله والمعنى على الوجهين الخ) تعريف الوجهين مشعر بان هذين الوجهين هما الوجهان المذكوران سابقا لكن الوجه الثانى من هذين غير الثانى

مواضعه) أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله أو تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة أخرى لقوم أو صفة لسماعون أو حال من الضمير فيه أو استئناف لا موضع له أو في موضع الرفع خبر لمحذوف أي هم يحرفون وكذلك (يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه) أي ان أوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به (وان لم تؤتوه) بل أفتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) أي احذروا قبول ما أفتاكم به روي أن شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له أنشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته أن ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد (ومن يرد الله فتنته) ضلالته أو فضيحته (فلن تملك له من الله شيأ) فلن تستطيع له من الله شيأ في دفعها (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة (لهم في الدنيا خزي) هوان بالجزية والخوف من المؤمنين (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استأنفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين (سماعون للكذب) كرره للتأكيد (أكالون للسحت) أي الحرام كالرشا من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب في المواضع الثلاثة بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر (فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعي والاصح وجوبه اذا كان المترافعان أو أحدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست في أهل الذمة وعند أبي حنيفة يجب مطلقا (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله سبحانه وتعالى يعصمك من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) أي بالعدل الذي أمر الله به (ان الله يحب المقسطين) فيحفظهم ويعظم شأنهم (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال أن الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون أهون عليهم وان لم يكن حكم الله تعالى في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة (ثم يتولون من بعد ذلك) ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب (وما أولئك بالمؤمنين) بكتابهم لاعراضهم عنه أولا وعما يوافقه ثانيا أو بك وبه (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) يهدي الى الحق (ونور) يكشف عما استبهم من الاحكام (يحكم بها النبيون) يعني أنبياء

من الاولين (قوله أي يميلونه عن مواضعه) هذا بيان حاصل المعنى واما تبيين أصل المعنى فبان يقال يميلونه من بعد وضعه في مواضعه ولك أن تقول ما فائدة لفظة بعد ولم لم يقل من مواضعه والجواب ان ما ورد صريح في تحقق مواضعه فيفيد الاهتمام (قوله اما باهماله أو تغيير موضعه) أي اما تركه واما وضعه في غير موضعه (قوله أو حال من الضمير فيه) يلزم أن يكون التحريف في حال السماع (قوله وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة) فانهم ذهبوا الى ان الله تعالى أراد اسلام الكافر وتطهيره عن الشرك لكنه لم يقع (قوله لانا التزمنا الذب عنهم الخ) فان قلت اذا كان أحدهما ذميا يمكن أن يكون هو الظالم فلم تجر العلة المذكورة في هذه الصورة مع انه يجب الحكم قلنا لما لم يكن الظلم ظاهرا عند الترافع جاز أن يكون الذمي مظلوما فيجب الحكم فان قلت اذا كان المدعى عليه ذميا دون المدعي كيف يتصور الذب عنه قلنا يتصور بدفع مطالبة المدعي وايذائه عنه (قوله وعند أبي حنيفة يجب مطلقا) سواء كانا ذميين أو أحدهما ذميا أولا (قوله فان الله يعصمك من الناس) فيه ان المصنف فسر العصمة أي في قوله تعالى والله يعصمك من الناس بعصمة الروح وهو لا ينافي المضرة مطلقا والجواب ان مراده ههنا من ايراد هذه العبارة عدم الضرر مطلقا فتأمل (قوله لاعراضهم عنه) فان قلت الاعراض عن الشئ لا ينافي الايمان به لانه تصديق قلبي ويمكن وجود التصديق بحقيقة الشئ مع الاعراض عنه قلنا قد حققنا أن الايمان هو التسليم والرضا القلبي والاعراض عن الشئ دال على عدم الرضا به فلا يجتمع مع الرضا الذي هو الايمان

بني

(قوله أوموسى ومن بعده) حتى يتناول نبينا صلى الله عليه وسلم (قوله مدحالهم) اعترض عليه بان النبوة أعظم من الاسلام فكيف يمدح النبي بانه رجل مسلم ولايخفى ان النزول من الاعلى الى الادنى قصور في البلاغة واما وصف القديم سبحانه بالصفات فانما هو لان المقصود من الله الموصوف بها لذات لا الموصوف بالالوهية واعلم ان عبارة الكشاف هكذا صفة أجريت على سبيل المدح والسؤال المذكور يتجه عليه أيضا لكن أجاب عنه العلامة التفتازاني بان المراد صفة أجريت على طريق المدح وان لم يكن المقصود منه مدحهم بل يقصد التعريض باليهود انتهى كلامه ولايخفى انه لايمكن دفع الاعتراض عن المصنف بالجواب المذكور ويمكن أن يقال الغرض من مدح النبيين بوصف الاسلام مدح الوصف نفسه لان مدح النبيين مع وصفهم بالنبوة بالاسلام غاية مدح الاسلام وترغيب الناس فيه فباعتبار ماذكر داخل في البلاغة (قوله وتنويها بشأن المسلمين) أي تعظيما لهم فان الاسلام الذي هو صفتهم مدح به الانبياء (قوله وتعريضا باليهود) أي تعريضا بانهم غير مسلمين اذ جعل الاسلام صفة النبيين دون

اليهود يومئ اليه واذا كانوا غير مسلمين كانوا بمعزل عن دين الانبياء (قوله وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم) لان تخصيص الحكم باليهود دال عليه ولايتوهم ان هذا نقيض ماسبق من انه يجوز أن يكون المراد أنبياء بني اسرائيل ويجوز أن يكون المراد أعم لان المراد من الدلالة ههنا رجحان المعنى الاول بقرينة اللام الدالة على الاختصاص وان احتمل المعنى الآخر وأيضا اذا جعل للذين هادوا متعلقا بانزلنا يجوز تعميم الانبياء (قوله والراجع الى ماالمحذوف) أي بما استحفظوه فان استحفظ متعد الى مفعولين صرح به صاحب الصحاح (قوله

بني اسرائيل أوموسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا مالم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به (الذين أسلموا) صفة أجريت على النبيين مدحالهم وتنويها بشأن المسلمين وتعريضا باليهود وأنهم بمعزل عن دين الانبياء عليهم الصلاة والسلام واقتفاء هديهم (للذين هادوا) متعلق بانزل أو بيحكم أي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين أنبياؤهم (والربانيون والاحبار) زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة أنبيائهم عطف على النبيون (بما استحفظوا من كتاب الله) بسبب أمر الله اياهم بأن يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين (وكانوا عليه شهداء) رقباء لايترك أون أن يغير أوشهداء ينبئون مايخفى منه كما فعل ابن صوريا (فلاتخشوا الناس واخشون) نهى للحكام أن يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم أومراقبة كبير (ولاتشتروا بآياتي) ولاتستبدلوا باحكامي التي أنزلتها (ثمنا قليلا) هو الرشوة والجاه (ومن لم يحكم بما أنزل الله) مستهينا به منكرا له (فاولئك هم الكافرون) لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز أن يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال اقتضت الى الامتناع عن الحكم به ملائمتها أو لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى (وكتبنا عليهم) وفرضنا على اليهود (فيها) في التوراة (أن النفس بالنفس) أي ان النفس تقتل بالنفس (والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن) رفعها الكسائي على أنها جمل معطوفة على أن ومافي حيزها باعتبار المعنى وكأنه قيل وكتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتابة والقراءة تقعان على الجمل كالقول أومستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوأة بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن أوعلى

تعالى فلاتخشوا الناس) لما قال تعالى انا أنزلنا التوراة قال بعد ذلك فلاتخشوا الناس أي فاحكموا بما يوافق مقتضاها ولاتخشوا الناس فتجاوزوا عنها (قوله ولذلك الخ) أي ولاجل حكمهم بغيرها وصفهم (قوله ويجوز أن يكون كل واحدة من الصفات الثلاثة الخ) يعني يجوز أن يكون كل واحدة من الصفات باعتبار حال مخصوص لطائفة مخصوصة كاذكرمن ان كفرهم لانكاره الخ ويجوز أن تكون موزعة على الطوائف بان تكون واحدة من الصفات لطائفة مخصوصة وأخرى لاخرى (قوله فرضنا على اليهود) ههنا محل نظر وهو ان هذا الكلام يدل على ان القصاص فرض على اليهود وفي شرح المواقف ان القود أي القصاص متعين على اليهود وهذا ينافي ماسيجيء من قوله تعالى فمن تصدق به فهو كفارة له لانه اذا جاز العفو لم يكن القصاص متعينا فالجواب ان هذا الحكم وهو التصدق بالنظر الينا لايكون شرع اليهود (قوله باعتبار المعنى) لان معنى كتبنا عليهم ان النفس بالنفس كتبنا عليهم النفس بالنفس (قوله أومستأنفة) المقصود منه ان تكون جملة مستقلة لاأن تكون تحت كتبنا بل جواب سؤال يعني لما قيل ان النفس بالنفس فكأنه سأل سائل ماحال العين وغيرها ففصل العين بالعين

(قوله معطوف على المستكن في قوله بالنفس) ويكون المعنى النفس مأخوذة هي بالنفس ومأخوذة العين بالعين وانما قال في الاصل لان أصل التركيب في الحقيقة ان النفس مأخوذة هي بالنفس فكان الضمير مفصولا عن الظرف الذي هو النفس فالمراد بالظرف قوله تعالى بالنفس (قوله والجار والمجرور) هو بالعين ونظائر لان المعنى أن النفس مأخوذة هي بالنفس ومأخوذة العين أي عينه المفقوأة بالعين فيكون الجار والمجرور ومتعلقا بما هو الحال حقيقة وانما جعل بالعين مبينة للمعنى لان قوله ان النفس مأخوذة العين لا يظهر له معنى الا بقوله تعالى بالعين (قوله على أنه اجمال للحكم بعد التفصيل) ظاهر العبارة يدل على أن كونه اجمالا بعد التفصيل على قراءة الارتعة المذكورة وليس كذلك أن تقول على قراءة النصب أيضا اجمال للحكم بعد التفصيل ويمكن أن يقال انه اذا نصب الجروح عطفا على النفس كان الظاهر أن تكون الجروح لا تشمل ما ذكر اذ الظاهر الغالب عدم دخول أحد المعطوفين في الآخر فلا يكون اجمالا بعد تفصيل لان المراد من الاجمال اجمال الحكم في جميع ما فيه القصاص وأما اذا رفع الجروح فلا يكون معطوفا

على ما ذكر فالظاهر كونه اجمالا بعد التفصيل (قوله عطفا على محذوف) مثل بيانا فيكون المعنى وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة بيانا وهدى وموعظة (قوله أو تعلقا به) أي أو تعلقا بمحذوف ويكون التقدير وآتيناه هدى وموعظة فيكون أو تعلقا معطوفا على عطفا والمعنى أنه يجوز نصبهما بكونهما مفعولا لهما وهذا على وجهين أحدهما عطفهما على محذوف هو مفعول له كما ذكرنا والثاني أن يكونا مفعولا لهما لفعل محذوف والتقدير وآتيناه الانجيل هدى وموعظة وعلى هذين التقديرين يكون وليحكم معطوفا على ما ذكر (قوله وعلى الاول الخ) أي على تقدير جعلهما حالين لا يصح له عطف ليحكم عليهما بل يكون منعلقا بفعل مقدر هو آتينا وهذا كله على قراءة حمزة وهي أن يكون ليحكم بنصب الميم لتكون اللام لام العلة وأما على قراءة غيره وهو جزم ليحكم معطوف على محذوف مثل ليبينوه أوليتدبروا أو بتقدير وقلنا ليحكم (قوله وأن اليهودية منسوخة الخ) لانه تعالى أوجب العمل بما في الانجيل وفيه نظر اذ الظاهر ان من لم يحكم من أهل الانجيل بما أنزل الله فيه لم يعلم من مجرده نسخ اليهودية الا اذا ثبت أن كل اليهود من أهل الانجيل وهذا لا يفهم من مجرد الآية لم لا يجوز أن يكونوا جماعة مخصوصا نعم يعلم من خارج أن دين عيسى ناسخ لليهودية (قوله يحفظ عن التغيير) هذا مما زاد على الكشاف وهو صريح في أن القرآن حافظ للكتب السماوية عن التغيير لكن القرآن ناطق بأن اليهود قد غيروا التوراة كما قال أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فانهم قد فسروا بأنهم قد غيروا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وآية الرجم الا أن يقال ان تحريفهم كان قبل نزول القرآن وبعده لا يغير شيئ من الكتب الكن لا بد لهذا من دليل

أن المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور ورجال مبينة للمعنى وقرأ نافع والاذن بالاذن وفي أذنيه باسكان الذال حيث وقع (والجروح قصاص) أي ذات قصاص وقرأه الكسائي أيضا بالرفع وواقفه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر على أنه اجمال للحكم بعد التفصيل (فمن تصدق) من المستحقين (به) بالقصاص أي فمن عفا عنه (فهو) فالتصدق (كفارة له) للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له أي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شئ (ومن لم يحكم بما أنزل الله) من القصاص وغيره (فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم) أي وأتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين (بعيسى بن مريم) مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء (مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل) وقرئ بفتح الهمزة (فيه هدى ونور) في موضع النصب بالحال (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) عطف عليه وكذا قوله (وهدى وموعظة للمتقين) ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف أو تعلقا به وعطف (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف أي وآتيناه ليحكم وقرئ وأن ليحكم على أن ان موصولة بالامر كقولك أمرتك بان قم أي وأمرتك بان ليحكم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون) عن حكمه أو عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على أن الانجيل مشتمل على الاحكام وأن اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه الصلاة والسلام وأنه كان مستقلا بالشرع وجعلها على وليحكموا بما أنزل الله فيه من ايجاب العمل بأحكام التوراة خلاف الظاهر (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق) أي القرآن (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس (ومهيمنا عليه) ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد

(قوله لتضمنه معنى لاتنحرف) فيكون المعنى لاتنحرف عما جاءك من الحق متبعاً أهواءهم كذا فى الكشاف وهذا أولى ولذا اقتصر عليه صاحب الكشاف وانما كان أولى لأن المقصود من النهى ههنا النهى عن اتباع أهوائهم وفى قوله لاتنحرف عما جاءك متبعاً أهواءهم اشعار بان المقصود النهى عن اتباع أهوائهم كما فى قولك لاتذهب الى فلان راكبا فان المقصود النهى عن الركوب بخلاف الاحتمال الثانى فانه لايدل على ماذكر بل يدل ظاهرا على أن المقصود (١٥٣) النهى عن الميل عما جاءه اليه (قوله لانه

لهبالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول أى هو من عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هوالله سبحانه وتعالى أوالحفاظ فى كل عصر (فاحكم بينهم بما أنزل الله) أى بما أنزل الله اليك (ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) بالانحراف عنه الى مايشتهونه فعن صلة للاتتبع لتضمنه معنى لاتنحرف أوحال من فاعله أى لاتتبع أهواءهم مائلا عما جاءك (لكل جعلنا منكم) أيها الناس (شرعة) شريعة وهى الطريق الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ماهو سبب الحياة الابدية وقرئ بفتح الشين (ومنهاجا) وطريقا واضحا فى الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على أنا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة (ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لوشاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لوشاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه (ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين أن اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية أم تزيغون عن الحق وتفرطون فى العمل (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم (الى الله مرجعكم جميعا) استئناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) عطف على الكتاب أى أنزلنا اليك الكتاب والحكم أو على الحق أى أنزلناه بالحق وبان احكم بحجو أن يكون جملة بتقدير وأمرنا أن احكم (ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) أى أن يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال أى احذر فتنتهم أومفعول له أى احذرهم مخافة أن يفتنوك روى ان أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يامحمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (فان تولوا) عن الحكم المنزل وأرادوا غيره (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعنى ذنب التولى عن حكم الله سبحانه وتعالى فعبر عنه بذلك تنبيها على أن لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما فى التنكير ونظيره قول لبيد * أو يرتبط بعض النفوس حمامها * (وان كثيرا من الناس لفاسقون) لمتمردون فى الكفر معتدون فيه (أفحكم الجاهلية يبغون) الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التى هى متابعة الهوى وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على أنه مبتدأ و يبغون خبره والراجع محذوف حذفه فى الصلة فى قوله تعالى أهذا الذى بعث

طريق الى ماهو سبب الحياة الابدية) يفهم منه وجه الشبه بين الدين والشرعة فانها طريق الى الماء الذى هو سبب الحياة الدنيوية فيهما مشتركان فى سببية مطلق الحياة (قوله واستدل به الخ) اذلما كان لكل شرعة ومنهاجا خاصين فلا وجه لاتباع شرع من قبلنا وانما قال استدل بصيغة التضعيف اذ على تقدير أن يكون شرع من قبلنا شرعنا صح ان لكل منا شرعة ومنهاجا كما صح ان لكل من المسلمين شرعة (قوله وحيازة لفضل السبق والتقدم) لان من سبق فى الخير دال لغيره عليه فله أجر من عمل ممن تبعه (قوله بالجزاء الفاصل الخ) فيكون الانباء بما فعل لا بالقول (قوله ويجوز أن يكون جملة) يعنى على التقديرين الاولين يكون احكم بمعنى المصدر لكن يجوز أن يكون جملة فتكون ان مفسرة لان الامر فى معنى القول (قوله وفيه دلالة على

التعظيم كما فى التنكير) ففى التعبير ببعض الذنوب وعدم تعيينه اشعار بانه لاينبغى أن يتلفظ به لشدة قبحه (قوله أو يرتبط بعض النفوس) يريد ببعضها نفسه وقصد بذلك تعظيمها اذ فى ابهامها اشعار بأنه يعسر تعيينه ووصفه لعظم شأنها فيعبر عنه بعبارة مبهمة (قوله واستضعف ذلك فى غير الشعر) أى حذف الضمير من خبر المبتدأ كما فى المثال المذكور نص عليه سيبويه كما نقله عنه الرضى

(قوله وقرئ أفحكم الجاهلية) بفتح الكاف (قوله كما في هيت لك) ومعناه هيت والخطاب لك (قوله لاتتحادهم في الدين واجماعهم على مضارتكم) الاول خاص بموالاة بعض اليهود بعضا وموالاة بعض النصارى بعضا والثاني عام لماذكر ولموالاة اليهود والنصارى (قوله وهذا للتشديد) أي ليس من والاهم من المؤمنين منهم في الحقيقة ولكن عد منهم للتشديد والمقصود من قوله تعالى فانه منهم انه قريب منهم أو هو في الظاهر منهم فان من نظر الى موالاته لهم بحسب أول الامر انه منهم (قوله لانتراءى ناراهما) قال العلامة التفتازاني ذكر في الفائق ان قوما من مكة أسلموا وكانوا مقيمين بها قبل الفتح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا بريء من كل مسلم مع مشرك فقيل لم يارسول الله فقال لانتراءى ناراهما أي يجب أن يتباعدا بحيث اذا أوقدت ناراهما لم تلمح احداهما

الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ أفحكم الجاهلية أي يبغون حاكما كحكم الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بتاء على قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) أي عندهم واللام للبيان كما في قوله تعالى هيت لك أي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بالنظر هم فيعلمون أن لا أحسن حكما من الله سبحانه وتعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء) فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب (بعضهم أولياء بعض) ايماء الى علة النهي أي فانهم متفقون على خلافكم بوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجماعهم على مضادتكم (ومن يتولهم منكم فانه منهم) أي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا للتشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلاة والسلام لاتتراءى ناراهما أو لان الموالي لهم كانوا منافقين (ان الله لايهدي القوم الظالمين) أي الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفار أو المؤمنين بموالاة أعدائهم (فترى الذين في قلوبهم مرض) يعني ابن أبي واضرابه (يسارعون فيهم) أي في موالاتهم ومعاونتهم (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) يعتذرون بانهم يخافون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار روي أن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني أبرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله فقال ابن أبي اني رجل أخاف الدوائر لأبرأ من ولاية موالي فنزلت (فعسى الله أن يأتي بالفتح) لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه واظهار المسلمين (أو أمر من عنده) يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء أو الأمر باظهار أسرار المنافقين وقتلهم (فيصبحوا) أي هؤلاء المنافقون (على ما أسروا في أنفسهم نادمين) على ما استبطنوه من الكفر والشك في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فضلا عما أظهروه مما أشعر على نفاقهم (ويقول الذين آمنوا) بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على أنه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة أبي عمرو ويعقوب عطفا على أن يأتي باعتبار المعنى وكأنه قال عسى أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا أو بجعله بدلا من اسم الله تعالى داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث أو على الفتح بمعنى عسى الله أن يأتي بالفتح ويقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به (أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم)

الاخرى واسناد الرؤية الى النار مجاز كما يقال دور فلان تتناظر أي تتقابل (قوله فترى الذين الخ) هذه الفاء اما للسببية المحضة أي بسبب ان الله لايهدي القوم الظالمين الذين هم المنافقون الموالون لاعداء الله ترى الذين في قلوبهم مرض أو للعطف على قوله ان الله لايهدي القوم الظالمين من حيث المعنى فكانه قيل ترى الظالمين لايهديهم الله في الموالاة معك فترى الذين في قلوبهم مرض (قوله تعالى فعسى الله) الفاء علة لمحذوف والتقدير لاتبال بما قالوا ولا تحزن به فعسى الله الآية فان الوعد والترجية من الله الكريم متحقق الوقوع وهذه الفاء كالتي في قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم (قوله شأفة اليهود) الشأفة بالشين المعجمة والفاء قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى وتذهب بالمثل استأصل الله شأفته أي أذهبه الله كما أذهب تلك القرحة بالكي (قوله على أنه كلام مبتدأ) فتكون الجملة معترضة تفيد مقالة المؤمنين في الحالة المذكورة (قوله عطفا على ان يأتي باعتبار المعنى) المراد عطفه على يأتي حتى يلزم دخول ان عليه (قوله او بجعله بدلا من اسم الله) أي بجعل ان يأتي بدلا منه (قوله فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به) يعني انه لايأتي بقولهم بل الآتي بقولهم هم لكن لما كان الله تعالى آتيا بما يوجب قولهم المذكور فهو كالآتي بقولهم ووجه الشبه السببية للقول المذكور وهذا على تقدير ان يكون الاتيان بالقول الاتصاف بكونه قائلا له وفيه انه لاحاجة الى هذا التكلف اذ يمكن ان يكون المراد من الاتيان بالشيء ايجاده والآتي لكل شيء في الحقيقة هو الله تعالى اذ هو الفاعل المستقل لكل شيء يقوله

على ماهو مذهب أهل السنة ثم ان مجرد كون الاتيان بما يوجب الشئ شبيها بالاتيان به لا يصحح نسبة الاتيان اليه الا ان يقال مراده انه قيل أتى الله بقول المؤمنين وأريد أتى الله بما يوجب قول المؤمنين وفيه من التكلف ما لا يخفى مع ان ما يوجبه هو الفتح ولعل مراده مما ذكر بيان مناسبة بين المعطوف عليه وهو الاتيان بالفتح وبين المعطوف وهو قول المؤمنين (قوله وفيه معنى التعجب) لان حبوط أعمالهم دفعة مع اشتغالهم بها مدة مديدة فوجب التعجب واعلم ان عبارة الكشاف هكذا حبطت أعمالهم من جملة قول المؤمنين أى بطلت أعمالهم التى كانوا يتكلفونها فى أعين الناس وفيه معنى التعجب كانه قيل (١٥٥) ما أحبط أعمالهم أو من قول الله عز وجل

شهادة لهم بحبوط أعمالهم قال العلامة التفتازانى انما قال فى الاول فيه معنى التعجب اذ ليس للمؤمنين بذلك شهادة ولا فيه فائدة بخلاف ما اذا كان من قول الله تعالى فانه شهادة بذلك وحكم وفيه تعجيب للسامعين انتهى فكم يحصل معنى التعجب على التقدير الاول وبحصول التعجب على الثانى لكن المصنف حكم بعدم ذكر الوجهين بان فيه معنى التعجب وهذا يحتمل وجهين أحدهما على الوجهين فيه معنى التعجب والثانى ان فيه معنى التعجب على الوجه الأخير وعلى كلا التقديرين مخالف لظاهر كلام الكشاف ويمكن توجيه كلام المصنف بان مراده ان معنى التعجب يحصل من الكلام المذكور سواء كان التعجب للقائل أو لغيره (قوله لانه بمعنى أفسدوا) أى بمعنى مصدره (قوله وهذا من

يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا من الله سبحانه وتعالى عليهم من الاخلاص أو يقولونه للهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان أغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير وأقسموا بالله يجهدون جهد أيمانهم فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة أو على المصدر لانه بمعنى أقسموا (حبطت أعمالهم فاصبحوا خاسرين) امامن جملة المقول أو من قول الله سبحانه وتعالى شهادة لهم بحبوط أعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) قرأ على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك فى الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التى أخبر الله تعالى عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب فى أواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذا الحمار الاسود العنسى تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمى ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غد هما وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة فسر المسلمون وأتى الخبر فى أواخر بيع الاول وبنو حنيفة أصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مسيلمة الكذاب أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فخار به أبو بكر رضى الله تعالى عنه بجند من المسلمين وقتله وحشى قاتل حمزة وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد افهزمه بعد القتال الى الشام ثم أسلم وحسن اسلامه وفى عهد أبى بكر رضى الله عنه سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يده وفى امرة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) قيل هم أهل اليمن لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أشار الى أبى موسى الاشعرى وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه الصلاة والسلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس والراجح الى من محذوف تقديره فسوف يأتى الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم فى الدنيا وحسن الثواب فى الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه (أذلة على المؤمنين) عاطفين عليهم متذللين لهم جمع

الكائنات التى أخبر الله عنها قبل وقوعها) كذا فى الكشاف وفيه ان من يرتد منكم الخ لا يدل على وقوع الارتداد هو جملة شرطية لا تدل على وقوع الطرفين أو أحدهما كما اذا قيل من يكون شريكا فى الالوهية فهو خالق فانه صادق مع امتناع الطرفين والاولى ان يقال ان وقوعه مستفاد من قوله تعالى فسوف يأتى الله بقوم الخ اذ هو يدل على وقوع انيابهم مكان المرتدين كما فسروه والجواب انه لو كان الكلام مجرد الفرض والتقدير لكان الكلام قليل الجدوى والوجه ان يقال ان المقصود منكم من يرتد ومن يرتد عن دينه فسوف يأتى الله الآية (قوله من افناء الناس) قال فى الصحاح يقال هو من أفناء الناس اذا لم يعلم أنه من هو

(قوله أوللمقابلة) فانه وقع مقابلا للاعزة على الكافرين (قوله مبالغتان) احداهما فى وحدة اللومة والاخرى فى تنكير لائم اذ هو يفيد انهم لايخافون أى لومة من أى لائم كان وههنا كلام وهو انه لوقيل ولايخافون لوم لائم يكون نفى الخوف من جنس اللوم فيفيد ان لاخوف لامن القليل ولامن الكثير بخلاف اللومة فان معناه نفى الخوف من اللوم الواحد فيوهم جواز الخوف من اللوم الكثير والجواب ان مراده انه فى الاصل للمرة لكن المراد ههنا الجنس مجازا ونكتة التجوز الاشعار بان جنس اللوم من كل لائم عندهم فى حكم اللومة الواحدة ويؤيد ذلك ماقاله النيسابورى معناه لايخافون شيأقط من لوم أحد من اللوام ويمكن ان يقال الخوف من اللوم الكثير يستلزم الخوف من اللوم الواحد لانه من أسباب اللوم الكثير ومقدماته فاذا حصل خيف منه حصول الكثير عنده فتأمل ثم انه يحتمل ان تكون اللومة بعض اللوم فاذا انتفى الخوف عن بعض اللوم انتفى عن كل بعض فيفيد نفى الخوف عن كل لوم لكونه نكرة فى سياق النفى (قوله للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة الخ) فيكون التقدير انما وليكم الله وكذلك رسوله والذين آمنوا هكذا قرره العلامة الطيبى وفيه انه يلزم التناقض

من ظاهر الكلام لانه حصر الولاية أولالله تعالى ثم شرك فيها رسوله والمؤمنين ويمكن ان يقال المعنى انما وليكم بالاصالة هو الله تعالى وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أى يشتركون فى أصل الولاية وان كانوا تابعين فيها ثم انه يمكن ان يقال لاحاجة فى اثبات الاصالة والاتباع المذكورين الى التقدير الذى ذكر لان اثبات الولاية أولالله ثم لرسوله يومئ الى ان اثباتها له عليه السلام بالاتباع بخلاف مالو كان مقام المفرد والجمع بان قيل انما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا فان المجموع خبر عن الاولياء فلا يفيد اثبات الولاية أولا لله تعالى (قوله فانه جرى مجرى الاسم) يعنى الذين آمنوا وصف لان الموصول وضع لكونه وصلة الى وصف المعارف والوصف لايوصف فاجاب بان الذين يؤمنون فى معنى المؤمنين الثابتى الايمان فهو اسم يستحق ان يوصف واعلم ان العلامة التفتازانى قال ههنا لم يجعل صاحب الكشاف الذين يقيمون وصفا للذين آمنوا لانهما وصفان والوصف لايوصف الااذا أجرى مجرى الاسم كالمؤمن مثلا بخلاف الذين آمنوا فانه فى معنى الحدوث ألاترى أنه جعل الذى يوسوس صفة الخناس لانه ليس فى معنى الحدوث انتهى كلامه ولايخفى مخالفة هذا الكلام لقول المصنف فتأمل (قوله والظاهر ما ذكرنا) لانه سبق ان الولاية بمعنى المحبة فى يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء اذ الظاهر ان المراد بالولاية ليس المستحق للتصرف والمتولى الامور اذ المؤمنون لايتخذون الجماعة المذكورة حكما (قوله وان صح انه نزل فيه فلعله الخ) فيه انه يلزم أن يكون من شرط الولى اتيان الزكاة حال الركوع ان أريد بالذين آمنوا الخ على رضى الله عنه وغيره وان أريد على رضى الله عنه فقط بقى السؤال الوارد على ايراد لفظ الجمع (قوله وعلى هذا يكون دليلا الخ) أى على ان يكون وهم راكعون حالا مخصوصة ليؤتون الزكاة (قوله وان صدقة التطوع تسمى زكاة) فيه انه يحتمل أن يكون

ذليل لاذلول فان جمعه ذال واستعماله مع على اما لتضمنه معنى العطف والحنو أوللتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خاضعون لهم أوللمقابلة (أعزة على الكافرين) شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال (يجاهدون فى سبيل الله) صفة أخرى لقوم أوحال من الضمير فى أعزة (ولايخافون لومة لائم) عطف على يجاهدون بمعنى أنهم الجامعون بين المجاهدة فى سبيل الله والتصلب فى دينه أوحال بمعنى أنهم مجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون فى جيش المسلمين خائفين ملامة أوليائهم من اليهود فلا يعملون شيأ يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى تنكير لائم بالغتان (ذلك) اشارة الى ماتقدم من الاوصاف (فضل الله يؤتيه من يشاء) بمنحه وبوفقه له (والله واسع) كثير الفضل (عليم) بمن هو أهله (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم الله ولم يقل أولياؤكم للتنبيه على أن الولاية لله سبحانه وتعالى على الاصالة ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين على التبع (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) صفة للذين آمنوا فانه جرى مجرى الاسم أو بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح (وهم راكعون) متخشعون فى صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون أى يؤتون الزكاة فى حال ركوعهم فى الصلاة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت فى على رضى الله تعالى عنه حين سأله سائل وهو راكع فى صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولى المتولى للامور والمستحق للتصرف فيها والظاهر ماذكرناه مع أن حمل الجمع على الواحد أيضا خلاف الظاهر وان صح أنه نزل فيه فلعله جىء بلفظ الجمع لترغيب الناس فى مثل فعله فيه رجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على أن الفعل القليل فى الصلاة لايبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكاة (ومن يتول الله ورسوله

طرح الخاتم لاداء صدقة الفرض بان يكون خاتم فضة يؤدى به زكاة الفضة (قوله تنبيها على البرهان) فان كون الجماعة حزب الله دليل على غلبتهم على عدوهم لقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون فان قلت لو عبر عنه بالضمير لكان مشتملا على البرهان أيضا لان الضمير راجع الى من يتولى الله ورسوله وكون الشخص متوليا لله ورسوله دليل على الغلبة قلنا الضمير راجع الى نفس الذات المذكورة ولا يدل على اعتبار الصيغة وقد مر في أوائل تفسير سورة البقرة ان التعبير باسم الاشارة في قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم يدل على اعتبار الصفات المذكورة سابقا بخلاف ما لو عبر عن المذكورين بالضمير فقيل هم على هدى من ربهم وقد سلف توضيحه (قوله على ان النهي عن الموالاة الخ) أي ان النهي المذكور نهي عن موالاة الكفار مطلقا سواء كان الخ (قوله من ليس على الحق رأسا) أي أصلا (قوله وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلاة) اذ فيه النداء الى الصلاة وقد ذمهم الله تعالى باتخاذه هزوا فدل على كونه أمرا مشروعا اذ لو كان غير مشروع لم يذم الهازئ به (قوله تعالى وان أكثركم فاسقون) فان قيل قوله تعالى يا أهل الكتاب هل تنقمون منا يدل على ان المخاطبين كلهم ناقمون للمؤمنين ولا يخفى ان الناقمين كلهم فاسقون فما معنى قوله تعالى ان أكثركم فاسقون قلنا معناه ان أكثرهم فاسقون لان بعض قومهم وهم اليهود أسلم كعبد الله ابن سلام وشيعته واذا كان المعنى ماذ كرنا يكون أكثر القوم هم المخاطبين الناقمين ولا يخفى لطف هذا المعنى بهذه العبارة ولعل

والذين آمنوا) ومن يتخذهم أولياء (فان حزب الله هم الغالبون) أي فانهم هم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه فكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويهابذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يوالي غيرهؤلاء بانه حزب الشيطان وأصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء) نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا اياء الى العلة وتنبيها على أن من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة والبغضاء وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم أبو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم أهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على أن النهي عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كأهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين (واتقوا الله) بترك المناهي (ان كنتم مؤمنين) لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده (واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا) أي اتخذوا الصلاة أو المناداة وفيه دليل على أن الاذان مشروع للصلاة روى أن نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال أحرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فتطاير شررها في البيت فأحرقه وأهله (ذلك بانهم قوم لا يعقلون) فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا) هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا أنكره وانتقم اذا كافأه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهي لغة (الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل) الايمان بالكتب المنزلة كلها (وان أكثركم فاسقون) عطف على أن آمنا وكأن المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة أي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وأنتم خارجون منه أو كان الاصل واعتقاد أن أكثركم فاسقون فحذف المضاف أو على ما أي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون أو على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا أن آمنا لقلة انصافكم وفسقكم أو نصب باضمار فعل يدل عليه هل تنقمون أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو رفع على

حذف المضاف لاجل هذه النكتة والاولى أن يقال وان أكثركم فاسقون أي كاملون في الفسق فان الاحبار والرؤساء وشيعتهم يضلون غيرهم من أراذلهم فلهم كمال الفسق (قوله واعتقاد ان أكثركم فاسقون) فيكون الاعتقاد معطوفا على ان آمنا لانه بتقدير الايمان بالله أي ما تنقمون منا الا ايماننا بالله واعتقاد بفسقكم وانما قدر هذه التقديرات لان انكارهم وعيبهم المؤمنين بايمانهم متصور فاما انكارهم وعيبهم المؤمنين بان أكثرهم أي أكثر هم الكتاب فاسقون فلا وجه له اذ هذا الوصف عيب أهل الكتاب لا عيب المؤمنين (قوله أي ولا تنقمون ان أكثركم فاسقون) فيكون محصل الآية توبيخ أهل الكتاب بانكم تعيبون منا الايمان ولم تعيبوا فسقكم

(قوله أى وفسقكم ثابت) فيكون جملة حالية أى لانتقمون منا الا فى حال فسقكم (قوله الى قوله ونحن له مسلمون) فكان قوله صلى الله عليه وسلم آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى الآية (قوله فوضعت ههنا موضعها الخ) أى وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريق المبالغة والتهكم يعنى على تقدير أن يكون المنقم شيأ منكرا فانتم بأهل الكتاب شر منه ولا يخفى انه مستلزم للمبالغة باعتبار انهم شر من المنكر والتهكم باعتبار استعمال المثوبة فى العقوبة كان المثال المذكور يفيد المبالغة والتهكم باعتبار جعل التحية بينهم ضربا وجيعا (قوله عطفه على من) فانه على التقديرين الاولين مجرور (قوله جعل مكانهم شر) (١٥٨) فكان خبثهم وقباحتهم بمرتبة من الشدة بحيث يسرى الى مكانهم وأيضا هو من الكناية (قوله وقيل مكانا منصرفا) أى منقلبا وهو جهنم (قوله بين غلو النصارى وقدح اليهود) فان النصارى غلوا فى أمر عيسى وقالوا فى شأنه ما حكى عنهم فى القرآن وسيجىء واليهود قدحوا فيه وقالوا ما هو برى ء منه والاولى فى تفسير سواء السبيل الاكتفاء بقصد الطريق والتوسط وأما تخصيصه بما ذكر فلا يظهر له وجه ولذا لم يذكره غيره (قوله للزيادة مطلقا) أى لهم الزيادة فى الامرين على بعض الاغيار كالنصارى مثلا ثم انه لو قيل الزيادة بالاضافة الى المؤمنين لم يبعد فيكون الكلام على سبيل الفرض والتقدير كما فى قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا فان الحسنية بالنسبة الى أصحاب النار فيكون الكلام على الفرض والتقدير يعنى لو كان مستقر أصحاب النار ومقيلهم حسن لكان أصحاب الجنة خيرا مستقرا وأحسن مقيلا فصار مطابقا لما ذكر أولا من قل هل أنبئكم بشر من ذلك ثم انه يمكن أن يقال ان الاضل بمعنى الضال فقد قال الرضى ان افعل اذا كان مجردا عن اللام والاضافة أو من كان بمعنى الفاعل والتعبير عنه بافعل للمبالغة فى الضلال (قوله لما مر بها من التوقع الخ) فيفيد توقع دخولهم ملتبسا بالكفر وخروجهم أيضا ملتبسا به (قوله تعالى وهم قد خرجوا به) فان قلت لم يقل وقد خرجوا به كما قيل وقد دخلوا بالكفر قلت لافادة تأكيد الكفر بسبب التقوى ٧ لانهم كافرون عند الدخول واذا دخلوا وسمعوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم وأنكروه زاد كفرهم (قوله ولذلك قال والله أعلم الخ) أى فى قوله تعالى أعلم دلالة على ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان عالما أيضا بما كانوا يكتمون لكن الله أعلم ويعلم

الابتداء والخبر محذوف أى وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب لليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال آمنا بالله وما أنزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم (قل هل أنبئكم بشر من ذلك) أى من ذلك المنقوم (مثوبة عند الله) جزاء ثابتا عند الله سبحانه وتعالى والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله

* تحية بينهم ضرب وجيع *

ونصبها على التمييز عن بشر (من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) بدل من بشر على حذف مضاف أى بشر من أهل ذلك من لعنه الله أو بشر من ذلك دين من لعنه الله أو خبر محذوف أى هو من لعنه الله وهم اليهود أبعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم أصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار أهل مائدة عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل كلا المسخين فى أصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير (وعبد الطاغوت) عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا أى فيهم أو بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت أو عبد على أنه نعت كقطن وبقط أو عبدة أو عبد الطاغوت على أنه جمع كخدم أو ان أصله عبدة فحذف التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من أطاعوه فى معصية الله تعالى (أولئك) أى الملعونون (شر مكانا) جعل مكانهم شرا ليكون أبلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا (وأضل عن سواء السبيل) قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغ التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين فى الشرارة والضلالة (واذا جاؤكم قالوا آمنا) نزلت فى يهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فى عامة المنافقين (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) أى يخرجون من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا والكفر وبه حالان من فاعلى دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضى من الحال ليصح أن يقع حالا أفادت أيضا لما فيها من التوقع أن امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه ولذلك قال (والله أعلم بما كانوا يكتمون) أى من الكفر وفيه وعيد لهم (ترى كثيرا منهم) أى

مما ذكرنا انه كان المناسب ان يقول وكان الرسول يعلمه حتى يناسبه قوله والله أعلم (قوله وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم) فيه انه لا يلزم من قول الاثم الكذب اذ يمكن أن يكون قول الاثم غيره كالقذف مثلا وسائر ما يكون صادقا يتأذى به غيره ولا يجوز الشرع اظهاره بالقول والله أعلم (قوله وغل اليد و بسطها مجاز عن البخل والجود الخ) فلا فرق بين ان يقال يد مغلولة و بين ان يقال هو بخيل فى ان المراد اثبات بخله ولم يقصد فيه الى اثبات يد ولا غل بل هو مجاز مركب لا يلتفت فيه الى المفردات بل الى المجموع من حيث المجموع (قوله ولذلك) أى ولاجل ان غل اليد ليس على حقيقته يستعمل حيث يمتنع اليد والغل كما فى قوله جاد الحى بسط اليدين الخ والمراد من بسط اليدين السحاب ويمتنع فيه اليد و بسطها (قوله شابت لمة الليل) اللمة بالكسر الشعر الذى تجاوز شحمة الاذن والمراد من التركيب المذكور انه طلع الصبح (قوله وقيل انه فقير) الفرق بين هذا المعنى والمعنى الاول

من اليهود أو من المنافقين (يسارعون فى الاثم) أى الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم (والعدوان) الظلم أو مجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم (وأكلهم السحت) أى الحرام خصه بالذكر للمبالغة (لبئس ما كانوا يعملون) لبئس شيأ عملوه (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت) تحضيض لعلمائهم على النهى عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضى أفاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض (لبئس ما كانوا يصنعون) أبلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروّ وتحر اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة أقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بأبلغ الذم (وقالت اليهود يدالله مغلولة) أى هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد و بسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل و بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصوّر ذلك كقوله

جاد الحى بسط اليدين بوابل * شكرت نداه تلاعه ووهاده

ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه أنه فقير لقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) دعاء عليهم بالبخل والنكد أو بالفقر والمسكنة أو بغل الايدى حقيقة يغلون أسارى فى الدنيا وسيحو بين الى النار فى الآخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبنى سب الله دابره (بل يداه مبسوطتان) نفى اليد مبالغة فى الرد ونفى البخل عنه تعالى واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخى من ماله أن يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام (ينفق كيف يشاء) تأكيد لذلك أى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة و يضيق أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق فى ذات يد ولا يجو زجعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت فى فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم

فان السب فى الاصل القطع وهو المراد من السب الثانى (قوله فان غاية ما يبذله السخى من ماله أن يعطيه بيديه) أى غاية ما يبذله السخى بنفسه لا بواسطة غيره ان يبذل بيديه والا فقد يتصوّر بذل باكثر مما يعطيه بيديه بو يفرض بان يعطى بيديه و يفوض العطايا الى غيره أيضا (قوله وتنبيها على منح الدنيا والآخرة الخ) أى ثنى اليدين لما ذكر وللاشارة الى منح الدنيا والآخرة فتكون احدى اليدين اشارة الى عطية الدنيا والاخرى الى عطية الآخرة أو العطية للاستدراج والعطية للاكرام (قوله لا على تعاقب سعة وضيق فى ذات يده) أى سعة الرزق وضيقه بارادته لا بحسب سعة ذات اليد التى هى الرزق وضيقها تفاوت الرزق اذا كان بحسب سعة المال وضيقه لم يكونا بالمشيئة (قوله اذ لا ضمير لهما) فيه انه يفهم منه ان الحالية لا يجوز تقدير الرابط فيه بل يجب ان يكون مذكورا لفظا والا لجاز جعله حالا و يقدر الضمير بأن يكون التقدير ينفق كيف يشاء بهما

وأشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله (وليزيدن كثيرا منهم ماأنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) أى هم طاغون كافرون و يزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) كلما أرادوا حرب الرسول صلى الله عليه وسلم واثارة شر عليه ردهم الله سبحانه وتعالى بأن أوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم أو كلما أرادوا حرب أحد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بختنصر ثم أفسدوا فسلط عليهم فطرس الرومى ثم أفسدوا فسلط عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة أوقدوا أوصفة نارا (و يسعون فى الارض فسادا) أى للفساد وهو اجتهادهم فى الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم (والله لايحب المفسدين) فلايجازيهم الاشرا (ولو أن أهل الكتاب آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم و بماجاء به (واتقوا) ماعددنا من معاصيهم ونحوه (لكفرنا عنهم سيآتهم) التى فعلوها ولؤاخذهم بها (ولأدخلناهم جنات النعيم) ولجعلناهم داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وأن الاسلام يجب ماقبله وان جل وان الكتابى لايدخل الجنة مالم يسلم (ولو أنهم أقاموا التورية والانجيل) باذاعة مافيهما من نعت محمد عليه الصلاة والسلام والقيام باحكامهما (وماأنزل اليهم من ربهم) يعنى سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم أو القرآن (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات من السماء والارض أو يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع أو يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجر و يلتقطون ماتساقط على الارض بين يديك أن ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لالقصور والفيض ولو أنهم آمنوا وأقاموا ماأمروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين (منهم أمة مقتصدة) عادلة غير غالية ولامقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة فى عداوته (وكثير منهم ساء مايعملون) أى بئس مايعملونه وفيه معنى التعجب أى ماأسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط فى العداوة (ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك) جميع ماأنزل اليك غير مراقب أحدا ولا خائف مكروها (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما أمرتك (فمابلغت رسالته) فما أديت شيأ منها لان كتمان بعضها يضيع ماأديت منها كترك بعض أركان الصلاة فان غرض الدعوة يتنقض به أو فكأنك مابلغت شيأ منها كقوله فكأنما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء فى الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء (والله يعصمك من الناس) عدة وضمان من الله سبحانه وتعالى بعصمة روحه صلى الله عليه وسلم من تعرض الاعادى وازاحة لمعاذيره (ان الله لايهدى القوم الكافرين) لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبى صلى الله عليه وسلم بعثنى الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله تعالى الى ان لم تبلغ رسالتى عذبتك وضمن لى العصمة فقويت وعن أنس رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا أيها الناس فقد عصمنى الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ماأنزل ولعل المراد به تبليغ مايتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية مايحرم افشاؤه (قل ياأهل الكتاب لستم على شئ) أى دين يعتد به و يصح أن يسمى شيأ لانه باطل (حتى تقيموا التورية والانجيل وماأنزل

(قوله وأشرك فيه الآخرون) أى نسب القول المذكور الى اليهود وان كان القائل واحدا منهم لانهم رضوا به فحكمهم حكمه (قوله وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم) لفظ السيآت جمع فيفيد الكثرة واما العظم فيستفاد من منع دخول الجنة اذ صغائر الذنوب لاتمنع دخول الجنة عند اجتناب الكبائر كما قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه الآية (قوله فيه معنى التعجب) لانهم شاهدوا صفة النبى صلى الله عليه وسلم أو سمعوا من أحبارهم وعرفوا انه النبى الموعود ثم أفرطوا فى العداوة فهذه الحالة حقيق بان يتعجب منها أولان التعجب مشعر بالمبالغة فى العداوة التى هى المراد هنا (قوله عدة وضمان من الله بعصمة روحه الخ) فيه ان العدة بعصمة الروح فقط لا توجب ازالة المعاذير مطلقا اذ يجوز بقاء الخوف من الجرح لان يقال خوف الجرح ليس بمعذرة واعلم ان العلامة البيضاوى أو ردهنا سؤالا وهو انه فان قيل أين ضمان العصمة وقد جرى عليه يوم أحد ماجرى فالجواب ان الآية نزلت بعد يوم أحد أو المراد انه يعصمه من القتل وعليه ان يتحمل كل مادون النفس انتهى كلامه وهذا مؤيد لما قلنا

(قوله باطقة بوجوب الطاعة) هذا يدل على ان كل الخلق يجب عليه طاعة شرع كل نبي مالم ينسخ لان قوله آمرة بالايمان بمن صدقه المعجزة كذلك أي يجب على جميع البرية الايمان بكل نبي صدقه المعجزة وهو صادم لقوله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة ويمكن ان يقال المراد وجوب طاعته على من بعث اليه (قوله والا فاعلموا أنا وأنتم بغاة) اذ التقدير أنا بغاة وأنتم كذلك وليس أنتم معطوفا على اسم ان والا لوجب ان يقال وايا كم لان أنتم ضمير مرفوع لا يعطف على الضمير المنصوب الذي هو اسم ان ولا يجوز عطفه على محل اسم ان اذ لا يجوز لعطف على المرفوع المتصل من غير تأكيد أو فصل (قوله وهو كاعتراض دل به الحال) انما قال كاعتراض لان هذه الجملة (١٦١) معطوفة على الجملة السابقة (قوله أولى بذلك) انما كان أولى لان في تقديم الصابئين اشعارا بان قبول ايمانهم مع انهم يعبدون من الأديان دليل على قبول ايمان غيرهم اذ الدليل يقدم على مدلوله (قوله ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها) قال العلامة النيسابوري هذه عبارة الأكثرين وكانهم جعلوا الحرف مع الاسم جميعا بمنزلة اسم مفرد هو المبتدأ اذ الاسم وحده منصوب وعبارة البعض ان العطف انما هو على محل الاسم فقط ومعنى كونه مرفوع المحل انه كان قبل دخول العامل مرفوعا (قوله كان الخبر خبر المبتدأ وخبران فاجتمع عليه عاملان) لانه لما كان الصابئون مرفوعا كان رفعه بالابتداء فيكون خبره وهو خبران مرفوعا بالمبتدا ولما كان خبران كان مرفوعا بها فلزم اجتماع عاملين على معمول واحد واعترض عليه بانه انما يلزم ذلك لو كان المذكور خبرا عنهما مثل ان زيدا وعمرا قائم واما على نية التأخير واعتبار مضي الخبر تقديرا فيكون المذكور معمولا ان فقط وخبر المعطوف محذوف كما في ان زيدا قائم وعمر وعطفا على محل ان مع اسمها (قوله ولانه يوجب كون الصابئين هودا) ويمثل هذه العلة يمتنع عطفه على ضمير آمنوا (قوله أو خبر المبتدأ) كما مر في قوله ويجوز ان يكون النصارى معطوفا عليه الخ (قوله بابدال الهمزة ألفا) فاذا بني منه اسم الفاعل انقلب ياء كما في رمى جعل اسم الفاعل منه رام فيسقط في الجمع (قوله جواب الشرط والجملة صفة رسلا) هذا صريح خلاف الكشاف حيث قال فان قلت أين جواب الشرط قلت قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لان الرسول الواحد

اليكم من ربكم) ومن قامتها الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والاذعان لحكمه فان الكتاب الالهية باسرها آمرة بالايمان بمن صدقه المعجزة باطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة أصولها ومالم ينسخ من فروعها (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين) فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيزان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله

* فاني وقيار بها لغريب * وقوله

والا فاعلموا أنا وأنتم * بغاة ما بقينا في شقاق

أي فاعلموا انا بغاة وأنتم كذلك وهو كاعتراض دل به على أنه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم أولى بذلك ويجوز أن يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبران مقدر دل عليه ما بعده كقوله

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأي مختلف

ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبران معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) في محل الرفع بالابتداء وخبره (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والجملة خبر ان أو خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف أي من آمن منهم أو النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبأ بابدال الهمزة ألفا أو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا (لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا) ايذكرهم ويلينوا لهم أمر دينهم (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف أي رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف

لايكون فريقين ولانه لايحسن ان تقول ان أكرمت أخي أخاك أكرمت قلت هو محذوف يدل عليه فريقا كذبوا وفريقا يقتلون فكانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه هذه عبارته وهي صريحة في عدم جواز جعل فريقا كذبوا الآية جوابا للمحذورين المذكورين لكن المصنف اختار كونه جوابا وذكر ما اختاره صاحب الكشاف بقوله وقيل فلعله نظر الى ما ذكره النيسابوري في دفع ما قاله صاحب الكشاف ان عدم حسن التركيب المذكور في محل النزاع واما ان الرسول الواحد لايكون فريقين فتغليط لان قوله كلما جاءهم يدل على كثرة الرسل فلهذا صح جعله فريقين هكذا كلامه وفيه نظر أما أولا فلان عدم حسن التركيب المذكور بسبب ان تقديم المفعول يفيد الاختصاص وتقرير أصل الفعل مع النزاع في المفعول وتعليقه بالشرط يشعر بالشك في أصل الفعل هكذا قاله المحققان الطيبي والنيسابوري وأما ثانيا فلان كون كلما يدل على كثرة الرسل لايدفع المحذورالمذكور لان المحذور هو ان في أي زمان جاءهم رسول واحد من الرسل كذبوا فريقا منهم ويقتلون فريقا منهم وهذا المعنى غير صحيح واعلم أن فيما ذكره المحققان بحثا اذ يمكن أن يقال ان تقديم المفعول في القرآن ليس للاختصاص بل التقديم في قوله فريقا تقتلون لرعاية الفاصلة في قوله تعالى فريقا كذبوا لمطابقة الفريقين (١٦٢) فلا تناس العبارة القرآنية ههنا على المثال الذي أورده صاحب

وانما جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على أن ذلك من ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآي (وحسبوا أن لاتكون فتنة) أي وحسب بنو اسرائيل أن لايصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي و يعقوب لاتكون بالرفع على أن أن هي المخففة من الثقيلة وأصله انه لاتكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن فصار أن لاتكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان أو أن بما في حيزها سادمسد مفعوليه (فعموا) عن الدين أو الدلائل والهدى (وصموا) عن استماع الحق كما فعله اجدادهم عبدوا العجل (ثم تاب الله عليهم) أي ثم تابوا فتاب الله عليهم (ثم عموا وصموا) كرة أخرى وقرئ بالضم فيهما على أن الله تعالى عماهم وصمهم أي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية أعمى وأصم (كثير منهم) بدل من الضمير أو فاعل والواو علامة الجمع كقولهم أكلوني البراغيث أو خبر مبتدأ محذوف أي العمى والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم على وفق أعمالهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) أي انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم (انه من يشرك بالله) أي في عبادته أو فيما يختص به من الصفات والافعال (فقد حرم الله عليه الجنة) يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين (ومأواه النار) فانها المعدة للمشركين (وما للظالمين من أنصار) أي وما لهم أحد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على أنهم ظلموا

الكشاف (قوله وتنبيها على أن ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا) فيكون الفعل المضارع بمعنى الاستمرار وهذا يطابق ما قاله في تفسير قوله تعالى أو كلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون حيث ذكر من نكات ايراد الفعل المضارع انهم بعده فانهم حاولوا قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا عصمة الله (قوله أو هي للتحقيق) أي ان التي من الحروف المشبهة للتحقيق والحسبان الظن فدخوله عليه لاجل ما ذكر

(قوله لان تقدم الخبر في مثله ممتنع) لان الخبر وهو عموا وصموا أسند الى ضمير المبتدأ وقد قالوا ان الخبر اذا كان مسندا الى ضمير المبتدأ وجب تقديم المبتدأ لئلا يلتبس بالفاعل كما في زيد قام فانه لو قيل قام زيد لالتبس المبتدأ بالفاعل فان قيل الالتباس المذكور انما هو فيما اذا كان الضمير مستترا كما في زيد قام أما عبارة القرآن المذكورة فلا يحصل فيها الالتباس لوجوب الخبر اذ الضمير بارز في الفعل الذي هو الخبر فانه قد أجاب عنها الرضي بأنه يشترط في المبتدأ بالبدل من الفاعل أو بالفاعل على طريقة تعاقبون فيكم ملائكة واعلم أن بعضهم جوز أن يكون كثير منهم مبتدأ والفعل المقدم عليه خبر اولم يبال بالاشتباه المذكور وفيه ما فيه (قوله تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) لانها تدل على أن كل مشرك لايدخل الجنة وان لم يصل اليه دعوة نبي فتدل على أن التوحيد مما يستقل به العقل كما ان معرفة الله من حيث وجوده وعلمه وقدرته كذلك اذ لا يمكن أن يكون التصديق مستفادا من الشرع لان اثبات الشرع موقوف على اثبات الرسالة واثباتها موقوف على اثبات وجود المرسل العالم القادر المريد فلو توقف اثبات هذه الامور على الشرع لزم الدور وهذا ربما قاله بعض أكابر العارفين من ان اثبات الرسالة متوقف على التوحيد اذ لو وجد الشريك وقع التنازع في تعيين الشخص بالرسالة (قوله أي وما لهم أحد ينصرهم) فيه ان ما ذكر ليس معنى الكلام

وانما معناه ان ايس لهم جمع من الانصار والاولى أن يقال انه رد لهم فى دعوى ان لهم أنصارا كثيرة حيث زعموا ان أسلافهم ينصرونهم ويمكن أن يقال ان ايراد الجمع ههنا للاشعار بأن نصرة الواحد أمر غير محتاج الى التعرض الى نفيه لشدة ظهوره وانما ينفى التعرض لنفى نصرة الجمع (قوله فما ظنك بغيره) أى انهم عظموا عيسى روح الله وكلمته وعيسى معاديهم بذلك وصار التعظيم المذكور سببا لكونهم ظالمين لا ناصر لهم فما حال من عظم مخلوقا نازل الدرجة (قوله مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ لجميع الموجودات) ولم يخصص بهذا القيد لكان أولى لانه تعالى يستحق العبادة من حيث الذات والاتصاف بالكمالات فتخصيص استحقاقه لها بالحيثية المذكورة تخصيص بلا مخصص (قوله أو ليمسن الذين كفروا من النصارى) المعنى الاول يفيد ان المراد من الذين كفروا من كان كافرا ومقرا على الكفر فله العذاب وهذا المعنى يفيد ان من أحدث الكفر من النصارى فله العذاب (قوله وتنبيها على ان العذاب الخ) أى ذكر الشهادة مرة بعد أخرى مشعر بدوام الكفر (قوله وهو أعجب) لان اعطاء الحياة لاجزاء البدن الذى كان حيا قبل أقرب من اعطائها للجماد الذى لم يدرك الحياة قط (قوله ودل على انه لا يوجب الخ) لو قال ودل على ما ينافى

بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى عليه الصلاة والسلام وأن يكون من كلام الله تعالى نبه به على أنهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى صلى الله عليه وسلم وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) أى أحد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد (وما من اله الا اله واحد) وما فى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق (وان لم ينتهوا عما يقولون) ولم يوحدوا (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) أى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر أو ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على أن العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه فلذلك عقبه بقوله (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه) أى أفلا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد (والله غفور رحيم) يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفى هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) أى ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله سبحانه وتعالى بالآيات كما خصهم بها فان أحيا الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو أعجب وان خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب (وأمه صديقة) كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق أو يصدقن الانبياء عليهم الصلاة والسلام (كانا يأكلان الطعام) ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين أولا أقصى ما لهما من الكمال ودل على أنه لا يوجب لهما ألوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما فى مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافى الربوبية ويقتضى أن يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعى الربوبية لهما مع أمثال هذه الادلة الظاهرة فقال (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين أى ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها أعجب (قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) يعنى عيسى عليه الصلاة والسلام وهو وان ملك ذلك بتمليك الله سبحانه وتعالى اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله تعالى به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه فى ذاته توطئة لنفى القدرة عنه رأسا وتنبيها على أنه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه أهم من تحرى النفع (والله هو السميع العليم) بالاقوال والعقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق) أى غلوا باطلا فترفعوا عيسى عليه الصلاة والسلام الى أن تدعوه الالوهية أو تضعوه فتزعموا أنه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) يعنى

الالوهية لكان أولى لان الرسالة تنافى الالوهية (قوله نظرا الى ما هو عليه فى ذاته) يعنى أطلق ما الذى هو لغير العقلاء وأريد به عيسى عليه السلام نظرا الى ما هو عليه فى ذاته وهو عدم اتصافه بصفات العقلاء نظرا الى نفسه فان انصافهم بها من ذاته بل من خالقه تعالى بجعل فى حكم غير العقلاء نظرا الى هذه الحالة وانما نظر الى حاله فى ذاته للقصد الى نفى القدرة عنه مطلقا (قوله وتنبيها على انه من هذا الجنس) أى من جنس ما لا يملك نفعا ولا ضرا

(قوله أى لا ينهى بعضهم بعضا) أراد ان النهى عن المنكر بعد وقوعه لا وجه له فيكون المراد النهى عن المعاودة اليه أو يكون المراد من فعلوه أرادوا فعله أو المراد بيتناهون ينهون و ينقلعون (قوله تعجيب من سوء فعلهم) فان اللوم على الاصرار على الذنب يستحق أن يتعجب منه خصوصا اذا كان مقرونا بالقسم (قوله والخلود فى العذاب) يدل على ان قوله فى العذاب هم خالدون بتأويل مفرد معطوف على المخصوص بالذم وكذا قوله لان كسبهم السخط والخلود لكن بتأويل ان سخط بالسخط لاجل ان المصدرية واما الجملة الثانية فليست تحت ان حتى يصح جعلها بتأويل المصدر فالظاهر جعلها تذييلا لسخط الله تعالى (قوله نبيهم) لانه اذا قيل آمن ذلك القوم بالنبى تبادر منه أن المراد نبيهم (قوله وان كانت الآية فى المنافقين فالمراد نبينا صلى الله عليه وسلم) لان

أسلافهم وأئمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فى شريعتهم (وأضلوا كثيرا) ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم (وضلوا عن سواء السبيل) عن قصد السبيل الذى هو الاسلام بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم لما كذبوه و بغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) أى لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان أهل أيلة لما اعتدوا فى السبت لعنهم الله تعالى على لسان داود فمسخهم الله تعالى قردة وأصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) أى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله وتهيؤا له أو لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع (لبئس ما كانوا يفعلون) تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم (ترى كثيرا منهم) من أهل الكتاب (يتولون الذين كفروا) يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) أى لبئس شيأ قدموه ليردوا عليه يوم القيامة (أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون) هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود فى العذاب أو علة الذم والمخصوص محذوف أى لبئس شيأ ذلك لانه كسبهم السخط والخلود (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى) يعنى نبيهم وان كانت الآية فى المنافقين فالمراد نبينا عليه السلام (وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء) اذ الايمان يمنع ذلك (ولكن كثيرا منهم فاسقون) خارجون عن دينهم أو متمردون فى نفاقهم (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم فى اتباع الهوى وركونهم الى التقليد و بعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه أشار بقوله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) عن قبول الحق اذا فهموه أو يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على أن التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كانت من كافر (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع) عطف على

المنافقين آمنوا بنبيهم أى يسلمون نبوته كافرون بنبينا فلا يمكن أن يكون المراد بالنبى نبيهم (قوله ذ الايمان يمنع ذلك) فيه ان أصل الايمان لا يمنع حب جماعة من الكفار فانه قد يكون لاجل اغراض دنيوية والجواب أن المراد حب الكفار بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر ولا يخفى أن الحب المذكور كفر (قوله لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم) فيه ان بعض النصارى قائلون بأن الله هو المسيح ابن مريم وبعضهم بأنه ابنه وقال بعضهم انه وابنه اله واليهود لم يقولوا مثل ذلك بل قالوا عزير ابن الله والجواب أنه لا ينافى تضاعف كفر اليهود لان أنواع الكفر والضلال كثيرة وما ذكر بعض منه (قوله واليه أشار بقوله ذلك بان منهم الخ) فيه ان كون بعضهم قسيسين ورهبانا لا يدل على كون كل النصارى لا على ما ذكر نعم قوله تعالى وانهم لا يستكبرون يدل عليه ما فسره فالوجه أن يقال ان المراد بعض النصارى فان بعضهم يظهرون العداوة للمسلمين كذا قاله ابن عباس وقال آخرون مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر الى من يخالفهم فى الدين باى طريق كان من القتل وغصب المال أو بوجه المكايد والحيل وليس النصارى مذهبهم ذلك بل الايذاء فى دينهم حرام هذا وجه التفاوت بالعداوة والمودة هكذا قاله النيسابورى وعلى هذا يمكن ارادة العموم وحينئذ نقول ان القسيسين والرهبان متقدموهم والباقون تابعون لهم فى المودة (قوله تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول الخ) ظاهر الكلام ان النصارى كلهم كذلك وليس كذلك فان نصارى نجران لم

يقولوا ربنا آمنا ولم يدخلوا المؤمنين وان أريد ان بعضهم كذلك فهذا لا يدل على ان كل النصارى مطلقا أقرب مودة والجواب ما هو المنقول عن ابن عباس (قوله فوضع موضع الامتلاء للمبالغة) أي اطلق الفيض وأريد به الامتلاء للاشعار بان الامتلاء وصل الى مرتبة توجب انصباب الدمع (قوله أوجعلت أعينهم الخ) الفرق بين هذا المعنى وبين المعنى الاول انه على المعنى الاول جعل تفيض بمعنى تمتلئ استعمالا للفظ السبب في معنى المسبب وعلى الثاني جعل التركيب من المجاز العقلي وقد أسلفنا البحث عن هذا المجاز في أوائل تفسير سورة البقرة ولا يخفى ان المبالغة في هذا المعنى آكد (قوله أو للتبعيض) وعلى هذا تكون ما مصدرية والمعنى من عرفانهم بعض الحق (قوله أو جواب سائل الخ) فيه نظر فان علماء العربية صرحوا بان جواب السؤال لا بد فيه من الفصل لا يعطف على السؤال اللهم الا ان يقال ان هذه الواو ليست للعطف بل زائدة وقد أثبتها الكوفيون والاخفش وجماعة ومثلوه بقوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها فان حذاى هاتين الواوين زائدة والاولى ان يقال انه عطف على مقدر كانه قيل آمنا لتحقيقه عندنا ومالنا لا نؤمن بالله (قوله وذكره توطئة وتعظيما) فيه انه اذا كان توطئة وتعظيما لا يظهر أصل معنى ومالنا لا نؤمن بالله ولذا لم يذكره صاحب الكشاف ولا غيره (قوله مقيدا بها) اذ لو لم يقيد بها لزم ان يكون المعنى ومالنا نطمع دخول الجنة ولا وجه له (قوله ومن قولهم هذا قول فلان أي معتقده) على هذا يناسب ان يفسر ما قالوا بما اعتقدوا (قوله أحسنوا النظر والعمل) الاولى يتعلق بالقلب والثاني يتعلق بالجوارح (قوله فتكون الآية ناهية) فان النهي عن تحريم ما أحل مستفاد من لا تحرموا وكذا النهي عن تحليل ما حرم لانه اذا كان الشروع في الحرام منهيا كان تحليله بطريق الاولى

لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة أوجعلت أعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها (مما عرفوا من الحق) من الاولى للابتداء والثانية للتبعيض ما عرفوا أو للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى أنهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله (يقولون ربنا آمنا) بذلك أو بمحمد (فاكتبنا مع الشاهدين) من الذين شهدوا بانه حق أو بنبوته أو من أمته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة (ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في لانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم أو جواب سائل قال لم آمنتم ولا تؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل أي أي شئ حصل لنا غير مؤمنين بالله أي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين أو بكتابه ورسله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن أو خبر محذوف والواو للحال أي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها أو نؤمن (فأثابهم الله بما قالوا) أي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان أي معتقده (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) الذين أحسنوا النظر والعمل أو الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات لا ريب روي أنها نزلت في النجاشي وأصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه وأحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين أوسبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بهما جعا بين الترغيب والترهيب (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) أي ما طاب ولذ منه كأنه لما ضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله سبحانه وتعالى بجعل الحلال حراما فقال (ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) ويجوز أن يراد به ولا تعتدوا حدود ما أحل الله لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما أحل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما بالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان ابن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم أومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا

(قوله تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) فان قيل كل ماوصل الى الشخص حلالا كان أو حراما فهو رزق فما الفائدة فى رزقكم الله مع انه يشعر بان فى الوجود رزقا غيره قلنا فائدة ذكره ان يعلم ان الحرام أيضا من رزق الله اذ لو قيل كلوا حلالا طيبا لم يعلم ان الحرام أيضا رزق (قوله ويجوز ان تكون مفعوله الخ) أى يجوز ان يكون مما رزقكم الله مفعول كلوا والمعنى كلوا شيأ مما رزقكم الله (قوله واللغو من اليمين ما لا قصد معه الخ) أى لا يقصد معناه سواء كان صدوره من غير قصد بل سبق لسان أو بقصد لكن يكون جاهلا بمعناه (قوله لانه مصدر وحال منه) أى اللغو مصدر فيصح تعلق فى أيمانكم به وقوله أو حال منه عطف على قوله صلة (قوله واستدل بظاهره الخ) أى ذكر الكفارة بعد عقد الايمان وقيل ذكر الحنث دال على ماذكر وانما قال واستدل الدال

فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فانى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى فنزلت (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) أى كلوا مما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز أن تكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز أن تكون مفعولا وحلالا حال من الموصول أو العائد المحذوف أو صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم) هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله والية ذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن والية ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى وفى أيمانكم صلة يؤاخذكم أو اللغو لانه مصدر أو حال منه (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم أو بنكثم ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائى وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل (فكفارته) فكفارة نكثه أى الفعلة التى تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذى هو خير (اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم) من أقصده فى النوع أو القدر وهو مدلكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره أن تطعموا عشرة مساكين طعاما من أوسط ما تطعمون أو الرفع على البدل من اطعام وأهلون كارضون وقرئ أهليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها فى الاحوال الثلاث كالالف وهو جمع أهل كالليالى فى جمع ليل والاراضى فى جمع أرض وقيل هو جمع اهلاة (أو كسوتهم) عطف على اطعام أو من أوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع قميص أو رداء أو ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة فى قدوة وكأسوتهم بمعنى أو كمثل ما تطعمون أهليكم اسرافا كان أو تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف فى محل الرفع وتقديره أو طعامهم كاسوتهم (أو تحرير رقبة) أو اعتاق انسان وشرط الشافعى رضى الله تعالى عنه فيه

على ضعف الاستدلال لان قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان معناه على ما فسره لكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فعلى هذا تكون الكفارة بعد الحنث اذ لولم يعتبر الحنث لزم المؤاخذة بمجرد الايمان وليس كذلك (قوله وهو مد لكل مسكين) الظاهر ان الضمير راجع الى الاوسط فى القدر وحينئذ يبقى الاوسط فى النوع مبهما ليعلم قدره الا ان يقال الضمير راجع الى مطلق الاوسط أى الاوسط سواء كان فى النوع أو القدر فهو مد (قوله أو الرفع على البدل من اطعام) والمعنى اطعام من أوسط ما تطعمون فيفهمنا مضاف ومقدر (قوله أو من أوسط لمن جعله بدلا) قلت فى هذا ما نقل من حواشى الكشاف عن مصنفه واعترض عليه بانه يلزم منه اختلال المعنى لانه يصير المعنى فكفارته اطعام عشرة مساكين كسوتهم لان المعطوف على البدل فى حكم البدل وأجيب بان المبدل منه قد يكون فى حكم المنحى فكان لم يكن مذكورا هكذا نقله العلامة التفتازانى وفيه انه لا يخلو اما ان يكون للمبدل منه فائدة تفوت بعده أو لا فان كانت له فائدة فلا يكون فى حكم المنحى وان لم يكن له فائدة لزم وقوع ما لا فائدة له فى القرآن وهو محال (قوله وقيل ثوب جامع قميص أو رداء أو ازار) كلامه كالصريح فى ان كل واحد منها ثوب جامع لكن كلام الكشاف دال على خلافه فانه قال وعن ابن عمر ازار وقميص أو رداء وعن مجاهد ثوب جامع والمفهوم من عبارته ان الثوب الجامع هو ما يستر البدن على ما هو المتعارف

الايمان

الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى أو ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف فى التعيين (فمن لم يجد) أى واحدا منها (فصيام ثلاثة أيام) فكفارته صيام ثلاثة أيام وشرط فيه أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه التتابع لانه قرئ ثلاثة أيام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذا لم تثبت كتابا ولم تر وسنة (ذلك) أى المذكور (كفارة أيمانكم اذا حلفتم) وحنثتم (واحفظوا أيمانكم) بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل أمر أو بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير أو بان تكفروها اذا حنثتم (كذلك) أى مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) اعلام شرائعه (لعلكم تشكرون) نعمة التعليم أو نعمه الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب) أى الاصنام التى نصبت للعبادة (والازلام) سبق تفسيرها فى أول السورة (رجس) قذر تعاف عنه العقول وأفرده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف أو لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطى الخمر والميسر (من عمل الشيطان) لانه مسبب عن تسويله وتزيينه (فاجتنبوه) الضمير للرجس أو لما ذكر أو للتعاطى (لعلكم تفلحون) لكى تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم أنه سبحانه وتعالى أكد تحريم الخمر والميسر فى هذه الآية بأن صدر الجملة بانما وقرنهما بالانصاب والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على أن الاشتغال بهما شر بحت أو غالب وأمر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال تعالى (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما فى الحرمة والشرارة لقوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم أعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من أنواع الصوارف فقال (فهل أنتم منتهون) ايذانا بان الامر فى المنع والتحذير بلغ الغاية وأن الاعذار قد انقطعت (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فيما أمرا به (واحذروا) ما نهيا عنه أو مخالفتهما (فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) أى فاعلموا أنكم لم تضروا الرسول

(قوله ومعنى أو الخ) فيه مسامحة اذ هذا ليس معنى أو والا لوجب هذا المعنى فى كل موضع استعمل فيه ولكن مراده ان لأو دخلا فى افادة هذا المعنى فى هذا الموضع (قوله اذا حلفتم وحنثتم) لك ان تقول فالمناسب ان يكون موضع اذا حلفتم اذا حنثتم لان الحلف مذكور صريح فى ذلك كفارة أيمانكم والحنث يجب اعتباره ولم يذكر صريحا والجواب ان عدم ذكر الحنث للاشارة الى ان حقه نظرا الى ذاته ان لا يقع وانما يناسب وقوعه بسبب انضمام شئ آخر من الخارج اليه وهذا مدلول قوله واحفظوا ايمانكم على بعض تفاسيره (قوله بأن تضنوا بها الخ) أى شأن الحلف ان لا يقع على كل شئ بل يقع على شئ له شأن (قوله أو بان تكفروها اذا حنثتم) فان قيل اذا وقع الحنث فما حفظ الايمان قلت حفظها حفظ حرمتها بان يصرف الكفارة التى هى رادعة عن الحنث فيها (قوله أى الاصنام الخ) سبق فى أول السورة تفسير الانصاب بمعنيين أحدهما انه عبارة عن الأحجار التى كانت منصوبة حول الكعبة يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هى الاصنام وههنا خص الانصاب بالاصنام ولا يظهر باعث عليه فلو قال سبق تفسيره فى أول السورة كما ذكر فى الازلام لكان أولى (قوله أو لمضاف محذوف) يفهم منه انه لو لم يحذف المضاف لكان الكلام صحيحا على ما هو التفسير الاول ولا يخفى انه لا يصح الاخبار عن الامور المذكورة بالعمل فوجب لتصحيح الكلام تقدير المضاف وهذا مقتضى كلام الكشاف فانه قال فان قلت الام يرجع هذا الضمير فى قوله فاجتنبوه قلت الى المضاف المحذوف كانه قيل انما شأن الخمر والميسر أو تعاطيهما أو ما شابه ذلك ولذا قيل رجس من عمل الشيطان (قوله وامر بالاجتناب عن عينهما) فكانه نهى عن القرب منهما والتلبس بهما فيصير دليلا على النهى عن تعاطيهما فيفيد المبالغة فى النهى عنه (قوله لقوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن) أى هو مثله فى ترك الفرائض والعبادات (قوله من حيث انها عماده) فان الدين قائم بالصلاة فمن ترك الصلاة مطلقا قد ينجر الى الكفر نعوذ بالله (قوله والفارق بينه وبين الكفر) فان الصلاة أقوى أركان الاسلام بعد الشهادتين فمن أخل بها وتركها مطلقا كان اخلاله بالباقى أولى وحال من يكون كذلك قريب من الكفر وقد ينجر اليه (قوله ثم أعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام الخ) أى لما عدل عن صيغة الامر الى صيغة الاستفهام أشعر بانه لا حاجة الى الامر بالانتهاء لانه قدم الحجة وانقطع العذر بل يكفى الاستفهام

(قوله مما لم يحرم عليهم) هذا التقدير يستلزم الجناح فيما طعموا من الحلال اذا لم يتقوا من الحرام وليس كذلك بل الجناح اذا لم يتقوا في عدم التقوى من الحرام لا فيما طعموا من الحلال فالوجه ان يقدر الكلام جناح فيما اذا طعموا اذا ما اتقوا في المطعومات بان تجتنبوا المحرمات والعجب ان صاحب الكشاف قرر الكلام على ما قررناه وغير المصنف الى ما ترامو يمكن أن يقال مراده مما لم يحرم مالم يحرم عينه والمراد بما اذا اتقوا التقوى في كسبه بان لم يكسبه بطريق محرم وههنا كلام آخر وهو انه لزم من الكلام الكريم ان المؤمنين لا جناح عليهم في المطعومات اذا اجتنبوا المحرمات وثبتوا على الايمان والعمل الصالح فيفهم منه انهم اذا لم يعملوا الصالحات لهم جناح فيما طعموا مع انهم اتقوا من الحرام وليس كذلك و يمكن أن يقال المراد بذكر الايمان والعمل الصالح ههنا الترغيب فيه والحث عليه بايهام ان من ليس كذلك فعليه جناح في المطعوم وان كان حلالا (قوله باعتبار الاوقات

الثلاثة) الماضي والحال والاستقبال يعني اتقوا في الماضي ثم اتقوا في الحال ثم اتقوا في المستقبل فتكون خارجة عن الاستقبال كما في قوله تعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها (قوله استعمال الانسان التقوى بينه و بين نفسه الخ) الحالة الاولى هي ان لا يفعل شيأ يضر نفسه وان لم يكن منفعة للغير والثانية ان لا يفعل ما يصل ضرره الى الناس والثالثة ان لا يفعل شيأ يتعلق بجناب العزة والكبرياء جل جلاله مما لا يليق به (قوله المبدأ والوسط والمنتهى) أي مبدأ السلوك والتوجه الى الله تعالى ووسط السلوك اليه وانتهاؤه الموجب للوصول الى المحبوب الحقيقي و يمكن أن يقال المراد مبدأ العمر وآخره ووسطه (قوله وهو غائب) اى في العذاب غائب أي لم يحضر منتظر أي مترقب ان يقع بعد (قوله فذكر العلم وأراد وقوع المعلوم وظهوره أو تعلق العلم) فيه نظر لان لفظ الله فاعل ليعلم فلا يصح ان يكون معنى العلم ماذكر والا لاختل نظام الكلام كما لا يخفى نعم لو كان المراد من مجموع ليعلم الله أن من يخافه بالغيب ماذكر لكان وجها والمعنى على الاول ليظهر الخائف أو يقع وعلى الثاني ليتعلق علم الله بتحقق الخوف في الخارج بعد ان كان بالقوة (قوله فالوعيد لاحق به) قلت في هذه العبارة الكشاف وهو مناسب لمذهبه ان الوعيد لاحق بالفاسد البتة لا يعفى عنه وأما على طريق المصنف فيكون المعنى أي يستحق ان يلحق به الوعيد أو فالوعيد لاحق به ان شاء الله تعالى (قوله للتعميم) أي ذكر القتل للتعميم فانه أعم من الذبح والذكاة (قوله و يؤيده قوله عليه الصلاة والسلام الخ) فانه لما جاز قتلها في الحرم علم انه لم يكن صيدا اذ لو كان

صلى الله عليه وسلم بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد أدى وانما ضر نفسه بأنفسكم (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) مما لم يحرم عليهم لقوله (اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) أي اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة (ثم اتقوا) ما حرم عليهم بعد كالخمر (وآمنوا) بتحريمه (ثم اتقوا) ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي (وأحسنوا) وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر و يأكلون الميسر فنزلت و يحتمل أن يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة أو باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه و بين نفسه و بينه و بين الناس و بينه و بين الله تعالى ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قاله عليه الصلاة والسلام في تفسيره أو باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار ما يتقى فانه ينبغي أن يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام و بعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة (والله يحب المحسنين) فلا يؤاخذهم بشئ وفيه أن من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا (يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم و رماحكم) نزلت في عام الحديبية ابتلاهم الله سبحانه وتعالى بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها أخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في شئ للتنبيه على أنه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عنده ما هو أشد منه (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم وأراد وقوع المعلوم وظهوره أو تعلق العلم (فمن اعتدى بعد ذلك) بعد ذلك الابتلاء بالصيد (فله عذاب أليم) فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جأشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس أميل اليه وأحرص عليه (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) أي محرمون جمع حرام كرداح و ردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم وأراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا و يؤيده قوله عليه الصلاة والسلام خمس يقتلن

صيد الم يحل قتلها فى الحرم وهى مما لم يؤكل لحمها فيؤيد ذلك ان المراد بالصيد ما يحل أكله وأيضا قوله عليه الصلاة والسلام يقتلن مشعر بان الاشياء المذكورة ليست بصيد والا لقيل خمس تصاد فى الحل والحرم (قوله بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه) لان العمد منشأ للانتقام لا الخطأ والعمد بالمعنى الذى ذكره لا يتصور قبل نزول الآية بل بالعود الى الصيد بعد نزولها (قوله ولان الآية نزلت الخ) مؤيد ثان لان يكون متعمدا ليس بقيد لوجوب الجزاء يعنى ذكر متعمدا ليس لتقييد الحكم المذكور بل لانه نزلت الآية فى شأن المتعمدين وفيه ان قوله اذ روى الخ يدل على ان قتلهم كان عن قصد ولا يدل على ان قتلهم كان عن علمهم بان قتله حرام عليهم لان قوله فنزلت الخ دال على ان حرمة صيد المحرم بعد نزول الآية فلا يدل على ان قتلهم كان عن تعمد لان التعمد على ما فسره عبارة عن أن يكون القتل عن قصد ومع العلم بانه حرام (قوله وعليه الخ) أى على رفع الجزاء والمثل لا يتعلق الجار وهو من بجزاء الذى هو المصدر لانه لو كان الجار صلة لوجب تقديمه على صفة المصدر الذى هو مثل لما ذكر فيكون من النعم صفة لمصدر فيكون المعنى جزاء يماثل ما قتل كائن من النعم (قوله ما قيمته قيمته) أى هديا قيمته قيمة الصيد (قوله أو اقحام مثل الخ) فيكون كناية عن جزاء ما قتل كما ان

فى الحل والحرم الحدأة والغراب والعقرب والفأرة والكلب العقور وفى رواية أخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف فى أن هذا النهى هل يلغى حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثنى أولا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب (ومن قتله منكم متعمدا) ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قبل ما يقتله والاكثر على أن ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد فى ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الآية نزلت فيمن تعمد اذ روى انه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه أبو اليسر برمحه فقتله فنزلت (فجزاء مثل ما قتل من النعم) برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه أى فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما فى قولهم مثلى لا يقول كذا والمعنى فعليه أن يجزى مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فاليجز جزاء أو فعليه أن يجزى جزاء يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعى رضى الله تعالى عنهما والقيمة عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت القيمة ثمن هدى تخير بين أن يهدى ما قيمته قيمته وبين أن يشترى بها طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول أوفق (يحكم به ذوا عدل منكم) صفة جزاء ويحتمل أن يكون حالا من ضميره فى خبره أو منه اذا أضفته أو وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكما أن التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج الى المماثلة فى الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس أو الامام (هديا) حال من الهاء فى به أو من جزاء وان نون لتخصصه بالصفة أو بدل من مثل

مثلى لا يقول كذا كناية عن انا لا أقول كذا فلفظ المثل فى الموضعين زائد يعنى انه لو حذف لم يختل المعنى (قوله وفجزاؤه مثل ما قتل) أى قرئ هكذا باضافة الجزاء الى الضمير (قوله واللفظ الاول أوفق) أى لفظ القرآن أوفق بمذهب الشافعى رضى الله عنه لان المتبادر من قوله من النعم ان يكون بعض النعم فتكون المماثلة باعتبار الخلقة وأيضا المتبادر من المثل هو غير المماثلة باعتبار القيمة (قوله حال من ضمير خبره) أى اذا جعل خبر مبتدأ بتقدير فعليه جزاء كان يحكم به ذوا عدل حالا عن الضمير الذى فى خبره (قوله أو منه اذا أضفته الخ) أى أو يكون يحكم به ذوا عدل حالا من الجزاء اذا أضفته الى مثل أو جعلته موصوفا به ورفعته أى رفعت الجزاء على كل من التقديرين المذكورين بخبر مقدر لمن فى قوله ومن قتل فيكون التقدير ومن قتل منكم متعمدا فيجب عليه جزاء مثل ما قتل من النعم فيكون جزاء فاعلا لذلك المقدر (قوله وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد الخ) جواب سؤال هو انه اذا كان لا بد من عدلين مجتهدين فى الامر يلزم ان يكون المراد من المثل فى قوله فجزاء مثل ما قتل المثل باعتبار القيمة فلزم خلاف مذهب الشافعى الذى هو مذهب المصنف فاجاب بانه كما ان المماثلة باعتبار القيمة تحتاج الى الاجتهاد كذلك المماثلة باعتبار الهيئة والخلقة (قوله وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس) يعنى لا يكون المراد الواحد بل من يحكم بالعدل فيكون المراد اثنين (قوله وان نون) أى وان نون جزاء فيكون منكرا لانه نكرة مختصة بالوصف فيصلح كونه ذا حال فان قيل اذا كان صاحب الحال نكرة وجب تقديم الحال عليه فالجواب ان تقدمها اذا كان ذو الحال نكرة محضة أما اذا كان

نكرة مختصة بوصف أو اضافة فلا يجب تقديم الحال عليه كما جاء في الحديث سابق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخيل فجاء فرس له سابقا (قوله باعتبار محله) هذا اذا أضيف اليه الجزاء فيكون مفعولا في الحقيقة (قوله وان نصبته) أي ان نصبت الجزاء كان كفارة خبر المحذوف مثل أو الواجب كفارة (قوله أو الثقل الشديد الخ) الظاهر ان هذا ناظر الى ضمير وبال أمره الى الله تعالى فلا بد من تقدير وهو أن يكون المعنى ليذوق وبال مخالفة أمره (قوله تعالى عفا الله عما سلف) ان قيل العفو فرع المعصية وهي تحصل باشتغال المحرم بالصيد بعد نزول آية (١٧٠) التحريم فما معنى العفو عمن قتل الصيد محرما في الجاهلية أو قبل التحريم

قلنا العفو هنا مجرد عدم المؤاخذة (قوله فهو ينتقم الله) انما قدر المبتدأ وهو هو لان المضارع اذا كان جزاء لا تدخل الفاء عليه (قوله وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد) اذ يجوز أن يكون المعنى ينتقم الله منه اذا لم يكفر (قوله عطف بيان على جهة المدح) انما قال على جهة المدح لانه ليس للايضاح اذ الكعبة في غاية الشهرة والوضوح بحيث لا تحتاج الى ما يوضحها فان قيل ما الفرق بين الصفة على جهة المدح وبين عطف البيان على جهته قلنا من شرط الاشتقاق في الوصف وهم أكثر النحاة قالفرق ظاهر عندهم ومن لم يشترط كابن الحاجب فالفرق ان القصد بالذات في النعت الى المعنى والقصد بالذات في عطف البيان الى الذات (قوله أعل عينه) اذ هو في لاصل مصدر قوم فقلبت

باعتبار محله أو لفظه فيمن نصبه (بالغ الكعبة) وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم وقال أبو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء (أو كفارة) عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف (طعام مساكين) عطف بيان أو بدل منه أو خبر محذوف أي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي أو أن يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا (أو عدل ذلك صياما) أو ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر أطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل الشئ في المقدار كما مر لي الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل (ليذوق وبال أمره) متعلق بمحذوف أي فعليه الجزاء أو الطعام أو الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام أو الثقل الشديد على مخالفة أمر الله تعالى وأصل الوبل الثقل ومنه لطام الوبيل (عفا الله عما سلف) من قتل الصيد محرما في الجاهلية أو قبل التحريم أو في هذه المرة (ومن عاد) الى مثل هذا (فينتقم الله منه) فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح (والله عزيز ذو انتقام) ممن أصر على عصيانه (أحل لكم صيد البحر) ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه الصلاة والسلام في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال أبو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر (وطعامه) ما قذفه أو نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه كأنه (متاعا لكم) تمتيعا لكم نصب على الغرض (وللسيارة) أي ولسياراتكم يتزودونه قديدا (وحرم عليكم صيد البر) أي ما صيد فيه أو الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم أيضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه الصلاة والسلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه أو يصد لكم (ما دمتم حرما) أي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام (واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة) صيرها وانما سمى البيت كعبة لتكعبه (البيت الحرام) عطف بيان على جهة المدح أو المفعول الثاني (قياما للناس) انتعاشا لهم أي سبب انتعاشهم في أمر معاشهم ومعادهم بلوذبه الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار أو اية يقوم بها أمر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على أنه مصدر على فعل كالشبع أعل عينه كما أعل في فعله ونصبه على المصدر أو الحال (والشهر الحرام والهدي والقلائد) سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس (ذلك) اشارة الى الجعل أو الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره (لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض) فان شرع

واوا وياء (قوله ونصبه على المصدر أو الحال) فيه ان ما ذكر أولا من أن المعنى انتعاشهم أي بسبب انتعاشهم الاحكام يدل على أنه مفعول ثان لجعل ان جعل البيت الحرام عطف بيان فقوله ونصبه على المصدر أو الحال مخالف له ثم ان نصبه على المصدر بان يقال المعنى ينتعش الناس انتعاشا فاما قدر الفعل والفاعل وذكر الفاعل بعده بعد دخول حرف الجر عليه فوجب حذف فعله قال الرضى المصدر اذا جر فاعله أو مفعوله بالاضافة أو بحرف الجر يجب حذف فعله قياسا (قوله تعالى ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في الخ) ما رأينا فيما وردعلينا من التفسير ما يبين أن العلم بما ذكر دليل على العلم بأن الله تعالى يعلم كل شئ أما قول المصنف فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل

الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه (وأن الله بكل شئ عليم) تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق (اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم) وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها أو لمن أصر عليه ولمن أقلع عنه (ما على الرسول الا البلاغ) تشديد فى ايجاب القيام بما أمر به أى الرسول أتى بما أمر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر فى التفريط (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة (قل لا يستوى الخبيث والطيب) حكم عام فى نفى المساواة عند الله سبحانه وتعالى بين الردىء من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به فى مصالح العمل وحلال المال (ولو أعجبك كثرة الخبيث) فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال (فاتقوا الله يا أولى الالباب) أى فاتقوه فى تحرى الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل (لعلكم تفلحون) راجين أن تبلغوا الفلاح روى أنها نزلت فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو أنه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه وأشياء اسم جمع كطرفاء غير أنه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشئ على أن أصله شيء كهين أو شيء كصديق فخفف وقيل أفعال جمع له من غير تغيير كبيت وأبيات ويرده منع صرفه (عفا الله عنها) صفة أخرى أى عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روى أنه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك أكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركونى ما تركتكم فنزلت أو استئناف أى عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا لمثلها (والله غفور حليم) لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم وهو غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا أسئل عن شئ الا أجبت فقال رجل أين أبى فقال فى النار وقال آخر من أبى فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت (قد سألها قوم) الضمير للمسئلة التى دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بمن أو لاشياء بحذف الجار (من قبلكم) متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها (ثم أصبحوا بها كافرين) أى بسببها حيث لم يأتمروا بها سألوا جحودا (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) رد وانكار لما ابتدعه أهل الجاهلية وهو أنهم اذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها

فظاهر أنه وقوعها الخ لا يفى بالمقصود المذكور والذى يسنح لى والله أعلم أنه تعالى لما كان مجردا بالذات وبالفعل عن المادة وعن التعلق بها كان نسبته الى جميع الجزئيات على السوية فاذا علم أنه تعالى تحقق عنده أحوال بعض الجزئيات وهو الكعبة وما يتعلق بها علم أنه عالم بكل الجزئيات اذ نسبته الى جميعها على السوية فكونه تعالى عالما للبعض دون الآخر ترجيح بلا مرجح (قوله فاشياء اسم جمع الخ) قال فى الصحاح تصغيره على شيء وشيء بكسر الشين ولا يقال شوىء والجمع أشياء غير مصروف وظاهر كلامه مخالف لكلام المصنف (قوله أو استئناف) فكأنه لما قال لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم سأل سائل ما حال ما سلف من المسئلة أجيب عنه بما ذكر (قوله وهو أنه مما يغمهم الخ) يعنى أنه علم من الكلام الاول ان العاقل لا ينبغى أن يشتغل بما يغمه ومن الكلام الثانى أن السؤال مما يغمهم فحصل من هاتين المقدمتين ان السؤال لا ينبغى للعاقل أن يشتغل به ويرد عليه أن المقدمة الاولى كافية فى المطلوب المذكور ولا يحتاج الى الثانية والجواب ان الحاصل من المقدمة الاولى المنع من السؤال عن أشياء ان ظهرت كان ظهورها موجبا للغم لكن لا يعلم من مجردها ان السؤال موجب للظهور فلا يعلم أن السؤال عنها موجب للغم وانما يعلم بانضمام المقدمة الثانية وهى أن السؤال يترتب عليه الظهور الموجب للغم وانما قدمت المقدمة الثانية فى القرآن للاهتمام به (قوله أو لأشياء بحذف الجار) فيكون التقدير قد سأل عنها (قوله وليس صفة قوم الخ) فيه ان الصورة المذكورة ليس فيها الظرف خبرا بل الجار والمجرور غاية الامر ان المجرور ظرف وما منعوه هو أن يكون نفس الظرف خبرا فان قيل انهم استدلوا على الدعوى المذكورة بان جعل ظرف الزمان خبرا عن الجثة مما لا يفيد كقولك زيد يوم السبت اذ لا فائدة فيه وهذا الدليل جار فيما اذا أخبر عن الجثة بالجار ومجرور هو ظرف الزمان قلنا لا نسلم عدم الفائدة لان وصف القوم بكونهم من قبل يفيد فائدة هى انهم ليسوا معهم فان قلت هذا يستفاد من سألها قلنا فحينئذ المانع من وصف القوم بما ذكر ليس كونه جثة بل لان تقدمهم حصل

من قوله سألها فتأمل (قوله ولذلك الخ) ولان جعل بمعنى وضع لامن جعل الشئ شيأ لم يتعد الى مفعولين (قوله الواو للحال) قلد في هذا صاحب الكشاف وفيه ان لولا دخل له بحسب الظاهر في معنى الحالية بل الحال مادخلت عليه لو فيلزم استدراكها ويمكن أن يقال في توجيهه أي توجيه كلامه تعالى ان المعنى أيكفيهم ذلك ولو كان آباؤهم الآية (قوله فلا يكفي التقليد) أي لما لم يصح الاقتداء الا بمن علم أنه عالم مهتد فمن اقتدى بشخص لا يصح اقتداؤه الا بعلمه بان مقلده لا يقول الا عن علم واهتداء فثبت عند المقتدي ماقاله المقتدى بالدليل اجمالا وهو انه يعلم أن لقوله دليلا وحجة والا لم يقل به فرتفع التقليد المحض اذ هو اتباع الغير بلا دليل

ذكر بحروا أذنها أي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى أخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ماجعل ماشرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) بتحريم ذلك ونسبته الى الله سبحانه وتعالى (وأكثرهم لا يعقلون) أي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم أو الآمر من الناهي ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه أن منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء أن يعترفوا به (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا) بيان لقصور عقولهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه (أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيأ ولا يهتدون) الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال أي أحسبهم ماوجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى أن الاقتداء انما يصح بمن علم أنه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) أي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب أنفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء (لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء أن ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه الصلاة والسلام من رأى منكم منكرا واستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا أسلم قالوا له سفهت آباءك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على أنه مستأنف ويؤيده أن قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب أو النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون) وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على أن أحدا لا يؤاخذ بذنب غيره (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) أي فيما أمرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد في الوصية واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم (اذا حضر أحدكم الموت) اذا شارفه وظهرت أماراته وهو ظرف للشهادة (حين الوصية) بدل منه وفي ابداله تنبيه على أن الوصية مما ينبغي أن لا يتهاون فيه أو ظرف

أصلا وههنا سؤال لان اللازم من ظاهر ما قاله أن مقلد الشافعي يجب أن يعلم أن امامه على علم واهتداء في القول المخصوص بوجوب النية في الوضوء مع انه ليس كذلك اذ لا يجب أن يكون لمقلده علم بما ذكر وانما غايته الظن الا أن يراد بالعلم الاعتقاد الراجح بدليل أعم من القطع والظن وان أريد أن الاقتداء انما يصح عن علم انه عالم مهتد في الجملة وفي بعض الامور يرد عليه أنه لا يكفي في اتباعه في الامر المخصوص والجواب انه اذا اعتقد المقتدي يقينا ان المقتدى من العلماء يعتقد ان حكمه لابد أن يكون عن الدليل وهذا يكفي في اتباعه في الحكم المخصوص (قوله وقرئ بالرفع على الابتداء) وحينئذ يمكن خبره عليكم بمعنى الزموا مقدما عليه وأن يكون التقدير حفظ أنفسكم عليكم أي واجب عليكم فحذف المضاف الذي هو الحفظ واعرب المضاف اليه وهو أنفسكم باعرابه (قوله ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته) جواب سؤال وهو انه قد يؤاخذ الشخص بفعل غيره كما اذا اشتغل أحد بشرب الخمر ولم يمنعه غيره مع قدرته عليه فاجاب بان المؤاخذة ليس على شرب غيره الخمر بل على حيثية منعه عن المعصية حسب القدرة (قوله تنبيه على ان أحدا لا يؤاخذ بذنب غيره) لان قوله تعالى فينبئكم بما كنتم تعملون دال على تخصيص الشخص بانباء عمله دون عمل غيره (قوله وفي ابداله تنبيه) لانه يصير المعنى لتقم شهادة بينكم حين الوصية فيكون الامر بالاشهاد حين الوصية فيحصل ضمنا المراد بها

حضر

(قوله اثنان فاعل شهادة) فيه نظر لانه صرح بان الشهادة الاشهاد وهي فعل الموصي المحتضر فلا يصح أن يكون اثنان فاعلا لها بل لابد ان يكون منصوبا بآخر يكون مفعولا ولم يجعل صاحب الكشاف الشهادة بمعنى الاشهاد فلم يرد عليه ما يورد على المصنف بل جعل الشهادة بالمعنى الحقيقي واثنان فاعلا بها على أنه فرض عليكم ان يشهد اثنان (قوله أو آخران من غيركم) الظاهر انها لما لم يقبل ذوا عدل منكم أو من غيركم لشمل الكفار اذا لم يوجد المسلمين في السفر كما هو مذهب (١٧٣) بعضهم وهذا لا يؤيد قول من قال ان المراد من قوله تعالى منكم من المسلمين (قوله وهو الاوليان) الضمير راجع الى قوله للفاعل والمعنى من الدرجة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهر لهما كذب الكاذبين كذا في الكشاف فالاوليان فاعل استحق وان يجردوهما مفعوله وتوضيح الكلام على ما ظهر لي والله أعلم ان يقال استحق بمعنى أوجب لانهما اذا استحقا الشهادة فكانهما أوجباها والمعنى من الذين أوجب عليهم الاوليان بالشهادة ان تجردهما الورثة للشهادة فيكون نسبة الايجاب الى الشاهدين اسنادا مجازيا من قبيل اسناد الفعل الى سببه (قوله تعالى من الذين استحق عليهم) أي من الذين استحق الاثم بالجناية عليهم فيكون عليهم متعلقا بمقدر مفهوم من الكلام ولا جل خفاء معنى الآية احتيج الى التقديرات ولذا قال الامام نفق المفسرون على ان هذه الآية في غاية الصعوبة اعرابا ونظما وحكما (قوله أو بدل منهما) تبع في تثنية الضمير صاحب الكشاف المفهوم من كلام العلامة التفتازاني ان الضمير الراجع الى لفظ المثنى حقه ان يكون مفردا لان لفظ المثنى كآخرين مثلا لفظ واحد (قوله أو من الضمير) أي بدل من ضمير يقومان وهذا يدل على ان المبدل منه ليس في حكم المطروح اذ لا وجه لان يقال فآخران يقوم الاوليان

حضر (اثنان) فاعل شهادة ويجوز أن يكون خبرها على حذف المضاف (ذوا عدل منكم) أي من أقاربكم أو من المسلمين وهما صفتان لاثنان (وآخران من غيركم) عطف على اثنان ومن فسر الغير بأهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا (ان أنتم ضربتم في الارض) أي سافرتم فيها (فاصابتكم مصيبة الموت) أي قاربتم الاجل (تحبسونهما) تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط يجوز به الخوف المدلول عليه بقوله أو آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على أنه يرخص في أن يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم أو استئناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما (من بعد الصلاة) صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل أي صلاة كانت (فيقسمان بالله ان ارتبتم) ان ارتاب الوارث منكم (لا نشتري به ثمنا) مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض بقيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم أو بالله عرضا من الدنيا أي لا نحلف بالله كاذبا طمعا (ولو كان ذا قربى) ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه أيضا محذوف أي لا نشتري (ولا نكتم شهادة الله) أي الشهادة التي أمر بالله بإقامتها وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغيره كقولهم الله لافعلن (انا اذا لمن الآثمين) أي ان كتمنا وقرئ للالتباس بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها (فان عثر) فان اطلع (على أنهما استحقا اثما) أي فعلا ما أوجب اثما كتحريف (فآخران) فشاهدان آخران (يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم) من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان (الاوليان) الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف أي هما الاوليان أو خبر آخران أو مبتدأ خبره آخران أو بدل منهما أو من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وأبو بكر عن عاصم الاولين على أنه صفة للذين أو بدل منه أي من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح ولا ولان واعرابه اعراب الاوليان (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) أصدق منها وأولى بان تقبل (وما اعتدينا) وما تجاوزنا فيها الحق (انا اذا لمن الظالمين) الواضعين الباطل موضع الحق أو ظالمين أنفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين أن المحتضر اذا أراد الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوي نسبه أو دينه على وصيته أو يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخرين من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على أنهما كتما بإمارة أو مظنة حلف آخران من أولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه يمين الوارث وثابت جنيا على الورثة بسبب تحريفهم الشهادة فيكون الورثة مجنيا عليهم والمعنى الحقيقي من الذين استحق الاثم بالجناية عليهم فيكون عليهم متعلقا بمقدر مفهوم من الكلام ولا جل خفاء معنى الآية احتيج الى التقديرات ولذا قال الامام نفق المفسرون على ان هذه الآية في غاية الصعوبة اعرابا ونظما وحكما (قوله أو بدل منهما) تبع في تثنية الضمير صاحب الكشاف المفهوم من كلام العلامة التفتازاني ان الضمير الراجع الى لفظ المثنى حقه ان يكون مفردا لان لفظ المثنى كآخرين مثلا لفظ واحد (قوله أو من الضمير) أي بدل من ضمير يقومان وهذا يدل على ان المبدل منه ليس في حكم المطروح اذ لا وجه لان يقال فآخران يقوم الاوليان

ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته أو التغيير الدعوى اذ روى أن تميما الداري وعدي بن يزيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به وأوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى أهله ومات ففتشاه وأخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب أهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا أيها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في أيديهما فاتاهما بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا أن نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان فحلفا واستحقاه ولعل تخصيص العدد فيهما لخصوص الواقعة (ذلك) أي الحكم الذي تقدم أو تحليف الشاهد (أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها (أو يخافوا أن ترد ايمان بعد أيمانهم) أن ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم (واتقوا الله واسمعوا) ما توصون به سمع اجابة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين أي لا يهديهم الى حجة أو الى طريق الجنة فقوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل) ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال أو مفعول واسمعوا على حذف المضاف أي واسمعوا خبر يوم جمعهم أو منصوب باضمار اذكر (فيقول) أي للرسل (ماذا أجبتم) أي اجابة أجبتم على ان ماذا في موضع المصدر أو باي شئ أجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما أن سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك (قالوا لا علم لنا) أي لا علم لنا بما لست تعلمه (انك أنت علام الغيوب) فتعلم ما نعلمه مما أجابونا وأظهروا لنا وما لا نعلم مما أضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الأمر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك أو لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على أن الكلام قد تم بقوله انك أنت أي انك أنت الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص أو النداء وقرأ أبو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك) بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى أصحاب الجنة والمعنى أنه سبحانه وتعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما أظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة أو نصب باضمار اذكر (اذ أيدتك) قويتك وهو ظرف لنعمتي أو حال منه وقرئ آيدتك (بروح القدس) بجبريل عليه الصلاة والسلام أو بالكلام الذي يحيا به الدين أو النفس حياة أبدية ويطهر من الآثام ويؤيده قوله (تكلم الناس في المهد وكهلا) أي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة

(قوله ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة) أي تخصيص الوصي بكونه اثنين لخصوص الواقعة فان الوصي فيها اثنان على أحد الاحتمالين والا فيجوز ان يوصي الى واحد (قوله على المدعين بعد ايمانهم) أي على الورثة بعد ايمان الاوصياء والشهود (قوله فتفتضحوا الخ) يدل على ان الفضيحة تحصل بسبب رد اليمين والحلف الكاذب وفيه ان رد اليمين حصل بعد العثور على خيانتهم وحلفهم الكاذب لقوله تعالى فان عثر على انهما استحقا اثما الا ان يراد زيادة الفضيحة وظهورها (قوله لانه حكم يعم الشهود) الاولى أن يقال لانه حكم يعم الشهود والاوصياء فان حكم الشاهد المفهوم من الآية منسوخ كما ذكر (قوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يهدي بعضهم فيجب ان يحترزوا عن الفسق حذرا ان يكونوا من ذلك البعض وانما قلنا ذلك لان من الفساق بل من الكفرة من هدى الله الى الحق والى طريق الجنة (قوله فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف) أي اذا كان المراد الاهتداء الى الجنة والى طريق الجنة كان يوم يجمع الله الرسل ظرفا ليهدي (قوله ولذلك قالوا الخ) لما كان المقصود التوبيخ الى ان يقولوا كيفية جوابهم قالوا لا علم لنا اذ لو كان المقصود بيان حالهم لوجب ان يذكروا ما أجابوا (قوله وفيه التشكي عنهم) اذ السكوت عن شرح حالهم مفيد لانهم علموا ما لا ينبغي ان يذكر (قوله وقيل لا علم لنا الى جنب علمك) ظاهر هذا المعنى لا يناسب جواب السؤال المذكور وان كان المراد لا علم لنا الى جنب علمك فيما قال القوم فهو راجع الى ما ذكره المصنف (قوله ويؤيده قوله ويكلم الناس) أي يؤيد احياء النفس حياة أبدية

(قوله على ألسنة رسلى) يمكن أن يكون المراد الرسل الموجودين فى زمان عيسى و يمكن أن يورد على ألسنة الرسل المتقدمة فان وصول الخبر المتواتر عن الرسل المتقدمة اليهم فى حكم أمر الرسول مشافهة (قوله فيكون تنبيها) الظاهر ان جعله ظرفا لقالوا تنبيه على ماذكر أى ربط أحد هذين الكلامين بالآخر دال على ذلك (قوله على ما تقتضيه الحكمة والارادة الخ) يعنى انهم عالمون بانه تعالى قادر على ماذكر لكن سؤالهم عن استطاعته بحسب الارادة والحكمة فكانهم قالوا هل ارادته تعالى تتعلق بانزال المائدة المذكورة فيستطيع ماذكر أو تتعلق بعدم انزالها حتى لا يستطيع لان ارادته تعالى اذا تعلقت بشئ لا يمكن وقوع نقيضه لكن قوله اتقوا الله ان كنتم مؤمنين لا يلائم هذا التفسير لان السؤال عن الاستطاعة بحسب الحكمة والارادة ليس فيه قصور رسوء أدب اذ هو من علوم الغيب ولا يعلم أحد ارادته تعالى بشئ مستقبل الا بان أعلمه الله تعالى (قوله تمهيد عذر) لا يخفى ان ماذكر لا يصلح ان يكون عذرا فى السؤال المذكور على ما فسره اذ ما فسره هو انه لم يكن الاخلاص عن تحقيق واستحكام معرفة بل المناسب على هذا التقدير ان يسألوا نزيدان ينزل ربك علينا مائدة من السماء (قوله قالوا الآن يريد فلم ينزل لك أن نقول هذا خلاف صريح قوله تعالى انى منزلها عليكم و يمكن أن يقال ان المراد من الكلام انى منزلها عليكم ان أردت المصلحة والحكمة فى انزالها لكن لم تنزل لعدم الشرط المذكور بين (قوله على السعة) أى على حذف حرف الجر وايصال الفعل اليه والتقدير أعذبه بعذاب (قوله الضمير للمصدر أو العذاب) ظاهره يدل على ان المراد من المصدر هو التعذيب الذى فى ضمن لا أعذبه لا يقال يلزم حينئذ جعل الجملة الوصفية التى هى لا أعذبه حالية

على سواء والمعنى الحاق حاله فى الطفولية بحال الكهولية فى كمال العقل والتكلم و به استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان يكتهل (واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى) سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرأ نافع و يعقوب طائرا و يحتمل الافراد والجمع كالقر (واذ كففت بنى اسرائيل عنك) يعنى اليهود حين هموا بقتله (اذ جئتهم بالبينات) ظرف لكففت (فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين) أى ما هذا الذى جئت به الا سحر مبين وقرأ حمزة والكسائى الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه الصلاة والسلام (واذ أوحيت الى الحواريين) أى أمرتهم على ألسنة رسلى (أن آمنوا بى و برسولى) يجوز أن تكون أن مصدرية وأن تكون مفسرة (قالوا آمنا بالله واشهد بأننا مسلمون) مخلصون (اذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم) منصوب باذكر أو ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) لم يكن بعد من تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك أى هل يجيبك واستطاع بمعنى أطاع كاستجاب وأجاب وقرأ الكسائى تستطيع ربك أى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك أو من ماده اذا أعطاه كأنها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة (قال اتقوا الله) من أمثال هذا السؤال (ان كنتم مؤمنين) بكمال قدرته وصحة نبوتى أو صدقتم فى ادعائكم الايمان (قالوا نريد أن نأكل منها) تمهيد عذر و بيان لما دعاهم الى السؤال وهو أن يتمتعوا بالاكل منها (وتطمئن قلوبنا) بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته سبحانه وتعالى (ونعلم أن قد صدقتنا) فى ادعاء النبوة أو أن الله يجيب دعوتنا (ونكون عليها من الشاهدين) اذا استشهدتنا أو من الشاهدين للعالمين دون الساممين للخبر (قال عيسى ابن مريم) لما رأى أن لهم غرضا صحيحا فى ذلك أو أنهم لا يقلعون عنه فأراد الزامهم الحجة بكمالها (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا) أى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمى يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر (لاولنا وآخرنا) بدل من لنا باعادة العامل أى عيد المتقدمين والمتأخر ين اذ روى أنها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها أولنا وآخرنا وقرئ لأولانا وآخرانا بمعنى الامة أو الطائفة (وآية) عطف على عيدا (منك) صفة لها أى آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى (وارزقنا) المائدة أو الشكر عليها (وأنت خير الرازقين) أى خير من رزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض (قال الله انى منزلها عليكم) اجابة الى سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد (فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا) أى تعذيبا و يجوز أن يجعل مفعولا به على السعة (لا أعذبه) الضمير للمصدر أو للعذاب ان أريد ما يعذب به على حذف حرف الجر

عن ضمير الموصوف الذى هو العذاب لانا نقول على هذا يكون الجار والمجرور مقدرا يحصل به الربط وكأنه قيل لا أعذبه أحدا من العالمين (قوله أو القصور) عطف على قوله اما المغايرة بان يكون المراد من دون دنو المرتبة ونقصانها بالنسبة الى الله تعالى فعلى التقدير الاول يكون معنى قوله تعالى الهين من دون الله الهين كائنين من جملة غير الله وعلى هذا التقدير يكون المعنى الهين كائنين من جنس ما هو أدنى بالنسبة الى الله تعالى (قوله فيكون فيه تنبيه الخ) لانه نوبيخ على اتخاذهم اياهما معبودين من دون الله ففيه ايماء الى أن لا يجتمع عبادة الله مع عبادة غيره فى عبد غيره فكأنه لم يعبده (قوله وقوله فى نفسك للمشاكلة وقيل المراد الذات) لا يخفى انه على تقدير المشاكلة لا يمكن جعل النفس بمعناها الحقيقى بل بحسب معنى آخر والمناسب هو لذات (قوله تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه) اما الاول فلان ثبات علم جميع الغيوب له تعالى متضمن لعدم علمى النفس وأما الثانى فلان حصر علم الغيوب فيه تعالى على ما هو مستفاد من ضمير الفصل يفهم أن عيسى لا يعلم ما يعلمه الله فان قيل شرط ضمير الفصل أن يكون الخبر معرفا باللام أو أفعل من قلنا جوز بعضهم أن يكون الخبر مضافا الى المفرد (قوله ربى

(أحدا من العالمين) أى من عالمى زمانهم أو العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روى أنها نزلت سفرة حمراء بين عمودين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحدة منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكن اخترعه الله سبحانه وتعالى بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمدكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو أن بقدمن هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيى باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فخسوا وقيل كانت تأتيهم أربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار بأكلون حتى اذا فاء الى مطارت وهم ينظرون فى ظلها ولم يأكل منها فقير الا غنى مدة عمره ولا مريض الا برئ ولا مريض أبدا ثم أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام أن اجعل مائدتى فى الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما عاد الله ارزاقها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد أن هذا مثل ضربه الله تعالى فى المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فاهل الحال أنهم رغبوا فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه الصلاة والسلام ان خاتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقبلوه عن السؤال وألحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله سبحانه وتعالى أن انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو أعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله) بريديه توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين أو صلة تتخذونى ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على أن عبادة الله سبحانه وتعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبد مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده أو القصور فانهم لم يعتقدوا أنهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما عبدوا أن عبادتهما توصل الى عبادة الله سبحانه وتعالى وكأنه قيل وكأنه قيل اتخذونى وأمى الهين متوصلين بنا الى الله سبحانه وتعالى (قال سبحانك) أى أنزهك تنزيها من أن يكون لك شريك (ما يكون لى ان أقول ما ليس لى بحق) ما ينبغى لى أن أقول قولا لا يحق لى أن أقوله (ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) تعلم ما أخفيه فى نفسى كما تعلم ما أعلنه ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله فى نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات (انك أنت علام الغيوب) تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه (ما قلت لهم الا ما أمرتنى به) تصريح بنفى المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه (أن اعبدوا الله

تصريح بنفى المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه) والمعنى ما قلت لهم شيأ من الامر بالعبادة الا ما أمرتنى ولا يخفى أن المستفهم عنه داخل فى المنفى

(قوله عطف بيان للضمير) قال صاحب المغنى عطف البيان فى الجوامد نظير النعت فى المشتقات فكما ان الضمير لا ينعت فكذلك لا يعطف عليه عطف بيان وهو الزمخشرى فاجاز ذلك ذهولا عن هذه النكتة وممن نص عليه من المتأخرين ابن السيد وابن مالك والقياس معهما اه كلامه (قوله وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه الخ) جواب سؤال هو انه اذا كان بدلا للزم منه ماذكر من الحذف ورفى قوله وليس من شرط البدل اشعار بانه قد يكون المبدل منه فى حكم المطروح والاكان الاولى أن يقال والمبدل منه ليس فى حكم المطروح أصلا ثم ان اعبدوا الله بمعنى عبادة الله فلا اصح جعله بدلا وعطف بيان (قوله أو خبر مضمر أو مفعوله مثل هو أعنى) فيه ان هذا الضمير راجع الى ما أمرتنى وهو ليس أن اعبدوا الله بل العبادة ولا يصح جعل ان مصدرية حتى تؤول الجملة بالمصدر لانه يصير هكذا الا ما أمرتنى به وهو عبادة الله ربى وربكم وهو غير صحيح كما يخفى فان قيل مراده ما أمرتنى بان

ربى وربكم) عطف بيان للضمير فى به أو بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا لما يلزم بقاء الموصول بلا راجع أو خبر مضمر أو مفعوله مثل هو أو اعنى ولا يجوز ابداله من ما أمرتنى به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا أن تكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله سبحانه وتعالى وهو لا يقول اعبدوا الله ربى وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكان قيل ما أمرتهم الا بما أمرتنى به أن اعبدوا الله (وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم) أى رقيبا عليهم أمنعهم أن يقولوا ذلك ويعتقدوه أو مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان (فلما توفيتنى) بالرفع الى السماء لقوله انى متوفيك ورافعك والتوفى أخذ الشئ وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها (كنت أنت الرقيب عليهم) المراقب لاحوالهم فتمنع من أردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات (وأنت على كل شئ شهيد) مطلع عليه مراقبه (ان تعذبهم فانهم عبادك) أى ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على أنهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك (وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوى على الثواب والعقاب الذى لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته لتمنع التردد والتعليق بان (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) وقرأ نافع يوم بالنصب على أنه ظرف لقال وخبر هذا محذوف أو ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذى مر من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بنى على الفتح باضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق فى الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم) بيان للنفع (لله ملك السموات والارض ومافيهن وهو على كل شئ قدير) تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم فى المسيح وأمه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال ومافيهن اتباعا لهم غيرا ولى العقل اعلاما بأنهم فى غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة لهم

أقوله هو أن اعبدوا الله قلنا ما أمرتهم بان يقول عيسى هو اعبدوا الله من غير ان لا معها وقس عليه كونه مفعولا (قوله فان الصدر لا يكون مفعول القول) يعنى لو كان بدلا مما أمرتنى كان مفعولا كما ان ما أمرتنى أيضا كذلك لكن اذا كان ان مصدرية كان أن اعبدوا الله فى معنى عبادة الله فيكون المعنى ما قلت لهم الا العبادة وهذا غير صحيح (قوله وهو لا يقول اعبدوا الله ربى وربكم) يمكن أن يقال ان المعنى ما قلت لهم الا ما أمرتنى بان أقول لهم وحينئذ لا يلزم الحذور لان ما أمرت الله عيسى بان يقوله هو اعبدوا الله ربى وربكم (قوله الا أن يؤول القول بالامر) فيلزم هنا ماذكره أولا من المحال فيحتاج الى التأويل الذى قلنا وحينئذ لا يحتاج الى تفسير القول بالامر (قوله ولا اعتراض على المالك المطلق) فان العباد قد يعترض عليهم بعض ما يفعلون فى ملكهم مما لم يجوزه الشرع فان العبد ليس بمالك مطلقا بل ليس بمالك فى الحقيقة (قوله فلا عجز ولا استقباح) فان كونه تعالى عزيزا غالبا ينفى العجز وحكيما ينفى استقباح فعله (قوله فلا امتناع فيه لذاته الخ) فيه ان التعليق بان قد يكون فى الممتنع بالذات كما قال تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانه يلزم التعليق كما قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولا جل ما قلنا لم يتعرض له صاحب الكشاف (قوله وخبر هذا محذوف) والتقدير هذا جزاء الصدق أو نحوه (قوله لان المضاف اليه معرب) قال لرضى هذا مما اختلف فيه النحاة فبعض البصريين على أنه لا يجوز فى مثله الا الاعراب فى الظرف المضاف لمعنى علة البناء وعند الكوفيين و بعض البصريين يجوز بناؤه اعتبارا بالعلة الصيغة

(قوله وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية) لان ماموضوع للجنس فيدل على ان ماهو فيهن أجناس فكل مافيهما من الاشخاص له مجانس وكل ماله مجانس لايصلح للالوهية لان الالوهية تقتضي التوحيد والانفراد عن المجانس والظاهر من كلامهم في هذا الموضوع وغيره ان استعمال مافيما لاجنس له ولامجانس كقوله تعالى والسماء ومابناها والأرض وماطحاها لابطريق الحقيقة (قوله ولان مايطلق متناولا للاجناس كلها) أي يطلق على العالم وعلى غيره بخلاف من فانه مخصوص بذي العلم ولايطلق على غير العالم الا تغليبا فان قيل قد ورد في التنزيل اطلاقه على غير ذي العلم وهو قوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على أربع قلنا قال الرضي لما غلب العلماء في ضمير منهم نشأ عن هذا التغليب اطلاق من على غير ذي العلم ﴿سورة الانعام﴾ (قوله أخبر أنه تعالى حقيق بالحمد) انما قال ذلك ولم يقل كل حمد حاصل له لان استحقاقه تعالى للحمد دائم (قوله ونبه على أنه المستحق له) فيه اشعار بان غيره تعالى لايستحق الحمد فان الخبر المحلى باللام يفيد الحصر وانما اختص به لان الحمد لايتعلق الا بالفاعل المختار ولا فاعل غيره تعالى لانه خالق السموات والأرض وقد أوضحنا هذا البحث حق الايضاح في أوائل الحواشي التي كتبناها على تفسير فاتحة الكتاب من البيضاوي (قوله حمد أولم يحمد) لأن استحقاقه للحمد بواسطة خلق السموات والأرض مثلا وهذه الصفة ثابتة له حمد أولم يحمد (قوله وهي مثلهن) مأخوذ من قوله تعالى ومن الارض مثلهن (قوله لأن طبقاتها مختلفة بالذات الخ) هذا موافق لكلام الفلاسفة فانهم يقولون ان كل فلك هيولى خاصة وصورة نوعية خاصة وأما الشرع فالظاهر انه لم يصح فيه شئ دل على كونها مختلفة بالذات والحقائق بل المحققون من المتكلمين على ان الاجسام كلها متساوية في تمام الماهية وهذا هو المفهوم من كلام العلامة النيسابوري ولعل استفادة اختلافها بالذات من حركاتها المتفاوتة والآثار لأن الطبيعة الواحدة لايصدر عنها الأفاعيل المتنافية وهذا أيضا بناء على مذهبهم واما الشرع فانه يثبت ان الفاعل لكل هو الله تعالى بحسب ارادته فيمكن ان تكون السموات متحدة بالنوع مختلفة والظلمة الحركات بارادة القادر المختار اختلافه وههنا نظر حكمي أيضا وهو ان يقال لم لايجوز ان تكون السموات متحدة مع اختلاف الحركات بواسطة التشخصات لايقال لعل مراده من الاختلاف بالذات اختلافها بحسب الاشخاص لانا نقول طبقات الارض أيضا كذلك مختلفة الاشخاص (قوله وقدمها الشرفها) هذه مسئلة اختلف فيها العلماء قال العلامة النيسابوري قال بعضهم السماء أفضل لانها معبد الملائكة وماوقع فيها معصية ولذا لما عصى الله آدم أهبط من الجنة وقال الله تعالى لايسكن في جواري من عصاني وقال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا ووقع في الأكثرون ذكر السماء مقدما على الأرض والسماء مؤثر والأرضيات متأثرة والمؤثر أشرف من المتأثر وقال الآخرون بل الأرض أفضل لانه تعالى وصف بقاعا من الأرض بالبركة فقال ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين وقال في البقعة المباركة وقال في المسجد الأقصى الذي باركنا حوله و وصف جملة الأرض بالبركة فقال تعالى و بارك فيها وقدر فيها أقواتها وخلق الانبياء من الأرض الى غير ذلك من الدلائل التي ذكرها أقول لايخفى ان قوله لانه تعالى وصف بقاء من الارض الخ يدل على شرفها لا اشرفيتها (قوله وتقدم وجودها) مراده ان السموات على هذه الهيئة التي وقعت مقدمة على الارض الكائنة على هذه الهيئة الموجودة لانه تعالى قال في سورة النازعات أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها فانه صريح في ان بسط الارض مؤخر عن تسوية السماء (قوله وفي الجعل معنى التضمين) قال العلامة التفتازاني معنى التضمين جعل شئ في ضمن شئ بان يحصل منه أو يصير اياه أو ينقل منه أو اليه وبالجملة فيه اعتبار شيئين

وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان مايطلق متناولا للاجناس كلها فهو أولى بارادة العموم
*عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني بتنفس في الدنيا
﴿ سورة الانعام مكية غير ست آيات أو ثلاث آيات من قوله
قل تعالوا وهي مائة وخمس وستون آية)
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
(الحمد لله الذي خلق السموات والارض) أخبر بانه سبحانه وتعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد أولم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها (وجعل الظلمات والنور) أنشأهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد أن الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور

والظلمة بالجعل تنبيها على أنهما لايقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة أسبابها والاجرام الحاملة لها أولان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها التقدم الاعدامي على الملكات ومن زعم أن الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم أن عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لايتعلق به الجعل (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) عطف على قوله الحمد لله على معنى أن الله سبحانه وتعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على أنه خالق هذه الاشياء أسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه أن يحمد عليها ولا يكفر أو على قوله خالق على معنى أنه سبحانه وتعالى خلق مالا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به مالا يقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة أي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى أن الكفار يعدلون بربهم الاوثان أي يسوونها به سبحانه وتعالى (هو الذي خلقكم من طين) أي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو أصل البشر خلق منه أو خلق آباءكم لحذف المضاف (ثم قضى أجلا) أجل الموت (وأجل مسمى عنده) أجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي وان يأتي وأجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بأنه مسمى أي مثبت معين لايقبل التغير وأخبر عنه بأنه عنده الله لامدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه هو أعم من ايجاده بنفسه أو ايراده في محل بأن جعل المحل متصفا به ولايخفى ان الموجود قد يتصف بالمعدومات (قوله أو عطف على خلق الخ) كذا في الكشاف ومحصول ما ذكر العلامة التفتازاني وغيره انه ليس القصد ههنا عطف الموصول وصلته على مثلهما اذ لا معنى لقول القائل الحمد لله الذي كفروا بربهم يعدلون بل هو داخل تحت الصلة فكانه قيل الحمد لله الذي كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفران أو فعل فيه نظرا ما أولا فلان مثل هذا التكلف البعيد وتغيير النظم لاينبغي الا لضرورة ولا ضرورة ههنا واما ثانيا فلان قوله ثم من الكفرة الكفران لايناسب لان يذكر بعد الحمد لله اذ لا علاقة له مع الحمد (قوله لايقدر على شئ منه) تبع في هذه العبارة صاحب الكشاف ومعلقوه والاولى ان يقال مالا يقدر على شئ (قوله بعد هذا البيان) الوجه ان يقال بعد ظهور هذه الآيات التي هي خلق السموات والارض كما قال صاحب الكشاف (قوله ليقع الانكار على نفس الفعل) أي ليقع الانكار على نفس العدول أي على مطلق العدول عن الحق وفيه اشعار بان عدولهم مطلقا منكر لانه عدول عن الحق (قوله والاستئناف به لتعظيمه) يعني لم يعطف أجل مسمى على مفعول قضى وهو أجلا وجعل كل منهما مستقلا لما ذكر ولذلك نكر ووصف به لتعظيمه (قوله مثبت معين لايقبل التغيير) بخلاف الاجل الاول فانه قد يتغير بالاسباب كالصدقات وسائر الاعمال فتأمل (قوله لامدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة)

وأرتباط بينهما وفي الخلق معنى الايجاد بقدر وتسوية انهى كلامه ولايخفى ان التضمين بالمعنى المذكور لايناسب الصور الثلاث الاولى الا بتكلف بعيد لاحاجة اليه والاولى ان يقال ان جعل أعم من خلق لانه يقال فيما ليس بمخلوق والخلق لايقال فيما ليس بموجود (قوله تنبيها على انهما لايقومان بأنفسهما) وفيه نظر لانه ان أراد من عدم القيام بنفسه كون الشئ عرضا فالتضمين بالمعنى المذكور لايدل عليه كما لايخفى وان أراد من عدم القيام بنفسه احتياجهما الى الخالق في الوجود والبقاء فلايصح كونهما معبودين كما زعمت الثنوية فهذا لايحتاج الى تعليق الجعل بهما بل لعلق الخلق بهما وقيل وخلق الظلمات والنور حصل المقصود لكن ظاهر عبارة المصنف وهو انه عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل الخ يدل على خلاف ذلك والاولى ان يقال جعل الظلمات والنور ولم يدخلهما تحت الخلق لافادة ان الظلمة ليست من الموجودات (قوله على ما زعمت الثنوية) أي القائلون بوجود الهين خير وشر فالاول هو النور والثاني هو الظلمة وفيه ان النور والظلمة اللذين ذكرهما بمعنى غير المعنى المشهور وهما بهذا المعنى قائمان بذاتهما لا بالمحل فانهم قالوا النور هو الذات المظهر للغير الفاعل للخير والظلمة ضده والمعنى المشهور لله ورسوله كيفية تكون مظهرا للاشياء عند الحس البصري والظلمة عدمها ولايخفى ان النور بالمعنى المذكور موجود وقائم بذاته كسائر الجواهر فكيف يدل القرآن على بطلانه (قوله لكثرة أسبابها الخ) أي لكثرة أسبابها بالنظر الى أسباب النور والا فأسباب النور والاجرام الحاملة له أيضا كثيرة (قوله والهدى واحد) أي دين الله واحد أي أصول الدين في كملة من ملل الانبياء واحد وانما الاختلاف في الفروع ولذا قال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى (قوله حتى لايتعلق به الجعل) لان الجعل الانشاء

بخلاف الاجل السابق فانه قد يعلم لبعض أصحاب الوحي والالهام وقد يكون لقدرة الغير مدخل فيه بحسب الظاهر كالقتل وغيره (قوله ولانه المقصود بيانه) لان الاجل الاول الذي هو الموت معلوم القضاء أولانه أعظم من الأول (قوله تعالى ثم قضى أجلا) الظاهر ان ثم ههنا بالمعنى الحقيقي وهو التراخي فان الحكم بقضاء الأجل الذي هو الموت مؤخر عن الخلق بزمان (قوله ولذلك استغنى عن تقديم الخبر) اعلم ان المشهور في استعمال الفصحاء تأخير المبتدا مع الوصف عن الظرف كما صرح به صاحب الكشاف ومعلقوه فوجب ذكر المرجح بخلاف المشهور ولم يذكره (١٨٠) المصنف وذكره صاحب الكشاف وهو الى قصد التعظيم (قوله استخراج اللبن من الضرع) ولعل سبب النقل من هذا المعنى الى الشك ان الشك منشأ استخراج العلم الذي هو كاللبن (قوله متعلق باسم الله) ليس المراد ما هو الظاهر انه يتعلق بنفس اسم الله بل المراد انه متعلق بما تضمنه الاسم الاقدس فانه متضمن للمعبودية كقول القائل هو حاتم في طيء أي جواد فيه لان الاسم لا يتعلق به الجار والمجرور الا باعتبار معنى ظاهر (قوله أو ظرف مستقر وقع خبرا) فيكون المعنى وهو الله كائن في السموات وفي الارض ويكون كونه تعالى فيهما مجازا عن علمه بما فيهما استعمل كون العالم في الشئ بمعنى علمه بما فيه بطريق المجاز المرسل (قوله وليس في متعلق المصدر) أي ليس في السموات والارض متعلقا بالسر والجهر لان صلة المصدر لا تتقدم وقد قدمنا مرارا ان المحققين على انه يجوز اذا كان ظرفا أو جارا ومجرورا (قوله مايخفى ومايظهر من أحوال النفس) لا يقال لا يظهر من أحوال النفس شئ بل هي كلها سر والظاهر هو أعمال الجوارح لانا نقول أعمال الجوارح دالة على أحوال النفس فيظهر أحوالها بأعمال الجوارح ويمكن أن يقال المراد من الاولين ماظهر ومافي من الاحوال التي لا تكون بالكسب وبالثالث مايكون بالكسب (قوله كانه قيل) الى قوله أو كالدليل الخ هذا بناء على ان الفاء السببية قد تكون لسببية ماقبلها لما بعدها أو بالعكس فعلى الوجه الاول يكون الوجه الاول من السببية وعلى الوجه الثاني يكون الوجه الثاني منها

المقصود بيانه (ثم أنتم تمترون) استبعد لامترائهم بعد مائيت أنه خالقهم وخالق أصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحياة فيها وابقائها ما يشاء كان أقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك وأصله المرى وهو استخراج اللبن من الضرع (وهو الله) الضمير لله سبحانه وتعالى والله خبره (في السموات وفي الارض) متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله سبحانه وتعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله أو بقوله (يعلم سركم وجهركم) والجملة خبر ثان أو هي الخبر والله بدل ويكفي صحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه أو ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى أنه سبحانه وتعالى لكمال علمه بما فيهما كأنه فيهما يعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلقا بالمصدر لان صفته لا تتقدم عليه (ويعلم ماتكسبون) من خير أو شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله أريد بالسر والجهر مايخفى ومايظهر من أحوال الانفس وبالمكتسب أعمال الجوارح (وماتأتيهم من آية من آيات ربهم) من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض أي مايظهر لهم دليل قط من الادلة أو معجزة من المعجزات أو آية من آيات القرآن (الا كانوا عنها معرضين) تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) يعني القرآن وهو كالدليل عليه على معنى أنهم لما أعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو أعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن) أي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة أو عند ظهور الاسلام وارتفاع أمره (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن) أي من أهل زمان والقرن مدة أغلب أعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن أهل عصر فيه نبي أو فائق في العلم قلت المدة أو كثرت واشتقاقه من قرنت (مكناهم في الارض) جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها وأعطيناهم من القوى والآلات ماتمكنوا بها من أنواع التصرف فيها (مالم نمكن لكم) مالم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا أهل مكة أو مالم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب (وأرسلنا السماء عليهم) أي المطر أو السحاب أو المظلة فان مبدأ المطر منها (مدرارا) أي مغزارا (وجعلنا الانهار تجري من تحتهم) فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار (فاهلكناهم بذنوبهم) أي لم يغن ذلك عنهم شيأ (وأنشأنا) وأحدثنا (من بعدهم قرنا آخرين) بدلا منهم والمعنى أنه سبحانه وتعالى كما قدر على أن يهلك من قبلكم كما دو ثمود ويستأصل مكانهم آخرين يعمر

(قوله تعالى فى قرطاس) فان قلت ما فائدة لفظ القرطاس قلت فائدته المبالغة لانهم اذا قالوا فى بيت ماهو المتعارف وهو كون الكتاب فى القرطاس انه السحر فقولهم هذا فيما لا يكون معتادا أولى (قوله ثم لا ينظرون) قال صاحب الكشاف عدم انظارهم اما لأنهم عاينوا الملك فقد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صورته وهى انه لا تبقى أعين منهاوأيقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة لم يكن بدمن اهلاكهم كما أهلك أصحاب المائدة واما بزوال الاختيار الذى هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوه فى صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون وأقول فان قيل لم كان زوال الاختيار سببا لهلاكهم قلنا لان خلقهم كان للابتداء بالتكليف فاذا بطل الاختيار زال التكليف فزال سبب وجودهم وبزوال الوجود يزول سببه (قوله ولامسته يتقدمه الابصار) أى اللمس بالايدى متقدم عليه الابصار بلا مانع فلا حاجة الى ذكر الابصار ههنا (قوله وتارة يقولون لوشاء ربك لانزل ملائكة) فان قيل فعلى هذا كان المناسب ان يقال ولو جعلناه ملائكة ليطابق الافتتاح وهو قولهم لوشاء ربك لانزل ملائكة والجواب ان المراد بذلك الجنس فيكون شاملا للجمع (قوله واما رآهم كذلك الافراد من الانبياء) فيه خفاء قال العلامة النيسابورى ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما رأى جبرائيل عليه الصلاة والسلام غشى عليه وان جميع الرسل عاينوا الملائكة فى صورة البشر كأضياف لوط وابراهيم وكالذين تسوروا المحراب (قوله ليسخرمنهم) الضمير راجع الى الرسل فيكون

بهم بلاء يقدر أن يفعل ذلك بكم (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس) مكتوبا فى ورق (فلمسوه بأيديهم) فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يتكمهم أن يقولوا انما سكرت أبصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدى لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء (لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) تعنتا وعنادا (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) هلا أنزل معه ملك يكلمنا أنه نبى كقوله لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا (ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر) جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى أن الملك لو أنزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله قد جرت بذلك فيمن قبلهم (ثم لا ينظرون) بعد نزوله طرفة عين (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) جواب ثان ان جعل الهاء للطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا أنزل عليه ملك وتارة يقولون لوشاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا فرض ينالك ملكا يعاينونه أو الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل فى صورة دحية الكلبى فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك فى صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف أى ولو جعلناه رجلا للبسنا أى لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم فيقولون ماهذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحدة وللبسنا بالتشديد للمبالغة (ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يرى من قومه (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) فاحاط بهم الذى كانوا يستهزؤن به حيث أهلكوا لاجله وفزل بهم وبال استهزائهم (قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) كيف أهلكهم الله بعذاب الاستئصال كى تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا فى الارض فانظروا أن السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر فى آثار الهالكين (قل لمن ما فى السموات والارض) خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت (قل لله) تقريرا لهم وتنبيها على أنه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم أن يذكر واغيره (كتب على نفسه الرحمة) التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر (ليجمعنكم الى يوم القيامة) استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر أى ليجمعنكم فى القبور وبعثين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم

تعديته بمن مثل قوله تعالى انا نسخر منكم (قوله ان السير ثمة لاجل النظر) فيكون الغاء للسببية بان يكون ما قبلها سببا لما بعدها فان السير سبب لحصول النظر فى الخارج (قوله سؤال تبكيت) أى الزام وافحام أى أورد عليهم حجة ما قد روا على الجواب عنها (قوله تقريرا لهم) أى يجعلهم مقرين لهم واذا كان ما فى السموات والارض لله بطل الشركة والشركاء (قوله وتنبيه على انه المتعين للجواب) لان تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم بالقول به من غير الالتفات الى جوابهم مشعر بان هذا الجواب متعين فلا حاجة الى ان يجيبوا (قوله التزمها تفضلا واحسانا) لانه وعد بالرحمة فصارت الرحمة واجبة بمقتضى الوعد لان اخلاف الوعد نقص وهو على الله تعالى محال وفى كلامه رد على من قال ان الرحمة واجبة عليه مطلقا لا بالوعد

(قوله وقيل بدل من الرحمة الخ) فيه ان الظاهر ان معنى قوله تعالى قل لمن مافى السموات ومافى الارض قل للكافرين لان المؤمنين معترفون بان الكل له فلا معنى للتبكيت على ما صرح به فظاهره يدل على انه يكون الخطاب فى ليجمعنكم لهم أيضا ولا يناسبه قوله فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم الا ان يقال انه أعرض عن الكافرين واعلم ان العلامة الطيبى قال قال الزجاج يجوز أن يكون ليجمعنكم بدلا من الرحمة وفسر رحمته بانه يمهلهم الى يوم القيامة والامهال رحمة انتهى يحرفه ولا يخفى ان هذا هو المناسب (قوله فا كتفى باحد الضدين عن الآخر) فان قلت لم ذكر وله ماسكن ولم يقل وله ما تحرك فلم لا يمكن أن يكون الاصل السكون وأما الحركة فتحتاج الى محرك وفيه ان ما تحرك من الليل والنهار أعظم وأظهر اذ هو السموات والكواكب فهو أولى بالذكر فالاولى تفسير ماسكن بالوجه الاول وهو ان يكون من السكنى (قوله لكل مسموع) هذا العموم مستفاد من حذف متعلق السميع اذ لما كان لابد للسمع من متعلق والتخصيص ببعض المسموعات تخصيص بلا مخصص فوجب تقدير ما دل على العموم

أو فى يوم القيامة والى بمعنى فى وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم (لا ريب فيه) فى اليوم أو الجمع (الذين خسروا أنفسهم) بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم أو رفع على الخبر أى وأنتم الذين أو على الابتداء والخبر (فهم لا يؤمنون) والفاء للدلالة على أن عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر أدى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان (وله) عطف على لله (ماسكن فى الليل والنهار) من السكنى وتعديته بفى كما فى قوله تعالى وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم والمعنى ما اشتملا عليه أو من السكون أى ماسكن فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر (وهو السميع) لكل مسموع (العليم) بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ ويجوز أن يكون وعيدا للمشركين على أقوالهم وأفعالهم (قل أغير الله أتخذ وليا) انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولى فلذلك قدم وأولى الهمزة والمراد بالولى المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك (فاطر السموات والارض) مبدعهما وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها وجوزه على الصفة لله فانه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح (وهو يطعم ولا يطعم) يرزق ولا يرزق وتخصيص الاطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على أن الضمير لغير الله والمعنى كيف أشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبينهما للفاعل على أن الثانى من أطعم بمعنى استطعم أو على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم أخرى كقوله يقبض ويبسط (قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم) لان النبى صلى الله عليه وسلم سابق أمته فى الدين (ولا تكونن من المشركين) وقيل لى ولا تكونن ويجوز عطفه على قل (قل انى أخاف ان عصيت

(قوله لا لاتخاذ الولى) اذ لو أخر غير الله لتوهم ان انكار اتخاذ غير الله وليا لاجل انكار اتخاذ الولى وأما اذا قدم فلا يتوهم ما ذكر أصلا والاولى أن يقال ان تقديم غير الله للاشعار بان الانكار مخصوص باتخاذ غير الله وليا فيكون اشعارا باتخاذ الله وليا لانه لابد من ولى ومعبود ولا يصح اتخاذ غير الله وليا فيجب اتخاذ الله وليا لانه لابد من ولى ومعبود الهى وانما قلنا لابد من اتخاذ المعبود لان الخالق لابد له من خالق ومنعم حقيقى وهو يستحق ان يكون معبودا (قوله فانه بمعنى الماضى) أى كونه صفة لله موجب كونه معرفة فيجب كونه بمعنى الماضى حتى يكون مضافا فيتعرف (قوله وتخصيص الطعام لشدة الاحتياج اليه) أى تخصيص الطعام بالذكر من بين أفراد الرزق وجعله بمعناه لما ذكر والظاهر ان الشراب داخل فيه لقوله ومن لم يطعمه فانه منى (قوله وقرئ بعكس الاول) أى وقرئ يطعم الاول بفتح العين ويطعم الثانى بكسرها كما صرح به صاحب الكشاف وفيه ان شركاءهم أصنام والصنم جماد لا يطعم والجواب ان المراد من الاطعام على هذه القراءة التربية لا معناه الحقيقى كذا قال العلامة الطيبى لكن بقى الاشكال على المصنف وصاحب الكشاف فانهما فسرا الاطعام بالرزق ولا يخفى ان الاصنام ليست بمرزوقة لان الرزق النفع الواصل الى الحيوان وقال العلامة التفتازانى صح ذلك بالنظر الى اطلاق غير الله فان منهم من يطعم كالمسيح من معبودات الكفرة ثم ان قول المصنف ما هو نازل عن رتبة الحيوانية لا يناسب قوله يطعم ولا يطعم على عكس الاول لان ما يطعم ولا يطعم حيوان وهذا من زوائده على الكشاف فالظاهر ان قوله والمعنى الخ ان معنى القراءة الأولى ما ذكر أى أغير الله وهو الصنم النازل عن رتبة الحيوانية أتخذ وليا والحال ان الله يرزق ولا يرزق والحيوان يرزق ولا يرزق والصنم لا يرزق ولا يرزق (قوله وقيل لى ولا تكونن من المشركين ونحوه) ظاهر العبارة يفيد انه رجح الأول مع ان المناسب الوجه الثانى

لاحتياج الاول الى التقدير دون الثانى (قوله محذوف دل عليه الجملة) والمعنى ان عصيت ربى أخاف عذاب يوم عظيم (قوله وقد قرئ باظهاره الخ) أى قرئ من يصرف الله عنه يؤمئذ ويكون التقدير من يصرف الله العذاب عنه يومئذ أو من يصرف الله عنه عذاب الله يومئذ (قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الاهو) حجة أخرى على المشركين فانهم لما كان الله قادرا على دفع الضر لاغيره بطل الشرك لانه لاوجه لعبادة من لم يكن قادرا على دفع الأذى وترك عبادة من قدر عليه (قوله تعالى فهو على كل شئ قدير) دل هذا على ان غير الله تعالى لا يقدر على ايصال ذلك الخير لانه لما كان الله قادرا على ايصال ذلك الخير ومنعه كما فهم من قوله تعالى فهو على كل شئ قدير فلو قدر غيره عليه فاذا أراد ايصاله الى العبد وأراد الله عدم ايصاله اليه لزم اجتماع المانع من التمانع (قوله تصوير الخ) الباء فى بالغلبة متعلق بالعلو والمراد تصوير العلو الرتبى على العباد فاستعمل ما هو للفوقية المكانية فى الشرف والعلو بحسب الرتبة وغرضه ان ليس العبارة على معناها الحقيقى وانما المراد منه تخيل قهره وعلوه بالوجه الذى ذكر والأولى ان يقال القهر عبارة عن الغلبة وهى معناه الحقيقى والمراد من الفوقية العلو الرتبى (قوله تعالى قل الله) أى هو أكبر شهادة فان قلت ما المراد من شهادة الله قلنا اظهار المعجزة على يد النبى صلى الله عليه وسلم فان حقيقة الشهادة ما تبين به المدعى وهو كما يكون بالقول يكون بالفعل ولا شك ان دلالة الفعل أقوى من دلالة القول بعروض الاحتمالات فى الالفاظ بخلاف الفعل فان دلالته لا تعرض له

ربى عذاب يوم عظيم) مبالغة أخرى فى قطع أطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة (من يصرف عنه يومئذ) أى يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وأبو بكر عن عاصم يصرف على أن الضمير فيه لله سبحانه وتعالى وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف أو يومئذ بحذف المضاف (فقد رحمه) نجاه وأنعم عليه (وذلك الفوز المبين) أى الصرف أو الرحم (وان يمسسك الله بضر) ببلية كمرض وفقر (فلا كاشف له) فلا قادر على كشفه (الا هو وان يمسسك بخير) بنعمة كصحة وغنى (فهو على كل شئ قدير) فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله تعالى فلا راد لفضله (وهو القاهر فوق عباده) تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة (وهو الحكيم) فى أمره وتدبيره (الخبير) بالعباد وخفايا أحوالهم (قل أى شئ أكبر شهادة) نزلت حين قال قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه فى سورة البقرة (قل الله) أى الله أكبر شهادة ثم ابتدأ (شهيد بينى وبينكم) أى هو شهيد بينى وبينكم ويجوز أن يكون الله شهيد هو الجواب لانه سبحانه وتعالى اذا كان الشهيد كان أكبر شئ شهادة (وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به) أى بالقرآن وانما كتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة (ومن بلغ) عطف على ضمير المخاطبين أى لانذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر ومن الثقلين أو لانذركم به أيها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وفيه دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وأنه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه (أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) تقرير لهم مع انكار واستبعاد (قل لا أشهد) بما تشهدون (قل انما هو الله واحد) أى بل أشهد أن لا اله الا هو (وانني برىء مما تشركون) يعنى الاصنام (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة فى التوراة والانجيل (كما يعرفون أبناءهم) بحلاهم (الذين خسروا أنفسهم) من أهل الكتاب والمشركين (فهم لا يؤمنون) لتضييعهم ما به يكتسب الايمان (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله (أو كذب بآياته) كأن كذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحرا وانماكرا وهم قد جعوا بين الامرين تنبيها على أن كلا منهما وحده مبالغ غاية الافراط فى الظلم على النفس (انه) الضمير

الاحتمال والمراد من الشهادة ههنا الشهادة على نبوته صلى الله عليه وسلم فان القرآن دال عليه لانه أعجزهم عن المعارضة كما دل عليه سبب النزول ولقوله تعالى شهيد بينى وبينكم ولقوله تعالى وأوحى الى هذا القرآن لانذركم لكن قوله تعالى أئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى يدل على ان المراد الشهادة على التوحيد (قوله وهو دليل الخ) فيه انه فسر أولا من بلغ بالموجودين الغائبين كما هو الظاهر من عبارته بقرينة ما قاله ثانيا من ان المراد به الموجودون بعده وعلى هذا يكون محتملا للمعنيين فكيف يكون دليلا والمحتمل لا يصلح دليلا والاولى ان يقال ظاهر قوله تعالى ومن بلغ مطلق عام للموجودين الغائبين والذين يوجدون بعده الى يوم القيامة (قوله بالغ غاية الافراط فى الظلم) قد أفرط فى تفسير هذه الآية والوجه ان يقال المراد من أمثال هذا التركيب أى من أظلم شدة الظلم اذ لا يمكن فى كل

موضع خصوصا فى هذا الموضع حمله على البلوغ غاية الافراط فى الظلم اذ قتل النبى مثلا أبلغ منه فى الظلم (قوله منصوب بمضمر تهويلا للأمر) يفيد ان اضمار العامل يشعر بالتهويل وقال صاحب الكشاف ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذى هو أدخل فى التخويف فلم أر من عبارته ان التخويف اينشأ من مجرد حذف العامل وانما نشأ من تركه مع فاعله ومراد المصنف ماذكر صاحب الكشاف فكانه قال لوذكر العامل لوجب ذكر فاعله ففى بقية التهويل وان كان حذف الفاعل موجبا للتهويل لان السامع (١٨٤) يذهب كل مذهب ممكن بخلاف ما اذا ذكر فانه يعين ماهو المذكور (قوله

للشأن (لايفلح الظالمون) فضلا عمن لا أحد أظلم منه (ويوم نحشرهم جميعا) منصوب بمضمر تهويلا للامر (ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم) أى آلهتكم التى جعلتموها شركاء لله وقرأ يعقوب بحشرهم ويقول بالياء (الذين كنتم تزعمون) أى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها فى الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل أن يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم (ثم لم يكن فتنتهم الا أن قالوا) أى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التى يتوهمون أن يتخلصوا بها من فتنة الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب أولانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على أنها الاسم ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عنه بالتاء والنصب على أن الاسم أن قالوا والتأنيث للخبر كقولهم من كانت أمك والباقون بالياء والنصب (والله ربنا ما كنا مشركين) يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بأنه لا ينفعهم من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا أخرجنا منها وقد أقنطوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وهو لا يوافق قوله (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) أى بنفى الشرك عنها وحمله على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائى ربنا بالنصب على النداء أو المدح (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من الشركاء (ومنهم من يستمع اليك) حين تتلو القرآن والمراد أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن فقالوا للنضر ما يقول فقال والذى جعلها بيته ما أدرى ما يقول الا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان انى لارى حقا فقال أبو جهل كلا (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية جمع كنان وهو ما يستر الشئ (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك فى أول البقرة (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم (حتى اذا جاؤك يجادلونك) أى بلغ تكذيبهم الآيات الى أنهم جاؤك يجادلونك وحتى هى التى تقع بعدها الجمل لا تعمل لها والجملة اذا وجوابه وهو (يقول الذين كفروا ان هذا الا أساطير الاولين) فان جعل أصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز أن تكون الجارة واذا جاؤك فى موضع الجر ويجادلونك حال ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع أسطورة أو اسطارة أو اسطار جمع سطر وأصله السطر بمعنى الخط (وهم ينهون عنه) أى

وقد أيقنوا بالخلود) لك ان تقول من أين يعلم انهم هنا هذا القول أيقنوا بالخلود لابد من بيان (قوله وهو لا يوافق قوله انظر الخ) اعلم ان من قال بالتفسير المذكور غرضه منع صدور الكذب عنهم فى الآخرة بناء على مذهبه وان كان بخلاف الجمهور ولما كان شركهم محققا كان نفى الشرك عنهم كذبا فلابد لنفى الكذب من ان يقال معناه انهم ما كانوا مشركين فى اعتقادهم حتى يكونوا موحدين فى اعتقادهم وهذا لا يلائم قوله تعالى انظر كيف كذبوا على أنفسهم لانه يدل على ان قوله ما كنا مشركين كذب لكن معناه ان اعتقادنا ما كنا مشركين وهذا ليس بكذب اى عند مانع الكذب يوم القيامة ان اعتقادهم كذلك فى الواقع فأجاب بان المراد كذبهم فى الدنيا فرد عليه بانه يوجب اختلال النظم واذا ظهر لك ما قدمناه علمت ما فى كلام المصنف من القصور والابهام فى الكلام (قوله وحمله على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل بالنظم) لان أول الكلام بيان حالهم فى الآخرة وهو لتلك النظم (قوله ونظير ذلك قوله) لان معناه يحلفون بالله فى الآخرة بانهم مسلمون كما يحلفون لكم فى الدنيا انهم لمنكم (قوله وحتى هى التى يقع بعدها الجمل الخ) وهى حتى الابتدائية (قوله ويجوز ان تكون الجارة الخ) هذا بناء على الظاهر من ان اذا ليس بلازم الظرفية والا لزم ان يكون منصوبا لا مجرورا وأيضا لزم دخول حتى الجارة على فى المقدر واذا كانت الجارة يكون المعنى حتى وقت مجيئهم كذا قاله صاحب الكشاف (قوله خرافات الأولين) قيل أصل الخرافة المخترف من الفواكه من الشجر ثم جعل اسما لما يتلهى به من الاحاديث

وقيل انه رجل من خزاعة استهوته الجن فرجع الى قومه فكان يحدثهم بالأباطيل فكانت العرب اذا سمعت مالا أصل له قالت حديث خرافة ثم كثر حتى قيل للاباطيل خرافات (قوله استئناف كلام منهم على وجه الاثبات الخ) هكذا في الكشاف قال العلامة التفتازاني يريد انه ليس بعطف على نريد ليدخل تحت التمني ويكون المعنى يا ليتنا لا نكذب بل هو عطف على التمني عطف اخبار على انشاء وهو جائز باقتضاء المقام وكذا دعني ولا أعود انتهى كلامه وفيه انه لا حاجة الى القول بعطف الاخبار على الانشاء مع انه خلاف المشهور اذ المصنف وصاحب الكشاف صرحا بان هذا الكلام مستأنف فالظاهر ان

الواو للاستئناف قال صاحب المغني الواو في قوله تعالى لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء ونحو من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم فيمن رفع أيضا ونحو واتقوا الله ويعلمكم للاستئناف اذ لو كانت للعطف لانتصب نقر ولجزم نذر ولزم عطف الخبر على الامر وكذلك قولهم دعني ولا أعود (قوله وانهم لكاذبون الخ) جواب اسؤال فكان سائلا يقول اذا كان الكل تحت التمني فما الكذب والحال ان الكذب لا يكون الا في الاخبار والتمني انشاء لا اخبار فأجاب بما ذكر (قوله اجراء لها مجرى الفاء) لحاجة الى اجراء الواو مجرى الفاء بل النحاة قالوا ان الفعل كما يكون منصوبا بعد الفاء بعد التمني يكون منصوبا بعد الواو بعده أيضا فيكون المعنى يا ليت ردنا وعدم تكذيبنا وكوننا من المؤمنين (قوله ما كانوا

أي ينهون الناس عن القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان به (وينأون عنه) بانفسهم أو ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كأبي طالب (وان يهلكون) ومايهلكون بذلك (الا أنفسهم ومايشعرون) أن ضرره لا يتعداهم الى غيرهم (ولو ترى اذ وقفوا على النار) جوابه محذوف أي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها أو يطلعون عليها أو بدخلونها فيرعفون مقدار عند ما يرأيت أمرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليها اوقفوا (فقالوا يا ليتنا نرد) تمنيا للرجوع الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعني ولا أعود أي وأالا أعود تركتني أولم تتركني أو عطف على نرد أو حال من الضمير فيه فيكون في حكم التمني وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار أن بعد الواو اجراء لها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم مما تقدم من التمني والمعنى أنه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم أو قبائح أعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على أنهم لو ردوا لآمنوا (ولو ردوا) أي الى الدنيا بعد الوقوف والظهور (لعادوا لما نهوا عنه) من الكفر والمعاصي (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا به من أنفسهم (وقالوا) عطف على لعادوا أو على انهم لكاذبون أو على نهوا أو استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا (ان هي الا حياتنا الدنيا) الضمير للحياة (وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم أو جزائه أو عرفوه حق التعريف (قال أليس هذا بالحق) كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقرير يعم على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب (قالوا بلى وربنا) اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الجلاء (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم أو ببدله (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه (حتى اذا جاءتهم الساعة) غاية لكذبوا لا للخسران خسرانهم لا غاية له (بغتة) فجأة ونصبها على الحال أو المصدر فانها نوع من المجيء (قالوا يا حسرتنا) أي تعالى فهذا أوانك (على ما فرطنا فيها) في الحياة الدنيا أضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها أو في الساعة يعني في شأنها والايمان بها (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام (ألا ساء ما يزرون) بئس شيأ يزرونه وزرهم (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) أي وما أعمالها الا لعب ولهو يلهى

(٢٤ - (بيضاوي) - ثاني) يخفون من نفاقهم) أي بدا لهم جزاء ما كانوا يخفون (قوله ونصبها على الحال) وعلى هذا تكون بغتة بمعنى مفاجئة واعلم ان صاحب الكشاف ذكر فائدة تركها المصنف وهو انه قال فان قلت انما يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت وقوعا في أحوال الآخرة جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته أو جعل مجيء الساعة بسرعة كالواقع بغير فترة وأقول يمكن ان يقال لم يذكرهنا تحسرهم عند الموت للاشعار بان تحسرهم وقت قيام الساعة بمرتبة من الشدة لا يلتفت معها الى التحسر عند الموت (قوله بئس شيأ يزرونه وزرهم) انما قدر كذلك لان القاعدة في مثل هذه الصورة ان يكون الفاعل ضميرا مستترا يميز المحذوف ولا بد من مخصوص مقدر أيضا

الناس و يشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا (وللدار الآخرة خير للذين يتقون) لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على أن ما ليس من أعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة (أفلا يعقلون) أى الامرين خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به أو تغليب الحاضرين على الغائبين (قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون) معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما فى قوله

* ولكنه قد يهلك المال نائله * والهاء فى انه للشأن وقرئ ليحزنك من أحزن (فانهم لا يكذبونك) فى الحقيقة وقرأ نافع والكسائى لا يكذبونك من أكذبه اذا وجده كاذبا أو نسبه الى الكذب (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ولكنهم يجحدون بآيات الله و يكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أنهم ظلموا بجحودهم أو جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روى أن أبا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على أن قوله لا يكذبونك ليس لنفى تكذيبه مطلقا (فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر (حتى أتاهم نصرنا) فيه ايماء بوعد النصر للصابرين (ولا مبدل لكلمات الله) لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) أى بعض قصصهم وما كابدوا من قومهم (وان كان كبر عليك) عظم وشق (اعراضهم) عنك وعن الايمان بما جئت به (فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية) منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية أو مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفى الارض صفة لنفقا وفى السماء صفة لسلما و يجوز أن يكونا متعلقين بتبتغى أو حالين من المستكن وجواب الشرط الثانى محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر أن يأتيهم بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) أى ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة أولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة (فلا تكونن من الجاهلين) بالحرص على ما لا يكون والجزع فى مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة (انما يستجيب الذين يسمعون) انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل لقوله أو ألقى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون (والموتى يبعثهم الله) فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان (ثم اليه يرجعون) للجزاء (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه) أى آية مما اقترحوه أو آية أخرى سوى ما أنزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا (قل ان الله قادر على أن ينزل آية) مما اقترحوه أو آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل أو آية ان جحدوها هلكوا (ولكن أكثرهم

(قوله تنبيه على ان الخ) لانه لما قيل الآخرة خير للمتقين يفهم منه ان خيريته مخصوص بهم لان العقل يحكم بانه لابد من حياة مستقرة فافعالهم تنفعهم النفع الأخروى واما أعمال غيرهم فتكون لهوا ولعبا لانه اذا كان الحياة التى هى اللعب واللهو موجودة فالحياة التى لا لهو فيها ولا لعب موجودة بطريق الاولى (قوله معنى قد زيادة الفعل) يعنى ان قد فى الاصل للتقليل لكنه قد تستعمل للتكثير استعمال الضد فى الضد كرب فانه قد وضع للتقليل وقد يستعمل فى ضده (قوله ولكنه قد يهلك المال نائله) أوله أخى ثقة لا يهلك الخمر ماله يعنى ليس السكر يوجب جوده بل هو ذاتى يهلك المال كرمه والنوال العطاء (قوله فى الحقيقة) يمكن ان يراد ان غرضهم فى الحقيقة ليس تكذيبك ولكن مقصودهم تكذيب آيات الله وان يراد ان تكذيبهم ليس عن القلب لانهم يعلمون صدقك وانما هو باللسان (قوله وفيه دليل الخ) لان الغرض من هذه الآية تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره باقتدائه بالرسل المتقدمة فى صبرهم على تكذيبهم حتى أتاهم النصر ولابد من وقوع تكذيبه حتى يتحقق الاقتداء بهم (قوله تعالى أو سلما فى السماء) يجوز ان يكون فى بمعنى الى وقد جوز النحاة كون فى بهذا المعنى أى سلما واصلا الى السماء اذ يكون المعنى سلما رأسه فى السماء (قوله أو حالين عن المستكن) أى حالين عن الضمير المستتر فى تبتغى أى تبتغى حال كونك فى الأرض أو فى السماء (قوله وهؤلاء كالموتى لا يسمعون) بيان لربط قوله تعالى والموتى يبعثهم الله بما سبق أى المستجيبون هم الذين يسمعون و يفهمون انك على الحق لكن هؤلاء كالموتى فهم يبعثهم الله فيؤمنون بك لكن لا ينفعهم الايمان

(قوله وصفه بقطعا لمجاز السرعة ونحوها) أى انما وصف طائرا بالجملة المذكورة دفعا لتوهم ان الطيران مجاز عن السرعة حتى لا يكون طائرا حقيقيا بل يكون المراد بالطائر السريع الحركة ويمكن أيضا ان يكون المراد الطيران بالهمة كما حكى عن بعض العارفين ويمكن أيضا ان يكون المراد من الطائر الذى لا يدب على الارض بان لم يكن له جناحان كبعض العناكب الذى يتحرك فى الهواء واعلم انه لم يتعرض لفائدة قوله تعالى فى الارض وذكره صاحب الكشاف فقال معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل ومامن دابة فى جميع الارضين السبع ومن طائر يطير فى جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا أمم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها (قوله بالرفع على المحل) فان محل دابة الرفع باسمية ما (قوله وا تمرآن الخ) فان قيل هذا التفسير لا يناسب ظاهر ما سبق وما لحق وهو قوله تعالى ثم الى ربهم يحشرون بخلاف الاول فان معناه على الاول ما افصلنا أحوال كل أمة من الامم المذكورة وغيرها فى اللوح المحفوظ وانتشار أرزاقها فيكون المذكورات أمما أمثالكم وبعد انقضاء آجالهم الى (١٨٧) ربهم يحشرون ويمكن ان يقال ان

لا يعلمون) أن الله قادر على انزالها وأن انزالها يستجلب عليهم البلاء وأن لهم فيها أرزل مذوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد (ومامن دابة فى الارض) تدب على وجهها (ولا طائر يطير بجناحيه) فى الهواء وصفه بقطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل (الا أمم أمثالكم) محفوظة أحوالها مقدرة أرزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه قادر على أن ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى (مافرطنا فى الكتاب من شئ) يعنى اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجرى فى العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه أمر حيوان ولا جماد أو القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من أمر الدين مفصلا أو مجملا ومن مزيدة وشئ فى موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدى بفى الى الكتاب وقرئ مافرطنا بالتخفيف (ثم الى ربهم يحشرون) يعنى الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روى أنه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حشرهاموتها (والذين كذبوا بآياتنا صم) لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم (وبكم) لا ينطقون بالحق (فى الظلمات) خبر ثالث أى خابطون فى ظلمات الكفر أو فى ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز أن يكون حالا من المستكن فى الخبر (من يشأ الله يضلله) من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) بأن يرشده الى الهدى ويحمله عليه (قل أرأيتكم) استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب أكد به الضمير لتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لتعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم فى الآية أن يقال أرأيتموكم بل الفعل معلق والمفعول محذوف تقديره أرأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع أرأيتكم وأرأيت وأرأيتم

مرادها الاستخبار عن الشئ العجيب فلما كانت للاستخبار تكون للاستفهام ولما كانت دالة على الشئ العجيب يقصد بها تعجيبهم عن حالكم أيها المخاطبون ويعجب يستحق ان يتعجب منها (قوله والكاف حرف خطاب) الوجه ان يقال كم حرف خطاب يؤكد التاء ويبين ان معناها الجمع قال الرضى ان كم فى أرأيتكم حرف خطاب وليس بمفعول فان قلت اذا كان أرأيتكم بمعنى أخبرونى فما وجه نصب زيد فى قوله أرأيتك زيدا ما شأنه قلنا نصبه باعتبار انه فى الاصل مفعول به لرأيتك ولا محل للجملة الواقعة بعدها لانها مستأنفة لبيان الحال المستخبر عنها كانه قال المخاطب لما قلت أرأيت زيدا عن أى شئ من حاله تسأل فقلت ما صنع فقولك أرأيت زيدا ما صنع بمعنى أخبرونى عنه ما صنع فهذا التركيب فى الاصل له معنى ثم استعمل بالتجوز فى هذا المعنى (قوله بل الفعل معلق) هذا يخالف اصطلاحهم فان تعلق فعل القلب عندهم ان يهمل عن العمل لفظا ويعمل معنى اذا كان قبله الاستفهام أو النفى أو اللام وهذا الفعل ليس كذلك والجواب ان يقال التقدير أرأيتكم هذه الاصنام ويحكم فيكون تعليقا اصطلاحا ويمكن أن يراد التعليق بمعنى ابطال العمل وجعل المفعول منسيا والاكتفاء بالجملة الشرطية (قوله اذ المفعول محذوف تقديره الخ) فيكون قوله تعالى ان أتاكم عذاب الله مبينا

لا يعلمون) أن الله قادر على انزالها وأن انزالها يستجلب عليهم البلاء وأن لهم فيها أرزل مذوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد (ومامن دابة فى الارض) تدب على وجهها (ولا طائر يطير بجناحيه) فى الهواء وصفه بقطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل (الا أمم أمثالكم) محفوظة أحوالها مقدرة أرزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه قادر على أن ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى (مافرطنا فى الكتاب من شئ) يعنى اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجرى فى العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه أمر حيوان ولا جماد أو القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من أمر الدين مفصلا أو مجملا ومن مزيدة وشئ فى موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدى بفى الى الكتاب وقرئ مافرطنا بالتخفيف (ثم الى ربهم يحشرون) يعنى الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روى أنه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حشرهاموتها (والذين كذبوا بآياتنا صم) لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم (وبكم) لا ينطقون بالحق (فى الظلمات) خبر ثالث أى خابطون فى ظلمات الكفر أو فى ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز أن يكون حالا من المستكن فى الخبر (من يشأ الله يضلله) من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) بأن يرشده الى الهدى ويحمله عليه (قل أرأيتكم) استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب أكد به الضمير لتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لتعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم فى الآية أن يقال أرأيتموكم بل الفعل معلق والمفعول محذوف تقديره أرأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع أرأيتكم وأرأيت وأرأيتم

المناسبة مع القرآن ان القرآن بين منه التكاليف فمن عمل بها كان مثابا فى وقت الحشر ومن لم يعمل بها كان معاقبا (قوله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة) لانه حجة واضحة على انه تعالى يضل من يشاء والمعتزلة ينفون ذلك ويقولون الاضلال قبيح تعالى الله عنه ويفسرون الاضلال بمعنى الالطاف وتخلية العبد بحاله حتى يختار الضلالة (قوله استفهام تعجيب) فيه انهم قالوا ان أرأيتكم بمعنى أخبرونى كما صرح به فى الكشاف وليس فيه استفهام ولا تعجيب بل أمر للتبكيت والتوبيخ والجواب ان هذه الكلمة

هذا المقدر والتقدير أرأيتكم ان غير الله تدعون (قوله أو تنسونه من شدة الامر) فتنسون على هذا بمعناه الحقيقي وعلى الاول بالمعنى المجازي (قوله هما صيغتا تأنيث لامذكرهما) فانهما فعلاء الصفة وليس طما افعل لايقال البأس مذكر البأساء والضر مذكر الضراء لانهما أي البأس والضر مصدران (قوله استدراك على المعنى) يعني ان الظاهر ان يقال لكن يجب عليهم التضرع فعدل الى ماذكر لان ذكر القساوة التي هي المانع مشعر بان عليهم ماذكر فكأنه قيل لكن يجب التضرع وتركوه لماذكر (قوله أي بذلك الخ) اشارة الى أنه يمكن توجيه افراد الضمير باحد الوجوه المذكورة وقد سبق في قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وجه التعبير عن المتعدد بذلك فان قيل ماوجه اعتبار اسم الاشارة واقامة الضمير مقامه قلت الاشعار بان الامور المذكورة أمور ظاهرة فيكون الاحتجاج بها آكد ومع ذلك فيه تكلف والاولى الاقتصار على الوجهين الآخرين (قوله تارة من جهة المقدمات العقلية الخ) فالاول مستفاد من أوائل السورة فانها دالة على وجود صانع قادر مختار مستقل بالايجاد يفعل ما يشاء والثاني مستفاد من قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة الآية والثالث من قوله وقد أرسلنا الى أمم من قبلك الآيتين (قوله ولذلك صح الاستثناء الخ) يعني والا فقد يهلك الصالحون بشؤم الظالمين كما قال تعالى واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة

وأفرأيتم وأفرأيت وشبهها اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التي بعد الراء والكسائي يحذفها أصلا والباقون يحققونها وجزة اذا وقف ووافق نافعا (ان أتاكم عذاب الله) كما أتى من قبلكم (أو أتتكم الساعة) وهو طما وبدل عليه (أغير الله تدعون) وهو تبكيت لهم (ان كنتم صادقين) أن الاصنام آلهة وجوابه محذوف أي فادعوه (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء كما حكي عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص (فيكشف ما تدعون اليه) أي ما تدعونه الى كشفه (ان شاء) أي بتفضل عليكم ولايشاء في الآخرة (وتنسون ما تشركون) وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على أنه القادر على كشف الضر دون غيره أو تنسونه من شدة الأمر وهوله (ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك) أي قبلك ومن زائدة (فأخذناهم) أي فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم (بالبأساء) بالشدة والفقر (والضراء) والضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لامذكرهما (لعلهم يتضرعون) يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام مايدعوهم أي لم يتضرعوا (ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لامانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم (فلما نسوا ماذكروا به) من البأساء والضراء ولم يتعظوا به (فتحنا عليهم أبواب كل شئ) من أنواع النعم مراوغة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة أو مكرا بهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب في هذا هذا والذي في الاعراف (حتى اذا فرحوا) أعجبوا (بما أوتوا) من النعم ولم يزيدوا غير البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه سبحانه وتعالى (أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) متحسرون آيسون (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه (والحمد لله رب العالمين) على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم وأعمالهم نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها (قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم) أصمكم وأعماكم (وختم على قلوبكم) بأن يغطى عليها مايزول به عقلكم وفهمكم (من اله غير الله يأتيكم به) أي بذلك أو بما أخذ وختم عليه أو بأحدهذه المذكورات (انظر كيف نصرف الآيات) نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين (ثم هم يصدفون) يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها (قل أرأيتكم ان آتاكم عذاب الله بغتة) من غير مقدمة (أو جهرة) بمقدمة أمارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا أو نهارا وقرئ بغتة أو جهرة (هل يهلك) أي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب (الا القوم الظالمون) ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) المؤمنين بالجنة (ومنذرين) الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم (فمن آمن وأصلح) ما يجب اصلاحه على ماشرع لهم (فلا خوف عليهم) من العذاب (ولاهم يحزنون) بفوات الثواب (والذين كذبوا بآياتنا

(قوله كأنه الطالب للوصول اليهم) اذ نسبة المس الى العذاب تدل على ان المس والملاقاة من جانبه وبذله فهو مشعر بما ذكر لكن ناقش فيه العلامة التفتزاني بان المس ليس من خواص الاحياء حتى يلزم ماذكر وانما هو تلاقي الجسمين من غير واسطة بينهما أقول ان سلم ما ذكر فنقول المتبادر كونه من الاحياء (قوله واستغنى بتعريفه عن التوصيف) أي لم يصف العذاب بالشدة والعظم اكتفاء بتعريفه العهدي المعلوم من المواضع الأخر فكأنه قيل يمسهم عذاب جهنم الذي هو أشد العذاب أو العذاب العظيم (قوله تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية الخ) فيه ان التبرأ عن دعواهما ليس فيه كبير جدوى

يمسهم العذاب) جعل العذاب ماساهم كأنه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف (بما كانوا يفسقون) بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله) مقدوراته او خزائن رزقه (ولا أعلم الغيب) مالم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول (ولا أقول لكم اني ملك) أي من جنس الملائكة أو أقدر على مايقدرون عليه (ان أتبع الا ما يوحى الي) تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه (قل هل يستوي الاعمى والبصير) مثل للضال والمهتدي أو الجاهل والعالم أو مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة (أفلا تتفكرون) فتهتدوا أو فتميز وا بين ادعاء الحق والباطل أو فتعلموا أن اتباع الوحي مما لا محيص عنه (وأنذر به) الضمير لما يوحى الى (الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم) هم المؤمنون المفرطون في العمل أو المجوزون للحشر مؤمنا كان أو كافرا مقرا به أو متردد افيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحالة (لعلهم يتقون) لكي يتقوا (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) بعدما أمره بانذار غير المتقين ليتقوا أمره بما كرام المتقين وتقريبهم وأن لا يطردهم ترضية لقريش روي أنهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنا اذا جئناك قال نعم وروي أن عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما ذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله تعالى عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلاتا الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفي الكهف (يريدون وجهه) حال من يدعون أي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على أنه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بأنه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم (ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) أي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله أعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم تطعنا في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم أي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه (فتطردهم) فتبعدهم وهو جواب النفي (فتكون من الظالمين) جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر (وكذلك فتنا بعضهم ببعض)

الذين يخافون الاشعار بعموم الخوف لانه مأمور بانذار الكل (قوله تعالى ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع) أي ليس لهم شفيع غيره تعالى ففيه اشعار بان الشفاعة الحاصلة للمؤمنين ونصرتهم انما هي شفاعة الله تعالى ونصرته ليس لغيره مدخل فيه فالظاهر ان المراد ليس لجنس الخائفين ولي وشفيع غيره (قوله وفيه نظر) اذ يلزم منه ان يكون ماذكر وهو قوله تعالى ما عليك من حسابهم من شئ الخ سببا لكونه صلى الله عليه وسلم ظالما لان المعطوف عليه كذلك ولانه مدخول الفاء السببية (قوله أي ليس عليك حساب ايمانهم) أي تحقيق قدر ايمانهم ورتبته

في شأنه ماذكر والاولى أن يقال المراد اظهار العجز عن اظهار ما اقترحوه من المعجزات كما قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وعن الاطلاع عن الغيوب (قوله ردا لاستبعادهم دعواه) أي دعوى ان النبوة من كمالات البشر وقوله وجزمهم على فساد مدعاه معناه على فساد انه نبي (قوله دون الفارغين الجازمين باستحالته) فيه نظر اذ هو صلى الله عليه وسلم مأمور بانذار كل مكلف فلا باعث على التخصيص فان قيل ما فائدة انذار المتمرد الجاحد وهو غير مؤثر فيه قلنا زاحة عذره حتى لا يقول في القيامة ما سمعت حديث الحشر من النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا المتمرد اذا سمع عن جوب صدقه أمر الحشر وأهواله فالظاهر انه يحصل فيه خوف فيكون فائدة

(قوله واللام للعاقبة أوللتعليل) فان قيل التعليل ليس ههنا بمعناه الحقيقي لان أفعاله تعالى منزهة عن العلل والاغراض فيكون بمعناه المجازي وهو مجرد الترتب فيكون في الحقيقة لام العاقبة فلاوجه للترديد قلنا ان اللام مختلفة بالاعتبار فان اعتبر تشبيه الترتيب بالتعليل كانت اللام للتعليل وان لم يعتبر كانت للعاقبة (قوله على ان فتنا متضمن معنى خذلنا) الظاهر انه متعلق بكلا المعنيين ويوجب اعتبار الضمير المذكوران القول المذكور لايحصل الا من المخذول (قوله وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج) الوصف باتباع الحجج يفهم من الوصف بالايمان بالقرآن لانه لايكون الابعد اتباع الموجب الايمان به وهو الحجج (قوله أي من عمل ذنبا جاهلا الخ) لك أن تقول اذا كان جاهلا بحقيقة مايتبعه من المضار والمفاسد لم يعلم انه ذنب فلا يعلم انه ذنب لعلم مايتبعه من المضار والمفاسد فاذا لم يعلم انه ذنب لم يكن صدوره عنه ذنبا اذ لايؤاخذ به اذ الجاهل معذور فلاحاجة الى التوبة بل لاوجه لها اذ التوبة انما تكون عن الذنب فالاولى الوجه الثاني مما قاله وتوضيحه ان يقال المراد ان من فعل منكم سوأ مع علمه بانه ذنب ملتبسا بجهالة أي بسببه لان من علم ان عمل كذا ذنب وفعله فلايخلوعن جهالة وسفه أو يقال من عمل سوأ أي ذنبا بجهالة أي مع تقصيره في تحقيق العلم بانه ذنب مع وجوب تحقيقه تاب وأصلح لانه مؤاخذ بالتقصير (قوله اذ اما بانهم الجامعون بين العلم والعمل) فالعمل يستفاد مما سبق وهو قوله تعالى يؤمنون بآياتنا (قوله ولتستوضح يامحمد الخ) فيكون ولتستبين معطوفا على الجملة التي هي قوله تعالى وكذلك نفصل الآيات (قوله صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة الخ) يمكن أيضا أن يكون النهي المذكور بحصول علم ضروري بالتوحيد

ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف أحوال الناس في أمور الدنيا فتنا أي ابتلينا بعضهم ببعض في أمر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على أشراف قريش بالسبق الى الايمان (ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) أي أهؤلاء من أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لأن يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ماسبقونا اليه واللام للعاقبة أوللتعليل على أن فتنا متضمن معنى خذلنا (أليس الله بأعلم بالشاكرين) بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لايقع منه فيخذله (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعد ماوصفهم بالمواظبة على العبادة وأمره بان يبدأ بالتسليم أو يبلغ سلام الله تعالى اليهم و يبشرهم بسعة رحمة الله تعالى وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بأنهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولا يطرد و يعز ولا يذل و يبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا أصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيأ فانصرفوا فنزلت (انه من عمل منكم سوأ) استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم و يعقوب بالفتح على البدل منها (بجهالة) في موضع الحال أي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة مايتبعه من المضار والمفاسد كمصر فيما أشار اليه أوملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب مايؤدي الى الضرر من أفعال أهل السفه والجهل (ثم تاب من بعده) بعد العمل أوالسوء (وأصلح) بالتدارك والعزم على أن لايعود اليه (فانه غفور رحيم) فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا أوخبر أي فأمره أوفله غفرانه (وكذلك) ومثل ذلك التفصيل الواضح (نفصل الآيات) أي آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين (ولتستبين سبيل المجرمين) قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يامحمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو و يعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر و يؤنث ويجوز أن يعطف على علة مقدرة أي نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين (قل اني نهيت) صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وأنزل على من الآيات في أمر التوحيد (أن أعبد الذين تدعون من دون الله) عن عبادة ما تعبدون من دون الله أوما تدعونها آلهة أي تسمونها (قل لاأتبع أهواءكم) تأكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال طمعهم و بيان لمبدأ ضلالهم وأن ماهم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على أن يتبع الحجة ولا يقلد (قد ضللت اذا) أي ان اتبعت أهواءكم فقد ضللت (وما أنا من المهتدين) أي في شئ من الهدى حتى أكون من عدادهم وفيه تعريض بأنهم كذلك (قل اني على بينة) تنبيه على مايجب اتباعه بعد مابين مالا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي

أو

(قوله ويجوز أن يكون صفة) يعني ان الوجه الاول ان يكون من ربي متعلقا بخبر يعني ان كوني على بينة من أجل معرفتي ربي وسببها واذا كان صفة لبينة كان المعنى على بينة كائنة من ربي (قوله تعالى وكذبتم به الخ) جملة حالية من بينة بتقدير قد وقوله تعالى ماعندي ماتستعجلون به خبر ثان لربي وترك العطف لان القاعدة ان العطف وتركه في هذا الموضع جائز (قوله تعالى قل لو أن عندي ماتستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم) فان قيل هذا ينافض حرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم كما فهم من الآيات نحو قوله تعالى فلعلك باخع نفسك لان شدة حرص طلب اسلامهم يستلزم طلب طول بقائهم حتى

يؤمنوا قلنا الاستلزام ممنوع اذ يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم طالبا لاسلامهم مادام وا أحياء وهذا لاينافي ارادة هلاكهم فكأنه صلى الله عليه وسلم طالب لما لحياتهم بشرط الاسلام واما طلاكهم (قوله والمعنى انه المتوصل الى المغيبات الخ) فيكون من قبيل المجاز المرسل فان كون مفاتيح الغيب عنده تعالى مستلزم للتوصل اليه فاستعمل ماهو موضوع الاول في الثاني وقد صرح العلامة التفتازاني بانه كما يكون المجاز المركب بطريق التشبيه قد يكون بغيره كقوله * هواي مع ركب اليمانين مصعد * البيت فان الركب موضوع للاخبار والمقصود منه اظهار التحزن والتحسر (قوله وفيه دليل على انه تعالى الخ) فان الغيب شامل للاشياء التي لم توجد في الخارج فاذا علم في الازل كل ما يوجد ثبت علمه

أو الحجج العقلية أو مايعمها (من ربي) من معرفته وأنه لامعبود سواه ويجوز أن يكون صفة لبينة (وكذبتم به) الضمير لربي أي كذبتم به حيث أشركتم به غيره أوللبينة باعتبار المعنى (ماعندي ماتستعجلون به) يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء أوائتنا بعذاب أليم (ان الحكم الا لله) في تعجيل العذاب وتأخيره (يقضي الحق) أي القضاء الحق أو يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتأخير وأصل القضاء الفصل بتمام الامر وأصل الحكم المنع فكأنه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر أو من قص الخبر (وهو خير الفاصلين) القاضين (قل لو أن عندي) أي في قدرتي ومكنتي (ماتستعجلون به) من العذاب (لقضي الامر بيني وبينكم) لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع مابيني وبينكم (والله أعلم بالظالمين) في معنى الاستدراك كأنه قال ولكن الامر الى الله سبحانه وتعالى وهو أعلم بمن ينبغي أن يؤخذ وبمن ينبغي أن يمهل منهم (وعنده مفاتح الغيب) خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن أومايتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح ويؤيده أنه قرئ مفاتيح والمعنى أنه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها (لايعلمها الاهو) فيعلم أوقاتها ومافي تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على مااقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على أنه سبحانه وتعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها (ويعلم مافي البر والبحر) عطف للاخبار عن تعلق علمه تعالى بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به (وماتسقط من ورقة الا يعلمها) مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات (ولاحبة في ظلمات الارض ولارطب ولايابس) معطوفات على ورقة وقوله (الا في كتاب مبين) بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على أن الكتاب المبين علم الله سبحانه وتعالى أو بدل الاشتمال ان أريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل ورقة أو رفعا على الابتداء والخبر الا في كتاب مبين (وهو الذي يتوفاكم بالليل) ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان أصله قبض الشيء بتمامه (ويعلم ماجرحتم بالنهار) كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد (ثم يبعثكم) يوقظكم أطلق البعث ترشيحا للتوفي (فيه) في النهار (ليقضى أجل مسمى) ليبلغ المتيقظ آخر أجله المسمى له في الدنيا (ثم اليه مرجعكم) بالموت (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى أنكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وأنه سبحانه وتعالى مطلع على أعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب

بالاشياء قبل وقوعها (قوله بدل من الاستثناء الاول) هو قوله تعالى الا يعلمها فان معناه الا في علمه وجه ومعنى قوله تعالى الا في كتاب مبين والمعنى ومانسقط من ورقة ولاحبة في ظلمات الارض ولارطب ولايابس الا يعلمها في كتاب مبين (قوله فان أصله قبض الشيء بتمامه) اذا كان أصل التوفي ماذكر فلا حاجة الى الاستعارة من الموت بل يقال انه استعمل مجازا للنوم لانه قبض في الجملة (قوله أطلق البعث للترشيح الخ) لما استعير التوفي من الموت للنوم كان البعث الذي هو في الحقيقة الاحياء بعد الموت ترشيحا لانه أمر ملائم المستعار منه ولعل هذا كان سببا لاعتبار الاستعارة من الموت (قوله في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم) هذا التكلف لاظهار

الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه البعث الموتى وجزائهم على أعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة تحفظ أعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه أن المكلف اذا علم أن أعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان أزجر عن المعاصى وأن العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) ملك الموت وأعوانه وقرأ حمزة توفاه بالالف ممالة (وهم لا يفرطون) بالتوانى والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة أو نقصان (ثم ردّوا الى الله) الى حكمه وجزائه (مولاهم) الذى يتولى أمرهم (الحق) العدل الذى لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح (ألا له الحكم) يومئذ لا حكم لغيره فيه (وهو أسرع الحاسبين) يحاسب الخلائق فى مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما فى الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب أو من الخسف فى البر والغرق فى البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد (تدعونه تضرعا وخفية) معلنين ومسرين أو اعلانا واسرارا وقرأ أبو بكر هنا وفى الاعراف وخفية بالكسر وقرئ خيفة (لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) على ارادة القول أى تقولون لئن أنجيتنا وقرأ الكوفيون لئن أنجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة (قل الله ينجيكم منها) شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون (ومن كل كرب) غم سواها (ثم أنتم تشركون) تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على أن من أشرك فى عبادة الله سبحانه وتعالى فكأنه لم يعبده رأسا (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) كما فعل بقوم نوح ولوط وأصحاب الفيل (أو من تحت أرجلكم) كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم أكابركم وحكامكم ومن تحت أرجلكم سفلتكم وعبيدكم (أو يلبسكم) يخلطكم (شيعا) فرقا متحزبين على أهواء شتى فينشب القتال بينكم قال

وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدى

(ويذيق بعضكم بأس بعض) يقاتل بعضكم بعضا (انظر كيف نصرف الآيات) بالوعد والوعيد (لعلهم يفقهون وكذب به قومك) أى بالعذاب أو بالقرآن (وهو الحق) الواقع لا محالة أو الصدق (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل الىّ أمركم فأمنعكم من التكذيب أو أجازيكم انما أنا منذر والله الحفيظ (لكل نبأ) خبر يريد به اما بالعذاب أو الايعاد به (مستقر) وقت استقرار ووقوع (وسوف تعلمون) عند وقوعه فى الدنيا والآخرة (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها (فأعرض عنهم) فلا تجالسهم وقم عنهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره) أعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن (واما ينسينك الشيطان) بان يشغلك

مرجع الضمير فى فيه ومعنى فى شأن ذلك الخ لاجل تعاطى الذى قطعتم به أعماركم حتى تكون فى بمعنى اللام ومعنى ثم يبعثكم على ماذكره المصنف انه يعلم ما جرحتم بالنهار المتقدم ثم يبعثكم فى النهار المتأخر ليقضى (قوله والحكمة فيه الخ) أى الحكمة فى كتب الحفظة الاعمال ان المكلف الخ وفيه اشارة الى انه لما علم الله تعالى أعمالهم لا يفوت شئ منها عن علمه ففائدة الكتب ان يطلع غيره على الاعمال حتى يشهد عليهم يوم العرض الاكبر (قوله لا حكم لغيره فيه) لا بحسب الظاهر ولا بحسب الحقيقة بخلاف الدنيا فانه وان لم يكن حاكم فى الحقيقة غيره فيها لكن بحسب الظاهر حكام متعددة (قوله وانما وضع تشركون الخ) أى المناسب بحسب الظاهر فى هذا المقام ان يقال انتم لا تشكرون بناء على انه هو الموعود فوضع الشرك موضع عدم الشكر دلالة على ماذكر وفى عدم شكره دلالة على عدم عبادته لان العبادة شكر لله تعالى (قوله قل هو القادر) لم يتعرض الى اثبات حصر القادر عليه كما هو الحق عند أهل السنة لان مجرد قدرته تعالى على ما ذكر كاف فى التخويف ولا حاجة الى ماذكر ثم ان العلامة التفتازانى صرح بان القدرة على الامور المذكورة ليست لغير الله على مذهبى أهل السنة والمعتزلة أقول فيه خفاء اذ لعل المعتزلة يقولون بان اذاقة بعض بأس بعض هو القتل بما فى قدرة البشر (قوله من فوقكم أى أكابركم) أى عذابا مبتدأ من أكابركم أو بسببهم (قوله وهو الحق الواقع لا محالة أو الصدق) فالاول بالنظر الى التفسير الاول وهو العذاب والثانى بالنظر الى الثانى وهو القرآن (قوله وقت استقرار) يحتمل أن يكون المستقر بمعنى اسم الزمان ويحتمل أن يكون مصدرا ويقدر الوقت عليه

بوسوسته

(قوله لان من حسابهم يأباه) قال العلامة التفتازانى لانه اذا عطف مفرد على مفرد بحرف الاستدراك فالقيود المعتبرة فى المعطوف عليه السابق فى الذكر عليه تعتبر فى المعطوف البتة بحكم الاستعمال تقول ماجاءنى يوم الجمعة أوفى الدار راكبا أومن هذا القوم رجل ولكن امرأة فيلزم ان يكون مجىء المرأة فى يوم الجمعة فى الدار بصفة الركوب وتكون هى من ذلك القوم البتة لا يجوز الاستعمال بخلافه ويفهم من الكلام سواه بخلاف ماجاءنى رجل من العرب ولكن امرأة فانه لا يبعد (١٩٣) ان تكون من غير العرب أقول السبب انه يفهم مما ذكر ان ما تقدم على المعطوف عليه فى مثل ماجاءنى من العرب رجل وهو كون المجانى من العرب أمر مقرر لكن لا رجل بل امرأة بخلاف ما اذا أخر (قوله ولا على شئ لذلك) أى لا يصح ان يكون معطوفا على لفظ شئ لمثل المحذور الذى ذكر (قوله ولان من لا تزاد فى الاثبات) يعنى ان لكن ذكرى مثبت فلو كان ذكرى معطوفا على لفظ شئ لكان من واردا عليه أيضا فكان التقدير ولكن من ذكرى فيلزم ما ذكر (قوله وههنا الفداء) دل على مغايرة الفدية والفداء بان تكون الفدية ما يجعل عوضا عن شئ كفدية الصوم فانه جعل عوضا عنه وأما الفداء فهو مصدر لكن قال صاحب الصحاح الفدية والفداء واحد (قوله لا الى ضميره) أى لا الى ضمير العدل لان العدل ههنا بمعنى المصدر فلا يناسب اسناد يؤخذ اليه بخلاف قوله لا يؤخذ منها عدل

بوسوسته حتى تنسى النهى وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد (ولا تقعد بعد الذكرى) بعد أن تذكره (مع القوم الظالمين) أى معهم فوضع الظاهر موضع المضمر دلالة على أنهم ظالموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام (وما على الذين يتقون) وما يلزم المتقين من قبائح أعمالهم وأقوالهم الذين يجالسونهم (من حسابهم من شئ) شئ مما يحاسبون عليه (ولكن ذكرى) ولكن عليهم أن يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتهم أو هو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شئ لان من حسابهم يأباه ولا على شئ لذلك ولان من لا تزاد فى الاثبات (لعلهم يتقون) يجتنبون ذلك حياء أو كراهة لسماعتهم ويحتمل أن يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تشلم عجالستهم روى أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع أن نجلس فى المسجد الحرام ونطوف فنزلت (وذروا الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) أى بنوا أمر دينهم على التشهى وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب أو تخذوا دينهم الذى كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به أو جعلوا عيدهم الذى جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى أعرض عنهم ولا تبال بافعالهم وأقوالهم ويجوز أن يكون تهديدا لهم كقوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر بالكف عنهم. وترك التعرض لهم (وغرتهم الحياة الدنيا) حتى أنكروا البعث (وذكر به) أى بالقرآن (أن تبسل نفس بما كسبت) مخافة أن تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها وأصل الابسال والبسل المنع ومنه أسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك أى حرام (ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع) يدفع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل) وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدرية (لا يؤخذ منها) الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به (أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا) أى سلموا الى العذاب بسبب أعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة (لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم ين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم (قل أندعو) أنعبد (من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا) مالا يقدر على نفعنا وضرنا (ونرد على أعقابنا) ونرجع الى الشرك (بعد اذ هدانا الله) فالقذ نامنه ورزقنا الاسلام (كالذى استهوته الشياطين) كالذى ذهبت به مردة الجن فى المهامه استفعال من هوى يهوى هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف مالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد أى مشبهين الذى استهوته أو على المصدر أى رداما مثل رد الذى استهوته (فى الارض) حيران) متحيرا ضالا عن الطريق (له أصحاب) لهذا المستهوى رفقة (يدعونه الى الهدى) الى

(٢٥ - (بيضاوى) - ثانى)

لان العدل الماخوذ المفدى به (قوله أو على المصدر أى رداما مثل رد الذى الخ) هذا رد على الكشاف وفيه ان الرد ههنا بمعنى الرجوع الى الحالة الاولى والذى فسره بقوله ورجع الى الشرك ولك أن تقول ما معنى رجوع الذى استهوته الشياطين ويمكن أن يقال معناه رجوع الذى استهوته الشياطين من عندهم فان الراجع من عندهم تغلب عليه الحيرة واختلال العقل والاولى أن يقال الرد ههنا بمعنى الدفع والمعنى كدفع الذى استهوته الشياطين فى الارض حيران

(قوله تسمية للمفعول بالمصدر) أي تسمية للمفعول الذي هو الطريق الهدى اليه بالمصدر (قوله أمرنا بذلك) أي بالاسلام كما صرح به صاحب الكشاف يعني ان المقصود من الامر بالاسلام نفسه لا شئ آخر حتى يكون الامر به لغرض آخر بل هو المقصود بالذات فتكون اللام لام كي (قوله أو على موقعه) قال العلامة التفتازاني قيل المراد كثيرا ما يقع في مثل هذا الموقع ان نسلم فعطف وان أقيموا بهذا الاعتبار على طريقة فاصطاد ثم كن وبهذا يشعر قوله كانه قيل أمرنا ان نسلم وان أقيموا لكن لا يخفى أن أن في ان نسلم مصدرية وناصبة للمضارع وفي ان أقيموا مفسرة انتهى كلامه وفيه انه لم يجوز ان تكون ان في أن أقيموا مصدرية ونقل العلامة النيسابوري عن الزجاج أنه لابد بهذا من تأويل ايصح

العطف والتقدير أمرنا ان نسلم ولان نقيم أو امرنا أن نسلموا وان أقيموا

أن يهدوه لطريق المستقيم أو الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر (اثنتا) يقولون له اثنتا (قال ان هدى الله) الذي هو الاسلام (هو الهدى) وحده وما عداه ضلال (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر أي أمرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة (وأن أقيموا الصلاة واتقوه) عطف على لنسلم أي للاسلام ولاقامة الصلاة أو على موقعه كأنه قيل وأمرنا ان نسلم وأن أقيموا الصلاة روى أن عبد الرحمن بن أبي بكر دعا أباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا لقول اجابة عن الصديق رضي الله تعالى عنه تعظيما لشأنه واظهارا للاتحاد الذي كان بينهما (وهو الذي اليه تحشرون) يوم القيامة (وهو الذي خلق السموات و لارض بالحق) قائما بالحق والحكمة (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) جملة اسمية قسم فيها الخبر أي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى أنه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق ما فذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات أو الهاء في واتقوه أو بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر أو فاعل يكون على معنى وحين يقول لغوله الحق أي تقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها أو حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها (وله الملك يوم ينفخ في الصور) كقوله سبحانه وتعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (عالم الغيب والشهادة) أي هو عالم الغيب (وهو الحكيم الخبير) كالمتدلكة للآية (واذ قال ابراهيم لأبيه آزر) هو عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل و يعقوب وقيل العلم تارخ وآزر وصف معناه الشيخ أو المعوج ولعل منع صرفه لانه أعجمي حمل على موازنه أو نعت مشتق من الازر أو الوزر والاقرب انه علم أعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته أو أطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده أي أتعبد آزر ثم قال (أتتخذ أصناما آلهة) تفسير وانكار تقريرا و بدل عليه انه قرئ أ ازرا تتخذ أصناما بفتح همزة آزر وكسر هاو هو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم (اني أراك وقومك في ضلال) عن الحق (مبين) ظاهر الضلالة (وكذلك نري ابراهيم) ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ نرى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره

قيل والصرف للعدول عن الظاهر ان المكلف كالغائب مالم يسلم فاذا أسلم صار كالحاضر (قوله وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات والهاء في فاتقوه على التقدير بن بقدر شئ فعلى الاول خلق ما في اليوم المذكور وعلى الثاني انقوا أهواله والتعليق مجازي كالاسناد المجازي (قوله أو بمحذوف دل عليه بالحق) والمعنى وقوله بالحق متحقق يوم يقول كن فيكون أو فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق الخ هذا التفسير لا يناسب أن يكون قوله فاعلا ليكون بل الناسب له أن يقال وحين يقول كن فيكون قوله الحق أي أثر قوله الحق و يراد بالتوسل ما تعلق بالقول أي يكون ما تعلق به قوله وارادته بالتكوين (قوله

دلائل

لانه أعجمي حمل على موازنه) أي اذا كان صفة فمنع صرفه لانه أعجمي حمل على موازنه أي على ما هو على وزنه كشالح الذي هو غير منصرف للعجمة والعلمية لان عدم صرفه بالاستقلال لفقد شرطه الذي هو العلمية (قوله أو نعت الخ) أي ليس بأعجمي بل عربي مشتق فيكون عدم صرفه للوصف والوزن لانه على وزن افعل (قوله ولا قرب انه علم أعجمي) لوجود نظائره في الاعجمي وعدم التكلف فيه اذا كان علما بخلاف ما اذا كان أعجميا حمل على موازنه ومشتقا مما ذكر (قوله اذ أطلق عليه بحذف المضاف والاصل عابد آزر) (قوله وهو يدل على انه علم) هذا مما زاد على الكشاف وفيه انه يحتمل أن يكون وصفا في الاصل على ما ذكر ثم ينادى به كما يقال يا عالم فان النداء لا يختص بالعلم غالبا لامر أن نداء العلم يكون أكثر فلعله نظر الى كونه راجحا لا الكثرة (قوله ومثل هذا التبصير نبصره) اشارة الى الهداية الى التوحيد وابطال الشرك (قوله وقرئ نرى بالتاء ورفع الملكوت) أي بالتاء الذي هو الحرف

الثالث ويكون فاعله ملكوت السموات أي تبصره أحوال المخلوقات كما بصرناه أحوالهم (قوله للمبالغة) أي في الملك لعظم الملكوت وكثرته (قوله أو على وجه النذار والاستدلال) هذا لا يناسب منصب مقام الخليل صلوات الله وسلامه عليه فالاولى الاقتصار على الوجه الاول ولذا اقتصر عليه الزمخشري (قوله فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار ينافي الالوهية) لان الاحتجاب والانتقال تغير والتغير حادث والحادث لا يصلح للالوهية لان الاله يجب قدمه (قوله تعالى فلما رأى بزيغا مما تشركون) فان قيل لا يلزم من بطلان كون النجوم شركاء في الالوهية بطلان الشرك مطلقا فلما لزوم (١٩٥) بطلانه اما لانهم كانوا عابدين للكواكب والاصنام لا غير واذا بطل كونهما شركاء بطل الشرك لاتفاق مطلقا لان هذه الاجرام الشريفة النيرة العالية لما لم تصلح للالوهية لم يصلح غيرها لها (قوله استدلال لا واظهار الشهة الخصم) يعني استدل بكونه أكبر الاجرام النيرة على انه الرب اذ الظاهر ان الخصم وهو المشرك ادعى ربوبية الشمس بواسطة ما ذكر (قوله لتعدد دلالته) أي لدلالة الافول على الحدوث من وجهين أحدهما الاستتار والخفاء والثاني ان حدوث أفوله يدل على حدوث بزوغه فظهوره لانه اذا زال الظهور والبزوغ دل زواله على حدوثه اذ لو كان قديما لما زال وحدوث البزوغ دال على حدوث البازغ لما ذكر ان كل متغير حادث (قوله لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع) بل لا تضر ولا تنفع مطلقا فان لنافع والضار هو الله تعالى وحده وعلى هذا فقوله تعالى الا أن يشاء ربي شيأ مستثنى منقطع والمعنى لكن أخاف أن يشاء ربي شيأ مكروها لي أما اذا جعل متصلا كما هو مفهوم كلام المصنف فهو بناء على ما قاله من ان ما تشركون ضار ونافع لكن لا بنفسه بل بارادة الله ومعنى الاستثناء على الاتصال لا أخاف ما تشركون في شئ من الاوقات الا وقت مشيئة ربي مكروها من جنسها (قوله مالم ينزل به عليكم سلطانا) لا يقال ما يصلح للشرك لا حاجة الى نصب الله دليلا عليه لانا نقول من المعلوم ان الاشياء التي كانوا يعبدونها ليست آلهة مستقلة كما واجب فاثبات كونهم شركاء له يحتاج الى دليل من الله تعالى

دلائل الربوبية (ملكوت السموات والارض) ربوبيتها وملكه لها قيل عجائبهما وبدائعها والملكوت أعظم الملك والتاء فيه للمبالغة (وليكون من الموقنين) أي ليستدل وليكون أو وفعلنا ذلك ليكون (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي) تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نري اعتراض فان أباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فأراد أن ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان لزهرة أو المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالفساد أو على وجه النظر والاستدلال وانما قاله لزمان مراهقته أو أول أوان بلوغه (فلما أفل) أي غاب (قال لا أحب الآفلين) فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستار يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية (فلما رأى القمر بازغا) مبتدئا في الطلوع (قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لا كونن من القوم الضالين) استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على أن القمر أيضا لتغيره حاله لا يصلح للالوهية وأن من اتخذه الها فهو ضال (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي) ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث (هذا أكبر) كبره استدلالا واظهارا لشبهة الخصم (فلما أفلت قال يا قوم اني بري مما تشركون) من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يخصها بما تختص به ثم لما تبين أنها توجه الى موجد هو مبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) وانما احتج بالافول دون البزوغ مع أنه أيضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال (وحاجه قومه) وخاصموه في التوحيد (قال أتحاجوني في الله) في وحدانيته سبحانه وتعالى وقرأ نافع وابن عامر بخلاف عن هشام بتخفيف النون (وقد هدان) الى توحيده (ولا أخاف ما تشركون به) أي لا أخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع (الا أن يشاء ربي شيأ) أن يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديدهم بعذاب الله (وسع ربي كل شئ علما) كأنه علة الاستثناء أي أحاط به علما فلا يبعد أن يكون في علمه أن يحدث بي مكروها من جهتها (أفلا تتذكرون) فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز (وكيف أخاف ما أشركتم) ولا يتعلق به ضر (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله) وهو حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع (ما لم ينزل به عليكم سلطانا) ما لم ينزل باشراكه كتابا

(قوله أولم ينصب عليه دليلا) هذا محصل معنى مالم ينزل به عليكم سلطانا والمقصود تعميم الدليل بحيث يشمل الدليل العقلي والنقلي (قوله لما روى الخ) ولان هذا هو المناسب للمقام لانه جواب الاستفهام المذكور وهو عن أحقية المشرك بالامن أو الموحد وههنا سؤال وهو ان المفهوم من الاحقية ان المشرك حقيق بالامن البتة لكن التردد في انه أحق به أم الموحد لكن الواقع ان ليس للمشرك أمن أصلا والجواب أن المراد من الاحق الحقيق وانما عبر عنه بالاحق للمبالغة بمعنى انه الحقيق بالامن أي كامل الاستحقاق به (قوله عليه السلام ليس ما تظنون الخ) فان قيل المؤمن الفاسق الذي مات به من الفسق ليس له الامن فما وجه حمل الظلم على الشرك مع انه يقتضي ان من لم يشرك آمن وان كان فاسقا قلنا على التقدير المذكور يكون المراد من الامن الامن من خلود العذاب ومن الاهتداء الى طريق يوجب الامن من الخلود فاذا كان المراد من الظلم المعصية كان الأمن الامن من العذاب مطلقا ولا ينافي ان الحديث المذكور انما يناسب المقام اذا كان الصحابة فهموا من الظلم المعصية مطلقا والامن الامن من خلود العذاب لا يحصل من عدم الشرك أما اذا كان الصحابة فهموا من الامن الامن من العذاب مطلقا فالحديث لا يناسب المقام لان الامن من العذاب لا يحصل من عدم الشرك (قوله وليس الايمان به الخ) رد لما يقال ليس الايمان بالكفر أي خلطه به بغير متصور فاجاب المصنف بان المراد من الايمان ههنا ليس الايمان التام بل المراد منه التصديق بوجود الصانع وهذا يتصور خلطه بالكفر كما قال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون (قوله متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك الخ) فيكون تلك مبتدأ وحجتنا خبرا وآتيناها ابراهيم خبر بعد خبر أو حال بتأويل أشير المستفاد من تلك وان جعل حجتنا بدلا كان آتيناها ابراهيم خبر تلك واعلم أن صاحب الكشاف لم يتعرض لما ذكره المصنف ولعل السبب فيه انه اذا كان حجتنا بدلا من تلك وكان على قومه متعلقا بحجتنا لزم ذكر الخبر قبل تمام المبتدأ لان البدل عن المبتدأ في حكمه (قوله ولان يونس ولوطا الخ) نقل العلامة الطيبي عن جامع الاصول أن يونس بن متى كان من الاسباط فبقي لوط خارجا من الذرية ولما كان ابن أخيه وآمن به وهاجر معه أمكن أن يجعل من الذرية على سبيل التغليب (قوله فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى ان المراد من البيان بيان الذرية وهو من قوله داود وسليمان الخ لانه على هذا التقدير لا يمكن أن يكون ما في الآية الثانية بيانا للذرية ابراهيم أو نوح كما لا يخفى

رأيت

(قوله دليل على انه متفضل بالهداية) لانه علقها على مشيئته لا أنه أمر واجب عليه (قوله ليسوا بها بكافرين) لم يقل فقد وكلنا بها قوما مؤمنين ليكون نقيضا صريحا لما قبل لان عدم الكفر الايمان فيبطل مذهب المعتزلة من اثبات الواسطة (قوله فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله) لك ان تقول ظاهر الآية يدل على عموم الاقتداء فى الأصول والفروع

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا * شديدا بأعباء الخلافة كاهله

(ويونس) هو يونس بن متى (ولوطا) هو ابن هاران أخى ابراهيم (وكلا فضلنا على العالمين) بالنبوّة وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من الخلق (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم) عطف على كلا أو نوحا أى فضلنا كلا منهم أو هدينا هؤلاء و بعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا (واجتبيناهم) عطف على فضلنا أو هدينا (وهديناهم الى صراط مستقيم) تكرير لبيان ما هدوا اليه (ذلك هدى الله) اشارة الى ما دانوا به (يهدى به من يشاء من عباده) دليل على أنه متفضل عليهم بالهداية (ولو أشركوا) أى ولو أشرك هؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع فضلهم وعلو شأنهم (لحبط عنهم ما كانوا يعملون) لكانوا كغيرهم فى حبوط أعمالهم بسقوط ثوابها (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) يريد به الجنس (والحكم) الحكمة أو فصل الامر على ما يقتضيه الحق (والنبوّة) والرسالة (فان يكفر بها) أى بهذه الثلاثة (هؤلاء) يعنى قريشا (فقد وكلنا بها) أى بمراعاتها (قوما ليسوا بها بكافرين) وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار أو أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أو كل من آمن به أو الفرس وقيل الملائكة (أولئك الذين هدى الله) يريد الانبياء عليهم الصلاة والسلام المتقدم ذكرهم (فبهداهم اقتده) فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد وأصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسى بهم جميعا فليس فيه دليل على أنه عليه الصلاة والسلام متعبد بشرع من قبله والهاء فى اقتده للوقف ومن أثبتها فى الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وأبى عمرو وعاصم أجرى الوصل مجرى الوقف و يحذف الهاء فى الوصل خاصة حمزة والكسائى وأشبعها بالكسر ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر وكسرها بغير اشباع برواية هشام (قل لا أسألكم عليه) أى على التبليغ أو القرآن (أجرا) جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلى من النبيين وهذا من جملة ما أمر بالاقتداء بهم فيه (ان هو) أى التبليغ أو القرآن أو الغرض (الا ذكرى للعالمين) الا تذكيرا وموعظة لهم (وما قدروا الله حق قدره) وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة والانعام على العباد (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ) حين أنكروا الوحى و بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته أو فى السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس) وقراءة الجمهور (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وأبو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتوراة وذمهم على تجزئتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه فى ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه وروى أن مالك بن الصيف قاله لما أغضبه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم ان الله يبغض الحبر السمين قال عليه الصلاة والسلام فأنت الحبر السمين

خص ما اختلفوا فيه اذ لا يمكن الاقتداء بهم فيها فبقى المتفق عليه فيثبت انه صلى الله عليه وسلم متعبد بشرع من قبله فيما اتفقوا عليه من الاصول والفروع (قوله على انها كناية المصدر) أى الهاء ضمير راجع الى الاقتداء الذى هو مصدر اقتده (قوله وفى السخط على الكفار) عطف على قوله فى الرحمة والانعام على العباد (قوله وتضمين ذلك توبيخهم) هذا مبتدأ خبره قوله بابداء بعض الخ أى التوبيخ والذم لا بمجرد تجزئتها بل لسبب ابداء بعض أجزائها واخفاء بعضها (قوله روى ان مالك بن الصيف الخ) هذا جواب عما طعن به بعض الملاحدة فى هذه الآية وهو انه اما ان يكون المراد من قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ ان أهل الكتاب قالوا ذلك وهو باطل لانهم لم يقولوا ذلك وكيف يقولون وهم أهل التوراة والانجيل أو المراد ان المشركين قالوا ذلك فلا فائدة لقوله تعالى قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى لانهم غير معترفين بنزول التوراة وحينئذ نقول الجواب الذى ذكره المصنف بقوله روى الخ اختيار للشق الاول من الترديد وقوله وقيل هم المشركون اختيار للشق الثانى منه وقوله فلا عليك بعد التبليغ أى لا بأس عليك

وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو أنا انزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم (وعلمتم) على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) زيادة على ما فى التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا أعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش (قل الله) أى أنزله الله أو الله أنزله أمره بأن يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على أنهم بهتوا بحيث انهم لا يقدرون على الجواب (ثم ذرهم فى خوضهم) فى أباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة (يلعبون) حال من هم الاوّل والظرف صلة ذرهم أو يلعبون أو حال من مفعوله أو فاعل يلعبون أو من هم الثانى والظرف متصل بالاوّل (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) كثير الفائدة والنفع (مصدق الذى بين يديه) يعنى التوراة أو الكتب التى قبله (ولتنذر أم القرى) عطف على مادل عليه مبارك أى للبركات ولتنذر أو علة لمحذوف أى ولتنذر أهل أم القرى أنزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة أهل القرى ومحجهم ومجتمعهم وأعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها أو لانها مكان أول بيت وضع للناس وقرأ أبو بكر عن عاصم بالياء أى ولينذر الكتاب (ومن حولها) أهل الشرق والغرب (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبى والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين وعلم الايمان (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فزعم أنه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسى أو اختلق عليه أحكاما كعمرو بن لحى ومتابعيه (أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ) كعبد الله بن سعد بن أبى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله أحسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحى الى كما أوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا (ولو ترى اذ الظالمون) حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه أى ولو ترى الظالمين (فى غمرات الموت) شدائده من غمره الماء اذا غشيه (والملائكة باسطوا أيديهم) بقبض أرواحهم كالمتقاضى الملظ أو بالعذاب (أخرجوا أنفسكم) أى يقولون لهم أخرجوها الينا من أجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم أو أخرجوها من العذاب وخلصوها من أيدينا (اليوم) يريدون وقت الاماتة أو الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له (تجزون عذاب الهون) أى الهوان يريدون العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوّة والوحى كاذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون (ولقد جئتمونا) للحساب والجزاء (فرادى) منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا أو عن الاعوان والاوثان التى زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفرادى كثلاث وفردى ككرى (كما خلقناكم

(قوله أو حال من المفعول أو فاعل يلعبون) عطف على قوله صلة أى الظرف صلة ما ذكر أو حال من مفعول ذرهم والمعنى ذرهم كائنين فى خوضهم أو من فاعل يلعبون أى يلعبون كائنين فى خوضهم (قوله أو من هم الثانى) عطف على قوله من هم الاوّل أى ويكون يلعبون حالا من هم الثانى وهو هم فى خوضهم وعلى هذا فالظرف وهو فى خوضهم متصل بالاول أى يذرهم لا يلعبون لانه لما كان يلعبون حالا من هم فى خوضهم يكون متأخرا بحسب الرتبة عنده لان مرتبة المعمول التأخر عن العامل فلو كان الظرف المذكور متعلقا متقدما بحسب الرتبة للزم التناقض (قوله لانها قبلة أهل القرى ومحجهم ومجتمعهم) فيتوجه أهل القرى اليها كما يتوجه الاولاد الى أمهم ويجتمعون عندها كما يجتمعون عندها وأعظم القرى شانا فهى أصل والباقية تبع (قوله لان الارض الخ) فكأن القرى أخرجت منها كما أخرج الولد من الام ولانها مكان أول بيت فكانت أصلا واذا كانت كذلك كانت أصلا لجميع الارض (قوله حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه) فان مفعوله هو الظالمين فكانه قيل ولو ترى الظالمين اذ هم فى غمرات الموت الخ فلما حذف الظالمين قام الظرف مقام الضمير والمعنى لو رأيت الظالمين فى الوقت المذكور لرأيت أمرا عجيبا ولا يخفى ان قوله اذ الظالمون فى غمرات الموت الاية دال عليه (قوله تغليظا الخ) اى ليس المراد من اخرجوا طلب اخراج الانفس والارواح منهم لانهم غير قادرين عليه بل ايذاؤهم وتغليظ الامر عليهم (قوله لعراقته وتمكنه فيه) أى لاصالة الهون وتمكنه من العذاب

أول

أول مرة) بدل منه أي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد أو حال ثانية ان جوز التعدد فيها أو حال من الضمير في فرادى أي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما أو صفة مصدر جئتمونا أي مجيئا كما خلقناكم (وتركتم ماخولناكم) ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة (وراء ظهوركم) ما قدمتم منه شيأ ولم تحتملوا نقيرا (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) أي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم (لقد تقطع بينكم) أي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف أسند اليه الفعل اتساعا والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ماقبله عليه أو أقيم مقام موصوفه وأصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به (وضل عنكم) ضاع وبطل (ما كنتم تزعمون) أنها شفعاؤكم أو أن لا بعث ولا جزاء (ان الله فالق الحب والنوى) بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة (يخرج الحي) يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ماقبله (من الميت) مما لا ينمو كالنطف والحب (ومخرج الميت من الحي) ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له (ذلكم الله) أي ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة (فأنى تؤفكون) تصرفون عنه الى غيره (فالق الاصباح) شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل أو عن بياض النهار أو شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر أصبح اذا دخل في الصباح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق الاصباح بالنصب على المدح (وجاعل الليل سكنا) يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به أو يسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به أو به على أن المراد منه جعل مستمر في الأزمنة المختلفة وعلى هذا يجوز أن يكون (والشمس والقمر) عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي مجعولان (حسبانا) أي على ادوار مختلفة يحسب بهما الاوقات ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان (ذلك) اشارة الى جعلهما حسبانا أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص (العليم) بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما (وهو الذي جعل لكم النجوم) خلقها لكم (لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة أو في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما أجملها بقوله لكم (قد فصلنا الآيات) بيناها فصلا فصلا (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون به (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) هو آدم عليه الصلاة والسلام (فمستقر ومستودع) أي فلكم استقرار في

(قوله غرلا) الاغرل بالغين المعجمة والراء المهملة الاقلف (قوله بهما) أي لا يقدرون على الكلام (قوله أي وقع التقطع) لان الفعل المبني للفاعل اللازم أسند الى ضمير مصدره (قوله أو أقيم مقام موصوفه) أي أقيم مقام ما فان المعنى تقطع شئ حصل بينكم بان يكون ما بمعنى شئ ويكون موصوفا بالظرف أي شئ حصل بينكم وهو معطوف على قوله أسند اليه الفعل أي أسند اليه الفعل بلا ملاحظة موصوف أو يقدر موصوف ويقام الظرف الذي هو صفته مقامه (قوله ليتطابق ماقبله) لا يخفى ان المناسب التام لما قبله هو النبات لا الحيوان (قوله فان قوله يخرج الحي الخ) ولذا لم يعطف عليه فكانه قيل ان الله فالق الحب والنوى ويخرج الحي من الميت (قوله أو عن بياض النهار) أي يشق الصبح ويخرج منه بياض النهار فكانه قيل فالق الاصباح كاشفا عن بياض النهار بفلقه وكان بياض النهار أدخل في الصبح وانشق الصبح منه ثم انتشر في السماء فيكون المراد فالق الاصباح كاشف الاصباح (قوله فانه بمعنى الماضي) دليل تقدير العامل لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل في المفعول ويكون التقدير جاعل الليل جعله سكنا (قوله أو به الخ) أي أو نصبه بجاعل لانه بمعنى الاستمرار وهو عامل اذا كان كذلك هذا هو الاولى لئلا يحتاج الى تقدير (قوله وعلى هذا الخ) أي على تقدير اعمال جاعل يكون الليل منصوبا محلا بانه مفعوله (قوله فاضافتها اليهما للملابسة) أي لا لقيامها بهما فان الظلمة عبارة عن أمر عدمي ليست بعرض قائم بشئ (قوله وسماها ظلمات الخ) أي سمى الطرق المذكورة ظلمات لاشتراكها في سببية الضلال (قوله بيناها فصلا فصلا) أراد ان المراد من التفصيل الذي هو المصدر من باب التفعيل التكثير

(قوله لان الاستقرار منادون الاستيداع) هذا دليل لما قرئ المستقر بلفظ اسم الفاعل ولم يقرأ المستودع كذلك (قوله لان انشاءهم من نفس واحدة الخ) أى الفقه الفطنة وتدقيق النظر فان انشاء خلق بنى آدم من آدم والاستيداع فى أصلاب الآباء يحتاج الى نظر ولما كان المذكور محتاجا لهما (٢٠٠) فصل لآية يفقهون (قوله على تلوين الخطاب) أى على تغيير الكلام من الغيبة الى التكلم بطريق الالتفات (قوله نبت كل صنف من النبات) الظاهر المراد هو شئ يخرج من الحب أول الامر بقرينة قوله تعالى فأخرجنا منه خضرا (قوله فأخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان) اعلم قد رنخلا المنكر لا يكون صالحا لكونه موصوفا بجملة قوله ومن النخل الخ فيكون هذا الاحتمال والذى يليه جملة معترضة بين المعطوف عليه الذى هو نبات كل شئ والمعطوف الذى هو جنات (قوله وانما اقتصر هنا على ذكرها من مقابلها) أى اقتصر على دانية وقوله يذكر غير دانية أيضا لما ذكر (قوله اذ العنب لا يخرج من النخل) يعنى لو عطف جنات على قنوان لزم اخراج العنب من النخل ولك ان تقول اذ كان قنوان مبتدأ ومن النخل خبره كان جنات عطفا على قنوان ومن اعناب عطفا على النخل ولا يلزم ما ذكر من اخراج العنب من النخل غاية ما فى الباب ان يكون المعطوف على المبتدأ وهو جنات نكرة محضة ولم يعرف امتناعه كما صرح به العلامة التفتازانى (قوله ولا يعوقه ندعن فعله الخ) لا يقال يمكن ان يكون له ند لا يعارضه أو ضد ولكن لا يعارضه وعلى هذا لا يلزم اختلال النظم فى فعله تعالى لانا نقول هذا بناء على ان الفطرة السليمة تحكم بانه لو كان له تعالى ند أو ضد لابد ان يقع التنازع والاختلال فى نظام العالم كما قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فتأمل

الاصلاب أو فوق الارض واستيداع فى الارحام أو تحت الارض أو موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول أى فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار مند دون الاستيداع (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان أمر هاظاهر ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ودقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر (وهو الذى أنزل من السماء ماء) من السحاب أو من جانب السماء (فأخرجنا) على تلوين الخطاب (به) بالماء (نبات كل شئ) نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة فى انبات الانواع المختلفة المفتنة المسقية بماء واحد كما فى قوله سبحانه وتعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل (فأخرجنا منه) من النبات أو الماء (خضرا) شيأ أخضر يقال أخضر وخضر كأعور وعور وهو الخارج من الحبة المنشعب (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل (ومن النخل من طلعها قنوان) أى وأخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان أو من النخل شئ من طلعها قنوان ويجوز أن يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على أنه اسم جمع اذ ليس فعلان من أبنية الجمع (دانية) قريبة من المتناول أو ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها (وجنات من أعناب) عطف على نبات كل شئ وقرأ نافع بالرفع على الابتداء أى ولكم أو ثم جنات أو من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل (والزيتون والرمان) أيضا عطف على نبات أو نصب على الاختصاص لغزارة هذين الصنفين عندهم (مشتبها وغير متشابه) حال من الرمان أو من الجميع أى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه فى الهيئة والقدر واللون والطعم (انظروا الى ثمره) أى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائى بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب أو ثمار ككتاب وكتب (اذا أثمر) اذا أخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به (وينعه) والى حال نضجه أو الى نضيجه كيف يعود ضحيانا نفع ولذة وهو فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا أدركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه (ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) أى لآيات دالة على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفتنة من أصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من أحوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه أو ضد يزاحمه ولذلك عقبه بتوبيخ من أشرك به والرد عليه فقال (وجعلوا لله شركاء الجن) أى الملائكة بأن عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم أو الشياطين لانهم أطاعوهم كما يطاع الله تعالى أو عبدوا الأوثان بتسويلهم وتحريضهم أو قالوا الله خالق الخير

(قوله أي وجعلوا له اختلاقهم) يعني على تقدير العطف على الشركاء لايراد بخلقهم الاصنام والالم يحسن عطفه على شركاء لان الاصنام داخلة في الشركاء فيجب ان يكون الخلق بمعنى الكذب فتأمل (قوله ثبت الغدر) الغدر بفتح الغين المعجمة والدال المهملة ثابت في كلام وقتال (قوله وقرئ بالياء للفصل) لان القاعدة ان الفعل المضارع اذا نسب الى المؤنث الحقيقي يجب ان يكون بالتاء الا اذا كان بينهما فصل نحو يجيء القاضي امرأة فانه يجوز الامران (قوله لتطرق التخصيص الى الاول) أي الى شيء الاول لان بعض الاشياء غير مخلوق له تعالى فان ذاته وصفاته معلومان له تعالى وليسا بمخلوقين له فلو قيل وهو به عليم لتوهم ان بعض الاشياء غير معلوم له تعالى كما انه غير مخلوق له (قوله الاول أن مبدعاته الخ) هذا الوجه من الاستدلال يفهم من قوله تعالى بديع السموات والارض (قوله لاستمرارها وطول مدتها) يعني ان فائدة الولد أن يكون خليفة للوالد وقائما مقامه بعده ولما كانت السموات والارض مستمرين على حالهما مع طول مدة بقائهما لا حاجة لهما الى ولد يخلفهما مع انهما من جنس ما يصلح للولادة أي داخلة في الممكن الذي يصلح لذلك وان

وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء أو شركاء الجن ولله متعلق بشركاء أو حال منه وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن والجن بالجر على الاضافة للتبيين (وخلقهم) حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا أن الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن أي وما يخلقونه من الاصنام أو على شركاء أي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه (وخرقوا له) افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وخرقوا أي وزوّروا (بنين وبنات) فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله (بغير علم) من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو أو المصدر أي خرقا بغير علم (سبحانه وتعالى عما يصفون) وهو أن له شريكا أو ولدا (بديع السموات والارض) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها أو الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى أنه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف أو على الابتداء وخبره (أنى يكون له ولد) أي من أين أو كيف يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل أو لان الاسم ضمير الله أو ضمير الشأن (وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) لا تخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه من مبدعاته السموات والارض وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو أولى بأن يتعالى عنها أو أن ولد الشيء نظيره ولا نظير له فلا ولد والثاني أن المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وأنثى متجانسين والله سبحانه وتعالى منزه عن المجانسة والثالث أن الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له لوجهين الاول أن كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه والثاني أنه سبحانه وتعالى لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء) اخبار مترادفة ويجوز أن يكون البعض بدلا أو صفة والبعض خبر (فاعبدوه) حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة

لذلك فتأمل (قوله أخبار مترادفة) أي أخبار عن شيء واحد وهو ذلكم لان بعضها خبر عن بعض والجملة خبر عن الاول كما في زيد أبوه قائم (قوله ويجوز ان يكون البعض بدلا أو صفة والبعض خبرا) بان يكون الله بدلا و ربكم صفة والباقي خبرا (قوله فان من استجمع هذه الصفات الخ) الاولى ان يقال من وجد فيه أحد هذه الصفات فهو حقيق بالعبادة ويمكن ان يقال لما كان المراد من العبادة غاية التعظيم يلزم من عبادة الله عدم عبادة الغير لان الشرك في العبادة يقدح في غاية التعظيم لان غاية تعظيمه تقتضي عدم تعظيم غيره لان غاية التعظيم تقتضي الانفراد فيلزم ان لا تكون عبادة أحد مع عبادة غيره لانها لا تكون غاية التعظيم وهذا من سوانح الوقت وعلى هذا يقدح فيما ذكره صاحب الكشاف ومن تبعه كالمصنف من ان تقديم المفعول في قوله اياك نعبد

كان في ضمن بعض الافراد (قوله والثاني ان المعقول من الولد الخ) هذا الوجه يستفاد من قوله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (قوله والثالث ان الولد كفء الوالد) هذا يستفاد من قوله تعالى وخلق كل شيء الآية وفي الوجه الثاني من هذين الوجهين مناقشة ظاهرة وهي ان التفاوت في العلم بل في سائر الكمالات لا ينافي الكفاءة فكثيرا ما يلد العالم النحرير جاهلا في الغاية بل ولد النبي كافرا وبالعكس ويمكن ان يقال مراده ان الباري تعالى عالم بكل المعلومات فلو كان غيره كفؤا له بان يكون مماثلا في حقيقته لكان هو أيضا صالحا لذلك

لكن من المعلوم ان غيره تعالى لا يصلح

يفيد الاختصاص اذ على ماذكرنا الاختصاص يفهم من مجرد العبادة لاحاجة الى الاشعار بالتخصيص الى تقديم المفعول (قوله لانه ليس الادراك مطلق الرؤية) بل أخص منه فان الادراك على ماقسره هو الاحاطة ولايخفى ان الاحاطة به تعالى ممتنعة وهذا لاينافي مطلق الرؤية فان الاحاطة عبارة عن ادراك الله تعالى بذاته وبجميع صفاته على ماهو عليه من غير جهل بشئ من ذاته وصفاته وهذا غير لازم من رؤيته (قوله فيدرك مالاتدركه الابصار كالابصار) أى لاتدرك الابصار أنفسها وهو تعالى يدركها (قوله فيكون اللطيف مستعارا لما لايدرك بالحاسة ولاينطبع فيها) فيه انه يلزم تكرار اذ هذا بعينه هو معنى لاتدركه الابصار الا ان يقال المراد بما لايدرك بالحاسة مالا يدرك بحاسة من الحواس (قوله ولاينطبع فيها) لايخفى ان ليس محسوس من المحسوسات منطبعا فى الحاسة وانما ينطبع فيها مثاله اذ لامعنى للقول بان الجبل والسماء أنفسهما منطبعان فى الحاسة وانما انطبعت صورتهما ثم ان ينطبع فيه اشعار بترجيح مذهب القائل بان الابصار انما هو على

وجه الانطباع وقد ذكر عليه شكوك وشبه ليس ههنا موضع ذكرها

(وهو على كل شئ وكيل) أى وهو مع تلك الصفات متولى أموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى النجاح ما تحبون (رقيب على أعمالكم فيجازيكم عليها (لاتدركه) أى لاتحيط به (الابصار) جمع بصر وهى حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف اذ ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفى فى الآية عاما فى كل الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولافى الاشخاص فانه فى قوة قولنا لاكل بصر يدركه مع أن النفى لايوجب الامتناع (وهو يدرك الابصار) يحيط علمه بها (وهو اللطيف الخبير) فيدرك مالاتدركه الابصار كالابصار ويجوز أن يكون من باب اللف أى لاتدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لايدرك بالحاسة ولاينطبع فيها (قد جاءكم بصائر من ربكم) البصائر جمع بصيرة وهى للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلى لها الحق وتبصرها به (فمن أبصر) أى أبصر الحق وآمن به (فلنفسه) أبصر لان نفسه لها (ومن عمى) عن الحق وضل (فعليها) وباله (وما أنا عليكم بحفيظ) وانما أنا منذر والله سبحانه وتعالى هو الحفيظ عليكم يحفظ أعمالكم و يجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام (وكذلك نصرف الآيات) ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر فى المعانى المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشئ من حال الى حال (وليقولوا درست) أى وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وأبو عمر ودارست أى دارست أهل الكتاب يذاكرونهم وابن عامر و يعقوب درست من الدروس أى قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم أساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة فى درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت ودارست بمعنى درست أو دارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجازاضمارهم بلاذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن أى عفون ودرس أى درس محمد صلى الله عليه وسلم ودارسات أى قديمات أو ذوات درس كقوله تعالى فى عيشة راضية (ولنبينه) اللام على أصله لان التبيين مقصود

والتحقيق ان العلم بالبصرات حضورى بان يدرك نفس المبصر من غير انطباع كما هو مذهب الاشراقيين لاعلى طريق الانطباع كما هو مذهب أرسطو وشيعته ولاعلى طريق الخروج كما هو مذهب الرياضيين (قوله سميت بها الدلالة) أى سمى الدليل بالبصيرة لانه أى الدليل يجلى أى يظهر للنفس الحق أى سبب ظهوره كان البصيرة الحقيقية كذلك ويمكن ان تبقى الدلالة على معناها الحقيقى اذ بواسطة دلالة الدليل يظهر للنفس الحق (قوله وانما أنا منذر والله هو الحفيظ) التخصيص يفهم من ايلاء الضمير حرف النفى (قوله وهذا كلام

وارد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم) فكانه قيل قل قد جاءكم بصائر من ربكم الآية (قوله واللام التصريف لام العاقبة) اذ ليست على أصلها ان تدخل على ماهو المراد لكن المقصود من التصريف المذكور ليس قولهم المذكور فاللام لام العاقبة وهى اللام التى تدخل على مايترتب على شئ وليس مقصودا (قوله والدرس القراءة والتعليم) فيكون المعنى ليقولوا قرأت على الغير وتعلمت منه لان الآيات نزلت من عند الله عليك (قوله اللام على أصله) لانها دخلت على ماهو المراد توجه اليه القصد فان قلت اللام الاولى داخلة على ماهو المراد لان كل ماوقع فهو لابد ان يكون مرادا لله تعالى فقولهم بدراسته صلى الله عليه وسلم أيضا مراد لله فتكون اللام باقية على أصلها قلنا المراد من ابقاء اللام على أصلها ان تدخل على الفائدة المطلوبة من الشئ وظاهر ان القول بالدراسة ليس الفائدة المطلوبة من التصريف بخلاف التبيين هذا توضيح كلام المصنف والكشاف وقال أبو البقاء يمكن ان تكون اللام الاولى على أصلها بان المقصود هو المذكور لزيادة العقوبة عليهم

(قوله اعتراض أكد به إيجاب الاتباع) أى اعتراض بين المعطوف عليه الذى هو الاتباع والمعطوف الذى هو هذا الاعراض (قوله أو حال مؤكدة من ذلك الخ) فان انفراده بالالوهية يؤكد وجوب الاتباع المذكور (قوله فلا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم) فلا يكون الكلام منسوخا ذا هو ثابت على كل حال وأما ذا احمل الاعراض

على ما يعم ترك القتال لزم النسخ بآية السيف والقتال (قوله فانهم المتفعون به) أى تصريف الآيات وان كان بيانا لكل أحد لكن تخصيص العالمين لاجل ما ذكر (قوله وهو دليل على انه لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع) اذ يفهم من وجوب عدم الشرك بمشيئته ووجوب كل ما شاءه اذ لا فرق بين شئ وشئ فى هذا المعنى (قوله الى معصية راجحة) أى معصية غالب ضررها على نفع الطاعة والتقييد بالرجحان يدل على انه لا يجب ترك الطاعة الى المعصية اذا تساويا فقوله ما يؤدى الى الشر شر يكون معناه ما يؤدى الى الشر الراجح شر (قوله أنكر السبب مبالغة فى نفى المسبب) أى أنكر وجود السبب الذى يوجب العلم بعدم الايمان مبالغة فى نفى العلم بعدمه لان طريق الاستدلال ان نفى السبب دليل ونفى الشئ بطريق الاستدلال أبلغ من نفيه بغيره (قوله وقيل لا مزيدة) واذا كانت لا زائدة كان المعنى انكم

التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى أو للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما أو للمصدر (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون به (اتبع ما أوحى اليك من ربك) بالتدين به (لا اله الا هو) اعتراض أكد به ايجاب الاتباع أو حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا فى الالوهية (وأعرض عن المشركين) ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم (ولو شاء الله) توحيدهم وعدم اشراكهم (ما أشركوا) وهو دليل على أنه سبحانه وتعالى لا يريد ايمان الكافر وأن مراده واجب الوقوع (وما جعلناك عليهم حفيظا) رقيبا (وما أنت عليهم بوكيل) تقوم بامورهم (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) أى ولا تذكروا آلهتهم التى يعبدونها بما فيها من القبائح (فيسبوا الله عدوا) تجاوزا عن الحق الى الباطل (بغير علم) على جهالة بالله سبحانه وتعالى وبما يجب أن يذكر به وقرأ يعقوب عدوا بالقلب عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يطعن فى آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله سبحانه وتعالى وفيه دليل على أن الطاعة اذا أدت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر شر (كذلك زينا لكل أمة عملهم) من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه و بحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ولو يجوز تخصيص العمل بالشر وكل أمة بالكفر لان الكلام فيهم والمنسبه بتزيين سب الله لهم (ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون) بالمجازاة عليه (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) مصدر فى موقع الحال والداعى لهم الى هذا التقسيم والتأكيد فيه التحكم على الرسول صلى الله عليه وسلم فى طلب الآيات واستحقارا لما رأوا منها (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله) هو قادر عليها يظهرها متى شاء وليس شئ منها بقدرتى وارادتى (وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار (أنها) أى ان الآية المقترحة (اذا جاءت لا يؤمنون) أى لا تدرون أنهم لا يؤمنون أنكر السبب مبالغة فى نفى المسبب وفيه تنبيه على أنه سبحانه وتعالى انما لم ينظر لما علمه بأنها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل أن بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم و يعقوب انها بالكسر كأنه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجئ الآية طمعا فى ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم أنها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم أى وما يشعرهم أن قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) عطف على لا يؤمنون أى وما يشعركم أنا حينئذ نقلب أفئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وأبصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها (كما لم يؤمنوا به) أى بما نزل من الآيات (أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) ونعميهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ و يقلب و يذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا) كما اقترحوا فقالوا لولا أنزل علينا الملائكة

محرصون على حصول الآية التى اقترحوها حرصا على ايمانهم كأنكم تعلمون انهم يؤمنون عند وجودها مع انكم لم تعلموا انها اذا جاءت لا يؤمنون واذا كانت غير زائدة ادنى علمى انهم لا يؤمنون مع وجود الآية وأنتم لا تعلمون فلم تحرصون على الآية المقترحة (قوله فقالوا لولا أنزل علينا الملائكة) هذا ملائم لما نزلنا اليهم الملائكة وقولهم فأتوا بآبائنا مناسب لقوله وكلم الموتى وقوله أو تأتى بالله

والملائكة قبيلا ملائم وحشرنا عليهم كل شئ قبلا (قوله وانما جاز ذلك لعمومه) أى انما جاز كون كل شئ ذا حال مع كونه منكرا بكونه عاما كما جاز وقوعه مقيدا لانه اذا عم الحكم خرج من الابهام الذى يوجب عدم العلم بانه أى شئ هو (قوله وهو حجة واضحة على المعتزلة) فى بطلان قولهم ان الايمان والكفر بمشيئة العبد لا بمشيئة الله (قوله ولذلك أسند الجهل الى أكثرهم) أى نسب الجهل المذكور وهو أى الجهل بانهم لو أتوا بكل آية لم يؤمنوا عارض لاكثرهم لا لجميعهم إذ لعل بعضهم يصممون على الكفر بحيث انهم اعتقدوا انهم لا يؤمنون على أى حالة من الحالات (٢٠٤) (قوله غرورا مفعول له أو مصدر الخ) فعلى الاول كان من قبيل قعدت عن الحرب جبنا لان الغرور وهو الغفلة سبب الايحاء وعلى الثانى يكون الغرور بمعنى الغار (قوله وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بمشيئة الله) فهو دليل واضح على رد المعتزلة أيضا (قوله ولكل متعلق به أو حال منه) فعلى تقدير الحالية معناه عدوا كائنا لكل نبى وحينئذ يكون تقديم لكل نبى واجبا لكونه حالا من نكرة هى عدوا وأما اذا كان متعلقا به يكون تقديمه للشرف وهو دليل أيضا على المعتزلة اذ يفهم من تفسير لوشاء ربك ايمانهم انه تعالى لم يشأ ايمانهم لكن المعتزلة على انه تعالى يريد ويشاء ايمانهم لكنهم لم يؤمنوا (قوله والمعتزلة لما اضطروا فيه الخ) اضطرارهم بسبب انه علم من الآية ان تقليب أفئدة الكافرين الخ ماذكر من فعل الله تعالى وهذا قبيح عند المعتزلة فان الاضلال قبيح عندهم (قوله أولام الامر وضعفه أظهر) اذ لو كان اللام لام الامر لزم الجزام الفعل فلزم حذف الالف لكنها ثابتة وانما قال ضعفه أظهر لان الاحتمال المتقدم عليه أيضا ضعيف وهو كون اللام المكسورة للقسم (قوله ويحتمل العكس) أى يحتمل أن يكون حكما مفعولا وغير الله حالا لان الغير وان اضيف الى المعرفة فهو باق على تنكيره (قوله وفيه تنبيه الخ) يعنى انه يفهم من قوله تعالى وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا أى بينا فيه لمحق من المبطل فيلزم استقلاله بالحجة ثم ان فيه اشعارا بان القرآن بنفى أخذ غير الله حكما فيلزم استقلال القرآن بالحجة (قوله وانما وصف جميعهم بالعلم الخ) لك أن تقول

فأتوا بآبائنا أو ائتنا بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل أى كفلاء بما بشروا به وأنذروا به أو جمع قبيل الذى هو جمع قبيلة بمعنى جماعات أو مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه (ما كانوا ليؤمنوا) لما سبق عليهم القضاء بالكفر (الا أن يشاء الله) استثناء من أعم الاحوال أى لا يؤمنون فى حال من الاحوال الا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة (ولكن أكثرهم يجهلون) أنهم لو أتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون ولذلك أسند الجهل الى أكثرهم مع أن مطلق الجهل يعمهم أو لان أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا فى ايمانهم (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا) أى كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبى سبقك عدوا وهو دليل على أن عداوة الكفرة للانبياء عليهم الصلاة والسلام بفعل الله سبحانه وتعالى وخلقه (شياطين الانس والجن) مردة الفريقين وهو بدل من عدوا أو أول مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثانى ولكل متعلق به أو حال منه (يوحى بعضهم الى بعض) يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس أو بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض (زخرف القول) الاباطيل المموهة منه من زخرفه اذا زينه (غرورا) مفعول له أو مصدر فى موقع الحال (ولو شاء ربك) ايمانهم (ما فعلوه) أى ما فعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وايحاء الزخارف ويجوز أن يكون الضمير للايحاء أو الزخرف أو الغرور وهو أيضا دليل على المعتزلة (فذرهم وما يفترون) وكفرهم (ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) عطف على غرورا ان جعل علة أو متعلق بمحذوف أى وليكون ذلك جعلنا لكل نبى عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة أو لام القسم كسرت لمالم يؤكد الفعل بالنون أو لام الامر وضعفه أظهر والصغو الميل والضمير له الضمير فى فعلوه (وليرضوه) لانفسهم (وليقترفوا) وليكتسبوا (ما هم مقترفون) من الآثام (أفغير الله أبتغى حكما) على ارادة القول أى قل لهم يا محمد أفغير الله أطلب من يحكم بينى وبينكم وبفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول أبتغى وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما بالغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب) القرآن المعجز (مفصلا) مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس وفيه تنبيه على أن القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) تأييد لدلالة الاعجاز على أن القرآن حق منزل من عند الله سبحانه وتعالى بعلم أهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع أنه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان أكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل وقيل

على هذا لايمكن جعل يعلمون بالمعنى الحقيقى لان بعضهم لايعلمون حقيقته بالمعنى المجازى لان كثرهم يعلمون حقيقته فان قيل نسب الى الكل بطريق التغليب قلنا التغليب يعتبر فيه التجوز والاولى أن يقال المراد بالذين آتيناهم الكتاب أحبارهم وعلماؤهم واما تخصيصهم بمؤمنى أهل الكتاب فلا حاجة اليه لان غير المؤمنين منهم يعلمون ذلك (قوله فلاتكونن من الممترين فى انهم يعلمون ذلك الخ) لما كان هذا الخطاب غير ملائم بحسب الظاهر أجاب عنه بوجوه أربعة الاول متعلق الممترين علم أهل الكتاب بحقيقة القرآن الثانى المقصود من الخطاب تهييج النبى وتحريضه على تقوية الدين وتأييده والثالث ان المقصود خطاب الامة الرابع ان الخطاب عام لكل أحد (قوله بلغت الغاية اخباره وأحكامه ومواعيده صدقا الخ) لايخفى ان الصدق مما لايقبل الشدة والضعف فالمراد انه ظهر صدقه غاية الظهور (قوله وانصبهما على التمييز والحال والمفعول له) على (٢٠٥) الاول والثالث يكون الصدق باقيا على

المراد مؤمنو أهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد (فلاتكونن من الممترين) فى انهم يعلمون ذلك أو فى أنه منزل لجحودا كثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله تعالى ولاتكونن من المشركين أو خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم خطاب الامة وقيل الخطاب لكل أحد على معنى أن الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغى لاحد أن يمترى فيه (وتمت كلمات ربك) بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده (صدقا) فى الاخبار والمواعيد (وعدلا) فى القضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له (لامبدل لكلماته) لاأحد يبدل شيأ منها بما هو أصدق وأعدل أولا أحد يقدر أن يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة على أن المراد بها القرآن فيكون ضمانا لهامن الله سبحانه وتعالى بالحفظ كقوله وانا له لحافظون أولانبى ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل أحكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك أى ماتكلم به أوالقرآن (وهو السميع) لمايقولون (العليم) بمايضمرون فلايهملهم (وان تطع أكثرمن فى الارض) أى أكثر الناس يريد الكفار أوالجهال أوأتباع الهوى وقيل الارض أرض مكة (يضلوك عن سبيل الله) عن الطريق الموصل اليه فان المثال فى غالب الامر لايأمر الا بما فيه ضلال (ان يتبعون الا الظن) وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق أوجهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على مايقابل العلم (وان هم الا يخرصون) يكذبون على الله سبحانه وتعالى فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر أو يقدرون أنهم على شئ وحقيقته مايقال عن ظن وتخمين (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى أعلم بالفريقين ومن موصولة أوموصوفة فى محل النصب بفعل دل عليه أعلم لابه فان أفعل لاينصب الظاهر فى مثل ذلك أواستفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل أى يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر أوبحرورة باضافة أعلم اليه أى أعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله أومن أضللته اذا وجدته ضالا والتفيضل فى العلم بكثرته واحاطته بأوجوه التى يتمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لابالغير (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لامما ذكر

معناه الحقيقى وعلى الثانى يكون بمعنى الصادق وعلى الثالث يعتبر ان سبب تمام الكلمات الصدق والعدل كما ان الجبن سبب للمفعول عن الحرب فى قولهم قعدت عن الحرب جبنا (قوله بفعل بدل عليه اعلم) والمعنى ان ربك هو أعلم من كل أحد يعلم من يضل عن سبيله (قوله فان أفعل لاينصب الظاهر فى مثل هذا الموضع) لك ان تقول يفهم منه انه قد ينصب المفعول فى موضع آخر لكن الرضى قال ان كلهم متفقون على انه لاينصب المفعول به ولاشبهه المفعول به وذلك لضعف مشابهته للفعل ثم قال وفى مثل أنا أعلم منك يزيد منطلقا نصب منطلقا باعلم نفسه عند الكوفيين للاضطرار

اليه وعند البصريين نصبه بفعل مقدر مدلول عليه باعلم والتقدير أنا أعلم منك يزيد اعلم منطلقا فعلى هذا مراده بقوله لاينصب الظاهر فى مثل ذلك انه لاينصب المفعول به وان كان ينصب الحال وغيره (قوله أعلم المضلين) لايخفى ان ظاهر المعنى لاجدوى فيه لان كونه تعالى اعلم المضلين بفتح أيضا من الضالين أمر فى غاية الظهور فلاجدوى فى ذكره فيجب ان يكون ههنا تقدير أى أعلم الذين هم عالمون بالضلين كما قدر كلة بين فى قولهم محمد أفضل قريش أى التقدير انه صلى الله عليه وسلم أفضل الناس من بين قريش والوجه الاقتصار على الوجه الاول وهو ان يكون منصوبا بفعل مقدر والزمخشرى اقتصر على التفسير المذكور ولم يفصل هذا التفصيل (قوله والتفضيل فى العلم بكثرته الخ) فالاولان يفيدان التفضيل بحسب الكمية والآخران يفيدان التفضيل بحسب الكيفية ويفهم مما ذكر ان الزيادة المعتبرة فى اسم التفضيل أعم من الزيادة أن تكون بحسب الكم والكيف

(قوله وأولوه بماذكر اسم غير الله عليه) فيكون وانه لفسق نهيا عما ذكر اسم غير الله عليه وقوله تعالى وان الشياطين الخ نهى عن الميتة لان أولياء الشيطان جادلوا المؤمنين في تحريم الميتة بالدليل الفاسد كما فصله المصنف ولم يعلموا ان الميتة قد فسد لحمه بفساد الدم الذي بقي فيه ولم يخرج بالذبح (قوله وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي) لا يخفى ان ما علم من كتب النحو ان جملة الجزاء اذا كانت جملة اسمية وجب دخول الفاء على الجزاء الا اذا اعتبر ما يجوز عدم دخول الفاء ولم يجعلوا كون الشرط ماضيا من جملة ما يجوز عدم الفاء قال الرضي قوله

تعالى وان أطعتموهم انكم لمشركون ان عدم الفاء على الجزاء لاعتبار القسم فانه اذا كان القسم مقدما على الشرط كان الجواب للقسم لفظا وان توسط بين الشرط والجزاء جاز أن يعتبر القسم واذا اعتبر القسم لم يجب دخول الفاء في الجزاء (قوله صفته وهو مبتدأ خبره في الظلمات) الى قوله للفصل لقائل أن يقول أي فائدة في لفظة مثله ومامعنى حاله في الظلمات فالواجب أن يقال لكن هو في ظلمات والجواب أن المراد من مثله في الظلمات ليس ان المثل حاصل في الظلمات حتى يكون في الظلمات ظرفا لمثله بل المراد مثله في الظلمات بعينه أي حال الشخص المذكور من الجار والمجرور فيكون الظلمات ظرفا للشخص لا للمثل وليس الغرض ان مثله حاصل في الدار حتى تكون الدار ظرفا للمثل كما قال المعلقون على الكشاف ان المقصود ان جملة في الظلمات ليس بخارج منها وقع خبر المبتدأ الذي هو مثله على سبيل الحكاية بمعنى أنه اذا وصف بقال له ذلك وعلى هذا تبين ان بدل الضمير المستكن في ليس راجع الى من لا الى المثل (قوله حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل) أي لوقوع الفصل بين الهاء في مثله وبين الحال بالخبر وهو الجار والمجرور وهو غير جائز لانه لا يخبر عن المبتدأ الا بعد ذكر ما هو من تتمته ويمكن أن يقال لا يجوز أن يكون حالا من ضمير مثله لان الحال انما يكون عن الفاعل والمفعول والضمير المذكور ليس واحدا منهما (قوله على تقديم المفعول الثاني على الاول) انما جعل أكابر مفعولا ثانيا لانه محط الفائدة أي جعلنا مجرميها أكابر ليمكروا فيها فان المكر

عليه اسم غيره أو ما حذف أنفه (ان كنتم بآياته مؤمنين) فان الايمان بها يقتضي استباحة ما أحله الله سبحانه وتعالى واجتناب ما حرمه (ومالكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) وأي غرض لكم في أن تتحرجوا عن أكله ومايمنعكم عنه (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل (الا ما اضطررتم اليه) مما حرم عليكم فانه أيضا حلال حال الضرورة (وان كثيرا ليضلون) بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأ الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح (بأهوائهم بغير علم) بشهبهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) بالمجاوز بن الحق الى الباطل والحلال الى الحرام (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) مايعلن ومايسر أو ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون) يكتسبون (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا أو نسيانا واليه ذهب داود وعن أحمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه الصلاة والسلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق أبو حنيفة رحمه الله بين العمد والنسيان وأوله بالميتة أو بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله (وانه لفسق) فان الفسق ما أهل لغير الله به والضمير لما يجوز أن يكون للاكل الذي دل عليه لا تأكلوا (وان الشياطين ليوحون) ليوسوسون (الى أوليائهم) من الكفار (ليجادلوكم) بقولهم تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة (وان أطعتموهم) في استحلال ما حرم (انكم لمشركون) فان من ترك طاعة الله تعالى الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس) مثل به من هداه الله سبحانه وتعالى وأنقذه من الضلال وجعل له نورا للحجج والآيات يتأمل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل (كمن مثله) صفته وهو مبتدأ خبره (في الظلمات) وقوله (ليس بخارج منها) حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال (كذلك) كما زين للمؤمنين ايمانهم (زين للكافرين ما كانوا يعملون) والآية نزلت في حمزة وأبي جهل وقيل في عمر وأبي جهل (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) أي كما جعلنا في مكة أكابر مجرميها ليمكر وافيها جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه أكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني أو في كل قرية أكابر مجرميها

انما نشا من صفة الكبر كما نبه بقوله وتخصيص الاكابر الخ (قوله ان فسر الجعل بالتمكين) يعنى لو فسر الجعل بالتصيير كما قاله أولا وجب أن يكون له مفعولان فيكون المعنى فصيرنا أكابر مجرمى القرية فى القرية وليس له معنى (قوله وافعل التفضيل اذا أضيف الخ) أطلق الحكم لكن المسئلة ان أفعل التفضيل اذا أضيف ويقصد به الزيادة على من أضيف اليه جاز فيه الافراد والمطابقة وههنا كذلك لان الاكابرية انما هى بالنسبة الى المجرمين (قوله فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل) أى وضع الذين لا يؤمنون موضعهم للتصريح بعلة وضع الرجس فان عدم الايمان علته (قوله الطريق الذى) (٢٠٧) ارتضاه أوعادته وطريقه الذى اقتضته حكمته) هذا على طريق اللف والنشر فالاول ناظر الى أن المشار اليه بهذا البيان الذى جاء به القرآن والاسلام والثانى ناظر الى ماسبق من التوفيق والخذلان وهذا مناسب لما فى الكشاف فانه قال وهذا طريقه الذى اقتضته الحكمة وعادته فى التوفيق والخذلان (قوله حال مؤكدة) هذا ان قيل بان الاستقامة تفهم من صراط ربك وقوله أو مقيدة اذا لم يقل به فان صراط الرب يمكن أن يكون معناه صراط جعله الرب وهو لا يستلزم الاستقامة فان طريق الخذلان والضلال مما جعله الرب وهو لا يوصف بالاستقامة وأما صاحب الكشاف فقال فاعله انما جعله تأكيدا ولم يقل لغيره بناء على ان الصراط المضاف الى

يدل ويجوز أن يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وأفعل التفضيل اذا أضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ أكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم أقوى على استتباع الناس والمكر بهم (وما يمكرون الا بانفسهم) لان وباله يحيق بهم (ومايشعرون) ذلك (واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) يعنى كفار قريش لما روى ان أبا جهل قال زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نرضى به الا أن يأتينا وحى كما يأتيه فنزلت (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هى بفضائل نفسانية تخص الله سبحانه وتعالى بها من يشاء من عباده فيجتبى لرسالاته من علم انه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذى يضعها فيه وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته (سيصيب الذين أجرموا صاغر) ذل وحقارة بعد كبرهم (عند الله) يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله (وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) بسبب مكرهم أو جزاء على مكرهم (فمن يرد الله أن يهديه) يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان (يشرح صدره للاسلام) فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه أشار عليه أفضل الصلاة والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله سبحانه وتعالى فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من أمارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وأبو بكر عن عاصم حرجا بالكسر أى شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر (كأنما يصعد فى السماء) شبهه مبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا فى الهرب منه وأصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وأبو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد (كذلك) أى كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق (يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) يجعل العذاب أو الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل (وهذا) اشارة الى البيان الذى جاء به القرآن أو الى الاسلام أو الى ماسبق من التوفيق والخذلان (صراط ربك) الطريق الذى ارتضاه أوعادته وطريقه الذى اقتضته حكمته (مستقيما) لاعوج فيه أوعادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا أو مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة (قد فصلنا الآيات لقوم

الرب تعالى لا يكون الا مستقيما وههنا سؤال وهو انه اذا فسر صراط الرب بالتوفيق والخذلان فيرد ان صراط الرب اذا أريد به التوفيق يصح وصفه بالاستقامة وأما اذا أريد به الخذلان كيف يصح وصفه بالاستقامة والجواب ان الاستقامة تفسر بتفسيرين أحدهما ما لا عوج فيه وهذا يناسب التفاسير المذكورة غير الخذلان والآخر العادل المطرد فالعادل ما لا جور فيه والمطرد هو الطريق الذى يوصل الى المقصود من ذلك الطريق فطريق التوفيق يقصد منه التوفيق وطريق الخذلان يقصد منه الخذلان ويوصل اليه ويمكن أن يقال ان المراد بما لا عوج فيه الطريق الذى يصل السالك فيه الى المنتهى من غير اعوجاج وانحراف واقوم فى ذلك الطريق وطريق الخذلان مستقيم بهذا المعنى فتأمل

(قوله وهو اعتراف الخ) لا يخفى انه ليس باعتراف بما فعلوا فى طاعة الشيطان وانما هو اعتراف بالبعث والاعتراف بطاعة الشيطان يستفاد من قوله تعالى ربنا استمتع بعضنا ببعض (قوله ومعنى الاضافة ان جعل مكانا) قال الرضى قال بعضهم العامل فى المضاف اليه معنى الاضافة وليس بشئ لانه ان أريد بالاضافة كون الاسم مضافا فهذا المعنى المقتضى للاعراب والعامل ما به يتقوم المعنى المقتضى وان أريد به النسبة التى بين المضاف والمضاف اليه فينبغى أن يكون العامل فى الفاعل والمفعول أيضا النسبة التى بينهما وبين الفعل كما قال خالق العالم فى الفاعل هو الاسناد لا الفعل اه وبه يظهر ما ذكره المصنف من جعل الفاعل معنى الاضافة (قوله لكن لما جمعوا معهم الجن فى الخطاب صح ذلك) أى المعنى رسل من مجموعكم أى بعض منكم ولا يخفى ان الرسل الذين هم من الانس بعض من المجموع المذكور (قوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا) حال من ضمير قالوا بتقدير قد والمعنى قالوا شهدنا على أنفسنا حال كونهم متصفين بإيمانهم اغتروا بالحياة الدنيوية (قوله تعليل للحكم) الحكم هنا ما فهم من السابق وهو ارسال الرسل اليهم لينذروهم بالبعث والجزاء (قوله أو ظالما لهم الخ) فيكون حالا من ربك ينهى منه أنه تعالى لو عاقبهم قبل ارسال الرسل لكان ظالما وهذا خلاف مذهب أهل الحق وان أريد بالظلم عدم السفه بارسال الرسل لزم التكرار لانه فهم من قوله وأهلها غافلون لم يبتهوا برسول عملوا

(قوله أو بدل من ذلك) عطف على قوله تعليل للحكم أى يكون ان لم تكن الآية بدلا من ذلك ويكون المعنى الامر أن لم يكن ربك وههنا احتمال آخر وهو أن يقال ذلك مبتدأ وان لم يكن خبر والمعنى ذلك أى ارسال الرسل بان لم يكن ربك الآية بالمعنى الذى ذكره المصنف

يذكرون) فيعلمون أن القادر هو الله سبحانه وتعالى وان كل ما يحدث من خير أو شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم بأحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم (لهم دار السلام) دار الله أضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من المكاره أو دار تحيتهم فيها سلام (عند ربهم) فى ضمانه أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره (وهو وليهم) موالهم أو ناصرهم (بما كانوا يعملون) بسبب أعمالهم أو متولهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم (و يوم نحشرهم جميعا) نصب باضمار اذكر أو تقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم ورويس عن يعقوب يحشرهم بالياء (يامعشر الجن) يعنى الشياطين (قد استكثرتم من الانس) أى من اغوائهم واضلالهم أو منهم بان جعلتموهم اتباعكم فشر ومعكم كقولهم استكثر الامير من الجنود (وقال أولياؤهم من الانس) الذين أطاعوهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) أى انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات ومايتوصل به اليها والجن بالانس بان أطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم أنهم كانوا يعوذون بهم فى المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم (و بلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) أى البعث وهو اعتراف بما فعلوه من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم (قال النار مثواكم) منزلكم أو ذات مثواكم (خالدين فيها) حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا (الا ماشاء الله) الا الاوقات التى ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ماشاء الله قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم أبدا الا ما أمهلكم (ان ربك حكيم) فى أفعاله (عليم) بأعمال الثقلين وأحوالهم (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا) نكل بعضهم الى بعض أو نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم أو أولياء بعض وقرناءهم فى العذاب كما كانوا فى الدنيا (بما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصى (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن فى الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث فى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين (يقصون عليكم آياتى و ينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعنى يوم القيامة (قالوا) جوابا (شهدنا على أنفسنا) بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب (وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين) ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات الخدجة وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة أمرهم ان اضطروا الى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب الخالد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم (ذلك) اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف أى الامر ذلك (أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) تعليل للحكم وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة أى الامر ذلك لانتفاء كون ربك أو لان الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم فعلوه أو ملتبسين بظلم أو ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول أو بدل من ذلك (ولكل) من المكلفين (درجات) مراتب (مما

عملوا) من أعمالهم أومن جزائها أومن أجلها (وماربك بغافل عما يعملون) فيخفى عليه عمل أوقد مايستحق به من ثواب أوعقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة (وربك الغنى) عن العباد والعبادة (ذوالرحمة) يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم و يمهلهم على المعاصى وفيه تنبيه على أن ماسبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله (ان يشأ يذهبكم) أى مابه اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم أيها العصاة (و يستخلف من بعدكم مايشاء) من الخلق (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) أى قرنا بعد قرن لكنه أبقاكم ترحما عليكم (انما تو عدون) من البعث وأحواله (لآت) لكائن لامحالة (وما أنتم بمعجزين) طالبكم به (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن أوعلى ناحيتكم وجهتكم التى أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كقام ومقامة وقرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع فى كل القرآن وهو أمر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم (انى عامل) ماكنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة فى الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على مايفضى به اليه وتسجيل بان المهدد لايتأتى منه الا الشر كالمأمور به الذى لايقدر أن يتفصى عنه (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) ان جعل من استفهامية بمعنى أينا تكون له عاقبة الدار الحسنى التى خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون أى فسوف تعرفون الذى تكون له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف فى المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقى (انه لايفلح الظالمون) وضع الظالمين موضع الكافرين لانه أعم وأكثر فائدة (وجعلوا) أى مشركو العرب (لله مما ذرأ) خلق (من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) روى أنهم كانوا يعينون شيأ من حرث ونتاج لله و يصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيأ منهما لآلهتهم و ينفقونه على سدنتها و يذبحونه عندهائم ان رأوا ماعينوا لله أزكى بدلوه بمالآلهتهم وان رأوا مالآلهتهم أزكى تركوه لها حبالآلهتهم وفى قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم أشركوا الخالق فى خلقه جمادا لايقدر على شئ ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكى له وفى قوله بزعمهم تنبيه على أن ذلك شئ اختر عوه لأمر هم الله به وقرأ الكلبى بالضم فى الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر أيضا كالوالد والوالد (ساء مايحكمون) حكمهم هذا (وكذلك) ومثل ذلك التزيين فى قسمة القربان (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم) بالوأد ونحرهم لآلهتهم (شركاؤهم) من الجن أومن السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول والذى هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف فى العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله

فزججتها بمزجة * زج القلوص أبى مزاده

وقرئ بالبناء للمفعول وجر أولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل أوما وجب عليهم أن يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة (ولوشاء الله مافعلوه) مافعل المشركون مازينلهم أوالشركاء التزيين أوالفريقان جميع ذلك (فذرهم ومايفترون) افتراءهم أومايفترونه من الافك (وقالوا هذه) اشارة الى ماجعل لآلهتهم (أنعام

(قوله يترحم عليهم بالتكليف) فان نفس التكليف رحمة لانه هداية الى مايوجب الكمال ورفعة الدرجات (قوله فمحلها الرفع) لانها فى الاصل مبتدأ وانما علق عنه الفعل ولم يعمل فيه بقى على رفعه الاصلى (قوله ثم رجحوه عليه الخ) هذا تفسير قوله تعالى فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم (قوله وهو ضعيف فى العربية) نبه الزمخشرى فى تضعيف القراءة التى هى من السبعة وقال العلامة التفتازانى القراءة مما يستشهد بها الا فافادا وقع الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف فى القرآن ينبغى ان يحكم بالجواز وله صاحب المفتاح على حذف المضاف اليه من الاول واضمار المضاف من الثانى والتقدير قتل شركائهم أولادهم قتل شركائهم وذكر صاحب الانتصاف ان اضافة المصدر الى معموله وان كانت محضة لكنها تشبه غير المحضة فاتصالها بالمضاف اليه ليس كاتصال غيره وقد جاز فى الغير الفصل بالظرف فيزهو عن الغير بالفصل بغير الظرف

(قوله لان ماقالوه تقول على الله الخ) أرادان افتراء مصدر قالوا لان قالوا ههنا بمعنى افتروا لان قولهم المذكور تقول وافتراء على الله (قوله والجار متعلق بقالوا أو بمحذوف) المراد من الجار لفظ على فيكون المعنى قالوا عليه افتراء هذا على الاحتمال الاول وعلى الثانى معناه افتراء وافعا عليه فيكون متعلقا بمحذوف هو أى المحذوف صفة للافتراء وانما يتعلق بالافتراء لان المفعول المطلق لايعمل (قوله أو على الحال أو المفعول الخ) عطف على قوله على المصدر أى أو يكون افتراء منصوبا على الحال بمعنى اسم الفاعل فيكون الجار المذكور متعلقا به أو على المفعول ونمام يجوز أن يكون متعلقا بقالوا على هذين الاحتمالين لانه لما جاز

وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج أى مضيق (لايطعمها الامن نشاء) يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء (زعمهم) من غير حجة (وأنعام حرمت ظهورها) يعنى البحائر والسوائب والحوامى (وأنعام لايذكرون اسم الله عليها) فى الذبح وانما يذكرون أسماء الاصنام عليها وقيل لايحجون على ظهورها (افتراء عليه) نصب على المصدر لان ماقالوه تقول على الله سبحانه وتعالى والجار متعلق بقالوا أو بمحذوف هو صفته أو على الحال أو على المفعول له والجار متعلق به أو بالمحذوف (سيجزيهم بما كانوا يفترون) بسببه أو بدله (وقالوا مافى بطون هذه الانعام) يعنون أجنة البحائر والسوائب (خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) فالذكور والاناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للحمل فان مافى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم فى رواية أبى بكر ابن عامر فى تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير فى ميتة فنصب كغيرهم أو التاء فيه للمبالغة كما فى راوية الشعر أو هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على أنه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا أو حال من الضمير الذى فى الظرف لامن الذى فى لذكورنا ولامن الذكور لانها لاتتقدم على العامل المعنوى ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما أو مبتدأ ثان والمراد بما كان حيا والتذكير فى فيه لان المراد بالميتة مايعم الذكر والانثى فغلب الذكر (سيجزيهم وصفهم) أى جزاء وصفهم الكذب على الله سبحانه وتعالى فى التحريم والتحليل من قوله وتصف ألسنتهم الكذب (انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا أولادهم) يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبى والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير (سفها بغير علم) لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله سبحانه وتعالى رازق أولادهم لاهم ويجوز نصبه على الحال أو المصدر (وحرموا ما رزقهم الله) من البحائر ونحوها (افتراء على الله) يحتمل الوجوه المذكورة فى مثله (قد ضلوا وما كانوا مهتدين) الى الحق والصواب (وهو الذى أنشأ جنات) من الكروم (معروشات) مرفوعات على مايحملها (وغير معروشات) ماتقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ماغرسه الناس فعرشوه وغير معروشات مانبت فى البرارى والجبال (والنخل والزرع مختلفا أكله) ثمره الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقى مقيس عليه أو للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه أو الجميع على تقدير أكل ذلك أوكل واحد منهما ومختلفا حالا مقدرة لانه لم يكن ذلك عند الانشاء (والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه) يتشابه بعض أفرادهما فى اللون والطعم ولايتشابه بعضها (كلوا من

تعلق الجار بما هو قريب منه لا وجه لتعلقه بما هو كثير التقدم واما على الوجه الاول فلما لم يصح ان يتعلق بالافتراء جاز ان يتعلق بالمحذوف الذى هو بعيد وهو قالوا ولك ان تقول لما جاز على الأول ان يتعلق بالمحذوف الذى هو صفة للافتراء لاضرورة داعية الى تعلقه بما هو بعيد وهو قالوا ثم ان هذه العبارة تحتمل وجهين أحدهما ان التقدير بن المذكورين على كل من هذين الاحتمالين والثانى ان يكون بطريق اللف فتأمل (قوله فان مافى معنى الاجنة) أى مافى قوله قالوا مافى بطون هذه الانعام (قوله وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا والتقدير مافى بطون هذه الانعام يخلص لذكورنا خالصة فيكون خالصة تأكيدا بمعنى الكلام السابق اذ يفهم من لذكورنا الخلوص (قوله من الضمير) الذى فى الظرف وهو فى بطون اى ماحصل

فى بطون هذه الانعام خالصة (قوله لانها لاتتقدم على العامل المعنوى وعلى صاحبه المجرور) فلو كان حالا عن الضمير الذى فى ذكورنا لزم تقدم الحال على العامل المعنوى ولو كان حالا عن لذكور لزم تقدم الحال على صاحبه المجرور (قوله وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير) فيكون الهاء فى خالصه هاء الضمير لاتاء التأنيث (قوله سفها بغير علم) المراد من السفه الظنون الفاسدة وبعدم العلم الجهل بما هو الحق فيكون المعنيان متغايرين

ثمره) من ثمر كل واحد من ذلك (اذا أثمر) وان لم يدرك ولم ينضج بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل أداء حق الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لان زكاة المقدرة لانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لايؤخر عن وقت الاداء واعلم أن الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه (ولا تسرفوا) في التصدق كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط (انه لايحب المسرفين) لايرتضي فعلهم (ومن الانعام حمولة وفرشا) عطف على جنات أي وأنشأ من الانعام مايحمل الاثقال ومايفرش للذبح أو مايفرش للنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها (كلوا مما رزقكم الله) كلوا مما أحل لكم منه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) في التحليل والتحريم من عند أنفسكم (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (ثمانية أزواج) بدل من حمولة وفرشا أو مفعول كلوا ولا تتبعوه معترض بينهما أو فعل دل عليه أو حال من ما بمعنى مختلفة أو متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول (من الضأن اثنين) زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين أو جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه (ومن المعز اثنين) التيس والعنز وقرأ ابن كثير وأبو عمر وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى (قل آلذكرين) ذكر الضأن وذكر المعز (حرم أم الانثيين) أم ما تثيبهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم (أما اشتملت عليه أرحام الانثيين) أو ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان أو أنثى (نبئوني بعلم) بامر معلوم يدل على أن الله تعالى حرم شيأ من ذلك (ان كنتم صادقين) في دعوى التحريم عليه (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين) كما سبق والمعنى انكار أن الله حرم شيأ من الاجناس الاربعة ذكرا كان أو أنثى أو ما تحمل اناثها رد اعليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة أخرى وأولادها كيف كانت تارة وزاعمين أن الله حرمها (أم كنتم شهداء) بل أكنتم شاهدين حاضرين (ذوصاكم الله بهذا) حين وصاكم بهذا التحريم اذ أنتم لاتؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة أمثال ذلك الا المشاهدة والسماع (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم ما لم يحرمه والمراد كبراؤهم المقررون لذلك أو عمرو بن لحي بن قمعة المؤسس لذلك (ليضل الناس بغير علم ان الله لايهدي القوم الظالمين قل لاأجد فيما أوحي الي) أي في القرآن أو فيما أوحي الى مطلقا وفيه تنبيه على أن التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى (محرما) طعاما محرما (على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة) الا أن يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالياء ورفع ميتة على أن كان هي التامة وقوله (أو دما مسفوحا) عطف على أن مع ما في حيزه أي الا وجود ميتة أو دما مسفوحا أي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال (أو لحم خنزير فانه رجس) فان الخنزير أو لحمه قذر لتعوده أكل النجاسة أو خبيث مخبث (أو فسقا) عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل (أهل لغير الله به) صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز أن يكون فسقا مفعولا له من أهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن

التبين وغيره فعم من الامر بالأداء يوم الحصاد المبالغة في وجوب الأداء في وقته (قوله عطف على جنات) والتقدير وهو الذي أنشأ جنات وحمولة وفرشا من الانعام (قوله أوجع ماعز كصاحب وصحب أو حارس وحرس) فالاول بتقدير سكون العين والثاني بتقدير تحريكه ولم يذكر احتمال كون المعز جنسا كما ذكر في الضأن لكن صاحب الصحاح صرح بانه اسم جنس (قوله وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى) فيه أن ظاهر التركيب يدل على ان التحريم يعلم بالوحي واما انه لايعلم الا به فغير معلوم منه والجواب ان هذه الآية لرد زعمة المشركون من تحريم ما لم يحرم الله يعني لم يوح الى تحريم ما ذكرتم وانما الموحى الى تحريم ما ذكر في الآية الكريمة فيطل زعمكم في تحريم الامور المذكورة فلو لم يكن الحصر مقصودا لم يفد بطلان زعمهم (قوله أي الا وجود ميتة) على تقدير قراءة ابن عامر واما على قراءة غيره فالمعنى لا أجد طعاما محرما كائنا على حال الا حال كونه ميتة أو دما مسفوحا (قوله والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في تكن) فيه نظر اذ يلزم ان يكون في اهل ضمير مستتر راجع الى الطعام المحرم ولا يخفى ان ضمير به راجع اليها ايضا فيكون المعنى اهل الطعام لغير الله بالطعام ولا وجه له

كما لايخفى بل الوجه ان يقال به قائم مقام الفاعل وليس فى أهل على هذا التقدير ضمير ولقد وقع فى هذا الخطأ من عدم التأمل فى عبارة الكشاف فانه قال ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من أهل أى أهل لغير الله به فسقا فان قلت وعلام يعطف أهل والام يرجع الضمير فى به على هذا القول قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير الى مارجع اليه المستكن فى يكون هذا كلام الكشاف فعلى القاضى ان يقول والضمير فى به راجع الى مارجع اليه المستكن فى يكون وقد غير العبارة فوقع فيما وقع (قوله ولا على حل الاشياء الامع استصحاب) أى لاتدل الآية على حل شئ آخر اذ يمكن ورود دليل من الحديث على تحريمه نعم لو اعتبر الاستصحاب بان قال المذكور فى الآية حرمة هذه الاشياء المخصوصة ولم يدل الدليل على تحريم غيرها فبقى حالها بالاستصحاب لكان الاستدلال صحيحا ولايخفى ان الاستصحاب فرع عدم ورود دليل على التحريم فلو ورد لكان محرما أيضا (قوله والاضافة لزيادة الربط) يعنى يكفى ان يقال ومن البقر والغنم حرمنا عليهم الشحوم اذ يعلم منه ان الشحوم شحوم البقر والغنم فاضافة الشحوم الى الضمير لزيادة الربط وانما قصد الى زيادة الربط ليعلم اختصاص الحكم بما ذكر على ظاهرا مؤكدا (قوله ولعل السبب عن الظلم تعميم التحريم) يعنى التصريح بلفظ كل يومئ الى انه كان قبل ذلك تحريم بعض من الاشياء المذكورة عليهم فلما ظلموا حرم الكل (قوله تعالى وانا لصادقون فى الاخبار أو الوعد والوعيد) مجرد هذا لايكفى فى تخصيص هذا الكلام بقوله تعالى وانا لصادقون اذ لقائل ان يقول ان صدق الله تعالى مشترك فى كل خبر فما وجه تخصيص ذكره بهذا المقام والاولى ماقاله بعضهم معناه وانا لصادقون فيما أخبرنا من تحريم ذلك عليهم بالسبب المذكور لا كما زعموا ان اسرائيل حرمه وليس من قبل ذنب صادر عنا ويمكن حمل عبارته على ماذكرنا (قوله وقيل هو عطف على شحومهما الخ) فعلى هذا تكون الحوايا من جملة المحرمات عليهم واما على الاول فيكون داخلا فى المستثنى من المحرم (قوله فاقام مقامه ولايرد بأسه الخ) يعنى انهم أقيم ولايرد بأسه مقام ذو بأس للدلالة عليه مع زيادة عدم رد العذاب عنهم اذا نزل ولو قيل فقل ربكم ذو رحمة واسعة وذو بأس لم يفهم ما ذكر (قوله ووقوع مخبره بدل على العجز) يعنى لما ادعى النبوة وأخبر عن الغيب ووقع كما أخبر به لزم الاعجاز هو أمر خارق للعادة ولك أن تقول لايلزم من مجرد ذلك الاعجاز اذ قد يخبر الشخص عن الشئ فى المستقبل بالظن ثم بعد ذلك يقع كما أخبر الا أن يقال ان هذا الاخبار على سبيل الجزم بقرينة السين التى تدل على التأكيد (قوله مشيئة ارتضاء) أى المشيئة ههنا بمعنى الرضا والمعنى لو رضى الله بعدم اشراكنا ما أشركنا وانما وجب هذا التأويل لان الآية وردت فى ذم الكفرة ولو أبقيت المشيئة على معناها كان المعنى ولو أراد الله عدم اشراكنا لما أشركنا وهذا المعنى هو مذهب أهل الحق فليتوجه الذم لكنه اذا جعلت المشيئة بمعنى الرضا كان المعنى ولو رضى الله بعدم اشتراكنا لما أشركنا وبفهم انه لم يرض بعدم الشرك وهو باطل عند أهل الحق فالذم على موقعه والدليل على ان المشيئة ليست على معناها قوله تعالى فلو شاء الله لهداكم أجمعين اذ يفهم منه أن مراد الله تعالى كائن البتة فلا يصح الذم لو أراد الكفرة هذا المعنى لقولهم المذكور ومعنى الكلام أنه تعالى رضى بالاشراك والتحريم المذكورين وانتم أى المشركين أشركوا لذلك ولو كان المرضى عند الله عدم

فى يكون (فمن اضطر) فمن دعته الضرورة الى تناول شئ من ذلك (غير باغ) على مضطر مثله (ولا عاد) قدر الضرورة (فان ربك غفور رحيم) لايؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على أنه لم يجد فيما أوحى الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لاينافى ورود التحريم فى شئ آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الامع الاستصحاب (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) كل ماله اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذى مخلب وحافر وسمى الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط (الا ماحملت ظهورهما) الا ماعلقت بظهورهما (أو الحوايا) أو مااشتمل على الامعاء جمع حاوية أو حاوياء كقاصعاء وقواصع أو حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما أو بمعنى الواو (أو مااختلط بعظم) هو شحم الاليه لاتصالها بالصعص (ذلك) التحريم أو الجزاء (جزيناهم ببغيهم) بسبب ظلمهم (وانا لصادقون) فى الاخبار أو الوعد والوعيد (فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) يتهلكم على التكذيب فلاتغتر وابامهاله فانه لايهمل (ولايرد بأسه عن القوم المجرمين) حين ينزل أوذو رحمة واسعة على المطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فاقام مقامه ولايرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على أنه لازب بهم لايمكن رده عنهم (سيقول الذين أشركوا) اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على الاعجاز (لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) أى لوشاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلوشاء لهداكم أجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا أراد وا بذلك

اشراك المشرك لما أشركوا (قوله حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة) أى المعتزلة القائلين بعدم ارادة الله للقبائح ومنها الشرك فلو كانت المشيئة بمعنى الارادة لا الرضا به كان المعنى لو أراد الله عدم اشراكنا بمعنى أشركنا فكوننا مشركين بسبب ارادة الله اشراكنا ولما ذمهم الله تعالى بهذا القول لزم أن لا يكون الشرك مرادا لله وهو مذهب المعتزلة (قوله ويؤيد ذلك قوله الخ) وجه التأييد ان معنى هذا الكلام انهم كذبوا الرسل فى أن الله تعالى منع من الشرك ولم يرض به واذا كان عدم رضائه بالمشرك كاذبا كان راضيا بالشرك فيكون دعوى المكذبين انه غير ممنوع بل مرضى (قوله ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع) فان الآية فى ظن المشرك الذى يعارضه القاطع الذى هو دليل التوحيد ودليل عدم تحريم ما حرموه وانما قال ذلك اذا الظن يتبع فى الفروع الفقهية التى لم يدل عليها قاطع (قوله ولذلك قيد الشهداء بالاضافة) يعنى لما كان المراد من الشهداء قدوتهم فى التحريم قيد الشهداء بالضمير ليفيد أن الشهداء شهداؤهم لا شهداء غيرهم فيكون فيه اشارة الى عدم التمسك بكل منهما (قوله وبين لهم فساده) اشارة الى أن المقصود من لا تشهد معهم ابطال كلامهم وتبين فساده لا مجرد عدم موافقتهم فى الشهادة اذ هو قليل الجدوى (قوله للدلالة على ان مكذب الآيات متبع الهوى) ووجه الدلالة أنه يفهم من الكلام المذكور ان المكذبين للآيات اجتمع فيهم الافتراء وهو تحريم ما أحل الله والتكذيب فيكون فيهم اجتماع اتباع الهوى مع التكذيب (قوله أى لا تشركوا) جعل أن مفسرة فاورد عليه انه

أفهم على الحق المشروع عند الله لا الاعتداد عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى يهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله (كذلك كذب الذين من قبلهم) أى مثل هذا التكذيب لك فى أن الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير فى أشركنا من غير تأكيد للفصل بلا (حتى ذاقوا بأسنا) الذى أنزلنا عليهم بتكذيبهم (قل هل عندكم من علم) من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على مازعمتم (فتخرجوه لنا) فتظهروه لنا (ان تتبعون الا الظن) ما تتبعون فى ذلك الا الظن (وان أنتم الا تخرصون) تكذبون على الله سبحانه وتعالى وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما فى الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه (قل فلله الحجة البالغة) البينة الواضحة التى بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات أو بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهى من الحجج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات الحكم وتطلبه (فلو شاء لهداكم أجمعين) بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين (قل هلم شهداءكم) أحضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنى تميم وأصله عند البصريين ها لم من لم اذ قصد حذف الالف لتقدير السكون فى اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل أم لخذف الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما فى الآية ولازما كقوله هلم الينا (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) يعنى قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضى المهدبهم (فان شهدوا فلا تشهد معهم) فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم فى الشهادة الباطلة (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وأن متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها (والذين لا يؤمنون بالآخرة) كعبدة الاوثان (وهم بربهم يعدلون) يجعلون له عديلا (قل تعالوا) أمر من التعالى وأصله أن يقوله من كان فى علو لمن كان فى سفل فاتسع فيه بالتعميم (أتل) اقرأ (ما حرم ربكم) منصوب بأتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز أن تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول أتل لانه بمعنى أقل فكأنه قيل أتل أى شئ حرم ربكم (عليكم) متعلق بحرم أو أتل (ألا تشركوا به) أى لا تشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى أضدادها ومن جعل أن ناصبة فمحلها النصب عطف فى الآية الاوامر على النواهى مع انها أى الاوامر غير صالحة لبيان المحرمات بل لبيان الواجبات والى هذا السؤال أشار بقوله ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم وأجيب عنه بان الأوامر ههنا بتأويل المنهيات فقوله تعالى وبالوالدين احسانا بتأويل لا تسيئوا بالوالدين والى هذا الجواب أشار المصنف بقوله فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى أضدادها فان قيل اذا كانت ان مفسرة فالمفسر أى شئ قلنا ان كانت ما موصولة كان المفسر تلاوة المحرمات وان كانت مصدرية كان المفسر تلاوة تحريم المحرمات فان قيل لا تشركوا ليس تلاوة المحرمات ولا تلاوة تحريمها قلنا هو وان لم يكن تلاوتها ولا تلاوة تحريمها صار بحيث الأمن عدم الشرك ليس حراما لكن يفهم منه ما حرم فتكون ان تفسيرية بهذا الاعتبار (قوله فمحلها النصب

بعليكم على انه للاغراء أو بالبدل من ما أومن عائده المحذوف على أن لا زائدة والجر بتقدير اللام أو الرفع على تقدير المتلو أن لا تشركوا أو المحرم أن تشركوا (شيأ) يحتمل المصدر والمفعول (وبالوالدين احسانا) أي وأحسنوا بهما احسانا ووضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على أن ترك الاساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما (ولا تقتلوا أولادكم من املاق) من أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق (نحن نرزقكم واياهم) منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه (ولا تقربوا الفواحش) كبائر الذنوب أو الزنا (ماظهر منها وما بطن) بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الاحق) كالقود وقتل المرتد و رجم المحصن (ذلكم) اشارة الى ماذكر مفصلا (وصاكم به) بحفظه (لعلكم تعقلون) ترشدون فان كمال العقل هو الرشد (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) أي بالفعلة التي هي أحسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره (حتى يبلغ أشده) حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وأنعم أو شد كسقر وأسقر وقيل مفرد كآنك (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل والتسوية (لا نكلف نفسا الا وسعها) الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر عليكم فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم (واذا قلتم) في حكومة ونحوها (فاعدلوا) فيه (ولو كان ذا قربى) ولو كان المقول له أو عليه من ذوي قرابتكم (وبعهد الله أوفوا) يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) تتعظون به وقرأ حمزة وحفص والكسائي تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها (وأن هذا صراطي مستقيما) الاشارة فيه الى ماذكر في السورة فانها بأسرها في اثبات التوحيد والنبوة و بيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائي ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف وقرأ الباقون بها مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله (فاتبعوه) وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك (ولا تتبعوا السبل) الاديان المختلفة أو الطرق المتابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات (فتفرق بكم) فتفرقكم وتزيلكم (عن سبيله) الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان (ذلكم) الاتباع (وصاكم به لعلكم تتقون) الضلال والتفرق عن الحق

(٢١٤) وقتل الأولاد وغيرها لئلا تشركوا (قوله وضعه موضع النهي عن الاساءة للمبالغة) هذا اشارة الى ما سبق من ان الأوامر بمعنى النواهي وافادة المبالغة باعتبار الاستدلال لأنه في الظاهر الأمر بالاحسان والأمر بالاحسان دليل على النهي عن الاساءة (قوله منع لموجبية ما كانوا يفعلون لأجله) فان موجب الفعل هو حصول الاملاق أو خشية الاملاق وقوله نحن نرزقكم واياهم وعد بالرزق فوجب وقوعه فلا وجه لقتل خشية الاملاق فهذا احتجاج على منع القتل (قوله كآنك) بالكاف وضم النون لان الاشد في الاصل الاشد بضم الدال الاولى ثم نقل الضم الى الشين فادغمت الدال الاولى في الثانية وهو الاشد قال صاحب الصحاح افعل من أبنية الجمع ولم يجئ عليه الواحد الا آنك وأشد (قوله الا ما يسعها ولا يعسر عليها) فان قلت عدم العسر معلوم من الوسع فان الوسع القدرة على الشيء وهو لا ينافي العسر بل العسر يستلزم الوسع قلنا قد فسر قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها بتفسيرين أحدهما الا ما تسعه قدرتها والثاني ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها فاذكره ههنا مبني على التفسير الثاني (قوله الاشارة فيه الى ماذكر في السورة) الظاهر أن يجعل اشارة الى قوله تعالى أن لا تشركوا لأنه بين (قوله على انه علة لقوله فاتبعوه) فان قيل يكون التقدير وفاتبعوه لان هذا صراطي مستقيما فلزم اجتماع حرفي العطف قلنا هذا النحو من الاجتماع جائز كقوله تعالى وربك فكبر قال لعلامة التفتازاني ورود الفاء مع الواو عند تقديم المعمول فصلا بينهما شائع في الكلام (قوله فان مقتضى) الحجة الدامغة على أمرين مختلفين واللازم وقوع المتناقضين وهو محال

(قوله عطف على وصاكم) فيه انه يلزم أن يكون المعنى ثم ذلكم آتينا موسى الكتاب ولا يخفى ما فيه والحق انه أراد انه معطوف على جملة ذلكم وصاكم (قوله ثم أعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب) فان قيل وصية الله حديثا هو الوصية في القرآن والقرآن أعظم من التوراة فكيف قال ثم أعظم من ذلك اما آتينا موسى الكتاب والجواب ان انزال التوراة أعظم من الوصية المذكورة لاشتمال التوراة عليها وعلى غيرها ولا يلزم أن تكون التوراة أعظم من القرآن بل يلزم ان تكون معاني التوراة أعظم من بعض معاني القرآن (قوله ويؤيده ان قرئ على الذين أحسنوا) أراد به يمكن ان يكون المراد من قوله تعالى الذي أحسن موسى وأمته المحسنون وظاهره انه يؤيده القراءة المذكورة ويمكن ان يكون المراد الذي أحسن تبليغه وهو موسى (قوله وعلى الوجه الذي هو أحسن ما يكون) فان قلت يرد عليه انه يلزم ان تكون التوراة أحسن من القرآن قلنا لزومه ممنوع اذ يمكن ان يكون الوجه الأحسن مشتركا بين كتابين بان يكون كل منهما على الوجه الأحسن بقي انه يلزم ان يكون القرآن والتوراة متساويين لان كلا منهما على الوجه الأحسن ويمكن ان يقال المراد على الوجه الذي يكون أحسن مما عليه الكتب في زمان نزولها أو يقال ان القرآن مستثنى من الحكم فكان الذي هو أحسن ما يكون عليه الكتب غير القرآن (قوله وهم ما كانوا منتظرين الخ) اذ الانتظار ترقب وقوع الشيء وهم غير مترقبين لذلك بل هم جازمون بعدمه وقد قصر المصنف وصاحب الكشاف في بيان معنى ينتظر وان اذا يعلم من كلامه انه غير باق على معناه الحقيقي لكن لم يظهر ان معناه المجازي المستعمل فيه أي شيء والظاهر ان يقال ان المعنى ما يفعلون الاسبب اتيان الملائكة أو اتيان أمر الرب به الخ

(ثم آتينا موسى الكتاب) عطف على وصاكم وثم للتراخي في الاخبار أو للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب (تماما) للكرامة والنعمة (على الذي أحسن) على كل من أحسن القيام به ويؤيده أن قرئ على الذين أحسنوا أو على الذي أحسن تبليغه وهو موسى عليه أفضل الصلاة والسلام أو تماما على ما أحسنه أي أجاده من العلم والتشريع أي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أي على الذي هو أحسن أو على الوجه الذي هو أحسن ما يكون عليه الكتب (وتفصيلا لكل شيء) وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر (وهدى ورحمة لعلهم) لعل بني اسرائيل (لقاء ربهم يؤمنون) أي بلقائه للجزاء (وهذا كتاب) يعني القرآن (أنزلناه مبارك) كثير النفع (فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه (أن تقولوا) كراهة أن تقولوا علة لانزلناه (انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم (وان كنا) ان هي المخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبر كان أي وانه كنا (عن دراستهم) قراءتهم (لغافلين) لا ندري ما هي أو لا نعرف مثلها (أو تقولوا) عطف على الاول (لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على أنا أميون (فقد جاءكم بينة من ربكم) حجة واضحة تعرفونها (وهدى ورحمة) لمن تأمل فيه وعمل به (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله) بعد أن عرف صحتها أو تمكن من معرفتها (وصدف) أعرض أو صد (عنها) فضل أو أضل (سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) شدته (بما كانوا يصدفون) باعراضهم أو صدهم (هل ينظرون) أي ما ينتظرون يعني أهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين (الا أن تأتيهم الملائكة) ملائكة الموت أو العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء هنا وفي النحل (أو يأتي ربك) أي أمره بالعذاب أو كل آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله (أو يأتي بعض آيات ربك) يعني اشراط الساعة وعن حذيفة بن اليمان والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونارا تخرج من عدن (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها) كالمحتضر اذ صار الامر عيانا والايمان برهانى وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث (لم تكن آمنت من قبل) صفة نفسا (أو كسبت في ايمانها خيرا) عطف على آمنت والمعنى انه

(قوله وهذا دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل) اذ على التفسير المذكور بفهم انه لاينفع الايمان في اليوم المذكور واذا كان الايمان مقدما على ذلك اليوم ولم يكن مقرونا بالعمل الصالح (قوله وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم) الكلام الأول كلام المعتزلة وهذا الكلام كلام أهل السنة يعني ان من اعتبر الايمان المجرد عن العمل له ان يقول يلزم من الآية الكريمة على التفسير المذكور عدم اعتداد الايمان المذكور لكن لم لايجوز ان يكون حكم عدم الاعتبار مخصوصا بذلك اليوم ولا يلزم عدم اعتباره في جميع الازمان ويؤيد ماذكرنا تقديم الظرف على الفعل (قوله وحمل الترديد على اشتراط النفع بأحد امرين على معنى لاينفع نفسا خالا عنها يمانها) هذا جواب ثان عن كلام غير المعتبر وهو ان يقال محصل الترديد انه لاينفع الايمان يومئذ اذا لم يتقدم الايمان أو لم يتقدم الايمان مع العمل الصالح فيكون النفي متوجها الى أحد الأمرين كما قال المحققون ان العموم أي عموم النكرة أو ما في حكمها انما يلزم اذا عطف أحد الامرين على الآخر ثم سلط عليه النفي فيصير مثل قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا فان المعنى النهي عن اطاعة كل منهما فان قلت يلزم استدراك في الكلام (٢١٦) اذ لما ذكر انفي تقديم الايمان لاحاجة الى نفي تقديم الايمان المقرون بالخير

لاينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها أو مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لاينفع نفسا خلت عنها يمانها والعطف على لم تكن بمعنى لاينفع نفسا ايمانها الذي أحدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا (قل انتظروا انا منتظرون) وعيد لهم أي انتظروا اتيان أحد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل (ان الذين فرقوا دينهم) بدده فآمنوا ببعض وكفروا ببعض أو افترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا أي باينوا (وكانوا شيعا) فرقا تشيع كل فرقة اماما (لست منهم في شئ) أي من السؤال عنهم وعن تفرقهم أو من عقابهم أو أنت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف (انما أمرهم الى الله) يتولى جزاءهم (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) بالعقاب (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) أي عشر حسنات أمثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشرة بالتنوين وأمثالها بالرفع على الوصف وهذا أقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها) فضية للعدل (وهم لايظلمون) بنقص الثواب وزيادة العقاب (قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم) بالوحي والارشاد الى مانصب من الحجج (دينا) بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما أو مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ (قيما) فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه خيرا) هذا جواب ثالث وتوضيحه ان يقال انه يجوز ان يكون أو ههنا بمعنى الواو وقد أثبته الكوفيون والاخفش مصدر والجر مما على ماذكر صاحب المغني فيكون المعنى لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل وكسبت في ايمانها خيرا أي لاينفع الايمان ان لم تكتسب فيه خيرا وكذا ان كسبت فيه خيرا ثم ان صاحب المغني نقل عن بعضهم ان أو قد تجيء بمعنى كلمة الشرط ومثله بقولهم لآتينك أعطيتني أو حرمتني أي ان أعطيتني او حرمتني واذ ثبت ذلك فلك ان تحمل كلام المصنف عليه فتأمل (قوله بنقص الثواب وزيادة العقاب) يدل على ان نقص الثواب وزيادة العقاب ظلم وليس كذلك اذ الظلم غير متصور على الله تعالى لانه تصرف في حق الغير وكل ما في الكون ملك الله تعالى الا ان يفسر الظلم بغير ماذكرنا فالاولى ان يقال انهم لايظلمون بوجه من الوجوه فلا يكون جزاء السيئة بمثلها ظلما وفيه دفع شبهة المعتزلة فانهم قالوا لما كان كل ماوقع من العبد فهو فعل الله موجود بارادته وقدرته على رأي أهل السنة لزم من عقاب العبد العظيم عليه تعالى أو يقال وهم لايظلمون لوزن بدى جزء السيئة بمثلها (قوله وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة) يعني ان القيم بالتشديد أبلغ من المستقيم باعتبار الوزن فانه صفة مشبهة تدل على الثبوت والاستمرار

قلنا معنى الكلام ان الايمان لاينفع في ذلك اليوم لو لم يتقدم الايمان المجرد عن العمل ولا الايمان المقرون به وفائدة التفصيل المبالغة في نفي تقدم جميع أقسام الايمان وبهذا سقط ماقاله العلامة التفتازاني من الاستدراك فعلم من عدم نفع الايمان في ذلك اليوم عند انتفاء الايمان بقسميه معا انه اذا كان أحد القسمين موجودا كان الايمان في ذلك اليوم نافعا سواء كان الايمان المقدم المجرد عن الخير أو المقرون به (قوله والعطف على لم يكن بمعنى لاينفع نفسا ايمانها الذي أحدثته حينئذ وان اكتسبت فيه

والمستقيم أبلغ من القيم باعتبار الصيغة أى باعتبار كونه من باب الاستفعال الدال على الطلب فكانه نفسه الذى يطلب قوامه (قوله ملة ابراهيم عطف بيان لدينا) كونه بيانا باعتبار اشتماله على الاضافة التى توجب التوضيح وقد تبع صاحب الكشاف فى ذلك وقال صاحب المغنى ان البيان لايخالف المبين فى التعريف والتنكير واما قول الزمخشرى ان مقام ابراهيم عطف بيان على

مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام (ملة ابراهيم) عطف بيان لدينا (حنيفا) حال من ابراهيم (وما كان من المشركين) عطف عليه (قل ان صلاتى ونسكى) عبادتى كلها أوقربانى أوحجى (ومحياى ومماتى) وما أنا عليه فى حياتى وأموت عليه من الايمان والطاعة أوطاعات الحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير والحياة والممات أنفسهما وقرأ نافع محياى باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف (لله رب العالمين لاشريك له) خاصة له لاالشرك فيها غيرا (وبذلك) القول أوالاخلاص (أمرت وأنا أول المسلمين) لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام أمته (قل أغير الله أبغى ربا) فاشركه فى عبادتى وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم (وهو رب كل شئ) حال فى موضع العلة للانكار والدليل له أى وكل ماسواه مربوب مثلى لايصلح للربوبية (ولاتكسب كل نفس الاعليها) فلاينفعنى فى ابتغاء رب غيرها أنتم عليه من ذلك (ولاتزر وازرة وزر اخرى) جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم (ثم الى ربكم مرجعكم) يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) بتبيين الرشد من الغى وتمييز المحق من المبطل (وهو الذى جعلكم خلائف الارض) يخلف بعضكم بعضا أوخلفاء الله فى أرضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام أوخلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) فى الشرف والغنى (ليبلوكم فيما آتاكم) من الجاه والمال (ان ربك سريع العقاب) لان ماهو آت قريب أولانه يسرع اذا أراده (وانه لغفور رحيم) وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة وأتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قايل العقوبة مسامح فيها ﴿عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك فمن رجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة﴾

﴿تم الجزء الثانى من تفسير البيضاوى ويليه الجزء الثالث أوله سورة الاعراف﴾

آيات بينات فسهو واعلم ان الدين هو الطريقة المخصوصة الثابتة عن النبى تسمى من حيث الانقياد لها دينا ومن حيث تملى وتبين للناس ملة ومن حيث سنها الله تعالى أومن حيث يردها الواردون المتعاطشون الى زلال نيل الكمال شرعا وشريعة فالدين يضاف الى الله تعالى والى النبى صلى الله عليه وسلم والى آحاد الامة والملة الى النبى والى الامة وكذا الشريعة هكذا قال العلامة التفتازانى ويفهم منه ان الملة والشريعة لايضافان الى الله تعالى فتأمل (قوله فلاينفعنى فى ابتغاء رب غيره) أى لا يدفع عنى جزاء اثم ابتغائى ربا غيره كونهم على هذا الابتغاء أى انا لاغيرى حامل اثمى وهم حاملون آثامهم ومعنى ولاتكسب كل نفس الاعليها انه لا يكسب كل نفس سيئة الا عليها فلا يكون منافيا لقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (قوله أوخلفاء الامم السالفة) الامم الدين خلت مطلقا لم يكن الخطاب مختصا بالمؤمنين (قوله وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه) أى لم يصف نفسه بانه معاقب ووصفها بانه غفور (قوله غفور بالذات معاقب بالعرض) المغفرة صدرت منه تعالى بلا فعل صدر من العبد يوجبها لكن العقاب لم يصدر منه تعالى الا بسبب فعل صدر من العبد لكن فى اشعار ماذكر به خفاء لان مادل عليه هو المبالغة فى وصفه بالرحمة فلا يلزم من مجرد ذلك كونه بالذات

صحيفه		صحيفه	
٢	سورة آل عمران	٢٦	بيان ان اليهود كانت تزعم ان أموال المسلمين كانت مباحة لهم فى كتابهم
٣	بيان ثبات علمه تعالى بالجزئيات على وجه جزئى حتى على مذهب الفلاسفة	٢٩	بيان ان الاسلام هو دين الفطرة وان الطالب لغيره واقع فى الخسران
٤	بيان معنى المحكم والمتشابه	٣١	بيان ان أوّل بيت وضع للناس المسجد الحرام ومن بناه
٥	بيان الرد على تشبث النصارى بانتقال اقنوم العلم الى المسيح	٣٥	بيان ان الامر بالمعروف فرض كفاية وذكر شروطه
٦	بيان صدق وعد الله بنبيه بقوله قل للذين كفروا ستغلبون بما حصل ببدر وخيبر	٣٦	بيان كون هذه الامة خير الامم والاستدلال على كون الاجماع حجة
٧	بيان معنى كون رضوان الله أكبر وما هو المراد بالرضوان	٤٠	بيان ما حصل قبل غزوة أحد من استشارة النبى لاصحابه
٨	بيان معنى شهادة الله بانه لا اله الا هو	٤٦	بيان ما حصل للنبى فى غزوة أحد من جرحه وكسر رباعيته وغير ذلك
٩	بيان الفرق بين التوحيد والايمان والاسلام	٤٨	بيان ما حصل للمسلمين من النصر باحد وأسباب انهزامهم بعد ذلك
١١	بيان ان أوّل راية ترفع يوم القيامة راية اليهود ثم يفضحون	٥٠	بيان الامر بالمشاورة
١٢	بيان ما ظهر للنبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق من الآيات	٥٣	بيان ان الانسان غير الهيكل المحسوس وانه جوهر مدرك بذاته
١٤	بيان نسب موسى ومريم عليهما السلام	٥٤	بيان ان الايمان يزيد وينقص
١٦	بيان معنى مس الشيطان للمولود حين وضعه	٥٦	بيان ان الانبياء لا يطلعون على الغيب الا باعلام الله لهم
١٨	بيان تكليم الملائكة لمريم وانه لم تنبأ امرأة	٥٨	بيان ان المعجزات جميعها توجب الايمان وان اليهود كذبوا فى دعواهم التخصيص
١٩	بيان المسيح وأصل معناه	٦٠	بيان ان الاستدلال على وجود البارى طريقة تغير العالم
٢٠	بيان معنى النسخ وان شريعة المسيح فيها نسخ لما فى التوراة	٦٣	تفسير سورة النساء
٢١	بيان معنى قوله تعالى لعيسى عليه السلام انى متوفيك وما ذهبت اليه النصارى فى ذلك	٦٤	بيان ما قيل فى القراآت السبع من ان كل حرف منها منقول بالتواتر أم لا
٢٢	بيان المجادلة التى حصلت بين النبى وأساقف نجران ومعنى المباهلة	٦٦	بيان ما قيل فى قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم الآية وتحقيق ذلك من جهة العربية
٢٣	بيان تنازع اليهود والنصارى فى ابراهيم عليه السلام	٦٨	بيان ان الشخص لا ينبغى له ان يعطى ما فى يديه من المال لاهله ثم يقعد ناظرا الما أعطاهم
٢٤	بيان كون ابراهيم عليه السلام للمسلمين اختصاص باتباعه		

صحيفة	
٧٠	بيان ان الانسان الوصى يلزمه ان يحب لمن تحت رعايته مايحبه لنفسه
٧٢	بيان معنى الكلالة
٧٤	بيان ان التوبة تقبل قبل الموت
٧٧	بيان محرمات النكاح وان الربيبة لاتحرم الابالدخول بامها
٧٩	بيان عدم جواز نكاح الامة الا بشروط وبيانها
٨١	بيان ان ثمان آيات فى النساء هن خير هذه الامة مما طلعت عليه الشمس
٨٢	بيان الكبائر والاختلاف فيها
٨٤	بيان الميراث بالمحالفة ونسخه
٨٥	بيان الحكم الذى يكون من أهل الرجل والمرأة فى الشقاق ووظيفته
٨٦	بيان ان الاسراف مذموم كالبخل
٨٧	بيان ان الانسان اذا دعى لأمر لاضرر فيه ينبغى له الاجابة
٩٢	بيان الاحتجاج على المعتزلة والخوارج فى منعهم جواز غفران الذنوب
٩٣	بيان ان البخل والحسد شر الرذائل وان بينهما تلازما وتجاذبا
٩٥	بيان ان الناس مأمورون بطاعة الامراء اذا حكموا بالعدل
٩٨	بيان ان المرضى عليهم من الناس أربعة وبيان ماتميز به كل فريق
١٠٢	بيان ان كل ما أصاب من بلية فمن ذنب
١٠٣	بيان معنى سلامة القرآن من الاختلاف
١٠٥	بيان المواضع التى لا يستحسن فيها السلام
١٠٨	بيان القتل الخطأ وديته
١١٠	بيان الدليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر
١١٢	بيان قصر الصلاة ولو فى سفر فيه أمن
١١٣	بيان صلاة الخوف

صحيفة	
١١٦	بيان حكم من فعل العبادة لغرض شرعى ودنيوى
١١٩	بيان الخلة وكيف اتخذ الله ابراهيم خليلا
١٢٠	بيان ما كانت العرب تفعله مع النساء وصغار الولدان من أكل حقوقهن
١٢٢	بيان مايجب على الشاهد من اقامة الحق
١٢٥	بيان السبب فى تغليظ عذاب المنافق وبيان النفاق الموجب للكفر
١٢٧	بيان مافعلته اليهود مع المسيح وكيف رفعه الله
١٢٨	بيان نزول المسيح آخر الدنيا وايمان كل العالم به
١٢٩	بيان ان بعثة الأنبياء من ضروريات مصالح الخلق
١٣٠	بيان ان النظريات ضروريات للملائكة
١٣٢	تفسير سورة المائدة
١٣٥	بيان ما كانت تفعله الجاهلية من الاستقسام بالازلام
١٣٦	بيان الطيبات التى أحل أكلها
١٣٨	بيان ان المائدة من آخر القرآن نزولا وانه لانسخ فيها
١٤٠	بيان ان العدل ولو مع الكفار مقتضى التقوى وان الجور مقتضى الهوى
١٤٢	بيان ماذهب اليه بعض فرق النصارى من قولهم المسيح هو الله
١٤٣	بيان المدة والأنبياء بين موسى وعيسى وبين عيسى ومحمد عليهم السلام
١٤٥	بيان أن موسى عليه السلام مات بالتيه أو بعده
١٤٨	فى بيان حدود قطاع الطريق من المسلمين
١٥٠	فى بيان تحريف اليهود
١٥١	فى بيان كفر من لم يحكم بما أنزل الله

صحيفة		صحيفة	
١٥٤	فى بيان النهى عن موالاة الكفار	١٩٤	بيان الخلاف فى أبى سيدنا ابراهيم
١٥٥	بيان الفرق التى ارتدت من العرب فى أواخر حياة رسول الله	٢٠٠	بيان مايعتقده المشركون فى الجن من الشركة
١٦٠	بيان ان من الاسرار الالهية ماجرم افشاؤه	٢٠٥	بيان الامر بالتسمية عند الذبح
١٧٦	بيان المائدة التى نزلت من السماء وكلام بعض الصوفية فيها	٢٠٩	بيان ما كانت تفعله الجاهلية من القسمة لشركائهم فى الزرع والانعام
١٧٨	تفسير سورة الانعام	٢١٢	بيان ماحرم على بنى اسرائيل من الشحوم وغيرها
١٨٨	بيان من طلبت قريش ابعادهم عن النبى ايجالسوه ونهى الله له عن ذلك	٢١٦	بيان التفرق فى الدين وانه سنة قديمة

تمت

الجزء الثالث

من التفسير المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل تأليف امام
المحققين وقدوة المدققين القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله
ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي وهو نسبة
الى قرية يقال لها البيضاء من أعمال شيراز
توفي سنة احدى وتسعين وسبعمائة
رحمه الله وأسكنه من
الفردوس أعلاه
آمين

﴿ وبهامشه حاشية العلامة الفاضل أبي الفضل القرشي الصديقي
الخطيب المشهور بالكازروني رحمه الله آمين ﴾

﴿ قد قرر المجلس الاعلى بالازهر تدريس هذا الجزء ﴾
﴿ لطلبة السنة الثامنة ﴾

322

(طبع بمطبعة)
دار الكتب العربية الكبرى
﴿ على نفقة أصحابها ﴾
﴿ مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكري وعيسى ﴾
﴿ بمصر ﴾

(قوله شك فان الشاك حرج الصدر) يدل على ان الحرج ليس بالمعنى الحقيقي الذي هو الضيق بل مجاز في الشك المستلزم له (قوله أو ضيق قلب من تبليغه) يريد انه اذا قدر مضاف يصح ان يراد المعنى الحقيقي وانما كان كذلك لانه لم يصح ان يحصل من نفس الكتاب الحرج حتى ينهى عنه بقوله فلا يكن في صدرك حرج اما اذا قدر المضاف المذكور وهو التبليغ فيصح ان يحمل على معناه الحقيقي اذ التبليغ يصدر منه الحرج وضيق الصدر لما ذكر (قوله وتوجيه النهي اليه للمبالغة الخ) يعني كان الظاهر ان يقال فلا يحرج صدرك بدل فلا يكن في صدرك حرج (٢) فتوجيه النهي الى الحرج يوجب المبالغة لانه استدلال فانه اذا نفى الحرج من الشيء تحقق عدمه في الخارج فلا يكون في الصدر الحرج (قوله والفاء يحتمل العطف والجواب) ان قيل يلزم من العطف عطفه الانشاء على الاخبار قلنا يمكن ان يقال النهي ههنا بمعنى النفي والمعنى فلا يكون في صدرك حرج وعلى هذا لا يلزم ما ذكر واما اذا كان على الاصل فيكون معطوفا على محذوف والتقدير أنبئ واستقر في أخذ القرآن فلا يكن في صدرك حرج منه (قوله اذا أنزل اليك لتنذر الخ) توضيح الكلام انه اذا كان الفاء للجواب يجب تعليق لتنذر بما أنزل اليك فان كان لتنذر المذكور في القرآن متعلقا بأنزل فذلك والا يجب ان يقدر لتنذر حتى يكون المعنى اذا أنزل اليك لتنذر فلا يكون في صدرك حرج منه لتنذر (قوله يعم القرآن والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى الخ) هذا اذا كان الضمير راجعا الى ما ينطق اما اذا كان راجعا الى القرآن فلا يلزم ما ذكر (قوله أي تذكرا قليلا أو زمانا قليلا) الظاهر ان المراد من تأكيد القلة نفي التذكر لان عدم التذكير يناسب الكفرة لا التذكر القليل (قوله وان جعلت مصدرية لم ينصب قليلا يتذكرون) لان معمول ما ادخل عليه ما المصدرية لا يتقدم عليها وفي كلامه اشعار بانه يجوز ان تكون ما مصدرية ويكون معمولا لفعل محذوف لكن العلامة الطيبي نقل عن أبي البقاء انه لا يجوز ان تكون ما مصدرية ذلا يبقى لقليلا ناصب (قوله على ان الخطاب مع النبي بعد) لان قراءته بالياء ثم التاء فيكون المخاطب بهذا الكلام النبي صلى الله عليه وسلم فيلزم تقدير قل على قوله اتبعوا حتى يكون الخطاب من أول الكلام الى ههنا مع النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات من قوله واسئلهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكمة كلها وقيل الا قوله وأعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس أوست آيات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(المص) سبق الكلام في مثله (كتاب) خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب أو خبر المص والمراد به السورة أو القرآن (أنزل اليك) صفته (فلا يكن في صدرك حرج منه) أي شك فان الشاك حرج الصدر أو ضيق قلب من تبليغه مخافة أن تكذب فيه أو تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا أرينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب فكأنه قيل اذا أنزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك (لتنذر به) متعلق بانزل أو بلا يكن لانه اذا أيقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم أو علم أنه موفق للقيام بتبليغه (وذكرى للمؤمنين) يحتمل النصب باضمار فعلها أي لتنذر به وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر والرفع عطفا على كتاب أو خبر المحذوف (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) يعم القرآن والسنة لقوله سبحانه وتعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى (ولا تتبعوا من دونه أولياء) يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما أنزل أي ولا تتبعوا من دون دين الله دين أولياء وقرئ ولا تبتغوا (قليلا ما تذكرون) أي تذكرا قليلا أو زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على أن الخطاب بعد مع النبي

ولك ان تقول يمكن ان يكون قراءة ابن عامر بطريق الالتفات (قوله أردنا اهلاكها الخ) انما وجهها الموجهون لما سيجيء من بعد من قوله تعالى فجاءها بأسنا بياتا لان مجيء البأس مقدم على الاهلاك ولو كان أهلكناها بالمعنى الحقيقي لوهم عكس ماذكر (قوله لالاكتفاء بالضمير وحده فانه غير فصيح) فان قيل قد وقع في القرآن العزيز مثل قوله تعالى وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو قلنا وقوعه بدون الواو بسبب صحة جعله في تأويل المفرد فان بعضكم لبعض (٣) عدو في تأويل متعادين بخلاف ماتحن فيه

النبي صلى الله عليه وسلم (وكم من قرية) وكثيرا من القرى (أهلكناها) أردنا اهلاك أهلها أو أهلكناها بالخذلان (فجاءها) فجاء أهلها (بأسنا) عذابنا (بياتا) بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال (أوهم قائلون) عطف عليه أي قائلين نصف النهار كقوم شعيب واعما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا كتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وأمنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما أفظع (فما كان دعواهم) أي دعاؤهم واستغاثتهم أوما كانوا يدعونه من دينهم (اذجاءه بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين) الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه و بطلانه تحسرا عليهم (فلنسألن الذين أرسل اليهم) عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل (ولنسألن المرسلين) عما أجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام أوالاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة (فلنقصن عليهم) على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك أنت علام الغيوب أوعلى الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه (بعلم) عالمين بظواهرهم و بواطنهم أو بما علموا منهم (وما كنا غائبين) عنهم فيخفى علينا شئ من أحوالهم (والوزن) أي القضاء أووزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على أن صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسأل هم عن أعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم و يؤيده ما روي أن الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمة الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات ونقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال انه ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة (يومئذ) خبر المبتدأ الذي هو الوزن (الحق) صفته أوخبر محذوف ومعناه العدل السوي (فمن ثقلت موازينه) حسناته أوما يوزن به حسناته فهو جمع موزون أوميزان وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والثواب (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ماعرضها للعذاب (بما كانوا بآياتنا يظلمون) فيكذبون بدل التصديق (ولقد مكناكم في الارض) أي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) أسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع أنه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف (قليلا ماتشكرون) فيما صنعت اليكم (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) أي خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره

وذكر بعض المحققين ان الضمير اذا كان في صدر الجملة كما هو المثال يحسن ترك الواو (قوله وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم) اما الاول فبالتعبير عن الباتين بالبيات الذي هو المصدر ففيه مبالغة كما في زيد عدل واما الثاني فلتقوي الاسناد بتكرره (قوله الى دعائهم واستغاثتهم الخ) أي يصح ان تكون الدعوى بمعنى الدعاء فيكون مصدرا حقيقة وان تكون بمعنى مايدعى به فتكون بمعنى المفعول (قوله أوما كانوا يدعونه من دينهم) فالمعنى ما كان فائدة دينهم واعتناقه الا هذا القول المخصوص وهو الاعتراف بالظلم (قوله تعالى فما كان دعواهم الآية) لم يتعرض لاعراب هذه الجملة وذكر صاحب الكشاف ان دعواهم خبر لكان جعلا على ما هو الراجح في نظائره كما قال تعالى فما كان جواب

قومه الا ان قالوا وما كان حجتهم الا ان قالوا (قوله و يؤيده ما روي ان الرجل الحديث) فان قلت ما في الحديث وهو انه طاشت السجلات و تغلب البطاقة يدل على فلاح كل مؤمن فلزم ان لا يعذب أحد منهم أصلا وهو خلاف النصوص قلنا يمكن ان يكون المراد من الفلاح عدم خلود العذاب بقرينة مقابلته في سورة المؤمنين وهو قوله تعالى ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ويمكن ان يقال لا يلزم من غلبة البطاقة على السجلات غلبتها على كل معصية لكل مؤمن بل يحتمل ان تكون السجلات سجلات لبعض المعاصي (قوله صفته أوخبر محذوف) لم يقل بكونه خبرا العلامة التفتازاني لما انه ليس المعنى على ان

ألوزن فى ذلك اليوم هو الحق وغيره الباطل بل على ان الوزن العدل فى الاعمال يكون فى ذلك اليوم لا فى أيام الدنيا ثم انه يفهم مما ذكر جواز الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبى (قوله أو ابتدأنا خلقكم) أى خلق جمعكم ويمكن ايراد معنى آخر وهو ان يكون المراد خلقنا مادتكم ثم صورناه فيفيد ان مادة كل واحد مقدمة على صورته وعلى هذا يكون ثم فى قوله تعالى ثم قلنا التأخير الاخبار (قوله تعالى لم يكن من الساجدين) ان قيل قد علم من قوله تعالى الا ابليس انه لم يسجد لآدم فما فائدة لم يكن من الساجدين قلت المعلوم من قوله تعالى الا ابليس انه لم يسجد عقيب الأمر واما عدم سجوده له مطلقا فغير معلوم منه بل يمكن ان يتوهم انه يسجد فى غير ذلك الحين واما اذا قيل انه لم يكن من الساجدين اندفع ذلك التوهم فيكون تكميلا (قوله وقيل الممنوع من الشئ مضطر الى خلافه) فيكون منعك بمعنى اضطرك بالعلامة المذكورة (قوله جواب من حيث المعنى) أى الجواب الصريح المانع كونى خيرا منه (قوله وقال بالحسن والقبح العقليين) يفهم منه ان القول بالحسن والقبح العقليين اللذين قال بهما ابليس مردود لانه ذكره فى معرض الذم لكنهما بهذين المعنيين اللذين (٤) ذكرهما ليسا مردودين فان معنى الحسن على ما ذكره هو حكم العقل بكونه شيأ يستحسنه الطبع لا بمعنى ترتب الثواب عليه فى الآخرة والقبح ما يكرهه الطبع لا بمعنى ترتب العقاب وهما بهذين المعنيين مما أثبته الكل وليس بمردود نعم اثباتهما بمعنى ترتب الثواب والعقاب مردود ولا يلزم من كلامه ذلك (قوله كما أشار اليه بقوله مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى) فيكون المراد من اليدين القدرة الكاملة الواصلة الى الغاية لان ما حصل من اليدين معا يكون أقوى مما حصل من يد واحدة فلهذا استعمل لفظ المثنى وقد قالوا فى توجيه الأمر معان آخر والله أعلم (قوله وباعتبار الصورة كما نبه عليه الخ) فان الصورة هى الجزء الذى حصل به الشخص بالفعل والروح كذلك والتنبيه الذى يفهم منه هو اضافة الروح الى ذاته تعالى فهذه الاضافة تشريفية تدل على شرف الانسان بحسب الصورة (قوله والآية دليل الكون والفساد) فيه ان الكون وجود عنصر بعد ما لم يكن والفساد عدمه بعد وجوده والكلام المذكور دل على وجود الانسان والشيطان بعد ما لم يكن فهو دليل الكون واما الفساد فغير معلوم منه فان قيل خلقهما من الطين والنار دليل على ذهاب صورة الطين والنار قلنا ممنوع لم لا يجوز ان يكونا باقيين على صورتيهما مع زوال خواصهما ولذا قال محققو الفلاسفة ان العناصر الأربعة تتحقق بصورها فى بدن الانسان وتبقى مع الصورة الانسانية وبدل عليه قوله باعتبار الجزء الغالب فان كون الطين جزء الانسان وكون النار جزء الشيطان دليل بقائهما الآن بقل جزئيتهما باعتباران مادتهما تخلع الصورة الطينية والنارية وتلبس صورتين أخريين (قوله لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الأولى) ذكر فى سورة الحجرات يوم الوقت المعلوم هو النفخة الأولى عند الجمهور ولم يذكر دليلا عليه ولعل دليله

أو ابتدأنا خلقكم ثم صوركم بان خلقنا آدم ثم صورناه (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وقيل ثم لتأخير الاخبار (فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين) ممن سجد لآدم (قال ما منعك ألا تسجد) أى أن تسجد ولا صلة مثلها فى لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة على أن الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشئ مضطر الى خلافه فكأنه قيل ما اضطرك الى ألا تسجد (اذ أمرتك) دليل على أن مطلق الامر للوجوب والفور (قال أنا خير منه) جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لأن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه قال المانع أنى خير منه ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول فكيف يحسن أن يؤمر به فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين أولا (خلقتنى من نار وخلقته من طين) تعليل لفضله عليه وقد غلط فى ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما أشار اليه بقوله تعالى مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى أى بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك أمر الملائكة بسجوده لما بين لهم أنه أعلم منهم وأن له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وأن الشياطين أجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب (قال فاهبط منها) من السماء أو الجنة (فما يكون لك) فما يصح (أن تتكبر فيها) وتعصى فانها مكان الخاشع والمطيع وفيه تنبيه على أن التكبر لا يليق باهل الجنة وأنه سبحانه وتعالى انما طرده وأهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه (فاخرج انك من الصاغرين) ممن أهانه الله لتكبره قال عليه الصلاة والسلام من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله (قال أنظرنى الى يوم يبعثون) أمهلنى الى يوم القيامة فلا تمتنى أو لا تعجل عقوبتى (قال انك من المنظرين) يقتضى الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله تعالى الى يوم

ان الملعون سأل انظاره الى يوم يبعثون فاجيب بانك تنظر الى يوم الوقت المعلوم فهذا يدل على تغايرهما اذلو كان المراد هو البعث لكان الظاهر ان يقال انك من المنظرين اليه (قوله تسمية أو حملا على النفي) فعنى قوله فبما أغويتني على الأول بتسميتك اياي غاويا وعلى الثاني معناه بحملك اياي على الغي وجعلك اياي غاويا (قوله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف) والمعنى اقسم بالله لأجتهدن بسبب اغوائك اياي فالمراد بفعل القسم هو أقسم فيكون علة القسم اغواء الله تعالى اياه (قوله فان اللام تصد عنه) لان للام القسم الصدارة (قوله كما عسل الطريق الثعلب) عسلان الثعلب عدوه واسراعه والتقدير (٥) كما عسل الثعلب الطريق أي فيه ولم يجعله من

يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى أو وقت يعلم الله انتهاء أجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته (قال فبما أغويتني) أي بعد أن أمهلتني لاجتهدن في اغوائهم بأي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية أو حملا على الغي أو تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لابافعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم (لاقعدن لهم) ترصدا لهم كما يقعد القطاع للسابلة (صراطك المستقيم) طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله

لدن بهز الكف يعسل متنه * فيه كما عسل الطريق الثعلب

وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) أي من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من أي وجه يمكنه ولما تيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش الناس وعن ابن عباس رضي الله عنهما من بين أيديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن أيمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيآتهم ويحتمل أن يقال من بين أيديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن أيمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم أن يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الأخيرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه (ولا تجد أكثرهم شاكرين) مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة (قال اخرج منها مذؤما) مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كسول في مسؤل أو كمكول في مكيل من ذامه يذيمه بمعنى ذيما (مدحورا) مطرودا (لمن تبعك منهم) اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه (لأملأن جهنم منكم أجمعين) وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على أنه خبر لأملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد أو علة لاخرج ولأملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب (ويا آدم) أي وقلنا يا آدم (اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة) وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء (فتكونا من الظالمين) فتصيرا من الذين ظلموا أنفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب (فوسوس لهما الشيطان) أي فعل الوسوسة لاجلهما

وأمهاتهم ما يستحقون العقاب به وقس على هذا (قوله فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم) أي ليس في مرتبة من جاء من بين أيديهم ومن خلفهم في التوجه اليهم لان من توجه الى أحد فاما ان يريد عامله بتوجهه اليه فيجيء اليه من بين يديه والا فيجيء من خلفه وقال صاحب الكشاف وتبعه غيره ان المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت التعدية في ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس هذا كلامه وهو خال عن التكلف وقال بعض المفسرين خص اليمين والشمال بكلمة عن لما تفيد البعد وعلى جهتي اليمين والشمال مكان لقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد والشيطان لا يبرح يتباعد عن الملك هذا كلامه فتأمل (قوله لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) في كثير من النسخ لقوله باللام ويرد انه لا يلزم من هذا الكلام ما ادعاه من ان قول

وهى فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق فى سورة البقرة كيفية وسوسته (ليبدى لهما) ليظهر لهما واللام للعاقبة أو للغرض على أنه أراد أيضا بوسوسته أن يسوأهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوأة وفيه دليل على أن كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع (ما ورى عنهما من سوآتهما) ماغطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة فى المشهور كما قلبت فى أو يصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سواتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وسوآتهما بقلبهما واوا وادغام الواو الساكنة فيها (وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا) الا كراهة أن تكونا (ملكين أو تكونا من الخالدين) الذين لا يموتون أو يخلدون فى الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وجوابه أنه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبته فى أن يحصل لهما أيضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا (وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين) أى أقسم لهما على ذلك وأخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل أقسم لهما عليه بالله لمن الناصحين فأقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة (فدلاهما) فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على أنه أهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشئ من أعلى الى أسفل (بغرور) بما غرهما به من القسم فانهما ظنا أن أحدا لا يحلف بالله كاذبا أو لما تبين بغرور (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما) أى فلما وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها أخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فنهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف فى أن الشجرة كانت السنبلة أو الكرم أو غيرهما وأن اللباس كان نورا أو حلة أو ظفرا (وطفقا يخصفان) أخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة (عليهما من ورق الجنة) قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من أخصف أى يخصفان أنفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان وأصله يختصفان (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على أن مطلق النهى للتحريم (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) أضرر ناها بالمعصية والتعرض للاخراج من الجنة (وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) دليل على أن الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا تجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين فى استعظام الصغير من السيآت واستحقارا لعظيم من الحسنات (قال اهبطوا) الخطاب لآدم وحوآء وذريتهما أو لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم أنهم قرناء بدأ وأخبر عما قال لهم متفرقا (بعضكم لبعض عدو) فى موضع الحال أى متعادين (ولكم فى الارض مستقر) استقرار أى موضع استقرار (ومتاع) وتمتع (الى حين) الى تقضى آجالكم (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) للجزاء وقرأ حمزة والكسائى وابن ذكوان ومنها تخرجون وفى الزخرف كذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا) أى خلقنا لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة وظيره قوله تعالى وأنزل لكم من الانعام وقوله تعالى وأنزلنا الحديد (يوارى سوآتكم) التى قصد الشيطان ابداءها وبغيكم عن خصف الورق روى أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا

لما رأى الخ (قوله وفيه دليل على ان كشف العورة الخ) انما استفيد ذلك من قوله تعالى لهما اذ يعلم منه ان كشف عورة كل منهما لنفسه قبيح وكذا لزوجه (قوله وقرئ سواتهما الخ) فى هذه العبارة اختلال اذ لا يخلو اما ان تكون سواتهما فى قوله وقرئ سواتهما بتخفيف الواو أو بتشديدها وعلى الأول لا يصح قوله وبقلبها واوا الخ وعلى الثانى لا يصح قراءة لاول وحق العبارة ان يقال وقرئ سواتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها وقرى سواتهما بقلبها واوا الخ (قوله جوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب) أى من المعلوم ان آدم لا يصير ملكا حتى يستدل بتمنى صيرورته ملكا على أشرفية الملك (قوله وقيل أقسماله) أى يمكن ان يجعل قاسم بالمعنى الذى هو القسم من الجانبين فيكون قسم ابليس ماذكر صريحا وهو قسمه بانه من الناصحين وقسمهما ضمنى بان كانا يقسمان بما ذكر من القبول (قوله وفيه دليل على أن مطلق النهى للتحريم) الحرمة على ما فسروها به هو الفعل الذى يستحق به الفاعل العذاب الاخروى وليس فيما ذكر ما يدل على ذلك (قوله أى خلقنا لكم بتدبيرات سماوية) فالتدبير السماوى يناسب الانزال

(قوله ولباس التقوى المشار اليه) توجيه كونه مشارا اليه بان يقال ان لباس التقوى داخل فى الريش الذى هو لباس الجمال فيجعل الجمال شاملا للتقوى وانما قال ولباس التقوى المشار اليه لدفع سؤال هو أن ذلك اسم اشارة وهو أعرف من المضاف الى المعرف باللام والجواب أنه جعله صفة بتأويل المشار اليه فكأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه فيكون الموصوف والصفة متساويين فى رتبة التعريف (قوله والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية) أى مضمون هذه (٧) الآية مقصود من قصة أمر الملائكة بالسجود

الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم مقدمة لذلك حتى يعلم أن انكشاف العورة أول سوء أصاب الانسان من الشيطان وانه أغواهم فى ذلك كما أغوى أبويهم (وريشا) ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه ترييش الرجل اذا تموّل وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب (ولباس التقوى) خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره (ذلك خير) أوخبر وذلك صفته كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائى ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا (ذلك) أى انزال اللباس (من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته (لعلهم يذكرون) فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون عن القبائح (يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان) لا يمحننكم بأن يمنعكم دخول الجنة باغوائكم (كما أخرج أبويكم من الجنة) كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها والنهى فى اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما) حال من أبويكم أو من فاعل أخرج واسناد النزع اليه للتسبب (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) تعليل للنهى وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم فى الجملة لا تقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) بما وجدنا بينهم من التناسب أو بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وجلهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية (واذا فعلوا فاحشة) فعلة متناهية فى القبح كعبادة الصنم وكشف العورة فى الطواف (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) اعتذروا واحتجوا بأمرين بتقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه وتعالى فأعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثانى بقوله (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) لان عادته سبحانه وتعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على أن قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلى فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلتم فما علمكم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن أين أخذ آباؤكم ففالوا الله أمرنا بها وعلى الوجهين يمتنع التقليد اذ قام الدليل على خلافه لا مطلقا (أتقولون على الله ما لا تعلمون) انكار يتضمن النهى عن الافتراء على الله تعالى (قل أمر ربى بالقسط) بالعدل وهو الوسط من كل أمر المتجافى عن طرفى الافراط والتفريط (وأقيموا وجوهكم) وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها أو أقيموها نحو القبلة (عند كل مسجد) فى كل وقت سجود أو مكانه وهو الصلاة أو فى أى مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة فان

واباه ابليس عن السجود وباقى ماذكر (قوله لظهور فساده) لان مجرد تقليد الغير بلا سبب معتبر عند العقل مذموم ظاهرا لفساده عند العقلاء (قوله ولا دلالة فيه على أن قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلى فان المراد بالفحشاء ما يترتب عليه العقاب آجلا كان فيه الدلالة بوجهه أنه اذا أريد بها أى بالفحشاء ما يترتب عليه العقاب آجلا لزم أن يكون القبح بحسب العقل لا بحسب الشرع اذ لو كان الفحشاء ما يترتب عليه العقاب آجلا بحسب الشرع وهو فى قوة ما نهى عنه الشرع للزم خلو المذكور وهو قوله ان الله لا يأمر بالفحشاء عن الفائدة اذ يؤل الى أن يكون المعنى ان الله لا يأمر بما نهى عنه مطلقا (قوله اذ قام الدليل على خلافه لا مطلقا) لان الكلام انما يفيد أن التقليد فى فعل الفحشاء مذموم فيلزم ما ذكر من أن التقليد فيما ثبت الدليل على خلافه مذموم ولا يلزم ذم التقليد مطلقا من الكلام المذكور (قوله تعالى وأقيموا) ليس معطوفا على قل انما المناسب أن يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم بان يقال لهم أقيموا بل يكون معطوفا على أمر ربى وان لزم عطف الانشاء على الاخبار لان مثله يجوز اذا كان تحت القول كما قال صاحب الكشاف انه يجوز قال زيد نودى للصلاة وصل فى المسجد (قوله انكار يتضمن النهى عن الافتراء على الله) أى انكار لما قالوا من أن الله أمرنا بها على وجه يتضمن النهى عن الافتراء على الله مطلقا

(قوله يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء فى استحقاق الذم) أى الكافر الذى أخطأ بالاجتهاد والكافر الذى علم وعاند متساويان فى استحقاق الذم والدخول فى خلود العذاب لان ماذكروه اتخاذ الشياطين أولياء وحسبان الهداية مشتركان بين الفريقين فان قيل كيف يكون للمعاند العارف بحقيقة الاسلام حسبان كونه على الاهتداء قلنا يحتمل أن يكون حسبانه على الاهتداء فى بعض الامور كما قال بعض محققى المفسرين يحسبون (٨) أنهم مهتدون معناه يحسبون أنهم يتوصلون بالشياطين الى الله ولا يعلمون أن ذلك لا يأتى أعداء الله أصلا ومع ما حسبوا أنهم مهتدون فيه مبالغة الشيطان تركيم الغرين والتلذذ مع العبادة فطاوعوا عراة وتركوا اللحم والدسم مع الاحرام انتهى وينبغى حمل الكلام على المعنى الذى ذكرناه حتى تكون الضمائر بأسرها راجعة الى مطلق الكفار كما هو ظاهر العبارة وأما القول بان ضمير انهم اتخذوا الشياطين راجع الى مطلق الكفار وضمير يحسبون راجع الى بعضهم فلا يخفى ما فيه (قوله وللفارق أن يحمله على المقصر فى النظر) أى لمن فرق بين الكافر المخطئ والمعاند فى استحقاق الذم أن ينشبث بان المراد بالضمير المذكور فى انهم اتخذوا الكافر المقصر فى النظر وهم الذين حق عليهم الضلالة وأما الذين اجتهدوا وبذلوا الوسع فمعذورون كما هو مذهب البعض (قوله وتنبيه على تحريم اتباع) هذا فائدة قوله مالم ينزل به سلطانا (قوله ولا يتقدمون أفصر وقت) ههنا اشكال لم يلتفت اليه المصنف اذ لقائل أن يقول اذا جاء وقت الهلاك لا معنى لتقدمهم على ذلك وأجيب عنه باجوبة أحدها أن لا يستقدمون كلام مستأنف ليس معطوفا على لا يستأخرون الثانى أن المراد بلا يستقدمون أنه لا يتجاوز أجلهم عن وقته المعين حتى لو أرادوا أن يكون مقدما عليه لم يتيسر ففيه تأكيد لعدم التأخر

اليه مصيركم (كما بدأكم) كما أنشأكم ابتداء (تعودون) باعادته فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة وأماشبهه الاعادة بالابداء نقرير الامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم (فريقا هدى) بأن وفقهم للايمان (وفريقا حق عليهم الضلالة) بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده أى وخذل فريقا (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) تعليل لخذلانهم أو تحقيق لضلالهم (ويحسبون أنهم مهتدون) يدل على أن الكافر المخطئ والمعاند سواء فى استحقاق الذم وللفارق أن يحمله على المقصر فى النظر (يابنى آدم خذوا زينتكم) ثيابكم اواراة عورتكم (عند كل مسجد) لطواف أوصلاة ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة فيه دليل على وجوب ستر العورة فى الصلاة (وكلوا واشربوا) ماطاب لكم روى أن بنى عامر فى أيام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت (ولا تسرفوا) بتحريم الحلال أو بالتعدى الى الحرام أو بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ماشئت والبس ماشئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد جمع الله الطب فى نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا (انه لا يحب المسرفين) أى لا يرتضى فعلهم (قل من حرم زينة الله) من الثياب وسائر ما يتجمل به (التى أخرج لعباده) من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع (والطيبات من الرزق) المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على أن الاصل فى المطاعم والملابس وأنواع التجملات الاباحة لان الاستفهام فى من للانكار (قل هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا) بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع (خالصة يوم القيامة) لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على أنها خبر بعد خبر (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) أى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم (قل انما حرم ربى الفواحش) ما تزايد قبحه وقيل ما يتعاى بالفروج (ماظهر منها وما بطن) جهرها وسرها (والاثم) وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر (والبغى) الظلم أو الكبر فرده بالذكر للمبالغة (بغير الحق) متعلق بالبغى مؤكد له معنى (وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع مالم يدل عليه برهان (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) بالالحاد فى صفاته سبحانه وتعالى والافتراء عليه كقولهم الله أمرنا بها (ولكل أمة أجل) مدة أووقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة (فاذا جاء أجلهم) انقرضت مدتهم أوحان وقتهم (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) أى لا يتأخرون ولا يتقدمون أقصر وقت أولا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول (يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى) شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على أن اتيان الرسل أمر جائز غير واجب كما نظنه أهل التعليم وضمت

(قوله وادخال الفاء فى الخبر الاول دون الثانى الخ) هذا لايلائم هذا الكلام فان كلا من الوعد والوعيد المذكورين يترتب على ما تقدم عليه فان وعيد الكافر متحقق البتة كما أن وعد المؤمن متحقق أيضا ويمكن أن يقال ان ايراد الفاء مشعر بان ماقبلها سبب لما بعدها والظاهر من حال المسبب أن يلزم السبب ففيه ايماء الى أن عدم الخوف (٩) لازم الايمان والعمل الصالح وليس فى

الآية الاخرى اشعار بلزوم الوعيد ففيها ايماء الى افرق بين الوعد والوعيد وأن يقال أيضا ان لفظة من شرطية ههنا فتدخل الفاء على جوابه وأما الذين كذبوا بآياتنا فليس بكلمة الشرط بل متضمن معناه فادخال الفاء على الاول دون الثانى لهذا التفاوت (قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها) فان قيل يلزم التسلسل اذ يلزم أن يكون كل أمة تقدمت عليها طائفة أخرى على ما فسرها المصنف والجواب أن المراد كلما دخلت أمة مقتدية بالغير لعنت أختها التى ضلت بالاقتداء بها فلا يلزم التسلسل اذ يمكن أن يكون أمة دخلت فى النار ولا تكون مقتدية بالغير بل هى ابتدعته بطريق الاستقلال من غير الاقتداء بالغير (قوله وأما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم) فان قلت ماوجه كون التقليد المذكور موجبا مستقلا بمرتبة من العذاب غير ما يوجبه الكفر قلنا لما كان مجرد التقليد لايصلح أن يكون سببا للاتباع فهم مقصورون فيلزم تعذيبهم وأيضا التقليد مما يقدر المتبوعين على الضلال والاضلال فاذا صار سببا للعذاب (قوله وقرأ عاصم بالياء على الانفصال) أى على انفصال القادة من الاتباع بخلاف قراءة التاء فانها شاملة للفريقين بتغليب المخاطبين الذين هم الاتباع على الغيب الذين هم القادة اذ على قراءة عاصم لايمكن القول بالتغليب اذ لايغلب الغائب على المخاطب (قوله عطفوا كلامهم على كلام الله)

(٢ - (بيضاوى) - ثالث)

الها مالتأكيد معنى الشرط ولذلك أكد فعلها بالنون وجوابه (فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) والمعنى فمن اتقى التكذيب وأصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء فى الخبر الاول دون الثانى للمبالغة فى الوعد والمسامحة فى الوعيد (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أوكذب بآياته) ممن تقول على الله مالم يقله أو كذب ماقاله (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح المحفوظ أى مما أثبت لهم فيه (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) أى يتوفون أرواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهى التى يبتدأ بعدها الكلام (قالوا) جواب اذا (أينما كنتم تدعون من دون الله) أى أين الآلهة التى كنتم تعبدونها وماوصلت باين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة (قالوا ضلوا عنا) غابوا عنا (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه (قال ادخلوا) أى قال الله تعالى لهم يوم القيامة أو أحد من الملائكة (فى أمم قد خلت من قبلكم) أى كائنين فى جملة أمم مصاحبين لهم يوم القيامة (من الجن والانس) يعنى كفار الامم الماضية من النوعين (فى النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت أمة) أى فى النار (لعنت أختها) التى ضلت بالاقتداء بها (حتى اذا ادارکوا فيها جميعا) أى تدارکوا وتلاحقوا واجتمعوا فى النار (قالت أخراهم) دخولا أومنزلة وهم الاتباع (لاولاهم) أى لاجل أولاهم اذ الخطاب مع الله لامعهم (ربنا هؤلاء أضلونا) سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم (فآتهم عذابا ضعفا من النار) مضاعفا لانهم ضلوا وأضلوا (قال لكل ضعف) أما القادة فبكفرهم وتضليلهم وأما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم (ولكن لاتعلمون) مالكم أوما لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال (وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل) عطفوا كلامهم على جواب الله سبحانه وتعالى لاخراهم وربتبوه عليه أى فقد ثبت أن لافضل لكم علينا وانا وايا كم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) من قول القادة أو من قول الفريقين (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها) أى عن الايمان بها (لاتفتح لهم أبواب السماء) لأدعيتهم وأعمالهم أولا رواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وأرواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ أبو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التأنيث غير حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على أن الفعل للآيات وبالياء على أن الفعل لله (ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) أى حتى يدخل ماهو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا مايتوقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفى سم الخيط وهو واخياط مايخاط به كالخزام والمخزم (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى المجرمين) هم من جهنم

كلامهم هو فما كان لكم علينا من فضل (قوله للبدل عن الاعلال عند سيبويه) أى العوض عن اللام المحذوفة كما فصل فى كتب النحو (قوله وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة الخ) أى تنبيها على أن الظلم أعظم الاجرام يعنى ذكر الخاص الذى هو الظلم بعد ذكر الجرم الذى هو العام وذكر معه التعذيب بالنار الذى هو أشد من الحرمان من الجنة تنبيها على ماذكر (قوله أرجو أن أكون أنا وعثمان الخ) يدل على أن فى صدر كل منهم غلا من الآخرين ثم نزع ولعل هذا من مقتضى الطباع البشرية ثم نزع بتوفيق الله تعالى وعصمته والاولى أن يقال المراد من التطهير عدم اتصافهم به من أول الامر رضى الله عنهم وانما خص كرم الله وجهه الاصحاب

مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) أغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف (وكذلك نجزى الظالمين) عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين أخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على أنه أعظم الاجرام (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) على عادته سبحانه وتعالى فى أن يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا وخبره للترغيب فى اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) أى نخرج من قلوبهم أسباب الغل أو نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التوادد وعن على كرم الله وجهه انى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (تجرى من تحتهم الانهار) زيادة فى لذتهم وسرورهم (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) لما جزاؤه هذا (وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفى وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا فى الدنيا صار لهم عين اليقين فى الآخرة (ونودوا أن تلكم الجنة) اذا رأوها من بعيد أو بعد دخولها والمنادى له بالذات (أورثتموها بما كنتم تعملون) أى أعطيتموها بسبب أعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة أو خبر والجنة صفة تلكم وأن فى المواقع الخمسة هى المخففة أو المفسرة لان المناداة والتأذين من القول (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا) انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة (قالوا نعم) وقرأ الكسائى بكسر العين وهما لغتان (فاذن مؤذن) قيل هو صاحب الصور (بينهم) بين الفريقين (أن لعنة الله على الظالمين) وقرأ ابن كثير فى رواية البزى وابن عامر وحمزة والكسائى أن لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول أو اجراء أذن مجرى قال (الذين يصدون عن سبيل الله) صفة للظالمين مقررة أو ذم مرفوع أو منصوب (ويبغونها عوجا) زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر فى المعانى والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح ما كان فى المنتصبة كالحائط والرمح (وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب) أى بين الفريقين لقوله تعالى فضرب بينهم بسور أو بين الجنة والنار ليمنع

المذكورة لما جرى من خلافة عثمان ومحاربة طلحة والزبير فى حرب الجمل مع على رضى الله عنه أو يقال معنى كلامه كرم الله وجهه اخراج أسباب الغل فلا يلزم منه سبق وجود الغل فى صدورهم (قوله دل عليه ما قبله) وهو قوله تعالى وما كنا لنهتدى أى لولا أن هدانا الله ما كنا لنهتدى وانما لم يجعل المقدم جوابا للو لانها بصدارتها لا يتقدم عليها جوابها (قوله مبينة للاولى) أى الحمد لله الذى هدانا لهذا (قوله والمنادى له بالذات أورثتموها) أى ما نودوا له ولاجله هو أورثتموها بما كنتم تعملون وانما قال والمنادى له بالذات لان الظاهر أن المنادى له ان تلكموا الجنة فاشار الى أنه ليس بمنادى بالذات بل هو مقدمة والمنادى له بالذات أورثتموها الآية لانهم بعد دخولهم الجنة يعلمون أنهم فى الجنة فلا فائدة فى مجرد أن يقال لهم ان تلكموا الجنة فظهر بما ذكرنا أن قوله وصول والمنادى له بالذات الخ متعلق بقوله الاخير وهو بعد دخولها ثم يمكن أن يقال انه متعلق بالاحتمالين الا أن أورثتموها مقصد الدلالة بالذات (قوله وأن فى المواقع الخمسة) الاول ان تلكموا الجنة والثانى أن قد وجدنا والثالث أن لعنة الله والرابع أن سلام عليكم والخامس أن أفيضوا علينا من الماء (قوله لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم وعده) أى لو قيل فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا لفهم أن كل ما وعدوا فهو مخصوص بهم وليس كذلك لما ذكر (قوله والاعيان ما لم تكن منتصبة) قال فى الصحاح قال ابن السكيت كل ما كان ينتصب كالحائط والعود قيل فيه عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان فى أرض أو دين ومعاش

(قوله أوملائكة يرون فى صورة الرجال) لعل الباعث على هذا التفسير مايجىء بعده وهو يعرفون كلا بسيماهم لان معرفة الفريقين تناسب الملائكة (قوله وانما يعرفون ذلك بالالهام أو تعليم الملائكة) فى هذا الحصر خفاء اذ يمكن أن يعلمهم الله تعالى بطريق آخر كأن يكون بخلق صورة تخبر عن حالة كل واحد من الفريقين (قوله حال من الواو على الوجه الاول الخ) الوجه الاول هو أول الوجوه التى ذكرت فى تفسير رجال يعنى اذا كان المراد بالرجال جماعة من الموحدين قصروا فى العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله سبحانه وتعالى فيهم مايشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء عليهم الصلاة والسلام أوالشهداء رضى الله تعالى عنهم أوخيار المؤمنين وعلمائهم أوملائكة يرون فى صورة الرجال (يعرفون كلا) من أهل الجنة والنار (بسيماهم) بعلامتهم التى أعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا أرسلها فى المرعى معلمة أومن وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام أوتعليم الملائكة (وناداوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) أى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم (لم يدخلوها وهم يطمعون) حال من الواو على الوجه الاول ومن أصحاب على الوجوه الباقية (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا) نعوذ بالله (ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين) أى فى النار (وناداى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم) من رؤساء الكفرة (قالوا ماأغنى عنكم جمعكم كنتم أوجمعكم المال (وما كنتم تستكبرون) عن الحق أوعلى الحلق وقرئ تستكثرون من الكثرة (أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة) من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء أهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون أن الله لايدخلهم الجنة (ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولاأنتم تحزنون) أى فالتفتوا الى أصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو أوفق للوجوه الاخيرة أوقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله سبحانه وتعالى بعد أن حبسوا حتى أبصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ماقالوا وقيل لما عيروا أصحاب النار أقسموا أن أصحاب الاعراف لايدخلون الجنة فقال الله سبحانه وتعالى أو بعض الملائكة أهؤلاء الذين أقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لاخوف عليكم (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء) أى صبوه وهو دليل على أن الجنة فوق النار (أومما رزقكم الله) من سائر الاشربة ليلائم الافاضة أومن الطعام كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * (قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) كتحريم البحيرة والتصدية والمكاء حول البيت واللهو وصرف الهم بما لايحسن أن يصرف به واللعب طلب الفرح بما لايحسن أن يطلب به (وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم) نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم فى النار (كما نسوا لقاء يومهم هذا) فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له (وما كانوا بآياتنا يجحدون) وكما كانوا منكرين أنها من عند الله (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة (على علم) عالمين بوجوه تفصيله حتى جاء محكما وفيه دليل على أنه سبحانه وتعالى عالم بعلم أومشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه أى على سائر الكتب عالمين بأنه حقيق بذلك (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) حال من الهاء (هل ينظرون) ينتظرون (الاتأويله) الامايؤل اليه أمره من تبين صدقه وصول أوتراد اهما الى الأخرى (وعلى الاعراف) وعلى أعراف الحجاب أى أعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف مارتفع من الشئ فانه يكون لظهوره أعرف من غيره (رجال) طائفة من الموحدين قصروا فى العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله سبحانه وتعالى فيهم مايشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء عليهم الصلاة والسلام أوالشهداء رضى الله تعالى عنهم أوخيار المؤمنين وعلمائهم أوملائكة يرون فى صورة الرجال (يعرفون كلا) من أهل الجنة والنار (بسيماهم) بعلامتهم التى أعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا أرسلها فى المرعى معلمة أومن وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام أوتعليم الملائكة (وناداوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) أى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم (لم يدخلوها وهم يطمعون) حال من الواو على الوجه الاول ومن أصحاب على الوجوه الباقية (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا) نعوذ بالله (ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين) أى فى النار (وناداى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم) من رؤساء الكفرة (قالوا ماأغنى عنكم جمعكم كنتم أوجمعكم المال (وما كنتم تستكبرون) عن الحق أوعلى الحلق وقرئ تستكثرون من الكثرة (أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة) من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء أهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون أن الله لايدخلهم الجنة (ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولاأنتم تحزنون) أى فالتفتوا الى أصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو أوفق للوجوه الاخيرة أوقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله سبحانه وتعالى بعد أن حبسوا حتى أبصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ماقالوا وقيل لما عيروا أصحاب النار أقسموا أن أصحاب الاعراف لايدخلون الجنة فقال الله سبحانه وتعالى أو بعض الملائكة أهؤلاء الذين أقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لاخوف عليكم (وناداى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء) أى صبوه وهو دليل على أن الجنة فوق النار (أومما رزقكم الله) من سائر الاشربة ليلائم الافاضة أومن الطعام كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * (قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) كتحريم البحيرة والتصدية والمكاء حول البيت واللهو وصرف الهم بما لايحسن أن يصرف به واللعب طلب الفرح بما لايحسن أن يطلب به (وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم) نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم فى النار (كما نسوا لقاء يومهم هذا) فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له (وما كانوا بآياتنا يجحدون) وكما كانوا منكرين أنها من عند الله (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة (على علم) عالمين بوجوه تفصيله حتى جاء محكما وفيه دليل على أنه سبحانه وتعالى عالم بعلم أومشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه أى على سائر الكتب عالمين بأنه حقيق بذلك (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) حال من الهاء (هل ينظرون) ينتظرون (الاتأويله) الامايؤل اليه أمره من تبين صدقه

ذكر لان الافاضة تحصيل السيلان ولاتكون الالالشربة (قوله علفتها تبنا وماء باردا) أى علفتها تبنا وسقيتها ماء باردا (قوله منعهما عنهم الخ) انما فسر بذلك لان الآخرة ليست بدار تكليف حتى يكون فيها حرمة شئ (قوله وفيه دليل على أنه تعالى عالم بعلم) أى فيه دليل على أنه تعالى عالم بعلم زائد على نفس ذاته لا كما قاله الفلاسفة من أن العلم أى علمه تعالى عين ذاته

(قوله لانكاد تطلق هذه اللام الا مع قد) صريح في أن لام جواب القسم لا تكون الا مع قد وليس كذلك اذ قد تطلق بدون قد كقوله تعالى تالله لأكيدن أصنامكم والجواب أن المراد ان هذه اللام أي لام جواب القسم لا توجد الا مع قد اذا كان القسم محذوفا (قوله فان المخاطب اذا سمعها الخ) أي سمع هذه اللام توقع وقوع ماصدر بها لان لام القسم تفيد تأكيد وقوع ماصدر بها (قوله على اللفظ) أي على الحمل (١٤) على لفظ الموصوف فان غيره في الحقيقة صفة له اذ التقدير مالكم اله غيره (قوله

يتأثر بها (لقد أرسلنا نوحا الى قومه) جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ماصدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس أول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة وأول بعين (فقال ياقوم اعبدوا الله) أي اعبدوه وحده لقوله تعالى (مالكم من اله غيره) وقرأ الكسائي غيره بالكسر نعتا أو بدلا على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل اله من التي تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء (اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ان لم تؤمنوا وهو وعيد و بيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيامة أو يوم نزول الطوفان (قال الملأ من قومه) أي الاشراف فانهم يملؤن العيون رواء (انا لنراك في ضلال زوال عن الحق (مبين) بين (قال ياقوم ليس بي ضلالة) أي شيء من الضلال بالغ في النفي كالغوا في الاثبات وعرضهم به (ولكني رسول من رب العالمين) استدراك باعتبار مايلزمه وهو كونه على هدى كأنه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله سبحانه وتعالى (أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون) صفات لرسول أو استئناف ومسافها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ أبو عمر وأبلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف أوقاتها أو لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام أو لأن المراد بها ما أوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على اخلاص النصح لهم وفي أعلم من الله تقرير لما أوعدهم به فان معناه أعلم من قدرته وشدة بطشه أو من جهته بالوحي أشياء لا علم لكم بها (أوعجبتم) الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف أي أكذبتم وعجبتم (أن جاءكم) من أن جاء كم (ذكر من ربكم) رسالة أو موعظة (على رجل) على لسان رجل (منكم) من جلتكم أو من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين (لينذركم) عاقبة الكفر والمعاصي (ولتتقوا) منهما بسبب الانذار (ولعلكم ترحمون) بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على أن التقوى غير موجب والترحم من الله سبحانه وتعالى تفضل وأن المتقي ينبغي أن لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله تعالى (فكذبوه فأنجيناه والذين معه) وهم من آمن به وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام و يافث وستة ممن آمن به (في الفلك) متعلق بمعه أو بأنجيناه أو حال من الموصول أو من الضمير في معه (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (انهم كانوا قوما عمين) عمى القلوب غير مستبصرين وأصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول أبلغ لدلالته على الثبات (والى عاد أخاهم) عطف على نوحا الى قومه (هودا) عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا أخا العرب للواحد منهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ ابن ارفخشذ بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد وانما جعل منهم لانهم أفهم لقوله وأعرف بحاله وأرغب في

اقتفائه

(قوله وان المتقي ينبغي أن لا يعتمد على تقواه الخ) فان قلت النصوص قاطعة بان المتقين يدخلون الجنة و يأمنون العذاب البتة ومع هذه القواطع فما معنى عدم الامن من العذاب قلنا ان المتقي لا يعلم عاقبته هل يستمر على تقواه أم لا لكن المدار على خواتم الاعمال (قوله وانما جعل منهم) أي وانما جعل نبيهم منهم

(قوله اذ كان من أشرافهم من آمن به الخ) يعنى لما قيل قال الملأ الذين كفروا من قومه فانه دال على أن بعض قومه كافرون فدل على أن بعضهم مؤمنون (قوله وكأن قومه كانوا أقرب من قوم نوح الخ) أى أقرب الى قبول النصح والاتباع من قوم نوح فانهم كانوا فى غاية البعد ولهذا آمن بهود بعض الملأ من قومه دون الملأ من قوم نوح (قوله وفى قوله وأنا لكم ناصح أمين تنبيه الخ) أى تنبيه على انه كان معروفا بينهم بالامانة والنصح اذ لو لم يكن كذلك لم يكن لهذا الكلام كثير فائدة فكأنه قيل

اقتفائه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) استأنف به ولم يعطف كأنه جواب سائل قال فما قال لهم حين أرسل وكذلك جوابهم (أفلا تتقون) عذاب الله وكأن قومه كانوا أقرب من قوم نوح عليه السلام ولذلك قال أفلا تتقون (قال الملأ الذين كفروا من قومه) اذ كان من أشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد (انا لنراك فى سفاهة) متمكنا فى خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك (وانا لنظنك من الكاذبين قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) سبق تفسيره وفى اجابة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغى لكل ناصح وفى قوله وأنا لكم ناصح أمين تنبيه على أنهم عرفوه بالأمرين وقرأ أبو عمرو أبلغكم فى الموضعين فى هذه السورة وفى الاحقاف مخففا (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) أى فى مساكنهم أو فى الارض بأن جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان خوّفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه (وزادكم فى الخلق بسطة) قامة وقوّة (فاذكروا آلاء الله) تعميم بعد تخصيص (لعلكم تفلحون) لكى يفضى بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدى الى الفلاح (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما أشرك به آباؤهم انهماكا فى التقليد وحبا لما ألفوه ومعنى المجىء فى أجئتنا اما المجىء من مكان اعتزل به عن قومه أو من السماء على التهكم أو القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبنى (فأتنا بما تعدنا) من العذاب المدلول عليه بقوله أفلا تتقون (ان كنت من الصادقين) فيه (قال قد وقع عليكم) قد وجب وحق عليكم أو نزل عليكم على أن المتوقع كالواقع (من ربكم رجس) عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (وغضب) ارادة انتقام (أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) أى فى أشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية الأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية أو بنصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم أن الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على أن الاسم هو المسمى وأن اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بأنها أسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر (فانتظروا) لما وضح الحق وأنتم مصرون على العناد نزول العذاب بكم (انى معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه) فى الدين (برحمة منا) عليهم (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) أى استأصلناهم (وما كانوا مؤمنين) تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على أن الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الايمان روى أنهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فأمسك

أنتم تعرفون انى كنت أمينا فيما بينكم وناصحا لكم فالآن أيضا كذلك فصدقونى فى دعوى الرسالة (قوله ولعل النكتة فى اختلاف العبارتين) حيث قال نوح لقومه أنصح لكم وقال هود لقومه وأنا لكم ناصح أمين ان نوحا أحدث النصح عند النبوّة فلذا قال بصيغة المضارع وهود كان مستمرا فى النصح فلذا قال بالجملة الاسمية (قوله تعميم بعد تخصيص) لان ما ذكر أولا من كونهم خلفاء قوم نوح والزيادة فى الخلق داخل فى آلاء الله (قوله أو القصد على المجاز الخ) فان المجىء والذهاب مستلزمان للقصد فاستعملا فيما هو لازمهما (قوله واستدل به على أن الاسم هو المسمى) الى قوله وضعفهما ظاهر اما وجه الاستدلال على الاول فبأن يقال ان المراد بالاسماء المسميات التى هى الاصنام اذ المجادلة فيها لا فى مجرد الالفاظ فيكون الاسم عين المسمى واما على الثانى فبأن يقال ما نزل الله بها من سلطان يدل على أن اطلاق الاسماء والتسمية موقوف على حجة صادرة من الله تعالى وهذا معنى التوقيف واما بيان ضعف الاستدلال الاول فبأن المراد من الاسماء المسميات مجازا ولذا قال فى أسماء سميتموها آلهة وهذا لا يستلزم أن يكون الاسم عين المسمى وأما ضعف الثانى فلان المراد بما نزل الله بها من سلطان ما نزل الله حجة على استحقاقها للعبادة وهذا لا يستلزم كون الاسماء توقيفية

الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد فى سبعين من أعيانهم وكان اذذاك بمكة العمالقة أولاد عملیق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة أنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجراد تان قينتان له فلما رأى ذهولهم بالهو عما بعثوا له أمهم ذلك واستحيا أن يكلمهم فيه مخافة أن يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا الغماما

فيسقى أرض عاد ان عادا * قد أمسوا مايبينون الكلاما

حتى غنتا به فأزعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وتبتم الى الله سبحانه وتعالى سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدم معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخل مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأت الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادى المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة وعبدوا الله سبحانه وتعالى فيها حتى ماتوا (والى ثمود) قبيلة أخرى من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحى أو باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى (أخاهم صالحا) صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من الهغيره قد جاءتكم بينة من ربكم) معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتى وقوله (هذه ناقة الله لكم آية) استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هى له آية ويجوز أن تكون ناقة الله بدلا أو عطف بيان ولكم خبرا عاملا فى آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا وسائط وأسباب معهودة ولذلك كانت آية (فذروها تأكل فى أرض الله) العشب (ولا تمسوها بسوء) نهى عن المس الذى هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لأنواع الأذى مبالغة فى الامر وازاحة للعذر (فيأخذكم عذاب أليم) جواب للنهى (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض) أرض الحجر (تتخذون من سهولها قصورا) أى تبنون فى سهولها أو من سهولة الأرض بما تعملون منها كاللبن والآجر (وتنحتون الجبال بيوتا) وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة أو المفعول على أن التقدير بيوتا من الجبال أو تنحتون بمعنى تتخذون (فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه) أى عن الايمان (للذين استضعفوا) أى للذين استضعفوهم واستذلوهم (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملأ بلواو (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) قالوه على الاستهزاء (قالوا انا بما أرسل به مؤمنون) عدلوا به عن الجواب السوىّ الذى هو نعم تنبيها على أن ارساله أظهر من أن يشك فيه عاقل ويخفى على ذى رأى وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال (قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون) على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جاءوا به معلوما

(قوله بدل الكل ان كان الضمير لقومه الخ) أى ان كان ضميرهم فى منهم راجعا الى القوم كان لمن آمن منهم وللذين استضعفوا واحدا لان كل واحد منهما بعض من القوم وان كان الضمير المذكور راجعا الى الذين استضعفوا كان من آمن منهم بعضا من الذين استضعفوا

مسلما (فعقروا الناقة) فنحروها أسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة أولانه كان برضاهم (وعتوا عن أمر ربهم) واستكبروا عن امتثاله وهو مابلغهم صالح عليه الصلاة والسلام بقوله فذروها (وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة) الزلزلة (فاصبحوا فى دارهم جاثمين) خامدين ميتين روى أنهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا أعمارا طوالا لانهى بها الا بنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وأفسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من أشرافهم فأنذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا أصنامهم فلم تجبهم ثم أشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له أخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء و براء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع فى جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب أوثانهم و رباب بن صغر كاهنهم فكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فاترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل مافيها ثم تتفحج فيحلبون ماشاؤا حتى تملئ أوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب منها أنعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأتجاه الله الى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا (فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين) ظاهره أن توليه عنهم كان بعد أن أبصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل قليب بدر وقال انا وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا أو ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم (ولوطا) أى وأرسلنا لوطا (اذ قال لقومه) وقت قوله لهم أو واذكر لوطا واذ بدل منه (أتأتون الفاحشة) توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية فى القبح (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) مافعلها قبلكم أحد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتأكيد النفى والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقرر للانكار كانه وبخهم أولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه أسوأ (أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) بيان لقوله أتأتون الفاحشة وهو أبلغ فى الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له أومصدر فى موقع الحال وفى التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على أن العاقل ينبغى أن يكون الداعى له الى المباشرة طلب الولد و بقاء النوع لاقضاء الوطر (بل أنتم قوم مسرفون) اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التى أدت بهم الى ارتكاب أمثالها وهى اعتياد الاسراف فى كل شئ أوعن الانكار عليها الى اللوم على جميع معايبهم أوعن محذوف مثل لاعذر

(قوله للملابسة أولانه كان برضاهم) فيكون مجازا عقليا فان قيل على التقدير الاخير يمكن أن يكون مجاز الغو ياو يكون معنى فعقروا الناقة رضوا بعقر الناقة قلنا فلا يعم عقر الناقة بالفعل وهذا هو المقصود لا الرضا بعقرها (قوله ظاهره أن توليه عنهم كان بعد ان أبصرهم جاثمين) فان الفاء تدل عليه ثم ان أهل قليب بدر سمعوا مقالة النبى صلى الله عليه وسلم ولكن لم يستطيعوا أن ينطقوا بالجواب كما وقع فى الحديث فيحتمل أن قوم صالح أيضا كانوا كذلك و يدل عليه قوله تعالى ولكن لاتحبون الناصحين بصيغة الحال فعلى هذا يكون التعقيب أى تعقيب التولى بالنسبة الى التكذيب (قوله أوذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم) يعنى ليس الغرض مخاطبتهم به حقيقة وانما الغرض اظهار التحسر والتحزن (قوله وهو أبلغ فى الانكار والتوبيخ) لانه أكد الكلام بحرفى التأكيد وايراده بالجملة الاسمية فيفيد انهم البتة فعلوا تلك الفعلة الفحشاء فيفيد زيادة التوبيخ

لكم فيه بل أنتم قوم عادتكم الاسراف (وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم) أى ماجاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا (انهم أناس يتطهرون) أى من الفواحش (فانجيناه وأهله) أى من آمن به (الا امرأته) استثناء من أهله فانها كانت تسر الكفر (كانت من الغابرين) من الذين بقوا فى ديارهم فهلكوا والتدمير لتغليب الذكور (وأمطرنا عليهم مطرا) أى نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) روى أن لوط بن هاران بن تارح لما هاجر مع عمه ابراهيم عليه السلام الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى أهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم (والى مدين أخاهم شعيبا) أى وأرسلنا اليهم وهم أولاد مدين بن ابراهيم خليل الله شعيب بن ميكائيل بن يسجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام لحسن مراجعته قومه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من الهغيره قد جاءتكم بينة من ربكم) يريد المعجزة التى كانت له وليس فى القرآن أنها ماهى وما روى من محاربة عصا موسى عليه الصلاة والسلام التنين وولادة الغنم التى دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من أولاده او وقوع عصا آدم على يده فى المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة ويحتمل أن تكون كرامة لموسى عليه السلام أو ارهاصا لنبوته (فاوفوا الكيل) أى آلة الكيل على الاضمار أو اطلاق الكيل على المكال كالعيش على المعاش لقوله (والميزان) كما قال فى سورة هود أوفوا المكيال والميزان او الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان مصدرا كاليعاد (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال أشياءهم لتعميم تنبيها على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيأ الا مكسوه (ولا تفسدوا فى الارض) بالكفر والحيف (بعد اصلاحها) بعد ما أصلح أمرها أو أهلها الانبياء وأتباعهم بالشرائع أو أصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة فى بل مكر الليل والنهار (ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين) اشارة الى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا أو فى الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا أحدا يسى فى شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك و يوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق (وتصدون عن سبيل الله) يعنى الذى قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم مايصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه أو الايمان بالله (من آمن به) أى بالله أو بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه فى موقع الحال من الضمير فى تقعدوا (وتبغونها عوجا) وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه أو وصفها للناس بانها معوجة (واذكروا اذ كنتم قليلا) عددكم أو عددكم (فكثركم) بالبركة فى النسل أو المال (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) من الامم قبلكم فاعتبروا بهم (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) فتربصوا (حتى يحكم الله بيننا)

(قوله وولادة الغنم التى دفعها اليه الدرع خاصة) الدرع جمع الأدرع وهو من الشاء ما اسود رأسه وابيض سائر جسده (قوله وكانت الموعودة له من أولاده) أى كانت الدرع هى ماوعد شعيب لموسى أى وعد شعيب ان ما ولدت الغنم وكان أدرع كان لموسى (قوله فتأخر عن هذه المقاولة) ردعلى صاحب الكشاف حيث جعل البينة المذكورة فى القرآن عبارة عما روى من محاربة عصا موسى التنين الخ (قوله ويحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته) الظاهر الاقتصار على الأخير لأنهم عرفوا الارهاص بخارق عادة صدر من النبى قبل دعواها (قوله أو الايمان بالله) عطف على قوله الذى قعدوا يعنى المراد من سبيل الله اما الصراط الذى قعد عليه أو الايمان بالله

(قوله اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه) هذان لا يدلان على المدعى من انه تعالى خير الحاكمين أما الاول فلان كونه لا معقب لحكمه لا يدل على كونه خير الحاكمين بل يدل على انه حاكم قوى لا يقدر أحد على تعقب حكمه وأما الثانى وهو كون حكمه لا حيف فيه فلا يدل عليه لانه قد يكون الحكام العدول لا حيف فى حكمهم أيضا ويمكن ان يقال المدلول على كونه أقوى الحكام من حيث الحكم اى من المعلوم ان هذا لوصف مخصوص به دل على كونه خيرهم اذ الاقوى على نفاذ الحكم لا بد ان يكون خيرا من حيث كونه حاكما اذ المراد من خير الحاكمين أقواهم فى الحكم وعدم الحيف فى حكم الله تعالى محقق ظاهر وأما عدمه فى حكم غيره فليس كذلك بل غايته الظن ولو فرض اليقين فلا يطمئن الخاطر بعدم الحيف فيه كاطمئنانه فى حكمه تعالى (قوله أى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها الخ) دلت عبارته على ان جملة لو كنا كارهين حالية وعلى هذا لم يبق للو معنى بل (١٩) يكفى ان يقال أكنا كارهين بتقدير العود الى الكفر فى حال كراهتنا له والذى ظهر لى ان التقدير قال أنعود الى الكفر ولو كنا كارهين نكفر بمعنى ولو كنا كارهين الكفر نكفر فيكون لو كنا كارهين جملة شرطية حذف جزآها لدلالة ما تقدمهما عليهما (قوله وهو بمعنى المستقبل) الى قوله لتقريبه من الحال فكانه قيل ان عدنا فى ملتكم الكنا مكفرين الآن وهذا للمبالغة ويمكن ان يقال ان قد للتأكيد كما قال الزمخشرى فى قوله تعالى قد نعلم (قوله وما يصح لنا الخ) فيه أنه ان كان المراد من الصحة الحل فهو باطل لان العود الى الكفر غير حلال سواء وقت ارادة الله تعالى اياه أو عند عدمها وان كان المراد امكان الوقوع يعنى لا يمكن وقوع العود الى الكفر الا عند ارادة الله تعالى اياه يكون هذا الكلام قليل الجدوى لأن كل شئ فهو كذلك والذى يظهر لى والله أعلم ان المعنى لا يليق بنا ان نكفر لكن وقت مشيئة ربنا الى الكفر نعود اليه (قوله وقيل أراد حسم طمعهم الخ) فان قيل اذا كان الكلام محتملا فكيف يصح ان يكون دليلا على ما ذكرتم قلنا غرضه ان يبقى الكلام على ظاهره واذا كان كذلك فالعدول عن الظاهر لا يجوز من غير باعث (قوله ولعلها كانت من مبادئها) يمكن ان يكون المعنى لعل الصيحة من مبادئ الزلزلة بان تقع الصيحة ثم الزلزلة ويمكن عكس ما ذكروا والظاهر ان يقال ان الزلزلة تقع بها الصيحة وهى الصوت العظيم الحاصل من حركات أجزاء الأرض وانشقاقها بشدة فيكون هلاكهم بسبب كل منهما أى عند كل منهما فان السبب عندنا الاشاعرة بهذا المعنى أى ما يجرى فعل الله تعالى عنده لا تأثير لسبب من الاسباب فى شئ ولا توقف بوجه (قوله وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول

أى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين (وهو خير الحاكمين) اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا) أى ليكونن أحد الامرين اما اخراجكم من القرية أو عودكم فى الكفر وشعيب عليه الصلاة والسلام لم يكن فى ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك أجرى الجواب فى قوله (قال أولو كنا كارهين) أى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها أو أنعيد ونتابى حال كراهتنا (قد افترينا على الله كذبا) قد اختلقنا عليه (ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وأدخل عليه قد لتقريبه من الحال أى قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم أن الله تعالى نداوانه قد تبين لنا أن ما كنا عليه باطل وما أنتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا (وما يكون لنا) وما يصح لنا (أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) خذلانا وارتدادا وفيه دليل على أن الكفر بمشيئة الله وقيل أراد به حسم طمعهم فى العود بالتعليق على مالا يكون (وسع ربنا كل شئ علما) أى أحاط علمه بكل شئ مما كان وما يكون منا ومنكم (على الله توكلنا) فى أن يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) احكم بيننا وبينهم والفتاح القاضى والفتاحة الحكومة أو أظهر أمر ناحتى ينكشف ما بيننا وبينهم وتتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه (وأنت خير الفاتحين) على المعنيين (وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا) وتركتم دينكم (انكم اذا لخاسرون) لاستبدالكم ضلالته بهداكم أو لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو سادمسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام (فأخذتهم الرجفة) الزلزلة وفى سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مبادئها (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) أى فى مدينتهم (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كأن لم يغنوا فيها) أى استؤصلوا كان لم يقيموا بها والمغنى المنزل (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون فى الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول

واستأنف بالجملتين وأتى بهما اسميتين (فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم) فالهمزة أسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكر على نفسه فقال (فكيف آسى على قوم كافرين) ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم مازل عليهم بكفرهم أوقاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت فى الابلاغ الانذار و بذلت وسعى فى النصح والاشفاق فلم تصد قوا قولى فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى لما لتين (وما أرسلنا فى قرية من نبى الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء) بالبؤس والضر (لعلهم يضرعون) حتى يتضرعوا و يتذللوا (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أى أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين (حتى عفوا) كثروا عددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) كفرانا لنعمة الله ونسيانا للذكره واعتقادا بأنه من عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا (فأخذناهم بغتة) فجأة (وهم لايشعرون) بنزول العذاب (ولو أن أهل القرى) يعنى اقرى المدلول عليها بقوله وما أرسلنا فى قرية من نبى وقيل مكة وماحولها (آمنوا واتقوا) مكان كفرهم وعصيانهم (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) لوسعنا عليهم الخير و يسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد (ولكن كذبوا) الرسل (فأخذناهم بما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصى (أفأمن أهل القرى) عطف على قوله فأخذناهم بغتة وهم لايشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى أبعد ذلك أمن أهل القرى (أن يأتيهم بأسنا بياتا) تبييتا أو وقت بيات أو مبيتا أو مبيتين وهو فى الاصل مصدر بمعنى البيتوتة و يجىء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم (وهم نائمون) حال من ضميرهم البارز أو المستتر فى بيانا (أوأمن أهل القرى) وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر أو بالسكون على الترديد (أن يأتيهم بأسنا ضحى) ضحوة النهار وهو فى الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت (وهم يلعبون) يلهون من فرط الغفلة أو يشتغلون بما لاينفعهم (أفأمنوا مكر الله) تكرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد وأخذه من حيث لايحتسب (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار (أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها) أى يخلفون من خلا قبلهم و يرثون ديارهم وأموالهم عن عدى يهد باللام لانه بمعنى يبين (أن لونشاء أصبناهم بذنوبهم) أن الشأن لونشاء أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا (ونطبع على قلوبهم) عطف على مادل عليه أولم يهد أى يغفلون عن الهداية أو منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولايجوز عطفه على أصبناهم على أنه بمعنى وطبعنا لانه فى سياقة جواب لولافضائه الى نفى الطبع عنهم (فهم لايسمعون) سماع تفهم واعتبار (تلك القرى) يعنى قرى الامم المذكورهم (نقص عليك من أنبائها) حال ان جعل القرى خبرا وتكون افادته بالتقييد بها وخبران جعلت صفة و يجوز أن يكونا خبرين ومن للتبعيض أى نقص بعض أنبائها وطها أنباء غيرها لانقصها (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجيئهم بها (بما كذبوا من قبل) بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب أوفما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به أولاحين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفى والدلالة على أنهم ماصلحوا للايمان لمنافاته لحالهم فى التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) فلاتلين

واستأنف الخ) لك ان تقول ماذكر من كون شعيب وتابعيه مؤمنين والكافرون خاسرون يفهم من قوله تعالى كانوا هم الخاسرين والجواب ان تخصيص مستفاد منه ولكل من الامور المذكورة دخل فى المبالغة فيه لأن الاستئناف من مقول هذا الموضع يفيد الاختصاص كما هو مذهب صاحب الكشاف وعلى هذا ترتب ان كلا من الامور المذكورة يفيد المبالغة فى الاختصاص كما ظهر بالتأمل (قوله عطف على قوله فأخذناهم بغتة) توضيحه ان الفاء فى أفأمن مقدمة على الهمزة فى الاصل وانما أخرت لصدارة الهمزة فالتقدير فأخذناهم بغتة فأمن أهل القرى وانما صح العطف لأن الاستفهام ليس على حقيقته وانما هو لانكار أنهم بعد ماوقع من السراء والضراء (قوله و يكون افادته بالتقييد بها) لك ان تقول اما أن يعلم المخاطب ان المشار اليه بتلك هو القرى أولا يعلم فان كان الاول لزم ان يكون ذكرها لغوا وان كان الثانى لم تكن الفائدة بمجرد التقييد بالحال بل هى مفيدة بنفسها

شكيمتهم بالآيات والنذر (وماوجدنا لاكثرهم) لاكثر الناس والآية اعتراض أولاكثر الامم المذكورين (من عهد) من وفاء عهد فان أكثرهم نقضوا ماعهد الله اليهم فى الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج أوماعهدوا اليه حين كانوا فى ضر ومخافة مثل لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (وان وجدنا أكثرهم) أى علمناهم (لفاسقين) من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لايسوغ الافى المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفى واللام بمعنى الا (ثم بعثنا من بعدهم موسى) الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم أوللامم (بآياتنا) يعنى المعجزات (الى فرعون وملئه فظلموا بها) بان كفروا بها مكان الايمان الذى هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين) اليك وقوله (حقيق على أن لاأقول على الله الا الحق) لعله جواب لتكذيبه اياه فى دعوى الرسالة وانما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان أصله حقيق على أن لاأقول كما قرأ نافع فقلب لامن الالباس كقوله

* وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر * أولان مالزمك فقد لزمته أوللاغرق فى الوصف بالصدق والمعنى أنه حق واجب على القول الحق أن أكون أنا قائله لايرضى الابمثلى ناطقا به أوضمن حقيق معنى حريص أو وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبى بالباء وقرئ حقيق أن لاأقول بدون على (قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى اسرائيل) فخلهم حتى يرجعوا معى الى الارض المقدسة التى هى وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم فى الاعمال (قال ان كنت جئت بآية) من عند من أرسلك (فأت بها) فاحضرها عندى ليثبت بها صدقك (ان كنت من الصادقين) فى الدعوى (فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) ظاهر أمره لايشك فى أنه ثعبان وهو الحية العظيمة روى أنه لما ألقاها صارت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا وصاح فرعون ياموسى أنشدك بالذى أرسلك خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذه فعاد عصا (ونزع يده) من جيبه أومن تحت ابطه (فاذا هى بيضاء للناظرين) أى بيضاء بياضا خارجا عن العادة تجتمع عليها النظارة أو بيضاء للنظار لاأنها كانت بيضاء فى جبلتها روى أنه عليه السلام كان آدم شديد الادمة فادخل يده فى جيبه أوتحت ابطه ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس (قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم) قيل قاله هو وأشراف قومه على سبيل التشاور فى أمره فحكى عنه فى سورة الشعراء وعنهم ههنا (يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون) تشيرون فى أن

(قوله أولاكثر الامم المذكورين) تدل عبارته على ان الآية المذكورة على هذا الاحتمال ليست باعتراض لأنها على هذا التقدير من جملة أحوالهم بخلاف الاحتمال الأول فانها ليست مختصة بهم (قوله وكان أصله حقيق على ان لااقول) الى قوله أوضمن يعنى ان أصل الكلام ان يقال على قراءة نافع وهو ان يكون على مشددة الياء بياء المتكلم لأن المعنى واجب على ان لاأقول على الله الا القول الحق ولما أخرج الكلام عن أصله وجب توجيهه أولا بان ههنا قلبا والاصل ماهو على قراءة نافع فقلب فى القراءة الأخرى الى ماذكر والمراد ماهو الأصل وثانيا بانه كناية لانه اذا كان واجبا على القول الحق أن يكون قولك كان واجبا عليك ان تقوله لان ما كان واجبا عليه أن يكون فعلك كان واجبا عليك أن تفعله فذكر أحد المتلازمين وأريد الآخر وثالثا بان المراد المبالغة فكان القول الحق يجب عليه ان يطلبك حتى تنطق به وفى هذه التوجيهات اشكال اذ يلزم منه أن يكون اعتبار التكلم فى أقول ضائعا بل الحق ان يقال حقيق على ترك القول الا بالحق أن يكون لى كما لايخفى على من له طبع سليم وقوله والمعنى الخ ظاهره أنه المعنى على التوجيه الثالث ويمكن ان يقال مراده انه المعنى على التوجيه الثالث بحسب الظاهر وان كان المراد فى الحقيقة المعنى الأصلى (قوله وتشقى الرماح بالضياطرة الخ) الضيطار الرجل الضخم وقياس جمعه الضياطر الا انه عوض التاء من المدة كبيطرة فى جمع بيطار والحمر عندهم العجم وهو ذم وأصل هذا الشعر وتشقى الضياطرة الحمر بالرماح فكان ههنا قلب

نؤمل (قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم) كأنه انتقت عليه آراؤهم فأشاروا به على فرعون والارجاء التأخير أى أخر أمره وأصله أرجئه كما قرأ أبو عمرو وأبو بكر و يعقوب من أرجأت وكذلك أرجئهوه على قراءة ابن كثير على الاصل فى الضمير أوأر جهى من أرجيت كما قرأ نافع فى رواية ورش واسمعيل والكسائى وأما قراءته فى رواية قالون أرجه بحذف الياء فللا كتفاء بالكسرة عنها وأما قراءة حمزة وعاصم وحفص أرجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل فى اسكان وسطه وأما قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان أرجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة ووجه أن الهمزة لما كانت تقلب ياء أجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائى بكل ساحر فيه وفى يونس و يؤيده اتفاقهم عليه فى الشعراء (وجاء السحرة فرعون) بعد ما أرسل الشرط فى طلبهم (قالوا أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين) استأنف به كأنه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاؤا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا لاجرا على الاخبار وايجاب الاجر كأنهم قالوا الا بد لنا من أجر والتنكير للتعظيم (قال نعم) ان لكم لاجرا (وانكم لمن المقربين) عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم (قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين) خيروا موسى مراعاة للادب أو اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم فى أن يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو أبلغ وتعريف الخبر توسيط الفصل أو تأكيد ضمير هم المتصل بالمنفصل فلذلك (قال بل ألقوا) كرما وتسامحا أو ازدراء بهم وثوقا على شأنه (فلما ألقوا سحروا أعين الناس) بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه (واسترهبوهم) وأرهبوهم ارهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم (وجاؤا بسحر عظيم) فى فنه روى أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنهم حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا (وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك) فألقاها فصارت حية (فاذا هى تلقف ما يأفكون) أى ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشئ عن وجهه و يجوز أن تكون ما مصدرية وهى مع الفعل بمعنى المفعول روى أنها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها بأسرها أقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقال السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص عن عاصم تلقف ههنا وفى طه والشعراء (فوقع الحق) فثبت لظهور أمره (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر والمعارضة (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) أى صاروا أذلاء مبهوتين أو رجعوا الى المدينة أذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه (وألقى السحرة ساجدين) جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على أن الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك أو أن الله ألهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين أرادوا بهم كسر موسى و ينقلب الامر عليه أو مبالغة فى سرعة خرورهم وشدته (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) أبدلوا الثانى من الاول لئلا يتوهم أنهم أرادوا به فرعون (قال فرعون آمنتم به) بالله أو بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار وقرأ قنبل قال فرعون وآمنتم يبدل فى حال الوصل من همزة الاستفهام واو امفتوحة و يمد بعدها مدة فى تقدير ألفين وقرأ

(قوله فنبهوا عليها بتغيير النظم الخ) لايخفى ان هذه العبارة القرآنية ليست بعينها عبارتهم بل تكلموا بكلام تكون هذه العبارة ترجمته فلا يلائم قوله فنبهوا عليها بتغيير النظم وتعريف الخبر الخ بل الوجه ان يقال فنبهوا عليه بعبارة دالة عليها فان قلت فكيف قيل فى القرآن قالوا يا موسى اما أن تلقى الخ قلنا المقصود ظاهر وهو انهم قالوا عبارة لها معنى هذه العبارة كما اذا قيل بالفارسية زيد السادة است فحكى العربى بلسانه انه قيل زيد قائم وهكذا الحال فى القصص التى حكى الله تعالى عن الكفار (قوله كانهم طلبوا رهبتهم) أورد كأن المفيدة للتشبيه لأن من طلب الشئ بالغ فيه فلما أرهبهم ارهابا شديدا فكانه طلب رهبتهم (قوله جعلهم ملقين على وجوههم الخ) يعنى فى التعبير بالقى اشعار بان سجودهم كان ليس باختيارهم بل غيرهم ألقاهم ففيه تنبيه على ما ذكر

(قوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته) أى قطع فرعون أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم أيضا بحيث يكون العذابان معا وأما الله تعالى لفرط رحمته لم يجمع النوعين بل جعل واحدا منهما بعد واحد على التعاقب والاولى ان يقال ولكن العذابين لا يجمع الله بينهما بل أمر باحدهما فى صورة وبالآخر فى صورة أخرى فان قلت اهل المعنى ان الله تعالى أمر بالتعاقب فى قطع اليد والرجل قلت هذا ليس معنى ظاهر العبارة لان عبارته تدل على ان العذاب الواقع من فرعون على السحرة كان على التعاقب وما وقع منه عليهم هو مجموع القطع والصلب ولذا قال لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم بواو الجمع ثم ان التعاقب بهذا الطريق لا يفهم من القرآن (قوله وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فاصدق وأكن) يعنى ليفسدوا جواب شرط من حيث المعنى لان المآل ان تذر موسى وقومه يفسدوا فى الارض فيكون يذرك بالسكون معطوفا عليه من حيث المعنى (قوله وتحقيق له) أى الحكم الجزم بتحقق الوعد المذكور من النصرة على القبط وقوله واللام فى الارض تحتمل العهد فتكون لارض عبارة عن الارض المذكورة وقوله فى قوله تعالى

فى طه على الخبر بهمزة وألف وقرأ فى الشعراء على الاستفهام بهمزة ومدة مطولة فى تقدير ألفين وقرأ الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين الثانية (قبل أن آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه) أى ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها أنتم وموسى (فى المدينة) فى مصر قبل أن تخرجوا للميعاد (لتخرجوا منها أهلها) يعنى القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل (فسوف تعلمون) عاقبة مافعلتم وهو تهديد بجمل تفصيله (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) من كل شق طرفا (ثم لاصلبنكم أجمعين) تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه أول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة لله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته (قالوا انا الى ربنا منقلبون) بالموت لامحالة فلا نبالى بوعيدك أو انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شففا على لقاء الله أو مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا (وما تنقم منا) وما تنكر منا (الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) وهو خير الاعمال وأصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله سبحانه وتعالى فقالوا (ربنا أفرغ علينا صبرا) أفض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء أو صب علينا ما يظهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون (وتوفنا مسلمين) ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما أوعدهم به وقيل انه لم يقدر على بهم لقوله تعالى أفتأمن ومن اتبعكما الغالبون (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض) بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك (ويذرك) عطف على يفسدوا أو جواب الاستفهام بالواو كقول الخطيئة

ألم أك جاركم ويكون بينى * وبينكم المودة والاخاء

على معنى أيكون منك ترك موسى ويكون منه تركه اياك وقرئ بالرفع على أنه عطف على أتذر أو استئناف أو حال وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فأصدق وأكن (وآلهتك) معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال أنا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك أى عبادتك (قال) فرعون (سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم) كما كنا نفعل من قبل ليعلم أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم أنه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف (وانا فوقهم قاهرون) غالبون وهم مقهورون تحت أيدينا (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده) تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت فى الامر (والعاقبة للمتقين) وعدهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ العاقبة بالنصب عطف على اسم ان واللام فى الارض تحتمل العهد والجنس (قالوا) أى بنو اسرائيل (أوذينا من قبل أن تأتينا) بالرسالة بقتل الابناء (ومن بعد ما جئتنا) باعادته (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض) تصريح بما كنى عنه أولا لما رأى أنهم لم يتسلوا بذلك واعلم أن فى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم أو أولادهم وقد روى أن مصر انما فتح لهم فى زمن داود عليه السلام (فينظر كيف تعملون) فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة

ليفسدوا فى الارض (قوله وما عطف أتى بفعل الطمع لعدم جزمه الخ) يرد عليه أيضا انه يفهم من تخصيصه نكتة ايراد فعل الطمع بالاستخلاف ان هلاك العدو كان متيقنا فكيف يكون تحت فعل عسى ويمكن ان يقال ان مجموع الامرين من حيث المجموع تعلق به فعل الطمع وهذا لا ينافى ان يكون واحد منهما مجزوما به ولعل موسى كان جازما بوقوع الهلاك والاستخلاف المذكورين

فيكون ايراد فعل الطمع ليبقى خوفهم فيتضرعون الى الله تعالى ويزيدون فى العبادة والدعاء بهلاك العدو ولعلهم لو علموا يقينا هلاك العدو لم يبالغوا فى الامور المذكورة (قوله لكثرة وقوعها وتعلق الارادة بها بالذات الخ) يعنى ان ما كثر وقوعه وتعلق الارادة به بالذات كان أسبب بان يكون (٢٤) معلوما مما هو على عكس ماذكر فيناسب الاول التعريف والثانى التنكير

وعصيان فيجاز بكم على حسب ما يوجد منكم (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة مايذكرعنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل أسنت القوم اذا قحطوا (ونقص من الثمرات) بكثرة العاهات (لعلهم يذكرون) لكى ينتبهوا على أن ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا أو ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده (فاذا جاءتهم الحسنة) من الخصب والسعة (قالوا لنا هذه) لاجلنا ونحن مستحقوها (وان تصبهم سيئة) جدب وبلاء (يطيروا بموسى ومن معه) ينشاءموا بهم ويقولون ما أصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق فى وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهم لم تؤثر فيهم بل زادوا عنادها عتوا وانهماكا فى الغى وانما عارف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات وتنكير السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع (ألا انما طائرهم عند الله) أى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته أو سبب شؤمهم عند الله وهو أعمالهم المكتوبة عنده فانها التى ساقت اليهم مايسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن ما يصيبهم من الله تعالى أو من شؤم أعمالهم (وقالوا مهما) أصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد ثم قلبت ألفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذى يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء أو النصب بفعل يفسره (تأتنا به) أى أى شئ تحضرنا تأتنا به (من آية) بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا اعتقادهم ولذلك قالوا (لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) أى لتسحرنا أعيننا وتشبه علينا والضمير فى به وبها لمهما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وأنثه بعده باعتبار المعنى (فارسلنا عليهم الطوفان) ماء طاف بهم وغشى أماكنهم وحرثهم من مطر أو سيل وقيل الجدرى وقيل الموتان وقيل الطاعون (والجراد والقمل) قيل هو كبار القردان وقيل أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها (والضفادع والدم) روى انهم مطروا ثمانية أيام فى ظلمة شديدة لا يقدر أحد أن يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم فلم يدخل فيها قطرة وركد على أراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم أسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع مالم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم أخذت تأكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحى التى جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما أبقاه الجراد وكان يقع فى أطعمتهم ويدخل بين أثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم أرسل الله عليهم الضفادع

الكاف الخ) الذى يكف الشخص عن شئ أى ينهاه عنه والمقصود منه النهى عن الشئ والمراد منه نهى موسى عن دعوى النبوة فكانهم قالوا اترك دعوى النبوة (قوله ولذلك قالوا الخ) أى قولهم لتسحرنا يدل على انهم ما اعتقدوا ان ما أتى به آية من عند الله (قوله والضمير فى به وبها) لا يدل على ان الضمير المذكور بعده البيان فى كل موضع راجع الى المبين لا الى البيان

بحيث

بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهى تغلى وأفواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهود ثم أرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطى مع الاسرائيلى على اناء فيكون ما يلى القبطى دما وما يلى الاسرائيلى ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلى فيصير دما فى فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف (آيات) نصب على الحال (مفصلات) مبينات لا تشكل على عاقل أنها آيات الله ونقمته عليهم أو مفصلات لامتحان أحوالهم اذ كان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة أسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل (فاستكبروا) عن الايمان (وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز) يعنى العذاب المفصل أو الطاعون الذى أرسله الله عليهم بعد ذلك (قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك وهو النبوة أو بالذى عهده اليك أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك فى آياتك وهو صلة لادع أو حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك أو متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك أو قسم مجاب بقوله (ان كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل) أى أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن (فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه) الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه أو مهلكون وهو وقت الغرق أو الموت وقيل الى أجل عينوه لايمانهم (اذا هم ينكثون) جواب لما أى فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غير تأمل وتوقف فيه (فانتقمنا منهم) فاردنا الانتقام منهم (فأغرقناهم فى اليم) أى البحر الذى لا يدرك قعره وقيل لجته (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) أى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم (مشارق الارض ومغاربها) يعنى أرض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها (التى باركنا فيها) بالخصب وسعة العيش (وتمت كلمت ربك الحسنى على بنى اسرائيل) ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله تعالى ونريد أن نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد (بما صبروا) بسبب صبرهم على الشدائد (ودمرنا) وخربنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من القصور والعمارات (وما كانوا يعرشون) من الجنات أو ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وأبو بكر هنا وفى النحل يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) وما بعده ذكر ما أحدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد أن من الله عليهم بالنعم الجسام وأراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم روى أن موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا (فاتوا على قوم) فمروا عليهم (يعكفون على أصنام لهم) يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائى يعكفون بالكسر (قالوا يا موسى اجعل لنا الها) مثالا نعبده (كما لهم آلهة) يعبدونها وما كافة للكاف (قال انكم قوم تجهلون) وصفهم بالجهل المطلق وأكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا

(قوله فاردنا الانتقام منهم) انما فسره بذلك لان الانتقام ليس نفس الاغراق فيجب ان يفسر انتقمنا بارادة الانتقام (قوله روى ان موسى عليه الصلاة والسلام عبر بهم بعد مهلك فرعون الخ) هذا صريح فى ان عبور موسى وقومه بعد هلاك فرعون وقومه لكن الآية المذكورة فى سورة الشعراء فى قوله تعالى وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين صريح فى ان عبور موسى وقومه قبل هلاك فرعون وما قصه المصنف فى البقرة نص فى تقدم العبور على هلاك فرعون وما لزم على المصنف لزم على الكشاف والنيسابورى اللهم الا ان يلتزم ان عبور موسى وقومه على البحر مرتين مرة قبل هلاك فرعون وهو مدلول الآية فى سورة يونس ومرة بعد هلاكهم وهو مدلول الرواية المذكورة فتأمل

(قوله وانما بالغ الخ) فالمبالغة فى اسم الاشارة للاهتمام بتعنتهم حتى يحكم عليهم بالحكمين المذكورين وتقديم الخبرين لافادة الاهتمام بشأن التبار والبطلان (قوله أوكون مصلحا) يعنى ان فعل أصلح اما متعد وهو المعنى الذى سبق فيكون مفعوله محذوفا أولازم وهو هذا المعنى (قوله لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا الخ) لم يجر عليه دليلا ولم يقل انه ثابت فى كتاب وكانه ادعى البداهة واجماع من يعتد بهم على ذلك فتأمل (قوله ولن ينظر الى) يلتبس ان يكون ينظر بصيغة الغائب المجهول يعنى انه لما قال موسى أرنى أنظر اليك يمكن ان يقال فى الجواب لن أرى أوان أريك وهذان بناسبان قوله أرنى ويمكن ان يقال أيضا ان ينظر الى وهذا يناسب قوله أنظر اليك واما اذا قرئ لن تنظرانى بصيغة الخطاب ففيه ان فيه أيضا تنبيها على ما ذكر وهو سؤال وهو انه لم قيل أرنى أنظر اليك ولم يقل أرنى أرك مع ان فى الثانى ايجازا وتصريحا بالمقصود الذى هو الرؤية ويمكن ان يقال والله أعلم ان هذا التركيب لايلائم الطبع ملائمة التركيب الوارد فى القرآن فلذا اختير عليه (قوله ودعوى الضرورة مكابرة أوجهل بحقيقة الرؤية) لان الرؤية فى الحقيقة الانكشاف التام للشئ عند شخص وهو أعم من ان يكون فى جهة أوغيرها فالمدعى المذكور على اما ان يعلم حقيقة الرؤية ويدعى استحالة رؤية الله تعالى فيكون مكابرا أولا يعلم فيكون جاهلا بحقيقة الرؤية وقد أوضحنا حق الايضاح بحث رؤية الله تعالى فى شرح تهذيب الكلام

من الآيات الكبرى عن العقل (ان هؤلاء) اشارة الى القوم (متبر) مكسر مدمر (ماهم فيه) يعنى أن الله يهدم دينهم الذى هم عليه ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضا (وباطل) مضمحل (ما كانوا يعملون) من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ فى هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين فى الجملتين الواقعتين خبرا ان لتنبيه على أن الدمار لاحق لما هم فيه لامحالة وأن الاحباط الكلى لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا (قال أغير الله أبغيكم الها) أطلب لكم معبودا (وهو فضلكم على العالمين) والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء معاملتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من أمثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا أن يشركوا به أخس شئ من مخلوقاته (واذ أنجيناكم من آل فرعون) واذكروا صنيعه معكم فى هذا الوقت وقرأ ابن عامر أنجاكم (يسومونكم سوء العذاب) استئناف لبيان ما أنجاهم منه أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما (يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم) يدل منه مبين (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) وفى الانجاء أو العذاب نعمة أو محنة عظيمة (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) ذا القعدة وقرأ أبو عمرو ويعقوب ووعدنا (وأتممناها بعشر) من ذى الحجة (فتم ميقات ربه أربعين ليلة) بالنهار بعين روى انه عليه السلام وعد بنى اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل ربه فأمره الله بصوم ثلاثين فلما أتم أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله تعالى ان يزيد عليها عشرا وقيل أمره بان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم أنزل عليه التوراة فى العشر وكلمه فيها (وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى) كن خليفتى فيهم (وأصلح) مايجب أن يصلح من أمورهم أوكن مصلحا (ولاتتبع سبيل المفسدين) ولاتتبع من سلك الافساد ولاتطع من دعاك اليه (ولما جاء موسى لميقاتنا) لوقتنا الذى وقتناه واللام للاختصاص أى اختص مجيئه لميقاتنا (وكلمه ربه) من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روى أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على أن سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين (قال رب أرنى أنظر اليك) أرنى نفسك بان تمكننى من رؤيتك أوتتجلى لى فأنظر اليك وأراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة فى الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا مايقتضى الجهل بالله ولذلك رده بقوله تعالى لن ترانى دون لن أرى أولن أريك أولن تنظر الى تنبيها على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد فى الرائى لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ اذلو كانت الرؤية ممتنة لوجب أن يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولاتتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها أشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على أن لا يراه أبدا وأن لا يراه غيره أصلا فضلا عن أن يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة أوجهالة بحقيقة الرؤية (قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) استدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيقه وفى تعليق الرؤية بالاستقرار أيضا دليل

على الجواز ضرورة أن المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل هو جبل زبير (فلما تجلى ربه للجبل) ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطى له حياة ورؤية حتى رآه (جعله دكا) مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائى دكاء أى أرضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتى لا سنام لها وقرئ دكا أى قطعا جمع دكاء (وخر موسى صعقا) مغشيا عليه من هول ما رأى (فلما أفاق قال) تعظيما لما رأى (سبحانك تبت اليك) من الجراءة والاقدام على السؤال من غير اذن (وأنا أول المؤمنين) من قومه وقيل معناه أنا أول من آمن بانك لا ترى فى الدنيا (قال يا موسى انى اصطفيتك) اخترتك (على الناس) أى الموجودين فى زمانك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كاملا ولا صاحب شرع (برسالاتى) بعنى أسفار التوراة وقرأ ابن كثير ونافع برسالتى (وبكلامى) وبتكليمى اياك (فخذ ما آتيتك) أعطيتك من الرسالة (وكن من الشاكرين) على النعمة فيه روى أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوراة كان يوم النحر (وكتبنا له فى الالواح من كل شئ) مما يحتاجون اليه من أمر الدين (موعظة وتفصيلا لكل شئ) بدل من الجار والمجرور أى وكتبنا له كل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف فى أن الالواح كانت عشرة أو سبعة وكانت من زمرد أو زبرجد أو ياقوت أحمر أو صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده وسقفها باصابعه وكان فيها التوراة وغيرها (فخذها) على اضمار القول عطفا على كتبنا أو بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح أو لكل شئ فانه بمعنى الاشياء أو للرسالات (بقوة) بجد وعزيمة (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أى يأخذوا بما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم أو يراد اجتباؤها فان الواجب أحسن من غيره ويجوز أن يراد بالاحسن البالغ فى الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف أحر من الشتاء (سأريكم دار الفاسقين) دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها أو منازل عاد وثمود واصرارهم لتعتبروا فلا تفسقوا أو دار هم فى الآخرة وهى جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من أوريت الزند وسأورثكم بوأيده قوله وأورثنا القوم (سأصرف عن آياتى) المنصوبة فى الآفاق والانفس (الذين يتكبرون فى الارض) بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها أو باهلاكهم (بغير الحق) صلة يتكبرون أى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل أو حال من فاعله (وان يروا كل آية) منزلة أو معجزة (لا يؤمنوا بها) لعنادهم واختلال عقولهم بسبب انهماكهم فى الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول (وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا) لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائى الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وهو لغاتها كالسقم والسقام والسقام (وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات وبجوز أن ينصب ذلك على المصدر أى سأصرف ذلك الصرف بسببهما (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أى ولقائهم الدار الاخرة أو ما وعد الله فى الدار الآخرة (حبطت أعمالهم) لا ينتفعون بها (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) الاجزاء أعمالهم (واتخذ قوم موسى من بعده) من بعد ذهابه للميقات (من حليهم) التى استعار وا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت فى أيديهم أو ملكوها

(قوله ان المعلق على الممكن ممكن) فيه ان المراد من استقرار الجبل استقراره عند تجلى الرب تعالى له ومن أين يعلم ان استقراره فى الوقت المذكور ممكن (قوله ظهر له عظمته) فيه ان ظهور عظمة الله تعالى للجبل يستدعى ان يكون له ادراك وهو مستلزم للحياة فيكون التفاوت بينه وبين ما أداه بقيل الخ ان الاول يستدعى الحياة والثانى يفيد الحياة والرؤية معا (قوله وهو المأمور) أى أعم من ان يكون على سبيل الوجوب وعلى الندب ويمكن ان يجوز فى الظهور (قوله كقولهم الصيف أحر من الشتاء) أى الصيف أزيد فى حرارته من الشتاء فى بردته (قوله وهو يؤيد الوجه الاول) من الوجهين المذين ذكرا فى تفسير قوله تعالى سأصرف عن آياتى الخ لان عدم الايمان بالآية مناسب للطبع على القلوب

بعدهلا كهم وهو جمع حلى كشدى وثدى وقرأ حمزة والكسائى بالكسر بالاتباع كدلى ويعقوب على الافراد (عجلا جسدا) بدنا ذا لحم ودم أو جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل (له خوار) صوت البقر روى ان السامرى لما صاغ العجل ألقى فى فمه من تراب أثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنو عن من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوّت وانما ناسب الاتخاذ اليهم وهو فعلها مالانهم رضوابه أو لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ بجؤارا أى صياح (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى ألم يروا حين اتخذوه الها أنه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا أنه خالق الاجسام والقوى والقدر (اتخذوه) تكرير للذم أى اتخذوه الها (وكانوا ظالمين) واضعين الاشياء فى غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم (ولما سقط فى أيديهم) كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفعل للفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم فى أنفسهم (ورأوا) وعلموا (أنهم قد ضلوا) باتخاذ العجل (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا) بانزال التوراة (ويغفر لنا) بالتجاوز عن الخطيئة (لنكونن من الخاسرين) وقرأ أهل حمزة والكسائى بالتاء ورفع النداء (ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا) شديدا الغضب وقيل حزينا (قال بئسما خلفتمونى من بعدى) فعلتم بعدى حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة أو لقوم مقامى فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه ومأنكرة موصوفة تفسر المستكن فى بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى من بعد انطلاقى أو من بعد ما رأيتم منى من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه (أعجلتم أمر ربكم) أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدى تعديته أو أعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين وقد رتم موتى وغيرتم بعدى كما غيرت الامم بعد أنبيائهم (وألقى الالواح) طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حيث لم الدين روى أن التوراة كانت سبعة أسباع فى سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفع ستة أسباعها وكان فيها تفصيل كل شئ وبقى سبع كان فيه المواعظ والاحكام (وأخذ برأس أخيه) بشعر رأسه (يجره اليه) توهما بانه قصر فى كفهم وهرون كان أكبر منه بثلاث سنين وكان جولا لينا ولذلك كان أحب الى بنى اسرائيل (قال ابن أم) ذكر الام ليرققه عليه وكانا من أب وأم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم هنا وفى طه يا ابن أم بالكسر وأصله يا ابن أمى فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة فى التخفيف لطوله أو تشبيها بخمسة عشر (ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى) ازاحة لتوهم التقصير فى حقه والمعنى بذلت وسعى فى كفهم حتى قهروني واستضعفونى وقاربوا قتلى (فلا تشمت بى الاعداء) فلا تفعل بى ما يشمتون بى لاجله (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) معدودا فى عدادهم بالمؤاخذة أو نسبة التقصير (قال رب اغفر لى) بما صنعت بأخى (ولاخى) ان فرط فى كفهم ضمه الى نفسه فى الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه (وأدخلنا فى رحمتك) بمزيد الانعام علينا (وأنت أرحم الراحمين) فانت أرحم بنا منا على أنفسنا (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم) وهو ما أمرهم به من قتل أنفسهم (وذلة فى الحياة الدنيا) وهى خروجهم من ديارهم وقيل الجزية (وكذلك نجزى المفترين) على الله ولافرية أعظم من فريتهم وهى قولهم هذا الحكم والهموسى ولعله لم يفترمثلها أحد قبلهم

(قوله وقيل صاغه بنوع من الحيل الخ) هذا ليس بشئ لان الاول مناسب لقوله تعالى قال فما خطبك ياسامرى قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها (قوله أولان المراد اتخاذهم اياه الها) يجب تعيين هذا التفسير اذ لو كان المراد من الاتخاذ الاول لم يكن لقوله تعالى ألم يروا انه لا يكلمهم الخ ربط ظاهر بما سبق وههنا سؤال وهو ان ما فائدة قوله جسدا ولم يقل عجلا له خوار والجواب ان فائدته انه مجرد جسد لا روح فيه أو فيه روح لكن لا يكون له خواص والآثار فكانه لم يكن (قوله فصار يده مسقوطا فيها) أى سقط العاض فى اليد المعضوض وانما جعله كناية ولم يجعل مجازا لانه يمكن ان يراد به المعنى الحقيقى (قوله ولافرية أعظم من فريتهم) لانهم جعلوا العجل الموضوع اله موسى بعد ما رأوا الآيات من موسى وما لقته فى التوحيد

ولا بعدهم (والذين عملوا السيئات) من الكفر والمعاصى (ثم تابوا من بعدها) من بعد السيئات (وآمنوا) واشتغلوا بالايمان وماهو مقتضاه من الاعمال الصالحة (ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور رحيم) وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثير كجرائم بنى اسرائيل (ولما سكت) سكن وقد قرئ به (عن موسى الغضب) باعتذار هرون أو بتوبتهم وفى هذا الكلام مبالغة و بلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على مافعل كالآمر به والمغرى عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت وأسكت على أن المسكت هو الله أو أخوه أو الذين تابوا (أخذ الالواح) التى ألقاها (وفى نسختها) وفيما نسخ فيها أى كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها أى من الالواح المنكسرة (هدى) بيان للحق (ورحمة) ارشاد الى الصلاح والخير (للذين هم لربهم يرهبون) دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير أو حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصى الله لربهم (واختار موسى قومه) أى من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل اليه (سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة) روى أنه تعالى أمره أن يأتيه فى سبعين من بنى اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزادا ثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخر واسجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فأقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة أى الصاعقة أو رجفة الجبل فصعقوا منها (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای) تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما رأى أو بسبب آخر أوعنى به أنك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم و باغراقهم فى البحر وغيرهما فترجت عليهم بالانقاذ منها فان ترجت عليهم مرة أخرى لم يبعد من عميم احسانك (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها ففشيتهم هيبة فقالوا منها و رجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم (ان هى الا فتنتك) ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتى طمعوا فى الرؤية أو أوجدت فى العجل خوارا فزاغوا به (تضل بها من تشاء) ضلاله بالتجاوز عن حده أو باتباع المخايل (وتهدى من تشاء) هداه فيقوى بها ايمانه (أنت ولينا) القائم بأمرنا (فاغفر لنا) بمغفرة ماقارفنا (وارحمنا وأنت خير الغافرين) تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة (واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة) حسن معيشة وتوفيق طاعة (وفى الآخرة) الجنة (انا هدنا اليك) تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا أماله و يحتمل أن يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى أملنا أنفسنا وأملنا اليك و يجوز أن يكون المضموم أيضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض (قال عذابى أصيب به من أشاء) تعذيبه (ورحمتى وسعت كل شئ) فى الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره (فسأكتبها) فسأثبتها فى الآخرة أوفسأكتبها كتبة خاصة منكم يابنى اسرائيل (للذين يتقون) الكفر والمعاصى (ويؤتون الزكاة) خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت أشق عليهم (والذين هم بآياتنا يؤمنون) فلا يكفرون بشئ منها (الذين يتبعون الرسول النبى) مبتدأ خبره يأمرهم أوخبر مبتدأ تقديره هم الذين أو بدل من الذين يتقون بدل البعض أو

(قوله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل أوالمفعول) أى اذا قرئ بكسر الهاء فاما اذا كان بضم الهاء فهو مبنى للفاعل الاعلى اللغة التى يذكرها (قوله أوفسأكتبها كتبة خاصة) أى سأكتب رحمة خاصة على بنى اسرائيل وان كان مطلق الرحمة يعم كل موجود يعنى ان السين تفيد الاستقبال فيكون اما باعتبار ثبوتهما فى الآخرة واما باعتبار حصولها لبنى اسرائيل فى مستقبل الزمان

الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى ونبيا بالاضافة الى العباد (الامى) الذى لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على أن كمال علمه مع حاله احدى معجزاته (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) اما وصفة (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات) مما حرم عليهم كالشحوم (ويحرم عليهم الخبائث) كالدم ولحم الخنزير أو كالربا والرشوة (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم) ويخفف عنهم ما كانوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص فى العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة وأصل الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه أى يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم (فالذين آمنوا به وعزروه) وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف وأصله المنع ومنه التعزير (ونصروه) لى (واتبعوا النور الذى أنزل معه) أى مع نبوّته يعنى القرآن وانما سماه نورا لانه بإعجازه ظاهر أمره مظهر غيره أولانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز أن يكون معه متعلقا بانزل أى وانبعوا النور المنزل مع اتباع النبى فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة (أولئك هم المفلحون) الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى صلى الله عليه وسلم (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم) الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى أقوامهم (جميعا) حال من اليكم (الذى له ملك السموات والارض) صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره (لا اله الا هو) وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفى (يحيى ويميت) مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية (فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته) ما أنزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس أو القرآن أو عيسى تعريضا للهود وتنبيها على أن من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له (واتبعوه لعلكم تهتدون) جعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين تنبيها على أن من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد فى خطط الضلالة (ومن قوم موسى) يعنى من بنى اسرائيل (أمة يهدون بالحق) يهدون الناس محقين أو بكلمة الحق (وبه) بالحق (يعدلون) بينهم فى الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من أهل زمانه أثنى عليهم ذكر هم وذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على أن تعارض الخير والشر وتزاحم أهل الحق والباطل أمر مستمر وقيل مؤمنو أهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به (وقطعناهم) وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض (اثنتى عشرة) مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير أو حال وتأنيثه للحمل على الامة أو القطعة (أسباطا) بدل منه ولذلك جمع أو تمييز له على أن كل واحدة من اثنتى عشرة أسباط فكأنه قيل اثنتى عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها (أمما) على الاول بدل بعد بدل أو نعت أسباطا وعلى الثانى بدل من أسباطا (وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه) فى التيه (أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست) أى فضرب فانبجست وحذفه للايماء على أن موسى صلى الله عليه وسلم لم يتوقف فى الامتثال ولو ضرب به لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل فى ذاته (منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس) كل سبط (مشربهم وظللنا عليهم

(الغمام)

(قوله و يخفف عنهم ما كانوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص فى العمد والخطأ الخ) هذا نقيض ماذكر فى تفسير قوله تعالى وأمر قومك يأخذوا بأحسنها فانه قال بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل ويمكن ان يجمع بين الكلامين بان المأمور به فى الالواح على سبيل الندب الصبر والعفو ثم تعين عليهم القصاص بجرائم صدرت منهم (قوله وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله) المراد من الوجوه الاول كون الذى له ملك السموات والارض صفة لله أو مدحا منصوبا أو مرفوعا (قوله وانما عدل عن التكلم الى الغيبة) أى الاصل ان يقال فآمنوا بالله وبى اذ الآية نحت قوله تعالى قل يا أيها الناس وانما عدل عن ياء التكلم الى قوله و رسوله لاجراء الصفات المذكورة وهو النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته عليه (قوله وحذفه للدلالة على ان موسى لم يتوقف فى الامتثال) فيه انه لو ذكر وقيل فضرب فانبجست لدل على ذلك

أيضا ان الفاء تدل على التعقيب والجواب ان الحذف يدل على سرعة الامتثال دلالة عليه لانه رتب الانبجاس على الضرب من غير ذكره فهو يدل على سرعة وقوع الامتثال فى زمان قليل بحيث كانه لم يكن والاولى ان يقال وحذفه للمبالغة فى سرعة الامتثال

الغمام) ليقيهم حر الشمس (وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا) أى وقلنا لهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) سبق نفسيره فى سورة البقرة (واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية) باضمار اذكر والقرية بيت المقدس (وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا) مثل ما فى سورة البقرة معنى غير أن قوله فكلوا فيها بالفاء أفاد تسبب سكناهم للأكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثمة أو بدلالة الحال عليه وأما تقديم قوله قولوا على وادخلوا فلا أثر له فى المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما (نغفر لكم خطيآتكم سنزيد المحسنين) وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما أخرج الثانى مخرج الاستئناف للدلالة على أنه تفضل محض ليس فى مقابلة ما أمروا به وقرأنا فع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيآتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرأ أبو عمر وخطاياكم (فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون) مضى تفسيره فيما (واسئلهم) للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التى لا تعلم الا بتعليم أو وحى ليكون لك ذلك معجزة عليهم (عن القرية) عن خبرها وما وقع بأهلها (التى كانت حاضرة البحر) قريبة منه وهى أيلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية (اذ يعدون فى السبت) يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت أو حاضرة أو للمضاف المحذوف أو بدل منه بدل الاشتمال (اذ تأتيهم حيتانهم) ظرف ليعدون أو بدل بعد بدل وقرئ يعدون وأصله يعتدون ويعدون من الاعداد أى يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا أن يشتغلوا فيه بغير العبادة (يوم سبتهم شرعا) يوم تعظيمهم أمر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) وقرئ لا يسبتون من أسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون فى السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا وأشرف (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله أى لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون (واذ قالت) عطف على اذ يعدون (أمة منهم) جماعة من أهل القرية يعنى صلحاءهم الذين اجتهدوا فى موعظتهم حتى أيسوا من اتعاظهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم) مخترمهم (أو معذبهم عذابا شديدا) فى الآخرة لتمادیهم فى العصيان قالوه مبالغة فى أن الوعظ لا ينفع فيهم أو سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم أو قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة أجابوا به وعاظهم ردا عليهم ونهكما بهم (قالوا معذرة الى ربكم) جواب للسؤال أى موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا تنسب الى نفريط فى النهى عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر أو العلة أى اعتذارا به معذرة أو وعظناهم معذرة (ولعلهم يتقون) اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك (فلما نسوا) تركوا ترك

(قوله والاعلام بما هو من علومهم التى لا تعلم الا بتعليم أو وحى) ولما لم يتعلم النبى صلى الله عليه وسلم علم انه بالوحى (قوله أو للمضاف المحذوف) أى المضاف المحذوف فى قوله تعالى واسئل القرية (قوله أو بدل منه) أى من المضاف المحذوف ولا يلزم صحة وقوع البدل مقام المبدل منه حتى يردانه لا يصح ان يقال واسئلهم عن أهل القرية اذ كانت حاضرة البحر (قوله ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم) بلفظ المصدر يؤيد أن السبت بمعنى التعظيم وكذا قوله تعالى ويوم لا يسبتون يؤيد ان السبت بالمعنى المصدرى لاشتقاق الفعل منه (قوله أو سؤالا عن علة الوعظ) بدل على ان المعنى الاول النهى عن الوعظ (قوله اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك) هذا نقيض ما سيبى من قوله حين أيسوا من اتعاظهم لانهم اذا أيسوا من اتعاظهم قبل هلاكهم فكيف يصح قوله اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك ثم قوله حين أيسوا لا يناسب لعلهم يتقون على بعض التفاسير التى ذكرها وهو ان يكون القول المذكور هو التقاول بين صلحاء القرية الذين أيسوا من اتعاظهم لانهم اذا أيسوا من اتعاظهم كيف يقول بعضهم لبعض ذلك وهو قوله لعلهم يتقون لانه يفيد رجاء التقوى ويمكن ان يقال مراده من أيسوا قربوا من اليأس كما قيل فدهمت الملاوهى لم تهم بعد بل المراد

الناسى (ماذكروا به) ماذكرهم به صلحاؤهم (أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء ومخالفة أمرالله (بعذاب بئيس) شديد فعيل من بؤس يبؤس بؤسا اذا اشتد وقرأ أبو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمز على أنه بئس كحذر كقارئ به بخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد فى كبد وقرأ نافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قالوا فى ذئب أوعلى أنه فعل الذم وصف به جعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس بالتخفيف كهين وبائس كفاعل (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم (فلما عتوا عما نهوا عنه) تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله تعالى وعتوا عن أمر ربهم (قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) كقوله انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون والظاهر يقتضى أن الله تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز أن تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روى أن الناهين لما أيسوا عن انقطاع المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم أحد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذاهم قردة فلم يعرفوا أنسباءهم ولكن القردة تعرفهم فجعلت تأتى أنسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا أبدانهم (واذ تأذن ربك) أى أعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد أوعزم لان العازم على الشئ يؤذن نفسه بفعله وأجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بجوابه وهو (ليبعثن عليهم الى يوم القيامة) والمعنى واذ أوجب ربك على نفسه لبساطون على اليهود (من يسومهم سوء العذاب) كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بختنصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر (ان ربك لسريع العقاب) عاقبهم فى الدنيا (وانه لغفور رحيم) لمن تاب وآمن (وقطعناهم فى الارض أمما) وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لأدبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وأمما مفعول ثان أوحال (منهم الصالحون) صفة أو بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم (ومنهم دون ذلك) تقديره ومنهم ناس دون ذلك أى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم (وبلوناهم بالحسنات والسيآت) بالنعم والنقم (لعلهم يرجعون) ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه (خلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع فى الشر والخلف بالفتح فى الخير والمراد به الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورثوا الكتاب) التوراة من أسلافهم يقرؤنها ويقفون على مافيها (يأخذون عرض هذا الأدنى) حطام هذا الشئ الأدنى يعنى الدنيا وهو من الدنو أو الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشا فى الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو (ويقولون سيغفرلنا) لايؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور أو مصدر يأخذون (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) حال من الضمير فى لنا أى يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أى فى الكتاب (ألا يقولوا على الله الا الحق)

قربها والاولى ان يقال بدل قوله حين أيسوا حين تضجروا (قوله كقوله انما قولنا لشئ الخ) الظاهر انه لا أمر ولا قول فى الحقيقة وانما الغرض ارادة جعلهم قردة بدليل ماقاله فى تفسير قوله تعالى واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وهوان ليس المراد به حقيقة أمر وامتثال بل تمثيل حصول ماتعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف فيكون معنى قوله انما قولنا لشئ الخ انما ارادتنا لشئ فى وقت ارادتنا له ان يريد كونه فيكون (قوله وهو يحتمل العطف والحال) فالاول بان يكون معطوفا على يأخذون والثانى ان يكون حالا عن ضمير يأخذون (قوله حال عن الضمير فى لنا) الوجه ان يقال انه حال على الضمير فى يقولون فانه للائم لقوله يرجون المغفرة ويصرون على الذنب

(قوله والمراد تو بيخهم على البت بالمغفرة) يعنى انهم فعلوا المحرمات وجزموا بالغفران وهو مذموم وهذا رد على قول صاحب الكشاف من ان مذهب أهل السنة فى غفران الذنوب من غير توبة مذهب اليهود و بيان الفرق ان اليهود كانوا يجزمون بالمغفرة من غير توبة واما أهل السنة فليسوا كذلك بل يقولون بمجرد الاحتمال ولم يجزموا بها (قوله فانه تقرير) دفع سؤال وهو انه كيف يعطف عليه والمعطوف عليه انشاء لانه استفهام فلزم عطف الاخبار على الانشاء فاجاب بان الاستفهام ليس على حقيقته بل هو للتقرير فيكون خبرا فى الحقيقة (قوله وهو اعتراض) أى ألم يؤخذ اعتراض لانه واقع بين المعطوف والمعطوف عليه (قوله لانهم كانوا يوعدون به) أى بانهم لو لم يقبلوا أحكام التوراة وقع الجبل عليهم (قوله لانه لم يقع متعلقه) فيه انه اذا كان كذلك لم يكن يقينا لان متعلق اليقين لابد أن يقع والا لم يكن يقينا بل جهلا مركبا (قوله اى أخرج من أصلابهم نسمهم على ما يتوالدون الخ) ظاهره دال على ان المراد من اخراج الذرية المذكورة فى الآية اخراج الاولاد وخلق أبدانهم (٣٢) التى تتعلق بها الارواح على الترتيب الذى

عطف بيان للميثاق أو متعلق به أى بان يقولوا والمراد تو بيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب (ودرسوا مافيه) عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير أوعلى ورثوا وهو اعتراض (والدار الآخرة خير للذين يتقون) مما يأخذ هؤلاء (أفلا يعقلون) فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الأدنى الدنىء المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة) عطف على الذين يتقون وقوله أفلا يعقلون اعتراض أو مبتدأ خبره (انا لانضيع أجر المصلحين) على تقدير منهم أو وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على أن الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ أبو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر أنواع التمسكات (واذ نتقنا الجبل فوقهم) أى قلعناه ورفعناه فوقهم وأصل النتق الجذب (كأنه ظلة) سقيفة وهى كل ما أظلك (وظنوا) وتيقنوا (أنه واقع بهم) ساقط عليهم لان الجبل لايثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما أطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا لألقى عليكم (خذوا) على اضمار القول أى وقلنا خذوا أو قائلين خذوا (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو (واذكروا مافيه) بالعمل به ولاتتركوه كالمنسى (لعلكم تتقون) قبائح الاعمال و رذائل الاخلاق (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) أى أخرج من أصلابهم نسلهم على مايتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض وقرأ نافع وأبو عمر وابن عامر ويعقوب ذرياتهم (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) أى وانصب لهم دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم مايدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم

(٥ - (بيضاوى) - ثالث)

لكن العلامة الطيبى قال ذهب أهل التأويل الى ان المراد بالاشهاد ماركبه الله فيهم من العقول وآتاهم من البصائر وكانه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكانهم قالوا بلى فنطقوا فى معناه الى انه تمثيل وتصوير للمعنى وهذا الذى ذهبوا اليه فى تأويل حديث عمر تأويل مستقيم لولا مخالفة حديث ابن عباس رضى الله عنهما وهو ما رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعنى عرفه فاخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وهذا الحديث مخرج فى كتاب النسائى لايحتمل من التأويل مايحتمله حديث عمر لطهوره والمراد منه أقول لان قوله صلى الله عليه وسلم ثم كلمهم قبلا يراد التكليم والقول كالصريح فى ان الاشهاد هو التكليم والقول والجواب أيضا القول الحقيقى والالما كان لايراد التكليم ويراده بالقول كبير وجه ثم قال أى العلامة الطيبى ان الاحاديث الثلاثة الواردة فى هذا الباب متعاضدة متوافقة الاول حديث عمر رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الآية فقال ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه

نحن شاهدناه والجواب ان المراد اخراج الذرية على ترتيب التوالد من زمان آدم الى يوم القيامة فاخرج ذرية آدم من ظهره ثم أخرج من ظهور ذريته هذه الذرية وهكذا الكن قد صرح فى شرح المصابيح بما هو أصرح فقال المراد من الاخراج توليد بعضهم من بعض على مر الزمان وهذا يخالف الاحاديث فانها صريحة فى اخراج الذرية فى زمان آدم من ظهره بنعمان يعنى عرفة بين مكة والطائف (قوله ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم الخ) اعلم ان معنى كلامه ان قوله تعالى وأشهدهم واقع على طريقة التمثيل

فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة و بعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار و بعمل أهل النار يعملون الثاني حديث أبي هريرة وهو انه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة الحديث الثالث حديث ابن عباس وهو ما ذكرنا واذا تقرر هذا فالواجب على المفسر المحقق ان لا يفسر كلام الله المجيد برأيه اذا وجد من جانب السلف الصالح نقلا معتمدا فكيف بالنص القاطع من حضرة الرسالة صلى الله عليه وسلم فان الصحابي رضي الله عنه لما سأله صلى الله عليه وسلم عما أشكل عليه من معنى الآية ان الاشهاد هل هو حقيقة أو لا والاخراج والمقاولة بقوله قال ألست بربكم قالوا بلى انما هو تمثيلي المتعارف أم على الاستعارة فلما أجابه صلى الله عليه وسلم بما عرف منه ما اراده سكت انتهى كلامه وهو صريح في انه يجب حمل الآية على المعنى الحقيقي دون التمثيل كما حمله القاضي وغيره تبعا للزمخشري وتوضيح كلام الطيبي انه لو لم نحمل الاحاديث على الحقيقة لم يكن لجوابه صلى الله عليه وسلم في سؤال الصحابي فائدة اذ الصحابي حمل الكلام على المعنى الحقيقي ويكون المراد من الحديث غيره على التقدير المذكور ثم ان ههنا سؤالا أورده بعضهم وهو انه اذا كان اقرار الذرية بما ذكر وقت الاخراج من الظهور ان كان عن اضطرار حيث كوشفت بحقيقة ما شاهدوه عين اليقين فلهم ان يقولوا يوم القيامة شهدنا يومئذ فلم نزال غافلين عنا على الضرورة وكنا الى آبائنا كان منا من أصاب ومنا من أخطأ وان كان عن استدلال ولكنهم عصموا عنه من الخطأ فلهم ان يقولوا يوم القيامة أيدنا يوم الاقرار بتوفيق الله وعصمته وحرمناهما من بعد ولو مددنا بهما أيضا لكانت شهادتنا في كل حين كشهادتنا في اليوم الاول بعد تبين الميثاق ماركب الله فيهم من العقول (٣٤) وآتاهم من البصائر لانها هي الحجة القاطعة المانعة لهم عن قولهم انا كنا

عن هذا غافلين وأجاب العلامة الطيبي عن قوله انهم يقولون شهدنا يومئذ الخ بانكم ما وكلتم الى آرائكم بل أرسلنا رسلنا تترى بالتوقيف عن سنة الغفلة واما الجواب عن قوله فلهم ان يقولوا يوم القيامة أيدنا يوم الاقرار الخ فهو ان هذا مشترك الالزام لانه اذا قبل لم تمنحكم العقول والبصائر بالميثاق

منه بمنزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله (أن تقولوا يوم القيامة) أي كراهة أن تقولوا (انا كنا عن هذا غافلين) لم ننبه عليه بدليل (أو تقولوا) عطف على أن تقولوا وقرأ أبو عمر و كلبها بالياء على أول الكلام على الغيبة (انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم أخرج من ظهره ذرية كالذر وأحياهم وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك الحديث رواه عمر رضي الله تعالى عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي الكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعدما ألزمهم

فلهم ان يقولوا اذا حرمنا الالطاف والتوفيق فاي فائدة لنا في العقل والبصيرة أقول بقي ههنا اشكال وهو انه اذا حمل الآية على المعنى الحقيقي كما قاله الطيبي والحال ان الله تعالى عليم بان الذرية عالمون بانه تعالى ربهم اذ لو لم يعلموا لم يكن للسؤال عنهم معنى ولم يكن لجوابهم أيضا وجه ولما تقرر انه تعالى ربهم وعلم الله تعالى انهم عالمون فما فائدة هذا السؤال والجواب ويمكن ان يقال الفائدة اظهار كمال القدرة لمن حضر ذلك المشهد من الملائكة وغيرهم من خلق الله تعالى فانه لا يخفى ان اخراج ذرية آدم الى يوم القيامة مرة واحدة كالذر والسؤال عنهم عما ذكر وجوابهم بما ذكروا من غرائب القدرة التي بهرت عقول أولي الابصار أو يقال الفائدة اطلاع من حضر ذلك المكان حتى يشهد عليهم يوم القيامة هذا ما خطر على خاطري القاصر والله و رسوله أعلم فان قيل كيف التوفيق بين الآية والحديث فان الآية دلت على اخراج الذرية من ظهور بني آدم والحديث على اخراج الذرية من ظهر آدم فجوابه ان المراد من بني آدم آدم وذريته لكن غلب اخراج الذراري من أصلاب أولاده نسلا بعد نسل حينئذ على ذراري نفسه و بعضده ما رواه الواحدي عن الكسائي انه قال لم يذكر ظهر آدم وانما أخرجوا جميعا عن ظهره لان الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من بعض على نحو ما هو المشاهد من الآباء واستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم انهم كلهم أولاده فاخرجوا من ظهره و يمكن ان يقال المراد من اخراج الذرية من ظهر آدم اخراجها من ظهره أعم من ان يكون بلا واسطة أو بواسطة واحدة أو وسائط قليلة أو كثيرة ولما كان من أخرج من ظهر آدم بلا واسطة قليلا و ردا لقرآن ناظرا الى الغالب الذي كان ما سواه كالعدم فان ما ظهر من آدم بلا واسطة بالنسبة الى ما خرج من ظهور ذريته كالعدم فقال تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم (قوله على طريقة التمثيل) و يمكن ان يراد بقوله على طريقة التمثيل الاستعارة التمثيلية بان شبه من نصب له دلائل الربوبية وركب في عقله ما يدعوه الى الاقرار بها بمن

أشهده الله على نفسه بالاقرار بالربوبية فى جواب السؤال عنها بألست بربكم ووجه الشبه كون كل منهما عالما بكونه تعالى ربه ومستعدا للاعتراف بها حين السؤال ويمكن ان يراد بقوله المذكور مجرد التشبيه فلا يلزم ان يكون فى الكلام استعارة تمثيلية بل مجرد استعارة وهو فى هذا المقام اشكال وهو ان السؤال بألست بربكم واقرار الذرارى بربوبيته تعالى لا ينافى الشرك لان المشركين قائلون بان الله تعالى ربهم كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم (٣٥) ليقولن الله فما معنى قوله تعالى ان تقولوا يوم القيامة بمعنى كراهة ان تقولوا يوم القيامة الخ والجواب عنه انه يفهم من سياق الآية ان المراد من قوله تعالى ألست بربكم لا غيرى ولا يخفى ان هذا ينافى الشرك لان الشرك عبارة عن اتخاذ رب مع الله تعالى كما قال حكاية عن يوسف عليه السلام ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار (قوله انما عاق رفعه بمشيئته ثم استدرك الخ) التنبيه على تعليق الأمور بالمشيئة مستفاد من قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها وأمر الوسائط مستفاد من قوله تعالى ولكنه أخلد الى الارض فان مشيئته عدم رفعه بل انحطاطه وخذلانه بسبب الاخلاد الى الارض واتباع الهوى وان حب الدنيا رأس كل خطيئة بان يقاس سائر المعاصى على ماذكر بان يقال لما كانت هذه المعصية الكبيرة سبب حب الدنيا كان جميع المعاصى كذلك وفيه ما فيه (قوله والتمثيل لازم الخ) أى لازم للتركيب المتقدم وهو قوله تعالى ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه لانه يستلزم الانحطاط والخذلان فاقيم التمثيل المذكور وهو قوله تعالى فمثله كمثل الكلب الخ مقام اللازم لانه فى حكم غاية الانحطاط (قوله تصريح بان الهدى والضلال من الله تعالى) أى الاهتداء والاضلال منه تعالى اما الاول فلأن قوله تعالى فهو المهتدى جملة خبرية محلا بالام تفيد حصر الاهتداء على من هداه الله تعالى واما الثانى فلان ضمير الفصل فى قوله فاولئك هم الخاسرون وكون الخبر محليا باللام يفيد الحصر (قوله وانها مستلزمة للاهتداء) فتكون الهداية بمعنى الدلالة الموصلة لا الدلالة على

بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال (وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون) أى عن التقليد واتباع الباطل (واتل عليهم) أى على اليهود (نبأ الذى آتيناه آياتنا) هو أحد علماء بنى اسرائيل أو أمية بن أبى الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا فى ذلك الزمان ورجا أن يكون هو فلما بعث محمد عليه السلام حسده وكفر به أو بلعم بن باعوراء من الكنعانيين أوتى علم بعض كتب الله (فانسلخ منها) من الآيات بان كفر بها وأعرض عنها (فاتبعه الشيطان) حتى لحقه وقيل استتبعه (فكان من الغاوين) فصار من الضالين روى أن قومه سألوه أن يدعو على موسى ومن معه فقال كيف أدعو على من معه الملائكة فالحوا حتى دعا عليهم فبقوا فى التيه (ولو شئنا لرفعناه) الى منازل الابرار من العلماء (بها) بسبب تلك الآيات وملازمتها (ولكنه أخلد الى الارض) مال الى الدنيا أو الى السفالة (واتبع هواه) فى ايثار الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وأن عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وأن السبب الحقيقى هو المشيئة وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة فى حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه أن يقول ولكنه أعرض عنها فاوقع موقعه أخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وأن حب الدنيا رأس كل خطيئة (فمثله) فصفته التى هى مثل فى الخسة (كمثل الكلب) كصفته فى أخس أحواله وهو (ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) أى يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده وللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية فى موضع الحال والمعنى لاهثا فى الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذى هو نفى الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى صلى الله عليه وسلم خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص) القصة المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم (لعلهم يتفكرون) تفكرا يؤدى بهم الى الانتباه (ساء مثلا القوم) أى مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم (الذين كذبوا بآياتنا) بعد قيام الحجة عليهم وعلمهم بها (وأنفسهم كانوا يظلمون) اما أن يكون داخلا فى الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم أو منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا أنفسهم فان وبال ما لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول (من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون) تصريح بان الهدى والاضلال من الله وأن هداية الله تختص ببعض دون بعض وأنهما مستلزمة للاهتداء والاضلال والجمع فى الثانى

باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على أن المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار فى الاخبار عمن هداه الله بالمهتدى تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على أنه فى نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لولم يحصل له غيره لكفاه وأنه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها (ولقد ذرأنا) خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس) يعنى المصرين على الكفر فى علمه تعالى (لهم قلوب لايفقهون بها) اذلا يلقونها الى معرفة الحق والنظر فى دلائله (ولهم أعين لايبصرون بها) أى لاينظرون الى ماخلق الله نظر اعتبار (ولهم آذان لايسمعون بها) الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر (أولئك كالانعام) فى عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر أو فى أن مشاعرهم وقواهم متوجهة الى أسباب التعيش مقصورة عليها (بل هم أضل) فانها تدرك مايمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار وتجتهد فى جلبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار (أولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة (ولله الاسماء الحسنى) لانها دالة على معان هى أحسن المعانى والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات (فادعوه بها) فسموه بتلك الاسماء (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لاتوقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم ياأبا المكارم ياأبيض الوجه أولاتبالوا بانكارهم ماسمى به نفسه كقولهم مانعرف الارحمن اليمامة أو وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق أسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولاتوافقوهم عليه أو أعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال (سيجزون ما كانوا يعملون) وقرأ حمزة هنا وفى فصلت يلحدون بالفتح يقال لحد وألحد اذا مال عن القصد (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) ذكر ذلك بعد مابين أنه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على أنه خلق أيضا للجنة أمة هادين بالحق عادلين فى الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه أن فى كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه الصلاة والسلام لاتزال من أمتى طائفة على الحق الى أن يأتى أمر الله اذ لو اختص بعهد الرسول أو غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم) سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا وأصل الاستدراج الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة (من حيث لايعلمون) مانريد بهم وذلك أن تتواتر عليهم النعم فيظنوا أنها لطف من الله تعالى بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا فى الغى حتى يحق عليهم كلمة العذاب (وأملى لهم) وأمهلهم عطف على سنستدرجهم (ان كيدى متين) ان أخذى شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان (أولم يتفكروا مابصاحبهم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من جنة) من جنون روى أنه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت (ان هو الا نذير مبين) موضح انذاره بحيث لايخفى على ناظر (أولم ينظروا) نظر استدلال (فى ملكوت السموات والارض وماخلق الله من شئ) مما يقع عليه اسم الشئ من الاجناس التى لايمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة

مبدعها

ما يوصل فانها قد جاءت بالمعنيين أما الاول فكما فى هذا الموضع وأما الثانى فكما فى قوله تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى (قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) تقديم ذكر الجن على الانس اما لان خلق الجن أقدم كما قال الشيخ الكامل صاحب الفتوحات ان خلق الجن قبل خلق آدم بستين ألف سنة وأما لان الداخلين من الجن فى جهنم أكثر من الداخلين من الانس فان الشياطين من الجن والانس داخلون فى جهنم واعلم ان هذا ينافى ظاهر ماقاله تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون فانه حصر خلقهم لاجل العبادة والخلق لها ينافى الخلق لجهنم لان هذا يستلزم الخلق لعدم العبادة والجواب عنه أنه يمكن ان يكون معنى قوله تعالى الا ليعبدون الا لأن نأمرهم بالعبادة وهذا لا ينافى ان يكون خلق كثير منهم لجهنم (قوله فانها تدرك الخ) فان قيل المؤمن الفاسق لم يجتهد فى جذب المنافع ودفع المضار أيضا فوجب ان يكونوا أضل من الدواب قلنا لامحذور انهم أضل من الدواب من هذه الجهة وان كان لهم شرف من جهة أخرى ويمكن ان يقال أيضا ان المؤمن الفاسق لم يجزم بان الفسق ضار له بل يظن ويأمل العفو ولو جزم بانه يضره فى الاخرة لانتهى عنه ولعل البهائم أيضا كذلك فلا يثبت انهم أضل من البهائم (قوله كقولهم ياأبا المكارم ياأبيض الوجه) أما الاول فيوهم ان له تعالى ابنا يسمى بالمكارم وأما الثانى فلانه يوهم الجسمية (قوله واستدل به على صحة الاجماع الخ) انما قال استدل الدال على ضعف الاستدلال كما دل عليه استقراء كلامه لانه يمكن ان يقال لعل المراد ان فى أكثر الازمنة قوما كذلك فلا يلزم ان يكون الاجماع مطلقا دليلا أو يقال ان المراد انهم يهدون بالحق ويعدلون به فى أكثر الامور (قوله يهوت الى الصباح)

أى يصح ويدعو (قوله صحة مايدعوهم اليه) وهو وحدة الخالق واستحقاقه للعبادة وابطال الشرك (قوله وكذا اسم يكون) أى يكون ضمير الشأن (قوله مغافصة) بالغين المعجمة أى أخذة الموت له فجأة (قوله كالتقرير له) اى لقوله تعالى فبأى حديث بعده يؤمنون يعنى ان الهداية مخصوصة بالله تعالى فمن أضله الله ولا يؤمن بالقرآن فلا يهتدى بشئ أصلا (قوله بالرفع على الاستئناف) يعنى ان لنذرهم اعرابين عند القراء أحدهما الرفع والآخر الجزم وعلى قراءة الرفع يقرأ اما بالنون أو بالياء وعلى كل من هذين التقديرين فالجملة استئناف وعلى التقدير الآخر معطوف (قوله واشتقاق ايان من أى الخ) (٢٧) قال صاحب الكشاف وقيل اشتقاقه من أى قال العلامة التفتازانى صدر هذا الكلام بلفظ قيل وصرح آخرا بانه مرتجل لان الاشتقاق فى غير المتصرفة يأباه الا كثرون على ما ذكر فى موضع آخر وكذا اشتقاق أى من اوى (قوله لايظهر أمرها فى وقتها) أى لا يقدر على اظهار أمرها الواقع فى وقتها بان يعلم عينه الا الله فيعلم منه ان غيره لا يعلمها اذ لو كان عالما بها لقدر على اعلام غيره وقريب مما ذكرنا ماقاله العلامة النيسابورى أن الحاصل انه لا يقدر على اظهار وقتها المعين بالاخبار والاعلام الا هو والاولى ان يقال ان المعنى لايظهر أمر الساعة أى وجودها والاهوال الكائنة فيها الا هو أى لا يقدر على ماذكر الا الله تعالى فقوله تعالى انما علمها عند ربى يفيد ان علمها مخصوص به تعالى وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو يفيد أن القادر على اظهار أمرها ليس الا الله فيكون العلم بها والقدرة عليها مخصوصا به تعالى (قوله واللام للتأقيت كاللام فى قوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس) فيه نظر اذ يلزم ههنا تكرار الوقت لان الوقت مذكور صريحا واللام أيضا تفيده بخلاف قوله تعالى لدلوك الشمس فانه لا يلزم منه التكرار كما لا يخفى ولم يذكره صاحب الكشاف والوجه أن يقال ان اللام ههنا بمعنى فى كما فى قوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى فانها بمعنى فى كذا قاله صاحب المغنى والاعجب ان قوله أو لا لايظهر أمرها فى وقتها يدل على ان اللام بمعنى فى (قوله لهو طها) لا يخفى أن الهول يترتب على وقوعها أو العلم بوقوع وقتها وأما العلم بتعيين وقوع وقتها فلا يكون موجبا للهول حتى يكون سببا لاخفائها (قوله فان من بالغ الخ) يعنى الظاهر من كلامه ان حتى عنها بمعنى المستحكم

مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولى أمرها ليظهر لهم صحة مايدعوهم اليه (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) عطف على ملكوت وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى أولم ينظروا فى اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ماينجيهم قبل مفاجئة الموت ونزول العذاب (فبأى حديث بعده) أى بعد القرآن (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى أن يكون كانه قيل لعل أجلهم قد اقترب فبأاى حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به وقوله (من يضلل الله فلا هادى له) كالتقرير والتعليل له (ونذرهم فى طغيانهم) بالرفع على الاستئناف وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائى به وبالجزم عطفا على محل فلا هادى له كأنه قيل لا يهده أحد غيره ويذرهم (يعمهون) حال من هم (يسئلونك عن الساعة) أى عن القيامة وهى من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو لانها على طولها عند الله كساعة (أيان مرساها) متى ارساؤها أى اثباتها واستقرارها ورسوا الشئ ثبت واستقر ارا ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة واشتقاق أيان من أى لان معناه أى وقت وهو من أويت اليه لان البعض آوالى الكل (قل انما علمها عند ربى) استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا (لا يجليها لوقتها لا يظهر أمرها فى وقتها (الا هو) والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام فى قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس (ثقلت فى السموات والارض) عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكأنه اشارة الى الحكمة فى اخفائها (لا تأتيكم الا بغتة) الا فجأة على غفلة كما فال عليه الصلاة والسلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (يسئلونك كأنك حفى عنها) عالم بها فعيل من حفى عن الشئ اذا سأل عنه فان من بالغ فى السؤال عن الشئ والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدى بعن وقيل هى صلة يسئلونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفى تتحفهم لأجل قرابتهم بتعليمها وقتها وقيل معناه كأنك حفى بالسؤال عنها تحبه من حفى بالشئ اذا فرح أى تكثره لانه من الغيب الذى استأثره الله بعلمه (قل انما علمها عند الله) كرره لتكرير يسألونك لما يتبعه من هذا الزيادة

علمها لان معناه الاصلي كثير السؤال وهو يستلزم استحكام العلم (قوله والتبري من ادعاء العلم بالغيوب) فيه نظر اذ لا يلزم من عدم تملك النفع والضر عدم العلم بالغيوب فان كلا من المخلوقين لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا بل المالك المطلق خالق الكل جل جلاله مع ان بعضهم كالملائكة المقربين عالم ببعض الغيوب وان أريد التبري عن ادعاء العلم بجميع الغيوب فهو أيضا غير مفهوم من الكلام مع انه قليل الجدوى لانه من الظاهر الجلي ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدعي ذلك ولم يظن واحد في شأنه ما ذكر (قوله تعالى الا ما شاء الله) يدل هذا الاستثناء على انه صلى الله عليه وسلم مالك وقادر لنفسه ما شاء الله لكن الدلائل الدالة على نفي خلق الاعمال دالة على انه لا يمكن وقوع المخلوق بقدرته فيكون المراد بالمالكية القدرة بحسب الظاهر كما يقال فلان قادر على فعل كذا والظاهر أن الاستثناء منقطع والمعنى لكن ما شاء الله يقع لي نفعا كان أو ضرا (قوله تعالى ولو كنت أعلم الغيب الخ) ههنا اشكال وهو ان لقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون الشخص عالما بالغيب لكن لا يقدر على دفع السراء والضراء اذ العلم بالشيء لا يستلزم القدرة عليه كما لا يخفى كما في قصة أحد فانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بانكسار يقع للمسلمين لرؤيا رآها كما في كتب السير مع انه لم يقدر على رد ما قدره الله والجواب انه يجوز أن يكون حال النبي صلى الله عليه وسلم بان يكون المقدر ان علمه بالغيوب مستلزم لما ذكر فان استلزام الشرط للجزاء لا يلزم أن يكون عقليا ولا كليا بل يجوز أن يكون في بعض الاوقات وبالنسبة الى بعض الاشخاص كما يقال للعالم النحرير ان عرض عليك أي مسئلة فيها اشكال تعرف الجواب ولا يلزم اى صحة هذا القول بالنسبة الى كل واحد والانكسار الواقع على المسلمين يوم أحد لم يقع على نفسه صلى الله عليه وسلم لكن المراد انه لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من خير متعلق بنفسي وما مسني السوء المتعلق بغيري ولم يدل الكلام على انه لو كنت أعلم الغيب لم يمس السوء غيري (قوله ليناسب فلما تغشاها) فان التذكير يناسب تغشى والمناسب للمضمر الراجع الى النفس أن يكون مؤنثا لانها مؤنثة سماعا فتذكيره يكون بالاعتبار المذكور (قوله على حذف المضاف) أي على حذف المضاف من الموضعين فان جعلا بمعنى جعل أولادهما فحذف الاولاد فانقلب الضمير المجرور مرفوعا متصلا وفيما آتاهما بمعنى فيما آتى أولادهما ويدل عليه قوله تعالى

وللمبالغة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان علمها عند الله لم يؤته أحدا من خلقه (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا) جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري من ادعاء العلم بالغيوب (الا ما شاء الله) من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) ولو كنت أعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء (ان أنا الا نذير وبشير) ما أنا الا عبد مرسل للانذار والبشارة (لقوم يؤمنون) فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) هو آدم (وجعل منها) من جسدها من ضلع من اضلاعها أو من جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا (زوجها) حواء (ليسكن اليها) ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه أو جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب (فلما تغشاها) أي جامعها (حملت حملا خفيفا) خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الأذى أو محمولا خفيفا وهو النطفة (فمرت به) فاستمرت به أي قامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت به وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب أو من المرية أي فظنت الحمل وارتابت منه (فلما أثقلت) صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اى أثقلها حملها (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا) ولدا سويا قد صلح بدنه (لنكونن من الشاكرين) لك على هذه النعمة المجددة (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) أي جعل أولادهما له شركاء فيما آتى أولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله (فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون) يعني الاصنام وقيل لما حملت حوّاء أتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة أو كلب وما يدريك من أين يخرج فخافت من ذلك وذكرته لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله أن يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحرث وكان اسمه حارثا بين الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحرث وأمثال ذلك لا تليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب في خلقكم لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من نفس قصي وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله الولد فأعطاهما أربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وأبو بكر شركا

أى شركة بان أشركا فيه غيره أو ذوى شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام حى عبه على تسميتهم اياها آلهة (ولا يستطيعون لهم نصرا) أى لعبدتهم (ولا أنفسهم ينصرون) فيدفعون عنها مايعتريها (وان تدعوهم) أى المشركين (الى الهدى) الى الاسلام (لايتبعوكم) وقرأ نافع بالتخفيف وفتح الباء وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام أى ان تدعوهم الى أن يهدوكم لايتبعوكم الى مرادكم ولايجيبوكم كما يجيبكم الله (سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) وانما لم يقل أم صمتم للمبالغة فى عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات أولانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم وكأنه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم (ان الذين تدعون من دون الله) أى تعبدونهم وتسمونهم آلهة (عباد أمثالكم) من حيث انها مملوكة مسخرة (فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) انهم آلهة و يحتمل انهم لما نحتوها صور الاناسى قال لهم ان قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء أمثالكم فلايستحقون عبادتكم كما لايستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها) وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عباد على أنها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله و يبطشون بالضم ههنا وفى القصص والدخان (قل ادعوا شركاءكم) واستعينوابهم فى عداوتى (ثم كيدون) فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهى أنتم وشركاؤكم (فلاتنظرون) فلاتمهلون فانى لاأبالى بكم لوثوقى على ولاية الله تعالى وحفظه (ان ولى الله الذى نزل الكتاب) القرآن (وهو يتولى الصالحين) أى ومن عادته تعالى أن يتولى الصالحين من عباده فضلا عن أنبيائه (والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولاأنفسهم ينصرون) من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم (وان تدعوهم الى الهدى لايسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون) يشبهون الناظرين اليك لانهم صوّروا بصورة من ينظر الى من يواجهه (خذ العفو) أى خذ ماعفا لك من أفعال الناس وتسهل ولاتطلب مايشق عليهم من العفو الذى هو ضد الجهد أو خذ العفو عن المذنبين أو الفضل ومايسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة (وأمر بالعرف) المعروف المستحسن من الافعال (وأعرض عن الجاهلين) فلاتمارهم ولاتكافئهم بمثل أفعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) ينخسنك منه نخس أى وسوسة تحملك على خلاف ماأمرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصى وازعاجا بغير زالسائق مايسوقه (فاستعذ بالله انه سميع) يسمع استعاذتك (عليم) يعلم مافيه صلاح أمرك فيحملك عليه أو سميع باقوال من آذاك عليم بأفعاله فيجازيه عليها مغنيا ايالك عن الانتقام ومشايعة الشيطان (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان) لمته منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر أن تؤثر فيهم أو من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى و يعقوب طيف على انه مصدر أو تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره (تذكروا) ما أمر الله به ونهى عنه (فاذا هم مبصرون) بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولايتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله (واخوانهم يمدونهم) أى واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين (فى الغى) بالتزيين والحمل عليه وقرئ

أيشركون بصيغة الجمع لانه لولم يكن المراد الأولاد بل آدم وحوّاء لوجب ان يقال فتعالى الله عما يشركان (قوله ثم عاد عليه بالنقض) أى بالرد عليهم بانه لو استحقوا عبادتكم فلا أقل من أن يكون لهم حواس وآلات افعال مثل مالكم لكن ليسوا كذلك فكيف يستحقون عبادتكم وأنتم أفضل منهم (قوله تعالى وتراهم ينظرون اليك) يحتمل أن يكون الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وان يكون الخطاب عاما والمقصود المبالغة فى كون الاصنام مشبهين بالناظرين مع عدم نظرهم و يفهم منه توبيخ الكفرة بانهم سعوا فى تصوير عيونهم مع انهم لافائدة فيه أصلا وهذا يدل على غاية جهلهم وشقاوتهم (قوله أو الفضل ومايسهل من صدقاتهم) وذلك قبل وجوب الزكاة لان المعنى ماأتوك به نخذه ولاتسأل ماوراء ذلك لانه يشق عليهم فنسخت بآية الزكاة

(قوله وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة) انما قال خارج اذ لا يمكن ان يقال انهما مستحبان فى الصلاة مطلقا والا لأدى الى ترك قراءة المصلى اذا كان غيره قارئا وههنا كلام وهو انه لم يتعرض لما هو مذهبه من ان الاستماع الى قراءة الامام واجب أو مستحب بل الظاهر من قوله أمروا (٤٠) وجوب الانصات على المأموم عند قراءة الامام وليس كذلك (قوله وهو ضعيف)

يمدونهم من أمدد يمددونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال (ثم لا يقصرون) ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويخوزان يكون الضمير للاخوان أى لا يكفون عن الغى ولا يقصرون كالمتقين ويجوز أن يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ماهو له (واذا لم تأتهم بآية) من القرآن أو مما اقترحوه (قالوا لولا اجتبيتها) هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرؤه أو هلا طلبتها من الله (قل انما أتبع مايوحى الى من ربى) لست بمختلق للآيات أو أست بمقترح لها (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) سبق تفسيره (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) نزلت فى الصلاة كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضى وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة واحتج به من لا يرى وجوب القراءة على المأموم وهو ضعيف (واذكر ربك فى نفسك) عام فى الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما أو أمر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه (تضرعا وخيفة) متضرعا خائفا (ودون الجهر من القول) ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه أدخل فى الخشوع والاخلاص (بالغدو والآصال) بأوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل فى الاصيل وهو مطابق للغدو (ولا تكن من الغافلين) عن ذكر الله (ان الذين عند ربك) يعنى ملائكة الملأ الأعلى (لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه) ينزهونه (وله يسجدون) ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى فيقول يا ويله أمر ابنا آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعه الله يوم القيامة

﴿سورة الانفال مدنية وآياتها ست وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يسئلونك عن الانفال) أى الغنائم يعنى حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمى به مايشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه (قل الانفال لله والرسول) أى أمرها مختص بهما يقسمها الرسول على مايأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين فى غنائم بدر أنها كيف تقسم وممن يقسم الها جرون منهم أو الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسر واسبعين ثم طلبوا انفالهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردأ لكم وفئة تتحازون اليها فلا تزالت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام أن يفى بما وعد وهو قول

اذ يمكن أن يسكت الامام فدر قراءة المأموم (قوله أو أمر للمأموم بالقراءة بالسر بعد فراغ الامام) فان قيل بل الظاهر من ذكر الذاكر ربه فى نفسه أن يخطره بقلبه لا بلسانه قلنا لو كان المراد من الذكر المذكور والذكر القلبى لم يبق لقوله دون الجهر من القول كبير فائدة بل الوجه أن يقال ودون القول (قوله فوق السر ودون الجهر) ههنا شيئان أحدهما أنه قال ان قوله تعالى اذكر ربك فى نفسك أمر للمأموم بالقراءة سرا فكيف يكون كلاما فوق السر الثانى انه لا واسطة بين السر والجهر فان السر هو أن يخفى الصوت بحيث يسمع المتكلم دون غيره والجهر ما يخالف ذلك كذا ذكره الفقهاء والجواب عن الاول انه يؤمر بالسر المأموم وفى غير ما ذكر وهو ما فوق السر وكأنه قيل واذكر ربك سرا فى الصلاة اذا كنت مأموما وفوق السر ودون الجهر اذا لم تكن مأموما وعن الثانى ان هذا الاصطلاح غير اصطلاح الفقهاء فالسر وهو ما يسمعه دون الشافعى غيره وما فوقه دون الجهر وهو ما يسمعه القريب أيضا والجهر ما يسمعه البعيد (قوله بأوقات الغدو) انما قال الوقت لان الغدو الفعل وهو الدخول فى الغدوة (قوله والعشيات) فسر الآصال بالعشيات

﴿سورة الأنفال﴾

الشافعي رضي الله عنه وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال لما كان يوم بدر قتل أخي عمير فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي مالا يعلمه الا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسئلونك علنفال بحذف الهمزة والفاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال أي يسألك الشبان ماشرطت لهم (فاتقوا الله) في الاختلاف والمشاجرة (وأصلحوا ذات بينكم) الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم أمره الى الله والرسول (وأطيعوا الله ورسوله) فيه (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضي ذلك أو ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان (انما المؤمنون) أي الكاملون في الايمان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت أي خافت (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) لزيادة المؤمن به أولا طمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة أو بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على أن العمل داخل فيه (وعلى ربهم يتوكلون) يفوضون اليه أمورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا) لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم أعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن أفعال الجوارح التي هي العيار عليها من الصلاة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف أو مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا (لهم درجات عند ربهم) كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم (ومغفرة) لما فرط منهم (ورزق كريم) أعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي أمده (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له وهي كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة أو صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول أي الانفال ثبتت لله والرسول صلى الله عليه وسلم مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه أو بيته فيها مع كراهتهم (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) في موقع الحال أي أخرجك في حال كراهتهم وذلك أن عير قريش أقبلت من الشأم وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر أهل مكة فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم ان أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت

(قوله وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك الخ) التفسير الاول مبني على ان أصل الايمان يقتضي ماذكر والتفسير الثاني معناه ان الايمان الكامل نفس ماذكر ولا يخفى ان اصلاح ذات البين داخل في مقتضى طاعة الاوامر وما وقع في القرآن فهو تعميم بعد تخصيص والذي يخطر لي والله أعلم ان يقال ان أطيعوا الله شامل لجميع الأوامر والنواهي وانما قدم ما يدل على الاحتراز عن المحرمات لذكر الانفال التي هي محل الغلول ثم ذكر اصلاح ذات البين لانه يناسب ماروي في القصة المذكورة في اختلاف أهل بدر رضي الله عنهم (قوله وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة الخ) فيه أنه يكفي زيادة الايمان أي التصديق بسبب العمل مع عدم دخوله أي العمل فيه أي الايمان فان العمل بالامور يوجب ثبات الاعتقاد ثم انه قد حقق في موضعه ان الايمان يزيد وينقص لا بسبب العمل بل بمجرد مشاهدة الآيات ومعرفة الدلائل فلا وجه لحصر زيادة الايمان بالطاعة ونقصه بالمعصية في دخول العمل (قوله تعالى أولئك هم المؤمنون حقا) الظاهر من هذا المدح ان من اتصف بوجد القلب عند ذكر ربه والتوكل وسائر ماذكر لا يصر على المعصية فلا يكون فاسقا والا لم يمدح بما ذكر وانما الاصرار شأن الغافلين كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون (قوله وحقا صفة مصدر محذوف) أي المؤمنون ايمانا حقا أي متحققا في الواقع كاملا (قوله تعالى كما أخرجك ربك الخ) الظاهر أن يقال انه متعلق بفعل مقدر مفهوم من قوله تعالى لهم درجات عند ربهم والتقدير ثبت لهم تلك الدرجات بالحق كما أخرجك أي مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك بالحق وهذا أقرب من الوجهين اللذين ذكرهما

قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب أن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حاق بها فلم يبق بيت في مكة الا أصابه شئ منها فحدثت بها العباس و بلغ ذلك أبا جهل فقال ما رضي رجالهم أن يتنبؤا حتى تنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة رمضي بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي ذفران فنزل عليه جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه أصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انما خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يارسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وقالا فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فيه فوالله لو سرت الى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما أمرك الله فانا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عدد هم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة أنهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف أن لا يرون نصرته الا على عدوهم بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يارسول الله فقال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا واونا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وأبشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني أنظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله (يجادلونك في الحق) في ايثارك الجهاد باظهار الحق لا يثارهم تلقي العير عليه (بعد ما تبين) لهم أنهم ينصرون أينما توجهوا باعلام الرسول عليه الصلاة والسلام (كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون) أي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد أسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روي أنهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم انما كانت لفرط فزعهم ورعبهم (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) على اضمار اذكر واحدى ثانى مفعولي يعدكم وقد أبدل منها (انها لكم) بدل الاشتمال (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) يعني العير فانه لم يكن فيها الا أربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك (ويريد الله أن يحق الحق) أي يثبته ويعليه (بكلماته) الموحى بها في هذه الحال أو بأوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته (ويقطع دابر الكافرين) ويستأصلهم والمعنى أنكم تريدون أن تصيبوا مالا ولا نفوسا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين (ليحق الحق ويبطل الباطل) أي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه و بين مراده من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها (ولو كره المجرمون) ذلك (اذ تستغيثون ربكم) بدل من

(قوله وفيه ايماء الى أن مجادلتهم الخ) لان من سيق الى الموت ينظر أسبابه يفزع ويخاف غالبا وهذا يدل على ان المجادلة ليست لعدم طاعتهم لقوله ولا لعدم ميل طباعهم الى الغزو ولا لتكاسل بل للخوف لاجل قلة عددهم وعددهم (قوله وقد أبدل عنها انها لكم بدل الاشتمال) فيه ان معنى اذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعدكم حصولها في أيديكم وأخذها وحصولها في الايدي هو بعينه بمعنى انها لكم فيكون بدل الكل لا بدل الاشتمال والجواب ان المراد من انها لكم صيرورتها لكم وهو غير الاخذ (قوله وليس بتكرير) لان الاول لبيان المراد وما بينه و بين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها فالمعنى انه حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ليحق الحق وقوله ونصره عليها معطوف على الداعي أي لبيان الداعي وبيان نصره عليها أي على ذات الشوكة والاولى أن يقال انه متعلق بقوله ويقطع دابر الكافرين أي يقطع دابرهم ليحق الحق ويبطل

اذ يعدكم ومتعلق بقوله ليحق الحق أو على اضمار اذكر واستغيثونهم أنهم لما علموا أن لا محيص عن القتال أخذوا يقولون أي رب انصرنا على عدوك أغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه عليه السلام نظر الى المشركين وهم ألف والى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال أبو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (فاستجاب لكم أني ممدكم) بأني ممدكم بحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ أبو عمرو بالكسر على ارادة القول أو اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول (بألف من الملائكة مردفين) متبعين المؤمنين أو بعضهم بعضا من أردفته اذا اذا جئت بعده أو متبعين بعضهم بعض المؤمنين أو أنفسهم المؤمنين من أردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال أي متبعين أو متبعين بعني انهم كانوا مقدمة الجيش أو ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وأصله مرتدفين بمعنى متراد فين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل أو بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران وجه التوفيق بينه وبين المشهور أن المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة أو الساقة أو وجوههم وأعيانهم أو من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روى أخبار تدل على أنها (وما جعله الله) أي الامداد (الا بشرى) الا بشارة لكم بالنصر (ولتطمئن به قلوبكم) فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم (وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا من فقدها (اذ يغشيكم النعاس) بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة أو متعلق بالنصر أو بما في عند الله من معنى الفعل أو بجعل أو باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من أغشيته الشئ اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع (أمنة منه) امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لقلبه ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وأن تجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه أو لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكأنه حصلت له أمنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله

يهاب النوم أن يغشى عيونا * تهابك فهو نفار شرود

وقرئ أمنة كرحمة وهي لغة (ويترل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) من الحدث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) يعني الجنابة لانها من تخييله أو وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا في كثيب أعفر تدوخ فيه الاقدام على غير ماء وما وافاحتلم أكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين مجنبين وترعمون انكم أولياء الله وفيكم رسوله فأشفقوا فأنزل الله المطر فطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة (وليربط على قلوبكم) بالوثوق على لطف الله بهم (ويثبت به الاقدام) أي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل أو بالربط على القلوب حتى

لكم قائلا اني ممدكم والثاني ان يقال استجاب نوع من القول (قوله متبعين أو متبعين) الاول بفتح الباء وسكون التاء من ارديفه اذا حدث بعده فيكون المراد بصيغة المفعول المتبوع المقدم والثاني من الاتباع فيكون الاول المقدمة والثاني الساقة (قوله وما جعله الله أي الامداد الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر) المراد من الامداد الاخبار بالامداد فان نفس الامداد ليس بشارة اذ هي عبارة عن الخبر السار (قوله بدل ثان) فيكون زمان متصل بقي في بعضه الوعد المذكور بأذ يعدكم لله احدى الطائفتين أنها لكم وفي بعضه الاستغاثة وفي بعضه التغشية (قوله أو بما في عند الله من معنى الفعل) عند ههنا ليس بظرف فليس فيه معنى الفعل والوجه أن يقال أو متعلق بفعل مفهوم من الجار والمجرور وهو من عند الله كما قاله صاحب الكشاف (قوله وهو مفعول له باعتبار المعنى) أي ليس مفعولا له بحسب الظاهر بل بدل الاشتمال من النعاس أو حالا منه لكنه جعل مفعولا له للفعل الذي هو تنعسون المقصود من يغشى نظرا الى ان الامنة هو المقصود بالذات

(قوله وفيه دليل على انهم قاتلوا) أى الملائكة فانوا لانه تفسير لقوله فثبتوا وهو الخطاب مع الملائكة فالمناسب أن يكون فاضربوا خطابا لهم أيضا حتى يكون الكلام على نسق واحد والدليل على ان الكلام فى قوله تعالى فاضربوا مع المؤمنين ماسيجىء من قوله جعل الخطاب فيه مع المؤمنين الخ أو لكل واحد من المخاطبين قيل هذا الخطاب وهم الملائكة والمؤمنون (قوله تقرير للتعليل) أى لتعليل ماذكر بقوله تعالى ذلك بانهم شاقوا الله وانما كان تقريرا أى تأكيدا لان محصل الجملتين واحد (٤٤)

تثبت فى المعركة (اذ يوحى ربك) بدل ثالث أو متعلق بيثبت (الى الملائكة أنى معكم) فى اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحى وقرئ بالكسر على ارادة القول أو اجراء الوحى مجراه (فثبتوا الذين آمنوا) بالبشارة أو بتكثير سوادهم أو بمحاربة أعدائهم فيكون قوله (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) كالتفسير لقوله انى معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب أو على ان قوله سألقى الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولى هذا (فاضربوا فوق الاعناق) أعاليها التى هى المذابح أو الرؤس (واضربوا منهم كل بنان) أصابع أى جزوا رقابهم واقطعوا أطرافهم (ذلك) اشارة الى الضرب أو الامر به والخطاب للرسول أو لكل أحد من المخاطبين قيل (بأنهم شاقوا الله ورسوله) بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعادين فى شق خلاف شق الآخر كالعداوة من العدوة والمحاصة من الحصم وهو الجانب (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) تقرير للتعليل أو وعيد بما أعدلهم فى الآخرة بعد ما حاق بهم فى الدنيا (ذلكم) الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع أى الامر ذلكم أو ذلكم واقع أو نصب بفعل دل عليه (فذوقوه) أو غيره مثل باشروا أو عليكم فتكون الفاء عاطفة (وأن للكافرين عذاب النار) عطف على ذلكم أو نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما أجل لكم فى الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل أو الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف (يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبى اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمى به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال (فلا تولوهم الأدبار) بالانهزام فضلا ان يكونوا مثليكم أو أقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين على القتال الآية وبجوز ان ينتصب زحفا حالا من الفاعل والمفعول أى اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا أو من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر ألفا (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال) يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب (أو متحيزا الى فئة) أو منحازا الى فئة أخرى من المسلمين على القرب يستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضى الله عنهما انه كان فى سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحرا الى المدينة فقالت يارسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغوا لعمل لها أو الاستثناء من المولين أى الا لارجلا متحرفا أو متحيزا و وزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز (فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) هذا اذا لم يزد العدو على

فيكون المراد بالعذاب عذاب الدنيا وعلى التقرير الآخر يكون المراد من العذاب عذاب الآخرة (قوله على طريقة الالتفات) لان الكافرين قد ذكروا بلفظ الغيبة فى قوله بانهم شاقوا الله (قوله فتكون الفاء عاطفة) هذا على جميع تقادير النصب لانه يقدر فعل أمر يصلح ان يكون معطوفا عليه واما على تقدير الرفع فلا يصح ان تكون الفاء عاطفة والا يلزم عطف الانشاء على الاخبار فتكون الفاء للسببية (قوله عطف على ذلكم) الذى ظهر لى من كلامه انه اذا كان معطوفا على ذلكم يكون ذلكم فاعلا لفعل مقدر هو وقع فيكون المعنى وقع ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله الآية أى وقع ان للكافرين عذاب النار بانهم شاقوا فهو المقصود بالاشارة الى ذلكم وهذا على تقدير رفعه ونصبه ولا يخفى ان ان مع اسمها فى تأويل المصدر وعطفها على جملة مستقلة هو المبتدأ وخبر لا يخلو عن شئ ويمكن ان يقال العطف على ذلكم على تقدير الضعف ان يكون خبر المبتدأ وهذا لا يخلو عن تكلف ولما قال بعضهم الأولى ان يكون للكافرين عذاب النار مبتدأ محذوف الخبر أى ثبوت العذاب للكافرين محقق ثابت (قوله والاظهر انها محكمة مخصوصة الخ) أى حكم الآية ليس بمنسوخ بل مقيد بما اذا لم يكن الذين كفروا أكثر من مثلى المؤمنين فكان مخصوصا بالآية المذكورة (قوله والا لغو الخ) لكون المستثنى منصوبا على الحال لا بالا

فيكون استثناء عن أعم العام واما اذا كان استثناء من المتولين أى من لفظه من كان منه و بالاعلى الحال وقوله لا عمل له نفسه لكونه لغوا (قوله أى اذ أثبت بصورة الرمى) اذا كان المراد من الرمى الرمى الموصل للحصباء الى أعين المشركين كما ذكره أولا فلا حاجة ههنا الى ان يقال ان المراد بقوله اذ رميت الاتيان بصورة الرمى بل الوجه ان يقال اذ اتيت بحقيقة الرمى فثبت الرمى للرسول حقيقة لكن وصول الحصباء الى أعينهم يكون بقدرة الله تعالى وهذا مناسب لما ذكره من ان اللفظ قد يطلق على المسمى وعلى ماهو كماله والجواب ان المراد اذ أثبت بصورة الرمى الموصل (قوله ورفع مابعده فى الموضعين) أحدهما قوله ولكن الله رمى والآخر قوله ولكن الله قتلهم (قوله وليبلى المؤمنين منه الخ) عطف على مقدر كأنه قيل ولكن الله رمى ليهدم الكفار وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا وقال صاحب الكشاف وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل ففيه انه ما فعل الا الاحسان (قوله ولان تغنى حينئذ كثرتكم اذ لم يكن الله معكم بالنصر الخ) الاولى ان يقال ولن تغنى كثرتكم بل ليس الاغناء الا من الله سبحانه وتعالى (قوله ولا تتولوا عن الرسول) اى انما خص نهى التولى بالرسول ولم يقل ولا تتولوا عنهما لان المراد الامر بطاعته لان أول السورة نزلت للنهى عن مخالفته (قوله وذكر طاعته للتوطئة) أى هو دليل على طاعة الرسول لانه اذا كان طاعة الله واجبة وقد أمر بطاعة الرسول فطاعة الرسول واجبة أيضا (قوله والتنبيه على ان طاعة الله الخ) لانه علق طاعة واحدة بهما

الضعف اقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة بأهل بيته والحاضرين معه فى الحرب (فلم تقتلوهم) بقوتكم (ولكن الله قتلهم) بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم روى أنه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه الصلاة والسلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى أسألك ماوعدتنى فأتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الاشغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت وأسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم (ومارميت) يامحمد رميا توصله الى أعينهم ولم تقدر عليه (اذ رميت) أى اذ أثبت بصورة الرمى (ولكن الله رمى) أتى بما هو غاية الرمى فأوصلها الى أعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنهم من قطع دابرهم وقد عرفت أن اللفظ يطلق على المسمى وعلى ماهو كماله والمقصود منه وقيل معناه مارميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب فى قلوبهم وقيل انه نزل فى طعنة طعن بها أبى بن خلف يوم أحد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات وأو رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فأصاب كتانة بن أبى الحقيق على فراشه والجهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده فى الموضعين (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا) ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات فعل مافعل (ان الله سميع) لاستغاثتهم ودعائهم (عليم) بنياتهم وأحوالهم (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن أو القتل أو الرمى ومحله الرفع أى المقصود أو الامر ذلكم وقوله (وأن الله موهن كيد الكافرين) معطوف عليه أى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وموهن بالتشديد وخفض موهن كيد بالاضافة والتخفيف (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين (وان تنتهوا) عن الكفر ومعاداة الرسول (فهو خيرلكم) لتضمنه سلامة الدارين وخير المزايين (وان تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصرته عليكم (وان تغنى) وان تدفع (عنكم فئتكم) جماعتكم (شيأ) من الاغناء أو المقدار (ولو كثرت) فئتكم (وان الله مع المؤمنين) بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وأن بالفتح على تقدير ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل فى القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار أو تهييج العدو وان تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين فى ايمانهم ويؤيد ذلك (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله و رسوله ولا تولوا عنه) أى ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على أن طاعة الله فى طاعة الرسول لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل الضمير للجهاد أو للامر الذى دل عليه الطاعة (وأنتم تسمعون) القرآن والمواعظ

(قوله فكانهم لا يسمعون رأسا) يعني ان المراد من لا يسمعون سماعا مفيدا لكن ظاهر اطلاقه يوهم ان ليس لهم سماع أصلا ففيه مبالغة (قوله لا بطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله) وهو العقل فان الانسان فضل عن البهائم لاجل عقله وتمييزه (قوله تعالى ولو أسمعهم لتولوا) أورد ههنا اشكال وهو انه حصل من هيئة الشكل فلازم نتيجة هي انه لو علم الله فيهم خيرا أي سعادة لتولوا وهو محال و يمكن دفعه بان المراد من الاسماع الاول الاسماع المفهم الموجب للهداية والاسماع الثاني هو الاسماع المجرد ثم أورد ناهذا سؤال آخر وهو انه علم من قوله ولو أسمعهم لتولوا ان التولي منتف لان لو لامتناع الشئ لامتناع غيره ونفي التولي خير لكن أول الكلام دال على ان ليس فيهم خير أجابوا عنه بان لو الثانية لمجرد الاستلزام (٤٦) لا لامتناع المذكور فلا اشكال وعلى نحو ماذكرنا يحل كلام المصنف (قوله

سماع فهم وتصديق (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع (وهم لا يسمعون) سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأسا (ان شر الدواب عند الله) شر ما يدب على الارض أو شر البهائم (الصم) عن الحق (البكم الذين لا يعقلون) اياه عندهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله (ولو علم الله فيهم خيرا) سعادة كتبت لهم أو انتفاعا بالآيات (لاسمعهم) سماع تفهم (ولو أسمعهم) وقد علم أن لا خير فيهم (لتولوا) ولم ينتفعوا به أو ارتدوا بعد التصديق والقبول (وهم معرضون) لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ائت بقصي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لا سمعهم كلام قصي (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) بالطاعة (اذا دعاكم) وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول و روى أنه عليه الصلاة والسلام مر على أبي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت أصلي قال ألم تخبر فيما أوحى الله استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلاة فان الصلاة أيضا اجابة وقيل لان دعاءه كان لامر لا يحتمل التأخير وللمصلي أن يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول (لما يحييكم) من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال

لا تعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن

أو مما يورثكم الحياة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال أو من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم أو الشهادة لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على أنه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها أو حث على المبادرة الى الاخلاص القلوب وتصفيتها قبل أن يحول الله بينه و بين قلبه بالموت أو غيره أو تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه و بين الكفر ان أراد سعادته وبينه و بين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه (وأنه اليه تحشرون) فيجازيكم بأعمالكم (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) اتقوا ذنبا يعمكم أثره كاقرار المنكر بين أظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على أن قوله لا تصيبن اما

وحد الضمير فيه لما سبق) وهو ان دعوة الله ودعوة الرسول واحدة فانه قد ص ان طاعة الله وطاعة رسوله واحدة ولان دعوة الله تسمع من الرسول فالداعي هو الرسول صلى الله عليه وسلم (قوله وظاهر الحديث يناسب الاول) لكونه مطلقا (قوله لما يحييكم) فيه اشعار بعلة وجوب الاستجابة (قوله من العلوم الدينية) التفسير الاول ناظر الى ان المراد من الحياة حياة القلب فان حياته بالعلوم والتفسير الثاني ناظر الى ان المراد من الحياة الحياة الاخروية (قوله تمثيل لغاية قربه من العبد) أي المراد من قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه انه تعالى في غاية القرب من العبد قربا معنويا فان كونه تعالى في غاية القرب من العبد لازم لكونه حائلا بينه و بين قلبه فاستعمل العبارة التي هي بهذا المعنى في المعنى الاول

جواب

الذي هو غاية قربه من عبده وعلى هذ فللمناسب ان يقال مجاز عن غاية قربه لانه على ما قالنا مجاز مركب مرسل لاتمثيل اذ هو استعارة كما قرر في موضعه (قوله وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب) لان الشخص الحائل بين شخص و بين آخر قد يطلع على ما في الشئ ولم يطلع عليه الشخص (قوله أو تصوير وتخييل الخ) لان من حال بين شخص و بين ما تعلق به بصيرة متصرفا فيه (قوله على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان أصابتكم الخ) هذا ليس طرفي البصريين ولا طرفي الكوفيين لان الشرط المقدر على جواب الامر على طريقة الاولين هو فعل الامر حتى يكون التقدير ان لا تتقوا لا يصيبن الخ وعلى طريقة الآخرين

ان لاتتقوا الاتصيبن الذين ظلموا بل كلامه يفيد ان قوله لاتصيبن جواب شرط مقدر هو من جنس فعل الجواب أو يكون لايصيبن صفة (قوله وفيه ان جواب الشرط متردد الخ) فيه ان جواب الشرط وان كان متردد افي حد ذاته لكن مجزوم به نظرا الى تعليقه بالشرط فلعل ادخال نون التأكيد عليه لهذا كما ان وقوعه على تقدير وقوع الشرط محقق (قوله أوالنهي على ارادة القول) فيكون المعنى انقوا فتنة مقولا في شأنها لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (قوله وان اختلفا في المعنى) لان معنى لاتصيبن نفي ومعنى لتصيبن اثبات لكن هذا أمر ظاهر لاحاجة الى التعرض اليه (قوله ويحتمل ان يكون الخ) فيكون المعنى لاتتعرضوا لتصيب الفتنة الذين ظلموا منكم خاصة (قوله ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض (٤٧) وعلى الأخيرين للتبيين) اما كونها للتبعيض على الوجوه الاول وهي كون لاتصيبن جوابا أو صفة ولا نافية أوصفة ولا ناهية فلان الخطاب مع جميع المؤمنين كما هو الظاهر والذين ظلموا بعضهم على ما هو المتبادر واما على الوجه الرابع وهو ان يكون لتصيبن الذين ظلموا جواب القسم على القراءة المذكورة فلانه لو كان للتبعيض لكان المعنى انقوا أيها المؤمنون فتنة تصيب بعضكم خاصة ولا يناسب الامر بالتقاء الكل عن فتنة تصيب البعض واما على التقدير الاخير وهو ان يكون لاتصيبن نهيا بعد الامر فلان المخاطب بان يتعرضوا الذين ظلموا الأن الظالمين بعضهم بل جميع المتعرضين للظلم ظالمون فلا يصلح من لتبعيض فتكون بيانية (قوله ومن في منكم الخ) اما

جواب الامر على معنى ان اصابتكم لاتصيب الظالمين منكم خاصة بل تعمكم وفيه أن جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لاتدخل المنفي في غير القسم أوللنهي على ارادة القول كقوله

حتى اذا جن الظلام واختلط * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط

واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل أن يكون نهيا بعد الأمر بانقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الأخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على أن الظلم منكم أقبح من غيركم (واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض) أرض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا أذلاء في أيدي فارس والروم (تخافون أن يتخطفكم الناس) كمن قريش أومن عداهم فانهم كانوا جميعا معادين طعم مضادين طعم (فآواكم) الى المدينة أوجعل لكم مأوى تتحصنون به عن أعاديكم (وأيدكم بنصره) على الكفار أو بمظاهرة الانصار أوبامداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم (لعلكم تشكرون) هذه النعم (ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول) بتعطيل الفرائض والسنن أوبان تضمروا خلاف ماتظهرون أو بافعال في المغانم وروى أنه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على أن يسيروا الى اخوانهم باذرعات وأريحاء بارض الشام فابى الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا أرسل الينا أبا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في أيديهم فبعثه اليهم فقالوا ماترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فمازالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لاأذوق طعاما ولاشرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لاوالله لأحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني بيده فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث أن تتصدق به وأصل

الاول فظاهر واما الثاني فلان الوجه الاول من الوجهين الاخيرين لما كان المأمور بانقاء الفتنة هو المجموع لاينا سب ان يكون الذين ظلموا بعضهم لانه لما أصاب الفتنة بعضهم لاحاجة الى أمر الجميع بالتقوى أما في الوجه الثاني فلان المعنى النهي عن اصابة جزاء الظلم للظالمين خاصة فلو كان الظالمون الذين يصل اليهم أثر الفتنة خاصة بعض من المخاطبين فلا حاجة الى أمر الجميع بالتقوى فان قلت قوله فان وبال الظلم يصيب الظالم خاصة ينافي قوله اتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قلت يمكن أن يكون المراد من الأثر العام البلاء الدنيوي فانه قد يعم المذنب وغيره ومن الوبال الواصل الى الظالم خاصة العقوبة الاخروية فانها لاتصل الى غير الظالم كما قال تعالى ولاتزر وازرة وزر أخرى (قوله وفائدته التنبيه الخ) أي تخصيصهم بذكر الجار والمجرور من بين الظالمين لابد من نكتة هي ماذكر

الخون النقص كما أن أصل الوفاء التمام واستعماله فى ضد الامانة لتضمنه اياه (وتخونوا أماناتكم) فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول أو منصوب على الجواب بالواو (وأنتم تعلمون) أنكم تخونون أو وأنتم علماء تميزون الحسن من القبيح (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) لانهم سبب الوقوع فى الاثم والعقاب أو محنة من الله تعالى ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كأبى لبابة (وأن الله عنده أجر عظيم) لمن آثر رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه (يأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصرا يفرق بين الحق والبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين أو مخرجا من الشبهات أو نجاة مما تحذرون فى الدارين أو ظهورا يشهر أمركم كبيت صيتكم من قولهم بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أى الصبح (ويكفر عنكم سيآتكم) ويسترها (ويغفر لكم) بالتجاوز والعفو عنكم وقيل السيآت الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ماتقدم وماتأخر لانها فى أهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم (والله ذو الفضل العظيم) تنبيه على أن ماوعدهم على التقوى تفضل منه واحسان وأنه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل (واذ يمكر بك الذين كفروا) تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك (ليثبتوك) بالوثاق أو الحبس أو الانخان بالجرح من قولهم ضربه حتى أثبته لاحراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك (أو يقتلوك) بسيوفهم (أو يخرجوك) من مكة وذلك أنهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى أمره فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال أنا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت أن أحضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيى أن تحبسوه فى بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيى أن تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ماصنع فقال بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل اما أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبى عليهما السلام وأخبره الخبر وأمره بالهجرة فبيت عليا رضى الله تعالى عنه فى مضجعه وخرج مع أبى بكر رضى الله تعالى عنه الى الغار (ويمكرون ويمكر الله) بردّ مكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أو بمعاملة الماكرين معهم بان أخرجهم الى بدر وقلل المسلمين فى أعينهم حتى جلوا عليهم فقتلوا (والله خير الماكرين) اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد أمثال هذا مما يحسن للزوجة ولا يجوز اطلاقه ابتداء لما فيه من ايهام الذم (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) هو قول النضر بن الحرث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم أو قول الذين ائتمروا فى أمره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع أنفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصا فى باب البيان (ان هذا الا أساطير الاولين) ماسطره الاولون من القصص (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) هذا أيضا من كلام ذلك القائل أبلغ فى الجحود روى أنه

(قوله أو منصوب على الجواب بالواو) فيكون النهى عن الجمع بين أمرين وهذا اذا كانوا يجمعون بين الحالتين أما اذا لم يكونوا كذلك فالمناسب الجزم بالعطف حتى يكون النهى متعلقا بكل منهما (قوله ويسترها الخ) والمراد من ذكر هذه الاحتمالات دفع توهم التكرار فى الجملتين المذكورتين (قوله مما يوجب تقواهم عليه) أى على الله تعالى (قوله واسناد أمثال هذا مما يحسن للزوجة الخ) أى اطلاق الماكر على الله تعالى يحسن عند نسبة المكر الى غيره تعالى وأما اطلاقه على الله تعالى من غير مزاوجة فغير حسن وهذا هو الذى ذكرنا فى تفسير آل عمران ان المكر من حيث انه فى الاصل حيلة يجلب بها خيرا الى الغير بجميعه لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة ولا يطلق من كلامه سبب عدم اطلاقه الا أن يقال ان الحيلة توهم العجز والعجز عليه محال فان الحيلة مما لا يطلق على الله سبحانه وتعالى لانها من شأن العاجزين

لما قال النضر ان هذا الا أساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان هذا القرآن حقا منزلا فأمطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره أو ائتنا بعذاب أليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على أن المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم أن يكون مطابقا للواقع غير منزل كأساطير الاولين (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين أو قولهم اللهم غفرانك أو فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون (وما لهم ألا يعذبهم الله) وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون (وهم يصدون عن المسجد الحرام) وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية (وما كانوا أولياءه) مستحقين ولاية أمره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء (ان أولياؤه الا المتقون) من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير ان لله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالاكثر أن منهم من يعلم ويعاند أو أراد به الكل كما يراد بالقلة العدم (وما كان صلاتهم عند البيت) أي دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يضعون موضعها (الا مكاء) صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا (وتصدية) تصفيقا تفعلة من الصدا أو من الصد على ابدال أحد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على أنه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي يخلطون عليه ويرون أنهم يصلون أيضا (فذوقوا العذاب) يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل أن تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب (بما كنتم تكفرون) اعتقادا وعملا (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر أو في أبي سفيان استأجر ليوم أحد ألفين من العرب سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية أو في أصحاب العير فانه لما أصيب قريش ببدر قيل لهم أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله (فسينفقونها) بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق أحد ويحتمل أن يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد (ثم تكون عليهم حسرة) ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة (ثم يغلبون) آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك (والذين

(قوله والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا) اذ لو احتمل الحقية عندهم لما طلبوا ما طلبوا اذ لا يطلب العاقل ارسال الحجارة من السماء أو العذاب الاليم على تقدير حقية شئ بل مع احتمال الحقية فعلم ان مقصودهم الاستهزاء (قوله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون الخ) فيه ان قوله من عندك يدل على ان المعلق به كونه حقا بالوجه المذكور الا أن يراد به تأكيد الامر وزيادة الدلالة (قوله والتوقف في اجابة دعائهم) فيه انه صرح بأن ما ذكر ليس بدعاء حقيقة وانما المعنى به التهكم لكن المراد من الدعاء ما هو في صورته (قوله والدلالة على ان عذابهم عذاب الاستئصال والنبي بين أظهرهم خارج عن عادته) فان قلت من أين يعلم ان المراد من العذاب العذاب المذكور قلنا لان العذاب قد وقع عليهم كالقحط والنبي فيهم فعلم ان العذاب العذاب الذي يهلكهم بكليتهم بالاستئصال (قوله أو فرضه على معنى الخ) هذا هو الظاهر وأما الوجه الاول فبعيد لان الضمائر المذكورة من قبل راجعة الى الكفار وأما الثاني فيفيد ان يكون مجرد قولهم اللهم غفرانك موجبا لرد العذاب مع انهماكهم في الكفر والمعاصي (قوله متى زال ذلك) أي متى زال ذلك المانع أي أي شئ حصل لهم يمنع تعذيبهم في وقت زوال ذلك المانع (قوله ويحتمل ان يراد بها واحد الخ) يرد على هذا الوجه انه ينبغي على هذا أن يقال ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا فما فائدة تكرار ينفقون (قوله تعالى ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) فان قلت الحسرة بسبب المغلوبية فيجب عكس الترتيب المذكور قلنا

الخسرة لايلزم أن تكون بسبب المغلوبية بل قد تكون بسبب عدم الغلبة والفوز بالمقصود (قوله اذ أسلم بعضهم) مما قال ذلك نظرا الى قوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب اذ لوم يسلم بعضهم لم يحصل التمييز (قوله واللام متعلقة بيحشرون أو يغلبون) فعلى الاول التمييز في الآخرة وعلى الثاني التمييز في الدنيا (٥٠) (قوله واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة) فان وقوع الحسرة

كفروا) أي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ أسلم بعضهم (الى جهنم يحشرون) يساقون (ليميز الله الخبيث من الطيب) الكافر من المؤمن أو الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون أو يغلبون أو ما تنفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما تنفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو أبلغ من الميز (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم أو يضم الى الكافر ما أنفقه ليزيد به عذابه كمال الكاذبين (فيجعله في جهنم) كله (أولئك) اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث أو الى المنفقين (هم الخاسرون) الكاملون في الخسران لانهم خسروا أنفسهم وأموالهم (قل للذين كفروا) يعني أبا سفيان وأصحابه والمعنى قل لاجلهم (ان ينتهوا) عن معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على أنه خاطبهم و يغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى (وان يعودوا) الى قتاله (فقد مضت سنت الاولين) الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على أهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) لايوجد فيهم شرك (ويكون الدين كله لله) وتضمحل عنهم الاديان الباطلة (فان انتهوا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب (وان تولوا) ولم ينتهوا (فاعلموا ان الله مولاكم) ناصركم فثقوا به ولاتبالوا بمعاداتهم (نعم المولى) لايضيع من تولاه (ونعم النصير) لاينلب من نصره (واعلموا أنما غنمتم) أي الذي أخذتموه من الكفار فهرا (من شئ) مما يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط (فان لله خمسه) مبتدأ خبره محذوف أي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على أن ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله و رسوله أحق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين (وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) فكأنه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باقي غنيمة سهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضي الله تعالى عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك رضي الله تعالى عنه الامر فيه مفوض الى رأي الامام يصرفه الى ما يراه أهم وذهب أبو العالية الى ظاهر الآية فقال يقسم ستة أقسام و يصرف سهم الله الى الكعبة لما روى انه عليه الصلاة والسلام كان يأخذ قبضة منه فيجعله للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول صلى الله عليه وسلم وذو القربى بنو هاشم و بنو المطلب لما روى انه عليه الصلاة والسلام قسم سهم

المذكورة مستلزمة لتمييز الخبيث من الطيب (قوله ان ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الاسلام) انما قدرهكذا لان القراءة بالياء للغيبة فلو لم يقدر هكذا لكان الظاهر القراءة بالتاء للخطاب كما وقع في قراءة بعضهم بالتاء والكاف (قوله ويكون تعليقه بانتهائهم) أي تعليق قوله تعالى فان الله بما تعملون بصير كما هو قراءة يعقوب بانتهاء الكفار عن الكفر كما يستدعي اثابتهم للمباشرة أي كما يستدعي اثابة المنتهين عن الكفر بمباشرة الانتهاء يستدعي اثابة المؤمنين المخاطبين في قوله تعالى تعملون على قراءة يعقوب بتسببهم لانتهاء الكافرين (قوله والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم الخ) فيه نظر اما أولا فلان لقائل أن يقول انه لو كان لمجرد التعظيم ولم يكن لله تعالى شئ فلم معنى هذا التركيب واذا لم يكن لله تعالى شئ كان هذا التركيب كذبا واما ثانيا فلانا لانسلم ان ذكر الله في الممثل به للتبرك بل لرضاء الله تعالى واجب وكذا رضاء رسوله لغاية الامر انهما متلازمان فيكون ذوي

التقدير والله أحق ان يرضوه ورسوله كذلك وهو أحد التفاسير التي قالها المصنف والجواب عن الاول ان المراد من قوله فان لله خمسه ان المختص به خمسه هم المعطوفون ولما كان لاضرورة الى ذكر قوله فان لله خمسه علم ان ذكره لمجرد التعظيم والى هذا الجواب اشار فيما سيجيء بقوله فكأنه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به

(قوله والجملة حال من الظرف قبله) وهو قوله بالعدوة الدنيا اذ التقدير اذ أنتم كنتم بالعدوة الدنيا حال كون الركب أسفل منكم (قوله وفائدتها الدلالة على قوة العدو الخ) ماذكره فى أمر العدو وجه لكن

ذوى القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم رضى الله عنهما هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم أرأيت اخواننا من بنى المطلب أعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه الصلاة والسلام انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا اسلام وشبك بين أصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش الغنى والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل الخمس كان فى شزرة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوّال على رأس عشرين شهرا من الهجرة (ان كنتم آمنتم بالله) متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا أى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملى اذا أمر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل (وما أنزلنا على عبدنا) محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين أى الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (يوم الفرقان) يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل (يوم التقى الجمعان) المسلمون والكافرون (والله على كل شئ قدير) فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة (اذ أنتم بالعدوة الدنيا) بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادى وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وأبى عمرو ويعقوب (وهم بالعدوة القصوى) البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قاب الواو ياء كالدنيا والعليا ففرقة بين الاسم والصفة نجاء على الاصل كالقود وهو أكثر استعمالا من القصيا (والركب) أى العير أو قوادها (أسفل منكم) فى مكان أسفل من مكانكم يعنى الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على أن لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين وانتياث أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله (ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد) أى لو تواعدتم أنتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم أنتم فى الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله تعالى خارقا للعادة فيزداد ايمانا وشكرا (ولكن) جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) حقيقا بان يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه وقوله (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة) بدل منه أو متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها ثلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة أو ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حى المشارف للهلاك والحياة أو من هذا حاله فى علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر ويعقوب من حى بفك الادغام للحمل على المستقبل (وان الله لسميع عليم) بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد (اذ يريكهم الله فى منامك قليلا) مقدر باذكر أو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أى يعلم

اذ يريكهم الله فى منامك قليلا) ورد انه يلزم أن يكون منامه على خلاف الواقع والجواب ان المقام مقام التعبير فاراءته قليلا عبارة عن كونهم مغلوبين فظهرت مغلوبيتهم بصورته (قوله والمراد المغلوبية) فلا يرد ما ذكر

اقائل ان يقول ضعف شأن المؤمنين وما عطف عليه لا يظهر مما ذكر الا أن يقال ان ذكر ما يختص بتقوية العدو من غير التعرض الى ما يقوى المؤمنين يدل على ضعف حالهم (قوله ولذا ذكر مراكز الفريقين الخ) أى للاشارة الى قوة العدو وضعف المؤمنين عين مراكزهم لأن مركز العدو قرينة غلبتهم ومركز المؤمنين قرينة ضعفهم لأن مكانهم لا يصلح للاقامة ولم يكن لهم ماء فتوكان لهم قوة لوجب ان يتحولوا الى العدوة القصوى التى فيها الماء (قوله ليهلك من هلك عن بينة) عن ههنا بمعنى بعد أى بعد بينة (قوله والمراد بمن هلك ومن حى المشارف للهلاك والحياة) اذ لو كان المراد بمن هلك من هلك حقيقة لكان المعنى ليهلك من هلك فيما مضى ولا معنى له (قوله ولعل الجمع بين الوصفين الخ) أى لعل الجمع بين وصفى السميع والعليم لاشتمال الأمرين المذكورين وهما الهلاك والحياة على القول والاعتقاد فان الحى له قول واعتقاد كما ان المشرف على الهلاك كذلك (قوله

المصالح اذ يقللهم فى عينك فى رؤياك وهو أن تخبر به أصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم (ولو أراكهم كثيرا لفشلتم) لجبتم (ولتنازعتم فى الامر) فى أمر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها وما يغير أحوالها (واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا) الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثانى وانما قللهم فى أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لمن الى جنبه أتراهم سبعين فقال أراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم (ويقللكم فى أعينهم) حتى قال أبو جهل ان محمدا وأصحابه أكلة جزور وقللهم فى أعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يروهم مثليهم لتفجأهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن اصابة بعض دون بعض مع التساوى فى الشروط (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) كرره لاختلاف الفعل المعلل به أولان المراد بالامر ثمة الاكتفاء على الوجه المحكى وههنا اعزاز الاسلام وأهله واذلال الاشراك وحزبه (والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) حار بتم جماعة ولم يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار والالتقاء مما غالب فى القتال (فاثبتوا) للقائهم (واذكروا الله كثيرا) فى مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره (لعلكم تفلحون) تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغى ان لا يشغله شئ عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه فى شئ من الاحوال (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا) باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر أو احد (فتفشلوا) جواب النهى وقيل عطف عليه ولذلك قرئ (وتذهب ريحكم) بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها فى تمشى أمرها ونفاذه مشبهة بها فى هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفى الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (واصبروا ان الله مع الصابرين) بالكلاءة والنصرة (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) يعنى أهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير (بطرا) خرا وأشرا (ورئاء الناس) ليتمنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول أبى سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال أبو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب فيها الخمور وتعزف علينا القيان وتطعم بها من حضر من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مرائين وأمرهم بان يكونوا أهل تقوى واخلاص من حيث ان النهى عن الشئ أمر بضده (ويصدون عن سبيل الله) معطوف على بطرا ان جعل مصدرا فى موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر (والله بما يعملون محيط) فيجازيكم عليه (واذ زين لهم الشيطان) مقدر باذكر (أعمالهم) فى معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها بان وسوس اليهم (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم) مقالة نفسانية والمعنى أنه ألقى فى روعهم وخيل اليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن اتباعهم اياه فيما يظنون أنها فربات مجيرهم حتى قالوا اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين ولكم خير لا غالب أو صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا طار با زيد اعندنا (فلما تراءت الفئتان) أى تلاقى الفريقان (نكص على عقبيه)

(قوله وهو ان تخبر به أصحابك) أى تخبر أصحابك عن انك رأيتهم فى المنام قليلا (قوله مع التساوى فى الشروط) أى مع التساوى فى شروط الرؤية بحسب العادة اذ لم يكن للرؤية شرط عقلى عندنا ولك ان تقول ما ذكره من التعليل مناسب لتقليل الكثير لا لتكثير القليل (قوله لاختلاف الفعل المعلل به) اى لاختلاف الفعل المعلل بقوله ليقضى الله امرا كان مفعولا فان الفعل المعلل به أولا هو الجمع على غير ميعاد وثانيا هو التقليل فى الأعين

(قوله وعلى هذا) أى على تقدير قيل لما اجتمعت الخ اذ على التقدير الأول وهو كون القول عبارة عن الوسوسة لا يحتمل هذا الان الوسوسة لا توجب الخوف (قوله ولم يبق فى قلوبهم شبهة) بقاء الشبهة فى القلوب يوجب عدم الجزم المذكور فى الايمان الان يكتفى فى الايمان بالظن كما هو رأى صاحب المواقف أو تفسر الشبهة بعدم قوة الايمان حتى يكون تفسيرا لعدم الاطمئنان ولذا فسرهم صاحب الكشاف بالذين ليسوا بثابتى الاقدام فى الاسلام (قوله وان قل) أى وان قل المستجير به وان ذل المستجير به فى صورة انه مستجير فى الظاهر لا فى الحقيقة (قوله فان لو تجعل المضارع ماضيا) هذا اذا كان لو بمعناه الحقيقى (٥٣) اما اذا كان بمعنى ان فلا يقلب كما فى قوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم وعدم جزم لو وان كانت بمعنى ان لكثرة ورودها على صيغة الماضى (قوله وهو على الأول) أى يضربون على وجوههم على تقدير كون الملائكة فاعل يتوفى (قوله اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم) اى لولا انضمام هذا القيد وهو عدم كونه تعالى ظلاما للعبيد الى السبب المذكور وهو ما قدمت أيديكم بل يكون الظلم متحققا لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فلم يكن ما قدمت أيديكم سبب العذاب وقوله لان لا يعذبهم بذنوبهم عطف على قوله ان يعذبهم ومعنى المجموع انه على تقدير كونه ظلاما للعبيد يمكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لانه يمكن ان لا يعذبهم بذنوبهم حتى يكون الظلم سببا لترك

رجع القهقرى أى بطل كيده وعاد ماخيل اليهم أنه مجيرهم سبب هلاكهم (وقال انى برىء منكم انى أرى مالا ترون انى أخاف الله) أى تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من خلاصهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكنانى وقال لا غالب لكم اليوم وانى مجيركم من بنى كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده فى يد الحرث بن هشام فقال له الى أين أتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى أرى مالا ترون ودفع فى صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغنى هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وعلى هذا يحتمل أن يكون معنى قوله انى أخاف الله انى أخافه أن يبدينى مكرو هامن الملائكة أو يهلكنى ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم يرقبله والاول ماقاله الحسن واختاره ابن بحر (والله شديد العقاب) يجوز أن يكون من كلامه وأن يكون مستأنفا (اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقى فى قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين (غر هؤلاء) يعنون المؤمنين (دينهم) حتى تعرضوا لما لا يدى لهم به فخرجوا هم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء ألف (ومن يتوكل على الله) جواب لهم (فان الله عزيز) غالب لا يذل من استجار به وان قل (حكيم) يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه (ولو ترى) ولو رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان (اذ يتوفى الذين كفروا والملائكة) بمدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف أى ولو ترى الكفرة أو حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز أن يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره (يضربون وجوههم) والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على الضميرين (وأدبارهم) ظهورهم أو أستاههم ولعل المراد تعميم الضرب أى يضربون ما أقبل منهم وما أدبر (وذوقوا عذاب الحريق) عطف على يضربون باضمار القول أى ويقولون ذوقوا بإشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله (ذلك) الضرب والعذاب (بما قدمت أيديكم) بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى وهو خبر لذلك (وأن الله ليس بظلام للعبيد) عطف على ما للدلالة على أن سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم لا أن لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينهض

التعذيب لان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا (قوله حتى ينهض الخ) معناه لو كان ترك التعذيب ظلما لكان نفى الظلم سببا للتعذيب هذا توضيح كلامه لكن فى قوله اذ لولاه الخ نظر اذ يفهم منه ان تعذيبهم بغير ذنوبهم ظلم وليس كذلك اذ على تقدير كونه تعالى ليس بظلام يمكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم اذ هو الفاعل لما يشاء اذ لا مانع له ولا اعتراض عليه كيف يفعل على ما هو مذهب أهل السنة والذى سنح لى والله أعلم ان المراد بالظلم التجاوز عما يستحقه الكافر المذنب الى ما هو أشد فانه ليس عادته سبحانه والمعنى كذلك الجزاء المعين فقط بسبب عدم عادته بالتجاوز عما يستحقه الكافر المذنب

نفى الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد (كدأب آل فرعون) أى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذى دأبوا فيه أى داموا عليه (والذين من قبلهم) من قبل آل فرعون (كفروا بآيات الله) تفسير لدأبهم (فأخذهم الله بذنوبهم) كما أخذ هؤلاء (ان الله قوى شديد العقاب) لا يغلبه فى دفعه شئ (ذلك) اشارة الى ما حل بهم (بان الله) بسبب أن الله (لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم) مبدلا اياها بالنقمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) يبدلوا ما بهم من الحال الى حال أسوأ كتغيير قريش حالهم فى صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول عليه السلام ومن تبعه منهم والسعى فى اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما أحدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما أنعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جرى عادته تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم وأصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون اشبهه بالحروف اللينة تخفيفا (وان الله سميع) لما يقولون (عليم) بما يفعلون (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون) تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما أخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثانى لتشبيه التغيير فى النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم (وكل) من الفرق المكذبة أو من غرقى القبط وقتلى قريش (كانوا ظالمين) أنفسهم بالكفر والمعاصى (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا) أصروا على الكفر ورسخوا فيه (فهم لا يؤمنون) فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بأنهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على أن تحقق المعطوف عليه يستدعى تحقق المعطوف وقوله (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة) بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة أو المحاربة (وهم لا يتقون) سبة الغدر ومغبته أو لا يتقون الله فيه أو نصره للمؤمنين وتسليطه اياهم عليهم (فاما تثقفنهم) فاما تصادفنهم وتظفرن بهم (فى الحرب فشرد بهم) ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم (من خلفهم) من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء (لعلهم يذكرون) لعل المشردين يتعظون (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) نقض عهد بأمارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم عهدهم (على سواء) على عدل وطريق قصد فى العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك أو على سواء فى الخوف أو العلم بنقض العهد وهو فى موضع الحال من النابذ على الوجه الاول أى ثابتا على طريق

(قوله وظلام للتكثير لاجل العبيد) أى صيغة المبالغة باعتبار الكمية فان العبيد لما كانت متعددة كان الظلم عليهم متعددا فالمبالغة التى فى الظلام باعتبار كثرة الظلم لا باعتبار قوته حتى يلزم ثبوته فى الجملة (قوله وليس السبب المفهوم الخ) أى المفهوم من ظاهر الكلام ان سبب ما حل بهم من العقوبة عدم تغيير الله تعالى ما أنعم عليهم حتى يغيروا حالهم لكن السبب فى الحقيقة ليس ذلك العدم المذكور بل عادة الله تعالى على ما ذكر لان هذا المفهوم وهو عدم تغيير نعمة الله تعالى حتى يغيروا حالهم صادق وان لم يغيروا حالهم فلا يكون موجبا للعذاب بل الموجب له التغيير فالحاصل ان ذلك العذاب بسبب جريان عادة الله بتغيير نعمته عند تغيير القوم حالهم لكنهم غيروا فلذلك حل بهم العذاب (قوله ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم) فان الآيات نعم وتكذيبها كفرانها وأيضا فان الرب مفيض النعم فتكذيب آياته كفران نعمته (قوله والثانى لتشبيه التغيير فى النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم) لان الثانى مذكور بعد ذكر تغيير النعمة (قوله ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر الخ) أى يحتمل ان يكون طبعهم على الكفر بسبب مبالغتهم فى كسب الكفر وتعودهم (قوله للبيان والتخصيص) أى لبيان المراد من الذين كفروا أى هم أى طائفة (قوله أو على سواء فى الخوف أو فى العلم بنقض العهد) سوى الظاهر هو الوجه المتقدم على هذين الوجهين واما التفسير بالخوف فلا يظهر له وجه ولذا لم يذكره صاحب الكشاف ولا غيره الا ان يقال المراد الخوف من عواقب نقض العهد فانه اذا نقض العهد حصل خوف عواقبه (قوله وهو فى موضع الحال من النابذ على الوجه الاول الخ) الوجه الاول هو ان يكون المراد من السواء العدل والطريق القصد وعلى الوجهين الاخيرين وهو ان يكون المراد السواء

سوى أومنه أومن المنبوذ اليهم أومنهما على غيره وقوله (ان الله لايحب الخائنين) تعليل للامر بالنبذ والنهى عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف (ولا تحسبن) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وقوله (الذين كفروا سبقوا) مفعولاه وقرأ ابن عامر وحزة وحفص بالياء على أن الفاعل ضمير أحد أومن خلفهم أوالذين كفروا والمفعول الاول أنفسهم لحذف المتكرار أوعلى تقدير أن سبقوا وهو ضعيف لان أن المصدرية كالموصول فلا تحذف أوعلى ايقاع الفعل على (انهم لايعجزون) بالفتح على قراءة ابن عامر وأن لاصلة وسبقوا حال بمعنى سابقين أى مفلتين والاظهر أنه تعليل للنهى أى لاتحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لايفوتون الله أولايجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان لأنه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن أفلت من فل المشركين (وأعدوا) أيها المؤمنون (لهم) لناقضى العهد أوالكفار (ماستطعتم من قوة) من كل ماينقوى به فى الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر ألا ان القوة الرمى قالها ثلاثا ولعله عليه الصلاة والسلام خصه بالذكر لانه أقواه (ومن رباط الخيل) اسم للخيل التى ترتبط فى سبيل الله فعال بمعنى مفعول أو مصدر سمى به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا أوجمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة (ترهبون به) تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم أو للاعداد (عدو الله وعدوكم) يعنى كفار مكة (وآخرين من دونهم) من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس (لاتعلمونهم) لاتعرفونهم باعيانهم (الله يعلمهم) يعرفهم (وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم) جزاؤه (وأنتم لاتظلمون) بتضييع العمل أونقص الثواب (وان جنحوا) مالوا ومنه الجناح وقد يعدى بالام والى (للسلم) للصلح أوالاستسلام وقرأ أبو بكر بالكسر (فاجنح لها) وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال

السلم تأخذ منها مارضيت به * والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

وقرئ فاجنح بالضم (وتوكل على الله) ولاتخف من ابطانهم خداعه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم (انه هو السميع) لاقوالهم (العليم) بنياتهم والآية مخصوصة بأهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف (وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله) فان محسبك الله وكافيك قال جرير

انى وجدت من المكارم حسبكم * أن تلبسوا حر الثياب وتشبعوا

(هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين) جميعا (وألف بين قلوبهم) مع مافيهم من العصبية والضغينة فى أدنى شئ والتهالك على الانتقام بحيث لايكاد يتألف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم وبيانه (لوأنفقت مافى الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم) أى تناهى عداوتهم الى حد لوأنفق منفق فى اصلاح ذات بينهم مافى الارض من الاموال لم يقدر على الألفة

كائنين أى النابذ والمنبوذ اليهم على سواء (قوله وان لاصلة) أى زائدة فيكون المعنى ولاتحسبن الذين كفروا انهم يعجزون (قوله ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من هذا العهد الخ) الباء للسببية والمعنى وما يحذر بسببه من نبذ العهد فمن ليست ببيانية بل متعدية بيحذر ومايحذرهو غلبة الكفار يعنى لما أمر سابقا بنبذ العهد اليهم على سواء أصلح فى الخوف ان لا ينبذ العهد اليهم بالطريق المذكور يوجب ايقاظ العدو واستعداده بشوكته فيجب ان يحذر منه فأزال الوهم بهذه الآية أى ايقاظهم واستعدادهم لايوجب سبقهم (قوله من فل المشركين) الفل القوم المنهزمون (قوله ولعله عليه السلام خصه بالذكر لانه أقواه) أى لان الرمى أقوى القوة تأثيرا وفعالا للعدو فانه يقتل العدو من بعد فيكون معنى الحديث الا ان القوة الكاملة هو الرمى (قوله وأنتم لاتظلمون بتضييع العمل أونقص الثواب) لايخفى ان تضييع العمل ونقص الثواب ليس بظلم لانه تعالى الفاعل لما يشاء لكن مراده ان الظلم ههنا عدم ايفاء الجزاء بمعنى تضييع العمل ونقص الثواب (قوله حر الثياب الخ) هو من الثياب أكرمه بالحاء والراء المهملتين ويمكن ان يكون بالخاء والزاى المعجمتين وهو أفخر الثوب يصفهم بانهم لئام يقنعون بالمآكل والملابس

والاصلاح (ولكن الله ألف بينهم) بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء (انه عزيز) تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده (حكيم) يعلم أنه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الآية في الأوس والخزرج كان بينهم احن لأمد طما وقائع هلكت فيها سادا تهم فألف الله ذلك وألف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا أنصارا (يأيها النبي حسبك الله) كافيك (ومن اتبعك من المؤمنين) امافي محل النصب على المفعول معه كقوله

اذا كانت الهيجاء واشتجر القنا * فحسبك والضحاك سيف مهند

أوالجر عطفا على المكني عند الكوفيين أو الرفع عطفا على اسم الله تعالى أي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في اسلامه (يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال) بالغ في حثهم عليه وأصله الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرض من الحرض (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بأنهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في وان تكن منكم مائة (بأنهم قوم لا يفقهون) بسبب أنهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الرجات قتلوا أوقتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله) لما أوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامر والذلك ثم لما كثر واخفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على أن حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه اعتقان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين (والله مع الصابرين) بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون (ما كان لنبي) وقرئ للنبي على العهد (أن يكون له أسرى) وقرأ البصريان بالتاء (حتى يثخن في الأرض) يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي أهله من أثخنه المرض اذا أثقله وأصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة (تريدون عرض الدنيا) حطامها بأخذكم الفداء (والله يريد الآخرة) يريد لكم ثواب الآخرة أوسبب نيل ثواب الآخرة من اعزاز دينه وقمع أعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله

أكل امرئ تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل نارا

(والله عزيز) يغلب أولياءه على أعدائه (حكيم) يعلم ما يليق بكل حال وينحه بها كأمر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي أنه عليه السلام أتي يوم بدر بسبعين أسيرا فيهم العباس وعقيل بن أبي طالب فاستشار فيهم فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية نقوي بها أصحابك وقال عمر رضي الله تعالى عنه اضرب أعناقهم فانهم أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من أخويهما فلنضرب أعناقهم فلم يهو ذلك

(قوله وبيانه) أي كونه معجزة من معجزاته انه من غرائب القدرة بحيث انه لو انفق ما في الارض جميعا ما حصل (قوله يأيها النبي حسبك الله) المراد من كونه تعالى حسبا للنبي في الآية المتقدمة كونه كافيا له في دفع الخداع واما هذه الآية ففيه كونه كافيا له في جميع الأمور (قوله عند الكوفيين) اذ عند البصريين لا يجر الا باعادة الجار (قوله وتكرير المعنى الواحد الخ) المعنى الواحد هو الأمر بالمصابرة مع المثلين وعبر عنه بعبارتين احداهما ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والاخرى وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله (قوله والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها) يعني ان الصحابة المتقدمين في الاسلام كانوا من أهل البصيرة التي في غاية الكمال فاذا أمروا بمصابرة عشرة أمثالهم وامالذين تأخروا فلهم ضعف ما فيها وكان في جملة الصحابة ضعف فلما خفف عنهم وأمر الواحد منهم بمصابرة الاثنين (قوله حتى يثخن في الارض) قيد الاثخن بالارض اشارة الى عمومه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الخبر أصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يارسول الله أخبرني فان أجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون وأنه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه (لولا كتاب من الله سبق) لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو أن لا يعاقب المخطئ في اجتهاده أو أن لا يعذب أهل بدر أو قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه أو ان الفدية التي أخذوها ستحل لهم (لمسكم) لنالكم (فيما أخذتم) من الفداء (عذاب عظيم) روي أنه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه أيضا أشار بالاثخان (فكلوا مما غنمتم) من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل أمسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره أبحت لكم الغنائم فكلوا و بنحوه تشبث من زعم أن الامر الوارد بعد الحظر للاباحة (حلالا) حال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة أو حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله (طيبا واتقوا الله) في مخالفته (ان الله غفور) غفر لكم ذنبكم (رحيم) أباح لكم ما أخذتم (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى) وقرأ أبو عمر ومن الاسارى (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) ايمانا واخلاصا (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء روي أنها نزلت في العباس رضي الله عنه كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفدي نفسه وابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتني أتكفف قريشا ما بقيت فقال أين الذهب الذي دفعته الى أم الفضل وقلت خذي وديعة لي لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال العباس وما يدريك قال أخبرني به ربي تعالى قال فاشهد أنك صادق وأن لا اله الا الله وأنك رسوله والله لم يطلع عليه أحد الا الله ولقد دفعته الى هافي سواد الليل قال العباس فأبدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان أدناهم ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله (ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا) يعني الأسرى (خيانتك) نقض ما عاهدوك (فقد خانوا الله) بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل (من قبل فأمكن منهم) أي فأمكنك منهم كما فعل يوم بدر فان أعادوا الخيانة فسيمكنك منهم (والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا) هم المهاجرون هاجروا أوطانهم حبا لله ولرسوله (وجاهدوا بأموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وأنفقوها على المحاويج (وأنفسهم في سبيل الله) بمباشرة القتال (والذين آووا ونصروا) هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على أعدائهم (أولئك بعضهم أولياء بعض) في الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض أو بالنصرة والمظاهرة (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا) أي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولا يتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا (وان استنصروكم

(قوله والآية دليل على أن الانبياء يجتهدون) فيه انه يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد ولا يلزم مما ذكر كون غيره من الأنبياء كذلك اذ لقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون خاصا به أو لجماعة منهم لا كلهم (قوله ولكن لا يقرون عليه) فيه نظر أيضا اذ المفهوم من الآية أن النبي لم يقرر على ما اجتهد في الحكم المخصوص المذكور في الآية المذكورة وأما عدم تقريره في جميع فضلا عن سائر الانبياء ففير معلوم من مجرد الآية نعم يعلم من ضم شئ اليه (قوله أو قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه) فيه انه يلزم أن لا يعذب أحد لمخالفة مقتضى القياس والاجتهاد اذ الحكم المفهوم من القياس لم يصرح به لكن المسئلة ان الاجتهاد اذا حكم على حرمة شئ فذلك المجتهد ومن تبعه ان فعل ذلك استحق العذاب ويمكن أن يقال ما أدى اليه الاجتهاد من قبيل المصرح بانه علم من قواعد الشرع وجوب العمل به أو يقال المراد من العذاب في قوله وان لم يعذب قوما العذاب الدنيوي ولا ينافي استحقاقه الأخروي

(قوله وهو بمفهومه يدل على منع التوارث بينهم وبين المسلمين) فيه انه لا يلزم من مجرد كون الكفار أولياء بعض كما انه لا يلزم من كون بعض القوم أولياء بعض آخر أن لا يكون لهم أولياء من غيرهم والاولى أن يقال كما ذكر في الآية السابقة ان المؤمنين بعضهم اولياء بعض فخصص المؤمنين بالذكر وههنا خصص الكافرين بظهر أن لا ولاية بينهم وبين المسلمين (قوله لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام الخ) القسم الاول المدلول عليه بقوله تعالى ان الذين آمنوا وهاجروا والقسم الثاني المدلول عليه بقوله تعالى والذين آووا ونصروا والقسم الثالث المفاد بقوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا وههنا كلام وهو ان الآية دلت على ان المؤمنين حقا فرق فتان لتكرار فرقة الذين هاجروا المذكور بقوله تعالى والذين آمنوا وهاجروا

وجاهدوا في سبيل الله وفرقة آووا ونصروا وهم المذكورون بقوله والذين آووا ونصروا لكن ماذكره المصنف بدل على انه فرقة وهم الذين هاجروا وجاهدوا أو آووا ونصروا والانه لم يكرر الذين بل جعل الموصوف بجميع ماذكر فرقة واحدة الا أن يقال ان الكلام على سبيل التوزيع فيكون لبعضهم حق ايمانه بالهجرة وبعضهم بالنصرة (قوله استدل به على توريث ذوي الارحام) يعني من ذهب الى أن توريث ذوي الارحام ثابت استدل بما ذكر ودل صيغة استدل على ضعف الاستدلال على ماهو عادته وبيانه ان النصوص الأخر دلت على عدم توريثهم الا باشتراط مخصوصة والله أعلم بالحال

﴿سورة التوبة﴾

(قوله وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت الخ) فيه نظر اذ الكلام في أن لا يصدر بالتسمية وماذكره لا يدل على سبب عدم التصدير وانما يدل على سبب اتصال براءة بالانفال

لا بسورة أخرى والذي يدل على المقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم ما ابتدأ فيها بالتسمية وقال العلامة النيسابوري استبعد جمع من العلماء ذلك الوجه لا بالوجود ٧ في بعض السور واعلم أن صاحب الكشاف قال فان قلت هل صدرت بآية التسمية كما صدرت سائر السور قلت سأل ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه السورة والآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك ضمت اليها واعترض عليه بان هذا الجواب غير مطابق للسؤال لانه سئل عن سبب عدم التصدير بالبسملة وأجاب عن ضم احدى السورتين الى

في الدين فعليكم النصر) فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين (الا على قوم بينكم و بينهم ميثاق) عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم (والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) في الميراث أو الموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث أو المؤازرة بينهم وبين المسلمين (الا تفعلوه) الا تفعلوا ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم بعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم و بين الكفار (تكن فتنة في الارض) تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر (وفساد كبير) في الدين وقرئ كثير (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) لما قسم المؤمنين ثلاثة أقسام بين أن الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد و بذل المال ونصرة الحق و وعد لهم الموعد الكريم فقال (لهم مغفرة و رزق كريم) لا تبعة له ولا منة فيه ثم ألحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) أي من جملتكم أيها المهاجرون والانصار (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) في التوارث من الاجانب (في كتاب الله) في حكمه أو في اللوح أو في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام (ان الله بكل شئ عليم) من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة أولا واعتبار القرابة ثانيا * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال و براءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه بري من النفاق وأعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته

﴿سورة براءة مدنية﴾

وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزل ولها أسماء أخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والمقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها ومايخزيهم و يفضحهم وينكلهم و يشردهم و يدمدم عليهم وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان و بسم الله أمان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة أو آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة

الاخرى وأجاب العلامة التفتازانى بان النبى صلى الله عليه وسلم كان يبين موضع السورة والاية ولم يبين ههنا وكانت القصتان متشابهتين فلم يعلم ان هذه كالآيات من الانفال لتوصل بها كالآية بالآية أو سورة مغايرة لها ليفصل بينهما بتسمية فقرن بينهما الا كما تقرن الآية بالآية ولا كافتران سورة بسورة بل من بين بين ولو جاز أن لا يكون ترتيبها على سبيل الوحى لجاز مثله فى سائر السور وفى آيات السورة الواحدة وذلك يفضى الى الزيادة والنقصان فى القرآن أقول فيه نظر اما أولا فلانا لا نسلم تجويز مثله فى سائر السور والآيات والفرق ان الترتيب فى سائر السور والآيات قد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فلا يجوز التغيير وأما الترتيب ما بين هاتين السورتين فلم يثبت فلهذا تصرف الصحابة فيه وأما ثانيا فلانه لا يلزم من جواز التغيير فى الترتيب جواز الزيادة والنقص فتأمل (قوله لما اختلف الصحابة الخ) هذا يدل على انهم لو اتفقوا على انهما سورتان اكتفى بذكر البسملة تابعة لآرائهم لكن ليس الامر كذلك بل الكل امر النبى صلى الله عليه وسلم ولعله اشارة الى ما فى القولين قال قيل ويمكن أن يقال ان اتفاقهم فى مثل ماذكر يدل على انهم استمعوا من النبى صلى الله عليه وسلم ما اتفقوا عليه وتوضيحه أن المراد انه على قول من قال هما سورتان يكون هنا

الانفال وتناسبهما لان فى الانفال ذكر العهود وفى براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة فى أنهما سورة واحدة هى سابعة السبع الطوال أو سورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله (براءة من الله ورسوله) أى هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز أن تكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر (الى الذين عاهدتم من المشركين) وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى أن الله ورسوله برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله تعالى واتفاق الرسول فانهما برئا منها وذلك أنهم عاهدوا مشركى العرب فنكثوا الا اناسا منهم بنوضمرة وبنو كنانة ما مر هم بنبذ العهد الى الناكثين وأمهل المشركين أربعة أشهر ليسيروا أين شاؤا فقال (فسيحوا فى الارض أربعة أشهر) شوال وذى القعدة وذى الحجة والمحرم لانها نزلت فى شوال وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روى أنها لما نزلت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم وكان قد بعث أبا بكر رضى الله تعالى عنه أميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى أبى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى فلما دنا على رضى الله تعالى عنه سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر رضى الله تعالى عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على رضى الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال أيها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وأن يتم الى كل ذى عهد عهده واهل قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤدى عنى الا رجل منى ليس على العموم فانه صلى الله عليه وسلم بعث لان يؤدى عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب أن لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه أنه فى بعض الروايات لا ينبغى لاحد أن يبلغ هذا الا رجل من أهلى (واعلموا أنكم غير معجزى الله) لا تفوتونه وان أمهلكم (وان الله مخزى الكافرين) بالقتل والاسر فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (وأذان من الله ورسوله الى الناس) أى اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين (يوم الحج الاكبر) يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ولان الاعلام كان فيه لما روى أنه صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر أو لان المراد بالحج ما يقع فى ذلك اليوم من أعماله فانه أكبر من باقى الاعمال أو لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده أعياد أهل الكتاب أو لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين (ان الله) أى بأن الله (برىء من المشركين) أى من عهودهم (ورسوله) عطف على المستكن فى برىء أو على محل ان واسمها فى قراءة من كسرها جزاء للاذان

موضع التسمية وعلى قول من قال انه سورة واحدة لا يكون ههنا موضع فلعالم يتحقق قول أحد الفريقين عمل بشئ من كل قول عمل بالفصل للقول الاول وتركت البسملة للقول الثانى (قوله أو على محل ان واسمها فى قراءة من كسرها الخ) وذلك لان المكسورة لما لم تغير المعنى جاز أن تقدر كالعدم فيعطف على محل ما عملت فيه هذا معنى قولهم يعطف على محلها مع اسمها قال ابن الحاجب ورسوله بالرفع معطوف

على اسم ان باعتبار المحل وان كانت مفترحة لانها فى حكم المكسورة فانهم لما قالوا يعطف على اسم ان المكسورة دون غيرها توهموا انه لايجوز العطف على المفتوحة والمفتوحة تنقسم قسمين قسم يجوز العطف على اسمها بالرفع وقسم لايجوز فالذى يجوز هو أن تكون فى حكم المكسورة كقولك علمت ان زيدا قائم وعمرو لأنه فى معنى ان زيدا قائم وعمرو فكما جاز العطف ثم جاز هنا (قوله وهذا مخل بالنظم) مخالف للاجماع فانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر الحرم الخ) اما مخالفة النظم فلان الاشهر الاربعة التى ذكرت أولا فى قوله تعالى فسيحوا فى الارض أربعة أشهر ليست (٦٠) عين الاشهر الحرم بل شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم والاشهر الحرم رجب والثلاثة الاخيرة واما مخالفته للاجماع لانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر الحرم على ماذكره وفيه نظر اذ يفهم منه أن بقاء حرمتها يخالف الاجماع لكن ماسيذكر فى تفسير قوله تعالى ان الجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة فيفهم من نسبة النسخ الى الجمهور ان بقاء الحرمة المذكور غير مخالف للاجماع بل مخالف للجمهور (قوله تعالى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) لك أن تقول تخلية السبيل لاتكون الا بعد أداء كل ما يجب على المكلف فما وجه ربطها بالامرين المذكورين فقط قلنا لعل المراد انه بعد التوبة عن الكفر يجب أن ينظر فى صلاتهم وزكاتهم حتى يتحقق ايمانهم وأما غيرهما فلا يجب تفحصه بل اذا تحقق تركه منهم يجب اجبارهم عليه قال الشافعى رضى الله عنه انه تعالى أباح دماء الكفار بجميع الطرق والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر واقامة الصلاة وايتاء الزكاة فالمجموع هو وجب هذا الجموع فوجب أن تبقى اباحة الدم على الاصل فترك الصلاة يقتل واعل أبا بكر رضى الله عنه استدل بمثل ذلك فى قتال مانعى الزكاة (قوله لان ان من عوامل الفعل) هذا لايخلو عن قصور لانه ان أريد أن الابد ان تعمل فى الفعل فى أى موضع وقع فليس كذلك اذ قد يقع على الفعل الماضى وان أريد أنه قد يعمل فى الفعل فهذا لايدل على ان مابعده ليس مبتدأ الا أن يقال انها عاملة فى الفعل حقيقة أو تقديرا لكن الاولى أن يقال لانه لايدخل الا على الفعل ولقد أحسن صاحب الكشاف حيث قال لان ان متى عقل الفعل لاتدخل على غيره (قوله وخبر يكون كيف)

بجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان أو لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخصه بالمعاهدين (فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو) فالتوب (خيرا لكم وان توليتم) عن التوبة أو تبتم على التولى عن الاسلام والوفاء (فاعلموا أنكم غير معجزى الله) لانفوتونه طلبا ولاتعجزونه هربا فى الدنيا (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) فى الآخرة (الا الذين عاهدتم من المشركين) استثناء من المشركين أو استدراك فكأنه قيل لهم بعد أن أمروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم (ثم لم ينقصوكم شيأ) من شروط العهد ولم ينكثوه أو لم يقاتلوا منكم ولم يضروكم قط (ولم يظاهروا عليكم أحدا) من أعدائكم (فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم) الى تمام مدتهم ولاتجروهم مجرى الناكثين (ان الله يحب المتقين) تعليل وتنبيه على أن اتمام عهدهم من باب التقوى (فاذا انسلخ) انقضى وأصل الانسلاخ خروج الشئ مما لابسه من سلخ الشاة (الاشهر الحرم) التى أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها وقيل هى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها (فاقتلوا المشركين) الناكثين (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم (وخذوهم) وأسروهم والاخيذ الاسير (واحصروهم) واحبسوهم أو حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام (واقعدوا لهم كل مرصد) كل ممر لئلا يتبسطوا فى البلاد وانتصابه على الظرف (فان تابوا) عن الشرك بالايمان (وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة) تصديقا لتوبتهم وايمانهم (فخلوا سبيلهم) فدعوهم ولاتتعرضوا لهم بشئ من ذلك وفيه دليل على أن ترك الصلاة ومانع الزكاة لايخلى سبيله (ان الله غفور رحيم) تعليل للامر أى فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ماقد سلف وعد لهم الثواب بالتوبة (وان أحد من المشركين) المأمور بالتعرض لهم (استجارك) استأمنك وطلب منك جوارك (فأجره) فأمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه مأمنه) موضع أمنه ان لم يسلم وأحد رفع بفعل يفسره مابعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل (ذلك) الامن أو الامر (بانهم قوم لايعلمون) ما الايمان وما حقيقة ماتدعوهم اليه فلابد من أمانهم ريثما يسمعون ويتدبرون (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وفرة صدورهم أو لان بنى الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم

على أى حال يكون للمشركين عهد (قوله وهو على الاولين صفة للعهد الخ) أى عند الله على تقدير ان يكون كيف أو للمشركين خبرا صفة للعهد أو ظرف له والمعنى على التقدير الاول عهد كائن عند الله وهذا هو الظاهر وعلى الثانى يكون ظرفا لغوا متعلقا بنفس العهد لا بالكون المقدر والا لكان صفة فتأمل (قوله وكيف على الاخيرين حال من العهد) أى كيف على الوجهين الاخيرين وهما ان يكون للمشركين أو عند الله خبرا حال والمعنى على أى حال يكون للمشركين عهد (٦١) عند الله (قوله وللمشركين ان لم يكن خبرا

وقدم للاستفهام أو للمشركين أو عند الله وهو على الاولين صفة للعهد أو ظرف له أو ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء أو الجر على البدل أو الرفع على أن الاستثناء منقطع أى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) أى فتربصوا أمرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم غير أنه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية (ان الله يحب المتقين) سبق بيانه (كيف) تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد أو بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما فى قوله

وخبر تمانى انما الموت بالقرى * فكيف وهاتا هضبة وقليب

أى فكيف مات (وان يظهروا عليكم) أى وحالهم أنهم ان يظفروا بكم (لا يرقبوا فيكم) لا يراعوا فيكم (الا) حلفا وقيل قرابة قال حسان

لعمرك ان الله من قريش * كال السقب من رأل النعام

وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الأل وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من أل الشئ اذا حدده أو من أل البرق اذا لمع وقيل انه عبرى بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبرئيل (ولا ذمة) عهدا أو حقا يعاب على اغفاله (يرضونكم بأفواههم) استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد ثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد فى الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه (وتأبى قلوبهم) ما تتفوه به أفواههم (وأكثرهم فاسقون) متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروأة تردعهم وتخصيص الاكثر لما فى بعض الكفرة من التفادى عن الغدر والتعفف عما يجر الى أحدوثة السوء (اشتروا بآيات الله) استبدلوا بالقرآن (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات (فصدوا عن سبيله) دينه الموصل اليه أو سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على أن اشتراءهم أداهم الى الصد (انهم ساء ما كانوا يعملون) عمليهم هذا أو مادل عليه قوله (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة) فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام فى الناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود أو الاعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم (وأولئك هم المعتدون) فى الشرارة (فان تابوا) عن الكفر (وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين) فهم اخوانكم فى الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) اعتراض للحث على تأمل ما فصل من أحكام المعاهدين أو خصال التائبين (وان نكثوا أيمانهم من بعد

وأقول المعنى الاخير الذى ذكره لا يخرج منه نفى العهد والقرابة (قوله لان المراد ثبات ارضائهم المؤمنين) أى المراد ثبوت ارضائهم المؤمنين بالامور المذكورة ولو كانت الجملة حالية يلزم عدم الثبوت لانتهاء حال من لا يرقبوا التى هى جزاء الشرط الذى هو غير ثابت فيكون ما هو حال غير ثابت أيضا (قوله اعتراض للحث على تأمل ما فصل الخ) أى جملة فاصلة بين المعطوف عليه وهو فان تابوا وبين المعطوف وهو وان نكثوا وانما كان حثا على ما ذكر لانه لما قال الله تعالى ان تفصيل الآيات للعلماء كان هذا باعثا لك على التأمل فيه

(قوله وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد) وجه التشبث انه أمر فى الآية بقتل أئمة الكفر وذكر انهم لا ايمان لهم فلا أمان للمرتد (قوله وفيه دليل الخ) فيه نظر لأن اللازم انهم لا ايمان لهم لانهم نكثوا عهدهم وطعنوا فى دينكم لا انهم نكثوا عهدهم وطعنوا فى دينهم فلا يلزم ان لا يكون لهم ايمان أصلا فلا يلزم ان لا يكون لهم أمان أصلا فلا يلزم ان لا يقبل توبة المرتد

عهدهم) وان نكثوا مابايعوا عليه من الايمان أو الوفاء بالعهود (وطعنوا فى دينكم) بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام (فقاتلوا أئمة الكفر) أى فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع الضمير للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوى الرئاسة والتقدم فى الكفر أحقاء بالقتل وقيل المراد بالأئمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم أهم وهم أحق به أو للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى وروح عن يعقوب أئمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن (انهم لا أيمان لهم) أى لا أيمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على أن الذمى اذا طعن فى الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على أن يمين الكافر ليست بيمين وهو ضعيف لان المراد نفى الوثوق عليها لا أنها ليست بأيمان لقوله تعالى وان نكثوا أيمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان لهم بمعنى لا أمان أو لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز أن يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين أو ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله (لعلهم ينتهون) متعلق بقاتلوا أى ليكن غرضكم فى المقاتلة أن ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كهو طريقة المؤذين (ألا تقاتلون قوما) تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفى للانكار فأفادت المبالغة فى الفعل (نكثوا أيمانهم) التى حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا بنى بكر على خزاعة (وهموا باخراج الرسول) حين تشاوروا فى أمره بدار الندوة على ما مر ذكره فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة (وهم بدؤكم أول مرة) بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلاة والسلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدى به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم أن تعارضوهم وتصادموهم (أتخشونهم) أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم (فالله أحق أن تخشوه) فقاتلوا أعداءه ولا تتركوا أمره (ان كنتم مؤمنين) فان قضية الايمان أن لا تخشى الا منه (قاتلوهم) أمر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه (يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم) وعدهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعنى بنى خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قد موا مكة فاسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبشروا فان الفرج قريب (ويذهب غيظ قلوبهم) لما لقوا منهم وقد أوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك أيضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على أنه من جملة ما أجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين (والله عليم) بما كان وما سيكون (حكيم) لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة (أم حسبتم) خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان أى أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم وأراد نفى المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه (ولم يتخذوا) عطف على جاهدوا داخل فى الصلة (من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) بطانة يوالونهم ويفشون اليهم أسرارهم وما فى لما من معنى التوقع منبه على أن تبين ذلك متوقع

المذكورين ولو كان نفى الامان أو الامر بالقتال بمجرد الطعن لكان ما قاله صحيحا والجواب ان قوله تعالى وان نكثوا ايمانهم سبب مستقل لما ذكره من كون ايمانهم كالعدم فيجب ان يكون الطعن أيضا كذلك والا لكان ذكره لا فائدة فيه فيلزم أن يكون الطعن سببا للنكث (قوله فافادت المبالغة فى الفعل) لأن دخول الهمزة للانكار على النفى يفيد تو بيخهم على ترك القتال وهو يستلزم المبالغة فى القتال (قوله على انه من جملة ما أجيب به الامر) معناه ان نفى العلم به دليل على عدمه اذا المذكور هو الاول وعلى هذا فالوجه أن يقال من حيث ان نفى علم الله تعالى به مستلزم لعدمه اذ لو لم يكن معدوما لوجب علم الله به لاحاطة علمه بجميع الاشياء

(والله خبير بما تعملون) يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله (ما كان للمشركين) ماصح لهم (أن يعمروا مساجد الله) شيأ من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد والمساجع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع و يدل عليه قراءة ابن كثير وأبى عمرو ويعقوب بالتوحيد (شاهدين على أنفسهم بالكفر) باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روى أنه لما أسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم وأغلظ له على رضى الله تعالى عنه فى القول فقال مالكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا الم نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العانى فنزلت (أولئك حبطت أعمالهم) التى يفتخرون بها فان نهامن الشرك (وفى النار هم خالدون) لاجله (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة) أى انما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتى فى أرضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لما علم أن الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة عليه (ولم يخش الا الله) أى فى أبواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين فى الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتو بيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين أن يغتروا باحوالهم و يتكلوا عليها (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله) السقاية والعمارة مصدر اساقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لابد من اضمار تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن و يؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار أن يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله (لا يستوون عند الله) و بين عدم تساويهم بقوله (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول عليه الصلاة والسلام منهمكون فى الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم و بين المؤمنين (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم تستجمع فيه هذه الصفات أو من أهل السقاية والعمارة عندكم (وأولئك هم الفائزون) بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها) فى الجنات (نعيم مقيم) دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف (خالدين فيها أبدا) أكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل (ان الله عنده أجر عظيم) يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله أو نعيم الدنيا (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء) نزلت فى المهاجرين فانهم لما أمروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا و بقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة القسة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم أولياء بمنعونكم عن الايمان و يصدونكم عن الطاعة لقوله (ان

استحبوا الكفر على الايمان) ان اختاروه وحرصوا عليه (ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) بوضعهم الموالاة فى غير موضعها (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ أبو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم (وأموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) فوات وقت نفاقها (ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله) الحب الاختيارى دون الطبيعى فانه لا يدخل تحت التكليف فى التحفظ عنه (فتربصوا حتى يأتى الله بامره) جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل فتح مكة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) لا يرشدهم وفى الآية تشديد عظيم وقلّ من يتخلص منه (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) يعنى مواطن الحرب وهى مواقفها (ويوم حنين) وموطن يوم حنين ويجوز أن يقدر فى أيام مواطن أو يفسر الموطن بالوقت كقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله (اذ أعجبتكم كثرتكم) منه أن يعطف على موضع فى مواطن فانه لا يقتضى تشاركهما فيما أضيف اليه المعطوف حتى يقتضى كثرتهم واعجابها اياهم فى جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثنى عشر ألفا العشر الذين حضروا فتح مكة وألفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا أربعة آلاف فلما التقوا قال النبى صلى الله عليه وسلم أو أبو بكر رضى الله تعالى عنه أو غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم وافتتلوا قتالا شديدا فأدرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه أبو سفيان بن الحرث وناهيك بهذا شهادة على تناهى شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صيح بالناس فنادى يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال صلى الله عليه وسلم هذا حين حمى الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا (فلم تغن عنكم) أى الكثرة (شيأ) من الاغناء أو من أمر العدو (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) برحبها أى بسعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب أو لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه (ثم وليتم) الكفار ظهوركم (مدبرين) منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال (ثم أنزل الله سكينته) رحمته التى سكنوا بها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين) الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يفروا (وأنزل جنودا لم تروها) باعينكم أى الملائكة وكانوا خمسة آلاف أو ثمانية أو ستة عشر على اختلاف الاقوال (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر والسبى (وذلك جزاء الكافرين) أى ما فعل بهم جزاء كفرهم فى الدنيا (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) منهم بالتوفيق للاسلام (والله غفور رحيم) يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روى أن ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلموا وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبرهم وقد سبى أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا وقد سبى يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال صلى الله عليه وسلم اختاروا اما سباياكم واما أموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده سبى وطابت نفسه أن يرده

فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا أدرى لعل فيكم من لا يرضى فرواعرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) الخبث باطنهم أولانه يجب أن يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس أولانهم لا يتطهرون ولا يتجنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على أن ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان أعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو كنجس فى كبد وأكثر ما جاء تابعا لرجس (فلا يقربوا المسجد الحرام) لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة أو للنهى عن دخول الحرم وقيل المراد به النهى عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام فى المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع (بعد عامهم هذا) يعنى سنة براءة وهى التاسعة وقيل سنة حجة الوداع (وان خفتم عيلة) فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق (فسوف يغنيكم الله من فضله) من عطائه أو تفضله بوجه آخر وقد أنجز وعده بان أرسل السماء عليهم مدرارا وفق أهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من أقطار الارض وقرئ عائلة على أنها مصدر كالعافية أو حال (ان شاء) قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال الى الله تعالى وليذنبه على أنه تعالى متفضل فى ذلك وأن الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفى عام دون عام (ان الله عليم) باحوالكم (حكيم) فيما يعطى و يمنع (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) أى لا يؤمنون بهما على ما ينبغى كما بيناه فى أول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) مانبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذى يزعمون اتباعه والمعنى أنهم يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا (ولا يدينون دين الحق) الثابت الذى هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها (من الذين أوتوا الكتاب) بيان للذين لا يؤمنون (حتى يعطوا الجزية) ما تقرر عليهم أن يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه (عن يد) حال من الضمير أى عن يد مؤاتية بمعنى منقادين أو عن يد هم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدى غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه أو عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير أو عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين أذلاء أو من الجزية بمعنى نقادا مسلمة عن يد الى يد أو عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة (وهم صاغرون) أذلاء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال تؤخذ الجزية من الذمى وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضى تخصيص الجزية باهل الكتاب و يؤيده أن عمر رضى الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر وأنه قال سنوا بهم سنة أهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فألحقوا بالكتابيين وأما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند أبى حنيفة رحمه الله تعالى تؤخذ منهم الا من مشركى العرب لما روى الزهرى أنه صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك رحمه الله تعالى تؤخذ من كل كافر الا المرتد وأهلها فى كل سنة دينار سواء فيه الغنى والفقير وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى على الغنى ثمانية وأربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شئ على الفقير غير الكسوب (وقالت اليهود عزير ابن الله) انما قاله بعضهم من متقدميهم أو من كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة

(قوله أولان يفعل مافعله الخ) فيه ان هذا لا يوجب القول بكونه الها كما أشار اليه بقوله من لم يكن الها ولا يوجب القول بكونه ابن الاله والجواب انه لما ثبت عندهم أن عيسى لم يكن الها مستقلا من غير أن يكون حاصلا من الله تعالى كان هذا باعثا على القول بكونه ابنا له ليس من جنس المخلوقين الآخرين بل من جنس الاله والالم يمكن صدور ماذكر عنه (قوله ونفى للتجوز عنها) يعنى قوله تعالى بافواههم صريح فى ان هذا قولهم البتة أى قول اليهود لا انه قوله نسب اليهم تجوزا بأن يكون مثلا قول من نسب اليهم واتمى لهم (قوله ولا يوجد مفهومه فى الاعيان) لك أن تقول كل قول قضية مفهومها لا يوجد فى الاعيان أى فى الخارج لاشتمالها على النسبة التى يستحيل وجودها فى الخارج عند المحققين والاولى أن يقال لا يوجد مفهومه فى نفس الامر (قوله لحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه) أى صارهم فاعلا (قوله دعاء عليهم) لا يظهر وجه كونه دعاء من الله تعالى عليهم لأن هذا الدعاء طلب اهلاكهم ولا وجه لنسبة هذا النحو من الطلب اليه تعالى ويمكن توجيهه بان يقال ان ههنا مقدرا فيكون التقدير قولوا قاتلهم الله حتى يكون الخطاب للمؤمنين بدعاء الهلاك عليهم (قوله أو استئناف مقرر للتوحيد) أى دليل مقرر له أى أمر وابعبادة الواحد هو الله تعالى لانه لا اله غيره (قوله بشركهم أو تكذيبهم) أى التكلم بكلمة الشرك أو بالتكذيب (قوله وقيل انه تمثيل الخ) أى مبالغة

يختنصر من يحفظ التوراة وهو لما أحياء الله بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ماهذا الا انه ابن الله والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائى ويعقوب عزير بالتنوين على أنه عربى مخبر عنه بان غير موصوف به وحذفه فى القراءة الاخرى امالمنع صرفه للعجمة والتعريف أو لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين أو لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا أو صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدى الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر (وقالت النصارى المسيح ابن الله) هو أيضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا أب أو لان يفعل مافعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها (ذلك قولهم بافواههم) اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفى للتجوز عنها أو اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذى يوجد فى الافواه ولا يوجد مفهومه فى الاعيان (يضاهؤن قول الذين كفروا) أى يضاهى قولهم قول الذين كفروا بحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (من قبل) أى من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى أن الكفر قديم فيهم أو المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله أو اليهود على أن الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتى تشابهت الرجال فى انها لا تحيض (قاتلهم الله) دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك أو تعجب من شناعة قولهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق الى الباطل (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) بأن أطاعوهم فى تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله أو بالسجود لهم (والمسيح بن مريم) بأن جعلوه ابنا لله (وما أمروا) أى وما أمر المتخذون أو المتخذون أربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ (الا ليعبدوا) ليطيعوا (الها واحدا) وهو الله تعالى وأما طاعة الرسول وسائر من أمر الله بطاعته فهو فى الحقيقة طاعة الله (لااله الاهو) صفة ثانية أو استئناف مقرر للتوحيد (سبحانه عما يشركون) تنزيه له عن أن يكون له شريك (يريدون أن يطفؤا) يخمدوا (نور الله) حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد أو القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (بأفواههم) بشركهم أو بتكذيبهم (ويأبى الله) أى لا يرضى (الا أن يتم نوره) باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم فى طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث فى الآفاق بريد الله أن يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه فى معنى النفى (ولو كره الكافرون) محذوف الجواب لدلالة ماقبله عليه (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) كالبيان لقوله ويأبى الله الا أن يتم نوره ولذلك كرر (ولو كره المشركون) غير أنه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم صاروا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير فى ليظهره للدين الحق أو للرسول عليه الصلاة والسلام واللام فى الدين للجنس أى على سائر الاديان فينسخها أو على أهلها فيخذلهم (يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل) يأخذونها بالرشا فى الاحكام سمى أخذ المال أكلا لانه الغرض الاعظم منه (ويصدون عن سبيل الله) دينه (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله) يجوز أن يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون

تكون استعارة تمثيلية منشؤها تشبيه مركب (قوله لفعل الاحماء للنار مبالغة) لأن الاحماء هو التسخين والنار فى ذاتها سخينة فتسخينها يكون مبالغة (قوله لأن جعهم وامساكهم الخ) قدأبهم فى العبارة الوجاهة بالغنى الخ

مبالغة فى وصفهم بالحرص على المال والضن به وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال و يقتنونه ولا يؤدون حقه و يكون اقترانه بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ و يدل عليه أنه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضى الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقى من أموالكم وقوله عليه الصلاة والسلام ما أدى زكاته فليس بكنز أى بكنز أوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما أمر الله أن ينفق فيه وأما قوله صلى الله عليه وسلم من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها ونحوه فالمراد منها مالم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة والسلام فيما أورده الشيخان مرويا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره (فبشرهم بعذاب أليم) هو الكى بهما (يوم يحمى عليها فى نار جهنم) أى يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها وأصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار وأسند الفعل الى الجار والمجرور وتنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيآن لان المراد بهما دانير ودراهم كثيرة كما قال على رضى الله تعالى عنه أربعة آلاف ومادونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز أو للاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون القول أو للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب أولى بهذا الحكم (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) لان جمعهم وامساكهم اياه كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية أولانهم ازوروا عن السائل وأعرضوا عنه ولوه ظهورهم أولانها أشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التى هى الدماغ والقلب والكبد أولانها أصول الجهات الاربع التى هى مقاديم البدن وما أخيره وجنباه (هذا ما كنزتم) على ارادة القول (لأنفسكم) لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها (فذوقوا ما كنتم تكنزون) أى وبال كنزكم أو ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون (ان عدة الشهور) أى مبلغ عددها (عند الله) معمول عدة لانها مصدر (اثنا عشر شهرا فى كتاب الله) فى اللوح المحفوظ أو فى حكمه وهو صفة لاثنى عشر وقوله (يوم خلق السموات والارض) متعلق بما فيه من معنى الثبوت أو بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى أن هذا أمر ثابت فى نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة (منها أربعة حرم) واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم (ذلك الدين القيم) أى تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام والعرب ورثوه منهما (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة وأولوا الظلم بارتكاب المعاصى فيهن فانه أعظم وزرا كارتكابها فى الحرم وحال الاحرام وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا فى الحرم وفى الاشهر الحرم الا أن يقاتلوا ويؤيد الاول ما روى أنه عليه الصلاة والسلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين فى شوال وذى القعدة (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) جميعا وهو مصدر كف عن الشئ فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال (واعلموا أن الله مع المتقين) بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم (انما النسىء) أى تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر

فقال وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم وأباح البداءة به فى غير الاشهر الحرم بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وفى السنة الثانية بعد الفتح أمر به من غير عهد شرط ولا أمان فقال وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة وقيل الآية التى فصلها ٧ فقيل هى قاتلوا الذين

كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسى بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسى بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نسأه اذا أخره (زيادة فى الكفر) لانه تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه الله فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم (يضل به الذين كفروا) ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائى وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على أن الفعل لله تعالى (يحلونه عاما) يحلون المنسى من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر (ويحرمونه عاما) فيتركونه على حرمته قيل أول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكنانى كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادى فى القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال أو حال (ليواطؤا عدة ما حرم الله) أى ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه أو بما دل عليه مجموع الفعلين (فيحلوا ما حرم الله) بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت (زين لهم سوء أعمالهم) وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم وأضلهم حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسنا (والله لا يهدى القوم الكافرين) هداية موصلة الى الاهتداء (يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم) تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وأثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ (الى الارض) متعلق به كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدى بالى وكان ذلك فى غزوة تبوك أمروا بها بعد رجوعهم من الطائف فى وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم (أرضيتم بالحياة الدنيا) وغرورها (من الآخرة) بدل الآخرة ونعيمها (فما متاع الحياة الدنيا) فما التمتع بها (فى الآخرة) فى جنب الآخرة (الا قليل) مستحقر (الا تنفروا) ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه (يعذبكم عذابا أليما) بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو (ويستبدل قوما غيركم) ويستبدل بكم آخرين مطيعين كأهل اليمن وأبناء فارس (ولا تضروه شيأ) اذ لا يقدح تثاقلكم فى نصر دينه شيأ فانه الغنى عن كل شئ وفى كل أمر وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم أى ولا تضروه فان الله سبحانه وتعالى وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق (والله على كل شئ قدير) فيقدر على التبديل وتغيير الأسباب والنصرة بلا مدد كما قال (الا تنصروه فقد نصره الله) أى ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره (اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين) ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء وأقيم ما هو كالدليل عليه مقامه أو ان لم تنصروه فقد أوجب الله له النصر حتى نصره فى مثل ذلك الوقت فلن يخذله فى غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان هممهم باخراجه أو قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثانى اثنين بالسكون على لغة من يجرى المنقوص مجرى المقصور فى الاعراب ونصبه على الحال (اذ هما فى الغار) بدل من اذ أخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب فى أعلى ثور وهو جبل فى يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (اذ يقول) بدل ثان أو ظرف ثانى (لصاحبه) وهو أبو بكر رضى الله تعالى عنه (لا تحزن ان الله معنا) بالعصمة والمعونة روى أن المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق أبو بكر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما فأعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى أسفله والعنكبوت فنسجت عليه (فأنزل الله سكينته) أمنته التى تسكن عندها القلوب (عليه) على النبى صلى الله عليه وسلم أو

لا يؤمنون بالله (قوله أو بما دل عليه مجموع الفعلين) فان قيل كيف يكون لا حلال شهر دخل فى مواطأة عدة ما حرم الله قلنا الاحلال شهر فى عام له دخل فى المواطأة المذكورة اذا أريد حرمة شهر آخر فى ذلك العام لانه لو لم يحل ذلك الشهر وزيد شهر آخر خرج عن العدة (قوله كانه ضمن معنى الاخلاد والميل) فيكون المعنى اثاقلتم مائلين الى الارض (قوله وأقيم ما هو كالدليل مقامه) وانما قال كالدليل لانه لم يكن دليلا حقيقة اذ لم يلزم من النصر فى زمان النصر فى زمان آخر

على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا (وأيده بجنود لم تروها) يعنى الملائكة أنزلهم ليحرسوه فى الغار أو ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يعنى الشرك أو دعوة الكفر (وكلمة الله هى العليا) يعنى التوحيد أو دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم عن أيدى الكفار الى المدينة فانه المبدأ له أو بتأييده اياه بالملائكة فى هذه المواطن أو بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب وكلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع أبلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية فى نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل (والله عزيز حكيم) فى أمره وتدبيره (انفروا خفافا) لنشاطكم له (وثقالا) عنه لمشقته عليكم أو لقلة عيالكم ولكثرتها أو ركبانا ومشاة أو خفافا وثقالا من السلاح أو صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن أم مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلى أن أنفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله) بما أمكن لكم منهما كليهما أو أحدهما (ذلكم خير لكم) من تركه (ان كنتم تعلمون) الخير علمتم أنه خير أو ان كنتم تعلمون أنه خير اذ اخبار الله تعالى به صدق فبادروا اليه (لو كان عرضا) أى لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا (قريبا) سهل المأخذ (وسفرا قاصدا) متوسطا (لاتبعوك) لوافقوك (ولكن بعدت عليهم الشقة) أى المسافة التى تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين (وسيحلفون بالله) أى المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين (لو استطعنا) يقولون لو كان لنا استطاعة العدة أو البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير فى قوله اشتروا الضلالة (لخرجنا معكم) ساد مسد جوابى القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه (يهلكون أنفسهم) بايقاعها فى العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس فى الهلاك أو حال من فاعله (والله يعلم انهم لكاذبون) فى ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج (عفا الله عنك) كناية عن خطئه فى الاذن فان العفو من روادفه (لم أذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاى شئ أذنت لهم فى القعود حين استأذنوك واعتلوا بأكاذيب وهلا توقفت (حتى يتبين لك الذين صدقوا) فى الاعتذار (وتعلم الكاذبين) فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما أخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما (لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم) أى ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك فى أن يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يتوقفون على الاذن فيه فضلا أن يستأذنوك فى التخلف عنه أو أن يستأذنوك فى التخلف كراهة أن يجاهدوا (والله عليم بالمتقين) شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه (انما يستأذنك) فى التخلف (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) تخصيص الايمان بالله عز وجل واليوم الآخر فى الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما (وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون) يتحيرون (ولو أرادوا الخروج لاعدوا له) للخروج (عدة) أهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله

ان الخليط أجدوا البين فانجردوا * وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا

وعده بكسر العين بالاضافة وعدة بغيرها (ولكن كره الله انبعاثهم) استدراك عن مفهوم قوله ولو أرادوا الخروج كأنه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم أى نهوضهم للخروج (فثبطهم)

(قوله لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية فى نفسها) لانه اذا نصبت كانت تحت الجعل فكان المعنى وجعل كلمة الله هى العليا فكان علوها محتاجا الى الجعل وأما اذا كانت مرفوعة اشعر بما ذكر والواقع ان كلمة الله لها العلو فى نفسها وأما علوها على كلمة الكفر وغلبتها فيكون لأسباب فان قيل لم لم يقل وكلمة الذين كفروا السفلى برفع كلمة من غير جعل حتى يعلم انها من نفسها سفلى كما قال فى مقابلها قلنا لو قيل كذلك لم يعلم أن تسفلها حصل ببركة النبى صلى الله عليه وسلم وانما يعلم انها فى نفسها سافلة (قوله يقولون الخ) بيان لقوله وسيحلفون بالله (قوله وهلا توقفت) يجب تقدير هذا حتى يكون متعلقا بقوله حتى يتبين (قوله عده) والاصل عدته فحذفت التاء وبقى الضمير الذى هو المضاف اليه (قوله وأخلفوك عد الامر الخ)

فحبسهم بالجبن والكسل (وقيل اقعدوا مع القاعدين) تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم أو وسوسة الشيطان بالامر بالقعود أو حكاية قول بعضهم لبعض أو اذن الرسول عليه السلام لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لايخلو عن ذم (لوخرجوا فيكم مازادوكم) بخروجهم شيأ (الاخبالا) فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك أن يكون لهم خبال حتى لوخرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار أعم العام الذى وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لايكون مفرغا (ولأوضعوا خلالكم) ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب أو الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا أسرع (يبغونكم الفتنة) يريدون أن يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم أو الرعب فى قلوبكم والجملة حال من الضمير فى أوضعوا (وفيكم سماعون لهم) ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم أو نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم (والله عليم بالظالمين) فيعلم ضمائرهم ومايتأتى منهم (لقد ابتغوا الفتنة) تشتيت أمرك وتفريق أصحابك (من قبل) يعنى يوم أحد فان ابن أبى وأصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعدما خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذى جدة أسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم أحد (وقلبوا لك الامور) ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء فى ابطال أمرك (حتى جاء الحق) بالنصر والتأييد الالهى (وظهر أمر الله) وعلا دينه (وهم كارهون) أى على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ماثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف أسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه (ومنهم من يقول ائذن لى) فى القعود (ولاتفتنى) ولاتوقعنى فى الفتنة أى فى العصيان والمخالفة بان لاتأذن لى وفيه اشعار بانه لامحالة متخلف أذن له أم لم يأذن أو فى الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدى أو فى الفتنة بنساء الروم لما روى أن جد بن قيس قال قد علمت الانصار أنى مولع بالنساء فلاتفتنى ببنات الاصفر ولكنى أعينك بمالى فاتركنى (ألا فى الفتنة سقطوا) أى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف أو ظهور النفاق لاما احترزوا عنه (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) جامعة لهم يوم القيامة أو الآن لان احاطة أسبابها بهم كوجودها (ان تصبك) فى بعض غزواتك (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم) لفرط حسدهم (وان تصبك) فى بعضها (مصيبة) كسر أو شدة كما أصاب يوم أحد (يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رأيهم فى التخلف (ويتولوا) عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له أو عن الرسول صلى الله عليه وسلم (وهم فرحون) مسرورون (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة أو الشهادة أو ما كتب لأجلنا فى اللوح المحفوظ لايتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لامن فعل لانه من بنات الواو

التمثيل لمجرد حذف الهاء عند الاضافة (قوله تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم) أى ليس أمرا بالقعود فى الحقيقة ولكن تمثيل القاء كراهة الخروج فى قلوبهم بالقول المذكور فاستعمل الثانى فى الاول (قوله وعلى الوجهين لايخلو عن ذم) لانه جعلهم من الملحقين بالنساء والصبيان والمراد بالوجهين حمل الكلام على المجاز والحقيقة (قوله لان الزيادة باعتبار اعم العام الذى وقع منه الاستثناء) فيكون التقدير مازادوكم شيأ الا خبالا فيلزم أن يزيدوا على ماعليه المؤمنون خبالا فيكون للمؤمنين أحوال من غير خبال ثم لحق بهم بسبب خروج القاعدين خبال لم يكن قبل (قوله ولاجل هذا التوهم جعل هذا الاستثناء منقطعا) فيصير المعنى مازادوكم شيأ لكن يفعلون خبالا فلا يلزم وجود الخبال قبل لكن فيه ان المنقطع لايكون مفرغا لان المستثنى منه فى المفرغ أعم العام والمستثنى داخل فيه فكيف يكون منقطعا (قوله تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم الخ) أى جعل الامور المذكورة جبرا لما فوته الرسول صلى الله عليه وسلم من تكليفهم بالخروج معه الى الحرب أى لما هون الامر عليهم وسهل بسبب المبادرة الى الاذن فضحهم الله وشدد الامر عليهم (قوله أو الآن لان احاطة أسبابها بهم كوجودها) مجرد ماذكر لايصحح الحكم بان جهنم محيطة بالكافرين فى هذه الدار الا أن يقال المراد ان أسباب جهنم محيطة بهم بتقدير مضاف أو تجويز (قوله ويصيبنا وهو من فيعل) أى لقولهم يصيب الذى هو القراءة الاخيرة من فيعل من الملحق بفعلل وليس من باب التفعيل لان عين الفعل بهذه الصيغة واو فلو كان من باب التفعيل لوجب أن يقال يصوبنا لان باب التفعيل يكون عينه واوا أما اذا كان فيعل بزيادة الياء كان أصله يصيوب اجتمع الياء والواو والسابق ساكن فقلبت الواو ياء وأدغم الاولى فى الثانية فصار يصيب

لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشئ فيما قصد به وقيل من الصوب (هو مولانا) ناصرنا ومتولي أمورنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لان حقهم أن لا يتوكلوا على غيره (قل هل تربصون بنا) تنتظرون بنا (الا احدى الحسنيين) الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة (ونحن نتربص بكم) أيضا احدى السوأيين (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) بقارعة من السماء (أو بايدينا) أو بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر (فتربصوا) ماهو عاقبتنا (انا معكم متربصون) ماهو عاقبتكم (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) أمر في معنى الخبر أي لن يتقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعا أو كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كأنهم أمروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظر واهل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس وأعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل أمرين أن لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله (انكم كنتم قوما فاسقين) تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله) أي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي أن يقبل بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل على أن الفعل لله (ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى) متثاقلين (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) فان ذلك استدراج وو بال لهم كما قال (انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة (ويحلفون بالله انهم لمنكم انهم لمن جملة المسلمين (وماهم منكم) لكفرهم (ولكنهم قوم يفرقون) يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية (لو يجدون ملجأ) حصنا يلجؤن اليه (أو مغارات) غيرانا (أو مدخلا) نفقا يتحصنون فيه مشتق من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا أي مكانا يدخلون فيه أنفسهم ويمتدخلا ومندخلا من تدخل وادخل (لولوا اليه) لاقبلوا نحوه (وهم يجمحون) يسرعون اسراعا لا يردهم شئ كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة (ومنهم من يلمزك) يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك (في الصدقات) في قسمها (فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) قيل انها نزلت في أبي الجواظ المنافق قال ألا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم أنه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب أهل مكة تتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم أعدل فمن يعدل واذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) ما أعطاهم الرسول من الغنيمة أو الصدقة وذكر الله للتعظيم وللتنبيه على أن ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بأمره (وقالوا حسبنا الله) كفانا فضله (سيؤتينا الله من فضله) صدقة أو غنيمة أخرى (ورسوله) فيؤتينا أكثر مما آتانا (انا الى الله راغبون) في أن يغنينا من فضله والآية بأسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فقال (انما الصدقات للفقراء والمساكين) أي الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على أن المراد باللمز لهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له

(قوله لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره) أي لا بد من حصول توكلهم على الله لان شانهم واستعدادهم أن لا يتوكلوا على غيره فلا يتوهم اتحاد الدعوى والدليل والحصر المذكور يستفاد من تقديم الظرف وتأخر الله والمعنى اذا كان الله متولي أمرنا فلنفعل ما هو من حقنا من تخصيصه بالتوكل عليه (قوله أي يقال لن تقبل منكم نفقاتكم طوعا وكرها) (قوله تعالى انما يريد الله ليعذبهم) قيل مثل هذه اللام زائدة فههنا مقدر فيكون المعنى ما يريد الله باعطاء الاموال والاولاد اعطاءها الشئ الا لاجل العذاب (قوله نابت مناب الفاء الجزائية) والشبه بينهما ان اذا المفاجاة تدل على التعقب كالفاء (قوله فسيؤتينا أكثر مما آتانا) فان قيل من أين يفهم الاكثرية قلنا لما كان سخطهم على قلة العطية يناسب ان يكون المعنى سيعطيكم الرسول مالا يوجب السخط والموجب هو القلة وههنا اشكال وهو ان الآية السابقة من قوله تعالى فان أعطوا منها رضوا الخ انهم اذا أعطوا رضوا وان كانت العطية قليلة وانما

ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه أصيب فقاره والمسكين من له مال أو كسب لا يكفيه من السكون كان العجز أسكنه ويدل عليه قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين وأنه صلى الله عليه وسلم كان يسأل السكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى أو مسكينا ذا متربة (والعاملين عليها) الساعين في تحصيلها وجمعها (والمؤلفة قلوبهم) قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم أو أشراف قد يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل أشراف يستألفون على أن يسلموا فانه صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم والاصح أنه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة لكثير سواد الاسلام فلما أعزه الله وأكثر أهله سقط (وفي الرقاب) وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشئ منها على أداء النجوم وقيل بان تبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك وأحمد أو بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم أحق بها (والغارمين) والمديونين لأنفسهم في غير معصية ومن غير اسراف اذا لم يكن لهم وفاء أو لاصلاح ذات البين وان كانوا أغنياء لقوله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله أو لغارم أو لرجل اشتراها بماله أو لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني أو لعامل عليها (وفي سبيل الله) وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله (فريضة من الله) مصدر لما دل عليه الآية الكريمة أي فرض لهم الله الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة (والله عليم حكيم) يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الأئمة الثلاثة واختاره بعض أصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله تعالى على أن الآية بيان أن الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك أو اشتق له فعل من أذن أذنا اذا استمع كانف وشلل روى أنهم قالوا محمد أذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول (قل أذن خير لكم) تصديق لهم بانه أذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله (يؤمن بالله) يصدق به لما قام عنده من الادلة (ويؤمن للمؤمنين) ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان (ورحمة) أي وهو رحمة (للذين آمنوا منكم) لمن أظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على أنها علة لفعل دل عليه أذن خير أي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع أذن بالتخفيف فيهما وقرئ أذن خير على أن خير صفة له وأخويان (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) بإذائه (يحلفون بالله لكم) على معاذيرهم فيما قالوا أو تخلفوا (ليرضوكم) لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين (والله

سخطهم لعدم العطاء مطلقا وهذه الآية دالة على انهم غير راضين مع الاعطاء بسبب القلة فبينهما تخالف ويمكن الجواب بان المراد من قوله تعالى فان أعطوا منها رضوا انهم اذا اعطوا العطاء الكثير رضوا وان لم يعطوا ذلك العطاء الكثير سخطوا

ورسوله أحق أن يرضوه) أحق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين أولان الكلام فى ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وارضائه أولان التقدير والله أحق أن يرضوه والرسول كذلك (ان كانوا مؤمنين) صدقا (ألم يعلموا أنه) أن الشأن وقرئ بالتاء (من يحادد الله ورسوله) يشاقق مفاعلة من الحد (فان له نار جهنم خالدا فيها) على حذف الخبر أى فحق ان له أو على تكرير ان للتأكيد و يحتمل أن يكون معطوفا على أنه و يكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر (ذلك الخزى العظيم) يعنى الهلاك الدائم (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم) على المؤمنين (سورة تنبئهم بما فى قلوبهم) وتهتك عليهم أستارهم و يجوز أن تكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على تردد هم أيضا فى كفرهم وانهم لم يكونوا على بت فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بشئ وقيل انه خبر فى معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله (قل استهزؤا ان الله مخرج) مبرز أو مظهر (ما تحذرون) أى ما تحذرونه من انزال السورة فيكم أو ما تحذرون اظهاره من مساويكم (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) روى أن ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه بهيهات هيهات فأخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا والله ما كنا فى شئ من أمرك وأمر أصحابك ولكن كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولاتعبأ باعتذارهم الكاذب (لاتعتذروا) لاتشتغلوا باعتذاركم فانها معلومة الكذب (قد كفرتم) قد أظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فيه (بعد ايمانكم) بعد اظهاركم الايمان (ان نعف عن طائفة منكم) لتوبتهم واخلاصهم أو لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء (نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق أو مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء و بناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كأنه قال ان ترحم طائفة (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أى متشابهة فى النفاق والبعد عن الايمان كبعض الشئ الواحد وقيل انه تكذيب لهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله (يأمرون بالمنكر) بالكفر والمعاصى (وينهون عن المعروف) عن الايمان والطاعة (ويقبضون أيديهم) عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح (نسوا الله) أغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته (فنسيهم) فترکهم من لطفه وفضله (ان المنافقين هم الفاسقون) الكاملون فى التمرد والفسوق عن دائرة الخير (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود (هى حسبهم) عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها (ولعنهم الله) أبعدهم من رحمته وأهانهم (ولهم عذاب مقيم) لاينقطع والمراد به ما وعدوه أو ما يقاسونه من تعب النفاق (كالذين من قبلكم) أى أنتم مثل الذين أو فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم (كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا) بيان لتشبيههم بهم وتمثيل لحالهم بحالهم (فاستمتعوا بخلاقهم) نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من

(قوله الواحد مختلفة) كابعاض الشخص الانسانى مثلا

(قوله لم يستحقوا عليها ثوابا فى الدارين) أى لم يستحقوا ثوابا بحسب وعد الله لان الله تعالى ما وعد الكافرين بالثواب لا فى الدنيا ولا فى الآخرة بل وعد المؤمنين بما ذكر فهم مستحقون للثواب فيها بحسب الوعد دون الكافرين واما ما وقع للكافرين من النعم كالصحة وغيرها فليس بحسب الاستحقاق بل بسبب مبدأ الكرم الالهى (قوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض فى مقابلة قوله والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) فانه يفيد كون بعضهم من بعض مع شئ آخر هو ولاية بعضهم لبعض وانما لم يقل والمنافقون والمنافقات بعضهم أولياء بعض للاشعار بان ولايتهم كالعدم (قوله ثلاثة النبيون الخ) هذا الحديث يخالف ظاهر القرآن لان ظاهره حكمه بان جنات عدن لجميع المؤمنين والمؤمنات وتخصيص المؤمنين بالبعض المذكور فى الحديث لا يلائم الآية المتقدمة من اطلاق المؤمنين فى الحكم وهو كون بعضهم أولياء بعض واذا قيل هو توزيع ما ذكر على المؤمنين كما هو الاحتمال الثانى من الاحتمالات التى ذكرها لم يرد شئ وهذا يرجح هذا الاحتمال وعلى الاحتمالين الاخيرين يقال ان الحديث مخصص للآية (قوله ومرجع العطف فيها الخ) يعنى عطف مساكن طيبة على جنات المذكور اما باعتبار تغايرهما بالذات بان تكون المساكن غير الجنات كما ورد فى الحديث انها قصور من اللؤلؤ وغيره وهذا يحتمل احتمالين أحدهما ان لكل واحد من المؤمنين جنات ومساكن طيبة الثانى أن تكون الجنات والمساكن لجميع المؤمنين على التوزيع بان يكون الجنات المذكورة لبعضهم ومساكن طيبة للآخرين أو باعتبار تغاير الوصف بأن تكون الجنات والمساكن متحدين بالذات والعطف باعتبار تغاير الوصف

الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم (وخضتم) ودخلتم فى الباطل (كالذى خاضوا) كالذين خاضوا أو كالفوج الذى خاضوا أو كالخوض الذى خاضوه (أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) لم يستحقوا عليها ثوابا فى الدارين (وأولئك هم الخاسرون) الذين خسروا الدنيا والآخرة (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح) أغرقوا بالطوفان (وعاد) أهلكو بالريح (وثمود) أهلكوا بالرجفة (وقوم ابراهيم) أهلك نمروذ ببعوض وأهلك أصحابه (وأصحاب مدين) وأهل مدين وهم قوم شعيب أهلكوا بالنار يوم الظلة (والمؤتفكات) قريات قوم لوط ائتفكت بهم أى انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وأمطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب أحوالهن من الخير الى الشر (أتتهم رسلهم) يعنى الكل (بالبينات فما كان الله ليظلمهم) أى لم يك من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) فى مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله) فى سائر الامور (أولئك سيرحمهم الله) لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع (ان الله عزيز) غالب على كل شئ لا يمتنع عليه ما يريده (حكيم) يضع الاشياء مواضعها (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة) تستطيبها النفس أو يطيب فيها العيش وفى الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر (فى جنات عدن) اقامة وخلود وعنه عليه الصلاة والسلام عدن دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل أن يكون الى تعدد الموعود لكل واحد أو للجميع على سبيل التوزيع أو الى تغاير وصفه فكأنه وصفه أولا بأنه من جنس ما هو أبهى الاماكن التى يعرفونها لتميل اليه طباعهم أول ما يقرع أسماعهم ثم وصفه بأنه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التى لا تخلو عن شئ منها أماكن الدنيا وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بأنه دار اقامة وثبات فى جوار عليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو أكبر من ذلك فقال (ورضوان من الله أكبر) لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأى شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا (ذلك) أى الرضوان أو جميع ما تقدم (هو الفوز العظيم) الذى تستحقر دونه الدنيا وما فيها (يا أيها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالزام الحجة واقامة الحدود (واغلظ عليهم) فى ذلك ولا تحابهم (ومأواهم جهنم وبئس المصير) مصيرهم (يحلفون بالله ما قالوا) روى أنه صلى الله عليه وسلم أقام فى غزوة

تبوك

تبوك شهر بن ينزل عليه القرآن و يعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته (ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) وأظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام (وهموا بما لم ينالوا) من فتك الرسول وهو أن خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذ تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم يا أعداء الله فهربوا أو اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة أو بان يتوجوا عبد الله بن أبي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نقموا) وما أنكروا أو ما وجدوا وما يورث نقمتهم (الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) فان أكثر أهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أثر وا بالغنائم وقتل الجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر ألفا فاستغنى والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أو العلل (فان يتوبوا يك خيرا لهم) وهو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب (وان يتولوا) بالاصرار على النفاق (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة) بالقتل والنار (وما لهم في الارض من ولي ولا نصير) فينجيهم من العذاب (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) نزلت في ثعلبة بن حاطب أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله أن يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه وادفقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومر بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية فارجعا حتى أرى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله منعني أن أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رضي الله تعالى عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رضي الله تعالى عنه (فلما آتاهم من فضله بخلوا به) منعوا حق الله منه (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) وهم قوم عادتهم الاعراض عنها (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم) أي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء عقيدة في قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم (الى يوم يلقونه) يلقون الله بالموت أو يلقون عملهم أي جزاءه وهو يوم القيامة (بما أخلفوا الله ما وعدوه) بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح (وبما كانوا يكذبون) وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين أو المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد (ألم يعلموا) أي المنافقون أو من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات (أن الله يعلم سرهم) ما أسروه في أنفسهم من النفاق أو العزم على الاخلاف (ونجواهم) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن أو تسمية الزكاة جزية (وأن الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه ذلك (الذين يلمزون) ذم مرفوع أو منصوب أو بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم (المطوعين)

(قوله والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أو العلل) الاول بتقدير أن يكون المعنى ما وجدوا وما يورث نقمتهم أي ما وجدوا شيأ يورث نقمتهم الا أن أغناهم الله ورسوله والثاني بتقدير أن يكون المعنى ما نقموا لشئ من الاشياء الا لاغناء المذكور (قوله فأورثهم البخل نفاقا الخ) انما ورث البخل النفاق لانه يوجب كراهة حكم الله و رسوله بالتصدق وهو كفر فيجب النفاق عند خوف اظهار الكفر (قوله أو يلقون عملهم أو جزاءه وهو يوم القيامة) هذا يدل على ان القلب وهو الروح الانساني باق بعد الموت والصفات الكسبية في الدنيا باقية فيه أيضا (قوله مستقبح من الوجهين) أحدهما الكذب والآخر خلف الوعد (قوله أو المقال مطلقا الخ) يعني يمكن ان يحمل كذبهم على اخلاف الوعد فانه اخلاف وكذب وهذان هما الوجهان اللذان أشار اليهما المصنف بقوله مستقبح من الوجهين وأن يحمل على الكذب مطلقا أعم من أن يكون كذبا على وجه الاخلاف أو غيره

المتطوعين (من المؤمنين فى الصدقات) روى أنه صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن ابن عوف بار بعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف درهم فأقرضت ربى أر بعة وأمسكت لعيالى أر بعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصارى بصاع تمر فقال بت ليلتى أجر بالجر بر على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبى عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت (والذين لا يجدون الا جهدهم) الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد فى الامر اذا بالغ فيه (فيسخرون منهم) يستهزؤن بهم (سخر الله منهم) جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم (ولهم عذاب أليم) على كفرهم (استغفر لهم أولا تستغفر لهم) يرد به التساوى بين الامرين فى عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) روى أن عبد الله بن عبد الله بن أبى وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض أبيه أن يستغفر له ففعل عليه الصلاة والسلام فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز أن يكون ذلك حد ا يخالفه حكم ماوراءه فبين له أن المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوه فى التكثير لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكأنه العدد بأسره (ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله) اشارة الى أن اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها (والله لا يهدى القوم الفاسقين) المتمردين فى كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمهمك فى كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدى والتنبيه على عذر الرسول فى استغفاره وهو عدم يأسه من ايمانهم مالم يعلم أنهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) بقعودهم عن الغزو خلفه يقال أقام خلاف الحى أى بعدهم ويجوز أن يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة أو الحال (وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) ايثار الدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا بها نفوسهم ابتغاء لمحصول رضاه بذل الاموال والمهج (وقالوا لا تنفروا فى الحر) أى قال بعضهم لبعض أو قالوه للمؤمنين تثبيطا (قل نار جهنم أشد حرا) وقد آثرتموها بهذه المخالفة (لو كانوا يفقهون) أن مآتهم اليها أو أنها كيف هى ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) اخبار عما يؤل اليه حالهم فى الدنيا والآخرة أخرجه على صيغة الامر للدلالة على أنه حتم واجب ويجوز أن يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم (فان رجعك الله الى طائفة منهم) فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعنى منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين أو من بقى منهم وكان المتخلفون اثنى عشر رجلا

صاحب الكشاف أنه صلى الله عليه وسلم خيل للسامع انه يفهم العدد المخصوص دون التكثير لجوز الاجابة بالزيادة قصدا الى اظهار الرأفة والرحمة (قوله على جملة أقسام العدد فكأنه العدد بأسره) لاشتماله على الزوج والاثنان وزوج الفرد وهو الستة وزوج الزوج وهو الاربعة والفرد وهو الثلاثة بخلاف الستة فانها لا تشتمل على زوج الفرد بل هو بعينها زوج الفرد تأمل وقال بعضهم ان السبعة عدد كامل لاشتمالها على الزوج والفرد الاوليين (قوله فيكون انتصابه على العلة والحال) فعلى الاول معناه بمخالفة رسول الله وعلى الثانى معناه مخالفين لرسول الله (قوله للدلالة على انه حتم واجب) لان أصل الامر الوجوب (قوله والمراد من القلة العدم) لاحاجة الى جعل القلة بمعنى العدم بل المعنى يضحكون قليلا فى الدنيا ويبكون أو يغتمون كثيرا فى الآخرة (قوله فان كلهم لم يكونوا منافقين) أى كل المتخلفين ليسوا منافقين فان قيل فكيف قالوا كلهم لا تنفروا فى الحر وكيف قيل فى شأنهم قل نار جهنم أشد حرا قلنا العلم الذكور من بعض المؤمنين لا انكارا فاستأذنوك بل للدعة والراحة ولما صاروا مخالفين للرسول فى أمر الجهاد صاروا احقاء بالنار كما قال المصنف وقد آثرتموها بهذه المخالفة الا ان تاب الله على

(فاستأذنوك للخروج) الى غزوة أخرى بعد تبوك (فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا) اخبار فى معنى النهى للمبالغة (انكم رضيتم بالقعود أول مرة) تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم وأول مرة هى الخرجة الى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) أى المتخلفين لعدم ايقانهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) روى أن عبد الله بن أبى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له ويكفنه فى شعاره الذى يلى جسده ويصلى عليه فلما مات أرسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلى عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين فى قميصه ونهى عن الصلاة عليه لان الضن بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافأة لالباسه العباس قميصه حين أسر ببدر والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع فى حق الكافر ولذلك رتب النهى على قوله مات أبدا يعنى الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحى (ولا تقم على قبره) ولا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) تعليل للنهى أو لتأبيد الموت (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز أن تكون هذه فى فريق غير الاول (واذا أنزلت سورة من القرآن ويجوز أن يراد بها بعضها (أن آمنوا بالله) بان آمنوا بالله وبجوز أن تكون أن المفسرة (وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم) ذوو الفضل والسعة (وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) الذين قعدوا لعذر (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذى لا خير فيه (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) ما فى الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما فى التخلف عنه من الشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم (وأولئك لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى الآخرة وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة (وأولئك هم المفلحون) الفائزون بالمطالب (أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) بيان لما لهم من الخيرات الاخروية (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم) يعنى أسد وغطفان استأذنوا فى التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك أغارت طيء على أهالينا وأموالنا والمعذر امامن عذر فى الامر اذا قصر فيه موهما أن له عذرا ولا عذر له أو من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب المعذرون من أعذر اذا اجتهد فى العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على أنه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم فى العين وقد اختلف فى أنهم كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة فيكون قوله (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) فى غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله فى ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار (سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب أو من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره (عذاب أليم) بالقتل والنار (ليس على الضعفاء ولا على المرضى) كالهرمى والزمنى (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبنى عذرة (حرج) اثم فى التأخر (اذا نصحوا لله ورسوله) بالايمان

من تاب (قوله تكرير للتأكيد الخ) قد مر ما هو فى المعنى قريب من هذه الآية وهى قوله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا (قوله والامر حقيق به) أى النهى المذكور حقيق بالتأكيد كيف لا وقد يجوز أن يكون لغير التأكيد بان تكون هذه الآية فى شأن جمع غير الجمع المذكور سابقا فى الآية المتقدمة

والطاعة فى السر والعلانية كما يفعل الموالى الناصح أو بما قدروا عليه فعلا أو قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح (ماعلى المحسنين من سبيل) أى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على أنهم منخرطون فى سلك المحسنين غير معاتبين لذلك (والله غفور رحيم) لهم أو للمسىء فكيف للمحسن (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) عطف على الضعفاء أو على المحسنين وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلية بن زيد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك فقال عليه السلام لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى وأصحابه (قلت لا أجد ما أحملكم عليه) حال من الكاف فى أتوك باضمار قد (تولوا) جواب اذا (وأعينهم تفيض) تسيل (من الدمع) أى دمعا فان من للبيان وهى مع المجرور فى محل النصب على التمييز وهو أبلغ من يفيض دمعها لانه يدل على أن العين صارت دمعا فياضا (حزنا) نصب على العلة أو الحال أو المصدر لفعل دل عليه ماقبله (ألا يجدوا) لئلا يجدوا متعلق بحزنا أو بتفيض (ماينفقون) فى مغزاهم (انما السبيل) بالمعاتبة (على الذين يستأذنونك وهم أغنياء) واجدون الاهبة (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) استئناف لبيان ماهو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ايثارا للدعة (وطبع الله على قلوبهم) حتى غفلوا عن وخامة العاقبة (فهم لا يعلمون) مغبته (يعتذرون اليكم) فى التخلف (اذا رجعتم اليهم) من هذه السفرة (قل لا تعتذروا) بالمعاذير الكاذبة لانه (لن نؤمن لكم) لن نصدقكم لانه (قد نبأنا الله من أخباركم) أعلمنا بالوحى الى نبيه بعض أخباركم وهو مافى ضمائركم من الشر والفساد (وسيرى الله عملكم ورسوله) أتتوبون عن الكفر أم تثبتون عليه فكأنه استتابة وامهال للتوبة (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) أى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على أنه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شئ من ضمائرهم وأعمالهم (فينبئكم بما كنتم تعملون) بالتوبيخ والعقاب عليه (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم) فلا تعاتبوهم (فأعرضوا عنهم) ولا توبخوهم (انهم رجس) لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء أرجاس لا تقبل التطهير فهو علة لاعراض وترك المعاتبة (ومأواهم جهنم) من تمام التعليل وكأنه قال انهم أرجاس من أهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ فى الدنيا والآخرة أو تعليل ثان والمعنى أن النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم (جزاء بما كانوا يكسبون) يجوز أن يكون مصدرا وأن يكون علة (يحلفون لكم لترضوا عنهم) بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم (فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أى فان رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه وان أمكنهم أن يلبسوا عليكم لا يمكنهم أن يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهى عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم (الاعراب) أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من أهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة (وأجدر ألا يعلموا) وأحق بان لا يعلموا (حدود ما أنزل الله على رسوله) من الشرائع فرائضها وسننها (والله عليم) يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر (حكيم) فيما يصيب به مسيئهم

(قوله تعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية) فيه اشكال اذ يلزم منه أن يكون زمان الاتيان وزمان التولى واحدا لأن اذا ظرف للشرط والجزاء والجواب أن يقال المعنى اذا ما أتوك قلت ماذكر كان الاتيان حال التولى سببا للتولى المذكور كما قال الرضى فى قولك اذا جئتنى اليوم أكرمك غدا ان المعنى اذا جئتنى اليوم كان سببا لاكرامى لك غدا والاولى أن يقال ان ههنا حرف العطف مقدر على قلت ويكون المعنى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم وقلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وزمان الاتيان مع القول هو زمان التولى واختاره الرضى (قوله فان من للبيان الخ) تحقيقه أن تفيض العين معناه يفيض شئ من الاشياء من العين فيكون من الدمع بيانا لذلك الشئ المبهم ولذا قال فى محل النصب على التمييز أى بمعنى تفيض دمعا كقولك طالب زيد علما (قوله نصب على العلة الخ) فعلى الاول يكون المعنى تولوا للحزن وعلى الثانى

ومحسنهم

ومحسنهم عفا وأوثوابا (ومن الاعراب من يتخذ) يعد (ماينفق) يصرفه في سبيل الله ويتصدق به (مغرما) غرامة وخسرانا اذ لايحتسبه قربة عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء أو تقية (ويتربص بكم الدوائر) دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق (عليهم دائرة السوء) اعتراض بالدعاء عليهم بنحو مايتربصون أو الاخبار عن وقوع مايتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر أو اسم فاعل من دار يدور وسمي به عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر أضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابن كثير وأبو عمرو السوء هنا وفي الفتح بضم السين (والله سميع) لما يقولون عند الانفاق (عليم) بما يضمرون (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ماينفق قربات عند الله) سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها أو ظرف ليتخذ (وصلوات الرسول) وسبب صلواته لانه صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق عليه أن يدعو للمتصدق عند أخذ صدقته لكن ليس له أن يصلي عليه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى لانه منصبه فلا أن يتفضل به على غيره (الا انها قربة لهم) شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقته وقرأ ورش قربة بضم الراء (سيدخلهم الله في رحمته) وعدلهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله (ان الله غفور رحيم) لتقريره وقيل الاولى في أسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه (والسابقون الاولون من المهاجرين) هم الذين صلوا الى القبلتين أو الذين شهدوا بدرا أو الذين أسلموا قبل الهجرة (والانصار) أهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة وأهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون (والذين اتبعوهم باحسان) اللاحقون بالسابقين من القبيلتين أو من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة (رضي الله عنهم) بقبول طاعتهم وارتضاء أعمالهم (ورضوا عنه) بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية (وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار) وقرأ ابن كثير من تحتها الانهار كما في سائر المواضع (خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ومن حولكم) أي ومن حول بلدتكم يعني المدينة (من الاعراب منافقون) هم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها (ومن أهل المدينة) عطف على ممن حولكم أو خبر لمحذوف صفته (مردوا على النفاق) ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينهما وبينه بالمعطوف على الخبر أو كلام مبتدأ لبيان تمردهم وتهرنهم في النفاق (لاتعلمهم) لانعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوفهم في تحامي مواقع التهم الى حد أخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك (نحن نعلمهم) ونطلع على أسرارهم ان قدروا أن يلبسوا عليك لم يقدروا أن يلبسوا علينا (سنعذبهم مرتين) بالفضيحة والقتل أو بأحدهما وعذاب القبر أو بأخذ الزكاة ونهك الابدان (ثم يردون الى عذاب عظيم) الى عذاب النار (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى تحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف وموافقة أهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم طلب الشيخ من الله تعالى فلا يظهر وجه لدعاء الله تعالى بل الوجه هو ما قاله ثانيا من ان المراد الاخبار عن وقوع مايتربصون عليهم (قوله لكن ليس له ان يصلي عليه الخ) فيه ان العبارة دلت بحسب الظاهر على انه لا يجوز للمصدق ان يصلي على المتصدق وليس كذلك بل هو جائز (قوله عطف على من حولكم أو خبر محذوف صفته) فعلى الاول يكون المعنى ومن حولكم من الاعراب ومن أهل المدينة منافقون مردوا وعلى الثاني يكون المعنى ومن أهل المدينة جمع مردوا على النفاق خبر ٧ (قوله أنا ابن جلا) التقدير أنا ابن رجل جلا (قوله وتفرفهم في تحامي مواقع التهم) أي هم واقعون راسخون في حفظ مواقع التهمة أي يحفظون مواقع التهمة بحيث لا يصل اليها أحد (قوله والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم الخ) اذا كان الواو بمعنى الباء اشكل الامر في عطف درهما على شاة لانه يلزم منه أن يكون باع الدرهم كما باع الشاة لكن الغرض بيع الشاة واخذ الدرهم وعبارة الزمخشري قريب من ذلك

ولكن يمكن توجيهه لانه قال هذا من قبيل بعت الشاء شاة ودرهما لانه بمعنى شاة بدرهم فانه لم يصرح فيه بان الواو بمعنى الباء فيمكن أن

بعت الشاء شاة ودرهما أو للدلالة على أن كل واحد منهما مخلوط بالآخر (عسى الله أن يتوب عليهم) أن يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم (ان الله غفور رحيم) يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه (خذ من أموالهم صدقة) روى أنهم لما أطلقوا قالوا يارسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيأ فنزلت (تطهرهم) من الذنوب أو حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر (وتزكيهم بها) وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين (وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم (ان صلواتك سكن لهم) تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد (والله سميع) باعترافهم (عليم) بندامتهم (ألم يعلموا) الضمير اما للمتوب عليهم والمراد أن يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم أو لغيرهم والمراد به التحضيض عليهما (أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز (ويأخذ الصدقات) يقبلها قبول من يأخذ شيأ ليؤدي بدله (وأن الله هو التواب الرحيم) وأن من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم (وقل اعملوا) ما شئتم (فسيرى الله عملكم) فانه لا يخفى عليه خيرا كان أو شرا (ورسوله والمؤمنون) فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم (وستردون الى عالم الغيب والشهادة) بالموت (فينبئكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة عليه (وآخرون) من المتخلفين (مرجؤن) مؤخرون أي موقوف أمرهم من أرجأته اذا أخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان (لأمر الله) في شأنهم (اما يعذبهم) ان أصروا على النفاق (واما يتوب عليهم) ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على أن كلا الامرين بارادة الله تعالى (والله عليم) باحوالهم (حكيم) فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال ابن أمية ومرارة ابن الربيع أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك أخلصوا نياتهم وفوضوا أمرهم الى الله فرحمهم الله تعالى (والذين اتخذوا مسجدا) عطف على وآخرون مرجؤن أو مبتدأ خبره محذوف أي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا أو منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير الواو (ضرارا) مضارة للمؤمنين روى أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم ابن عوف فبنوا مسجدا على قصد أن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما أتموه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة (وكفر) وتقوية للكفر الذي يضمرونه (وتفريقا بين المؤمنين) يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قباء (وارصادا) ترقبا (لمن حارب الله ورسوله من قبل) يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين حتى انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب أو باتخذوا أي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء

يكون غرضه بيان محصل المعنى ويكون أصل المعنى بعت الشاء بعت شاة وأخذت درهما (قوله واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد الخ) تبع فيه صاحب الكشاف حيث قال اما للعباد أي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة ولا يخفى ما فيه من التكلف والاولى أن يقال اما ههنا للتنويع لا للشك وللتشكيك يعني أحد الامرين لازم (قوله وفيه دليل على أن كلا الامرين بارادة الله تعالى) أي في الترديد المذكور دليل على ما ذكر لانه لو لم يكن الله تعالى مريدا بل فعله بحسب الايجاب لا بالارادة كما هو زعم الفلاسفة لوجب تعين أحدهما ولا وجه للترديد (قوله عطف على وآخرون مرجون) اعلم ان آخرون مرجون عطف على وآخرون منافقون فيكون المعنى وممن حولكم من الاعراب منافقون وآخرون والذين اتخذوا مسجدا (قوله أو منصوب على الاختصاص) والمعنى ذم الذين اتخذوا (قوله وبغير الواو) يحتمل أن يكون بتقدير الواو عند من يجوز حذفها كأبي علي الفارسي

بالتخلف لما روى أنه بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيه فقال اناعلى جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كر عليه فنزلت (وليحلفن ان أردنا الا الحسنى) ماأردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى أو لارادة الحسنى وهى الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين (والله يشهد انهم لكاذبون) فى حلفهم (لاتقم فيه أبدا) للصلاة (لمسجد أسس على التقوى) يعنى مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه أوفى لقصة أو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أبى سعيد رضى الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة (من أول يوم) من أيام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله

لمن الديار بقنة الحجر * أقوين من حجج ومن دهر

(أحق أن تقوم فيه) أولى بان تصلى فيه (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) من المعاصى والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله سبحانه وتعالى وقيل من الجنابة فلا يناموں عليها (والله يحب المطهرين) يرضى عنهم ويديهم من جنابه تعالى ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال عليه الصلاة والسلام أمؤمنون أنتم فسكتوا فأعادها فقال عمر لهم مؤمنون وأنا معهم فقال عليه الصلاة والسلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون فى الرخاء قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم أنتم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يامعشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يارسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا فيه رجال يحبون أن يتطهروا (أفمن أسس بنيانه) بنيان دينه (على تقوى من الله ورضوان خير) على قاعدة محكمة هى التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة (أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) على قاعدة هى أضعف القواعد وأرخاها (فانهار به فى نار جهنم) فأدى به لخوره وقلة اسقساكه الى السقوط فى النار وانما وضع شفا الجرف وهو ماجرفه الوادى الهائر فى مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه أمر دينهم فى البطلان وسرعة الانحطاس ثم رشحه بانهياره به فى النار ووضعه فى مقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على أمر يحفظه من النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التى الجنة أدناها وتاسيس هذا على ماهم بسببه على صدد الوقوع فى النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرأ ابن عامر وابن عاصم أسس على البناء للمفعول وقرئ أساس بنيانه وأس بنيانه على الاضافة وأسس وآساس بالفتح والمد واساس بالكسر وثلاثتها جمع أس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر جرف بالتخفيف (والله لا يهدى القوم الظالمين) الى مافيه صلاحهم ونجاتهم (لا يزال بنيانهم الذى بنوا) بناؤهم الذى بنوه مصدر أريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد وأخبر عنه بقوله (ريبة فى قلوبهم) أى شكا ونفاقا والمعنى أن بناءهم هذا لا يزال يحيك شكهم وتزايد نفاقهم فانه حاملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك فى قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم (الا أن تقطع قلوبهم) قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو فى غاية المبالغة والاستثناء من أعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ماهو كائن بالقتل أو فى القبر أو فى النار وقيل التقطع بالتوبة ندما وأسفا وقرأ يعقوب الى محرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على

و يحتمل أن يكون جملة مستقلة منفردة لذم المتخذين تقريرا لذم المنافقين (قوله بانه أوفق بقصة) أى القصة التى ذكرت قبل ذلك وهى قوله فى تفسير مسجد الضرار روى ان بنى عمرو بن عوف الخ

(قوله وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب الخ) جواب سؤال وهو انه اذا كان صيغة المبنى للفعول لزم ان يكون كونهم مقتولين مقدما على كونهم قاتلين وهو محال وأجاب بان الواو لا توجب الترتيب فتكون المقتولية بعد القاتلية وان تقدم فى الذكر وقوله وان فعل البعض الخ جواب آخر وهو انه يمكن أن يكون المقتولية لبعض والقاتلية لبعض آخر وان أسند كل منهما بحسب الظاهر الى الكل فلا ضير فى تقدم المقتولية على القاتلية (قوله والعاطف فيه للدلالة الخ) يعنى ان الواو تشعر بالاتصال وهذان الامران يتصل أحدهما بالآخر ولك أن تقول فالمناسب أن يقال الراكعون والساجدون بالواو لان مجموعهما فى حكم خصلة واحدة كانه قيل الجامعون بين الركوع والسجود والجواب ان الامر بالمعروف يتضمن النهى عن المنكر وبالعكس بخلاف الركوع والسجود فان أحدهما لا يتضمن الآخر وانما قلنا ان الامر بالمعروف متضمن للنهى عن المنكر لان الامر بالشئ نهى عن ضده والنهى عن الشئ أمر بضده (قوله تعالى و بشر المؤمنين) معطوف على مقدر مستفاد من الامور السابقة فكأنه قال مرهم بما ذكرو بشر المؤمنين قيل (قوله بان ماتوا على الكفر) هذا التخصيص ليس بشئ كما يبنى اذ يمكن أن يتبين النبى كون شخص معين من أصحاب الجحيم بالوحى وعلة التخصيص ان الآية نزلت فى استغفار النبى صلى الله عليه وسلم لأبى طالب بعد موته

خطاب الرسول أو كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول (والله عليم) بنياتهم (حكيم) فيما أمر بهم بنياتهم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة) تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم فى سبيله (يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) استئناف بيان مالاجله الشراء وقيل يقاتلون فى معنى الامر وقرأ حمزة والكسائى بتقديم المبنى للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب وأن فعل البعض قد يسند الى الكل (وعدا عليه حقا) مصدر مؤكد لما دل عليه الشراء فانه فى معنى الوعد (فى التوراة والانجيل والقرآن) مذكورا فيهما كما أثبت فى القرآن (ومن أوفى بعهده من الله) مبالغة فى الانجاز وتقرير لكونه حقا (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) فافرحوا به غاية الفرح فانه أوجب لكم عظائم المطالب كما قال (وذلك هو الفوز العظيم التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من أهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعده الله الحسنى أو خبره مابعده أى التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح وجر صفة للمؤمنين (العابدون) الذين عبدوا الله مخلصين له الدين (الحامدون) لنعمائه أو لما بهم من السراء والضراء (السائحون) الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة أمتى الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات أو لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت أو السائحون للجهاد أو لطلب العلم (الراكعون الساجدون) فى الصلاة (الآمرون بالمعروف) بالايمان والطاعة (والناهون عن المنكر) عن الشرك والمعاصى والعاطف فيه للدلالة على أنه بما عطف عليه فى حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفى قوله تعالى (والحافظون لحدود الله) أى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على أن ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمى واو الثمانية (وبشر المؤمنين) يعنى به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على أن ايمانهم دعاهم الى ذلك وأن المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لأبى طالب لما حضره الوفاة قل كلمة أحاج لك بها عند الله فأبى فقال عليه السلام لاأزال أستغفر لك مالم أنه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر أمه ثم قام مستعبرا فقال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وأنزل على الآيتين (ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) بأن ماتوا على الكفر، فيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه يدفع النقض باستغفار ابراهيم عليه الصلاة والسلام لابيه الكافر فقال (وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه) وعدها ابراهيم أباه بقوله لاستغفرن لك أى لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ أباه أو وعدها ابراهيم أبوه وهى الوعد بالايمان (فلما تبين له أنه عدو لله) بان مات على الكفر

اوحى اليه بانه لن يؤمن (تبرأ منه) قطع استغفاره (ان ابراهيم لاواه) لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه (حليم) صبور على الأذى والجملة لبيان ماحمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه (وما كان الله ليضل قوما) أي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم (بعد اذ هداهم) للاسلام (حتى يبين لهم مايتقون) حتى يبين لهم حظر ماعجب تقاؤه وكأنه بيان عذر الرسول عليه الصلاة والسلام في قوله لعمه أولمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الأمر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على أن الغافل غير مكلف (ان الله بكل شئ عليم) فيعلم أمرهم في الحالين (ان الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت ومالكم من دون الله من ولي ولانصير) لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا أولى قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي أمره والغالب عليه ولايتأتى لهم ولاية ولانصرة الا منه ليتوجهوا بانشراحهم اليه ويتبرؤا مما عداه حتى لايبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار) من اذن المنافقين في التخلف أو برأهم عن علقة الذنوب كقوله تعالى ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من أحد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من أحد الا وله مقام يستنقص دونه ماهو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار افضالها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة اظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الطفا (من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الايمان أو اتباع الرسول عليه السلام وفي كاد ضمير الشأن أو ضمير القوم والعائد اليه الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين (ثم تاب عليهم) تكرير للتأكيد وتنبيه على أنه تاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة أو المراد أنه تاب عليهم لكيد ودتهم (انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة) وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع (الذين خلفوا) تخلفوا عن الغزو أو خلف أمرهم فانهم المرجؤن (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) أي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة (وضاقت عليهم أنفسهم) قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لايسعها أنس ولاسرور (وظنوا) وعلموا (أن لاملجأ من الله) من سخطه (الا اليه) الا الى استغفاره (ثم تاب عليهم) بالتوفيق للتوبة (ليتوبوا) أو أنزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التائبين أو رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم (ان الله هو التواب) لمن تاب ولوعاد في اليوم مائة مرة (الرحيم) المتفضل عليهم بالنعم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فيما يرضاه (وكونوا مع الصادقين) في ايمانهم وعهودهم أو في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين أي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة وأضرابهم (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) نهى عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) ولا يصونوا أنفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه مايكابده من الأهوال روى أن أبا خيثمة بلغ بستانه وكانت له زوجة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى

(قوله وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف) فالمراد من الغافل من لم يصل اليه أمر النبي بالتكاليف اذ يعلم من الآيات ان من كان كذلك لم يسم ضالا ولا يؤاخذ مؤاخذته (قوله أو برأهم عن علقة الذنوب) فيكون المراد بالذنب ما يكون نقصا بالنسبة الى الشخص أعم من ترك الاولى (قوله وقيل هو بعث على التوبة) لك أن تقول قوله لقد تاب معناه قبول التوبة عنهم فيما مضى فهو يدل على قبول توبتهم سابقا لا على بعثهم على التوبة فالجواب ان القائل المذكور انما جعل الماضي بمعنى المضارع للاشعار بتحقق وقوعه فكان تاب بمعنى يتوب فصح جعله باعثا على التوبة (قوله وتاب على الثلاثة) انما قدر تاب ههنا لأن تاب المذكور أولا هو التوبة عن الاذن في التخلف والتوبة على الثلاثة ليست كذلك

الله عليه وسلم فى الضح والريح ماهذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا بركب يزهاه السراب فقال كن أباخيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفى لابرغبوا بجوز النصب والجزم (ذلك) اشارة الى مادل عليه قوله ما كان من النهى عن التخلف أو وجوب المشايعة (بأنهم) بسبب أنهم (لايصيبهم ظمأ) شئ من العطش (ولانصب) تعب (ولامخمصة) مجاعة (فى سبيل الله ولايطؤن) ولايدوسون (موطئا) مكانا (يغيظ الكفار) يضهم وطؤه (ولاينالون من عدو نيلا) كالقتل والاسر والنهب (الاكتب لهم به عمل صالح) الا استوجبوا به الثواب وذلك بما يوجب المشايعة (ان الله لايضيع أجر المحسنين) على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على أن الجهاد احسان أما فى حق الكفار فلانه سعى فى تكميلهم بالقصى ما يمكن كضرب المداوى للمجنون وأما فى حق المؤمنين فلأنه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم (ولاينفقون نفقة صغيرة) ولوعلاقة (ولا كبيرة) مثل ماأنفق عثمان رضى الله تعالى عنه فى جيش العسرة (ولايقطعون واديا) فى مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذ سال فشاع بمعنى الأرض (الا كتب لهم) أثبت لهم ذلك (ليجزيهم الله) بذلك (أحسن ما كانوا يعملون) جزاء أحسن أعمالهم أو أحسن جزاء أعمالهم (وما كان المؤمنون لينفروا كافه) وما استقام لهم أن ينفروا جميعا لنحو غزو أو طلب علم كما لايستقيم لهم أن يثبطوا جميعا فانه يخل بأمر المعاش (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة (ليتفقهوا فى الدين) ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها (ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه أهم وفيه دليل على أن التفقه والتذكير من فروض الكفاية وأنه ينبغى أن يكون غرض المتعلم فيه أن يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط فى البلاد (لعلهم يحذرون) ارادة أن يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على أن أخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضى أن ينفر من كل ثلاثة نفر دوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كى يتذكروا و يحذروا فلولم يعتبر الاخبار مالم يتواتر لم يفد ذلك وقد أشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا فى كتابى المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو أنه لما نزل فى المتخلفين مانزل سبق المؤمنون الى التغيير وانقطعوا عن التفقه فأمروا أن ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد و يبقى أعقابهم يتفقهون حتى لاينقطع التفقه الذى هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الأصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير فى ليتفقهوا ولينذروا لبواقى الفرق بعد الطوائف النافرة للغز و وفى رجعوا للطوائف أى ولينذروا البواقى قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم مما حصلوا أيام غيبتهم من العلوم (يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أمروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا بانذار عشيرته الاقربين فان الاقرب أحق بالشفقة والاستطلاع وقيل هم يهود حوالى المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشأم وهو قريب من المدينة (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها (واعلموا أن الله مع المتقين) بالحراسة والاعانة (واذا ما أنزلت سورة فمنهم) فمن المنافقين (من يقول) انكارا واستهزاء (أيكم زادته هذه) السورة (ايمانا) وقرئ أيكم بالنصب

(قوله ولايجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم) فان قيل معظم الغرض من الفقاهة تخليص النفس من العقاب والوصول الى دار القرار وجوار رب الارباب وأما الارشاد فهو وان كان مطلوبا لكن لايستحق ان يجعل معظم الغرض قلنا المراد معظم الاغراض الحاصلة من الدنيا لكن الاغراض من تخليص النفس وغيره هى اغراض الحاصلة فى الآخرة بقى أن يقال ليس غاية السعى الارشاد بل تكميل النفس ثم الارشاد (قوله لا الترفع على الناس والتبسط فى البلاد) يعنى ذكر ماذكر وترك ذكر غيره يدل على ماذكره (قوله فلولم يعتبر الاخبار مالم يتواتر لم يفد ذلك) فيه انه يمكن أن يعتبر الخبر الغير المتواتر ولا يلزم وجوب العمل به فيكون مفيدا

على اضمار فعل يفسره زادته (فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا) بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها بما فيها الى ايمانهم (وهم يستبشرون) بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم (وأما الذين فى قلوبهم مرض) كفر (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها (وماتوا وهم كافرون) واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه (أولا يرون) يعنى المنافقين وقرئ بالتاء (أنهم يفتنون) يبتلون باصناف البليات أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون مايظهر عليه من الآيات (فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون) لا يتعظون ولا يتوبون من نفاقهم (ولا هم يذكرون) ولا يعتبرون (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكارا لها واستخرية أو غيظا لما فيها من عيوبهم (هل يراكم من أحد) أى يقولون هل يراكم أحد ان قمتم من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فان لم يرهم أحد قاموا وان يرهم أحد أقاموا (ثم انصرفوا) عن حضرته مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم) عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء (بانهم) بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) اسوء فهمهم أو لعدم تدبرهم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) من جنسكم عربى مثلكم وقرئ من أنفسكم أى من أشرفكم (عزيز عليه) شديد شاق (ماعنتم) عنتكم ولقاؤكم المكروه (حريص عليكم) أى على ايمانكم وصلاح شأنكم (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل (فان تولوا) عن الايمان بك (فقل حسبى الله) فانه يكفينى معرتهم ويعينك عليهم (لااله الا هو) كالدليل عليه (عليه توكلت) فلا أرجو ولا أخاف الا منه (وهو رب العرش العظيم) الملك العظيم أو الجسم العظيم المحيط الذى تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن على الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فانهما انزلتا على ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة والله أعلم

﴿ سورة يونس عليه السلام مكية وهى مائة وتسع آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الر) نفخمها ابن كثير ونافع برواية قالون وحفص وقرأ ورش بين اللفظين وأمالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء (تلك آيات الكتاب الحكيم) اشارة الى ما تضمنته السورة أو القرآن من الآى والمراد من الكتاب أحدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم أو لانه كلام حكيم أو محكم آياته لم ينسخ شئ منها (أكان للناس عجبا) استفهام انكار للتعجيب وعجبا خبر كان واسمه (أن أوحينا) وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس أو على ان كان تامة وان أوحينا بدل من عجب واللام للدلالة على أنهم جعلوه أعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم (الى رجل منهم) من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون التعجب أن الله تعالى لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبى طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى والنبوة هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا فى المال وخفة الحال أعنى شئ فى هذا الباب ولذلك كان أكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من أنه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الانعام (أن أنذر الناس) أن هى المفسرة أو المخففة من الثقيلة

﴿سورة يونس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قوله ووصفه بالحكيم الخ) الاول أن يكون من قبيل النسب كلابن وتامر والثانى أن يكون لاسناد مجاز يا من قبيل وصف الشئ بوصف محدثه (قوله للتعجيب) متعلق بقوله انكارا لى الاستفهام يفيد انكار التعجيب (قوله من افناء رجالهم) أى ممن لا يعرف بجاه ورياسة ونحو ذلك مما يعدونه من التفاخر لانه غير معلوم النسب بل هو معروف مشهور (قوله ان هى المفسرة) فيكون انذر الناس تفسير الاوحينا

(قوله اذفلما) فلما بمعنى النفي اذ ما من أحد (قوله واضافتها الى الصدق لتحققها الخ) فيكون الصدق اما بمعنى الحقيقة أو بمعناه الحقيقي المقابل للكذب وعلى الأول الصدق صفة للقدم أي قدم صادقة وعلى الثاني يكون سببا لها (قوله

فتكون فى موقع مفعول أوحينا (وبشر الذين آمنوا) عمم الانذار اذ قلما من أحد ليس فيه ما ينبغي أن ينذر منه وخصص البشارة بالمؤمنين اذ ليس للكفار ما يصح أن يبشر وابه حقيقة (أن لهم) بأن لهم (قدم صدق عند ربهم) سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على أنهم انما ينالونها بصدق القول والنية (قال الكافرون ان هذا) يعنون الكتاب وماجاء به الرسول عليه الصلاة والسلام (لسحر مبين) وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على أن الاشارة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادقون من الرسول صلى الله عليه وسلم أمورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ماهذا الا سحر مبين (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض) التى هى أصول الممكنات (فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر) يقدر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته وهيئ بتحريكه أسبابها وينزلها منه والتدبير النظر فى أدبار الامور لتجيء محمودة العاقبة (مامن شفيع الا من بعد اذنه) تقرير لعظمته وعزة جلاله ورد على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن أذن له (ذلكم الله) أى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية (ربكم) لاغير اذ لا يشاركه أحد فى شئ من ذلك (فاعبدوه) وحدوه بالعبادة (أفلا تذكرون) تتفكرون أدنى تفكر فينبهكم على أنه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه (اليه مرجعكم جميعا) بالموت والنشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه (وعدالله) مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله (حقا) مصدر آخر مؤكد لغيره وهو مادل عليه وعدالله (انه يبدؤ الخلق ثم يعيده) بعد بدئه واهلاكه (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) أى بعدله أو بعد انهم وقيامهم على العدل فى أمورهم أو بايمانهم لانه العدل القويم كما أن الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله (والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) فان معناه ليجزى الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب أليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة فى استحقاقهم للعقاب والتنبيه على أن المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وأ به تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه وأما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم والآية كالتعليل لقوله تعالى اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة المكلفين على أعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة و يؤيده قراءة من قرأ أنه يبدأ بالفتح أى لانه و يجوز أن يكون منصوبا أو مرفوعا بما نصب وعدالله أو بما نصب حقا (هو الذى جعل الشمس ضياء) أى ذات ضياء وهو مصدر كقيام أو جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وقرأ ابن كثير برواية قنبل هنا وفى الانبياء وفى القصص ضئاء بهمزتين على القلب بتقديم اللام على العين (والقمر نورا) أى ذا نور أو سمى نورا للمبالغة وهو أعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على أنه خلق الشمس نيرة فى ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها (وقدره منازل) الضمير لكل واحد أى قدر مسير كل واحد منهما منازل أو قدره ذا منازل أو للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله وا ناطة أحكام الشرع به ولذلك علله بقوله (لتعلموا عدد السنين والحساب) حساب الاوقات من

وفيه اعتراف الخ) فيه ان القول بكونه سحرا اعتراف بكونه خارقا للعادة ولكن ليس فيه اعتراف بالعجز عن المعارضة ويمكن ان يقال ان مجرد قولهم بانه سحر مبين من غير التعرض بالمعارضة يدل على العجز اذ لولم يكن العجز لوجب التعرض فى مقام التحدى (قوله التى هى أصول الممكنات الخ) فيه ان الملائكة والعرش والكرسى من الممكنات مع ان أصلها ليس السموات والأرض و يمكن ان يقال المراد انها أسباب الأمور الحادثة فيها (قوله للمبالغة فى استحقاقهم العقاب) فان قوله تعالى لهم شراب الآية يدل بحسب الظاهر على انهم مستحقون لذلك فى ذواتهم وهو ثابت لهم فى الواقع ولا حاجة الى ان يجزابه (قوله والتنبيه الخ) صرح بقوله ليجزى الذين آمنوا الخ ولم يصرح بمثله فى الذين كفروا لزيادة العناية باثابتهم واما الكافرون فكانه لم يقصد عقابهم ولم يلتفت الى شأنهم (قوله و يجوز ان يكون منصوبا أو مرفوعا) فعلى الأول يقدر وعدو على الثانى بصيغة المفعول (قوله وقدره سبحانه) أى على تقدير كون النور ما يكتسب

الاشهر والايام فى معاملاتكم وتصرفاتكم (ماخلق الله ذلك الا بالحق) الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة (نفصل الآيات لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص بفصل بالياء (ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض) من أنواع الكائنات (لآيات) على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته (لقوم يتقون) العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر (ان الذين لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة اغفالهم عنها (واطمأنوا بها) وسكنوا اليها مقصورين همهم على لذاتها وزخارفها أو سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها (والذين هم عن آياتنا غافلون) لا يتفكرون فيها لانهما كهم فيما يضادها والعطف لتغاير الوصفين والتنبيه على أن الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك فى الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم أصلا وإما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من أنكر البعث ولم يرالا الحياة الدنيا وبالآخرين من ألهاه حب العاجل عن التأمل فى الآجل والاعداد له (أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) بما واظبوا عليه وثمرتوا به من المعاصى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم) بسبب إيمانهم الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة أو لادراك الحقائق كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم أو لما يريدونه فى الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على أن سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بإيمانهم على استقلال الايمان بالسببية وأن العمل الصالح كالتتمة والرديف له (تجرى من تحتهم الانهار) استئناف أو خبر ثان وحال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله (فى جنات النعيم) خبر أو حال أخرى منه أو من الانهار أو متعلق بتجرى أو بيهدى (دعواهم فيها) أى دعاؤهم (سبحانك اللهم) اللهم انا نسبحك تسبيحا (وتحيتهم) ما يحيى به بعضهم بعضا أو تحية الملائكة اياهم (فيها سلام وآخر دعواهم) وآخر دعائهم (أن الحمد لله رب العالمين) أى أن يقولوا ذلك ولعل المعنى أنهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات أو الله تعالى لهمدوه وأثنوا عليه بصفات الاكرام وأن هى المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد (ولو يعجل الله للناس الشر) ولو يسرعه اليهم (استعجالهم بالخير) وضع موضع تعجيلهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم فى الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم أو بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ماحذف لدلالة الباقى عليه (لقضى اليهم أجلهم) لاميتوا وأهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون) عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كأنه قيل : لكن لا نعجل ولا نقضى فنذرهم امهالا لهم واستدراجا (واذا مس الانسان الضر دعانا) لازالته مخافا صافيه (لجنبه) ملقى لجنبه أى مضطجعا (أو قاعدا أو قائما) وفائدة التردد تعميم الدعاء لجميع الاحوال أو لاصناف المضار فاما كشفنا عنه ضره مر) يعنى مضى على طريقته واستمر على كفره أو مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه (كأن لم يدعنا) كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال

ونحر مشرق اللون * كان ثديا حقان

(قوله أى ان يقولوا ذلك) أى ان التقدير ان يقولوا ان الحمد لله رب العالمين فان الاولى مصدرية والثانية مخففة كما سيجىء وانما قدر هكذا لان ان الحمد لله ليس نفس المعنى المصدرى هذا توجيه كلامه وفيه نظر لانه يفيد ان قولهم الحمد لله رب العالمين بدون ان فالوجه ان ان معتبرة والتقدير وآخر دعواهم شئ هو ان الحمد لله رب العالمين (قوله حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم) أى استعجال الناس بالخير أى طلبهم سرعة الخير تعجيل لهم أى تحصيل سرعة من الله (قوله وبان المراد شر استعجلوه) أى اشعارا بان المراد من الشر المذكور شر استعجلوه (قوله وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الأحوال أو لأصناف المضار) الاول مسلم واما الثانى فلان الترديد المذكور يفيد التعميم لجميع المضار باعتبار ان من له مضرة لا يخلو من حال من الأحوال المذكورة واذا كان فى كل حال منها داعيا كان عاما لجميع المضار

(الى ضر مسه) الى كشف ضر (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين ما كانوا يعملون) من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) بأهل مكة (لما ظلموا) حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ماينبغي (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد أو عطف على ظلموا (وما كانوا ليؤمنوا) وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بأنهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي (كذلك) مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق أنه لا فائدة في امهالهم (نجزي القوم المجرمين) نجزي كل مجرم أو نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وأنهم اعلام فيه (ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم) استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها استخلاف من يختبر (لننظر كيف تعملون) أتعملون خيرا أو شرا فنعاملكم على مقتضى أعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يجب أن يعمل فيه ماقبله وفائدته الدلالة على أن المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح أخرى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا) يعني المشركين (ائت بقرآن غير هذا) بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت أو ما نكرهه من معايب آلهتنا (أو بدله) بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه (قل ما يكون لي) ما يصح لي (أن أبدله من تلقاء نفسي) من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما كتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر (ان أتبع الا ما يوحى الي) تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في أمر لا يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض وردا لما عرضوا له بهذا السؤال من أن القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال (اني أخاف ان عصيت ربي) أي بالتبديل (عذاب يوم عظيم) وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح (قل لو شاء الله) غير ذلك (ما تلوته عليكم ولا أدراكم به) ولا أعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولأدراكم بلام التأكيد أي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري والمعنى أنه الحق الذي لا محيص عنه ولم أرسل به لأرسل به غيري وقرئ ولا أدرأ كم ولا أدرأنكم بالهمز فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة أو على أنه من الدرء بمعنى الدفع أي ولا جعلتكم تتلونه خصماء تدرؤنني بالجدال والمعنى أن الامر بمشيئة الله تعالى لا بمشيئتي حتى أجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله (فقد لبثت فيكم عمرا) مقدار عمر أربعين سنة (من قبله) من قبل القرآن لا أتلوه ولا أعلمه فانه اشارة الى أن القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين أظهرهم أربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينتحل قريضا ولا خطابة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلاعن كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع وأعرب عن أقاصيص الاولين وأحاديث الآخرين على ماهي عليه علم انه معجز من الله تعالى (أفلا تعقلون) أي أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا أنه ليس الا من الله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) تفاد مما أضافوه اليه كناية أو تظلم للمشركين بافترائهم على الله تعالى في قولهم انه لذو شريك وذو ولد (أو كذب بآياته) فكفر بها (انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم) فانه جماد

(قوله فان الاستفهام يجب ان يعمل فيه ماقبله) هذا عذر تقديم كيف مع انه معمول يعملون أي انما قدم مع كونه معمولا لان الاستفهام له صدر الكلام فلا يؤخر عن عامله (قوله وفائدته الدلالة) أي فائدة لفظ كيف ماذكر (قوله ولذلك يحسن الفعل تارة الخ) فان الكذب قد يكون حسنا اذا ترتب عليه فائدة شرعية وقد يكون قبيحا اذا لم يكن كذلك وكذلك الغيبة تكون حسنة اذا جوزها الشرع وهو في مواضع مخصوصة وتكون قبيحة اذا لم يكن كذلك بل القتل قد يكون حسنا وقد يكون قبيحا وقس عليه (قوله ولعلهم سألوا ذلك الخ) أي لا يكون غرضهم انه صلى الله عليه وسلم لو أتى بما تعنتوا آمنوا به بل انه اذا أتى به ألزموه ويقولون له انك لست بنبي انك اتبعت رأينا فليس ما أتيت به من عند الله بل من عند نفسك (قوله تفاد مما أضافوا اليه كناية) أي اخبارا واحترازا عما أضافوا اليه أي النبي صلى الله عليه وسلم كناية وهو الافتراء على الله فان سؤالهم المذكور وهو الاتيان بقرآن غير هذا أو تبديله يتضمن القول بانه عليه السلام مفتر على الله فيما نسبه الى الله اذ لو كان من الله تعالى لم يقدر على اسعافهم

لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي أن يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع أو دفع ضر (ويقولون هؤلاء) الاوثان (شفعاؤنا عند الله) تشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا أو في الآخرة ان يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا أنه لا يضر ولا ينفع على توهم أنه ربما يشفع لهم عنده (قل أتنبئون الله أتخبرونه (بما لا يعلم) وهو أن ثم بكما أو هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما وفيه تقريع وتهكم بهم (في السموات ولا في الارض) حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على أن ما يعبدون من دون الله اما سماوي واما أرضي ولا شئ من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق أن يشرك به (سبحانه وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم أو عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في أول النحل والروم بالتاء (وما كان الناس الا أمة واحدة) موحدين على الفطرة أو متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام الى أن قتل قابيل هابيل أو بعد الطوفان أو على الضلال في فترة من الرسل (فاختلفوا) باتباع الهوى والاباطيل أو ببعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام فتبعتهم طائفة وأصرت أخرى (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الحكم بينهم أو العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء (لقضي بينهم) عاجلا (فيما فيه يختلفون) باهلاك المبطل وابقاء المحق (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) أي من الآيات التي اقترحوها (فقل انما الغيب لله) هو المختص بعلمه فاعلم بعلم في انزال الآيات المقترحة ممن مفاسد تصرف عن انزالها (فانتظروا) لنزول ما اقترحتموه (اني معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل على من الآيات العظام واقتراحكم غيره (واذا أذقنا الناس رحمة) صحة وسعة (من بعد ضراء مستهم) كقحط ومرض (اذا لهم مكر في آياتنا) بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط أهل مكة سبع سنين حتى كادوا يأكلون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله (قل الله أسرع مكرا) منكم فدبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج أو الجزاء على المكر (ان رسلنا يكتبون ما تمكرون) تحقيق للانتقام وتنبيه على أن ما مر وا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا أن يخفى على الله تعالى وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله (هو الذي يسيركم) يحملكم على السير ويمكنكم منه وقرأ ابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر (في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك) في السفن (وجرين بهم) بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم ويذكر عليهم (بريح طيبة) لينة الهبوب (وفرحوا بها) بتلك الريح (جاءتها) جواب اذا والضمير للفلك أو للريح الطيبة بمعنى تلقتها (ريح عاصف) ذات عصف شديدة الهبوب (وجاءهم الموج من كل مكان) يجيء الموج منه (وظنوا أنهم أحيط بهم) أهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاط به العدو (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم (لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) على ارادة القول أو مفعول دعوا لانه من جملة القول (فلما أنجاهم) اجابة لدعائهم (اذا هم يبغون في الارض) فاجؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه (بغير الحق) مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة

(قوله يشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا أو في الآخرة ان يكن بعث فكانهم كانوا شاكين فيه) فيه نظر اذ لم يفهم من قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله انهم شاكون في البعث بل هو أمر مسكوت عنه بل ما حكى الله تعالى عنهم في مواضع من الكتاب الكريم دال على قطعهم بنفي البعث كقوله تعالى هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين والاولى ان يقال ان المراد انهم شفعاؤنا في الآخرة ان كان بعث ويكون هذا القول منهم على سبيل الفرض والتقدير يعني ان كان بعث كما زعمتم أيها المؤمنون فيكون هؤلاء شفعاءنا فيها (قوله منبهة على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوي واما أرضي) فان بعض معبوداتهم الكوكب وهي سماوية (قوله كانه تذكرة لغيرهم) أي كانه يذكر حال المخاطبين لغيرهم ليتعجب من حالهم أي من كان مخاطبا أولا صاروا غائبين والذين يكون الكلام معهم أشخاص آخرون فذكر حال الاولين للآخرين (قوله أو مفعول دعوا الخ) فيه انه

واحراق زروعهم وقلع أشجارهم فانها افساد بحق (يأيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) فان وباله عليكم أو أنه على أمثالكم وأبناء جنسكم (متاع الحياة الدنيا) منفعة الحياة الدنيا لاتبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى أن نفسكم صلته أو خبره مبتدا محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى أن نفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على أنه مصدر مؤكد أى تتمتعون متاع الحياة الدنيا أو مفعول البغى لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور أو ضلال أو مفعول فعل دل عليه البغى وعلى أنفسكم خبره (ثم الينا مرجعكم) فى القيامة (فننبئكم بما كنتم تعملون) بالجزاء عليه (انما مثل الحياة الدنيا) حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (مما يأكل الناس والانعام) من الزروع والبقول والحشيش (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) حسنها وبهجتها (وازينت) تزينت باصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة كعروس أخذت من ألوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت أصله تزينت فأدغم وقد قرئ على الاصل وأزينت على أفعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازدانت كالبياض (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) متمكنون من حصدها ورفع غلتها (أتاها أمرنا) ضرب زرعها ما يجتاحه (ليلا أو نهارا فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شبيها بما حصد من أصله (كأن لم تغن) كأن لم يغن زرعها أى لم يلبث والمضاف محذوف فى الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل (بالامس) فيما قبيله وهو مثل فى الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطا بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه أهله وظنوا أنه قد سلم من الجوائح لالماء وان وليه حرف التشبيه لأنه من التشبيه المركب (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) فانهم المنتفعون به (والله يدعوا الى دار السلام) دار السلامة من التقضى والآفة أو دار الله وتخصيص هذا الاسم أيضا للتنبيه على ذلك أو دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة (ويهدى من يشاء) بالتوفيق (الى صراط مستقيم) هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على أن الامر غير الارادة وأن المصر على الضلالة لم يرد الله رشده (للذين أحسنوا الحسنى) المثوبة الحسنى (وزيادة) ومايزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وأكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هى اللقاء (ولا يرهق وجوههم) لايغشاها (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار ولا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) عطف على قوله للذين أحسنوا الحسنى على مذهب من يجوز فى الدار يدو الحجرة عمرو أو الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة مثلها على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها أى أن تجازى سيئة بسيئة مثلها لايزاد عليها وفيه تنبيه على أن الزيادة هى الفضل أو التضعيف أو كأنما أغشيت وجوههم أو أولئك أصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف أى فجزاء سيئة بمثلها واقع أو بمثلها على زيادة الباء أو تقدير مقدر بمثلها (وترهقهم ذلة) وقرئ بالياء (مالهم من الله من عاصم) مانع من أحد يعصمهم من سخط الله أو من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين

على هذا يكون حق العبارة دعوا الله أى قالوا لئن أنجيتنا كما قال تعالى ماقلت لهم الا ما أمرتنى به (قوله والمضاف محذوف فى الموضعين) أى فى قوله فجعلناها لان المعنى فجعلنا زرعها وفى قوله كان لم تغن لان المعنى كان لم يغن زرع الارض لان الضمير مؤنث فى الموضعين وراجع الى الأرض لكن الحكم منها متعلق بالزرع فلابد من المضاف (قوله والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات الخ) أى المشبه به ذلك والمشبه زوال الحياة بعد حصولها والدنيا واغترار الناس (قوله فانه من التشبيه المركب) أى لايلزم فى التشبيه المركب ان تكون آلة التشبيه واردة على المشبه (قوله وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية الخ) لان تخصيص الهداية بالمشيئة دال على انه تعالى لم يشأ هداية بعض فلو كانت الارادة أى المشيئة عين الامر لم يكن لتخصيصها بالبعض وجه لان الامر عام لكل أحد كما فهم من قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام

(قوله والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة) كذا فى الكشاف قال العلامة التفتازانى واعترض عليه صاحب التقريب بان من الليل ليس معمول أغشيت فضلا عن الليل بل هو صفة لفظا فيكون العامل فيه معنى الاستقرار والحصول كما فى سائر الظروف المستقرة ولو سلم فذو الحال هو الليل وهو معمول الجار لا الفعل وأجيب بان معنى كلامه ماتقرر فى علم النحو من ان الخبر والصفة والحال وغير ذلك هو الظرف لا عامله الذى هو كائن وحاصل أو يكون ويحصل حتى ان الضمير قد تحول اليه والعمل قد صار له وان الصفة معمول لما الموصوف معمول له وان كل مجرور بحرف الجر هو فى التحقيق معمول لفعل تعلق به الجار والمجرور ولان حروف الجر

(كأنما أغشيت) غطيت (وجوههم قطعا من الليل مظلما) لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه أغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة أو معنى الفعل فى من الليل وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح أن يكون مظلما صفة له أو حالا منه (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية فى الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين أحسنوا يتناول أصحاب الكبيرة من أهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه (ويوم نحشرهم جميعا) يعنى الفريقين جميعا (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم (أنتم) تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله (وشركاؤكم) عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه (فزيلنا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم (وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون) مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا فى الحقيقة أهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما أشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم) فانه العالم بكنه الحال (ان كنا عن عبادتكم لغافلين) ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (هنالك) فى ذلك المقام (تبلو كل نفس ما أسلفت) تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائى تتلو من التلاوة أى تقرأ ذكر ما قدمت أو من التلو أى تتبع عملها فيقودها الى الجنة أو الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها أى نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما أسلفت من أعمالها ويجوز أن يراد به نصيب بالبلاء أى بالعذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض (وردوا الى الله) الى جزائه أيهم بما أسلفوا (مولاهم الحق) ربهم ومتولى أمرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح أو المصدر المؤكد (وضل عنهم) وضاع عنهم (ما كانوا يفترون) من أن آلهتهم تشفع لهم أو ما كانوا يدعون أنها آلهة (قل من يرزقكم من السماء والارض) أى منهما جميعا فان الارزاق تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية أو من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف أى من أهل السماء والارض (أمن يملك السمع والابصار) أم من يستطيع خلقهما وتسويتهما أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من أدنى شئ (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) ومن يحيى ويميت أو من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه (ومن يدبر الامر) ومن يلى تدبير أمر العالم وهو تعميم بعد تخصيص (فسيقولون الله)

انما وضعت لافضاء معانى الافعال الى الاسماء حتى ان العامل فى مررت بهند جالسة هو الفعل لا حرف الجر مع القطع باتحاد عامل الحال وذى الحال وحينئذ لا اشكال فى كلام المصنف ولا غبار عليه ولا فرق فى كون من الليل معمول أغشيت بين ان تكون من للتبيين على ان المراد بالليل زمان كون الشمس تحت الافق فى الجملة وللتبعيض على ان المراد به جميع ذلك الزمان أقول لا يخفى ان الدار فى قولنا زيد فى الدار لا يصلح للخبرية ولا يصح المعنى بدون اعتبار الامر المقدر فالحكم بكون الامر المقدر غير عامل بل شئ آخر تحكم بحسب الظاهر فتأمل (قوله أو معنى الفعل) فيكون العامل هو الامر المقدر (قوله وعلى هذا يصح ان يكون مظلما الخ) أى على تقدير ان يكون قطعا بسكون الطاء يكون مفردا فيصح جعل مظلما صفة له أو حالا منه واما بالتحريك فهو جمع فلا يصح جعل مظلما صفة أو حالا منه والا لوجب ان يقال مظلمة ليطابق الموصوف أو ذا الحال (قوله والجواب ان الآية فى الكفار الخ) فيكون اللام فى السيئات لاستغراق أنواع المعاصى ومن جملتها الشرك (قوله فتكون ما منصوبة بنزع الخافض) أى منصوبة بحذف الباء السببية (قوله أو من كل منهما توسعة عليكم) الظاهر انه متعلق بالاخير فانه قد يحصل الرزق من السماء وحده كالماء النازل من السماء ومن الارض وحده كالعيون التى يحصل منها الزرع والجواهر التى تحصل فيها (قوله من لبيان من الخ) لا يخفى ان الجواب لا يناسب هذا الوجه لان الله تعالى ليس من أهل السماء والارض

اذلا يقدرون على المكابرة والعناد فى ذلك لفرط وضوحه (فقل أفلا تتقون) أنفسكم عقابه باشراككم اياه مالا يشاركه فى شئ من ذلك (فذلكم الله ربكم الحق) أى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذى أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أموركم (فماذا بعد الحق الا الضلال) استفهام انكار أى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله تعالى وقع فى الضلال (فأنى تصرفون) عن الحق الى الضلال (كذلك حقت كلمت ربك) أى كما حقت الربوبية لله وأن الحق بعده الضلال أو أمهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه وقرأ نافع وابن عامر كلمات هنا وفى آخر السورة وفى غافر (على الذين فسقوا) تمردوا فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح (انهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة أو تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب (قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده) جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينوب عنهم فى الجواب فقال (قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده) لان لجاجهم لا يدعهم أن يعترفوا بها (فأنى تؤفكون) تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) بنصب الحجج وارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى باللام يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على أن المنتهى غاية الهداية وأنها لهم توجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما أسند الى الله تعالى (قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى) أم الذى لا يهتدى الا أن يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى أو لا يهدى غيره الا أن يهديه الله وهذا حال أشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء وكسرت لالتقاء الساكنين وروى أبو بكر يهدى بانباع الياء الهاء وقرأ أبو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا أن يهدى للمبالغة (فما لكم كيف تحكمون) بما يقتضى صريح العقل بطلانه (وما يتبع أكثرهم) فيما يعتقدونه (الا ظنا) مستندا الى خيالات فارغة وأقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بأدنى مشاركة موهومة والمراد بالأكثر الجميع أو من ينتهى منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف (ان الظن لا يغنى من الحق) من العلم والاعتقاد الحق (شيأ) من الاغناء ويجوز أن يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على أن تحصيل العلم فى الاصول واجب والا كتفاء بالتقليد والظن غير جائز (ان الله عليم بما يفعلون) وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) افتراء من الخلق (ولكن تصديق الذى بين يديه) مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بأنه خبر لكان مقدرا أو علة لفعل محذوف تقديره ولكن أنزله الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق (وتفصيل الكتاب) وتفصيل ما حقق وأثبت من العقائد والشرائع (لا ريب فيه) منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل فى حكم لاستدراك ويجوز أن يكون حالا من الكتاب فانه مفعول فى المعنى وأن يكون استئنافا (من رب العالمين) خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين أو متعلق بتصديق أو بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض أو بالفعل المعلل

ولذا أشار الى ضعفه بقوله قيل (قوله والمراد بهما العدة بالعذاب) أى على التوجيه الاخير واما على الاول فالمراد بالكلمة الحكم بعدم الايمان (قوله وفيه دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب) فيه ان المفهوم من الآية على ما ذكره هو ان ظنونهم مستندة الى خيالات فارغة وقياسات فاسدة والظن المستند الى خيال فارغ وقياس فاسد لا فائدة فيه ولا يلزم من مجرد ما ذكر عدم اعتبار الظن والتقليد مطلقا لا يجوز اعتبار الظن والتقليد المطابقين للواقع سلمنا ان الظن مطلقا غير معتبر لكن لا يلزم عدم اعتبار التقليد المطابق للحق والجواب ان المراد من الظن فى قوله تعالى ان الظن لا يغنى من الحق شيأ مطلق الظن الشامل للصحيح والفاسد فكأنه قيل ما يتبع أكثرهم الا ظنا فاسدا والحال ان الظن مطلقا غير نافع فكيف الظن الفاسد (قوله داخل فى حكم الاستدراك) أى الاستدراك على انه ليس معنى مفتريا من دون الله (قوله أو بالفعل المعلل بهما) الفعل المعلل بهما هو أنزله الله على ما ذكره

بهما ويجوز أن يكون حالا من الكتاب أو من الضمير فى فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه (أم يقولون) بل أيقولون (افتراه) محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الهمزة فيه للانكار (قل فأتوا بسورة مثله) فى البلاغة وحسن النظم وقوّة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى فى العربية والفصاحة وأشد تمرنا فى النظم والعبارة (وادعوا من استطعتم) ومع ذلك فاستعينوا بمن أمكنكم أن تستعينوا به (من دون الله) سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك (ان كنتم صادقين) أنه اختلقه (بل كذبوا) بل سارعوا الى التكذيب (بما لم يحيطوا بعلمه) بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه أو بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم (ولما يأتهم تأويله) ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ أذهانهم معانيه أو ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم أنه صدق أم كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما أنه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدى فرازوا قواهم فى معارضته فتضاءلت دونها أو لما شاهدوا وقوع ما أخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا (كذلك كذب الذين من قبلهم) أنبياءهم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم (ومنهم) ومن المكذبين (من يؤمن به) من يصدق به فى نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند أو من سيؤمن به ويتوب عن الكفر (ومنهم من لا يؤمن به) فى نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره أو فيما يستقبل بل يموت على الكفر (وربك أعلم بالمفسدين) بالمعاندين أو المصرين (وان كذبوك) وان أصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة (فقل لى عملى ولكم عملكم) فتبرأ منهم فقد أعذرت والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان أو باطلا (أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) لا تؤاخذون بعملى ولا أؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف (ومنهم من يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذى لا يسمع أصلا (أفأنت تسمع الصم) تقدر على اسماعهم (ولو كانوا لا يعقلون) ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على أن حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم فى تدبره وعقولهم لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعانى الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق (ومنهم من ينظر اليك) يعاينون دلائل نبوّتك ولكن لا يصدقونك (أفأنت تهدى العمى) تقدر على هدايتهم (ولو كانوا لا يبصرون) وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للأمر بالتبرى والاعراض عنهم (ان الله لا يظلم الناس شيأ) بسلب حواسهم وعقولهم (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على أن للعبد كسبا وأنه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز أن يكون وعيدا لهم بمعنى أن ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف أسبابه وقرأ أبو عمرو والكسائى بالتخفيف ورفع الناس (ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار) يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا أو

فيصير المعنى أنزله الله من رب العالمين أى من عنده باقامة المضمر مقام المظهر (قوله والبرهان عليه) أى البرهان على وجوب اتباع القرآن وهو كونه من عند الله (قوله فانكم مثلى فى العربية الخ) الظاهر انكم مثلى على زعمكم لا انه فى نفس الامر كذلك وهذا كاف فى الالزام (قوله معنى التوقيع فى لما الخ) يعنى ان اتيان تأويله لهم بالمعنيين المذكورين متوقع لما ذكر من ظهور اعجازه أ لظهور صدق اخباره فى بعض ما شاهدوه

في القبور وهول مايرون والجملة التشبيهية في موضع الحال أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الاساعة أوصفة لليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله أو لمصدر محذوف أي حشرا كأن لم يلبثوا قبله (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الاقليلا وهذا أول مانشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الأمر عليهم وهي حال أخرى مقدرة أو بيان لقوله كأن لم يلبثوا أومتعلق الظرف والتقدير يتعارفون بينهم يحشرهم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) استئناف للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز أن يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول (وما كانوا مهتدين) لطرق استعمال مامنحوامن المعاون في تحصيل المعارف فاستكبروا عنها جهالات أدت بهم الى الردى والعذاب الدائم (واما نرينك) نبصرنك (بعض الذي نعدهم) من العذاب في حياتك كما أراه يوم بدر (أونتوفينك) قبل أن نريك (فالينا مرجعهم) فنريكه في الآخرة وهوجواب لتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك (ثم الله شهيد على مايفعلون) مجاز عليه ذكر الشهادة وأراد تليجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع ثم أومؤدشهادته على أفعالهم يوم القيامة (ولكل أمة) من الامم الماضية (رسول) يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق (فاذا جاء رسولهم) بالبينات فكذبوه (قضي بينهم) بين الرسول ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فأنجي الرسول وأهلك المكذبون (وهم لايظلمون) وقيل معناه لكل أمة يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذاجاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب الكفار لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم (ويقولون متى هذا الوعد) استبعادا له واستهزاء به (ان كنتم صادقين) خطاب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (قل لاأملك لنفسي ضرا ولا نفعا) فكيف أملك لكم فأستعجل في جلب العذاب اليكم (الاماشاء الله) أن أملكه أو ولكن ماشاء الله من ذلك كائن (لكل أمة أجل) مضروب لهلاكهم (اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولايستقدمون) لايتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلون به (بياتا) وقت بيات واشتغال بالنوم (أونهارا) حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم (ماذا يستعجل منه المجرمون) أي شئ من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لايلائم الاستعجال وهو متعلق بأرأيتم لانه بمعنى أخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغي أن يفزعوا من مجيء العذاب لأن يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا خطأه ويجوز أن يكون الجواب ماذا كقولك ان أتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بأرأيتم أو بقوله (أثم اذاما وقع آمنتم به) بمعنى ان أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لاينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير (آلآن) على ارادة القول أي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام (وقد كنتم به تستعجلون) تكذيبا واستهزاء (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المقدر (ذوقوا عذاب الخلد) المؤلم على الدوام (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) من الكفر والمعاصي (ويستنبؤنك) ويستخبرونك (أحق هو) أحق مانقول من الوعد أوادعاء النبوة تقول هذا أم باطل تهزل به قاله حيي بن أخطب لما قدم مكة والاظهر أن الاستفهام فيه على أصله لقوله ويستنبؤنك وقيل انه للانكار ويؤيده أنه قرئ آحق هو فان فيه

(قوله وهو حال أخرى مقدرة أو بيان الخ) يعني ان التعارف بينهم ليس في الحشر فيجب ان يكون حالا مقدرة والتقدير يوم نحشرهم مقدرا التعارف بينهم واما كونه بيانا لما ذكر فلان التعارف دليل على عدم طول اللبث لان طوله يوجب النسيان وعدم التعارف فلم يحصل التعارف على عدم طول اللبث (قوله ويجوز أن يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول) فيكون التقدير يتعارفون مقولا لهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله (قوله ويجوز ان يكون الجواب ماذا الخ) فيكون المعنى ان أتاكم أمارات العذاب ماذا يستعجل منه المجرمون (قوله أو قوله أثم اذاما وقع آمنتم به الآن) فيكون التقدير ثم اذا ما وقع آمنتم أي يقال لهم أكفرتم قبل وقوع العذاب ثم اذا وقع آمنتم (قوله وقيل انه للانكار الخ) فان قيل اذا كان للانكار فما معنى يستنبؤنك فلما لم يراد الاستنباء بحسب الظاهر وان كان انكارا في الحقيقة (قوله ويؤيده انه قرئ آحق هو) أي لان فيه حصر الحق في القرآن

تعريضا بانه باطل وأحق مبتدأ والضمير مرتفع به سادمسدّ الخبر أوخبر مقدم والجملة فى موضع النصب بيستبئونك (قل اى وربى انه لحق) ان العذاب لكائن أو ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واى بمعنى نعم وهومن لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه فى التصديق فيقال اى والله ولا يقال اى وحده (وما أنتم بمعجزين) بفائتين العذاب (ولو أن لكل نفس ظلمت) بالشرك أو التعدى على الغير (مافى الارض) من خزائنها وأموالها (لافتدت به) لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الأمر وهوله فلم يقدروا أن ينطقوا وقيل أسروا الندامة أخلصوها لان اخفاءها اخلاصها أولانه يقال سر الشئ لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل أظهروها من قولهم اسر الشئ وأشره اذا أظهره (وقضى بينهم بالقسط وهم لايظلمون) ليس تكرارا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثانى مجازاة المشركين على الشرك أوالحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم (ألا ان لله ما فى السموات والارض) تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب (ألا ان وعدالله حق) ماوعده من الثواب والعقاب كائن لاخلف فيه (ولكن أكثرهم لايعلمون) لانهم لايعلمون لقصور عقولهم الاظاهرا من الحياة الدنيا (هو يحيى ويميت) فى الدنيا فهو يقدر عليهما فى العقبى لان القادر لذاته لانزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما أبدا (واليه ترجعون) بالموت أو النشور (ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) أى قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها المرغبة فى المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التى هى شفاء لما فى الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث أنزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم (قل بفضل الله وبرحمته) بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله (فبذلك فليفرحوا) فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله ورحمته فليعتنوا أوفليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح أو بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره أى فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فبهما فليفرحوا أو للربط بما قبلها والدلالة على ان مجئ الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله * واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى * وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روى مرفوعا ويؤيده أنه قرئ فافرحوا (هو خير مما يجمعون) من حطام الدنيا فانها الى الزوال قريب وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون بالتاء على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه أيها المخاطبون (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق) جعل الرزق منزلا لانه مقدر فى السماء محصل باسباب منها ومافى موضع النصب بانزل أو بأرأيتم فانه بمعنى أخبرونى ولكم دل على ان المراد منه ماحل ولذلك ويخ على التبعيض فقال (فجعلتم منه حراما وحلالا) مثل هذه أنعام وحرث حجر مافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا (قل آلله أذن لكم) فى التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه (أم على الله تفترون) فى نسبة ذلك اليه ويجوز أن تكون المنفصلة متصلة بأرأيتم وقل مكرر للتأكيد وان يكون الاستفهام للانكار

تعالى آللهُ اذن لكم أم على اللهِ تفترون (قوله تعالى وماظن الذين يفترون) المقصود من هذا الكلام ليس حقيقة الاستفهام بل المضاف مقدر وكون المعنى وماظن الذين يفترون على الله الكذب فى شأن يوم القيامة أى ماظنهم فى شأنه وماوقع فيه الظنون عدم وقوع الجزاء فيه (قوله و يدل عليه انه قرئ بلفظ الماضى) أى يدل على كون يوم القيامة ظرف الظن قراءة ظن بصيغة الماضى لان أكثر أحوال القيامة عبر عنه فى القرآن (٩٦) بصيغة الماضى (قوله تعميم للخطاب بعد تخصيصه بالنبى الذى هو رأسهم وقدوتهم) لان الخطابين الآتيين للنبى صلى الله عليه وسلم والثالث شامل له ولامته (قوله والضمير فيه وما يتلوا منه له الخ) فيكون المعنى وما تتلوا الملاوة كائنة منه (قوله ولذلك ذكر حيث خص الخ) أى حيث خص الخطاب بالنبى ذكر نبأ عظما فانه قال فى خطابه بالشأن وتلاوة القرآن وحيث عم الخطاب للمؤمنين ذكر ماهو أعم فانه ذكر فى الخطاب العمل وهو شامل للجليل والحقير (قوله فان العامة لاتعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما) أى تخصيص الارض والسماء بالذكر مع ان فى الوجود اجراما خارجة عنهما لما ذكر وهذا قبل اشتهار وجود العرش والكرسى وأما بعد اشتهار وجودهما فما ذكره ممنوع ثم ان وجود مايتعلق بهما وليس فيهما غير ظاهر و يمكن ان يقال المراد بما فى السموات ما فى جسوفهاو بمايتعلق بهما يتكون جزء منها أو قائما والاولى ان يقال أريد بالارض الجهات السفلية وبالسماء الجهات العلوية فكل مافى العالم فهو فى أحدهما وقد جوز الصنف ماذكرنا فى تفسير سورة البقرة (قوله جعل الاستثناء منقطعا) اذ لو كان متصلا لزم عزوب مافى المبين من الله تعالى (قوله بيان لتوليه لهم) أى لتولى الله تعالى للمؤمنين فانه فسر أولياء الله بالذين يتولونه بالطاعة و يتولاهم بالكرامة وذكر ان الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم فهو هنا ذكر ان لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة بيان لتوليهم (قوله و يدل على كونه للتعليل قراءة ان بالفتح) اذ التقدير لان العزة لله

وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله (وماظن الذين يفترون على الله الكذب) أى شئ ظنهم (يوم القيامة) أيحسبون أن لايجازوا عليه وهو منصوب بالظن و يدل عليه انه قرئ بلفظ الماضى لانه كائن وفى ابهام الوعيد تهديد عظيم (ان الله لذو فضل على الناس) حيث أنعم عليهم بما عقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب (ولكن أكثرهم لايشكرون) هذه النعمة (وماتكون فى شأن) ولاتكون فى أمر وأصله الهمزمن شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير فى (ومانتلوا منه) لله لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول أولان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من أجله ومفعول تتلو (من قرآن) على أن من تبعيضية أو مزيدة لتأكيد النفى أوللقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له أو لله (ولاتعملون من عمل) تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص مافيه خفامة وذكر حيث عم مايتناول الجليل والحقير (الا كنا عليكم شهودا) رقباء مطلعين عليه (اذتفيضون فيه) تخوضون فيه وتندفعون (ومايعزب عن ربك) ولايبعد عنه ولايغيب عن علمه وقرأ الكسائى بكسر الزاى هنا وفى سبأ (من مثقال ذرة) موازن نملة صغيرة أوهباء (فى الأرض ولافى السماء) أى فى الوجود والامكان فان العامة لاتعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولامتعلقا بهما وتقديم الأرض لان الكلام فى حال أهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها (ولاأصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين) كلام برأسه مقرر لما قبله ولذا فيه وأصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرأ حمزة و يعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف أوعلى محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (ألان أولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة و يتولاهم بالكرامة (لاخوف عليهم) من لحوق مكروه (ولاهم يحزنون) لفوات مأمول والآية كمجمل فسره قوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه (لهم البشرى فى الحياة الدنيا) وهو مابشر به المتقين فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ومابر بهم من الرؤيا الصالحة ومايسنح لهم من المكاشفات و بشرى الملائكة عند النزع (وفى الآخرة) بتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب أوالرفع على المدح أوعلى وصف الاولياء أوعلى الابتداء وخبره لهم البشرى (لاتبديل لكلمات الله) أى لاتغيير لاقواله ولا خلاف لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين (هو الفوز العظيم) هذه الجملة والتى قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتفخيم شأنه وليس من شرطه أن يقع بعده كلام يتصل بما قبله (ولايحزنك قولهم) اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من أحزنه وكلاهما بمعنى (ان العزة لله جميعا) استئناف بمعنى التعليل و يدل عليه القراءة بالفتح كأنه

قيل لاتحزن بقولهم ولاتبال بهم لان الغلبة لله جميعا ايلتك غيره شيأ منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم (هو السميع) لاقوالهم (العليم) بعزماتهم فيكافئهم عليها (ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم أشرف الممكنات عبيدا لايصلح أحدمنهم للربوبية فما يعقل منها أحق أن لايكون له ندا أوشريكا فهو كالدليل على قوله (ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) أى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز أن يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه (ان يتبعون الا الظن) أى مايتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز أن تكون ماستفهامية منصوبة بيتبع أوموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء الخطابية والمعنى أى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين أى انهم لايتبعون الا الله ولايعبدون غيره فما لكم لاتتبعونهم فيه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان ومابعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم (وان هم الا يخرصون) يكذبون فيما ينسبون الى الله أو يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بها ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة واء قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تدبر واعتبار (قالوا اتخذ الله ولدا) أى تبناه (سبحانه) تنزيه له عن التبنى فانه لايصح الامن يتصور له الولد وتعجب من كلتهم الحمقاء (هو الغنى) علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة (له مافى السموات ومافى الارض) تقرير لغناه (ان عندكم من سلطان بهذا) نفى لمعارض ماأقامه من البرهان مبالغة فى تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان أونعت لأو بعندكم كأنه قيل ان عندكم فى هذا من سلطان (أتقولون على الله مالاتعلمون) توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لادليل عليه فهو جهالة وان العقائد لابد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) بانخاذ الولد واضافة لشريك اليه (لايفلحون) لاينجون من النار ولايفوزون بالجنة (متاع فى الدنيا) خبر مبتدا محذوف أى افتراؤهم متاع فى الدنيا يقيمون به رئاستهم فى الكفر أوحياتهم أوتقلبهم متاع أومبتدأ خبره محذوف أى لهم تمتع فى الدنيا (ثم الينا مرجعهم) بالموت فيلقون الشقاء المؤبد (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) بسبب كفرهم (واتل عليهم نبأ نوح) خبر مع قومه (اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم) عظم عليكم وشق (مقامى) نفسى كقولك فعلت كذا لمكان فلان أوكونى واقامتى بينكم مدة مديدة أوقيامى على الدعوة (وتذكيرى) اياكم (بآيات الله فعلى الله توكلت) وثقت به (فاجمعوا أمركم) فاعزموا عليه (وشركاءكم) أى مع شركائكم وبؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير أن يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على أمركم بحذف المضاف أى وأمر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره واد عوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى أمرهم بالعزم أوالاجتماع على قصده والسعى فى اهلاكه على أى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاتهم (ثم لايكن أمركم) فى قصدى (عليكم غمة) مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غممت اذا ستره أوثم لايكن حالكم عليكم غما ذا أهلكتمونى وتخلصتم من ثقل مقامى وتذكيرى (ثم اقضوا) أدوا (الى) ذلك الامر الذى تريدون بى وقرئ ثم أفضوا الى بالفاء أى انهوا الى بشركم أوابرزوا الى من أفضى اذا خرج الى الفضاء (ولاتنظرون) ولا تمهلونى (فان توليتم) أعرضتم

(قوله فيكون الزاما بعد برهان) البرهان مستفاد من قوله تعالى ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض والالزام قوله وما يتبع الذين يدعون (قوله تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب) أى تفرقة بين الليل الذى هو لمجرد الظرفية وبين النهار الذى هو ظرف وسبب للابصار اذ لو قيل لتبصروا فيه لم يدل على كونه سببا للرؤية (قوله وفيه دليل الخ) أى فيه دليل على ان كل قول غير يديهى لادليل عليه فهو جهالة (قوله ويؤيده القراءة بالرفع) أى يؤيد المعنى المذكور وهو كون شركائكم مفعولا معه قراءة الرفع لان ما قبل القراءة بين واحد (قوله أوثم لايكن حالكم غما الخ) الظاهر ان المعنى تفكروا فى أن لا يكون أمركم وحالكم غما عليكم اذا أهلكتمونى (قوله والمحكى مفهوم قولهم) أى المحكى وهو انه اسحر ليس بعينه ماقالوه على هذا التقدير وهو الاستفهام التقريرى والمحكى المذكور هو مفهوم هذا الاستفهام

عن تذكيري (فما سألتكم من أجر) يوجب توليكم لثقله عليكم وانتهامكم اياي لاجله أو ينفوتني لتوليكم (ان أجري) ما ثوابي على الدعوة والتذكير (الا على الله) لانه تعالى وعدني به بكم يثيبني به أتم أثوابه (وأمرت أن أكون من المسلمين) المنقادين لحكمه لا أخالف أمره ولا أرجو غيره (فكذبوه) فاصروا على تكذيبه بعد ما ألزمهم الحجة وبين أن توليهم ليس الا لعناد هم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب (فنجيناه) من الغرق (ومن معه في الفلك) وكانوا ثمانين (وجعلناهم خلائف) من الهالكين به (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له (ثم بعثنا) أرسلنا (من بعده) من بعد نوح (رسلا الى قومهم) كل رسول الى قومه (فجاؤهم بالبينات) بالمعجزات الواضحة لمثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فما استقام لهم أن يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم (بما كذبوا به من قبل) أي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) بخذلانهم لانهما كهم في الضلال واتباع المألوف وفي أمثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن اتباعهما (وكانوا قوما مجرمين) معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة من جاءهم واجترؤا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيلة للشك (قالوا) من فرط تمردهم (ان هذا لسحر مبين) ظاهر انه سحر أو فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون (أسحر هذا) لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون، معنى أتقولون للحق أتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول (ولا يفلح الساحرون) من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر أو من تمام قولهم ان جعل أسحر هذا محكيا كأنهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون (قالوا أجئتنا لتلفتنا) لتصرفنا والملفت والفتل اخوان (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام (وتكون لكما الكبرياء في الارض) الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر أو لتكبر على الناس باستتباعهم (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين فيما جئتما به (وقال فرعون ائتوني بكل ساحر) وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار (عليم) حاذق فيه (فلما جاءه السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر) أي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ أبو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها وآلسحر بدل منه أو خبر مبتدا محذوف تقديره أهو السحر أو مبتدا خبره محذوف أي آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده وتقديره أي شئ أتيتم (ان الله سيبطله) سيمحقه أو سيظهر بطلانه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له (ويحق الله الحق) ويثبته (بكلماته) بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن لموسى) أي في مبدأ أمره (الا ذرية من قومه) الأولاد من أولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبابهم وقيل

(قوله أي بسبب تعودهم تكذيب الحق الخ) ظاهر العبارة مشعر بان ما الموصولة مصدرية وحينئذ يشكل أمر الضمير في به ويمكن ان يقال المراد فما كانوا ليؤمنوا بحق كذبوا به قبل بعثة الرسل فان المشركين قبل بعثة الانبياء كانوا على الشرك ما قر وا بالتوحيد وبعد بعثة الانبياء أيضا كذلك اذ كانوا مطبوعي القلوب فتكون اللام في للحق لبيان المعطوف فيه ٧ كما هيت لك (قوله ولم يبطل سحر السحرة) هذا فرع ان لا يكون سحر فوق سحر آخر وفيه ما فيه

الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبابهم آمنوا بموسى أو مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته (على خوف من فرعون وملئهم) أي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء أو على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر أو لان ربيعة أولا لقوم (أن يفتنهم) أن يعذبهم فرعون وهو بدل منه أو مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على أن الخوف من الملأ كان بسببه (وان فرعون لعال في الارض) لغالب فيها (وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الانبياء (وقال موسى) لما رأى تخوف المؤمنين به (ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) فثقوا به واعتمدوا عليه (ان كنتم مسلمين) مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت (فقالوا على الله توكلنا) لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك أجيبت دعوتهم (ربنا لا تجعلنا فتنة) موضع فتنة (للقوم الظالمين) أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) من كيدهم ومن شؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي له أن يتوكل أولا لتجاب دعوته (وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ) أي اتخذا مباءة (لقومكما بمصر بيوتا) تسكنون فيها أو ترجعون اليها للعبادة (واجعلوا) أنتما وقومكما (بيوتكم) تلك البيوت (قبلة) مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى صلى الله عليه وسلم يصلي اليها (وأقيموا الصلوة) فيها أمرهما بذلك أول أمرهم لئلا يظهر علمهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم (وبشر المؤمنين) بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير أولا لان التبوأ للقوم واتخاذ المعابد مما يعاطاه رؤس القوم فيشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما ينبغي أن يفعله كل أحد تم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة) ما يتزين به من الملابس والمراكب ونحوهما (وأموالا في الحيوة الدنيا) وأنواعا من المال (ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة أحوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتنبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله (ربنا اطمس على أموالهم) أي أهلكها والطمس المحق وقرئ اطمس بالضم (واشدد على قلوبهم) أي اقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهي أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض (قال قد أجيبت دعوتكما) يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن (فاستقيما) فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) طريق الجهلة في الاستعجال أو عدم الوثوق والاطمئنان وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان أيضا (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) أي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف (فأتبعهم) فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته (فرعون وجنوده بغيا وعدوا) باغين وعادين أو للبغي والعدو وقرئ وعدوا (حتى اذا أدركه الغرق) لحقه

(قوله على ما هو المعتاد في ضمير العظماء) فيه خفاء لان رجع ضمير الجمع الى الواحد كما هو المعتاد في ضمير العظماء يكون للتعظيم وهذا مما لا وجه له ههنا فان القائل بالكلام المذكور هو الله تعالى ولا معنى لتعظيم الله فرعون وامثاله ويمكن أن يقال المراد منه اظهار العظمة (قوله فان المعلق بالايمان وجوب التوكل الخ) فالمعنى ان كنتم آمنتم فوجب عليكم التوكل عليه وان كنتم مسلمين توكلتم عليه (قوله ان دعاك زيد فاجبه الخ) والمعنى ان دعاك زيد فأجبه أي وجبت الاجابة ان قدرت تجيبه (قوله ان اتخذا مباءة) فيكون المعنى ان اتخذا مباءة بيوتا بمصر (قوله فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا الخ) هذا على تقدير تعلقه بآتيت على أي معنى كانت اللام (قوله أي قسها وطبع عليها) لك ان تقول اما ان يعلم موسى عليه السلام انهم لم يؤمنوا أو لم يعلم فان كان الاول فما فائدة هذا الدعاء مع ان قوله مما علم من ممارسة أحوالهم انه لا يكون غيره يدل على أنه علم ذلك وان كان الثاني فيرد ان الانبياء مبعوثون لاجل الدعوة الى

(قال آمنت أنه) أى بانه (لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) وقرأ حمزة والكسائى انه بالكسر على اضمار القول أو الاستئناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان أوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل (آلآن) أتؤمن الآن وقد أيست من نفسك ولم يبق لك اختيار (وقد عصيت قبل) قبل ذلك مدة عمرك (وكنت من المفسدين) الضالين المضلين عن الايمان (فاليوم ننجيك) ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا أو نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من أنجى وقرئ ننحيك بالحاء أى نلقيك بناحية من الساحل (ببدنك) فى موضع الحال أى ببدنك عاريا عن الروح أو كاملا سويا أو عريانا من غير لباس أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك أى باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه أو بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها (لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطرحا على ممرهم من الساحل أو لمن يأتى بعدك من القرون اذا سمعوا مآل أمرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان أو حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك أى لخالقك آية أى كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة فى أمرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا لوجه أيضا محتمل على المشهور (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (ولقد بوّأنا) أنزلنا (بنى اسرائيل مبوّأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو الشأم ومصر (ورزقناهم من الطيبات) من اللذائذ (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) فما اختلفوا فى أمر دينهم الا من بعد ما قرؤا التوراة وعلموا أحكامها أو فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك (فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك) من القصص على سبيل الفرض والتقدير (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) فانه محقق عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ما ألقينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها أو وصف أهل الكتاب بالرسوخ فى العلم بصحة ما أنزل اليه أو تهييج الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا أشك ولا أسأل وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أو لكل من يسمع أى ان كنت أيها السامع فى شك مما نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان كل من خالجته شبهة فى الدين ينبغى أن يسارع الى حلها بالرجوع الى أهل العلم (لقد جاءك الحق من ربك) واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة (فلا تكونن من الممترين) بالتزلزل عما أنت عليه من الجزم واليقين (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) أيضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين (ان الذين حقت عليهم) ثبتت عليهم (كلمة ربك) بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون فى العذاب (لا يؤمنون) اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه (ولو جاءتهم كل آية) فان السبب الاصلى لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به مفقود (حتى يروا العذاب الأليم) وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون (فلولا كانت قرية آمنت) فهلا كانت قرية من القرى التى أهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما أخر فرعون (فنفعها ايمانها) بأن يقبله الله منها ويكشف

الايمان وهذا ينافى هذا الدعاء والاولى ان يقال ان موسى عليه السلام علم انهم لم يؤمنوا والمقصود من هذا الدعاء زيادة القسوة والطبع حتى يزدادوا فى الكفر والطغيان فيستحقوا زيادة العذاب (قوله وهذا الوجه محتمل أيضا على المشهورة) أى هذا الوجه الذى ذكرناه (قوله والمراد تحقيق ذلك) أى قوله وقيل لا يخفى ان هذه المقاصد حصلت اذ ثبتت حقيقة ما أنزل اليك بل حق العبارة استشهد على حقية القرآن بالسؤال من أهل الكتاب فالوجه ما أورده بقوله وقيل (قوله فهلا كانت قرية من القرى الخ) لك ان تقول الأولى ان تجعل القرية للجنس حتى يكون تنديما لأهل القرى جميعا أى الواجب على جميع القرى الايمان فلا وجه لاعتبار قرية منها الا ان يقال المراد زيادة التوبيخ بانه لم يؤمن قرية منها فان هذا أدخل فى التوبيخ من ان يقال لم يؤمن جميع القرى

العذاب عنها (الاقوم يونس) لكن قوم يونس عليه السلام (لما آمنوا) أول مارأوا أمارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله (كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا) ويجوز أن تكون الجملة فى معنى النفى لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى أهاليها كأنه قال ما آمن أهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الاقوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل (ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث الى أهل نينوى من الموصل فكذبوه وأصر واعليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى ثلاثين وقيل الى أربعين فلما دنا الموعد أغامت السماء غيما أسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فأيقنوا بالصدق فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج وأخلصوا التوبة وأظهروا الايمان وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة (ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم) بحيث لا يشذ منهم أحد (جميعا) مجتمعين على الايمان لايختلفون فيه وهو دليل على القدرية فى أنه تعالى لم يشأ ايمانهم أجمعين وأن من شاء ايمانه يؤمن لامحالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر (أفأنت تكره الناس) بما لم يشأ الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين) وترتيب الاكراء على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على أن خلاف المشيئة مستحيل فلا يتمكن تحصيله بالاكراء عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روى أنه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله (وما كان لنفس أن تؤمن) بالله (الا باذن الله) الا بارادته وألطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك فى هداها فانه الى الله (ويجعل الرجس) العذاب أو الخذلان فانه سببه وقرئ بالراى وقرأ أبو بكر وينجعل بالنون (على الذين لا يعقلون) لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج والآيات أولا يعقلون دلائله وأحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله (قل انظروا) أى تفكروا (ماذا فى السموات والارض) من عجائب صنعه لتدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل (وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) فى علم الله وحكمه وما نافية أو استفهامية فى موضع النصب (فهل ينتظرون الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم) مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قومهم أيام العرب لوقائعها (قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين) لذلك أو فانتظروا هلاكى انى معكم من المنتظرين هلاككم (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا) عطف على محذوف دل عليه الامثل أيام الذين خلوا كانه قيل نهلك الأمم ثم ننجى رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية (كذلك حقا علينا ننج المؤمنين) كذلك الانجاء أو انجاء كذلك ننجى محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض وتصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائى ننجى مخففا (قل يا أيها الناس) خطاب لاهل مكة (ان كنتم فى شك من دينى) وصحته (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) فهذا خلاصة دينى اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو أنى لا أعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن أعبد خالقكم الذى هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد (وأمرت أن أكون من المؤمنين) بما دل عليه العقل ونطق به الوحى وحذف الجار من أن يجوز أن يكون من المطرد مع أن وأن يكون من غيره كقوله

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ✻ فقد تركتك ذا مال وذا نسب

(قوله وحذف الجار الخ) أى يحتمل ان يكون حذف حرف الجر من ان فى هذا الموضع بالنظر الى القياس المطرد وهو حذف حرف الجر من ان وان ويحتمل ان يكون نظرا الى خصوص لفظ أمرت من غير نظر الى القياس المذكور حتى لو فرض انه لم يكن ذلك القياس المطرد لجاز حذفه نظرا الى لفظ الأمر وجواب السؤال مقدر عن تبعة الدعاء وتحرير السؤال ان يقال لم لا يعبد مالا ينفع ولا يضر وأجيب بانه يستلزم الظلم

(وأن أقم وجهك للدين) عطف على أن أكون غير أن صلة أن محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما فى الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لدل معه عليه وصيغ لافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وأمرت بالاستقامة فى الدين والاستبداد فيه بأداء الفرائض والانتهاء عن القبائح وفى الصلاة باستقبال القبلة (حنيفا) حال من الدين أو الوجه (ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك) بنفسه ان دعوته أو خذلته (فان فعلت) فان دعوته (فانك اذا من الظالمين) جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء (وان يمسسك الله بضر) وان يصبك به (فلا كاشف له) يرفعه (الا هو) الا الله (وان يردك بخير فلا راد) فلا دافع (لفضله) الذى أرادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على أن الخير مراد بالذات وأن الضر انما مسهم لابا قصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) رسوله أو القرآن ولم يبق لكم عذر (فمن اهتدى) بالايمان والمتابعة (فانما يهتدى لنفسه) لان نفعها لها (ومن ضل) بالكفر بهما (فانما يضل عليها) لان وبال الاضلال عليها (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول الى أمركم وانما أنا بشير ونذير (واتبع ما يوحى اليك) بالامتثال والتبليغ (واصبر) على دعوتهم وتحمل أذيتهم (حتى يحكم الله) بالنصرة أو بالامر بالقتال (وهو خير الحاكمين) ادلا يمكن الخطأ فى حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعد من غرق مع فرعون

﴿سورة هود مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر كتاب) مبتدأ وخبر أو كتاب خبر مبتدأ محذوف (أحكمت آياته) نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى أو منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة ولبس فيها منسوخ أو أحكمت بالحجج والدلائل أو جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية (ثم فصلت) بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار أو بجعلها اسورا أو بالانزال نجما نجما أو فصل فيها لخواص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت أى فرقت بين الحق والباطل وأحكمت آياته ثم فصلت على البناء للتكلم وثم للتفاوت فى الحكم أو للتراخى فى الاخبار (من لدن حكيم خبير) صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أو صلة لاحكمت أو فصلت وهو نظير ما حكاها وتاصيلها على أكمل ما يدنى باعتبار مظهر أمره وماخى (الا تعبدوا الا الله) لان لا تعبدوا وقيل أن مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد أو الامر بالتبرئ من عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى لزومه أو اتركوها ركا (نى لكم منه) من الله (بذير وبشير) بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد (وأن استغفروا ربكم) عطف على ألا تعبدوا (ثم توبوا اليه) ثم توسلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لابد له من الرجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز أن يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين (يمتعكم متاعا حسنا) يعيشكم فى أمن ودعة (الى أجل مسمى) هو آخر أعماركم المقدرة أو لابهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق

(قوله مع تلازم الأمرين) أى المس والارادة فان مس الخير وكذا الشر يستلزم الارادة وبالعكس

﴿سورة هود﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قوله مبتدأ وخبر أو كتاب خبر مبتدأ محذوف) الاول على تقدير الحروف المذكورة أسماء السورة والثانى على تقدير غيره

(قوله وثم للتفاوت فى الحكم الخ) فالاول باعتبار ان بين الاحكام والتفصيل تفاوتا بينا والثانى باعتبار ان الاخبار عن تفصيلها متأخر عن الاحكام (قوله كأنه قيل ترك عبادة غير الله) هذا تكلف بعيد والاولى ان يقدر الزموا ان لا تعبدوا الا الله (قوله ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة) الاولى ان يقال المقصود لزوم عليها اذ الاستغفار بدونه لا فائدة له

والآجال وان كانت متعلقة بالاعمار لكنها مسماة بالاضافة الى كل أحد فلا تتغير (ويؤت كل ذى فضل فضله) ويعط كل ذى فضل فى دينه جزاء فضله فى الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين (وان تولوا) وان تتولوا (فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير) يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى أكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى (الى الله مرجعكم) رجوعكم فى ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس (وهو على كل شئ قدير) فيقدر على تعذيبكم أشد عذاب وكأنه تقدير لكبر اليوم (ألا انهم يثنون صدورهم) يثنونها عن الحق وينحرفون عنه أو يعطفونها على الكفر وعداوة النبى صلى الله عليه وسلم أو يولون ظهورهم وقرئ يثنونى بالياء والتاء من الثنوى وهو بناء مبالغة وتثنون وأصله تثنونن من الثنى وهو الكلأ الضعيف أراد به ضعف قلوبهم أو مطاوعة صدورهم للثنى وتثنين من اثنأن كابيأض بالهمزة وتثنوى (ليستخفوا منه) من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت فى طائفة من المشركين قالوا اذا أرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطويناصدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت فى المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة (ألا حين يستغشون ثيابهم) ألا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم (يعلم مايسرون) فى قلوبهم (ومايعلنون) بأفواههم يستوى فى علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ماعسى يظهرونه (انه عليم بذات الصدور) بالاسرار ذات الصدور أو بالقلوب وأحوالها (ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها) غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما أتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه (ويعلم مستقرها ومستودعها) أما كنها فى الحياة والممات أوالاصلاب والارحام أوموا كنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقارحين كانت بعد بالقوة (كل) كل واحد من الدواب وأحوالها (فى كتاب مذكور فى اللوح المحفوظ وكأنه أريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها بعد ما بان كونه قادرا على الممكنات بأسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) أى خلقهما ومافيهما كما مر بيانه فى الاعراف أو مافى جهتى العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات (وكان عرشه على الماء) قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لانه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان اخلاء وأن الماء أول حادث بعد العرش من أجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) متعلق بخلق أى خلق ذلك لخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان جلة ذلك أسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم ومما تحتاج اليه أعمالكم ودلائل وأمارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار شامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على أحاسن المحاسن والتحضيض على الترقى دائما فى مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل مايعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله والمعنى أيكم أكمل علما وعملا (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) أى ماالبعث أو القول به أو القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر فى الخديعة أوالبطلان وقرأ حمزة

من يجهل عليه عاقبة الامر ويريد ان يعلم فان قلت وجه خلق الارض وكذا خلق الكواكب لابتلاء الانسان ظاهر واما خلق السموات لاجله فغير ظاهر اذ السموات لم تكن محسوسة وليس لها حركة عند أهل الشرع بل الحركة للكواكب لانها قلنا يمكن ان يكون خلقهن لأجل ان تكون أمكنة الكواكب أوأمكنة الملائكة العاملين فى السموات والأرض لاجل الانسان (قوله وانما جاز تعلق البلوى الخ) أى تعليق كلمة الاستفهام التى هى ايكم فانه من خصائص أفعال القلوب (قوله وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار شامل الخ) غرضه انه لما كان الاختبار والامتحان شاملا لجميع الفرق باعتبار العمل الحسن والقبيح اذ العامل قد يكون حسن العمل وقد يكون قبيحه فالظاهر ان يقال ليبلوكم بعمل الحسن أو بعمل القبيح فالعدول الى أحسن عملا لحث كل واحد على ان يسعى لتحصيل أحسن الاعمال وان يكون عمله أحسن من أعمال الآخرين واما بيان

التحضيض على الترقى دائما فهو انه لما أفاد ان ظهر ايكم أحسن عملا كان هذا باعثا لكل أحد على الترقى دائما لدفع خوف ان يكون غيره أحسن عملا

(قوله على تضمن قلت معنى ذكرت) التضمين على ما عرفت ان يقصد بلفظ فعل معناه الحقيقي ويلاحظ معه معنى فعل آخر ولا يخفى انه لا يناسب ههنا اذ يصير المعنى ولئن قلت ذاكرا انكم مبعوثون فالاولى ان يقال ان قلت بمعنى ذكرت (قوله توقعوا بعثكم) ظاهر هذه العبارة ان على اللام فعل كما ان عليكم كذلك بمعنى احفظوا لكن هذا يحتاج الى نقل صريح ويمكن ان يقال أول العبارة بهذا المعنى كما قال في لعليكم تفلحون (١٠٤) راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين (قوله وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها) ليس دليلا على جواز تقديم مطلق الخبر بل على جواز تقديم الخبر الذي يكون ظرفا وانما كان دليلا على ما ذكر لانه اذا جاز تقديم معمول خبر ليس الذي هو الظرف عليها كان جواز تقديم نفس الخبر الذي يكون ظرفا عليها أولى (قوله وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى الخ) أي اختلاف فعل أذقناه ومسه أي لم يقل بعد ضراء أذقناه أو مسسناه بالنسبة الى المتكلم كما كان أذقناه كذلك للدلالة على ان مس الضر ليس مقصودا بالذات وانما وقع بالعرض والتبع بخلاف اذاقة النعماء وهذا الذي ذكرناه هنا في تفسير قوله تعالى وان يمسسك الله بضر (قوله وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه الخ) أي يستفاد من ظاهر تخصيص اللفظين المذكورين بالذكر وعدم التعرض لما يدل على كبر النعمة والضراء الدنيوية تكون قليلا وكذا ضررها لان الاولى سريعة الاذاقة والثاني بالمس وهما دالان على القلة والحقارة كما ذكر عرب

والكسائي الاساطير على أن الاشارة الى القائل وقرئ أنكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت أو أن يكون أن بمعنى على أي ولئن قلت عليكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا يتبوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره (ولئن أخرنا عنهم العذاب) الموعود (الى أمة معدودة) الى جماعة من الاوقات قليلة (ليقولن) استهزاء (ما يحبسه) ما يمنعه من الوقوع (ألا يوم يأتيهم) كيوم بدر (ليس مصروفا عنهم) ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها (وحاق بهم) وأحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد (ما كانوا به يستهزؤن) أي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء (ولئن أذقنا الانسان منا رحمة) ولئن أعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة منه (انه ليؤس) فقطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به (كفور) مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى (ليقولن ذهب السيآت عني) أي المصائب التي ساءتني (انه لفرح) بطر بالنعم مغترا بها (فخور) على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على أن ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالا نموذج لما يجده في الآخرة وأنه يقع في الكفران والبطر بادنى شئ لان الذوق ادراك الطعم والمس مبتدأ الوصول (الا الذين صبروا) على الضراء ايمانا بالله تعالى واستسلاما لقضائه (وعملوا الصالحات) شكرا لآلائه سابقا ولاحقا (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) أقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام أفاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشئ توقع ما يدعو اليه ووقوعه لجواز أن يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة في تبليغه ههنا (وضائق به صدرك) وعارض لك أحيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة (أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز) ينفقه في الاستتباع كالملوك (أو جاء معه ملك) يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره أن يقولوا (انما أنت نذير) ليس عليك الا الانذار بما أوحي اليك ولا عليك ردوا أو اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك (والله على كل شئ وكيل) فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم (أم يقولون افتراه) أم منقطعة وهمزة الانكار لما يوحى (قل فأتوا بعشر سور مثله) في البيان وحسن النظم بحذاهم أولا بعشر سور ثم لما عجز وا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحدة (مفتريات) مختلفات من عند أنفسكم نص في اختلقته من عند نفسي فانكم

(قوله ولا يلزم من توقع وجود الشئ لوجود الخ) ظاهره يدل على ان اترك كان متوقعا منه صلى الله عليه وسلم ولم يقع لوجود الصارف وليس كذلك فالتوقع من بعض الناس لما رأوا من ضيق صدره بانكار المشركين اياه (قوله وعارض لك أحيانا ضيق صدر) هذا انما احتيج اليه من صيغة اسم الفاعل التي للحدوث لا للثبوت (قوله وتوحيد المثل باعتبار كل واحد) فيكون المعنى بعشر سور كل واحد منها مثله

عرب فصحاء مثلى تقدرون على مثل ما أقدر عليه بل أنتم أقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعوّدكم القريض والنظم (وادعوا من استطعتم من دون الله) الى المعاونة على المعارضة (ان كنتم صادقين) أنه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم) باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم أو لان المؤمنين كانوا أيضا يتحدونهم وكان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم فى كل أمر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على أن التحدى مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوّة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه (وأن لا اله الا هو) واعلموا أن لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من أن يجيرهم من بأس الله آلهتهم (فهل أنتم مسلمون) ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز أن يكون الكل خطابا للمشركين والضمير فى لم يستجيبوا لمن استطعتم أى فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من أنفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا أنه نظم لا يعلمه الا الله وأنه منزل من عنده وأن ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل أنتم داخلون فى الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفى مثل هذا الاستفهام ايجاب لميغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) باحسانه وبره (نوف اليهم أعمالهم فيها) نوصل اليهم جزاء أعمالهم فى الدنيا من الصحة والرئاسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء أى يوف الله ونوف على البناء للمفعول ونوف بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله

وان أتاه كريم يوم مسغبة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

(وهم فيها لا يبخسون) لا ينقصون شيأ من أجورهم والآية فى أهل الرياء وقيل فى المنافقين وقيل فى الكفرة وغرضهم وبرهم (أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار) مطلقا فى مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة (وحبط ما صنعوا فيها) لانه لم يبق لهم ثواب فى الآخرة أو لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة فى اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على أن الضمير للدنيا (وباطل) فى نفسه (ما كانوا يعملون) لانه لم يعمل على ما ينبغى وكأن كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على أنه مفعول يعملون وما ابهامية أو فى معنى المصدر كقوله * ولا خارجا من فىّ زور كلام * وبطل على الفعل (أفمن كان على بينة

(قوله تقدرون على مثل ما أقدر عليه الخ) فيه نظر اذ كونهم قادرين على ما قدر عليه النبى صلى الله عليه وسلم بل أقدر منه دال على أن بلاغتهم أرفع وأعلى من بلاغته والظاهر انه ليس كذلك كيف وقد قال أنا أفصح من نطق بالضاد والعلماء جعلوا كلامه عليه الصلاة والسلام فى البلاغة قريبا من القرآن ثم ان الدليل الذى ذكره لا يساعده فان تعلمهم القصص والاشعار لا يدل على كونهم أقدر على النظم والظاهر ان يقال ان هذا الزام لهم كأنه قيل لهم أنتم تزعمون القدرة على البيان والبلاغة فوق كل واحد فان ادعيتم انى اختلق هذا القرآن من عند نفسى فاختلقوا انتم مثله (قوله والتنبيه الخ) عطف على قوله لان المؤمنين فكأنه قال اما لتعظيم الرسول أو لان المؤمنين الخ يعنى أن فى الخطاب لهم تنبيها على ان التحدى يوجب ما ذكر فيجب ان لا تغفلوا عنه بل تشتغلوا به (قوله فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله) هذا باعتبار ان انما قد تفيد الحصر كانما فى قوله انما الهكم اله واحد (قوله ونوف بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض) أى بالتخفيف من باب الافعال واما رفعه أى عدم جزمه فلان الشرط وهو كان ماض وهو القاعدة اذا كان الشرط ماضيا يجوز جزم الجزاء ورفعه (قوله مطلقا فى مقابلة ما عملوا الخ) فالمرائى المسلم لا يكون له فى مقابلة ما رأى فيه الا النار واما ايمانه فلا يكون فيه الرياء أصلا فيدخل آخر الامر فى الجنة (قوله لانهم استوفوا ما يقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة) أى استوفوا جزاء أعمالهم التى لها صور حسنة كالبر والاحسان ولكن لما لم يكن البر والاحسان الا من أجل ما هو فساد وافساد لان صورهم وعزائمهم حرام بقى لهم فى الآخرة أوزار تلك العزائم فجوزوا بها (قوله وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها) فيكون حبط ما صنعوا فيها علة لكونهم فى الآخرة ليس لهم الا النار وقوله وباطل ما كانوا يعملون علة للحبوط المذكور فكأنه قيل حبوط أعمالهم وعدم ترتب ثواب عليها لبطلانها وكونها ليست على ما ينبغى (قوله وما ابهامية أو فى معنى المصدر الخ) فعلى الاول معناه وباطلا أى باطل كانوا يعملونه لان ما الابهامية هى التى تؤكد ما سبقها وهو ههنا باطل وعلى الثانى معناه وبطل بطلانا ما كانوا يعملونه

(قوله والهمزة للانكار الخ) اعتبار كونهم عقب المذكورين ساقطا حتى يتوجه الانكار عليه ليس له كبير حسن عند من له ذوق صحيح والاولى ان يقال ان الفاء مقدمة على همزة الاستفهام فى الاصل فقدمت لتصدرها كما قالوا فى نظائر

من ربه) برهان من الله يدله على الحق والصواب ويدبره ويأتيه والهمزة للانكار أن يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين همهم وأفكارهم على الدنيا وأن يقارب بينهم فى المنزلة وهو الذى أغنى عن ذكر الخبر وتقديره أفمن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبى صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنو أهل الكتاب (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان الذى هو دليل العقل (شاهد منه) شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن (ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) يعنى التوراة فانها أيضا تتلوه فى التصديق أو البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل أو لسان الرسول صلى الله عليه وسلم على أن الضمير له أو من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير فى يتلوه اما لمن أو للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير فى يتلوه أى يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على أنه حق كقوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة (اماما) كتابا مؤتما به فى الدين (ورحمة) على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين (أولئك) اشارة الى من كان على بينة (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به من الاحزاب) من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالنار موعده) يردها لا محالة (فلا تك فى مرية منه) من الموعد أو القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك (انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) لفلة نظرهم واخلال فكرهم (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) كأن أسند اليه مالم ينزله أو نفى عنه ما أنزله (أولئك) أى الكاذبون (يعرضون على ربهم) فى الموقف بأن يجعلوا وتعرض أعمالهم (ويقول الاشهاد) من الملائكة والنبيين أو من جوارحهم وهو جمع شاهد كأصحاب أو شهيد كأنبراف جمع شريف (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) تهويل لعظيم مما يجرئ بهم حيث ظلموه بالكذب على الله (الذين يصدون عن سبيل الله) عن دينه (ويبغونها عوجا) يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالردة (وهم بالآخرة هم كافرون) والحال أنهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لما كيد كفرهم واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا معجزين فى الارض) أى ما كانوا معجزين الله فى الدنيا أن يعاقبهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) يمنعونهم من العقاب ولكنه أخرهم الى هذا اليوم ليكون أشد وأدوم (يضاعف لهم العذاب) استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بضعف بالتشديد (ما كانوا يستطيعون السمع) لتصامهم عن الحق وبغضهم له (وما كانوا يبصرون) لتعاميهم عن آيات الله وكأنه الة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان مانفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من أولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض (أولئك الذين خسروا أنفسهم) باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها أو خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة (لا جرم أنهم فى الآخرة هم الاخسرون) لا أحد أبين وأكثر خسرانا منهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهو الارض المطمئنة (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون

هذا الموضع والاصل فأمن كان فتكون الفاء الجوابية والتقدير اذا كان الامر كذلك وهو ان من كان يريد الحياة الدنيا ليس له فى الآخرة الا النار فأمن كان على بينة من ربه الخ كهؤلاء الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار فتكون الهمزة لانكار التسوية والفاء لترتيبها على علة الانكار (قوله والشاهد ملك يحفظه) ولا يلزم ان يكون جبريل اذ ليس الحفظ المذكور مخصوصا به (قوله يضاعف لهم العذاب) فان قيل ما معنى مضاعفة العذاب وقد نص الله تعالى على ان من جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قلنا معناه هو أن يضاعف عذاب شركهم بارتكاب أنواع الكفر والمعاصى الأخر فان قوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون دليل على ماذكرا ذ يستفاد منه انه لا يبصر شيأ مما دل على توحيد الله وصفاته مما ثبت فى الآفاق والانفس ولم يسمعوا شيأ من آيات الله بل أعرضوا عنها وأبغضوها ولم يلتفتوا اليها رأسا فكان لهم بكل ما أعرضوا عنه ونبذوا نوعا من العذاب فصار عذاب الشرك مضاعفا بسبب لحوق الانواع الأخر من العذاب اليه

مثل

(مثل الفريقين) الكافر والمؤمن (كالاعمى والاصم والبصير والسميع) يجوز أن يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان أمره بالضد فيكون كل واحد منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله * الصابح فالغانم فالآيب * وهذا من باب اللف والطباق (هل يستويان) هل يستوى الفريقان (مثلا) أى تمثيلا أو صفة أو حالا (أفلا تذكرون) بضرب الامثال والتأمل فيها (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم) بانى لكم قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول (نذير مبين) أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص (ألا تعبدوا الا الله) بدل من أنى لكم أو مفعول مبين ويجوز أن تكون أن مفسرة متعلقة بارسلنا أو بنذير (انى أخاف عليكم عذاب يوم اليم) مؤلم وهو فى الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا) لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة (وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) أخساؤنا جمع أرذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر أو أرذل جمع رذل (بادى الرأى) ظاهر الرأى من غير تعمق من البدو أو أول الرأى من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ أبو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف أى وقت حدوث بادى الرأى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها أشرف عندهم والمحروم منها أرذل (وما نرى لكم) لك ولمتبعيك (علينا من فضل) يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة (بل نظنكم كاذبين) اياك فى دعوى النبوة واياهم فى دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين (قال يا قوم أرأيتم) أخبرونى (ان كنت على بينة من ربى) حجة شاهدة بصحة دعواى (وآتانى رحمة من عنده) بايتاء البينة أو النبوة (فعميت عليكم) فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة فى نفسها هى الرحمة أو لان خفاءها يوجب خفاء النبوة أو على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار أو لانه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائى وحفص فعميت أى أخفيت وقرئ فعماها على أن الفعل لله (أنلزمكموها) أنكرهكم على الاهتداء بها (وأنتم لها كارهون) لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع

(قوله يجوز ان يراد تشبيه الكافر بالاعمى الخ) محصل ما ذكر انه يجوز ان يكون هناك أربع تشبيهات أحدها تشبيه الكافر بالاعمى وتشبيهه بالاصم وتشبيه المؤمن بالبصير وتشبيهه بالسميع وان يكون تشبيهان أحدهما تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم وتشبيه المؤمن بالجامع بين البصير والسميع ولا يخفى ان هذا الكلام من باب اللف والنشر فان كلا من الوصفين المتضادين مناسب لواحد من الفريقين ومن باب الطباق أيضا وهو جمع الضدين فى كلام وهو ههنا الاعمى والبصير والاصم والسميع (قوله بانى لكم) أى ملتبسا بقوله انى لكم (قوله ويجوز ان تكون مفسرة متعلقة بارسلنا وبنذير) فعلى الاول يكون المعنى أرسلنا نوحا برسالة وقول هو أن لا تعبدوا الا الله وعلى الثانى منذر بقوله هو أن لا تعبدوا الا الله (قوله لكن يوصف به العذاب أو زمانه الخ) يعنى يجوز ان يكون اليم صفة للعذاب فيكون جره للجوار على طريقة جحر ضب خرب وان يكون صفة اليوم وعلى كل من التقديرين النسبة مجازية للمبالغة فانه اذا وصف العذاب بانه مؤلم أى موجد للألم حصلت المبالغة بان هناك مؤلمين أحدهما المعذب والثانى العذاب وقس عليه الاحتمال الثانى (قوله فانه بالغلبة صار مثل الاسم الخ) أى الارذل صفة فى الاصل لكنه غلب فى نوع مخصوص كالاكبر لصيرورته بغلبة الاسمية فى حكم الاسماء فانه صار مشهورا فى الانسان الخسيس فلذا جمع على الاراذل لكن الظاهر انه لا حاجة الى اعتبار غلبة الاسمية لان الارذل أفعل التفضيل يجمع على لا فاعل كالافاضل والاكابر وعبارة صاحب الكشاف والاراذل جمع لارذل كقوله أكابر مجرميها أحاسنكم أخلاقا (قوله أو أرذل جمع رذل) فالارذل بضم الذال جمع رذل بفتح الراء كالاكلب فانه يجمع على أكالب (قوله والياء مبدلة من الهمزة) أى اذا كان من البدء بمعنى الابتداء كان بادئ الرأى مهموز الآخر فقلب ياء لكسر ما قبله (قوله وانما استرذلوهم لذلك) أى لكونهم اتبعوا بادى الرأى فان من له عقل ومعرفة لا يتبع أحدا بادى الرأى بل لو اتبع لاتبع بعد فكر ونظر (قوله وتوحيد الضمير لان البينة فى نفسها الخ) أى ما سبق شيئان أحدهما البينة والثانى الرحمة فيجب بحسب الظاهر تثنية الضمير فيقال فعميتا عليكم فتوحيده اما باعتبار ان البينة والرحمة واحدة والعطف باعتبار تغايرهما بالاعتبار أو لاشياء آخر ذكرت

(قوله واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه الخ) اما الاول فلانهم بمرتبة من الغيب تعيبهم العين التى هو من أعضاء الانسان فكيف صاحب العين واما الثانى فلاشعار الاسناد الى العين ان أعينهم تعيب الناظرين قلوبهم يعنى انهم ازدروهم بمجرد النظر اليهم وابصار فقرهم بعيونهم من غير أن تتأمل قلوبهم فى حالهم وتتفكر فى شأنهم (قوله شرط ودليل جواب) فالشرط هو قوله تعالى

ضميران وليس أحدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جازفى الثانى الفصل والوصل (وياقوم لا أسألكم عليه) على التبليغ وهو ان لم يذكر فمعلوم ذكر (مالا) جعلا (ان أجرى الا على الله) فانه المأمول منه (وما أنا بطارد الذين آمنوا) جواب لهم حين سألوا طردهم (انهم ملاقوا ربهم) فيحاسبهم ان طاردهم عنده وانهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم (ولكنى أراكم قوما تجهلون) بلقاء ربكم أو بأقدارهم أو فى التماس طردهم أو تنهونهم عليهم بان تدعوهم أراذل (ويا قوم من ينصرنى من الله) بدفع انتقامه (ان طردتهم) وهم بتلك الصفة والمثابة (أفلا تذكرون) لتعلموا أن التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب (ولا أقول لكم عندى خزائن الله) رزقه وأمواله حتى جحدتم فضلى (ولا أعلم الغيب) عطف على عندى خزائن الله أى ولا أقول لكم أنا أعلم الغيب حتى تكذبونى استبعادا أو حتى أعلم أن هؤلاء اتبعونى بادى الرأى من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثانى يجوز عطفه على أقول (ولا أقول انى ملك) حتى تقولوا ما أنت الا بشر مثلنا (ولا أقول للذين تزدرى أعينكم) ولا أقول فى شأن من استرذلتموهم لفقرهم (لن يؤتيهم الله خيرا) فان أعده الله لهم فى الآخرة خيرمما آتاكم فى الدنيا (الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين) ان قلت شىء من ذلك والازدراء به افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الراء فى الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادى الرؤية من غير روية بما يعلمونه من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل فى معانيهم وكمالاتهم (قالوا يانوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فأكثرت جدالنا) فأطلته وأتيت بأنواعه (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) فى تدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) عاجلا أو آجلا (وما أنتم بمعجزين) بدفع العذاب أو الهرب منه (ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم) شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله (ان كان الله يريد أن يغويكم) وتقدير الكلام ان كان الله يريد أن يغويكم فان أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحى ولذلك نقول لو قال الرجل أنت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما أوهموا من أن جداله كلام بلا طائل وهو دليل على أن ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وأن خلاف مراده محال وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى ذا بشم فهلك (هو ربكم) هو خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته (واليه ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم (أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى وبالله وقرىء أجرامى على الجمع (وأنا برىء مما تجرمون) من اجرامكم فى اسناد الافتراء الى (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس) فلا تحزن ولا تتأسف (بما كانوا يفعلون) أقنطه الله تعالى من ايمانهم ونهاه أن يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء (واصنع الفلك بأعيننا) ملتبسا بأعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذى يحفظ به الشىء ويراعى عن الاخلال والزيغ عن المبالغة فى الحفظ والرعاية على طريق التمثيل (ووحينا) اليك كيف تصنعها (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا)

بكسر لواو ويقال بشم الفصيل اذا أكثر شرب اللبن (قوله على طريقة التمثيل) التمثيل هو التشبيه ولا لكن العبارة المذكورة دالة على ان الاعين مجاز مرسل لانه استعمال الاعين فى هى ملازمة للحفظ وعدم الاخلال فى لازمها الذى هو المبالغة فى الحفظ نعم لو أريد بالاعين ما به الحفظ والرعاية عن الاخلال وهو القدرة والارادة كان تمثيلا وهذا هو المفهوم من الكشاف فانه قال فانه يدل على ان لله صفات تكون منشأ لحفظه من الزيغ

ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم (انهم مغرقون) محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء أو ان عزته وكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعدما كنت نبيا (قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) اذا أخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) يعني به اياهم وبالعذاب الغرق (ويحل عليه) وينزل عليه أو يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه (عذاب مقيم) دائم وهو عذاب النار (حتى اذا جاء أمرنا) غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه أو حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام (وفار التنور) نبع الماء منه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز يبتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها أو في الهند أو بعين وردة من أرض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض أو أشرف موضع فيها (قلنا احمل فيها) في السفينة (من كل) من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها (زوجين اثنين) ذكرا وأنثى هذا على قراءة حفص والباقون أضافوا على معنى احمل اثنين من كل صنف ذكر وصنف أنثى (وأهلك) عطف على زوجين أو اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم (الا من سبق عليه القول) بأنه من المعرقين بريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين (ومن آمن) والمؤمنين من غيرهم (وما آمن معه الا قليل) قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي أنه عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون وجعل لها ثلاثة بطون لحمل في أسفله الدواب والوحش وفي أوسطها الانس وفي أعلاها الطير (وقال اركبوا فيها) أي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لامها في الماء كالمركوب في الارض (بسم الله مجراها ومرساها) متصل باركبوا حال من الواو أي اركبوا فيها مسمين الله أوقاتين باسم الله وقت اجرائها وارسائها أو ممكنهما على أن المجرى والمرسى للوقت أو المكان أو المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما بسم الله على أن المراد بهما المصدر أو جملة من مبتدأ وخبر أي اجراؤها بسم الله على أن بسم الله خبر أو صلة والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضية لا تعلق لها بما قبلها أو حال مقدرة من الواو أو الهاء وروي أنه كان اذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت وادا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست ويجوز أن يكون الاسم مقحما كقوله * ثم اسم السلام عليكما * وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها أيضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله (ان ربي لغفور رحيم) أي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما جاءكم (وهي تجري بهم) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا أي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها (في موج كالجبال) في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وقيل من أن الماء طبق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور أنه علا شوامخ الجبال ستة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق (ونادى نوح ابنه) كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على أن الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان غير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على التبدية

(قوله وانتصابهما بما قدرناه حالا) أي انتصاب مجراها ومرساها بما قدرناه حالا من ضمير اركبوا وهو مسمين أو قاتين بسم الله فيكونان ظرفين للقدر (قوله على ان بسم الله خبر أو صلة والخبر محذوف) اذا كان صلة يكون التقدير اجراؤها وارساؤها ببسم الله ثابت (قوله فهي اما جملة مقتضية) لاقتضاب الارتحال وهو ان يبتدأ بكلام من غير تهيئة قبل ذلك ولم اد ههنا ما فسره به وهو ان لا تعلق لها بما قبلها اذ كل ما تعلق بما قبله ففيه تتمة له (قوله أو حال مقدرة من الواو والهاء) أي اركبوا مقدرين اجراءها وارساءها (قوله ويجوز ان يكون مقحما) ويكون التقدير بالله مجراها ومرساها (قوله وكلاهما يحتمل الثلاثة) أي لمجرى والمرسى على تقدير فتح الميم يحتمل الوجوه الثلاثة وهي كونها مفعولا فيه أو مصدرا ومع بسم الله جملة مستقلة (قوله وابنه بحذف الألف) فيكون بفتح الهاء وهذا دليل على انه ليس ابنه والا لم ينسب لي أمه بل الى أبيه ويمكن ان يقال النسبة الى الأم دون الأب لكونه كافرا (قوله وقيل كان غير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما الخ) أي كان ولادته من زنا وهو خطأ لانه عار عظيم معصوم عنه الأنبياء

(قوله ولكونها حكاية الخ) جواب سؤال مقدر هو انه اذا كان الألف للندبة لم يجز حذف حرفها كما هو القاعدة المقررة في النحو فأجاب بان امتناع حذف الحرف اذا كان الندبة حقيقة لا حكاية لكن هذا اللفظ وقع على طريق الحكاية فهذا جاز حذف الحرف (قوله وعاصم) عطف على ابن كثير أي غير ابن كثير وغير عاصم فانه فتح الياء ههنا بان قلب ياء المتكلم الفا ثم أسقطت واكتفى بالفتحة (قوله لامكان من رحمهم الله) فيكون اسناد العصمة الى المكان مجازيا فان قيل معنى الكلام ان لا يعصم بشئ من أمر الله وقضائه لامكان من رحمة الله فيكون المكان عاصما من الله وواقيا له وليس كذلك اذ ليس شئ يرد أمر الله وقضاءه لقوله تعالى لا معقب لحكمه ولا راد لفضله قلنا المراد ههنا من العصمة من أمر الله العصمة من بلائه وهو الطوفان (قوله وأراد نداءه) لا حاجة الى ذلك بل يجوز ان يبقى النداء على حقيقته ويكون قوله فقال رب ان ابني من أهلي تفصيلا وتبيينا للنداء فتكون الفاء للترتيب الذكري لان نادى نوح ربه مجمل تفصيله قوله تعالى رب ان ابني من أهلي (قوله تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما) أي للتصريح بالمناقضة بين وصفي العمل الصالح والعمل الفاسد وهذان الوصفان هما الصالح والفاسد فلما أقيم غير الصالح مقام الفاسد علم صريحا ان الصالح نقيض الفاسد لان النقيض الصريح للصالح غير الصالح

ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف (وكان في معزل) عزل فيه نفسه عن أبيه أو عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذ أبعده (يابني اركب معنا) في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع وقد أدغم الباء في الميم أبو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما (ولا تكن مع الكافرين) في الدين والانعزال (قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء) أن يغرقني (قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم) الا الراحم وهو الله تعالى أو الامكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك أن يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم للائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع أي لكن من رحمه الله يعصمه (وحال بينهما الموج) بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل (فكان من المغرقين) فصار من المهلكين بالماء (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي) نوديا بما ينادى به اولو العلم وأمرا بما يؤمرون به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال أمره مهابة من عظمته وخشية من أليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك (وغيض الماء) نقص (وقضي الامر) وأنجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين (واستوت) واستقرت السفينة (على الجودي) جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي أنه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم فصار ذلك سنة (وقيل بعدا للقوم الظالمين) هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيد بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وفي ايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وأنه متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بأن مثل هذه الافعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار (ونادى نوح ربه) وأراد نداءه بدليل عطف قوله (فقال رب ان ابني من أهلي) فانه النداء (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت أن تنجي أهلي فما حاله أو فما له لم ينج ويجوز أن يكون هذا النداء قبل غرقه (وأنت أحكم الحاكمين) لانك أعلمهم وأعدلهم أو لانك أكثر حكمة من ذوي الحكم على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع (قال يا نوح انه ليس من أهلك) لقطع الولاية بين المؤمن والكافر وأشار اليه بقوله (انه عمل غير صالح) فانه تعليل لنفي كونه من أهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت * فانما هي اقبال وادبار

ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما أوجب النجاة لمن نجا من أهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل غير صالح أي عمل عملا غير صالح (فلا تسألن ما ليس لك به علم) ما لا تعلم أصواب هو أم ليس كذلك وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة أهله استنجازه في شأن ولده أو استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله (اني أعظك أن تكون من الجاهلين

(قوله وقد دلت على الحال الخ) فيه ان الاستثناء المذكور يفيد ان بعضا من أهله لا يدان يفرق ومجرد هذا لا يدل على ان ابنه لا يدان يكون غريقا اذ يجوز ان يكون بعض الاهل امر أته ويمكن ان يقال لما جرى ما جرى بين نوح وابنه دل على انه من المستثنى المذكور فاستنجاز الوعد فى نجاته ليس كما ينبغى (قوله واممم مع كثرتهم) ظاهر كلامه يدل على انه ليس ثمن على انه لم يتعلمه فكانه قال ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتعلمه لانه لم يخالط غيرهم وهم لم يعلمونه فكيف يعلمه أولاهم مع كثرتهم لم يسمعوا فكيف يسمعه (قوله ثم توسلوا اليها بالتوبة) معناه على ما ظهر من قوله وأيضا التبرى من الغير الخ يدل على ان المراد من الايمان الايمان بوجوده تعالى وصفاته الكاملة والمراد من التوبة التوبة عن الشرك وقد صرح بذلك صاحب الكشاف لكن الظاهر الاعم ان يقال استغفروا ربكم بالايمان والتبرى عن الشرك ثم توبوا أى دوموا على التوبة هكذا ذكره الطيبى وغيره (قوله وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده) أى قرئ بجر غيره بجعله صفة للمجرور الذى هو اله وحده لا بجعله صفة للجار والمجرور معا لان المجموع مرفوع محلا بانه اسم لا ولك ان تقول الاله

الجاهلين) لان استثنا ممن سبق عليه القول من أهله قد دله على الحال وأغناه عن السؤل لكن أشفله حب الولد عنه حتى اشتبه عليه الامر وقرأ ابن كثير بفتح اللام والاون الشديدة وكذلك نافع وابن عامر غير أنهما كسرا النون على أن أصله تسألنى فحذف نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع برواية ورويس اثباتها فى الوصل (قال رب انى أعوذ بك أن أسألك) فيما يستقبل (ما ليس لى به علم) مالا علم لى بصحته (والا تغفر لى) وان لم تغفر لى ما فرط منى فى السؤال (وترحمنى) بالتوبة والتفضل على (أكن من الخاسرين) أعمالا (قيل يا نوح اهبط بسلام منا) انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا أو مسلما عليك (وبركات عليك) ومباركا عليك أو زيادات فى نسلك حتى تصير آدمانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهو الخير النامى (وعلى أمم ممن معك) وعلى أمم هم الذين معك سموا أمما لتحزب بهم أو لتشعب الامم منهم أو وعلى أمم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله (وأمم سنمتعهم) أى ومن معك أمم سنمتعهم فى الدنيا (ثم يمسهم منا عذاب أليم) فى الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب مانزل بهم (تلك) اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها (من أنباء الغيب) أى بعضها (نوحيها اليك) خبر ثان والضمير لها أى موحاة اليك أو حال من الانباء أو هو الخبر ومن أنباء متعلق به أو حال من الهاء فى نوحيها (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) خبر آخر أى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك أو حال من الهاء فى نوحيها أو الكاف فى اليك أى جاهلا أنت وقومك بها وفى ذكرهم تنبيه على أنهم لم يتعلموها اذ لم يخالط غيرهم وأنهم مع كثرتهم لما لم يسمعوها فكيف بواحد منهم (فاصبر) على مشاق الرسالة وأذية القوم كما صبر نوح (ان العاقبة) فى الدنيا بالظفر وفى الآخرة بالفوز (للمتقين) عن الشرك والمعاصى (والى عاد أخاهم هودا) عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (ما لكم من اله غيره) وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده (ان أنتم الا مفترون) على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء (يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى الا على الذى فطرنى) خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع مادامت مشوبة بالمطامع (أفلا تعقلون) أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وأيضا التبرى من الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده (يرسل السماء عليكم مدرارا) كثير الدر (ويزدكم قوة الى قوتكم) ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا أصحاب زرع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم ثلاثين سنة فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل (ولا تتولوا) ولا تعرضوا عما أدعوكم اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاء هم من المعجزات (وما نحن بتاركى آلهتنا بتاركى عبادتهم (عن قولك) صادرين عن قولك حال من الضمير فى تاركى (وما نحن لك بمؤمنين) اقناط له من الاجابة والتصديق (ان نقول الا اعتراك) ما نقول لك الا قولنا اعتراك أى أصابك من عراه يعروه

مرفوع محلا وان كان مجرورا لفظا فيمكن رفع غيره بالحمل على محلهما وعلى محل المجرور وحده لكن قوله حملا على المجرور وحده دال على ان الحمل بالحمل على المجرور وحده دون الرفع

(قوله والالغوان الاستثناء مفرغ) كون الالغواعبارة عن عدم العمل فان الاستثناء المفرغ هوالمعمول بحسب العامل المقدم على الاول والعامل ههنا القول المقدم وهذا يدل على ان المختار عنده ان الاقتعمل فى المستثنى وهو مذهب المبرد والزجاج (قوله والاخذ صيغة تمثيل لذلك) أى نجوز عن ذلك وهو كون المأخوذ أمورا منقة دالان كل دابة كانت ناصيتها بيد صاحبها فهى منقادة له (قوله بالجزم على الموضع) فان قوله تعالى فقد أبلغتكم مجزوم الموضع بكونه جزاء له (قوله أوعطف على الجواب بالفاء) أى الجواب مع الفاء وانما قال ذلك لانه لو كان معطوفا على الجواب (١١٢) بدون الفاء لكان داخلا تحت الفاء أيضا فيلزم ان يكون حرف واحد هو الفاء واجب الدخول على جملة هى قد أبلغتكم غير واجب الدخول على أخرى هى يستخلف والاولى ان يقال انه معطوف على مقدر هو الجزاء حقيقة فهو مقدر فى المعنى لان الابلاغ مقدم على التولى فكيف يكون جزاء له فيكون قد أبلغتكم علة للجزاء أقيم مقامه (قوله تكرر لبيان ما يجاهم عنه الخ) يعنى انه علم سابقا انه تعالى نجاهم من عذاب ولم يعلم كونه نجاهم من عذاب غليظ أو حقير فلما قيل نجيناهم من عذاب غليظ حصل بيان المجمل السابق لكن الاولى ان يقال ان الجملة الثانية للاشارة الى عظم النجاة فكان هذه النجاة نجاة متعددة وابيان غاظ العذاب (قوله أوالمراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضا) عطف على قوله تكرر الخ يعنى يمكن ان تكون النجاة المذكورة ثنايا عين النجاة الاولى ويمكن أيضا ان تكون غيرها بان الاولى النجاة من عذاب الدنيا والثانية النجاة من عذاب العقبى (قوله ولان الاشارة الى قبورهم وآثارهم) فيكون المعنى وأصحاب تلك القبور (قوله لانهم أمروا بطاعة كل رسول) هذا الدليل لا يلزم منه المدعى وهو ان من عصى رسولا فقد عصى الكل والاولى ان يقال ان عصيان قوم رسول بان لا يسلموا له التوحيد وطاعة الله وكل رسول فهو آمر بما ذكر فمن أنكر التوحيد والايمان فقد كذب كل رسول (قوله تعالى واتبعوا أمر كل جبار عنيد الخ) فيه ان كل جبار داخل فى جملة عاد فيلزم ان يكونوا تابعين لجبارين آخرين والجواب ان يقال ان كل جبار لما وافق الجبارين الآخرين فكانه تابع لهم أو ان المراد ان أراد لهم تابعون لاكابرهم فيلزم على

اذا أصابه (بعض آلهتنا بسوء) بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذى وتتكلم الخرافات والجملة مقول القول والالغوان الاستثناء مفرغ (قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون) أجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان أشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تأكيد لذلك وتثبيت له وأمرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وأن يجتمعوا على كيده فى اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا أنهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء أن يضروه لم يبق لهم شبهة أن آلهتهم التى هى جماد لا يضر ولا ينفع لا تتمكن من اضرارها تتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا للثقته بالله وتنبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله (انى توكلت على الله ربى وربكم) تقرير له والمعنى أنكم وان بذلتم غاية وسعكم لن تضرونى فانى متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكى ومالككم لا يحيق بى ما يريد ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) أى الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصى تمثيل لذلك (ان ربى على صراط مستقيم) أى انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم (فان تولوا) فان تتولوا (فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم) فقد أديت ما على من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط منى ولا عذر لكم فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم (ويستخلف ربى قوما غيركم) استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين فى ديارهم وأموالهم أو عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كأنه قيل وان تتولوا يعذرنى ربى ويستخلف (ولا تضرونه) بتوليكم (شيئا) من الضرر ومن جزم يستخلف أسقط النون منه (ان ربى على كل شئ حفيظ) رقيب فلا تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم أو حافظ مستول عليه فلا يمكن أن يضره شئ (ولما جاء أمرنا) عذابنا أو أمرنا بالعذاب (نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا) وكانوا أربعة آلاف (ونجيناهم من عذاب غليظ) نكر ربيان ما نجاهم منه وهو السموم كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم فتقطع أعضاءهم أو المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضا ولتعريض ان المهلكين كما عذبوا فى الدنيا بالسموم فهم معذبون فى الآخرة بالعذاب الغليظ (وتلك عاد) أشير اليهم لاشارة باعتبار القبيلة أولان الاشارة الى قبورهم وآثارهم (جحدوا بآيات ربهم) كفروا بها (وعصوا رسله) لانهم بعصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما عصى الكل لانهم أمروا بطاعة كل رسول (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) يعنى كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا

رؤساءهم تضعيف العذاب (قوله دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة الخ) أى هذا الكلام أصله الدعاء لكن المراد به ماذكر اذ لا معنى للدعاء بالهلاك بعد وقوعه (قوله وقيل هو من العمرى بمعنى أعمركم فيها الخ) قال الجوهرى أعمرته دارا وأرضا اذا أعطيته اياه وقلت هى لك عمرى أو عمرك فاذا مت رجعت الى والاسم العمرى ولا يخفى مناسبة ماذكر للمنبيين الذين ذكرهما

وعندوا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما نجع فيهم وأطاعوا من دعاهم الى الكفر ومايردبهم (وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) أى جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين نكبهم فى العذاب (ألا ان عادا كفروا ربهم) بجحدوه أو كفروا نعمه أو كفروا به فحذف الجار (ألا بعدا لعاد) دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على أنهم كانوا مستوجبين لمانزل عليهم بسبب ماحكى عنهم وانما كرر ألا وأعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم (قوم هود) عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عادارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود (والى ثمود أخاهم صالحا فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض) هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التى خلق نسله منها من التراب (واستعمركم فيها) عمركم فيها واستبقاكم من العمر أو أقدركم على عمارتها وأمركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى أعمركم فيها دياركم وبرثها منكم بعد انصرام أعماركم أو جعلكم معمرين ديارهم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم (فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب) قريب الرحمة (مجيب) لدا عيه (قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) لما نرى فيك من مخايل الرشد و لسداد أن تكون لنا سيدا ومستشارا فى الامور أو ان توافقنا فى الدين فلما سمعت هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك (أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا) على حكاية الحال الماضية (وانتا لفى شك مما تدعونا اليه) من التوحيد والتبرى عن الاوثان (مريب) موقع فى الريبة من أراب اذا أوذى ريبة على لاسناد المجازى من أراب فى الامر (قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى) بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين (وآتانى منه رحمة) نبوة (فمن ينصرنى من الله) فمن يمنعنى من عذابه (ان عصيته) فى تبليغ رسالته والمنى عن الاشراك به (فما تزيدوننى) اذن باستتباعكم اياى (غير تخسير) غير أن تخسرونى بابطال مامنحنى الله به والتعرض لعذابه أو فما تزيدوننى بما تقولون لى غير أن أنسبكم الى الخسران (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها للتنكير بها (فذروها تأكل فى أرض الله) ترع نباتها وتشرب ماءها (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة أيام (فعقروها فقال تمتعوا فى داركم) عيشوا فى منازلكم أوفى داركم الدنيا (ثلاثة أيام) الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون (ذلك وعد غير مكذوب) أى غير مكذوب فيه فاتسع فيه بايجرائه مجرى المفعول به كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا * أوغير مكذوب على المجاز وكأن الواعد قال له أفى بك فان وفى به صدقه والا كذبه أو وعد غير كذب على أنه مصدر كالمجلود والمعقول (فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ) أى ونجيناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة أو ظهم وفضيحتهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفى المعارج فى قوله من عذاب يومئذ (ان ربك هو القوى العزيز) القادر

ماذكر (قوله بمعنى أعمركم فيها ديارهم وبرثها منكم الى آخر الكلام (قوله موقع فى الريبة) ان قيل مامعنى كون الشك موقعا فى الريبة قلنا كونه موقعا فيها اما باعتبار ان شك جمع يوجب وقوع الريبة لآخر فان الطباع مجبولة على التقليد أو باعتبار ان أصل الشك قد يوجب استمراره (قوله على الاسناد المجازى) فيكون الشك مريبا ككون الجد ذا جد فى جد جده (قوله وحرف الشك باعتبار المخاطبين) حرف الشك هو ان يكونه باعتبار المخاطبين معناه انه من باب ارخاء العنان والاستدراج مع المخاطبين (قوله ولكم حال منها) قال العلامة الطيبى قيل هذا قول لم يقل به أحد والاولى ان يقال ان لكم حال عمل فيها معنى الاشارة وانه حال من الضمير فيه (قوله غير مكذوب فيه فاتسع فيه الخ) أى حذف الجار واستتر الضمير فى المكذوب اصير ورته مفعولا به فأقيما مقام الفاعل (قوله أوغير مكذوب على المجاز) بجعل الوعد كالشخص الذى قيل له القول فان المكذوب هو الذى قيل له الكذب فجعل الوعد كذلك الشخص فاسند اليه المكذوب مجازا عقليا (قوله تعالى ومن خزى يومئذ) يدل على ان المعنى نجينا صالحا والذين آمنوا معه من العذاب ومن الخزى فى ذلك اليوم فان ماوقع عليهم عذاب وخزى وعلى هذا ظهر مافى كلام المصنف من التقصير فى التفسير (قوله على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه) أى جعلوا اليوم مبنيا لاضافته الى المبنى الذى هو اذ فقد يعطى

المضاف حكم المضاف اليه لشدة الاتصال بينهما (قوله ذهابا الى الحي والاب الاكبر) هذا علة تنوين ثمود أي تنوينه اما باعتبار تأويله بالحي أو بجعله عبارة عن أبيهم الاكبر اذ على هذين التقديرين يكون ثمود منصرفا واما اذا جعل عبارة عن القبيلة يكون غير منصرف بالتأنيث والعلمية فلا يدخله التنوين (قوله والجار متعلق بمحذوف الخ) اذا كان مقدما كان ما بعده باقيا على الجر واذا كان محذوفا لم يكن مجرورا بل منصوبا (قوله بالرصف) الرصف الحجارة المحماة (قوله وخاف ان يريدوا به مكروها) لان العادة ان من له ارادة سوء باحد لا يبدا اذا كان حضره لم يأكل طعامه (قوله وانما نمد اليه أيدينا لانا لا نأكل) أي ليس عدم أكلنا للعداوة ولقصد الاذى وانما نأكل لان حالنا المستمر عدم الاكل (قوله للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف الخ) الاولى ان يقال للفصل بينه وبين الحرف العاطفة بالظرف فانه لا يجوز اذا كان المعطوف عليه مجرورا لان الحرف العاطف كحرف الجر ولا يجوز الفصل بين حرف الجر ومجروره وامّا الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه فجائز (قوله بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته) وفيه نظر وجه النظر انه لا يفهم ما ذكر من هذه الاضافة بل المفهوم خلاف ما ذكر (قوله والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة الخ) أي باعتبار يحتمل ان الملائكة بشروها بالولدين وعينوا اسمهما لها ويحتمل انهم لم يذكروا اسمهما لها بل قالوا لها نبشرك بابن وابن ابن (قوله فاطلق في كل أمر فظيع) أي شديد يجاوز الحد

باعتبار أهل بيت النبوّة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغرب عاقل فضلا عمن نشأت وشابت فى ملاحظة الآيات وأهل البيت نصب على المدح أو النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة (انه حميد) فاعل مايستوجب به الحمد (مجيد) كثير الخير والاحسان (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) أى ما أوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم (وجاءته البشرى) بدل الروع (يجادلنا فى قوم لوط) يجد لنا رسلنا فى شأنهم ويجادلنا اياهم فى ان فيهم لوطا وهو اما جواب لما جعل مضارعا على حكاية الحال أو لانه فى سياق الجواب بمعنى الماضى كجواب لو أو دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا أو شرع فى جدالنا أو متعلق به أقيم مقامه مثل أخذ أو أقبل يجد دلنا (ان ابراهيم لحليم) غير عجول على الانتقام من المسيء اليه (أوّاه) كثير التأوّه من الذنوب والتأسف على الناس (منيب) راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه (ياابراهيم) على ارادة القول أى قالت الملائكة ياابراهيم (أعرض عن هذا) الجدال (انه قد جاء أمر ربك) قدره بمقتضى قضائه الازلى بعذابهم وهو أعم من عذابهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) مصروف بجدال ولادعاء ولاغير ذلك (ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم) ساءه مجيئهم لانهم جاؤه فى صورة غلمان فظن انهم أناس تخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم (وضاق بهم ذرعا) وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه (وقال هذا يوم عصيب) شديد من عصبه اذا شده (وجاءه قومه يهرعون اليه) يسرعون اليه كأنهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من أضيافه (ومن قبل) أى ومن قبل ذلك الوقت (كانوا يعملون السيآت) الفواحش فكم نوابها وليستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين (قال ياقوم هؤلاء بناتى) فدى بهن أضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتى فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم خبثهم وعدم كفاءتهم لاحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ أو مبالغة فى تناهى خبث مايرومونه حتى ان ذلك أهون منه أو اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كى يرقوا له (هن أطهر لكم) أنظف فعلا وأقل فحشا كقولك الميتة أطيب من المغصوب وأحل منه وقرئ أطهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بناتى كقولك هذا أحمى هو لا فصل فانه لايقع بين الحال وصاحبها (فاتقوا الله) بترك الفواحش أو بايثارهن عليهم (ولا تخزون) ولاتفضحونى من الخزى أو ولا تخجلونى من الخزاية بمعنى الحياء (فى ضيفى) فى شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه (أليس منكم رجل رشيد) يهتدى الى الحق ويرعوى عن القبيح (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) من حاجة (وانك لتعلم مانريد) وهو اتيان الذكران (قال لو أن لى بكم قوة) لو قويت بنفسى على دفعكم (أو آوى الى ركن شديد) الى قوى أتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى شدّته وعن النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد وقرئ أو آوى بالنصب باضمار أن كأنه قال لو أن لى بكم قوّة أو أو يلوجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روى انه أغلق بابه ودون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فنسور وا الحدار فلما رأت الملائكة ماعلى لوط من الكرب (قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهوّن عليك ودعنا وايانهم فلما هم أن يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فخرجوا يقولون

اجترأ على خطابنا أو شرع فى جدالنا فى قوم لوط ولا يناسب جعله دليلا على الجواب فالاولى انه بيان للجواب المقدر (قوله فانه شرع طارئ) أى هذا أمر حادث فى شرع نبينا صلى الله عليه وسلم (قوله أو مبالغة فى تناهى خبث مايرومونه) عطف على قوله كرما وحمية أى يحتمل أن يكون قوله هؤلاء بناتى هن أطهر لكم ليس للكرم بل للتنفل من الافحش الى الاهون (قوله أو ظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كى يرقوا له) يقال امتعض من الشئ اذا غضب منه وشق ذلك الشئ عليه والمقصود ان لوطا أظهر بالقول المذكور شدة مايرومونه عليه كى يرقوا أى يرجعوا عليه وينتهوا عما أرادوا (قوله أنظف فعلا أو أقل فحشا كقولك الميتة أطيب من المغصوب) دفع شبهة هى ان القائل ان يقول لاطيب لما يرومونه فكيف يكون بناته أطيب منه فاجاب بما ذكر وهذا ناظر الى قوله أنظف فعلا أى على تقدير ان يكون لما يرومونه نظافة فبناته أنظف (قوله ولا فصل الخ) أى ليس هو ضمير فصل على

تقدير نصب أطهر اذ لايقع ضمير الفصل بين الحال وذيها (قوله كان يأوى الى ركن شديد) أى كان يأوى الى حول الله وقوته (قوله أو آوى)

يعني يكون الفعل مما دخل عليه حرف المصدر فيكون بمعنى المصدر (قوله بالقطع من الاسراء) أي لفظ أسر بفتح الهمزة من باب الافعال (قوله وفي المعنى للوط) الاولى ان يقال للوط ومن معه من أهله (قوله وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر) الى قوله من أحد أي اذا فسر الالتفات بالتخلف يصح ان يكون الاستثناء من الاهل ومن أحد فالمعنى على الاول فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك ولا يتخلف منكم أحد وعلى الثاني يكون المعنى فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يتخلف منكم أحد الا امرأتك فانها تتخلف ولا تناقض بين المعنيين لان المراد من لا يتخلف منكم أحد على التقدير الاول لا يتخلف منكم أحد غير المرأة المذكورة بقرينة الاستثناء السابق تقديرا واما اذا فسر الالتفات بالنظر الى الوراء فلو استثنى المرأة من أهلك كان المعنى فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك فانها لم تسر وهذا يوجب عدم التفاتها الى الوراء في اثناء السرى لانه فرع السرى لكن على تقدير رفع امرأتك على البدل من أحد كما هو قراءة ابن كثير وأبي عمرو يلزم التفات المرأة الى الوراء فيلزم ان يكون لها السرى مع لوط فلزم التناقض وقوله لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة معناه ان القرآن قطعي الصحة على كل قراءة فلا يصح ان يحمل لفظ القرآن على معنيين متناقضين لان أحد المتناقضين لا بد ان يكون كاذبا فلزم الكذب فيه وهو محال هذا توضيح ما ذكره قال العلامة الطيبي

النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة (فأسر بأهلك) بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى (بقطع من الليل) بطائفة منه (ولا يلتفت منكم أحد) ولا يتخلف أو لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط (الا امرأتك) استثناء من قوله فأسر بأهلك ويدل عليه انه قرئ فأسر بأهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالرفع على البدل من أحد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها أو أخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله ولا يلتفت مثله في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون أكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله (انه مصيبها ما أصابهم) ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع (ان موعدهم الصبح) كأنه علة الامر بالاسراء (أليس الصبح بقريب) جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب (فلما جاء أمرنا) عذابنا أو أمرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله (جعلنا عاليها سافلها) فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها سافلها أي الملائكة المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح

أجاب عنه بعض فضلاء الغرب بان نقول انه مستثنى من قوله فاسر باهلك ومعنى لا يلتفت عدم النظر الى الوراء في الذهاب قولكم فلزم ان لا تسرى معهم وهذا ينافي ان يكون مرفوعا على البدل من أحد بسبب انه يستلزم ان تسرى معهم اذا فسر الالتفات بما ذكر قلنا عدم السرى معهم ممنوع غاية الامر ان لوطا لم يسر بها لم لا يجوز ان تسرى هي بنفسها (قوله والاولى جعل الاستثناء في القراءتين عن قوله ولا يلتفت) وحينئذ يصح حمل الالتفات على التخلف وعلى التوجه الى الوراء فان كان الواقع ذهابها معهم كان محمولا على الثاني وان تحقق عدم ذهابها معهم كان الالتفات محمولا على الاول أي على التخلف (قوله ولا بعد ان يكون أكثر القراء على غير الافصح) أي يلزم من ذلك ان يكون أكثرهم على غير الافصح وهو النصب لأن الافصح في مثله الرفع على البدل لكن أكثر القراء على النصب (قوله بل عدم نهيها عنه استصلاحا) قيد للنهي أي نهيها عنه استصلاحا معدوم (قوله ولذلك علله على طريقة الاستئناف الخ) أي لاجل ان المقصود عدم نهيها عنه استصلاحا علله بطريق الاستئناف فكأنه سأل سائل لم لم تنهها عن الالتفات فقيل لانه مصيبها ما أصابهم وفي عبارته شئ لان هذا التعليل أيضا يصح على تقدير لزوم أمر الالتفات فتأمل (قوله ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع) لانه يكون بدل الغلط وهو لا يقع في فصيح الكلام فكيف في القرآن (قوله ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها الخ) أي يؤيد التقدير الثاني أمران أحدهما ان الامر هو الاصل من وجهين أحدهما ان يكون على هذا التوجيه بقي لفظ الامر على الاصل أي على الحقيقة والثاني ان الاصل في وقوع الاشياء أمر الله والثاني انه جعل الانقلاب وهو جعل الاعالي أسافل مسببا على مجيء الامر فلا يكون الامر عبارة عن العذاب والا لصار المعنى فلما جاء عذابنا عذبناهم ويرد عليه انه لزم على هذا التقدير ان لا يصح حمل الامر على الانقلاب ويمكن حمله عليه ان كان العذاب شيأ آخر غير جعل عاليها سافلها (قوله فانه روي الخ)

وصياح الديكة ثم قلبها عليهم (وأمطرنا عليها) على المدن أوعلى شذاذها (حجارة من سجيل) من طين متحجر لقوله حجارة من طين وأصله سنك كل فعرب وقيل انه من أسجله اذا أرسله أوأدر عطيته والمعنى من مثل الشئ المرسل أومن مثل العطية فى الادرار أومن السجل أى مما كتب الله أن يعذبهم به وقيل أصله من سجين أى من جهنم فأبدلت نونه لاما (منضود) نضد معد العذابهم أونضد فى الارسال بتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار أونضد بعضه على بعض وألصق به (مسوّمة) معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة أو بسيما تتميز به عن حجارة الارض أو باسم من يرمى بها (عند ربك) فى خزائنه (وماهى من الظالمين ببعيد) فانهم بظلمهم حقيق بأن تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام أنه سأل جبريل عليه السلام فقال يابنى ظالمى أمتك ما من ظالم منهم الاوهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى أى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها فى أسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر أوالمكان (والى مدين أخاهم شعيبا) أرادأولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام أوأهل مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولاتنقصوا المكيال والميزان) أمرهم بالتوحيد أولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافى للعدل المخل بحكمة التعاوض (انى أراكم بخير) بسعة تغنيكم عن البخس أو بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لاأن تنقصوا حقوقهم أو بسعة فلا تزيلوها بما أنتم عليه وهو فى الجملة علة للنهى (وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط) لايشذ منه أحد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله وأحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة أوعذاب الاستئصال ووصف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه (وياقوم أوفوا المكيال والميزان) صرح بالامر بالايفاء بعد النهى عن ضده مبالغة وتنبيها على أنه لايكفيهم الكف عن تعمد هم التطفيف بل يلزمهم السعى فى الايفاء ولوبزيادة لايتأتى بدونها (بالقسط) بالعدل والسوية من غير زيادة ولانقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا (ولاتبخسوا الناس أشياءهم) تعميم بعد تخصيص فانه أعم من أن يكون فى المقدار أوفى غيره وكذا قوله (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور فى المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج مايقصد به الاصلاح كفعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولاتعثوا فى الارض مفسدين أمر دينكم ومصالح آخرتكم (بقيت الله) ماأبقاه لكم من الحلال بعد انزجاركم عليكم (خير لكم) مما تجمعون بالتطفيف (ان كنتم مؤمنين) بشرط أن تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان أوان كنتم مصدقين لى فى قولى لكم وقيل البقية الطاعة كقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهى تقواه التى تكف عن المعاصى (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظكم عن القبائح أوأحفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم عليها وانما أنا ناصح مبلغ وقد أعذرت حين أنذرت أولست بحافظ عليكم نعم الله تولم تتركوا سوء صنيعكم (قالوا ياشعيب أصلواتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا) من الاصنام أجابوه آمرهم بالتوحيد على الاستهزاء به وانهكم بصلواته والاشعار بأن مثله لايدعو اليه داع عقلى وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ماتواظب عليه وكان شعيب كثير الصلاة فلذلك جعلوا وخصوا الصلاة بالذكر وقرأ حمزة والكسائى وحفص على الافراد والمعنى أصلواتك تأمرك بتكليف أن نترك بحذف المضاف لان الرجل لايؤمر بفعل غيره (أوأن نفعل فى أموالنا مانشاء) عطف على

يمكن ان يكون هذا دليلا على انه فعل الملائكة ويمكن ان يكون دليلا على تعظيم الامر لانه فعل عظيم حصل من ملك عظيم (قوله أوعلى شذاذها) الجماعة الخارجون من المدن (قوله وتذكير البعيد على تأويل المكان أوالحجر) أى لما كان المبتدا وهى هى مؤنثا وجب ان يقال بعيدة على تطابق المبتدأ لكن ذكر بتأويل حجر أومكان أى ماهى أى الحجارة من الظالمين بحجر بعيد أوماهى أى القرى من الظالمين بمكان بعيد (قوله ولو بزيادة لايتأتى دونها) أى بزيادة لايتأتى ترك تعمد التطفيف دونها (قوله وقد يكون محظورا) أى يكون اعطاء الزيادة محظورا كما فى الربويات (قوله من غير زيادة ونقصان) أى من غير زيادة حرام كما فى الربويات ولا نقص أصلا ولا حيلة ترى بان الايفاء حاصل وليس بحاصل وعبارة القاضى وهى قوله فان الازدياد ايفاء وهو مندوب يدل على ان اعطاء الزيادة مندوب مطلقا وفيه مافيه (قوله والعثو) معطوف على البخس (قوله لان الرجل لايؤمر بفعل غيره) هذا علة التقدير المذكور والمعنى انه ان لم

يقدر ماذكر لزم ان يؤمر شعيب عليه السلام ترك قومه عبادة الاوثان ولا معنى له فيجب ان يقدر ماذكره (قوله وقرئ بالتاء فيهما) اى قرئ تفعل وتشاء بتاء الخطاب والمعنى أصلوا تك تأمرك ياشعيب ان تفعل فى أموالنا ما تشاء وفعلك فى أموالهم هو أمرهم بعدم التطفيف وايفاء الحق (قوله ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير) أراد به تنقيصها فان من قطع بعضا من شئ فقد نقصه فهم أراد وا بقولهم ان نفعل فى أموالنا ما نشاء التقطيع المذكور (قوله تهكمو ابه الخ) يعنى هذه العبارة تحتمل وجهين أحدهما ان يكون قصدهم التهكم والسخرية فيكون مقصودهم من وصفه بالحلم والرشد وصفه بضدهما أى نهيك ياشعيب بواسطة اتصافك بالطيش والسفاهة الثانى ان يكون مقصودهم انك فى الحقيقة موصوف بالحلم والرشد لكن ما يصدر منك من النهى عن التصرف فى الاموال كيف يشاء صاحبها مناف لهما فيجب عليك ان تترك النهى (قوله أى ما أريد ان آتى ما أنهاكم عنه لاستبد به) أى ما أريد بالنهى المذكور ان تنتهوا عنه حتى استقل به واستبد به أى انفرد

به (قوله وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس) أى اذا قصد الغير فعله وأنت مول عنه (قوله أعمها وأعلاها حق الله الخ) فالجواب الاول وهو قوله قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا رعاية حق الله تعالى والثانى وهو قوله وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه رعاية حق النفس اذ على كل احد أن ينهى نفسه عما ينهى غيره من المعاصى الثالث رعاية حق الناس وهو قوله ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وانما كان ذلك يقتضى ما ذكر أما الاول فلان من حق الله على العبد ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأما الثانى فلأن حق النفس على الشخص ان يفعل ما يوجب نجاتها وذلك بالامر والنهى المذكورين (قوله مامصدرية واقعة موقع الظرف) والمعنى مدة استطاعتى (قوله بشر اشره المقدار الذى استطعته) أى لقدار من الاصلاح الذى استطاعته فيكون بدل البعض (قوله وفيه اشارة الى محض التوحيد الذى هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ) فان قلت أقصى مراتب العلم به تعالى هو ان يعلم بجميع صفاته الثبوتية والسلبية لا مجرد العلم بالتوحيد فلنا مراده العلم بتوحيد الافعال بان يعلم ان لا فاعل سواه بل هو تعالى فاعل مستقل للكل من غير توسط وهذا العلم لا يحصل الا بعد معرفته بصفاته الثبوتية والسلبية فان الفاعل المستقل بجميع ما فى العالم لا بد ان يكون عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا الى غير ذلك كما لا يخفى على الفطن وانما كان ماذكر اشارة الى توحيد الافعال لان حصر التوكل فى جميع الامور عليه تعالى كما هو مقتضى تقديم الظرف بدل على ان لا فاعل غيره أيضا اذ لو كان غيره فاعلا لم ينحصر التوكل عليه فقط بل يكون التوكل عليه وعلى ذلك الغير (قوله على الله متعلق بالحصر) أى يفيد حصر الانابة على الله لسبب تقديم الصلة

(قوله لا يكسبنكم) أي لا يحصل لكم شقاق اصابة ما أصاب الاقوام المذكورين نهى الشقاق عن الكسب وأريد نهيهم عما يوجب البلايا بسبب الشقاق وفي هذا مبالغة لانه نهى الشقاق الذي لا يصح ان ينهى فلزم نهى المشاقين بطريق الاولى لانه اذا نهى الشقاق الذي ليس من شأنه ان يطلب منه شئ ففيه دليل على ان من يطلب النهي عنه هو أصحاب الشقاق (قوله وهو منقول من المتعدي الى مفعول) أي أجرم منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد اذ لو كان منقولا من جرم المتعدي الى مفعولين لكان له ثلاثة مفاعيل (قوله لا اضافته الى المبني) فان القاعدة أن مثل اذا أضيف الى المبني بني على الفتح ولو قال لاضافته الى مالا مكان أولى لان مجرد الاضافة الى المبني لا توجب البناء (قوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت) الاستشهاد بلفظ غير فانه مضاف الى ان نطقت وهو مبني في هذه الحالة (قوله وقيل قالوا ذلك استهانة الخ) أي قالوا ما قالوا لعدم المبالاة بكلامه وقوله كما تقول لمن لا تبالي بشأنه لا أفهم كلامك وغرضك ان لا معنى لكلام القائل أو تقول لا افهم كلامك لمن ينفر عنه وعن كلامه وغرضك الاعراض عنه وأمره بالسكوت (قوله وهو مع عدم مناسبته الخ) عدم المناسبة لاجل ان العمى لا يوجب عدم اعتبار قول صاحبه مطلقا ولا قله مبالاة بشأنه ومع عدم المناسبة يرده الجار والمجرور اذ لا وجه لقول القائل انا انراك فيما أعمى اذ من كان أعمى فهو أعمى في الواقع لا بالنسبة الى جماعة دون جماعة فلا فائدة في التقييد بقوله فينا (قوله ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى الخ) يعني ان بعض المعتزلة منع جعل الاعمى نبيا قياسا على ما ذكر لكن القياس مع الفارق فان النبوّة اخبار من الله تعالى

بشر اشره وحسم أطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بعداوتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء (ويا قوم لا يجرمنكم) لا يكسبنكم (شقاقي) معاداتي (أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح) من الغرق (أو قوم هود) من الريح (أو قوم صالح) من الرجفة وأن يعلتها ثاني مفعولي جرم فانه يعدى الى واحد وإلى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي الى مفعول واحد والاول أفصح فان أجرم أقل دورانا على ألسنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت * حمامة في غصون ذات أوقال

(وما قوم لوط منكم ببعيد) زمانا أو مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما أصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم أو وما هم بشئ بعيد ولا يبعد أن يسوّى في أمثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه) عما أنتم عليه (ان ربي رحيم) عظيم الرحمة للتائبين (ودود) فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار (قالوا يا شعيب ما نفقه) ما نفهم (كثيرا مما تقول) كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقولهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه أو لانهم لم يلقوا اليه أذهانهم لشدة نفرتهم عنه (وانا لنراك فينا ضعيفا) لا قوّة لك فتمتنع منا ان أردنا بك سوأ أو مهينا لا عز لك وقيل أعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين (ولولا رهطك) قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة (لرجمناك) لقتلناك برمي الاحجار أو بأصعب وجه (وما أنت علينا بعزيز) فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا يدين السفيه المحجوج بقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على أن الكلام فيه لا في ثبوت العزة وأن المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك (قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا) وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ

للعباد ولا حاجة الى البصر فان النبوّة أمر يفاض على الباطن وأما القضاء فانه حكم على شخص معين لشخص آخر فيحتاج الى معرفتهما بالتعيين ولا تحصل معرفة الشخص الا بالرؤية والشهادة اثبات حق لشخص معين على شخص آخر فتحتاج الى رؤية الشخصين وأيضا النبوّة اذا حصلت لا بد من عصمة الله من الخطأ لانه مقصود بخلاف القضاء والشهادة (قوله فان الرهط من الثلاثة الى العشرة) هذا دليل على عدم الخوف اذ ليس بهذا القدر شوكة يخاف منها (قوله لقتلناك برمي الاحجار أو بأصعب وجه) فعلى الاول يكون الرجم مستعملا في معناه الحقيقي وعلى الثاني في معناه المجازي (قوله تعالى قال يا قوم الخ) فيه اشكال لان قوله ارهطي أعز عليكم من الله يدل على ان لله تعالى عزة عندهم وقوله واتخذتموه وراءكم ظهريا يدل على خلافه ويمكن دفعه بان يقال ان الاعزية على الفرض والتقدير أي لو كان لله عز عندكم لكان قومي أعز عليكم منه وهذا لا ينافي عدم العز مطلقا في الواقع (قوله وهو يحتمل الانكار والتوبيخ

والرد والتكذيب) الاولان ظاهران وأما الرد والتكذيب فهو باعتبار ردهم وتكذيبهم فى دعواهم ان عدم رجمهم لشعيب بسبب عزة قومه فكانه قال ادعيتم انكم تقدرون على رجمى لكن عدم رجمكم اياى بسبب قوى لكنكم كاذبون فى هذه الدعوى لانكم لا تقدرون على رجمى واهلاكى لان الله تعالى يدسركم منى (قوله فهو أبلغ فى التهويل) لانه مشعر بانه مما يستحق ان يسأل عنه ويتوجه اليه (قوله ومن هو كاذب على زعمهم) فيه ان من هو كاذب على زعمهم معلوم الآن ولا وجه لتعليق العلم به بالمستقبل لانهم كذبوه الآن فان المعلوم ان الكاذب على زعمهم هو شعيب بل المعنى الصحيح أن يقال سوف تعلمون من هو كاذب فى الواقع فان الكاذب فى زعمهم هو شعيب لكن الكاذب فى الواقع قومه المنكرون له (قوله يجرى مجرى السبب) لان الوعيد فى ايقاعه للموعود كالسبب الموجب للسبب لكنه ليس السبب الحقيقى بل السبب الحقيقى هو كفرهم وطغيانهم فلذلك قال يجرى مجرى السبب فان قيل فى كلام شعيب عليه الصلاة والسلام ذكر الوعد أيضا وهو قوله ياقوم اعملوا على مكانتكم الى قوله رقيب غاية الامر انه لم يذكر بلفظ الوعد قلنا يمكن أن يحمل ماذكر على العذاب الدنيوى و يمكن أن يقال ان ذكر الفاء فى الموضعين لقرب عذاب قوم صالح ولوط للوعد المذكور من غير فصل بعيد (قوله بخلاف قصتى صالح ولوط) فانه ذكر بعد الوعد قصة صالح بعد ذكر الوعيد وأما قصة لوط فليست كذلك (قوله ونزل النار هم منزلة الماء فسمى اتيانهم موردا) فيكون ههنا تشبيه النار بالماء فكان الماء الملحوظ ذهنا مقدورا استعارة بالكناية والورود استعارة تخييلية و يمكن أن يكون تشبيه النار بالماء للتضاد فان كلا منهما ضد الآخر

والرد والتكذيب وظهر يا منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب (ان ربى بما تعملون محيط) فلا يخفى عليه شئ منها فيجازى عليها (ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) سبق مثله فى سورة الانعام والفاء فى فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو أبلغ فى التهويل (ومن هو كاذب) عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما أوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب منى ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق ليتصرف الاول اليهم والثانى اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم (وارتقبوا) وانتظروا ما أقول لكم (انى معكم رقيب) منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم أو المراقب كالمشير أو المرتقب كالرفيع (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) انما ذكره بالواو كما فى قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجرى السبب له بخلاف قصتى صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا (فاصبحوا فى ديارهم جاثمين) ميتين وأصل الجثوم اللزوم فى المكان (كأن لم يغنوا فيها) كأن لم يقيموا فيها (ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) شبههم بهم لان عذابهم كان أيضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد بمصدر هلما والبعد مصدر المكسور (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) بالتوراة أو المعجزات (وسلطان مبين) وهو المعجزات القاهرة أو العصا وافراد ها بالذكر لانها أبهر هو لا يجوز أن يراد بهما واحد أى ولقد أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوّته واضحا فى نفسه أو موضحا اياها فان أبان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص بالقاطع والمبين يخص بما فيه جلاء (الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون) فاتبعوا أمره بالكفر بموسى أو فما اتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك فى الضلال والطغيان الداعى الى مالا يخفى فساده على من له أدنى مسكة من العقل افرط جهلهم وعدم استبصارهم (وما أمر فرعون برشيد) مرشد أو ذى رشد وانما هو غى محض وضلال صريح (يقدم قومه يوم القيامة) الى النار كما كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم (فأوردهم النار) ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال (وبئس المورد المورود) أى بئس المورد الذى وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما أمر فرعون برشيد فان من كان هذه عاقبته لم يكن فى أمره رشد أو تفسيره على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها (وأتبعوا فى هذه) الدنيا (لعنة ويوم القيامة) أى يلعنون فى الدنيا والآخرة

بئس

(قوله وهو اللعنة فى الدارين) الاولى كما قال صاحب الكشاف أن يقال الرفد العطية فالرفد اللعنة فى الدنيا فانه رفد للعذاب فى الآخرة ومدد له وقد رفدت باللعنة فى الآخرة (قوله فيكون محل الكاف النصب على المصدر) أى أخذ ربك أخذ مثل ذلك الاخذ وفيه ان المصدر النوعى متقدم على الفعل (قوله لعلمه بان ماحاق بهم الخ) وذلك لان عذاب الآخرة اكبر لقوله تعالى ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون وللاخبار الواردة فى شدة عذاب الآخرة وزيادته على عذاب الدنيا بما لا يتناهى (قوله والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع) أى التغيير عن الفعل وهو يجمع الى اسم المفعول لماذكر فان يجمع يدل صريحا على الاستقبال ولا يتوهم منه الثبوت دائما بخلاف المجموع فانه يتوهم منه الثبوت دائما وان كان فى الواقع الحدوث فى المستقبل والغرض ان التعبير بصيغة تدل ظاهرا على ثبوت الدائمى أبلغ من صيغة يدل صريحا على الحدوث فى المستقبل فان قيل ان اسم الفاعل والمفعول موضوعان للحدوث قلنا صرح بعض المحققين بانهما ليسا موضوعين للحدوث بل لمطلق ثبوت المصدر واذا كان وضعهما لمطلق الثبوت يمكن أن يدلا على الثبوت الدائمى فى المقام الظنى لان تخصيصه بزمان دون زمان لا بد فيه من

(بئس الرفد المرفود) بئس العون المعان أو العطاء المعطى وأصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف أى رفدهم وهو اللعنة فى الدارين (ذلك) أى ذلك النبأ (من أنباء القرى) الهلكة (نقصه عليك) مقصوص عليك (منها قائم) من تلك القرى باق كالزرع القائم (وحصيد) ومنها عاف لاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء فى نقصه وليس بصحيح اذ لا داع ولا ضمير (وماظلمناهم) باهلاكنا اياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بأن عرضوها لما ارتكاب مايوجبه (فما أغنت عنهم) فما نفعتهم ولا قدرت أن تدفع عنهم بل ضرتهم (آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك) حين جاء هم عذابه ونقمته (وما زادوهم غير تتبيب) هلاك أو تخسير (وكذلك) ومثل ذلك الاخذ (أخذ ربك) وقرئ أخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر (اذا أخذ القرى) أى أهلها وقرئ اذ لان المعنى على الماضى (وهى ظالمة) حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما أقيمت مقامهم أجريت عليها وفائدتها الاشعار بأنهم أخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم نفسه أو غيره من وخامة العاقبة (ان أخذه أليم شديد) وجميع غير مرجو الخلاص منه وهو مبالغة فى التهديد والتحذير (ان فى ذلك) أى فيما نزل بالامم الهالكة أو فيما قصه الله تعالى من قصصهم (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) يعتبر به عظمته لعلمه بأن ماحاق بهم أنموذج مما أعد الله للمجرمين فى الآخرة أو ينزجر به عن موجباته لعلمه بانها من الامور التى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من أنكر الآخرة وأحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية تفتقت فى تلك الايام للذنوب الهالكين بها (ذلك) اشارة الى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له الناس) أى يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو أبلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة (وذلك يوم مشهود) أى مشهود فيه أهل السموات والارضين فاسم فيه باجزاء الظرف مجرى المفعول به كقوله * فى محفل من نواصى الناس مشهود * أى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك (وما نؤخره) أى اليوم (الا لاجل معدود) الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود (يوم يأت) أى الجزاء أو اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين أو الله عز وجل كقوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة (لا تكلم نفس) لا تتكلم بما ينفع وينجى من جواب أو شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر أو بالانتهاء المحذوف (الا باذنه) الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وهذا فى موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر أو الا أذون فيه هى الجوابات الحقة والممنوع عنه

(١٦ - (بيضاوى) - ثالث)

مرجح فيكون التخصيص حاصلا من الخارج لا من نفس الصيغة (قوله على ان اليوم بمعنى الحين) اذ لا يلزم أن يكون وقت عدم تكلم كل نفس الا باذنه اليوم المتعارف وهو زمان طلوع الشمس فوق الافق (قوله وهو الناصب للظرف الخ) أى الناصب ليوم يأت اما لا تكلم نفس أو اذكر المقدر والمعنى اذكر يوم يأت أى هذا الوقت المخصوص أو الانتهاء المحذوف والمعنى لانتهاء أجل معدود يوم يأت (قوله وهذا فى موقف الخ) الغرض منه ازالة التنافى بين القولين المذكورين فى القرآن

(قوله لان دوامهما كالملزوم لدوامه الخ) اذا كان دوامها ملزوما ودوام العذاب لازما فلا يخفى انه لا يلزم من وجود اللازم وجود الملزوم فلا يلزم من دوام العذاب دوامها فعلم ان قوله لان الخ دليل على قوله ولا من دوامه دوامهما لا لقوله الا من قبل المفهوم وانما عرف من قبل المفهوم لانه لو لم يكن ما ذكر مفهومه لم يكن للربط المذكور كبير وجه فتأمل (قوله وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده الخ) فيه انه تشبيه ما لا يعرف وهو سموات الآخرة وأرضها بما يعرف الخلق وجوده وهو السموات والأرض فى الدنيا وانقلب الأمر على المصنف (قوله ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب الخ) أى من عرف دوام السموات والارض فى الآخرة استدل عليه بدوام الثواب والعقاب بانه لما كان الثواب والعقاب أبديين كان الخلائق فى الآخرة أبدية والخلق

هى الاعذار الباطلة (فمنهم شقى) وجبت له النار بمقتضى الوعيد (وسعيد) وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس أو للناس (فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق) الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما فى أوّل النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم (خالدين فيها ما دامت السموات والارض) ليس لارتباط دوامهم فى النار بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم أيضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وأرضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان أهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدى له التشبيه (الا ما شاء ربك) استثناء من الخلود فى النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف فى صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثانى فانهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم فان التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقى وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه أن تكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقى أو مانع من الجمع وههنا المراد ان أهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين فى شخص باعتبارين أو لان أهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب أحيانا وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه أو من أصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم فى الموقف للحساب لان ظاهره يقتضى أن يكونوا فى النار حين يأتى اليوم أو مدة لبثهم فى الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل أن يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو

لا بد لها من مقل ومظل هما الارض والسموات فلا بد ان يكون السموات والارض موجودين فى الآخرة فلا يكون هذا التشبيه مفيدا له اذ الغرض من هذا التشبيه دوام ارتباط عذابهم بدوام السموات والارض لكن دوام عذابهم ثابت قبل اثبات السموات والارض كما قررنا فتأمل (قوله فان التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء) أى اذا قيل ان فلانا فى محل كذا خالد من اليوم الفلانى الى الابد فاذا لم يكن فى ابتداء ذلك اليوم فى المحل المذكور يصح ان يقال انه خالد فيه من ذلك اليوم الى الأبد الا فى ابتدائه (قوله وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى الخ) فيه نظر لان الاتصال بجناب القدس أمر روحانى وهذا لا يوجب عدم كون المتصل فى الجنة وخروجها عنها والعبارة من الواضحة ان يقال المراد من خالدين فيها خالدين فى نعيمها والتنعم بها وحينئذ يكون الاستثناء من الخالدين صحيحا لأنه يصح أن يكون فى الجنة ولا يكون فى التنعم بنعيمها لعدم تلذذه بما فيها لاتصاله بما هو أعلى منها والذهول عنها (قوله وعلى هذا التأويل يحتمل أن يكون الاستثناء الخ) ظاهر العبارة انه يحتمل على التأويل الثانى وهو ان يكون المستثنى مدة لبثهم فى الدنيا والبرزخ أن يكون الاستثناء استثناء من الخلود ويرد الاحتمال الاوّل أيضا وهو ان يكون المستثنى الوقوف فى الموقف للحساب ان يكون استثناء من الخلود أيضا فالوجه ان يقال ان المراد من قوله هذا التأويل هو جعله استثناء من أصل الحكم فيكون المعنى اذا جعل الاستثناء استثناء من أصل الحكم يمكن أن يجعل الاستثناء من الخلود أيضا غاية ما فى الأمر ان يكون مستثنى واحد مستثنى من شيئين وهو جائز اذا لم يختل المعنى كقول القائل ما هو

أب ولا ان الازيد اصرح به الرضى (قوله ولأجله فرق بين الثواب والعقاب بالتأبيد) أى لأجل ان هذه الآية صريحة فى تأبيد النعيم والثواب وكون الآية الأولى غير صريحة فى تأبيد العذاب كما مر وان كان كونهم فى النار خالدا اذ لا يلزم من الكون فى النار العذاب لان الله تعالى يقدر على دفع ضرر النار كما دفع ضرها عن ابراهيم عليه السلام ذهب بعض الأكابر الى انقطاع العذاب دون الثواب (قوله يقتضى التماثل فى المسببات) ليس المراد انه يستلزم ذلك بل المراد ممن شأنه ان يكون كذلك (قوله فانك تقول وفيته حقه الخ) فاما اذا قيل غير منقوص ذهب الاحتمال المذكور اذ لا وجه لان يقال وفيت بعض حقه غير منقوص (قوله فحذفت أولاهن) اذ يلزم من حذف أحد الآخرين عدم الادغام الذى هو المقصود من القلب (قوله أو بالعكس) بان تكون اللام الثانية للتوطئة والاولى للتأكيد فعلى هذا يكون التقدير وان كلا والله لما ليوفينهم وعلى التقدير الاول يكون المعنى وان كلا لوالله ليوفينهم حتى يكون اللام للتأكيد الداخل على خبر ان (قوله ولذلك قال عليه السلام شيبتنى هود) فان قلت قد مر ردت هذه العبارة وهو فاستقم كما أمرت فى سورة الشورى أيضا فلم نسب التشييب الى سورة هود ولم ينسبه الى الشورى قلنا ما الأجل ان نزول سورة هود أسبق واما لاقتران الأمر بالاستقامة بافتران أمر أمه بها والحال انه صلى الله عليه وسلم شديد الشفقة على أمته فشق عليه أمر أمته بالاستقامة لخوفه من عدم اطاعتهم ولاستحقاقهم العذاب وقال بعض المحققين ان نسبة التشييب الى سورة هود ليست لأجل الآية الواردة بل لأجل الآية لواردة فى قصة هود وهو قوله تعالى ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها فانه صريح فى ان لا اختيار للمخلوقين بل هم تحت حكم قدرة خالقهم يذهبون اضطرارا الى حيث تقسرون عليه فشق عليه صلى الله عليه وسلم ان العباد مأمورون مكلفون مع

من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا هنا بمعنى سوى كقولك على ألف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ماشاء ربك من الزيادة التى لا آخر لها على مدة بقاء السموات والأرض (ان ربك فعال لما يريد) من غير اعتراض (وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على أن المراد من الاستثناء فى الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب بالتأبيد وقرأ حمزة والكسائى وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى أسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد أى أعطوا عطاء أو الحال من الجنة (فلا تك فى مرية) شك بعد ما أنزل عليك من ما ل أمر الناس (مما يعبد هؤلاء) من عبادة هؤلاء المشركين فى أنها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم أو من حال ما يعبدونه فى أنه يضر ولا ينفع (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) استئناف معناه تعليل النهى عن المرية أى هم وآباؤهم سواء فى الشرك أى ما يعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم أو ما يعبدون شيأ الامثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل فى الاسباب يقتضى التماثل فى المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف للدلالة من قبل عليه (وانا لموفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كآبائهم أو من الرزق فيكون عذرا لتأخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه (غير منقوص) حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء فى القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) بمعنى وان كفار قومك (لفى شك منه) من القرآن (مريب) موقع فى الريبة (وان كلا) وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل (لما ليوفينهم ربك أعمالهم) اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد أو بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان أصله لمن ما فقلبت النون ميما لادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت أولاهن والمعنى لمن الذين يوفيهم ربك جزاء أعمالهم وقرئ لما بالتنوين أى جميعا كقولهأ كلا وما وان كل لما على أن ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به (انه بما يعملون خبير) فلا يفوته شئ منه وان خفى (فاستقم كما أمرت) لما بين أمر المختلفين فى التوحيد والنبوة وأطنب فى شرح الوعد والوعيد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما أمر بها وهى شاملة للاستقامة فى العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحى وبيان الشرائع كما أنزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهى فى غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيبتنى هود (ومن تاب معك) أى تاب من الشرك والكفر وآمن

انهم تحت حكم القادر على المحال المذكور (قوله وفى الآية دليل على وجوب اتباع النصوص الخ) هذا يمكن أن يستفاد من قوله تعالى فاستقم كما أمرت لأن الخروج عن مقتضى النصوص والتمسك بالقياس مع وجود هذا ذهاب عن المأمور به وعن حكم النص الى الاجتهاد وهو خلاف الاستقامة وان يستنبط من قوله ولا تطغوا فان التجاوز عن النصوص طغيان وخروج عن الحد (قوله الى من وجد منه ما يسمى ظلما) هذا بالنظر الى ان الذين ظلموا من وجد منه الظلم فى الزمان الماضى ولا يخفى ان هذا فى غير التائب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له (قوله ثم لا تستبعاد نصره اياهم) لا يخفى ان ثم وقع على عدم النصر لا على النصر فتعين استبعاده فهذا وأمثاله يفيدان ثم يكون لاستبعاد ما سيجىء بعدها أعم من أن يكون متصلا بها أولا (قوله لأنه مضاف الى الظرف) أى لما كان ظرفى النهار مضافا الى النهار صار فى حكم الظرف (قوله وقيل الظهر والعصر) هذا هو الاولى لأنه على تفسير المصنف لزم عدم ذكر الظهر (قوله عدل عن المضمر الخ) اى ليكون لفظة الاحسان كالبرهان على عدم الاضاعة فان الاحسان يقتضى أن لا يضاع (قوله وايماء بأنه لا يعتد بهما دون الاخلاص) فيكون الاحسان هو الاخلاص لأن من لا يخلص العمل فهو غير محسن ولذا ورد فى الحديث ان تعبد الله كأنك تراه (قوله أولو بقية من الرأى والعقل) اسابها تسمية الرأى والعقل بالبقية لبقاء أثرهما (قوله أفضل مما يخرجه) أى أفضل من جنس ما يخرجه من ماله (قوله ولا يصح اتصاله الا اذا جعل الخ) النفى اللازم من التخصيص هو ان ليس من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد وحينئذ يصح الاتصال اذ يصح ان يقال ليس من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد الا قليلا ممن أنجيناهم

معك وهو عطف على المستكن فى استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عما حدا لكم (انه بما تعملون بصير) فيهو يجازيكم عليه وهو فى معنى التعليل للامر والنهى وفى الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) ولا تميلوا اليهم أدنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيى بزيهم وتعظيم ذكرهم واستدامته (فتمسكم النار) بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين أى الموسومين بالظلم ثم الميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية أبلغ ما يتصور فى النهى عن الظلم واتخذ به دليله وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التى هى العدل فان الزوال عنها بالميل الى أحد طرفى افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه أو غيره بل ظلم فى نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من أركنه (ومالكم من دون الله من أولياء) من أنصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال (ثم لا تنصرون) أى ثم لا ينصركم الله اذ سبق فى حكمه أن يعذبكم ولا يبقى عليكم ثم لاستبعاد نصره اياهم وقد أوعدهم بالعذاب عليه وأوجبه لهم ويجوز أن يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وأن غيره لا يقدر على نصرهم أنتج ذلك أنهم لا ينصرون أصلا (وأقم الصلوة طرفى النهار) غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه (وزلفا من الليل) وساعات منه قريبة من النهار فانه من أزلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لانها أقرب الصلاة من أول النهار وصلاة العشية صلاة العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر فى بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة (ان الحسنات يذهبن السيآت) يكفرنها وفى الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما اجتنبت الكبائر وفى سبب النزول أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى قد أصبت من امرأة غير أنى لم آتها فنزلت (ذلك) اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين (واصبر) على الطاعات وعن المعاصى (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) عدول عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على أن الصلاة والصبر احسان وايماء بأنه لا يعتد بهما دون الاخلاص (فلولا كان) فهلا كان (من القرون من قبلكم أولو بقية) من الرأى والعقل أو أولو فضل وانما سمى بقية لان الرجل يستبقى أفضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم أى من خيارهم ويجوز أن يكون مصدرا كالتقية أى ذوو ابقاء على أنفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده أنه قرئ بقية وهى المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه (ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن أنجيناهم) لكن قليلا منهم أنجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفى اللازم للتحضيض (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) ما أنعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل

(قوله وأتبع الذين ظلموا جزاء ما أترفوا) أى صار تابعا لهم فيكون جزاء ما أترفوا فاعلا مؤخرا عن مفعوله وانما يعضده ماذكر لان حصول النجاة للبعض يناسب حصول العذاب لمخالفيهم (قوله فتكون الواو للحال) وبكون صاحب الحال ضمير منه (قوله ويجوز أن تفسر به المشهورة) أى يجوز أن يفسر به اتبع على القراءة المشهورة (قوله ولذلك قدم (١٢٥) الفقهاء الخ) أى لاجل ان الله تعالى سامح فى حقه وهو رفع الشرك واستئصال المشركين ولم يسامح فى حق العباد بظلم بعضهم على بعض بل يستأصل الظالمين قدم الفقهاء حقوق العباد اذا اجتمع حقوق الله تعالى وحقوق الناس وههنا كلام وهو ان الفقهاء قالوا اذا اجتمع حق الله كالزكاة ودين الناس على حى ولم يكن محجورا عليه قدم حق الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم فدين الله أحق أن يقضى متفق عليه وان كان محجورا عليه قدم حق الآدمى ويؤخر حق الله تعالى مادام حيا وأما اذا اجتمعا فى تركة الميت فحق الله مقدم وظهر ان اطلاق المصنف مخالف لكلام الفقهاء (قوله وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة الخ) اما الاول فلانه أمر الكل بان يكونوا أمة واحدة مسلمين لكنه لم يشأ ذلك اذ لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة مسلمين وأما الثانى والثالث فظاهر (قوله أو اليه والى الرحمة) أى

أسبابها وأعرضوا عما وراء ذلك (وكانوا مجرمين) كافرين كأنه أراد أن يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهى عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع معطوف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فبينوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع أو اعتراض وقرئ وأتبع أى وأتبعوا جزاء ما أترفوا فتكون الواو للحال ويجوز أن تفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) بشرك (وأهلها مصلحون) فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته فى حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العبادة وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على أن الامر غير الارادة وأنه تعالى لم يرد الايمان من كل أحد وأن ما أراده يجب وقوعه (ولا يزالون مختلفين) بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا (الا من رحم ربك) الا اناسا هداهم الله من فضله فانفقوا على ما هو أصول دين الحق والعمدة فيه (ولذلك خلقهم) ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة أو اليه والى الرحمة وان كان لمن قال الرحمة (وتمت كلمة ربك) وعيد أو قوله للملائكة (لأملأن جهنم من الجنة والناس) أى من عصاتهما (أجمعين) أو منهما أجمعين لامن أحدهما (وكلا) وكل نبأ (نقص عليك من أنباء الرسل) نخبرك به (ما نثبت به فؤادك) بيان لكلا أو بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداء الرسالة واحتمال أذى الكفار أو مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من أنباء الرسل (وجاءك فى هذه) السورة أو الانباء المقتصة عليك (الحق) ما هو حق (وموعظة وذكرى للمؤمنين) اشارة الى سائر فوائده العامة (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم) على حالكم (انا عاملون) على حالنا (وانتظروا) بنا الدوائر (انا منتظرون) أن ينزل بكم نحو ما نزل على أمثالكم (ولله غيب السموات والارض) خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما (واليه يرجع الامر كله) فيرجع لا محالة أمرهم وأمرك اليه وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك وفى تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على أنه انما ينفع العابد (وما ربك بغافل عما تعملون) أنت وهم فيجازى كلا ما يستحقه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء هنا وفى آخر النمل * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى

﴿سورة يوسف عليه السلام مكية وآيها مائة واحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

لهما معا أى للمجموع منهما فيكون خلق الناس لهذين الامرين أى الاختلاف والرحمة وتكون الرحمة متعلقة بالبعض (قوله أى من عصاتهما أجمعين أو منهما أجمعين لامن أحدهما) فالاول استغراق أشخاص العصاة والثانى لشمول الصنفين وهذا يدل على ان أجمعين يجوز ان يكون تأكيدا للثنى وهو خلاف ما قاله النحاة (قوله تنبيه على انه انما ينتفع به العابد) أى التوكل انما ينفع العابد دون غيره

﴿سورة يوسف﴾

(قوله وهو فى نفسه اما توطئة للحال) كونه توطئة للحال باعتبار كون المراد به السورة فانه بهذا المعنى بعينه لا يدل على هيئة صح بها ان يقع حالا نعم هو يدل على الهيئة باعتبار المعنى الاصلى الذى هو كونه مصدرا بمعنى المفعول فلذا جوّز كونه حالا باعتبار هذا المعنى (قوله لاشتماله على العجائب الخ) اما العجائب فتمكن يوسف من امرأة العزيز غاية مع صون نفسه وقطع النساء أيديهن من التعجب والهيمان فى حسنه ووصوله من كونه عبدا الى السلطنة بواسطة تعبير المنامات ووقوعها على ماعبره ووجدان يعقوب ريحه من مسافة أيام ولا يخفى ان ماذكر آيات وعبر واما (١٢٦) الحكم فلاشتماله على ماورد من البلاء والرخاء عليه فثبت قلبه على الصبر والسكون فى كل ماوقع فيستحق به أجرا وعلى تنبيه السامع على ان لا يتضجر عما وقع عليه من البلاء لانه قد يفضى الى سعادة الدارين وعلى الاشارة بنبوّته فى أوّل الأمر برؤياه وعلى تقلبه فى أطوار الشدة والرخاء ليستعد للسلطنة لان السلطان يناسبه التقلب المذكور حتى يعلم ايقاع كل منهما موقعه وفيها غير ماذكر كما لا يخفى (قوله وفى كل ذلك خلاف) الظاهر ان مراده انهم اختلفوا فى هذه الاحتمالات فبعضهم اختار بعضها والبعض الآخر منهم اختار البعض الآخر منها (قوله كالنقض والسلب) النقض بفتحتين بمعنى المنقوض والسلب المسلوب (قوله يعنى السورة) يعنى المراد من قوله تعالى هذا القرآن السورة (قوله على التلعب) يعنى المراد أى على جعله علما تارة بضم السين وتارة بفتحها وأخرى بكسرها باختلاف الروايات (قوله لتناسبهما فى الزيادة) أى لكون كل منهما من الحروف التى الزيادة ولان التاء علامة التأنيث كما قد تكون الياء علامة له أيضا فى اسم الاشارة والفعل المضارع للواحدة المخاطبة (قوله ولذلك قلبها هاء فى الوقف الخ) أى لاجل ان التاء تاء التأنيث قلبها فى القراءة المذكورة هاء فى الوقف (قوله وكسرها لانها عوض حرف يناسبها) أى كسر التاء لان التاء عوض عن حرف يناسب الكسرة وهو الياء فكسروا التاء ليدل على انها مقلوبة عن الياء (قوله لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم) أى منزلة ياء المتكلم التى هى اسم

(الر تلك آيات الكتاب المبين) تلك اشارة الى آيات السورة وهى المراد بالكتاب أى تلك لآيات آيات السورة الظاهر أمرها فى الاعجاز أو الواضحة معانيها أو المبينة لمن تدبرها أنها من عند الله أو لليهود ماسألوا اذ روى ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشأم الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت (انا أنزلناه) أى الكتاب (قرآنا عربيا) سمى البعض قرآنا لانه فى الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو فى نفسه اما توطئة للحال التى هى عربيا أو حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له أو حال من الضمير فيه أو حال بعد حال وفى كل ذلك خلاف (لعلكم تعقلون) علة لانزاله بهذه الصفة أى أنزلناه مجموعا أو مقروأ بلغتكم كى تفهموه وتحيطوا بمعانيه أو تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا أن اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء (نحن نقص عليك أحسن القصص) أحسن الاقتصاص لانه اقتص على أبدع الاساليب أو أحسن مايقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص أثره اذا تبعه (بما أوحينا اليك) أى بايحائنا (هذا القرآن) يعنى السورة ويجوز أن يجعل هذا مفعول نقص على أن أحسن نصب على المصدر (وان كنت من قبله لمن الغافلين) عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (اذ قال يوسف) بدل من أحسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال أو منصوب باضمار اذكر ويوسف عبرى ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على أنه مضارع بنى للمفعول أو الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته (لابيه) يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم عليهم السلام وعنه عليه الصلاة والسلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (ياأبت) أصله ياأبى فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما فى الزيادة ولذلك قلبها هاء فى الوقف ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر فى كل القرآن لانها حركة أصلها أو لانه كان ياأبتا فحذف الالف وبقى الفتحة وانما جاز ياأبتا ولم يجز ياأبتى لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كأصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب (انى رأيت) من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك ولقوله هذا تأويل رؤياى من قبل (أحد عشر كوكبا والشمس والقمر) روى عن جابر رضى الله تعالى عنه أن يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرنى يا محمد عن النجوم

التى رآهن يوسف فكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال اذا أخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذوالكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى اى والله انها لأسماؤها (رأيتهم لى ساجدين) استئناف لبيان حالهم التى رآهم عليها فلا تكرير وانما أجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم (قال يابنى) تصغير ابن صغره للشفقة أولصغر السن لانه كان ابن اثنتى عشرة سنة وقرأ حفص هنا وفى الصافات بفتح الياء (لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه أن الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير أنها مختصة بما يكون فى النوم فرق بينهما بحر فى التأنيث كالقربة والقربى وهى انطباع الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ فتتصور بما فيهما مما يليق بهما من المعانى الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تأكيدا ولذلك أكد بالمصدر وعلله بقوله (ان الشيطان للانسان عدو مبين) ظاهر العداوة لما فعل بآدم عليه السلام وحوّاء فلا يألو جهدا فى تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد (وكذلك) أى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس (يجتبيك ربك) للنبوة والملك أولامور عظام والاجتباء من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك (ويعلمك) كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك (من تأويل الاحاديث) من تعبير الرؤيا لانها أحاديث الملك ان كانت صادقة وأحاديث النفس أوالشيطان ان كانت كاذبة أومن تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كأباطيل اسم جمع للباطل (ويتم نعمته عليك) بالنبوة أوبان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة (وعلى آل يعقوب) بريديه سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب أونسله (كما أتمها على أبويك) بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم (من قبل) أى من قبلك أومن قبل هذا الوقت (ابراهيم واسحق) عطف بيان لابويك (ان ربك عليم) بمن يستحق الاجتباء (حكيم) يفعل الاشياء على ما ينبغى (لقد كان فى يوسف واخوته) أى فى قصتهم (آيات) دلائل قدرة الله تعالى وحكمته أوعلامات نبوتك وقرأ ابن كثير آية (للسائلين) ان سأل عن قصتهم والمراد باخوته بنو علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وزابلون وبشخر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب أولا فلما توفيت تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين و يوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ وأربعة آخرون دان ونفتالى وجاد وآشر من سريتين زلفة و بلهة (اذ قالوا ليوسف وأخوه) بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين (أحب الى أبينا منا) وحده لان أفعل من لا يفضل فى حيز بين الواحد ومافوقه والمذكر ومايقابله بخلاف أخويه فان الفرق واجب فى المحلى جائز فى المضاف (ونحن عصبة) والحال أنا جماعة أقوياء أحق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم (ان أبانا لفى ضلال مبين) لتفضيله المفضول أوترك التعديل فى المحبة

(قوله من أفق المتخيلة الى الحس المشترك) المتخيلة قوة حاصلة فى مقدم البطن الاوسط من الدماغ شأنها تركيب الصور والمعانى بعضها ببعض وشأنها ان تفعل فى اليقظة والنوم فاذا فرغ الحس المشترك من الصور المتأدية من الخارج بسبب النوم عملت المتخيلة تركيب الصور والمعانى بعضها مع بعض وبعد التركيب انطبعت تلك الصور فى الحس المشترك فصارت فى حكم المرئى (قوله لتضمنه معنى فعل يتعدى به تأكيدا) هذا الفعل هو احتال (قوله كلام مبتدأ خارج عن التشبيه) تبع فى هذا الكشاف وهو من تدقيقاته فان تشبيه الاجتباء بالنبوة والأمور العظام بالاجتباء بالرؤيا المذكورة يلائم غاية الملائمة بخلاف تشبيه التعليم بالاجتباء فى الرؤيا المذكورة فانه ليس بملائم تلك الملائمة فان الاجتباء المقيد بالرؤيا المذكورة يناسبه ان يقابله اجتباء مقيد بشئ آخر دون التعليم كما لا يخفى على من له ذوق صحيح فتأمل (قوله والمراد باخوته بنو علاته العشرة) المراد من العلات الاخوة الذين أبوهم واحد وأمهاتهم شتى (قوله لاختصاصه بالاخوة من الطرفين) أى لاختصاصه بانه أخو يوسف من الاب والام

روى أنه كان أحب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له (اقتلوا يوسف) من جملة المحكى بعد قوله اذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الأمر الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل انما قاله شمعون أو دان ورضى به الآخرون (أو اطرحوه أرضا) منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة (يخل لكم وجه أبيكم) جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه أبيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم فى محبته أحد (وتكونوا) جزم بالعطف على يخل أو نصب باضمار أن (من بعده) من بعد يوسف أو الفراغ من أمره أو قتله أو طرحه (قوما صالحين) تائبين الى الله تعالى عما جنيتم أو صالحين مع أبيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه أو صالحين فى أمر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه أبيكم (قال قائل منهم) يعنى يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وقيل روبيل (لا تقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (وألقوه فى غيابت الجب) فى قعره سمى بها لغيبوبته عن أعين الناظرين وقرأ نافع فى غيابات فى الموضعين على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد (يلتقطه) يأخذه (بعض السيارة) بعض الذين يسيرون فى الارض (ان كنتم فاعلين) بمشورتى أو ان كنتم على أن تفعلوا ما يفرق بينه وبين أبيه (قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف) لم تخافنا عليه (وانا له لناصحون) ونحن نشفق عليه ونريد له الخير أرادوا به استنزاله عن رأيه فى حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء (أرسله معنا غدا) الى الصحراء (نرتع) نتسع فى أكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهى الخصب (ونلعب) بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على أنه من ارتعى يرتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفى يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من أرتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء (وانا له لحافظون) من أن يناله مكروه (قال انى ليحزننى أن تذهبوا به) لشدة مفارقته علىّ وقلة صبرى عنه (وأخاف أن يأكله الذئب) لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى فى المنام أن الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره عليه وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع فى رواية قالون وفى رواية اليزيدى وأبو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة (وأنتم عنه غافلون) لاشتغالكم بالرتع واللعب أو لقلة اهتمامكم بحفظه (قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة) اللام موطئة لقسم وجوابه (انا اذا لخاسرون) ضعفاء مغبونون أو مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو فى ونحن عصبة للحال (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابت الجب) وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس أو بئر بأرض الاردن أو بين مصر ومدين أو على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى أنهم لما برزوا به الى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا أما عاهدتمونى أن لا تقتلوه فأتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى أتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها ألقوه وكان فيها ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكى فجاءه جبريل بالوحى كما قال (وأوحينا اليه) وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا أوحى اليه فى صغره كما أوحى الى يحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وفى القصص ان ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل

(قوله أو نصب باضمار ان) قال الطيبى فيكون المعنى يخل لكم وجه أبيكم مع كونكم قوما صالحين (قوله وحده) أى أورد صيغة الواحد والحال انه صيغة الاثنين يوسف وأخيه لما ذكر من ان أفعل اذا استعمل بمن فرد مذكر لا غير (قوله بخلاف أخويه) أى أفعل التفضيل المحلى باللام والمضاف (قوله لان الامور تعصب بهم) أى قرنت بهم (قوله وهو معنى تنكيرها وابهامها) أى المقصود من تنكير الارض وابهامها كونها بعيدة فان التنكير قد يقصد به النوع والمراد به ههنا النوع من الارض وهو البعيد (قوله يصف لكم) من صفا يصفو أى يخلص لكم من غير شركة يوسف عليه السلام (قوله واشتقاقه من تذاءبت الريح) الاخذ منه فان الذيب يأتى من كل جانب كالريح

عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله فى تميمة علقها بيوسف فأخرجه جبريل عليه السلام وألبسه اياه (لتنبئنهم بأمرهم هذا) لتحدثنهم بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) انك يوسف لعلو شأنك وبعده عن أوهامهم وطول العهد المغير للحلى والحيات وذلك اشارة الى ما قال لهم مصرحين دخلوا عليه عمتار بن فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه أمره أو بما نساله وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل بأوحينا أى آنسناه بالوحى وهم لا يشعرون ذلك (وجاؤا أباهم عشاء) أى آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشى وعشى بالضم والقصر جمع أعشى أى عشوا من البكاء (يبكون) متباكين روى أنه لما سمع بكاءهم فزع وقال مالكم يا بنى وأين يوسف (قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق) نتسابق فى العدو أو فى الرمى وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف (وجاؤا على قميصه بدم كذب) أى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو أى جاؤا كاذبين وكذب بالدال غير المعجمة أى كدر أو طرى وقيل أصله البياض الخارج على أظفار الاحداث فشبه به الدم اللاحق على القميص وعلى قميصه فى موضع النصب على الظرف أى فوق قميصه أو على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور وروى أنه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه ولذلك (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أى سهلت لكم أنفسكم وهونت فى أعينكم أمرا عظيما من السول وهو الاسترخاء (فصبر جميل) أى فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل أجمل وفى الحديث الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه الى الخلق (والله المستعان على ما تصفون) على احتمال ما تصفونه من اهلاك يوسف وهذه الجرمة كانت قبل استنبائهم ان صح (وجاءت سيارة) رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاث من القائه فيه (فأرسلوا واردهم) الذى يرد الماء ويستقى لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعى (فادلى دلوه) فارسلها فى الجب ليملأ فها فتدلى بها يوسف فلما رآه (قال يا بشرى هذا غلام) نادى ا بشرى بشارة لنفسه أو لقومه كأنه قال تعالى فهذا أوانك وقيل هو اسم لصاحب له اناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراى بالاضافة وأمال فتحة الراء حمزة والكسائى وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يا بشرى بالادغام وهو لغة و بشراى بالكون على قصد الوقف (وأسروه) أى الوارد وأصحابه من سائر الرفقة وقيل أخفوا أمره وقالوا لهم دفعه الينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فأتاه يومئذ فلم يجده فيها فأخبر اخوته فأتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا أبق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة أن يقتلوه (بضاعة) نصب على الحال أى أخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه مابضع من المال للتجارة (والله عليم بما يعملون) لم يخف عليه أسرارهم أو صنيع اخوة يوسف بأبيهم وأخيهم (وشروه) وباعوه فى مرجع الضمير الوجهان أو اشتروه من اخوته (بثمن بخس) مبخوس لزيفه أو نقصانه (دراهم) بدل من الثمن (معدودة) قليلة فانهم كانوا يزنون ما يبلغ الاوقية و يعدونه ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل كان اثنين وعشرين درهما (وكانوا فيه) فى يوسف (من الزاهدين) الراغبين عنه والضمير فى وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل

(قوله وفرط محبتك له) فان من افرط المحبة لشئ لا تطمئن نفسه باعتقاد هلاكه ولا يسلم هلاكه (قوله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا) والمعنى ما رأيت ذئبا أحلم من هذا الذئب قبل ذلك اليوم مثل رؤيتى هذا الذئب فى هذا اليوم (قوله فانه مابضع من المال للتجارة) أى شئ قطع من المال لها (قوله فى مرجع الضمير وجهان) أى يحتمل ان يكون المرجع الوارد والرفقة ويحتمل ان يكون اخوة يوسف

في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول (وقال الذي اشتراه من مصر) وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير أو اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليق وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور أنه من أولاد فرعون يوسف ولا آية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روى أنه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشر بن سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل ثمراءه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل ونوبان أبيضان وقيل مؤه فضة وقيل ذهبا (لامرأته) راعيل أو زليخا (أكرمي مثواه) اجعلي مقامه عندنا كريما أي حسنا والمعنى أحسني تعهده (عسى أن ينفعنا) في ضياعنا أو موالنا ونستظهر به في مصالحنا (أو نتخذه ولدا) نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله تعالى عنهما (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) وكما كنا محبته في قلب العزيز أو كما مكناه في منزله أو كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها (ولنعلمه من تاويل الاحاديث) عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه أي كان القصد في انجائه وتمكينه الى أن يقيم العدل ويدبر أمور الناس ويعلم معاني كتب الله تعالى وأحكامه فينفذها أو تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعدها ويشتغل بتدبيرها قيل أن تحمل كما فعل اسنبه (والله غالب على أمره) لا يرده شئ ولا ينازعه فيما يشاء أو على أمر يوسف أراد به اخوته شيأ وأراد الله غيره فلم يكن الا ما أراده (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الامر كله بيده أو لطائف صنعه وخفايا لطفه (ولما بلغ أشده) منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم (آتيناه حكما) حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكما بين الناس (وعلما) يعني علم تاويل الاحاديث (وكذلك نجزي المحسنين) تنبيه على أنه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان أمره (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) طلبت منه وتحملت أن يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب اطلب شئ ومنه الرائد (وغلقت الابواب) قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير أو للمبالغة في الايثاق (وقالت هيت لك) أي أقبل و بادر أو تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كأين والله لتبيين كالتي في سقيالك وقرأ ابن كثير بالضم وفتح الهاء تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وقرأ هشام كذلك الا أنه يهمز وقد روي عنه ضم التاء وهو لغة فيه وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وقرئ هئت وعلى هذا فاللام من صلته (قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذا (انه) أن الشأن (ربي أحسن مثواي) سيدي قطفير أحسن تعهدي اذ قال لك في أكرمي مثواه فاجازؤه أن أخونه في أهله وقيل الضمير لله تعالى أي انه خالقي أحسن منزلتي بان عطف على قلبه فلا أعصيه (انه لا يفلح الظالمون) المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزاني ظالم على الزاني والمزني بأهله (ولقد همت به وهم بها) قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشئ قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشئ أمضاه والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم

(قوله تعالى أشده) قال صاحب الصحاح هو مفرد في لفظ الجمع مثل آنك ولا نظير لهما (قوله والتشديد للتكثير وللمبالغة في الاتيان يعني باب التفعيل باعتبار كثرة التغليق بسبب كثرة الابواب أو باعتبار المبالغة في التغليق بسبب الاهتمام به فان باب التفعيل يجيء للمعنيين (قوله واللام للتبيين) أي ليس للصلة اذ لا يقتضيه اسم الفاعل وكون اللام للتبيين باعتبار ان معناه ان الخطاب لك فيكون لتبيين المخاطب واعلم ان تفسير هيت بهيس في الصحاح بل هو مذكور في كتاب المغني لكنه صرح بانه اذا كان بمعنى تهيات كان اللام صلة له لا للتبيين قال واما قوله تعالى وقالت هيت لك فمن قرأ بهاء مفتوحة و ياء ساكنة وتاء مفتوحة او مضمومة أو مكسورة فهيت اسم فعل ثم قيل مسماه فعل ماض تهيات واللام متعلقة به كما تتعلق بمسماه لو صرح به وقيل مسماه فعل امر بمعنى أقبل وتعال واللام للتبيين أي ارادتي لك أو قولي لك

أومشارفة الهم كقولك قتلته لولم أخف الله (لولا أن رأى برهان ربه) فى قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها الشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولايجوز أن يجعل وهم جواب لولا فانها فى حكم أدوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل تمثل له يعقوب عاضا على أنامله وقيل قطفير وقيل نودى يايوسف أنت مكتوب فى الانبياء وتعمل عمل السفهاء (كذلك) أى مثل ذلك التثبيت نثبتناه أوالامر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنا (انه من عبادنا المخلصين) الذين أخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر فى كل القرآن اذا كان فى أوله الالف واللام أى الذين اخلصوا دينهم لله (واستبقا الباب) أى تسابقا الى الباب فحذف الجار أوضمن الفعل معنى الابتدار وذلك أن يوسف فر منها ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج (وقدت قميصه من دبر) اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا (وألفيا سيدها) وصادفا زوجها (لدى الباب) قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن أوعذاب أليم) ابهاما بأنها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراء به لتنتقم امنه وماناقية أواستفهامية بمعنى أى شئ جزاؤه الاالسجن (قال هى راودتنى عن نفسى) طالبتنى بالمؤاتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن أوالعذاب الاليم ولولم تكذب عليه لما قاله (وشهد شاهد من أهلها) قيل ابن عم لها وقيل ابن خال لها صبيا فى المهد وعن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم أربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام وانما ألقى الله الشهادة على لسان أهلها لتكون ألزم عليها (ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) لانه يدل على أنها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها أوأنه أسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه (وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) لانه يدل على أنها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول أوعلى أن فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها أدت مؤداها والجم بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان أحسنت الى اليوم فقد أحسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن على باحسانك أمنن عليك باحسانى لك السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل و بعد بالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف و بسكون العين (فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه) ان قولك ماجزاء من أراد بأهلك سوأ أوان السوء أوان هذا الامر (من كيدكن) من حيلتكن والخطاب لها ولاماثلها أولسائر النساء (ان كيدكن عظيم) فان كيد النساء ألطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيرا فى النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة (يوسف) حذف منه حرف النداء لقربه وتنفطنه للحديث (أعرض عن هذا) لاتحدثه (واستغفرى لذنبك) ياراعيل (انك كنت من الخاطئين) من القوم المذنبين من خطئ اذا أذنب متعمدا والتذكير للتغليب (وقال نسوة) هى اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقى ولذلك جودفعله وضم النون لغة فيها (فى المدينة) ظرف لقال أى أشعن الحكاية فى مصر أوصفة لنسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقى والخباز والسجان وصاحب الدواب (امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه) تطلب موافقة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك وأصل فتى فتيو لهم فتيان والفتوة شاذة (قد شغفها حبا) شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا وانتصابه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فأحرقه (انا لنراها فى ضلال مبين) فى ضلال عن الرشد و بعد عن الصواب (فلما سمعت

(قوله قتلته لولم أخف الله) فان المراد من قتلته المشارفة على القتل لا نفسه والمعنى شارفت على القتل لولم أخف الله لقتلته (قوله بالكسر) أى بكسر لام المخلصين (قوله أوالامر مثل ذلك) فعلى هذا يكون التقدير فعلنا ما فعلنا لنصرف عنه السوء (قوله أوضمن الفعل معنى الابتدار) أى ابتدر الباب مسابقين (قوله تعالى وألفيا سيدها) أى زوجها اعلم يقال سيده وسيدهما لان منشأ الغيرة والقهر الزوجية فتطلا لكونه صاحبا له (قوله والجمع بين ان وكان الخ) يفهم منه انه لايجوز الجمع بين ان وكان الااذا قدر شئ لان ان مقتضاه الاستقبال وكان يعنى الماضى لاينقلب الى الاستقبال (قوله فحذفها من لصرف للعلمية والتأنيث المعنوى) لان معناها الجهة التى هى مؤنث (قوله وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقى) أى تأنيث نسوة غير حقيقى لانه بالتأويل باعتبار الجمعية ولهذا جرد فعله عن التأنيث لانك فى الظاهر غير الحقيقى بالخيار (قوله وأصل فتى فتى) أى هو يائى لاواوى والاقيل فى تثنيته فتوان (قوله لصرف الفعل عنه) أى الاصل ان ينسب شغف الى الحب ويقال قد شغف

يمكرهن) باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن أخفينه كما يخفى الماكر مكره أو لظن ذلك لترين يوسف أولانها استكتمتهن سرها فأفشينه عليها (أرسلت اليهن) تدعوهن فيصدعت أربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات (وأعتدت لهن متكأ) ما يتكئن عليه من الوسائد (وآتت كل واحدة منهن سكينا) حتى يتكئن والسكاكين بأيديهن فاذا خرج عليهن يهتهن ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها فيكبرن بالجة أو بهاب يوسف مكرها اذا خرج وحده على أربعين امرأة في أيديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما أو مجلس طعام فانهم كانوا يتكؤن للطعام والشراب ترفا ولذلك نهى عنه قال جميل

فظللنا بنعمة واتكأنا ✽ وشربنا الحلال من قلله

وقيل المتكأ طعام يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمتزاح ومتكاه وهو الاترج أو ما يقطع من متك الشئ اذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكأ اذا اتكأ (وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه) عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل أكبرن بمعنى حضن من أكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر أو ليوسف عليه الصلاة والسلام على حذف اللام أي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي

خف الله واسترذا الجمال بربقع ✽ فان لحت حاضت في الخدور العواتق

(وقطعن أيديهن) جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة (وقلن حاش لله) تنزيها له من صفات العجزة تعجبا من قدرته على خلق مثله وأصله حاشا كما قرأه أبو عمرو في الدرج فحذف ألفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف أي صار في ناحية الله مما يتوهم فيه (ما هذا بشرا) لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم و بشرى أي بعبد مشترى لئيم (ان هذا الا ملك كريم) فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة أو لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك (قالت فذلكن الذي لمتنني فيه) أي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان به قبل أن تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني أو فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) فامتنع طلبا للعصمة أقررت لهن حين عرفت أنهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته (ولئن لم يفعل ما آمره) أي ما آمره به فحذف الجار أو أمري اياه بمعنى موجب أمري فيكون الضمير ليوسف (ليسجنن وليكونا من الصاغرين) من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كتسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين (قال رب السجن) وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر (أحب الي مما يدعونني اليه) أي آثر عندي من مؤاتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها ودعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به أن يسأل

حبه فلما صرف عنه الى يوسف نصب على التمييز كما في طاب زيد أبا اذ الاصل طاب ابو زيد فلما صرف طاب عن الاب ونسب الى زيد نصب أبا على التمييز (قوله و بشرى) بكسر الباء فيكون من حروف الجر و يكون المعنى ما هذا ملتبسا بشرى اى عبد مشترى لهم بل هو ملك كريم (قوله يعاونها على الانة عريكته) أي على تليين شدة يوسف وامالته على اطاعتها (قوله وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر) أي بفتح الشين (قوله ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من سأل الصبر) لان سؤال الصبر متضمن للبلاء لان الصبر يكون على البلاء ولا يليق بالعبد ان يسأل البلاء من الله تعالى وعلى تقدير عدم تضمنه لم يكون سؤال العافية أولى لانه متضمن لسؤال عدم وقوعه في البلاء

الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر (والا تصرف عني) وان لم تصرف عني (كيدهن) في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة (أصب اليهن) امل الى جانبهن أوالى أنفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ أصب من الصبابة وهي الشوق (وأكن من الجاهلين) من السفهاء بارتكاب مايدعوني اليه فان الحكيم لايفعل القبيح أومن الذين لايعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء (فاستجاب له ربه) فأجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف (فصرف عنه كيدهن) فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان (انه هو السميع) لدعاء الملتجئين اليه (العليم) بأحوالهم ومايصلحهم (ثم بدا لهم من بعد مارأوا الآيات) ثم ظهر للعزيز وأهله من بعد مارأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء أيديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره (ليسجننه حتى حين) وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر مايكون منه أو يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم أوالعزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل (ودخل معه السجن فتيان) أي أدخل يوسف السجن وانفق أنه أدخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بهما يريدان أن يسماه (قال أحدهما) يعني الشرابي (اني أراني) أي في المنام وهي حكاية حال ماضية (أعصر خمرا) أي عنبا وسماه خمرا باعتبار مايؤل اليه (وقال الآخر) أي الخباز (اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه) تنهس منه (نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين) من الذين يحسنون تأويل الرؤيا أومن العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأيا في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم أومن المحسنين الى أهل السجن فاحسن الينا بتأويل مارأينا ان كنت تعرفه (قال لايأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) أي بتأويل ماقصصتما على أو بتأويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه أراد أن يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل أن يسعف الى ماسألاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد فقدم مايكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير (قبل أن يأتيكما ذلكما) أي ذلك التأويل (مما علمني ربي) بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن أوالتنجيم (اني تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) تعليل لما قبله أي علمني ذلك لاني تركت ملة أولئك (واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب) أوكلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار أنه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل أن يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة (ما كان لنا) ماصح لنا معشر الانبياء (أن نشرك بالله من شئ) أي شئ كان (ذلك) أي التوحيد (من فضل الله علينا) بالوحي (وعلى الناس) وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتنبيتهم عليه (ولكن أكثر الناس) المبعوث اليهم (لايشكرون) هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون أومن فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن أكثرهم لاينظرون اليها ولايستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها (ياصاحبي السجن) أي ياساكنيه أو ياصاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله * ياسارق الليلة أهل الدار * (أأرباب متفرقون) شتى متعددة متباينة الاقدام (خير أم الله الواحد) المتوحد بالالوهية (القهار) الغالب الذي لايعادله ولا يقاومه غيره (ماتعبدون

(قوله قطع النساء أيديهن) فيه أن قطع النساء أيديهن دال على غاية حسن يوسف ولا يدل على براءته ولو قال واستعصامه عنهن مع قطعهن أيديهن لكان أولى لانه يدل على عصمته مع شدة حبهن له وميلهن اليه وهذا أدخل في العصمة (قوله انما لم يقل ذلك أول الامر بل طلب المهلة) لانه لو عبر رؤياهما أول الامر لا يمكن ان يشك فيه وأراد يوسف ان يقدم على التعبير أمورا دارت سببا لقبولهما تعبيره واليه أشار بقوله فقدم ما يكون الخ (قوله فانه يشبه تفسير المشكل) أي تسميته بالتأويل الذي هو التعبير ههنا لانه يشبه تفسير المشكل

(قوله بين لهم أولا برجحان التوحيد الخ) أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار حكم بأن كون الخالق لهم معبود واحد خير من ان يكون لهم معبودون مستقلة متعددة وهذا أمر ظني واما قوله ما تعبدون من دونه الخ حجة قاطعة على ان ما عبدوه ليست آلهة (قوله الظان يوسف ان ذكر ذلك الخ) فان الحاصل من الاجتهاد ليس الا الظن وان كان عن وحي فلا يمكن ان يكون الظان يوسف لان الوحي اليقين لا الظن الا ان يقال المراد من الظن اليقين (قوله فاضاف اليه المصدر للابسته له) أي الاصل ان يقول ذكر ما له لكن أضاف الذكر الى الرب للابسة بينهما (قوله لما لبث في السجن بضع سبعا بعد الخمس) هذا يدل على أن يوسف عليه السلام لبث في السجن اثنى عشر سنة وقوله تعالى فلبث في السجن بضع سنين يدل على انه ليس كذلك ويمكن ان يقال ان المراد انه لبث في السجن بعد الاستغاثة المذكورة بضع سنين وعلى هذا يحتمل ان يكون مدة مكثه قبل الاستغاثة وبعدها اثنى عشر سنة لكن قول المصنف سابقا في تفسير ليسجننه انه مكث سبع سنين ينافيه (قوله لكنها لا تليق بمنصب الانبياء) قال المحققون الاستغاثة بغير الله في دفع الظلم جائزة فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد بن أبي وقاص فنام وقال تعالى حكاية عن عيسى من أنصاري الى الله ولا خلاف في جواز الاستغاثة بالكفار في دفع الظلم والحرق والغرق الا أن يوسف عليه السلام عوتب على قوله اذكرني عند ربك لوجوه منها انه لم يقتد بالخليل جده عليه السلام - حين وضع في المنجنيق ولقيه جبرائيل في الهواء وقال هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا مع انه زعم انه اتبع ملة آبائه ومنها انه قال عند ربك ومعاذ الله انه زعم بانه الرب بمعنى الاله لان اطلاق هذا اللفظ على غير الله لا يليق عليه وان كان رب الدار ورب الغلام مستعملا في كلامهم الى غير ذلك من الوجوه (قوله وانما استغنى عن بيان ما لها بما قص من حال البقرات) أي اكتفى عن تفصيل حال السنابل بحال البقرات فكأنه قيل سبع سنبلات خضر وأخر يابسات حالها شبيه بحال البقرات سمان والبقرات العجاف لغلبة السنابل اليابسة على الخضر (قوله وأجرى السمان على المميز دون المميز الخ) أي جعل السمان صفة البقرات دون السبع والا لقيل سبع بقرات سمان وانما جعل كذلك لان التمييز أي تمييز هذه البقرات بما

(من دونه) خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر (الأسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) أي الأشياء باعتبار أسام أطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكأنكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى أنكم سميتم ما لا يدل على استحقاقه الالوهية عقل ولا نقل آلهة ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها (ان الحكم) ما الحكم في أمر العبادة (الا لله) لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره (أمر) على لسان أنبيائه (ألا تعبدوا الا اياه) الذي دلت عليه الحجج (ذلك الدين القيم) الحق وأنتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من تدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم أولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على أن ما يعبدونها آلهة و يعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيخبطون في جهالاتهم (ياصاحبي السجن أما أحدكما) يعني الشرابي (فيسقي ربه خمرا) كما كان يسقيه قبل و يعود الى ما كان عليه (وأما الآخر) بريد به الخباز (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) فقالا كذبنا فقال (قضي الامر الذي فيه تستفتيان) أي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤل اليه أمركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في أمرين لكنهما أرادا استبانة عاقبة ما نزل بهما (وقال للذي ظن أنه ناج منهما) الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا أن يؤول الظن باليقين (اذكرني عند ربك) اذكرني عند الملك كي يخلصني (فأنساه الشيطان ذكر ربه) فانسى الشرابي أن يذكره لربه فاضاف اليه المصدر للابسته له أو على تقدير ذكر اخبار ربه أو أنسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره و يؤيده قوله عليه الصلاة والسلام رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء (فلبث في السجن بضع سنين) البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع (وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) لما رأى فرعون رأى الملك سبع بقرات خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت الهازيل السمان (وسبع سنبلات خضر) قد انعقد حبها (وأخر يابسات) وسبعا أخر يابسات قد أدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبت عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات وأجرى السمان على المميز دون المميز

وقع فى مقابلها أى بالسمان فكانها التمييز حقيقة فوجب ان يكون مجرورا (قوله لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس) أى التمييز لبيان الجنس لكن لم يعلم من العجاف بيان الجنس فلا يصح جعله تمييزا ولك ان تقول لوجعل عجاف تمييزا وأضيف اليه السبع وقيل سبع عجاف علم ان سبع بقرات عجاف نقيضه للمتقابل فلما حذف المميز اجيز اقامة الموصوف مقامه فارتفع الاعتناء بشأن الوصف لان المقصود الابتلاء بالشدة بعد الرخاء وبيان الكمية بالعدد والكيفية بالبقرات تابع

المميزلان التمييز بها ووصف السبع الثانى بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه (يأيها الملأ أفتونى فى رؤياى) عبروها (ان كنتم للرؤيا تعبرون) ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهى الانتقال من الصور الخيالية الى المعانى النفسانية التى هى مثالها من العبور وهى المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان أو لتقوية العامل فان الفعل لما أخر عن مفعوله ضعف فقوى باللام كما هو الفاعل أو لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كأنه قيل ان كنتم تتدربون لعبارة الرؤيا (قالوا أضغاث أحلام) أى هذه أضغاث أحلام وهى تخاليطها جمع ضغث وأصله ما جمع من أخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة فى وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل وألتضمنه أشياء مختلفة (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة أى ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة فهو كأنه بمقدمة ثانية للعذر فى جهلهم بتأويله (وقال الذى نجا منهما) من صاحبى السجن وهو الشرابى (واد كر بعد أمة) وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة أى مدة طويلة وقرئ بكسر الهمزة وهى النعمة أى بعد ما أنعم عليه بالنجاة وأمه أى نسيان يقال أمه يأمه أمها اذا نسى والجملة اعتراض ومقول القول (أنا أنبئكم بتأويله فارسلون) أى الى من عنده علمه أو الى السجن (يوسف أيها الصديق) أى فارسل الى يوسف فجاء فقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ فى الصدق لانه جرب أحواله وعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه (أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) أى فى رؤياذلك (لعلى أرجع الى الناس) أعود الى الملك ومن عنده أو الى أهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه (لعلهم يعلمون) تأويلها أو فضلك ومكانك وانما بنيت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما بالرجوع فربما اخترم دونه ولا علمهم (قال تزرعون سبع سنين دأبا) أى على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين أو المصدر بإضمار فعله أى تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب فى العمل وقيل تزرعون أمر أخرجه فى صورة الخبر مبالغة لقوله (فما حصدتم فذروه فى سنبله) لئلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة (الاقليلا مما تأكلون) فى تلك السنين (ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن) أى يأكل أهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند الهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به (الاقليلا مما تحصنون) تحرزون لبذره والزراعة (ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس) يمطرون من الغيث أو يغاثون من القحط من الغوث (وفيه يعصرون) مايعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على تغليب المستفتى وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا أنجاه ويحتمل أن يكون المبنى للفاعل منه أى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا أو من أعصرت السحابة عليهم فعدى بنزع الخافض أو بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم

ومن ثم ترك التمييز فى القرائن الثلاث سبع عجاف وأخر يابسات سبع شداد (قوله وانما جمعوا للمبالغة فى وصف الحكم بالبطلان) أى بلغ هذا الحكم فى قوة الوصف بالبطلان الى درجة كأن قوة بطلانه فى مرتبة بطلان منامات باطلة متعددة (قوله أو لتضمنها أشياء مختلفة) أى لتضمنها أشياء مختلفة مشتملا كل منها على تخاليط فكأنه حصل فيه تخاليط متعددة فلذا جاء جمع (قوله وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة) أى قوله تعالى فما حصدتم فذروه على الاول وهو ان يكون تزرعون بمعناه الحقيقى نصيحة خارجة عن التعبير وقوله تعالى تزرعون دأبا داخل فى العبارة لأنه خبر وأما على التقدير الثانى وهو أن يكون تزرعون بمعنى الامر فهو أى تزرعون ايضا خارج عن العبارة (قوله تطبيقا بين المعبر والمعبر به) يعنى لما عبر البقرات بالسنين نسب الاكل الى السنين حتى يحصل التطابق بين المعبر وهو المنام وبين المعبر به وهو التأويل والتعبير (قوله على تغليب المستفتى) أى تغليب المخاطب الذى هو المستفتى عن تعبير الرؤيا (قوله أى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا) التوجيه الاول بالنظر الى المبنى للمفعول والثانى بالنظر الى صيغة المبنى للفاعل (قوله أو من أعصرت السحابة الخ) هذا معطوف على قوله من عصره (قوله فعدى بنزع الخافض) فيصير أعصرتهم السحابة فاذا بنى للمفعول وحذف الفاعل صار يعصرون وأما اذا كان أعصر بمعنى مطر فلا حاجة الى

بوا بعد ان أول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ماجمع فى السنين المخصبة فى السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحى أو بان انتهاء الجدب بالخصب أو بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ماضيق عليهم (وقال الملك ائتونى به) بعد ماجاءه الرسول باتعبير (فلما جاءه الرسول) ليخرجه (قال ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتى قطعن أيديهن) انما أنى فى الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم أنه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد أن يتوسل به الى تقبيح أمره وفيه دليل على انه ينبغى أن يجتهد فى نفى التهم ويتقى مواقعها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت فى السجن مالبث لأسرعت الاجابة ولما قال فاسأله مابال النسوة ولم يقل فاسأله أن يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ماصنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون (ان ربى بكيدهن عليم) حين قلن لى أطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى أنه برىء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن (قال ماخطبكن) قال الملك لهن ماشأنكن والخطب أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه (اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله) تنزيها له وتعجبا من قدرته على خلق عفيف مثله (ماعلمنا عليه من سوء) من ذنب (قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق) ثبت واستقر من حصحص البعير اذا أتى مبركه لينا خ قال

حصحص فى صم الصفا ثفناته * وناء بسلمى نوأة ثم صمما

أو ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) فى قوله هى راودتنى عن نفسى (ذلك ليعلم) فاله يوسف لما عاد اليه الرسول وأخبره بكلامهن أى ذلك التثبت ليعلم العزيز (أنى لم أخنه بالغيب) بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أو المفعول أى لم أخنه وأنا غائب عنه أو وهو غائب عنى أو ظرف أى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة (وأن الله لا يهدى كيد الخائنين) لا ينفذه ولا يسدده أو لا يهدى الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل فى خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله (وما أبرئ نفسى) أى لا أنزهها تنبيها على أنه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس أنه لما قال ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك (ان النفس لامارة بالسوء) من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح فى أثرها كل الأوقات (الا مارحم ربى) الا وقت رحمة ربى أو الا مارحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع أى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسوء على قلب الهمزة واوا ثم الادغام (ان ربى غفور رحيم) يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة أو يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه بما استغفره واسترحمه مما ارتكبه (وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى) أجعله خالصا لنفسى (فلما كلمه) أى فلما أتوابه فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء (قال انك اليوم لدينا مكين) ذو مكانة ومنزلة (أمين) مؤتمن على كل شئ روى انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسألك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعاله بالعبرية فقال الملك ماهذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال أحب أن

ماذكر فيكون بمعنى يطرون كما يقال مطرنا (قوله أو بان انتهاء الجدب بالخصب) مراده انه لما رأى السنبلات اليابسة سبعا تظن ان القحط فى سبع لاغير فيكون قوله ذلك اشارة الى قوله ثم يأتى من بعد ذلك عام (قوله وعن النبى صلى الله عليه وسلم الخ) فان قلت مافعله يوسف أولى أو مضمون ماقاله النبى صلى الله عليه وسلم قلت الثانى لان التخلص من البلاء اذا حصل الله تعالى سبب النجاة أولى لان ترك التخلص فرع طلب البلاء وهو خلاف الاولى والاولى طلب المعافاة من بلاء الله تعالى والعافية رزقنا هاالله تعالى (قوله حصحص الخ) النفثات جمع ثفنة بكسر الفاء وهى مايقع من أعضاء البعير على الارض وناء الحمل اذا أثقله والتصميم المضى فى الامر يعنى ركبت عليه سلمى ونهض بها وسار (قوله فاوقع الفعل على الكيد مبالغة) فيه انهم يقع فى التركيب فعل الهداية بل نفى عنه فلا يفيد المبالغة نعم لو كان الفعل مثبتا لافاد ماذكر ولهذا لم يذكره صاحب الكشاف ولاغيره

أسمع رؤياى منك فحكاها ونعته له البقرات والسنابل وأما كنهها على ما رآها فأجلسه على السرير وفوض اليه أمره وقيل توفى قطفير فى تلك الليالى فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا (قال اجعلنى على خزائن الارض) ولى أمرها والارض أرض مصر (انى حفيظ) لما يمن لايستحقها (عليم) بوجوه التصرف فيه واعلم عليه السلام لما رأى انه يستعمله فى أمره لا محالة آثر مائم فوائده وتحمل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولى من يد الكافر اذا علم انه لاسبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك أسلم على يده (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) فى أرض مصر (يتبوّأ منها حيث يشاء) ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون (نصيب برحمتنا من نشاء) فى الدنيا والآخرة (ولا نضيع أجر المحسنين) بل نوفى أجورهم عاجلا وآجلا (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والفواحش لعظمه ودوامه (وجاء اخوة يوسف) روى أنه لما استوزره الملك أقام العدل واجتهد فى تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعها أوّلا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأى رأيك فاعتقهم ورد عليهم أموالهم وكان قد أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة (فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) أى عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه فى سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم أنه هلك وبعده حاله التى رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم فى حلاه من التهيب والاستعظام (ولما جهزهم بجهازهم) أصلحهم بعدتهم وأوقر ركابهم بما جاؤا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كمقد السفر وما يحمل من بلد الى أخرى وما تزف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهزهم بالكسر (قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم) روى انهم لما دخلوا عليه قال من أنتم وما أمركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله انما نحن بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق نبى من الانبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب أحدنا الى البرية فهلك قال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادى عشر قالوا عند أبينا يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا أحد ههنا فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى بأخيكم من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطى لكل نفر حملا فسألوه حملا زائدا لاخ لهم من أبيهم فاعطاهم وشرط عليهم أن يأتوه به ليعلم صدقهم (ألا ترون أنى أوفى الكيل) انه (وأنا خير المنزلين) للضيف والمضيفين لهم وكان أحسن انزالهم وضيافتهم (فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون) أى ولا تقربونى ولا تدخلوا ديارى وهو اما نهى أو نفى معطوف على الجزاء (قالوا سنراود عنه أباه) سنجتهد فى طلبه من أبيه (وانا لفاعلون) ذلك لا نتوانى فيه (وقال لفتيته) لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائى وحفص لفتيانه على انه جمع الكثرة ليوافق قوله (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) فانه وكل بكل رحل واحدا يعى فيه بضاعتهم التى شروا بها الطعام وكانت نعالا وأدما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من أن يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عندا بيه ما يرجعون به (لعلهم يعرفونها) لعلهم يعرفون حق ردها أولكى يعرفوها (اذا انقلبوا) انصرفوا ورجعوا (الى أهلهم) وفتحوا أوعيتهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع (فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل) حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين (فارسل معنا أخانا نكتل) نرفع المانع

(قوله لعلهم يعرفون حق ردها الخ) انما قدر فى الاوّل دون الثانى لانهم يعرفون بضاعتهم البتة فلا يناسبه لعل التى تفيد الاحتمال

من الكيل ونكتل مانحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائى بالياء على اسناده الى الاخ أى يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا (واناله لحافظون) من أن يناله مكروه (قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل) وقد قلتم فى يوسف واناله لحافظون (فالله خير حفظا) فأتو كل عليه وأفوض أمرى اليه وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا على قراءة حمزة والكسائى وحفص بحتمله والحال كقوله لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين (وهو أرحم الراحمين) فارجو أن يرحمنى بحفظه ولا يجمع على مصيبتين (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها فى بيع وقيل (قالوا يا أبانا مانبغى) ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك أكرمنا وأحسن مثوانا وباع مناورد علينا متاعنا أولا نطلب وراء ذلك احسانا أولا نبغى فى القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ مانبتى على الخطاب أى أى شئ تطلب وراء هذا من الاحسان أومن الدليل على صدقنا (هذه بضاعتنا ردت الينا) استئناف موضح لقوله مانبغى (ونمير أهلنا) معطوف على محذوف أى ردت الينا فنستظهر بها ونمير أهلنا بالرجوع الى الملك (ونحفظ أخانا) عن المخاوف فى ذهابنا وايابنا (ونزداد كيل بعير) وسق بعير باستصحاب أخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل أن تكون الجمل معطوفة على مانبغى أى لا نبغى فيما نقول ونمير أهلنا ونحفظ أخانا (ذلك كيل يسير) أى مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فاراد وا أن يضاعفوه بالرجوع الى الملك و يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم و يجوز أن تكون الاشارة الى كيل بعير أى ذلك شئ قليل لا يثبا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شئ يسير لا يخاطر لمثله بالولد (قال لن أرسله معكم) اذ رأيت منكم ما رأيت (حتى تؤتون موثقا من الله) حتى تعطونى ما أتوثق به من عند الله أى عهدا مؤكدا بذكر الله (لتأتننى به) جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتننى به (الا أن يحاط بكم) الا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك أو الا أن تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال والتقدير لتأتننى به على كل حال الا حال الاحاطة بكم أو من أعم العلل على ان قوله لتأتننى به فى تأويل النفى أى لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم أقسمت بالله لافعلن أى ما أطلب الا فعلك (فلما آتوه موثقهم) عهدهم (قال الله على ما نقول) من طلب الموثق واتيانه (وكيل) رقيب مطلع (وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) لانهم كانوا ذوى جمال وأبهة مشتهرين فى مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا وأعلم يوصيهم بذلك فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ أو كان الداعى اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثارمنها العين والذى يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فى عوذته اللهم انى أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة (وما أغنى عنكم من الله من شئ) مما قضى عليكم بما أشرت به اليكم فان الحذر لا يغنى القدر (ان الحكم الا لله) يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوأ ولا ينفعكم ذلك (عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) جمع بين الحرفين فى عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أى من أبواب متفرقة فى البلد (ما كان يغنى عنهم) رأى يعقوب وانباءهم له (من الله من شئ) مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسر قوا وأخذ بنيامين بوجدان الصواع فى رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب (الا حاجة فى نفس يعقوب) استثناء منقطع أى ولكن حاجة فى نفسه يعنى شفقته عليهم وحرارته من أن يعانوا (قضاها) أظهرها ووصى بها

(قوله وقد قلتم فى يوسف الخ) الغرض من هذا الكلام انى لا آمنكم عليه انكم قلتم فى يوسف ما تقولون الآن ووقع ماوقع (قوله هذا اذا كانت استفهامية الخ) يفهم منه انها اذا كانت استفهامية لا يجوز الاحتمال الثانى وسببه انه يلزم منه عطف الاخبار على الانشاء الذى هو الاستفهام وفيه ان الاستفهام المذكور للانكار فهو فى المعنى خبر (قوله جواب القسم) لا يخفى ان قوله لتأتننى ليس بعينه جواب القسم لكن يستفاد منه الحالف اذا المعنى حتى تقولوا والله لتأتننى به (قوله أقسمت بالله الا فعلت الخ) أرادان مجموع الكلام المذكور مما دكر فان العلامة الطيبى روى عن المصنف أى صاحب الكشاف انه قال قولهم أقسمت بالله لما فعلت اثبات فى الظاهر وليس باثبات لانه نفى وقسم وليس بقسم لانه فى معنى الطلب وظاهر لما الوقت وليس بوقت لانه فى معنى الاستثناء ومابعده فعل وليس بفعل لانه بمعنى الاسم فالكلام كله اذن ليس على ظاهره ولذلك أغفل على سيبويه حتى سأل عنه الخليل (قوله الحمامة) كل ذى سم قاتل والمراد بالعلامة ما يجمع الشرعى المعنون (قوله كان الواو الخ) انما قال كان ولم يجزم لانه يحتمل ان تكون

(وانه لذو علم لما علمناه) بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما أغنى عنكم من الله من شئ ولم يغتر بتدبيره (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) سر القدر وأنه لا يغني عنه الحذر (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) ضم اليه بنيامين على الطعام أو في المنزل روى انه أضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا الاثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال (قد اني أنا أخوك فلا تبتئس) فلا تحزن افتعال من البؤس (بما كانوا يعملون) في حقنا فيما مضى (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية) المشربة (في رحل أخيه) قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال بها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره مهما هم حتى انطلقوا (ثم أذن مؤذن) منادى مناد (أيتها العير انكم لسارقون) لعله لم يقله بأمر يوسف عليه الصلاة والسلام أو كان تعبية السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من أبيه أو انتم سارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير أي تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير وأصله فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون) أي شئ ضاع منكم والفقد غيبة الشئ عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من أفقده اذا وجدته فقيدا (قالوا نفقد صواع الملك) وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة (ولمن جاء به حمل بعير) من الطعام جعلاله (وأنا به زعيم) كفيل أؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى (لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين) استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومعاشرتهم للملك مما يدل على فرط أمانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكم الدواب لئلا تتناول زرعا أو طعاما لاحد (قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين) في ادعاء البراءة (قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه) أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه الصلاة والسلام وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له أو خبر من والتاء لتضمنها معنى الشرط أو جواب لما على أنها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كأنه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو (كذلك نجزي الظالمين) بالسرقة (فبدأ باوعيتهم) فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر (قبل وعاء أخيه) بنيامين نفيا للتهمة (ثم استخرجها) أي السقاية أو الصواع لانه يذكر ويؤنث (من وعاء أخيه) وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة (كذلك) مثل ذلك الكيد (كدنا ليوسف) بأن علمناه اياه وأوحينا به اليه (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما أخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد (الا أن يشاء الله) أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من أعم الاحوال ويجوز أن يكون منقطعا أي لكن أخذه بمشيئة الله تعالى وإذنه (نرفع درجات من نشاء) بالعلم كما رفعنا درجته (وفوق كل ذي علم عليم) أرفع درجة منه واحتج به من زعم أنه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو أعلم منه والجواب أن المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله سبحانه وتعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق

الفاء للعطف على مقدر وتقدير الكلام وعليه ليتوكل المتوكلون (قوله لعلهم لم يقله بأمر يوسف) يعني نسبة السرقة اليهم لما كان كذبا لا يناسب ان يكون بامر يوسف واما قوله أو كان ففيه انه لا يصح نسبة السرقة الى الغير الا أن يقال المراد ان فيكم سارقا واعلم ان الوجه الاول لا يرفع الاشكال مطلقا لان جعل السقاية في رحل أخيه بالقصد المذكور وهو ان ينسب السرقة اليه لا يناسب يوسف فلا بد أن يكون برضا بنيامين فالوجه الوجيه هو الثاني (قوله مثل ذلك الكيد) ليس الغرض منه التشبيه بل المقصود انا كدنا ليوسف ذلك الكيد المخصوص (قوله واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته) يعني من زعم ان علمه عين ذاته كما يقوله الفلاسفة لا زائد عليه كما يقول أهل السنة استدل بما ذكر (قوله ولان العليم) أي المراد ان فوق كل ذي علم غير بالغ العلم عليم كامل هو الله تعالى فيكون كل ذي علم عاما مخصوصا يخرج عنه الخالق أي كل ذي علم مخلوق كما ان فوق كل العلماء عليم عام مخصوص

كل العلماء عليم وهو مخصوص (قالوا ان يسرق) بنيامين (فقد سرق أخ له من قبل) يعنون يوسف قيل ورثت عمته من أبيها منطقة ابراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب أراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم أظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت أحق به فى حكمهم وقيل كان لابى أمه صنم فسرقه وكسره وألقاه فى الجيف وقيل كان فى البيت عناق أو دجاجة فأعطاها السائل وقيل دخل كنيسة وأخذ تمثالا صغيرا من الذهب (فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم) أكتمها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة أو المقالة أو نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله (قال أنتم شر مكانا) فانه بدل من أسرها والمعنى قال فى نفسه أنتم شر مكانا أى منزلة فى السرقة لسرقتكم أخاكم أو فى سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة أو الجملة وفيه انظار اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان (والله أعلم بما تصفون) وهو يعلم أن الامر ليس كما تصفون (قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) أى فى السن أو القدر فذكر والده حاله استعطافا له عليه (فخذ أحدنا مكانه) بدله فان أباه نشكلان على أخيه الهالك مستأنس به (انا نراك من المحسنين) الينا فاتمم احسانك أو من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك (قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) فان أخذ غيره ظلم على فتواكم فلو أخذنا أحدكم مكانه (انا اذا لظالمون) فى مذهبكم هذا وان مراده ان الله أذن فى أخذ من وجدنا الصاع فى رحله لمصلحته و رضاه عليه فلو أخذت غيره كنت ظالما (فلما استيأسوا منه) يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة (خلصوا) انفردوا واعتزلوا (نجيا) متناجين وانما وحده لانه مصدر أو بزنته كما قيل هم صديق وجمعه أنجية كندى وأندية (قال كبيرهم) فى السن وهو روبيل أو فى الرأى وهو شمعون وقيل يهوذا (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله) عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته (ومن قبل) ومن قبل هذا (ما فرطتم فى يوسف) قصرتم فى شأنه ومامزيدة ويجوز أن تكون مصدرية فى موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا أو لا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف أو على اسم ان وخبره فى يوسف ومن قبل أو الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا أو صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وأن تكون موصولة أى ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه فى حقه من الجناية ومحله ما تقدم (فلن أبرح الارض) فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) فى الرجوع (أو يحكم الله لى) أو يقضى لى بالخروج منها أو بخلاص أخى منهم أو بالمقاتلة معهم لتخليصه روى انهم كلموا العزيز فى اطلاقه فقال روبيل أيها الملك والله لتتركنا أو لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل و وقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف عليه السلام لا بنه قم الى جنبه فسه وكان بنو يعقوب عليه السلام اذا غضب أحدهم فسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان فى هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه لا يكون الا بالحق (ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق) على ما شاهدناه من ظاهر الامر وقرئ سرق أى نسب الى السرقة (وما شهدنا) عليه (الا بما علمنا) بان رأينا أن الصواع استخرج من وعائه (وما كنا للغيب) لباطن الحال (حافظين) فلا ندرى انه سرق أو سرق ودس الصواع فى رحله أو وما كنا للعواقب عالمين فلم نذر حين أعطيناك الموثق انه سيسرق أو انك تصاب به كما أصبت بيوسف (واسأل القرية التى كنا فيها) يعنون مصر أو قرية بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى أرسل الى أهلها واسألهم عن

(قوله والضمير للاجابة الخ) أى أخفى جوابهم فى نفسه أو أخفى حقيقة مقالتهم أو نسبة السرقة اليه ولم يبين ان تلك السرقة كيف وقعت وان ليس فيهما يوجب العار والذم (قوله وخبره فى يوسف أو من قبل) فاذا كان الخبر فى يوسف كان المعنى ان تفريطكم كائن فى يوسف من قبل واذا كان الخبر من قبل كان المعنى ان تفريطكم فى يوسف كائن من قبل (قوله لان قبل اذا كان خبرا أو صلة الخ) اما أن يلتزم هذا النظر على تقدير ان يكون من قبل خبران او يجب بيان الفرق بينه وبين ما اذا كان المبتدأ ونوضيح ماذكر ان الخبر والصلة انما يبهتم بشأنه فاستكره ان يكونا ناقصين (قوله ومحله) أى محل ما فرطتم فى يوسف على هذا التقدير هو محله على تقدير كون ما مصدرية أى محلهما من الاعراب واحد

القصة (والعير التي أقبلنا فيها) وأصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم (وانا لصادقون) تأكيد في محل القسم (قال بل سولت) أي فلما ارجعوا الى أبيهم وقالوا له ما قال لهم أخوهم قال بل سولت أي زينت وسهلت (لكم أنفسكم أمرا) أردتموه فقدرتموه والا فما أدري الملك أن السارق يؤخذ بسرقته (فصبر جميل) أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أجمل (عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) بيوسف وبنيامين وأخيهما الذي توقف بمصر (انه هو العليم) بحالي وحالهم (الحكيم) في تدبيرهما (وتولى عنهم) وأعرض عنهم كراهة لما صادف منهم (وقال يا أسفا على يوسف) أي يا أسفا تعال فهذا أوانك والاسف أشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون أخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط أمة من الامم انالله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب عليه الصلاة والسلام حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وقال يا أسفا (وابيضت عيناه من الحزن) لكثرة بكائه من الحزن كأن العبرة محقت سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل أمثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون (فهو كظيم) مملوء من الغيظ على أولاده مما صنعوا به في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه أو بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه وأصله كظم البعير جوته اذا رد ما في جوفه (قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف) أي لا تنفك ولا تزال تذكره تفجعا عليه حذف لا كما في قوله * فقلت يمين الله أبرح قاعدا * لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي (حتى تكون حرضا) مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي أذابه هم أو مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب (أو تكون من الهالكين) من الميتين (قال انما أشكو بثي وحزني) همي الذي لا أقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر (الى الله) لا الى أحد منكم ومن غيركم لخوفي وشكايتي (وأعلم من الله) من صنعه ورحمته فانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ اليه أو من الله بنوع من الالهام (ما لا تعلمون) من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس تطلب الاحساس (ولا تيأسوا من روح الله) ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله أي من رحمته التي يحيي بها العباد (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) بالله وصفاته فان العارف المؤمن لا يقنط من رحمته في شئ من الاحوال (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز) بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية (مسنا وأهلنا الضر) شدة الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) رديئة وقليلة ترد وتدفع رغبة عنها من أزجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر والحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل (فاوف لنا الكيل) فاتمم لنا الكيل (وتصدق علينا) برد أخينا أو بالمسامحة وقبول المزجاة أو بالزيادة على ما يساويها واختلف في أن حرمة الصدقة تعم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو تختص بنبينا صلى الله عليه وسلم (ان الله يجزي المتصدقين) أحسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر هذه

(قوله علامة الاثبات) هو اللام والنون قال صاحب الكشاف لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون (قوله هو حي الخ) هو تفسير للبث قال العلامة النيسابوري قال العلماء اذا أسر الانسان حزنه كان هما فاذا لم يقدر على اسراره فذكره لغيره كان بثا فعنى الآية لا أذكر الحزن الشديد ولا الحزن القليل الامع الله تمنحا والله ٧

صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفانا بما يتنى به ثواب من الله تعالى (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) أى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع أن يكلمهم الا بمجز وذلة (اذ أنتم جاهلون) قبحه فذلك أقدمتم عليه أو عاقبته وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب فى تخليص بنيامين وذكر له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف وأخيه فقال لهم ذلك وانما جاهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال أو لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين (قالوا أئنك لأنت يوسف) استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه برؤائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه ثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها (قال أنا يوسف وهذا أخى) من أبى وأمى ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشأنه وادخاله فى قوله (قد من الله علينا) أى بالسلامة والكرامة (انه من يتق) أى يتق الله (ويصبر) على البليات أو على الطاعات وعن المعاصى (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على أن المحسن من جمع بين التقوى والصبر (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة (وان كنا لخاطئين) والحال ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك (قال لا تثريب عليكم) لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذى يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذى يمزق العرض ويذهب ماء الوجه (اليوم) متعلق بالتثريب أو بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا أثربكم اليوم الذى هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام أو بقوله (يغفر الله لكم) لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واستغفر لهم (وهو أرحم الراحمين) فانه يغفر الصغائر والكبائر يتفضل على التائب ومن كرم يوسف عليه السلام أنهم لما عرفوه أرسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشى الى الطعام ونحن نستحى منك لما فرط منا فيك فقال ان أهل مصر كانوا ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت فى عيونهم حيث علموا أنكم اخوتى وأنى من حفدة ابراهيم عليه السلام (اذهبوا بقميصى هذا) القميص الذى كان عليه وقيل القميص المتوارث الذى كان فى التعويذ (فالقوه على وجه أبى يأت بصيرا) أى يرجع بصيرا أى ذا بصر (وأتونى) أنتم وأبى (بأهلكم أجمعين) بنسائكم وذراريكم ومواليكم (ولما فصلت العير) من مصر وخرجت من عمرانها (قال أبوهم) لمن حضره (انى لأجد ريح يوسف) أوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين أقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا (لولا أن تفندون) تنسبونى الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال لمجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتى وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتمونى أو لقلت انه قريب (قالوا) أى الحاضرون (تالله انك لفى ضلالك القديم) لفى ذهابك عن الصواب قدما بالافراط فى محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه (فلما أن جاء البشير) يهوذا روى أنه قال كما أحزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه (ألقاه على وجهه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام أو يعقوب نفسه (فارتد بصيرا) عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة (قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف عليه السلام وانزال الفرج وقيل انى أعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله أو انى لاجد ريح يوسف (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه

(قوله فاستعير للتقريع الذى يمزق العرض) أى التثريب الذى هو فى الاصل ازالة الثرب استعمل فى تمزيق العرض واذهاب ماء الوجه الذى هو عبارة عن زوال الخيرية والوجاهة (قوله لما انتعش فيه من القوة) هذا ليس كما ينبغى لانه لم تعد قوة البصر اذا ذهبت بالكلية بسبب قوة البدن والاولى أن يقال ان هذا كان معجزة ليعقوب أو ليوسف

و يسأله المغفرة (قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) أخره الى السحر أوالى صلاة الليل أوالى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة أوالى أن يستحل لهم من يوسف أو يعلم أنه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة و يؤيده ما روى أنه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال ان الله قد أجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوّة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وأن ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم (فلما دخلوا على يوسف) روى أنه وجه اليه رواحل وأموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان أولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام ستمائة ألف وخمسمائة و بضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى (آوى اليه أبويه) ضم اليه أباه وخالته واعتنقهما نزلهما منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب فى قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق أولان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد أمه والربابة تدعى أما (وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) من القحط وأصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاوّل كان فى موضع خارج البلد حين استقبلهم (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجرى مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله تعالى والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمهما (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل) التى رأيتها أيام الصبا (قد جعلها ربى حقا) صدقا (وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن) ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم (وجاء بكم من البدو) من البادية لانهم كانوا أصحاب المواشى وأهل البدو (من بعد أن نزغ الشيطان بينى و بين اخوتى) أفسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجرى (ان ربى لطيف لما يشاء) لطيف التدبير لما ذا ما من صعب الا وتتفذ فيه مشيئته و يتسهل دونها (انه هو العليم) بوجوه المصالح والتدابير (الحكيم) الذى يفعل كل شئ فى وقته وعلى وجه يقتضى الحكمة روى ان يوسف طاف بابيه عليهما الصلاة والسلام فى خزائنه فلما أدخله خزانة القراطيس قال يا بنى ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمان مراحل قال أمرنى جبريل عليه السلام قال أوما تسأله قال أنت أبسط منى اليه فأسأله فقال جبريل الله أمرنى بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتنى (رب قد آتيتنى من الملك) بعض الملك وهو ملك مصر (وعلمتنى من تأويل الاحاديث) الكتب أوالرؤيا ومن أيضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التأويل (فاطر السموات والارض) مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى أومنادى برأسه (أنت ولى) ناصرى ومتولى أمرى (فى الدنيا والآخرة) أوالذى يتولانى بالنعمة فيهما (توفنى مسلما) اقبضنى (وألحقنى بالصالحين) من آبائى أو بعامة الصالحين فى الرتبة والكرامة روى أن يعقوب عليه السلام أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم توفى وأوصى أن يدفن بالشام الى جنب أبيه فذهب به ودفنه ثم عاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر فى مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه فى صندوق من مرمر و يدفنوه فى النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شركا فيه ثم نقله موسى عليه الصلاة والسلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة أيوب عليه السلام (ذلك) اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدا (من أنباء الغيب نوحيه

(قوله على انه صفة المنادى) والمعنى على هذا يكون يا الله فاطر السموات والارض

اليك) خبران له (وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحى لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ماهموا به من ان يجعلوه فى غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذى لايخفى على مكذبيك انك مالقيت أحدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره فى غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا (وما أكثر الناس ولو حرصت) على ايمانهم وبالغت فى اظهار الآيات عليهم (بمؤمنين) لعنادهم وتصميمهم على الكفر (وما تسألهم عليه) على الانباء أو القرآن (من أجر) من جعل كما يفعله حملة الاخبار (ان هو الا ذكر) عظة من الله تعالى (للعالمين) عامة (وكأين من آية) وكم من آية والمعنى وكأى عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده (فى السموات والارض يمرون عليها) على الآيات ويشاهدونها (وهم عنها معرضون) لايتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير فى عليها وبالنصب على ويطؤن الارض وقرئ والارض يمشون عليها أى يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة (وما يؤمن أكثرهم بالله) فى اقرارهم بوجوده وخالقيته (الا وهم مشركون) بعبادة غيره أو باتخاذ الاحبار أربابا ونسبة التبنى اليه تعالى أو القول بالنور والظلمة أو النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية فى مشركى مكة وقيل فى المنافقين وقيل فى أهل الكتاب (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) عقوبة تغشاهم وتشملهم (أو تأتيهم الساعة بغتة) فجأة من غير سابقة علامة (وهم لايشعرون) باتيانها غير مستعدين لها (قل هذه سبيلى) يعنى الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله (أدعو الى الله) وقيل هو حال من الياء (على بصيرة) بيان وحجة واضحة غير عمياء (أنا) تأكيد للمستتر فى ادعو أو على بصيرة لانه حال منه أو مبتدا خبره على بصيرة (ومن اتبعنى) عطف عليه (وسبحان الله وما أنا من المشركين) وانزهه تنزيها من الشركاء (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا) رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفى استنباء النساء (يوحى اليهم) كما يوحى اليك ويميزون بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحى فى كل القرآن ووافقه حمزة والكسائى فى سورة الانبياء (من أهل القرى) لان أهلها اعلم واحلم من أهل البدو (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك أو من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها (ولدار الآخرة) ولدار الحال أو الساعة أو الحياة الآخرة (خير للذين اتقوا) الشرك والمعاصى (أفلا يعقلون) يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلى أى قل لهم أفلا تعقلون (حتى اذا استيأس الرسل) غاية محذوف دل عليه الكلام أى لايغررهم تمادى أيامهم فان من قبلهم امهلوا حتى أيس الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا أو عن ايمانهم لانهماكهم فى الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع (وظنوا أنهم قد كذبوا) أى كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون أو كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم أى وظن المرسل اليهم أن الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثانى للرسل أى وظنوا أن الرسل قد كذبوا وأخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الرسل ظنوا أنهم أخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد أراد بالظن ما يهجس فى القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة فى التراخى والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد أى وظن الرسل أن القوم قد

(قوله وانما حذف هذا الشق استغناء الخ) أى انما لم يتعرض الى نفى استماع النبى صلى الله عليه وسلم القصة المذكورة من أحد لانه معلوم ذلك ولك أن تقول ان عدم كونه صلى الله عليه وسلم لم يكن معهم فى الوقت المذكور وهو وقت اجماعهم الامر ومكرهم فى غاية الظهور وأظهر من عدم الاستماع فهو أحق بعدم الذكر فالاولى أن يقال ان الحالة المذكورة وهو اجماعهم الامر المذكور لايطلع عليه غيرهم اذا كانوا فى صدد اخفائه عن غيرهم فلا يطلع عليه أحد فلا حاجة الى التعرض لنفى استماع النبى صلى الله عليه وسلم من غيره فتأمل (قوله وقيل هو حال من الياء) أى ياء المتكلم الذى يضاف اليه سبيل ولعله باعتبار انه مفعول مصدر مقدر أى سبيل سلوك (قوله أو على بصيرة لانه حال منه) أى أنا تأكيد للضمير المستتر فى على بصيرة لانه أى الجار والمجرور حال من ضمير أدعو لان تقديره أدعو كائنا على بصيرة فيكون فاعل الظرف ضمير المتكلم المستقر فيكون أنا تأكيدا له أو مبتدأ خبره على بصيرة أى أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبره (قوله وان المراد به المبالغة فى التراخى والامهال على سبيل التمثيل) أى التشبيه

كذبوهم

بان شبه المبالغة فى القراءتى بظن الكذب باعتبار استلزام كل منهما لعدم قرب حصول المطلوب فاستعمل لفظ ظن الكذب فى المبالغة فى القراءتى (قوله وظنوا انهم قد كذبوا عند قومهم الخ) أى ظنوا ان القوم على انهم كاذبون (قوله وانما لم يعينهم للدلالة الخ) يمكن أن يقال للدلالة على ان مدار الامر وعلى مجرد الارادة والمشيئة لا على الاستحقاق (قوله وفيه بيان للمشيئين) أى فيه بيان قوله تعالى من نشاء أى يعلم منه ان من لم يشأ الله نجاتهم هم غير المؤمنين فيكون المستثنى صفة لجمع الذكور (قوله اذ ما من أمر دينى الخ) فيكون المراد من قوله تعالى وتفصيل كل شئ تفصيل الامور الدينية أى تبيينها بوجه ﴿سورة الرعد﴾ (قوله أو القرآن) عطف على السورة أى أو يعنى بالكتاب القرآن (قوله ومحله الجر بالعطف على الكتاب) عطف العام على الخاص الخ فيه نظر لانه فسر الكتاب تفسيرين أحدهما السورة والآخر القرآن ولا يخفى ان القرآن كله ليس أعم من الاول بل أحدهما

كل والآخر جزء وكذا ليس بأعم من القرآن (قوله والجملة كالحجة على الجملة الاولى) أى قوله والذى أنزل اليك الخ كالدليل على تلك آيات الكتاب لانه اذا كان حقا كان الآيات آيات السورة الكاملة لان من ادعى انه منزل عليه ادعى ذلك وانما قال كالحجة لانهما فى رتبة واحدة فلا يصح ان يجعل أحدهما دليلا على الآخر اذ كونه آيات الكتاب وكونه منزلا من الرب متساويان بل لا يبعد أن يدعى العكس (قوله وتعريف الخبر وان كان الخ) دفع وهم وهو انه اذا كان المنزل محتصا باتصافه بالحق كان ماسواه غير حق لكن القياس ليس أمرا منزلا بل هو من تصرفات المجتهدين فلزم ان لا يكون القياس حقا بل باطلا فأجاب

كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل أى وظنوا أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما زاحى عنهم ولم يروا له أثرا (جاءهم نصرنا فننجى من نشاء) النبى والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضى المبنى للمفعول وقرئ فنجا (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) اذا نزل بهم وفيه بيان للمشيئين (لقد كان فى قصصهم) فى قصص الانبياء وأممهم أو فى قصة يوسف واخوته (عبرة لأولى الالباب) لذوى العقول المبرأة من شوائب الالف والركون الى الحس (ما كان حديثا يفترى) ما كان القرآن حديثا يفترى (ولكن تصديق الذى بين يديه) من الكتب الالهية (وتفصيل كل شئ) يحتاج اليه فى الدين اذ ما من أمر دينى الا وله سند من القرآن بوسط أو بغير وسط (وهدى) من الضلال (ورحمة) ينال بها خير الدارين (لقوم يؤمنون) يصدقونه * وعن النبى صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة يوسف فانه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما

﴿سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الآية وهى ثلاث وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(المر) قيل معناه أنا الله أعلم وأرى (تلك آيات الكتاب) يعنى بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها أى تلك الآيات آيات السورة الكاملة أو القرآن (والذى أنزل اليك من ربك) هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص أو احدى الصفتين على الاخرى أو الرفع بالابتداء وخبره (الحق) والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو أعم من المنزل صريحا أو ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه (الله الذى رفع السموات) مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر (بغير عمد) أساطين جمع عماد كاهاب وأهب أو عمود كأديم وأدم وقرئ بعمد كرسل (ترونها) صفة لعمد أو استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام

(١٩ - (بيضاوى) - ثالث)

بان المراد بالمنزل ما هو منزل صريحا أو ضمنا والقياس مما نزل ضمنا وان لم ينزل صريحا وههنا نظر وهو ان حصر الحق فى المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم اما أن يكون حصرا حقيقيا أو لا سبيل الى الاول اذ يلزم أن يكون كل ما سوى القرآن باطلا وليس كذلك ولا الى الثانى لان الحصر الاضافى اما أن يكون بالنسبة الى ما وراءه من الكتب السماوية وليس كذلك اذ يلزم بطلان ما وراءه واما أن يكون بالنسبة الى غيره وهو أمر مبهم لا يفهم انه بالاضافة الى أى شئ والجواب أن يقال المراد ان الذى أنزل اليك من ربك هو الحق البالغ الى نهاية الكمال فى الحقية والصدق وليس سائر الكتب كذلك فان حقيقة القرآن تعلم من نفسه لانه معجز بخلاف سائر الكتب فهذا سبب الحصر المستفاد من قوله والذى أنزل اليك من ربك هو الحق لا من ربك عليه (قوله فان ارتفاعها على سائر الاجسام الخ) هذا ابناء على ما ثبت فى علم الكلام من أن الاجسام مركبة من أجزاء لا تتجزأ لامن الهيولى والصورة كما قاله الفلاسفة

المساوية لها فى حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضى ذلك لابد وأن يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسمانى يرجح بعض الممكنات على بعض إرادته وعلى هذا المناهج سائر ماذكر من الآيات (ثم استوى على العرش) بالحفظ والتدبير (وسخر الشمس والقمر) ذللهما لما أرادمنهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع فى حدوث الكائنات وبقائها (كل يجرى لاجل مسمى) لمدة معينة يتم فيها أدوارها أولغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهى اذا الشمس كوّرت واذا النجوم انكدرت (يدبر الامر) أمر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والامانة وغيرذلك (يفصل الآيات) ينزلها ويبينها مفصلة أو يحدث للدلائل واحد بعد واحد (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) اكى تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا أن من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء (وهو الذى مد الارض) بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان (وجعل فيها رواسى) جبالا ثوابت من رسا الشئ اذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على انها صفة أجبل أوللبالغة (وأنهارا) ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال أسباب لتولدها (ومن كل الثمرات) متعلق بقوله (جعل فيها زوجين اثنين) أى وجعل فيها من جميع أنواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير (يغشى الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير الجوّ مظلما بعدما كان مضيأ وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر يغشى بالتشديد (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيها فان تكوّنها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر أمرها وهيأ أسبابها (وفى الارض قطع متجاورات) بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها تصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع فى الطبيعة الارضية ومايلزمها ويعرض لها بتوسط مايعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة فى النسب والاوضاع (وجنات من أعناب وزرع ونخيل) وبساتين فيها أنواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر فى أصله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات (صنوان) نخلات أصلها واحد (وغير صنوان) ومتفرقات مختلفات الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة بنى تميم كقنوان فى جمع قنو (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) فى الثمر شكلا وقدرا وطعما ورائحة وطعما وذلك أيضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لايكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ماذكر وحمزة والكسائى يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم بالتفكر (وان تعجب) يامحمد من انكارهم البعث (فعجب قولهم) حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ماقص عليك كانت الاعادة أيسر شئ عليه والآيات المعدودة كلها دالة على وجود المبدا فهى دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته (أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد) بدل من قولهم أومفعول له والعامل فى اذا محذوف دل عليه أئنا لفى خلق جديد (أولئك الذين كفروا بربهم) لانهم كفروا بقدرته على البعث (وأولئك الاغلال فى أعناقهم) مقيدون بالضلال لايرجى خلاصهم أو يغلون يوم القيامة (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لاينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) بالعقوبة قبل العافية وذلك لانهم استعجلوا ماهددوا به من عذاب الدنيا استهزاء (وقد خلت من

اذ على هذا القول يمكن أن يكون ارتفاعها بمقتضى طباعها كما يقولون ولك أن تقول كونها مركبة من اجزاء لاتتجزأ لايقتضى تساوياً فى الحقيقة والصفات اذ يجوز أن تكون الاجزاء المذكورة مختلفة الحقائق كما هو مذهب بعض المتكلمين وبعضها يقتضى الرفع وبعضها السفل والحق ان أمثال هذه الدلائل تفيد الظن بالنسبة الى الناظرين وتفيهما للكاملين المستعدين لحصول اليقين (قوله أو لغاية مضروبة الخ) لايخفى ان مجرد قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت لايدل على انقطاع سيرها فى ذلك الوقت بل لابد له من دليل آخر (قوله تعالى يغشى الليل النهار) لم يقل يغشى النهار الليل وان كان النهار ستر الليل لان التغشية وهى الستر أنسب بالليل (قوله وضمير الفصل لتخصيص الخلود بالكفار) فيكون الخلود بمعنى الابد هنا وان كان بمعنى المكث الطويل فى المواضع الاخر (قوله وقرئ المثلات بالتخفيف الخ) أى بفتح الميم وسكون الثاء والمثلات بضم الميم والثاء والمثلات بضم الميم

قبلهم المثلات) عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه امثال للقصاص وأمثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الثاء على أنها جمع مثلة كركبة وركبات (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) مع ظلمهم أنفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل على جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر أو أوّل المغفرة بالستر والامهال (وان ربك لشديد العقاب) للكفار أو لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ أحدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا للنحو ما أوتي موسى وعيسى عليهما السلام (انما أنت منذر) مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك (ولكل قوم هاد) نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب أو قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل عليك من الآيات ثم أردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره وتنبيها على أنه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وأنه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) أي حملها أو ما تحمله على أي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة (وما تغيض الارحام وما تزداد) وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد وأقصى مدة الحمل أربع سنين عند نا وخمس عند مالك وسنتان عند أبي حنيفة روى أن الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين وأعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف به أربعة واليه ذهب أبو حنيفة رضي الله عنه وقال الشافعي رحمه الله أخبرني شيخ باليمن أن امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين أما أن تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى أو لما فيها (وكل شئ عنده بمقدار) بقدر لا يتجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأله أسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف وقف بالياء في هذه الاحرف الاربعة حيث وقعت لا غير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء (عالم الغيب) الغائب عن الحس (والشهادة) الحاضر له (الكبير) العظيم الشان الذي لا يخرج عن علمه شئ (المتعال) المستعلي على كل شئ بقدرته أو الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه (سواء منكم من أسر القول) في نفسه (ومن جهر به) لغيره (ومن هو مستخف بالليل) طالب للخفاء في مختبا بالليل (وسارب) بارز (بالنهار) يراه كل أحد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من أو مستخف على أن من في معنى الاثنين كقوله * نكن مثل من يأذئ يصطحبان * كأنه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله (له) لمن أسر أو جهر أو استخفى أو سرب (معقبات) ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا ولانهم يعقبون أقواله وأفعاله فيكتبونها أو لعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة أو لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ

وسكون الثاء والمثلات بضم الميم وفتح الثاء (قوله فان التائب ليس على ظلمه) فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له (قوله ومن منع ذلك خص الظلم الخ) تقييد من غير دليل أو على الثاني لزم ان يكون الله تعالى غافرا للكفار ولا يطلق هذا الاسم عليه تعالى بالنسبة الى الكفار (قوله أي حملها) فتكون ما مصدرية أو ما تحمله فتكون ما موصولة أو موصوفة (قوله تعين ان تكون ما مصدرية) اذ لو كانت موصولة أو موصوفة لزم خلو الجملة عن العائد الى ما اذ لا يمكن أن يقال التقدير وما تغيضه الارحام الخ الكلام على تقدير ان يكون الفعل لازما فلا يكون له مفعول (قوله فانهما لله أو لما فيهما) فالاول على تقدير أن يكون الفعل متعديا والثاني على تقدير ان يكون لازما (قوله وهو عطف على من أو مستخف الخ) فعلى الاول يكون من مقدرا على قوله وسارب بالنهار حتى يكون المتصف بالصفتين المذكورتين شخصين ولذا قال في الاحتمال الثاني على ان يكون من في معنى الاثنين كقوله وانما اعتبر ذلك لان الاستواء لابد ان يكون بين اثنين (قوله نكن مثل من يأذئ الخ)

معاقيب جمع معقب أو معقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين (من بين يديه ومن خلفه) من جوانبه أو من الاعمال ماقدم وأخر (يحفظونه من أمر الله) من بأسه متى أذنب بالاستمهال أو الاستغفار له أو يحفظونه من المضار أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من أمر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه فى توهمه من قضاء الله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة (واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له) فلا راد له فالعامل فى اذا ما دل عليه الجواب (وما لهم من دونه من وال) ممن يلى أمرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على أن خلاف مراد الله تعالى محال (هو الذى يريكم البرق خوفا) من أذاه (وطمعا) فى الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف أى ارادة خوف وطمع أو التأويل بالاخافة والاطماع أو الحال من البرق أو المخاطبين على اضمار ذو أو اطلاق المصدر بمعنى المفعول أو الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه (وينشئ السحاب) الغيم المنسحب فى الهواء (الثقال) وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس فى معنى الجمع (ويسبح الرعد) ويسبح سامعوه (بحمده) ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله أو يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب (والملائكة من خيفته) من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) فيهلكه (وهم يجادلون فى الله) حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد فى الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة أو للحال فانه روى أن عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة أخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار أربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات فى بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية فنزلت (وهو شديد المحال) المماحلة المكايدة لأعدائه من محل فلان بفلان اذا كايده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل أصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول أو الحيلة أعل على غير قياس ويعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا فى القوة والقدرة كقولهم فساعد الله أشد وموساه أحد (له دعوة الحق) الدعاء الحق فانه

فناء المعقبة اما لاجل المبالغة واما لأجل التأنيث باعتبار ان موصوفها الجماعة (قوله أو من الاعمال الخ) فيكون المعنى من عمل بين يديه وهو المقدم ومن عمل خلفه وهو المؤخر فيكون المعنى من أجل حفظ الاعمال ماقدم وما أخر (قوله الجلاوزة) جمع جلواز وهو الشرطى الذى يعمل بشرط أخذ شئ (قوله يحفظونه فى توهمه من قضاء الله) أى يحفظونه بزعمه لا انهم يحفظونه فى الواقع اذ لا حافظ عن قضاء الله بحسب الواقع (قوله والعامل فى اذا ما دل عليه الجواب) لا يخفى ان المصدر الواقع فى الجزاء وهو المراد صالح لان يكون عاملا فى اذا فجعله ما دل عليه الجزاء عاملا لا نفسه اما لان معمول المصدر لا يتقدم وقد ذكر مرارا وذكرنا الجواب عنه ان بعض المحققين جوز تقديم معمول المصدر عليه اذا كان ظرفا واما لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها وهو أيضا مردود بما ذكر العلامة التفتازانى فى حاشية الكشاف بانه منقوض بقوله تعالى وربك فكبر قال وهو كثير فى الكلام من غير خلاف فى ان المصدر مفعول الفعل (قوله وفيه دليل على ان خلاف مراد الله تعالى الخ) فان قلت مضمون الآية هو ان الله تعالى اذا أراد بقوم سوأ فيجب وقوعه وخلافه محال ولا يدل على ان كل ما أراد الله تعالى كذلك قلنا بل دل أنه لا فرق بين ارادة السوء وارادة غيره فاذا كان ارادته السوء يستحيل رده فكذلك غيره (قوله وانتصابهما الخ) أى انتصاب كل منهما بكونه مفعولا له وانما وجب تقدير المضاف لانه شرط فى نصب المفعول له ان يكون فعلا لفاعل عامله (قوله أو يدل الرعد بنفسه) الوجه الذى ذكر أولا مجاز الحذف بان قدر مضاف هو السابقون وهذا مجاز فى الكلمة وهو يسبح حتى يكون بمعنى يدل لان تسبيح الله مستلزم للدلالة على كماله فى ذاته تعالى وصفاته فاستعمل التسبيح الذى هو الملزوم فى الدلالة التى هى اللازم والوجه الثالث وهو الذى يدل عليه حديث ابن عباس لا مجاز فيه أصلا بل يكون التسبيح على حقيقته ولا تقدير أيضا (قوله كقولهم فساعد الله أشد وموساه أحد) الساعد مجاز عن القوة كما ان اليد مجاز عن القدرة والموسى عبارة عن شئ

الذى

يكون سببا لقطع العصاة من أصولهم (قوله والحق على الوجهين ما يناقض الباطل) اما على الاول فلان الدعوة الى عبادته حق والى عبادة غيره باطلة واما على الثانى فلان الدعوة الغير المجابة ليست بحقة فتكون باطلة (قوله واضافة الدعوة الخ) أى اضافة الدعوة الى الحق للملابسة واختصاصها بكونه حقة لاتجاوز الى الباطل هكذا في الكشاف (قوله وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم الخ) أى شبهوا بمن أراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ولم تاف كفاه أصلا قال العلامة الطيبى الوجه الاول أنها من التشبيه التمثيلى فشبه حالة عدم استجابة الاصنام دعاءهم وانهم لم يفوز وامن دعائهم الاصنام بالاجابة والنفع بحالة عدم استجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والوجه عدم استطاعته اجابة الدعاء مع العجز عن ايصال النفع وهو كمانرى منتزع من عدة أمور والوجه الثانى انها من التشبيه الغير المركب العقلى شبهوا فى عدم انتفاعهم بدعاء آلهتهم بشخص يردم من الماء الشرب ويفعل مالايحصل منه على شئ والوجه قلة جدوى توجد المطلوب (قوله وانتصاب طوعا وكرها بالحال والعلة) فان قيل لا يصلح كرها مفعولا له يسجد لانه ليس بعلة للسجود لان كراهة الشئ ليست علة لحصوله فلناهذا اذا كان الكره بمعنى الكراهة اما اذا كان بمعنى الشدة والضرورة فيكون علة للسجود لان الشدة العارضة للشخص توجب عليه غاية التواضع (قوله والمراد بهما الدوام) أى المراد من السجود فى هذين الوقتين السجود فى جميع الازمان وهذا على تقدير ان يكون السجود محمولا على المعنى المجازى (قوله لان الامتداد والتقلص فيهما أظهر) المراد من التقلص النقصان فيكون المعنى الامتداد فى الآصال أظهر والتقلص فى الغدو أظهر اما الاول فلان فى الاصيل يزيد الظل فى زمان قصير قدرا كبيرا واما الثانى فلان نقصانه فى الغداة فى زمان قليل كثير

الذى يحق أن يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره أوله الدعوة المجابة فان من عبد أحدا بعبد ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليهما بينهما من الملابسة أو على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الآية فى أربد وعامر أن اهلا كهما من حيث لم يشعرا به محال من الله اجابة لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم أو دلالة على أنه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم أو بيان ضلالهم وفسادرأيهم (والذين يدعون) أى والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع أو والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة (من دونه) عليه (لايستجيبون لهم بشئ) من الطلبات (الا كباسط كفيه) الاستجابة كاستجابة من بسط كفيه (الى الماء ليبلغ فاه) يطلب منه أن يبلغه (وماهو ببالغه) لانه جماد لايشعر بدعائه ولايقدر على اجابته والاتيان بغير ماجبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لها بمن أراد أن يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين (ومادعاء الكافرين الا فى ضلال) فى ضياع وخسار وباطل (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها) يحتمل أن يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتى الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة (وظلالهم) بالعرض وأن يراد به انقيادهم لاحداث ماأراده منهم شاؤا أوكرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال أو العلة وقوله (بالغدو والآصال) ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام أو حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الظلال انما تعظم وتكثر فيهما والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة والآصال جمع أصيل وهو مابين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده أنه قد قرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل (قل من رب السموات والارض) خالقهما ومتولى أمرهما (قل الله) أجب عنهم بذلك اذ لاجواب لهم سواه ولانه البين الذى لايمكن المراء فيه أو لقنهم الجواب به (قل أفاتخذتم من دونه) ثم ألزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل (أولياء لايملكون لأنفسهم نفعا ولاضرا) لايقدرون على أن يجلبوا اليها نفعا أو يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم فى اتخاذهم أولياء رجاء أن يشفعوا لهم (قل هل يستوى الأعمى والبصير) المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الحق فل عنكم والمعبود المطلع على أحوالكم (أم هل تستوى الظلمات والنور) الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر بالياء (أم جعلوا لله شركاء) بل أجعلوا والهمزة للانكار وقوله (خلقوا كخلقه) صفة لشركاء داخلة فى حكم الانكار (فتشابه الخلق عليهم) خلق الله وخلقهم والمعنى أنهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا

شركاء عاجزين لايقدرون على مايقدر عليه الخالق فضلا عما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شئ) أى لاخالق غيره فيشاركه فى العبادة جعل الخالق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قيله (وهو الواحد) المتوحد بالالوهية (القهار) الغالب على كل شئ (أنزل من السماء ماء) من السحاب أومن جانب السماء أومن السماء نفسها فان المبادئ منها (فسالت أودية) أنهار جمع وادوهو الموضع الذى يسيل الماء فيه بكثرة فالسم فيه واستعمل للماء الجارى فيه وتنكيرها لان المطر يأتى على تناوب بين البقاع (بقدرها) بمقدارها الذى علم الله تعالى أنه نافع غير ضار او بمقدارها فى الصغر والكبر (فاحتمل السيل زبدا) رفعه والزبد وضر الغليان (رابيا) عاليا (ومما توقدون عليه فى النار) يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه (ابتغاء حلية) أى طلب حلى (أومتاع) كالاوانى وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها (زبد مثله) أى ومما يوقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء أوللتبعيض وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالياء على أن الضمير للناس واضماره للعلم به (كذلك يضرب الله الحق والباطل) مثل الحق والباطل فانه مثل الحق فى افادته وثباته بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المنافع و يمكث فى الارض بان يثبت بعضه فى منافعه و يسلك بعضه فى عروق الارض الى العيون والقنى والآبار و بالفلز الذى ينتفع به فى صوغ الحلى واتخاذ الامتعة المختلفة و يدوم ذلك مدة متطاولة والباطل فى قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما و بين ذلك بقوله (فاما الزبد فيذهب جفاء) يجفأ به أى يرمى به السيل والفلز للذهاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد (وأما ينفع الناس) كالماء وخلاصة الفلز (فيمكث فى الارض) ينتفع به أهلها (كذلك يضرب الله الامثال) لايضاح المشتبهات (للذين استجابوا) للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) الاستجابة الحسنى (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على أنه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل طما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهى المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره (لوأن لهم مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان ما آل غير المستجيبين (أولئك لهم سوء الحساب) وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لايغفر منه شئ (ومأواهم) مرجعهم (جهنم و بئس المهاد) المستقر والمخصوص بالذم محذوف (أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق) فيستجيب (كمن هو أعمى) عمى القلب لايستبصر فيستجيب والهمزة لانكار أن تقع شبهة فى تشابههما بعد ماضرب من المثل (انما يتذكر أولو الالباب) ذوو العقول المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم (الذين يوفون بعهد الله) ماعقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربو بيته حين قالوا بلى أوماعهد الله تعالى عليهم فى كتبه (ولا ينقضون الميثاق) ماوثقوه من المواثيق بينهم و بين الله تعالى و بين العباد وهو تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام و يندرج فى ذلك مراعاة جميع حقوق الناس (و يخشون ربهم) وعيده عموما (و يخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) على ماتكرهه النفس و يخالفه الهوى (ابتغاء وجه ربهم) طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما (وأقاموا الصلوة) المفروضة (وأنفقوا مما رزقناهم) بعضه الذى وجب عليهم انفاقه (سرا) لمن لم يعرف بالمال (وعلانية) لمن عرف به (ويدرؤن بالحسنة السيئة) و يدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان

(قوله أومن جانب السماء أومن السماء نفسها فان المبادئ منها) أى لما كان مبادئ الماء من جانب السماء فانه يحصل بارتفاع الأبخرة الحاصلة من حركات الكواكب على طريق العادة (قوله واسع فيه الخ) أى تجوز فيه فاطلق اسم الوادى الذى هو المحل على الحال الذى هو الماء (قوله لان المطر يأتى على تناوب بين البقاع) أى ليس سيل جميع الأودية فى زمان واحد بل بعض فى بقعة فى زمان و بعض فى زمان آخر فى بقعة أخرى (قوله على وجه التهاون اظهارا لكبريائه) أى ما ذكر الفلزات بل ذكرها بوصف نازل هو ايقاد النار عليه اظهارا لكبريائه باعتبار أن ماهو أشرف الامور الدنيوية عند أكثر الخلق فهو خسيس عند الله تعالى (قوله بجفائه) أى بجفاء السيل وهو رميه به

أو يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها (أولئك لهم عقبى الدار) عاقبة الدنيا وما ينبغى أن يكون مآل أهلها وهى الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لأولى الالباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات (جنات عدن) بدل من عقبى الدار أو مبتدأ خبره (يدخلونها) والعدن الاقامة أى جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) عطف على المرفوع فى يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة أو أن الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة فى دخول الجنة زيادة فى أنسهم وفى التقييد بالصلاح دلالة على أن مجرد الانساب لا تنفع (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين (سلام عليكم) بشارة بدوام السلامة (بما صبرتم) متعلق بعليكم أو بمحذوف أى هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية أو للبدلية (فنعم عقبى الدار) وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره (والذين ينقضون عهد الله) يعنى مقابلى الاولين (من بعد ميثاقه) من بعد ما أوثقوه به من الاقرار والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض) بالظلم وتهييج الفتن (أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) عذاب جهنم أو سوء عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة عقبى الدار (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) بوسعه ويضيقه (وفرحوا) أى أهل مكة (بالحيوة الدنيا) بما بسط لهم فى الدنيا (وما الحيوة الدنيا فى الآخرة) أى فى جنب الآخرة (الا متاع) الا امتعة لا تدوم كمجالة الراكب وزاد الراعى والمعنى انهم أشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو فى جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدى اليه من أناب) أقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجرى مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما أعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان أنزل كل آية ويهدى اليه من أناب بما جبلت به بل بأدنى منه من الآيات (الذين آمنوا) بدل من من أو خبر مبتدا محذوف (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) أنسا به واعتمادا عليه ورجاء منه أو بدل كرر رجته بعد القاق من خشيته أو بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته أو بكلامه يعنى القرآن الذى هو أقوى المعجزات (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) تسكن اليه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ خبره (طوبى لهم) وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلنى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ (وحسن مآب) بالنصب (كذلك) مثل ذلك يعنى ارسال الرسل قبلك (أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها تقدمتها (أمم) أرسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليهم (لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب الذى أوحيناه اليك (وهم يكفرون بالرحمن) وحالهم أنهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذى أحاطت بهم نعمته ووسعت كل شئ رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا أنهم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذى هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت فى مشركى أهل مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن (قل هو ربى) أى الرحمن خالقى ومتولى أمرى (لا اله الا هو) لا مستحق للعبادة سواه (عليه توكلت) فى نصرتى عليكم (واليه متاب) مرجعى ومرجعكم

(قوله وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة) يعنى اذا كان المراد ما ذكر وهو انه لحق بهم من صلح من أهليهم الخ فهو يفيد ان الشفاعة توجب رفع الدرجة واما المعنى الآخر فهو لا يفيد ذلك اذ المعنى انهم يدخلون الجنة مع هؤلاء لا بسببهم وشفاعتهم بل بسبب أعمالهم لكن مصاحبتهم معهم بسبب قرابة (قوله لا بسلام فان الخبر فاصل) أى لا يتعلق بما صبرتم بسلام لوجود الفاصل بينهما وهو عليكم وهذا خلاف ما قاله صاحب الكشاف فانه قال يجوز ان يتعلق بما صبرتم بسلام أى يسلم عليكم ويكرمكم بصبركم وما قاله المصنف هو المشهور بين النحاة لان المصدر فى حكم ان مع الفعل والفصل بين بعض الصلة وبعضها لا يجوز وقال الرضى أنا لا أرى منعا من ذلك وليس كل ما أول شئ بكلمة حكم ما أوّل به فلا منع من تأويله بالحرف المصدرى من جهة المعنى مع انه لا يلزمه أحكامه وكلام صاحب الكشاف يؤيد ما ذكره الرضى (قوله يجوز فيه الرفع والنصب) الرفع بانه مبتدأ ولهم خبره أو خبر ولهم صلة والنصب بانه مفعول فعل مقدر وهو طابوا

(قوله حين ما قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) فالمعنى يكفرون باطلاق هذا الاسم عليه تعالى أى ينكرون اطلاقه عليه

(قوله وتذكير كلم خاصة) أى تذكيره دون قطعت وسيرت (قوله وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفى) اذ يفهم منها انه لم يوجد قرآن كذلك فكأنه قيل لم يوجد قرآن سيرت به الجبال الخ بل لله الأمر جميعا بمعنى الاضراب عن المقدر المذكور لكن لا يخفى ان الملائم للاضراب ان يكون الجواب المقدر لما آمنوا حتى يكون المعنى ولو وجد قرآن بالوصف المذكور لما آمنوا أى ليس القرآن المذكور موجبا لايمانهم بل لله الامر جميعا فايمانهم منوط بارادته ويؤيد ذلك ماسيجىء من قوله أفلم ييأس الذين آمنوا من

(ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن أو المبالغة فى عناد الكفرة وتصميمهم أى ولو أن كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها (أو قطعت به الارض) تصدعت من خشية الله عند قراءته أو شققت فجعلت أنهارا وعيونا (أو كلم به الموتى) فتسمع فتقرؤه أو فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية فى الاعجاز والنهاية فى التذكير والانذار أو لما آمنوا به كقوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك أن نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشأم أو ابعث لنا به قصى بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن ومابينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقى (بل لله الامر جميعا) بل لله القدرة على كل شئ وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفى أى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا أن ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله (أفلم ييأس الذين آمنوا) عن ايمانهم مع مارأوا من أحوالهم وذهب أكثرهم الى أن معناه أفلم يعلم لما روى أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين قرؤا أفلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان الميؤس عنه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) فان معناه نفى هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره أفلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم علما منهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا أو بآمنوا (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من الكفر وسوء الاعمال (قارعة) داهية تقرعهم وتقلقلهم (أو تحل قريبا من دارهم) فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية فى كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام كان لا يزال يبعث السرايا عليهم فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز أن يكون تحل خطابا للرسول عليه الصلاة والسلام فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية (حتى يأتى وعد الله) الموت أو القيامة أو فتح مكة (ان الله لا يخلف الميعاد) لامتناع الكذب فى كلامه (ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء أن يترك ملاوة من الزمان فى دعة وأمن (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) أى عقابى اياهم (أفمن هو قائم على كل نفس) رقيب عليها (بما كسبت) من خير أو شر لا يخفى عليه شئ من أعمالهم ولا يفوت عنده شئ من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك (وجعلوا لله شركاء) استئناف أو عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية أو لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه

ايمانهم ونعم ماقال بعضهم من انه معطوف على محذوف تقديره ليس لك من الأمر شئ بل لله الأمر جميعا (قوله فان الميؤس عنه لا يكون الا معلوما) لان اليأس عن حصول الشئ لا يكون الا بعد العلم به لان اليأس عنه هو اعتقاد عدم حصوله (قوله فان معناه نفى هدى بعض الناس الخ) فان قلت لا يلزم من نفى هدى بعض الناس اليأس من ايمان المشركين المذكورين اذ يجوز ان يكون البعض المذكور غيرهم قلنا المراد من الناس المذكورين فى هذا الموضع المشركون المذكورون بقرينة ان نزول الآية المذكورة فيهم لا مطلق الناس فيفهم من الكلام ان ايمان بعض هؤلاء المشركين غير مراد (قوله ملاوة) قال فى الصحاح أقمت بهذه ملاوة وملاءة أى حينا وبرهة (قوله استئناف أو عطف) قيل الاستئناف لا يكون بالواو فكيف جعل وجعلوا لله شركاء استئنافا قلنا الاستئناف على نوعين أحدهما المعتبر عند النحاة ما يكون مسبوقا بواو الاستئناف بان يكون كلاما مستقلا (قوله أو لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه الخ) يعنى العطف يحتمل وجهين أحدهما أن يكون جعلوا عطفا على كسبت بان يكون بمعنى الكسب وجعل بمعنى الجعل عطف المصدر على المصدر حقيقة أو يكون ههنا جملة مقدرة وهى لم يوحدوه ويكون جعلوا له شركاء للتنبيه على ان الالوهية موجب لاستحقاق العبادة وأيضا للنداء على فساد مآلهم بانهم جعلوا الجماد شركاء للذات المقدسة الجامعة لجميع الكمالات

ويكون

(قوله وهذا احتجاج بليغ الخ) فقوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت حجة على نفي الشريك لانه ليس كذلك وقوله تعالى قل سموهم احتجاج آخر اذ يدل على ان ليس للشركاء صفة يستحقون بها العبادة والتسمية بالاله وقوله تعالى أم تنبئونه بما لا يعلم في الارض حجة ثالثة على نفي الشريك لانه ليس كذلك اذ لو كان لعلمه الله لان علمه محيط بالاشياء وقوله تعالى أم بظاهر من القول حجة رابعة اذ معناه ان أخذهم الشركاء ليس بمال حقيقة بل مجرد أمر ظاهر خال عن المعنى وايراده هذه الحجج بهذه العبارات الوجيزة من أعجب الاساليب (قوله فتخيلوا أباطيل) أي تكلفوا سموها لحصول أباطيل في خيالهم حتى حصلت فيه (قوله وهو على قول سيبويه حال الخ) اذا كان مثل الجنة مبتدأ خبره محذوف يكون تجري من تحتها الانهار حالا من الضمير المحذوف العائد الى الموصول أي مثل الجنة التي وعد بها المتقون حال كونها تجري من تحتها الانهار والاولى ان يقال ان الجملة استئناف فكان سائلا قال ما حال تلك الجنة فأجيب تجري من تحتها الانهار (قوله أي مثل الجنة) فيكون المثل بمعنى المثل (قوله على طريق قولك صفة زيد أسمر الخ) فان المراد منه ان صفته هو الاسمر بعينه لان الاسمر صادق عليها كما يقال ان زيدا أسمر

والمراد ان حال الجنة هو بعينه مفهوم تجري من تحتها الانهار لا أن تجري من تحتها الانهار صادق على حال الجنة (قوله وفي ترتيب النظمين) أي في ذكر ذلك عقبي الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار بعد قوله تعالى مثل الجنة الاطعام والاقتاط المذكوران اذ يفهم من تلك عقبى الذين اتقوا مع المقابل الآخر ان الجنة للذين اتقوا دون الكافرين وان النار عقبى لهم دون الذين اتقوا (قوله وانتصابه على الحال) يدل على ان عرباسا حال لكن حكما وعربا صفته وقد صرح

ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبيه على أنه المستحق للعبادة وقوله (قل سموهم) تنبيه على أن هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة وبستأهلون الشركة (أم تنبئونه) بل أتنبئونه وقرئ تنبؤنه بالتخفيف (بما لا يعلم في الارض) بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم أو بصفات لهم يستحقونها لا جلالها لا يعلمها وهو العالم بكل شئ (أم بظاهر من القول) أم تسمونهم شركاء بظاهر من لقول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على أسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز (بل زين للذين كفروا مكرهم) تمويههم فتخيلوا أباطيل ثم خالوها حقا أو كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا عن السبيل) سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح أي بصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين (ومن يضلل الله) يخذله (فماله من هاد) يوفقه "يهدى (لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب (ولعذاب الآخرة أشق) لشدته ودوامه (وما لهم من الله) من عذابه أو من رحمته (من واق) حافظ (مثل الجنة التي وعد المتقون) صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره (تجري من تحتها الانهار) على طريقة قولك صفة زيد أسمر أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار أو على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف أو من الصلة أي كلها دائم (لا ينقطع ثمرها (وظلها) أي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس (تلك) أي الجنة الموصوفة (عقبى الذين اتقوا) ما لهم ومنتهى أمرهم (وعقبى الكافرين النار) لا خير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك) يعني المسلمين من أهل الكتاب كابن سلام وأصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة أو عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم (ومن الاحزاب) يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما (من ينكر بعضه) وهو ما يخالف شرائعهم أو ما يوافق ما حرفوه منها (قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) جواب للمنكرين أي قل لهم انى أمرت فيما أنزل الى بان أعبد الله وأوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا أشرك بالرفع على الاستئناف (اليه أدعو) لا الى غيره (واليه مآب) واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء وأما ما عدا ذلك من التفاريع فما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه (وكذلك) ومثل ذلك الانزال المشتمل على أصول الديانات المجمع عليها (أنزلناه حكما) يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة (عربيا) مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال (ولئن

اتبعت أهواءهم) التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم بعد ماحولت عنها (بعد ماجاءك من العلم) بنسخ ذلك (مالك من الله من ولى ولاواق) ينصرك و يمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات فى دينهم (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) بشرا مثلك (وجعلنا لهم أزواجا وذرية) نساء وأولادا كما هى لك (وما كان لرسول) وماصح له ولم يمكن فى وسعه (أن يأتى بآية) تقترح عليه وحكم يلتمس منه (الاباذن الله) فانه المالى بذلك (لكل أجل كتاب) لكل وقت وأمد حكم يكتب على العباد على مايقتضيه استصلاحهم (يمحوالله مايشاء) ينسخ مايستصوب نسخه (و يثبت) مانقتضيه حكمته وقيل يمحوسيآت التائب و يثبت الحسنات مكانها وقيل يمحومن كتاب الحفظة مالا يتعلق به جزاء و يترك غيره مثبتا أو يثبت مارآه وحده فى صحيفة قلبه وقيل يمحو قرنا و يثبت آخرين وقيل يمحوالفاسدات و يثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى و يثبت بالتشديد (وعنده أم الكتاب) أصل الكتب وهواللوح المحفوظ اذمامن كائن الاوهومكتوب فيه (وامانرينك بعض الذى نعدهم أونتوفينك) وكيفما دارت الحال أريناك بعض ماأوعدناهم أوتوفيناك قبله (فانما عليك البلاغ) لاغير (وعلينا الحساب) للمجازاة لاعليك فلاتحتفل باعراضهم ولاتستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه (أولم يروا أنا نأتى الارض) أرض الكفرة (ننقصها من أطرافها) بما نفتحه على المسلمين منها (والله يحكم لامعقب لحكمه) لارادله وحقيقته الذى يعقب الشئ بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لايمكن تغييره ومحل لامع المنفى النصب على الحال أى يحكم نافذا حكمه (وهو سريع الحساب) فيحاسبهم عما قايل فى الآخرة بعد ماعذبهم بالقتل والاجلاء فى الدنيا (وقد مكر الذين من قبلهم) بانبيائهم والمؤمنين منهم (فلله المكر جميعا) اذ لايؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ماهو المقصود منه دون غيره (يعلم ماتكسب كل نفس) فيعد جزاءها (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) من الحز بين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم فى غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله تعالى بهم واللام تدل على أن المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع مافى الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر أى أهله وسيعلم من أعلمه اذا أخبره (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) قيل المراد بهم رؤساء اليهود (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) فانه أظهر من الادلة على رسالتى مايغنى عن شاهد يشهد عليها (ومن عنده علم الكتاب) علم القرآن وماألف عليه من النظم المعجز أوعلم التوراة وهو ابن سلام وأضرابه أوعلم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى أى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لايعلم مافى اللوح المحفوظ الاهو شهيدا بيننا فيجزى الكاذب منا و يؤيد قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب وعلى الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول و يجوز أن يكون مبتدأ والظرف خبره وهومتعين على الثانى وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة و بعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهى اثنتان وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر كتاب) أى هو كتاب (أنزلناه اليك لتخرج الناس) بدعائك اياهم الى ماتضمنه (من

صاحب الكشاف بان حكما عربيا حال لكن فى كلام المصنف اشارة الى ان الحال فى الحقيقة هو عربيا كما صرح به فى قوله تعالى قرآنا عربيا (قوله وهذا اطلاقه) أى الاخبار بان علينا الحساب طليعة العذاب أى مقدمته اذ هو مخبر عنه (قوله لانه يقفو غريمه بالاقتضاء) أى يعقب غريمه ملتبسا بالتقاضى (قوله اذ لايؤبه) أى لايبالى ولا يعتبر (قوله واللام تدل على ان المراد بالعقبى الخ) لان اللام للنفع (قوله و يؤيده قراءة من قرأ ومن عنده) أى قراءة من عنده الذى هو من الحروف الجارة والتأييد لاجل ان الذى حصل من عنده علم الكتاب هو الله تعالى يؤيد قول من قال من يفتح المسيم عبارة عن الله (قوله وهو مبين للثانية) أى كون الظرف خبرا وعلم الكتاب مبتدأ مبين للقراءة الثانية وهى قراءة من بالكسر اذ لا يصح أن يجعل فاعلا للظرف اذ لااعتماد له على هذا التقدير

﴿سورة ابراهيم﴾

(قوله بدعائك اياهم الى ماتضمنه) أى الى ماتضمنه الكتاب

(قوله تسهيل الحجاب) أى تسهيل ما تعذر وفيه ان اللازم مما ذكر استعمال المفيد الذى هو الاذن بمعنى تسهيل الحجاب فى المطلق فيكون مجازا مرسلا لا استعارة (قوله أوحال من فاعله أو مفعوله) فعلى الاول يكون التقدير ايخرج الناس ملتبسا باذن ربهم وعلى الثانى ملتبسين به (قوله أو استئناف) كان سائلا قال الى أى نور الاخراج فقيل الى صراط العزيز الحميد (قوله وتخصيص الوصفين بالذكر اما عدم ذلال السالك فلان العزة والغلبة تناسب اعزاز من قصد السلوك فى سبيله واما عدم التخييب فلان الحميد بمعنى المحمود والمحمود من أوصل النعمة الى الغير حتى يستحق أن يحمد اذا لحميد من كان كاملا فى حد ذاته مستحقا للحمد وهو يناسب عدم تخييب السائل (قوله أو الله خبر مبتدأ محذوف) فيكون التقدير هو الله الذى ومرجع الضمير العزيز الحميد (قوله لانه كالعلم الخ) هذا يدل على ان عطف البيان يجب أن يكون علما أو فى حكمه فى الاختصاص (قوله فان لم تختار لشئ الخ) فيكون يستحبون مجازا مرسلا من باب اطلاق اسم اللازم على ملزومه (قوله اذا تنكب) أى مال عن الحق (قوله وليس فصيحا الخ) لان الفعل المتعدى اذا وجد لا حاجة الى تعدية اللازم لانه تكلف وتبع فى هذا صاحب الكشاف وفيه ان القراآت تؤخذ من الرواية لا من الدراية فلا وجه للقول بان فى صده منه وحة عن التعدية (قوله والنصب على الذم والرفع عليه) فعلى الاول الذم الذين يستحبون الحياة لدنيا وعلى الثانى بئس الذين يستحبون (قوله وذلك يؤدى الى اختلاف الكلمة) أى الى اختلاف ما تمسك به الفرق من الكتب والالفاظ فلا يتفقون على كتاب واحد وذلك يفضى الى كثرة الاختلاف اذ لو كانت الكتب كثيرة باختلاف الالسنة لحصل الاختلاف بين كل طائفة فى كتابهم فيتضاعف الاختلافات (قوله واضاعة فضل الاجتهاد الخ) اذ لما كان القرآن منزلا بلغة العرب ينبذل جماعة من كل طائفة وسعهم فى تحقيق لغات العرب واعرابها وأحوال

الظلمات) من أنواع الضلال (الى النور) الى الهدى (باذن ربهم) بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج أو حال من فاعله أو مفعوله (الى صراط العزيز الحميد) بدل من قوله الى النور بتكرير العامل أو استئناف على أنه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله تعالى لما انه مقصده أو لما المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على أنه لا يذل سالكه ولا يخيب سائله (الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر أو الله خبر مبتدا محذوف والذى صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق (وويل للكافرين من عذاب شديد) وعيد ان كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة وأصله النصب لانه مصدر الا أنه لم يستعمل منه فعل لكنه رفع لافادة الثبات (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه أن يكون أحب اليها من غيره (ويصدون عن سبيل الله) يتعوقون الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من أصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان فى صده منه وحة عن تكلف التعدية بالهمزة (ويبغونها عوجا) ويبغون لها أو لسبيل الله عوجا بان يصفوه بما لا يليق به من التغير والنقصان (أولئك فى ضلال بعيد) عن الحق ووقوعها عنه بمراحل والبعد فى الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة أو للامر الذى به الضلال فوصف به الاستقامة (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) الا بلغة قومه الذى هو منهم وبعث فيهم (ليبين لهم) ما أمر به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويتجوه الى غيرهم فانهم أولى الناس اليه بان يدعوهم وأحق بان ينذرهم ولذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته أولا ولو نزل على من بعث الى أمم مختلفة كتب على ألسنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز لكن أدى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد فى تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها ومافى اتعاب القرائح وكد النفوس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كسعد وسعد وقيل الضمير فى قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وان الله تعالى أنزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام أو كل نبى بلغة المنزل عليهم وذلك ليس بصحيح رده قوله ليبين لهم فانه ضمير التوراة والانجيل ونحوهما نزل لتبين للعرب (فيضل الله من يشاء) فيخذله عن الايمان (ويهدى من يشاء) بالتوفيق له (وهو العزيز) فلا يغلب على مشيئته (الحكيم) الذى لا يضل ولا يهدى الا لحكمة (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) يعنى اليد والعصا وسائر معجزاته (أن أخرج قومك من الظلمات الى النور) بمعنى أى أخرج لان فى الارسال معنى القول أو بان أخرج فان صيغ الافعال سواء فى الدلالة على المصدر فيصح أن توصل بها أن الناصبة

مفرداتها وثراكيبها ولو كان الكتب مختلفة لكان لكل طائفة اكتفاء بما هو معهم فلم يحصل لهم فضل الاجتهاد (قوله ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت الخ) أي يجوز نصب اذا أنجاكم بعليكم اذا جعلت عليكم ظرفا مستقرا لانه حينئذ مقدر بالفعل فيصلح ان يكون عاملا اما اذا كان صلة للنعمة فلا يصلح ان يكون عاملا اذ ليس مقدرا بالفعل وحينئذ تكون النعمة بمعنى العطية لا بمعنى الانعام اذ لو كان بمعنى الانعام لكان عليكم صلة له (قوله وهو اما جنس العذاب) وعلى هذا فعطف يذبحون عليه عطف الخاص على العام (قوله ومن عادة أكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد) فانه تعالى صرح بالوعد فقال لازيدنكم وعرض بالوعيد فقال ان عذابي لشديد من جهة انه لم يقل وان كفرتم عذبتكم (قوله والجملة مفعول قول مقدر) فيكون التقدير واذ تأذن ربكم قائلا لئن شكرتم الخ (قوله جملة وقعت اعتراضا) لان مجموع هذا الكلام لا يصح ان يجعل معطوفا على ما قبله (قوله ولذلك قال ابن مسعود) المراد من النسابين الذين يدعون العلم بالآباء الموجودين في تلك الازمنة المتقدمة وانما كذبهم لان الله تعالى نفى علم الآباء المذكورة عنهم أي عن النسابين (قوله وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا) أي يحتمل ان يكون استعارة بان يكون المراد من رد الايدي في الافواه منعهم عن التكلم من غير اعتبار المعنى الحقيقي لليد (قوله لان الكلام في المشكوك فيه لا للشك) لان القاعدة ان يلي الهمزة ما يتعلق به الغرض انما

(وذكرهم بايام الله) بوقائعه التي وقعت على الامم الدارجة وأيام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) يصبر على بلائه ويشكر على نعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبل من البلاء وأفيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنه بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون) أي اذكروا نعمته عليكم وقت انجائه اياكم ويجوز أن ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا أريد بها العطية دون الانعام ويجوز أن يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) أحوال من آل فرعون أو من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب أو استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة (وفي ذلكم) من حيث انه باقدارالله اياهم وامهالهم فيه (بلاء من ربكم عظيم) ابتلاء منه ويجوز أن تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة (واذ تأذن ربكم) أيضا من كلام موسى صلى الله عليه وسلم وتأذن بمعنى آذن كتوعد وأوعد غير أنه أبلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة (لئن شكرتم يابني اسرائيل ما أنعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح (لازيدنكم) نعمة الى نعمة (ولئن كفرتم) ما أنعمت عليكم (ان عذابي لشديد) فاعلى أعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة أكرم الاكرمين أن يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر أو مفعول تأذن على أنه جار مجرى قال لانه ضرب منه (وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا) من الثقلين (فان الله لغني) عن شكركم (حميد) مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضرتم بالكفران الا أنفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) من كلام موسى عليه الصلاة والسلام أو كلام مبتدأ من الله (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) جملة وقعت اعتراضا أو الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كذب النسابون (جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم) فعضوها غيظا عما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام أو استهزاء عليه كمن غلبه الضحك أو اسكاتا للانبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرا لهم باطباق الافواه أو أشاروا بها الى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على أن لا جواب لهم سواه أو ردوها في أفواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي أي ردوا أيادي الانبياء التي هي مواعظهم وما أوحي اليهم من الحكم والشرائع في أفواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث جاءت منه (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) على زعمكم (وانا لفي شك مما تدعونا اليه) من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام (مريب) موقع في الريبة أو ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشئ (قالت رسلهم أفي الله شك) أدخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك أي

انما ندعوكم الى امة وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه وأشاروا الى ذلك بقولهم (فاطر السموات والارض) وهو صفة أو بدل وشك مرتفع بالظرف (يدعوكم) الى الايمان ببعثه اياانا (ليغفر لكم) أو يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به (من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو ما يتكم و بينه تعالى فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فتناول الخروج عن المظالم (ويؤخركم الى أجل مسمى) الى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر أعماركم (قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا) لافضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس أفضل (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) بهذه الدعوى (فأتونا بسلطان مبين) يدل على فضلكم واستحقاقكم هذه المزية أو على صحة ادعائكم النبوة كأنهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية أخرى تعنتا ولجاجا (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) أي ليس الينا الاتيان بالآيات ولا تتسبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا ألا ترى قوله تعالى (ومالنا ألا نتوكل على الله) أي أي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه (وقد هدانا سبلنا) التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ أبو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت (ولنصبرن على ما آذيتمونا) جواب قسم محذوف أكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فليثبت المتوكلون على ما استحقروه من توكلهم المسبب عن ايمانهم (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا) حلفوا على ان يكون أحد الامرين اما اخراجهم للرسل أو عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط و يجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ومن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد (فأوحى اليهم ربهم) أي الى رسلهم (لنهلكن الظالمين) على اضمار القول أو اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه (ولنسكننكم الارض من بعدهم) أي أرضهم وديارهم كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك أقسم زيد ليخرجن (ذلك) اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين (لمن خاف مقامي) موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة أو قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم (وخاف وعيد) أي وعيدي بالعذاب أو عذابي الموعود للكفار (واستفتحوا) سألوا من الله الفتح على أعدائهم أو القضاء بينهم و بين أعدائهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوا أن ينصر الحق و يهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على ليهلكن (وخاب كل جبار عنيد) أي ففتح لهم فأفلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر على الله

وهو الله تعالى (قوله تنزيل المفعول له منزلة المفعول به) فتكون اللام بمعنى الى والفعل بمعنى المصدر (قوله فيتناول الخروج عن المظالم) أي يتناول خطاب المؤمنين الخروج عن المظالم فلم يبق عليهم سوى ما يتعلق بحق الله تعالى فاذا تابوا يغفر الله جميع ذنوبهم واما الايمان فلا يحصل منه الخروج من المظالم فيغفر ما سواها ولذا دخل من على مغفرة ذنوبهم ليدل على التبعيض (قوله وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى) ان قيل لم لا يجوز ان يكون تخصيصهم بالنبوة بسبب استعدادهم وقابليتهم المناسبة فيكون معنى الآية ولكن الله يخص من يشاء من عباده بالنبوة بسبب قابليته واستعداده قلنا جاء الكلام في اختصاصهم بتلك الاستعدادات بان سبب الاختصاص ماذا فتأمل (قوله عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل الخ) أي عمموا الحكم بان على جميع المؤمنين التوكل على الله لكن المقصود بالذات الرسل فكانما قالوا ان عليهم التوكل (قوله فغلبوا الجماعة على الواحد) وعلى كل فالعود بمعنى الصيرورة

معائد للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة أومن القبيلين كان أوقع (من ورائه جهنم) أى من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيره فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ماتوارى عنك (ويسقى من ماء) عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم باق فيها مايلقى ويسقى من ماء (صديد) عطف بيان للماء وهو ماسيل من جلود أهل النار (يتجرعه) يتكلف جرعه وهو صفة للماء أوحال من الضمير فى يسقى (ولايكاد يسيغه) ولايقارب أن يسيغه فكيف يسيغه لبعض مايطول عذابه والموغ جوار الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس (ويأتيه الموت من كل مكان) أى أسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وابهام رجله (وماهو بميت) فيستريح (ومن ورائه ومن بين يديه (عذاب غليظ) أى يستقبل فى كل وقت عذابا أشد مما هو عليه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى أهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنهم التى أرسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يزدهم وعدهم أن يسقيهم فى جهنم بدل سقياهم صديد أهل النار (مثل الذين كفروا بربهم) مبتدأ خبره محذوف أى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة أوقوله (أعمالهم كرماد) وهو على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل أعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد (اشتدت به الريح) حملته وأسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح (فى يوم عاصف) العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها وذهابها بهاهباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها اليه وأعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصف (لايقدرون) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شئ) لحبوطه فلايرون له أثرا من الثواب وهو مثل لكة التمثيل (ذلك) اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم أنهم محسنون (هوالضلال البعيد) فانه الغاية فى البعد عن طريق الحق (ألم تر) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته وقيل اسكل واحد من الكفرة على التلوين (أن الله خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة والوجه الذى يحق أن تخلق عليه وقرأ حمزة والكسائى خالق السموات (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم ترتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق أصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر أن يبدلهم بخلق آخر ولم يتمنع عليه ذلك كقوله (وماذلك على الله بعزيز) بمتعذر أومتعسر فانه قادر لذاته لااختصاص له بمقدور دون مقدور ومن كان هذا شأنه كان حقيقا بأن يؤمن به ويعبد رجاء ثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء (وبرزوا لله جميعا) أى يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله تعالى ومحاسبته أوالله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة تكشفوا لله تعالى عند أنفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه (فقال الضعفاء) الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأى وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو (للذين استكبروا) لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم (انا كنا لكم تبعا) فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب أومصدر نعت به للمبالغة أوعلى اضمار مضاف (فهل أنتم مغنون عنا) دافعون عنا (من عذاب الله من شئ) من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول أى بعض الشئ الذى هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض أى بعض شئ هو

والفرق بين لو جهين ان فى الاول الخطاب مع الانبياء فقط دون اغيرهم وفى الثانى الخطاب مع الانبياء والمؤمنين (قوله ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة الخ) لان تحصيل نقيض مادعوه أشد فى الخيبة والخسران (قوله واقف على شفيرها) أى واقف على شفير جهنم فى الدنيا باعتبار القرب واستعداده لحصوله فيها (قوله على التلوين) أى تغيير الكلام من طور الى طور آخر وهو وههنا الالتفات من الغيبة الى الخطاب (قوله أوالله على ظنهم) فيه انه لزم أن يكون المعنى برزوا يوم القيامة لله على ظنهم فيكون البروز لله مظنونا لهم يوم القيامة لكن البروز المذكور معلوم لهم لامظنون الا أن يقال الظن بمعنى العلم والاولى أن يقال برزوا لله على علمهم أو برزوا على خلاف ظنهم فى الدنيا (قوله انكشفوا لله عند أنفسهم) أى تيقنوا فى تلك الحالة انهم مكشوفون لله تعالى

بعض عـذاب الله والاعراب ماسبق و يحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا أى فهل أنتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء (قالوا) أى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم (لو هدانا الله) للايمان و وفقناله (لهديناكم) ولكن ضللنا فأضللنا كم أى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم وأغنيناه عنكم كما عرضنا كم له لكن سددونا طريق الخلاص (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر (ما لنا من محيص) منجاو مهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب و يجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين و يؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا (وقال الشيطان لما قضى الأمر) أحكم وفرغ منه ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار خطيبا فى الاشقياء من الثقلين (ان الله وعدكم وعد الحق) وعدا من حقه أن ينجز أو وعدا أنجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء (ووعدتكم) وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم (فأخلفتكم) جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه (وما كان لى عليكم من سلطان) تسلط فألجئكم الى الكفر والمعاصى (الا أن دعوتكم) الادعائى اياكم اليها بتسويلى وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * و يجوز ان يكون الاستثناء منقطعا (فاستجبتم لى) أسرعتم اجابتى (فلا تلوموني) لوسوستى فان من صرح العداوة لا يلام بأمثال ذلك (ولوموا أنفسكم) حيث أطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بأمثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفى لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما فى فعله وهو الكسب الذى يقوله أصحابنا (ما أنا بمصرخكم) بمغيثكم من العذاب (وما أنتم بمصرخى) بمغيثى وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو أصل مرفوض فى مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها ألف فبالحرى ان لا تكسر وقبلها ياء أو على لغة من يز يد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف فى ضربته وأعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة (انى كفرت بما أشركتمون من قبل) ما امامصدرية ومن متعلقة بأشركتمونى أى كفرت اليوم باشراكم اياى من قبل هذا اليوم أى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله و يوم القيامة يكفرون بشرككم أو موصولة بمعنى من نحو ما فى قولهم سبحان ماسخرلنا ومن متعلقة بكفرت أى كفرت بالذى أشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت أمره بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام وأشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان (ان الظالمين لهم عذاب أليم) تتمة كلامه أو ابتداء كلام من الله تعالى وفى حكاية أمثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم و يتدبروا عواقبهم (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم) باذن الله تعالى وأمره والمدخلون هم الملائكة وقرئ وأدخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله (تحيتهم فيها سلام) أى تحييهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) كيف اعتمده ووضعه (كلمة طيبة كشجرة طيبة) أى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا و يجوز أن تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها وخبر مبتدا محذوف أى هى كشجرة وان تكون أول مفعولى ضرب اجراء له

(قوله والاعراب ماسبق) بان يكون من عذاب حالا ومن شئ مفعولا (قوله وعدا من حقه أن ينجزه أو وعدا أنجزه) فالاول باعتبار استحقاقه للانجاز والثانى باتصافه بالانجاز بالفعل (قوله ولكنه على طريقة قولهم تحيتهم بينهم الخ) فتكون الدعوة سلطنة تقديرا كما يقدر الضرب تحية (قوله وهو الكسب الذى يقوله أصحابنا) لا يخفى ان الكسب فعل ما فعل بايجاد الله تعالى كما تر الافعال الأخر و يمكن أن يقال ان كلام الشيطان لا يصح ان يحتج به سيما ان غرض اللعين فى ذلك الموطن اسكات تبعه (قوله فاذا لم تكسر وقبلها الف الخ) أى اذا لم تكسر ياء الاضافة وقبلها ألف فى مثل غلامای فبطريق الاولى ان لا تكسر وقبلها ياء لزيادة الثقل (قوله اجراءها مجرى الهاء والكاف) فكما انه يزاد الواو والياء بعد الهاء والكاف ثم حذف الياء واكتفى بالكسر كذلك حذف الهاء ههنا واكتفى بالكسر (قوله اشراككم اياى) اشراكهم الشيطان باعتبار ان عبادة الاصنام فى الحقيقة عبادة الشيطان لانه أوقعهم فى عبادتها

توفيق الله وحفظه اياهم وهو ظاهره لا يتناول أحفاده وجميع ذريته وزعم ان عيينة أن أولاد اسمعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلته (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا (فمن تبعني) على ديني (فانه مني) أي بعضي لاينفك عني في أمر الدين (ومن عصاني فانك غفور رحيم) تقدم أن تفضله وترحمه ابتداء أو بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على أن كل ذنب فلله أن يغفره حتى الشرك الا الأن الوعيد فرق بينه و بين غيره (ربنا اني أسكنت من ذريتي) أي بعض ذريتي أو ذريته من ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم (بواد غير ذي زرع) يعني وادي مكة فانها حجرية لانبت (عند بيتك المحرم) الذي حرمت التعرض له والتهاون به أو لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا أي أعتق منه ولود عا بهذا الدعاء أول مقدم فلعله قال ذلك باعتبارما كان أو ماسيؤل اليه روي أن هاجر كانت لسارة رضي الله عنها فوهبتها لابراهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل عليه السلام فغارت عليهما فشاذنته أن يخرجهما من عندها فاخرجهما الى أرض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثم طيورا فقالوا لاطير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا أتشركنا في ألبانتا ففعلت (ربنا ليقيموا الصلاة) اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الامر بها فعلهم باقامة الصلاة كأنه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى أن يوفقهم لها (فاجعل أفئدة من الناس) أي أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض وللذلك قيل لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى أو للابتداء كقولك القلب مني سقيم أي أفئدة ناس وقرأ هشام أفئيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ آفدة وهو يحتمل أن يكون مقلوب أفئدة كآدر في أدؤر وأن يكون اسم فاعل من أفدت الرجلة اذا عجلت أي جماعة يعجلون نحوهم وأفدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز أن يكون من أفد (تهوي اليهم) تسرع اليهم شوقا ووداد او قرئ تهوى على البناء للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا أحب وتعديته بالى لتضمنه معنى النزوع (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا لا نبات فيه (لعلهم يشكرون) تلك النعمة فأجاب الله عز وجل دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك أعلم بأحوالنا ومصالحنا وأرحم بنا منا بأنفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهار العبودية بتلك وافتقارا الى رحمتك واستجلابا للنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجأ الى الله تعالى (وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء) لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) أي وهب لي وأنا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من آلائه (اسمعيل واسحق) روي أنه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة واثنتي عشرة سنة (ان ربي لسميع الدعاء) أي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو

أي قوله تعالى اجعل هذا بلدا آمنا يدل على انه سأل جعله بلدا ذا أمن لان البلد مفعول بجعل وقوله تعالى اجعل هذا البلد آمنا يدل على انه سأل جعله ذا أمن لا جعله بلدا (قوله ولود عا بهذا الدعاء أول مقدم) الظاهر ان مراده من الدعاء هو مجموع قول ابراهيم في قوله واذ قال الى قوله لعلهم يشكرون فيكون قوله هذا البلد وقوله عند بيتك المحرم باحد الاعتبارين (قوله وتكرير النداء وتوسيطه) أي ايراد لفظ ربنا على ليقيموا الصلاة دل على ان مجرد الاقامة مقصود بالذات دون الاسكان بخلاف ما لو لم تكرر والظاهر انه لو لم يكرر لم يوسط لدل الكلام على ذلك لكن حصل من التكرار قوة الدلالة (قوله فلا حاجة لنا الى الطلب) فيه ان علمه تعالى بجميع الاحوال لا يلزم ان لا حاجة لنا الى الطلب (قوله لانه يعلم يعلم الخ) الاولى أن يقال ان كل شئ موجود بارادته تعالى فيجب ان يكون عالما محيطا بها

من أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل أضيف الى مفعوله أوفاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه وهب له سؤله حين ما رفع اليأس منه ليكون من أجل النعم وأجلها (رب اجعلني مقيم الصلاة) معدلا لها مواظبا عليها (ومن ذريتي) عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله أو استقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار (ربنا وتقبل دعاء) واستجب دعائي أو وتقبل عبادتي (ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل أرادهما آدم وحواء (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق أو يقوم اليه أهله فحذف المضاف أو أسند اليه قيامهم مجازا (ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تنبيته على ما هو عليه من أنه تعالى مطلع على أحوالهم وأفعالهم لاتخفى عليه خافية والوعيد بأنه معاقبهم على قليله وكثيره لامحالة أولكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم (انما يؤخرهم) يؤخر عذابهم وعن أبي عمر وبالنون (ليوم تشخص فيه الابصار) أي تشخص فيه أبصارهم فلا تقر في أماكنها من هول ماترى (مهطعين) أي مسرعين الى الداعي أو مقبلين بأبصارهم لايطرفون هيبة وخوفا وأصل الكلمة هو الاقبال على الشئ (مقنعي رؤسهم) رافعيها (لايرتد اليهم طرفهم) بل تثبت عيونهم شاخصة لاتطرف ولايرجع اليهم نظرهم فينظر والى أنفسهم (وأفئدتهم هواء) خلاء أي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء أي لارأي فيه ولاقوة قال زهير * من الظلمان جؤجؤه هواء * وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق (وأنذر الناس) يامحمد (يوم يأتيهم العذاب) يعني يوم القيامة أو يوم الموت فانه أول أيام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر (فيقول الذين ظلموا) بالشرك والتكذيب (ربنا أخرنا الى أجل قريب) أخر العذاب عنا أو ردنا الى الدنيا وأمهلنا الى حد من الزمان قريب أو أخر آجالنا أو أبقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك (نجب دعوتك ونتبع الرسل) جواب للامر ونظيره لولا أخرتني الى أجل قريب فاصدق وأكن من الصالحين (أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) على ارادة القول ومالكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لاتزالون بالموت ولعلهم أقسموا بطرا وغرورا أودل عليه حالهم حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا وقيل أقسموا أنهم لاينتقلون الى دار أخرى وأنهم اذا ماتوا لايرالون عن تلك الحالة الى حالة أخرى كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعاصي كعاد وثمود وأصل سكن أن يعدى بفي كقر وغنى وأقام وقد يستعمل بمعنى التبوئ فيجري مجراه كقولك سكنت الدار (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) بما تشاهدونه في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من أخبارهم (وضربنا لكم الامثال) من أحوالهم أي بينا لكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب أو صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة (وقد مكروا مكرهم) المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل (وعند الله مكرهم) ومكتوب عنده فعلهم فهو مجاز بهم عليه أو عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له (وان كان مكرهم) في العظم والشدة (لتزول منه الجبال) مسوى لازالة الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا بالرسل كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله تعالى وشرائعه وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع على

(قوله على المطابقة دون الحكاية) أي فالتعبير بالخطاب في قوله تعالى مالكم من زوال لبس على الحكاية عن قولهم اذ عبارتهم ليست على طريق الخطاب بل على طريق التكلم بل الخطاب بناء على مطابقته مع أقسمتم (قوله ولعلهم أقسموا بطرا وغرورا الخ) أي ليس قسمهم بناء على اعتقادهم انهم لا يموتون لان هذا الاعتقاد خلاف صريح العقل وشهادة الاموات وانما قالوا ذلك باللسان تكبرا وغرورا والمراد انهم فعلوا ما يدل على انهم لا يموتون فنزل حالهم منزلة القسم (قوله مخففة من الثقيلة) خبر ان المخففة يلزمها اللام المفتوحة ولهذا قال صاحب المغني يلزمها لام الابتداء الا اذا دل دليل على ان اللام للاثبات ليست بنافية كما في قراءة أبي رجاء وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا بكسر اللام (قوله وقرئ بالفتح والكسر) أي بفتح اللام وكسرها على قول من يجعل لام كي مفتوحة

أنها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وأصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بأنه لا يخلف الوعد أصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده أحدا فكيف يخلف رسله (ان الله عزيز) غالب لا يماكر قادر لا يدافع (ذو انتقام) لاوليائه من أعدائه (يوم تبدل الارض غير الارض) بدل من يوم يأتيهم أو ظرف للانتقام أو مقدر باذكر أو لا يخلف وعده ولا يجوز أن ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده (والسموات) عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا أذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيآتهم حسنات والآية تحتملهما فعن علي رضي تعالى عنه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وأنس رضي الله تعالى عنهما يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا واعلم أنه لا يلزم على الوجه الاول أن يكون الحاصل بالتبديل أرضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني أن يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما أشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين (وبرزوا) من أجدائهم (لله الواحد القهار) لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على أن الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت أو قرنوا مع الشياطين أو مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة أو قرنت أيديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل أن يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته أيديهم وأرجلهم (في الاصفاد) متعلق بمقرنين أو حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل

وزيد الخيل قد لاقى صفادا * يعض بساعد وبعظم ساق

وأصله الشد (سرابيلهم) قمصانهم (من قطران) وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو أسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة تطلى به جلود أهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيآت الوحشية فيجلب اليها أنواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطرآن والقطر النحاس أو الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية أو حال من الضمير في مقرنين (وتغشى وجوههم النار) وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على أفئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوأة بالجهالات ونظيره قوله تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم (ليجزي الله كل نفس) أي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة (ما كسبت) أو كل نفس من مجرمة أو مطيعة لانه اذا بين أن المجرمين يعاقبون

(قوله بدلناهم جلودا غيرها) فيه انه فيه التبديل بعود الجلود بعينها (قوله وعليه قوله يبدل الله سيآتهم حسنات) فيه انه فسر هذا التبديل بمحو سوابق المعاصي بالتوبة واثبات لواحق الطاعات مكانها ولا يخفى ان هذا تبديل الذات لا تبديل الصفة (قوله واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول الخ) لان تبديل الارض يحتمل أن يكون البدل لا على صفة الارضية وحقيقتها بل على حقيقة وصفة أخرى وانما قال على الوجه الاول اذ على الثاني حقيقة الارضية والسماوية باقية (قوله وتوصيفه بالوصفين الخ) لانه اذا كان الامر للواحد القهار فلا مطمع للنجاة بسبب شخص آخر ولا بشفاعته بالاستقلال وبالجملة حصل اليأس من نصرة الغير بوجه من الوجوه فهو دال على شدة الامر ولا يخفى دلالة صفة القهار على الشدة (قوله وهو يحتمل أن يكون تمثيلا) أي يحتمل أن يكون التقرين بين الايدي والارجل استعارة عن اقتران ما اكتسبته أيديهم وأرجلهم بالاعضاء المذكورة فالمعنى مقرونين بما اكتسبته أيديهم وأرجلهم (قوله ويحتمل أن يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس)

لاجرامهم

فشبه حال النفس مع الهيآت النفسانية المؤذية بحال الشخص مع ثلبه بالقطران ووجه الشبه تألم اللابس بالملبوس وكراهته له فيستعار هذا اللفظ المركب وهو سرابيلهم من قطران للسيآت الحاصلة للنفوس الموجبة لآلامهم ومضارهم وعقوباتهم (قوله ويتعين ذلك ان علق اللام بيرزوا) لان ضمير يرزوا راجع الى جميع الخلائق المؤمنين والمجرمين فيكون الجزاء شاملا للاثابة والعقوبة وأما اذا كان اللام متعلقا بتغشى كان صريحا ببيان حال المجرمين وحال المؤمنين تعلم بالمقايسة (قوله منتهى كمالها التوحيد) فيه نظر لان التوحيد ليس منتهى كمالها بل منتهى كمالها معرفة الصفات الالهية والآيات المبينة فى الآفاق والانفس بل نقول التوحيد أول مراتب الايمان فتكميل الرسل مستفاد من قوله تعالى ولينذروا به لان الانذار للرسل والاستكمال بالقوة النظرية يستفاد من قوله تعالى

لاجرامهم علم أن المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام بيرزوا (ان الله سريع الحساب) لانه لايشغله حساب عن حساب (هذا) اشارة الى القرآن أو السورة أو مافيه من العظة والتذكير أو ماوصفه من قوله ولاتحسبن الله (بلاغ للناس) كفاية لهم فى الموعظة (ولينذروا به) عطف على محذوف أى لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقه بالبلاغ ويجوز أن تتعلق بمحذوف تقديره ولينذر وابه أنزل أوتلى وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له (وليعلموا أنما هو اله واحد) بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه أو المنبهة على مايدل عليه (ولينذر أولو الالباب) فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم أنه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هى الغاية والحكمة فى انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التى منتهى كمالها التوحيد واستكمال القوة العملية الذى هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله تعالى من الفائزين بهما * وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبدها

﴿سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم أى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغى بيانا غريبا (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر أوحلول الموت أو يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد وبدونه مع التخفيف وبناء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه أن يدخل الماضى لكن لما كان المترقب فى اخبار الله تعالى كالماضى فى تحققه أجرى مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله

ربما تكره النفوس من الامـ ـر له فرجة كحل العقال

ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحرى أن يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم أهوال القيامة فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة فى حكاية وداداتهم كالغيبة فى قولك حلف بالله ليفعلن (ذرهم) دعهم (يأكلوا ويتمتعوا)

النصر أو الموت الخ) الظاهر ان الموت عطف على النصر ويلزم وداد هم الاسلام حين عاينوا حال المسلمين حال الموت وذلك بان كشف الله عليهم عند الموت حسن حال المسلمين ووخامة عاقبة الكافرين ويمكن أن يكون معطوفا على عاينوا فيكون المعنى حين عاينوا أوعند حلول الموت (قوله وفيه ثمان لغات) ضم الراء مع التخفيف ومع التشديد وفتح الراء مع التخفيف ومع التشديد فهذه أربعة وكل منها اما مع التاء أو لا فيحصل ثمانية (قوله وحقه ان يدخل الماضى) لانها وضعت لتقليل المحقق الواقع أو تحقيقه (قوله ربما تكره النفوس من الامر الخ) اذ لمعنى رب شئ تكرهه النفوس (قوله ومعنى التقليل فيه انهم الخ) غرضه ان رب ههنا المقصود منه التكثير لكن عبر عنه بلفظ رب المفيد للتقليل فى أصل وضعه اشعارا بما ذكر (قوله والغيبة فى حكاية وداداتهم الخ) أى الظاهر أن يقال ربما يود الذين كفروا

وليعلموا أنما هو اله واحد واستصلاح القوة العملية مستفاد من قوله تعالى ولينذكر أولو الالباب

﴿سورة الحجر﴾

(قوله وتنكيره للتفخيم) أى اذا كان القرآن عبارة عن السورة فيجب أن يكون معرفا كالكتاب فاجاب بان تنكيره للتفخيم (قوله أى آيات الجامع الخ) كذا فى الكشاف وقال الطيبى فان قلنا المآل الى أن الكتاب وقرآن مبين وصفان لموصوف واحد اقيامقامه فما ذلك الموصوف فان قدرته معرفة يأباه وقرآن مبين لانه نكرة وان قدرته نكرة يأباه قوله تعالى الكتاب قلت أقدره معرفة وقرآن مبين فى تأويل المعرفة لان معناه البالغ فى القراءة الى حد الاعجاز (قوله حين عاينوا حال المسلمين عند حصول

لو كنا مسلمين اذ المعنى انهم يقولون فى أنفسهم أو بلسانهم لو كنا مسلمين لكن عدل الى الغيبة لانه تعالى مخبر عن حالهم (قوله تأكيدا للموقها بالموصول) لان الواو للوصلة بين الشيئين (قوله وتذكير ضمير أمة) وهى الضمير فى يستأخرون للحمل على المعنى لان الغالب من الأمة مذكرون (قوله والمعنى انك تقول قول المجانين حتى تدعى الخ) أى حتى يصل جنونك الى مرتبة ادعاء النبوة (قوله ركب مع ما كاركب مع لا تعنيين الخ) يدل على ان لو ماله امعنيان أحدهما امتناع الشئ لوجود غيره والثانى التحضيض وعبارة الكشاف أصرح منه فانه قال لو ركب مع لو امعنيين أحدهما امتناع الشئ لوجود غيره كقول الشاعر

لولا الحياء ولو لا الدين عبتكما ببعض مافيكما اذ عبتما عورى

والثانى التحضيض (قوله ولذا أكده من وجوه) الاول ايراد ان الثانى ايراد الجملة الاسمية الثالث تكرير الاسناد (قوله أو نفى تطرق الخلل الخ) معطوف على قوله قدرة والمعنى ان قوله تعالى وانا له لحافظون امامؤكد لقوله نزلنا الذكر والغرض نفى تطرق الخلل اليه فيما يستقبل من الزمان يعنى ان الغرض منه انه مؤكد للجملة السابقة أوانه مفيد معنى آخر (قوله وهذا لاحتجاج ضعيف) أى الاستدلال بان الضميرين المذكورين لمرجع واحد ضعيف (قوله لجواز أن يكون حالا من المجرمين) الاولى ان يقال يجوز أن يكون حالا من قلوب المجرمين اذ هو مفعولا به بواسطة

بديباجه (وبلههم الامل) ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من ارعوائهم وايذانه بأنهم من أهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بمالا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن إشارا لتنعم ومايؤدى اليه طول الامل (وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) أجل مقدر كتب فى اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل أن لا تدخلها الواو كقوله الا لها منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال أدخلت عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف (ماتسبق من أمة أجلها ومايستأخرون) أى ومايستأخرون عنه وتذكير ضمير أمة فيه للحمل على المعنى (وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر) نادوا به النبى صلى الله عليه وسلم على انهم ألا ترى الى مانادوه به وهو قولهم (انك لمجنون) ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعى أن الله تعالى نزل عليك الذكر أى القرآن (لوما تأتينا) ركب لو مع ما كما ركبت مع لا للتعنيين امتناع الشئ لوجود غيره والتحضيض (بالملائكة) ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله تعالى لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو للعقاب على تكذيبنا لمالك كانت الامم المكذبة قيل (ان كنت من الصادقين) فى دعواك (مانزل الملائكة) بالياء ونصب الملائكة على أن الضمير لله تعالى وقرأ حفص بالنون والباقون بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل (الا بالحق) الا تنزلا ملتبسا بالحق أى بالوجه الذى قدره واقتضته حكمته ولا حكمة فى أن تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا فى معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحى أو العذاب (وما كانوا اذا منظرين) اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر أى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين (انا نحن نزلنا الذكر) ردلانكارهم واستهزائهم ولذلك أكده من وجوه وقرره بقوله (وانا له لحافظون) أى من التحريف والزيادة والنقص بأن جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا تخفى تغيير نظمه على أهل اللسان أو نفى تطرق الخلل اليه فى الدوام بضمان الحفظ له كما نفى أن يطعن فيه بأنه المنزل له وقيل الضمير فى له للنبى صلى الله عليه وسلم (ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاولين) فى فرقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه وأصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم (ومايأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبى عليه الصلاة والسلام وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعنى الحال أو ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية (كذلك نسلكه) ندخله (فى قلوب المجرمين) والسلك ادخال الشئ فى الشئ كالخيط فى المخيط والرمح فى المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على أن الله تعالى يوجد الباطل فى قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر فى قوله (لا يؤمنون به) له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر فى قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به أو بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها فى المرجوع اليه ولا يتعين أن تكون الجملة حالا من الضمير لجواز أن تكون حالا من المجرمين ولا يأبى كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه (وقد خلت سنة الأولين) أى سنة الله فيهم بان خذلهم

وسلك الكفر فى قلوبهم أو باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لأهل مكة (ولو فتحنا عليهم) أى على هؤلاء المقترحين (بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون أو تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم (لقالوا) من غلوهم فى العناد وتشكيكهم فى الحق (انما سكرت أبصارنا) سدت عن الابصار بالسحر من السكر و يدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف أو حيرت من السكر و يدل عليه قراءة من قرأ سكرت (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر (ولقد جعلنا فى السماء بروجا) اثنى عشر مختلفة الهيآت والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء (وزيناها) بالاشكال والهيآت البهية (للناظرين) المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها (وحفظناها من كل شيطان رجيم) فلا يقدر أن يصعد اليها و يوسوس الى أهلها و يتصرف فى أمرها و يطلع على أحوالها (الا من استرق السمع) بدل من كل شيطان واسترق السمع اختلاسه سراشبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة فى الجوهر أو بالاستدلال من أوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز أن يكون لها أسباب أخر وقيل الاستثناء منقطع أى ولكن من استرق السمع (فأتبعه) فتبعه ولحقه (شهاب مبين) ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق (والارض مددناها) بسطناها (وألقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها) فى الارض أو فيها و فى الجبال (من كل شئ موزون) مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته أو مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون أو مايوزن و يقدر أوله وزن فى أبواب النعمة والمنفعة (وجعلنا لكم فيها معايش) تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ معائش بالهمزة على التشبيه بشمائل (ومن لستم له برازقين) عطف على معايش أو على محل لكم و يريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم وايا هم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء فى الوضع محدثة فيها أنواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز أن لا تكون كذلك على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد فى الالوهية والامتنان على العباد بما أنعم عليهم فى ذلك ليوحدوه و يعبدوه ثم بالغ فى ذلك وقال (وان من شئ الا عندنا خزائنه) أى وما من شئ الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه أضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره أو شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التى لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد (وما ننزله) من بقاع القدرة (الا بقدر معلوم) حدها الحكمة وتعلقت به المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد فى بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم (وأرسلنا الرياح لواقح) حوامل شبه الريح التى جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم أو ملقحات للشجر أو السحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات فى قوله * ومختبط مما تطيح الطوائح * وقرئ وأرسلنا الريح على تأويل الجنس (فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه) فجعلناه لكم سقيا (وما أنتم له بخازنين) قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما أثبته لنفسه أو حافظين فى الغدران والعيون والآبار وذلك أيضا يدل على المدبر الحكيم

(قوله و يدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف) أى بصيغة المجهول المخففة فانه يدل على ان الفعل من السكر بكسر السين وهو السحر اذ لو كان من السكر بضم السين لما بنى منه الفعل المجهول لانه لازم (قوله و يدل عليه قراءة من قرأ سكرت) أى تدل قراءة من قرأ سكرت بفتح السين وتخفيف الكاف المكسورة انها من السكر بضم السين (قوله مع بساطة السماء) أرادان حصول البروج المختلفة فى الخواص مع اتحادها فى الحقيقة لبساطة السماء دال على الصانع القدير المختار وفيه ان اختلاف الخواص نشأ من الكواكب الحالة فيها وهى مختلفة الطبائع فالاولى الاستدلال بحلول كل كوكب بمكان معين مع اتحاد الامكنة فى الحقيقة (قوله لما بينهم من المناسبة بالجوهر) لا حاجة الى الملابسة بالجوهر بل يخطفون لقربهم من السماء (قوله ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد) أى لا يقدح فى كلام ابن عباس تكون الشهب قبل المولد لاحتمال أن يكون لها قبل

تولد النبى وعيسى عليهما السلام أسباب اخر غير ما ذكر (قوله فضرب الخزائن مثلا لاقتداره) أى شبه اقتداره على كل شئ

وايجاده بالخزائن المودوعة فيها الاشياء المعدودة ليؤذن ان مقدوره كأنه حاصل موجود (قوله وتكرير الضمير للدلالة على الحصر) أى تكرير ضمير المتكلم للدلالة على ان الاحياء والاماتة منحصران فى الله تعالى لا يتصف غيره بشئ منهما فان نحن من قبيل ضمير المنفصل (قوله والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة الخ) يعنى تأكيد وقوع الحشر بعد ذكر العلم الكامل والقدرة الكاملة يدل على ان تحقق وقوع الحشر مستفاد من الامرين المذكورين وهما العلم والقدرة ويدل على ذلك قوله تعالى انه حكيم عليم يعنى ان الحكمة والعلم الكاملين يدلان على وقوع الحشر لان من كان له العلم والقدرة الكاملان لابد أن يكون قادرا على صحة الاعادة ولما أخبر بوقوعها كان محققا (قوله ولا يمنع خالق الحياة فى الاجرام البسيطة الخ) جواب سؤال مقدر وهو انه كيف يخلق الحياة فى النار وهو جرم بسيط لكن المشاهدة والقياس ان الحياة لا تكون الا فى المركب فاجاب بالا نسلم امتناع خلق الحياة فى الجسم البسيط كما لا يمتنع خلقها فى المجردات مع انها أبعد من الحياة من الجسم ولا يخفى ان هذا قول بالمجردات ولما لم يثبت وجودها بل منع جمهور المتكلمين وجودها لاوجه لان يجعل معينا عليها ثم ان المراد من خلق الجان من النار هو ان الجزء الغالب عليه النار كما ان الجزء الغالب على الانسان التراب ولذا يميل بالطبع الى أسفل فلا يبقى كل منهما على بساطته (قوله جعل تعليقه بالبدن نفخا) فاسقطوا

كما تدل حركة الهواء فى بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضى الغور فوقوفه دون حد لا بد له من سبب مخصص (وانا لنحن نحيى) بايجاد الحياة فى بعض الاجسام القابلة لها (ونميت) بازالتها وقد أدّل الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر (ونحن الوارثون) الباقون اذا مات الخلائق كلها (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر منهما أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة أو تأخر لا يخفى علينا شئ من أحوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت (وان ربك هو يحشرهم) لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على أنه القادر والمتولى لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على أن ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله (انه حكيم) باهر الحكمة متقن فى أفعاله (عليم) وسع علمه كل شئ (ولقد خلقنا الانسان من صلصال) من طين يابس يصلصل أى يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا أنتن تضعيف صل (من حما) طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال أى كائن من حما (مسنون) مصور من سنة الوجه أو مصبوب ليبيس ويتصور كالجواهر المذابة تصب فى القوالب من السن وهو الصب كأنه أفرغ الجامد فصور منها كتمثال انسان أجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه أو من نتن من سنت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى السنين (والجان) أبا الجن وقيل ابليس ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره (خلقناه من قبل) من قبل خلق الانسان (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ فى المسام ولا يمتنع خلق الحياة فى الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها فى الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التى الغالب فيها الجزء النارى فانها أقبل لها من التى الغالب فيها الجزء الارضى وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التى يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء (واذ قال ربك) واذكر وقت قوله (للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته) عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه (ونفخت فيه من روحى) حتى يجرى آثاره فى تجاويف أعضائه فمبى وأصل النفخ اجراء الريح فى تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق أولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسرى حاملها فى تجاويف الشرايين الى أعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر فى النساء (فقوله)

أى الروح لا ينفخ فى البدن لانه أمر خارج عن البدن مجرد على ما هو مقتضى كلامه ههنا وصرح سابقا بوجود المجردات لكن لما كان متعلقا بالبخار اللطيف الذى حامل القلب ولابسه بتبخير لطائف الاخلاط الحائية من الكبد اليه وهذا البخار نافذ فى التجاويف

منفوخ فيها فنسبة النفخ الى الروح باعتبار تعلقه بما هو منفوخ حقيقة فتكون النسبة مجازا عقليا على فاعدتهم ولا حاجة الى هذا التأويل بل يقال ان المراد بالروح نفس هذا البخار وعند وجود هذا البخار ونفخه في البدن تتعلق النفس الناطقة (قوله وفيه نظر اذ لو كان كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا) يعني يجب أن يكون أجمعين منصوبا بالحالية لا مرفوعا بانه تأكيد (قوله وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته) لانه يتضمن ان تركه السجود ليس بسبب انه

أشرف في الواقع من آدم ولكن لشقاء فيه وسوء خاتمة وبعده عن الخير (قوله فانه منتهى أمد اللعن) المراد مجرد البعد عن الرحمة منته يوم الدين وامافي اليوم فليس مجردا البعد بل هو مع أنواع العذاب (قوله أولانه الخ) والفرق بينه وبين ماذكره المصنف انه على كلام المصنف لم يبق اللعن المذكور في الآية اذ المراد مجرد اللعن وهو غير باق حقيقة واما على كلام صاحب القيل فاللعن المذكور في الآية باق لكنه في حكم الزائل (قوله متعلق بمحذوف) والتقدير لما أخرتني ورحمتني فانظرني (قوله وثانيا يوم البعث اذ به يحصل الخ) هذا الايلائم وجه تسميته اليوم يوم البعث والاولى ان يقال تسميته به لان الخلائق يبعثون فيه والوجه ان يقال يسمى بالبعث لما ذكرنا وانما طلب اللعين الانظار الى يوم البعث لانقطاع التكليف بعد البعث فلا يحصل بعده الاغواء الذي هو غرضه من الانظار (قوله فلعله يموت

أول اليوم ويبعث مع الخلائق في تضاعيفه) أي لاحتمال ان يموت ابليس أول يوم القيامة ولا يلزم ان يكون بعث كل الخلق في أول آن ذلك اليوم بل يمكن ان يبعث الخلق في أثناء ذلك اليوم (قوله وهذه المخاطبة ان لم تكن بواسطة) أي هذه المخاطبة التي جرت بين الله تعالى وبين ابليس وان لم تكن بواسطة الاولى ان يقال هذه المخاطبة ان لم تكن بواسطة بحذف الواو لان بعض المتكلمين على انه تعالى خاطبه بلسان بعض الملائكة رسله (قوله وضعف

فاسقطواله (ساجدين) أمر من وقع بقع (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) أكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل أكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على أنهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا (الا ابليس) ان جعل منقطعا اتصل به قوله (أبى أن يكون مع الساجدين) أي ولكن ابليس أبى وان جعل متصلا كان استثنافا على أنه جواب سائل قال هلا سجد (قال يا ابليس مالك ألا تكون) أي غرض لك في أن لا تكون (مع الساجدين) لآدم (قال لم أكن لأسجد) اللام لتأكيد النفي أي لا يصح مني وينافي حالي أن أسجد (لبشر) جسماني كثيف وأنا ملك روحاني (خلقته من صلصال من حمأ مسنون) وهو أخس العناصر وخلقتني من نار وهي أشرفها استنقص آدم عليه السلام باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف (قال فاخرج منها) من السماء أو الجنة أو زمر الملائكة (فانك رجيم) مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر أو شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته (وان عليك اللعنة) هذا الطرد والابعاد (الى يوم الدين) فانه منتهى أمد اللعن فانه يناسب أيام التكليف ومنه زمان الجزاء ومافي قوله فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين يعني آخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه أبعد غاية يضربها الناس أولانه يعذب فيه بما ينسى اللعين معه فيصير كالزائل (قال رب فأنظرني) فأخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم (الى يوم يبعثون) أراد أن يجد فسحة في الاغواء أو نجاة من الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فأجابه الى الاول دون الثاني (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) المسمى فيه أجلك عند الله أو انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز أن يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه أولا بيوم الجزاء لما عرفته وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التظليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك أن لا يموت فلعله يموت أول اليوم ويبعث مع الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال (قال رب بما أغويتني) الباء للقسم وما مصدرية وجوابه (لأزينن لهم في الارض) وللمعنى أقسم باغوائك اياي لأزينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله أخلد الى الأرض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة أولوا الاغواء بالنسبة الى النهي أو النسبب له بأمره اياه بالسجود لآدم عليه السلام أو بالاضلال عن طريق الجنة واعتذر واعن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه ومن تبعه أنهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار أمهل أولم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف

ذلك لايخفى على ذوى الألباب) لان تأويل الاغواء بماذكر بعيد لاباعث عليه ولان الامهال لاجل ماذكر مع اشتماله على المضار الغير المتناهية لايناسب قواعدهم (قوله وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين) أى تغيير وضع النظم فان فيما سبق كان المستثنى منه الناس والمستثنى المخلصين وههنا العباد المستثنى منه والغاوون مستثنى (قوله وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا) أى اذا كان المراد ان ليس له سلطان وحكم عليهم يكون الاستثناء منقطعا لانه نفى ان يكون له سلطان عليهم مطلقا فلو كان الاستثناء متصلا لزم ان يكون له سلطان على الغاوين وليس كذلك (قوله وعلى الاول) أى على جعل الاستثناء متصلا لزم اندفاع قول من شرط ان يكون المستثنى أقل من الباقى والالزم التناقض لانه على هذا القول لزم ان يكون المخلصون وهو المستثنى فى الكلام المقدم أقل من الباقين فيكون الغاوون أكثر ولما كان الغاوون مستثنى فى الاستثناء الثانى لزم ان يكون الغاوون أقل والمخلصون أكثر وانما قال على الاول أى على جعل الاستثناء متصلا لان القائل المذكور انما قال ماقال فى الاستثناء المتصل لافى المنقطع (قوله على تقدير مضاف) أى على وان جهنم لمحل موعدهم (قوله ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان) فيقدر فعل هكذا موعد يذهب اليهم (قوله لكثرتهم) أى لكثرة الداخلين فيها فيناسب تعدد الابواب حتى لايحتاج دخولهم الى طول زمان (قوله أوطبقات الخ) فتكون الابواب اشارة للطبقات باعتبار اشتمالها على الابواب (قوله فى الركون الى المحسوسات) جعل المحسوسات خمسا بناء على جعل الحواس الظاهرة خمسا فان قلت الحواس الباطنة خمس كالظاهرة فيجب زيادة الابواب قلنا الركون الى الباطنة تابع للركون الى الظاهرة فلذا اقتصر عليه (قوله من أفرزله) أى لكل باب بعض من أتباع الشياطين أفرزله أى عين من بينهم للدخول فى ذلك الباب (قوله ثم أجرى الوصل مجرى الوقف) بان شدد الراء فى الوصل (قوله ومنهم حال منه الخ) وتقديمه على صاحبه وهو الجزء لكون الحال نكرة وكونه حالا منه لان الجزء فاعل الظرف فيكون التقدير لكل باب جزء مقسوم منهم أوحال من المستكن فى الظرف وهو لكل باب وهذا اذا كان جزء مبتدأ قدم عليه الخبر (قوله لانه مقسوم لان الصفة الخ) أى لزم مما ذكر ان يكون المقسوم عاملا فى الحال الذى هو منهم وهو مقدم على الجزء الذى هو موصوف المقسوم وهذا غير جائز عندهم (قوله وقوله مثل الجنة الخ) اذ اللام فى المتقين للاستغراق فيكون المعنى مثل الجنة التى وعد لكل من المتقين فيها أنهار فيكون لجنة كل واحد أنهار

ذلك لايخفى على ذوى الالباب (ولأغوينهم أجمعين) ولاجلهم أجمعين على الغواية (الاعبادك منهم المخلصين) الذين أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلايعمل فيهم كيدى وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمر وبالكسر فى كل القرآن أى الذين أخلصوا نفوسهم لله تعالى (قال هذا صراط علىّ) حق علىّ أن أراعيه (مستقيم) لاانحراف عنه والاشارة الى ماتضمنه الاستثناء وهو تخليص المخلصين من اغوائه أوالاخلاص على معنى انه طريق على يؤدى الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال وقرئ على من علوا الشرف (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الامن اتبعك من الغاوين) تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم أوتكذيب له فيما أوهم أن له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الاأن دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط أن يكون المستثنى أقل من الباقى لافضائه الى تناقض الاستثنائين (وان جهنم لموعدهم) لموعد الغاوين أو المتبعين (أجمعين) تأكيد للضمير أوحال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لايعمل (لهاسبعة أبواب) يدخلون منها لكثرتهم أوطبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات فى الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية أولان أهلها سبع فرق (لكل باب منهم) من الاتباع (جزء مقسوم) أفرزله فاعلاها للموحدين العصاة والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ أبو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جزء على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاى ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه أومن المستكن فى الظرف لانه مقسوم لان الصفة لاتعمل فيها تقدم موصوفها (ان المتقين) من اتباعه فى الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة (فى جنات وعيون) لكل واحد جنة وعين أولكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار

(قوله لانه بمعنى متصافين) فيكون مشتقا نظرا الى المعنى ففيه ضمير مستتر والتصافى التخالص والمراد خلوص كل واحد منهم فى المحبة للآخرين لا يخالط محبته شئ من الكدورة (قوله وفى ذكر المغفرة دليل الخ) لان المقصود منهم المتقون لانهم من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وحفص وأبو عمرو وهشام وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين (ادخلوها) على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على أنه ماض فلا يكسر التنوين (بسلام) سالمين أو مسلما عليكم (آمنين) من الآفة والزوال (ونزعنا) فى الدنيا بما ألفين قلوبهم أو فى الجنة بتطييب نفوسهم (مافى صدورهم من غل) من حقد كان فى الدنيا وعن على رضى الله تعالى عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم أو من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب (اخوانا) حال من الضمير فى جنات أو فاعل ادخلوها أو الضمير فى آمنين أو الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله (على سرر متقابلين) ويجوز أن يكونا صفتين لاخوانا أو حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وأن يكون متقابلين حالا من المستقر فى على سرر (لا يمسهم فيها نصب) استئناف أو حال بعد حال من الضمير فى متقابلين (وماهم منها بمخرجين) فان تمام النعمة بالخلود (نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم) فذلكة ماسيق من الوعد والوعيد وتقرير له وفى ذكر المغفرة دليل على أنه لم يرد بالمتقين من يتقى الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها وفى توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفى عطف (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) على نبئ عبادى تحقيق لهما يعتبرون به (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أى نسلم عليك سلاما أو سلمنا سلاما (قال انا منكم وجلون) خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت ولانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع مانكره (قالوا لا توجل) وقرئ لا تأجل ولا توجل من أوجله ولا تواجل من واجله بمعنى أوجله (انا نبشرك) استئناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك بفتح النون والتخفيف من البشر (بغلام) هو اسحق عليه السلام لقوله وبشرناه باسحق (عليم) اذا بلغ (قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر) تعجب من أن يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به فى مثل هذه الحالة وكذا قوله (فبم تبشرون) أى فبأى أعجوبة تبشرون أو فبأى شئ تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شئ وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة فى كل القرآن على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية وكسرها وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية وكسرها على الياء (قالوا بشرناك بالحق) بما يكون لا محالة أو بالية بين الذى لا لبس فيه أو بطريقة هى حق وهو قول الله تعالى وأمره (فلا تكن من القانطين) من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على أن يخلق بشرا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة ولذلك (قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) المخطؤن طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ أبو عمرو والكسائى يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح (قال فما خطبكم أيها المرسلون) أى فما شأنكم الذى أرسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم أن كل المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة زكريا ومريم عليهما السلام أو لانهم بشروه فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤا بها (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعنى قوم لوط (الا آل لوط) ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بشر وه فى تضاعيف الحال الخ) أى بشروه فى أثناء الحكاية وزمان الملاقاة لازالة الخوف ولو كان المقصود بالذات هو البشارة لابتدؤا بها حتى يحصل المقصود بالذات وهو البشارة وازالة الخوف أيضا (قوله ان كان استثناء من قوم كان منقطعا) لان آل لوط

المرادون بعبادى بقرينة ماسيق وهو قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان واذا كان كذلك كان المراد بالمغفرة المغفرة للمتقين فلم يرد بالتقوى عدم صدور الذنب والالم تتعلق المغفرة به (قوله وفى عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم على نبئ عبادى تحقيق لهما بما يعتبرون به) أى فى هذا العطف تحقيق للرحمة والعذاب بدليل يحصل لهم أى للعباد الاعتبار بهذا الدليل فان قصة ابراهيم المذكورة ههنا مفيدة للرحمة على ابراهيم والعذاب على قوم لوط (قوله فبأى أعجوبة تبشرونى أو فبأى شئ تبشرونى) أراد بالاول تعظيم البشارة فيكون المعنى بشرتمونى بأمر عظيم وبالثانى تقوية الانكار السابق فى قوله أبشرتمونى والغرض الاصلى من هذين الكلامين تحقيق البشارة وقوة اليقين بها واطمئنان القلب كما قال عليه السلام ولكن ليطمئن قلبى فيكون الانكار بحسب الظاهر لا حقيقة وكيف ينكر ما بشر به الملائكة صلوات الله عليهم (قوله لانهم

لم يكونوا مجرمين والمستثنى منه القوم المجرمون فيكون المعنى انا مرسلون الى الجماعة المجرمين الا آل لوط فانا لم نرسل اليهم فيكون آل لوط داخلا في الجماعة المجرمين حتى يمكن اخراجهم بالاستثناء واما اذا كان مستثنى من ضمير مجرمين يكون استثناء آل لوط من المتصفين بالاجرام فالاستثناء يفيد عدم اتصافهم به اذ المعنى جماعة متصفة بالاجرام جميعهم الا آل لوط (قوله وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء الخ) أي اذا كان الاستثناء المذكور وهو آل لوط متصلا كان الكلام تاما عند قوله الا آل لوط فيكون المنجوهم أجمعين ابتداء كلام آخر أو استئناف كأنه قال ماحال آل لوط قيل (١٧٢) انا لمنجوهم أجمعين اذ يحتمل ان يتوهم ان آل لوط داخلون في العذاب وان كان خلاف الظاهر اذ قد يشمل العذاب من لا يكون مجرما وان كان الاستثناء المذكور منقطعا كان المستثنى ابتداء كلام آخر فيكون انا لمنجوهم أجمعين (قوله وعلى هذا جاز ان يكون الخ) أي اذا كان الاستثناء منقطعا يمكن ان يكون الامر أنه مستثنى من آل لوط ويكون المعنى لكن آل لوط لا امر أنه منجوهم منه وان يكون مستثنى من ضمير هم أي انا لمنجوهم الا امر أنه واما على الاول وهو ان يكون الاستثناء متصلا لا يجوز ان يكون الامر أنه مستثنى من ضمير آل لوط لاختلاف الحكمين لان آل لوط متعلق بارسلنا والا مر أنه متعلق بمنجوهم هكذا في الكشاف واعترض عليه بان الارسال اذا كان بمعنى الاهلاك فلا اختلاف اذ التقدير الا آل لوط لم يهلكوا بمعنى منجوهم وجواز الاستثناء من الاستثناء شرطه أيضا ان يتخلل لفظة هي الاستثناء بين متعدد يصلح مستثنى منه وههنا يتخلل انا لمنجوهم فلو قال الا آل لوط الا امر أنه لجاز ذلك للمحمل أقول فيكفي هذا في عدم كونه مستثنى من آل لوط ولا حاجة الى اعتبار اختلاف الحكمين (قوله وانما عاقبنا والتعليق من خواص افعال القلوب الخ) التعليق ههنا بادخال ان على الاسمين قال الرضي ومن المعلقات ان المكسورة اذا لم يمكن فتحها بادخال اللام على الخبر (قوله افتحي الباب الخ) كأنه طال عليه الليل فخاطب صبيحته بذلك أو كان يحب طول الليل للوصال (قوله وامضوا الى حيث) يعني الأصل ان يقال وامضوا الى حيث تؤمرون لأن معنى مضى ذهب فحذف الى وعدى الفعل بنفسه للاتساع (قوله وفي ذلك تفخيم للامر)

بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا أرسلنا الى قوم أجرم كلهم الا آل لوط منهم لهلاك المجرمين وننجي آل لوط منهم ويدل عليه قوله (انا لمنجوهم أجمعين) أي مما يعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز أن يكون قوله (الا امرأته) استثناء من آل لوط أو من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الامن ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا أن يجعل المنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا (قدرنا انها لمن الغابرين) الباقين مع الكفرة للهلاك معهم وقرأ أبو بكر من عاصم قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما عاقبنا والتعليق من خواص أفعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز أن يكون قدرنا أجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول وأصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى أنفسهم وهو فعل الله سبحانه وتعالى لما لهم من القرب والاختصاص به (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة أن تطرقوني بشر (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه (وأتيناك بالحق) باليقين من عذابهم (وانا لصادقون) فيما أخبرناك به (فاسر باهلك) فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الهمزة من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير (بقطع من الليل) في طائفة من الليل وقيل في آخره قال

افتحي الباب وانظري في النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم

(واتبع أدبارهم) وكن على أثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم (ولا يلتفت منكم أحد) لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه أو فيصيبه ما أصابهم أو ولا ينصرف أحدكم ولا يتخلف امر ولفرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة (وامضوا حيث تؤمرون) الى حيث أمركم الله بالمضي اليه وهو الشام أو مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع (وقضينا) اليه أي وأوحينا (اليه) مقتضيا ولذلك عدي بلى (ذلك الامر) مبهم يفسره (أن دابر هؤلاء مقطوع) ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى أنهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد (مصبحين) داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء أو من الضمير في مقطوع وجمعه

للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء فى معنى مدبرى هؤلاء (وجاء أهل المدينة) سدوم (يستبشرون) باضياف لوط طمعا فيهم (قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون) بفضيحة ضيفى فان من أسىء الى ضيفه فقد أسىء اليه (واتقوا الله) فى ركوب الفاحشة (ولا تخزون) ولا تذلونى بسببهم من الخزى وهو الهوان أو لا تخجلونى فيهم من الخزاية وهو الحياء (قالوا أولم ننهك عن العالمين) عن أن تجير منهم أحدا أو تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه أو عن ضيافة الناس وانزالهم (قال هؤلاء بناتى) يعنى نساء القوم فان نبى كل أمة بمنزلة أبيهم وفيه وجوه ذكرت فى سورة هود (ان كنتم فاعلين) قضاء الوطر أو ما أقول لكم (لعمرك) قسم بحياة المخاطب والمخاطب فى هذا القسم هو النبى عليه الصلاة والسلام وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمى وهو لعة فى العمر يختص به القسم لا يثار الاخف فيه لانه كثير الدور على ألسنتهم (انهم لفى سكرتهم) لفى غوايتهم أو شدة غلمتهم التى أزالت عقولهم وتمييزهم بين خطئهم والصواب الذى يشار به اليهم (يعمهون) يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض (فأخذتهم الصيحة) يعنى صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل عليه السلام (مشرقين) داخلين فى وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها) عالى المدينة أو عالى قراهم (سافلها) وصارت منقلبة بهم (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) من طين متحجر أو طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة فى سورة هود (ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته (وانها) وان المدينة أو القرى (لسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها (ان فى ذلك لآية للمؤمنين) بالله ورسله (وان كان أصحاب الايكة لظالمين) هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة (فانتقمنا منهم) بالاهلاك (وانهما) يعنى سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احداهما منبها على الأخرى (لبامام مبين) لطريق واضح والامام اسم مايؤتم به فسمى به الطريق ومطمر البناء واللوح لانها مما يؤتم به (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) يعنى ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكأنما كذب الجميع ويجوز أن يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر وادبين المدينة والشام يسكنونه (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) يعنى آيات الكتاب المنزل على نبيهم أو معجزاته كالناقة وسقبها وشرب بهاودرها أو ما نصب لهم من الادلة (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها أو من العذاب لفرط غفلتهم أو حسبانهم أن الجبال تحميهم منه (فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الأموال والعدد (وماخلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق لايلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك أمثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض (وان الساعة لآتية) فينتقم الله لك فيها ممن كذبك (فاصفح الصفح الجميل) ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف (ان ربك هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم و بيده أمرك وأمرهم (العليم) بحالك وحالهم فهو حقيق بأن تكل ذلك اليه ليحكم بينكم أو هو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح وفى مصحف عثمان وأبى رضى الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير (ولقد آتيناك سبعا) سبع آيات وهى الفاتحة وقيل سبع سور وهى الطوال وسابعتها

لان التعيين بعد الابهام انما هو ليتقرر فى ذهن المخاطب ولا يكون ذلك الا فيما يهتم المتكلم بشأنه (قوله جعل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم) وأشار بقوله الى ضعف قول صاحب الكشاف حيث جعل الخطاب للوط بتقدير القول وما قاله المصنف أقوى لأنه لما أمكن الحمل على ما هو المفهوم من ظاهر الكلام رجح عليه وأما ما قيل ان التقدير لغير ضرورة لا يجوز والا لم يبق للنقل اعتبار أصلا لانه ما من نقل الا وأمكن التقدير فيه فوجب الحمل على انه قسم بحياته صلى الله عليه وسلم كذا نقله الطيبى عن بعضهم فيفيد انه يجتمع قرائن تفيد الظاهر وتمنع التأويل مطلقا (قوله لفرط غفلتهم أو حسبانهم) الحسبان المذكور وان كان أيضا من فرط الغفلة لكن المراد من فرط الغفلة ههنا منع عدم الحسبان بقرينة المقابلة (قوله وقيل هو منسوخ بآية السيف) انما قال قيل لان المراد بالصفح على ما ذكره هو عدم التعجيل وهذا لا ينافى قتالهم بالسيف لانه يمكن ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم مأمورا بالحلم وعدم التعجيل و بالقتال معهم أيضا بان يكون مأمورا أولا بالحلم

الانفال والتوبة فانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس أو الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهى الاسباع (من المثانى) بيان للسبع والمثانى من التثنية أو الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته أو ألفاظه أو قصصه ومواعظه أو مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز أو مثنى على الله بما هو أهله من صفاته العظمى وأسمائه الحسنى ويجوز أن يراد بالمثانى القرآن أو كتب الله كلها فتكون من للتبعيض (والقرآن العظيم) ان أريد بالسبع الآيات أو السور فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص وان أريد به الاسباع فمن عطف أحد الوصفين على الآخر (لاتمدن عينيك) لاتطمح ببصرك طموح راغب (الى مامتعنابه أزواجامنهم) أصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ماأوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفى حديث أبى بكر رضى الله تعالى عنه من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروى أنه عليه الصلاة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسأروا الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها فى سبيل الله فقال لهم لقد أعطيتم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن عليهم) انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به (واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لهم وارفق بهم (وقل انى أنا النذير المبين) أنذر لم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا (كما أنزلنا على المقتسمين) مثل العذاب الذى أنزلناه عليهم فهو وصف لمفعول النذير أقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فأهلكهم الله تعالى يوم بدر أو الرهط الذين اقتسموا أى تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه الصلاة والسلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه ولقد آتيناك فانه بمعنى أنزلنا اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عناد بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لها أو قسموه الى شعر وسحر وكهانة وأساطير الاولين أو أهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن مايقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لاتمدن عينيك الخ اعتراض مهما لها (الذين جعلوا القرآن عضين) أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها أعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفى الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وقيل أسحارا وعن عكرمة العضة السحر وانما جاء جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين أو مبتدأ خبره (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) من التقسيم أو النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل هو عام فى كل مافعلوا من الكفر والمعاصى (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جاهرا أو فافرق به بين الحق والباطل وأصله الابانة والتمييز وما مصدرية أو موصولة والراجع محذوف أى بما تؤمر به من الشرائع (وأعرض عن المشركين) ولا تلتفت الى ما يقولون (انا كفيناك المستهزئين) بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من أشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون فى ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم ولاستهزاء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت ان أكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فأصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات وأومأ الى أخمص العاص فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات وأشار الى أنف عدى بن قيس

المفيد بقيد وهو ان يكون قبل ظهور العناد وبالقتل المقيد بقيد وهو ان يكون بعد ظهوره والحال يختص بالكثير أى تختص بمن له كثرة الآثار (قوله ومثنى على الله بما هو أهله) بصيغة الفاعل فكان المثانى جمع مثن (قوله فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص) الاول على تقدير ان يكون المراد بالقرآن مجموع السور والثانى على ان يكون المراد بالقرآن مفهوم الكل وهو الكلام المنزل من الله تعالى على النبى للاعجاز فان قلت كيف يكون انباء هذا المفهوم العام قلنا انباؤه فى ضمن الخصوصيات (قوله فقد صغر عظيما الخ) صغر عظيما هو القرآن وعظم صغيرا هو غيره (قوله ولاتمدن الخ) اعتراض أى بين الشيئين المتصلين وهما قوله تعالى ولقد آتيناك الآية وقوله تعالى كما أنزلنا

فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى أصل شجرة فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عينى الاسود بن المطلب فعمى (الذين يجحدون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم فى الدارين (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزاء بك (فسبح بحمد ربك) فافزع الى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك أوفنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق (وكن من الساجدين) من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أى الموت فانه متيقن لحاقه كل حى مخلوق والمعنى فاعبده مادمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم

﴿سورة النحل مكية غير ثلاث آيات فى آخرها وهى مائة وثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(أتى أمر الله فلا تستعجلوه) كانوا يستعجلون ما أوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة أو اهلاك الله تعالى اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما تقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لاخير لكم فيه ولاخلاص لكم منه (سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما أرادبهم وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب أوعلى ان الخطاب للمؤمنين أوهم والغيرهم لما روى انه لما نزلت أتى أمر الله فوثب النبى صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه (ينزل الملائكة بالروح) بالوحى أوالقرآن فانه يحيى به القلوب الميتة بالجهل أو يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذى به علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل من أنزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ أبو بكر تنزل على المضارع المبنى للمفعول من التنزيل (من أمره) بأمره أومن أجله (على من يشاء من عباده) ان يتخذه رسولا (أن أنذروا) بأن أنذروا أى اعلموا من انذرت بكذا اذا علمته (أنه لا اله الا أنا فاتقون) ان الشأن لا اله الا أنا فاتقون أوخوفوا أهل الكفر والمعاصى بأنه لا اله الا أنا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحى الدال على القول أومصدرية فى موضع الجر بدلا من الروح أوالنصب بنزع الخافض أومخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحى بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذى هو أقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التى بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع (خلق السموات والارض بالحق) أوجدهما على مقدار وشكل وأوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصها بحكمته (تعالى عما يشركون) منهما أومما يفتقر فى وجوده أو بقائه اليهما ومما لا يقدر على خلقهما

الاسلام وفيه مثل النظار المذكور سابقا (قوله عما يشركون منهما) أى من السموات والارض فان بعض الكفرة يعبدون الكواكب وبعضهم يعبدون ما يحتاج فى وجوده أو بقائه الى السموات والارض كالاشجار والاحجار

(قوله وفيه دليل على ان الله تعالى ليس من الاجرام) لان كل ما هو جرم اما من السموات أو من الأرض وخالقهما ومافيهما والله تعالى فهو تعالى ليس من الاجرام وفيه انه يدل على انه تعالى ليس من السموات والأرض ولكن لا يدل على انه ليس من الاجرام اذ من الاجرام مالا يكون شيء أمنهما مع ان المجسمة يقولون بان الله تعالى هو المتمكن على العرش وهو من جنس السموات والأرض الا أن يقال ان المراد بالسموات والأرض جهة العلو والسفل

(قوله اولا فالأكل منها هو المعتاد الخ) أي يحتمل ان يكون تقديم الظرف للاختصاص أي منها تأكلون بحسب العادة لامن غيرها ولا يردان الأكل ليس مخصوصا بها بل يشمل غيرها من الحبوب لأن الحصر اضافي (قوله وقيل هي معطوفة على محل لتركبوا) يعني ان التزين سبب المنافع المترتبة عليها وهي بفعل الخالق بخلاف الركوب (قوله لأن المقصود من خلقها الركوب الخ) فقرن اللام المصرح بها مما هو المقصود الأصلي (قوله ويدل عليه ان الآية مكية الخ) أي يدل على ماذكرنا من عدم دلالة الآية على حرمة الخيل ان الآية نزلت بمكة وحرمة الحمر الاهلية علم خيبر وهو بعد الهجرة ولو كانت الآية دالة على حرمة ماذكر فيها لكانت الحمر الأهلية محرمة من حين نزول الآية (قوله بيان مستقيم الطريق) الى قوله رحمة وفضلا أي على الله بحسب الفضل والكرم ان يبين طريق الهداية يعني انه يناسب كرمه وفضله بيان طريق الهداية واذا بين علم ان خلافه ضلالة فلا حاجة الى بيانه

(وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام (خلق الانسان من نطفة) جماد لاحس بها ولا حراك سيالة لاتحفظ الوضع والشكل (فاذا هو خصيم) منطيق مجادل (مبين) للحجة أوخصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روى ان أبيّ بن خلف أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يامحمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت (والانعام) الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره (خلقها لكم) أو بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ماخلقت لأجله ومابعده تفصيل له (فيها دفء) مايدفأ به فيقي البرد (ومنافع) نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها (ومنها تأكلون) أي تأكلون مايؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآي أولان الأكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش وأما الأكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي أو التفكه (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون) ترودنها من مراعيها الى مراحها بالعشيّ (وحين تسرحون) تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجمل أهلها في أعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها أظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه (وتحمل أثقالكم) أحمالكم (الى بلد لم تكونوا بالغيه) أي ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا ان تحملوها على ظهوركم اليه (الا بشق الأنفس) الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الأمر عليه وأصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب (ان ربكم لرؤف رحيم) حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم (والخيل والبغال والحمير) عطف على الانعام (لتركبوها وزينة) أي لتركبوها وتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتعبير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها أو مصدرا في موضع الحال من أحد الضميرين أي متزينين أو متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره أصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر (ويخلق مالا تعلمون) لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا وغير ضروري أجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق مالا علم لنا به وان يراد به ماخلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر (وعلى الله قصد السبيل) بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق أو اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا أو عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لامحالة يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك أضاف اليه القصد وقال (ومنها جائر) حائد عن القصد أو عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله تعالى ان يبين طرق الضلالة أو لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر أي عن القصد (ولو شاء) الله (لهداكم أجمعين) أي ولو شاء هدايتكم أجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء (هو الذي أنزل من السماء) من السحاب أو من جانب السماء (ماء لكم منه شراب) ماتشربونه

ولكم صلة أنزل أوخير شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها بوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه فى الارض (ومنه شجر) ومنه يكون شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وقيل كل مانبت على الارض شجر قال

يعلفها اللحم اذا عز الشجر * والخيل فى اطعامها اللحم ضرر

(فيه تسيمون) ترعون من سامت الماشية وأسامها صاحبها وأصله السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات (ينبت لكم به الزرع) وقرأ أبو بكر بالنون على التفخيم (والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) وبعض كلها اذ لم ينبت فى الارض كل مايمكن من الثمار واعل تقديم مايسام فيه على مايؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا وأشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع فى الارض وتعمل اليها نداوة تنفلق فيها فينشق أعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق أسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على أجسام مختلفة الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية به لذلك (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) بان هيأها لمنافعكم (مسخرات بامره) حال من الجميع أى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها كيف شاء أولما خالقن له بايجاده وتقديره أو لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب وأوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب فى انها أيضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض لوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل وأمصدر ميمى جمع لاختلاف الانواع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر أيضا (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) جمع الآية وذكرا العقل لانها تدل أنواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات (وماذرأ لكم فى الارض) عطف على الليل أى وسخر لكم ماخلق لكم فيها من حيوان ونبات (مختلفا ألوانه) أصنافه فانها تتخالف باللون غالبا (ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) ان اختلافها فى الطباع والهيآت والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم (وهو الذى سخر البحر) جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص (لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك وصفه بالطراوة لانه أرطب اللحوم يسرع اليه الفساد فيسارع الى أكله ولاظهار قدرته فى خلقه عند باطريا فى ماء زعاق وتمسك به مالك والثورى على ان من حلف ان لا يأكل لحما حنث بأكل السمك وأجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لايفهم منه عند الاطلاق ألاترى أن الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على أن لا يركب دابة بركوبه (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) كاللؤلؤ والمرجان أى تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم (وترى الفلك) السفن (مواخر فيه) جوارى فيه تشقه بجيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك (ولتبتغوا من فضله) من سعة رزقه بركوبها للتجارة (ولعلكم تشكرون) أى تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه أقوى فى باب الانعام من حيث انه جعل الهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش (وألقى فى الارض رواسى) جبالا رواسى (أن تميد بكم) كراهة أن تميل بكم وتضطرب وذلك لان

(قوله ولا بأس به الخ) وكذا كل مايشرب كعصير الاثمار والأوراق (قوله أومصدر جمع لاختلاف النوع) عطف على قوله حال أى مسخرات اماحال أومصدر ميمى جمع لاختلاف التسخيرات (قوله فانها تتخالف باللون غالبا) أى قيل ألوانه وأريد أصنافه من قبيل المجاز المرسل أطلق اسم اللازم وأريد به الملزوم (قوله تشقه بجيزومها) الجيزوم وسط الصدر

الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك أو ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ماهى بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال (وأنهارا) وجعل فيها أنهارا لان ألقى فيه معناه (وسبلا لعلكم تهتدون) لمقاصدكم أو الى معرفة الله سبحانه وتعالى (وعلامات) معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك (وبالنجم هم يهتدون) بالليل فى البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء فى مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه ألزم لهم وأوجب عليهم (أفمن يخلق كمن لا يخلق) انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد بخلق ماعدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته مالا يقدر على خلق شئ من ذلك بل على ايجاد شئ ما وكان حق الكلام أفمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ماعبد من دون الله سبحانه وتعالى مغلبا فيه أولو العلم منهم أو الاصنام وأجروها مجرى أولى العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم أو للمشاكلة بينه وبين من يخلق أو للمبالغة وكأنه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده (أفلا تذكرون) فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذى يحضر عنده بادنى تذكر والتفات (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) لا تضبطوا عددها فضلا أن تطيقوا القيام بشكرها أتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على أن وراء ماعدد نعما لا تنحصر وأن حق عبادته تعالى غير مقدور (ان الله لغفور) حيث يتجاوز عن تقصير فى أداء شكرها (رحيم) لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها (والله يعلم ماتسرون وماتعلنون) من عقائدكم وأعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم بعد تزييفه باعتبار القدرة (والذين تدعون من دون الله) أى والآلهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ أبو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالياء (لا يخلقون شيأ) لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين أنهم لا يخلقون شيأ لينتج أنهم لا يشاركونه ثم أكد ذلك بأن أثبت لهم صفات تنافى الالوهية فقال (وهم يخلقون) لانهم ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغى أن يكون واجب الوجود (أموات) هم أموات لا تعتريهم الحياة أو أموات حالا أو مآلا (غير أحياء) بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغى أن يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات (وما يشعرون أيان يبعثون) ولا يعلمون وقت بعثهم أو بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغى أن يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على أن البعث من توابع التكليف (الهكم اله واحد) تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون) بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم مالا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافى النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة فى الباب ولذلك رتب عليه ثبوت

(قوله وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة الخ) لا وجه لهذا الكلام لا على مذهب أهل الحق ولا على مذهب الفلاسفة اما الاول فظاهر اذ الكل ليس الا بارادة الله تعالى وليس من حق شئ ومقتضى ذاته ان يتصف بالحركة ولو سلم ان الافلاك تستحق ان تتحرك بالاستدارة لتعلق ارادته وهو موجب للحركة فلا نسلم ان الارض كذلك وأما الثانى فلان الفلاسفة لم يقولوا ان حق الارض ان تتحرك بالاستدارة (قوله وكان حق الكلام أفمن لا يخلق الخ) لان المشركين ماشبهوا الخالق بالاصنام بل شبهوا الاصنام بالخالق فحق العبارة ان يقال انكارا عليهم أفمن لا يخلق كمن يخلق لكنه اذا قوى وجه الشبه بين الامرين يرجع التشبيه الى التشابه فيقال وجه الخليفة كالقمر والقمر كوجه الخليفة والمشركون لما عاملوها بما ينبغى ان يعامل به مع الخالق لم يبق عندهم فرق بينها وبينه تعالى عما يقول الظالمون (قوله هم أموات لا يعتريهم الحياة أو أموات حالا أو مآلا) فالاول اذا كان المراد الاصنام وسائر ماليس له علم والثانى ماهو شامل لذى العلم وغيره (قوله وفيه تنبيه الخ) لانه يعلم منه ان البعث للجزاء والجزاء من توابع التكليف

الآخرين

فيكون البعث كذلك (قوله وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر أوفعل) لايخفى انه اذا كان لاجرم بمعنى حقا لم يصح حينئذ ان يكون عاملا فلا يستحق فاعلا اذ لا يبقى على معناه الحقيقي نعم اذا كان فعلا وكان بمعنى ثبت كان ماذكر فاعلا ويكون لارد للكلام السابق كأنه قيل لايصح الاستكبار ثم قيل ثبت ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون (قوله فضلا عن الذين الخ) أي لايحب المستكبرين مطلقا فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده (قوله على التهكم) اذ اعتقادهم انه غير منزل من عند الله (قوله وهم المقتسمون أي المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين (قوله وبعض أوزار ضلال من يضلونهم الخ) يفهم منه ان أوزار ضلال من يضلونهم قسمان قسم متعلق بالمباشرة وقسم متعلق بالتسبب فيحمل المضل القسم المتعلق بالتسبب من غير ان ينقص من وزر زوال الضلال شئ (قوله وهو على سبيل التمثيل) يعني ليس المقصود من أتى الله ببنيانهم الآية المعنى الحقيقي انما المراد استئصالهم واهلاكهم بما جعلوه سببا لبقائهم ونجاتهم فشبه حال المكرين في وضع المنصوبات وقصد هلاك العدو ورجوع وخامة عاقبة المكر اليهم أي بالمكرين بمن بنى بنيانا قصد به هلاك العدو ووضع مأدبة فيه ليكيد بها العدو فتنقلب عليه من حيث لا يشعر ثم استعمل العبارة الثانية في معنى هلاك المكرين بانقلاب مكرهم عليهم ومن هذا يعلم أن في المشبه به محذوفا وهو قصد صاحب البنيان المكر

الآخرين (لاجرم) حقا (ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون) فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر أوفعل (انه لايحب المستكبرين) فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده أواتباع الرسول (واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم) القائل بعضهم على التهكم أوالوافدون عليهم أوالمسلمون (قالوا أساطير الاولين) أي ماتدعون نزوله أوالمنزل أساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم أوعلى الفرض أي على تقدير أنه منزل فهو أساطير الاوّلين لاتحقيق فيه والقائلون قيل هم المقتسمون (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة) أي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال (ومن أوزار الذين يضلونهم) و بعض أوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب (بغير علم) حال من المفعول أي يضلون من لايعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على أن جهلهم لايعذرهم اذ كان عليهم أن يبحثوا و يميزوا بين المحق والمبطل (ألاساء مايزرون) بئس شيأ يزرونه فعلهم (قد مكر الذين من قبلهم) أي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام (فاتى الله بنيانهم من القواعد) فاتاها أمره من جهة العمد التي بنوا عليها بأن ضعضعت (فخر عليهم السقف من فوقهم) وصار سبب هلاكهم (وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون) لايحتسبون ولايتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد أمر السماء فاعب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا (ثم يوم القيمة يخزيهم) بذلهم أو يعذبهم بالنار كقوله تعالى و بنا انك من تدخل النار فقد أخزيته (و يقول أين شركائي) أضاف الى نفسه استهزاء أوحكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله عز وجل (قال الذين أوتوا العلم) أي الانبياء أوالعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم و يتكبرون عليهم أوالملائكة (ان الخزي اليوم والسوء) الذلة والعذاب (على الكافرين) وفائدة قولهم اظهار الشماتة بهم وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا ووعظا لمن سمعه (الذين تتوفاهم الملائكة) وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة (ظالمي أنفسهم) بأن عرضوها للعذاب المخلد (فالقوا السلم) فسلموا وأخبتوا حين عاينوا الموت (ما كنا) قائلين ما كنا (نعمل من سوء) كفر وعدوان و يجوز أن يكون تفسيرا للسلم على أن المراد به القول الدال على الاستسلام (بلى) أي فتجيبهم الملائكة بلى (ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا أول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا

بعدوه حتى يتم التشبيه واعلم أن المنصوبة بمعنى الحيلة وهي في الاصل للشبكة والحبالة جرت مجرى الاسماء كالدابة (قوله يحتمل الاوجه الثلاثة) فانه يحتمل أن يكون صفة للكافرين أو منصوبا بالاختصاص أو خبر مبتدأ محذوف (قوله وعلى هذا أول من لم يجوز الكذب يومئذ) أي اذا كان المراد من هذا بيان حالهم في الآخرة لزم وقوع الكذب في يوم القيامة فمن لم يجوز أن يكذب أحد في ذلك اليوم لابد أن يؤوّل هذا القول وهو ما كنا نعمل من سوء بان المراد ما كنا عاملين السوء في اعتقادنا أي ما كنا معتقدين انا نعمل السوء

(قوله وفى نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا فى الجواب) دليل على انهم لم يمكثوا فى الجواب لان نصب خيرا بجعله مفعولا به لا نزل هو الظاهر السابق الى الفهم المطابق للسؤال فكان هذا الجواب لاحاجة له الى تأويل وأما رفعه فلما لم يطابق السؤال بل يخالفه نوع مخالفة لان السؤال جملة فعلية والجواب جملة اسمية على تقدير الرفع فيحتاج الى تأمل ما (قوله ويجوز أن يكون بما بعده حكاية الخ) الاولى كما قال صاحب الكشاف أن يقال يجوز أن يكون للذين أحسنوا مع ما بعده بدلا عن قوله خيرا أى قالوا للذين أحسنوا الآيتين (قوله وهو يؤيد الوجه الاول) وهو أن يكون (٣٨٠) جنات عدن الخ خبر مبتدأ محذوف لانه اذا كان جنات عدن مخصوصا بالمدح كان

بعمل من سوء بأن لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوأ واحتمل أن يكون الراد عليهم هو الله تعالى أو أولوا العلم (فادخلوا أبواب جهنم) كل صنف بابها المعد له وقيل أبواب جهنم أصناف عذابها (خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) جهنم (وقيل للذين اتقوا) يعنى المؤمنين (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) أى أنزل خيرا وفى نصبه دليل على أنهم لم يتلعثموا فى الجواب وأطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتصدين قالوا له ماقالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) مكافأة فى الدنيا (ولدار الآخرة خير) أى ولثوابهم فى الآخرة خير منها وهو وعد للذين اتقوا على قولهم ويجوز أن يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على أنه منتصب بقالوا (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح (يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها مايشاؤن) من أنواع المشتهيات وفى تقديم الظرف تنبيه على أن الانسان لا يجد جميع مايريده الا فى الجنة (كذلك يجزى الله المتقين) مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى أنفسهم وقيل فرحين بشارة الملائكة اياهم بالجنة أو طيبين بقبض أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس (يقولون سلام عليكم) لايحيقكم بعد مكروه (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) حين تبعثون فانها معدة لكم على أعمالكم وقيل هذا التوفى وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ (هل ينظرون) مايتنظر الكفار المار ذكرهم (الا أن تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم وقرأ حمزة والكسائى بالياء (أو يأتى أمر ربك) القيامة أو العذاب المستأصل (كذلك) مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم) فأصابهم ما أصابوا (وماظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه (فاصابهم سيآت ماعملوا) أى جزاء سيآت أعمالهم على حذف المضاف أو تسمية الجزاء باسمها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وأحاط بهم جزاؤه والحيق لايستعمل الا فى الشر (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ) انما قالوا ذلك استهزاء أو منعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ماشاء الله يجب ومالم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما أو انكار القبح ما أنكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لماشاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا

الكلام كالصريح فى ان جنات عدن جزاء المتقين فيكون قوله تعالى كذلك يجزى الله المتقين تأكيدا بخلاف ما اذا كان خبر مبتدأ محذوف فانه لم يعلم صريحا ان جنات عدن جزاء المتقين كما علم من الصورة الاولى واعلم أنه ليس المقصود من قوله تعالى كذلك تشبيها بل المقصود ان هذا الجزاء المخصوص يجزى الله المتقين فالاحسن أن يفسر هكذا (قوله حين تبعثون الخ) لك أن تقول بل تدخل أرواحهم فى الجنة حين الموت فالمخاطب بقوله سلام عليكم ادخلوا الجنة أرواح الطيبين ولا حاجة الى القول بان المراد من الدخول الدخول حين البعث أو المراد من التوفى وفاة الحشر وقوله لان الامر بالدخول حينئذ ممنوع نعم يتم ماذكرا اذا كان المراد بالدخول دخول الابدان فى الجنة حينئذ وأما دخول الارواح فلا نسلم انه لايكون الا حينئذ

(قوله مايتنظر الكفار) أى ليس الكفار الا فى صورة من ينتظر (قوله الا أن يأتيهم المذكورين) لانهم لما فعلوا مايوجب العذاب فكانهم ينتظرون له (قوله فما الفائدة فيهما) أى لما تيسر له تعالى أن يدخل بعض العباد فى الجنة وبعضهم فى النار من غير تكليف وبعث للرسل فما الفائدة فيهما (قوله استهزاء) انما كان ذلك استهزاء لان الكلام فى صورة الاعتذار وليس باعتذار حينئذ (قوله لا اعتذارا) عطف على قوله استهزاء أى قالوا ذلك استهزاء أو منعا للبعثة لا اعتذارا وهو اظهار العذر أى لم يقولوا ذلك على وجه العذر وهو انا معذورون فى تلك الاعمال لان الله تعالى أرادها فكيف لا نفعل

اذلم يعتقدوا قبح أعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين (كذلك فعل الذين من قبلهم) فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر فى هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدى اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها لله ثم بين أن البعثة أمر جرت به السنة الالهية فى الامم كلها سببا لهدى من أراد اهتداءه وزيادة الضلال من أراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوى ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يامر بعبادة الله تعالى واجتناب الطاغوت (فمنهم من هدى الله) وفقهم للايمان بارشادهم (ومنهم من حقت عليه الضلالة) اذلم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على أن تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به فى الآية الاخرى (فسيروا فى الارض) يامعشر قريش (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون (ان تحرص) يامحمد (على هداهم فان الله لا يهدى من يضل) من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو أبلغ (وما لهم من ناصرين) من ينصرهم بدفع العذاب عنهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) عطف على وقال الذين أشركوا ابذا نا بالهم كما أنكروا التوحيد أنكروا البعث مقسمين عليه مزيادة فى البت على فساده ولقد رد الله عليهم أبلغ رد فقال (بلى) يبعثهم (وعدا) مصدر مؤكد لنفسه وهو مادل عليه بلى فان ببعث موعد من الله (عليه) انجازه لامتناع الخلف فى وعده أولان البعث مقتضى حكمته (حقا) صفة أخرى للموعد (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التى جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال (ليبين لهم) أى يبعثهم ليبين لهم (الذى يختلفون فيه) وهو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) فيما يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعى الى البعث المقتضى له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال (انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وهو بيان امكانه وتقريره أن تكوين الله بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والازمنة التسلسل فيكما أمكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال أمكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائى ههنا وفى يس فيكون عطفا على نقول أوجوابا للامر (والذين هاجروا فى الله من بعد ماظلموا) هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة أو المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وأبو جندل وسهيل رضى الله تعالى عنهم وقوله فى الله أى فى حقه ولوجهه (لنبوئنهم فى الدنيا حسنة) مباءة حسنة وهى المدينة أو تبوئة حسنة (ولأجر الآخرة أكبر) مما يعجل لهم فى الدنيا وعن عمر رضى الله تعالى عنه أنه كان اذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله فى الدنيا وما ادخر لك فى الآخرة أفضل (لو كانوا يعلمون) الضمير للكفار أى لو علموا ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) على الشدائد كأذى الكفار ومفارقة الوطن ومحله النصب والرفع على المدح (وعلى ربهم يتوكلون) منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله (وما أرسلنا من قبلك

(قوله تنبيه على الجواب من الشبهتين) فيه خفاء (قوله تنبيه على فساد الشبهة الثانية الخ) وهى ماقاله المشركون لو كان ما فعلنا مستقبحا لما شاء الله صدورها عنا اذ من المعلوم أن الضلالة قبيحة والحاصل أنه يعلم من الكلام أن الشركة ضلالة والضلالة قبيحة وهذا يهدم شبهتهم وانما قال من حيث انه قسيم من هدى الله لان ظاهر قوله تعالى ومنهم من حقت عليه الضلالة لا يدل على ما ذكرنا وانما يدل عليه من الحيثية المذكورة فيكون معناه من حقت عليه الضلالة بارادة الله تعالى (قوله وهو أبلغ) لان هذه الصيغة تدل على ان من يضله الله لا يهدى أصلا وأما على البناء للفاعل فيدل على ان الله تعالى لا يهدى من يضل ولا ينفى صريحا ان لا يهديه غيره تعالى (قوله أو جوابا للامر) ليس هذا فى الكشاف بل اقتصر على لوجه الاول ولا وجه لكونه جوابا للامر ههنا اذ كونه جوابا لكن انما يحصل بان يكون المعنى ليكن منك الكون ثم الكون منى كما صح أن يقال زرنى فاكرمك بالنصب فيكون المعنى

الارجالا يوحى اليهم) ردّ لقول قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا أى جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على ألسنة الملائكة والحكمة فى ذلك قد ذكرت فى سورة الانعام فان شككتم فيه (فاسئلوا أهل الذكر) أهل الكتاب أو علماء الاخبار ليعلموكم (ان كنتم لا تعلمون) وفى الآية دليل على أنه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة وقوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة أو الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال وروى أنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل صلوات الله عليه على صورته التى هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم (بالبينات والزبر) أى أرسلناهم بالبينات والزبر أى المعجزات والكتب كأنه جواب قائل قال بم أرسلوا ويجوز أن يتعلق بما أرسلنا داخلا فى الاستثناء مع رجالا أى وما أرسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ماضربت الا زيدا بالسوط أو صفة لهم أى رجالا ملتبسين بالبينات أو يوحى على المفعولية أو الحال من القائم مقام فاعله على أن قوله فاسألوا اعتراض أو بلا تعلمون على أن الشرط للتبكيت والالزام (وأنزلنا اليك الذكر) أى القرآن وانما سمى ذكرا لانه موعظة وتنبيه (لتبين للناس ما نزل اليهم) فى الذكر بتوسط انزاله اليك مما أمروا به ونهوا عنه أو مما تشابه عليهم والتبيين أعم من أن ينص بالمقصود أو يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل (ولعلهم يتفكرون) وارادة أن يتأملوا فيه فينتبهوا للحقائق (أفأمن الذين مكروا السيآت) أى المكرات السيآت وهم الذين احتالوا الهلاك الانبياء أو لدين مكر وارسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد أصحابه عن الايمان (أن يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط (أو يأخذهم فى تقلبهم) أى متقلبين فى مسايرهم ومتاجرهم (فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوّف) على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوّفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوّفون أو على ان ينقصهم شيأ بعد شئ فى أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا من تخوّفته اذا انتقصته روى أن عمر رضى الله تعالى عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوّف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك فى أشعارها قال نعم قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته

تخوّف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوّف عود النبعة السفن

فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث لا يعاجلكم بالعقوبة (أولم يروا الى ما خلق الله من شئ) استفهام انكار أى قد رأوا أمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها (يتفيؤ ظلاله) أى أولم ينظروا الى المخلوقات التى لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائى ترو بالتاء وأبو عمرو تتفيؤ بالتاء (عن اليمين والشمائل) عن ايمانها وعن شمائلها أى عن جانبى كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير فى ظلاله وجمعه فى قوله (سجدا لله وهم داخرون) وهما حالان من الضمير فى ظلاله وأراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع أو الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب أو سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس واتحادها أو باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ أو واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام فى أنفسها أيضا داخرة أى صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها

ليكن منك زيارة فاكرام منى وقد صرح الرضى بعدم جواز كونه منصوبا على جواب الامر (قوله أو الحال من القائم مقام فاعله) وهو الجار والمجرور وهو اليهم (قوله على أن قوله فاسئلوا اعتراض) هذا متعلق بقوله ويجوز أن يتعلق بما أرسلنا الخ اذ على كل من التقادير المذكورة كان قوله تعالى فاسئلوا جملة معترضة بين أمرين متصلين (قوله على ان الشرط للتبكيت والالزام) اذ ليس الشرط على حقيقته اذ من المعلوم المقرر انهم لم يعلموا البينات والزبر (قوله تخوف الرحل منها تامكا قردا) التامك طويل السنام (قوله وتوحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى) توحيد اليمين باعتبار توحيد لفظ ما وجمع الشمائل باعتبار ان ما يشمل عليه ما متعدد (قوله وهما حالان من الضمير فى ظلاله) فيكون جمع الحالين باعتبار المعنى فان قلت الحال يجب أن يكون من الفاعل أو المفعول به وضمير ظلاله ليس شيأ منهما قلنا لانسلم أن يكون كل ذى حال يجب أن يكون فاعلا أو مفعولا بل قد يكون

غيرهما ولهذا اعترض الرضى على ابن الحاجب قال ويخرج من تعريف الحال الحال من المضاف اليه اذا لم يكن المضاف عاملا فى المضاف اليه كقوله تعالى ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين (قوله وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل) لانه قرران سجود الله وهم داخرون حال من الضمير فى ظلاله فيكون ذا الحال أصحاب الظلال ولا يخفى أن بعضهم عقلاء وبعضهم غير العقلاء (قوله لان الدخور من أوصاف العقلاء) لان الدخور كما بينه هو الصغار والانقياد وهو صفة أولى العقل (قوله يعم الانقياد لارادته الخ) أى المراد من الانقياد المطلق العام ليشمل جميع ما فى السموات وما فى الارض وفيه أنه لو كان المراد الانقياد لارادته طبعا لعم الجميع أيضا (قوله أو عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة أرواح مجردة) وجه الاستدلال ان ما فى السموات وما فى الارض من الشيئين أحدهما الدابة والآخر الملائكة فتكون الملائكة خارجين من الدابة أى المتحرك الحركة الجسمانية فلا تكون أجساما لان الجسم لابد أن يكون له حركة جسمانية فكانوا داخلين فى الدابة وفيه نظر لما ذكر من أنه يمكن انه تخصيص بعد تعميم (قوله أو بيان لما فى الارض الخ) عطف على قوله بيان لهما والمقصود أن من دابة اما أن يكون بيانا لما فى السموات وما فى الارض أو بيانا لما فى الارض فيكون المراد من الدابة ما يدب على وجه الارض وتكون الملائكة بيانا لما فى السموات وتعيينا له اجلالا وتعظيما للملائكة بتكرير ذكرهم (قوله أو المراد بهما ملائكتهما من الحفظة وغيرهم) يعنى أو يكون المراد من الملائكة ملائكة الارض من الحفظة وهم الكرام الكاتبون وغيرهم فتكون الدابة والملائكة بيان لما فى الارض ويكون المراد من الدابة غير الملائكة (قوله ولما استعمل للعقلاء الخ) انما كان أولى لان استعمال من للجمع من العقلاء وغيرهم لا يخلو عن تكلف والاولى أن يقال لو استعمل من لتوهم أن الحكم مخصوص بالعقلاء لان أصل وضعه للعقلاء بخلاف ما (قوله انهم مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء) أى فائمون بين الخوف والرجاء وفيه أنه يفهم من الآية ان هم فرقا وأما الرجاء فلا يفهم من الآية فتأمل تعرف ويمكن ان يقال ان اطاعتهم لما يؤمرون به قرينة الرجاء لان من أطاع الكريم فى أمره يحصل له رجاء الكرم والعفو فكيف من يطيع أكرم الاكرمين فى جميع أوامره ونواهيه (قوله ايماء بان الاثنينية تنافى الالهية) لان ذكر الاثنين مع كونه معلوما من المعدود لا بد له من فائدة يمكن ان تكون هى الايماء المذكور لان فيه ايماء الى ان النهى بواسطة الاثنينية فيلزم تنافى بينها وبين الالوهية كما ان ذكر الواحد فى هذا المقام مع كونه معلوما يمكن ان يكون لما ذكرمن ان الوحدة من لوازم الالوهية

وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل أو لان الدخور من أوصاف العقلاء وقيل المراد بالمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقى لان الكواكب تظهر منه آخذة فى الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربى المقابل له من الارض فان الظلال فى أول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربى من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقى من الارض (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض) أى ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وأمره طوعا ليصح اسناده الى عامة أهل السموات والارض وقوله (من دابة) بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كانت فى أرض أو سماء (والملائكة) عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم أو عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة أرواح مجردة أو بيان لما فى الارض والملائكة تكرير لما فى السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما أو المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وانما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان أولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء (وهم لا يستكبرون) عن عبادته (يخافون ربهم من فوقهم) يخافونه أن يرسل عذابا من فوقهم أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير فى لا يستكبرون أو بيان له وتقرير لان من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته (ويفعلون ما يؤمرون) من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين) ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهى اليه أو ايماء بان الاثنينية تنافى الالوهية كما ذكر الواحد فى قوله (انما هو اله واحد) للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية أو للتنبيه على أن الوحدة من لوازم الالهية (فاياى فارهبون) نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة فى الترهيب وتصريحا بالمقصود فكأنه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياى فارهبون لا غير (وله ما فى السموات والارض) خلقا وملكا (وله الدين) أى الطاعة (واصبا) لازما لما تقرر من أنه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب أى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء أى وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر (أفغير الله تتقون) ولما ضر سواه كالا نافع غيره كما قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله)

أى وأى شئ اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية أو موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه (ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت فى الدعاء والاستغاثة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم) وهم كفاركم (بربهم يشركون) بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كأنه قال اذا فريق وهم أنتم ويجوز أن تكون من للتبعيض على أن يعتبر بعضهم كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة أو انكار كونها من الله تعالى (فتمتعوا) أمر تهديد (فسوف تعلمون) أغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا يجوز أن تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب (ويجعلون لما لا يعلمون) أى لآلهتهم التى لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما أو التى لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف أو لجهلهم على أن ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به (نصيبا مما رزقناهم) من الزروع والانعام (تالله لتسألن عما كنتم تفترون) من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه (ويجعلون لله البنات) كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه له من قولهم وتعجب منه (ولهم ما يشتهون) يعنى البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان أفضى الى أن يكون ضمير الفاعل والمفعول لشئ واحد لكنه لا يبعد تجويزه فى المعطوف (واذا بشر أحدهم بالانثى) أخبر بولادتها (ظل وجهه) صار أو دام النهار كله (مسودا) من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير (وهو كظيم) مملوء غيظا من المرأة (يتوارى من القوم) يستخفى منهم (من سوء ما بشر به) من سوء المبشر به عرفا (أيمسكه) محدثا نفسه متفكرا فى أن يتركه (على هون) ذل (أم يدسه فى التراب) أى يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما (ألا ساء ما يحكمون) حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة السوء وهى الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبشاء الذكور واستظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق (ولله المثل الاعلى) وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق والتنزاهة عن صفات المخلوقين (وهو العزيز الحكيم) المنفرد بكمال القدرة والحكمة (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ما ترك عليها) على الارض والضمير لما أضمر هنا من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها (من دابة) قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وقيل لو أهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) سماه لاعمارهم أو لعذابهم كى يتوالدوا (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) بل هلكوا أو عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم أن يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لجواز أن يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن أكثرهم (ويجعلون لله ما يكرهون) أى ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء فى الرياسة والاستخفاف بالرسل وأراذل الاموال (وتصف ألسنتهم الكذب) مع ذلك وهو (أن لهم الحسنى) أى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للألسنة (لا جرم أن لهم النار) ردلكلامهم واثبات لضده (وأنهم مفرطون) مقدمون الى النار من أفرطه فى

حتى انتهى الامر الى ان ذكر الاله يوجب ذكر الواحد (قوله باعتبار الاخبار دون الحصول) فيكون المعنى ما اتصل بكم من نعمة فيخبركم انها من الله لا لحصولها منه لان استقرار النعمة سبب عن حصولها لا سببا له (قوله ويجوز ان تكون من للتبعيض) فيكون المعنى اذا كشف الضر عنكم كان فريق منكم عائدا الى الشرك وفريق منكم مستقيما على التوحيد

طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على الامم من الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم) فأصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين (فهو وليهم اليوم) أى فى الدنيا وعبر باليوم عن زمانها أو فهو وليهم حين كان يزين لهم أو يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية أو آتية ويجوز أن يكون الضمير لقريش أى زين الشيطان للكفرة المتقدمين أعمالهم وهو ولى هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف أى فهو ولى أمثالهم والولى القرين أو الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على أبلغ الوجوه (ولهم عذاب أليم) فى القيامة (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم) للناس (الذى اختلفوا فيه) من التوحيد والقدر وأحوال المعاد وأحكام الافعال (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها) أنبت فيها أنواع النبات بعد يبسها (ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون) سماع تدبر وانصاف (وان لكم فى الانعام لعبرة) دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم (نسقيكم مما فى بطونه) استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وأنثه فى سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عاد سيبويه فى المفردات المبنية على أفعال كأخلاق وأكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها أو لواحده أوله على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفى المؤمنين (من بين فرث ودم لبنا) فانه يخلق من بعض أجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام فى الكرش وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان أوسطه يكون مادة اللبن وأعلاه مادة الدم الذى يغذى البدن لانهما لا يتكونان فى الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمكسهار بما يهضمها هضما ثانيا فيحدث أخلاطا أربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم بوزع الباقى على الاعضاء بحسبها فيجرى الى كل حقه على مايليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان أنثى زاد أخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد أولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد أو بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى فى احداث الاخلاط والألبان واعداد مقارها ومجارها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على مايليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهى رحمته ومن الأولى تبعيضية لان اللبن بعض مافى بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذى يبتدأ منه الاسقاء وهى متعلقة بنسقيكم أو حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة (خالصا) صافيا لايستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث أو مصفى مما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه (سائغا للشاربين) سهل المرور فى حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف (ومن ثمرات النخيل والأعناب) متعلق بمحذوف أى ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب أى من عصيرهما وقوله (تتخذون منه سكرا) استئناف لبيان الاسقاء أو بتتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا أو خبر لمحذوف صفته تتخذون أى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذى هو العصير أو لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمى به

(قوله على انه حكاية حال ماضية أو آتية) فالاول بالنظر الى المعنى الذى ذكره أولا وهو انهم حين كان يزين لهم والثانى بالنسبة الى المعنى الثانى وهو ان يكون وليهم يوم القيامة (قوله فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين) أى ذكر هدى ورحمة بالنصب بانهما مفعول لهما لانهما فعلا فاعل الفعل المعلل واما التبيين فلما لم يكن كذلك بل هو فعل الرسول ذكره بصيغة الفعل (قوله فانه يخلق من بين أجزاء الدم الخ) توضيحه انه يحصل اللبن من بين الاجزاء التى فى الفرث ثم من بين الاجزاء التى فى الدم فالمعنى من بين أجزاء فرث وبين أجزاء دم (قوله أو لواحده أوله على المعنى) يعنى ان ضمير بطونه راجع الى واحد من الانعام وحينئذ فالمراد من بطون واحد من الانعام الاشياء التى فى باطنه (قوله متعلق بمحذوف) انما قال متعلق بمحذوف لانه لايصح ان يكون متعلقا بنسقيكم المذكور لان قوله تعالى وان لكم فى الانعام يمنع منه

الخمر (ورزقا حسنا) كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال

* جعلت اعراض الكرام سكرا * أى تنقلت بأعراضهم وقيل مايسد الجوع من السكر فيكون الرزق مايحصل من ثمالته (ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل فى الآيات (وأوحى ربك الى النحل) ألهمها وقذف فى قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين (أن اتخذى) بأن اتخذى ويجوز أن تكون ان مفسرة لان فى الايحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر (من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) ذكر بحرف التبعيض لانها لاتبنى فى كل جبل وكل شجر وكل مايعرش من كرم أوسقف ولا فى كل مكان منها وانما سمى مابنينه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التى لايقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات وأنظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء وقرأ ابن عامر وأبو بكر يعرشون بضم الراء (ثم كلى من كل الثمرات) من كل ثمرة تشتهينها مرها وحلوها (فاسلكى) مأكلت (سبل ربك) فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك أوفاسلكى الطرق التى ألهمك فى عمل العسل أوفاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك لاتتوعر عليك ولاتلتبس (ذللا) جمع ذلول وهى حال من السبل أى مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك أومن الضمير فى اسلكى أى وأنت ذلل منقادا لما أمرت به (يخرج من بطونها) كأنه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لأجلهم (شراب) يعنى العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل فى بطنها عسلا ثم تقيأه داخل الشتاء ومن زعم أنها تلتقط بأفواهها أجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها فى بيوتها داخرا فاذا اجتمع فى بيوتها شئ كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه (مختلف ألوانه) أبيض وأصفر وأحمر وأسود بحسب اختلاف سن النحل والفصل (فيه شفاء للناس) اما بنفسه كما فى الامراض البلغمية أومع غيره كما فى سائر الامراض اذ فلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع أن التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز أن يكون للتعظيم وعن قتادة أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان أخى يشتكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرأ فكأنما أنشط من عقال وقيل الضمير للقرآن أو لما بين الله من أحوال النحل (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لابد له من خالق قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه (والله خلقكم ثم يتوفاكم) بآجال مختلفة (ومنكم من يرد) يعاد (الى أرذل العمر) أخسه يعنى الهرم الذى يشابه الطفولية فى نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) ليصير الى حالة شبيهة بحالة الطفولية فى النسيان وسوء الفهم (ان الله عليم بمقادير أعماركم (قدير) يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفانى وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم اركب أبنيتهم وعدل أمزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) فمنكم غنى ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك (فما الذين فضلوا

(قوله والا فجامعة بين العتاب والمنة) أى اذا كان نزول هذه الآية بعد حرمة الخمر تكون الاية جامعة بين العتاب بسبب اشتمالها على اتخاذ السكر وبين المنة نظرا الى الرزق الحسن (قوله جعلت أعراض الكرام سكرا) فجعل اعراض الكرام عن خطأ الشخص سكرا أى تقلبا ينتقل به هكذا ذكره المعلقون على الكشاف (قوله وقيل مايسد الجوع) مقصوده ان المراد من السكر المذكور فى القرآن هو السكر المطعوم الذى يسد الجوع فيكون الرزق الحسن هو منه (قوله وتأنيث الضمير على المعنى الخ) أى يكون التأنيث باعتبار ان الخطاب مع جماعة النحل (قوله ولعل ذكره للتنبيه على ذلك) أى لعل ذكر اتخاذ البيوت لاجل التنبيه على ان بيوته مشتملة على ماذكر (قوله عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس) العدول عن خطاب النحل مسلم واما العدول الى خطاب الناس فباعتبار ان المعنى يخرج لكم أيها الناس شراب مختلف ألوانه (قوله بسبب اختلاف سن النحل والفصل) ويمكن أيضا باختلاف مايلتقط (قوله ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ) فيه نظر لايخفى

(قوله فان ما يردون عليهم رزقهم الخ) أى ما يرد السادات على المماليك رزق المماليك الذى أجرى الله تعالى على أيديهم (قوله فالجملة لازمة للجملة المنفية) أى جملة فهم فيه سواء لازمة للجملة المنفية وهى قوله تعالى فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم أى لما كان السادات لم يكونوا رادى رزق أنفسهم على المماليك بل يردون على المماليك رزق المماليك لزم منه ان تكون السادات والعبيد متساوين فى كونهما مرزوقين من الله تعالى (قوله ويجوز أن تكون واقعة موقع الجواب) أى واقعة موقع جواب النفى المقدم اذ التقدير ماذكر كقولك ماتأتينا فتحدثنا ويمكن ان يقال انتقدير فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم ان ردوه فهم فيه سواء فهو فى الحقيقة جواب شرط مقدر (قوله أو مقدرة) الاولى ان يقال ومقدرة لما لانها صالحة للأمرين معا (قوله هو خلق حواء من آدم) فان قيل فما معنى جمع الانفس و الازواج قلنا لعله يقول المراد من الانفس والازواج البعض أى من بعض الانفس بعض الازواج (قوله والعطف لتغاير الوصفين) أى عطف الحفدة على البنين وان كانا متحدين لتغاير وصفى الابن والحافد (قوله أو لايهام التخصيص مبالغة) أى تقديم بنعمة الله على يكفرون لايهام تخصيص الكفران بالنعمة فكأن كفرهم مخصوص بالنعمة وانما قال لايهام التخصيص ولم يقل للتخصيص اذ ليس كفرهم مخصوصا بنعمة الله بل كفرهم يكون باشياء اخر (قوله وجعله قسما للمالك المتصرف الخ) فيه نظر فانه لم يجعل

(قوله فان ما يردون عليهم رزقهم الخ) أى ما يرد السادات على المماليك رزق المماليك الذى أجرى الله تعالى على أيديهم (قوله فالجملة لازمة للجملة المنفية) أى جملة فهم فيه سواء لازمة للجملة المنفية وهى قوله تعالى فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا فى الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته فى الالوهية ولا يرضون أن يشاركهم عبيدهم فيما أنعم الله عليهم فيساووهم فيه (أفبنعمة الله يجحدون) حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضى أن يضاف اليهم بعض ما أنعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله أو حيث أنكروا أمثال هذه الحجج بعد ما أنعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ أبو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أى من جنسكم لتأنسوا بها وتتكون أولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) وأولاد أولاد أو بنات فان الحافد هو المسرع فى الخدمة والبنات يخدمن فى البيوت أتم خدمة وقيل هم الأختان على البنات وقيل الربائب ويجوز أن يراد بها البنون أنفسهم والعطف لتغاير الوصفين (ورزقكم من الطيبات) من اللذائذ أو الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق فى الدنيا أنموذج منها (أفبالباطل يؤمنون) وهو ان الأصنام تنفعهم أو أن من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب (وبنعمت الله هم يكفرون) حيث أضافوا نعمه الى الأصنام أو حرموا ما أحل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل امالالاهتمام أو لايهام التخصيص مبالغة أو للمحافظة على الفواصل (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيأ) من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيأ منصوب به والافبدل منه (ولا يستطيعون) أن يتملكوه أو لا استطاعة لهم أصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده فى لا يملك لأن ما مفرد فى معنى الآلهة ويجوز أن يعود الى الكفار أى ولا يستطيع هؤلاء مع انهم أحياء متصرفون شيأ من ذلك فكيف الجماد (فلا تضربوا لله الأمثال) فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به أو تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال (ان الله يعلم) فساد ما تعوّلون عليه من القياس على أن عبادة عبيد الملك أدخل فى التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون (وأنتم لا تعلمون) ذلك ولو علمتموه لما جزأتم عليه فهو تعليل للنهى أو انه يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال فانه يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون) مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذى رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما فى الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الأصنام التى هى أعجز المخلوقات وبين الله الغنى القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر فانه أيضا عبد لله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على أن المملوك لا يملك والاظهر ان نكرة موصوفة لمطابق عبدا وجمع الضمير فى يستوون لأنه للجنسين فان المعنى هل يستوى الاحرار والعبيد (الحمد

لله) كل الحمد له لايستحقه غيره فضلا عن العبادة لأنه مولى النعم كلها (بل أكثرهم لايعلمون) فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لأجلها (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) ولد أخرس لايفهم ولايفهم (لايقدر على شئ) من الصنائع والتدابير لنقصان عقله (وهو كل على مولاه) عيال وثقل على من يلي أمره (أينما يوجهه) حيثما يرسله مولاه في أمر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجهه بمعنى يتوجه كقوله أينما أوجه ألق سعدا وتوجه بلفظ الماضي (لايأت بخير) بنجح وكفاية مهم (هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل) ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لجوامع الفضائل (وهو على صراط مستقيم) وهو في نفسه على طريق مستقيم لايتوجه الى مطلب الا ويبلغه بأقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لأنهما كمال مايقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها أولهما المؤمن والكافر (ولله غيب السموات والأرض) يختص به علمه لايعلمه غيره وهو ماغاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولايدل عليه محسوس (وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن أهل السموات والأرض (وماأمر الساعة) وماأمر قيام الساعة في سرعته وسهولته (الا كلمح البصر) الا كرجع الطرف من أعلى الحدقة الى أسفلها (أوهو أقرب) أوأمرها أقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي تبتدئ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن وأو للتخيير أو بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشئ الذي تقولون فيه هو كلمح البصر أوهو أقرب مبالغة في استقرابه (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر أن يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان أحياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة أواتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة منلها في اهراق (لاتعلمون شيأ) جهالا مستصحبين جهل الجمادية (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) أداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تنتهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنون من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها (لعلكم تشكرون) كي تعرفوا ماأنعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه (ألم يروا الى الطير) قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على أنه خطاب للعامة (مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المؤاتية له (في جوّ السماء) في الهواء المتباعد من الارض (مايمسكهن) فيه (الا الله) فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولاعلاقة فوقها ولادعامة تحتها تمسكها (ان في ذلك لآيات) تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها (لقوم يؤمنون) لانهم هم المنتفعون بها (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هي القباب المتخذة من الادم ويجوز أن يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلود هايصدق عليها انها من جلودها (تستخفونها) تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها (يوم ظعنكم) وقت ترحالكم (ويوم اقامتكم) ووضعها أوضربها وقت الحضر أو النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة فيه (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها (أثاثا) مايلبس ويفرش (ومتاعا) مايتجر به (الى حين) الى مدة من الزمان فانها الصالحة بتهاتبقى مدة مديدة أوالى حين مماتكم

قسم المالك المتصرف مطلقا بل لمالك خاص ينفق سراوجهرا ولوسلم انه قسم للمالك المتصرف لايلزم منه ان لايكون العبد مالكا أصلا وانما يلزم منه ان لايكون مالكا متصرفا وقد يكون الشخص مالكا ولايكون متصرفا كالصبي والسفيه والمجنون (قوله جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تنتهون بقلوبكم الخ) هذا كلام الفلاسفة ومن يحذو حذوهم فانهم قالوا ان النفس في أول الفطرة خالية عن العلوم ثم اذا استعملت الاشياء أي المشاعر أدركت صورا جزئية وتنبهت لمشاركات جزئية بين الاشياء ومباينات جزئية بينها فاستعدت لان يفيض عليها من المبدأ الفياض المشاركات الكلية لكن أهل السنة لاحاجة لهم الى القول بهذا الطريق بل لهم ان يقولوا اذا استعملت النفس المشاعر يمكن ان يحصل لها معاني جزئية وكلية معا غاية الامر ان الادراك في أول الامر كان ناقصا ثم يترقى تدريجا (قوله ووضعها أوضربها) هما مرفوعان معطوفان على جلها ونقلها

أوالى أن تقضوامنه أوطاركم (والله جعل لكم مماخلق) من الشجر والجبل والابنية وغيرها (ظلالا) تتقون بها حر الشمس (وجعل لكم من الجبال أكنانا) مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن (وجعل لكم سرابيل) ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها (تقيكم الحر) خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين أولان وقاية الحر كانت أهم عندهم (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعنى الدروع والجواشن والسربال يعم كل مايلبس (كذلك) كاتمام هذه النعم التى تقدمت (يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) أى تنظرون فى نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة أى تشكرون فتسلمون من العذاب أوتنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) أعرضوا ولم يقبلوا منك (فانما عليك البلاغ المبين) فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب (يعرفون نعمة الله) أى يعرف المشركون نعمة الله التى عدّدها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله تعالى (ثم ينكر ونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا أو بسبب كذا أو باعراضهم عن أداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم أنكروها عنادا ومعنى ثم استبعادا لانكار بعد المعرفة (وأكثرهم الكافرون) الجاحدون عنادا وذكر الاكثر امالان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل أو التفريط فى النظر أولم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما فى قوله بل أكثرهم لا يعلمون (ويوم نبعث من كل أمة شهيدا) وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار اذلا عذر لهم وقيل فى الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة مايحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلى على مايمنون به من شهادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ولاهم يستعتبون) ولاهم يسترضون من العتبى وهى الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر أوخوّفهم أو يحيق بهم مايحيق وكذا قوله (واذا رأى الذين ظلموا العذاب) عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) أى العذاب (ولاهم ينظرون) يمهلون (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) أوثانهم التى دعوها شركاء أوالشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) نعبدهم أونطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين فى ذلك أو التماس لأن يشطر عذابهم (فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون) أى أجابوهم بالتكذيب فى أنهم شركاء الله أوأنهم ماعبدوهم حقيقة وانما عبدوا أهواءهم كقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ أوفى أنهم جلبوهم على الكفر وألزموهم اياه كقوله وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى (وألقوا) وألقى الذين ظلموا (الى الله يومئذ السلم) لاستسلام لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا (وضل عنهم) وضاع عنهم و بطل (ما كانوا يفترون) من أن آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر (زدناهم عذابا) لصدهم (فوق العذاب) المستحق بكفرهم (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين بصدهم (ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعنى نبيهم فان نبى كل أمة بعث منهم (وجئنا بك) يامحمد (شهيدا على هؤلاء) على أمتك (ونزلنا عليك الكتاب) استئناف أوحال باضمار قد (تبيانا) بيانا بليغا (لكل شئ) من أمور الدين على التفصيل أوالاجمال بالاحالة الى السنة أو القياس (وهدى ورحمة) للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه (وبشرى للمسلمين) خاصة (ان الله يأمر بالعدل) بالتوسط فى الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل

(قوله وذكر الا كثر اما لان بعضهم الخ) أى كون أكثرهم جاحدين بدل على ان بعضهم ليسوا بجاحدين وعدم جحودهم دليل على عدم علمهم لان الجحود هو انكار الشئ مع العلم به كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا (قوله فعدم العلم اما لنقصان عقولهم أولتفريطهم) او لانه لم يقم الحجة عليه (قوله وثم لزيادة مايحيق بهم الخ) لان ثم دال على بعد الاذن عن الوقوع فيدل على ان مانعا شديدا يمنع وقوعه وهو يدل على الاقناط الكلى (قوله أو يحيق بهم مايحيق بهم) أى نصب يوم بماذكر او بهذا الفعل الذى هو يحيق (قوله أوفى اسهم جلوهم الخ) ماذكر هو متعلق بالاصنام المذكورة سابقا أوثانهم التى دعوها شركاء أو الشياطين الذين شاركوهم (قوله استئناف أوحال) فالاول على تقديران لايكون وجئنا بك شهيدا معطوفا على نبعث والثانى على ان يكون معطوفا على نبعث (قوله وانما حرمان المحروم من تفريطه)

والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير (والاحسان) احسان الطاعات وهو امابحسب الكمية كالتطوع بالنوافل أو بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (وايتاء ذى القربى) واعطاء الاقارب مما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة (وينهى عن الفحشاء) عن الافراط فى متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه أقبح أحوال الانسان وأشنعها (والمنكر) ماينكر على متعاطيه فى ثائرة القوة الغضبية (والبغى) والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التى هى مقتضى القوة الوهمية ولابوجد من الانسان شر الاوهو مندرج فى هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه هى أجمع آية فى القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه ولو لم يكن فى القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شئ وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه (يعظكم) بالامر والنهى والمييز بين الخير والشر (لعلكم تذكرون) تتعظون (واوفوا بعهد الله) يعنى البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل أمر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله (اذا عاهدتم) وقيل النذور وقيل الايمان بالله (ولا تنقضوا الايمان) أى ايمان البيعة أو مطلق الايمان (بعد توكيدها) بعد توثيقها بذكر الله تعالى ومنه أكد بقلب الواو همزة (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه (ان الله يعلم ما تفعلون) من نقض الايمان والعهود (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها) ماغزلته مصدر بمعنى المفعول (من بعد قوة) متعلق بنقضت أى نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام (أنكاثا) طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها أو المفعول الثانى لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه وقيل هى ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) حال من الضمير فى ولا تكونوا أو فى الجار الواقع موقع الخبر أى لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذين أيمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل مايدخل الشئ ولم يكن منه (أن تكون أمة هى أربى من أمة) لان تكون جماعة أزيد عددا وأوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدر وا بقوم لكثرتكم وقلتهم أو لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة فى أعادى حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم (انما يبلوكم الله به) الضمير لان تكون أمة لانه بمعنى المصدر أى يختبركم بكونهم أربى لينظر أتمكثون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للرباء وقيل للامر بالوفاء (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) اذ اجازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) متفقة على الاسلام (ولكن يضل من يشاء) بالخذلان (ويهدى من يشاء) بالتوفيق (ولتسئلن عما كنتم تعملون) سؤال تبكيت ومجازاة (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) تصريح بالمهى عنه بعد ما تضمين تأكيدا ومبالغة فى قبح المنهى (فتزل قدم) أى عن محجة الاسلام (بعد ثبوتها) عليها والمراد أقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على أن زل قدم واحدة عظيم فكيف بأقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) العذاب فى الدنيا (بما صددتم عن سبيل الله) بصدكم عن الوفاء أو صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة (ولا

أى من كان محروما من رحمة القرآن فهو لتقصيره والا فرحمة القرآن شاملة لكل أحد (قوله ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم) لان الظاهر منه ان المراد الامر بالايفاء بما يجب الوفاء به اعم من ان يكون مما وقع العهد به فى الماضى أو المستقبل فلا يلائمه قوله تعالى اذا عاهدتم لانه يوجب اختصاصه بالاستقبال

تشتروا بعهد الله) ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعفاء المسلمين و يشترطون لهم على الارتداد (ان ماعند الله) من النصر والتغنيم فى الدنيا والثواب فى الآخرة (هو خير لكم) مما يعدونكم (ان كنتم تعلمون) ان كنتم من أهل العلم والتمييز (ماعندكم) من أعراض الدنيا (ينفد) بتقضى ويفنى (وماعند الله) من خزائن رحمته (باق) لاينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على أن نعيم أهل الجنة باق (وليجزين الذين صبروا أجرهم) على الفاقة وأذى الكفار أو على مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون (بأحسن ما كانوا يعملون) بما يرجح فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات أو بجزاء أحسن من أعمالهم (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى) بينه بالنوعين دفعا للتخصيص (وهو مؤمن) اذلا اعتداد باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العذاب (فلنحيينه حياة طيبة) فى الدنيا بعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم فى الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات أن يتهنأ بعيشه وقيل فى الآخرة (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) من الطاعة (فاذا قرأت القرآن) اذا أردت قراءته كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) فاسأل الله أن يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك فى القراءة والجمهور على أنه للاستحباب وفيه دليل على أن المصلى يستعيذ فى كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بأن الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ (انه ليس له سلطان) تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) على أولياء الله تعالى المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون أوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك أمروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه أن له سلطانا (انما سلطانه على الذين يتولونه) بحبونه و يطيعونه (والذين هم به) بالله أو بسبب الشيطان (مشركون واذا بدلنا آية مكان آية) بالنسخ جعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا أو حكما (والله أعلم بما ينزل) من المصالح فلعل ما يكون مصلحة فى وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل بالتخفيف (قالوا) أى الكفرة (انما أنت مفتر) متقول على الله تأمر بشئ ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله أعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم و يجوز أن يكون حالا (بل أكثرهم لا يعلمون) حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب (قل نزله روح القدس) يعنى جبريل عليه السلام واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفى ينزل ونزله تنبيه على أن انزاله مدرجا على حسب المصالح بما يقتضى التبديل (من ربك بالحق) ملتبسا بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) ليثبت الله الذين آمنوا على الايمان بأنه كلامه وأنهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم (وهدى و بشرى للمسلمين) المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت أى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر) يعنون

(قوله بينه بالنوعين دفعا للتخصيص) اذ قد يتوهم من لفظة من الذكر (قوله مكان الآية المنسوخة لفظا أو حكما) فالمنسوخة لفظا فقط منسخت قراءته وبقى حكمها كآية الرجم والمنسوخة حكما ثبتت قراءتها لكن ترك حكمها (قوله وفى ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا) لان تدريج انزاله بحسب المصالح والحال ان المصالح تختلف بالازمان ففى زمان المصلحة فى عدم وجوب شئ وفى زمان آخر المصلحة فى وجوبه فيقتضى نسخ الحكم الاول وهو عبارة عن التبديل

جبرا الرومى غلام عامر بن الحضرمى وقيل جبر او يسارا كانا يصنعان السيوف بمكة و يقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما و يسمع ما يقرآنه وقيل عائشة غلام حويطب ابن عبد العزى قد أسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسى (لسان الذين يلحدون اليه أعجمى) لغة الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائى يلحدون بفتح الياء والحاء لسان أعجمى غير بين (وهذا) وهذا القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره بمحتمل وجهين أحدهما أن ما سمعه منه كلام أعجمى لا يفهمه هو ولا أنتم والقرآن عربى تفهمونه بأدنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب أنه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك أعجمى وهذا عربى والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع أن العلوم الكثيرة التى فى القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق فى تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقى سمع منه فى بعض أوقات مروره عليه كلمات أعجمية لعلها لم يعرف معناها وطعنهم فى القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) لا يصدقون أنها من عند الله (لا يهديهم الله) الى الحق أو الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما أماط شبههم و ردطعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) لانهم لا يخافون عقابا بردعهم عنه (وأولئك) اشارة الى الذين كفروا أو الى قريش (هم الكاذبون) أى الكاذبون على الحقيقة أو الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات أعظم الكذب أو الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة أو الكاذبون فى قولهم انما أنت مفتر انما يعلمه بشر (من كفر بالله من بعد ايمانه) بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض أو من أولئك أو من الكاذبون أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب و يجوز أن ينتصب باللعن وأن تكون من شرطية محذوفة الجواب دل عليه قوله (الا من أكره) على الافتراء أو كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان (وقلبه مطمئن بالايمان) لم تتغير عقيدته وفيه دليل على أن الايمان هو التصديق بالقلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) اعتقده وطاب به نفسا (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) لذلا أعظم من جرمه روى أن قريشا أكرهوا عمارا وأبو يه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين وجئ بحربة فى قبلها وقالوا انك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما أول قتيلين فى الاسلام وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا منه كرا فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه و يقول ما لك ان عاد لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل أن يتجنب عنه اعتزازا للدين كما فعله أبواه لما روى أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما تقول فى فقال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول فى محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما تقول فى قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الاول فقد أخذ برخصة الله وأما الثانى فقد صدع بالحق فهنيأ له (ذلك) اشارة الى له الكفر بعد الايمان أو الوعيد (بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة) بسبب أنهم آثروها عليها (وأن الله لا يهدى القوم الكافرين) أى الكافرين فى علمه الى ما يوجب ثبات الايمان

(قوله أى الكاذبون على الحقيقة الخ) معناه ان الكذب الحقيقى صفتهم لا صفة الغير أو هم الكاملون فى الكذب لا غيرهم أو المراد من الكاذبين الذين عادتهم الكذب والغرض تصحيح الحصر المستفاد من الكلام (قوله بدل من الذين لا يؤمنون الخ) هذا سؤالان أحدهما أن المراد بقوله تعالى انما يفترى الكذب رد قريش وهم كفار فى الاصل لا انهم كفروا بعد الايمان والثانى أنه اذا كان بدلا كان المعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه لكن ليس الامر كذلك اذ الحصر ممنوع والجواب عنهما أن يقال المراد من كفر بالله من بعد تمكنه من الايمان وقريش كذلك والحصر أيضا صحيح كما يظهر بالتأمل (قوله أو ملتبسين) حاصله أن من يعمل السوء لغلبة الشهوة لا للجهل بالله و بعقابه يصدق عليه انه يعمل السوء ملتبسا بجهالته بالله و بعقابه ولا يصدق عليه أنه يعمل السوء بسبب جهالته بالله فالجهالة شاملة للجهل بالله و بعقابه على التقدير الثانى غير شاملة لها على التقدير الاول فقوله لغلبة الشهوة متعلق بعملوا السوء

ولا يعصمهم من الزيغ (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فأبت عن ادراك الحق والتأمل فيه (وأولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة اذ أغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب (لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) اذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها فيما أفضى بهم الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) أى عذبوا كعمار رضى الله تعالى عنه بالولاية والنصرة ثم لتباعد حال هؤلاء عن حال أولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح أى من بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمى أكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم أسلما وهاجرا (ثم جاهدوا وصبروا) على الجهاد وما أصابهم من المشاق (ان ربك من بعدها) من بعد الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) لما فعلوا قبل (رحيم) منعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد (يوم تأتى كل نفس) منصوب برحيم أو باذكر (تجادل عن نفسها) تحاول عن ذاتها وتسعى فى خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسى نفسى (وتوفى كل نفس ما عملت) جزاء ما عملت (وهم لا يظلمون) لا ينقصون أجورهم (وضرب الله مثلا قرية) أى جعلها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا فأنزل الله بهم نقمته أو لمكة (كانت آمنة مطمئنة) لا يزعج أهلها خوف (يأتيها رزقها) أقواتها (رغدا) واسعا (من كل مكان) من نواحيها (فكفرت بانعم الله) بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) استعار الذوق لادراك أثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف وأوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه وأضاف اليه الغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله

ينازعنى ردائى عبد عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر

لى الشطر الذى ملكت يمينى * ودونك فاعتجر منه بشطر

استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار (بما كانوا يصنعون) بصنيعهم (ولقد جاءهم رسول منهم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عادالى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم (فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) أى حال التباسهم بالظلم والعذاب ما أصابهم من الجدب الشديد أو وقعة بدر (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) أمرهم بأكل ما أحل الله لهم وشكر ما أنعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذى حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة (واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون) تطيعون أو ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) لما أمرهم بتناول ما أحل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم أن ما عداها حل لهم ثم أكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) كما قالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات فى الاجناس الاربعة الماضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه أو متعلق بتصف على ارادة القول أى ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام أو مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية أى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف

ألسنتكم الكذب أى لاتحرموا ولاتحللوا بمجرد قول تنطق به ألسنتكم من غير دليل ووصف ألسنتهم الكذب مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب كأن حقيقة الكذب كانت مجهولة وألسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب أو كذاب بالرفع صفة للالسنة و بالنصب على الذم أو بمعنى الكلم الكواذب (لتفتروا على الله الكذب) تعليل لايتضمن الغرض (ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون) لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح و بينه بقوله (متاع قليل) أى مايفترون لاجله أوماهم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة (وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك) أى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر (من قبل) متعلق بقصصنا أو بحرمنا (وماظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ماعوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم و بين غيرهم فى التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) بسببها أوملتبسين بها ليعم الجهل بالله و بعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره (ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يثيب على الانابة (ان ابراهيم كان أمة) لكماله واستجماعه فضائل لاتكاد توجد الامفرقة فى أشخاص كثيرة كقوله

ليس من الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وأبطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوّة وتحريم ماأحله أولانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من أمه اذا قصده أواقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة و يقتدون بسيرته كقوله انى جاعلك للناس اماما (قانتا لله) مطيعا له قائما بأوامره (حنيفا) مائلا عن الباطل (ولم يك من المشركين) كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم (شاكرا لانعمه) ذكر بلفظ القلة للتنبيه على أنه كان لايخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة (اجتباه) للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) فى الدعوة الى الله (وآتيناه فى الدنيا حسنة) بان حببه الى الناس حتى ان أرباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه أولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) لمن أهل الجنة كما سأله بقوله وألحقنى بالصالحين (ثم أوحينا اليك) يامحمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على أن أجل ماأوتى ابراهيم اتباع الرسول عليه السلام ملته أولتراخى أيامه (أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا) فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد أخرى والمجادلة مع كل أحد على حسب فهمه (وما كان من المشركين) بل كان قدوة الموحدين (انما جعل السبت) تعظيم السبت أوالتخلى فيه للعبادة (على الذين اختلفوا فيه) أى على نبيهم وهم اليهود أمرهم موسى عليه السلام أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه أخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التى كفرت بانعم الله (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون) بالمجازاة على الاختلاف أو بمجازاة كل فريق بما يستحقه (ادع) من بعثت اليهم (الى سبيل ربك)

(قوله وانه كما يكون للمضرة الخ) يعنى ان حرمة الشئ قد تكون للمضرة كالميتة والدم ولحم الخنزير وقد يكون تحريم الشئ لعقوبة جمع كتحريم الاشياء المذكورة فى سورة الانعام على يهود (قوله وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين) لعل مراده أنه رئيس الموحدين يكونون فى عصره والافقد تقدم عليه الانبياء والمرسلون والنبى صلى الله عليه وسلم أفضل منه فكيف يكون رئيس الكل (قوله الذى جادل فرق المشركين وأبطل مذاهبهم الزائغة) كما ألزم الذى حاجه فى ربه وكما الزم عبدة الكواكب كما ذكر فى سورة الانعام وكما الزم أباه وقومه من عبدة الاصنام

الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة (والموعظة الحسنة) الخطابات المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم (وجادلهم) وجادل معانديهم (بالتى هى أحسن) بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التى هى أشهر فان ذلك أنفع فى تسكين لهبهم وتبيين شغبهم (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى انما عليك البلاغ والدعوة وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله أعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازى لهم (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) لما أمره بالدعوة و بين له طرقها أشار اليه والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح فى دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه السلام لما رأى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن أظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على أن للمقتص أن يماثل الجانى وليس له أن يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله (ولئن صبرتم لهو) أى الصبر (خير للصابرين) من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسوله لانه أولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال (واصبر وما صبرك الا بالله) الا بتوفيقه وتثبيته (ولا تحزن عليهم) على الكافرين أو على المؤمنين وما فعل بهم (ولا تك فى ضيق مما يمكرون) فى ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير فى ضيق بالكسر هنا وفى النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز أن يكون الضيق تخفيف ضيق (ان الله مع الذين اتقوا) المعاصى (والذين هم محسنون) فى أعمالهم بالولاية والفضل أو مع الذين اتقوا الله بتعظيم أمره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها أو ليلة كان له من الاجر كالذى مات وأحسن الوصية

﴿ سورة بنى اسرائيل مكية وقيل الا قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهى مائة واحدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) سبحان اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة و يمنع عن الصرف قال

قد قلت لما جاءنى فخره * سبحان من علقمة الفاخر

وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد وأسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل أى بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به (من المسجد الحرام) بعينه لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتانى جبريل بالبراق أو من الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد أو لانه محيط به أو ليطابق المبدأ المنتهى لما روى أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما فى بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لى

(قوله وحث على العفو حيث قال ان عاقبتم) أى لم يأمر الله تعالى بالعقاب بل أورد صيغة الشرط الذى أصله الشك فكأنه قيل اعفوا عن العقاب وان عاقبتم ﴿سورة الاسراء﴾ (قوله وقد يستعمل علما فينقطع عن الاضافة و يمنع الصرف) هذا ما قاله النحاة قال الرضى ولا دليل عليه لان أكثر ما يستعمل مضافا فلا يكون علما قالوا والدليل على علميته سبحان من علقمة الفاخر ولا منع من أن يقال حذف المضاف اليه وهو مراد للعلم به وأبقى المضاف على حاله مراعاة لاغلب أحواله أعنى التجرد عن التنوين (قوله وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعده) فههنا لتنزيه الله تعالى عن العجز عن اسرائه عبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (قوله واسرى وسرى بمعنى) أسرى لازم كسرى فيحتاج فى التعدية الى الباء (قوله وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء) أى تم أمر الاسراء المذكور فى ليلة واحدة من الليالى ولم يقل تنكيره دال على أن تمام الاسراء فى بعض من ليلة واحدة كما قاله صاحب الكشاف اذ هذه الدلالة ممنوعة (قوله ليطابق المبدأ المنتهى) لان عوده صلى الله عليه وسلم من الاسراء الى بيت أم هانئ وهو خارج من المسجد الحرام فلو كان بداية اسرائه أيضا خارجا من المسجد الحرام كانت البداية تطابق النهاية فان قيل الرواية وهى انه صلى الله عليه وسلم كان فى بيت أم هانئ فاسرى به الخ تدل على انه من خارج الحرام فما وجه قول من قال ان بدايته من المسجد حقيقة قلنا يمكن أنه صلى الله عليه وسلم خرج من بيت أم هانئ الى المسجد ثم خرج منه

الانبياء عليهم الصلاة والسلام فصليت بهم ثم خرج الى المسجد الحرام وأخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا أتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على أبعد من ذلك فسمى الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلى له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما أخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف فى انه كان فى المنام أوفى اليقظة بروحه أو بجسده والا كثر على أنه اسرى بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة أن ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى أقل من ثانية وقد برهن فى الكلام أن الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى صلى الله عليه وسلم أو فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات (الى المسجد الاقصى) بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء عليهم الصلاة والسلام من لدن موسى عليه الصلاة والسلام ومحفوف بالانهار والاشجار (لنريه من آياتنا) كذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء عليهم الصلاة والسلام له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء (انه هو السميع) لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم (البصير) بأفعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا) على أن لا تتخذوا كقولك كتبت اليك أن افعل كذا وقرأ أبو عمرو بالياء على لان لايتخذوا (من دونى وكيلا) ربا تكلون اليه أموركم غيرى (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص أو النداء ان قرئ أن لا تتخذوا بالتاء على النهى يعنى قلنا لهم لا تتخذوا من دونى وكيلا أو على أنه أحد مفعولى لا تتخذوا ومن دونى حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أو بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم فى انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام فى السفينة (انه) ان نوحا عليه السلام (كان عبدا شكورا) يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام (وقضينا الى بنى اسرائيل) وأوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا (فى الكتاب) فى التوراة (لتفسدن فى الارض) جواب قسم محذوف أو قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم (مرتين) افسادتين أولاهما مخالفة أحكام التوراة وقتل شعياء وقيل أرمياء وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام (ولتعلن علوا كبيرا) ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى أو لتظلمن الناس (فاذا جاء وعد أولاهما) وعد عقاب أولاهما (بعثنا عليكم عبادا لنا) بختنصر وعامل طرا سف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزرى وقيل سنحاريب من أهل نينوى (أولى بأس شديد) ذوى قوة وبطش فى الحرب شديد (فجاسوا) فتردوا وطلبكم وقرئ بالحاء المهملة وهما أخوان (خلال الديار) وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعترلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك أوّلوا البعث

(قوله ولذلك تعجب قريش واستحالوه) لك أن تقول لعل انكارهم لعدم وصول فهمهم الى عروج الروح على الوجه المذكور فلذا استحالوه فلا يدل انكارهم على أن الاسراء بالجسد (قوله ثم ان طرفها الاسفل الخ) الاولى أن يقال ان طرفها المؤخر يصل موضع طرفها المقدم فى أقل من ثانية واعلم أن الثانية جزء من ستين جزأ من الدقيقة التى هى جزء من ستين جزأ من ساعة هى جزء من أربع وعشرين جزأ من اليوم والليلة (قوله لانه لم يكن حينئذ من ورائه مسجد الخ) أى انما سمى بيت المقدس بالمسجد الاقصى أى الابعد اذ ليس بعده مسجد آخر (قوله وصرف الكلام من الغيبة الخ) لانه وان كان بطريق الغيبة يفهم منه كثرة البركات وتعظيمها لكن التكلم صريح فى أنه فعل الله تعالى لا حاجة الى القرينة ففيه زيادة تعظيم فان الاكابر اذا أرادوا تعظيم فعل نسبوه الى أنفسهم (قوله نصب على الاختصاص أو على النداء) فالمعنى على الاول أعنى ذرية من حملنا الخ والثانى يا ذرية من حملنا (قوله أو قضينا) أى أو يكون جواب قضينا

بالتخلية وعدم المنع (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد عقابهم لابد أن يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) أى الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثوا عليكم وذلك بان ألقى الله فى قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد أسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من أتباع بختنصر أو بان سلط الله داود عليه الصلاة والسلام على جالوت فقتله (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) لان ثوابه لها (وان أسأتم فلها) فان وباله عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا (فاذا جاء وعد الآخرة) وعد عقوبة المرة الآخرة (ليسوؤا وجوهكم) أى بعثناهم ليسوؤا وجوهكم أى يجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره أولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد أو للبعث أو لله وبعضده قراءة الكسائى بالنون وقرئ لنسوأن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوأن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على أنه جواب اذا واللام فى قوله (وليدخلوا المسجد) متعلق بمحذوف هو بعثناهم (كما دخلوه أول مرة وليتبروا) ليهلكوا (ماعلوا) ماغلبوه واستولوا عليه أو مدة علوهم (تتبيرا) وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة أخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل جردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ماصدقونى فقتل عليه ألوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقونى ماتركت منكم أحدا فقالوا انه دم يحيى فقال لئن هذا يتقم ربكم منكم ثم قال يايحيى قد علم ربى وربك ماأصاب قومك من أجلك فاهدأ بإذن الله تعالى قبل أن لا أبقى أحدا منهم فهدأ (عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الآخرة (وان عدتم) نوبة أخرى (عدنا) مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم ففتل قريظة وأجلى بنى النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم فى الدنيا (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا لا يقدرون على الخروج منها أبد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) للحالة أو الطريقة التى هى أقوم الحالات أو الطرق (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) وقرأ حمزة والكسائى ويبشر بالتخفيف (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) عطف على أن لهم أجرا كبيرا والمعنى أنه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب أعدائهم أو على يبشر باضمار يخبر (ويدع الانسان بالشر) ويدعو الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله أو يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر (دعاءه بالخير) مثل دعائه بالخير (وكان الانسان عجولا) يسارع الى كل مايخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه الصلاة والسلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روى أنه عليه السلام دفع أسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لأنينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال عليه السلام اللهم انما أنا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائى رحمة له فنزلت ويجوز أن يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحرث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجب له فضرب عنقه صبرا يوم بدر (وجعلنا الليل والنهار آيتين) تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره (فمحونا آية الليل) أى الآية التى هى الليل بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد الى المعدود (وجعلنا آية النهار مبصرة) مضيئة أو مبصرة للناس أن يبصر فيها أو مبصرا أهله كقولهم أجبن

(قوله والاضافة فيها للتبيين الخ) المراد من التبيين أن الاضافة اضافة بيانية فكأنه فضة لصحة حمل المضاف اليه على المضاف (قوله وانما ذكر باللام للازدواج) أى لمشاكلة مع القرينة السابقة (قوله والضمير فيه للوعيد) أو للبعث أو لله (قوله على الاوجه الاربعة) هى المفهوم من قوله وقرئ ليسوؤا بالنون والياء

الرجل اذا كان أهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين أو جعلنا الليل والنهار ذوى آيتين ومحو آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور أو نقص نورها شيأ فشيأ الى المحاق وجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتطلبوا فى بياض النهار أسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة أعمالكم (ولتعلموا) باختلافهما أو بحركاتهما (عدد السنين والحساب) وجنس الحساب (وكل شئ) تفتقرون اليه فى أمر الدين والدنيا (فصلناه تفصيلا) بيناه بيانا غير ملتبس (وكل انسان ألزمناه طائره) عمله وما قدر له كأنه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى وعمل العبد (فى عنقه) لزوم الطوق فى عنقه (ونخرج له يوم القيامة كتابا) هى صحيفة عمله أو نفسه المنتقشة بآثار أعماله فان الاعمال الاختيارية تحدث فى النفس أحوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول أو حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج ويخرج وقرئ ويخرج أى الله عز وجل (يلقاه منشورا) لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا (اقرأ كتابك) على ارادة القول (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) أى كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا أو بمعنى الكافى فوضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى ما أهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال أو على تأويل النفس بالشخص (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) لا ينجى اهتداؤه غيره ولا يردى ضلاله سواه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس أخرى بل انما تحمل وزرها (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع (واذا أردنا أن نهلك قرية) واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق أو دنا وقته المقدر كقولهم اذا أراد المريض أن يموت ازداد مرضه شدة (أمرنا مترفيها) متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد فى العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل أمرناهم بالفسق لقوله (ففسقوا فيها) كقولك أمرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الأمر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه أو التسبب له بان صب عليهم من النعم ما أبطرهم وأفضى بهم الى الفسوق ويحتمل أن لا يكون له مفعول منوى كقولهم أمرته فعصانى وقيل معناه كثرنا يقال أمرت الشئ وآمرته فامر اذا كثرته وفى الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أى كثيرة النتاج وهو أيضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية أمرنا عن أبى عمرو ويحتمل أن يكون منقولا من أمر بالضم امارة أى جعلناهم أمراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم أسرع الى الحماقة وأقدر على الفجور (فحق عليها القول) يعنى كلمة العذاب السابقة بحلوله أو بظهور معاصيهم أو بانهماكهم فى المعاصى (فدمرناها تدميرا) أهلكناها باهلاك أهلها وتخريب ديارهم (وكم

(قوله ويعضده قراءة يعقوب) أى ويقوى الحالية قراءة يعقوب لانه على هذه القراءة لا يحتمل الا الحالية فيكون حالا من فاعل يخرج (قوله وتذكيره) أى يجب بحسب الظاهر أن يقال حسيبة لانه صفة النفس لكنه ذكر اما باعتبار أن الحاسب والشاهد فى الاغلب صفة للذكور فغلب التذكير على التأنيث أو باعتبار أن النفس بمعنى الشخص (قوله تعالى من اهتدى الخ) فان قيل قد يكون اهتداء الشخص سببا لاهتداء غيره وضلاله سببا لضلال غيره بان أضله عن الطريق قلنا المقصود أن مجرد اهتداء الشخص لا ينفع غيره ومجرد ضلاله لا يضر غيره وأما الهداية والاضلال فليستا نفس الاهتداء والضلالة (قوله واذا تعلقت ارادتنا الخ) فان قلت اذا تعلقت ارادة الله تعالى بشئ لابد أن يوجد أوان التعلق لكن الكلام صريح فى انه يتوقف الاهلاك على الارادة ولا يقع الا بعد زمان طويل قلنا معناه اذا تعلق ارادتنا باهلاك قرية بسبب فسق مترفيها فى زمان أمرنا مترفيها الخ (قوله كقولهم اذا أراد المريض أن يموت الخ) أى ويكون واذا أردنا أن نهلك قرية بمعنى دنا وقت هلاكها كما يقال اذا أراد المريض أن يموت دنا وقت موته لعلاقة بين ارادة الشئ ودنو وقته فان ارادته تعالى للشئ ودنو وقته قريبان (قوله سكة مأبورة ومهرة مأمورة) قال فى الصحاح السكة الطريقة المصطفة من النخل والمأبورة الملقحة والمهرة الانثى من ولد الفرس قال ومعنى هذا الكلام خير المال نتاج أو زرع

أهلكنا

(قوله وتقديم الخبر لتقدم متعلقه وهو الامر الباطني) فان للامر الباطني تقدما شرفيا ووجوديا على الامر الظاهري لان الامر الظاهري ينشأ عن الامر الباطني (قوله وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل) أي مدار الامر على مشيئة الله تعالى وان هم الشخص لشئ من المرادات فضل أي زيادة لا دخل له في حصول المراد (قوله وقرئ يشاء) أي بصيغة الغائب وعلى هذا فالضمير فيه لله حتى يطابق القراءة المشهورة وهو قراءة من نشاء بالنون والمراد من مطابقة القراءتين كون الفاعل للفعلين هو الله تعالى (قوله وقيل لمن) أي ضمير نشاء لمن فيكون مخصوصا بمن أراد الله تعالى به ذلك وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا سلامهم في الغنائم ونحوها (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) مطرودا من رحمة الله تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) حقها من السعي وهو الاتيان بما أمر به والانتهاء عما نهى عنه لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص (وهو مؤمن) ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة (فاولئك) الجامعون للشروط الثلاثة (كان سعيهم مشكورا) من الله تعالى أي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة (كلا) كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه (نمد) بالعطاء مرة بعد أخرى ونجعل آنفه مدد السالفه (هؤلاء وهؤلاء) بدل من كلا (من عطاء ربك) من معطاه متعلق بنمد (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) أي التفاوت في الآخرة أكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها (لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته أو لكل أحد (فتقعد) فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة أو فتنجز من قولهم قعد عن الشئ اذا عجز عنه (مذموما مخذولا) جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون محمودا منصورا (وقضى ربك) وأمر أمرا مقطوعا به (أن لا تعبدوا) بان لا تعبدوا (الا اياه) لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسبي الآخرة ويجوز أن تكون ان مفسرة ولا ناهية (وبالوالدين احسانا) وبان تحسنوا أو وأحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز أن تتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل وأحدهما فاعل يبلغن وبدل على قراءة حمزة والكسائي من ألف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على أحدهما فاعلا أو بدلا ولذلك لم يجز أن يكون تأكيد للالف ومعنى عندك أن يكونا في كنفك وكفالتك (فلا تقل لهما أف) فلا تتضجر مما يستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل هو اسم الفعل الذي هو أتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع

المصدر وقدم مرارا ان معمول المصدر اذا كان ظرفا وجارا ومجرورا جاز أن يتقدم عليه (قوله ولذلك صح لحوقها النون المؤكدة الخ) للقاعدة المقررة في النحو ان فعل الشرط يؤكد بالنون المؤكدة اذا اتحق ما حرف الشرط (قوله ولذلك لم يجز أن يكون تأكيدا للالف) أي لاجل انه معطوف على أحدهما لا يجوز ان يكون تأكيد الالف يبلغان

(قوله وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف) ليس المراد بالتخفيف تخفيف الفاء اذ ليس هو قراءة ابن عامر بل المراد ان فتح الفاء هو تخفيف الكسرة (قوله وقيل عرفا الخ) أي بدل عرفا على ماذكره فيكون معناه ماذكروه والمنع من سائر الاذى كان قولهم فلان لا يملك النقير والقطمير معناه انه لا يملك شيأ (قوله جعل للذل جناحا كما جعل الخ) نقل في

المطول عن اسرار البلاغة ان الاستعارة على قسمين أحدهما أن ينتقل الاسم عن مسماه الى أمر متحقق يمكن ان ينص عليه وبشار اليه نحو رأيت أسدا أى رجلا شجاعا والثانى أن يؤخذ الاسم عن حقيقته ويوضع موضعا لا يتبين فيه شئ يشار اليه فيقال هذا هو المراد بالاسم كقول لبيد وغداة ريح قد كشفت وقرة * اذ أصبحت بيد الشمال زمامها جعل للشمال يدا وزماما وأمره بخفضه مبالغة وأراد جناحه كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كأضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول (من الرحمة) من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان أفقر خلق الله تعالى اليهما بالامس (وقل رب ارحمهما) وادع الله تعالى أن يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة أن يهديهما (كما ربياني صغيرا) رحمة مثل رحمتهما على وتربيتهما وارشادهما لى فى صغرى وفاء بوعدك للراحمين روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوى بلغا من الكبر أنى آلى منهما واليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وتريد موتهما (ربكم أعلم بما فى نفوسكم) من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكأنه تهديد على أن يضمر لهما كراهة واستثقالا (ان تكونوا صالحين) قاصدين للصلاح (فانه كان للأوابين) للتوابين (غفورا) مافرط منهم عند حرج الصدر من أذية أو تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز أن يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجانى على أبويه التائب من جنايته لورود على أثره (وآت ذا القربى حقه) من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال أبو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء أن ينفق عليهم وقيل المراد بذى القربى أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم (والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) بصرف المال فيما لا ينبغى وانفاقه على وجه الاسراف وأصل التبذير التفريق وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف قال أفى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أمثالهم فى الشرارة فان التضييع والاتلاف شر أو صدقاءهم وأتباعهم لانهم يطيعونهم فى الاسراف والصرف فى المعاصى روى انهم كانوا ينحرون الابل ويقامرون عليها ويبذرون أموالهم فى السمعة فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالانفاق فى القربات (وكان الشيطان لربه كفورا) مبالغا فى الكفر به فينبغى أن لا يطاع (واما تعرضن عنهم) وان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز أن يراد بالاعراض

وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهى عن ذلك يدل على المنع من سائر أنواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل أبيه وهو فى صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما لا يعجبك بالاغلاظ وقيل النهى والنهر والنهم أخوات (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا لائقا سديدا فيه (واخفض لهما جناح الذل) تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد فى قوله

وغداة ريح قد كشفت وقرة * اذ أصبحت بيد الشمال زمامها

للشمال يدا ولقرة زماما وأمره بخفضه مبالغة وأراد جناحه كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كأضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول (من الرحمة) من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان أفقر خلق الله تعالى اليهما بالامس (وقل رب ارحمهما) وادع الله تعالى أن يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة أن يهديهما (كما ربياني صغيرا) رحمة مثل رحمتهما على وتربيتهما وارشادهما لى فى صغرى وفاء بوعدك للراحمين روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوى بلغا من الكبر أنى آلى منهما واليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وتريد موتهما (ربكم أعلم بما فى نفوسكم) من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكأنه تهديد على أن يضمر لهما كراهة واستثقالا (ان تكونوا صالحين) قاصدين للصلاح (فانه كان للأوابين) للتوابين (غفورا) مافرط منهم عند حرج الصدر من أذية أو تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز أن يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجانى على أبويه التائب من جنايته لورود على أثره (وآت ذا القربى حقه) من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال أبو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء أن ينفق عليهم وقيل المراد بذى القربى أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم (والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) بصرف المال فيما لا ينبغى وانفاقه على وجه الاسراف وأصل التبذير التفريق وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف قال أفى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أمثالهم فى الشرارة فان التضييع والاتلاف شر أو صدقاءهم وأتباعهم لانهم يطيعونهم فى الاسراف والصرف فى المعاصى روى انهم كانوا ينحرون الابل ويقامرون عليها ويبذرون أموالهم فى السمعة فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالانفاق فى القربات (وكان الشيطان لربه كفورا) مبالغا فى الكفر به فينبغى أن لا يطاع (واما تعرضن عنهم) وان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز أن يراد بالاعراض

عنهم

كشفت وقرة الخ) أى كشفت وصرفت شدة الزمان عن الناس والقرة البرودة والظاهر ان مراده ان بيد الشمال زمام القرة اذ حيث ذهب الريح ذهبت القرة أى البرودة معه (قوله لافتقارهما الى من كان الخ) أى لافتقارهما الى ولدهما الذى كان قبل ذلك أى حين الطفولية أحوج خلق الله اليهما فان احتياج الطفل الى الأبوين أشد من كل من هو غيره اليهما (قوله حياء من الرد) أى حياء من رد

سؤالهم يدل عليه ما روى صاحب الكشاف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل شيأ وليس عنده أعرض عن السائل وسكت (قوله أو منتظرين له) يعنى ان ابتغاء امامفعول له واما حال من ضمير ذوى القربى وغيرهم فيكون المعنى واما تعرضن عن ذوى القربى وغيرهم حال كونهم منتظرين (قوله تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر) الظاهر من كلامه أن ههنا استعارتين تمثيليتين فالمشبه فى الأول هو بخل الشخص بما فى يده وتصرفه الى الغاية والمشبه به جعل اليد مغلولة الى العنق فاستعمل ما هو موضوع الثانى فى الأول وقس عليه التمثيل الثانى (قوله أو منقطعا بك) على صيغة المفعول (قوله اذا بلغ منه) يقال بلغ منه المرض اذا أثر فيه تأثيرا تاما (قوله صلى الله عليه وسلم من ساعة الى ساعة) معناه أخرسؤاله من ساعة ليس لها فيها درع الى زمان حصل لنا فيه درع (قوله فليس ما يرهقك من الاضافة) أى ليس ما يغشاك من الاضافة أى التضييق فى المال والعيش الا لمصلحتك وان كانت خافية عليك (قوله وهو مبنى عليه) أى تخاطؤ من باب التفاعل مبنى على خاطأ الذى هو من باب المفاعلة (قوله ويؤيد الاول قراءة أبى فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائى فلا تسرف على خطاب

عنهم أن لا ينفعهم على سبيل الكناية (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) لانتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك فتعطيه أو منتظرين له وقيل معناه لفقدرزق من ربك ترجوه أن يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز أن يتعلق بالجواب الذى هو قوله تعالى (فقل لهم قولا ميسورا) أى فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله يرحمك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم باليسور وهو اليسر مثل أغنا كم الله تعالى و رزقنا الله وايا كم (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما آمرا بالاقتصاد بينهما الذى هو الكرم (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير (محسورا) نادما أو منقطعا بك لا شئ عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس أتاه صبى فقال ان أمى تستكسيك درعا فقال صلى الله عليه وسلم من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى أمه فقالت قل له ان أمى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروه للصلاة فلم يخرج فأنزل الله ذلك ثم سلاه بقوله (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة البالغة فليس ما يرهقك من الاضافة الا لمصلحتك (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز أن يراد ان البسط والقبض من أمر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر فأما العباد فعليهم أن يقتصدوا لأنه تعالى يبسط تارة ويقبض أخرى فاستنوابسته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وأن يكون تمهيدا لقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) مخافة الفاقة وقتلهم أولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم أرزاقهم فقال (نحن نرزقهم وايا كم ان قتلهم كان خطأ كبيرا) ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطأ الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من أخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة فيه أو مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ فى قوله

تخاطأ القناص حتى وجدته * وخرطومه فى منقع الماء راسب

وهو مبنى عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطابحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا (ولا تقربوا الزنا) بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا عن أن تباشروه (انه كان فاحشة) فعلة ظاهرة القبح زائدة (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدى الى قطع الانساب وهيج الفتن (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا (ومن قتل مظلوما) غير مستوجب للقتل (فقد جعلنا لوليه) للذى يلى أمره بعد وفاته وهو الوارث (سلطانا) تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه أو بالقصاص على القاتل فان قوله تعالى مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطا لا يسمى ظلما (فلا يسرف) أى القاتل (فى القتل) بان يقتل من لا يستحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك أو الولى بالمثلة أو قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة أبى فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائى فلا تسرف على خطاب

تسرفوا) فان لا تسرفوا اينا سب ان يكون الخطاب للناس حتى يوجب نهيهم عن القتل اما اذا كان الخطاب للولى فينبغى أن يكون النهى للواحد الغائب لا للجمع وانما قال يؤيد الاول ولم يقل نص فيه لانه يمكن أن يكون جمع الضمير باعتبار تعدد الاولياء (قوله على خطاب أحدهما) أى القاتل أو الولى

(قوله الاباحدى ثلاث الخ) فى هذا الحصر نظر اذ لولم يدفع الصائل الابالقتل فقتل فلا يترتب عليه اثم فيكون داخلا فى قتل النفس بحق
(قوله فيكون تخييلا) أى لا يسئل (٢٠٢) العهد حقيقة اذا العهد غير عاقل حتى يسئل عن الشئ بل المراد مجرد تخييل للسؤال تعييرا وتوبيخا للناكث (قوله قرئ ولا تقف) هذا أجوف بضم القاف والاول بسكونه وضم الفاء ناقص (قوله سواء كان قطعا أو ظنا) فان المجتهد اذا ظن شيأ وجب عليه العمل (قوله فى ردغة الخبال) قال فى الصحاح قيل الخبال صديد أهل النار وقال أيضا الردغة الطين ويحتمل أن المراد طين يحصل من امتزاج التراب بصديد أهل النار (قوله ضمير عليها) أى فى كان وعنه ومسؤلا ضمير راجع الى كل (قوله وهو خطأ لان الفاعل ومايقوم مقامه لايتقدم) هذا رد على الكشاف حيث قال وعنه فى موضع الرفع بالفاعلية ويمكن أن يقال عدم تقديم الفاعل لاجل اشتباهه بالمبتدأ ولااشتباه فى تقديم الجار والمجرور على المسؤل ونقل هذا عن صاحب التقريب (قوله وهو باعتبار الحكم أبلغ) أى قراءة مرحا حتى يكون صفة أبلغ وآكد باعتبار الحكم أى باعتبار النهى عن المرح فان قراءة مرحا بدل على النهى عن المرح أى الاختيال مطلقا وأما قراءة مرحا بفتح الراء فليس فى مرتبة ذلك التأكيد لانه يدل على النهى عن المبالغة فى المرح والاختيال لانه فى الظاهر نهى عن أن يكون الماشى بين المرح وان كان الاتصاف بالمصدر آكد من الاتصاف بالصفة وعلى

أحدهما (انه كان منصورا) علة النهى على الاستئناف والضمير اما للمقتول فانه منصور فى الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفى الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله تعالى نصره حيث أوجب القصاص له وأمر الولاة بعونته واما للذى يقتله الولى اسرافا باجحاب القصاص أو التعزير والوزر على المسرف (ولا تقربوا مال اليتيم) فضلا أن تتصرفوا فيه (الا بالتى هى أحسن) الا بالطريقة التى هى أحسن (حتى يبلغ أشده) غاية لجواز التصرف الذى دل عليه الاستثناء (وأوفوا بالعهد) بما عاهدكم الله من تكاليفه أو ماعاهدتموه وغيره (ان العهد كان مسؤلا) مطلوبا يطلب من المعاهد أن لايضيعه ويفى به أو مسؤلا عنه يسئل الناكث ويعاتب عليه لم نكثت أو يسئل العهد تبكيتيا للناكث كقيامه للموؤدة بأى ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسؤلا (وأوفوا الكيل اذا كلتم) ولاتبخسوا فيه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوى وهو رومى عرب ولا يقدح ذلك فى عربية القرآن لان العجمى اذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم فى الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف هنا وفى الشعراء (ذلك خير وأحسن تاويلا) وأحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع (ولاتقف) ولاتتبع وقرئ ولاتقفن من قاف أثره اذا قفاه ومنه القافة (مالیس لك به علم) مالم يتعلق به علمك تقليدا أو رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه أن المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا أو ظنا واستعماله بهذا المعنى سائغ شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمى وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام من قذف مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج وقول الكميت

ولا أرمى البرىء بغير ذنب * ولا أقفو الحواصن ان قفينا

(ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك) أى كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن أحوالها شاهدة على صاحبها هذا وان أولاء وان غلب فى العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله * والعيش بعد أولئك الأيام * (كان عنه مسؤلا) فى ثلاثتها ضمير كل أى كان كل واحد منها مسؤلا عن نفسه يعنى عما فعل به صاحبه ويجوز أن يكون الضمير فى عنه لمصدر لاتقف أو لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسندا الى عنه كقوله تعالى غير المغضوب عليهم والمعنى يسئل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل ومايقوم مقامه لايتقدم وفيه دليل على أن العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا وبعد الضمة ثم ابدالها بالفتح (ولاتمش فى الارض مرحا) أى ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم أبلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت (انك لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك (ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهى بان الاختيال حماقة مجردة لانعود بجدوى ليس فى التذلل (كل ذلك) اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى لاتجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنها المكتوبة فى ألواح موسى عليه السلام (كان سيئه) يعنى المنهى عنه فان المذكورات مأمورات ومناه وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على أنها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى مانهى عنه خاصة

(قوله أوصفة لها محمولة على المعنى) أى عند ربك مكروهها صفة محمولة على المعنى والا لوجب بحسب اللفظ أن يقال مكروهة لانه صفة السيئة التى هى المؤنث (قوله والمراد به المبغوض الخ) أى ليست الكراهة بالمعنى المقابل للارادة كما هو مذهب المعتزلة لان كل ماوقع فهو مراد الله تعالى عند أهل الحق فيجب أن تكون الكراهة بمعنى المقت (٢٠٣) والبغض وعدم الرضا وحاصله الاعتراض

وعلى هذا قوله (عند ربك مكروها) بدل من سيئة أوصفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيأ وقد قرئ به ويجوز أن ينتصب مكروها على الحال من المستكن فى كان أوفى الظرف على أنه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضى لما يقابل المراد لقيام القاطع على أن الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى (ذلك) اشارة الى الاحكام المتقدمة (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) التى هى معرفة الحق لذاته والخير للعمل به (ولا تجعل مع الله الها آخر) كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لاقصد له بطل عمله ومن قصد بفعله أوتركه غيره ضاع سعيه وأنه رأس الحكمة وملاكها وترتب عليه أولاما هو عائدة الشرك فى الدنيا وثانيا ما هو نتيجته فى العقبى فقال تعالى (فتلقى فى جهنم ملوما) تلوم نفسك (مدحورا) مبعدا من رحمة الله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين) خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى أنخصكم بكم بأفضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثا) بنات لنفسه وهذا خلاف ماعليه عقولكم وعادتكم (انكم لتقولون قولا عظيما) باضافة الاولاد اليه وهى خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل أنفسكم عليه حيث تجعلون له ماتكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من أشرف خلق الله أدونهم (ولقد صرفنا) كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير (فى هذا القرآن) فى مواضع منه ويجوز أن يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا القول فى هذا المعنى أوأوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف (ليذكروا) ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الفرقان ليذكروا من الذكر الذى هو بمعنى التذكر (ومايزيدهم الا نفورا) عن الحق وقلة طمأنينة اليه (قل لوكان معه آلهة كما تقولون) أيها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء فيه وفيما بعده على أن الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم وافقهما نافع وابن عامر وأبو عمر و وأبو بكر و يعقوب فى الثانية على أن الأولى مما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم (اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة (سبحانه) ينزه تنزيها (وتعالى عما يقولون علو) تعاليا (كبيرا) متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه فى أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من أدنى مراتبه فانه من خواص مايمتنع بقاؤه (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده) ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أيها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذى به يفهم تسبيحهم و يجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى مايتصور منه اللفظ والى مالا يتصور منه وعليهما عند من

والمؤخذة بفعله (قوله رتب عليه أولا ماهو عائدة الشرك فى الدنيا) حيث قال فى أول الآيات لاتجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا (قوله ثم بتفضيل أنفسكم عليه) عطف على قوله باضافة الاولاد اليه وكذا قوله لم يجعل الملائكة وأما قوله لسرعة زوالها أى لسرعة زوال ذلك البعض حتى يكون ولده قائما مقامه ويمكن أن يقال الاولاد خاصة لبعض الاجسام الذى هو فى قوة النقص والله تعالى فى غاية الكمال (قوله ويجوز أن يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه) فيكون من باب اطلاق الشئ على مايفهم منه وهو قريب من اطلاق اسم المحل على الحال (قوله أوقعنا التصريف فيه) معناه انه جعلناه مكانا للتكرير والغرض ماذكر (قوله على أن الكلام مع الرسول) فكأنه قيل قل لهم مضمون هذه الآية (قوله فانه من خواص

مايمتنع بقاؤه) الاولى أن يقال ان الولد دل على الجسمية الموجبة للحدوث والنقص لأجل ان فائدة الولد الاعانة (قوله والمعنى اطلبوا الخ) يعنى لوكان الآلهة موجودة كما زعم وافاما أن يكونوا مثله تعالى فطلبوا الى المقاومة سبيلا أوأدنى منه تعالى فطلبوا التقرب اليه لكن الآلهة التى لكم ليست كذلك (قوله و يجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة الخ) أى معنى مشترك بينهما والاولى أن يقال على معنى مشترك بين دلالة اللفظ ودلالة الحال وهو مطلق الدلالة (قوله وعليهما الخ) أى يمكن أن يراد بالتسبيح التسبيح باللفظ والحال

جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وأبو بكر بسبح بالياء (انه كان حليما) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم (غفورا) لمن تاب منكم (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا) يحجبهم عن فهم ما تقرؤه عليهم (مستورا) ذا ستر كقوله تعالى وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم أو مستور اعن الحس أو بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون أنهم لا يفهمون نفى عنهم أن يفهموا ما أنزل عليهم من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعا على الضلالة كما صرح به بقوله (وجعلنا على قلوبهم أكنة) تمكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله (أن يفقهوه) كراهة ان يفقهوه و يجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أى منعناهم أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) يمنعهم عن اسماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى أثبت لتنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال وأصله بحد وحده بمعنى واحدا وحده (ولوا على أدبارهم نفورا) هربا من استماع التوحيد ونفرة أو تولية و يجوز أن يكون جمع نافر كقاعد وقعود (نحن أعلم بما يستمعون به) ببابه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن (اذ يستمعون اليك) ظرف لاعلم وكذا (واذ هم نجوى) أى نحن أعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر و يحتمل أن يكون جمع نجى (اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) مقدر باذكر أو بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمون موضع الضمير للدلالة على أن تناجيهم بقولهم هذا من باب الظلم والمسحور هو الذى سحر فزال عقله وقيل الذى له سحر وهو الرئة أى الا رجلا يتنفس و يأكل و يشرب مثلكم (أنظر كيف ضربوا لك الامثال) مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون (فضلوا) عن الحق فى جميع ذلك (فلا يستطيعون سبيلا) الى طعن موجه فيتهافتون و يخبطون كالمتحير فى أمره لا يدرى ما يصنع أو الى الرشاد (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) حطاما (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحى و يبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل فى اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر أو حال (قل) جوابا لهم (كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) أى مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه أبعد شئ منها فان قدرتنا تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام فى قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشئ أقبل لما عهد فيه مما لم يعهد (فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة) وكنتم ترابا وماهو أبعد منه من الحياة (فسينغضون اليك رؤسهم) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء (و يقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا) فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر أو الظرف أى يكون فى زمان قريب وأن يكون اسم عسى أو خبره والاسم مضمر (يوم يدعوكم فتستجيبون) أى يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر أمرهما وأن المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء (بحمده) حال منهم أى حامدين لله تعالى على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم و يقولون سبحانك اللهم و بحمدك أو منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه (وتظنون ان لبثتم الا قليلا) وتستقصرون مدة لبثكم فى القبور كالذى مر على قرية أو مدة حياتكم لما ترون من الهول (وقل لعبادى) يعنى

المستور معناه الحقيقى ما يستره شئ لكن الحجاب ليس كذلك فمعناه ذو ستر أى صاحب الستر على معنى أن يتصف بان يستر شيأ كما فى قوله تعالى وعده مأتيا فان المأتى ما أتاه شئ لكن الوعد ليس كذلك بل هو الآتى فمعناه ذو اتيان أى اتصف به (قوله لا يفهمون ولا يفهمون الخ) هذا اثبات للحجابين فالحجاب الاول عدم الفهم والحجاب الثانى عدم فهم عدم الفهم (قوله للدلالة المنصوبة فى الآفاق والانفس) هى تهييج الموجودات على المعنى الذى ذكر (قوله بسببه أولا جله) فتكون الباء فى به للسببية (قوله وقيل الذى له سحر) فيه ضم السين وفتحها مع سكون الحاء المهملة وفتحها (قوله لما بين غضاضة الحى و يبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة) الاولى أن يقال لما بين العظام والاجزاء المتفتتة المنتشرة فى الاطراف والبدن المجتمعة والاجزاء التى فيها الحياة والقوى والآثار الحيوانية والانسانية من التباعد والتنافر (قوله ما دل عليه مبعوثون) فالمعنى أنبعث

المؤمنين (يقولوا التي هي أحسن) الكلمة التي هي أحسن ولا يخاشنوا المشركين (ان الشيطان ينزغ بينهم) يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم) تفسير للتي هي أحسن وما بينهما اعتراض أي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من أهل النار فانه يهيجهم على الشر مع أن ختام أمرهم غيب لا يعلمه الا الله (وما أرسلناك عليهم وكيلا) موكولا اليك أمرهم تقسرهم على الايمان وانما أرسلناك مبشرا ونذيرا فبادرهم ومر أصحابك بالاحتمال منهم وروى أن المشركين أفرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رضي الله عنه رجلا منهم فهم به فامره الله بالعفو (وربك أعلم بمن في السموات والارض) وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش أن يكون يتيم أبي طالب نبيا وأن يكون العراة الجوع أصحابه (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما أوحي اليه من الكتاب لا بما أوتيه من الملك قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينا داود زبورا) تنبيه على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الانبياء وأمته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من أن الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب أو المصدر كالقبول ويؤيده قراءة جزة بالضم وهو كالعباس أو الفضل أو لان المراد وآتينا داود بعض الزبر أو بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام (قل ادعوا الذين زعمتم) أنها آلهة (من دونه) كالملائكة والمسيح وعزير (فلا يملكون) فلا يستطيعون (كشف الضر عنكم) كالمرض والفقر والقحط (ولا تحويلا) ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة (أيهم أقرب) بدل من واو يبتغون أي يبتغي من هو أقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كسائر العباد فكيف تزعمون أنهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بان يحذر كل أحد حتى الرسل والملائكة (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) بالموت والاستئصال (أو معذبوها عذابا شديدا) بالقتل وأنواع البلية (كان ذلك في الكتاب) في اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا (وما منعنا أن نرسل بالآيات) وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحها قريش (الا أن كذب بها الاولون) الا تكذيب الاولين الذين هم أمثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا أن لا نستأصلهم لان منهم من يؤمن أو يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال (وآتينا ثمود الناقة) بسؤالهم (مبصرة) بينة ذات ابصار أو بصائر أو جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح (فظلموا بها) فكفروا بها أو ظلموا أنفسهم بسبب عقرها (وما نرسل بالآيات) أي بالآيات المقترحة (الا تخويفا) من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل أو بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان أمر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة والباء مزيدة أو في موقع الحال والمفعول محذوف (واذ قلنا لك) واذكر اذ أوحينا اليك (ان ربك أحاط بالناس) فهم في قبضة قدرته أو أحاط بقريش بمعنى أهلكهم من أحاط بهم العدو فهي بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك) ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان

والاستجابة مشعرة بالسؤال المشعر بالجزاء لان السؤال يكون له (قوله كالعباس والفضل) أي يجوز في الزبور التعريف والتنكير كما يجوز في العباس والفضل (قوله أو لان المراد بعض الزبر أو بعضا من الزبور) فيه ان ذكر الرسول في الاحتمال الثاني فيه خفاء ولذا اختلف فيه المعاقون على الكشاف (قوله ذات ابصار أو بصائر) أي سبب للابصار أو البصيرة فان حق من ظهر له مثل هذه الآية أن يرى آثار صنعه أو يدركها بقلبه أن يؤمن به (قوله والباء مزيدة أو في موقع الحال والمفعول محذوف الخ) أي اما أن تكون بالآيات مفعولا فتكون الباء مزيدة أو غيره فتكون حالا والمفعول محذوف والمعنى وما نرسل النبي ملتبسا بالآيات الا الخ

فى المنام ومن قال انه كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية أو عام الحديبية حين رأى أنه دخل مكة وفيه أن الآية مكية الا أن يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها فى وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولما روى أنه لما ورد ماءه قال لكأنى أنظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بنى أمية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هذا حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله (الا فتنة للناس) ما حدث فى أيامهم (والشجرة الملعونة فى القرآن) عطف على الرؤيا وهى شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر أن يحمى وبر السمندل من أن تأكله النار وأحشاء النعامة من أذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التى تبتلعها قدر أن يخلق فى النار شجرة لا تحرقها ولعنها فى القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة أو وصفها بانها فى أصل الجحيم فانه أبعد مكان من الرحمة أو بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد أوّلت بالشيطان وأبى جهل والحكم بن أبى العاصى وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أى والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك (ونخوّفهم) بأنواع التخويف (فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا) الا عتوّا متجاوز الحد (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز أن يكون حالا من الراجع الى الموصول أى خلقته وهو طين أو منه أى أأسجد له وأصله طين وفيه على الوجوه الثلاثة ايماء بعلة الانكار (قال أرأيتك هذا الذى كرمت على) الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول أوّل والذى صفته والمفعول الثانى محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى أخبرنى عن هذا الذى كرمته على بامرى بالسجود له لم كرمته على (لئن أخرتنى الى يوم القيامة) كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه (لاحتنكن ذريته الا قليلا) أى لاستأصلنهم بالاغواء الا قليلا لا أقدر أن أقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها أكلا مأخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير أو تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب (قال اذهب) امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سوّلت له نفسه (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز أن يكون الخطاب للتابعين على الالتفات (جزاء موفوا) مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله أو بما فى جزاؤكم من معنى تجازون أو حال موطئة لقوله موفورا (واستفزز) واستخفف (من استطعت منهم) أن تستفزه والفز الخفيف (بصوتك) بدعائك الى الفساد (وأجلب عليهم) وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح (بخيلك ورجلك) باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز أن يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من أماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك (وشاركهم فى الاموال) بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغى (والاولاد) بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة (وعدهم) المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل (وما يعدهم الشيطان الا غرورا)

(قوله أو منه) أى أو حال من الموصول نفسه لا من الراجع اليه ويجوز أن يكون الخطاب للتابعين على الالتفات فيكون المعنى فان جهنم جزاؤكم يا أتباعه حتى يحصل الربط (قوله أو حال موطئة لقوله موفورا) قال بعضهم والمعنى ذوى جزاء موفورا فيكون حالا من الضمير فى يجزون وقال العلامة الطيبى الاولى أن يقال انه حال مؤكدة عن مضمون الجملة السابقة كقولك زيد حاتم جودا (قوله والخيل الخيالة) أى أصحاب الخيل (قوله ويجوز أن يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه الخ) أى يجوز أن يكون استفزازه بمن استطاع منهم وجلبه عليهم بخيله ورجله تمثيلا أى استعارة تمثيلية فيكون المشبه تسلطه عليهم وتصرفه فيهم وسوسته واضلاله اياهم والمشبه به الاستفزاز بالصوت والجلب بالخيل والرجل ووجه الشبه كونهم منقادين لحكمه فاعلين لما أراده منهم فيكون الطرفان ووجه الشبه مركبات (قوله لتسلطه على من يغويه بمغوار الخ) المغوار المقاتل

(قوله اعتراض) فانه وقع بين الجمل التي خاطب الله بها الشياطين (قوله وتعظيم الاضافة الخ) أي ظاهر قوله تعالى عبادي يفيد العموم لكن الاضافة المفيدة للتعظيم العباد وتقييدها في قوله الا عبادك منهم المخلصين يدلان على أن المراد بعبادي بعض عباده

اعتراض لبيان مواعيده الباطلة والغرور تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب (ان عبادي) يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين بخصصهم (ليس لك عليهم سلطان) أي على اغوائهم قدرة (وكفى ربك وكيلا) يتوكلون عليه في الاستعانة منك على الحقيقة (ربكم الذي يزجي) هو الذي يجري (لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) الربح وأنواع الامتعة التي لا تكون عندكم (انه كان بكم رحيما) حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من أسبابه (واذا مسكم الضر في البحر) خوف الغرق (ضل من تدعون) ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم (الا اياه) وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه فلا تدعون لكشفه الا اياه أو ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله (فلما نجاكم) من الغرق (الى البر أعرضتم) عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة

عطاء فتى تمكن في المعالي * فأعرض في المكارم واستطالا

(وكان الانسان كفورا) كالتعليل للاعراض (أفأمنتم) الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أ تجونتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر أن يهلككم في البحر بالغرق قادر أن يهلككم في البر بالخسف وغيره (أن يخسف بكم جانب البر) أن يقلبه الله وأنتم عليه أو يقلبه بسببكم فيكم حال أو صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على أنهم كانوا وصلوا الساحل كفروا أو عرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من أسباب الهلاك (أو يرسل عليكم حاصبا) ريحا تحصب أي ترمي بالحصباء (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله (أم أمنتم أن يعيدكم فيه) في البحر (تارة أخرى) بخلاف دواعي تلجئكم الى أن ترجعوا فتركبوه (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) لا تقدر بشئ الا قصفته أي كسرته (فيغرقكم) وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح (بما كفرتم) بسبب اشراككم أو كفران نعمة الانجاء (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالبا يتبعنا بانتصار أو صرف (ولقد كرمنا بني آدم) بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى أسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالنفع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده (وحملناهم في البر والبحر) على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه أو حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء (ورزقناهم من الطيبات) المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) بالغلبة والاستيلاء أو بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة عليهم الصلاة والسلام أو الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد أول الكثير بالكل وفيه تعسف (يوم ندعو) نصب باضمار اذكر أو ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو وبدعى وبدعو على قلب الالف واوا في لغة من يقول أفعو في أفعى أو على ان

(قوله فيكم حال أو صلة) فعلى التقدير الاول أن يخسف جانب البر كائنا معكم (قوله تنبيه على أنهم كما وصلوا الخ) لان الجانب والساحل جهة البر (قوله لا معقل) قال في الصحاح المعقل الملجأ (قوله والمستثنى جنس الملائكة أو الخواص منهم ولا يلزم الخ) أي قوله تعالى وفضلناهم على كثير يفيد ان بعضا من الخلق لا يفضل عليهم الانسان والا لما كان للفظ كثير وجه وجيه فهذا البعض الذي لا يفضل عليه الانسان هو الملائكة وعلى هذا يلزم سؤال وهو أن هذا مناف لقاعدة أهل السنة أن الانسان أفضل من الملك فأجاب بقوله ولا يلزم الخ أي لا يلزم من عدم تفضيل جنس البشر على جنس الملك أو الخواص منهم أن لا يكون خواص البشر أعلى من خواص الملك فان عدم تفضيل جنس البشر معناه ان ليس كل فرد من أفراد جنس البشر أفضل من كل فرد من أفراد جنس الملك وهذا لا ينافي أن يكون الخواص

من البشر أفضل من خواص الملك (قوله وفيه تعسف) اما أولا فلان استعمال الكثير بمعنى الكل خلاف الظاهر جدا واما ثانيا فلانه لا فائدة للفظ الكثير مقام لفظ الكل (قوله وبدعو على قلب الالف واوا الخ) أي قراءة يدعو بصيغة المجهول وهو يحتمل وجهين أحدهما ان تكون صيغة مفرد غائب فتقلب ألفها واوا كما في أقصى فانه قد تقلب ألفه واوا ويحتمل ان يكون صيغة جمع

الواو علامة الجمع كما فى قوله وأسروا النجوى الذين ظلموا أو ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة فانها ليست الاعلامة الرفع وهو قد يقدر كما فى يدعى (كل أناس بامامهم) بمن ائتموا به من نبى أو مقدم فى الدين أو كتاب أو دين وقيل كتاب أعمالهم التى قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا أى تنتقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وأفعالهم وقيل بامهاتهم جمع أم تكفف وخفاف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله عنهما وأن لا يفتضح أولاد الزنا (فمن أوتى) من المدعوين (كتابه بيمينه) أى كتاب عمله (فاولئك يقرؤن كتابهم) ابتهاجا وتبجحا لما يرون فيه (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من أجورهم أدنى شئ وجمع اسم الاشارة والضمير لان من أوتى فى معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على أن من أوتى كتابه بشماله اذا اطلع على مافيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع أن قوله (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى) أيضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا أعمى القلب لا يبصر رشده كان فى الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة (وأضل سبيلا) منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثانى للتفضيل من عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يقل أبو عمرو ويعقوب فان أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه فى حكم المتوسطة كما فى أعماكم بخلاف النعت فان ألفه واقعة فى الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وقد أمالها حمزة والكسائى وأبو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما (وان كادوا ليفتنونك) نزلت فى ثقيف قالوا لا ندخل فى أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وأن تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله أمرنى وقيل فى قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلمّ بآلهتنا وتمسها بيدك وان هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى ان الشأن قاربوا بما لهنهم أن يوقعوك فى الفتنة بالاستنزال (عن الذى أوحينا اليك) من الاحكام (لتفترى علينا غيره) غير ما أوحينا اليك (واذا لاتخذوك خليلا) ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليالهم بر يثامن ولايتى (ولولا أن ثبتناك) ولولا تثبيتنا اياك (لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا) لقاربت أن تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن أدركتك عصمتنا فمنعت أن تقرب من الركون فضلا عن أن تركن اليهم وهو صريح فى أنه عليه الصلاة والسلام ماهم باجابتهم مع قوة الدواعى اليها ودليل على أن العصمة بتوفيق الله وحفظه (اذا لأذقناك) أى لو قاربت لاذقناك (ضعف الحياة وضعف الممات) أى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب به فى الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير أخطر وكان أصل الكلام عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم أضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من أسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وضعف الممات عذاب القبر (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) يدفع العذاب عنك (وان كادوا) وان كاد أهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بعداوتهم (من الارض) أرض مكة (ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك) ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك (الا قليلا) الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم أهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت فى اليهود حسدوا مقام النبى بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان

وتكون نونه محذوفة لقلة المبالاة والاعتناء بها لما ذكره وحينئذ فتكون الواو علامة الجمع والفاعل كل اناس أو تكون الواو ضمير الفعل وفاعله وكل أناس بدل منه (قوله والحكمة فى ذلك اجلال عيسى وشرف الحسن والحسين) أى الحكمة فى دعوة الخلق بالأمهات بان يقال يا فلان بن فلانة اجلال عيسى واظهار شرف السبطين اذ لو دعى الخلق بالآباء لكان هذا نوع نقص بالنسبة الى عيسى بان يدعى بالأم والخلق بالآباء وفيه اظهار شرف السبطين بان يدعيا بأمهما التى هى بنت سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعدم افتضاح أولاد الزنا ظاهرا فانه لو دعى الخلق بالآباء وأولاد الزنا بالامهات لكان هذا تصريحا بكونهم أولاد الزنا وليس لهم آباء (قوله من عمى قلبه الخ) يعنى ان العمى وان كان من العيوب لا يبنى منه أفعل التفضيل لكنه اذا كان بمعنى فقد الحاسة اما اذا كان المراد عمى القلب يكون كالجهل فيبنى منه أفعل التفضيل (قوله لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا) والاول معناه لا يؤخذ عشر أموالنا

كنت نبيا فالحق بها حتى تؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة وأجلى بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذا على أنه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لاعلى خبر كاد فان اذا لا تعمل اذا كان معتمدا مابعدها على ماقبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال الشاعر

عفت الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا

(سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) نصب على المصدر أى سن الله ذلك سنة وهو أن يهلك كل أمة أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانهم من أجلهم وبدل عليه (ولا تجد لسنتنا تحويلا) أى تغييرا (أقم الصلاة لدلوك الشمس) لزوالها وبدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام أتانى جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر وقيل لغروبها وأصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا تستقر يده وكذا كل ماتركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها فى لثلاث خلون (الى غسق الليل) الى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الاخيرة (وقرآن الفجر) وصلاة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيهما ولا دليل فيه لجواز أن يكون التجوز لكونهما مندوبة فيهما نعم لو فسر بالقراءة فى صلاة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيهما أصا وفى غيرها قياسا (ان قرآن الفجر كان مشهودا) تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار أو شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذى هو أخو الموت بالانتباه أو كثير من المصلين أو من حقه أن يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدإ الوقت ومنتهاه واستدل به على أن الوقت يمتد الى غروب الشفق (ومن الليل فتهجد به) و بعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقرآن (نافلة لك) فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة أو فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق فى كل مقام يتضمن كرامة والمشهور أنه مقام الشفاعة لما روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال هو المقام الذى أشفع فيه لامتى ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وماذاك الا لمقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله أى فيقيمك مقاما أو بتضمين يبعثك معناه أو الحال بمعنى أن يبعثك ذا مقام (وقل رب أدخلنى) أى فى القبر (مدخل صدق) ادخالا مرضيا (وأخرجنى) أى منه عند البعث (مخرج صدق) اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من أعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله فى كل ما يلابسه من مكان أو أمر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى أدخلنى فادخل دخولا وأخرجنى فأخرج خروجا (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرنى على من خالفنى أو ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم فى الارض (وقل جاء الحق) الاسلام (وزهق الباطل) وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج (ان الباطل كان زهوقا) مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرته

والثانى معناه لا تبعث الى المغازى ولا يضرب علينا البعوث والثالث التجنبية وهو ان يضع يديه على ركبتيه (قوله لان اذن لا تعمل اذا اعتمد مابعدها على ماقبلها) الاعتماد على ماقبل هو ان يكون من تمامه (قوله نعم لو فسر بالقراءة الخ) لان معناه حينئذ أقم قراءة صلاة الفجر فتكون القراءة فى صلاة الفجر واجبة (قوله والاية جامعة للصلوات الخمس ان فسرنا الدلوك بالزوال وبصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب) ليس كذلك بل على التقدير الثانى شاملة لصلاة العشاءين وصلاة الصبح مع ان صلاة الصبح من صلاة النهار عند أهل الشرع فان ابتداء النهار عندهم من طلوع الفجر الصادق ولقد أحسن صاحب الكشاف حيث قال ان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرج منها الظهر والعصر

فى عين واحد واحدمنها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى ألقى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال ياعلى ارم به فصعد فرمى به فكسره (وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين) ماهو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافى للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى أن منه مايشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف (ولايزيد الظالمين الاخسارا) لتكذيبهم وكفرهم به (واذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله (ونأى بجانبه) لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بامره ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفى فصلت وناء على القلب أوعلى أنه بمعنى نهض (واذامسه الشر) من مرض أوفقر (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله (قل كل يعمل على شاكلته) قل كل أحد يعمل على طريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة أوجوهر روحه وأحواله التابعة لمزاج بدنه (فربكم أعلم بمن هوأهدى سبيلا) أسد طريقا وأبين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين (ويسئلونك عن الروح) الذى يحيابه بدن الانسان ويديره (قل الروح من أمر ربى) من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من أصل كأعضاء جسده أووجد بأمره وحدث بتكوينه على أن السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روى أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان أجاب عنها أو سكت فليس بنبى وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التوراة وقيل الروح جبريل وقيل خلق أعظم من الملك وقيل القرآن ومن أمر ربى معناه من وحيه (وماأوتيتم من العلم الاقليلا) تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما واعلم أن كثر الاشياء لايدركه الحس ولاشيأ من أحواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى أن الروح مما لايمكن معرفة ذاته الابعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى فى جواب وامارب العالمين بذكر بعض صفاته روى أنه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا أتحن مخصوصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وأنتم فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولوأن مافى الارض من شجرة أقلام وماقالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية أن يعلم من الخير والحق ماتسعه القوة البشرية بل مايتنظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التى لانهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) اللام الأولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور (ثم لاتجد لك به علينا وكيلا) من يتوكل علينا استراده مسطورا محفوظا (الارحمة من ربك) فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز أن يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة فى تنزيله (ان فضله كان عليك كبيرا) كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه فى حفظه (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى (لايأتون بمثله) وفيهم العرب العرباء وأرباب البيان وأهل التحقيق

(فوله ماأعجب شأنك الخ) ادعوا ان فى القرآن تناقضا فانه تارة ادعى ان من أوتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وتارة يدعى انه لا يؤتى الانسان الا العلم القليل فلا يعطى الخير الكثير وهذا نص فى سوء فهمهم فان كثرة شئ لاتنافى قلته اذ يمكن ان يكون شئ كثيرا بالنسبة الى شئ وقليلا بالنسبة الى غيره ونحن فيه كذلك فان ماأوتى الانسان من الحكمة كثيرا بالنسبة اليه وفى غاية القلة بالنسبة الى علم الله تعالى

وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولاهي لكان جواب الشرط بلاجزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير

وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لاغائب مالي ولاحرم

(ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا) ولوتظاهروا على الاتيان به ولعلهم لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لايخرجه عن كونه معجزا ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز أن تكون الآية تقريرا لقوله ثم لاتجد لك به علينا وكيلا (ولقد صرفنا) كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان (للناس في هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعها في الانفس (فأبى أكثر الناس الا كفورا) الاجحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) تعنتوا واقترحوا بعد مالزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض أرض مكة والينبوع عين لاينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذازخر (أوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا) أويكون لك بستان يشتمل على ذلك (أوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) يعنون قوله تعالى أونسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة وأبو بكر ونافع في غير هما وحفص فيما بعد الطور وهو ما يخفف من المفتوح كسدرة وسدر أوفعل بمعنى مفعول كالطحن (أوتأتي بالله والملائكة قبيلا) كفيلا بما تدعيه أي شاهدا على صحته ضامنا لدركه أومقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله * فاني وقيار بها لغريب * أوجماعة فيكون حالا من الملائكة (أويكون لك بيت من زخرف) من ذهب وقد قرئ به وأصله الزينة (أوترقى في السماء) في معارجها (ولن نؤمن لرقيك) وحده (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) وكان فيه تصديقك (قل سبحان ربي) تعجبا من اقتراحاتهم أوتنزيها لله عن أن يأتي أو يتحكم عليه أو يشارك أحد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي أي قال الرسول (هل كنت الا بشرا) كسائر الناس (رسولا) كسائر الرسل وكانوا لايأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على مايلائم حال قومهم وليس لهم أمر الآيات اليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله حتى تتخيروها على هذا والجواب المجمل وأما التفصيل فقد ذكر في آيات أخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولوفتحنا عليهم بابا (ومامنع الناس أن يؤمنوا اذجاءهم الهدى) أي ومامنعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق (الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) الاقولهم هذا والمعنى أنه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الا انكارهم أن يرسل الله بشرا (قل) جوابا لشبهتهم (لوكان في الارض ملائكة يمشون) كما يمشي بنوآدم (مطمئنين) ساكنين فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه وأما الانس فعاجزة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل أن يكون حالا من رسولا وأن يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول أوفق (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) على أني رسول الله اليكم باظهاره المعجزة على وفق دعواي أوعلى أني بلغت ما أرسلت به اليكم وأنكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال أوالتمييز (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعلم أحوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه)

(قوله ولعله لم يذكر الملائكة الخ) أي المقصود من الاية بيان اعجاز القرآن وهو يثبت بعدم قدرة الجن والانس على الاتيان بمثله ولا يتوقف اعجازه على عدم اتيان الملائكة بمثله وههنا نظر وهو انه اذا قدر الملك على الاتيان بمثله فيمكن ان يكون القرآن من الملك أيضا فلم يثبت انه كلام الله تعالى فلم تثبت النبوة مع انها المقصود من الاعجاز والجواب ان الملك لا يأتي بالمعجز الى الكاذب على الله تعالى في دعوى النبوة (قوله ولانهم وسائط في اتيانه) يعني ان الملائكة وسائط في اتيانه فهم آتون به فلا يصح ان الملائكة لا يأتون بمثله (قوله لانه مؤول بالنفي) أي أبى أكثر الناس مؤول بالنفي لان معناه مافعل أكثر الناس شيأ الا كفورا (قوله حتى تتخيروا على الله) أي ليس للانبياء والرسل ان يتحكموا على الله باظهار الآيات حتى تتخيروا أنتم على بالحكم على الله باظهار ما أنتم تريدونه ومعنى تتخيروا أي تختاروا وتحكموا على بالحكم على الله (قوله الاقولهم هذا) لايخفى ان المراد من معنى هذا القول هو انكار بعث البشر لا نفس القول (قوله والاول أوفق) لان الانكار في قوله أبعث الله بشرا رسولا يتوجه الى بشرية الرسول لا الى الرسالة

يهدونه (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) يسحبون عليها أو يمشون بها روى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عميا وبكما وصما) لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم فى دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وأبوا أن ينطقوا بالصدق ويجوز أن يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤفى القوى والحواس (مأواهم جهنم كلما خبت) سكن لهبها بأن أكلت جلودهم ولحومهم (زدناهم سعيرا) توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كأنهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بأن لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه أشار بقوله (ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم (أولم يروا) أولم يعلموا (أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم) فانهم ليسوا أشد خلقا منهن ولا الاعادة أصعب عليه من الابداء (وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) هو الموت أو القيامة (فأبى الظالمون) مع وضوح الحق (الا كفورا) الا جحودا (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) خزائن رزقه وسائر نعمه وأنتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتنى وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص (اذا لامسكتم خشية الانفاق) لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا أحد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشئ فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء أغلب فيهم (وكان الانسان قتورا) بخيلا لان بناء أمره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بنى اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال أن لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرىء الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا فى السبت فقبل اليهودى يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة فى كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها فى الآخرة من السعادة أو الشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام (فاسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم) فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك أو سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل على لفظ المضى بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا أو سأل على هذه القراءة أو فاسأل يا محمد بنى اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم أو عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك أو لتتسلى نفسك أو لتعلم أنه تعالى لو أتى بما اقترحوا لأصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم أو ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا أو باضمار يخبروك على انه جواب الامر أو باضمار اذكر على الاستئناف (فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا) سحرت فتخبط عقلك (قال لقد علمت) يا فرعون وقرأ الكسائى بالضم على اخباره عن نفسه (ما أنزل هؤلاء) يعنى الآيات (الا رب السموات والارض بصائر) بينات تبصرك صدقى ولكنك تعاند وانتصابه على الحال (وانى لأظنك يا فرعون مثبورا) مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا أى ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين

فالمناسب ان يكون بشرا قيدا حتى يتوجه الانكار اليه كما هو المشهور من ان النفى يتوجه الى القيد وهذا يناسب أن يكون بشرا حالا حتى يكون قيدا (قوله لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم) هذا علة لقوله واليه أشار بقوله يعنى ذلك اشارة الى ما تقدمه من عذابهم وهو اعادة العذاب عليهم بعد ما خبت النار (قوله والدلالة على الاختصاص) يعنى لو أنتم تملكون خزائن رحمة الرب لمنعتم الصرف منها ولامسكتموها خشية الانفاق بخلاف ما لو كان مالكها غيركم وهو الله تعالى (قوله على هذه القراءة) أى على قراءة سأل بلفظ الماضى كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا أو باضمار يخبروك أو باضمار اذكر) أى على ان يكون المراد سل يا محمد بنى اسرائيل الخ كان اذ منصوبا بآتينا الخ اذ لا يمكن جعله متعلقا بقوله فاسأل بنى اسرائيل اذ لا معنى لان يقال سل يا محمد فى اذ جاءهم أى فى زمان مجىء الآيات اياهم

الظنين فان ظن فرعون كذب بحث وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر أماراته وقرئ وان اخاله بافرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هى الفارقة (فأراد) فرعون (أن يستفزهم) أن يستخف موسى وقومه وينفيهم (من الارض) أرض مصر أو الارض مطلقا بالقتل والاستئصال (فاغرقناه ومن معه جميعا) فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق (وقلنا من بعده) من بعد فرعون أو اغراقه (لبنى اسرائيل اسكنوا الارض) التى أراد أن يستفزكم منها (فاذا جاء وعد الآخرة) الكرة أو الحياة أو الساعة أو الدار الآخرة يعنى قيام القيامة (جئنا بكم لفيفا) مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من أشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق نزل) أى وما أنزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضى لانزاله وما نزل على الرسول الا ملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه وقيل وما أنزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله أراد به نفى اعتراء البطلان له أول الامر وآخره (وما أرسلناك الا مبشرا) للطيع بالثواب (ونذيرا) للعاصى بالعقاب فلا عليك الا التبشير والانذار (وقرآنا فرقناه) نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما فى قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل فى تضاعيف عشرين سنة (لتقرأه على الناس على مكث) على مهل وتؤدة فانه أيسر للمحفظ وأعون فى الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا وقوله (ان الذين أوتوا العلم من قبله) تعليل له أى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحى وأمارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل أو را وأنعتك وصفة ما أنزل اليك فى تلك الكتب ويجوز أن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كأنه قيل نسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم (اذا يتلى عليهم) القرآن (يخرون للاذقان سجدا) يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله أو شكرا لانجاز وعده فى تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه (ويقولون سبحان ربنا) عن خلف الموعد (ان كان وعد ربنا لمفعولا) انه كان وعده كائنا لا محالة (ويخرون للاذقان يبكون) كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثانى لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه أول مايلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به (ويزيدهم) سماع القرآن (خشوعا) كما يزيدهم علما وايقينا بالله (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) نزلت حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر أو قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثره الله فى التوراة والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بأنهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذى هو المعبود المطلق وعلى الثانى انهما سيان فى حسن الاطلاق والاقضاء الى المقصود وهو أجود لقوله (أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) والدعاء فى الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه وأو للتخيير والتنوين فى أيا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتأكيد ما فى أيا من الابهام والضمير فى فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان أصل الكلام أيا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام (ولا تجهر بصلاتك) بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها (ولا تخافت

(قوله واللام فيه لاختصاص الخرور به) هذا تقرير ناقص وفى الكشاف ان معنى الخرور للذقن السقوط على وجهه وانما ذكر الذقن لانه أول مايلقى الارض للساجد فيفهم منه ان اللام لاختصاص الخرور بالوجه لان الذقن بمعنى الوجه وحينئذ اختصاص الخرور بالذقن ظاهر واما كلام المصنف فلا يفهم منه ان المراد بالذقن الوجه واما قول صاحب الكشاف انه أول مايلقى الارض فالمراد انه أقرب أجزاء الوجه من الارض حال السجود والاولى ان يقال ان ذكر الذقن لافادة المبالغة فى خرورهم لان وصول الذقن الى الارض عسير لا يكون الا بعد المبالغة فى الخرور (قوله وهو أجود لقوله أيا ما تدعوا) أى أنسب اليه لان الحكم بالاستواء يناسب ان يكونا اسمين لذات واحدة كما هو مفهوم كلام اليهود لا أنهما اسمان لذاتين مختلفين كما زعم المشركون (قوله والدلالة على ما هو الدليل عليه) فان قوله تعالى فله الاسماء الحسنى دليل على ان تسميته بكل منهما حسن

(قوله نفى عنه الخ) فنفى الولد يدل على عدم الشريك من الجنس اختيارا ونفى الشريك من الملك يدل على عدم الشريك من غير الجنس اضطرارا ونفى الولد ونفى الولى من الذل يدل على عدم المعاون (قوله وفيه تنبيه الخ) فان قوله تعالى كبره تكبيرا معناه انسب الكبرياء والعظمة اليه ففيه اشارة الى انه تعالى أعظم وأكبر من ان يحمده الحامدون و يعرفه العارفون

﴿سورة الكهف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قوله تنبيها على انه أعظم نعمائه الخ) أى تخصيص هذه النعمة التى هى القرآن بالذكر من سائر النعم على العباد دال على انه أشرف والا لزم ترجيح أحد المتساويين أو ترجيح المرجوح فان قيل الدليل المذكور على كون القرآن أفضل النعم مشترك بين القرآن و بين ارسال النبى صلى الله عليه وسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم الهادى الى مافيه كمال العبادة والداعى الى نظام صلاح المعاش والمعاد فيلزم ان يكون كل منهما أعظم قلنا كونه هاديا وداعيا بسبب القرآن فانه استفاد الامور الدينية منه فالقرآن هو الاصل واعلم ان صاحب الكشاف جعل ههنا أجزل النعماء نعمة الاسلام وانزال القرآن حيث قال لقن الله عباده كيف يحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهى نعمة الاسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم (قوله شيأ من العوج) لان المنكر اذا كان داخلا فى سياق النفى يفيد العموم (قوله وتناف فى المعنى) لو فسر العوج فى المعنى بما لا يقبله العقل السليم لكان أولى ليعم التنافى وغيره ولذا فسره صاحب الكشاف بنفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شئ من الحكمة والاصابة فيه (قوله وهو فى المعانى الخ) أى العوج بكسر العين يستعمل فى المعانى كما ان العوج بفتح العين يستعمل فى الاعيان أى الاجسام و يوافقه ماقاله الراغب ان العوج بالكسر يستعمل فيما يدرك بالبصيرة والعوج بالفتح يستعمل فيما يدرك بالبصر كالخشب المنتصب (قوله مستقيما لا افراط فيه ولا تفريط) أى ليس فى القرآن الكريم افراط فى الامر بالعبادات والنهى عن الاشياء ومبالغة فى الاجتهاد بحيث يتعسر على البشر ولا تقصير فى بيان الامور التى يجب ان تراعى بحسب الفعل والترك وعلى هذا لا يكون قيما تأكيدا لنفى العوج ولا عكسه بخلاف ماذكره صاحب الكشاف حيث قال فان قلت مافائدة الجمع بين نفى العوج والاستقامة وفى أحدهما غنى عن الآخر قلت فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود بالاستقامة وهو لا يخلو عن أدنى عوج بالتفتيش والتصفح هذا كلامه أقول يرد على هذا التقدير ان المناسب له تقديم القيم على نفى العوج حتى يكون نفى العوج محتاجا اليه لكونه مزيلا لما يتوهم من بقاء شئ من العوج واما اذا ذكر نفى شئ من العوج مطلقا

بها) حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين (وابتغ بين ذلك) بين الجهر والمخافتة (سبيلا) وسطا فان الاقتصاد فى جميع الامور محبوب روى ان أبا بكر رضى الله عنه كان يخفت و يقول أناجى ربى وقد علم حاجتى وعمر رضى الله عنه كان يجهر و يقول أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك) فى الالوهية (ولم يكن له ولى من الذل) ولى يواليه من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه أن يكون له مايشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا ومايعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على أنه الذى يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وماعداه ناقص مملوك نعمة أو منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله (وكبره تكبيرا) وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ فى التنزيه والتمجيد واجتهد فى العبادة والتحميد ينبغى أن يعترف بالقصور عن حقه فى ذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية وهى مائة واحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب) يعنى القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه أعظم نعمائه وذلك لانه الهادى الى مافيه كمال العباد والداعى الى مابه ينتظم صلاح المعاش والمعاد (ولم يجعل له عوجا) شيأ من العوج باختلال فى اللفظ وتناف فى المعنى أو انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو فى المعانى كالعوج فى الاعيان (قيما) مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط أو قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما أو على الحال من الضمير فى له أو من الكتاب على أن الواو فى ولم يجعل للحال

دون

لاحاجة الى ذكر القيم والوجه ان يقال ان ذكر القيم لاجل ان لا يتوهم ان له عوجا ذاتيا لا بالجعل فان بعض الاشياء مما تنفر عنه الطباع السليمة ويستقبح لا بجعل الجاعل بل لصفة ذاتية (قوله ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير) أى من جعل الواو للعطف وقيما حالا من الكتاب لزمه ان يقول بان فى هذا التركيب تقديما وتأخيرا فيكون قيما مقدما حقيقة مؤخرا لفظا (قوله فحذف الاول اكتفاء بدلالة القرينة) فيه ان القرينة لا تدل على اعتبار خصوص الكافرين بل على اعتبار عموم العاصين لان الانذار مناسب لمطلق العصاة وكذا المقابلة بالذين آمنوا وعملوا الصالحات وقد يقال المراد من البأس الشديد العذاب الذى بلغ الغاية وهو مخصوص بالكافرين (قوله وكرر الانذار متعلقا بهم الخ) أى بالمثبتين للولد التكرار حاصل بتعليق الانذار بهم وانما يفيد الاستعظام لكونه تخصيصا بعد تعميم (قوله أى بالولد) أى ليس لهم علم بما يترتب على كون الولد لله تعالى من المحالات (قوله أو بالله) عطف على قوله بالولد (قوله من غير علم بالمعنى الذى أرادوا به) أى من غير علم الآخر منهم بالمعنى الذى اراده الأوائل منهم من اللفظ الذى كانوا يقولونه وانهم كانوا يقولون الابن على الاثر والاب على المؤثر فلم يفهم الأواخر ما أراده الأوائل فتوهموا ان مراد الأوائل من لفظ الابن الولد (قوله اذ لو علموه) هذا دليل يتعلق بكل من التقادير أى لو علموا ما يترتب على كون الولد ولدا الماجوزوا الخ أو علموا ما فى الاتخاذ أو لو علموا ما أراده الأوائل منهم لما جوزوا (قوله الذين تقولوه بمعنى التبنى) أى ليس المراد ان ليس (٢١٥) لابائهم مطلقا علم به بل لآبائهم الذين يقولون بانه تعالى تبنى أحدا واما آباؤهم الذين يقولون بان الله تعالى ابنا بمعنى انه أوجده فهم عالمون (قوله لما فيها من التشبيه والتشريك) فان المتبنى من جنس المتبنى ومتبنى كل أحد شبيهه وشريكه فى الحقيقة ولوازمها الى غير ذلك من الزيغ مثل لزوم الجسمية والتحيز والامكان والحدوث اذا لولد من جنس الأب ولقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون اتخاذ الابن لاالماذكر بل لعلة شرفه والتقرب الى الأب فى

دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين أبعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير وقرئ فيما (لينذر بأسا شديدا) أى لينذر الذين كفر واعذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه (من لدنه) صادرا من عنده وقرأ أبو بكر باسكان الدال كاسكان الباء من سبع مع الأنهام ايدل على أصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا) هو الجنة (ماكثين فيه) فى الاجر (أبدا) بلا انقطاع (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره (مالهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذه أو بالقول والمعنى أنهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب أو تقليد لما سمعوه من أوائلهم من غير علم بالمعنى الذى أرادوا به فانهم كانوا يطلقون الأب والابن بمعنى المؤثر والاثر أو بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه (ولا لآبائهم) الذين تقولوه بمعنى التبنى (كبرت كلمة) عظمت مقالتهم هذه فى الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول أبلغ وأدل على المقصود (تخرج من أفواههم) صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من أفواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام (ان يقولون الا كذبا فاعلك باخع نفسك) قاتلها (على آثارهم) اذا ولوا عن الايمان شبهه لما يداخله

صفات الكمال وان لم يكونا من جنس واحد والاولى ان يقال لا معنى لاتخاذ الولد الا ان يكون وارثه وخليفته عنه وهذا فى حقه تعالى محال واما تقريب أحد غيره الى نفسه لمناسبات بينهما فلا وجه لجعله اتخاذ الولد (قوله وكلمة نصب على التمييز) من الضمير المبهم المستتر فيه كما فى نعم رجلا زيد (قوله يفيد استعظام اجترائهم الخ) لما كان من المعلوم ان الكلمة تخرج من أفواههم ففائدة التنبيه بهذه الصفة تفيد استعظامها فكان كبرها باعتبار هذه الصفة أى هى كلمة يجب ان لا يتكلم بها لا يكون الا لعظم الجراءة (قوله والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها) فان الكلمة لفظ هو كيفية صوت يحصل للهواء الخارج من الصدر فالخارج بالذات هو الهواء الذى يكيف بالكيفية المذكورة وخروج الكلمة بالعروض (قوله وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم) والمعنى كبرت كلمة قول تخرج من أفواههم (قوله بالسكون مع الاشمام) أى بسكون الباء مع اشمام الضمة (قوله لعلك باخع نفسك) فان قلت ان معنى الترجى الذى هو معنى لعل لا يتصور فى المتكلم الذى هو الله تعالى ولا فى المخاطب الذى هو النبى صلى الله عليه وسلم اذ لا يكون راجيا لبخعه قلنا المراد أنت فى صورة من يرجى منه البخع كما قال فى تفسير لعلكم تتقون انه يجوز ان يكون حالا من ضمير خلقكم على معنى انه خلقكم فى صورة من يرجى منه التقوى (قوله شبهه الخ) أى شبه الله النبى عليه الصلاة والسلام بمن فارقته أعزته ووجه

الشيء ماحصل في صدره من الوجد وهذا التشبيه مستفاد من قوله تعالى باخع نفسك فلذا قال فهو يتحسر على آثارهم أي تولهم و يبخع نفسه وجداً عليه ولذا جعل أسفا مفعولا مطلقا لفعل مقدر هو يتحسر (قوله للتأسف أو متأسفا) أي أسفا اما مفعول له بباخع لان البخع والتأسف فعلا فاعل واحد واما حال عنه (قوله فلا يجوز اعمال باخع الخ) يعني اذا قرئ ان بالكسر كان باخعا للاستقبال فيوجد شرط عمله فينصب نفسك واما اذا قرئ ان بالفتح كان باخع للماضي لأن ان لم يؤمنوا له ماضي لأن لم يعمله للماضي فيكون المعنى لعلك بخعت نفسك لاجل عدم ايمانهم في الماضي ولا يعمل في المفعول الا اذا اجعل باخع حكاية حال ماضية أي لتصور تلك الحالة في ذهن المخاطب حتى كأنه واقع في ذلك الزمان فيوجد شرط عمله فان قيل لا يجوز ان يكون ان لم يؤمنوا للماضي و باخع للحال والاستقبال والمعنى لعلك باخع نفسك في الحال أو المستقبل لتولهم في الزمان الماضي قلنا تفوت المبالغة في وجده صلى الله عليه وسلم على تولهم اذ التأكيد في ان يكون البخع في بدء زمان التولي لا بعده ومن هذا يعلم ان لم لانقلاب المضارع الى الماضي اذا اجتمعت مع ان الشرطية واذا اجتمعت مع ان الناصبة فليتها الى المضي والفرق ان الناصبة قد تدخل على فعل ماض لفظا ومعنى كقوله تعالى لولا ان من الله علينا لخسف بنا واما ان الشرطية فليست كذلك فلقوتها غابت على لم (قوله هو من زهد فيه الخ) ماذكره يفيد الحسن ولا يفيد الأحسنية لان من لم يكن على الطريق الذي ذكره لم يكن له حسن العمل ولا ولى ان يقال معناه ليبلو مراتب الاشخاص في الزهد والقناعة فان للزهد عن الدنيا مراتب فان بعضهم يقتصرون على قدر الضرورة و بعضهم جاوز عنه (قوله وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم) لانه يفهم ان مدار الامر على حسن العمل فلا ضير لغيره عند وجوده ولا يضرك تولي المشركين بل لك الدرجة العليا والسعادة العظمى لانك أحسن عملا من غيرك واما العمل الحسن لغيرك فهو نتيجة عملك ولا يخفى ان هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم استعملت

من الوجد على تولهم بمن فارقته أعنزته فهو يتحسر على آثارهم و يبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بهذا القرآن (أسفا) للتأسف عليهم أو متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ أن بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية (انا جعلنا ما على الارض) من الحيوان والنبات والمعادن (زينة لها) ولاهلها (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به أيامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع نباتها مأخوذ من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد أملس لا نبات فيه (أم حسبت) بل أحسبت (أن أصحاب الكهف والرقيم) في ابقاء حياتهم مدة مديدة (كانوا من آياتنا عجبا) وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيآت متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع أنه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل أو الوادي الذي فيه كهفهم أو اسم قريتهم أو كلبهم قال أمية بن أبي الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيد هم والقوم في الكهف هجد

أو لوح رصاصي أو حجري رقت فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فأخذتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال أحدهم اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال أحدهم

(قوله تزهيد فيه) أي تزهيد وتقليل في أخذ ما على الارض لانه لما صار آخرا الى التراب لا ينبغي ان يكتسب و يجمع أكثر مما يحتاج اليه (قوله وقصتهم الخ) بيان رابط هذه القصة مع الآية السابقة (قوله ليس بعجيب خبر قصتهم) يعني ان اتخاذ أنواع ما على الارض أعجب بمراتب غير متناهية من قصة أصحاب الكهف لكن شأن الانسان ان لا يتعجب مما يأنس به و يشاهده كثيرا بخلاف ما يشاهده نادرا (قوله مع انه من آيات الله كالنزر الحقير) ماذكره أولا يفيد ان قصة أصحاب الكهف بالنسبة الى الآيات المذكورة ليس بعظيم وههنا يدل على انه في حد ذاته ليس بامر عظيم بل حقير و يمكن أن يكون ضمير مع انه راجع الى خلق ما في الارض الخ يعني أن خلق ما في الارض مع انه عظيم بالنسبة الى حال أصحاب الكهف فهو حقير بالنسبة الى ممتنع آيات الله تعالى (قوله قال أمية بن أبي الصلت الخ) هذا دليل على أن الرقيم الكلب لانه ذكر أن الرقيم مجاور للموصد الذي هو فناء للبيت وقد يعلم مما يجيء من قوله تعالى ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ان المجاور للموصد الكلب

(قوله وقد رفع ذلك نعمان بن بشير) أي رفع نعمان بن بشير هذا الحديث المشتمل على قصة هؤلاء الثلاثة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين عن ابن عمر مثل هذا الحديث لكن على غير هذا الترتيب ومع زيادة ونقص فاذكر في هذه الرواية ثالثا جاء علاه في المرتبة الاولى (قوله وقيل أصحاب الرقيم) هذا خلاف الظاهر اذ لو كان كذلك لكان المناسب أن يقال أصحاب الكهف وأصحاب الرقيم فالمتبادر أن يكون أصحاب الكهف والرقيم معا جماعا واحدا ولذا قال قيل (قوله أرادهم) أي كلهم (قوله رحمة توجب لنا المغفرة الخ) لايخفى أن المغفرة رحمة فالظاهر أن يقال رحمته هي المغفرة كما قاله صاحب الكشاف لكنه أراد بالرحمة عملا يوجب الامور المذكورة وصاحب الكشاف نظر الى أن الرحمة هي الامر الذي ينتفع به

المخلوق فيشمل نفس المغفرة وغيرها

استعملت أجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل أجرهم فغضب أحدهم وترك أجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ماشاء الله فرجع الى بعد حين شيخا ضعيفا فلا أعرفه وقال ان لي عندك حقا فذكرته لي حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان لي فضل وأصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لي وجها فقال أجيبي له وأغيثي عيالك فأتت وسألت الي نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت مالك قالت أخاف الله فقلت لها خفته في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها وأعطيتها ملء مسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعاروا فواوقال الثالث كان لي أبوان هما ان وكانت لي غنم وكنت أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم أبرح حتى أمسيت فأتيت أهلي وأخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما فتوقعت جالسا ومحلبي على يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير (اذ أوى الفتية الى الكهف) يعني فتية من أشراف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو (وهيئ لنا من أمرنا) من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) نصير بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا كله رشدا كقولك رأيت منك أسدا وأصل التهيئة احداث هيئة الشيء (فضربنا على آذانهم) أي ضربنا عليهم حجابا يمنع السماع بمعنى أمتناهم نائمة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته (في الكهف سنين) ظرفان لضربنا (عددا) أي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده (ثم بعثناهم) أيقظناهم (لنعلم) ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه أولا تعلقا استقباليا (أي الحزبين) المختلفين منهم أو من غيرهم في مدة لبثهم (أحصى لما لبثوا أمدا) ضبط أمد الزمان لبثهم وما في أي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدا وأحصى خبره وهو فعل ماض وأمدا مفعوله ولما لبثوا حال منه أو مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وأمدا تمييز وقيل أحصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو أحصى للمال وأفلس من ابن المذلق وأمدا نصب بفعل دل عليه أحصى كقوله

المذكورة كبعض اليوم (قوله لتعلق علمنا تعلقا حاليا الخ)

هذا دفع أن يتوهم حدوث علمه تعالى فلزم الجهل السابق تعالى عن ذلك فالمراد أن يحدث تعلق علمنا الذي هو الصفة الثابتة تعلقا حاليا أي نعلم ان الامر واقع في الحال بعد ان علمنا في الماضي أنه سيقع في الاستقبال أي في مستقبل الزمان يعني انه تعالى علم في الازل أنه يقع ذلك الشيء فيالايزال وادا وقع ذلك الشيء تعلق علمه بانه واقع في الحال فان قلت يفهم من قوله تعالى لنعلم الخ انه أمر عظيم حتى يصير سببا على بعثهم بعد اماتتهم فما وجه عظمه فلنا لما تعلق علمه تعالى في الازل ببعثهم في ذلك الزمان وجب بعثهم فيه والا لزم الجهل وهو مستلزم للعلم الحالي الذي ذكره المصنف (قوله ولما لبثوا حال منه) والتقدير أمدا كافيا للبثهم فما مصدرية (قوله وأمدا نصب بفعل دل عليه أحصى)

ولعل فائدة ذلك اما تطلب من محض لطفك رجحنا لانا علمنا شيأ أنستحق به المغفرة والرزق (قوله أو اجعل أمرنا كله رشدا) فعبه مبالغتان احداهما جعل الامر نفس الرشد فهو كزيد عدل لان الرشد مصدر والثانية تجريد الرشد من الامر فانتزع من الامر الرشد مثله (قوله بنى على امرأته) أي بنى الحجاب عليها (قوله ووصف سنين به الخ) أي فائدة وصف السنين به يحتمل أن يكون لافادة الكثرة أي سنين كثيرة ويحتمل التقليل أي سنين قليلة ووصفها بالقلة مع كونها كثرة من ثلثمائة لانها كبعض يوم عنده لقوله تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون واذا كان يوم عنده تعالى كألف سنة مما تعدون كان السنين

اى احصى امدا فيكون احصى الاول اسم تفضيل واحصى الثانى فعلا ماضيا بمعنى ضبط كامر (قوله قومنا عطف بيان) لان المقصود ههنا جعل القوم محكوما عليهم باتخاذهم آلهة من دون الله الخ (قوله خبر فى معنى الانكار) ودليله لولا يأتون عليهم بسلطان بين (قوله وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات) أى من أصول الدين مردود ولا يصح التقليد فى الاصول ويمكن أن يقال المراد من الديانات مطلق الامور الدينية أصولا وفروعا وأما كون شخص مقلدا الآخر فى المذهب فليس من التقليد بلا دليل بل قول المجتهد دليل عليه (قوله جنوبيا) أى بابه مقابل القطب الشمالى وهو ذاهب الى جانب الجنوب (قوله فى مقابلة بنات نعش) أى بنات نعش الكبرى والصغرى التى تدور قريب القطب الشمالى (قوله وأقرب المشارق والمغارب) كل نقطة على الافق تطلع منه الشمس تسمى مشرقا ولما كان الكهف فى جانب شمال منطقة البروج كان الاقرب الى محاذاة الكهف مشرق رأس السرطان أى نقطة على الافق تطلع منها الشمس اذا كانت فى رأس السرطان أى أوله لان مشرق رأس السرطان أقرب الى القطب من سائر المشارق فلا جرم يكون أشد محاذاة للكهف من سائر المشارق فاذا طلعت من هذا المشرق يقع شعاعها فى الجانب الغربى من الكهف واذا غربت فى مغرب رأس السرطان تكون أقرب محاذاة الى الكهف من سائر المغارب لان هذا المغرب أقرب الى القطب الشمالى (قوله تطلع مائلة عند مقابلة بجانبه الايمن) وهو الذى يلى المغرب تسمية الجانب الغربى منه بالميمن باعتبار قربه لليمين الداخل فيه فيكون الجانب الشرقى شماليا مثل ما ذكر (قوله أو لكثرة تقلبهم) فى الكشاف قبل عيونهم ونقلبهم

* واضرب منا بالسيوف القوانسا * (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) بالصدق (انهم فتية) شبان جمع فتى كصبى وصبية (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) بالتثبيت (وربطنا على قلوبهم) وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراءة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار (اذ قاموا) بين يديه (فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا) والله لقد قلنا قولا ذا شطط أى ذا بعد عن الحق مفرط فى الظلم (هؤلاء) مبتدأ (قومنا) عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة) خبره وهو اخبار فى معنى انكار (لولا يأتون) هلا يأتون (عليهم) على عبادتهم (بسلطان بين) ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات مردود وأن التقليد فيه غير جائز (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (واذ اعتزلتموهم) خطاب بعضهم لبعض (ومما يعبدون الا الله) عطف على الضمير المنصوب أى واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز أن تكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وأن تكون نافية على أنه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم (فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم) يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم (من رحمته) فى الدارين (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) ما تنتفعون به أى تتنفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح (وترى الشمس) لو رأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (اذا طلعت تزاور عن كهفهم) تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا أو لان الله تعالى زورارها عنهم وأصله تتزاور فأدغمت التاء فى الزاى وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين (واذا غربت تقرضهم) تقطعهم وتصرم عنهم (ذات الشمال) يعنى يمين الكهف وشماله لقوله (وهم فى فجوة منه) أى وهم فى متسع من الكهف يعنى فى وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف فى مقابلة بنات نعش وأقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذى يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذى أجسادهم ويبلى ثيابهم (ذلك من آيات الله) أى شأنهم وايواؤهم الى كهف شأنه كذلك أو اخبارك قصتهم أو ازورار الشمس عنهم وقرضها طالعة وغاربة من آيات الله (من يهد الله) بالتوفيق (فهو المهتد) الذى أصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم أو التنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله لتأمل فيها والاستبصار بها (ومن يضلل) ومن يخذله (فلن تجد له وليا مرشدا) من يليه ويرشده (وتحسبهم أيقاظا) لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلبهم (وهم رقود) نيام

(ونقلبهم) فى رقدتهم (ذات اليمين وذات الشمال) كيلا تأكل الارض مايليها من أبدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم أى وترى تقلبهم (وكلبهم) هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال أنا أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم أو كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم أى وصاحب كلبهم (باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل (بالوصيد) بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة (لو اطلعت عليهم) فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو (لوليت منهم فرارا) لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال (ولملئت منهم رعبا) خوفا يملأ صدرك بما ألبسهم الله من الهيبة أو لعظم أجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية رضى الله عنه أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضى الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائى ويعقوب رعبا بالتثقيل (وكذلك بعثناهم) وكما أنمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا (ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى ويستبصروا به أمر البعث ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصى مدة نومه ولذلك أحالوا العلم الى الله تعالى (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) ويجوز أن يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا أنهم فى يومهم أو اليوم الذى بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا أن الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه أخذوا فيما يهمهم وقالوا (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة) والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة وقرأ أبو بكر وأبو عمرو وحمزة وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف فى الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على أن التزود رأى المتوكلين والمدينة طرسوس (فلينظر أيها) أى أهلها (أزكى طعاما) أحل وأطيب أو أكثر وأرخص (فليأتكم برزق منه وليتلطف) وليتكلف اللطف فى المعاملة حتى لا يغبن أو فى التخفى حتى لا يعرف (ولا يشعرن بكم أحدا) ولا يفعلن ما يؤدى الى الشعور (انهم ان يظهروا عليكم) أى يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر فى أيها (يرجموكم) يقتلوكم بالرجم (أو يعيدوكم فى ملتهم) أو يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا أولا على دينهم فآمنوا (ولن تفلحوا اذا أبدا) ان دخلتم فى ملتهم (وكذلك أعثرنا عليهم) وكما أنمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم أطلعنا عليهم (ليعلموا) ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم (ان وعد الله) بالبعث أو الموعود الذى هو البعث (حق) لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث (وأن الساعة لا ريب فيها) وأن القيامة لا ريب فى امكانها

مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبان فى السنة وقيل تقلبة واحدة فى يوم عاشوراء (قوله فقال لو اطلعت عليهم الخ) ولا يخفى أنه يفهم مما ذكر منع النبى عن اطلاعه صلى الله عليه وسلم ودخول كهفهم لو قدر اذ لا وجه للاطلاع على موضع يوجب فرار المطلع سيما النبى صلى الله عليه وسلم (قوله ولذلك أحالوا الخ) أى اختلفوا بينهم ثم اتفقوا على ان الله أعلم بمدة لبثهم أو يكون القولان المتقدمان قول بعضهم والقول الثالث قول البعض الآخر (قوله بالتخفيف) أى تسكين الراء قالوا ذلك اشارة الى قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم وهذا اشارة الى ربكم أعلم بما لبثتم (قوله ويرد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده) الساكنان هما الراء والقاف المدغمة فى الكاف وانما كان على غير حده لان حد التقاء الساكنين أن يكون الاول حرف مد (قوله أو يصيروكم اليها كرها) فيه نظر فان المصير الى ملة الكفر كرها لا يوجب الكفر لان محل الايمان القلب فكيف يترتب عليه عدم الفلاح أبدا قلنا تصحيح ما ذكر يكون بان يثبت أن الاكراه فى ذلك الزمان لا يرفع الحرج فان ثبت صح كلام المصنف والظاهر أن المراد من يعيدوكم فى ملتهم انهم يحتالون أنواع الحيل حتى يجلب اليكم الكفر وهو يوجب عدم الفلاح أبدا (قوله وأن الساعة لا ريب فى امكانها) قد فسر قوله تعالى وعد الله حق بان البعث حق وفسر قوله تعالى ان الساعة آتية لا ريب فيها بانه لا ريب فى امكانها فحينئذ توجه ان بعد تحقق حقيقة البعث لا حاجة الى ذكر امكان البعث بعده بل حق النظم أن يقال لا ريب فى امكان الشئ ثم بعد ذلك يقال انه متحقق والذى وصل اليه فهمى

والله أعلم أن يقال ان المراد بقوله وعد الله حق ان كل ما وعد الله حق لان من قدر على البعث المذكور وهو بعث أصحاب الكهف بعد نومهم فهو فى غاية القدرة فكل ما وعده يكون متحققا البتة وحينئذ يكون قوله تعالى وان الساعة لا ريب فيها انه لا ريب فى تحققها فحينئذ يكون تخصيصا بعد تعميم وفيه بحث سيجىء (قوله فان من توفى الخ) لك أن تقول التوفى ممنوع لانه قال ان الله تعالى أنامهم والجواب أن المراد من التوفى ههنا الانامة كما قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها بقى أن يقال البعث من النوم ليس كاعادة الروح الى البدن المتفتت المنتشر اجزاؤه بل بينهما بون بعيد فكيف يدل الاول على الثانى وأما قول المصنف تبعا لصاحب الكشاف ان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث غير واف بحصول العلم بحقيقة الساعة لما بينهما من التفاوت العظيم كما

فان من توفى نفوسهم وأمسكها ثلثمائة سنين حافظا أبدانها عن التحلل والتفتت ثم أرسلها اليها قدر أن يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى أن يحشر أبدانهم فيردها عليها (اذ يتنازعون) ظرف لاعثرنا أى أعثرنا عليهم حين يتنازعون (بينهم أمرهم) أمر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين أنهما يبعثان معا أو أمر الفتية حين أماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم أول مرة أو قالت طائفة نبنى عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) وقوله ربهم أعلم بهم اعتراض امامن الله ردا على الخائضين فى أمرهم من أولئك المتنازعين أو من المتنازعين فى زمانهم أو من المتنازعين فيهم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو من المتنازعين للرد الى الله بعد ما تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام فى أنسابهم وأحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكى أن المبعوث لما دخل السوق وأخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا أخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك وأهل المدينة من مؤمن وكافر وأبصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك فى الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى أدخل أولا لئلا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا (سيقولون) أى الخائضون فى قصتهم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين (ثلاثة رابعهم كلبهم) أى هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا (ويقولون خمسة سادسهم كلبهم) قاله النصارى أو العاقب منهم وكان نسطوريا (رجما بالغيب) يرمون رميا بالخبر الخفى الذى لا مطلع لهم عليه واتيانا به أو ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبريل عليهما الصلاة والسلام وايماء الله تعالى اليه بان اتبعه قوله (قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل) واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان أثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر أقوال الطوائف فى الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع فى نحو هذا المحل دليل العدم

ذكرنا والذى يخطر لى والله أعلم انه يحتمل أن يكون المراد ان الله تعالى جعل الاطلاع على حال أصحاب الكهف من النوم الطويل فى السنين مع حفظ أبدانهم ثم انتباههم سببا لعلم المطلعين عليهم بحقية الساعة يعنى أنه تعالى حصل لهم العلم بحقية الساعة عند الاطلاع على حالهم وربط أحدهما بالآخر لما بينهما من التناسب وليس المراد ان العلم بحالهم لابد أن يكون مستلزما للعلم بحقيقتها (قوله ويتبين انهما يبعثان معا) فيه نظر اذ بعث الجسم عبارة عن تعلق الروح به وهذا المعنى غير ممكن فى الروح فلا يكون البعث بمعنى واحد متعلقا بهما بل بمعنيين مختلفين فلزم استعمال لفظ واحد فى محل واحد لمعنيين مختلفين وقد قال المصنف تبعا لصاحب الكشاف سابقا فى سورة النساء ان الكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين مختلفين عند جمهور الادباء والجواب ان المراد من البعث تصيير أحدهما على الحالة السابقة على الموت وهذا معنى واحد موجود فى الروح والجسد فالجسد صار على حالته السابقة على الموت من تعلق الروح به وكذا الروح صار على حالته السابقة على الموت من تعلقه بالبدن (قوله وكان يعقوبيا) اعلم ان أئمة النصارى كانت يعقوب ونسطور وملكا وكلهم ذهبوا الى الاقانيم أى الاصول الثلاثة الأب والابن وروح القدس المعبر بها عندهم عن الوجود والحياة والعلم وقالوا ان الله تعالى جوهر واحد وهو هذه الاقانيم الثلاثة ثم ان الملكانية قالت أقنوم العلم اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته بطريق الامتزاج كالحر بالماء وقالت النسطورية اتحدت بطريق الاشراق كما تشرق الشمس من كوة على بلور وقالت اليعقوبية اتحدت

بطريق الانقلاب لما وجد ما يحيث صار الاله هو المسيح (قوله مع ان الاصل ينفيه) فان الاصل في كل شئ العدم حتى يثبت بدليل وغيره (قوله بان أدخل الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة الخ) قال صاحب المغني الواو بهذا المعنى أي التأكيد والاثبات المذكورين أثبتها الزمخشري ومن قلده وحملوا على ذلك مواضع الواو وفيها كلها واو الحال نحو وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وسبعة وثامنهم كلبهم والمسوغ لمجيء الحال من النكرة في هذه الآيات امتناع الوصفية اذ الحال متى امتنع كونها صفة جاز مجيئها من النكرة وهذا جاءت منها عند تقدمها عليها نحو في الدار قائم رجل وعند جودها نحو وهذا خاتم حديد والمانع للوصفية في الآيات اقترانها بالواو انتهى كلامه واذا ثبت جواز الحال عن النكرة بالشرط المذكور ولا حاجة الى القول بالوصفية مع الواو والمشعر بعدمها قال الرضي الاعرف مجيء نعت النكرة المقطوع بالواو الدال على القطع والفصل اذ ظاهر النكرة يحتاج الى الوصف فلك القطع نحرف هو نص في القطع أعني الواو كقول الشاعر * ويأوي الى نسوة عطل وشعثا * انتهى كلامه وحينئذ نقول اما أن يكون الواو مشعرا بانقطاع ما بعدها مما قبلها أو مشعرا باتصاله به وعلى الاول ضعف قول الزمخشري وعلى الثاني ضعف قول الرضي وغيره من النحاة فتأمل (قوله من غير تجهيل لهم والرد عليهم) المراد عدم التصريح بالتجهيل والرد والا فالتجهيل والرد يحصلان بان يقص القرآن عليهم لانه يعلم منه ما ذكر (قوله لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد الخ) فيكون المعنى انى فاعل ذلك الا أن يشاء الله ان أفعله فلزم منه انه ان شاء الله فعله لم يفعل وهذا غير سديد كما لا يخفى وان كان المعنى الا أن يشاء الله عدم فعلى لا يناسبه النهي بل لا وجه للنهي عنه وهذا معنى قوله واستثناء اعتراضها دونه الخ أي اعتراض المشيئة متجاوز عن الفعل بان

مع أن الاصل ينفيه ثم رد لاوّلين بان أتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان أدخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا من المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت وعن علي رضي الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم وأسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشليثينا هؤلاء أصحاب يمين الملك وهم نوش ودبرنوش وشاذنوش أصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم (فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا) فلا تجادل في شأن الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن نقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما أوحي اليك لمندوحة عن غيره مع أنه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسؤل وتزييف ما عنده فانه مخل بمكارم الاخلاق (ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله) نهى تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي أي ولا تقولن لاجل شئ تعزم عليه انى فاعله فيما يستقبل الا بأن يشاء الله اى الملتبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله أو الا وقت أن يشاء الله أن تقوله بمعنى أن يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي (واذكر ربك) مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي أنه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله (اذا نسيت) اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب

يتعلق بعدمه أي لو جعل الاستثناء على استثناء ما نعية ارادة الله تعالى لفعله بان يشاء الله عدم فعله كان هذا الاستثناء لا يناسب النهي (قوله ولو بعد سنة ما لم يحنث) أي لو قال لم أفعل ذلك ولم يقل ان شاء الله متصلا فيمكن أن يقول ولو بعد سنة ما لم يحنث أي ما لم يخالف ما ذكر بان يفعل (قوله لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق) لانه لو صح الاستثناء متى شاء المقر أو المطلق أو المعتق فله أن يقول في كل زمان ان شاء الله فاذا قال بطل ما قال سابقا من الاقرار والطلاق والعتاق فاذا قال زيد ممثلا لفلان علي كذا فلو كان للمقر أن يقول ان شاء الله متى شاء لم يثبت الاقرار لانه اذا قال الاستثناء بطل الاقرار وقس عليه الطلاق والعتاق (قوله ولم يعلم صدق ولا كذب) عدم العلم بالكذب ظاهر لانه اذا قال زيد افعل كذا غدا فلم يفعل لم يظهر كذبه اذ يمكن أن يقول غرضي الفعل ان شاء الله وأما عدم العلم بالصدق ففيه نظر لانه اذا قال افعل كذا غدا وفعل علم الصدق والجواب أنه اذا جوز ما ذكر وهو ذكر الاستثناء في أي وقت كان لم يعلم صدق المخبر فيما ذكر ولا كذبه مثلا اذا قال زيد بمر وقائم ولم يعلم صدقه ولا كذبه فيما ذكر وهو قوله عمرو قائم لانه يجوز أن يكون مراده ان شاء الله فيكون كلامه قضية متعلقة في الحقيقة وهو ان شاء الله عمرو قائم وعلى هذا لا يكون في عمرو قائم حكم كما قرر في المنطق

من أن كل واحد من طرفى الشرطية ليس فيه حكم واذا لم يكن فيه حكم لم يكن خبرا ولم يمكن اتصافه بالصدق ولا بالكذب فليتأمل (قوله وليس فى الآية والخبر) أى ليس فيهما أن الاستثناء الذى هو ان شاء الله متدارك به على القول السابق وهو قوله عليه السلام ائتونى غدا أخبركم لان ان شاء الله المذكور فى الحديث ليس متداركا به عن القول بالاخبار عن أصحاب الكهف وغيرهم المذكور فى السؤال عنهم من النبى صلى الله عليه وسلم بل هو استثناء عن شئ مقدر التقدير كلما نسيت ذكر الله اذكره حين التذكر ان شاء الله والغرض من هذا الكلام وهو قوله وليس فى الآية الخ دفع الاستدلال على جواز تأخير الاستثناء كما هو مذهب ابن عباس وتوضيحه ان الاستثناء الواقع فى الحديث وهو قوله عليه السلام بعد نزول الآية ان شاء الله استثناء على القول السابق وهو قوله عليه السلام ائتونى غدا أخبركم فكان هذا دليلا على جواز تأخير الاستثناء لان هذا الاستثناء وقع بعد أيام كثيرة فاجاب بقوله وليس فى الآية الخ (قوله كقصص الانبياء) هى معجزة بالنسبة الى من كان فى عصره وغيره والاخبار بالغيوب

وليس فى الآية والخبر أن الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة فى الحث عليه أو اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما أمرك به ليبعثك على التدارك أو اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى (وقل عسى أن يهدين ربى) يدلنى (لاقرب من هذا رشدا) لاقرب رشدا وأظهر دلالة على أنى نبى من نبا أصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه أيامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة فى الاعصار المستقلة الى قيام الساعة أو لاقرب رشدا وأدنى خيرا من المنسى (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) يعنى لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما أجمل قبل وقيل انه حكاية كلام أهل الكتاب فانهم اختلفوا فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائى ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا أن علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وأن الاصل فى العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف أبدل السنين من ثلثمائة (قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض) له ما غاب فيهما وخفى من أحوال أهلهما فلا خلق يخفى عليه علما (أبصر به وأسمع) ذكر بصيغة التعجب للدلالة على أن أمره فى الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شئ ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفى وجلى والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان أصله أبصر أى صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياق الصيغة له أو لزيادة الباء كما فى قوله تعالى وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل أحد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة (ما لهم) الضمير لاهل السموات والارض (من دونه من ولى) من يتولى أمورهم (ولا يشرك فى حكمه) فى قضائه (أحدا) منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب

المستقبلة معجزة بالنسبة الى الجائين بعده الناظرين لها (قوله على وضع الجمع موضع الواحد الخ) أى لفظ مائة يضاف الى المفرد فاضافته الى الجمع ههنا وهو سنين لجعله بمنزلة المفرد ويؤيده ما ذكر واعلم ان المصنف لم يذكر فائدة قوله تعالى وازدادوا تسعا مع انه يمكن أن يقال هذا المعنى باخصر مما ذكر وهو ان يقال ثلثمائة وتسع سنين وذكروا فيه أمرين أحدهما ان فوت العبارة عن هذا الوجه الى ما فى القرآن للاشارة الى أن مدة لبثهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا اذا اعتبرت ثلثمائة سنين قمرية لان التفاوت بين ثلثمائة سنين شمسية وثلثمائة سنين قمرية تسع سنين قمرية ودلالة اللفظ على هذا المعنى غير ظاهرة الثانى بالتاء انهم لما استكملوا ثلثمائة سنين قرب أمرهم من الانتباه ثم اتفق ما أوجب ابقاءهم فى النوم بعد ذلك تسع سنين والاولى أن يقال يحتمل انهم انتبهوا زمانا قليلا ثم ارادوا النوم فناموا تسع سنين وحينئذ ظهر نسبة الازدياد (قوله تعالى قل الله أعلم بما لبثوا) فان قيل قد قال الله تعالى ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين فبعد ذلك علم الخلق مدة لبثهم بالتعيين فما وجه قوله تعالى قل الله أعلم بما لبثوا قلت يمكن الجواب من وجوه أحدها انه يمكن أن يكون مدة لبثهم ما ذكر تحقيقا ويمكن أن تكون تقريبا فالله أعلم بمدة لبثهم اذ تحقق عنده انه على أى وجه ولم يتحقق عند غيره الثانى ان السنين يمكن أن تكون شمسية ويمكن أن تكون قمرية والله أعلم بذلك على التحقيق دون غيره الثالث ان التسعة الزائدة ظاهره أن تكون سنين لكن يحتمل أن تكون غيرها بل شهورا وأياما والله عالم بذلك على التعيين (قوله لعدم سياق الصيغة له) لان صيغة أمر المخاطب لا يستتر فيه ضمير الغائب (قوله والفاعل ضمير الامور الخ) الغرض ان معنى التركيب فى الاصل ما ذكر وان كان معناه فى الحال غيره بل هو بمعنى التعجب

(قوله أمره ان يلازم درسه و يلازم أصحابه) فيه ان الشرط المذكور ستلزم للمعطوف عليه دون المعطوف فتأمل و يمكن أن يقال لما دل ماذكر على أن القرآن معجزوعلى انه صلى الله عليه وسلم نبي ثبت وظهر نبوته فلا حاجة الى ارضاء الاغنياء وامالة قلوبهم بان يطرد أصحابه الفقراء فلذا أمر بدرس القرآن وملازمة الاصحاب (قوله لتضمنه معنى نبأ) من النبو (قوله حال من الكاف في المشهورة) كذا في الكشاف وهذا خلاف القاعدة المشهورة ان الحال يجب أن تكون من الفاعل أو المفعول به الا أن يقال ان المضاف اليه المذكور يمكن أن يجعل فاعلا بتغيير التركيب او ايراد مرادمقامه فتأمل (قوله بقوله واتبع هواه وجوابه مامر) تمسك المعتزلة بان الاغفال ليس بالمعنى الذى اعتبره أهل السنة بوجهين الاول أن الاغفال لو كانت صادرة من الله تعالى لم صح منه مؤاخذة العبد بها الثاني صدور الاغفال بالمعنى المذكور أولا من الله تعالى بناءفي أن يكون اتباع الهوى من العبد بل يكون أيضا من الله تعالى تبعا للاغفال والجواب عن الاول مامر من أن الله تعالى مالك الملك على الاطلاق يفعل مايشاء لايقبح منه شئ ولا يتصور منه الظلم فله أن يغفل قلب العبد ثم يؤاخذه بالغفلة وعن الثاني أن نسبة اتباع الهوى الى العبد ليس بمعنى أن العبد موجده الحقيقي بل باعتبار كونه مظهرا له (قوله باسناد الفعل الى القلب) أي برفع القلب حتى يكون هو الفاعل لاغفلنا (قوله خبر محذوف) والتقدير الموحي اليك الحق كائنا من ربكم فيكون من ربكم حالا من الضمير المستتر

بالتاء والجزم على نهي كل أحد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة أصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم على انه وحي معجز أمره أن يداوم درسه و يلازم أصحابه فقال (واتل ماأوحي اليك من كتاب ربك) من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله (لامبدل لكلماته) لاأحد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره (ولن تجد من دونه ملتحدا) ملتجأ تعدل اليه ان هممت به (واصبر نفسك) واحبسها وثبتها (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) في مجامع أوقاتهم أوفي طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه أن غدوة علم في الاكثر فتكون اللام فيه على تأويل التنكير (يريدون وجهه) رضا الله وطاعته (ولا تعد عيناك عنهم) ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من أعداه وعداه والمراد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم أن يزدري فقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طمو حا الى طراوة زي الاغنياء (تريد زينة الحيوة الدنيا) حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها (ولا تطع من أغفلنا قلبه) من جعلناقلبه غافلا (عن ذكرنا) كأمية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لسناد بدقريش وفيه تنبيه على أن الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه أن الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وأنه لو أطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما عاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل أجبته اذا وجدته كذلك أو نسبته اليه أو من أغفل ابله اذا تركها بغير سمة أي لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على أن المراد ليس ظاهر ماذكر أولا بقوله (واتبع هواه) وجوابه مامر غير مرة وقرئ أغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة (وكان أمره فرطا) أي تقدما على الحق ونبذا وراء ظهره يقال فرس فرط أي متقدم للخيل ومنه الفرط (وقل الحق من ربكم) الحق مايكون من جهة الله لا مايقتضيه الهوى ويجوز أن يكون الحق خبر مبتدا محذوف ومن ربكم حالا (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) لاأبالي بايمان من آمن ولا كفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته (انا أعتدنا) هيأنا (للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها) فسطاطها شبه به مايحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار (وان يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله * فاعتصبوا بالصبر * (يشوي الوجوه) اذا قدم اليشرب من فرط حرارته وهو صفة

في الموحى (قوله فانه وان كان بمشيئته الخ) يعني أن الايمان والكفر وان كان بمشيئته أي مشيئة العبد فمشيئة الايمان أو الكفر ليست بمشيئته بل بمشيئة الله تعالى وفي هذا الكلام نظر اذ يفهم منه أن العبد بعد ان أوجد الله فيه مشيئة الايمان مثلا كان موجدا له بمشيئته وهو خلاف الواقع و يمكن أن يقال معناه انه وان فرض أن فعل العبد بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته و يمكن أيضا أن يقال ان للمشيئة دخلا في فعله اطريق الكسب لا بطريق الخلق (قوله وهو على طريقة فاعتصبوا بالصبر) قال في الصحاح اعتصبي فلان بمعنى أرضاني والصبر الداهية فيكون المعنى ارضوا بالداهية فيكون تهكما

(قوله والضمير في كالمهل) أي يشوي إليه المهل (قوله وهو بعيد لفظا) فيه وجهان (قوله مرتفق) اذ لا ارتفاق لاهل النار (قوله والارتفاق) الاتكاء (قوله أو موقع موقعه ظاهر) أي وقع الراجع في المنتهى موقع ظاهر هو من حسن عملا لانه متعلق الذين آمنوا وعملوا الصالحات (قوله أولئك لهم جنات) عطف على قوله هي غاية أي خبر الاولى وهو قوله تعالى ان الذين آمنوا الا يضيع الخ أولئك لهم جنات (قوله بين الموعدين) أي الجمع بين موعدين من حسن واحد دال على حصولهما لتشبهه الاعين ولك أن تقول ان أريد حصول كل من الشبهين لا كل واحد لاعين فهو ظاهر لازم عدد كروان أريد حصول بعضهما فيهما حصل في الكل واحد من موعدين من غير الجمع بينهما لانه يقال ان لاشياء أنواع جنس واحد يدل على اشياء أنواع الاجناس فتأمل (قوله ولو فرادا الخ) أي يرد به دفع توهم ان التثنية مع ما ذكر سابقا ان لاحد الجنتين تنبيه على ما ذكر دفعه اشارة الى أن بين كل جنة واحدة فتأمل

(وحسنت مرتفقا) تمييز محول عن الفاعل أي حسن مرتفقهم (قوله وهو بعيد لفظا) فيه وجهان (قوله أو موقع موقعه ظاهر) أي وقع الراجع في المنتهى موقع ظاهر هو من حسن عملا لانه متعلق الذين آمنوا وعملوا الصالحات (قوله أولئك لهم جنات) عطف على قوله هي غاية أي خبر الاولى وهو قوله تعالى ان الذين آمنوا الا يضيع الخ أولئك لهم جنات (قوله بين الموعدين) أي الجمع بين موعدين من حسن واحد دال على حصولهما لتشبهه الاعين ولك أن تقول ان أريد حصول كل من الشبهين لا كل واحد لاعين فهو ظاهر لازم عدد كروان أريد حصول بعضهما فيهما حصل في الكل واحد من موعدين من غير الجمع بينهما لانه يقال ان لاشياء أنواع جنس واحد يدل على اشياء أنواع الاجناس فتأمل (قوله ولو فرادا الخ) أي يرد به دفع توهم ان التثنية مع ما ذكر سابقا ان لاحد الجنتين تنبيه على ما ذكر دفعه اشارة الى أن بين كل جنة واحدة فتأمل

(وحسنت مرتفقا) تمييز محول عن الفاعل أي حسن مرتفقهم (قوله وهو بعيد لفظا) فيه وجهان (قوله أو موقع موقعه ظاهر) أي وقع الراجع في المنتهى موقع ظاهر هو من حسن عملا لانه متعلق الذين آمنوا وعملوا الصالحات (قوله أولئك لهم جنات) عطف على قوله هي غاية أي خبر الاولى وهو قوله تعالى ان الذين آمنوا الا يضيع الخ أولئك لهم جنات (قوله بين الموعدين) أي الجمع بين موعدين من حسن واحد دال على حصولهما لتشبهه الاعين ولك أن تقول ان أريد حصول كل من الشبهين لا كل واحد لاعين فهو ظاهر لازم عدد كروان أريد حصول بعضهما فيهما حصل في الكل واحد من موعدين من غير الجمع بينهما لانه يقال ان لاشياء أنواع جنس واحد يدل على اشياء أنواع الاجناس فتأمل (قوله ولو فرادا الخ) أي يرد به دفع توهم ان التثنية مع ما ذكر سابقا ان لاحد الجنتين تنبيه على ما ذكر دفعه اشارة الى أن بين كل جنة واحدة فتأمل

(قوله لانه أصل مادته أو مادة أصله) أما الاول فلان مادة الشخص النطفة والنطفة حصلت من الغذاء وهو حاصل من التراب وأما الثانى فلان أصل النوع الانسانى آدم وهو من التراب (قوله لان منشأه الشك فى كمال قدرة الله تعالى) لايخفى أن الكفر بالبعث وهو انكار ليس منشؤه الشك فى كمال قدرته تعالى اذ انكار البعث عبارة عن نفى تحققه ولايلزم من نفيه نفى القدرة عليه اذ كثير من الاشياء التى تحت قدرة القادر غير موجودة فان قيل لعل نفيه للبعث لانه نفى قدرته تعالى عليه قلنا لو سلم هذا لايلزم الشك فى كمال القدرة اذا علم اعتقد أن البعث ممتنع وعدم القدرة على الممتنع لاينافى كمال القدرة وفيه انه لما يقدر على البداءة فبأدنى تأمل يعلم قدرته على الاعادة فان شك فى امكانه نفى القدرة اذ امكانه يعلم بأدنى تأمل والاولى أن يقال انه علم كفره بشئ آخر هو شركه كما أخبر عنه تعالى بما سيجئ من قوله ولم أشرك بربى أحدا (قوله ظهر البطن) مفعول مطلق أى يقلب كفيه تقليبا حاصلا (قوله أو حال من ضميره) فان قيل الفعل المضارع المثبت اذا وقع حالا لم تدخل الواو عليه قلنا ههنا مقدر والتقدير وهو يقول (قوله ويحتمل أن يكون توبة من الشرك) فان قيل بل هو توبة منه البتة لان التوبة من الشرك هو الندم عليه وهو المفهوم من ياليتنى لم أشرك لا يقال لايكفى الندم فى التوبة بل العزم على ان لايعود لانا نقول من ندم على المعصية من حيث كونها معصية لابد أن يكون عازما على تركها كما صرح به صاحب المواقف ووافقه شارحه بل يقال القول المذكور دال على الندم على الشرك لكن لايكفى مجرد هذا فى التوبة بل لابد من الندم على المعصية من حيث كونها معصية ولعدم ندم القائل المذكور على الشرك لا لكونه معصية بل لانه يفضى الى هلاك ماله و بستانه ولما كان هذا الاحتمال ثابتا لم يجزم المصنف بان هذا القول توبة منه بل قال يحتمل الخ (قوله لتقدمه) أى لتقدم الفعل على المسند اليه المؤنث لان

لانه أصل مادتك أو مادة أصلك (ثم من نطفة) فانها مادتك القريبة (ثم سواك رجلا) ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك فى كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر أن يعيده منه (لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا) أصله لكن أنا فحذفت الهمزة بنقل الحركة أو دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر و يعقوب فى رواية بالالف فى الوصل لتعويضها من الهمزة أو لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن أنا على الاصل وهو ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبرأنا أو ضمير الله والله بدله و ربى خبره والجملة خبر أنا والاستدراك من أكفرت كأنه قال أنت كافر بالله لكنى مؤمن به وقد قرئ لكن هو الله ربى ولكن أنا لاله الا هو ربى (ولولا اذ دخلت جنتك قلت) وهلا قلت عند دخولها (ماشاء الله) الامر ماشاء الله أو ماشاء الله كائن على أن ما موصولة أو أى شئ شاء الله كان على أنها شرطية والجواب محذوف اقرارا بأنها وما فيها بمشيئة الله ان شاء أبقاها وان شاء أبادها (لاقوة الا بالله) وقلت لاقوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير أمرها فبمعونته واقداره وعن النبى صلى الله عليه وسلم من رأى شيأ فأعجبه فقال ماشاء الله لاقوة الا بالله لم يضره (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا) يحتمل أن يكون أنا فصلا وأن يكون تأكيدا للمفعول الاول وقرئ أقل بالرفع على أنه خبر أنا والجملة مفعول ثان لترنى وفى قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد (فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك) فى الدنيا أو فى الآخرة لايمانى وهو جواب الشرط (و يرسل عليها) على جنتك لكفرك (حسبانا من السماء) مرامى جمع حسبانة وهى الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها أو عذاب حساب الاعمال السيئة (فتصبح صعيدا زلقا) أرضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها وأشجارها (أو يصبح ماؤها غورا) أى غائرا فى الارض مصدر وصف به كالزلق (فلن تستطيع له طلبا) للماء الغائر تردد فى رده (وأحيط بثمره) وأهلك أمواله حسبما توقعه صاحبه وأنذره منه وهو مأخوذ من أحاط به العدو فانه اذا أحاط به غالبه واذا غلبه أهلكه ونظيره أتى عليه اذا أهلكه من أتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم (فأصبح يقلب كفيه) ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا (على ما أنفق فيها) فى عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل فأصبح يندم أو حال أى متحسرا على ما أنفق فيها (وهى خاوية) ساقطة (على عروشها) بأن سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها عليها (و يقول) عطف على يقلب أو حال من ضميره (ياليتنى لم أشرك بربى أحدا) كانه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه أتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه و يحتمل أن يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه (ولم تكن له فئة) وقرأ حمزة والكسائى بالياء لتقدمه (ينصرونه) يقدرون على نصره

بل من الجن وادخاله فى الملائكة تغليب (قوله والفاء للسبب) يعنى هى مشعرة بان كونه من الجن سبب لفسقه عن أمر ربه و يرد عليه انه اذا كانت الجنية سببا للفسق عن أمر الرب فلابد ان كل جنى كذلك لكنهم كالانس بعضهم مطيع و بعضهم عاص كما علم من الاخبار الواردة فى حالهم والجواب ان من شأن الجن الفسق لكن بعضهم بعصمه الله بعنايته به و يمكن ان يقال ان الجن على طباع مختلفة فشأن بعضهم الطاعة وشأن بعض آخر التمرد والطغيان وابليس كان من هذا الصنف فيكون معنى قوله تعالى كان من الجن كان من المتمردين بقرينة تمرده وطغيانه (قوله أعقيب ماوجد منه الخ) هذا التعقيب مستفاد من الفاء (قوله وسماهم ذرية مجازا) أى سمى الاتباع ذرية على سبيل المجاز (قوله وابليس وذريته) مخصوص بالذم (قوله ردّا لاتخاذهم أولياء من دون الله شركاء الخ) فان قيل لم يعبد أحد ابليس وذريته قلنا عبادته الاصنام فى الحقيقة عبادة الشيطان (قوله فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية) فان العبادة غاية الخضوع وغاية الخضوع لاتنبغى لغير الخالق والازم استواء الخالق وغير الخالق فى غاية الخضوع والعقل يشهد بانه خطأ (قوله والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها) أى الاشتراك فى استحقاق العبادة يستلزم الاشتراك فى الخالقية (قوله والمعنى ما أشهدتهم خلق ذلك الخ) فيه ان المذكور فى القرآن نفى أمرين خاصين وهو نفى احضارهم خلق السموات والارض وخلق أنفسهم ولا يلزم من نفى الخاص نفى العام وهو نفى اختصاصهم ببعض العلوم والذى يلوح لى والله أعلم انه تعالى قال ما أحضرت المشركين خلق شئ من السموات والارض وما اعتضدت بهم فى خلق هذه الأمور العظام التى منها السموات التى فى غاية العظم الدالة على نهاية القدرة والغلبة فبالحرى ان لا اعتضد بهم فى تقرير الدين الذى هو أهون من خلق تلك الامور بمراتب لاتحصى (قوله من كل جنس يحتاجون اليه) ولا يلزم منه ذكر كل شئ من الاشياء فى القرآن (قوله تعالى وكان الانسان أكثر شئ جدلا) فان قيل ماوجه ربط هذا الكلام بقوله تعالى ولقد صرفنا الخ قلنا ربطه انه مع انا نورد فى القرآن كل ما يحتاجون اليه ونبين بيانا شافيا فيه يجادلون فيه ويخوضون فى الباطل (قوله يتأتى منه الجدل) صفة شئ وكلمة قيل أكثر شئ يتأتى منه الجدل (قوله لاطاب أوانتظار الخ) الطاب والانتظار اما حقيقتان بان يطلبوا العذاب عنادا

لحذف

والفاء للسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصى البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا فى أصله والكلام المستقصى فيه فى سورة البقرة (أفتتخذونه) أعقيب ماوجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب (وذريته) أولاده أو اتباعه وسماهم ذرية مجازا (أولياء من دونى) فتستبدلونهم بى فتطيعونهم بدل طاعتى (وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) من الله تعالى ابليس وذريته (ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) نفى احضارا بليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفى الاعتضاد بهم فى ذلك كما صرح به بقوله (وما كنت متخذ المضلين عضدا) أى أعوانا ردّا لاتخاذهم أولياء من دون الله شركاء له فى العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما أشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا فى نصرتهم للدين فانه لا ينبغى لى أن أعتضد بالمضلين لدينى و بعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا لكم جمع عاضد من عضده اذا قواه (و يوم يقول) أى الله تعالى للكافرين وقرأ حمزة بالنون (نادوا شركائى الذين زعمتم) أنهم شركائى وشفعاؤكم ليمنعوكم من عذابى واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته (فدعوهم) فنادوهم للاغاثة (فلم يستجيبوا لهم) فلم يغيثوهم (وجعلنا بينهم) بين الكفار وآلهتهم (موبقا) مهلكا يشتركون فيه وهو النار أو عداوة هى فى شدتها هلاك كقول عمر رضى الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان أو مصدر من و بق يو بق و بقا اذا هلك وقيل البين الوصل أى وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا يوم القيامة (و رأى المجرمون النار فظنوا) أيقنوا (أنهم مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) انصرافا أو مكانا ينصرفون اليه (ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل) من كل جنس يحتاجون اليه (وكان الانسان أكثر شئ) يتأتى منه الجدل (جدلا) خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز (وما منع الناس أن يؤمنوا) من الايمان (اذ جاءهم الهدى) وهو الرسول الداعى والقرآن المبين (و يستغفروا ربهم) ومن الاستغفار من الذنوب (الا أن تأتيهم سنة الاولين) الاطلاب أو انتظار أو تقدير أن تأتيهم سنة الاولين وهى الاستئصال

كما حكى الله تعالى عنهم بقوله جل وعلا واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم واما مجازا بان يستعمل الانتظار والطلب بمعنى الاستحقاق والاستعداد (قوله وتذكير الضمير وافراده للمعنى) أى تذكير مفعول يفقهوه وافراده مع انه راجع الى الآيات للمعنى أى لئلا تأويلها (٢٢٩) بالقرآن أو بالوحى (قوله البليغ المغفرة) مستفاد من صيغة الغفور وقوله استشهاد على ذلك) أى على كونه تعالى موصوفا بالرحمة بالمهال قريش فانه تعالى لولم يكن موصوفا بها لم يمهل قريشا مع شركهم وفرط عداوتهم لرسوله (قوله أو مفعول مضمر مفسر) يعنى مفعول أهلكناهم المضمر المفسر باهلكناهم (قوله ولابد من تقدير مضاف فى أحدهما الخ) أى لابد من تقدير مضاف بان يقال المعنى أهل تلك القرى (قوله لاهلاكهم وقتا معلوما الخ) جعل المهلك مصدر المعنى الاهلاك وهو على قراءة غير عاصم فانهم قرؤا بضم الميم وفتح اللام على ان يكون مصدرا على زنة المفعول (قوله حتى أبلغ مجمع البحرين من حيث الخ) عطف على حاله أى لا زالة حاله ولا زالة قوله فان حتى تدل على الغاية وهى تستدعى ذا غاية (قوله ويجوز أن يكون أصله الخ) الباعث على هذا التكلف ان البراح هو الزوال وهو غير مسند الى موسى بل الى سيره فى الحقيقة فاسناده اليه على ما هو الظاهر يستدعى تكلفا وقوله فانقلب الضمير والفعل معناه انقلب ضمير المتكلم البارز الى المستتر وانقلب فعل الغائب الى المتكلم (قوله فلا يستدعى الخبر) لان لا يزول ليس من الافعال التى تستدعى خبرا (قوله على الشذوذ من يفعل الخ) أى المجمع بكسر الميم من يجمع بفتح الميم شاذ كما ان المشرق والمطلع بكسر الراء واللام من يشرق ويطلع بضمهما شاذان وعبارة

حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (أو يأتيهم العذاب) عذاب الآخرة (قبلا) عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه أو جمع قبيل بمعنى أنواع وقرئ بفتحتين وهو أيضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على الحال من الضمير أو العذاب (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) للمؤمنين والكافرين (ويجادل الذين كفروا بالباطل) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة أصحاب الكهف ونحوها تعنتا (ليدحضوا به) ليزيلوا بالجدال (الحق) عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما أنتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة ونحو ذلك (واتخذوا آياتى) يعنى القرآن (وما أنذروا) وانذارهم أو والذى أنذروا به من العقاب (هزوا) استهزاء وقرئ هزأ بالسكون وهو ما يستهزأ به على التقدير بن (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) بالقرآن (فأعرض عنها) فلم يتدبرها ولم يتذكر بها (ونسى ما قدمت يداه) من الكفر والمعاصى ولم يتفكر فى عاقبتها (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) تعليل لاعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى (وفى آذانهم وقرا) يمنعهم أن يستمعوه حق استماعه (وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا) تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله مالى لا أدعوهم فان حرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم يدل عليه (وربك الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر أو يوم القيامة (ان يجدوا من دونه موئلا) منجا ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا وأل اليه اذا لجأ اليه (وتلك القرى) يعنى قرى عاد وثمود وأضرابهم وذلك مبتدأ خبره (أهلكناهم) أو مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولابد من تقدير مضاف فى أحدهما ليكون مرجع الضمائر (لما ظلموا) كقريش بالتكذيب والمراء وأنواع المعاصى (وجعلنا لمهلكهم موعدا) لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبر وا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ أبو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام أى لهلاكهم وحفص بكسر اللام جلا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض (واذ قال موسى) مقدر باذكر (لفتاه) يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده (لا أبرح) أى لا أزال أسير فحذف الخبر لدلالة الحال وهو السفر وقوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) من حيث انها تستدعى ذا غاية عليه ويجوز أن يكون أصله لا يبرح مسيرى حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وأن يكون لا أبرح هو بمعنى لا أزول مما ائا عليه من السير والطلب ولا أفارقه فلا يستدعى الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق وعند لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر عليهما الصلاة والسلام فان موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع (أو أمضى

الكشاف وهو فى الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل (قوله حتى أبلغ الان أمضى) فيكون أو بمعنى الا كما فى قوله لالزمنك أو تعطينى حقى والمعنى لم أزل ملتبسا بالمشى الى أن اديركه اذ كان المعنى حتى الى ان أمضى حقبا وهو غير صحيح لاجتماع حرفين للغاية وان كان متعلقا بقوله لا أبرح كان المعنى لا أبرح أسير الى أن أمضى حقبا فكان جزما بسير الحقب وهو مناف لقوله تعالى حتى أبلغ مجمع البحرين (قوله فوات الجمع) أى فوات الجمع ليعتد بانه لا يحصل الجمع (قوله يبتغى علم الناس الى علمه) أى يطلب انضمام علم الناس الى علمه (قوله وبينهما ظرف أضيف اليه الخ) بان يخرج الظرف عن الظرفية فصار المعنى محل جمع بينهما أو يكون بمعنى الموصل فيصير المعنى محل جمع وصلا بينهما وفيه انه يكفى أن يقال محل اجتماع بهما أو محل وصلهما ولا يلائم اجتماع الجمع والوصل ولذا لم يذكر صاحب الكشاف هذا الوجه (قوله وقيل نسيا فتفقد أمره ومايكون منه الخ) أى نسيا ان يترصدا حال الحوت فى ذلك الوقت وينتظرا حصول مايكون فوزا بالمطلوب الذى هو التقاء الخضر (قوله فصار كالطاق) أى حصل فى الماء جوف خال كالسرب فى الارض سكن فيه الحوت (قوله وانما نسب الى الشيطان الخ) فيه انه يلزم من كلا الوجهين الكذب وهو لا يناسب بيانا مرسلا ولا ضرورة الى اثبات التجوز والتكلف ولو كان القول منه على ماذكره المصنف لوجب أن يكون بدله أن يقول ولم أستطع تذكره فان فيه أيضا هضما للنفس مع الاختصار (قوله تلك والمفعول الثانى هو الظرف) هذا على التقدير الثانى اذ عليه عجبا صفة للمفعول المطلق المحذوف فوجب أن يكون الظرف مفعولا ثانيا اذ ليس شئ آخر يصح ان يكون كذلك (قوله وقيل هو مصدر فعله المضمر) فيكون التقدير عجبت تعجبا من تلك الحالة (قوله أى قال فى آخر كلامه عجبا) اى هذا اللفظ لتعجبه من تلك الاية

حقبا) أو أسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع أو مضى الحقب أو حتى أبلغ الا أن أمضى زمانا أتيقن معه فوات الجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روى أن موسى عليه الصلاة والسلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل أعلم منك عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر فى أيام افريدون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى أيام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك أعلم منى فادلنى عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيثما فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان (فلما بلغا مجمع بينهما) أى مجمع البحرين وبينهما ظرف أضيف اليه على الاتساع أو بمعنى الوصل (نسيا حوتهما) نسى موسى عليه الصلاة والسلام أن يطلبه ويتعرف حاله ويوشع أن يذكره مارأى من حياته ووقوعه فى البحر روى أن موسى عليه السلام رقد فاضطرب الحوت المشوى ووثب فى البحر معجزة لموسى أو الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء وقيل نسيا تفقد أمره ومايكون منه مارة على الظهر بالمطلوب (فاتخذ سبيله فى البحر سربا) فاتخذ الحوت طريقه فى البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل أمسك الله تعالى جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثانى وفى البحر حال منه أو من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ (فلما جاوزا) مجمع البحرين (قال لفتاه آتنا غداءنا) ماتتغدى به (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر ألقى عليه الجوع والنصب وقيل لم يحس موسى فى سفر غيره ويؤيده التقييد بامس الاشارة (قال أرأيت اذ أوينا) أرأيت مادهانى اذ أوينا (الى الصخرة) يعنى الصخرة التى رقد عندها موسى وقيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت (فانى نسيت الحوت) فقدته أو نسيت ذكره بما رأيته منه (وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) أى وما أنسانى ذكره الا الشيطان فان أن أذكره بدل من الضمير وقرئ أن أذكره وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة أمثالها عند موسى وألفها قل اهتمامها ولعله نسى ذلك لاستغراقه فى الاستبصار والتجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه أو لان عدم احتمال القوة للجائن واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من نقصان (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب أو اتخاذا عجبا والمفعول الثانى هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر أى قال فى آخر كلامه أو موسى فى جوابه عجبا من

(قوله مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا الخ) فان قيل فيه ان كل علم لا يعلم الا بتوفيق الله تعالى فالاولى ان يقال هو علم يختص به تعالى لا يعرفه الا من اصطفاه الله تعالى من عباده قلنا هذا السؤال انما يرد اذا كان التوفيق بتقديم الفاء على القاف وأما اذا كان بالعكس وهو الواقع ههنا فلا يرد لان المراد مما لا يعلم الا بتوفيق الله ما لا يحصل بالكسب ولا يكون تحت اختيار الشخص (قوله وهو في موضع الحال من الكاف) والتقدير كائنا على شرط تعليمك اياى (قوله ومفعول علمت العائد المحذوف) لان التقدير ما علمته (قوله وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد الخ) وهوان يكون علم بمعنى عرف (قوله ويجوز ان يكون رشدا علة لاتبعك) أى يكون رشدا مفعولا له لاتبعك فان الاتباع والرشد وهو الاهتداء الى الخير فعلا فاعل واحد (قوله على وجوه من التأكيد) أحدها ايراد الجملة الاسمية الثانى ايراد ان عليها الثالث ايراد لن على الفعل فانه يفيد التأكيد كما صرح به الزمخشري في الكشاف وتبعه الرضي وقال صاحب المغني كون لن للتأكيد دعوى بلا دليل (قوله على ما تتولى) متعلق بقوله كيف تصبر أى كيف تصبر على ما تتولى وأنت نبي (قوله وتعليق الوعد بالمشيئة الخ) لما كان كل أمر لا يكون وقوعه الا بمشيئة الله تعالى لا يحتاج الوعد المذكور الى ذكر التعليق بالمشيئة لانه معلوم انه متعلق به فالتصريح بالتعليق لا بد ان يكون لنكتة هي ما ذكر والتيمن ظاهر وأما العلم بصعوبة الامر فلان القول بانى أفعل كذا دال على تحقق الوقوع ظاهرا فاما علم صعوبة الاتباع توسل بالاستثناء الدال على عدم تيقن وقوعه لاجل صعوبته (قوله وفيه دليل الخ) لانه لما كان الاتباع بمشيئته كان كل فعل كذلك اذ لا فرق بين فعل وفعل فتأمل (قوله بالذي نسيته أو شيأ نسيته) يعني يجوز ان تكون ما موصولة وان تكون موصوفة (قوله وقيل انه من معاريض الكلام الخ) أى موسى عليه السلام لم ينس الوصية المذكورة لكن أورد الكلام في صورة دالت على

تلك الحال وقيل الفعل لموسى أى اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا (قال ذلك) أى أمر الحوت (ما كنا نبغ) نطلب لانه أمارة المطلوب (فارتدا على آثارهما) فرجعا في الطريق الذي جاآ فيه (قصصا) يقصان قصصا أى يتبعان آثارهما اتباعا أو مقتصين حتى أتيا الصخرة (فوجدا عبدا من عبادنا) الجمهور على أنه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس (آتيناه رحمة من عندنا) هي الوحي والنبوّة (وعلمناه من لدنا علما) مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن) على شرط أن تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف (مما علمت رشدا) علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون رشدا علة لأتبعك أو مصدرا بإضمار فعله ولا ينافي نبوّته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من غيره مالم يكن شرطا في أبواب الدين فان الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل اليه فيما يبعث به من أصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن أن يكون تابعا له وسأل منه أن يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله عليه (قال انك لن تستطيع معي صبرا) نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أى وكيف تصبر وأنت نبيّ على ما أتولى من أمور ظواهرها منا كبر وبواطنها لم تحط بها خبرك وخبرا تمييز أو مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره (قال ستجدني ان شاء الله صابرا) معك غير منكر عليك (ولا أعصي لك أمرا) عطف على صابرا أى ستجدني صابرا وغير عاص أو على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن وخلفه ناسيا لا يقدح في عصمته أو لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف وفيه دليل على أن أفعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى (قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ) فلا تفاتحني بالسؤال عن شئ أنكرته مني ولم تعلم وجه صحته (حتى أحدث لك منه ذكرا) حتى أبتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة (فانطلقا) على الساحل يطلبان السفينة (حتى اذا ركبا في السفينة خرقها) أخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها (قال أخرقتها لتغرق أهلها) فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق أهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق أهلها على اسناده الى الاهل (لقد جئت شيأ امرا) أتيت أمرا عظيما من أمر الامر اذا عظم (قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا) تذكير لما ذكره قبل (قال لا تؤاخذني بما نسيت) بالذي نسيته أو بشئ نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه أو بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان أخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل أراد بالنسيان الترك أى لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أوّل مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شئ آخر نسيه (ولا ترهقني من أمري عسرا)

النسيان ولم يقصد نسيان الوصية بل نسيان شئ آخر حتى لا يلزم الكذب (قوله والاولى أبلغ) لدلالة الصيغة على المبالغة فى الزكاة للدلالة على قوة علة انكار القتل (قوله واما اختيار الاول لذلك) أى لعل أبا عمرو اختار قراءة زاكية على زكية لما ذكر من أن الزاكية أعلى من الزكية فان من يقارف الذنب أصلا أعلى ممن قارفه ثم استغفر (قوله وكلا الامرين منتف) اما الحد فلانه لم يذنب ذنبا يستحق الحد وأما القصاص فلانه لم يقتل نفسا (قوله لان القتل أقبح الى قوله فكان جديرا الخ) أى جعل اعتراض موسى عليه السلام فى المرة الثانية نفس الجزاء وعمدة الكلام لان الجزء الثانى من الكلام لمزيد الاهتمام به وقوته فى الاعتراض بخلاف المرة الاولى والمراد بجعله عمدة الكلام ان يكون الاعتراض من جملة الكلام الاول الذى ألقى الى المخاطب لمزيد الاهتمام (قوله ولذلك فصله الخ) أى لاجل ان الاعتراض بالقتل أقبح جعل آخر هذه الآية نكرا وجعل فاصلة الآية السابقة امرا لان كون الشئ نكرا أبلغ من كونه امرا (قوله لما فيه من معنى النفى) يعنى ما فيه من معنى النفى يدل على عدم المشيئة فان لو شئت يستلزم المشيئة لما قالوا ان لو لا انتفاء أحد الشيئين لانتفاء الآخر (قوله تحريضا على أخذ الجعل أو تعريضا بانه فضول) اما التحريض فظاهر وأما التعريض فلانه لما لم يأخذ الجعل سبب

ولا تغشنى عسرا من أمرى بالمضايقة والمؤاخذة على المنسى فان ذلك يعسر على متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وأرهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين (فانطلقا) أى بعد ما خرجا من السفينة (حتى اذا لقيا غلاما فقتله) قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل أضجعه فذبحه والفاء للدلالة على أنه كما لقيه قتله من غير تروّ واستكشاف حال ولذلك (قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس) أى طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وورويس عن يعقوب زاكية والاول أبلغ وقال أبو عمر والزاكية التى لم تذنب قط والزكية التى أذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم أو أنه لم يرها قد أذنبت ذنبا يقتضى قتلها أو قتلت نفسا فافتقادها نبه به على أن القتل انما يباح حدا أو قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بأن جعل خرقها جزاء واعتراض موسى عليه السلام مستأنفا فى الأولى وفى الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل أقبح والاعتراض عليه أدخل فكان جديرا بأن يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله (لقد جئت شيأ نكرا) أى منكرا وقرأ نافع فى رواية قالون ورش وابن عامر ويعقوب وأبو بكر نكرا بضمتين (قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا) زاد فيه لك مخالفة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير أولا مرة حتى كرر ثانى مرة (قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى) وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبنى أى فلا تجعلنى صاحبك (قد بلغت من لدنى عذرا) قد وجدت عذرا من قبلى لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى موسى استحيا فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لابصر أعجب الاعاجيب وقرأ نافع من لدنى بتحريك النون والا كتفاء بها عن نون الدعامة كقوله

* قدنى من نصر الخبيبين قدى *

وأبو بكر لدنى بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) قرية انطاكية وقيل أبلة البصرة وقيل باجروان ارمينية (استطعما أهلها فابوا أن يضيفوهما) وقرئ يضيفوهما من أضافه يقال ضافه اذا نزل به صيفا وأضافه وضيفه أنزله وأصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) يدانى أن يسقط فاستعيرت الارادة للشارفة كما استعيرها الهم والعزم قال

يريد الرمح صدر أبى براء * ويعدل عن دماء بنى عقيل

(وقال) ان دهرا يلم شملى بجمل * لزمان يهم بالاحسان

وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه وأفعل من النقض وقرئ أن ينقض وأن ينقاض بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا (فاقامه) بعمارته أو بعمود عمد به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه (قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا) تحريضا على أخذ الجعل لينتشابه أو تعريضا بانه فضول لما فى لو من النفى كانه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم تمالك نفسه واتخذ فتعمل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت أى لأخذت وأظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وأدغمه الباقون (قال هذا فراق بينى وبينك) الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبنى أو الى الاعتراض الثالث أو الوقت أى هذا الاعتراض مقابلا لاعماله فهو فضول (قوله الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبنى) فيه انه يلزم منه اتحاد المبتدأ والخبر لان الفراق الموعود معناه

الفراق بيني وبينك فكانه قيل الفراق بيني وبينك فراق بيني وبينك والاولى الاقتصار على الوجه الآخر الخ (قوله واضافة الفراق الى البين الخ) هذا يدل على ما اختاره ابن الحاجب من ان الاضافة قد تكون بمعنى في ضعيف اذ لو جاز ماذكر لم يحتج ههنا الى الاتساع بل يقال أضيف المصدر الى البين الذي هو الظرف بتقدير في كما في ضرب اليوم على ما اختاره ولاجل ضعفه وكونه خلاف الجمهور رده الرضي (قوله على سبيل التقييد والتعميم) اما التقييد فلما ردا به ان مسكنة الملاك مع قيد كون الملك المذكور وراءهم سبب لما ذكر واما التعميم فلدلالته على ان الاصل رعاية حال المساكين وخوف الغصب منهم لما ذكر (قوله والمعنى عليها)

سبب فراقنا أوهذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل (سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) بالخبر الباطن فبالم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) لمحاويج وهو دليل على أن المساكين يطاق على من يملك شيأ اذ لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك أو لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر (فاردت أن أعيبها) ان أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) قدامهم أو خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منوار بن جلندى الازدى (يأخذ كل سفينة غصبا) من أصحابها وكان حق النظم أن يتأخر قوله فاردت أن أعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعيب مسببة عن خوف الغصب وانما قدم للعناية أولان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على أقوى الجزأين وأدعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما) أن يغشيهما (طغيانا وكفرا) لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا أو يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بعلته فيرتدا بضلالة أو بمالأته على طغيانه وكفره بحاله وانما خشي ذلك لان الله تعالى أعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان كنت علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل وقرئ فخاف ربك أي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل (فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه) أن يرزقهما بدله ولدا خيرا منه (زكاة) طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة (وأقرب رحما) رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت له نبيا هدى الله به أمة من الأمم وقرأ نافع وأبو عمر و بدلهما بالتشديد وابن عامر و يعقوب وعاصم رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) قيل اسمهما أصرم وصريم واسم المقتول جيسور (وكان تحته كنز لهما) من ذهب وفضة روى ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وكان أبوهما صالحا) تنبيه على أن سعيه ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما و بين الاب

أي معنى الكلام على مقتضى هذه القراءة فان الصالحة وان لم تذكر في القراءة المشهورة اعتبر معناها اذ يعلم من الآية انه غصب كل سفينة صالحة لانه غصب كل سفينة صالحة وغيرها اذ لو كان كذلك لما كان لتعييبها فائدة (قوله ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية الخ) أي يجوز ان يكون قول الخضر فخشينا الخ حكاية عما قال الله تعالى فكانه قال الخضر واما الغلام فكان أبواه مؤمنين فقال ربك خشينا (قوله رحما بالتثقيل) أي بتحريك الحاء واما الباقون فقرؤا بسكون الحاء (قوله روى ذلك مرفوعا) أي مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم (قوله والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الخ) جواب سؤال وهو ان الله عز وجل وصف أباهما بالصلاح مع وصفه بالكنز لان الظاهر ان الاب هو الكانز كما فهم من التفسير والحال ان كنز الذهب والفضة مذموم فاجاب بان ما ورد من الذم هو لمن يكنزهما ولم يؤد زكاتهما (قوله وما تعلق بهما من الحقوق) كاذا تعلق به الدين الذي على صاحبه بان أفلس أو مات وتعلق الدين بما كنز من الذهب والفضة (قوله وقيل من كتب العلم) معطوف على من ذهب وفضة وتقدير الكلام قالوا ان الكنز من ذهب وفضة وقيل الخ (قوله تنبيه الى ان سعيه) أي سعي الخضر بمجرد صلاح الاب وفيه ان حفظ مال الولدان مطلقا محمود الا ان قال السعي المذكور وهو اقامة الجدار لصلاح الاب (قوله وقيل كان بينهما و بين الاب

الناس (فهل نجعل لك خرجا) جعلا نخرجه من أموالنا وقرأ حمزة والكسائى خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) نحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائى (قال ما مكنى فيه ربى خير) ما جعلنى فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لى من الخراج ولا حاجة بى اليه وقرأ ابن كثير مكننى على الاصل (فاعينونى بقوة) أى بقوة فعلة أو بما تقوى به من الآلات (أجعل بينكم و بينهم ردما) حاجزا حصينا وهو أكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق رقاع (آتونى زبر الحديد) قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافى رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة و يدل عليه قراءة أبى بكر ردما ئتونى بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئونى بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها فى أمرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل (حتى اذا ساوى بين الصدفين) بين جانبى الجبلين بتضييقه اوقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وأبو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل (قال انفخوا) أى قال للعملة انفخوا فى الكوار والحديد (حتى اذا جعله) جعل المنفوخ فيه (نارا) كالنار بالاحماء (قال آتونى أفرغ عليه قطرا) أى آتونى قطرا أى نحاسا منذابا أفرغ عليه قطرا بحذف الاول لدلالة الثانى عليه و به تمسك البصريون على أن عمال الثانى من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد أولى اذ لو كان قطرا مفعول آتونى لاضمر مفعول أفرغ حذر امن الالباس وقرأ حمزة وأبو بكر قال أتونى موصولة الالف (فما اسطاعوا) بحذف التاء حذر امن تلاقى متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جاء معابين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا (أن يظهروه) أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه (وما استطاعوا له نقبا) لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى أعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها (قال هذا) هذا السد أو الاقدار على تسويته (رحمة من ربى) على عباده (فاذا جاء وعد ربى) وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج أو بقيام الساعة بان شارف يوم القيامة (جعله دكا) مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل أدك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بلد أى أرض مستوية (وكان وعد ربى حقا) كائنا لا محالة وهذا آخر حكاية قول ذى القرنين (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون فى بعض مزدحمين فى البلاد أو يموج بعض الخلق فى بعض فيضطربون و يختلطون انسهم وجنهم حيارى و يؤيده قوله (ونفخ فى الصور) لقيام الساعة (فجمعناهم جمعا) للحساب والجزاء (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وأبرزناها وأظهرناها لهم (الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى) عن آياتى التى ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم (وكانوا لا يستطيعون سمعا) استماعا لذكرى وكلامى لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصمت مسامعهم بالكلية (أفحسب الذين كفروا) أفظنوا والاستفهام للانكار (أن يتخذوا عبادى) اتخاذهم الملائكة والمسيح (من دونى أولياء) معبودين نافعهم أولا أعنهم به بحذف المفعول الثانى كما يحذف الخبر للقرينة أو سدأن يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ أفحسب الذين كفروا أى أفكافيهم فى النجاة وأن بما فى حيزها مرتفع بانه فاعل حسب فان

(قوله وهو لا ينافى رد الخراج) أى طلب ايتاء زبر الحديد غير مناف لرد الخراج لان اداء الخراج ان لا يقبل تملك عين من الاعيان وطلب ايتاء زبر الحديد طلب مناولته وان لم يكن ملكا للطالب و يدل عليه أى على ان الايتاء ليس بمعنى الاعطاء والتمليك ايتونى بوصل الهمزة فان من المعلوم انه من المناولة (قوله ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة الخ) هذا وجه آخر لنفى منافاة رد الخراج مع طلب ايتاء زبر الحديد وتوضيحه ان رد الخراج عدم قبول الأجرة على العمل وطلب آلات العمل غير طلب الاجرة (قوله حذرا من الالتباس) فانه لو لم يضمر جاز فى هذا التركيب ان يكون قطرا معمولا للفعل الاول فلزم الالتباس فى ان قطرا هو مفعوله الاول أو الثانى واما اذا اضمر ارتفع الالتباس (قوله لحذف المفعول الثانى الخ) وهو نافعهم أولا أعذبهم به أى أحسب الذين كفروا اتخاذ عبادى معبودين نافعهم أولا أعذبهم به وفى هذا جواز

الاقتصار على أحد مفعولي أفعال القلوب وهو مذهب صاحب الكشاف (قوله أو خبره) أي يكون ان اتخذوا عبادي خبرا لحسب على معنى الانكار أي ليس بكاف (قوله وفيه تهكم وتنبيه الخ) أما الاول فلان النزل هو الطعام الذي يكون للنزيل فاستعارة النزل الذي هو الطعام لجهنم استعارة تهكمية كما في قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم وأما الثاني فلان النزل طعام يقدم أول الامر وماحصل بعده ليس نزلا فيكون النزل قليلا بالنسبة الى غيره فان قيل فما العذاب الذي يستخف دونه جهنم قلنا لعله عذاب الارواح بالاعتقادات الباطلة والاخلاق الردية والحسرات وغيرها (قوله لانه من أسماء الفاعلين أو لتنوع أعمالهم) فالاول ان يكون الاعمال جمع عامل كالاشهاد جمع شاهد واذا كان التمييز صفة وجبت مطابقته للمميز وأما اذا لم يكن من أسماء الفاعلين بل يكون مصدرا فلا يجمع الا اذا قصد الانواع (قوله ومحله الرفع على الخبر المحذوف) كأن سائلا يقول من الاخسرون أعمالا فقيل الذين ضل سعيهم والجر بأن يكون بدلا من الاخسرين والنصب بأن يكون التقدير أذم الذين ضل سعيهم (قوله بالقرآن أو بدلائله الخ) فالاول الآيات القوليـة والثاني الآيات الفعلية ويمكن أن تكون عامة للقولية والفعلية أيضا (قوله بالبعث على ماهو عليه) أي بالبعث على ما هو عليه في الحقيقة وهو بعث الابدان احياء يوم الحشر والجزاء على الاحوال التي أخبرت عنها الشريعة الحقة لا على ماقالة أهل الكتاب من انهم لن تمسهم النار الا أياما معدودة وقد سبقت الاشارة الى أهل الكتاب بقوله كالرهبانية ولا كما قالته الفلاسفة من ان البعث بتجرد الروح عن البدن وعودة الارواح المجردة (قوله فنزدري بهم الخ) هذا بجعل الوزن مجازا والوجه الثاني بأن يكون المراد الوزن الحقيقي (قوله أو لا نضع لهم ميزانا الخ) صريح في أن أعمال الكفار لا تدخل في الميزان لحبوطها (قوله ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ الخ) فذلك اشارة الى كفرهم (قوله أي الامر ذلك) فيكون المراد من الامر الجزاء ومن ذلك جهنم حتى يكون جزاؤهم جهنم مبينة له ولما كانت الاولى مبهمة في الظاهر احتاجت الى مبين (قوله وأصله البستان الخ) هذا غير مطابق لما في الصحاح لانه قال الفردوس البستان (قوله حال مقدرة) لان الخلود لا يتحقق بالفعل بل أمر مقدر متصوّر فاهم يقدرون في أنفسهم خلودهم في الجنة (قوله اذ لا يبغون عنها حولا) لو قال لا يتصورون أطيب منها حتى يبغون عنها حولا لكان أولى فانه قد يتصوّر الشخص أحسن مما كان ويبغي التحوّل اليه (قوله لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي) يعني لنفد البحر مع عدم نفاد كلمات ربي فلا يلزم امكان نفاد كلمات الرب (قوله وسبب نزولها الخ) يعني ان الحكمة خير كثير وهذه الكثرة لا تنافي القلة لانها وان كانت كثيرة فهي بالنسبة الى كلمات الله قليلة

النعت اذا اعتمد على الهمزة يساوي الفعل في العمل أو خبره (انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) ما يقام للنازل وفيه تهكم وتنبيه على أن لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا) نصب على التمييز وجمع لانه من أسماء الفاعلين أو لتنوع أعمالهم (الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا) ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم وأخراهم ومحله الرفع على الخبر لمحذوف فانه جواب السؤال أو الجر على البدل أو النصب على الذم (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) بعجبهم واعتقادهم أنهم على الحق (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم) بالقرآن أو بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة (ولقائه) بالبعث على ماهو عليه أو لقاء عذابه (فحبطت أعمالهم) بكفرهم فلا يثابون عليها (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا أو لا نضع لهم ميزانا يوزن به أعمالهم لانحباطها (ذلك) أي الامر ذلك وقوله (جزاؤهم جهنم) جملة مبينة له ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أي جزاؤهم به أو جزاؤهم بدله وجهنم خبرها وجزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر (بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) أي بسبب ذلك (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) فما سبق من حكم الله وعده والفردوس أعلى درجات الجنة وأصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل (خالدين فيها) حال مقدرة (لا يبغون عنها حولا) تحوّلا اذ لا يجدون أطيب منها حتى تنازعهم اليه أنفسهم ويجوز أن يراد به تأكيد الخلود (قل لو كان البحر مدادا) ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج (لكلمات ربي) لكلمات علمه وحكمته (لنفد البحر) لنفد جنس البحر بأسره لان كل جسم متناه (قبل أن تنفد كلمات ربي) فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه وقرأ حمزة والكسائي بالياء (ولو جئنا بمثله) بمثل البحر الموجود (مددا) زيادة ومعونة لان مجموع المتناهين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل أن ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمد به الكاتب ومدادا وسبب نزولها أن اليهود قالوا في كتابكم

ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وتقرؤن وما أوتيتم من العلم الا قليلا (قل انما أنا بشر مثلكم) لا أدعى الاحاطة على كماله (يوحى الى انما الهكم اله واحد) وانما تميزت عنكم بذلك (فمن كان يرجو لقاء ربه) يؤمل حسن لقائه أو يخاف سوء لقائه (فليعمل عملا صالحا) يرتضيه الله (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) بان يرائيه أو يطلب منه أجرا روى أن جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرنى فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتى العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص فى الطاعة * وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأها عند مضجعه كان له نور الى مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء

(قوله يأمل حسن لقائه) أى البعث على وجه حسن (قوله بأن يرائيه أو يطلب منه أجرا) أى يرائى أحدا غير الله أو يطلب من ذلك الاحد أجرا (قوله ان الله لا يقبل ما شورك فيه) هذا يدل ظاهرا على عدم قبول عمل كان صنعه خالصا لله ثم اذا اطلع عليه بعد ذلك حصل السرور وليس كذلك على ما هو مذهب أهل السنة من عدم حبوط الاعمال فيجب حمله على ما اذا عمل عملا مقرونا بالسرور على الاطلاع

﴿ تم الجزء الثالث من تفسير البيضاوى ويليه الجزء الرابع أوله سورة مريم ﴾

فهرست الجزء الثالث من تفسير البيضاوى

صحيفة	
٢	تفسير سورة الاعراف
٣	بيان ان الوزن فى الآخرة هل هو لصحائف الاعمال أم للاشخاص
٤	بيان غلط ابليس فى دعواه الأفضلية على آدم
٦	بيان ما استدل به على ان الملائكة أفضل من الانبياء والجواب عنه
٨	بيان معنى السرف المذموم
١٠	بيان معنى اخراج الغل من صدور أهل الجنة
١١	بيان الأعراف وأهلها
١٢	بيان الابداع الذى تفرد به البارى فى مخلوقاته
١٤	بيان نسب نوح عليه السلام
	بيان نسب هود عليه السلام
١٥	بيان ما فعل الله بعاد وما فعلوا
١٦	بيان نسب صالح عليه السلام
١٧	بيان ما فعلت ثمود وما فعل بهم
١٨	بيان نسب مدين وشعيب عليه السلام
٢١	بيان حال عصا موسى حين ألقاها عند فرعون
٢٤	بيان ما أرسل على قوم فرعون من الآيات
٢٦	بيان الدليل على جواز رؤية الله تعالى
٢٨	بيان ما فعله السامرى من صوغ العجل
٣٠	بيان ان بعثته صلى الله عليه وسلم الى كافة الثقلين
٣١	بيان القرية التى أهلكت بسبب الصيد فى السبت
٣٢	بيان ما عذب به أهل القرية من المسخ
٣٣	بيان أخذ الله الميثاق على بنى آدم وما قيل فى ذلك
٣٥	بيان الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها وكيفية ضلاله

صحيفة	
٣٨	بيان ما فعله ابليس مع حواء حين حملت والطعن فى ذلك
٤٠	تفسير سورة الانفال
٤١	بيان السبب فى غزوة بدر
٤٧	بيان محاصرة بنى قريظة
٥٠	بيان قسمة المغانم وما فيها من الخلاف
٥٣	بيان ما فعله ابليس مع قريش حين أرادوا غزوة بدر
٥٧	بيان ما فعله النبى مع عمه العباس حين دفعه الفداء فى غزوة بدر
٥٨	تفسير سورة براءة
٦٤	بيان غزوة حنين وما أصاب المؤمنين فيها
٦٥	بيان الجزية ومن تؤخذ منه
٦٧	بيان التشديد على منع الزكاة
٦٨	بيان الغار الذى ذهب اليه صلى الله عليه وما فعله المشركون
٧٢	بيان الأصناف الذين تصرف اليهم الزكاة وذكر الخلاف فى تعميمهم
٧٦	بيان الصدقات التى تصدق بها المؤمنون وعابهم عليها المنافقون
٨٠	بيان مسجد الضرار وما بنى لأجله
٨٤	بيان الدليل على أن أخبار الآحاد حجة
٨٥	تفسير سورة يونس
٨٨	بيان جملة ما احتوى عليه القرآن
٩٣	بيان الدليل على ان للعبد كسبا
١٠٠	بيان ان الانسان وان عظم شأنه بعيد عن مظان الربوبية
١٠١	بيان بعث يونس عليه السلام الى أهل نينوى وما فعلوه
١٠٢	تفسير سورة هود
١٠٨	بيان حكم التعليق بشرطين
١١٢	بيان ما أبداه هود عليه السلام من المعجزة

صحيفة	
١٢٢	بيان ان حال أهل الموقف لاتخلو عن السعادة والشقاوة ور بما اجتمع الأمران لواحد
١٢٥	تفسير سورة يوسف عليه السلام
١٢٨	بيان جهة البئر الذى رمى به يوسف عليه السلام
١٣٢	بيان ما كان عليه يوسف عليه السلام من الحسن
١٣٦	بيان ما كان عليه يوسف عليه السلام من معرفة اللغات
١٤٢	بيان ما كان عليه يوسف عليه السلام من كرم الأخلاق
١٤٥	تفسير سورة الرعد
١٤٨	بيان ما فعله أربد وعامر بن الطفيل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فعل بهما
١٥٢	بيان ما اقترحته قريش على النبى صلى الله عليه وسلم من الآيات
١٥٤	تفسير سورة ابراهيم عليه السلام
١٦٢	بيان حال هاجر أم اسماعيل عليه السلام
١٦٥	تفسير سورة الحجر
١٦٨	بيان قبول الموادّ للجمع والاحياء
١٧٤	بيان ما ورد فى فضل من أوتى القرآن
١٧٥	تفسير سورة النحل
١٧٧	بيان ما يعترى الحبة عند بذرها مما يدل على عجيب صنع الحكيم جل شأنه
١٨٥	بيان حال الغذاء بعد استقراره فى الجوف الى ان يكون دما ولبنا
١٩٢	بيان ما فعلته قريش من التعذيب لعمار وأبويه
١٩٣	بيان حصر المحرمات فى أجناس أربعة وماضم اليها
١٩٥	تفسير سورة بنى اسرائيل
١٩٦	بيان ما فعله بختنصر ببنى اسرائيل
٢٠٢	بيان حجة من منع التقليد والرد عليه
٢٠٥	بيان حجة من قال ان الاسراء كان منامًا والرد عليه
٢٠٨	بيان ما قالته ثقيف للنبى صلى الله عليه وسلم وأباه
٢٠٩	بيان ان المقام المحمود هو مقام الشفاعة
٢١٤	تفسير سورة الكهف
٢١٦	بيان من دخلوا غار افسد عليهم وخلصوا بتوسلهم باعمالهم الصالحة
٢٢٣	بيان ما طلبته صناديد قريش من ابعاد فقراء المهاجرين عن مجلس النبى
٢٢٤	بيان حال الأخوين اللذين مات والدهما وافترق حالهما فى اليسار والفقر
٢٣٠	بيان الذى دعا موسى عليه السلام الى سؤاله الاجتماع بالخضر

﴿ الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير ﴾

ان أصدق لهجة حكمية وأسنى سياسة شرعية هي الاحاديث النبوية والكلام المنسوب للحضرة المصطفوية وأشمل كتاب جمع من الاحاديث الرقائق وصفا من الموضوعات التي لا يدركها الامن حاز من العلوم الحديثية الدقائق كتاب الجامع الصغير وكتاب زيادة الجامع الصغير لخاتمة المحدثين ومرجع الفضلاء المتأخرين العلامة الشيخ عبد الرحمن السيوطي رحمه الله وأثابه رضاه ولما كان هذان الكتابان من وادواحد في الترتيب وهما لمؤلف واحد وشرطهما واحد في البداية والتعقيب رأى حضرة علامة الزمان ودرة جيد هذا الأوان القدوة الفاضل الشيخ يوسف النبهاني حفظه الله وأدام علاه ان هذين الكتابين جمع فيهما من الاحاديث مالم يجمع في كتاب وأتى فيهما من الحكم النبوية بلباب اللباب ورأى فيهما بعض اختلال في الترتيب فقدم ماحقه التأخير ووضعت بعض الاحاديث في غير مواضعها على حسب ماشرط من التبويب فرأى حفظه الله على حسب طبعه الكريم من السعي وراء المنفعة العموميه والخدمات للحضرة النبويه أن يجمع هذين الكتابين في كتاب وينقح ترتيبهما على مقتضى شرطهما المستطاب ويميز أحاديث الزياده من الجامع برمز (ز) في الحرف المخصوص في كل باب فجاء سفرا لم يسبق مثله كتاب وسماه الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير ولتم المنفعة جميع الطبقات ويجسر على الاستفادة والقراءة من لم يتقن العربية ولم يحسن تلك الادوات ضبطه بالشكل التام ليعم النفع جميع الأنام وقد جاء الكتاب في ثلاثة مجلدات ضخام وقد شرعنا في طبعه اتماما للنفع العام وقد نجز منه الجزء الاول وبمعونته تعالى يتم الباقي على أحسن نظام وتستكمل شمسه التمام

الجزء الرابع

من التفسير المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل تأليف امام
المحققين وقدوة المدققين القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله
ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي وهو نسبة
الى قرية يقال لها البيضاء من أعمال شيراز
توفي سنة احدى وتسعين وسبعمائة
رحمه الله وأسكنه من
الفردوس أعلاه
آمين

﴿ وبهامشه حاشية العلامة الفاضل أبي الفضل القرشي الصديقي
الخطيب المشهور بالكازروني رحمه الله آمين ﴾

﴿ قد قرر المجلس الاعلى بالازهر تدريس هذا الجزء ﴾
﴿ لطلبة السنة التاسعة ﴾

﴿ طبع بمطبعة ﴾
دار الكتب العربية الكبرى
﴿ على نفقة أصحابها ﴾
﴿ مصطفى البابي الحلبي وأخويه بالغرى وعيسى ﴾
﴿ بمصر ﴾

﴿سورة مريم﴾ (قوله لان الفات اسماء التهجي يا آت) لانهم قالوا الألف في الاسماء المتمكنة الامقلوبة عن واو أو ياء قال العلامة الطيبي من جعل أصله الياء أما لها ومن نحم تصوران عين الفعل منقلبة عن الواو كالباب والدار لان الالف اذا وقعت عينا وجهلت حالها فالواجب أن يعتقد انها منقلبة (٢) عن الواو (قوله فانه مشتمل عليه) ان أول كهيعص بالسورة أو القرآن يكون مشتملا

﴿سورة مريم مكية الا آية السجدة وهي ثمان أو تسع وتسعون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(كهيعص) أمال أبو عمرو والهاء لان ألفات أسماء التهجي يا آت وابن عامر وحمزة الياء والكسائي وأبو بكر كلهما ونافع بين بين ونافع وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمونها (ذكر رحمت ربك) خبرها قبله ان أول بالسورة أو بالقرآن فانه مشتمل عليه أو خبر محذوف أي هذا المتلوذكر رحمة ربك أو مبتدأ حذف خبره أي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة على الماضي وذكر على الامر (عبده) مفعول الرحمة أو الذكر على أن الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد (زكريا) بدل منه أو عطف بيان له (اذنادى ربه نداء خفيا) لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء أشد انجبانا وأكثر اخلاصا أو لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر أو لئلا يطلع عليه موالية الذين خافهم أو لان ضعف الهرم أخفى صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون وقيل تسع وتسعون (قال رب اني وهن العظم مني) تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن وأصل بنائه ولانه أصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه أوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن ووهن بالضم والكسر ونظيره كل بالحركات الثلاث (واشتعل الرأس شيبا) شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم أخرجه مخرج الاستعارة وأسند الاشتعال الى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله ميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على أن علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد (ولم أكن بدعائك رب شقيا) بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على أن المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وأنه تعالى عوده بالاجابة وأطمعه فيها ومن حق الكريم أن لا يخيب من أطمعه (واني خفت الموالي) يعني بني عمه وكانوا أشرار بني اسرائيل فخاف أن لا يحسنوا خلافته على أمته و يبدلوا عليهم دينهم (من ورائي) بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف أو بمعنى الموالي أي خفت فعل الموالي من ورائي أو الذين يلون الامر من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي أي قلوا وعجزوا عن اقامة

على ذكر زكريا فيصح أن يجعل خبره له توسعا والتقدير فيه ذكر زكريا (قوله على أن الرحمة فاعله على الاتساع) بان يكون اسناد الذكر الى الرحمة مجازا عقليا (قوله بدل منه أو عطف بيان له) فالاول بتقدير أن يكون العبد غير مقصود بالذكر بل المقصود ذكر ياوالثاني على تقدير العكس فان المحققين قالوا في الفرق بين البدل أي بدل الكل وعطف البيان انه ان كان ذكر المتبوع مقصودا بالذات فالتابع بيان وان كان الامر بالعكس فالتابع بدل (قوله قال رب اني وهن العظم مني) قال علماء المعاني انما لم يقل وهن عظمي ليكون تفصيلا بعد الاجمال ويمكن أن يقال لو قيل كذلك لم تكن فيه اللام المفيدة للاشارة الى الجنس (قوله ثم أخرجه مخرج الاستعارة) أي أخرج الاشتعال مخرج الاستعارة بان يراد بالاشتعال الانتشار والفشو (قوله مبالغة) لافادة ان اشتعال الشيب يفضي الى اشتعال الرأس (قوله واكتفى باللام عن الاضافة الخ) أي لم يقل رأسي لما ذكر (قوله على أن المدعو له) المراد من المدعو له وجود يحيى (قوله وهو متعلق بمحذوف) وهو فعل المقدر المضاف الى الموالي فيكون في قوله أي خفت فعل الموالي من ورائي أو الذين يلون الامر من ورائي لف ونشر مرتب (قوله أي الذين يلون الامر من ورائي) فيكون الظرف متعلقا بيلون لا بخفت لانه لا معنى للخوف بعد الموت

(قوله فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت) ظاهره انه يتعين ذلك التعلق ولا يصح جعله متعلقا بالموالى لانه لو كان كذلك لكان المعنى انه درج الذين كانوا يلون الامر من قدامى وليسوا كذلك لانهم لم يكونوا يلون الامر وفيه نظر لان هذا المحذور لازم سواء كان الظرف متعلقا بالموالى أو بخفت فالوجه أن يقال ان الظاهر أن يكون الظرف متعلقا بالفعل لكن لما كان على التقادير السابقة لاوجه لجعل الظرف متعلقا به اذ لا معنى لخفت من ورائى اذ لا وجه للخوف من بعد الموت فيكون متعلقا بالموالى أو بمقدر وأما على هذه القراءة وهو قراءة خفت بمعنى قلت فيصح أن يكون الظرف متعلقا به فالاولى الاقتصار عليه (قوله صفتان له) فان قيل كيف يكونان صفة لولى والحال أن يحيى قتل قبل زكريا عليهما السلام على ما ذكر فى التواريخ المعتبرة فلزم عدم استجابة دعاء زكريا فى الوراثة وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم كل نبى يجاب قلنا استجابة دعاء الانبياء ليس عاما فى كل دعوة قال العلامة الطيبى الصحيح ان الانبياء ان كانوا مستجابى الدعوة لكن ليس كل ما (٣) دعوه استجيب لهم لان قضاء الله

الدين بعدى أوخفوا ورجوا قدامى فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت (وكانت امرأتى عاقرا) لاتلد (فهب لى من لدنك) فان مثله لا يرجى الامن فضلك وكمل قدرتك فانى وامرأتى لا نصلح للولادة (وليا) من صلبى (يرثنى ويرث من آل يعقوب) صفتان له وجزمهما أبو عمرو والكسائى على أنهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثنى الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام وقيل يعقوب كان أخا زكريا أو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وقرئ يرثنى وارث آل يعقوب على الحال من أحد الضميرين وأو يرث بالتصغير اصغره وارث من آل يعقوب على أنه فاعل يرثنى وهذا يسمى التجريد فى علم البيان لانه جرد عن المذكور أولا مع أنه المراد (واجعله رب رضيا) ترضاه قولا وعملا (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له (لم نجعل له من قبل سميا) لم يسم أحد يحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامى الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله تعالى هل تعلم له سميا الان المتماثلين يتشاركان فى الاسم والاظهر أنه أعجمى وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمى به لانه حيى برحم أمه أو لان دين الله حيى بدعوته (قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) جساوة وقحولا فى المفاصل وأصله عتو وكعقود فاستثقلوا توالى الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائى وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان ويجوز عاقرا عترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته وأن الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك (قال) أى الله تعالى أو الملك المبالغ للبشارة تصديقا له (كذلك) الامر كذلك ويجوز أن تكون الكاف منصوبة بقال فى (قال ربك) وذلك اشارة الى مبهم يفسره (هو على هين) وبدء الاول قراءة من قرأ وهو على هين

لابد فع ألا ترى الى ابراهيم ودعائه فى أبيه والى دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم على مارو يناه عن الترمذى والنسائى عن خباب بن لارت انه قال صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلاة فأطالها فقلنا يارسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قبل قال أجل انها صلاة رغبة ورهبة انى سألت الله فيها ثلاثا فأعطانى اثنين ومنعنى واحدا (قوله وأو يرث بالتصغير) فان قيل يجب أن يكون تصغير وارث وأيرث بتقديم الواو على الهمزة لا أو يرث بالعكس فان الواو مقدم فى الاصل فيجب أن يكون التصغير كذلك قلنا ان قاعدة

التصغير ان ألف اسم الفاعل فى ضارب مثلا قلبت الى الواو فيقال فى تصغير ضارب ضويرب فيكون تصغير وارث وو يرث لكن قاعدة الصرف ان الواوين المتحركين اذا اجتمعا فى أول الكلمة قلبت الاولى همزة فيقال فى تصغير واصل وأو يصل (قوله لانه جرد عن المذكور أولا) اذ التقدير يرثنى به أومنه وارث من آل يعقوب هكذا قدره العلامة الطيبى فجرد عن الولى الذى هو الملك وروارث مع ان المراد من الوارث هو الولى فكأنه جرد وأخرج عن شخص شخصا آخر (قوله لان المتماثلين يتشاركان فى الاسم) أى اسم الجنس الذى يشتركان فيه (قوله وانما استعجب الولد الخ) استعجابه لما ذكر دال على أن الايلاد ليس من شأنهما فيكون محض اقدرة وليس للاب والام مدخل فى الولادة بل يمكن وجود الشخص من غير الابوين لانه لا فرق بين حصول الولد من الابوين الذين ليس من شأنهما الايلاد وبين حصول شخص من غير الابوين وذل هذا على الغاء الوسائط اذ لا فرق بين الاب والام اللذين هما واسطة الولد و بين غيرهما من الوسائط (قوله ويجوز أن يكون الخ) هذا على تقدير أن يكون فاعل قال الاولى الملك فيكون المعنى قال الملك ربك قال ذلك القول (قوله وذلك اشارة الى مبهم الخ) هذا متفرع على قوله ويجوز أن يكون الخ

(قوله وهو على ذلك يهون على) أى هو مع ذلك أى حصول ولدك مع ماذكر من كبرك وعقر امرأتك يهون على (قوله أو كما وعدت وهو على هين الخ) ان قيل الظاهر انه زائد اذ يلزم منه التكرار ولا يناسبه قوله وهو على ذلك يهون علىّ وفى الكشاف المعنى الامر كما قلت وهو على ذلك يهون على أو يشار بذلك الى ماتقدم من وعد الله وهذا يؤيد ماذكرنا فالجواب أن المراد انه على تقدير أن يكون المعنى ان الامر كما وعدت يمكن أن يفسر قوله وهو على هين بالتفسير الاول و بالتفسير

أى الامر كما قلت أو كما وعدت وهو على ذلك يهون على أو كما وعدت وهو على هين لا أحتاج فيما أريد أن أفعله الى الاسباب ومفعول قال الثانى محذوف (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ) بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على أن المعدوم ليس بشئ وقرأ حمزة والكسائى وقد خلقناك (قال رب اجعل لى آية) علامة أعلم بها وقوع مابشرتنى به (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) سوى الخلق مابك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالى هنا والايام فى آل عمران للدلالة على أنه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة أيام ولياليهن (فخرج على قومه من المحراب) من المصلى أو من الغرفة (فاوحى اليهم) فاومأ اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض (أن سبحوا) صلوا أو نزهوا ربكم (بكرة وعشيا) طرفى النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح و يامر قومه بان يوافقوه وأن تحتمل أن تكون مصدرية وأن تكون مفسرة (يا يحيى) على تقدير القول (خذ الكتاب) التوراة (بقوة) بجد واستظهار بالتوفيق (وآتيناه الحكم صبيا) يعنى الحكمة وفهم التوراة وقيل النبوة أحكم الله عقله فى صباه واستنبأه (وحنانا من لدنا) ورحمة منا عليه أو رحمة وتعطفا فى قلبه على أبويه وغيرهما عطف على الحكم (وزكاة) وطهارة من الذنوب أو صدقة أى تصدق الله به على أبويه أو مكنه ووفقه للتصدق على الناس (وكان تقيا) مطيعا متجنبا عن المعاصى (وبرا بوالديه) وبارا بهما (ولم يكن جبارا عصيا) عاقا أو عاصى ربه (وسلام عليه) من الله (يوم ولد) من أن يناله الشيطان بما ينال به بنى آدم (ويوم يموت) من عذاب القبر (ويوم يبعث حيا) من عذاب النار وهول القيامة (واذكر فى الكتاب) فى القرآن (مريم) يعنى قصتها (اذ انتبذت) اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على مافيها أو بدل الكل لان المراد بمريم قصتها و بالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد أو ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى أن المصدرية كقولك أكرمتك اذ لم تكرمنى فتكون بدلا لا محالة (من أهلها مكانا شرقيا) شرقى بيت المقدس أو شرقى دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف أو مفعول لان انتبذت متضمن معنى أتت (فاتخذت من دونهم حجابا) سترا (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) قيل قعدت فى مشرقة للاغتسال من الحيض متحجبة بشئ يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينما هى فى مغتسلها أتاها جبريل عليه السلام متمثلا بصورة شاب أمرد سوىّ الخلق لتستأنس بكلامه ولعله لتهييج شهوتها به فتنحدر نطفتها الى رحمها (قالت انى أعوذ بالرحمن منك) من غاية عفافها (ان كنت تقيا) تتقى الله وتحتفل بالاستعاذة و جواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله أى فانى عائذة منك أو فتتعظ بتعويذى أو فلا تتعرض لى و يجوز أن يكون للمبالغة أى ان كنت تقيا متورعا فانى أتعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك (قال انما أنا رسول ربك) الذى استعذت به (لأهب لك غلاما) أى لأكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع و يجوز أن يكون حكاية لقول الله تعالى و يؤيده قراءة أبى عمرو والاكثر عن نافع و يعقوب بالياء (زكيا) طاهرا من الذنوب

الثانى أيضا وأما اذا كان المعنى ان الامر كما قلت يكون معنى قوله تعالى وهو علىّ هين المعنى الاول فتأمل (قوله ومفعول قال الثانى محذوف الخ) على التقدير الاول تقدير وجود الواو والتقدير قال ربك هو علىّ هين فحذف لدلالة المذكور عليه (قوله وفيه دليل الخ) هذا مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة (قوله علامة أعلم بها وقوع مابشرتنى به) الظاهر ان المراد بما بشرتنى به الحبل وكذا فسر فى سورة آل عمران (قوله سوى الخلق) فيكون حالا من فاعل تكلم (قوله من المصلى أو من الغرفة) بيان للمحراب (قوله وقيل النبوة الخ) قال الامام الاقرب هذا أى تفسير الحكم بالنبوة لانه تعالى ذكر مناقب شريفة ليحيى على سبيل المدح لا ارتياب ان أشرفها النبوة فوجب حمله عليها و روى الواحدى عن ابن عباس ان الحكم النبوة (قوله لان المراد بمريم قصتها الخ) فيكون لتقدير واذكر فى الكتاب قصة مريم انتباذها من أهلها فى الزمان المذكور (قوله كقولك أكرمتك اذ لم تكرمنى) يعنى أكرمتك لان لم تكرمنى أى لعدم اكرامك اياى للرد عليك (قوله أو ظرف لمضاف مقدر) أى واذكر فى الكتاب حال مريم اذ انتبذت (قوله و يجوز أن يكون حكاية لقول الله عز وجل) و لتقدير قال ربك أرسلت الرسول اليك لأهب لك ومحصول الكلام ههنا ان فاعل الهبة المذكورة ليس جبريل حقيقة بل هو الله تعالى فاما أن

يكون أهب مجازا أو يكون على الحقيقة ويكون قول الله عز وجل (قوله لانه للمبالغة أو للنسب كطالق) التعليل الثانى ظاهر لانهم قالوا اذا لم يقصد باسم الفاعل الحدوث بل قصد به الاطلاق فهو بمعنى النسبة وان كان على صورة الفاعل كلابن وتامر ولا تدخله التاء لان الدخول على الصفة فرع الدخول على الفعل فاذا كانت الصفة بمعنى الحدوث كانت بمعنى الفعل فدخلت عليها التاء واذا لم يقصد بها الحدوث لا تكون مشابهة للفعل فلم يدخل عليها التاء وأما التعليل الاول ففيه نظر (٥) اذ التاء تدخل على بناء المبالغة كعلامة ونسابة

والجواب ان التاء لما دخلت فى مثل علامة ونسابة ليست للتأنيث وانما هى تأكيد المبالغة وكلامه فى تاء التأنيث واعلم أن المفهوم من كلامه ان تاء التأنيث لا تدخل على صيغة المبالغة ولعل سببه ان دخول تاء التأنيث على الصفة كما ذكر لاجل مشابهة المشتق للفعل ولكن الفعل لا يفيد المبالغة فالصفة التى تفيد المبالغة لا تشبه الفعل كل المشابهة فلا تدخل التاء للتأنيث كما لا تدخل التاء على الصفة التى لا يقصد بها الحدوث بل النسبة كما مر (قوله تدوس بنا الجاجم) الجحمة عظم فوق الرأس والترب عظم الصدر أى تدوس خيولنا جماجم الاعداء وترابهم ونحن على ظهورها والمعنى ههنا فانتبذت ما تبسة به أى انتبذت وهو فى بطنها (قوله لكن خص به فى الاستعمال) أى خص أجاء بالجأنى الاستعمال كما نى فانه مخصوص باعلى ولا يقال

الذنوب أو مامياعلى الخبر أى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح (قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر) ولم يباشرنى رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه أما الزنا فما يقال فيه خبث بها وغيره ونحو ذلك و يعضده عطف قوله (ولم أك بغيا) عليه وهو فعول من البغى قلبت واوه ياء وأدغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء أو فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة أو للنسب كطالق (قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله) أى ونفعل ذلك لنجعله آية أو لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على ليهب على طريقة الالتفات (آية للناس) علامة لهم و برهانا على كمال قدرتنا (ورحمة منا) على العباد يهتدون بارشاده (وكان أمرا مقضيا) أى تعلق به قضاء الله فى الازل أو قدر وسطر فى اللوح أو كان امرا حقيقيا بان يقضى و يفعل لكونه آية ورحمة (فحملته) بان نفخ فى درعها فدخلت النفخة فى جوفها وكان مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين (فانتبذت به) فاعتزلت وهو فى بطنها كقوله

* تدوس بنا الجماجم والتريبا * والجار والمجرور فى موضع الحال (مكانا قصيا) بعيدا من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار (فأجاءها المخاض) فالجأها المخاض وهو فى الاصل منقول من جاء لكنه خص به فى الاستعمال كما نى أعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج (الى جذع النخلة) لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس أو للعهد اذ لم يكن ثم غيرها وكانت كذلك عند الناس والله تعالى أطلعها ذلك ليريها من آياته ما يسكن روعتها و يطمئنها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها (قالت ياليتنى مت قبل هذا) استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ أبو عمر وو ابن كثير وابن عامر وأبو بكر مت من مات يموت (وكنت نسيا) ما من شأنه أن ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه أو مصدر سمى به وقرئ به و بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله اذا قلته (منسيا) منسى الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع (فناداها من تحتها) عيسى وقيل جبريل كان بقبل الولد وقيل تحتها أسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على أن فى نادى ضمير أحدهما وقيل الضمير فى تحتها للنخلة (ألا تحزنى) أى لا تحزنى أو بان لا تحزنى (قد جعل ربك تحتك سريا) جدولا هكذا روى مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى عليه الصلاة والسلام (وهزى اليك بجذع النخلة) وأميليه اليك والباء مزيدة للتأكيد أو افعلى الهز والاماله به أو هزى الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع (تساقط عليك) تتساقط فادغمت التاء الثانية فى السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى

آتيت المكان وأتيته (قوله وكانت كالمتعالم عند الناس الخ) لا يخفى ان المعهود هو الذى يكون معهودا بين المتكلم والمخاطب لكن النخلة ليست كذلك اذ هى ليست معهودة بين الذى هو المتكلم و بين الذى هو المخاطب لكنه أجرى عليه الحكم المعهد اذ لم يكن غيرها فى ذلك الموضع فكأنها معهودة والاولى أن يقال المعهود بمعنى المعروف المعلوم و يؤيده قوله وكانت كالمتعالم عند الناس فكانه نزل مجاءها المخاض الى جذع النخلة التى عرفها الناس وتعينت عندهم بسبب من الاسباب (قوله ينسؤه أهله) أى يدفعه (قوله منسى الذكر) فالاول من شأنه أن لا يذكر وهذ يحتمل أن يكون مذكورا والثانى ما لا يذكر أصلا (قوله أى لا تحزنى) فتكون أن مفسرة (قوله بان لا تحزنى)

على تقدير أن تكون ان ناصبة (قوله لما فيه من المعجزات) أى لما فيما ذكر لا يخفى أن المعجزة أمر خارق مقرون بالتحدى ولا تحدى فى ذلك الوقت فالاولى أن يقال لما فيها من الارهاصات (قوله بعد أن أخبرتكم بنذرى) لك أن تقول هذا من جملة التكلم مع الانسى بعد نذر عدم التكلم فلزم نقض النذر الا أن يقال هذا عندهم من تتمة النذر أو يقال هذا مستثنى للقرينة العقلية لانها لو لم تخبر لكان موجبا لها صرف الناس عنها لعدم جوابها لكلامهم (قوله وكان زائدة) انما حكم بزيادتها لانها دالة على أنه صبى قبل ذلك الزمان لا فى الحال وليس كذلك بل هو فى الحال المذكور صبى وعلى هذا فالظرف وهو قوله فى المهد متعلق بيكون ليفيد الحالية لكن يرد هذا على ما ذكره من كونها تامة واعلم انه ذكر هذا الترديد الذى لم يذكره صاحب الكشاف وترك شيأ ذكره

ترفع به الشبهة قال ان كان لايقاع مضمون الجملة فى زمان ماض مبهم يصلح للقريب والبعيد وهو ههنا للقريب لقرينة خاصة وتوضيح رفع الشبهة بان يقال ان لفظ كان يفيد المبالغة لانه اذا لم يصح التكلم مع من كان فى الزمان الماضى صبيا فالاولى أن لا يصح مع من يكون فى الحال صبيا واعلم انه نقل العلامة الطيبى عن الزجاج ان الاجود أن تكون من بمعنى الشرطية أى من يكن فى المهد صبيا كيف نكلمه قال ابن الانبارى هذا كما يقال كيف أعظ من لا تقبل موعظتى أى من يكن لا تقبل موعظتى فالماضى بمعنى المستقبل فى باب الجزاء واعلم ان الشبهة واردة فيما اذا كانت تامة كما مر مردود ٧ فيه ما مر واما جعلها دائمة فالاشكال ظاهر لان المراد من الدوام الدوام فى ممتنع الازمنة كما صرح به ابن الحاجب حيث قال كان تكون ناقصة لثبوت خبرها ماضيا دائما أو منقطعا ولا وجه للدوام بهذا المعنى ههنا (قوله لانه أول المقامات) أى كون الشخص عبد الله من أول مقامات الكاملين لانه عبارة عن كون العبد مطيعا لاوامر الله ونواهيه ولا يتجاوز عنه أصلا (قوله وللرد على من زعم ربوبيته) الاولى أن يقال للرد على من زعم انه ابن الله فتأمل وقال الشيخ الكامل فى الفتوحات ما رأيت ولا سمعت عن أحد من المقربين انه وقف مع ربه على قدم العبودية المحضة فالملأ الاعلى يقول أتجعل فيها من يفسد فيها والمعصوم من العبث يقولون ربنا ظلمنا أنفسنا ويقولون رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ويقولون ان تهلك هذه العصابة فلن

أسقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع (رطبا جنيا) تمييز أو مفعول روى أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على أن من قدر أن يثمر النخلة اليابسة فى الشتاء قدر أن يحبلها من غير فحل وأنه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال (فكلى واشربى) أى من الرطب وماء السرى أو من الرطب وعصيره (وقرى عينا) وطيبى نفسك وارفضى عنها ما أحزنك وقرئ وقرى بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره أو من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسخنتها للمكروه (فاما ترين من البشر أحدا) فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) صمتا وقد قرئ به أو صياما وكانوا لا يتكلمون فى صيامهم (فلن أكلم اليوم انسيا) بعد أن أخبرتكم بنذرى وانما أكلم الملائكة وأناجى ربى وقيل أخبرتهم بنذرها بالاشارة وأمرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه الصلاة والسلام فانه قاطع فى قطع الطاعن (فأتت به) أى مع ولدها (قومها) راجعة اليهم بعد ما طهرت من النفاس (تحمله) حاملة اياه (قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا) أى بديعا منكرا من فرى الجلد (يا أخت هرون) يعنون هرون النبى عليه الصلاة والسلام وكانت من أعقاب من كان معه فى طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما ألف سنة وقيل هو رجل صالح أو طالح كان فى زمانهم شبهوها به تهكما أو لما رأوا قبل من صلاحها أو شتموها به (ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) تقرير لان ما جاءت به فرى وتنبيه على أن الفواحش من أولاد الصالحين أفحش (فاشارت اليه) الى عيسى عليه الصلاة والسلام أى كلموه ليجيبكم (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) ولم نعهد صبيا فى المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه أو تامة أو دائمة كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما أو بمعنى صار (قال انى عبد الله) أنطقه الله تعالى به أولا لانه أول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته (آتانى الكتاب) الانجيل (وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا) نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضى اما باعتبار ما سبق فى قضائه أو بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل أكمل الله عقله واستنبأه طفلا (أينما كنت) حيث كنت (وأوصانى) وأمرنى بالصلاة

تعبد فى الارض من بعد اليوم وهذا كلمة استعجال لكون الانسان عجولا هذه عبارته و يفهم منه ان العبودية أن لا يتصرف الشخص بنفسه ولا يدعو شيأ ولا يستفهم شيأ بل فوض الامر كله الى سيده فعلى هذا اذا كان الشخص على هذه الحالة فى بعض الاوقات دون بعض كان عبدا فى تلك الحال دون غيرها وان كان على تلك الحال فى جميع الاحوال والاوقات كان عبدا فى جميعها لكن كون الشخص عبدا فى جميع الاوقات لا يعرف بل لعله لم يكن فان أكابر الملأ الأعلى والمعصومين فترت عنهم العبودية المحضة كما ذكر الشيخ فان قيل الطائفة المهيمون عباد محضة لانهم لم يتكلموا بشئ من قبل هذه الأمور بل تهيموا فى تجلى الله تعالى حتى غفلوا عن ذواتهم مطلقا ولم يعلموا غير الله تعالى قلنا العبد المحض من عرف الاشياء لكن لم يتصرف فيها بشئ تفويضا للامر الى الله تعالى (٧) وأما المهيمون فليس لهم تفويض الامر بل فى عز الجبرياء والكبرياء والله أعلم (قوله و يؤيده القراءة بالكسر والجر) أى يؤيد ماذكر قراءة برا بهما أى بكسر الباء وجر الآخر ووجه التأييد انه على تقدير الجر متعلق بأوصانى فهو يناسب نصبه بفعل دل عليه أوصانى (قوله والتعريف للعهد) أى السلام الذى كان على يحيى يكون علىّ ومن هذا يعلم تولد يحيى قبل عيسى عليهما السلام (قوله حيث جعله الموصوف باضداد مايصفونه) فانهم وصفوا عيسى بانه ابن الله وماذكر الله تعالى انه خلق من مريم بسبب جبريل وهو عبد من عباده ونبيه وغير ذلك ثم عكس الحكم أى حكم بعكس ماذكر من صفات فى أمر عيسى بان الموصوف عيسى فانه مبعوث ماذكروه من أن هذا قدم الموصوف ليس برسولا

(بالصلاة والزكاة) زكاة المال ان ملكته أو تطهير النفس عن الرذائل (مادمت حيا و برا بوالدتى) و بارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على أنه مصدر وصف به أو منصوب بفعل دل عليه أوصانى أى وكلفنى برا و يؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة (ولم يجعلنى جبارا شقيا) عند الله من فرط تكبره (والسلام على يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حيا) كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر أنه للجنس والتعريض باللعن على أعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى (ذلك عيسى ابن مريم) أى الذى تقدم نعته هو عيسى بن مريم لا مايصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهانى حيث جعله موصوفا باضداد مايصفونه ثم عكس الحكم (قول الحق) خبر محذوف أى هو قول الحق الذى لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتمام القصة وقيل صفة عيسى أو بدل أو خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر و يعقوب قول بالنصب على أنه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول (الذى فيه يمترون) فى أمره يشكون أو يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى عما بهتوه (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) تبكيت لهم فان من اذا أراد شيا أوجده بكن كان منزها عن شبه الخلق الى الحاجة فى اتخاذ الولد باحبال الإناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب (وان الله ربى و ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان وأن بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلاة (فاختلف الاحزاب من بينهم) اليهود والنصارى أو فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله و يعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيامة أو من وقت الشهود أو من مكانه فيه أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو أن تشهد عليهم الملائكة والانبياء وألسنتهم وآرابهم وأرجلهم بالكفر والفسق أو من وقت الشهادة أو من مكانها وقيل هو ماشهدوا به فى عيسى وأمه (أسمع بهم وأبصر) تعجب معناه أن استماعهم وابصارهم (يوم يأتوننا) أى يوم القيامة جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا فى الدنيا أو التهديد بما سيسمعون و يبصرون يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم

(قوله أو لتمام القصة) أى لآخرها وهو قوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم (قوله مصدر مؤكد) أى مصدر مؤكد لمضمون جملة عكس عيسى بن مريم (قوله ولان) فيكون معطوفا على قوله تعالى اذا قضى اذ كانه قيل ما كان لله أن يتخذ من ولد لانه اذا قضى أمرا من وجه يقول له كن فيكون ولان الله ربى وعلى هذا يكون معنى الكلام قل يا محمد ما كان لله أن يتخذ من ولد فان قيل كون الله ربا لكل شئ والامر بعبادته لا ينافى اتخاذ الولد قلنا لا خفاء ان المقصود الامر بعبادته دون غيره ولو كان له تعالى ابن لوجب عبادته أيضا كما قال تعالى قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (قوله أو التهديد بما سيسمعون) فعلى الاول التعجب من سماعهم وابصارهم يوم يأتوننا وعلى الثانى سيسمعون و يبصرون يوم يأتوننا فهذا تخويف لانهم سيسمعون و يبصرون أمورا عظيمة كما قال

ولنعلمن نبأه بعد حين فان قيل لا يفهم من المعنى الذى ذكره أولا وثانيا كون الجار والمجرور فاعلا بل المراد على الاول ان شأنهم أن يتعجب الناس من اسماعهم وابصارهم وقس عليه المعنى الثانى قلنا أراد أن الجار والمجرور كان فاعلا فى الاصل فان أفعل بزيد على مذهب سيبويه فعل وفاعل (١) والباء زائدة ولا يلزم أن يكون فاعلا نظرا الى المعنى المراد كما كان فى ما أحسن زيدا

زيدا مفعولا فى الاصل لكن اذا قصد معنى التعجب لم يكن كذلك ولذا قال بعضهم ان التقدير المذكور لتقهقر الاعراب أى لتسهيل طريقة الفهم فى الاصل قبل النقل الى التعجب لا لبيان انها بذلك المعنى فى هذه الحال لانها الآن لانشاء التعجب والحاصل انه اذا اعتبر أن الصيغتين المذكورتين كانتا فى الاصل على الاعراب المذكور ثم نقلتا الى معنى التعجب يكون بهم فاعلا نظرا الى المعنى الاصلى على ما هو مذهب سيبويه كما مر وأما اذا لم يعتبر معنى التعجب كان بهم مفعولا (قوله والجار والمجرور على الاول فى موضع الرفع الخ) المراد من الاول الوجهان المذكوران أولا ومن الثانى ما قاله بقوله وقيل لان المعنى حينئذ أسمعهم وأبصرهم (قوله حال متعلقة بقوله فى ضلال مبين) أى كائنون فيه حال كونهم فى غفلة (قوله بدل من ابراهيم على هذا التقدير) لم يكن اذ ظرفا بل لمجرد الزمان فاما على التقديرين الاخيرين

و يبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول فى موضع الرفع وعلى الثانى فى موضع النصب (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) أوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا أنفسهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين (وأنذرهم يوم الحسرة) يوم يتحسر الناس المسىء على اساءته والمحسن على قلة احسانه (اذ قضى الامر) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم أو ظرف للحسرة (وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون) حال متعلقة بقوله فى ضلال مبين وما بينهما اعتراض أو بانذرهم أى أنذرهم غافلين غير مؤمنين فتكون حالا متضمنة للتعليل (انا نحن نرث الارض ومن عليها) لا يبقى لأحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك أو نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه (والينا يرجعون) يردون للجزاء (واذ كر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا) ملازما للصدق أو كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله (نبيا) استنبأه الله (اذ قال) بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض أو متعلق بكان أو بصديقا نبيا (لابيه يا أبت) التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا أبتى و يقال يا أبتا وانما تذكر للاستعطاف ولذلك كررها (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) فيعرف حالك و يسمع ذكرك و يرى خضوعك (ولا يغنى عنك شيأ) فى جلب نفع أو دفع ضر دعاه الى الهدى و بين ضلاله واحتج عليه أبلغ احتجاج وأرشقه برفق وحسن أدب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التى تدعو الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح و يأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التى هى غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيى المميت المعاقب المثيب ونبه على أن العاقل ينبغى أن يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشئ لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن كان ممكنا لا يستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان أشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله فى الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى أن يتبعه ليهديه الى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهى مستقلا بالنظر السوى فقال (يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا) ولم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له فى مسير يكون أعرف بالطريق ثم نبطه بما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضرفانه فى الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال (يا أبت لا تعبد الشيطان) ولما استهجن ذلك بين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) ومعلوم أن المطاع للعاصى عاص وكل عاص حقيق بأن تسترد منه النعم و ينتقم منه ولذلك عقبه بتخو يفه سوء عاقبته وما يجر اليه فقال (يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) قرينا فى اللعن والعذاب تليه و يليك أو تابعا فى موالاته فانه أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة أو لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من بين جناياته لارتقاء عصمته فى الربانية أو لانه ملاكها

فهو ظرف (قوله لا يقال يا بتى) لاجتماع العوض والمعوض وأما يا بتا فهو باشباع فتحة التاء (قوله فانه أو كبر الخ) أى موالاة الشيطان ورضاه أكبر من كل واحد من العذاب لان رضاه منشأ كل سخط وعذاب كما ان رضوان الله تعالى منشأ كل نعيم وثواب (قوله اما للمجاملة) أى لحسن العشرة والمخاطبة فان الخوف عدم الجزم بالعذاب وهو يفيد ما ذكر

وكذا المس وتنكير العذاب يدل بحسب الظاهر على الخفة والقلة (قوله أو لخفاء العاقبة) يعني يمكن ان ابراهيم يعلم في ذلك الوقت عاقبة حال أبيه وان العذاب لاحق به ألبتة ولذا قال أخاف ولم يعلم ان عذابه عظيم أو لا لكن الغالب على الظن ان مثل أبيه لا يخلو من عذاب ما على أي حال فلذا قال بالمس وتنكير العذاب (قوله والمعنى اقتصاره على عصيان الشيطان من جنايته الخ) أي ليذكر انه عدو لبني آدم ومغويهم يريد دخولهم في النار وغيرذلك بل اقتصر من جنايته وقبائح أعماله على مجرد العصيان للرحمن لارتقاء همته في الربانية أي لتعالي همة ابراهيم بالرب تعالى ومايتعلق به دون أحوال بني آدم أو لانه علا كها أي لان العصيان ملاك الجنايات أو لانه من حيث انه الخ أو لان العصيان نتيجة معاداته آدم لان عصيانه (٩) ترك السجود مع الامر به فذكر ابراهيم عليه السلام ان الشيطان عدو لآدم وأولاده فلا ينبغي ان يتبعه (قوله لانكار نفس الرغبة) لان الانكار يتوجه الى مايلي الهمزة (قوله وان ملاك الامر خاتمته) وهو ايس بمعلوم اذ الانبياء عليهم السلام يعلمون الاشياء بالوحي واعل هذا الامر غير معلوم في تلك الحالة وان كان كلهم مأمون العاقبة (قوله والمراد باللسان مايوجد به) أي الكلام الذي يوجد باللسان وصدر منه (قوله واضافته الى الصدق الخ) لانه اذا كان تبوؤهم صادقا وعليها كانوا أحقاء بما ذكر وما هو صادق على شيء يثبت بقاؤه على مر ور الدهر (قوله فانبأهم عنه) أي المراد من قوله تعالى نبيا أنبأ صفات الله تعالى وشرائعه للبعوث اليهم (قوله ولذلك قدم رسولا مع انه أخص وأعلى) أي قدم رسولا على نبيا لما ذكر وهو ان كونه رسولا مقدم على اتيانه للخلق مع ان الرسول أخص من النبي اذ كل رسول نبي ولا عكس وكذا الرسول أعلى من النبي اذ الرسول يشتمل على كمالات النبي لانه نبي وكونه أخص وأعلى يقتضيان التقديم من وجه ويمكن أن يقال انه قدم رسولا على نبيا لما ذكر مع ان الرسول أخص من النبي وأعلى وهذان يقتضيان تقديم النبي على الرسول من وجه آخر اذ يقال عالم بحر ولا يقال بحر عالم (قوله بان تمثل له الكلام من تلك الجهة) أي من الجهة التي فيها اليمين أعم من أن تكون بيمين هي جهة حقيقية معينة أو لا وفيه غاية ابهام والاولى أن يقال من ناحية اليمني أو من جهة الميمون لان كلامه تعالى لا يختص بجهة دون جهة كما ان صاحب الكلام كذلك وسيجيء في تفسير سورة طه في كلام المصنف انه قيل لما نودي قال من المتكلم قال اني

أولانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها (قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم) قابل استفهامه واطفه في الارشاد بالفظاظة وغاظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبتي بيا بني وأخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كأنها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال (لئن لم تنته) عن مقالك فيها أو الرغبة عنها (لارجمنك) بلساني يعني الشتم والذم أو بالحجارة حتى تموت أو تبعد مني (واهجرني) عطف على مادل عليه لارجمنك أي فاحذرني واهجرني (مليا) زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عني (قال سلام عليك) توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة أي لا أصيبك بمكروه ولا أقول لك بعد مايؤذيك ولكن (سأستغفر لك ربي) لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة (انه كان بي حفيا) بليغا في البر والالطاف (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) بالهاجرة بديني (وأدعو ربي) وأعبده وحده (عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا) خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على أن الاجابة والاثابة تفضل غير واجبتين وأن ملاك الامر خاتمته وهو غيب (فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله) بالهجرة الى الشام (وهبنا له اسحق ويعقوب) بدل من فارقهم من الكفرة قيل انه لما قصد الشام أتى أولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب واعلم تخصيصهما بالذكر لانهما شجرة الانبياء أو لانه أراد أن يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد (وكلا جعلنا نبيا) وكلا منهما أو منهم (ووهبنا لهم من رحمتنا) النبوة والامر والاولاد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان مايوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء أو أسلم وجهه لله وأخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على أن الله أخلصه (وكان رسولا نبيا) أرسله الله الى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع أنه أخص وأعلى (وناديناه من جانب الطور الايمن) من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى أو من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة (وقربناه)

تقريب تشريف شبهه بمن قرب به الملك لمناجاته (نجيا) مناجيا حال من أحد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع لما روى أنه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم (ووهبنا له من رحمتنا) من أجل رحمتنا أو بعض رحمتنا (أخاه) معاضدة أخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من أهلي فانه كان أسن من موسى وهو مفعول أو بدل على تقدير أن تكون من للتبعيض (هرون) عطف بيان له (نبيا) حال منه (واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد) ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف بأشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك أنه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى (وكان رسولا نبيا) يدل على أن الرسول لا يلزم أن يكون صاحب شريعة فان أولاد ابراهيم كانوا على شريعته (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكوة) اشتغالا بالاهم وهو أن يقبل الرجل على نفسه ومن هو أقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقيل أهل أمته فان الانبياء آباء الامم (وكان عند ربه مرضيا) لاستقامة أقواله وأفعاله (واذكر في الكتاب ادريس) وهو سبط شيث وجد أبي نوح عليهم السلام واسمه أخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد أن يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روى أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب (انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا) يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة أو الرابعة (أولئك) اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس عليهم السلام (الذين أنعم الله عليهم) بانواع النعم الدينية والدنيوية (من النبيين) بيان للموصول (من ذرية آدم) بدل منه باعادة الجار ويجوز أن تكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم أعم من الانبياء وأخص من الذرية (ومن حملنا مع نوح) أي ومن ذرية من حملناه في السفينة وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) الباقون (واسرائيل) عطف على ابراهيم أي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية (ومن هدينا) ومن جملة من هديناهم الى الحق (واجتبينا) للنبوة والكرامة (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستئناف ان جعلته خبرا لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى وعن النبي عليه الصلاة والسلام اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا كما تباكى جرباك كالسجود في جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث غير حقيقي وقرأ حمزة والكسائي بكيا بكسر الباء (فخلف من بعدهم خلف) فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون (أضاعوا الصلوة) تركوها أو أخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور (فسوف يلقون غيا) شرا كقوله

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

أو جزاء غي كقوله تعالى يلق أثاما أو غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم يستعيذ منه أودية (الا من تاب وآمن وعمل صالحا) يدل على أن الآية في الكفرة (فأولئك يدخلون الجنة) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من أدخل (ولا يظلمون شيأ) ولا

أي الله فوسوس اليه ابليس لعل تسمع كلام شيطان فقال أما عرفت انه كلام الله بأني أسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء وهذا القول يقوى الوجه الثاني بل يعينه (قوله أو بدل) أي بدل من المقدر اذ التقدير ووهبنا له شيأ من رحمتنا فيكون أخاه بدلا من شيأ وان كان ظاهر عبارته يفيد ان أخاه بدل من الحرف الذي هو من الذي للتبعيض الا أن يقال ان من التبعيضية اسم كالكاف بمعنى المثل لكن ما رأيناه في كلامهم (قوله عطف بيان له) انما اختار هذا على البدل لان أخاه مقصود بالذات لان عظم النعمة بجعل أخيه نبيا لا بجعل الشخص المسمى بهارون نبيا فهذا من دقائق العربية

(قوله لانه المضاف اليه فى العلم) توضيحه ان عدن علم لان جنات عدن معرفة لاتصافها بالوصول الذى هو من المعارف وهو قوله تعالى التى وعد الرحمن وليس تعريفها الا باضافتها الى عدن وتعريف عدن ليس الا لكونه علما اذ لايصح أن يكون شيأ من أقسام المعارف الا العلم فقوله لانه المضاف اليه فى العلم معناه ان عدنا مضاف اليه الجنات التى هى علم أى فى حكمه لان تعريفها بسبب علمية ماأضاف هى اليه (قوله أوعلم للعدن بمعنى الاقامة) فعلى الوجه الاول يكون العدن علم الشخص الذى هو الجنة المخصوصة وعلى الثانى يكون علم الجنس (قوله تعالى وما تنزل الا بامر ربك الآية) فان قلت ماوجه الارتباط بين هذه الآية و بين ماتقدم عليها قلت والله أعلم لعل وجهه انه لما ذكر حال طوائف بنى آدم من النبيين والعصيين والتائبين أو المتقين ناسب أن يذكر حال باقى ذوى العقول من الملائكة بالنسبة الى خالقهم وقال بعضهم فى وجه الارتباط تلك الجنة وان كانت من خلق الرحمن لخفائها ان يرحم بها مقيم الصلاة وتاركها ومتبع الشهوات ومجتنبها هى التى نفرت من غير المتقى من عبادنا وان انتسبوا الى عظيم رحمتنا من كان تقيا ٧ فانه يأخذ نسبته وتصيب غير المتقى بمقتضى عموم الرحمة رعاية للحكمة ولا يبعد التخصيص فى الرحمة العامة مع وقوعه فى الرحمة الخاصة فان منها انزال الملائكة على الانبياء ولايعم جميع أوقاتهم بل اختص بعضها وما نتنزل الا بامر ربك هذا كلامه ولا يخفى مافيه من التكلف البعيد (قوله وانما عدى بالام لتضمنه معنى الثبات) أى الصبر يتعدى بعلى دون اللام فتعديته ههنا باللام لاجل تضمن معنى الثبات وكانه قيل اصبروا ثبتا لعبادته

ينقصون شيأ من جزاء أعمالهم ويجوز أن ينتصب شيأ على المصدر وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لايضرهم ولاينقص أجورهم (جنات عدن) بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها أومنصوب على المدح وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف وعدن علم لانه لمضاف اليه فى العلم أوعلم لعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ماأضيف اليه بقوله (التى وعد الرحمن عباده بالغيب) أى وعدها اياهم وهى غائبة عنهم أوهم غائبون عنها أوعدهم بايمانهم بالغيب (انه) ان الشأن (كان وعده) الذى هو الجنة (مأتيا) يأتيها أهلها الموعودلهم لامحالة وقيل هو من أتى اليه احسانا أى مفعولا منجزا (لايسمعون فيها لغوا) فضول كلام (الا سلاما) ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة أوتسليم الملائكة عليهم أوتسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع أوعلى معنى أن التسليم ان كان لغوا فلايسمعون لغوا سواه كقوله

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أوعلى أن معناه الدعاء بالسلامة وأهلها أغنى عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته لاكرام (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره (تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا) نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة قوى لفظ يستعمل فى تملك والاستحقاق من حيث انها لاتعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل بردولا استقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التى كانت لاهل النار لو أطاعوا زيادة فى كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد (وما نتنزل الا بامر ربك) حكاية قول جبريل عليه الصلاة والسلام حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة أصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولم يدر ماالجواب ورجا أن يوحى اليه فيه فأبطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه فنزل بيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى أنزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ماتقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحى (له مابين أيدينا وما خلفنا ومابين ذلك) وهو مانحن فيه من الاماكن والاحايين لانتنقل من مكان الى مكان ولا ننزل فى زمان دون زمان الا بامره ومشيئته (وما كان ربك نسيا) تاركا لك أى ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كازعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل أول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة ولمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فماوجدناه وماتجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم أى وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين وماوعدهم من الثواب عليها وقوله (رب السموات والارض ومابينهما) بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف أو بدل من ربك (فاعبده واصطبر لعبادته) خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مرتب عليه أى لما عرفت ربك بأنه لاينبغى له أن ينساك أوأعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولاتنشوش بانطاء الوحى وهزء الكفرة وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات فيها يورد عليه من الشدائد

(قوله ولا يستحق العبادة غيره) لا يعلم من تخصيص تسميته بالله دون غيره عدم استحقاق الغير للعبادة ويمكن أن يقال لما كان هذا الاسم الشريف دل على غاية الكمال وقد حفظ عن الشركة دل على ان المسمى فى غاية الكمال محفوظ عن الشركة فى العبادة (قوله المراد الجنس باسره) اذا كان كذلك لزم قول كل واحد من أفراد الانسان وليس كذلك وأما الاستشهاد بالمثال المذكور فيه انه يجوز أن يراد بنى فلان بعضهم أو كلهم باعتبار ان البعض يباشر الفعل وآخرون رضوا به فكان كلهم قتلوه والمعنى بنو فلان صاروا سبب قتله

ويمكن أن يقال مراده انه يراد بهذه الكلمة وهى الانسان العموم لكن قد رمضاف وهو البعض وكأنه قيل ويقول بعض من كل هذا الجنس ومحل الكلام فيها انه اما ان يراد بالانسان الجنس والعموم ويقدر مضاف أو يراد به المعهود ولا يخفى ما فيه (قوله على الخبر) أى على الخبر بحسب الظاهر اذ لا يصدر بكلمة الاستفهام والافعلى التقدير الاول خبر لانه فى معنى الانكار (قوله مع ان الاصل أن يتقدما) أى يتقدم المعطوف عليه والمعطوف يعنى أو يقول الانسان الخ انما كان الاصل ذلك لان القول المذكور منكر فالاصل أن تدخل همزة الانكار عليه حتى يكون الجميع فى حيز الانكار (قوله صاغ نسبته الى الجنس) اذ يصح أن يقال ان كل الجنس يحشر مع الشياطين لان كلهم يحشرون معا (قوله من كل أمة شاعت دينا) لا يخفى ان هذه العبارة شاملة لطوائف المؤمنين أيضا ولا يناسب ما اتصل به وهو أيهم أشد على الرحمن عتيا والاولى أن يفسر بما فسره صاحب الكشاف بان يقال المراد من الشيعة الطائفة التى شايعت أى تبعت غاويا من الغواة (قوله وفى ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من أهل الكبائر) فيه انه لا يلزم من نزع الاشد عتيا ترك غير الاشد والعفو عنه ولو لزم فلا يلزم أيضا اذا خص بالكثرة الا أن يقال ظاهر التركيب واختصاص الاشد بالذكر يفيد ما ذكر وأما اذا خص بالكثرة فيلزم من خارج ان غير

والشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك (هل تعلم له سميا) مثلا يستحق أن يسمى الها أو أحدا سمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الهالم يسموه الله فط وذلك لظهور أحديته تعالى وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر أى اذا ضح أن لا أحد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشقها (ويقول الانسان) المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقله كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم أو بعضهم المعهود وهم الكفرة أو أبى بن خلف فانه أخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد أنا نبعث بعد ما نموت (أئذا ما مت لسوف أخرج حيا) من الارض أو من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه أخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهى ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام فى يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروى عن ابن ذكوان اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر (أولا يذكر الانسان) عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين الماطف مع أن الاصل أن تتقدمها للدلالة على أن المنكر بالذات هو المعطوف وأن المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتأمل (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ) بل كان عدما صرفا فلم يقل ذلك فانه أعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فهما من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذى يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل (فوربك لنحشرنهم) أقسم باسمه تعالى مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم (والشياطين) عطف أو مفعول معه لما روى أن الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم كل مع شيطانه فى سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم (ثم لنحضرنهم حول جهنم) ايرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم (جثيا) على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع أولانه من توابع التوقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب وأهل الموقف جاثون لقوله تعالى وترى كل أمة جاثية على المعتاد فى مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم أو لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وقرأ حمزة والكسائى وحفص جثيا بكسر الجيم (ثم لننزعن من كل شيعة) من كل أمة شاعت دينا (أيهم أشد على الرحمن عتيا) من كان أعصى وأعتى منهم فنطرحهم فيها وفى ذكر الاشد تنبيه على أنه تعالى يعفو كثيرا

الاشد معفوعنه (قوله فالمراد انه يميز طوائفهم الخ) هذا التفسير لا يلائم ظاهر الآية لانها تدل على انه تعالى ينزع من كل طائفة أعتاهم فيكون المنتزع بعض كل طائفة لا الطائفة ولذا قال صاحب الكشاف بريد يتميز من كل طائفة من طوائف البغي والفساد اعصاهم فاعصاهم وأعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار نقدم أولاهم فاولاهم بالعذاب (قوله ومرفوع عند غيره اما بالابتداء الخ) لما كان كونه معربا يقتضي أن يكون منصوبا بانتزعن بين وجه رفعه اولا بكونه مبتدأ ووجه ابتداءه بوجوه ثلاثة أحدها كون الجملة محكية الثاني كونها معلقا عنها الفعل الثالث كون الجملة مستأنفة وثانيا بكونه فاعل شيعة (قوله أو مستأنفة) الظاهر ان المراد من كونها مستأنفة ان يكون كلاما مستقلا لا ان تكون جوابا للسؤال اذ الكلام في ان أيهم للاستفهام نعم لو لم يجعل أيهم استفهاما لا يمكن ان يجعل جوابا للسؤال ولذا قال صاحب الكشاف ويجوز أن يكون النزع

من أهل العصيان ولوخص ذلك بالكفرة فالمراد أنه يميز طوائفهم أعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب أو يدخل كلا طبقتها التي تليق به وأيهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه أن يبنى كسائر الموصولات لكنه أعرب جملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زادت نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على أنه استفهامي وخبره أشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم أيهم أشد أو معلق عنها النتزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم أو مستأنفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من أو على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان أو متعلق بافعل وكذا الباء في قوله (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) أي لنحن أعلم بالذين هم أولى بالصلي أو صليهم أولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز أن يراد بهم وبأشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف اضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص صليا بكسر الصاد (وان منكم) وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده أنه قرئ وان منهم (الا واردها) الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر رضي الله عنه أنه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وأما قوله تعالى أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها (كان على ربك حتما مقضيا) كان ورودهم واجبا أوجبه الله على نفسه وقضى به بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل أقسم عليه (ثم ننجي الذين اتقوا) فيساقون الى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء أي هناك (ونذر الظالمين فيها جثيا) منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على أن المراد بالورود الجثو حولها وأن المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيآتهم (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها أو ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم أو واضحات الاعجاز (قال الذين كفروا للذين آمنوا) لاجلهم أو معهم (أي الفريقين) المؤمنين والكافرين (خير مقاما) موضع قيام أو مكانا وقرأ ابن كثير بالضم أي موضع اقامة ومنزل (وأحسن نديا) مجلسا ومجتمعا والمعنى أنهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها

قيل على الرحمن (قوله وكذا الباء في قوله الخ) أي الباء في قوله تعالى بها (قوله أي لنحن أعلم بالذين هم أولى بالصلي) هذا بناء على تقدير ان يكون بها للبيان لانه اذا قيل الذين هم أولى بالصلي كان سائلا قال باي شئ الصلي فقيل بالنار والثاني على تقدير ان تكون الباء متعلقة باولى (قوله التفات الى الانسان) أي الخطاب مع الانسان المذكور قبل في قوله أولا يذكر الانسان (قوله وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حولها) يرد عليه انه يدل على الجثو فيها لا الجثو حولها ومثله يرد على عبارة الكشاف ووجهه العلامة الطيبي بانه قد سبق ان المراد بالورود اما الدخول أو الجواز على الصراط أو القرب والدنو من جهنم أو الجثو حولها والذي يدل على ظهور الوجه الاخير قوله ونذر الظالمين فيها جثيا لما قلنا ان ننجي ونذر تفصيل لقوله وان منكم الا واردها ولا بد على هذا الوجه من تقدير مضاف أي نذر الظالمين في حول جهنم انتهى كلامه ولا يخفى ان هذا الجواب لا يجري في كلام المصنف اذ لم يسبق

والدخل عليها أخذ والى الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك أيضا مع التهديد بنقضيا بقوله (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا) وكم مفعول أهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي أهل كل عصر قرنا لأي مقدما من قرن الدابة وهو مقدمه ملانه يتقدم من بعده وهم أحسن صفة لكم وأثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي مارث والرثي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرأ نافع وابن عامر وريا على قلب الهمزة واد غامها أو على أنه من الري الذي هو النعمة وقرأ أبو بكر رييا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين أن تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الآخرة بقوله (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما أخرجه على لفظ الامر إيذانا بأن امهاله مما ينبغي أن يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر (حتى اذا رأوا ما يوعدون) غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا أي قالوا أي الفريقين خير حتى اذا رأوا ما يوعدون (اما العذاب واما الساعة) تفصيل للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا وأسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال (فسيعلمون من هو شر مكانا) من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى (وأضعف جندا) أي فئة وأنصارا قابل به أحسن نديا من حيث ان حسن النادي باجتماع وجوه القوم وأعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين أن امهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله أراد أن يبين أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل أراد به ما هو خير له وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية (والباقيات الصالحات) الطاعات التي تبقى عائدتها أبد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) عائدة مما متع به الكفرة من النعم الخبيثة الفانية التي يفتخرون بها سيأوما آلها النعيم المقيم وما آل هذا الحسرة والعذاب الدائم كما أشار اليه بقوله (وخير مردا) والخير ههنا اما لمجرد الزيادة أو على طريقة قولهم الصيف أحر من الشتاء أي أبلغ في حره منه في برده (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا) نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية أقوى سند الاخبار استعمل أرأيت بمعنى الاخبار والفاء على أصلها في التعقيب والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث أوائك وقرأ حزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد في أسد أو لغة فيه كالعرب والعرب (أطلع الغيب) أفقد بلغ من عظمة شانه الى أن ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالا وولدا وتألى عليه (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) أو اتخذ من عالم الغيب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه

(قوله فرد عليهم ذلك أيضا مع التهديد بنقضا بقوله الخ) ولانهم استدلوا بحسن حالهم في الدنيا على حسن حالهم عند الله فرد عليهم بان القرون المتقدمة أحسن حالا في الدنيا منهم مع اهلاكهم من الله تعالى بالعذاب والاستئصال (قوله لانه يتقدم من بعده) كان قرن الحيوان يتقدمه (قوله والجملة محكية بعد حتى) أي حتى غايته هي حتى التي يحكى بعدها الجمل وتستأنف لا حتى التي تجر أو تنصب ولا حتى العاطفة (قوله لانه في معنى الخبر الخ) فلا يلزم من عطف يزداد عليه عطف الخبر على الانشاء (قوله ويزيد المقابل له هداية) بهذا التقدير يحصل الربط بين الشرط والمعطوف على الجزاء (قوله والخير ههنا الخ) أي ليس المراد من الخير به الانفعية بالنسبة الى مراد الكفرة حتى يلزم أن يكون هو أيضا فعا بل المراد من الخير ههنا الذي فيه أصل النفع والزيادة عليه (قوله والفاء على أصلها من التعقيب) والاصل فأرأيت بمعنى فأخبر فقدمت الهمزة وأخرت الفاء لصدارة الاستفهام (قوله وتألى عليه) أي حلف عليه الحالف يستفاد

(كلا) ردع وتنبيه على أنه مخطئ فيما تصوره لنفسه (سنكتب مايقول) سنظهر له أنا كتبنا قوله على طريقة قوله * اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * أى تبين أنى لم تلدنى لئيمة أوسننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتابة لاتتأخر عن القول لقوله تعالى مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد (ونمد له من العذاب مدا) ونطول له من العذاب مايستاهله أونزيد عذابه واضاعفه له لكفره وافترائه واستهزائه على الله جاءت عظمته ولذلك أكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه (ونرثه) بموته (مايقول) يعنى المال والولد (ويأتينا) يوم القيامة (فردا) لايصحبه مال ولاولد كان له فى الدنيا فضلا أن يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده (كلا) ردع وانكار لتعززهم بها (سيكفرون بعبادتهم) ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ماعبدتمونا لقوله تعالى اذتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا أو سينكر الكفرة لسوء العاقبة أنهم عبدوها لقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (ويكونون عليهم ضدا) يؤيد الاول اذافسر الضد بضد العز أى ويكونون عليهم ذلا أو بضدهم على معنى أنها تكون معونة فى عذابهم بأن توقد بها نيرانهم أوجعل الواو للكفرة أى يكونون كافرين بهم بعد أن كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذى به مضادتهم فانهم بذلك كالشئ الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف قلب ألف الاطلاق فى قوله * أقلى اللوم عاذل والعتابن * أو على معنى كل هذا الرأى كلا وكلا على اضمار فعل يفسره مابعده أى سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) بأن سلطناهم عليهم أوقيضنا لهم قرناء (تؤزهم أزا) تهزهم وتغريهم على المعاصى بالتسويلات وتطييب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقاويل الكفرة وتماديهم فى الغى وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على مانطقت به الآيات المتقدمة (فلا تعجل عليهم) بان يهلكوا حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم (انما نعد لهم) أيام آجالهم (عدا) والمعنى لاتعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا أيام محصورة وأنفاس معدودة (يوم نحشر المتقين) نجمعهم (الى الرحمن) الى بر بهم الذى ظهرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم فى هذه السورة شأن ولعله لان مساق هذا الكلام فيما تعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها (وفدا) وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين اكرامهم وانعامهم (ونسوق المجرمين) كما تساق البهائم (الى جهنم وردا) عطاشا فان من يرد الماء لايرده الا عطش أو كالدواب التى ترد الماء (لايملكون الشفاعة) الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) الامن تحلى بما يستعد به و يستأهل أن يشفع له العصاة من الايمان والعمل الصالح على ماوعد الله تعالى أو الامن اتخذ من الله اذنا فيها كقوله تعالى لاتنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره به ومحله الرفع على البدل من الضمير أو النصب على تقدير مضاف أى الاشفاعة من اتخذ أو على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لايملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به أن يشفع له بالاسلام (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز أن ينسب اليهم (لقد جئتم شيئا ادا) على الالتفات للمبالغة فى الذم والتسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى والأد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وأدنى

من قوله لاوتين اذا اللام لام القسم (قوله فان نفس الكتابة لاتتأخر عن القول) هذا دليل على ان سنكتب ليس على معناه الحقيقى والالزم أن يكون المعنى بعد ذلك نكتب مايقول فى زمان الحال فيلزم تأخر الكتابة عن القول مع ان قوله مايلفظ من قول الخ يراد به ان الملك الموكل يكتب فى الحال مايقول (قوله أوجعل الخ) عطف على يؤيد الاول أى جعل الواو للاصنام ويؤيده ماذكر أوجعل الضمير للكفرة (قوله أوعلى الاستئناف) أى على الاستئناف من الضمير (قوله والضمير يحتمل الوجهين) أى يحتمل أن يعود الى الناس جميعا والى الكافرين المعهودين وفى الاحتمال الاول ماتقدم (قوله جاز أن ينسب اليهم) الوجه هو الوجه الثانى وهو ان ينسب الى الكفرة ولا وجه لان ينسب الى جميع الناس شامل للمؤمن والكافر (قوله على الالتفات للمبالغة فى الذم) فان ذم الشخص بطريق المخاطبة وفى الحضور أشد من ذمه بالغيبة

الامر وآدنى أثقلنى وعظم على (تكاد السموات) وقرأ نافع والكسائى بالياء (يتفطرن منه) يتشققن مرة بعد أخرى وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وأبو بكر ويعقوب ينفطرن والاول أبلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان أصل التفعل التكلف (وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) تهدهدا أومهدودة أولانها تهد أى تكسر وهو تقرير لكونه اداوالمعنى أن هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتت من شدتها أوأن فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبددقوائمه غضبا على من تفوه بها (أن دعوا للرحمن ولدا) يحتمل النصب على العلة لتكاد أولهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام أو بالابدال من الهاء فى منه والرفع على أنه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك أن دعوا أوفاعل هدا أى هدهاد عاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثانى ليحيط بكل مادعى له ولدا أومن دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه (وماينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لوطلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ماعداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولى أصولها وفروعها فكيف يمكن أن يتخذه ولدا ثم صرح به فى قوله (ان كل من فى السموات والارض) أى مامنهم (الا آتى الرحمن عبدا) الاوهو مملوك له يأوى اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل (لقد أحصاهم) حصرهم وأحاط بهم بحيث لايخرجون عن حوز علمه وقبضة قدرته (وعدهم عدا) عد أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم فان كل شئ عنده بمقدار (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) منفردا عن الانباع والانصار فلا يجانسه شئ من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا يقول لجبريل أحببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء ان الله قد أحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم توضع له المحبة فى الارض والسين أمالان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام أولان الموعود فى القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فيتزع مافى صدورهم من الغل (فانما يسرناه بلسانك) بان أنزلناه بلغتك والباء بمعنى على أوعلى أصله لتضمن يسرناه معنى انزلناه أى أنزلناه بلغتك (لتبشر به المتقين) الصائرين الى التقوى (وتنذر به قوما لدا) اشداء الخصومة آخذين فى كل لديداى شئ من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وأنذر (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) تخويف للكفرة وتحسير للرسول صلى الله عليه وسلم على انذارهم (هل تحس منهم من أحد) هل تشعر باحد منهم وتراه (أوتسمع لهم ركزا) وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفى وأصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم أعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورين فيها وبعدد من دعا الله فى الدنيا ومن لم يدع الله

﴿ سورة طه مكية وهى مائة وأربع وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(طه) لغمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل ونغم الطاء وحده أبو

(قوله والمعنى ان هول هذه الكلمة الخ) الاولى أن يقال ان هذه الكلمة من الهول بحيث لو تسمع السموات والارض لانفطرت ولا انشقت

(قوله تعالى أوتسمع لهم ركزا) انما خص الخفى بالركز لانه اذا لم يسمع منهم الصوت الخفى فبالاولى أن لا يسمع الغير الخفى لان أصل الصوت وأكثره يكون خفيا والجهارة قد تعرض له والاولى ان يقال تخصيصه بالذكر للتنبيه على ان الاثر الظاهر لم يبق لهم فهل يبقى الاثر الخفى

﴿سورة طه﴾

(قوله فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار) أى جعلوا ياطا آ وحذفوا ذا من هذا فبقى طه قال صاحب الكشاف كانهم فى لغتهم قالوا بون الهاء طاء أى كأن عكاجرى فى لغتهم قلب الهاء طاء (قوله لجواز أن يكون قسما) أى بعضهم استدل على ان طاها بمعنى يارجل بما ذكر فى البيت فقال ان طاها المذكور فى البيت يجوز أن يكون قسما فلا يلزم أن يكون بمعنى يارجل (قوله وقلبت فى يطأ الفا الخ) أى يطأ مهموز اللام فقلبت همزته ألفا ثم بنى عنه الامر فبقى مجرد حرف الطاء ثم ضم اليه هاء السكت فصار طه أمر اوهذا متفرع على ماذكرمن أنه قرئ طه ط بلا ألف وضم الهاء هاء السكت (قوله وعلى هذا الخ) أى على هذا التقدير وهو أن يكون طه أمرا يمكن أن يكون طاها وهو قراءة قالون وابن كثير وابن عامر وحفص كاذ كرأولا وقراءة الباقين من القراء السبعة كاذ كرثانيا وثالثا أمرا أيضا وتكون الالف طامقلوبة من الهمزة وهاضمير راجع الى الارض وفيه أنه لو كان كذلك لزم كتابتها بطاها بان تكون الالف فى آخرهما مكتوبا (قوله أو كتفى بشطرى الكلمتين) أى كتفى عن طاهما بمجرد حرف الطاء وعن الضمير بمجرد حرف الهاء لكن عبر عنهما أى تلفظهما بالاسمين لابصورتى الحرفين لانهما مسميان (قوله والقرآن فيه واقع موقع العائد) هذا على التقديرين المذكورين

عمرو وورش لاستعلائه وأمالها الباقون وهما من أسماء الحروف وقيل معناه يارجل على لغة عك فان صح فلعل أصله ياهذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله

ان السفاهة طاها فى خلائقكم * لاقدس الله أخلاق الملاعين

ضعيف لجواز أن يكون قسما كقوله حم لاينصرون وقرئ طه على أنه أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه وأن أصله طأ فقلبت همزته هاء أوقلبت فى يطأ ألفا كقوله* لاهناك المرتع *ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل أن يكون أصل طه طأها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يردذلك كتابتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيارجل أوا كتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى) خبر طه ان جعلته مبتدأ على أنه مؤول بالسورة أوالقرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجوابه ان جعلته مقسما به ومنادى لان جعلته نداء واستئناف ان كانت جملة فعلية أواسمية باضمار مبتدأ أوطائفة من الحروف محكية والمعنى ماأنزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفرقريش اذما عليك الاأن تبلغ أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه أشقى من راقص المهر وسيد القوم أشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه أنزل عليه ليسعد وقيل ردوتكذيب للكفرة فانهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن أنزل عليك لتشقى به (الاتذكرة) لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولايجوز أن يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولامفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لايتعدى الى علتين وقيل هو مصدر فى موقع الحال من الكاف أوالقرآن أومفعول له على أن لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة

على كفرقريش الخ) انما قيد بذلك احترازا عما سيجىء من انه يمكن أن يكون المعنى ماأنزلنا اليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه (قوله ولعله عدل اليه الخ) أى لعله عدل عن قوله ماأنزلنا عليك القرآن لتتعب الى قوله ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى (قوله لاختلاف الجنسين) كذا فى الكشاف و يردعليه أن البدل والمبدل منه لايلزم أن يكونا من جنس فان الثوب فى قولك سلب زيد ثوبه ليس من جنس المبدل منه ولذا قال بعض المعلقين على الكشاف ان ماقاله ليس بجواب مفهوم والجواب أن يقال المبدل منه لابد من أن لايكون فى الكلام مقصودا والمقصود هو البدل ولهذا يجوز اطراحه الاحيث لايستقيم بقية الكلام بغيره ونقل الطيبى عن صاحب الكشاف لايجوز البدل لان التذكرة ليست من الشقاوة فى شئ ليس هى اياه ولا بعضه ولامشتملا عليه أقول التذكرة تستلزم الشقاوة بمعنى التعب لان التذكرة بين أظهر الكافرين المصرين على الكفر لاتخلو عن تعب وان كان التذكر لن يخشى وهذا كاف فى بدل الاشتمال

فكأنه قيل طه ماأنزلنا عليك لتشقى (قوله أو استئناف الخ) لانه لما قيل طأ الارض بقدميك وكأنه قيل لم أمرتنى بذلك فقيل ماأنزلنا الخ والاولى أن تجعل الاستئناف استئنافا نحو يا لابيانيا حتى يشمل الصورة الثالثة وكون طه جملة فعلية بان يكون أمرا لم يقدر عليه مئ واسمية بان يكون أمرا واقعا خبرا عن المبتدأ بالتأويل فكأنه قال أنت طه (قوله من راقص المهر) بفتح الميم وسكون الهاء (قوله والمعنى ماأنزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك

(قوله لان الشئ لا يعلل بنفسه) أى اذا كان تنزيلا بدلا عن تذكرة وهى مفعول له لزم أن يكون تنزيلا أيضا مفعولا له فلزم تعليل انزال القرآن بتنزيله فلزم تعليل الشئ بنفسه لان الانزال والتنزيل واحد (قوله لا يعلل بنفسه ولا بنوعه) الاول على تقدير ان الانزال والتنزيل بمعنى واحد والثانى على أن يكون الانزال أعم من التنزيل بان يكون الانزال أعم من أن يكون دفعة واحدة أو على التدريج (قوله على الترتيب الذى هو عند العقل) فان العقل يدرك أولا أفعاله تعالى ويستدل منها على صفاته (قوله ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته) كمال الارادة مستفاد من قوله بان قصد العرش الخ لان كلها بان يكون من مبدأ العالم الى آخره تحت تصرفها وفهمهم من الكلام المذكور وهو قوله الرحمن الخ ماذكرنا (قوله ويجوز أن يكون أنزلنا الخ) فعلى هذا لا يكون التفاتا من التكلم الى الغيبة (قوله ويجوز أن يكون خبرا ثانيا) يعنى ان قوله تعالى الرحمن اذا وقع على المدح يجوز أن يكون فاعلا لفعل مقدر ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف والتقدير هو الرحمن وعلى هذا يكون على العرش استوى خبرا ثانيا

القرآن أى ما أنزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة (لمن يخشى) لمن فى قلبه خشية ورقة تتأثر بالانذار أو لمن علم الله منه أنه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به (تنزيلا) نصب باضمار فعله أو بيخشى أو على المدح أو البدل من تذكرة ان جعل حالا والا ان جعل مفعولا له لفظا أو معنى فلا لان الشئ لا يعلل بنفسه ولا بنوعه (ممن خلق الارض والسموات العلى) مع مابعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بفرط تعظيم المنزل بذكر أفعاله وصفاته على الترتيب الذى هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التى هى أصول العالم وقدم الارض لانها أقرب الى الحس وأظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم أشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير أمرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وأنزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب ما قضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال (الرحمن على العرش استوى له مافى السموات ومافى الارض ومابينهما ومانحت الثرى) ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهى لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال (وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) أى وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم أنه غنى عن جهرك فانه سبحانه يعلم السر وأخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على أن شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم انه لما ظهر بذلك أنه المستجمع لصفات الالوهية بين أنه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) ومن فى ممن خلق الارض صلة لتنزيلا أو صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن فى الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشأن ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على أنه واجب الايمان به والانقياد لحكمه من حيث انه كلام من هذا شأنه ويجوز أن يكون أنزلنا لحكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز أن يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهى آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء فى الحسن لدلالتها على معان هى اشرف المعانى وافضلها (وهل أتاك حديث موسى) ففى تمهيد نبوته صلى الله عليه وسلم بقصة موسى ليأنم به فى تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من أوائل مانزل (اذ رأى نارا) ظرف للحديث لانه حدث أو مفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا عليهما الصلاة والسلام فى الخروج الى أمه وخرج باهله فلما وافى وادى طوى وفيه الطور ولد له ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا فقال (لاهله امكثوا) أقيموا مكانكم وقرأ حمزة لاهلها امكثوا هنا وفى القصص بضم الهاء فى الوصل والباقون بكسرها (انى آنست نارا) أبصرتها ابصار الاشبهة فيه وقيل الايناس ابصار مايؤنس به (لعلى آتيكم منها بقبس) بشعلة من النار وقيل جمرة (أو أجد على النار هدى) هاديا يدلنى على الطريق أو يهدينى أبواب الدين فان أفكار الابرار امائلة اليها فى كل مايعن لهم ولما كان حصولها مترقبا بنى الامر فيها على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم ليوطنوا أنفسهم عليه ومعنى الاستعلاء فى على النار أن أهلها مشرفون عليها أو مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه (فلما أتاها) أى النار وجد نارا

(قوله تعالى نودي يا موسى الخ) الظاهر انه اذا فتح همزة ان كان يا موسى بيانا للنودي ولا يصح أن يكون فاعلا للنودي لان الجملة لا يصح أن تقام مقام الفاعل كما صرح به صاحب الكشاف بل ما يقوم مقامه هو المصدر أي نودي نداء وأما اذا كسرت همزة ان كان التقدير نودي فقيل يا موسى اني أنا ربك (قوله وهو اشارة الى أنه عليه السلام يتلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا الخ) أراد أن روح موسى عليه السلام أدرك معاني الالفاظ الواردة عليه ثم نقل تلك المعاني بصورة الالفاظ فحصل في الحس المشترك الذي هو قوة تدرك جميع ما تدرك الحواس فتدرك الالوان والاصوات وما حصل في الحس المشترك لم يختص بجهة دون

بيضاء تتقد في شجرة خضراء (نودي يا موسى اني أنا ربك) فتحه ابن كثير وأبو عمر وأي بأني وكسره الباقون باضمار القول أو اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودي قال من المتكلم قال اني أنا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بأني أسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى أنه عليه الصلاة والسلام يتلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة (فاخلع نعليك) أمره بذلك لان الخفوة تواضع وأدب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لتجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال (انك بالواد المقدس) تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين (طوى) عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي أو المقدس أي نودي نداء بن أو قدس مرتين (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وأنا اخترناك (فاستمع لما يوحى) للذي يوحى اليك أو للوحي واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين (انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني) بدل مما يوحى دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر بالعبادة التي هي كمال العمل (وأقم الصلاة لذكري) خصها بالذكر وأفردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لتذكري لاني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أولان أذكرك بالثناء أو لتذكري خاصة لا لترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتي لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكري (ان الساعة آتية) كائنة لا محالة (أكاد أخفيها) أريد اخفاء وقتها أو أقرب أن أخفيها فلا أقول انها آتية ولولا مافي الاخبار بإتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما أخبرت به أو أكاد أظهرها من أخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا أظهره (لتجزى كل نفس بما تسعى) متعلق بآتية أو باخفيها على المعنى الاخير (فلا يصدنك عنها) عن تصديق الساعة أو عن الصلاة (من لا يؤمن بها) نهي الكافر أن يصد موسى عليه الصلاة والسلام عنها والمراد نهيه أن ينصد عنها كقولهم لا أرينك ههنا تنبيها على أن فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختار هو لم يعرض عنها وأنه ينبغي أن يكون راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه (واتبع هواه) ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فتصرفه نظره عن غيرها (فتردى) فتهلك بالاصداد بصده (ومالك) استفهام يتضمن استيقاظا للمأمور به فيهما من التعجب (بيمينك) حال من معنى الاشارة

الارتباط الظاهر ودفعه بان يقال أن يا موسى خبر مبتدا محذوف والتقدير نودي نداءه يا موسى. يكون بأني أنا ربك متعلقا بنودي (قوله دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم الخ) قد تكرر في كلامه أن التوحيد منتهى العلم وأورد ناعليه ان منتهى العلم أن يعلم صفاته وأفعاله تعالى على حسب الطاقة والاولى أن يقال انه دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو أول الواجبات العلمية ومطاق الطاعة وتخصيص الصلاة بالذكر التي هي أشرف الاعمال (قوله أو باخفيها على المعنى الاخير) فيكون أكاد أزيل خفاءها بل أظهرها وأوجدها لتجزى كل نفس وأما المعاني المتقدمة فلا يخفى انه لا يناسب أن يتعلق ليجزى بها (قوله تنبيها على أن فطرته السليمة الخ) يعني يفهم من نهي الكافر بحسب الظاهر أن موسى لو امتنع عن الصلاة كان بسبب صد الكافر لا من نفسه

القرآن أي ما نزلناه عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه لاالتذكرة (لمن يخشى) لمن في قلبه خشية ورقة تتأثر بالانذار ولمن عرالله منه أنه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به (تنزيلا) نصب باضمار فعله أو بيخشى أو على المدح أو البدل من تذكرة ان جعل حالا او ان جعل مفعولا له لفظا أو معنى فلا لان الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه (ممن خلق الارض والسموات العلى) مع مابعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بفرط تعظيم المنزل بذكر أفعاله ووصفه له على الترتيب الذي هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التي هي أصول العالم وقدم الارض لانها أقرب الى الحس وأظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم أشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير أمرها بان قعد العرش وجرى منه الاحكام والتقادير وأنزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال (الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى) ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال (وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) أي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم أنه غني عن جهرك فانه سبحانه يعلم السر وأخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على أن شرع الذكر والدعاء الجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتعود بر النفس بالذكر وروحه فيهما منعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والخوار لانه لما ظهر بذلك أنه المستجمع لصفات الالوهية بين أنه المتفرد بها للتوحيد فقال (الله لا اله الا هو لاهو الاسماء الحسنى) ومن في من خلق الارض مبالغة في الاستقلال من التكلم الى الغيبة لما تتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين استدلاله على أنه ضمير الواحد العظيم الشأن وانسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على أنه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شأنه ويجوز أن يكون أولئك حكاية كلام جبريل والملائكة لتنازلهم معه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى حال مختلفة وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الاستيناف ويجوز أن يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهي آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن وفعلى من اسماء الله تعالى على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها (وهل أتاك حديث موسى) في تنهيد نبوته صلى الله عليه وسلم وتفخيم شأنه وتسليته بما يتاثم به من تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من أوائل ما نزل (اذ رأى نارا) ظرف للحديث لانه حدث ووقع ولا دليل انها استذكر شيء اعلمها الصلاة والسلام في الخروج الى أمه ومخرج يأهله فلعله رآها في وادي طوى وفيه الطور وليله ابن في ليلة شاتية ظلماء باردة وكانت ليلة الجمعة وقيل في الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا فقال (لاهله امكثوا) أقيموا مكانكم وقرأ حمزة لاهلها امكثوا بضم الهاء في الوصل والباقون كسرها (اني آنست نارا) أبصرتها ابصارا لاشبهة فيه فقيل الايناس ابصار مايؤانس به (لعلي آتيكم منها بقبس) شعلة من النار وقيل جمرة (أو أجد على النار هدى) هاديا يدلني على الطريق أو برهانا على الدين فان أفكار الابرار مائلة اليها في كل مايعن لهم ولما كان حصولها مترقبا في الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه طم ليوطنوا أنفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار أن أهلها مشرفون عليها أو مستعلون المكان القريب منها كأهل صيبويه في مهرت وبدأه الموقن بمكان يقرب منه (فلما أتاها) أي النار وجدا نارا

(قوله لان الشيء لا يعلل بنفسه) أي اذا كان تنزيلا بدلا عن تذكرة وهي مفعول لاجله أن يكون تنزيلا مفعولا لفظا أو معنى فلا لان الشيء الخ تعليل لامتناع كونه مفعولا لفظا وقوله لان الانزال والتنزيل واحد (قوله ولا بنوعه) الاول على تقدير ان الانزال والتنزيل بمعنى واحد والثاني على أن يكون الانزال أعم من التنزيل بان يكون الانزال أعم من أن يكون دفعة واحدة أو على التدريج (قوله على الترتيب الذي هو عند العقل) فان العقل يدرك أولا أفعاله تعالى ويستدل منها على صفاته (قوله ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته) كمال الارادة مستفاد من قوله بان قعد العرش الخ لان كلها بان يكون من مبدأ العلم الى آخره تحت تصرفها وفهم من الكلام المذكور وهو قوله الرحمن الخ ماذكر (قوله ويجوز أن يكون أولئك الخ) فعلى هذا لا يكون التفاتا من التكلم الى الغيبة (قوله ويجوز أن يكون خبرا ثانيا) يعني ان قوله تعالى الرحمن اذا وقع على المدح يجوز أن يكون فاعلا لفعل مقدر ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف والتقدير هو الرحمن وعلى هذا يكون على العرش استوى خبرا ثانيا

(قوله تعالى نودي يا موسى الخ) ضعيف جدا فان همزة ان كان يا موسى يا سنوسي وقد يصح أن يكون هذا هو الجواب لا يصح أن نظم هذا خشن كما صرح به صحب الكشاف بل هو يقوم مقامه هو بصدد رأي نودي فلما كثرت همزته يكون التقدير نودي فقيل يا موسى الى آخره (قوله وهو شورة في عيسى عليه السلام يشفي من برصه بكلامه المقدور به الخ) أي فان روح موسى عليه السلام أدرك معاني الكلام وعبرة عيسى بعض تلك معاني بصورة الخاص في حس مشترك الذي هو قوة تدرك جميع ما تدركه الخواص فتدركه الاذن والصوت وتحصل في حس مشترك لم يختص بجهة دون

(١٩)

بعض متقشف شجرة حضرة (نودي يا موسى الى آخر ث) فتحه ابن كثير وابو عمرو وأبو بكر وحمزة والباقون بالضم والمحمول أو جزء الشجرة والكسر ونكر ابن عامر ضمير متكلم وتحقيق قيل بناء نودي قال من المتكلم قال الى آخره فوسوس اليه بلبس بحيث تسمع كلام شيطان وقال أعرفك به بكلام الله الذي أسمعه من جميع جهات وجميع الاعضاء وهو شورة في عيسى عليه الصلاة والسلام الذي من ربه كلامه تعبيرا وحاشا ثم تمثل ذلك الكلام لنبيه وانتقل الى حس مشترك فتقمش به من غير اختصاص بعضو وجهة (فاخلع نعليك) أمر بذلك لان خلعة تواضع وأدب وتلك طريقة السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال (انك بالواد المقدس) تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين (طوى) عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كنى من اسم مصدر لنودي أو المقدس أي نودي نداءين أو قدس مرتين (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك (فاستمع لما يوحى) للذي يوحى اليك أو للوحي واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين (انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني) بدل مما يوحى دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر بالعبادة التي هي كمال العمل (وأقم الصلاة لذكري) خصها بالذكر وأفردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لان أذكرك بالثناء أو لذكري خاصة لا لترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتي لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكري (ان الساعة آتية) كائنة لا محالة (أكاد أخفيها) أريد اخفاء وقتها أو أقرب أن أخفيها فلا أقول انها آتية ولولا مافي الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما أخبرت به أو أكاد أظهرها من أخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا أظهره (لتجزى كل نفس بما تسعى) متعلق بآتية أو باخفيها على المعنى الاخير (فلا يصدنك عنها) عن تصديق الساعة أو عن الصلاة (من لا يؤمن بها) نهى الكافر أن يصد موسى عليه الصلاة والسلام عنها والمراد نهيه أن يصد عنها كقولهم لا أرينك ههنا تنبيها على أن فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وأنه ينبغي أن يكون راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه (واتبع هواه) ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فتقصر نظره عن غيرها (فتردى) فتهلك بالانصداد بصده (ومالك) استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيهما من العجائب (بيمينك) حال من معنى الاشارة

الارتباط الظاهر ودفعه بان يقال أن يا موسى خبر مبتدا محذوف والتقدير نودي نداء هو يا موسى، يكون باني آثار بك متعلقا بنودي (قوله دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم الخ) قد تكرر في كلامه أن التوحيد منتهى العلم وأورد نا عليه ان منتهى العلم أن يعلم صفاته وأفعاله تعالى على حسب الطاقة والاولى أن يقال انه دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو أول الواجبات العلمية ومطلق الطاعة وتخصيص الصلاة بالذكر الى هي أشرف الاعمال (قوله أو باخفيها على المعنى الاخير) فيكون أكاد أزيل خفاءها بل أظهرها وأوجدها لتجزى كل نفس وأما المعاني المتقدمة فلا يخفى انه لا يناسب أن يتعلق ليجزى بها (قوله تنبيها على أن فطرته السليمة الخ) يعني يفهم من نهي الكافر بحسب الظاهر أن موسى لو امتنع عن الصلاة كان بسبب صد الكافر لا من نفسه

وقيل صلة ذلك (ياموسى) تكرير لزيادة الاستئناس والتنبيه (قال هى عصاى) وقرئ عصىّ على لغة هذيل (أتوكأ عليها) أعتمد عليها اذا اعييت أو وقفت على رأس القطيع (وأهش بها على غنمى) وأخبط الورق بها على رؤس غنمى وقرئ أهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لشاشته وقرئ بالسين من الطس وهو زجر الغنم أى انحى عليها بها زجرا لها (ولى فيها مآرب أخرى) حاجات أخر مثل ان كان اذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها اداوته وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكأنه صلى الله عليه وسلم فهم أن المقصود من السؤال أن يذكر حقيقتها ومايرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خواص أخرى خارقة للعادة مثل أن تشتعل شعبتاه بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها ينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم أن ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة أحدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى أنها من جنس العصى تنفع منافع أمثالها ليطابق جوابها غرض الذى فهمه (قال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية تسعى) قيل لما ألقاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم نورمت وعظمت فلذلك سماها جانا ناظرا الى المبدأ وثعبانا مراعاة بعتبار المنتهى وحية أخرى باعتبار الاسم الذى يعم الحالين وقيل كانت فى ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كأنها جان (قال خذها ولا تخف) فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها (سنعيدها سيرتها الاولى) هيئتها وحالتها المتقدمة وهى فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة واتصالها على نزع الخافض أو على أن أعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه أو على الظرف أى سنعيدها فى طريقتها أو على تقدير فعلها أى سنعيد العصا بعد ذهابها السير سيرتها الاولى فتنتفع بها مما كنت تنتفع به قبل قيل لما قال لهر به ذلك اطمأنت نفسه حتى أدخل يده فى فمها وأخذ بلحييها (واضمم يدك الى جناحك) الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحى العسكر استعارة من جناحى الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران (تخرج بيضاء) كأنها مشعة (من غير سوء) من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوأة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه (آية أخرى) معجزة ثانية وهى حال من ضمير تخرج كبيضاء أو من ضميرها أو مفعول باضمار خذ أو دونك (لنريك من آياتنا الكبرى) متعلق بهذا المضمر أو بما دل عليه آية أو القصة أى دللناها أو فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا أو مفعول نريك ومن آياتنا حال منها (اذهب الى فرعون) بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة (انه طغى) عصى وتكبر (قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى) لما أمره الله بخطب عظيم وأمر جسيم سأله أن يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل أعبائه والصبر على مشاقه والتلقى لما ينزل عليه ويسهل الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لى ابهام المشروح والميسر أولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تأكيد وامبالغة (واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى) فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان فى لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك أن فرعون حمله يوما فاخذ بلحيته وتنفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبى لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضر ابين يديه فاخذ الجمرة ووضعها فى فيه ولعل تبييض يده كان لذلك وقيل احترقت يده فاجتهد فرعون فى علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى أى رب تدعونى قال الى الذى أبرأ يدى وقد عجزت عنه واختلف فى زوال العقدة بكلامه فقيل به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك

(قوله تكرير لزيادة الاستئناس) أى تكرير ياموسى لزيادة المذكورة فانه حصل أصل الاستئناس بندائه أولا فى قوله تعالى فلما أتيها نودى ياموسى (قوله وكأنه عليه السلام فهم الخ) انما قال وكأنه لاحتمال أن يكون المقصود من السؤال استئناس موسى وتجرئته على الكلام والتخفيف عليه لما حصل من المهابة بخطاب ملك الملوك ورب الارباب تعالى شأنه (قوله وانتصابها على نزع الخافض) اذ التقدير سنعيدها الى سيرتها (قوله باضمار خذ أو دونك) يقال دونك فى الاغراء (قوله ولعل تبييض يده كان لذلك) أى يحتمل ان الله تعالى جعل يد موسى بيضاء من غير سوء جبرا لاحتراقها باخذ الجرة أو لانه لطم فرعون

(قوله ولذلك نكرها وجعل الخ) فان ظاهر التنكير للتبعيض فكأنه قيل احلل بعض عقدة لساني وجعل موسى يفقهوا جواب الامر ليكون دالا على أن المطلوب ليس ازالة العقد بالكلية بل الافهام فبأي طريق حصل الافهام حصل المطلوب (قوله ولي صلة) أي صلة لوزيرا و متعلق به (قوله أولي وزيرا) عطف على قوله وزيرا وهرون أو لهما وموز يرا أو ثانيهما لي أي واجعل وزيرا كائنا لي (قوله أووزيرا من أهلي) أي يحتمل أن يكون مفعوله وزيرا من أهلي ويكون لي تبيينا (قوله كقوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد) فان له بيان فانه اذا قيل لم يكن كفوا أحد فكأنه قيل لمن فقيل في جوابه له أي لله (قوله تعالى ولقد مننا عليك مرة أخرى) فان قيل لم قيل ولقد مننا وصرح بالفاعل وقيل سابقا قد أوتيت سؤلك ولم يصرح بالفاعل قلنا لان السابق لما قيل في جواب دعاء موسى من الله تعالى علم أن الفاعل هو الله تعالى وأما اللاحق المذكور فلو لم يصرح بفاعله لم يظهر فاعله مراعاة للنظم لان الضمير في قوله أن اقذفيه في التابوت لموسى البتة فللائم أن تكون الضمائر الباقية لموسى أيضا مع أن قوله تعالى يأخذه عدو لي وعدو له أيضا لابد أن يكون لموسى أيضا (قوله كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب الى قوله غلام)

يا موسى ومن لم يقل احتج بقوله هو أفصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لساني يحتمل أن يكون صفة عقدة وأن يكون صلة احلل (واجعل لي وزيرا من اهلي هرون أخي) يعيني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن أميره أو من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه و يلتجئ اليه في أموره ومنه الموازرة وقيل أصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قابت همزته واوا كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا هرون قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة أو حال أولي وزيرا هرون عطف بيان للوزير أووزيرا من أهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا أحد وأخي على الوجوه بدل من هرون أو مبتدأ خبره (اشدد به أزري وأشركه في أمري) على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر (كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) فان التعاون يهيج الرغبات و يؤدي الى تكاثر الخير وتزايده (انك كنت بنا بصيرا) عالما باحوالنا وأن التعاون مما يصلحنا وأن هرون نعم المعين لي فيما أمرتني به (قال قد أوتيت سؤلك يا موسى) أي مسؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أي أنعمنا عليك في وقت آخر (اذ أوحينا الى أمك) بالهام أو في منام أو على لسان نبي في وقتها أو ملك لا على وجه النبوة كما أوحي الى مريم (ما يوحى) ما الايعلم الا بالوحي أو مما ينبغي أن يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به (أن اقذفيه في التابوت) بان اقذفيه واي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول (فاقذفيه في اليم) والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله * غلام رماه الله بالحسن يافعا * (فليلقه اليم بالساحل) لما كان القاء البحر اياه الى الساحل أمرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمره بذلك وأخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان تجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم فالمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض (يأخذه عدو لي وعدو له) جواب فليلقه وتكرير عدو لتأكيد المبالغة أو لان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته وألقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي أصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال سبحانه وتعالى (وألقيت عليك محبة مني) أي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك أحبك فرعون و يجوز أن يتعلق مني بالقيت أي أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب وظاهر اللفظ أن اليم ألقاه بساحله وهو شاطؤه لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد أن يؤول الساحل بجنب فوهة نهره (ولتصنع على عيني) لترى و يحسن اليك وأنا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك أو على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر والتصنع بالنصب وفتح التاء أي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن أمري (اذ تمشي أختك)

هذا يدل ظاهرا على أن المراد من القذف هو الوضع لان المراد من الرمي هو الوضع على ما صرح به صاحب الكشاف حيث قال المعنى حصل فيه الحسن ووضعه فيه والعلام اليافع الذي ارتفع ولم يبالغ (قوله وأخرج الجواب مخرج الامر) معطوف على قوله جعل أي الاصل أن يقال يلقيه اليم بالساحل حتى يكون جوابا بالقوله فاقذفيه في اليم لكنه عدل الى ما ذكر لما ذكر (قوله أو على الجملة

السابقة باضمار فعل) فعلى هذا يكون المعنى وألقيت عليك محبة مني وفعلت ذلك لتصنع على عيني (قوله على أن ظرف لالقيت أو لتصنع أو بدل من اذ أوحينا على أن المراد بها وقت متسع (فتقول هل أدلكم على من يكفله) وذلك لانه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت أخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل أدلكم فجاءت بامه فقبل ثديها (فرجعناك الى أمك) وفاء بقولنا لنارادوه اليك (كي تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) هي بفراقك أو أنت على فراقها وفقد اشفاقها (وقتلت نفسا) نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي (فنجيناك من الغم) غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين (وفتناك فتونا) وابتليناك ابتلاء أو أنواعا من الابتلاء على أنه جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز بدور في حجزة و بدرة فخلصناك مرة بعد أخرى وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد وأجر نفسه الى غير ذلك أوله ولما سبق ذكره (فلبثت سنين في أهل مدين) لبثت فيهم عشر سنين قضاء لأوفى الاجلين ومدين على ثمان مراحل من مصر (ثم جئت على قدر) قدرته لان أكلمك وأستبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر أو على مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء (يا موسى) كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك (واصطنعتك لنفسي) واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خولوه من الكرامة بمن قرب به الملك واستخلصه لنفسه (اذهب أنت وأخوك بآياتي) بمعجزاتي (ولا تنيا) ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء (في ذكري) لانسياني حينما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء الى (اذهبا الى فرعون انه طغى) أمرهما أولا موسى عليه الصلاة والسلام وحده وههنا اياه وأخاه فلا تكرير قيل أوحي الى هرون أن يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله (فقولا له قولا لينا) مثل هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة على صورة عرض ومشورة حذرا أن تحمله الحماقة على أن يبسط عليكما أو احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده ولما كلا يزول الا بالموت (لعله يتذكر أو يخشى) متعلق باذهبا أو قولا أي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما أنه ثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن لزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حادث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول أي ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا أقل من أن يتوهمه فيخشى (قالا ربنا انا نخاف أن يفرط علينا) أن يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى تمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من أفرطته اذا حملته على العجلة أي نخاف أن يحمله حامل من استكبار أو خوف على الملك أو شيطان انسي أو جني على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط في الاذية (أو أن يطغى) أو أن يزداد طغيانا فيتخطى الى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب (قال لا تخافا انني معكما) بالحفظ والنصر (أسمع وأرى) ما يجري بينكما و بينه من قول وفعل فاحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما و يوجب نصرتي لكما و يجوز أن لا يقدر شيئ على معنى انني حافظكما سامعا و مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ (فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل) أطلقهم (ولا تعذبهم) بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا في أيدي القبط يستخدمونهم و يتعبونهم في العمل و يقتلون ذكور أولادهم في عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على أن

(قوله متعلق باذهبا أو قولا) يفهم منه أن مجرد ذهابهما اليه من غير قول صالح للذكر وخشيته و يمكن أن يكون تخليص ذلك بان يكون مجرد رؤيتهما وما بينهما في نظره أو صدور آيات و معجزات يوجب ما ذكر (قوله واطلاقه من حسن الادب) يحتمل أن

المراد بها وقت متسع) أي بان يكون المراد من قوله تعالى اذ أوحينا الى أمك أي زمان ممتد وقع الايحاء في بعضه والمشي المذكور في بعض آخر كما يقال حدث في هذه السنة كذا وان كان حدوثه في جزء قصير منها (قوله ابتليناك ابتلاء أو أنواعا من الابتلاء) فالاول أن يكون مصدرا مفردا كالخروج والدخول والثاني أن يكون جمعا على انه جمع فتن بفتح الفاء أو فتنة على ترك الاعتداد بالتاء فلو حظت كانها تكن وانما قال ذلك لان الفعلة لا تجمع على فعول الا نادرا (قوله أوله ولما سبق ذكره) أي أو هو اجمال لما ناله في سفره ولما تقدم ذكره من جعله في التابوت وقذفه في اليم (قوله قرره عقيب ما هو غاية الحكاية تنبيها على ذلك) أي كرر نداء موسى بعد تمام حكاية ما مضى تنبيها على انه وصل ما مضى حكاية الى النهاية (قوله أمر به موسى أولا وحده) أي أمر الله تعالى موسى وحده بالذهاب الى فرعون في قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى وههنا أمر موسى وأخاه بالذهاب اليه فلا تكرار

تخليص المؤمنين من الكفرة أهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز أن يكون للتدريج فى الدعوة (قد جئناك بآية من ربك) جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه آيتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فات بآية قال أولو جئتك بشئ مبين (والسلام على من اتبع الهدى) وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين أو السلامة فى الدارين لهم (انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى) أن عذاب المنزلين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد فى أول الامر أهم وأنجع وبالواقع أليق (قال فمن ربكما يا موسى) أى بعد ما أتياه وقالا له ما أمرا به ولعله حذف لدلالة الحال عليه فان المطيع اذا أمر بشئ فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى عليه الصلاة والسلام بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه أو لانه عرف أن له رتة ولاخيه فصاحة فاراد أن يفحمه ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين (قال ربنا الذى أعطى كل شئ) من الانواع (خلقه) صورته وشكله الذى يطابق كماله الممكن له أو أعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثانى لانه المقصود بيانه وقيل أعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه أو المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثانى محذوفا أى أعطى كل مخلوق ما يصلحه (ثم هدى) ثم عرفه كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا أو طبعا وهو جواب فى غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على أن الغنى القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وأن جميع ما عداه مفتقر اليه منعم عليه فى حد ذاته وصفاته وأفعاله ولذلك بهت الذى كفر وأفحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه (قال فما بال القرون الاولى) فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة (قال علمها عند ربى) أى هو غيب لا يعلمه الا هو وانما أنا عبد مثلك لا أعلم منه الا ما أخبرنى به (فى كتاب) مثبت فى اللوح المحفوظ ويجوز أن يكون تمثيلا لتمكنه فى علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده (لا يضل ربى ولا ينسى) والضلال أن تخطئ الشئ فى مكانه فلم تهتد اليه والنسيان أن تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز أن يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه أبعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعى علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادى مدتهم وتباعد أطرافهم كيف أحاط علمه بهم وباجزائهم وأحوالهم فيكون معنى الجواب أن علمه تعالى محيط بذلك كله وأنه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى

يكون المراد من الاطلاق عدم تقييده يطغى بالجار والمجرور وهو عليك ويحتمل أن يكون المراد من أن الاطلاق من حسن الادب اطلاق فرعون أى عدم تقييده بحسن الادب وهذا هو الظاهر فعلى التقدير الاول يكون اطلاقه مرفوعا وعلى التقدير الثانى يكون مجرورا (قوله ويجوز أن يكون للتدريج فى الدعوة) أى الدعوة من الاسهل الى الاصعب فان ارسال بنى اسرائيل أسهل على فرعون من الاقرار بوحدانية الله تعالى وعبادته وترك طغيانه وعتوه الفاحش (قوله وسلام الملائكة الخ) فان قيل الاولى أن يقال وسلام الله والملائكة الخ قلنا هذا مبنى على ما قاله الفقهاء من أن سلام الله على غير الانبياء والملك خلاف الاولى أو مكروه (قوله ان عذاب المنزلين) المراد بالمنزلين الدنيا والآخرة وعذاب المنزلين يفهم من اطلاق العذاب ولان المقام مقام التهديد (قوله وتغيير النظم والتصريح بالوعيد) أى الظاهر يقتضى أن يقال والسلام على من اتبع [illegible] وأظهرها أن هذا على من كذب وتولى [illegible] ما ذكر لما ذكر ويفهم من عبارته أن لكل من الامور المذكورة دخلا فى التهديد أما الاخيران فظاهر وأما الاول فلان تغيير النظم يدل على الاهتمام بشأنه حتى يستحق أن يلتفت اليه التفاتا خاصا ويغير النظم السابق به (قوله وقرئ خلقه الخ) أى قرئ خلقه بصيغة الفعل فى القراءة الشاذة والاولى أن يقال ان حذف أحد مفعولى أعطيت على الشذوذ والندرة (قوله ثم عرفه كيف يرتفق به أعطى) مثل ان اليد والرجل للاخذ والمشى ثم علمه أن يأخذ الاشياء باليد ويمشى بالرجل بل خلق الفهم له فيعرفه أول ما ولد أن يمص الثدى حتى يشرب اللبن ولا يخفى أن كل شئ لا يعرف الارتفاق بما أعطى وانما ذلك للذى له ادراك الا اذا قيل بالتجوز وعبارة الكشاف أى عرف كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل اليه ولا يرد عليه ما يرد على المصنف (قوله تعالى فى كتاب لا يضل ربى) الاولى أن يقال هذه حال من ضمير عند أى حصل عنده كائنا فى كتاب لا يضل ربى فيكون الله تعالى عالما بها وهى أيضا مثبتة فى اللوح أيضا فيلزم أن يكون علمه تعالى بها لا بسبب اثباتها فى اللوح كما توهم من ظاهر العبارة (قوله ويؤيده الخ) لان النسيان يناسب العلم لا الكتاب (قوله ويجوز أن يكون سؤاله دخلا الخ) لما قال سابقا ولذلك فبهت الذى كفر وأفحم عن الدخل

(الذى جعل لكم الارض مهادا) مرفوع صفة لربى أو خبر لمحذوف أو منصوب على المدح وقرأ الكوفيون هنا وفى الزخرف مهدا أى كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمى به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش أو جمع مهد ولم يختلفوا فى الذى فى النبأ (وسلك لكم فيها سبلا) وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبرارى تسلكونها من أرض الى أرض لتبلغوا منافعها (وأنزل من السماء ماء) مطرا (فاخرجنا به) عدل به عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أم من خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق الآية (أزواجا) أصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض (من نبات) بيان أو صفة لازواجا وكذلك (شتى) ويحتمل أن يكون صفة لنبات فانه من حيث انه مصدر فى الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى أى متفرقات فى الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال (كلوا وارعوا أنعامكم) وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول أى أخرجنا أصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه (انّ فى ذلك لآيات لاولى النهى) لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية (منها خلقناكم) فان التراب أصل خلقة أول آبائكم وأول مواد أبدانكم (وفيها نعيدكم) بالموت وتفكيك لاجزاء (ومنها نخرجكم تارة أخرى) بتأليف أجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة ورد الارواح اليها (ولقد أريناه آياتنا) بصرناه اياها أو عرفناه صحتها (كلها) تأكيد لشمول الانواع أو لشمول الافراد على أن المراد بآياتنا آيات معهودة وهى الآيات التسع المختصة بموسى أو أنه عليه السلام أراه آياته وعدد عليه ما أوتى غيره من المعجزات (فكذب) موسى من فرط عناده (وأبى) الايمان والطاعة لعتوه (قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) أرض مصر (بسحرك ياموسى) هذا تعلل وتحير ودليل على أنه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لا يقدر أن يخرج ملكا مثله من أرضه (فلنأتينك بسحر مثله) مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعدا) وعدا لقوله (لا نخلفه نحن ولا أنت) فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب (مكانا سوى) بفعل دل عليه المصدر لا به لانه موصوف أو بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب فى قوله (قال موعدكم يوم الزينة) من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه فى ذلك اليوم أو باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول أو وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر فى أن المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوى مسافته الينا واليك

عليه قال ههنا يحتمل انه لم يفحم عن الدخل بل دخل عليه بما ذكر (قوله تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة الخ) فيه ان هذا التنبيه يحصل لو قيل فأخرج به أزواجا بطريق الغيبة لان كمال القدرة يتفرع على الاخراج سواء كان بلفظ التكلم أو الغيبة الا أن يقال ان مراده ان ما ذكر يستفاد من وضع ضمير الجمع موضع المفرد فانه يدل على ما ذكر كما أن الملك الكبير لا يأبى عن ارادته شئ ممن فى ملكه ثم ان صاحب الكشاف والمصنف لم يصرحا بانه التفات بل قالا ان العدول المذكور نقل من الغيبة الى التكلم وقال العلامة الطيبى اذا حكم بان الله تعالى حكى عن موسى وغير العبارة من الغيبة الى التكلم لان الضميرين عبارتان عن شئ واحد كان التفاتا واذا نظر الى ان موسى عليه السلام سمع هذه الكلمات بعينها من الله فأثبتها وأدرجها فى كلامه كان التفاتا أيضا (قوله فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان) دليل على ان الموعد مصدر لا اسم زمان أو مكان لان الاخلاف يناسب المصدر لا الزمان والمكان لان الاخلاف عبارة عن ترك الفعل الموعود (قوله بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف) أى هو منصوب بوعد الذى دل عليه موعد ولا يصح نصبه بنفس المصدر لانه موصوف بلا تخلفه والمصدر الموصوف لا يعمل كما ان المشتق اذا كان موصوفا لا يعمل بضعف مشابهته للفعل بسبب كونه موصوفا فان الفعل لا يوصف وما ذكره رد للكشاف فانه قال هو منصوب بالمصدر أو بفعل دل عليه المصدر ويمكن أن يقال مراد صاحب الكشاف انه منصوب بمصدر مقدر من جنس المصدر الاول أو بفعل من جنسه (قوله كما هو على الاول) أى يقدر هكذا اذا جعلنا الموعد مصدرا ويجعل مكانا سوى منصوب بفعل مقدر (قوله منتصفا يستوى الخ) أى منتصفا من مكان يستوى بعد هذا المنتصف منا مع بعده منك والظاهر ان المراد ان القاء ما يريدون القاءه واظهار الاعاجيب به يكون فى المكان المذكور ليكون اطلاع كل من المتخاصمين على ما وقع فى هذا الوسط على سواء

وهو فى النعت كقولهم قوم عدى فى الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل فى يوم الزينة يوم عاشوراء أو يوم النيروز أو يوم عيد كان لهم فى كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فى الاقطار (وأن يحشر الناس ضحى) عطف على اليوم أو الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على أن فيه ضمير اليوم أو ضمير فرعون على أن الخطاب لقومه (فتولى فرعون فجمع كيده) ما يكاد به يعنى السحرة وآلاتهم (ثم أتى) الموعد (قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا) بان تدعوا آياته سحرا (فيسحتكم بعذاب) فيهلككم ويستأصلكم وبه قرأ حمزة والكسائى وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة تميم والسحت لغة الحجاز (وقد خاب من افترى) كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه (فتنازعوا أمرهم بينهم) أى تنازعت السحرة فى أمر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة (وأسروا النجوى) بان موسى ان غلبنا اتبعناه أو تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا فى السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله (قالوا ان هذان لساحران) تفسير لاسروا النجوى كأنهم تشاوروا فى تلفيقه حذرا أن يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحرث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية وأعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان اساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما أن اللام لا تدخل خبر المبتدا وقيل أصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه أن المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرأ أبو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على أنها هى المخففة واللام هى الفارقة أو النافية واللام بمعنى الا (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) بالاستيلاء عليها (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) بمذهبكم الذى هو أفضل المذاهب بإظهار مذهبهما واعلاء دينهما قوله انى أخاف أن يبدل دينكم وقيل أرادوا أهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا أرباب علم فيا بينهم لقول موسى أرسل معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم وأشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم (فاجمعوا كيدكم) فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرأ أبو عمرو فاجمعوا وبعضده قوله لنجمع كيده والضمير فى قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض (ثم ائتوا صفا) مصطفين لانه أهيب فى صدور الرائين قيل كانوا سبعين أو نفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وأقبلوا عليه اقبالة واحدة (وقد أفلح اليوم من استعلى) فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض (قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى) أى بعد ما أتوا ما عاتوا للادب وأن بما بعده منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبر به محذوف أى اختر القاءك أولا والقاءنا أو الامر القاؤك أو القاؤنا (قال بل ألقوا) مقابلة أدب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا لما قالوا وهو من الميل الى البدء بذكر الاذل فى شقهم وتغيير النظم الى وجه أبلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا أقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) أى فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم وهى للمفاجأة والتحقيق أنها أيضا ظرفية تستدعى متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى عليه الصلاة والسلام وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت تخيل اليه أنها تتحرك وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال أنها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ تخيل

(قوله وقيل أصله ان هذان لهما ساحران) الغرض منه دفع ما يرد ان اللام لا يدخل خبر المبتدأ نقل العلامة الطيبى عن الزجاج انه قال حكى أبو عبيدة وهو من رؤساء الرواة انه لغة لكنانة وكذلك روى الكوفيون انها لغة لبنى الحارث بن كعب وقال ابن الحاجب فى الامالى وهذه القراءة مشكلة وأظهر ها ان هذا مبنى فجاء فى الرفع والنصب والجر على حال واحدة (قوله وقيل ان بمعنى نعم) فان قيل نعم تصديق للسابق فما هو قلنا شئ مقدر بنية ما يتصل به بان قال بعضهم حين النجوى هما ساحران فقال أكثرهم ان أى نعم هما ساحران وهذا الوجه وان ضعفه ابن الحاجب فى الامالى لكن الزجاج أعجب به وقال وهو الذى اراه والله أعلم وقد عرضته على علماء بن محمد بن يزيد يعنى المبرد وعلى ابن اسماعيل فقبلاه وذكرا انه أجود ما سمعوه فى هذا المعنى (قوله تخيل بالتاء) على صيغة المجهول من باب التفعيل

بالياء على اسناده الى الله تعالى وتخييل بمعنى تتخيل (فاوجس فى نفسه خيفة موسى) فاضمر فيها خوفا من مفاجاته على ماهو مقتضى الجبلة البشرية أو من أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه (قلنا لاتخف) ماتوهمت (انك أنت الاعلى) تعليل للنهى وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل (وألق مافى يمينك) أبهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها أى لاتبال لكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويدة التى فى يدك أو تعظيما لها أى لاتختفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان فى يمينك ماهو أعظم منها أثر افالقه (تلقف ماصنعوا) تبتلعه بقدرة الله تعالى وأصله تتلقف فحذف احدى التاءين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال أو الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على أنه من لقفته بمعنى تلقفته (انما صنعوا) ان الذى زوروا وافتعلوا (كيد ساحر) وقرئ بالنصب على أن ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حزة والكسائى سحر بمعنى ذى سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة أو باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما واحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال (ولايفلح الساحر) أى هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول الحجاج

يوم ترى النفوس ماأعدت * فى سعى دنياها لما قد مدت

كانه قيل انما صنعوا كيد سحرى (حيث أتى) حيث كان وأين أقبل (فألقى السحرة سجدا) أى فألقوا فتلقفت فتحقق عند السحرة أنه ليس بسحر وانما هو آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتبارا وتعظيما لما رأوا (قالوا آمنا برب هرون وموسى) قدم هرون لكبر سنه أو لروى الآية أولان فرعون ربى موسى فى صغره فلو اقتصر على موسى أوقدم ذكر لربما توهم أن المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روى أنهم رأوا فى سجودهم الجنة ومنازلهم فيها (قال آمنتم له) أى لموسى واللام لتضمن الفعل معنى الاتباع وقرأ قنبل وحفص آمنتم له على الخبر والباقون على الاستفهام (قبل أن آذن لكم) فى الايمان له (انه لكبيركم) لعظيمكم فى فنكم وأعلمكم به أولاستاذكم (الذى علمكم السحر) وأنتم تواطأتم على مافعلتم (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو وهى مع المجرور بها فى حيز النصب على الحال أى لأقطعنها مختلفات وقرئ لأقطعن ولأصلبنكم بالتخفيف (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو أول من صلب (ولتعلمن أينا) يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له والمراد مع الايمان فى كتاب الله لغير الله أرادبه توضيع موسى والحط به فانه لم يكن من التعذيب فى شئ وقيل رب موسى الذى آمنوا به (أشد عذابا وأبقى) وأدوم عقابا (قالوا لن نؤثرك) لن نختارك (على ماجاءنا) موسى به ويجوز أن يكون الضمير فيه لما (من البينات) المعجزات الواضحات (والذى فطرنا) عطف على ماجاءنا أوقسم (فاقض ماأنت قاض) ماأنت قاضيه أى صانعه أوحاكم به (انما تقضى هذه الحيوة الدنيا) انما تصنع ما تهواه أو تحكم بمايتراءى فى هذه الدنيا والآخرة خير وأبقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحياة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) من الكفر والمعاصى (وماأكرهتنا عليه من السحر) من معارضة المعجزة روى أنهم قالوا لفرعون أرنا

(قوله مؤكدا بالاستئناف) فان الاستئناف جواب السؤال وهو دال على انه مما يهتم بشأنه حقيق بسأل عنه ويجاب به (قوله ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة) فيه ان العلو مشترك بين موسى وبينهم كلهم ومقتضى صيغة التفضيل واذا كان كذلك فكيف يدل مجرد العلو على غلبة موسى عليه السلام عليهم وانما يدل عليها صيغة التفضيل والجواب ان المراد من صيغة التفضيل المبالغة فى العلو فلا يلزم أيضا ثبات العلو للسحرة فان قلت فعلى هذا لا تفيد صيغة التفضيل المبالغة والتقرير قلنا المبالغة فى العلو تستفاد من صيغة التفضيل (قوله كقول الحجاج الخ) الاستشهاد فى قوله فى سعى دنيا لما انه كان المضاف فى هذا التركيب منكرا نكر المضاف اليه أى لما كان الغرض تنكير المضاف نكر المضاف اليه وقوله قدمت أى أمهلت فى جمعها وتهيئة أسبابها ومافى طالما كافة أو مصدرية

(قوله والعامل فيها معنى الاشارة) لايظهر وجهه اذ لا وجه لان يقال أشير اليهم حال كونهم خالدين ولا أن يقال اشتراك الدرجات حال كونهم خالدين فيها فالاولى الاقتصار على الوجه الثانى (قوله كان قتودرحلى الخ) القتود جمع قتاد وهو خشب الرحل والحالبان عرقان مكتنفان بالسرة والغار بتقديم الراء على الزاى الناقة التى قل لبنها والجلع الغرز وحوالب خبركان ومعى عطف وغرزا جياعا حالان فالمعنى كأن قتودرحلى حين شدت حوالب ناقتى ومعى جياعا وكونهما حالين باعتبار معنى التشبيه المستفاد من كان اذ المعنى القتود مشبهة بالحوالب والمعى حال كون الحوالب غرزا والمعى جياعا فيكون ههنا مضاف محذوف وهو الجواب والغرض منه اظهار دقة الاخشاب المذكورة وقيل خبر كان فى البيت الذى يليه وحوالب مفعول ضمت أى حين شدت على حوالب ناقتى واعلم ان الاستشهاد بالبيت فى قوله ومعى جياعا فان معى مفرد ووصف بالجمع الذى هو الجياع (قوله ولاتخشى استئناف الخ) هذا على قراءة جزة واما على غيرها فيكون عطفا ولا حاجة الى التكلف الذى ذكره (قوله والباء للتعدية الخ) أى اذا كان اتبع الذى هو المخفف بمعنى اتبع المشدد تكون الباء للتعدية فتفيد ان فرعون جعل جنوده تابعين لبنى اسرائيل سائرين فى أثرهم وقيل الباء مزيدة وعلى هذا يكون بجنوده بدلا من فرعون بدل اشتمال فيكون المعنى اتبعهم جنود فرعون (قوله وهو وراءهم) أى ساقهم خلفهم

(قوله والعامل فيها معنى الاشارة) لايظهر وجهه اذ لا وجه لان يقال أشير اليهم حال كونهم خالدين ولا أن يقال اشتراك الدرجات حال كونهم خالدين فيها فالاولى الاقتصار على الوجه الثانى (قوله كان قتودرحلى الخ) القتود جمع

موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ماهذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا أن يعارضوه (والله خير وأبقى) جزاء أو خيرثوابا وأبقى عقابا (انه) ان الامر (من يأت ربه مجرما) بان يموت على كفره وعصيانه (فان له جهنم لايموت فيها) فيستريح (ولايحيا) حياة مهنأة (ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات) فى الدنيا (فأولئك لهم الدرجات العلى) المنازل الرفيعة (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) حال والعامل فيها معنى الاشارة أو الاستقرار (وذلك جزاء من تزكى) أظهر من أدناس الكفر والمعاصى والآيات الثلاث يحتمل أن تكون من كلام السحرة وأن تكون ابتداء كلام من الله تعالى (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) أى من مصر (فاضرب لهم طريقا) فاجعل لهم فى قومهم ضرب له فى ماله سهما أوفانخذ من ضرب اللبن اذا عمله (فى البحر يبسا) يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتى جف لبنها وقرئ ييسا وهو اما مخفف منه أو وصف على فعل كصعب أوجع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله

كان قتودرحلى حين ضمت * حوالب غرزا ومعى جياعا

أولتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا (لاتخاف دركا) حال من المأمور أى آمنا من أن يدركك العدو أوصفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لاتخف على انه جواب الامر (ولاتخشى) استئناف أى وأنت لاتخشى أوعطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا أوحال بالواو والمعنى ولاتخشى الغرق (فاتبعهم فرعون بجنوده) وذلك أن موسى عليه السلام خرج بهم أول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص أثرهم فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثانى وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وذادهم خلفهم (فغشيهم من اليم ماغشيهم) اأضمير لجنوده أوله ولهم وفيه مبالغة وجازة أى غشيهم ماسمعت قصته ولايعرف كنهه الاالله وقرئ فغشاهم ماغشاهم أى غطاهم ماغطاهم والفاعل هو الله تعالى أوماغشاهم أوفرعون لانه الذى ورطهم للهلاك (وأضل فرعون قومه وماهدى) أى أضلهم فى الدين وماهداهم وهو تهكم به فى قوله وماأهديكم الا السبيل الرشاد أوأضلهم فى البحر وماانجاهم (يابنى اسرائيل) خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا أوللذين منهم فى عهد النبى عليه والصلاة والسلام على فعل بآبائهم (قد أنجيناكم من عدوكم) فرعون وقومه (وواعدناكم جانب الطور الايمن) بمناجاة موسى وانزال التوراة عليه واعا عد المواعدة اليهم وهى لموسى أوله وللسبعين المختارين للملابسة (ونزلنا عليكم المن والسلوى) يعنى فى التيه (كلوا من طيبات مارزقناكم) لذائذه أوحلالاته وقرأ حمزة والكسائى أنجيتكم وواعدتكم ومارزقتكم على التاء وقرئ وعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب (ولاتطغوا فيه) فيحل عليكم غضبى) فيلزمكم عذابى ويجب لكم من حل الدين اذا وجب أداؤه (ومن يحلل عليه غضبى فقد تردى وهلك وقيل وقع فى الهاوية وقرأ الكسائى بحل و يحلل بالضم من حل يحل اذا نزل (وانى لغفار لمن تاب) عن الشرك (وآمن) بما يجب الايمان به (وعمل صالحا ثم اهتدى)

ثم استفهم أعلى الهدى المذكور (وما أعجلك عن قومك يا موسى) سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة فى نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهامهم التعظم عليهم فلذلك أجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه أهم (قال) موسى (هم أولاء على أثرى) أى ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بينى و بينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا (وعجلت اليك رب لترضى) فان المسارعة الى امتثال أمرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك (قال فانا قد فتنا قومك من بعدك) ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف مائتا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر ألفا (وأضلهم السامرى) باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ وأضلهم أى أشدهم ضلالا لانه كان ضالا مضلا وان صح أنهم أقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بأيامها أربعين وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل وأن هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس فى الآية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان أصل وقوع الشئ ان يكون فى علمه ومقتضى مشيئته والسامرى منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من أهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا (فرجع موسى الى قومه) بعد ما استوفى الاربعين وأخذ التوراة (غضبان) عليهم (أسفا) حزينا بما فعلوا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) بان يعطيكم التوراة فيها هدى ونور (أفطال عليكم العهد) أى الزمان يعنى زمان مفارقتهم (أم أردتم أن يحل عليكم) يجب عليكم (غضب من ربكم) بعبادة ماهو مثل فى الغباوة (فاخلفتم موعدى) وعدكم اياى بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما أمرتكم به وقيل هو من أخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه أى فوجدتم الخلف فى وعدى لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيب على التردد ولا على الشق الذى يليه ولا جوابهم له (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) بان ملكنا أمرنا فاذ لو خلينا وأمرنا ولم يسول لنا السامرى لما أخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحزة والكسائى بالضم وثلاثتها فى الاصل لغات فى مصدر ملكت الشئ (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم) حملنا أحمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا العيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة أن يعلموا به وقيل هى ما ألقاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها أوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد أولا لهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى (فقذفناها) أى فى النار (فكذلك ألقى السامرى) أى ما كان معه منها روى أنهم لما حسبوا أن العدة قد كملت قال لهم السامرى انما أخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلى القوم وهو حرام عليكم فالرأى أن تحفروا حفيرة وتسجروها نارا وتقذفوا كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ أبو عمرو وحزة والكسائى وأبو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف (فاخرج لهم عجلا جسدا) من ذلك الحلى المذابة (له خوار) صوت العجل (فقالوا) يعنى السامرى ومن افتتن به اول ما رآه (هذا الهكم والله موسى فنسى) أى فنسيه موسى وذهب يطلبه عنده الطور أو فنسى السامرى أى ترك ما كان عليه من اظهار الايمان (أفلا يرون) أفلا يعلمون (الا يرجع اليهم قولا) انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة لا تقع بعد أفعال اليقين (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم (ولقد قال لهم هرون من

وهم أولاء على أثرى لكنه قدم جواب الانكار لما ذكر (قوله تعالى قال فانا قد فتنا قومك الخ) فان قلت ما هذه الفاء قلنا فاء التعقيب فكانه قيل أقول عقب المخاطبة المذكورة اناقد فتنا قومك (قوله وان صح الخ) أى نقل أن عبادتهم للعجل كانت بعد ذهاب موسى بعشرين ليلة فاشكل الحال بانه كيف قال الله تعالى عنه عند مقدم موسى الى موعد وعده الله تعالى وأضلهم السامرى بصيغة الماضى والحال ان العبادة المذكورة لم تقع بعد فاجاب بانا لا نسلم صحة هذا النقل وان سلم فنقول هذا اخبار على ما سيقع على عادته تعالى بلفظ الماضى (قوله تعالى أفطال عليكم العهد) فان قيل ما هذه الفاء قلنا فاء السببية يعنى أخلفتم موعدى أفطال عليكم العهد (قوله وهو لا يناسب الترتيب على التردد الخ) أى لا يناسب اخلاف الوعد بهذا المعنى ترتيبه على التردد المذكور

لان وجدانهم طول العهد المذكور اوارادتهم حلول غضب الرب تعالى لا يصلح ان يكون علة لوجدانهم الخلف فى وعد موسى بل يصلحان سببين لخلفهم فى وعدهم مع موسى ولا يخفى ان وجدانهم الخلف فى وعد موسى كما لا يناسب الترتيب المذكور قبل)

قبل) من قبل رجوع موسى عليه الصلاة والسلام اوقول السامرى كأنه أول مارفع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم (ياقوم انما فتنتم به) بالعجل (وان ربكم الرحمن لاغير (فاتبعونى واطيعوا أمرى) فى الثبات على الدين (قالوا لن نبرح عليه) على العجل وعبادته (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول (قال ياهرون) أى قال له موسى حين رجع (مامنعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (ألاتتبعن) أن تتبعنى فى الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به أوان تأتى عقبى وتلحقنى ولامزيدة كما فى قوله مامنعك ان لاتسجد (أفعصيت أمرى) بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه (قال يابن ام) خص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام (لاتأخذ بلحيتى ولابرأسى) أى بشعر رأسى قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه الصلاة والسلام حديدا خشنا متصلبا فى كل شئ فلم تملك حين رآهم يعبدون العجل (انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل) لوقاتلت اوفارقت بعضهم ببعض (ولم ترقب قولى) حين قلت اخلفنى فى قومى واصلح فان الاصلاح كان فى حفظ الدهماء والمداراة لهم الى ان ترجع اليهم فتتدارك الامر برأيك (قال فما خطبك ياسامرى) أى ثم اقبل عليه وقال له منكرا ماخطبك أى ماطلبك له وما الذى حملك عليه وهو مصدر خطب الشئ اذا طلبه (قال بصرت بما لم يبصروا به) وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على الخطاب أى علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذى جاءك روحانى محض لايمس أثره شيئا الا أحياه وأورأيت مالم تروه وهو ان جبريل عليه الصلاة والسلام جاءك على فرس الحياة وقيل انما عرفه لان امه لقته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل يغذوه حتى استقل (فقبضت قبضة من أثر الرسول) من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض فاطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف والثانى للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل عليه الصلاة والسلام ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبريل أو اراد ان ينبه على الوقت وهو حين أرسل اليه ليذهب به الى الطور (فنبذتها) فى الحلى المذاب أوفى جوف العجل حتى حي (وكذلك سولت لى نفسى) زينته وحسنته لى (قال فاذهب فان لك فى الحياة) عقوبة على مافعلت (ان تقول لامساس) خوفا من ان يمسك احد فتاخذك الحمى ومن مسك فتتحامى الناس ويتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشى النافر وقرئ لامساس كقجار وهو علم للمسة (وان لك موعدا) فى الآخرة (لن تخلفه) ان تخلفكه الله و ينجزه لك فى الآخرة بعد ماعافبك فى الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام أى لن تخلف الواعد اياه وسيأتيك لامحالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله (وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا) ظللت على عبادته مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها (لنحرقنه) أى بالنار و يؤيده قراءة لنحرقنه أو بالمبرد على انه مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد و يعضده قراءة لنحرقنه (ثم لننسفنه) ثم لنذرينه رمادا أو مبرودا وقرئ بضم السين (فى اليم نسفا) فلا يصادف منه شئ والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له أدنى نظر (انما الهكم) المستحق لعبادتكم (الله الذى لااله الاهو) اذلا أحد يماثله أو يدانيه فى كمال العلم والقدرة (وسع كل شئ علما) وسع علمه كل مايصح ان يعلم لا العجل الذى يصاغ و يحرق وان كان حيا فى نفسه كان مثلا فى الغباوة وقرئ وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه

لايناسب الارادة المذكورة ولاقولهم فى جوابه وهو ماأخلفنا موعدك بملكنا (قوله وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول) من الوجهين اللذين ذكرهما فى تفسير قوله تعالى ولقد قال لهم هارون من قبل (قوله و يؤيده قراءة لنحرقنه) أى يؤيد التفسير بتحريق النار قراءة لنحرقنه من باب الافعال لان الاحراق لايتعلق الا بالنار (قوله على انه مبالغة) من حرق بكسر الراء (قوله و يعضده قراءة لنحرقنه) بالنون وضم الراء لان هذه الصيغة لاتتعلق قال فى الصحاح لنحرقنه أى لنبردنه

وان انتصب على التمييز فى المشهورة لكنه فاعل فى المعنى فلما عدى الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا (كذلك) مثل ذلك الاقتصاص يعنى اقتصاص قصة موسى عليه الصلاة والسلام (نقص عليك من أنباء ما قد سبق) من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة فى علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من أمتك (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس (من أعرض عنه) عن الذكر الذى هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره أو اثما عظيما (خالدين فيه) فى الوزر أو فى حمله والجمع فيه والتوحيد فى أعرض للحمل على المعنى واللفظ (وساء لهم يوم القيامة حملا) أى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف أى ساء حملا وزرهم واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى أحزن والضمير الذى فيه للوزر أشكل أمر اللام ونصب حملا ولم يفده من بد معنى (يوم ينفخ فى الصور) وقرأ أبو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له أو للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على أن فيه ضمير الله أو ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ فى الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) وقرئ ويحشر المجرمون (زرقا) زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها الى العرب لان الروم كانوا أعدى أعدائهم وهم زرق العين ولذلك قالوا فى صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين أو مما يفاجأ من حدقة الاعمى تزراق (يتخافتون بينهم) يخفضون أصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه (ان) ما (لبثتم الا عشرا) أى فى الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها أو لاستطالتهم مدة الآخرة أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها فى قضاء الاوطار واتباع الشهوات أو فى القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات (نحن أعلم بما يقولون) وهو مدة لبثهم (اذ يقول أمثلهم طريقة) اعدلهم رأيا أو عملا (ان لبثتم الا يوما) استرجاح لقول من يكون أشد تقالا منهم (ويسئلونك عن الجبال) عن ما ل أمرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف (فقل) لهم (ينسفها ربى نسفا) يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها (فيذرها) فيذر مقارها أو الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة (قاعا) خاليا (صفصفا) مستويا كأن أجزاءها على صف واحد (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) اعوجاجا ولا نتوا ان تاملت فيها بالقياس الهندسى وثلاثتها أحوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص بالمعانى والامت وهو النتوء اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين للحالين (يومئذ) أى يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز أن يكون بدلا ثانيا من يوم قيامة (يتبعون الداعى) داعى الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل أوب الى صوبه (لا عوج له) لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه (وخشعت الاصوات للرحمن) خفضت لهيابته (فلا تسمع الا همسا) صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت أخفاف الابل وقد فسر الهمس بتخفق أقدامهم ونقلها الى المحشر (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن) الاستثناء من الشفاعة أى الاشفاعة من أذن له أو من أعم المفاعيل أى الا من اذن فى أن يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع على البدلية وعلى الثانى منصوب على

(قوله ولو جعلت ساء بمعنى أحزن الخ) أى يجب على هذا التقدير ان يكون الكلام هكذا وساءهم يوم القيامة حملهم (قوله أشكل الامر الخ) لانه اذا كان بمعنى أحزن كان المناسب ان يقال ساءهم يوم القيامة كقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر أيضا لاجدوى فى قوله (قوله أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الخ) فيه ايهام وتوضيحه ما ذكره صاحب الكشاف يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا لما يعاينون من الشدائد التى تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها او يصفونها بالقصر لان أيام السرور قصار (قوله وثلاثتها أحوال مترتبة) ووجه الترتب أن المناسب أن نجعل الارض أولا فاغا خاليا عن الغرس ثم نجعل مستويا بحسب الظاهر ثم نجعل مستويا حقيقة

المفعولية وأذن يحتمل أن يكون من الاذن ومن الأذن (ورضى له قولا) أى ورضى لمكانه عند الله قوله فى الشفاعة أو رضى لاجله قول الشافع فى شأنه أو قوله لاجله وفى شأنه (يعلم مابين أيديهم) ماتقدمهم من الاحوال (وماخلفهم) ومابعدهم مما يستقبلونه (ولايحيطون به علما) ولايحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين أولجميعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولاتفصيل ماعلموا منه (وعنت الوجوه للحى القيوم) ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى فى يد الملك القهار وظاهرها يقتضى العموم ويجوز أن يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده (وقد خاب من حمل ظلما) وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان مالاجله عنت وجوههم (ومن يعمل من الصالحات) بعض الطاعات (وهو مؤمن) اذ الايمان شرط فى صحة الطاعات وقبول الخيرات (فلايخاف ظلما) منع ثواب مستحق بالوعد (ولاهضما) ولا كسرا منه بنقصان أوجزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلايخف على النهى (وكذلك) عطف على كذلك نقص أى مثل ذلك الانزال أومثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد (أنزلناه قرآنا عربيا) كله على هذه الوتيرة (وصرفنا فيه من الوعيد) مكررين فيه آيات الوعيد (لعلهم يتقون) المعاصى فتصير التقوى لهم ملكة (أو يحدث لهم ذكرا) عظة واعتبارا حين يسمعونها فتشبطهم عنها ولهذه النكتة أسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن (فتعالى الله) فى ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لايماثل كلامه كلامهم كما لايماثل ذاته ذاتهم (الملك) النافذ أمره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده (الحق) فى ملكوته يستحقه لذاته أوالثابت فى ذاته وصفاته (ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) نهى عن الاستعجال فى تلقى الوحى من جبريل عليه السلام ومسارعته فى القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهى عن تبليغ ما كان مجملا قبل أن يأتى بيانه (وقل رب زدنى علما) أى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما أوحى اليك تناله لا محالة (ولقد عهدنا الى آدم) ولقد أمرناه يقال تقدم الملك اليه وأوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا أمره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان أساس بنى آدم على العصيان وعرقهم راسخ فى النسيان (من قبل) من قبل هذا الزمان (فنسى) العهد ولم يعن به حتى غفل عنه أوترك ماوصى به من الاحتراز عن الشجرة (ولم نجده له عزما) تصميم رأى وثباتا على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان فى بدء أمره قبل أن يجرب الامور ويذوق شريها وأريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بنى آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجده له عزما وقيل عزما على الذنب لانه أخطأ ولم يتعمده ونجد ان كان من الوجود الذى بمعنى العلم فله عزما مفعولا به وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حالا من عزما أومتعلق بنجد (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) مقدر باذكر أى اذكر حاله فى ذلك الوقت لينبين لك انه نسى ولم يكن من أولى العزيمة والثبات (فسجدوا الا ابليس) فسبق القول فيه (أبى) جملة مستأنفة لبيان مامنعه من السجود والاستكبار وعلى هذا لايقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى أظهر الاباء عن المطاوعة (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلايخرجنكما) فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن أن يكون بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما (من الجنة فتشقى) أفرد ماسند الشقاء اليه بعد اشراكهما فى الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها ومحافظ على الفواصل أولان المراد بالشقاء التعب فى طلب

(قوله أوقوله لاجله وفى شأنه) أى قول الشافع لاجل المشفوع وفى شأنه والفرق بينه وبين ماسبقه ان قوله لاجله متعلق برضى على الاول ومتعلق بقوله فى الثانى (قوله فتكون اللام بدل الاضافة) أى الاصل وجوه المجرمين فحذف المضاف اليه وعوض عنه اللام (قوله وهو يحتمل الحال) أى الحال من الوجوه والمعنى وقد خاب من حمل ظلما منهم أى من الوجوه والحالية تناسب العموم والاستئناف يناسب الخصوص (قوله أوجزاء ظلم وهضم الخ) فيه نظر اذ لايلزم من الايمان وبعض العمل أن لايظلم غيره ولايهضم حقه فالوجه الى الاول (قوله ولهذه النكتة أسند الخ) أى لاجل ان المراد حصول ملكة التقوى لهم واحداث العظة والاعتبار عند سماع آيات الوعيد أسند الخ (قوله أوالثابت الخ) عطف بحسب المعنى فكأنه قيل الحق المستحق للملكوت لذاته أوالثابت (قوله وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما) يعنى انه مع كون حلم آدم راجحا على أحلام بنيه قال الله ذلك فعلم ان أحلام آدم وبنيه لم تكن

المعاش وذلك وظيفة الرجال و يؤيده قوله (ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) فانه بيان وتذكير لما له فى الجنة من أسباب الكفاية وأقطاب الكفاف التى هى الشبع والرى والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعى فى تحصيل أغراض ماعسى ينقطع و يزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه بأصناف الشقوة المحذر عنها والعاطف وان ناب عن ان لكنه ناب من حيث انه عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه وقرأ أفلح وأبو بكر وانك لا تظمأ بكسر الهمزة والباقون بفتحها (فوسوس اليه الشيطان) فانتهى اليه وسوسته (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) الشجرة التى من أكل منها خلد ولم يمت أصلا فاضافها الى الخلد أى الخلود لانها سبب به بزعمه (وملك لا يبلى) لا يزول ولا يضعف (فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين (وعصى آدم ربه) بأكل الشجرة (فغوى) فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد بأكل الشجرة أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوى من غوى الفصيل اذا انخم من اللبن وفى النبى عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها (ثم اجتباه ربه) اصطفاه وقربه بالجمل على التوبة والتوفيق لها من أجبى الى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتلينها وأصل معنى الكلمة الجمع (فتاب عليه) فقبل توبته لما تاب (وهدى) الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة (قال اهبطا منها جميعا) الخطاب لآدم وحواء أو له ولابليس ولما كانا أصلى الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال (بعضكم لبعض عدو) لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب أو لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر و يؤيد الاول قوله (فاما يأتينكم منى هدى) كتاب ورسول (فمن اتبع هداى فلا يضل) فى الدنيا (ولا يشقى) فى الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) عن الهدى الذاكر لى والداعى الى عبادتى (فان له معيشة ضنكا) ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كحبلى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر و يوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم فى النار وقيل عذاب القبر (ونحشره) فرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف و بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط (يوم القيامة أعمى) عمى البصر أو القلب و يؤيد الاول (قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) وقد أما لهما حمزة والكسائى لان الالف منقلبة من الياء وفرق أبو عمرو بان الاول رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير (قال كذلك) أى مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال (أتتك آياتنا) واضحة نيرة (فنسيتها) فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها (وكذلك) ومثل ترك ذلك اياها (اليوم تنسى) تترك فى العمى والعذاب (وكذلك نجزى من أسرف) بالانهماك فى الشهوات والاعراض عن الآيات (ولم يؤمن بآيات ربه) بل كذب بها وخالفها (ولعذاب الآخرة) وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار أى وللنار بعد ذلك (أشد وأبقى) من ضنك العيش أو منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه لير ى محله وحاله أو مما فعله من ترك الآيات والكفر بها (أفلم يهد لهم) مسند الى الله تعالى أو الرسول أو مادل عليه (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أى اهلا كنا اياهم أو الجملة بمضمونها

ان فى قوله ان لك وقد امتنع دخول ان المكسورة على ان المفتوحة مع انه لا يمتنع دخول الواو التى هى نائب عنها عليها بسبب ماذكر وهو ان امتناع دخول ان المكسورة على ان المفتوحة بسبب ان المكسورة لتحقيق ما دخلت عليه كان المفتوحة فلا يجتمعان لامتناع اجتماع حرفى تحقيق وأما الواو فليست موضوعة للتحقيق حتى يكون حكمها حكم ان (قوله بزعمه) أى بزعم ابليس (قوله وقد أما لهما حمزة والكسائى) أى أما لاهمزة أعمى فى الموضعين لان أصلها الياء (قوله ولعله اذا دخل النار الخ) جواب سؤال وهو انه اذا كان أعمى فى الآخرة كان عماه أبديا فما معنى ان عذاب الآخرة أبقى من العمى والجواب ماذكره وهو انه يمكن أن يحشر أعمى ثم اذا دخل النار زال عماه لما ذكر (قوله أى اهلا كنا اياهم أو الجملة بمضمونها) فيه انهم منعوا وقوع الجملة فاعلا وان أريد به مضمونها أى اهلا كنا اياهم كان

الاحتمال الاول بعينه ولم يرد هذا على الكشاف لانه لم يذكر هذين الاحتمالين معا

(قوله والفعل على الاولين معاق) لان الفاعل هو الله والرسول فيكون كم أهلكنا مفعولا مصدرا بكلمة الاستفهام فيحصل التعليق ولذا قال ويدل عليه القراءة بالنون لانها صريحة فى أن فاعله مضمر فيلزم التعليق وأما على الاخيرين فكم أهلكنا بمنزلة الفاعل (قوله تعالى يمشون فى مساكنهم) صفة للقرون بان تجعل اللام فى القرون للعهد الذهنى فيكون فى حكم النكرة كما جعلوا اللام فى قوله* ولقد أمر على المئيم يسبنى * وحكموا بان جملة يسبنى صفة للئيم وانما جعلنا القرون فى حكم النكرة لانه لا غرض متعلق بتعيينه بل المراد مطلق القرون لان الغرض التنبيه باهلاك قرون يمشون فى مساكنهم وقال المصنف تبعا لصاحب الكشاف فى قوله تعالى الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة أن لا يستطيعون (٣٢) صفة للرجال والنساء والولدان (قوله أو اسم آلة) أى بمعنى اسم آلة وهو ملزم قال صاحب الكشاف وللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل (قوله لزاز خصم) اى من قبيل جرد قطيفة أى خصم ملزز أى ملح مبالغ فى الخصومة (قوله أى لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم) فيكون المراد بالأجل المسمى يوم القيامة أى يكون مجموع الامرين لازما لهم (قوله وانما قدم زمان الليل الخ) أى قدم آناء الليل على فسبح وعكس فيما تقدم وهو قوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ووجه التقديم ماذكر (قوله ارادة الاختصاص) فان صلاة الصبح فيها مشقة لكونه وقت شدة النوم وصلاة المغرب وقتها ضيق فكرر ليفهم بهما (قوله فانه نهاية النصف الاول الخ) لا يخفى ان أول الظهر حين زالت الشمس عن منتصف السماء فكيف يصح انه نهاية النصف الاول بل هو بداية النصف الثانى (قوله وجمعه باعتبار النصفين) فان المثنى قد يعبر عنه بصيغة الجمع لمثل ماذكر (قوله أولان النهار جنس) فله أفراد كثيرة فيتحقق الاطراف (قوله أو من أزواجا) بتقدير مضاف ودونه فالاول على تقدير ان يكون المراد من الازواج أصناف الكفرة فانهم ذوو زهرة الحياة الدنيا والثانى على تقدير ان يكون المراد من الازواج أصناف التمتيعات فانها زهرة الحياة الدنيا

والفعل على الاولين معاق يجرى مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون (يمشون فى مساكنهم) ويشاهدون آثارها لكم (ان فى ذلك لآيات لأولى النهى) لذوى العقول الناهية عن التغافل والتعامى (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة (لكان لزاما) لكان مثل مانزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به أو اسم آلة سمى به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم (وأجل مسمى) عطف على كلمة أى ولولا العدة بتأخير العذاب وأجل مسمى لاعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة أو يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفى لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن فى كان أى لكان الاخذ العاجل وأجل مسمى لازمين له (فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك) وصل وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه أو نزهه عن الشرك وسائر مايضيفون اليه من النقائص حامدا له على مامنحك بالهدى معترفا بانه المولى للنعم كلها (قبل طلوع الشمس) يعنى الفجر (وقبل غروبها) يعنى الظهر والعصر لانهما فى آخر النهار أو العصر وحده (ومن آناء الليل) ومن ساعاته جمع انا بالكسر والقصر أو اناء بالفتح والمد (فسبح) يعنى المغرب والعشاء وانما قدم زمان الليل لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه أجمع والنفس أميل الى الاستراحة فكانت العبادة فيه أجز ولذلك قال سبحانه وتعالى ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا (وأطراف النهار) تكرير لاصلاة الصبح والمغرب ارادة الاختصاص وبجمعه بلفظ الجمع لأمن الالباس كقوله* ظهراهما مثل ظهور الترسين* أو أمر بصلاة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه باعتبار النصفين أولان النهار جنس أو بالتطوع فى أجزاء النهار (لعلك ترضى) متعلق بسبح أى سبح فى هذه الاوقات طمعا أن تنال عند الله مايه ترضى نفسك وقرأ الكسائى وأبو بكر بالبناء للمفعول أى يرضيك ربك (ولاتمدن عينيك) أى نظر عينيك (الى مامتعنا به) استحسانا له وتمنيا أن يكون لك مثله (أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة ويجوز أن يكون حالا من الضمير فى به والمفعول منهم أى الى الذى متعنا به بعضهم أو ناسا منهم (زهرة الحياة الدنيا) منصوب بمحذوف دل عليه متعنا أو به على تضمينه معنى أعطينا أو بالبدل من محل به أو من أزواجا بتقدير مضاف ودونه أو

بالضم وهى الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهو لغة كالجهرة فى الجهرة أو جمع زاهر وصفهم بانهم زاهر والدنيا تنعمهم و بهاء زيهم بخلاف ماعليه المؤمنون الزهاد (لنفتنهم فيه) لنبلوهم ونختبرهم فيه أو لنعذبهم فى الآخرة بسببه (ورزق ربك) وما ادخر لك فى الآخرة أو ما رزقك من الهدى والنبوة (خير) مما منحهم فى الدنيا (وأبقى) فانه لا ينقطع (وأمر أهلك بالصلاة) أمره بان يأمر أهل بيته أو التابعين له من أمته بالصلاة بعد ما أمر بها نبيا وتوا على الاستعانة بها على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا الفت أر باب الثروة (واصطبر عليها) وداوم عليها (لا نسألك رزقا) أى أن ترزق نفسك ولا أهلك (نحن نرزقك) واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة (والعاقبة) المحمودة (للتقوى) لذوى التقوى روى أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه) بآية تدل على صدقه فى ادعاء النبوة أو بآية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات أو للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم بانيانه بالقرآن الذى هو أم المعجزات وأعظمها وأبقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعى النبوة بنوع من العلم أو العمل على وجه خارق للعادة ولا شك أن العلم أصل العمل وأعلى منه قدرا وأبقى أثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم أيضا على وجه آخر بين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال (أولم يأتهم بينة ما فى الصحف الأولى) من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتمالها على زبدة ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع أن الآتى بها أمى لم يراولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هى مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرئ الصحف بالتخفيف وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم أولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) من قبل محمد عليه الصلاة والسلام أو البينة والتذكير لانها فى معنى البرهان أو الما دبها القرآن (لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل) بالقتل والسبى فى الدنيا (ونخزى) بدخول النار يوم القيامة وقد قرئ بانبناء للمفعول فيهما (قل كل) أى كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر لما يؤل اليه أمرنا وأمركم (فتربصوا) وقرئ فتمتعوا (فستعلمون من أصحاب الصراط السوى المستقيم وقرئ السواء أى الوسط الجيد والسوآى والسوء أى الشر والسوى وهو تصغيره (ومن اهتدى) من الضلالة ومن فى الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز أن تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على أن العلم بمعنى المعرفة أو على أصحاب أو على الصراط على أن المراد به النبى صلى الله عليه وسلم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ طه أعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار رضوان الله عليهم أجمعين

﴿سورة الانبياء مكية وآيها مائة واثنتا عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اقترب للناس حسابهم) بالاضافة الى ما مضى أو عند الله لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أو لان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب أو تأكيد للاضافة

(قوله فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية الخ) وهى جملة من أصحاب الصراط السوى وانما قال على ان العلم بمعنى المعرفة لانه اذا لم يكن كذلك وجب ان يكون له مفعولان فلا يصح ان يكون من اهتدى من غير شئ آخر مفعولا له بل لا بد من مفعول آخر لان الموصول مع صلته فى حكم كلمة واحدة فلزم الاقتصار على أحد مفعولى باب حسبت

واصله

(قوله وأصله اقترب حساب الناس الخ) أى الاصل ماذكر باضافة الحساب الى الناس ثم قيل اقترب للناس الحساب ليحصل التبيين بعد الابهام ثم قيل اقترب للناس حسابهم بتقدير اقترب حساب للناس حسابهم فيحصل منه فائدتان احداهما تأكيد معنى الاضافة والثانى التبيين بعد الابهام هكذا ذكره العلامة الطيبى وفيه انه يلزم منه حذف الفاعل الذى هو الحساب فى قوله اقترب حساب للناس حسابهم فالوجه الاقتصار على ان المآل أى اقترب للناس حسابهم حتى يكون الفاعل حسابهم فيفيد تأكيد معنى الاضافة لان قوله تعالى حسابهم فى معنى حساب للناس (قوله تعالى محدث) فان قيل مافائدة قوله تعالى محدث فالجواب انه لو لم يذكر لجاز ان يتوهم ان ذكرا واحدا تكرر بيانه بان يذكره النبى صلى الله عليه وسلم مرة بعد أخرى فاذا قيل محدث علم انه لم يكن فكان بعد ما لم يكن (قوله وعسوا كذا من قوله تعالى قل أنزله الذى يعلم الخ) لان هذه الآية صريحة فى انه تعالى يعلم القول الخفى والظاهر وتلك الآية تدل على انه تعالى يعلم الاسرار ومن يعلم الاسرار وان كان الظاهر منه انه يعلم الجهر أيضا لكن التصريح به أشد تقريرا ولك ان تقول تلك الآية آكد من وجه لانها تدل على انه تعالى يعلم السر أيضا منهما أعم من ان يكون قولا أو غيره وهذه الآية تدل على انه تعالى يعلم القول سرا وجهرا واعلم ان العلامة الطيبى نقل عن الراغب ان القول يستعمل على وجوه أحدها ان يكون للحروف المبرزة فى النطق مفردا كان أو جملة الثانى للتصور فى النفس قبل الابراز باللفظ فيقال فى نفسى قول لم أبرزه وعلى هذا ظهر ما ادعاه من كونه آكد لان السر هو الحديث فى النفس كذا قاله الراغب (قوله اضراب لهم عن قولهم هو سحر الخ) فيكون بل الخ من كلام الكفرة كذا فى الكشاف واعترض عليه بان فيه اشكالا من حيث انه لو كان كذلك لوجب ان يقال قالوا بل أضغاث أحلام (قوله والظاهر ان بل الاولى الخ) فيكون من كلام الله تعالى (قوله أو للاضراب عن تحاورهم الخ) فقوله اضراب لهم عن قولهم الخ معناه ان كلامهم الاول وهو قولهم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون وكذا قولهم أضغاث أحلام الخ كلاهما بيان تحاورهم فى شأن القرآن (قوله ويجوز أن يكون الكل من الله تعالى الخ) حاصله ان بل للترقى من الفاسد الى الافسد فان نسبة القرآن الى السحر فاسد وكونه أضغاث أحلام أفسد منه لان السحر شبيه بالاعجاز من وجه وهو خرق العادة بخلاف أضغاث الاحلام وقس عليه الباقين

وأصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله (وهم فى غفلة) أى فى غفلة عن الحساب (معرضون) عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز أن يكون الظرف حالا من المستكن فى معرضون (ما يأتيهم من ذكر) ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة (من ربهم) صفة لذكر أو صلة لياتيهم (محدث) تنزيله ليتكرر على أسماعهم التنبيه كى يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل (الا استمعوه وهم يلعبون) استهزؤن به ويستخرجون منه لتناهى غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر فى الامور والتفكر فى العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك (لاهية قلوبهم) أى استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهى والذهول عن التفكر فيه ويجوز أن يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على أنها خبر آخر للضمير (وأسروا النجوى) بالغوا فى اخفائها أو جعلوها بحيث خفى تناجيهم بها (الذين ظلموا) بدل من واو وأسروا اللايماء بأنهم ظالمون فيما أسروا به أو فاعل له والواو لعلامة الجمع أو مبتدأ والجملة المتقدمة خبره وأصله وهؤلاء أسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم أو منصوب على الذم (هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) بامره فى موضع النصب بدلا من النجوى أو مفعولا لقول مقدر كأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه فى ادعاء الرسالة لاعتقادهم أن الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فأنكروا حضوره وأتوا بأسروا به تشاورا فى استنباط مايهدم أمره ويظهر فساده للناس عامة (قل ربى يعلم القول فى السماء والارض) جهرا كان أو سرا فضلا عما أسروا به فهو آكد من قوله قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض ولذلك اختير ههنا ليطابق قوله وأسروا النجوى فى المبالغة وقرأ حمزة والكسائى وحفص قال بالاخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم (وهو السميع العليم) فلا يخفى عليه ما يسرون ولما يضمرون (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر) اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى أنه تخاليط أحلام ثم الى أنه كلام افتراه ثم الى أنه قول شاعر والظاهر أن بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى أو للاضراب عن تحاورهم فى شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم فى أمر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه أباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى أنه كلام شعرى يتخيل الى السامع معانى لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز أن يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم فى درج الفساد لان كونه شعرا أبعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق

والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا وأربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو أبعد من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق (فليأتنا بآية كما أرسل الاولون) أى كما أرسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية (ما آمنت قبلهم من قرية) من أهل قرية (أهلكناها) باقتراح الآيات لما جاءتهم (أفهم يؤمنون) لو جئتهم بها وهم أعتى منهم وفيه تنبيه على أن عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو أتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم (وما أرسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم أن يسألوا أهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة عليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم فى أمر النبى عليه الصلاة والسلام ويثقون بقولهم أو لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحى بالنون (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين) نفى لما اعتقدوا أنها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا أبشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدى الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس أو لانه مصدر فى الاصل أو على حذف المضاف أو تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون فلذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان أصله لجمع الشئ واشتداده (ثم صدقناهم الوعد) أى فى الوعد (فأنجيناهم ومن نشاء) يعنى المؤمنين بهم ومن فى ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو أو أحد من ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال (وأهلكنا المسرفين) فى الكفر والمعاصى (لقد أنزلنا اليكم) يا قريش (كتابا) يعنى القرآن (فيه ذكركم) صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق (أفلا تعقلون) فتؤمنون (وكم قصمنا من قرية) واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم (كانت ظالمة) صفة لاهلها وصفت بها لما أقيمت مقامه (وأنشأنا بعدها) بعد اهلاك أهلها (قوما آخرين) مكانهم (فلما أحسوا بأسنا) فلما أدركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف (اذا هم منها يركضون) يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بهم من فرط اسراعهم (لا تركضوا) على ارادة القول أى قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال أو المقال والقائل ملك أو من ثم من المؤمنين (وارجعوا الى ما أترفتم فيه) من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة (ومساكنكم) التى كانت لكم (لعلكم تسئلون) غدا عن أعمالكم أو تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب أو تقصدون للسؤال والتشاور فى المهام والنوازل (قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين) لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان أهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبى فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك (فما زالت تلك دعواهم) فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كأنه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا أوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع (خامدين) ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثانى كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أو صفة له أو حال من ضميره

(وما

(قوله وصحة التشبيه) أى تشبيه الاتيان بالآية بارسال الاولين غير صحيح بحسب الظاهر لكن اذا حقق الامر صح التشبيه بالوجه المذكور (قوله أو لان اخبار الجم الغفير الخ) فيه نظر لان اخبار الجم الغفير من اليهود والنصارى وغيرهم بكذب النبى صلى الله عليه وسلم لا يوجب العلم بل يوجب جهلهم والجواب عنه ان اخبار الجم الغفير يوجب العلم اذا وجد شروط التواتر وليس تكذيبهم للنبى صلى الله عليه وسلم كذلك لظهور ما يرد قولهم (قوله واردة عن غضب شديد) أى هذه آية وارادة عن غضب شديد أى دالة عليه (قوله يا لثارات الانبياء) الثار القصاص وهذا النداء للتعجب والمعنى يا أيها الناس تعجبوا من ثارات الانبياء وفيه أن المناسب أن يقال بالافراد لانهم قتلوا نبيا واحدا الا أن يقال ان مشاهدة ثار النبى المذكور فى حكم مشاهدة ثارات الانبياء (قوله أو صفة له أو حال من ضميره) أى خامدين اما صفة الحصيد أو حال من الضمير المستتر فيه ويرد عليه أن الصفة جمع والموصوف مفرد وكذا الضمير المستتر فيه مفرد والحال جمع الا أن يقال الحصيد وان كان مفردا فى اللفظ الا أنه فى معنى الجمع

(قوله والمراد الرد على النصارى) فانهم ادعوا انه تعالى اتخذ الزوجة والولد (قوله ووجهه مع بعده الخ) أى على المعنى والعطف على الحق أى بان يقال معنى قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل بل نحقق الحق ويجوز أن يعطف على الحق فيدمغ الذى هو فى تأويل المصدر والمعنى بل نحقق الحق فيدمغ الباطل (قوله وذكره لترشيح المجاز) فان الدمغ مستعار من شق غشائه والهلاك يناسبه لانه لازمه (قوله أو لانه أعم منه من وجه) الوجه الاول بناء على أن من فى السموات والارض عبارة عن مطلق من فى جهات العلو والسفل وهذا الوجه بناء على أن المراد بمن فى السموات والارض من فى السماوات السبع والارض حتى لا يشمل من (٣٧) فى الكرسى والعرش فهو أعم من وجه

(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للناظر وتذكرة لذوى الاعتبار وتسببا لما ينتظم به أمور العباد فى المعاش والمعاد فينبغى أن يتساقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال (لو أردنا أن نتخذ لهوا) مايلهى به ويلعب (لاتخذناه من لدنا) من جهة قدرتنا أو من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم فى رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد به الرد على النصارى (ان كنا فاعلين) ذلك وبدل على جواب الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية (بل نقذف بالحق على الباطل) اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب أى بل من شاننا أن نغلب الحق الذى من جلته الجد على الباطل الذى من عاداته اللهو (فيدمغه) فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمى البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذى هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاؤه المؤدى الى زهوق الروح تصوير الابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله

ساترك منزلى لبنى تميم * وألحق بالحجاز فاستريحا

ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق (فاذا هو زاهق) هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز (ولكم الويل مما تصفون) مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو فى موضع الحال ومامصدرية أو موصولة أو موصوفة (وله من فى السموات والارض) خلقا وملكا (ومن عنده) يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من فى السموات وافراده للتعظيم أو لانه أعم منه من وجه أو المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوؤ فى السماء والارض أو مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته) لا يتعظمون عنها (ولا يستحسرون) ولا يعيون منها وانما جىء بالاستحسار الذى هو أبلغ من الحسور تنبيها على أن عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون (يسبحون الليل والنهار) ينزهونه ويعظمونه دائما (لا يفترون) حال من الواو فى يسبحون وهو استئناف أو حال من ضمير قبله (أم اتخذوا آلهة) بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم (من الارض) صفة لآلهة أو متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص (هم ينشرون) الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاءهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة فى ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم (لو كان فيهما آلهة الا الله) غير الله وصف بالالتعذر لاستثنناء لعدم شمول ماقبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما

ممن فى السموات والارض اذ يمكن أن يكون من فى السماء والارض ملكا مقربا ويمكن أن يكون غيره ويمكن أن يكون ملك مقرب ليس فى السماء ولا فى الارض (قوله بالاستحسار الذى هو أبلغ من الحسور) أى التعب وذلك لان الاستحسار طلب الحسور ولا طلب فدل السين على المبالغة فيكون المعنى نفى مبالغة التعب فيشعر بان ماهم عليه حقيق بالتعب الشديد لكنهم ليسوا كذلك فلا يردانه لو قيل لا يحسرون لكان أولى أو لانه يفيد نفى مطلق التعب اذ على هذا التقدير تفوت النكتة المذكورة (قوله وهو استئناف) أى يسبحون استئناف أو حال من ضمير قبله فى يستحسرون وأعيده (قوله وفائدتها التحقير دون التخصيص) أى فائدة من

الارض تحقير آلهتهم لا تخصيص الآلهة الارضية بالحكم فان الآلهة غير الله تعالى محقرون سواء أخذت من الارض أو من غيرها (قوله فان من لوازمها الخ) فيه أنه لا يلزم من الاقتدار على الشئ تحصيله فلا يلزم من القدرة على الانشار انشار بالفعل والاولى أن يقال انهم لما عبدوا الاصنام ولا بد للعبادة من فائدة وهى الثواب فأبطالهم على عبادتها يوجب عليهم الاقرار بكونها لا تحشر والنشر والثواب (قوله لتعذر الاستثناء لعدم شمول ماقبلها لما بعدها الخ) أى لما حاصل الاعلى معنى غير وجعل صفة للآلهة لتعذر حمله على الاستثناء لانه اخراج شئ عن شئ لم يكن الاستثناء به لكان الاول داخلا فى الثانى لكن الامر ههنا ليس كذلك لان آلهتهم منكور غير محصور فلا يعلم ان الله داخل فيها أولا (قوله ودلالته الخ) هذا دليل آخر على جعل الا بمعنى الصفة وتوضيحه انه لو جعل الا بمعنى الاستثناء به لكان

لزم اجتماع القدرة المتعددة المستقلة على شخص واحد وهو محال لما اشتهر في الكتب من امتناع اجتماع فواعل مستقلة على معلول واحد للزوم احتياجه واستغنائه عن كل واحد وان تخالفت الآلهة فيه بان يريد واحد وجوده والآخر عدمه لزم تعاوق القدر عنه بان يكون كل منهما مانعا عائقا عن الآخر فلزم المحال وههنا ابحاث دقيقة فصلناها في أوائل الحواشي التي كتبناها على شرح المواقف ثم ان في الآية أمرين أحدهما ما فائدة لفظ الجلالة ولم يقل لو كان فيهما اله الا الله لفسدتا مع انه أعم لانه يفيد ان ليس اله غير الله مطلقا بخلاف لفظ الجمع فانه يفيد نفي جميع الآلهة ولم يفد نفي الواحد غير الله الثاني ما فائدة لفظ الا الله مع انه من المعلوم ان الآلهة لابد أن تكون غير الله والجواب عن الاول ان الغرض من الآية الرد على الكفرة وانهم اتخذوا آلهة متعددة ثم انه لا فرق بين نفي الآلهة المتعددة وبين نفي اله غير الله اذ المحال المترتب على كل منهما واحد وعن الثاني ان فيه اشعارا بان معنى غير الله منافٍ للالوهية حتى لا يمكن ان يكون شيء متصف بانه غير الله صالحا للالوهية (قوله أو ضاها ما يكون لهم سند من النقل الخ) سند اخبر يكون وكذا دليلا (قوله به و بمن الجارة الخ) أي قرئ بالتنوين و بمن الجارة على ان مع اسم كقبل فكما ان قبل وشبهه قد يدخل من عليه فيقال من قبل كذلك يقال من معي (قوله وفيه تنبيه على مدحض القوم) أي تنبيه على منشأ شبههم وهي ان اكرام الله لبعض عباده منشأ لشبه اتخاذهم أولادا (قوله تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله) أي على استهجان السبق الذي يعرض به أي بذلك السبق المستهجن للقائلين المذكورين فان القول

دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا أو معه جلالها على غيرها كما استثنى بغير جلا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب (لفسدتا) لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانهما ان توافقتا في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه (فسبحان الله رب العرش) المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ التقادير (عما يصفون) من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد (لا يسئل عما يفعل) لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية (وهم يسئلون) لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة أو للعباد (أم اتخذوا من دونه آلهة) كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم أو هما لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى أوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية أو وجدوا في الكتب الالهية الأمر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر و بعضد ذلك أنه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا (قل هاتوا برهانكم) على ذلك اما من العقل أو من النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي أمته ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال و به و بمن الجارة على أن مع اسم هو ظرف كقبل و بعد وشبههما و بعدهما (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) ولا يميزون بينه و بين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب (فهم معرضون) عن التوحيد واتباع الرسول من أجل ذلك (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لا سم الاشارة مخصوص بالموجود بين أظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقرأ حفص وحمزة والكسائي نوحي اليه بالنون وكسر الحاء وابن عامر والبافون بالياء وفتح الحاء (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه له عن ذلك (بل عباد) بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا بالاولاد (مكرمون) مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد (لا يسبقونه بالقول) لا يقولون شيأ حتى يقوله كما هو دين العبيد المؤدبين وأصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه والبهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وأنبئ اللام عن الاضافة اختصارا وتحافيا

على الله مالم يقله سبق عليه (قوله بالضم) أى بضم الباء من يسبقونه (قوله من الملائكة) تخصيص الملائكة بناء على سبق ذكرهم (قوله والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا الخ) فيه نظر اذ تمكنهم من العلم الحاصل بالنظر بان السموات والارض كانتا رتقا ثم ففتقناهما ممنوع واما قوله فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ففيه ان انفصالهما لا يدل على عروض الفتق بعدما كانتا رتقا لم لا يجوز ان يكونا مخلوقين منفصلتين بلا رتق وفتق (٣٩) فان استدل لهما على ان القرآن

عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته أسبقه (وهم بامره يعملون) لا يعملون قط مالم يأمرهم به (يعلم مابين أيديهم وما خلفهم) لا تخفى عليه خافية مما قدموا وأخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لما حاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراقبون أحوالهم (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أن يشفع له مهابة منه (وهم من خشيته) عظمته ومهابته (مشفقون) مرتعدون وأصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدى بمن فمعنى الخوف فيه أظهر وان عدى بعلى فبالعكس (ومن يقل منهم) من الملائكة أو من الخلائق (انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم) يريد به نفى البنوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعى الربوبية (كذلك نجزى الظالمين) من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية (أولم ير الذين كفروا) أولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو (أن السموات والارض كانتا رتقا) ذات رتق أو مرتوقتين وهو الضم والالتحام أى كتا شيأ واحدا وحقيقة متحدة (ففتقناهما) بالتنوع والتمييز أو كانت السموات واحدة ففتقت بالتحر يكات المختلفة حتى صارت أفلا كا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها وأحوالها طبقات أو أقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق أو السموات بامرها على أن لها مدخلا ما فى الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء أو بوسط أو استفسارا من العلماء ومما لا تعلق للكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيأ رتقا أى مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض (وجعلنا من الماء كل شئ حى) وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من أعظم موادّه أو لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه أو صيرنا كل شئ حى بسبب من الماء لا يحيا دونه وقرئ حيا على أنه صفة كل أو مفعول ثان والظرف لغو والشئ مخصوص بالحيوان (أفلا يؤمنون) مع ظهور الآيات (وجعلنا فى الارض رواسى) ثابتات من رسا الشئ اذا ثبت (أن تميد بهم) كراهة أن تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف كما لا أمن الالباس (وجعلنا فيها) فى الارض أو الرواسى (فجاجا سبلا) مسالك واسعة وانما قوسم فجاجا وهو وصف لها يصير حالا فيدل على أنه حين خلقها خلقها كذلك أو يبدل منها سبلا فيدل ضمنا على أنه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد (لعلهم يهتدون) الى مصالحهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) عن الوقوع بقدرته أو الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته أو استراق السمع بالشهب (وهم عن آياتها) عن أحوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهى حكمته التى تحس ببعضها ويبحث عن بعضها فى علمى الطبيعة والهيئة (معرضون) غير متفكرين

مخصوص مذكور وهو جعلناه يفهم منه انه على التقدير السابق ظرف مستقر أى وجعلنا كل شئ حى كائنا بسبب الماء حتى يكون مفعولا ثانيا لصيرنا (قوله ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك) لان الحال قيد العامل كما فى جاء زيد ركبا فانه يدل على ان الركوب وقت المجئ (قوله فيدل على انه خلقها ووسعها للسابلة) لان البدل هو المقصود بالذات فالمقصود كونها سبلا أى محلا للسابلة (قوله مع ما فيه من التوكيد) لان الفجاج بدل على السبل لان الفج الطريق الواسع فاذا قوسم الفج جعل على معناه الحقيقى فحصل انها كيدبذ كر سبلا بعده وأما اذا أخر الفجاج حمل الفج على الواسع لان السبيل قد فقد مذكره فلا حاجة الى اعتياد

ثانيا (قوله وجازا نفرادهما اشترا كهما بين جميع الكواكب لعدم الالتباس والاشتباه فى عدم اختصاصهما بهما اذمن المعلوم ان الجلة ليست مخصوصة بهما (قوله والهمزة لانكاره بعد ما تقرر ذلك) أى لانكار الخلود بعد ما تقرر ان لاخلود لاحد ممن قبلك فليس لاحد بعدك أيضا خلود (قوله وهو برهان على ما أنكروه) هكذا وقع بصيغة الجمع فى بعض النسخ وليس له وجه ظاهر والوجه صيغة المفرد كما وقع فى بعض النسخ (قوله تقرير الماسبق) وهو عدم الخلود (قوله وحيلولة الصلة بينه و بين الخبر) أى كررضميرهم لان الصلة التى هى بذكر الرحمن فصلت بين المبتدأ والخبر والمراد بكونه صلة كونه صلة الكافرين أى تعلقه (قوله جعل ماطبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه) أى جعل العجل الذى جبل عليه الشخص بمنزلة شئ طبع ذلك الشخص وخلق منه ولذلك قيل انه من القلب لان الظاهر ان يقال خلق العجل من الانسان لان الانسان الموصوف والذات والعجل الصفة والعرض

(قوله وفى لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غيره رحمته الخ) فكان فيه تلقين للجواب بان الكالئ هو رحمته لكنهم لما كانوا معرضين

بما العدم اللبس) أى جاز جعل الجلة حالا منهما فقط دون غيرهما مع

(وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر) بيان لبعض تلك الآيات (كل فى فلك) أى كل واحد منهما والتنوين بدل من المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة (يسبحون) يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجلة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة فعلهم (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون) نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفى معناه قوله

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما تقرر ذلك (كل نفس ذائقة الموت) ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما أنكروه (ونبلوكم) ونعاملكم معاملة المختبر (بالشر والخير) بالبلايا والنعم (فتنة) ابتلاء مصدر من غير لفظه (والينا ترجعون) فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقرير الماسبق (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك) ما يتخذونك (الا هزوا) الامهزوا به ويقولون (أهذا الذى يذكر آلهتكم) أى يسوء وانما أطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء (وهم بذكر الرحمن) بالتوحيد أو بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم أو بالقرآن (هم كافرون) منكرون فهم أحق أن يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه و بين الخبر (خلق الانسان من عجل) كأنه خلق منه لفرط استعجاله وقلة تأنه كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة فى لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روى أنها نزلت فى النضر بن الحرث حين استعجل العذاب (سأريكم آياتى) نقماتى فى الدنيا كوقعة بدر وفى الاخرة عذاب النار (فلا تستعجلون) بالاتيان بها والنهى مما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها (ويقولون متى هذا الوعد) وقت وعد العذاب أو القيامة (ان كنتم صادقين) يعنون النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضى الله عنهم (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) محذوف الجواب وحين مفعول يعلم أى لو يعلمون الوقت الذى يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز أن يترك مفعول يعلم ويضمر حين فعلى هذا لو كان لهم علم لما استعجلوا يعلمون بطلان ما هم عليه حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما أوجب لهم ذلك (بل تأتيهم) العدة أو النار أو الساعة (بغتة) فجأة مصدر أو حال وقرئ بفتح الغين (فتبهتهم) فتغلبهم أو تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد أو الحين وكذا فى قوله (فلا يستطيعون ردها) لان الوعد بمعنى النار أو العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز أن يكون للنار أو للبغتة (ولا هم ينظرون) يمهلون وفيه تذكير بما مهلهم فى الدنيا (ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) وعدله بأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعنى جزاءه (قل) يا محمد للمستهزئين (من يكلؤكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) من بأسه ان أراد بكم وفى لفظ الرحمن تنبيه

على أن لا كالئ غير رحمته العامة وأن اندفاعه بمهلته (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) لايخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى اذا كلؤا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) بل أهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا أومن عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشئ بعيدوعن المعتقد لنقيضه أبعد (لايستطيعون نصر أنفسهم ولاهم منا يصحبون) استئناف بابطال ما اعتقدوه فان من لايقدر على نصر نفسه ولايصحبه نصر من الله فكيف ينصر غيره (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) اضراب عما توهموا ببيان ماهو الداعى الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدرلهم من الاعمار وعن الدلالة على بطلانه ببيان ماأوهمهم ذلك وهو أنه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وأمهلهم حتى طالت أعمارهم فحسبوا أن لايزالوا كذلك وأنه بسبب ماهم عليه ولذلك عقبه بمايدل على أنه أمل كاذب فقال (أفلا يرون أنا نأتى الارض) أرض الكفرة (ننقصها من أطرافها) بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على أيدى المسلمين (أفهم الغالبون) رسول الله والمؤمنين (قل انما أنذركم بالوحى) بما أوحى الىّ (ولايسمع الصم الدعاء) وقرأ ابن عامر ولاتسمع الصم على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على أن فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون (اذا ماينذرون) منصوب بيسمع أو بالدعاء والتقييد به لان الكلام فى الانذار أو للمبالغة فى تصامهم وتجاسرهم (ولئن مستهم نفحة) أدنى شئ وفيه مبالغات ذكر المس ومافى النفحة من معنى القلة فان أصل النفح هبوب رائحة الشئ والبناء الدال على المرة (من عذاب ربك) من الذى ينذرون به (ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين) لدعواعلى أنفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم (ونضع الموازين القسط) العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة (ليوم القيامة) لجزاء يوم القيامة أو لاهله أوفيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر (فلا تظلم نفس شيأ) من حقها أومن الظلم (وان كان مثقال حبة من خردل) أى وان كان العمل أو الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة (أتينا بها) أحضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا من الايتاء فانه قريب من أعطينا أومن المؤاتاة فانهم أتوه بالاعمال وأتاهم بالجزاء وأثبتنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة (وكفى بنا حاسبين) اذلا من يد على علمنا وعدلنا (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين) أى الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به فى ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون أوذكرا يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على أنه حال من الفرقان (الذين يخشون ربهم) صفة للمتقين أومدح لهم منصوب أومرفوع (بالغيب) حال من الفاعل أوالمفعول (وهم من الساعة مشفقون) خائفون وفى تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض (وهذا ذكر) يعنى القرآن (مبارك) كثير خيره (أنزلناه) على محمد عليه الصلاة والسلام (أفأنتم له منكرون) استفهام توبيخ (ولقد آتينا ابراهيم رشده) الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على أنه رشد مثله وان له شأنا وقرئ رشده وهو لغة (من قبل) من قبل موسى وهرون أو محمد عليه الصلاة والسلام وقيل من قبل استنبائه أو بلوغه حيث قال انى وجهت (وكنا به عالمين) علمنا أنه أهل لما آتيناه أو جامع

عن ذكر ماعرفوا ان الكالئ رحمته ولم يصلحوا للسؤال عما هو الكالئ (قوله بل أهم آلهة) الاولى أن يقال ان أم ههنا لمجرد الاضراب من غير استفهام كما قال صاحب المغنى ان أم فى قوله تعالى أم جعلوا لله شركاء لمجرد الاضراب لايتضمن الاستفهام فكان معنى الكلام حينئذ عن ذكر ربهم معرضون بل لهم آلهة تمنعهم من دوننا فلا تسأل عنهم فكان هذا الكلام وهو قوله أم لهم آلهة واقعا على التهكم (قوله أو للمبالغة) لان السماع وقت الانذار مما يجب أن يبالغ فيه لانه منجى الشخص عن العذاب فمن لم يسمع وقت الانذار فهو فى غاية الغفلة

(قوله وفيه اشارة الى أن علمه تعالى باختيار وحكمة) اذ المعنى على ما فسره علمنا انه أهل لما آتيناه وفيه اشارة الى أن ايتاءه رشده لاهليته عليه الصلاة والسلام ومفهومه انه لولم يكن أهلا لما آتيناه وهذا يدل على الاختيار اذ لولم يكن مختارا بل بالذات لزم الايتاء سواء كان أهلا أو لا فتأمل (قوله وهو جواب عما لزم الاستفهام الخ) أى هذا الجواب لا يكون جوابا فى الظاهر عن السؤال اذ السؤال عن التماثيل أنفسها لا عن علة عبادتها لكن لما كان الاستفهام المذكور للتحقير كان متضمنا للسؤال عن علة عبادتها فهذا الجواب جواب عنه (قوله لعدم استناد الفريقين الى دليل) المراد من الفريقين الآباء والابناء المقلدون لهم (قوله والتقليد ان جاز انما يجوز لمن علم انه فى الجملة على حق) يفهم منه انه لا يجوز التقليد أصلا وان علم المقلد ان مقلده على حق لكن فيه نظر لان من قلد امامه فى فروع الفقه علم فى الجملة انه وامامه على الحق وان لم يعرف التفصيل وههنا نظر آخر وهو ان كان المراد من العلم اليقين فالمقلد لا يلزم أن يحصل له اليقين لان من قلد امامه قد يكون امامه على الخطأ فكيف يكون تقليده يقينا وان كان المراد الجزم المطابق فالكافرون حصل لهم الجزم بان الاصنام آلهتهم ومعبودهم (قوله أولا نهم يرجعون الى الكبير الخ) هذا ضعيف لانهم يعلمون الاستهزاء بأن الاصنام لا تصلح للسؤل ولا للجواب (قوله وهو أبلغ فى نسبة الذكر اليه) أى لنسبة الذكر اليه طريقان أحدهما ما ذكروا والثانى أن يقال سمعنا بذكرهم فقط وانما كان أبلغ لان سمعنا مما تعلق بفتى أفاد انه سمع ذكر فتى لان سمع الفتى نفسه لا وجه لعدم اذ اذكر يذكرهم علم مرة أخرى ذكر الفتى (قوله ويجوز أن يرفع بالفعل الخ) هذا هو الظاهر فينبغى أن يجعل هو الاصل على عكس ما ذكر الا

(٤٢)

لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى أن فعله سبحانه وتعالى باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات (اذ قال لابيه وقومه) متعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف أى اذكر من أوقات رشده وقت قوله (ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون) تحقيرا لشأنها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لا روح فيها لا يضر ولا ينفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى أنتم فاعلون العكوف لها ولا يجوز أن يؤول بعلى أو يضمن العكوف معنى العبادة (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها (قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين) منخرطين فى سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد ان جاز فانما يجوز لمن علم فى الجملة أنه على حق (قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) كأنهم لاستبعادهم تضليله اياهم ظنوا أن ما قاله انما قاله على وجه الملاعبة فقالوا أجئتنا بقوله أم تلعب به (قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) اضراب عن كونه لاعبا بإقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض أو للتماثيل وهو أدخل فى تضليلهم ولزام الحجة عليهم (وأنا على ذلكم) أى المذكور من التوحيد (من الشاهدين) من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشئ وحققه (وتالله) وقرئ بالباء وهى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب (لأكيدن أصنامكم) لأجتهدن فى كسرها ولفظ الكيد وما فى التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل (بعد أن تولوا) عنها (مدبرين) الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا (فجعلهم جذاذا) قطاعا فعلا بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائى بالكسر وهو لغة أو جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة (الا كبيرا لهم) للاصنام كسر غيره واستبقاؤه وجعل الفأس على عنقه (لعلهم اليه يرجعون) لانه غالب على ظنهم أنهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم أو انهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شان المعبود أن يرجع اليه فى حل العقد فيبكتهم بذلك أو الى الله أى يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم (قالوا) حين رجعوا (من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام أو بافراطه فى حطمها أو بتوريط نفسه للهلاك (قالوا سمعنا فتى يذكرهم) يعيبهم فاعله فعله ويذكرانى مفعولى سمع أو صفة لفتى مصححة لان يتعانى به السمع وهو أبلغ فى نسبة الذكر اليه (يقال له ابراهيم) خبر محذوف أى هو ابراهيم ويجوز أن يرفع بالفعل لان المراد به الاسم (قالوا فأتوا به على أعين الناس) بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته فى أعينهم تمكن الراكب على المركوب (لعلهم يشهدون) بفعله أو قوله أو يحضرون عقوبته (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم) حين أحضروه (قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون) أسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه أو تقريرا لنفسه مع

الاستهزاء والتبكيت على أسلوب تعريضي كما لو قال لك من لايحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق أأنت كتبت هذا فقلت بل كتبته أنت أو حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه في المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض أو الى ضمير فتى أو ابراهيم وقوله كبيرهم هذا ابتداء وخبر ولذلك وقف على فعله وما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لابراهيم ثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لمشابهتها صورتها صورته (فرجعوا الى أنفسهم) وراجعوا عقولهم (فقالوا) فقال بعضهم لبعض (انكم أنتم الظالمون) بهذا السؤال أو بعبادة من لاينطق ولايضر ولاينفع لامن ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين (ثم نكسوا على رؤسهم) انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة أسفل الشئ مستعليا على أعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا أي نكسوا أنفسهم (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول (قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم) انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لاتنفع ولا تضر فانه ينافي الالوهية (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين وأف صوت المتضجر ومعناه قبحا وتنا واللام لبيان المتأفف له (أفلا تعقلون) قبح صنيعكم (قالوا) أخذ في المضارعة لما عجزوا عن المحاجة (حرقوه) فان النار أهول ما يعاقب به (وانصروا آلهتكم) بالانتقام لها (ان كنتم فاعلين) ان كنتم ناصرين لها فانصراموزوا القائل فيهم رجل من أكراد فارس اسمه هيون خسف به الارض وقيل نمرود (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) ذات برد وسلام أي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله أي وسلمنا سلاما عليه روى أنهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال أما اليك فلا فقال فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى بيرة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطاع عليه نمروذ من الصرح فقال اني مقرب الى الهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم عليه السلام وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبا ليس ببدع غير أنه هكذا على خلاف المعتاد فهو آذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه سبحانه وتعالى دفع عنه أذاها كما ترى في السمندل ويشعر به قوله على ابراهيم (وأرادوا به كيدا) مكرا في اضراره (فجعلناهم الاخسرين) أخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم رهانا قاطعا على أنهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجب المزيد درجته واستحقاقهم أشد العذاب (ونجيناه ولوطا الى الارض التي بارك فيها للعالمين) أي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان أكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي أنه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) عطية فهي حال منهما أو وله ولد أو زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا باس به للقرينة (وكلا) يعني الاربعة (جعلنا صالحين) بان وفقناهم للصلاح وجلناهم عليه فصاروا كاملين (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم (يهدون) الناس الى الحق (بامرنا) لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) ليحثوهم عليها فيتم كالهم بانضمام العمل الى العلم وأصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله (واقام الصلوة وايتاء الزكوة) وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل

أن يقال المراد من التقليد في أصول الدين لا الفروع ٧ (قوله على أسلوب تعريضي كما لو قال لك من لايحسن الخط الخ) فان المقصود من قوله بل كتبته اثبات الكتابة لنفسه ونفيه عن الامي واثبات الكتابة في الظاهر للامي للاستهزاء (قوله أو حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه) فان من قال بالهية شئ يلزم عليه أن يجوز عليه مثل ما ذكر (قوله وقيل انه في المعنى يتعلق الخ) أي قوله تعالى فعله كبيرهم يتعلق بقوله ان كانوا ينطقون أي ان كانوا ينطقون فعله كبيرهم بمعنى انهم ان كانوا ذوي نطق يصلحون للفعل المذكور فاسألوهم (قوله للمبالغة أو للتقريع) انما أفاد الاستفهام المبالغة اذ هو مشعر بأنه لاحاجة الى الامر بل هو مستحق الوقوع فيسأل عنه هل وقع أم لا

وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها (وكانوا لنا عابدين) موحدين مخلصين فى العبادة ولذلك قدم الصلة (ولوطا آتيناه حكما) حكمة أو نبوة أو فصلا بين الخصوم (وعلما) بما ينبغى علمه للانبياء (ونجيناه من القرية) قرية سدوم (التى كانت تعمل الخبائث) يعنى اللواطة وصفها بصفة أهلها أو أسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه وبدل عليه (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) فانه كالتعليل له (وأدخلناه فى رحمتنا) فى أهل رحمتنا أو جنتنا (انه من الصالحين) الذين سبقت لهم منا الحسنى (ونوحا اذ نادى) اذ دعا الله سبحانه على قومه بالهلاك (من قبل) من قبل المذكورين (فاستجبنا له) دعاءه (فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) من الطوفان أو أذى قومه والكرب الغم الشديد (ونصرناه) مطاوع انتصر أى جعلناه منتصرا (من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين) لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك فى الشر ولعلهما لم يجتمعا فى قوم الا وأهلكهم الله تعالى (وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث) فى الزرع وقيل فى كرم تدلت عناقيده (اذ نفشت فيه غنم القوم) رعته ليلا (وكنا لحكمهم شاهدين) لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما عالمين (ففهمناها سليمان) الضمير للحكومة أو الفتوى وقرئ ففهمناها روى أن داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بهما فامر بدفع الغنم الى أهل الحرث ينتفعون بالبانها وأولادها وأشعارها والحرث الى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يتراد ان واعلمهما قالا اجتهادا والاول نظير قول أبى حنيفة فى العبد الجانى والثانى مثل قول الشافعى بغرم الحيلولة فى العبد المغصوب اذا أبق وحكمه فى شرعنا عند الشافعى وجوب ضمان المتلف بالليل اذا المعتاد ضبط الدواب ليلا وهكذا قضى النبى صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وأفسدته فقال على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظها بالليل وعند أبى حنيفة لا ضمان الا أن يكون معها حافظ لقوله صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار (وكلا آتينا حكما وعلما) دليل على أن خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل على أن كل مجتهد مصيب وهو مخالف لمفهوم قوله تعالى ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على أن قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه فى صغره (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) يقدسن الله معه اما بلسان الحال أو بصوت يمثل له أو يخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السياحة وهو حال أو استئناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا أو يسبحن (والطير) عطف على الجبال أو مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء أو العطف على الضمير على ضعف (وكنا فاعلين) لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجبا عندكم (وعلمناه صنعة لبوس) عمل الدرع وهو فى الاصل اللباس قال

البس لكل حالة لبوسها * اما نعيمها واما بوسها

قيل كانت صفائح فحلقها وسردها (لكم) متعلق بعلم أو صفة للبوس (ليحصنكم من بأسكم) بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود عليه السلام أو للبوس وفى قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع وفى قراءة أبى بكر درو بس بالنون لله عز وجل (فهل أنتم شاكرون) ذلك أمر أخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع (ولسليمان) وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفى الاول أمر يظهر فى الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه (الريح عاصفة) شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه فى مدة يسيرة كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء فى نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة

(قوله لان الخارق فيه عائد الى سليمان تابع له) الثانى تفسير للاول

أخرى حسب ارادته (نجرى بامره) بمشيئته حال ثانية أو بدل من الاولى أو حال من ضميرها (الى الارض التى باركنا فيها) الى الشام وما حولها بعد ما سارت به منه بكرة (وكنا بكل شئ عالمين) فنجريه على ما تقتضيه الحكمة (ومن الشياطين من يغوصون له) فى البحار ويخرجون نفائسها ومن عطف على الريح أو مبتدأ خبره ما قبله وهى نكرة موصوفة (ويعملون عملا دون ذلك) ويتجاوزون ذلك الى أعمال أخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل (وكنا لهم حافظين) أن يزيغوا عن أمره أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلاتهم (وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر) بانى مسنى الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول أو تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع فى كل ضرر وبالضم خاص بما فى النفس كمرض وهزال (وأنت أرحم الراحمين) وصفر به بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا فى السؤال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله وكثر أهله وماله فابتلاه الله بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات روى أن امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف أو رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أستحيى من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) بالشفاء من مرضه (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) بان ولد له ضعف ما كان أو أحيى ولده وولد له منهم نوافل (رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) رحمة على أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب أو لرحمتنا للعابدين فانا نرحم بالاحسان ولا ننساهم (واسمعيل وادريس وذا الكفل) يعنى الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمى به لانه كان ذا حظ من الله تعالى أو تكفل أمته أو له ضعف عمل أنبياء زمانه ونوابهم والكفل يجىء بمعنى النصيب والكفالة والضعف (كل) كل هؤلاء (من الصابرين) على مشاق التكاليف وشدائد النوب (وأدخلناهم فى رحمتنا) يعنى النبوة أو نعمة الآخرة (انهم من الصالحين) الكاملين فى الصلاح وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد (وذا النون) وصاحب الحوت يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) لقومه لما برم بطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لانه أغضبهم بالمهاجرة خوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا (فظن أن لن نقدر عليه) لن نضيق عليه أو لن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويعضده أنه قرئ مثقلا أو لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن أن لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا أو خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا (فنادى فى الظلمات) فى الظلمة الشديدة المتكاثفة أو ظلمات بطن الحوت والبحر والليل (أن لا اله الا أنت) بانه لا اله الا أنت (سبحانك) من أن يعجزك شئ (انى كنت من الظالمين) لنفسى بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبى عليه الصلاة والسلام ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) بأن قذفه الحوت الى الساحل بعد أربع ساعات كان فى بطنه وقيل ثلاثة أيام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة (وكذلك ننجى المؤمنين) من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفى الامام نجى ولذلك أخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن

(قوله وهى نكرة موصوفة) يحتمل أن تكون موصولة أيضا وقد صرح به بعضهم ولعله نظر الى أن لا حاجة ههنا الى اعتبار التعريف الموصولى

عامر وأبو بكر بتشديد الجيم على أن أصله تنجيي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء الثانية في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها أوقع من حذف حرف المضارعة التي للمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في نتجاني لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول أسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكورا والماضي لا يسكن آخره (وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد وأنت خير الوارثين) فان لم ترزقني من يرثني فلا أبالي به (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) أي أصلحناها للولادة بعد عقرها أو لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة (انهم) يعني المتوالدين أو المذكورين من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (كانوا يسارعون في الخيرات) يبادرون الى أبواب الخير (ويدعوننا رغبا ورهبا) ذوي رغب ورهب أو راغبين في الثواب راجين للاجابة أو في الطاعة وخائفين العقاب أو المعصية (وكانوا لنا خاشعين) مخبتين أو دائبين الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال (والتي أحصنت فرجها) من الحلال والحرام يعني مريم (فنفخنا فيها) أي في عيسى عليه الصلاة والسلام فيها أي أحييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها (من روحنا) من الروح الذي هو بأمرنا وحده أو من جهة روحنا يعني جبريل عليه الصلاة والسلام (وجعلناها وابنها) أي قصتهما أو حالهما ولذلك وحد قوله (آية للعالمين) فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى (ان هذه أمتكم) أي ان ملة التوحيد والاسلام ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها فكونوا عليها (أمة واحدة) غير مختلفة فما بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولمشاركة غيرها في صحة الاتباع وقرئ أمتكم بالنصب على البدل وأمة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على أنهما خبران (وأنا ربكم) لا اله لكم غيري (فاعبدون) لا غير (وتقطعوا أمرهم بينهم) صرفه الى الغيبة التفاتا ليبنى على الدين تفرقوا في الدين وجعلوا أمره قطعا موزعة بقبيح فعلهم الى غيرهم (كل) من الفرق المتحزبة (اليناراجعون) فنجازيهم (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن) بالله ورسله (فلا كفران) فلا تضييع (لسعيه) استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة (وانا له) لسعيه (كاتبون) مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما (وحرام على قرية) وممتنع على أهلها غيره تصوره منهم وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وحرم بكسر الحاء وسكون الراء وقرئ حرم (أهلكناها) حكمنا بهلاكها أو وجدناها هالكة (أنهم لا يرجعون) رجوعهم الى التوبة أو الحياة والصلاة أو عدم رجوعهم الجزاء وهو مبتدأ خبره حرام أو فاعل له سد مسد خبره أو دليل عليه ونقديره توبتهم أو حياتهم أو عدم بعثهم أو لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف أي وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم أنهم لا يرجعون (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) متعلق بحرام أو بمحذوف دل الكلام عليه أو بلا يرجعون أي يستمر الامتناع أو الهلاك أو عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور أمارتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وهي حتى التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد (وهم) يعني يأجوج ومأجوج أو الناس كلهم (من كل حدب) نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر (ينسلون) يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين (واقترب الوعد الحق) وهو القيامة (فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) جواب الشرط واذا المفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تظاهر تاعلى وصل الجزاء بالشرط فيتأكد

(قوله وقيل وفعلنا النفخ) انما قال هكذا لان قوله تعالى فنفخنا معناه الظاهر أحييناها لكن الغرض هنا ليس احياء مريم فاما ان يقدر ما قاله أولا أو يؤول هذا التأويل

(قوله الذي هو يأمرنا وحده) أي من غير واسطة ملك (قوله رجوعهم الى التوبة أو الحياة) المعنى الاول ناظر الى التفسير الاول وهو قوله حكمنا باهلاكها والمعنى الثاني ناظر الى المعنى الثاني وهو قوله أو وجدناها هالكة (قوله أو فاعل له سد مسد خبره) هذا على مذهب الاخفش والكوفيين من ان فاعل الصفة سد مسد خبرها وان لم تكن الصفة بعد حرف النفي أو الاستفهام وأما قوله أو دليل عليه هو معطوف على قوله مبتدأ خبره حرام يعني انا ان يقال انهم لا يرجعون مبتدأ خبره حرام أو فاعل له أو يقال انهم لا يرجعون دليل عليه أي على حرام المذكور وعلى الاول يكون المعنى وحرام عليها توبتهم أو حياتهم أو عدم بعثهم وبكون لا على التقديرين الاولين صلة أي زائدة وعلى الاحتمال الثاني تكون لا غير زائدة وحرام خبر مبتدأ محذوف ويكون انهم

لايرجعون دليل عليه أى حرام على القرية المذكورة ماذكر فى الآية السابقة وهو عدم كفرانسعيه (قوله واقع موقع الحال من الموصول) المراد أن يكون الحال حالا من ضمير الموصول وهو الواو فى كفروا (قوله وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن أو بما يعمه) فيه بحث اذ مقتضى عبارته انه على تقدير أن يكون المراد بما يعبدون ابليس وأعوانه يكون ماموصولا بمن أو بما يعمه لكن ليس كذلك بل يكون ماموصولا بمن البتة ولا محل لكون (٤٧) ماموصولا بما يعمه وحق العبارة أن يقال

يحتمل ان يكون المراد بما تعبدون ابليس وأعوانه وبناسبه الرواية المذكورة أولا وأن يكون عاما لهم ولسائر المعبودين وبناسبه الرواية الثانية وعلى الاول يكون ماموصولا بمن وعلى الثانى يكون ماموصولا بما يعمه وان أريد قوله على هذا ان يكون المراد بما تعبدون مجموع الاوثان وابليس وأعوانه يكون موصولا بما يعمه فقط ويمكن أن يكون المراد بقوله وعلى هذا الخ وعلى أن يكون عزير اوعيسى والملائكة غير معبودين يكون ماموصولا بمن بان ماعبارة عن ابليس وأعوانه وبما يكون مؤولا بما يعمه بان يكون المراد الاوثان وابليس وأعوانه جميعا فتأمل (قوله ويكون قوله ان الذين سبقت الخ متعلقا بالتجوز أو التخصيص) فالاول على تقدير أن يكون ما موصولا بمن والثانى على تقدير عموم ما كما قيل والاولى أن يكون مراده انه ان أريد بما تعبدون الباعث على العبادة يكون تعبدون

والضمير للقصة أو مبهم يفسره الابصار (ياريلنا) مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول (قد كنا فى غفلة من هذا) لم نعلم أنه حق (بل كنا ظالمين) لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر (انكم وما تعبدون من دون الله) يحتمل الاوثان وابليس وأعوانه لانهم بلاعتهم لهم فى حكم عبدتهم لما روى أنه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ماموصولا بمن أو بما يعمه ويدل عليه ماروى أن ابن الزبعرى قال هذا شئ لاخاص ولا كل من عبد من دون الله فقال صلى الله عليه وسلم بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين سبقت الخ بيانا لامتجوزا والتخصيص تأخر عن الخطاب (حصب جهنم) مايرمى به النهار تهييج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر (أنتم لها واردون) استئناف أو بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على أن ورودهم لاجلها (لوكان هؤلاء آلهة ماوردوها) لان المؤاخذ بالعذاب لايكون الها (وكل فيها خالدون) لاخلاص لهم عنها (لهم فيها زفير) أنين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان أريد بما تعبدون الاصنام (وهم فيها لايسمعون) من الهول وشدة العذاب وقيل وهم لايسمعون مايسرهم (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) أى الخصلة الحسنى وهى السعادة أو التوفيق بالطاعة أو البشرى بالجنة (أولئك عنها مبعدون) لانهم يرفعون الى أعلى عليين روى أن عليا كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم أقيمت الصلاة فقام بجر رداءه ويقول (لايسمعون حسيسها) وهو بدل من مبعدون أو حال من ضميره سيق للمبالغة فى ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به (وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) دائمون فى غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به (لايحزنهم الفزع الاكبر) النفخة الاخيرة لقوله تعالى و يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض أو الانصراف الى النار أو حين يطبق على النار أو يذبح الموت (وتتلقاهم الملائكة) تستقبلهم مهنئين لهم (هذا يومكم) يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول (الذى كنتم توعدون) فى الدنيا (يوم نطوى السماء) مقدر باذكر أو ظرف لايحزنهم أو تتلقاهم أو حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطى ضد النشر أو المحو من قولك اطو عنى هذا الحديث وذلك لانها نثرت مظلة لبنى آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول (كطى السجل للكتاب) طيا كطى الطومار لاجل الكتابة أولما يكتب أوكتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص على الجمع أى للمعانى الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوى كتب الاعمال اذا رفعت اليه أوكاتب كان لرسول الله صلى الله عليه

مجازا والقرينة عليه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية اذ يعلم منه انهم غير داخرين تحت ما تعبدون لان لهم حكما آخر ففيه قرينة على ان ليس المراد بما تعبدون المعنى الحقيقى ثم كونه بيانا للتخصيص ظاهر لكن كونه بيانا للتجوز فيه خفاء اذ لم يبين من الآية المذكورة وهى قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أن يكون قوله تعالى ما تعبدون مجازا الا ان يقال المراد انه اذا ثبت ان المراد بما تعبدون الباعث على العبادة كانت هذه الآية زيادة بيان للتجوز المذكور (قوله لان المؤاخذ بالعذاب لايكون الها) فيه انه يلزم ان يكون الاوثان ومعبدة وهذا لايعلم من الآية فالاولى أن يقال ان الورود فى جهنم لايناسب الالوهية وان كان من غير تعذيب (قوله للتغليب) بان يسند فعل البعض

وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه (كما بدأنا أول خلق نعيده) أى نعيد ماخلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه فى كونهما ايجادا عن العدم أوجعا بين الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتى المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة أو مصدرية وأول مفعول لبدأنا أو لفعل يفسره نعيده أوموصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده أى نعيد مثل الذى بدأنا وأول خلق ظرف لبدأنا أوحال من ضمير الموصول المحذوف (وعدا) مقدر بفعله تأكيدا لنعيده أومنتصب به لانه عدة بالاعادة (علينا) أى علينا انجازه (انا كنا فاعلين) ذلك لامحالة (ولقد كتبنا فى الزبور) فى كتاب داود عليه السلام (من بعد الذكر) أى التوراة وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ (أن الارض) أى أرض الجنة أوالارض المقدسة (يرثها عبادى الصالحون) يعنى عامة المؤمنين أوالذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها أوأمة محمد صلى الله عليه وسلم (ان فى هذا) أى فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد (لبلاغا) لكفاية أوأسباب بلوغ الى البغية (لقوم عابدين) همهم العبادة دون العادة (وماأرسلناك الا رحمة للعالمين) لان مابعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال (قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد) أى مايوحى الى الا أنه لا الاله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلى من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشئ والثانية على العكس (فهل أنتم مسلمون) مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحى المصدق بالحجة وقد عرفت أن التوحيد مما يصح اثباته بالسمع (فان تولوا) عن التوحيد (فقل آذنتكم) أى أعلمتكم ماأمرت به أوحربى لكم (على سواء) مستوين فى الاعلام به أومستوين أنا وأنتم فى العلم بما أعلمتكم به أوفى المعاداة أوايذانا على سواء وقيل أعلمتكم أنى على سواء أى عدل واستقامة مرأى بالبرهان النير (وان أدرى) وما أدرى (أقريب أم بعيد ما توعدون) من غلبة المسلمين أوالحشر لكنه كائن لامحالة (انه يعلم الجهر من القول) ماتجاهرون به من الطعن فى الاسلام (ويعلم ماتكتمون) من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه (وان أدرى لعله فتنة لكم) وما أدرى لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم أوامتحان لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) وتمتيع الى أجل مقدر تقتضيه مشيئته (قل رب احكم بالحق) اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضى لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم ورب أى أحكم على بناء التفضيل وأحكم من الاحكام (وربنا الرحمن) كثير الرحمة على خلقه (المستعان) المطلوب منه المعونة (على ماتصفون) من الحال بأن الشوكة تكون لهم وأن راية الاسلام تخفق أياما تم تسكن وأن الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فأجاب الله تعالى دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم لخيبة أمانيهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم وقرئ بالياء وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن والله تعالى أعلم

﴿سورة الحج مكية الا ست آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد وآيها ثمان وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة) تحريكها للاشياء على الاسناد المجازى أوتحريك الاشياء

وهم العابدون الى الكل وهم العابدون والاصنام (قوله وما كافة أو مصدرية) وعلى كل حال يكون الفعل بمعنى المصدر (قوله فالاولى) أى انما الاولى لقصر الحكم أى المسند وهو الوحى على كون الاله واحدا وانما الثانية لقصر الشئ أى المسند اليه وهو الاله على الحكم وهو الوحدة أى الاله مقصور على الوحدة لا يتجاوزها الى الكثرة

﴿سورة الحج﴾

فيها فأضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير فى أو اضافة الصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هى زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من أشراطها (شئ عظيم) هائل عال أمرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبيقوا على أنفسهم ويتقوها بملازمة التقوى (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منصوب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعروفا أى تذهلها الزلزلة ولذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على أن هولها بحيث اذا دهشت التى ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه وذهلت عنه وماء وصولة أو مصدرية (نزتضع كل ذات حمل حملها) جنينها (وترى الناس سكارى) كأنهم سكارى (وماهم بسكارى) على الحقيقة (ولكن عذاب الله شديد) فارفقهم هوله بحيث طير عقولهم وأذهب تمييزهم وقرئ ترى من ارتيت أو رؤيت قائما بنصب الناس ورفعه على أنه نائب مناب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة براها الجميع وأثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرأ حمزة والكسائى سكرى كمطشى اجراء للسكر مجرى العلل (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فى النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين ولابعث بعد الموت وهى تعمه وأضرابه (ويتبع) فى المجادلة أو فى عامة أحواله (كل شيطان مريد) متجرد للفساد وأصله العرى (كتب عليه) على الشيطان (أنه من تولاه) تبعه والضمير للشان (فانه يضله) خبر لمن أو جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من يتولاه لانه جعل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشأنه أنه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر فى الموضعين على حكاية المكتوب أو اضمار القول أو تضمين الكتب معناه (ويهديه الى عذاب السعير) بالحمل على مايؤدى اليه (يأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث) من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب (فانا خلقناكم) أى فانظروا فى بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم (من تراب) بخلق آدم منه أو الاغذية التى يتكون منها المنى (ثم من نطفة) منى من النطف وهو الصب (ثم من علقة) قطعة من الدم جامدة (ثم من مضغة) قطعة من اللحم وهى فى الاصل قدر مايمضغ (مخلقة وغير مخلقة) مسواة لانقص فيها ولا عيب وغير مسواة أو تامة وساقطة أو مصورة وغير مصورة (لنبين لكم) بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن ماقبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها أخرى وان من قدر على تغييره وتصويره أولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى أن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته مالا يحيط به الذكر (ونقر فى الارحام مانشاء) أن نقره (الى أجل مسمى) هو وقت الوضع أو دناه بعد ستة أشهر وأقصاه أربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله (ثم نخرجكم طفلا) عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقرير هم فى الارحام حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا احد التكليف وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال أجريت على تأويل كل واحد أو الدلالة على الجنس أو لانه فى الاصل مصدر (ثم لتبلغوا أشدكم) كالكم فى القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كاسمها شدة فى الامور (ومنكم من يتوفى) عند بلوغ الاشد أو قبله وقرئ يتوفى أى يتوفاه الله تعالى (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم (لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) ليعود كهيئته الاولى فى أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ماعلمه ويتكرر ماعرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث بما يعترى الانسان فى اسنه من الامور

(قوله تعالى وان الساعة آتية الخ) ههنا اشكال وهو ان ذكر ذلك فى قوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق اشارة الى ماذكر من خلق الانسان فيدل النظم على أن خلق الانسان فى أطوار مختلفة بسبب ان الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور لان قوله تعالى وان الساعة معطوف على ماسبق ولا يظهر لهذا الكلام معنى والجواب أن يقال والله أعلم ان ذلك اشارة الى احياء الارض بعد موتها وانشاء الانسان دليل على ان الساعة آتية الآية لان ماذكر من أطوار خلق الانسان واحياء

الارض قرائن قيام الساعة و بعث الاموات ولذا ذكر فى القرآن فى بعض المواضع ذكر النشور بعد ذكر احياء الارض فقال تعالى فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور واعلم ان ماذكر فى هذا الموضع وان كان اقناعات لكن يكتفى بها لتحقق صدق القائل بالبعث واحياء الموتى فتكون هذه القرائن لازالة الوهم واطمئنان النفوس وأما قوله فان التغير من مقدمات الانصرام ففيه خفاء مع انه لايخفى ان الجنة والدار الآخرة يقع فيها التغيرات مع عدم انصرامها (قوله بأن الله هو الحق) لم يتعرض لابراز ضمير الفصل المفيد للحصر فالاولى أن يقال انه دليل على ان الله تعالى فاعل للامور المذكورة لاغيره لأنه المتحقق بالذات المحقق للغير فان قيل الحق هو الموجود فى نفسه واما أن يكون محققا للغير فلا يعلم من كونه تعالى حقا قلنا الحصر الوجود دون

المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره (وترى الارض هامدة) ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (ورت) وانتفخت وقرئ ءورت بأت أى ارتفعت (وأنبتت من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى فى كتابه لظهورها وكونها مشاهدة (ذلك) اشارة الى ماذكر من خلق الانسان فى أطوار مختلفة ونحو يله على أحوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره (بان الله هو الحق) أى بسبب أنه الثابت فى نفسه الذى به تتحقق الاشياء (وأنه يحيى الموتى) وانه يقدر على احيائها والالما احيا الارض الميتة (وأنه على كل شئ قدير) لان قدرته لذاته الذى نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها (وأن الساعة آتية لاريب فيها) فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه (وأن الله يبعث من فى القبور) بمقتضى وعده الذى لايقبل الخلف (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) تكرير للتأكيد ولما نبه به من الدلالة بقوله (ولاهدى ولا كتاب منير) على أنه لاسند له من استدلال أووحى أوالاول فى المقلدين وهذا فى المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطرى ليصح عطف الهدى والكتاب عليه (ثانى عطفه) متكبرا وثنى العطف كناية عن التكبر كلى الجيد أومعرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين أى مانع تعطفه (ليضل عن سبيل الله) علة للجدال وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وروبس بفتح الياء على أن اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وأنه من حيث مؤداه كالغرض له (له فى الدنيا خزى) وهو ما أصابه يوم بدر (ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق) المحرق وهو النار (ذلك بما قدمت يداك) على الالتفات أوارادة القول أى يقال له يوم القيامة ذلك الخزى والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى (وأن الله ليس بظلام للعبيد) وانما هو مجازلهم على أعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لاثبات له فيه كالذى يكون على طرف الجيش فان أحس بظفر قر والافر (فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه) روى أنها نزلت فى أعراب قدموا المدينة فكان أحدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا ولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا الخير واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما أصبت الا شرا وانقلب وعن أبى سعيد أن يهوديا أسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أقلنى فقال ان الاسلام لايقال فنزلت (خسر الدنيا والآخرة) بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسرا بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه أوعلى أنه خبر محذوف (ذلك هو الخسران المبين) اذلاخسران مثله (يدعو من

فى نفسه فيه تعالى علم أن غيره لايتحقق به لان مالاتحقق له فى نفسه أى بمقتضى ذاته لايصلح أن يتحقق به غيره (قوله فالاولى لقصر الحكم) أى المستند وهو الوحى على كون الاله واحدا وانما الثانية لقصر الشئ أى المسند اليه وهو الاله على الحكم وهو الوحدة أى الاله مقصور على الوحدة أى لايتجاوزها الى الكثرة (قوله بمقتضى وعده الذى لايقبل الخلف) أى تحو يلنا الانسان على أحوال متضادة فى حال الحياة ثم موته بسبب ان الله يبعث من القبور فان البعث لابد له من الموت السابق (قوله أوالاول فى المقلدين الخ) لانه

ذكر في الاول قوله تعالى و يتبع كل شيطان مريد (قوله واللام معلقة ليدعو الخ) حاصل كلامه في هذا المقام ان يدعو بمعنى يعتقد واللام معلقة له عن العمل كما تعلق سائر أفعال القلوب وامابمعنى القول فتكون الجملة المذكورة بعده مقولا للقول واما أن يكون يدعو تأكيدا ليدعو الاول فيتم الكلام عنده ويكون لمن ضره أقرب من نفعه كلاما مستأنفا كان سائلا يقول ما حال المدعو الذي لا ينفع ولا يضر فاجيب بذلك (قوله والمراد بالنصر الرزق والضمير لمن) هذا التفسير في غاية البعد اما أولا فلانه لو فسر النصر بالرزق لا حاجة الى عود الضمير الى من بل يمكن أن يجعل للرسول كما جعل اذا كان النصر بمعناه الحقيقي واما ثانيا فلان ظن الشخص أن لا يرزق أصلا ليس له باعث فلا يصدر عن ذي رأى بل من له أدنى عقل فالوجه ان يقال معناه أن لن يرزقه الله بل يرزقه غيره حتى يكون رازقه غيره (قوله سماء على الاول كيدا) لان الكيد الاحتيال لايصال الضرر الى الغير لكن المعنى الاول يوصل الضرر الى نفس المحتال لا الى غيره فسمي الفعل المذكور كيدا لانه غاية ما يقدر عليه كما ان الكيد كذلك وانما قال على الاول اذ على الثاني وهو قوله وقيل فليمدد حبلا الى سماء الدنيا يكون الكيد على الحقيقة قال العلامة الطيبي الكلام على الاول كناية عن شدة الغيظ والامر للاهانة وعلى الثاني استعارة تمثيلية والامر بتعجيزه أقول انما كان كناية على الاول لانه يمكن أن يقصد معناه الحقيقي والمعنى الغير الحقيقي الذي هو شدة الغيظ وانما كان استعارة تمثيلية على الثاني لان المراد ليفعل كل ما يتصور ان يفعل فيكون الامر للتعجيز لان ماذكر غير ممكن للانسان وعلى الاول للاهانة وهو ظاهر (قوله فان تخصيص الكثير) أي تخصيص الكثير بالذكر يدل على ان المراد بسجودهم غير المعنى الذي ذكر أولا وهو التسخير لقدرته اذ لو كان كذلك لم يكن للتخصيص بالكثير وجه لان الكل كذلك

---

(٥١)

دون الله مالا يضره ومالا ينفعه) بعبد جماد الا يضر بنفسه ولا ينفع (ذلك هو الضلال البعيد) عن المقصد مستعار من ضلال من أبعد في التيه ضالا (يدعو الله من ضره) بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة (أقرب من نفعه) الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى واللام معلقة ليدعو من حيث أنه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد أو ظن خال على الجملة الواقعة مقولا اجراءه مجرى يقول أي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به أو مستأنفة منكر عليهم أن يدعوا من لا يرزق ولا يضر (ومن مبتدأ خبره (لبئس المولى) الناصر (ولبئس العشير) الصاحب (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك الطالح لا دافع له ولا مانع (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك و يتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن (فليمدد بسبب مجاز به وقيل فليمدد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاز به وقيل فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره أو تحصيل رزقه وقرأ ورش وأبو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام (فلينظر) فليتصور في نفسه (هل يذهبن كيده) فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه (ما يغيظ) غيظه أو الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطؤا نصر الله لاستحجالهم وشدة غيظهم على المشركين (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (أنزلناه) أنزلنا القرآن كله (آيات بينات) واضحات (وأن الله يهدي) ولان الله يهدي به أو يثبت على الهدى (من يريد) هدايته أو اثباته أنزله كذلك مبينا (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم على المبطل أو الجزاء فيجازي كلا ما يليق به و يدخله المحل المعد له وانما ادخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التأكيد (ان الله على كل شيء شهيد) عالم به مراقب لاحواله (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض) يتسخر لقدرته ولا يتأنى عن تدبيره أو يدل بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز أن يعم أولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله (والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف أو الجمع بين الساكنين (وكثير من الناس) عطف عليها بان جوزا عمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار أحدهما الى أمر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب أو فاعل فعل مضمر أي و يسجده كثير من الناس سجود طاعة (وكثير حق عليه العذاب) بكفره

وابائه عن الطاعة ويجوز أن يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة فى تكثير المحقوقين بالعذاب وأن يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله (ومن يهن الله) بالشقاوة (فماله من مكرم) يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام (ان الله يفعل مايشاء) من الاكرام والاهانة (هذان خصمان) أى فريقان مختصمان ولذلك قال (اختصموا) جملا على المعنى ولو عكس لجاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون (فى ربهم) فى دينه أوفى ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود نحن أحق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت (فالذين كفروا) فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم) قدرت لهم على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف (ثياب من نار) تعرف بحيط بهم احاطة الثياب (يصب من فوق رؤسهم الحميم) حال من الضمير فى لهم أوخبر ثان والحميم الماء الحار (يصهر به مافى بطونهم والجلود) أى يؤثر من فرط حرارته فى باطنهم تأثيره فى ظاهرهم فتذاب به أحشاؤهم كما تذاب بجلودهم والجملة حال من الحميم أومن ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير (ولهم مقامع من حديد) سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها مايقمع به أى يكف بعنف (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) من النار (من غم) من عمومها بدل من الهاء باعادة الجار (أعيدوا فيها) أى خرجوا أعيدوا والا عادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى أعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها (وذوقوا) أى وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) أى النار البالغة فى الاحراق (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) غير الاسلوب فيه وأسند الادخال الى الله تعالى وأكده بان اجادا لحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم (يحلون فيها) من حليت المرأة اذا ألبستها الحلى وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد (من أساور) صفة مفعول محذوف وأساور جمع اسورة وهى جمع سوار (من ذهب) بيان له (واؤلؤ) عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا أن يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها أواضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وترك أبو بكر والسوسى عن أبى عمر والهمزة الاولى وقرئ أولؤا بقلب الثانية واوا ولؤلؤا بقلبها واوا بين ثم قلب الثانية ياء وليليا بقلبهما ياءين ولؤلا كأدل (ولباسهم فيها حرير) غير أسلوب الكلام فيه للدلالة على أن الحرير تأبيهم المعتادة أوللمحافظة على هيئة الفواصل (وهدوا الى الطيب من القول) وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده أوكلمة التوحيد (وهدوا الى صراط الحميد) المحمود نفسه أوعاقبته وهو الجنة أوالحق أوالمستحق لذاته الحمد وهو الله سبحانه وتعالى وصراطه الاسلام (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد به استمرار الصد منهم كقولهم فلان يعطى ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضى وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل عليه آخر الآية أى معذبون (والمسجد الحرام) عطف على اسم الله وأوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله (الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) أى المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم وشراء عمر رضى الله عنه دارا لسجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء والاخلال من المستكن فيه ونصبه حفص على أنه المفعول أوالحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف

(قوله وكثيرا تكريرا للاول) فيكون حق عليه العذاب خبر كثير الاول أى وكثير من الناس حق عليه العذاب (قوله ولو عكس جاز) أى لو قيل هؤلاء الخصوم اختصما بالجمع أولا والتثنية ثانيا جاز أيضا (قوله أومن ضميرهم) أى الضمير فى قوله تعالى لهم غير الاسلوب لان الموافق للاسلوب السابق وهو قوله تعالى والذين كفروا قطعت لهم الخ أن يقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات أدخلوا فى الجنة لكنه غير الى ماذكر (قوله غير أسلوب الكلام الخ) أى الظاهر الموافق لما تقدم أن يقال ويلبسون حريرا لكنه غير الى ماذكر لمحافظة هيئة الفواصل اذلو قيل يلبسون حريرا لكان فى آخر هذه الفاصلة الالف فى الكتابة وفى الوقف بخلاف الفواصل الباقية (قوله والاخلال من المستكن فيه) أى ان لم نجعل المذكورة مفعولا ثانيا لجعلنا بل جعل للناس مفعولا ثانيا تقديره جعلناه كائنا للناس كان الجملة المذكورة حالا من الضمير المستكن

بالجر على أنه بدل من الناس (ومن يردفيه) مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود (بالحاد) عدول عن القصد (بظلم) بغير حق وهما حالان مترادفان أو الثانى بدل من الاول باعادة الجار أو صلة له أى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام (نذقه من عذاب أليم) جواب لمن (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) أى واذكر اذ عينا وجعلنا له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف أى واذ أنزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء وانطمس أيام الطوفان فأعلمه الله مكانه برمح أرسلها فكنست ماحوله فبناه على اسه القديم (أن لا تشرك بى شيأ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) أن مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى نعينا لان التبوئة من أجل العبادة أو مصدرية موصولة بالنهى أى فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتى وطهر بيتى من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعله عبر عن الصلاة باركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء وقرأ نافع وحفص وهشام بيتى بفتح الياء (وأذن فى الناس) نادفيهم وقرئ وآذن (بالحج) بدعوة الحج والامر به روى أنه عليه السلام صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه الله من أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق فى علمه أن يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بذلك فى حجة الوداع (يأتوك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كسجالى (وعلى كل ضامر) أى وركبانا على كل بعير مهزول أتعبه بعد السفر فهزله (يأتين) صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان أو استئناف فيكون الضمير للناس (من كل فج) طريق (عميق) بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى (ليشهدوا) ليحضروا (منافع لهم) دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة (ويذكروا اسم الله) عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على أن المقصود مما يتقرب به الى الله تعالى (فى أيام معلومات) هى عشر ذى الحجة وقيل أيام النحر (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) على الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر (فكلوا منها) من لحومها أمر بذلك اباحة وازاحة لما عليه أهل الجاهلية من التحرج فيه أو ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا فى المتطوع به دون الواجب (وأطعموا البائس) الذى أصابه بؤس أى شدة (الفقير) المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به فى الاول (ثم ليقضوا تفثهم) ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال (وليوفوا نذورهم) ما يندرون من البر فى حجهم وقيل مواجب الحج وقرأ أبو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء (وليطوفوا) طواف الركن الذى به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع وقرأ ابن عامر وحده بكسر اللام فيهما (بالبيت العتيق) القديم لانه أول بيت وضع للناس أو المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى وأما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه (ذلك) خبر محذوف أى الامر ذلك وهو وأمثاله تطلق للفصل بين كلامين (ومن يعظم حرمات الله) أحكامه وسائر ما يحل هتكه أو الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم (فهو خير له) فالتعظيم خيره (عند ربه) ثوابا (وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم) الا الملتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله فلا تحرم وما منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية

(قوله تعالى ومن يردفيه بالحاد بظلم) * فائدة قوله بظلم بعد ذكر الالحاد انه قد يكون الالحاد أى العدول عن القصد قد يكون بحق لكونه فى مقابلة الظلم كما قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (قوله وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم) فيكون معطوفا على مقدر مثل اقتد بابراهيم وأن كانتا (قوله وأوندبا الى مواساة الفقراء أو مساواتهم) الاحتمال الاول أن يكون الامر للاباحة لا للندب وهذا أن يكون للندب وترتب الثواب لما فيه من مواساة الفقراء أى التواضع معهم بجعل أنفسهم كالفقراء فى الاكل منه وانما قال صاحب الكشاف ويجوز أن يكون ندبا لما فيه من مواساة الفقراء ومساواتهم ولا يخفى ان عبارة الكشاف أحسن

(قوله ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة الخ) فى كلامه إبهام وتوضيحه ما فى الكشاف وهو انه يجوز فى هذا التشبيه أن يكون من المركب وان يكون من المفرد فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفه الطير فتفرق مزعا فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى تهوت فى بعض المواضع البعيدة وان كان مفردا فقد شبه الايمان فى علوه بالسماء والذى ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التى توزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذى يطرح به فى وادى الضلالة بالريح (٥٤) التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة هذه عبارة الكشاف

فطبق به ماذكره المصنف (قوله فحذفت هذه المضافات) لاحاجة الى تقدير بعضها وهو أفعال ذوى بل يكفى أن يقال وتعظيمها منه من تقوى القلوب أى مابين ههنا والجواب عنه انه لايناسب ذكر القلوب على هذا التقدير بل المناسب حذفه (قوله وهو على الاولين الخ) هو ماذكر فى تفسير شعائر الله فهو دين الله أو فرائض الحج وتوضيحه ان قوله تعالى لكم فيها منافع الى أجل مسمى الآية على الاولين امامتصل بما تقدم من ذكر الانعام ويذكروا الله على مارزقهم من بهيمة الانعام لانه اذا كان المراد من الشعائر الدين أو فرائض الحج لايظهر ارتباط هذه الآية وهو قوله تعالى لكم فيها منافع الآية بما سبق زيادة ظهور فيقال انه مرتبط بما تقدم من قصة الانعام وعلى هذا يكون الضمير فى فيها راجعا الى الانعام واما أن يكون المراد من هذه الآية على التفسير الاول وهو تفسير الشعائر بالدين ماذكر وهو ان المعنى لكم بالاشراك فيها منافع دينية الخ وعلى هذا يكون ضمير فيها راجعا الى الشعائر بمعنى شرائع الله ودينه ويكون المراد منها أى من هذه الآية على التفسير الثانى وهو تفسيرا شعائر بفرائض الحج ومواضع نسكه ماذكر بقوله لكم فيها منافع التجارات وعلى هذا يكون الضمير فى فيها راجعا الى فرائض الحج ومواضع نسكه (قوله متعبدا الخ) يعنى اذا قرئ بفتح السين يحتمل أن يكون اسم مكان وهو المتعبد وأن يكون مصدرا ميميا وهو القربان وأما اذا قرئ بكسر السين فهو اسم مكان

المبالغة فى أنهى عن تعظيمها والتنفير من عبادتها (واجتنبوا قول الزور) تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور كله لما حث على تعظيم الحرمات أتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلاثا ولاهذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كأن الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع (حنفاء لله) مخلصين له (غير مشركين به) وهما حالان من الواو (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء) لانه ساقط من أوج الايمان الى حضيض الكفر (فتخطفه الطير) فان الاهواء الرديئة توزع أفكاره وقرأ نافع وحده فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء (أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) بعيد فان الشيطان قد طوح به فى الضلالة وأو للتخيير كما فى قوله أو كصيب من السماء أو للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له أصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه أحد الهلاكين (ذلك ومن يعظم شعائر الله) دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه أو الهدايا لانها من معالم الحج وهو أوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها أن تختارها احساسا سمانا غالية الاثمان روى أنه صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى أنفه برة من ذهب وان عمر رضى الله تعالى عنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار (فانها من تقوى القلوب) فان تعظيمها منه من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور أو الآمرة بهما (لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق) أى لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى أن تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت أى مايليه من الحرم وثم تحتمل التراخى فى الوقت والتراخى فى الرتبة أى لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية أعظم منها وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها أو المراد على الاول لكم فيها منافع دينية تتنفعون بها الى أجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت العتيق الذى ترفع اليه الاعمال أو يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة وعلى الثانى لكم فيها منافع التجارات فى الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة (ولكل أمة) ولكل أهل دين (جعلنا منسكا) متعبدا أو قربانا يتقربون به الى الله وقرأ حمزة والكسائى بالكسر أى موضع نسك (ليذكروا اسم الله) دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه على الجعل به تنبيها على أن المقصود من المناسك تذكر المعبود (على مارزقهم من بهيمة الانعام) عند ذبحها وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون مما (فالهكم اله واحد فله أسلموا) أخلصوا التقرب أو الذكر ولاتشوبوه

بالاشراك (و بشر المخبتين) المتواضعين أو المخلصين فان الاخبات صفتهم (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) هيبة منه لاشراق أشعة جلاله عليها (والصابرين على ما أصابهم) من الكلف والمصائب (والمقيمي الصلاة) في أوقاتها وقرئ والمقيمين الصلاة على الاصل (ومما رزقناهم ينفقون) في وجوه الخير (والبدن) جمع بدنة كخشب وخشبة وأصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقرة لها في اجزائها عن سبعة بقوله عليه السلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره (جعلناها لكم) ومن رفعه جعله مبتدأ (من شعائر الله) من أعلام دينه التي شرعها الله تعالى (لكم فيها خير) منافع دينية ودنيوية (فاذكروا اسم الله عليها) بان تنقولوا عند نحرها الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك (صوافّ) قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وعلى طرف حافر الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي أي خوالص لوجه الله وصوافي بسكون الياء على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم أعط القوس باريها (فاذا وجبت جنوبها) سقطت على الارض وهو كناية عن الموت (فكلوا منها وأطعموا القانع) الراضي بما عنده و بما يعطى من غيره سئلة و يؤيده قراءة القنع أو السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له في السؤال (والمعتر) والمعترض بالسؤل وقرئ والمعترى يقال عره وعراه واعتره واعتراه (كذلك) مثل ما وصفنا من نحرها قياما (سخرناها لكم) مع عظمها وقوتها حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها (لعلكم تشكرون) انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص (ان ينال الله) لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول (لحومها ولا دماؤها) المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم أمره تعالى والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان أهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله تعالى فهم به المسلمون فنزلت (كذلك سخرها لكم) كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله (لتكبروا الله) أي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال أو الذبح (على ما هداكم) أرشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما تحتمل الصورية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا والتضمنه معنى الشكر (و بشر المحسنين) المخلصين فيما يأتون و يذرون (ان الله يدفع عن الذين آمنوا) غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع فيكون أبلغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه (ان الله لا يحب كل خوّان) في أمانة الله (كفور) لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضى فعلهم ولا ينصرهم (أذن) رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله (للذين يقاتلون) المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالة لتقاتلوه عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء أي للذين يقاتلهم المشركون (بأنهم ظلموا) بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم أومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهي أول آية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية (وان الله على نصرهم لقدير) وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم (الذين أخرجوا من ديارهم) يعني مكة (بغير حق) بغير موجب استحقوه به (الا أن يقولوا ربنا الله) على طريقة قول النابغة

(قوله بل الحديث يمنع ذلك) لان ذكر البقرة بعد ذكر البدنة يدل على تغايرهما (قوله اعط القوس باريها) نقل الطيبي عن الميداني ان معنى هذا المثل استعين على عملك باهل المعرفة والحذق فيه (قوله أو السائل الخ) يرد عليه أنه يلزم التكرار لان المعتر أيضا السائل والجواب ان القانع هو السائل المتواضع والمعتر السائل الغير المتواضع

(قوله اذلم يستجمع ذلك غيرهم) هذا الاختصاص ناشئ من التمكين فى الارض (قوله قرأ البصريان بغير لفظ التعظيم) أى قرأ بصيغة المتكلم الواحد (قوله فيكون الجار متعلقا بخاوية) هذا على التقديرين المذكورين (قوله فانها حال والاهلاك ليس حال خرابها الخ) أى قوله تعالى وهى ظالمة حال ولوكان خاوية على عروشها معطوفا عليها لكان حالا أيضا وليس كذلك (قوله فلا محل لها ان نصبت كاين الخ) لانه اذا نصب بما ذكر كان اهلكتها جملة مستقلة وأما اذا رفع كاين كان أهلكتها خبرا فيكون مرفوعا محلا وكأين عطف عليه (قوله حث لهم على أن يسافروا الخ) فيكون هذا الاستفهام تنديما على عدم السفر فيكون حثا عليه كما يقال ألم تعلم العلم تنديما للمخاطب على ترك التعلم وحثا عليه (قوله وهذا ثناء قبل بلاء) قال فى الكشاف وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا (قوله والظاهر أقيم مقامه) يعنى يكون الابصار فاعلا للنعى قائما مقام مفسر الضمير المبهم أى يدل عليه فهذا هو الاحتمال الثانى وحاصل الاحتمال الاول أن تكون الابصار مفسر الضمير حقيقة ويكون التقدير هكذا فانها هى الابصار لاتعمى فتكون الابصار بيانا للضمير ورفعه باعتبار أصل متبوعه الذى هو الرفع بالابتداء والانهماك

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقيل منقطع (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين (لهدمت) لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل وقرأ نافع دفاع وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف (صوامع) صوامع الرهبانية (و بيع) بيع النصارى (وصلوات) كنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل أصلها صلوثا بالعبرانية فعربت (ومساجد) مساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) صفة للاربع أولمساجد خصت بها تفضيلا (ولينصرن الله من ينصره) من ينصر دينه وقد أنجز وعده بأن ساط المهاجرين والانصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرتهم وأورثهم أرضهم وديارهم (ان الله لقوى) على نصرهم (عزيز) لايمانعه شئ (الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وصف لذين أخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين اذلم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل من ينصره (ولله عاقبة الأمور) فان مرجعها الى حكمه وقيه تأكيدلما وعده (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين) تسلية له صلى الله عليه وسلم بان قومه ان كذبوه فهو ليس بأوحدى فى التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه (وكذب موسى) غير فيه النظم و بنى الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان أشنع وآياته كانت أعظم وأشيع (فأمليت للكافرين) فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة (ثم أخذتهم فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم بتغيير النعمة نخمة والحياة هلاكا والعمارة خرابا (فكأين من قرية أهلكناها) باهلاك أهلها وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم (وهى ظالمة) أى أهلها (فهى خاوية على عروشها) ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أوخالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز أن يكون خبرا به مبتدأ خبرى هى خالية وهى على عروشها أى مطلة عليها ابان سقطت و بقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها واو الجملة معطوفة على أهلكناها لاعلى وهى ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها ان نصبت كأى بمقدر يفسره أهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع (و بئر معطلة) عطف على قرية أى وكم بئر عامرة فى البوادى تركت لايستقى منها لهلاك أهلها وقرئ عطلت بالتخفيف من أعطله بمعنى عطله (وقصر مشيد) مرفوع أو مجصص أخليناه عن ساكنيه وذلك يقوى أن معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر فى سفح جبل بحضرموت و بقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من قوم صالح فلما قتلوا أهلكهم الله تعالى وعطلهما (أفلم يسيروا فى الارض) حث لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فلم يسافروا لذلك (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) مايجب أن يعقل من التوحيد وبما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال (أوآذان يسمعون بها) مايجب أن يسمع من الوحى والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم (فانها) الضمير للقصة أوميهم يفسره الابصار وفى تعمى راجع اليه والظاهر أقيم مقامه (لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) عن الاعتبار التى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما يفت عقولهم باتباع الهوى

قال الرضى بعد ما قرر أن المعطوف على اسم ان يجوز فيه الرفع باعتبار الحمل على المحل ان حكم الوصف وعطف البيان والتأكيد والبدل عند الجرمى والزجاج والفراء جواز الحمل على المحل كالمعطوف ولم يذكر غيرهم فى ذلك منعا والاصل الجواز ولا فارق

(قوله ونفي التجوز) يعني لو لم يذكر النبي في الصدور لأمكن أن يذهب الوهم الى أن المراد من القلوب بعض المشاعر غير الابصار ولما ذكر زال احتمال التوهم (قوله قيل لما نزل الخ) من فوائد نزول هذه الآية التي نحن في تفسيرها بعد نزول ما تقدم أن يعلم ان المراد من العمى ليس عمى البصر بل عمى القلب فيزول خوف ابن أم مكتوم (قوله أو من حيث ان أيام الشدائد مستطالة) فيكون معناه أن ما يعدونه كآلف سنة أسف شديد هو عند الله في القصر كيوم (قوله مبالغة في التعميم والتهويل) لان الكلام بحسب الظاهر يفيد هلاك القرية فضلا عن أهلها وهلاك القرية يدل على هلاك أهلها مطابقة او يوجب الهول للدلالة على شدة العذاب (قوله على أنها حال مقدرة) فيكون المعنى مقدرين اعجازهم المؤمنين (قوله الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة الخ) يلزم منه كما صرح به أن لا يكون أنبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى رسلا لكن الامام رد على من (٥٧) فسر الرسول بأنه من جمع الى المعجزة الكتاب

والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزل ومن كان في هذه أعمى قال ابن أم مكتوم يا رسول الله أفاني الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فنزلت فانها لا تعمى الابصار (وبستهجلونك بالعذاب) المتوعد به (ولن يخلف الله وعده) لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما أوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) بيان لتناهي صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال وأولها دى عذابه وطول أيامه حقيقة أو من حيث ان أيام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي يا بياء (وكأين من قرية) وكم من أهل قرية فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان أن المتوعد به يحيق بهم لا محالة وأن تأخيره لعادته تعالى (أمليت لها) كما أمهلتكم (وهي ظالمة) مثلكم (ثم أخذتها) بالعذاب (والي المصير) والي حكمي مرجع الجميع (قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين) أوضح لكم ما أنذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لما بدر منهم (ورزق كريم) هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله (والذين سعوا في آياتنا) بالرد والابطال (معاجزين) مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب عجز الآخر عن اللحوق به وقرأ ابن كثير وأبو عمر ومعجزين على أنه حال مقدرة (أولئك أصحاب الجحيم) النار الموقدة وقيل اسم دركة (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة ويدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وسلم علماء أمته بهم فالنبي أعم من الرسول ويدل عليه أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير

والنبي من لم ينزل عليه كتاب فقال يلزم منه ان اسحق ويعقوب وأيوب ويونس وهرون وسليمان لم يكونوا رسلا وأقول هذا يرد ما قاله المصنف لان الانبياء المذكورين صلوات الله عليهم كلهم يكونوا أصحابا للكتب المنزلة عليهم لم يكونوا أصحاب الشرائع المجددة فان قيل ماذكره المصنف مخالف لصريح القرآن حيث قال تعالى وان يونس لمن المرسلين قلت المعنى المذكور للرسول اصطلاحي وأما قوله تعالى لمن المرسلين فبالمعنى اللغوي تمام الامام قال الاولى أن يقال من جاءه الملك ظاهرا وأمر بدعوة الخلق فهو رسول ومن رأى في النوم وأخبره الرسول بأنه نبي فهو نبي أقول

(٨ - (بيضاوي) - رابع) ظاهر هذه العبارة يدل على أن بين الرسول والنبي تباينا وليس كذلك لانه خلاف القرآن والحديث أما الاول فلما ذكرا نه تعالى واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وأما الحديث فلما روي عنه صلى الله عليه وسلم ان عدد الرسل منهم أي من الانبياء ثلثمائة وثلاثة عشر فعلم ان مراد الامام تعريف النبي غير الرسول واعلم أن الآية المذكورة ترد على المصنف لان اسمعيل لم يكن له شريعة مجددة بل على شريعة أبيه ابراهيم عليهما السلام فالوجه أن يقال ان تعريف مطلق النبي انه من جاءه الملك ظاهرا وأمره بدعوة الخلق أو رأى في النوم وأخبره نبي آخر أنه نبي وهذا أولى مما قاله الامام انه أخبره رسول أنه نبي وهذا الذي ذكرناه من العموم المطلق بين النبي والرسول هو المشهور بين الجمهور وقال الشيخ الكامل صاحب الفتوحات وقد خالفهم وذهب الى أن بينهما عموما ومن وجه فقال كل رسول لم يخص بشئ من الحكم في نفسه فهو رسول لانبي وان خص

الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام (الا اذا تمنى) زور في نفسه ما يهواه (ألقى الشيطان في أمنيته) في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام وانه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه (ثم يحكم الله آياته) ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في أمر الآخرة (والله عليم) باحوال الناس (حكيم) فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومنات الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى أن قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم لذلك فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاه يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقوله

تمنى كتاب الله أول ليله * تمنى داود الزبور على رسل

وأمنيته قراءته والقاء الشيطان فيها أن تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد أيضا بانه يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه أيضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم (ليجعل ما يلقي الشيطان) علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على أن الملقى أمر ظاهر عرفه المحق والمبطل (فتنة للذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) المشركين (وان الظالمين) يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم (لفي شقاق بعيد) عن الحق أو عن الرسول والمؤمنين (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك) ان القرآن هو الحق النازل من عند الله أو تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في الانس من لدن آدم (فيؤمنوا به) بالقرآن أو بالله (فتخبت له قلوبهم) بالانقياد والخشية (وان الله لهادي الذين آمنوا) فيما أشكل (الى صراط مستقيم) هو نظير صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه (ولا يزال الذين كفروا في مرية) في شك (منه) من القرآن أو الرسول أو مما أتى الشيطان في أمنيته يقولون ما باله ذكرها ثم رام ارتدعنها (حتى تأتيهم الساعة) القيامة أو اشراطها أو الموت (بغتة) فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم أو لان المقاتلين أبناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقما فوصف اليوم بوصفها تساعا أو لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا أو لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه أو يوم القيامة على أن المراد بالساعة غيره أو على وضعه موضع ضميرها للتهويل (الملك يومئذ لله) التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية أي يوم تزول مريتهم (يحكم بينهم) بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على أن اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وأن عقاب الكافرين

ان المعنى ليجعل ما يلقي الشيطان في أمنية الانبياء والرسول فتنة للذين في قلوبهم مرض وليعلم الذين أوتوا العلم ان احكام مسبب
الآيات ونسخ ما يلقي الشيطان هو الحق من ربك فيؤمنوا به أي باحكام الآيات ونسخ ما يلقي الشيطان قاله صاحب الفوائد (قوله تعالى
فالذين آمنوا الآيتين) لا يخفى أن هاتين الآيتين دالتان على أن اليوم يوم القيامة والبعث فالاولى الاقتصار على ما فسره آخرا وهو تفسير

مسبب عن أعمالهم فانلك قال لهم عذاب ولم يقل لهم فى عذاب (والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا) فى الجهاد (أوماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) الجنة ونعيمها وانما ساوى بين من قتل فى الجهاد ومن مات حتف أنفه فى الوعد لاستواءهما فى القصد وأصل العمل روى أن بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم قالوا يانبى الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فمالنا ان متنا فمزلت (وان الله لهو خير الرازقين) فانه يرزق بغير حساب (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) هو الجنة فيها مايحبونه (وان الله لعليم) باحوالهم وأحوال معاديهم (حليم) لايعاجل فى العقوبة (ذلك) الامر ذلك (ومن عاقب بمثل ماعوقب به) ولم يزد فى الاقتصاص وانما سمى الابتداء بالعقاب الذى هو الجزاء للازدواج أولانه سببه (ثم بغى عليه) بالمعاودة الى العقوبة (لينصرنه الله) لامحالة (ان الله لعفو غفور) للمنتصر حيث اتبع هواه فى الانتقام وأعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالى شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك أولى وتنبيه على أنه تعالى قادر على العقوبة اذلا يوصف بالعفو الا القادر على ضده (ذلك) أى ذلك النصر (بان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) بسبب أن الله تعالى قادر على تعليب الامور بعضها على بعض جار عادته على المماثلة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج أحد الملوين فى الآخر بان يزيد فيه ماينقص منه أو بتحصيل ظلمة الليل فى مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها (وان الله سميع) يسمع قول المعاقب والمعاقب (بصير) يرى أفعالهما فلايهملهما (ذلك) الوصف بكمال القدرة والعلم (بان الله هو الحق) الثابت فى نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان أن يكون مبدأ لكل مايوجد سواه علما بذاته وبما عداه أو الثابت الالهية ولايصلح لها الامن كان قادرا عالما (وأن مايدعون من دونه) الهاوقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالياء للمفعول فتكون الواو لما قابله فى معنى الآلهة (هو الباطل) المعدوم فى حد ذاته أو باطل الالوهية (وان الله هو العلى) على الاشياء (الكبير) عن أن يكون له شريك لاشئ أعلى منه شأناً وأكبر منه سلطانا (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) استفهام تقرير ولذلك رفع (فتصبح الارض مخضرة) عطف على أنزل اذلو نصب جوابا لدل على نفى الاخضرار كما فى قولك ألم تر أنى جئتك فتكرمنى والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضى للدلالة على بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان (ان الله لطيف) يصل علمه أو لطفه الى كل ماجل ودق (خبير) بالتدابير الظاهرة والباطنة (له مافى السموات ومافى الارض) خلقا وملكا (وان الله لهو الغنى) فى ذاته عن كل شئ (الحميد) المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله (ألم تر أن الله سخر لكم مافى الارض) جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم (والفلك) عطف على ماأو على اسم أن وقرئ بالرفع على الابتداء (تجرى فى البحر بامره) حال منها أو خبر (ويمسك السماء أن تقع على الارض) من أن تقع أو كراهة أن تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك (الا باذنه) الا بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام فى الجسمية فتكون قابلة للميل الها بط قبول غيرها (ان الله بالناس لرؤف رحيم) حيث هيأ لهم أسباب الاستدلال وفتح عليهم أبواب المنافع ودفع عنهم أنواع المضار (وهو الذى أحياكم) بعد أن كنتم جماداً عناصر ونطفا (ثم يميتكم) اذ جاء أجلكم (ثم يحييكم) فى الآخرة (ان الانسان لكفور) لجحود لنعم الله مع ظهورها (لكل أمة) أهل دين (جعلنا منسكا) متعبدا

الجسمية قبول الميل اليها أى الى الارض اذ يمكن أن يكون فيه مانع منه

(قوله ألم تر انك لم تر لانه طلب مشاركا لقوله ألم تر ولم يك تابعا لانزل ولم يكون مع ناصبه مصدرا معطوفا على المصدر الذى تضمنه ألم تر ورؤية والتقدير ألم يكن لك رؤية وانزال الماء من السماء واصباح الارض مخضرة وهذا غير مراد من الآية بل المراد أن يكون اصباح الارض مخضرة بانزال الماء فيكون حصول اخضرار الارض تابعا للانزال وقال العلامة الطيبى ينصره قول أبى البقاء انما رفع فتصبح وان كان قبله لفظ الاستفهام لأمرين أحدهما انه استفهام بمعنى الخبر أى قد رأيت فلا يكون له جواب والثانى ان مابعد الفاء ينتصب اذا كان المستفهم عنه سببا لما قبله ورؤيته لانزال الماء لاتوجب اخضرار الارض انما يجب عن الماء أقول على تقدير النصب يمكن حصول المعنى المراد بأن يقال المعنى واحتياج الارض مخضرة بتقدير الجار والمجرور (قوله فانها مساوية لسائر الاجسام فى الجسمية) لايلزم من التساوى فى

(قوله كما اذا رفعت خبرا) أى جملة وعدها الله الذين كفروا تكون استئنافا أى اذا جعلت النار خبر

أو شر بعة تعبدها وقيل عيدا (هم ناسكوه) ينسكونه (فلا ينازعنك) سائر أرباب الملل (فى الامر) فى أمر الدين أو النسائك لانهم بين جهال وأهل عناد أو لان أمر دينك أظهر من أن يقبل النزاع وقيل المراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها تما تنفع طالب الحق وهؤلاء أهل مراء أو عين منازعتهم كقولك لا يضارك زيد وهذا مما يجوز فى أفعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت فى كفار خزاعة قالوا للمسلمين مالكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينازعنك على تهييج الرسول والمبالغة فى تثبيته على دينه على أنه من نازعته فنزعته اذا غلبته (وادع الى ربك) الى توحيده وعبادته (انك لعلى هدى مستقيم) طريق الى الحق سوى (وان جادلوك) وقد ظهر الحق ولزمت الحجة (فقل الله أعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه مرفق (الله يحكم بينكم) يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب (يوم القيمة) كما فصل فى الدنيا بالحجج والآيات (فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين (ألم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض) فلا يخفى عليه شئ (ان ذلك فى كتاب) هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك أمرهم مع علمنا به وحفظنا له (ان ذلك) ان الاحاطة به واثباته فى اللوح المحفوظ أو الحكم بينكم (على الله يسير) لان علمه متقض ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا) حجة تدل على جواز عبادته (وما ليس لهم به علم) حصل لهم من ضرورة العقل أو استدلاله (وما للظالمين) وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم (من نصير) يقربر منهم أو يدفع العذاب عنهم (واذا تتلى عليهم آياتنا) من القرآن (بينات) واضحات الدلالة على العقائد الحقية والاحكام الالهية (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) الانكار لفرط تنكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل أخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير أو ما يقصدونه من الشر (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) يثبون ويبطشون بهم (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم أو مما أصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم (النار) أى هو النار كانه جواب سائل قال ما هو ويجوز أن يكون مبتدأ خبره (وعدها الله الذين كفروا) وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا كما اذا رفعت خبرا أو حالا منها (وبئس المصير) النار (يا أيها الناس ضرب مثل) بين لكم حال مستغربة أو قصة رائعة وقوله ذلك سماها مثلا اذ وجعل لله مثل أى مثل فى استحقاق العبادة (فاستمعوا له) للمثل أو لشانه استماع تدبر وتفكر (ان الذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين (لن يخلقوا ذبابا) لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن يما فيها من تأكيد النفى دالة على منافاة ما بين المنفى والمنفى عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه أذبة وذبان (ولو اجتمعوا له) أى للخلق هو بجوابه المقدر فى موضع حال جىء به للمبالغة أى لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين (وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه) جهلهم غاية التجهيل بان أشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات بأسرها تما ثيل هى أعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق أقل الاحياء وأذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها فيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله (ضعف الطالب والمطلوب) عابد الصنم ومعبوده

(قوله كما اذا رفعت خبرا) أى مبتدأ محذوف (قوله أو حالا منها) عطف على قوله استئنافا أى اذا جعلت النار بدلا من شركات الجملة المذكورة حالا من الشر (قوله لان بما فيها الخ) أى انما فسرنا قوله تعالى لن يخلقوا ذبابا بقولنا لا يقدرون للمنافاة المذكورة فتكون لن ههنا للمنافاة بين الخلق وبين الاصنام وافق المصنف الكشاف فيما ذكر وقال صاحب الفوائد النفى المؤبد لا يدل على الامتناع ولان يحتمله ولما كان محتملا له جعل عليه قرينة تسوق الكلام لانه امكن ذلك مهم لا يحصل الاستبعاد المذكور والمبالغة فى تجهيلهم واستركاك عقولهم وقال العلامة الطيبى هذا هو الحق لان مقصود الزمخشرى من اثبات الاستحالة تقرير مذهبه فى قوله تعالى لن ترانى وقد استشهد بهذه الآية على مطلوبه فى ذلك المقام (قوله بجوابه المقدر فى موضع حال) لا يخفى ان جعل هذه الجملة بمعنى مجتمعين متعاونين يوجب زيادة تقدير الجواب لان ما ذكر معنى لو اجتمعوا فقط وهذا مما يؤيد قول الرضى ان هذه الواو ليست حالية ولا عاطفة بل اعتراضية فتكون هذه جملة مستقلة لها نوع ارتباط بالجملة

أو الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب أو الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم أضعف بدرجات (ماقدروا الله حق قدره) ماعرفوه حق معرفته حيث أشركوا به وسموا باسمه ماهو أبعد الاشياء عنه مناسبة (ان الله لقوى) على خلق الممكنات باسرها (عزيز) لايغلبه شئ وآلهتهم التى يعبدونها عاجزة عن أقلها مقهورة من اذلها (الله يصطفى من الملائكة رسلا) يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحى (ومن الناس) يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى أن يشاركه غيره فى صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وهو أعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن سواه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله تعالى ونحو ذلك (ان الله سميع بصير) مدرك للاشياء كلها (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم) عالم بواقعها ومترقبها (والى الله ترجع الامور) واليه ترجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لايسئل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسئلون (ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) فى صلاتكم أمرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما أول الاسلام أو صلوا وعبر عن الصلاة بهما لانهما أعظم أركانها أو اخضعوا لله وخروا له سجدا (واعبدوا ربكم) بسائر ما تعبدكم به (وافعلوا الخير) وتحروا ماهو خير وأصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون) أى افعلوا هذه كلها وأنتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على أعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر مافيها من الامر بالسجود ولقوله عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها (وجاهدوا فى الله) أى لله ومن أجله أعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام أنه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (حق جهاده) أى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس وأضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم وأضيف الجهاد الى الضمير اتساعا أو لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله تعالى ومن أجله (هو اجتباكم) اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعى اليه وفى قوله (وماجعل عليكم فى الدين من حرج) أى ضيق بتكليف مايشتد القيام به عليكم اشارة الى أنه لامانع لهم عنه ولاعذر لهم فى تركه أو الى الرخصة فى اغفال بعض ماأمرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا أمرتكم بشئ فأتوا منه مااستطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد (ملة أبيكم ابراهيم) منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ماقبلها بحذف المضاف أى وسع دينكم توسعة ملة أبيكم أو على الاغراء أو على الاختصاص وانما جعله أباهم لانه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الآخرة أو لان أكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم (هو سماكم المسلمين من قبل) من قبل القرآن فى الكتب المتقدمة (وفى هذا) وفى القرآن والضمير لله تعالى ويدل عليه أنه قرئ الله سماكم أو لابراهيم وتسميتهم بمسلمين فى القرآن وان لم تكن منه كانت بسبب تسميته من قبل فى قوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين (ليكون الرسول) يوم القيامة متعلق بسماكم (شهيدا عليكم) بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته أو بطاعة من أطاع وعصيان من

المتقدمة مؤكدة له (قوله أو الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم) فيكون الطالب الذباب والمطلوب ما يسلبه من الصنم ومحصله والعبارة المفصلة به واحد والتفاوت فى التقرير (قوله أو لانهما أعظم أركانها) فيه نظر فقد قال الامام النووى رحمه الله فى الاذكار اختلف العلماء فى السجود فى الصلاة وفى القيام أيهما أفضل فمذهب الشافعى رحمه الله ومن وافقه أن القيام أفضل لقول النبى صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت ومعناه القيام ولان ذكر القيام هو القرآن وذكر السجود هو التسبيح والقرآن أفضل وذهب بعض العلماء الى أن السجود أفضل لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتقدم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد (قوله فعكس وأضيف الحق الى الجهاد مبالغة) أى كان لفظ الحق مؤخرا فى الاصل صفة للجهاد فقدم عليه وأضيف اليه مبالغة ووجه المبالغة أن الامر بالصفة وهى الحق ههنا أمر بالموصوف لان الصفة لايتيسر فعلها بدونه فكان الامر بالحق متضمنا للامر بالجهاد وأما الامر بالموصوف فليس أمرا بالصفة لان الموصوف قد لايستلزمها فالامر بالصفة أمر بموصوفها بخلاف الامر بالموصوف (قوله فأضيف الجهاد اتساعا) أى كان الاصل حق جهاد فيه فحذف لفظ فى وأضيف الحق اتساعا كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامر (قوله متعلق بقوله سماكم) أى سماكم

ووصفكم بهذه الصفة الكريمة التي هي صفة الاسلام لتنحصر شهادة الرسول عليكم وتكونوا شهداء على الناس أي وصفكم بهذه الصفة والطاعة سبب لشهادة الرسول عليكم بهما فان قيل يعلم من الآية ان ماذكر سبب لانحصار شهادة الرسول عليكم حتى لا يكون شهيدا على غيركم اذلو كان شهيدا على غيركم لا تكون حاجة الى شهادتكم وهذا ينافي ما قال في تفسير قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ان المراد بهؤلاء الشهداء الذين هم الانبياء قلنا المفهوم منها انه عليه السلام لا يكون شهيدا على غيرهم من الامم واما انه لا يكون شهيدا على الانبياء فلا فان قيل ليس تسميتهم بالمسلمين سببا للشهادة الرسول عليهم وانما سببها اسلامهم نفسه لا تسميتهم به قلنا تسمية الله تعالى اياهم بالمسلمين حكم على اسلامهم عند وجودهم فهو في الحقيقة سبب لاسلامهم وعلى هذا ظهر ان تسمية الامة بالصفة المذكورة سبب لكون الرسول شهيدا عليهم

عصى (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسل اليهم (فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) فتقربوا الى الله تعالى بأنواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف (واعتصموا بالله) وثقوا به في مجامع أموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه (هو مولاكم) ناصركم ومتولي أموركم (فنعم المولى ونعم النصير) هو اذ لا مثل له سبحانه في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحج أعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

﴿سورة المؤمنين﴾ مكية وهي مائة وتسع عشرة آية عند البصريين وثمانى عشرة عند الكوفيين

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد أفلح المؤمنون) قد فازوا بأمانيهم وقد تثبت المتوقع كأن لما تتفيه وتدل على ثباته اذا دخلت على الماضي ولذلك تقرر به من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ أفلحوا على لغة أكلوني البراغيث أو على الابهام والتفسير وأفلح بالضم اجتزاء بالضمة عن الواو وأفلح على البناء للمفعول (الذين هم في صلاتهم خاشعون) خائفون من الله سبحانه وتعالى متذللون له ملزمون أبصارهم مساجدهم روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول أو فعل (معرضون) لما يهمهم من الجد مما شغلهم عنه وهو أبلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا بالمرة وتسببا وميلا وحضورا فان أصله أن يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله (والذين هم للزكوة فاعلون) وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة ليدل على أنهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروأة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه أو الثاني على تقدير مضاف (والذين هم لفروجهم حافظون) لا يبذلونها (الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) زوجاتهم أو سراياهم وعلى صلة لحافظون من قولك احفظ علي عنان فرسي أو حال أي حافظوها في كافة الاحوال الا في حال التزوج أو التسري أو بفعل دل عليه غير ملومين وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك أصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة أشهى الى النفس وأعظمها خطرا (فانهم غير ملومين) الضمير لحافظون أو لمن دل عليه الاستثناء أي فان بذلوها لازواجهم أو اماتهم فانهم غير ملومين على ذلك (فمن ابتغى وراء ذلك) المستثنى (فاولئك هم العادون) الكاملون في العدوان (والذين هم لاماناتهم وعهدهم) لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق (راعون) قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفي المعارج

﴿سورة المؤمنين﴾

(قوله أن يكون في عرض غير عرضه) وفي الصحاح العرض بالضم ناحية الشئ (قوله وعلى صلة لحافظين الخ) هذه الوجوه المذكورة لا يتضح منها معنى على الوجه أن يقال انه صلة للمقدر الذي هو بذلوها كما ذكر أو يقال المعنى حافظون الا على حال الوقوع على أزواجهم وقد قدمنا ذكره صاحب الكشاف والعجب لاماتهم انه قدر الكلام هكذا الذين هم لفروجهم غير حافظين الا على أزواجهم وظاهر هذا الكلام عكس المعنى المراد والاولى أن يقال على بمعنى مع والتقدير حافظون الا كائنين مع أزواجهم ويكون على بمعنى مع مما صرح به صاحب المغني

(قولهوصف به المحل للمبالغة الخ) يعنى أن المكين صفة للظروف جعل صفة للظروف مبالغة فى اتصاف الظرف بالحصانة فكان هذا الظرف متمكن فى مكان كان اتصافه بالقرار مبالغة لانه اتصاف بالمصدر (قوله لتفاوت الاستحالات الخ) أى ايراد الفاء فى بعض المواضع وثم فى بعضها يدل على ماذكر من التفاوت فان استحالة السلالة الى النطفة واستحالة النطفة الى العلقة بعيد بالنسبة الى استحالة العلقة وهى الدم الجامد الى المضغة وهى اللحم المضوغ فاستعمل ثم للاشارة الى البعد المذكور ويرد عليه ان استحالة المضغة الى العظام أيضا بعيد جدا مع انه عطف بالفاء ويمكن أن يقال لما أورد الفاء فى قوله تعالى نخلقنا النطفة علقة أوردالفاء بعده أيضا ليكون على طريقة واحدة اشعارا بأن هذه الاستحالة فى هذه المدة القصيرة كأنها ليس فيها تراخ اذ هذه الاستحالة بحسب الظاهر تستحق أن تكون فى أزمان متطاولة فتأمل (قوله تعالى ثم انكم بعد ذلك لميتون) فان قلت لم جىء بان واللام وبالاسم سيما الصفة المشبهة فيما ليس فيه الانكار فى وجه وأنى فيما فيه الخلاف بان وحدها أجاب عنه العلامة الطيبى بأن الكلام فى ابداع تلك الخلقة العظيمة الشأن وان لها حياة أبدية لا يصل اليها أحد الا بالموت وتلك الحياة هى المقصود من خلقها لكن تلك الحياة مشكوك فيها فأكد بذلك الاعتبار قلت هذا الكلام لا يتخلو من انهام والاوضح أن يقال ان الخلق لما كان عندهم فى الغفلة نزلوا بمنزلة المنكرين للموت كما تقرر فى العربية من ان غير المنكر قد يجعل بمنزلة المنكر لظهور أمارات الانكار عنه ولما أكد بتلك التأكيدات ما هو وسيلة لا حاجة الى تلك المرتبة فيها هو المقصود وهو البعث

لأمانهم على الافراد لأمن الالباس أولانها فى الاصل مصدر (والذين هم على صلواتهم يحافظون) يواظبون عليها ويؤدونها فى أوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فى الصلاة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غيرحمزة والكسائى وليس ذلك تكرير الما وصفهم به أولا فان الخشوع فى الصلاة غير المحافظة عليها وفى تصدير الاوصاف وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها (أولئك) الجامعون لهذه الصفات (هم الوارثون) الاحقاء بأن يسموا وراثا دون غيرهم (الذين يرثون الفردوس) بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها نفخيما لها وتأكيدا وهى مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من أعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار (هم فيها خالدون) أنث الضمير لانه اسم للجنة أو لطبقتها العليا (ولقد خلقنا الانسان من سلالة) من خلاصة سلت من بين الكدر (من طين) متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة أو من بيانية أو بمعنى سلالة لانها فى معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم عليه السلام خلق من صفوة سلت من الطين أو الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد أدوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته (ثم جعلناه) ثم جعلنا نسله فحذف المضاف (نطفة) بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء (فى قرار مكين) مستقر حصين يعنى الرحم وهو فى الاصل صفة للمستقر وصف به المحل للمبالغة كما عبر عنه بالقرار (ثم خلقنا النطفة علقة) بأن أحلنا النطفه البيضاء علقة حمراء (فخلقنا العلقة مضغة) فصيرناها قطعة لحم (فخلقنا المضغة عظاما) بأن صلبناها (فكسونا العظام لحما) مما يليق من المضغة أو مما أنبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها فى الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وأبو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد أحدهما وجمع الآخر (ثم أنشأناه خلقا آخر) وهو صورة البدن أو الروح أو القوى بنفخة فيه أو المجموع وثم ما بين الخلقين من التفاوت واحتج به أبو حنيفة على أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر (فتبارك الله) فتعالى شأنه فى قدرته وحكمته (أحسن الخالقين) المقدرين تقديرا لحذف المميز لدلالة الخالقين عليه (ثم انكم بعد ذلك لميتون) لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذى للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به (ثم انكم يوم القيمة تبعثون) للمحاسبة والمجازاة (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل بالنعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقه أو لانها طرق الملائكة أو الكواكب فيها مسيرها (وما كنا عن الخلق) عن ذلك المخلوق الذى هو السموات أو عن جميع المخلوقات (غافلين) مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره أو بمقدار ما علمنا من صلاحهم (فأسكناه) فجعلناه ثابتا مستقرا (فى الارض وانا على ذهاب به) على ازالته بالافساد

أو التصعيد أو التعميق بحيث يتعذر استنباطه (لقادرون) كما كنا قادرين على ازاله وفى تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة فى الايعاد به ولذلك جعل أبلغ من قوله قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين (فأنشأنا لكم به) بالماء (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) فى الجنات (فواكه كثيرة) تتفكهون بها (ومنها) ومن الجنات ثمارها وزروعها (تأكلون) تغذيا أو ترتزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز أن يكون الضميران للنخيل والاعناب أى لكم فى ثمراتها أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه (وشجرة) عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء أى ومما أنشأنا لكم به شجرة (تخرج من طور سيناء) جبل موسى عليه السلام بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سيدين ولا يخلو من أن يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة أضيف اليها أو المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة للالف لانه فيعال كديماس من السناء الملد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامى و يعقوب فانه فيعال ككيسان أو فعلاء كصحراء لافعلال اذ ليس فى كلامهم وقرئ بالكسر والقصر (تنبت بالدهن) أى تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز أن تكون الباء صلة معدية لتنبت كما فى قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو و يعقوب فى رواية تنبت وهو اما من أنبت بمعنى نبت كقول زهير

رأيت ذوى الحاجات عند بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا أنبت البقل

أو على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول ونثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان (وصبغ للآكلين) معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف أحد وصفى الشئ على الآخر أى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز أى يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ فى دبغ (وان لكم فى الانعام لعبرة) تعتبرون بحالها وتستدلون بها (نسقيكم مما فى بطونها) من الالبان أو من العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض أو للابتداء وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر و يعقوب نسقيكم بفتح النون (ولكم فيها منافع كثيرة) فى ظهورها وأصوافها وأوبارها وشعورها (ومنها تأكلون) فتنتفعون بأعيانها (وعليها) وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد بالابل لانها هى المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة

* سفينة برتحت خدى زمامها * فيكون الضمير فيه كالضمير فى و بعولتهن أحق بردهن (وعلى الفلك تحملون) فى البر والبحر (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله) الى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها (مالكم من اله غيره) استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائى غيره بالجر على اللفظ (أفلا تتقون) أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه فيهلككم و يعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التى لا تحصونها (فقال الملأ) الاشراف (الذين كفروا من قومه) لعوامهم (ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) أن يتطلب الفضل عليكم و يسودكم (ولو شاء الله) أن يرسل رسولا (لأنزل ملائكة) رسلا (ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين) يعنون نوحا عليه السلام أى ما سمعنا به أنه نبى أو ما كلمهم به من الحث على عبادة الله سبحانه وتعالى ونفى اله غيره أو من دعوى النبوة وذلك اما لفرط عنادهم أو لانهم

(قوله وفى تنكيره ذهاب الخ) لان التنكير يدل على الوحدة فيكون معناه على فرد واحد عظيم من الذهاب فيدل على أن للذهاب أفرادا متعددة بخلاف ما لو عرف ولفظ غورا فى قوله تعالى ان أصبح ماؤكم غورا صريح فى فرد خاص من الذهاب وهو ذهابه فى عمق الارض بخلاف الذهاب فانه شامل لهو لغيره من الانواع المذكورة والمبالغة باعتبار أن الذهاب شامل الازالة بالكلية بخلاف الغور (قوله فيكون الضمير فى قوله كالضمير فى بعولتهن) فان فيه أيضا يرجع الضمير الى شخص واحد مخصوص من المذكور قبل وهو المطلقات الرجعية

كانوا فى فترة متطاولة (ان هو الا رجل به جنة) أى جنون ولا جله يقول ذلك (فتربصوا به) فاحتملوه وانتظروا (حتى حين) لعله يفيق من جنونه (قال) عند ما أيس من ايمانهم (رب انصرنى) باهلاكهم أو باعجاز ماوعدتهم من العذاب (بما كذبون) بدل تكذيبهم اياى أو بسببه (فاوحينا اليه أن اصنع الفلك باعيننا) بحفظنا نحفظه أن تخلئ فيه أو يفسده عليك مفسد (ووحينا) وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع (فاذا جاء أمرنا) بالركوب أو نزول العذاب (وفار التنور) روى أنه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك فلما نبع الماء منه أخبرته امرأته فركب ومحله فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه أخر ذكرتها فى هود (فاسلك فيها) فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ماسلككم فى سقر (من كل زوجين اثنين) من كل أمتى الذكر والانثى واحد من زوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين أى من كل نوع زوجين واثنين تأكيد (وأهلك) وأهل بيتك أو من آمن معك (الامن سبق عليه القول منهم) أى القول من الله تعالى باهلاكه لكفره وانما جىء بعلى لان السابق ضار كما جىء باللام حيث كان نافعا فى قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى (ولاتخاطبنى فى الذين ظلموا) بالدعاء لهم بالنجاة (انهم مغرقون) لامحالة لظلمهم بالاشراك والمعاصى ومن هذا شأنه لايشفع له ولايشفع فيه كيف وقد أمره بالحمد على النجاة منهم بقوله (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (وقل رب أنزلنى) فى السفينة أوفى الارض (منزلا مباركا) يكسب ازيد الخير فى الدارين على قراءة أبى بكر وقرئ منزلا بمعنى انزالا أو موضع انزال (وأنت خير المنزلين) ثناء مطابق لدعائه أمره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما أفرده بالامر والمعانى به أن يستوى هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان فى دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يجيب بهم (ان فى ذلك) فيما فعل بنوح وقومه (لآيات) يستدل بها و يعتبر أولو الاستبصار والاعتبار (وان كنا لمبتلين) لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم أو ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هى المخففة واللام هى الفارقة (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) هم عاد أو ثمود (فارسلنا فيهم رسولا منهم) هو هود أو صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على أنه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما أوحى اليه وهو بين أظهرهم (أن اعبدوا الله مالكم من الهغيره) تفسير لارسلنا أى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (أفلا تتقون) عذاب الله (وقال الملأ من قومه الذين كفروا) لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم بخلاف قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال (وكذبوا بلقاء الآخرة) بلقاء مافيها من الثواب والعقاب أو بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث (وأترفناهم) ونعمناهم (فى الحيوة الدنيا) بكثرة الاموال والاولاد (ماهذا الابشر مثلكم) فى الصفة والحالة (يأكل مما تأكلون منه و يشرب مما تشربون) تقرير للمماثلة وماخبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف أو مجرور محذوف مع الجار لدلالة ماقبله عليه (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) فيما يأمركم به (انكم اذا لخاسرون) حيث أذللتم أنفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قالوا لهم من قومه (أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما) مجردة عن اللحوم والاعصاب (أنكم مخرجون) من الاجداث أومن العدم نارة أخرى الى الوجود وأنكم تكرير للاول أكده لما طال الفصل بينه و بين خبره أوانكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم أو فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول أى انكم اخراجكم اذا متم أوانكم اذا متم وقع

(قوله أمره بأن يشفعه به مبالغة فيه) أى أمر الله تعالى نوحا عليه السلام بأن يشفع الدعاء وهو قوله رب أنزلنى بالثناء وهو قوله تعالى وأنت خير المنزلين مبالغة فى الامر بالانزال لان فى لفظ وأنت خير المنزلين اشعارا بطلب الانزال

اخراجكم ويجوز أن يكون خبر الاول محذوفا والدلالة خبر الثانى عليه لأن يكون الظرف لان اسمه جثة (هيهات هيهات) بعد التصديق أو الصحة (لما توعدون) أو بعد ما توعدون واللام للبيان كافى هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فماله هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على أنه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء (ان هى الا حياتنا الدنيا) أصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا فافهم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذر اعن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله

* هى النفس ما حملتها تتحمل * ومعناه لا حياة الا هذه الحياة لان ان نافية دخلت على هى التى فى معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التى تنفى ما بعدها نفى الجنس (نموت ونحيا) يموت بعضنا ويولد بعض (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو) ما هو (الا رجل افترى على الله كذبا) فيما يدعيه من ارساله له وفيما يعدنا من البعث (وما نحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرنى عليهم وانتقم لى منهم (بما كذبون) بسبب تكذيبهم اياى (قال عما قليل) عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة أو نكرة موصوفة (ليصبحن نادمين) على التكذيب اذا عاينوا العذاب (فاخذتهم الصيحة) صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على أن القرن قوم صالح (بالحق) بالوجه الثابت الذى لا دافع له أو بالعدل من الله كقولك فلان يقضى بالحق أو بالوعد الصدق (فجعلناهم غثاء) شبههم فى دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادى لمن هلك (فبعدا للقوم الظالمين) يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التى تنصب بأفعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعى عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) هى قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (ما تسبق من أمة أجلها) الوقت الذى حد هلاكها وهو من مزيدة للاستغراق (وما يستأخرون) الاجل (ثم أرسلنا رسلنا تترى) متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ أبو عمرو وابن كثير بالتنوين على أنه مصدر بمعنى المراترة وقع حالا وأماله حمزة وابن عامر والكسائى (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) اضافة الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجىء الى المرسل اليهم لان الارسال الذى هو مبدأ الامر منه والمجىء الذى هو منتهاه اليهم (فأتبعنا بعضهم بعضا) فى الاهلاك (وجعلناهم أحاديث) لم نبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحدوثة وهى ما يتحدث به تلهيا (فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا) بالآيات التسع (وسلطان مبين) وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز أن يراد به العصا وافرادها لانها أول المعجزات وأمها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وأن يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وأن يراد بهما المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبى صلى الله عليه وسلم (الى فرعون وملائه فاستكبروا) عن الايمان والمتابعة (وكانوا قوما عالين) متكبرين (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا) ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر أحدا ولم يثن المثل لانه فى حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبهة المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على أحوالهم لما بينهم من المماثلة فى الحقيقة

(قوله ويجوز أن يكون خبر الاول محذوفا الخ) أى يجوز أن يكون خبر ان الاولى محذوفا لدلالة خبر ان الثانية عليه ولا يجوز أن يكون خبر الاولى هو الظرف وهو اذا مت لان الظرف لا يصح أن يكون خبر المبتدة وهو اسم انكم

وفساده يظهر للمستبصر بادنى تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت فى أصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكم كثرى فى جانب النقصان أغبياء لايعود عليهم الفكر برادة يمكن أن يكون فى طرف الزيادة أغنياء عن التفكر والتعلم فى أكثر الاشياء وأغلب الاحوال فيدركون مالايدرك غيرهم و يعلمون مالاينهى اليه علمهم واليه أشار بقوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد (وقومهما) يعنى بنى اسرائيل (لنا عابدون) خادمون منقادون كالعباد (فكذبوهما فكانوا من الهالكين) بالغرق فى بحر قلزم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (لعلهم) لعل بنى اسرائيل ولايجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد اغراقهم (يهتدون) الى المعارف والاحكام (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) بولادتها اياه من غير مسيس فالآية أمر واحد مضاف اليهما أو جعلنا ابن مريم آية بان تكلم فى المهد وظهرت منه معجزات أخر وأمه آية بان ولدت من غير مسيس لخذفت الاولى لدلالة الثانية عليها (وآويناهما الى ربوة) أرض بيت المقدس فانها من تنفسة أو دمشق أو رملة فلسطين أو مصر فان قراها على الربى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر (ذات قرار) مستقر من الارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنها يستقرون فيها لاجلها (ومعين) وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى وأصله الابعاد فى الشئ أو من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع أو مفعول من عانه اذا أدركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماءها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات) نداء وخطاب لجميع الانبياء لاعلى انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم أرسلوا فى أزمنة مختلفة بل على معنى أن كلا منهم خوطب به فى زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا أوليا و يكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على أن تهيئة أسباب التنعم لم تكن له خاصة وأن اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية فى رفض الطيبات أو حكاية لما ذكر لعيسى وأمه عند ايوائهما الى الربوة ليقتدى بالرسل فى تناول مارزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات مايستلذبه من المباحات وقيل الحلال الصافى القوام فالحلال مالايعصى الله فيه والصافى مالاينسى الله فيه والقوام مايمسك النفس و يحفظ العقل (واعملوا صالحا) فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم (انى بما تعملون عليم) فاجازيكم عليه (وأن هذه) أى ولان هذه والمعلل به فاتقون أو واعلموا أن هذه وقيل انه معطوف على ماتعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف (أمتكم أمة واحدة) ملتكم ملة واحدة أى متحدة فى الاعتقاد وأصول الشرائع أو جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة ونصب أمة على الحال (وأنا ربكم فاتقون) فى شق العصا ومخالفة الكلمة (فتقطعوا أمرهم بينهم) فتقطعوا أمر دينهم وجعلوه أديانا مختلفة أو فتفرقوا وتحزبوا وأمرهم منصوب بنزع الخافض أو التمييز والضمير لما دل عليه الامة من أربابها أو لها (زبرا) قطعا جمع زبور الذى بمعنى الفرقة و يؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من أمرهم أو من الواو أو مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا أو حالا من أمرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل فى رسل (كل حزب) من المتحزبين (بما لديهم) من الدين (فرحون) معجبون معتقدون أنهم على الحق (فذرهم فى غمرتهم) فى جهالتهم شبهها بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها أو لاعبون بها وقرئ فى غمراتهم (حتى حين) الى أن يقتلوا أو يموتوا (أيحسبون أنما نمدهم به) أن ما نعطيهم ونجعله لهم مددا (من مال و بنين) بيان لما وليس خبر انه فانه

(قوله والمعلل به فاتقون) أى اتقون لان هذه أمتكم أمة واحدة فيكون فاتقون عطفا على اتقون المقدر نا كيدا والمعنى انه لما كانت العقائد الصحيحة التى يجب أن يعتقدها كل أحد واحدة لاتختلف باختلاف الامم والاعصار ثبت التوحيد والبعث والجزاء فيجب التقوى على الكل (قوله وقيل انه معطوف على ماتعملون) والتقدير انى عليم بما تعملون و بأن هذه أمتكم امة واحدة (قوله والضمير لما دل عليه الامة من أربابها أو لها) فالاول على تقدير ان يكون المراد من الامة الملة والثانى على تقدير أن يكون المراد منها الجماعة (قوله بتقدير مثل كتب) فيكون المعنى فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا أى كتبا أى حال كون ذلك الامر كتب فى كتب

غير معاتب عليه وانما المعاتب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم خبره (نسارع لهم فى الخيرات) والراجع محذوف والمعنى أيحسبون أن الذى نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم (بل لايشعرون) بل هم كالبهائم لافطنة لهم ولاشعور ليتأملوا فيه فيعلموا أن ذلك الامداد استدراج لامسارعة فى الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل أن يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول (ان الذين هم من خشية ربهم) من خوف عذابه (مشفقون) حذرون (والذين هم بآيات ربهم) المنصوبة والمنزلة (يؤمنون) بتصديق مدلولها (والذين هم بربهم لايشركون) شركا جليا ولاخفيا (والذين يؤتون ما آتوا) يعطون ما أعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا أى يفعلون ما فعلوا من الطاعات (وقلوبهم وجلة) خائفة أن لايقبل منهم وأن لايقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به (أنهم الى ربهم راجعون) لان مرجعهم اليه أو من أن مرجعهم اليه وهو يعلم مايخفى عليهم (أولئك يسارعون فى الخيرات) يرغبون فى الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها أو يسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم مانفى عن اضدادهم (وهم لها سابقون) لاجلها فاعلون السبق أو سابقون الناس الى الطاعة أو الثواب أو الجنة أو سابقونها أى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا كقوله تعالى هم لها عاملون (ولانكلف نفسا الاوسعها) قدر طاقتها يريد به التحريض على ماوصف به الصالحين وتسهيله على النفوس (ولدينا كتاب) يريد به اللوح أو صحيفة الاعمال (ينطق بالحق) بالصدق لايوجد فيه مايخالف الواقع (وهم لايظلمون) بزيادة عقاب او نقصان ثواب (بل قلوبهم) قلوب الكفرة (فى غمرة) فى غفلة غامرة لها (من هذا) من الذى وصف به هؤلاء أو من كتاب الحفظة (ولهم أعمال) خبيثة (من دون ذلك) متجاوزة لما وصفوا به أو متخطية عما هم عليه من الشرك (هم لها عاملون) معتادون فعلها (حتى اذا أخذنا مترفيهم) متنعميهم (بالعذاب) يعنى القتل يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فقحطوا حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة (اذا هم يجأرون) فاجؤا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأ بعد حتى ويجوز أن يكون الجواب (لاتجأروا اليوم) فانه مقدر بالقول أى قيل لهم لاتجأروا اليوم (انكم منا لاتنصرون) تعليل للنهى أى لاتجأروا فانه لاينفعكم اذ لانمنعون منا أو لايلحقكم نصر ومعونة من جهتنا (قد كانت آياتى تتلى عليكم) يعنى القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى (مستكبرين به) الضمير للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه أغنت عن سبق ذكره أو لآياتى فانها بمعنى كتابى والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين أو لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه أو بقوله (سامرا) أى تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو فى الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة وقرئ سمرا جمع سامر (تهجرون) من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة أو الهذيان أى تعرضون عن القرآن أو تهذون فى شأنه أو الهجر بالضم أى الفحش ويؤيد الثانى قراءة نافع تهجرون من أهجر وقرئ تهجرون على المبالغة (أفلم يدبروا القول) أى القرآن ليعلموا أنه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين) من الرسول والكتاب أو من الامن من عذاب الله تعالى فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل وأعقابه فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه (أم لم يعرفوا رسولهم) بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء

(قوله ويجوز أن يكون الجواب اذا هم يجأرون الخ) فعلى هذا يكون اذا هم يجأرون معطوفا على قوله تعالى اذا أخذنا بحذف العاطف كما جوزه بعضهم فى قوله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم الآية أو على كونه بدلا من الجملة المذكورة اذ لاوجه له غيرها (قوله ووضوح مدلوله) فيه ان وضوح مدلوله لم يدل على كونه من الرب تعالى لان كثيرا من كلام الناس واضح المدلول والجواب ان المراد من المدلول كونه لامن كلام البشر فانه يفهم من مدلوله انه ليس كذلك فالمقصود من وضوح المدلول وضوح كونه لامن كلام الناس والاولى ان يقال ان وضوح مدلوله كونه على أحسن منهاج وأوضح طريق بحيث من تأمل مدلول معانيه يتضح له انه ليس من جانب البشر وحاصله وضوح مدلوله من حيث انه ليس من جانب البشر لان فيه معانى مترتبة لايصل اليها فهم البشر باستقلاله فيكون معجزا من حيث اللفظ والمعنى

(قوله فان انكار الشئ قطعا الخ) يعنى لما كان الانكار للشئ ينبغى أن يكون بسبب ظهور امتناعه أو سبب البحث عما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد ولم يكن أحد هذين الامرين متحققا فيما نحن فيه فيجب أن يكون انكارهم لاحد (٦٩) الأمور المذكورة فحصل ما قاله ان انكارهم لابد أن يكون لاحد الأمور الثلاثة اذ لولم يكن لواحد منها لزم أن يكون لواحد من هذين الأمرين المذكورين وهما منتفيان ههنا فان قوله تعالى فهم له منكرون مشعر بتوبيخهم بانكار رسولهم لان انكارهم ناشئ من أحد الوجوه المذكورة وهى لا ينبغى ان تكون سبب الانكار وحق العبارة أن يقال لاحد هذه الوجوه التى لا تصاح للانكار فان انكار الشئ قطعا أو ظنا الخ انما يتجه الخ فانه اظهوره لم يذكره (قوله وقيل لواتبع الحق أهواءهم الخ) الفرق بين هذا المعنى وبين المعنى الاول ان المعنى الاول هو انه لوكان الواقع فى الاصل موافقا لاهوائهم لفسدت السموات والارض وهذا المعنى هو انه لو صار الحق تابعا لأهوائهم بعد ما كان على خلافها لزم الفساد فعلى المعنى الاول اتباع بمعنى الموافقة فى الاصل وعلى الثانى الموافقة بعد المخالفة ولذا قال وانقلب باطلا (قوله وهو على أصل المعتزلة) أى على قاعدتهم ان الله لا يصلح أن يوجد منه الكفر والمعاصى اذ هو

عليهم الصلاة والسلام (فهم له منكرون) دعواه لأحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشئ قطعا وظنا انما يتجه بحسب النوع أو الشخص أو بحث عما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد (أم يقولون به جنة) فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون أنه صلى الله عليه وسلم أرجحهم عقلا وأدقهم نظرا (بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون) لانه يخالف شهواتهم وأهواءهم فلذلك أنكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه أو لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق (ولو اتبع الحق أهواءهم) بان كان فى الواقع آلهة مثلا (لفسدت السموات والارض ومن فيهن) كما سبق تقريره فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق أهواءهم وانقلب باطلا لذهب بما قام به العالم فلا يبقى أو لو اتبع الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أهواءهم وانقلب شرعا كما جاء الله بالقيامة وأهلك العالم من فرط غضبه أو لو اتبع الله أهواءهم بان أنزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصى خرج عن الالوهية ولم يقدر أن يمسك السموات والارض وهو على أصل المعتزلة (بل أتيناهم بذكرهم) بالكتاب الذى هو ذكرهم أى وعظهم أو صيتهم أو الذكر الذى تمنوه بقولهم لو أن عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم (فهم عن ذكرهم معرضون) لا يلتفتون اليه (أم تسألهم) قيل انه فسيم قوله أم به جنة (خرجا) أجرا على أداء الرسالة (فخراج ربك) رزقه فى الدنيا أو ثوابه فى العقبى (خير) لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب فى الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون أبلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحجزة والكسائى خراجا فخراج للمزاوجة (وهو خير الرازقين) تقرير لخيرية خراجه تعالى (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب انهماكهم له واعلم أنه سبحانه لزمهم الحجة وأزاح العلة فى هذه الآيات بأن حصر أقسام ما يؤدى الى الانكار والاتهام وبين انتفاء ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) عن الصراط السوى (لناكبون) لعادلون عنه فان خوف الآخرة أقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) يعنى القحط (للجوا) لثبتوا وللجاج التمادى فى الشئ (فى طغيانهم) افراطهم فى الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين (يعمهون) عن الهدى روى أنهم قحطوا حتى أكلوا العلهز فجاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت (ولقد أخذناهم بالعذاب) يعنى القتل يوم بدر (فما استكانوا لربهم) بل أقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون أو افتعل من السكون أشبعت فتحته (وما يتضرعون) وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) يعنى الجوع فانه أشد من القتل والاسر (اذا هم فيه مبلسون) متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك أعتامهم يستعطفك (وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار) التحسوا بها مناصب من الآيات (والأفئدة) لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية

ظلم ونقص تعالى الله عنه وأما أهل السنة فهم ينكرون القاعدة المذكورة وهذا بحث مذكور فى علم الكلام (قوله بان حصر أقسام ما يؤدى الى الانكار والاتهام الخ) وهى أى هذه الاقسام هى التى ذكرت من قوله تعالى أفلم يدبروا القول الى ههنا فان تدبر القول حاصل لهم لانهم علموا الاعجاز ويعرفون ان الانبياء كانوا قبل ذلك ويعرفون رسولهم وأنكر كونه مجنونا وسؤال الخرج منهم

(قليلا ما تشكرون) تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة فى شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من غير اشراك وماصلة للتأكيد (وهو الذى ذرأكم فى الارض) خلقكم وبثكم فيها بالتناسل (واليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار) ويختص به تعاقبهما لايقدر عليه غيره فيكون رد النسبته الى الشمس حقيقة أولامره وقضائه تعاقبهما أوانتقاص أحدهما وازدياد الآخر (أفلا تعقلون) بالنظر والتأمل أن الكل مناوأن قدرتناتم الممكنات كلها وأن البعث من جملتها وقرئ بالياء على أن الخطاب السابق لتغليب المؤمنين (بل قالوا) أى كفار مكة (مثل ماقال الأولون) آباؤهم ومن دان بدينهم (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) استبعادا ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك أيضا ترابا فخلقوا (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الأولين) الأ كاذيبهم التى كتبوها جمع أسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) ان كنتم من أهل العلم أو من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا للفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلى الواضح الزاما بما لايمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك أخبر عن جوابهم قبل أن يجيبوا فقال (سيقولون لله) لان العقل الصريح قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بأنه خالقها (قل) أى بعد ماقالوه (أفلا تذكرون) فتعلمون أن من فطر الارض ومن فيها ابتداء قادر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق ليس أهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) فانها أعظم من ذلك (سيقولون لله) قرأ أبو عمرو ويعقوب بغير لام فيهما وفيما بعده على مايقتضيه لفظ السؤال (قل أفلا تتقون) عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته (قل من بيده ملكوت كل شئ) ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه (وهو يجير) يغيث من يشاء ويحرسه (ولا يجار عليه) ولا يغاث أحد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة (ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون) فمن أين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر ونظائر الأدلة (بل أتيناهم بالحق) من التوحيد والوعد بالنشور (وانهم لكاذبون) حيث أنكروا ذلك (ماتخذ الله من ولد) لتقدسه عن مماثلة أحد (وما كان معه من اله) يساهمه فى الالوهية (اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه أى لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين وظهر بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شئ والملازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد (سبحان الله عما يصفون) من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده (عالم الغيب والشهادة) خبر مبتدا محذوف وقد جوا بن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفى الشريك بناء على توافقهم فى أنه المنفرد بذلك ولهذا رتب عليه (فتعالى عما يشركون) بالفاء (قل رب اما تريني) ان كان لابد من أن تريني لان ما والنون للتأكيد (مايوعدون) من العذاب فى الدنيا والآخرة (رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين) قرينا لهم فى العذاب وهو اما لهضم النفس أولان شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن أنه تعالى أخبر نبيه عليه السلام أن له فى أمته نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار (وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) لكنا نؤخره علما بأن بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون

(قوله الخطاب السابق) هو قوله تعالى تحشرون وما تقدم عليه والغرض انه اذا قرئ بالتاء الفوقانية فالخطاب للكفار واما اذا قرئ بالياء التحتانية فيكون هذا الكلام فى الكفار والخطابات السابقة يدخل فيها الكفار مع تغليب المؤمنين على الكفار اذلو كان المراد من المخاطبين السابقين الكفار لكان المناسب تعقلون بالخطاب (قوله تعالى اذا لذهب كل اله بما خلق الخ) يفهم منه ان ماذكر مقتضى صفة الملك والسلطنة ولو لم يقع لكان لعارض اما صعف واخوف أونحو ذلك مما ينافى الألوهية

أولا بالا نعتبهم وأنت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد أراه وهو قتل بدر أو فتح مكة (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل (نحن أعلم بما يصفون) بما يصفونك به أو بوصفهم اياك على خلاف حالك وأقدر على جزائهم فكل الينا أمرهم (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) وساوسهم وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الراض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة للدواب على المشي والجمع للمرات أو لتنوع الوساوس أو لتعدد المضاف اليه (وأعوذ بك رب أن يحضرون) بحومواحولي في شئ من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانها أحرى الاحوال بأن يخاف عليه (حتى اذا جاء أحدهم الموت) متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتأكيد الانحضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان أن يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام أو بقوله انهم لكاذبون (قال) تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر (رب ارجعون) ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا وأطرقا (لعلي أعمل صالحا فيما تركت) في الايمان الذي تركته أي لعلي آتي بالايمان وأعمل فيه وقيل في المال أوفي الدنيا وعنه عليه الصلاة والسلام قال اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى وأما الكافر فيقول رب ارجعون (كلا) ردع عن طلب الرجعة واستبعادها (انها كلمة) يعني قوله رب ارجعون الخ والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض (هو قائلها) لا محالة لتسلط الحسرة عليه (ومن ورائهم) أمامهم والضمير للجماعة (برزخ) حائل بينهم و بين الرجعة (الى يوم يبعثون) يوم القيامة وهو اقتناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون في الآخرة (فاذا نفخ في الصور) لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو و به و بكسر الصاد يؤيد أن الصور أيضا جمع الصورة (فلا أنساب بينهم) تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه أو يفتخرون بها (يومئذ) كما يفعلون اليوم (ولا يتساءلون) ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة أو دخول أهل الجنة الجنة والنار النار (فمن ثقلت موازينه) موزونات عقائده وأعماله أي فمن كانت له عقائد وأعمال صالحة يكون لها وزن عند الله تعالى وقدر (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والدرجات (ومن خفت موازينه) ومن لم يكن لها يكون له وزن وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها النيل كمالها (في جهنم خالدون) بدل من الصلة أو خبر ثان لأولئك (تلفح وجوههم النار) تحرقها واللفح كالنفح الا أنه أشد تأثيرا (وهم فيها كالحون) من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) على اضمار القول أي يقال لهم ألم تكن (فكنتم بها تكذبون) تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) ملكتنا بحيث صارت أحوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ جزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة (وكنا قوما ضالين) عن الحق (ربنا أخرجنا منها) من النار (فان عدنا) الى التكذيب (فانا ظالمون) لأنفسنا (قال اخسؤا فيها) اسكتوا اسكات هوان في النار فانها ليست

مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ (ولا تكلمون) فى رفع العذاب أولا تكلمون رأسا قيل ان أهل النار يقولون ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول منى فيقولون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم فيقولون ألفا يامالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون ألفا ربنا أخرنا الى أجل قريب فيجابون أولم تكونوا أقسمتم من قبل فيقولون ألفا ربنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فيقولون ألفا رب ارجعون فيجابون اخسؤا فيها ثم لا يكون لهم فيها الا زفير وشهيق وعواء (انه) ان الشأن وقرئ بالفتح أى لانه (كان فريق من عبادى) يعنى المؤمنين وقيل الصحابة وقيل أهل الصفة (يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) هزؤا وقرأ نافع وحمزة والكسائى هنا وفى ص بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية (حتى أنسوكم ذكرى) من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافونى فى أوليائى (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم (انى جزيتهم اليوم بما صبروا) على أذاكم (أنهم هم الفائزون) فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثانى مفعولى جزيتهم وقرأ حمزة والكسائى بالكسر استئنافا (قال) أى الله أو الملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى على الامر للملك أو لبعض رؤساء أهل النار (كم لبثتم فى الارض) أحياء أو أمواتا فى القبور (عدد سنين) تمييز لكم (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) استقصار المدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم فى النار أو لانها كانت أيام سرورهم وأيام السرور قصار أو لانها منقضية والمنقضى فى حكم المعدوم (فاسأل العادين) الذين يتمكنون من عد أيامها ان أردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها أو الملائكة الذين يعدون أعمار الناس ويحصون أعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف أى الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعاديين أى القدماء المعمرين فانهم أيضا يستقصرون (قال) وفى قراءة حمزة والكسائى قل (ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) تصديق لهم فى مقالهم (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين أو مفعول له أى لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على أعمالكم وهو كالدليل على البعث (وأنكم الينا لا ترجعون) معطوف على أنما خلقناكم أو عبثا وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم (فتعالى الله الملك الحق) الذى يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفى حال دون حال (لا اله الا هو) فان ما عداه عبيد له (رب العرش الكريم) الذى يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم أو لنسبته الى أكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على أنه صفة الرب (ومن يدع مع الله الها آخر) يعبده افرادا أو اشراكا (لا برهان له به) صفة أخرى لالها لازمة له فان الباطل لا برهان به جىء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على أن التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه أو اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك (فانما حسابه عند ربه) فهو مجاز له مقدار ما يستحقه (انه لا يفلح الكافرون) ان الشأن وقرئ بالفتح على التعليل أو الخبر أى حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفى الفلاح

(قوله أى لانه كان فريق من عبادى يقولون ربنا الآية فاتخذتموهم سخريا) فالتعليل باعتبار الاتخاذ المذكور (قوله افرادا أو اشراكا) لا يخفى ان الافراد عبارة عن أن يعبد الله وهذا مناف المعية فالوجه أن يكون مخصوصا بالاشراك ويمكن أن يقال أراد بالافراد أن يكون الاله الاول منفردا مستقلا ومن الاشراك خلق الاشياء بان يكون شريكا لله فى الخلق والايجاد ثم ان ههنا أسئلة الاول لم لم يقل ومن يدع الها غير الله الثانى ان الغيرية مستفادة من المعية فما فائدة لفظ الآخر الثالث ما فائدة لفظ لا برهان له به مع ان من المعلوم ان لا برهان على وجود اله غير الله بل البراهين قاطعة على امتناعه والجواب عن الاول انه لو قيل ومن يدع الها غير الله يمكن أن يتوهم ان افراد غير الله بالعبادة مذموم لا الاشراك وأيضا فى المعية اشعار بوجوب دعوة الله بخلاف ما اذا قيل ومن يدع غير الله وعن الثانى ان المعية تحتمل أن يفهم منه المغايرة الاعتبارية وهذا ليس بممنوع وأما اذا قيل الها آخر بعد ذكر المعية تكون المعية محمولة على المطلق والتقييد بالآخر للدلالة على المغايرة بالذات اذ لو لم يكن المراد ذلك لكان ذكره مستدركا والاولى أن يقال ان ذكر لفظ الآخر للتصريح بالوهيته تعالى اذ لو قيل ومن يدع مع الله الها لكان عن ألوهية غيره مذكورا دون ألوهيته فلا يكون صريحا فى نفى الشرك وعن الثالث توبيخ المشركين بانهم عبدوا آلهة لا برهان لهم لان عبادة شئ لا تثبت الوهيته غاية الجهالة ونهاية الحماقة

عن الكافرين ثم أمر رسوله بأن يستغفره ويسترحمه فقال (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لقد أنزلت عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى أن أولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح

﴿سورة النور مدنية وهي أربع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سورة) أي هذه سورة وفيها أوحينا إليك سورة (أنزلناها) صفتها ومن نصبها جعله مفسر الناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدرا تل أو دونك أو نحوه (وفرضناها) وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وأبو عمرو لكثرة فرائضها أو المفروض عليهم أو للمبالغة في ايجابها (وأنزلنا فيها آيات بينات) واضحات الدلالة (لعلكم تذكرون) فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال (الزانية والزاني) أي فيما فرضنا أو أنزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز أن يرفعا بالابتداء والخبر (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) والفاء لتضمنهما معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من نصب سورة لاجل الامر والزان بالياء وانما قدم الزانية لان الزنا في الغالب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على أن حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه الصلاة والسلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الآية ما يدفعه لينسخ أحدهما الآخر نسخا مقبولا أو مردودا وله في العبد ثلاثة أقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام أيضا وهو مردود برجمه عليه الصلاة والسلام يهوديين ولا يعارضه من أشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد بالمحصن الذي يقتص له من المسلم (ولا تأخذكم بهما رأفة) رحمة (في دين الله) في طاعته واقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله تعالى والاجتهاد في اقامة حدوده وأحكامه وهو من باب التهييج (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) زيادة في التنكيل فان الفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول شئ من الطوف وأقلها ثلاثة وقيل واحد أو اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير (الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك) اذ الغالب أن المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمساحقة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة للالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق وكان حق المقابلة أن يقال ولا زانية لا تنكح الا من هو زان أو مشرك لكن المراد بيان أحوال الرجال في الرغبة فيهن لأن الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا أن يتزوجوا بغايا يكرين أنفسهن لينفقن عليهم من أكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني (وحرم ذلك على المؤمنين) لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء القالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه أو منسوخ

﴿سورة النور﴾
(قوله وكان حق المقابلة أن يقال) حتى يكون الحكم من الجانبين من جانب الزاني بانه لا يتيسر الا الى الزانية ومن جانب الزانية بأنها لا تميل الا الى الزاني

بقوله وأنكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لايحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤل الى نهى الزانى عن الزنا الا بزانية والزانية أن يزنى بها الا زان وهو فاسد (والذين يرمون المحصنات) يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزوانى واعتبار أربعة شهداء بقوله (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) والقذف بغيره مثل بالفاسق وبشارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولافرق فيه بين الذكور والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة أولان قذف النساء أغلب وأشنع ولايشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولاتعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابى حنيفة وليكن ضربه أخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده (ولاتقبلوا لهم شهادة) أى شهادة كانت لانه مترتب على شهادتهم فى القذف ولايتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابى حنيفة فان الامر بالجلد والنهى عن القبول سيان فى وقوعهما جوابا للشرط لاترتيب بينهما فيتبادر عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد أسوأ مما بعده (أبدا) بالم يتب وعند أبى حنيفة الى آخر عمره (وأولئك هم الفاسقون) الحكوم بفسقهم (الا الذين تابوا) عن القذف (من بعد ذلك وأصلحوا) أعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد أو الاستحلال من المقذوف والاستثناء راجع الى أصل الحكم وهو اقتضاء الشرط هذه الامور ولايلزمه سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له أو الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهى ومحله الجر على البدل من هم فى لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده (فان الله غفور رحيم) علة للاستثناء (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم) نزلت فى هلال بن أمية رأى رجلا على فراشه وأنفسهم بدل من شهداء أو صفة لهم على أن الا بمعنى غير (فشهادة أحدهم أربع شهادات) فالواجب شهادة أحدهم أو فعليهم شهادة احدهم وأربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائى وحفص على أنه خبر شهادة (بالله) متعلق بشهادات لانها أقرب وقيل بشهادة تقدمها (انه لمن الصادقين) أى فيما رماها به من الزنا وأصله على أنه لخذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تأكيدا (والخامسة) والشهادة الخامسة (أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين) فى الرمى هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عند نا لقوله عليه الصلاة والسلام المتلاعنان لايجتمعان أبدا وتفريق الحاكم فرقة طلاق عند أبى حنيفة وفى الولد ان تعرض له فيه ونفيه وثبوت حد الزنا على المرأة لقوله (ويدرأ عنها العذاب) أى الحد (أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين) فيما رماني به (والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين) فى ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر أو بالعطف على أن تشهد ونصبها حفص عطفا على أربع وقرأ نافع ويعقوب أن لعنة الله وأن غضب الله بتخفيف النون فيهما وكسر الضاد وفتح الهاء من غضب ورفع الهاء من اسم الله والباقون بتشديد النون فيهما ونصب التاء وفتح الضاد وجر الهاء (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم) متروك الجواب للتعظيم أى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة (ان الذين جاؤا بالافك) يبلغ ما يكون من الكذب من الأفك وهو الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضى الله تعالى عنها وذلك أنه عليه الصلاة والسلام استصحبها فى بعض الغزوات فاذن ليلة فى القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار

(قوله وقيل المراد بالنكاح الخ) هذا اذا كان المراد من لاتنكح النهى واذا كان المراد النفى فلا يلزم ماذكر قيل الاولى أن يقال اذا كان النفى بمعناه والمراد الوطء يلزم كون الكلام خاليا عن الفائدة فتأمل

(قوله لوصف المقذوفات) أى القرينة لتحصيل القذف بالزنا وصف المقذوفات بالاحصان (قوله ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل الخ) فيه نظر لان الحد ثابت لايسقط بالتوبة وأما قوله لان من تمام التوبة الخ فلا يدفع النظر لانه اذا استسلم للحد لايسقط الحد فالوجه أن يقال ان الاستثناء راجع الى قوله ولاتقبلوا كما قال العلامة الطيبى لان الامام الشافعى جعله متعلقا به ونقل عن ابن الحاجب ان رجوع الاستثناء الى الجمل كلها ليس بمستقيم أما الجلد فلم يرجع اليه بالاتفاق وأما قوله وأولئك فانما جيء به لتعذر تعليل منع الشهادة فلم يبق الاقوله ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا (قوله وعاق العامل عنه) والتعليق باعتبار ان الشهادة قريبة من العمل لانها مبنية عليه

(قوله لانه مأفوك عن وجهه) أى مصروف عما ينبغى ان يكون عليه

قدانقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذى كان يرحلها أنها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة أحدا فجلست كى يرجع اليها فنشد وكان صفوان بن المعطل السلمى رضى الله تعالى عنه قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى أتيا الجيش فانهمت به (عصبة منكم) جماعة منكم وهى من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن أبى وزيدين رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهى خبران وقوله (لاتحسبوه شرا لكم) مستأنف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعائشة وصفوان رضى الله تعالى عنهم والهاء للافك (بل هو خير لكم) لا كتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثمانى عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به (والذى تولى كبره) معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه (منهم) من الخائضين وهو ابن أبى فانه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذى يبدى الذين (له عذاب عظيم) فى الآخرة أو فى الدنيا بان جلد واصارا بن أبى مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان أعمى أشل اليدين ومسطح مكفوف البصر (لولا) هلا (اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كنفوسه تعالى ولاتلمزوا أنفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة فى التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضى ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن أنفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لاينفك عنه ولذلك يتسع فيه مالا يتسع فى غيره وذلك لان ذكر الظرف أهم فان التحضيض على أن لايخلوا باوله (وقالوا هذا افك مبين) كما يقول المستيقن المطلع على الحال (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان مالا حجة عليه كذب عند الله أى فى حكمه ولذلك رتب الحد عليه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة) لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم فى الدنيا بأنواع النعم التى من جملتها الامهال للتوبة ورحمته فى الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم (لمسكم) عاجلا (فيما أفضتم) خضتم (فيه عذاب عظيم) يستحقر دونه اللوم والجلد (اذ) ظرف لمسكم أو أفضتم (تلقونه بالسنتكم) يأخذ بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلاقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا تلقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الألق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه أى تتبعونه (وتقولون بأفواهكم) أى وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلامساعدة من القلوب (مالیس لكم به علم) لانه ليس تعبيرا عن علم فى قلوبكم كقوله تعالى يقولون بأفواههم مالیس فى قلوبهم (وتحسبونه هينا) سهلا لاتبعة له (وهو عند الله عظيم) فى الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بهامس العذاب العظيم تلقى الافك بألسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم (ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا) ماينبغى ومايصح لنا (أن نتكلم بهذا) يجوز أن تكون الاشارة الى القول المخصوص وأن تكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (سبحانك) تعجب من ذلك الافك أو ممن يقول ذلك وأصله أن يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من أن يصعب

(قوله وانما عدل فيه من الخطاب الخ) لان الالتفات الى الغيبة اشعار بأنهم لايستحقون الخطاب والعدول من ظننتم بأنفسكم خيرا الى ماذكر دليل على انه خلاف مقتضى الايمان (قوله من جملة المقول تقريرا الخ) فانه يجب قالوا الان المعنى لولا قالوا هذا افك مبين لولا جاؤا الآية يعنى ينبغى للمؤمنين القول بأنه افك والقول بمجىء أربعة فاذا لم يجيؤا به فأولئك المفترون عند الله هم الكاذبون

عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب أو تنزيه لله تعالى من أن تكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله (هذا بهتان عظيم) لعظمة البهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها (يعظكم الله أن تعودوا لمثله) كراهة أن تعودوا أو في أن تعودوا (أبدا) مادمتم أحياء مكلفين (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع (ويبين الله لكم الآيات) الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا (والله عليم) بالاحوال كلها (حكيم) في تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها (ان الذين يحبون) يريدون (أن تشيع) أن تنتشر (الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة) بالحد والسعير على غير ذلك (والله يعلم) ما في الضمائر (وأنتم لا تعلمون) فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله (وأن الله رؤف رحيم) على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبزي وأبو عمرو أبو بكر وحزة بسكونها (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما أنكره الشرع (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها (ما زكى) ما طهر من دنسها (منكم من أحد أبدا) آخر الدهر (ولكن الله يزكي من يشاء) بحمله على التوبة وقبولها (والله سميع) لمقالهم (عليم) بنياتهم (ولا يأتل) ولا يحلف افتعال من الالية أو ولا يقصر من الألو يؤيده الاول أنه قرئ ولا يتأل وأنه نزل في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين (أولوا الفضل منكم) في الدين (والسعة) في المال وفيه دليل على فضل أبي بكر وشرفه رضي الله تعالى عنه (أن يؤتوا) على أن لا يؤتوا أو في أن يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات (أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) صفات لموصوف واحد أي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك أو لموصوفات أقيمت مقامها فيكون أبلغ في تعليل المقصود (وليعفوا) ما فرط منهم (وليصفحوا) بالاغماض عنه (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من أساء اليكم (والله غفور رحيم) مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه روي أنه عليه الصلاة والسلام قرأها على أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال بلى أحب ورجع الى مسطح نفقته (ان الذين يرمون المحصنات) العفائف (الغافلات) عما قذفن به (المؤمنات) بالله ورسوله استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين كان أبي (لعنوا في الدنيا والآخرة) لما طعنوا فيهن (ولهم عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف مالم يتب وقيل مخصوص بمن قذف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما لا توبة له ولو فشت وعيدات القرآن لم تجد أغلظ مما نزل في افك عائشة رضي الله تعالى عنها (يوم تشهد عليهم) ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) يعترفون بها بانطاق الله تعالى اياها بغير اختيارهم أو بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) جزاءهم المستحق (ويعلمون) لمعاينتهم الامر (ان الله هو الحق المبين) الثابت بذاته الظاهر ألوهيته لا يشاركه في

(قوله فاستعمل لكل متعجب الخ) أي استعمل في كل متعجب من غير قصد تنزيه (قوله ويخل بمقصود الزواج الخ) وهو حصول الولد والنسل لان المرأة اذا كانت زانية لم يعلم كون الولد من الزوج (قوله البهوت عليه) هو النبي والصديق وابنته وغيرهم (قوله ولا يقرره عليها) لاحاجة الى ذلك بعد قوله ولا يجوز الكشخنة بل تركه أولى (قوله الحد والسعير) لا يقال من حد في الدنيا فحده كفارة له لذنبه ولم يدخل النار بسبب ذنبه الموجب للحد فكيف يستحق الحد والسعير معا لانا نقول مفهوم الآية ان السعير بسبب حب اشاعة الفاحشة والحد بسبب القول الفاحش (قوله أو لموصوفات) لانه اذا نهى عن التقصير في اعطاء كل ما كان ذا قربى وكل ما اتصف بالمسكنة وكل من اتصف بالهجرة فالنهي عن التقصير في اعطاء من كان جامعا للصفات المذكورة كان أولى وهذا هو المقصود (قوله لا للعذاب الخ) أي العذاب مصدر والمصدر الموصوف لا يعمل (قوله للتقديم الخ) أي لتقديم الفعل على الفاعل المؤنث والفصل الجار والمجرور بينهما

ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه أو ذو الحق البين أى العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أى الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك أهل الطيب فيكون كالدليل على قوله (أولئك) يعنى أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم أو الرسول وعائشة وصفوان رضى الله تعالى عنهم (مبرءون مما يقولون) اذ لو صدق لم تكن زوجته عليه السلام ولم يقرر عليها وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير فى يقولون للافكين أى مبرءون مما يقولون فيهم أو للخبيثين والخبيثات أى مبرءون من أن يقولوا مثل قولهم (لهم مغفرة ورزق كريم) يعنى الجنة ولقد برأ الله أربعة بأربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها وموسى عليه الصلاة والسلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة رضى الله عنها بهذه الآيات الكريمة مع هذه المبالغة وماذلك الا لاظهار منصب الرسول صلى الله عليه وسلم واعلاء منزلته (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) التى لا تسكنونها فان الآجر والمعير أيضا لا يدخلان الا باذن (حتى تستأنسوا) تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشئ اذا أبصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله أو يؤذن له أو من الاستئناس الذى هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فاذا أذن له استأنس أو تنعرفوا هل ثم انسان من الانس (وتسلموا على أهلها) بان تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه عليه الصلاة والسلام التسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان أذن له دخل والا رجع (ذلكم خير لكم) أى الاستئذان أو التسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة أو من تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا أو حييتم مساء ودخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف وروى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمى قال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال لا قال فاستأذن (لعلكم تذكرون) متعلق بمحذوف أى أنزل عليكم أو قيل لكم هذا ارادة أن تذكروا وتعملوا بما هو أصلح لكم (فان لم تجدوا فيها أحدا) يأذن لكم (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى يأتى من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع أن التصرف فى ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق أو غرق أو كان فيه منكر ونحوها (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) ولا تلحوا (هو أزكى لكم) الرجوع أطهر لكم عملا بخلق الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروأة أو أنفع لدينكم ودنياكم (والله بما تعملون عليم) فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) كالربط والخوانيت والخانات والخانقات (فيها متاع) استمتاع (لكم) كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) وعيد لمن دخل مدخلا لفساد أو تطلع على عورات (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أى ما يكون نحو محرم (ويحفظوا فروجهم) الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم وما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض أطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها (ذلك أزكى لهم) أنفع لهم أو أطهر لما فيه من البعد عن الريبة (ان الله خبير بما يصنعون) لا يخفى عليه اجالة أبصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه فى كل حركة وسكون

(قوله ذلكم خير لكم) يفهم منه ان الخبر فى قوله ذلكم خير لكم اما مجرد عن التفضيل واما أن يكون التفضيل تقديريا وأما ما قاله من قوله من أن تدخلوا بغتة أو من تحية أهل الجاهلية ففيه انه لا حسن فى واحد منهما فلا وجه لاعتبار التفضيل الا بما ذكرنا

(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال (ويحفظن فروجهن) بالستر أو الحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا (ولا يبدين زينتهن) كالحلى والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل أن تبدى له (الا ما ظهر منها) عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في ستره حرجا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف أو مايعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانهما ليست بعورة والاظهر أن هذا في الصلاة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شئ منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) ستر الاعناق بهن وقرأ نافع وعاصم وأبو عمر ووهشام بضم الجيم (ولا يبدين زينتهن) كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له (الا لبعولتهن) فانهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا الى جميع بدنها حتى الفرج بكره (او آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن) لكثرة مداخلهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظر وا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان أو لان الاحوط أن يتسترن عنهم نظرا أن يصفوهن لابنائهم (أو نسائهن) يعني المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال أو النساء كالهن وللعلماء في ذلك خلاف (أو ما ملكت أيمانهن) يعم الاماء والعبيد لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه الصلاة والسلام انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي منها (أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال) أي أولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهرم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيأ من أمور النساء وقرأ ابن عامر وأبو بكر غير بالنصب على الحال (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) ليقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في الرجال وهو أبلغ من النهي عن اظهار الزينة وأدل على المنع من رفع الصوت (وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون) اذ لا يكاد يخلو أحد منكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كما يتذكر وقرأ ابن عامر أيه المؤمنون وفي الزخرف يأيه الساحر وفي الرحمن أيه الثقلان بضم الهاء في الوصل في الثلاثة والباقون بفتحها ووقف أبو عمرو والكسائي عليهن بالالف ووقف الباقون بغير الالف (لعلكم تفلحون) بسعادة الدارين (وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم) لما نهى عما عسى يفضى الى السفاح الحمل بالنسب المقتضى للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بأمر النكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبهما واشعار بأن المرأة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبد الواجب على الولي والمولى وأيامى مقلوب أيايم كيتامى جمع أيم وهو العزب ذكرا كان أو أنثى بكرا كان أو ثيبا قال

(قوله لكنه يجب الندم عليه الخ) قال العلماء من أذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما يذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه الى أن يلقى ربه عز وجل

(قوله ولما كان المستثنى منه الخ) أي لما كان المستثنى من لفروج كالشاذ النادر أطلق الفروج ولم يذكر المستثنى بخلاف الغض فان مالم يغض البصر عنه كثير فلذا قيل يغضوا من أبصارهم

فان تنكحى أنكح وان تتأيمى * وان كنت أفنى منكم أتأيم

وتخصيص الصالحين لأن احصان دينهم والاهتمام بشأنهم أهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) ردلما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح أو وعد من الله بالاغناء لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى فى هذه الآية لكن مشروط بالمشيئة كقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء (والله واسع) ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تتناهى قدرته (عليم) يبسط الرزق و يقدر على ما تقتضيه حكمته (وليستعفف) وليجتهد فى العفة وقع الشهوة (الذين لا يجدون نكاحا) أسبابه و يجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به أو بالوجدان التمكن منه (حتى يغنيهم الله من فضله) فيجدوا ما يتزوجون به (والذين يبتغون الكتاب) المكاتبة وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا أدى المال أو لانه مما يكتب لتأجيله أو من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض (مما ملكت أيمانكم) عبدا كان أو أمة والموصول لبعلقه مبتدأ خبره (فكاتبوهم) أو مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عندا كثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالية ضعيف لان المطلق لا يعم مع أن العجز عن الاداء فى الحال يمنع صحتها كما فى السلم فيما لا يوجد عند المحل (ان علمتم فيهم خيرا) أمانة وقدرة على أداء المال بالاحتراف وقد روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا فى الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) أمر للموالى كما قبله بأن يبذلوا لهم شيأ من أموالهم وفى معناه حط شئ من مال الكتابة وهو الواجب عند الاكثر و يكفى أقل ما يتمول وعن على رضى الله تعالى عنه يحط الربع وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد أن يؤدوا و يعتقوا وقيل أمر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة و يحل للموالى وان كان غنيا لانه لا يأخذه صدقة كالدائن والمشترى و يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية (ولا تكرهوا فتياتكم) اماءكم (على البغاء) على الزنا كانت لعبد الله بن أبى ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (ان أردن تحصنا) تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهى عنه وايثارا ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) أى لهن أوله ان تاب والاول أوفق للظاهر ولما فى مصحف ابن مسعود رضى الله تعالى عنه من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه أن المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافى المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل وأوجب عليه القصاص (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) يعنى الآيات التى بينت فى هذه السورة وأوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى بالكسر فى هذا وفى الطلاق لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين أو لانها بينت الاحكام والحدود (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) أى ومثلا من أمثال من قبلكم أى وقصة عجيبة مثل قصصهم وهى قصة عائشة رضى الله تعالى عنها فانها كقصة يوسف

(قوله و يجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به) وهو المهر فان قيل هذا يدل على أن للنكاح أسبابا غير المهر فاهى قلنا يجوز أن يراد النفقة والكسوة وان يراد ما هو أعم مثل مسكن لائق بسكنى الزوجة (قوله وضعفه ظاهر لفظا ومعنى) اما لفظا فلان المناسب حينئذ أن يقال ان علمتم لهم خيرا واما معنى فلأن المكاتب لا مال له حين الكتابة عليه لان ما فى يده حينئذ مال صاحبه (قوله لجواز أن يكون ارتفاع النهى الخ) أى ارتفاع النهى عن الاكراه فى صورة ارادة التحصن لا لجواز الاكراه بل لانه لا معنى للنهى عن الاكراه فيها

(يهدى الله لنوره) لهذا النور الثاقب (من يشاء) فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها (و يضرب الله الامثال للناس) ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا و بيانا (والله بكل شئ عليم) معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها (فى بيوت) متعلق بما قبله أى كمشكاة فى بعض بيوت أو توقد فى بيوت فيكون تقييدا للمثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون أعظم وتمثيلا لصلاة المؤمنين وأبدانهم بالمساجد ولا يناف جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها مامله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة أو بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا بد كرلانه من صلة أن لا فلا يعمل فيما قبله أو بمحذوف مثل سبحوا فى بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم (أذن الله أن ترفع) بالبناء أو التعظيم (و يذكر فيها اسمه) عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة فى أفعاله والمباحثة فى أحكامه (يسبح له فيها بالغدو والآصال) ينزهونه أى يصلون له فيها بالغدوات والعشيات والغدو مصدر أطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع أصيل وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل وقرأ ابن عامر وأبو بكر يسبح بالفتح على اسناده الى أحد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ نسبح بالتاء مكسورا التأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى أوقات الغدو (رجال لا تلهيهم تجارة) لا تشغلهم معاملة رابحة (ولا بيع عن ذكر الله) مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان أريد به مطلق المعاوضة أو بافرادها وأهم من قسمى التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء وقيل المراد بالتجارة الشراء فانه أصلها ولهم ميدؤها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر فى كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار (واقام الصلوة) عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله * وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا * (وايتاء الزكوة) ما يجب اخراجه من المال للمستحقين (يخافون يوما) مع ما هم عليه من الذكر و لطاعة (تتقلب فيه القلوب والابصار) تضطرب وتتغير من الهول أو تتقلب أحوالها فتفقه القلوب مالم تكن تفقهه وتبصر الابصار مالم تكن تبصره أو تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من أى ناحية يؤخذ بهم و يؤتى كتابهم (ليجزيهم الله) متعلق بيسبح أو لا تلهيهم أو يخافون (أحسن ما عملوا) أحسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة (و يزيدهم من فضله) أشياء لم يعدهم بها على أعمالهم ولم تخطر ببالهم (والله يرزق من يشاء بغير حساب) تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة فوسعة الاحسان (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) والذين كفروا أعمالهم على ضد ذلك فان أعمالهم التى يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة فى العاقبة كالسراب وهو ما يرى فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب أى يجرى والقيعة بمعنى القاع وهو الارض الخالية عن النبات وغيره المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات فى ديمة (يحسبه الظمآن ماء) أى العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به فى شدة الخيبة عند ما يئس الحاجة (حتى اذا جاءه) جاء ما توهمه ماء أو موضعه (لم يجده شيأ) مما ظنه (ووجد الله عنده) عقابه أو زبانيته أو وجده محاسبا اياه (فوفاه حسابه) استعارضا أو مجازاة (والله سريع الحساب) لا يشغله حساب عن حساب روى أنها نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية تعبد فى الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر (أو كظلمات) عطف على كسراب أو للتخيير فان أعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج لبحر والامواج والسحاب أو للتنويع فان أعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات أو للتقسيم باعتبار وقتين

للمشكاة ولا للزجاجة (قوله أو تمثيلا لصلاة المؤمنين الخ) لا يخفى ان جعل المراد من البيوت الصلاة أو الابدان لا يظهر له وجه يعبابه ولذا لم يوجد فى الكشاف ولا فى النيسابورى (قوله وقرئ بالتاء مكسورا الخ) المراد من قوله مكسورا مكسور الباء التحتانية وفى الكشاف وقرئ يسبح بالياء وكسر الباء وعن أبى جعفر بالياء وفتح الباء ووجهها أن يسند الى أوقات الغدو والآصال على زيادة الباء بجعل الاوقات مسبحة

فانها كالظلمات فى الدنيا وكالسراب فى الآخرة (فى بحر لجى) ذى لج أى عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء (يغشاه) يغشى البحر (موج من فوقه موج) أى أمواج مترادفة متراكمة (من فوقه) من فوق الموج الثانى (سحاب) غطى النجوم وحجب أنوارها والجملة صفة أخرى للبحر (ظلمات) أى هذه ظلمات (بعضها فوق بعض) وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى أو باضافة السحاب اليها فى رواية البزى (اذا أخرج يده) وهى أقرب مايرى اليه (لم يكد يراها) لم يقرب أن يراها فضلا أن يراها كقول ذى الرمة

اذا غير النأى المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

والضمائر للواقع فى البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه (ومن لم يجعل الله له نورا) ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها (فماله من نور) خلاف الموفق الذى له نور على نور (ألم تر) ألم تعلم علما يشبه المشاهدة فى اليقين والوثاقة بالوحى أو الاستدلال (أن الله يسبح له من فى السموات والارض) ينزهه ذاته عن كل نقص وآفة أهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء أو الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال أو دلالة حال (والطير) على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيد ها بقوله (صافات) فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف فى الجو صافة باسطة أجنحتها مما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع تعالى ولطف تدبيره (كل) كل واحد مما ذكر أو من الطير (قد علم صلاته وتسبيحه) أى قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا أو طبعا لقوله (والله عليم بما يفعلون) أو علم كل على تشبيه حاله فى الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع أنه لا يبعد أن يلهم الله تعالى الطير دعاء وتسبيحا كما ألهمها علوما دقيقة فى أسباب تعيشها الاتكاد تهتدى اليها العقلاء (ولله ملك السموات والارض) فانه الخالق لهما ومافيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب (والى الله المصير) مرجع الجميع (ألم تر أن الله يزجى سحابا) يسوقه ومنه البضاعة المزجاة فانه يزجيها كل أحد (ثم يؤلف بينه) بأن يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض و بهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين أجزائه وقرأ نافع برواية ورش يولف غير مهموز (ثم يجعله ركاما) مترا كما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه جمع خلل كجبال فى جبل وقرئ من خلله (و ينزل من السماء) من الغمام وكل ما علاك فهو سماء (من جبال فيها) من قطع عظام تشبه الجبال فى عظمها أو وجودها (من برد) بيان للجبال والمفعول محذوف أى ينزل مبتدأ من السماء من جبال فيها من برد برادا و يجوز أن تكون من الثانية أو الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما فى الارض جبال من حجر وليس فى العقل قاطع يمنعه والمشهور أن الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض و ينعقد سحابا و ينزل منه المطر أو الثلج وكل ذلك لابد أن يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على أنها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها وأوقاتها واليه أشار بقوله (فيصيب به من يشاء و يصرفه عمن يشاء) والضمير للبرد (يكاد سنا برقه) ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو و بادغام الدال فى السين و برقه بضم الباء وفتح الراء وهو جمع رقة وهى المقدار من البرق كالغرفة و بضمها للاتباع (يذهب بالابصار) بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك أقوى دليل على كمال قدرته من

(قوله والضمائر للواقع) أى الضمائر فى أخرج وفى يده وفى لم يكد يراها (قوله دلالة حال) دلالة الحال هو أن غير ذوى العقول لا يعنى بها من يد عناية (قوله تعالى والله عليم بما يفعلون) دليل على ان فاعل علم هو الله تعالى ولك أن تقول لو كان فاعله هو الله تعالى لزم التكرار (قوله على تشبيه حاله فى الدلالة الخ) ووجه الشبه ان من علم صلاته وتسبيحه دل على الحق بالمقال كما ان ماذكر دال على الحق أيضا لا أن يقال انه تعميم بعد تخصيص

حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور أو بما يعم ذلك (ان فى ذلك) فيما تقدم ذكره (لعبرة لاولى الابصار) لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضى اليها لمن يرجع الى بصيرة (والله خلق كل دابة) حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائى خالق كل دابة بالاضافة (من ماء) هو جزء مادته أو ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس بصلة لخلق (فمنهم من يمشى على بطنه) كالحية وانما سمى الزحف مشيا على الاستعارة أو المشاكلة (ومنهم من يمشى على رجلين) كالانس والطير (ومنهم من يمشى على أربع) كالنعم والوحش ويندرج فيه ماله أكثر من أربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على أربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو أعرف فى القدرة (يخلق الله ما يشاء) مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيآت والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته (ان الله على كل شئ قدير) فيفعل ما يشاء (لقد أنزلنا آيات مبينات) للحقائق بانواع الدلائل (والله يهدى من يشاء) بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها (الى صراط مستقيم) هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) نزلت فى بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبى صلى الله عليه وسلم وقيل فى مغيرة بن وائل خاصم عليا رضى الله عنه فى أرض فابى أن يحاكمه الى رسول الله صلى الله وسلم (وأطعنا) أى وأطعناهما (ثم يتولى) بالامتناع عن قبول حكمه (فريق منهم من بعد ذلك) بعد قولهم هذا (وما أولئك بالمؤمنين) اشارة الى القائلين بأسرهم فيكون اعلاما من الله تعالى بأن جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم أو الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون فى الايمان والثابتون عليه (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) أى ليحكم النبى صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه صلى الله عليه وسلم فى الحقيقة حكم الله تعالى (اذا فريق منهم معرضون) فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بأنك لا تحكم لهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه (وان يكن لهم الحق) أى الحكم لا عليهم (يأتوا اليه مذعنين) منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم واليه صلة ليأتوا أو لمذعنين وتقديمه للاختصاص (أفى قلوبهم مرض) كفر أو ميل الى الظلم (أم ارتابوا) بان رأوا منك تهمة فزال يقينهم وثقتهم بك (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) فى الحكومة (بل أولئك هم الظالمون) اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم أو فى الحاكم والثانى اما أن يكون محققا عندهم أو متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط أمانته صلى الله عليه وسلم يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفى ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) على عادته تعالى فى اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغى بعد انكاره لما لا ينبغى وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم (ومن يطع الله ورسوله) فيما يأمرانه أو فى الفرائض والسنن

(قوله توليد للضد من الضد الخ) أى توليد النار من المادة المائية التى هى البرد الخ (قوله ليوافق التفصيل) من لفظ من فى المواضع الثلاثة الاجمال المذكور فى هم الذى هو لتغليب العقلاء

(ويخش الله) على ماصدرعنه من الذنوب (ويتقه) فيما بقى من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وأبو بكر وأبو عمرو بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه بكتف وخفف والهاء ساكنة فى الوقف بالاتفاق (فأولئك هم الفائزون) بالنعيم المقيم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) انكار للامتناع عن حكمه (لئن أمرتهم) بالخروج عن ديارهم وأموالهم (ليخرجن) جواب لاقسموا على الحكاية (قل لاتقسموا) على الكذب (طاعة معروفة) أى المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين على الطاعة النفاقية المنكرة أوطاعة معروفة أمثل منها أولتكن طاعة وقرئت بالنصب على أطيعوا طاعة (ان الله خبير بما تعملون) فلايخفى عليه سرا ركم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أمر بتبليغ ماخاطبهم الله به على الحكاية مبالغة فى تبكيتهم (فان تولوا فانما عليه) أى على محمد صلى الله عليه وسلم (ماحمل) من التبليغ (وعليكم ماحملتم) من الامتثال (وان تطيعوه) فى حكمه (تهتدوا) الى الحق (وماعلى الرسول الا البلاغ المبين) التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد أدى وانما بقى ماحملتم فان أديتم فلكم وان توليتم فعليكم (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وللامة أوله ولمن معه ومن للبيان (ليستخلفنهم فى الارض) ليجعلنهم خلفاء متصرفين فى الارض تصرف الملوك فى مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أوالوعد فى تحققه منزل منزلة القسم (كما استخلف الذين من قبلهم) يعنى بنى اسرائيل استخلفهم فى مصر والشام بعد الجبابرة وقرأ أبو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا ابتدأ ضم الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدؤا كسروا الالف (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت (وليبدلنهم من بعد خوفهم) من الاعداء وقرأ ابن كثير وأبو بكر بالتخفيف (أمنا) منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة وا بعشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى أنجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار عن الغيب على ماهو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذلم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه فى الآخرة (يعبدوننى) حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أواستئناف ببيان المقتضى للاستخلاف والامن (لايشركون بى شيأ) حال من الواو أى يعبدوننى غير مشركين (ومن كفر) ومن ارتد أوكفر هذه النعمة (بعد ذلك) بعد الوعد أوحصول الخلافة (فاولئك هم الفاسقون) الكاملون فى فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات أوكفروا تلك النعمة العظيمة (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول) فى سائر ما أمركم به ولايبعد عطف ذلك على أطيعوا الله فان الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكرارا لامر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأكيد وتعليق الرحمة بها أو بالمذكور هى فيه بقوله (لعلكم ترحمون) كما علق به الهدى (لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض) لاتحسبن يامحمد الكفار معجزين لله عن ادراكهم واهلاكهم فى الارض صلة معجزين وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على أن الضمير فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم والمعنى كما هو فى القراءة بالتاء والذين كفروا فاعل والمعنى ولايحسبن الكفار فى الارض أحدا معجزين الله فيكون معجزين فى الارض مفعوليه أولايحسبونهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشئ واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث (ومأواهم النار) عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا يئسوا معجزين ومأواهم النار لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز (ولبئس المصير) المأوى الذى يصيرون اليه (ياأيها الذين

جوابا بالقسم بل لخرجنا
لان قولهم هو والله لئن أمرتنا لنخرجنا فالمناسب أيضا أن يكون بل لخرجنا
جواب القسم فى الكلام الذى حكى عنهم لكن ارادة حكاية الحال الماضية تصوره بصيغة الحال (قوله الموعود والموعود عليه الموعود هو الاستخلاف والامن من بعد الخوف والموعود عليه هو الايمان وعمل الصالحات (قوله ماخاطبهم الله الخ) أى اظهر أن يقال وأطيعونى وانما قيل أطيعوا الرسول حكاية لكلام الله تعالى وأما التبكيت فباعتبار ان ذكر رسول الله موجب للاطاعة
(قوله ومن للبيان الخ) وانما كان للبيان لان المخاطبين هم المؤمنون فلا يصلح من أن يكون للتبعيض (قوله وتعليق الرحمة الخ) أى تعليق الرحمة بطاعة الرسول أو بالشئ الذى يندرج فيه طاعة الرسول وهو مجموع ماذكر من اقامة الصلاة وغيرها
(قوله ولايحسبن الكفار أحدا الخ) لك أن تقول اذا كان المعنى انه لايحسبن الكفار فى الارض أحدا معجزا لله فما فائدة التعبير بلفظ الجمع مع أن التعبير به يوجب نفى جماعة المعجزين

ولاينفى مطلق المعجز و يمكن أن يقال المقصود ماذكر لكن عبر بلفظ الجمع لان ظاهر حال الكفار وتفرقهم بفرق مختلفة واتخاذ كل

آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ من الاطيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روى أن غلام أسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ملاعيج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله تعالى عنه لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت هذه الآية (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه أقوى دلائله (ثلاث مرات) في اليوم والليلة مرة (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم وليس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات أو الرفع خبرا لمحذوف أي هي من قبل صلاة الفجر (وحين تضعون ثيابكم) أي ثيابكم لليقظة للقيلولة (من الظهيرة) بيان للحين (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف (ثلاث عورات لكم) أي هي ثلاث أوقات يختل فيها استتاركم ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره ما بعده وأصل العورة الخلل ومنها أعور المكان ورجل أعور وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي ثلاث بالنصب بدلا من ثلاث مرات (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) بعد هذه الاوقات في ترك الاستئذان وليس فيما بينها في آية الاستئذان فينسخها لانه في الصبيان وما يليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين (طوافون عليكم) أي هم طوافون استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلاثة وغيرها بأنها عورات (بعضكم على بعض) بعضكم طائف على بعض أو يطوف بعضكم على بعض (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) أي الاحكام (والله عليم) بأحوالكم (حكيم) فيما شرع لكم (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من أوجب استئذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسما لمماليك فلا يندرجون فيهم (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) كرره تأكيدا ومبالغة في الامر بالاستئذان (والقواعد من النساء) العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحبل (اللاتي لا يرجون نكاحا) لا يطمعن فيه لكبرهن (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أي الثياب الظاهرة كالجلباب والخاء فيه لان اللام في القواعد يعني اللاتي أو لوصفها بها (غير متبرجات بزينة) غير مظهرات زينة مما أمرن باخفائه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن وأصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لاعلاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا أنه خص بتكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال (وأن يستعففن خير لهن) من الوضع لانه أبعد من التهمة (والله سميع) لمقالتهن للرجال (عليم) بمقصودهن (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) نفى لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم أو أكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة أن لا يكون ذلك من طيب قلب أو من اجابة من يدعوهم الى بيوت آبائهم وأولادهم وأقاربهم فيطعمونهم كراهة أن يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن أو قرينة أو كان في أول الاسلام ثم نسخ

فريق الحمايدل على أن كل فريق يعتقد معجزا لله (قوله أن لا يدخلوا علينا) قيل لامزيد للتأكيد كقوله تعالى ما منعك أن لا تسجد وقال العلامة الطيبي الوجه أن يقدر مضاف والمعنى لوددت ان الله عز وجل نهى هؤلاء عما هم عليه من الفعل القبيح ارادة ان لا يدخلوا علينا (قوله وجوابه ان المراد الخ) أي المراد من الاطفال المذكورة ههنا هم الذين جعلوا قسما للمماليك فلا يندرج العبد البالغ من الاطفال (قوله الا انه خص بتكشف المرأة الخ) على هذا يلزم أن يكون بزينة لا حاجة اليها والجواب ان مراده ان التبرج مطلق الاظهار ولكن لا يتعلق في الاستعمال الا بالزينة ولا يقال متبرج كناية

بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام وقيل نفى للحرج عنهم فى القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله ولا ما بعده (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) من البيوت التى فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه السلام أنت ومالك لابيك وقوله عليه السلام ان أطيب ما يأكل المؤمن من كسبه وان ولده من كسبه (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه) وهو ما يكون تحت أيديكم وتصرفكم من ضيعة أو ماشية وكالة أو حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه (أو صديقكم) أو بيوت صديقكم فانهم أرضى بالتبسط فى أموالهم وأسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله اذا لم يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن أو قرينة ولذلك خص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم أو كان ذلك فى أول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على أن لا قطع بسرقة مال المحرم (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) مجتمعين أو متفرقين نزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده أو فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا معه أو فى قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطبائع فى القدارة والنهمة (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت (فسلموا على أنفسكم) على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة (تحية من عند الله) ثابتة بأمره مشروعة من لدنه ويجوز أن تكون من صلة للتحية فانه طلب الحياة وهى من عنده تعالى وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم (مباركة) لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب (طيبة) تطيب بها نفس المستمع وعن أنس رضى الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال لى متى لقيت أحدا من أمتى فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين (كذلك يبين الله لكم الآيات) كرره ثلاثا يزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال (لعلكم تعقلون) أى الحق والخير فى الامور (انما المؤمنون) أى الكاملون فى الايمان (الذين آمنوا بالله ورسوله) من صميم قلوبهم (واذا كانوا معه على أمر جامع) كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة فى الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ أمر جميع (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأذن لهم واعتباره فى كمال الايمان لأنه كالصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم فى الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه ولذلك أعاده مؤكدا على أسلوب أبلغ فقال (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فانه يفيد أن المستأذن مؤمن لا محالة وان الذهاب بغير اذن ليس كذلك (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) مايعرض لهم من المهام وفيه أيضا مبالغة وتضييق للامر (فأذن لمن شئت منهم) تفويض للامر الى رأى الرسول صلى الله عليه وسلم واستدل به على أن بعض الاحكام مفوضة الى رأيه ومن منع ذلك قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقه فكأن المعنى فأذن لمن علمت أن له عذرا (واستغفر لهم الله) بعد الاذن فان الاستئذان ولو لعذر قصور لأنه تقديم لامر الدنيا على أمر الدين (ان الله غفور) لفرطات العباد (رحيم) بالتيسير عليهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز الاعراض والمساهلة فى الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته عليه السلام واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل

(قوله وفصل الاولين بما هو المقتضى لذلك) فان العلم والحكمة اللذين هما الفاصل للاولين المتقدمين مقتضيان لذلك أى لتبيين الآيات وتعقل المؤمنين للآيات مقتضاه والمقصود منه أى من التبيين (قوله أبلغ الخ) الابلغية باعتبار تأكيده بان والحصر المستفاد من أولئك (قوله وتضييق للامر) التضييق باعتبار ذكر البعض (قوله ومن منع ذلك الخ) فيكون الاول بسبب العذر لا لرأى النبى صلى الله عليه وسلم

لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء من وراء الحجرات ولكن بالقابه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت أو لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب أو لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده أخرى فان دعاءه مستجاب (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) ينسلون قليلا قليلا من الجماعة وانظر تسال بتدرج وتدحل (لواذا) ملاوذة بان يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج أو يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كأنه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض أو يصدون عن أمر ه دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى فان الامر له فى الحقيقة أو للرسول فانه المقصود بالذكر (أن تصيبهم فتنة) محنة فى الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) فى الآخرة واستدل به على أن الامر للوجوب فانه يدل على أن ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على خشية المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب (ألا ان لله ما فى السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه) أيها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما أكد علمه بقد لتأكيد الوعيد (ويوم يرجعون اليه) يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز أن يكون الخطاب أيضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات وقرأ يعقوب بفتح الياء وكسر الجيم (فينبئهم بما عملوا) من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه (والله بكل شئ عليم) لا يخفى عليه خافية عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى

﴿سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبارك الذى نزل الفرقان على عبده) تكاثر خيره من البركة وهى كثرة الخير أو تزايد على كل شئ وتعالى عنه فى صفاته وأفعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزاله الفرقان لما فيه من كثرة الخير أو لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره أو الحق والمبطل بالمجازاة أو لكونه مفصولا بعضه عن بعض فى الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته كقوله تعالى ولقد أنزلنا اليكم آيات أو الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية (ليكون) العبد أو الفرقان (للعالمين) للجن والانس (نذيرا) منذرا أو انذارا كالنكير بمعنى الانكار هذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها القوة دليلها أجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة (الذى له ملك السموات والارض) بدل من الاول أو مدح مرفوع أو منصوب (ولم يتخذ ولدا) كزعم النصارى (ولم يكن له شريك فى الملك) كقول الثنوية أثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يلازمه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال (وخلق كل شئ) أحدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته تخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة (فقدره تقديرا) فقدره وهيأه لما أراد منه من

(قوله أو لا تجعلوا دعاءه ربه يقتضى كل دعائه مستجاب البتة لكن فى الترمذى والنسائى عن ماذكره الطيبى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سألت الله ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألته أن لا يهلك أمتى فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها (قوله وحذف المفعول الخ) المفعول المحذوف هو مفعول يخالفون وهو المؤمنين قال العلامة النيسابورى تقول خالفته عن القتال أى جبنت وأقدم هو وخالفته الى القتال أقدمت وجبن هو (قوله فان الامر بالحذر عنه الخ) أى الامر بالحذر عن أحد العذابين يدل على حسن الحذر المشروط بقيام المقتضى له أى قيام مقتضى الشئ الذى يحذر عنه فيدل على وجوده فان الحذر عما لم يتحقق وقوعه ولا وقوع ما يقتضيه ليس بحسن والمراد بقيام المقتضى للشئ ما يقتضى اليه فى الجملة وهو مخالفة الامر فيكون الامر مستلزما للوجوب وفيه ان حسن الحذر لم يشرط بقيام المقتضى ولا تحققه بل مشروط باعتقاد قيامه سواء كان جزما أو ظنا بل الاحتمال كاف ثم ان الواجب ما يقتضى تركه عذاب الآخرة لا أحد العذابين ﴿سورة الفرقان﴾ (قوله وهذه الخصائص الجلية وان لم تكن معلومة الخ) غرضه ان الدلالة يجب أن تكون معلومة للمخاطبين لكن المعاندين المشركين الذين هم المقصودون بالخطاب

الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك أو فقدره للبقاء الى أجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى وأوجد كل شئ فقدره فى ايجاده حتى لا يكون متفاوتا (واتخذوا من دونه آلهة) لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة أخذ فى الرد على المخالفين فيهما (لايخلقون شيأ وهم يخلقون) لان عبدتهم ينحتونهم و يصورونهم (ولا يملكون) ولا يستطيعون (لانفسهم ضرا) دفع ضر (ولا نفعا) ولا جلب نفع (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) ولا يملكون اماتة أحد واحياءه أولا و بعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على أن الاله يجب أن يكون قادرا على البعث والجزاء (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك) كذب مصروف عن وجهه (افتراه) اختلقه (وأعانه عليه قوم آخرون) أى اليهود فانهم يلقون اليه أخبار الامم وهو يعبر عنها بعبارته وقيل جبر و يسار وعداس وقد سبق فى قوله انما يعلمه بشر (فقد جاؤا ظلما) بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود (وزورا) بنسبة ماهو برىء منه اليه وأتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته (وقالوا أساطير الاولين) ماسطره المتقدمون (اكتتبها) كتبها لنفسه أو استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه أمى وأصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وأفضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل و بنى الفعل للضمير فاستتر فيه (فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) ليحفظها فانه أمى لا يقدر أن يكرر من الكتاب أو لتكتب (قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض) لانه أعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة وأشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه أساطير الاولين (انه كان غفورا رحيما) فلذلك لا يعجل فى عقوبتكم على ماتقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم أن يصب عليكم العذاب صبا (وقالوا مال هذا الرسول) مالهذا الذى يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم (يأكل الطعام) كما نأكل (و يمشى فى الاسواق) لطلب المعاش كما نمشى والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما أشار اليه تعالى بقوله قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد (لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) لنعلم صدقه بتصديق الملك (أو يلقى اليه كنز) فيستظهر به و يستغنى عن تحصيل المعاش (أو تكون له جنة يأكل منها) هذا على سبيل التنزل أى ان لم يلق اليه كنز فلا أقل من أن يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائى بالنون والضمير للكفار (وقال الظالمون) وضع الظالمون موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه (ان تتبعون) ماتتبعون (الا رجلا مسحورا) سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة أى بشرا الا ملكا (انظر كيف ضربوا لك الامثال) أى قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة (فضلوا) عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبى والمميز بينه و بين المتنبى فخبطوا خبط عشواء (فلا يستطيعون سبيلا) الى القدح فى نبوتك أو الى الرشد والهدى (تبارك الذى ان شاء جعل لك) فى الدنيا (خيرا من ذلك) مما قالوا لكن أخره الى الآخرة لانه خير وأبقى (جنات تجرى من تحتها الانهار) بدل من خيرا (و يجعل لك قصورا) عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع كقوله

وان أتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

ههنا منكرون له فأجاب بان هذه الصلة وان لم تكن معلومة لهم لكنها فى حكم المعلوم لقوة دليلها (قوله وقد يطلق الخلق لمجرد الخ) حق العبارة أن يقال فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق وهكذا قاله صاحب الكشاف والمعنى من غير نظر الى ما اعتبر فى الخلق بمعنى التقدير (قوله خليل) من الخلة وهى الفقر و يقال مالى حرم اذا كان لا يعطى منه

(قوله وقرئ بالنصب على أنه جواب بالواو الخ) فشبه الشرط والجزاء بالتمنى فى عدم تحقق وقوعهما حال المشارطة فكما يجوز نصب الفعل بعد التمنى كذلك بعد الجزاء (قوله فانه أعجب منه الخ) لان أمر الساعة تقرر فى ألسنة الانبياء المتقدمة واشتهر بين الامم (قوله لانتراءى ناراهما الخ) أى يجب على المسلم أن يباعد منزله عن منزل المشرك ولا ينزل بالمنزل الذى اذا أوقدت فيه نار تلوح وتظهر لنار المشرك واسناد الرؤية الى النار على سبيل (٩٠) المجاز والمقصود رؤية أهلها (قوله الى الكمثرى الجنة الخ) أى الكمثرى والجنة اللتين ذكرهما المشركون بقولهم أو يلقى اليه كنز (قوله يعنى كانت لهم جزاء) يعنى ان قوله تعالى كانت لهم جزاء بتقدم الظرف يدل على اختصاص الجنة بالمتقين لا يدخل غيرهم فيها مع انه يدخل فيها عصاة المؤمنين فأجاب أولا بأن الجنة للمتقين ويتفضل بها على غيرهم باذنهم كما ان المالك يهب ملكه لغيره بأن يجعله شريكا فيه وثانيا بأنه يجوز ان يراد بالمتقين المؤمنون مطلقا والتقوى هى التقوى عن الكفر (قوله الى الاعجاز) لك أن تقول فيه ان الاعجاز واجب فهو ملجأ اليه لانه بعد الوعد وخلف الوعد على الله تعالى محال لانه نقص لا يليق بكرمه الا أن يقال المراد بالالجاء الى الشئ أن لا يحصل ذلك الشئ بالارادة بل بالقسر ومن هنا يتبين معنى قوله فان تعلق الارادة بالموعود مقدم الخ أى لما كان حصول الموعود بالارادة لم يحصل الالجاء لكن فى التقدم المذكور نظر اذ ارادة الموعود من الله تعالى مستلزم لحصول الموعود وبعد حصول الموعود لا معنى للوعد ويمكن أن يقال مراده من ارادة الموعود انه تعالى أراد فى الازل حصول الموعود فى زمان معين من الازمنة المستقبلة فتتعلق ارادته تعالى فى الماضى بوجود الموعود فى المستقبل فاذا حصل ذلك الزمان المعين حصل الموعود وهذه الارادة لا تنافى الوعد لانها قبل حصول الموعود ثم بعد تعلق الارادة حصل الوعد ثم بعد الوعد حصل الموعود بمقتضى تعلق الارادة الازلية وتحقيق هذا المقام وهو تعلق الارادة أولا بوجود شئ فى زمان من الازمنة المستقبلة مذكور فى شرحنا التهذيب الكلام فليطلب منه

(قوله ويجوز أن يكون استئنافا بوعد ما يكون له فى الآخرة وقرئ بالنصب على أنه جواب بالواو (بل كذبوا بالساعة) فتصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا أن الكرامة انما هى بالمال فطغوا فيبك لفقرك أو فانا لذلك كذبوك لانا نمحلوا من المطاعن الفاسدة أو فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله تلك فى الآخرة أو فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه أعجب منه (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) ناراشديدة الاستعار وقيل هواسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان (اذا رأتهم) اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما أى لا تتقارا بان بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار أو وجهنم (من مكان بعيد) هو أقصى ما يمكن أن يرى منه (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) صوت تغيظ شبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف (واذا ألقوا منها مكانا) فى مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا (ضيقا) لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها كعرض السموات والارض (مقرنين) قرنت أيديهم الى أعناقهم بالسلاسل (دعوا هنالك) فى ذلك المكان (ثبورا) هلا كا أى يتمنون الهلاك و ينادونه فيقولون تعال يا ثبور اه فهذا حينك (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا) أى يقال لهم ذلك (وادعوا ثبورا كثيرا) لان عذابكم أنواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته أو لانه يتجدد لقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب أولانه لا ينقطع فهو فى كل وقت ثبور (قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون) الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والتقريد للتقريع مع التهكم أو الى الكمثرى الجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح أو للدلالة على خلودها أو التمييز عن جنات الدنيا (كانت لهم) فى علم الله أو اللوح أو لان ما وعده الله تعالى فى تحققه كالواقع (جزاء) على أعمالهم بالوعد (ومصيرا) ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم أن يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز أن يراد بالمتقين من يتقى الكفر والتكذيب لانهم فى مقابلتهم (لهم فيها ما يشاؤن) ما يشاؤنه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذا الظاهر ان الناقص لا يدرك شأو الكامل بالتشهى وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا فى الجنة (خالدين) حال من أحد ضميرهم (كان على ربك وعدا مسؤلا) الضمير فى كان لما يشاؤن والوعد الموعود أى كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل و يطلب أو مسؤلا سأله الناس فى دعائهم بناء آتنا ما وعدتنا على رسلك أو الملائكة بقولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومافى على من معنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده تعالى ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد

الموجب للانجاز (ويوم نحشرهم) للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء (ومايعبدون من دون الله) يعم كل معبود سواه تعالى واستعمال ما اما لان وضعه أعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولايعرف أولانه أريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم أولتغليب الاصنام تحقيرا أواعتبارا لغلبة عبادها أو يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب أو الاصنام ينطقها الله أوتتكلم بلسان الحال كما قيل فى كلام الايدى والارجل (فيقول) أى للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون (أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة وأصله أأضللتم أم ضلوا فغير النظم ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولى للفعل دونه لانه لاشبهة فيه والالما توجه العتاب وحذف صلة الضل مبالغة (قالوا سبحانك) تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة أو أنبياء معصومون أو جمادات لاتقدر على شئ أو اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده أو تنزيها لله تعالى عن الانداد (ما كان ينبغى لنا) مايصح لنا (أن نتخذ من دونك من أولياء) للعصمة أو لعدم القدرة فكيف يصح لنا أن ندعو غيرنا أن يتولى أحدا دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذى له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثانى من أولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفى (ولكن متعتهم وآباءهم) بأنواع النعم فاستغرقوا فى الشهوات (حتى نسوا الذكر) حتى غفلوا عن ذكرك أو التذكر لآلائك والتدبر فى آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى مافعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ماذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة (وكانوا) فى قضائك (قوما بورا) هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع أو جمع بائر كعائذ وعوذ (فقد كذبوكم) التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون (بما تقولون) فى قولكم انهم آلهة أو هؤلاء أضلونا والباء بمعنى فى أو مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء أى كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا (فما يستطيعون) أى المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين (صرفا) دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف أى يحتال (ولا نصرا) يعينكم عليه (ومن يظلم منكم) أيها المكلفون (نذقه عذابا كبيرا) هى النار والشرط وان عم كل من كفر أو فسق لكنه فى اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق) أى الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه كقوله تعالى ومامنا الا له مقام معلوم ويجوز أن تكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وقرئ يمشون أى تمشيهم حوائجهم أو الناس (وجعلنا بعضكم) أيها الناس (لبعض فتنة) ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ماقالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر (أتصبرون) علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا أو حث على الصبر على ماافتتنوا به (وكان ربك بصيرا) بمن يصبر أو بالصواب فيما يبتلى به وغيره (وقال الذين لايرجون) لايأملون (لقاءنا) بالخير لكفرهم بالبعث أو لايخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة وأصل اللقاء الوصول الى الشئ ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئى والمراد به

(قوله لانه لاشبهة فيه) أى فى الاضلال والضلال اذ لوشك فى وجودهما لما حسن العتاب المستفاد من قوله تعالى أأنتم أضللتم (قوله وقرئ لانتخذ) بصيغة المتكلم المجهول (قوله ومفعوله الثانى من أولياء) فان من أولياء مفعول أن نتخذ واذا قرئ بصيغة المتكلم المجهول كان له مفعول هو ضمير المتكلم

(قوله واللام جواب قسم الخ) لانه جملة قسمية دلت على شدة استكبارهم بحيث تقتضي التعجب (قوله وجارة) الجارة اسم امرأة هي بنوس صاحبة ناقة جساس وجساس اسم رجل هو قاتل كليب والناب ناقته يقال نابا بأي ناقتنا وهذا البيت يدل على قصة وهي ان كليبا رعى الناقة المذكورة فقتلها فشكت الجارة الى جساس فقتل جساس كليبا ومعنى علت ناب الخ انه علا قدر ناب الناقة التي كليب بواؤها أي كليب قصاصها والاستشهاد في علت ناب كليب بواؤها فانه يقتضي التعجب (قوله وظرف) معطوف على قوله تكرير أي يوم تكرير أو خبر اوظرف (قوله ولا يلزم من نفي البشرى الخ) لانه اذا كان لا بشرى يومئذ للمجرمين مطلقا فلا بشرى للكافرين بطريق الاولى (قوله غير انه لما اختص بوضع مخصوص) وهو موضع لقاء العدو وهجوم المكروه الخ غير حجرا لما ذكر ولا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه للاشعار بتغيره عن حالته الاصلية والمراد من عدم التصرف انه لا يستعمل الا منصوبا على المصدر (قوله مكان القيلولة على التشبيه) أي المقيل في الاصل محل القيلولة فاستعماله ههنا على التشبيه أو لان المكان الذي يؤوى اليه القيلولة غالبا واما لا يخلو عن النوم غالبا واما لتزم ذلك لانه لا نوم في الجنة حتى يمكن أن يستعمل المقيل ههنا بمعناه الحقيقي والمراد من قوله على التشبيه تشبيه مكان الاستراحة بمكان القيلولة والمراد من قوله أو لانه لا يخلو من ذلك غالبا انه لا يخلو مكان القيلولة عن الاستراحة فكانت القيلولة مستلزمة له غالبا فأطلق القيلولة واريد به الاستراحة بطريق المجاز المرسل ثم أطلق المقيل وأريد به مكان الاستراحة ونافع

الوصول الى جزائه ويمكن أن يراد به الرؤية على الاول (لولا) هلا (أنزل علينا الملائكة) فنخبرنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل فيكونوا رسلا الينا (أو نرى ربنا) فيأمرنا بتصديقه واتباعه (لقد استكبروا في أنفسهم) أي في شأنها حتى أرادوا لها ما يتفق لأفراد من الانبياء الذين هم أكمل خلق الله في أكمل أوقاتها وما هو أعظم من ذلك (وعتوا) وتجاوزوا الحد في الظلم (عتوا كبيرا) بالغا أقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها واقترحوا لأنفسهم الخبيثة ماسدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله

وجارة جساس أبا بنابها * كليبا علت ناب كليب بواؤها

(يوم يرون الملائكة) ملائكة الموت أو العذاب و يوم نصب باذكر أو بما دل عليه (لا بشرى يومئذ للمجرمين) فانه يمنعني يمنعون البشرى أو يعدمونها و يومئذ تكرير أو خبر للمجرمين تبيين أو خبر ثان أو ظرف لما يتعلق به اللام أو لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لافانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها (و يقولون حجرا محجورا) عطف على المدلول أي و يقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله تعالى أن يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو أو هجوم مكروه أو تقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة أو البشرى وقرئ حجرا بالضم وأصله الفتح غير أنه لما اختص بوضع مخصوص غير كقعدك وعمرك لذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه وصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) أي وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة لرحم واغاثة الملهوف فأحبطناه فقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم وأعمالهم بحال قوم استعصوا على سلطانهم فقدم الى أشيائهم فمزقها وأبطلها ولم يبق لها أثرا والهباء غبار يرى في شعاع يطلع من الكوة من الطبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه عملهم المحبط بالهباء في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه أو تفرقه نحو أغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها أو مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله تعالى كونوا قردة خاسئين (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) مكانا يستقر فيه في أكثر الاوقات للتجالس والتحادث (وأحسن مقيلا) مكانا يؤوى اليه للاستراحة بالازواج والتمتع بهن تجوزا لهم من مكان القيلولة على التشبيه أو لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم في الجنة وفي أحسن رمز الى ما يتميز به مقيلهم من حسن الصور وغيره من المحاسن و يحتمل ان يراد بأحدهما المصدر أو الزمان اشارة الى أن مكانهم وزمانهم أطيب مما يتخيل من الا مكنة والازمنة والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا أو بالاضافة الى ما للمترفين في الدنيا روي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار (و يوم تشقق السماء) أصله تتشقق فحذفت التاء وأدغمها ابن كثير

ونافع وابن عامر ويعقوب (بالغمام) بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور فى قوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة (ونزل الملائكة تنزيلا) فى ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل وقرىء ونزلت وأنزل ونزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة (الملك يومئذ الحق للرحمن) الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته أو تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر أو صفته والخبر يومئذ أو للرحمن (وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا (ويوم يعض الظالم على يديه) من فرط الحسرة وعض اليدين وأكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن أبى معيط كان يكثر مجالسة النبى صلى الله عليه وسلم فدعاه الى ضيافته فابى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن آلى أن لا يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له فقال لا أرضى منك الا أن تاتيه فتطأ قفاه وتبزق فى وجهه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا فقتله وطعن أبيا باحد فى المبارزة فرجع الى مكة ومات (يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا) طريقا الى النجاة أو طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بى طرق الضلالة (يا ويلتى) وقرىء بالياء على الاصل (ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) يعنى من أضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس (لقد أضلنى عن الذكر) عن ذكر الله أو كتابه أو موعظة الرسول أو كلمة الشهادة (بعد اذ جاءنى) وتمكنت منه (وكان الشيطان) يعنى الخليل المضل أو ابليس لانه جلة على مخالته ومخالفة الرسول أو كل من تشيطن من جن وانس (للانسان خذولا) يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان (وقال الرسول) محمد يومئذ أو فى الدنيا بثا الى الله تعالى (يارب ان قومى) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) بان تركوه وصدوا عنه وعنه عليه الصلاة والسلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه أو هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه أو زعموا أنه هجر وأساطير الاولين فيكون أصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز أن يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين) كما جعلنا لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على أنه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع (وكفى بربك هاديا) الى طريق قهرهم (ونصيرا) لك عليهم (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن) أى أنزل عليه لكبر بمعنى أخبر لئلا يناقض قوله (جملة واحدة) دفعة واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لاطائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما أشار اليه بقوله (كذلك لنثبت به فؤادك) أى كذلك أنزلناه مفرقا لنقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان عليه الصلاة السلام أميا وكانوا يكتبون فلو ألقى عليه جملة لعيل بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيأ فشيأ ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص فى المعنى ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ

(قوله نزل الملائكة) بضم اللام وكان أصله تنزل الملائكة بنصب الملائكة حذف النون وضم النون الباقية (قوله صفة) أى فالحق صفة الملك والخبر ماذكر (قوله لم يستتب) أى لم يتهيا والتلقف أى الاخذ من الغير لا بتيسر الا تدريجا

ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف (ورتلناه ترتيلا) وقرأناه عليك شيأ بعد شئ على تؤدة وتمهل في هشرين سنة أو ثلاث وعشرين وأصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها (ولا يأتونك بمثل) سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك (الا جئناك بالحق) الدامغ له في جوابه (وأحسن تفسيرا) وبما هو أحسن بيانا أو معنى من سؤالهم أو لا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا أعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو أحسن كشفا لما بعثت له (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم) أي مقلوبين أو ممسوحين على وجوههم أو متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وتنكيره عليه الصلاة والسلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره (أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) والمفضل عليه هو الرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حالهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا أنهم شر مكانا وأضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازرون عليه (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا) يعني فرعون وقومه (بآياتنا فدمرناهم تدميرا) أي فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) كذبوا نوحا ومن قبله أو نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل أو بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم أو قصتهم (للناس آية) عبرة (وأعتدنا للظالمين عذابا أليما) يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم (وعادا وثمودا) عطف على هم في جعلناهم أو على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرأ حمزة وحفص وثمود على تأويل القبيلة (وأصحاب الرس) قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيب النجار وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ أو دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا أعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فأهلكوا وقيل هم قوم كذبوا نبيهم ورسوه أي دسوه في بئر (وقرونا) وأهل أعصار قيل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون (بين ذلك) اشارة الى ما ذكر (كثيرا) لا يعلمها الا الله (وكلا ضربنا له الامثال) يناله القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما أصروا أهلكوا كما قال (وكلا تبرنا تتبيرا) فتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب

(قوله ومنها انضمام القرائن الحالية) أي كل من الحالات الواقعة في زمان من الازمان يناسب نزول آية خاصة فتعين على البلاغة لانها مطابقة الكلام لمقتضى الظاهر (قوله وأحسن تفسيرا الخ) فتكون الاحسنية على الفرض أي على تقدير أن يكون ما قاله الكفرة حسنا فبياننا أحسن منه (قوله فالتعقيب باعتبار الحكم المذكور الخ) أي الفاء تدل على أن التدمير وقع عقيب التكذيب والحال ان بينهما أزمانا طويلة فكيف تستقيم الفاء فأجاب عنه بان الحكم بالتدمير في الزمان المعين وقع بعد التكذيب بلا مهلة وان كان وقوعه بعده بزمان (قوله يحتمل التعميم والتخصيص الخ) أي يحتمل أن يكون المراد من الظالمين مطلقهم أو قوم نوح (قوله وقرئ أغرقناهم الخ) عادته انه يؤدي القراءة الشاذة الغير السبعة بصيغة المجهول لكن هذه القراءة قراءة عاصم وحمزة

والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ (ولقد أتوا) يعني قريشا ومن اراد افي متاجرهم الى الشأم (على القرية التي أمطرت مطر السوء) يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط أمطرت عليها الحجارة (أفلم يكونوا يرونها) في مرارهم ومرورهم فيتعظوا بما يرون فيها من آثار عذاب الله (بل كانوا لا يرجون نشورا) بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فرارها كما مرت وكانهم أولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب أولا يخافونه على اللغة التهامية (واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا) ما يتخذونك الا موضع هزء أو مهزوأبه (أهذا الذي بعث الله رسولا) محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم مجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولا لقالوا أهذا الذي زعم أنه بعثه الله رسولا (ان) انه (كاد ليضلنا عن آلهتنا) ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد عليها مما يسبق الى الذهن بانها حجج ومعجزات (لولا أن صبرنا عليها) ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله تفيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا) كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزم ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على أنه لا يهملهم وان أمهلهم (أرأيت من اتخذ الهه هواه) بان أطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية به (أفأنت تكون عليه وكيلا) حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار (أم تحسب) بل أتحسب (أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون) فتجدي لهم الآيات أو الحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في ايمانهم وهو أشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرئاسة (ان هم الا كالانعام) في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات (بل هم أضل سبيلا) من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتهتز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لانتضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون ومستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم (ألم تر الى ربك) ألم تنظر الى صنعه (كيف مد الظل) كيف بسطه أو ألم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بأنه المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع بأسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه أو ألم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود (ولو شاء لجعله ساكنا) ثابتا من السكنى أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام أو لا بوجود ولا يتفاوت الا بسبب حركتها (ثم قبضناه الينا) أي أزلناه بايقاع الشمس موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف (قبضا يسيرا) قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح

الشعاع فاذا طلعت وزال الظل عن موضع الشعاع ظهر ان الظل كان موجودا والاولى أن يقال

(قوله فانه يفيد نفي ما يلزمه الخ) فان ما يلزم من قولهم هو ضلال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان المضل لابد أن يكون ضالا (قوله اشعارا بأن المعقول الخ) فان صنع الرب مد الظل أمر معقول جعل كالمحسوس لادخاله تحت الرؤية والظل أمر محسوس وقد وقع التعبير عن رؤية الظل ممدودا برؤية الرب مادا للظل لجعل المعقول من الكلام وهو رؤية الظل ممدودا لانه علامة الرؤية وذا كان هذا الامر المعقول جعل كالمحسوس لماذكر فالامر المحسوس المفهوم من هذا الكل أولى بالظهور في الدلالة على ماذكر ولا يخفى ما في هذا الكلام من الاغلاق والاولى أن يقال التعبير المذكور للاشعار بأن المقصود العلم بالرب عالما يشبه الرؤية فان في ألم تر الى الظل الرؤية متعلقة بالظل وفي ألم تر الى ربك الرؤية متعلقة بالرب (قوله فانه لا يظهر للحس الخ) أي لا يظهر وجود الظل عند الحس الا بطلوع الشمس فان الظل كيفية ممانعة للشعاع لكنه قبل لم يظهر قبل طلوع الشمس وجود كيفية منافية لوجود

الكون و يتحصل به مالا يحصى من منافع الخلق وتم فى الموضعين لتفاضل الامور أو لتفاضل مبادى أوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بالابخر ودحا الارض تحتها فألقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ثم خلق الشمس عليه دليلا أى مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول أو دليل الطريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها و يتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيأ فشيأ الى أن تنتهى غاية نقصانه أو قبضناه سهلا عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) شبه ظلامه بالباس فى ستره (والنوم سباتا) راحة للابدان بقطع المشاغل وأصل السبت القطع أو موتا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت (وجعل النهار نشورا) ذا نشور أى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش أو بعث من النوم بعث الاموات فيكون اشارة الى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يابنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر (وهو الذى أرسل الرياح) وقرأ ابن كثير على التوحيد اراد به الجنس (نشرا) ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به و بفتح النون على أنه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر (بين يدى رحمته) يعنى قدام المطر (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به و يوقد به قال عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن طهوراناء أحدكم اذا ولغ الكلب فيه أن يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة وفعول وان غلب فى المعنيين الكنه قد جاء للمفعول كالضبوث وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده فان الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه مايزيل طهوريته وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغى أن يطهروها فبواطنهم بذلك أولى (لنحيى به بلدة ميتا) بالنبات وتذكيرميتا لان البلدة فى معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة فاجرى مجرى الجامد (ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا) يعنى أهل البوادى الذين يعيشون بالحيوان لذلك نكر الانعام والاناسى وتخصيصهم لان أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمناقع فيهم و بما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع أن مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد أنواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه بالفتح وسقى وأسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا وأناسى بحذف ياء وهو جمع أنسى أو انسان كظرابى فى ظربان على أن أصله أناسين فقلبت النون ياء (ولقد صرفناه بينهم) صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وسائر الكتب أو المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضى الله عنه ما مأمطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ماشاء وتلا هذه الآية أو فى الانهار والمنافع (ليذكروا) ليتفكروا و يعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فى ذلك و يقوموا بشكره أو ليعتبروا بالصرف عنهم والبهم (فأبى أكثر الناس الا كفورا) الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها أو بجحودها بأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لابرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى أنها من خلق الله والانواء وسائط وامارات بجعله تعالى (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) نبيا ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك

المراد انه لا يظهر الظل غاية الظهور الا عند طلوع الشمس على بعض الاجرام فاذا أحس الشعاع والظل ظهر ظهورا تاما كما قيل وبضدها تتميز الاشياء (قوله أو دليل الطريق من يهديه الخ) أى دليلا للطريق من يهديه الظل الى مقصوده لان الظل تابع للشمس فلو لم تكن الشمس لم يكن الظل فكان الظل دليلا (قوله ولانه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة) المراد بالجرى على الفعل أى الفعل المضارع موافقته فى الحركات والسكنات وميت ليس كذلك كابنية المبالغة كفعول ومفعال (قوله ولذلك نكر الانعام والاناسى) أى لما كان أهل البوادى قليلين بالنسبة الى أهل المدن والقرى نكر الانعام والاناسى لتدل على القلة ووصفهم بالكثرة فى حد ذاتهم لا ينافى القلة بالنسبة (قوله فهم و بما حولهم الخ) الظاهر ان يقال ولهم ولما حولهم الخ (قوله وعلية معايشهم منوطة بها) علية جمع على كصى وصبية والمقصود ان معايشهم منوطة بها

اجلالا لك وتعظيما لشأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحق (فلا تطع الكافرين) فيما يريدونك عليه وهو تهييج له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين (وجاهدهم به) بالقرآن أو بترك طاعتهم الذى يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون فى ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فى مخالفتهم وازاحة باطلهم (جهادا كبيرا) لان مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف أو لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين أظهرهم مع عتوهم وظهورهم أو لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى (وهو الذى مرج البحرين) خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها (هذا عذب فرات) قامع للعطش من فرط عذوبته (وهذا ملح أجاج) بليغ الملوحة وقرىء ملح على فعل ولعل أصله مالح فخفف كبرد فى بارد (وجعل بينهما برزخا) حاجزا من قدرته (وحجرا محجورا) وتنافرا بليغا كأن كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ للمتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة فى الفصل واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة أجزاء كل عنصر أن تضامت وتلاصقت وتشابهت فى الكيفية (وهو الذى خلق من الماء بشرا) يعنى الذى خمر به طينة آدم أو جعله جزأ من مادة البشر لتجتمع وتسلس وتقبل الاشكال والهيآت بسهولة أو النطفة (فجعله نسبا وصهرا) أى قسمه قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر أى اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (وكان ربك قديرا) حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وأنثى (ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم) يعنى الاصنام أو كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر (وكان الكافر على ربه ظهيرا) يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس أو أبو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم (وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا) للمؤمنين والكافرين (قل ما أسئلكم عليه) على تبليغ الرسالة الذى يدل عليه الا مبشرا ونذيرا (من أجر الا من شاء) الا فعل من شاء (أن يتخذ الى ربه سبيلا) أن يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب أجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بأن طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل (وتوكل على الحى الذى لا يموت) فى استكفاء شرورهم والاغناء عن أجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم (وسبح بحمده) ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بأوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه (وكفى به بذنوب عباده) ما ظهر منها وما بطن (خبيرا) مطلعا فلا عليك ان آمنوا أو كفروا (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن) قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأنى فى الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ أمره فى كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج والرحمن خبر للذى ان

(قوله وتفضيلا لك على سائر الرسل) هذا غير ظاهر اذ لا يلزم من تخصيصه صلى الله عليه وسلم بالرسالة فى زمانه تفضيله على سائر الرسل الا اذا أثبتنا مع كل رسول نبيا آخر

جعلته مبتدأ والخبر محذوف ان جعلته صفة للحي أو بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي (فاسئل به خبيرا) فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى أو جبريل أو من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان أنكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) لانهم ما كانوا يطلقونه على الله أو لانهم ظنوا أنه أراد به غيره ولذلك قالوا (أنسجد لما تأمرنا) أي للذي تأمرنا بسجوده أو لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء على أنه قول بعضهم لبعض (وزادهم) أي الامر بالسجود للرحمن (نفورا) عن الايمان (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره (وجعل فيها سراجا) يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائي سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار (وقمرا منيرا) مضيئا بالليل وقرئ وقرا أي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) أي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه أو بان يعتقبا لقوله تعالى واختلاف الليل والنهار هي للحالة من خلف كالركبة والجلسة (لمن أراد أن يذكر) بأن يتذكر الاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد (أو أراد شكورا) أن يشكر الله تعالى على ما فيه من النعم أو ليكونا وقتين للذكرين والشاكرين من فاته ورده في أحدهما تدارکه في الآخر وقرأ حمزة أن يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره أولئك يجزون الغرفة أو (الذين يمشون على الارض) واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل أو لانهم الراسخون في عبادته على أن عباد جمع عابد كتاجر وتجار (هونا) هينين أو مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى أنهم يمشون بسكينة وتواضع (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر أو سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لنسخه فان المراد به الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) في الصلاة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل أجزأ بعد عن الرياء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم أو مصدر أجري مجراه (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) لازما ومنه الغريم للازمة وهو ايذان بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار أحوالهم (انها ساءت مستقرا ومقاما) أي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان أو أخرت وفيها ضمير اسم ان ومستقر حال أو تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى أو تعاليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا حد الكرم (ولم يقتروا) ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر والكوفيون بضم الياء وكسر التاء من أقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد (وكان

(قوله وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده) جواز كون ما بعده وهو فاسئل به خبيرا خبر الاله أي الرحمن مقيد بموصول وصلة لانه في التقدير الرحمن أي الذي أنكروا اطلاقه على الله فاسئل به خبيرا فصار التركيب مثل الرجل الذي يأتيني فله درهم (وقمرا أي ذا قمر الخ) فيكون المعنى وجعل فيها ذا الليالي القمر وذو الليالي القمر هو القمر (قوله أو تعليل الثاني) فيكون المعنى ان عندها كان لازما له مستقر ومقام للداخلين فيه على الابد والاولى الاقتصار على الترادف اذ لزوم العذاب علة لسوء المستقر وقبح المقام اذ القول بان الجملة الثانية للتعليل لا عكسه

بين ذلك قواما) وسطا عدلا سمى به لاستقامة الطرفين كما سمى سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان أو حال مؤكدة ويجوز أن يكون الخبر بين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبنى لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشئ عن نفسه (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله) أى حرمها بمعنى حرم قتلها (الا بالحق) متعلق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون (ولا يزنون) نفى عنهم أمهات المعاصى بعد ما أثبت لهم أصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بأن الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) جزاء اثم أو اثما باضمار الجزاء وقرئ أياما أى شدائد يقال يوم ذو أيام أى صعب (يضاعف له العذاب يوم القيمة) بدل من يلق لانه فى معناه كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وقرأ أبو بكر بالرفع على الاستئناف أو الحال وكذلك (ويخلد فيه مهانا) وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف فى يضعف وقرئ ويخلد على بناء المفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف العذاب مضاعفته لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم أو يبدل ملكة المعصية فى النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه أو بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا (وكان الله غفورا رحيما) فلذلك يعفو عن السيآت ويثيب على الحسنات (ومن تاب) عن المعاصى بتركها والندم عليها (وعمل صالحا) يتلافى به ما فرط أو خرج عن المعاصى ودخل فى الطاعة (فانه يتوب الى الله) يرجع الى الله بذلك (متابا) مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب أو يتوب متابا الى الله الذى يحب التائبين ويصطنع بهم أو فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهو تعميم بعد تخصيص (والذين لا يشهدون الزور) لا يقيمون الشهادة الباطلة أو لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه (واذا مروا باللغو) ما يجب أن يلقى ويطرح (مروا كراما) معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم) بالوعظ أو القراءة (لم يخروا عليها صما وعميانا) لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل أكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفى نفى الحال دون الفعل كقولك لا يلقانى زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصى المدلول عليها باللغو (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه أهله فى طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له فى الدين وتوقع لحوقهم به فى الجنة ومن ابتدائية أو بيانية كقولك رأيت منك أسدا وقرأ حمزة وأبو عمرو والكسائى وأبو بكر وذريتنا وقرأ ابن عامر والحرميان وحفص ويعقوب وذرياتنا بالالف وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد أعين المتقين وهى قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم (واجعلنا للمتقين اماما) يقتدون بنا فى أمر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده اما للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا أو لانه مصدر فى أصله أو لان المراد واجعل كل واحد منا أو لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه

(قوله لاستقامة الطرفين الخ) أى اعتدالهما فكان الطرفين اعتدلا فى الوسط (قوله وبين ذلك لغو الخ) لعله أراد انه ظرف لغو متعلق بقوله تعالى قواما كما يقال متوسط بين الامرين (قوله وقيل انها للمعاصى المدلول الخ) الاولى ان يقال للمعاصى المدلول عليها بقوله اذا ذكروا لان التذكير مشتمل على النهى عن المعاصى

قاصدين لهم مقتدين بهم (أولئك يجزون الغرفة) أعلى مواضع الجنة وهى اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى وهم فى الغرفات آمنون وللقراءة بها وقيل هى من أسماء الجنة (بما صبروا) بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات (ويلقون فيها تحية وسلاما) دعاء بالتعمير والسلامة أى يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم أو يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه أو بقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر يلقون من ألقى (خالدين فيها) لايموتون فيها ولايخرجون (حسنت مستقرا ومقاما) مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا (قل مايعبؤ بكم ربى) مايصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته أو لايعتد بكم (لولا دعاؤكم) لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والافهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه مايصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة ومالم تجعلوا استفهامية فمحلها النصب على المصدر كأنه قيل أى عبء يعبأ بكم (فقد كذبتم) بما أخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون أى الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد فى جنسهم من العبادة والتكذيب (فسوف يكون لزاما) يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لامحالة أو أثره لازما بكم حتى يكبكم فى النار وانما أضمر من غير ذكر لتهويل والتنبيه على أنه مما لايكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقى الله وهو مؤمن بأن الساعة آتية لاريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

﴿سورة الشعراء مكية الا قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخرها وهى مائتان وست أو سبع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طسم) قرأ حمزة والكسائى وأبو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة للعود الى الياء المهروب منها وأظهر نونه حمزة لانه فى الاصل منفصل عما بعده (تلك آيات الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة أو القرآن على ماقرر فى أول البقرة (لعلك باخع نفسك) قاتل نفسك وأصل البخع أن يبالغ بالذبح البخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق أى اشفق على نفسك أن تقتلها حسرة (ألا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا أوخيفة أن لايؤمنوا (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) دلالة ملجئة الى الايمان أو بلية قاسرة عليه (فظلت أعناقهم لها خاضعين) منقادين وأصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على أصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء أو الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف على ننزل عطف وأكن على فاصدق لانه لوقيل أزلنا بدله لصح (ومايأتيهم من ذكر) موعظة أو طائفة من القرآن (من الرحمن) بوحيه الى نبيه (محدث) مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير (الا كانوا عنه معرضين) الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه (فقد كذبوا) أى بالذكر بعد اعراضهم وأمعنوا فى تكذيبه بحيث أدّى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا فى قوله (فسيأتيهم) أى اذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة (أنباء ما كانوا به يستهزؤن) من أنه كان حقا أم باطلا وكان حقيقا بان يصدق و يعظم قدره أو يكذب فيستخف أمره (أولم يروا الى الارض) أولم ينظروا الى عجائبها (كم أنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) محمود كثير المنفعة

(قوله دعاء بالتعمير الخ) ولعل فائدة الدعاء بالتعمير انه قد يرى عالم الله ان بقاء أهل الجنة فى الجنة بسبب دعاء الملائكة اذ مقصودهم من الدعاء اظهار حبهم لحياة المؤمنين و بقائهم فى الجنة

﴿سورة الشعراء﴾

(قوله بالامالة الخ) امالة ألف الطاء (قوله كراهة العود الى الياء الخ) وانما كان الياء مهروبا عنها لان الفات أسماء التهجى يأتى كما ذكره المصنف فى أول سورة مريم فهرب عن الياء الى الالف فلو أميلت الالف يحصل العود الى الياء المهروب عنه (قوله البخاع) بالباء الموحدة (قوله ولعل للاشفاق الخ) دل على الامر بالاشفاق قضية الانكار أى انك تفعل ذلك فلا تفعل (قوله فظلت عطف الخ) يعنى وظلت معطوف على المضارع الذى لو استعمل بدله الماضى لكان صحيحا كما ان أكن معطوف على أصدق على انه لوقيل أصدق مجزوما لكان صحيحا

وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل أن تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وأن تكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة ما وحده أو مع غيره وكل لا حاطة الازواج وكم لكثرتها (ان فى ذلك) ان فى انبات تلك الاصناف أو فى كل واحد (لآية) على أن منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة (وما كان أكثرهم مؤمنين) فى علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم أمثال هذه الآيات العظام (وان ربك لهو العزيز) الغالب القادر على الانتقام من الكفرة (الرحيم) حيث أمهلهم أو العزيز فى انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن (واذ نادى ربك موسى) مقدر باذكر أو ظرف لما بعده (أن ائت) أى ائت أو بان ائت (القوم الظالمين) بالكفر واستعباد بنى اسرائيل وذبح أولادهم (قوم فرعون) بدل من الاول أو عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان أولى بذلك (ألا يتقون) استئناف أتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم فى الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين فى كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل أن يكون بمعنى ألا يا ناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا (قال رب انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل الى هرون) رتب استدعاء ضم أخيه اليه واشراكه له فى الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة فى اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوى قلبه و ينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا فى تلقى الامر بل طالبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وفرقا أن يعقوب و يضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف منه (ولهم على ذنب) أى تبعة ذنب فحذف المضاف أو سمى باسمه والمراد قتل القبطى وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة فى مواضع (فأخاف أن يقتلون) به قبل أداء الرسالة وهو أيضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما أن ذلك استمداد واستظهار فى أمر الدعوة وقوله (قال كلا فاذهبا بآياتنا) اجابة له الى الطلبتين يوعده لدفع بلائهم اللازم ردعه عن الخوف وضم أخيه اليه فى الارسال والخطاب فى فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذى بدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت والذى طلبته (انا معكم) يعنى موسى وهرون وفرعون (مستمعون سامعون لما يجرى بينكما و بينه فأظهر كما عليه مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجرى بينهم وترقبا لامداد أوليائه منهم مبالغة فى الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان أو الخبر وحده ومعكم لغو (فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) أفرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال الشاعر

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول

ولذلك ثنى تارة وأفرد أخرى أو لاتحادهما للاخوة أو لوحدة المرسل والمرسل به أو لانه أراد أن كل واحد منا (أن أرسل معنا بنى اسرائيل) أى أرسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم ليذهبوا معنا الى الشأم (قال) أى فرعون لموسى بعد ما أتياه فقالا له ذلك (ألم نربك فينا) فى منازلنا (وليدا) طفلا سمى به لقربه من الولادة (ولبثت فينا من عمرك سنين)

(قوله وكل لا حاطة الخ) فلو لم يذكر لم يدل على الكثرة اذ يحتمل ان يكون المثبت زوجين اثنين ولو لم يذكر لم يدل على الاحاطة اذ قد يكون بعض من الامور الكثيرة كثيرا أيضا (قوله لقد كذب الواشون) فى الاستدلال نظر فانه يجوز أن يكون الرسول ههنا بمعنى المشتق (قوله أى أرسل الخ) فالتقدير انا رسول رب العالمين اليك يقول هو أرسل

قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين ثم بقى بعد الغرق خمسين (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتل القبطى و بخه به معظما اياه بعدما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز (وأنت من الكافرين) بنعمتى حتى عمدت الى قتل خواصى أو ممن تكفرهم الآن فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التاءين و يجوز أن يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته أو بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة أو من الذين كانوا يكفرون فى دينهم (قال فعلتها اذا وأنا من الضالين) من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل أولى الجهل والسفه أو من الخاطئين لانه لم يتعمد قتله أو من الذاهلين عما يؤل اليه الوكز لانه أراد به التأديب أو الناسين من قوله أن تضل احداهما (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما) حكمة (وجعلنى من المرسلين) ردّ أولا بذلك ما وبخه به قدحا فى نبوته ثم كر على ما عد عليه من النعمة ولم يصرح بردّه لانه كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبه على أنه كان فى الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال (وتلك نعمة تمنها علىّ أن عبدت بنى اسرائيل) أى وتلك التربية نعمة تمنها على ظاهرا وهى فى الحقيقة تعبيدك بنى اسرائيل وقصدهم بذبح أبنائهم فانه السبب فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار أى أو تلك نعمة تمنها على وهى أن عبدت ومحل أن عبدت الرفع على انه خبر محذوف أو بدل نعمة أو الجر باضمار الباء أو النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وأن عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على وانما وحد الخطاب فى تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملئه (قال فرعون وما رب العالمين) لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى أنه لم يرعو بذلك شرع فى الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل (قال رب السموات والارض وما بينهما) عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه أشار بقوله (ان كنتم موقنين) أى ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم أن هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير أحوالها فلها مبدئ واجب لذاته وذلك المبدئ لابد وأن يكون مبدئا لسائر الممكنات ما يمكن أن يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب أو استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه و بما هو داخل فيه لاستحالة التركيب فى ذاته (قال لمن حوله ألا تستمعون) جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله أو يزعم انه رب السموات وهى واجبة متحركة لذاتها كما هو مذهب الدهرية أو غير معلوم افتقارها الى مؤثر (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) عدولا الى ما لا يمكن أن يتوهم فيه مثله و يشك فى افتقاره الى مصور حكيم و يكون أقرب الى الناظر وأوضح عند التأمل (قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) أسأله عن شئ ويجيبنى عن آخر وسماه رسولا على السخرية (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما) تشاهدون كل يوم أنه يأتى بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذى قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع تنتظم به أمور الكائنات (ان كنتم تعقلون) ان كان لكم عقل علمتم أن لا جواب لكم فوق ذلك لا ينهم أولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم (قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين) عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه الالوهية وانكاره الصانع وان تعجبه بقوله ألا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد أن من ملك قطرا أو تولى

(قوله الافراد) هى البسائط اذ هى افراد لا زوجية ولا تعدد فى ذواتها (قوله ان كنتم تعقلون الخ) فان قوله ان كنتم تعقلون يفيد المخاشنة والتعريض بعدم العقل كما ان قول فرعون بنسبته الجنون الى موسى مخاشنة (قوله وان تعجبه الخ) عطف على ادعائه يعنى لما كان دعواه انه اله كان هذا قرينة لان يكون قوله ألا تستمعون تعجبا من اتخاذ اله آخر

أمره بقوة طالعه استحق العبادة من أهله واللام فى المسجونين للعهد أى ممن عرفت حالهم فى سجونى فانه كان يطرحهم فى هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل أبلغ من لأسجننك (قال أولو جئتك بشئ مبين) أى أتفعل ذلك ولو جئتك بشئ يبين صدق دعواى يعنى المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعى نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل (قال فائت به ان كنت من الصادقين) فى أن لك بينة أو فى دعوك فان مدعى النبوة لابد له من حجة (فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر (ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين) روى أن فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده قال فما فيها فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق (قال للملأ حوله) مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال (ان هذا لساحر عليم) فائق فى علم السحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون) بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه (قالوا أرجه وأخاه) أى أخر أمرهما وقيل احبسهما (وابعث فى المدائن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة (يأتوك بكل سحار عليم) يفضلون عليه فى هذا الفن وأمالها ابن عامر وأبو عمرو والكسائى وقرئ بكل ساحر (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) فيه استبطاء لهم فى الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا

هل أنت باعث دينار لحاجتنا * أو عبد رب أخا عون بن مخراق

أى ابعث أحدهما الينا سريعا (لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لعلنا نتبعهم فى دينهم ان غلبوا والترجى باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلى أن لا يتبعوا موسى لا أن يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى عليه الصلاة والسلام (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين) التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذا على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) أى بعد ما قالوا له اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين ولم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه بل الاذن فى تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق (فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) أقسموا بعزته على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم فى أنفسهم أو لاتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر (فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف) تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف (ما يأفكون) ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى أو افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة (فألقى السحرة ساجدين) لعلمهم بان مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيأ لا حقيقة له وأن التبحر فى كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على أنهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أنفسهم كأنهم أخذوا فطرحوا على وجوههم وأنه تعالى ألقاهم بما خولهم من التوفيق (قالوا آمنا برب العالمين) بدل من ألقى بدل الاشتمال أو حال باضمار قد (رب موسى وهرون) ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على أن الموجب لايمانهم ما أجراه على أيديهما (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر) فعلمكم شيأ دون شئ ولذلك غلبكم أو فواعدكم على ذلك وتواطأتم وعليه أراد به التلبيس

(قوله لعلمهم بان مثله الخ) لانهم فى أعلى مراتب السحر فلما غلبوا دل على ان منتهى علمهم ليس الا الاول الذى هو التمويه اذ لو كان له مرتبة أخرى غير الاول لعلموا

على قومه كى لايعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر وروح أآمنتم بهمزتين (فلسوف تعلمون) وبال مافعلتم وقوله (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم أجمعين) بيان له (قالوا لاضير) لاضرر علينا فى ذلك (انا الى ربنا منقلبون) بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى أو لسبب من أسباب الموت والقتل أنفسها وأرجاها (انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) لأن كنا (أول المؤمنين) من أتباع فرعون أو من أهل المشهد والجملة فى المعنى تعليل ثان لنفى الضير أو تعليل لعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة أو على طريقة المدل بامره نحو ان أحسنت اليك فلا تنس حقى (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) وذلك بعد سنين أقامها بين ظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع أن اسر بعبادى بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء أى أسر بهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لايدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على أثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم (فارسل فرعون) حين أخبر بسراهم (فى المدائن حاشرين) العساكر ليتبعوهم (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) على ارادة القول وانما استقلالهم وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا بالاضافة الى جنوده اذ روى أنه خرج وكانت مقدمته سبعمائة ألف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلى وتقطع قليلا قليلا باعتبار أنهم أسباط كل سبط منهم قليل (وانهم لنا لغائظون) لفاعلون مايغيظنا (وانا لجميع حذرون) وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم فى الامور أشارا ولا الى عدم مايمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق مايدعوا اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ فى شأنهم حثا عليه أواعتذر بذلك الى أهل المدائن كى لايظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان والكوفيون حاذرون والاول للثبات والثانى للتجدد وقيل الحاذر المؤدى فى السلاح وهو أيضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال المهملة أى أقوياء قال

أحب الصبى السوء من أجل أمه * وأبغضه من بغضها وهو حادر

أو تام السلاح فان ذلك يوجب حدارة فى أجسامهم (فاخرجناهم) بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه (من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم) يعنى المنازل الحسنة والمجالس البهية (كذلك) مثل ذلك الاخراج أخرجناهم ومصدر أومثل ذلك المقام الذى كان لهم على أنه صفة مقام أو الامر كذلك فيكون خبرا لمحذوف (وأورثناها بنى اسرائيل فأتبعوهم) وقرئ فأتبعوهم (مشرقين) داخلين فى وقت شروق الشمس (فلما تراءى الجمعان) تقارب بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرئ ترا أت الفئتان (قال أصحاب موسى انا لمدركون) لملحقون وقرئ لمدركون من ادرك الشئ اذا تابع ففنى أى لتتابعون فى الهلاك على أيديهم (قال كلا) لن يدركوكم فان الله وعدكم بالخلاص منهم (ان معى ربى) بالحفظ والنصرة (سيهدين) طريق النجاة منهم روى أن مؤمن آل فرعون كان بين يدى موسى فقال أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون فقال أمرت بالبحر ولعلى أومر بما أصنع (فاوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر) بحرا لقلزم أو النيل (فانفلق) أى فضرب فانفلق وصار اثنى عشر فرقا بينها مسالك (فكان كل فرق كالطود العظيم) كالجبل المنيف الثابت فى قعره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب (وأزلفنا) وقربنا (ثم الآخرين) فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم (وأنجينا موسى ومن معه

(قوله أو على طريقة المدل الخ) ولعل النكتة بهذا المبالغة باعتبار الايماء الى ان الشك فى الاحسان سبب لعدم نسيان الحق

(قوله مثل ذلك لاخراج الخ) لايخفى ان اعتبار المثلية والنسبة لاوجه له ههنا لان المقام واحد وكذا الاخراج والحق ان يقال لامثلية ولانسبة بل المعنى أخرجه هم ذلك لاخراج المخصوص وقد نقلنا مثل هذا فى تفسير سورة الانعام عن العلامة التفتازانى

(قوله المدركون) بتشديد الدال وكسر الراء

أجمعين) بحفظ البحر على تلك الهيئة الى أن عبروا (ثم اغرقنا الآخرين) باطباقه عليهم (ان فى ذلك لآية) وأية آية (وما كان أكثرهم مؤمنين) وماتنبه عليها أكثرهم اذلم يؤمن بها أحد ممن بقى فى مصر من القبط و بنو اسرائيل بعد ماتجاوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة (وان ربك لهو العزيز) المنتقم من أعدائه (الرحيم) باوليائه (واتل عليهم) على مشركى العرب (نبأ ابراهيم اذقال لابيه وقومه ماتعبدون) سألهم ليريهم أن مايعبدونه لايستحق العبادة (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) فاطلوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا وظل ههنا يعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل (قال هل يسمعونكم) يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة (اذتدعون) عليه وقرئ يسمعونكم أى يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها (أو ينفعونكم) على اعبادتكم لها (أو يضرون) من أعرض عنها (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) أضربوا عن أن يكون لهم سمع أو يتوقع منهم ضر أو نفع والتجؤا الى التقليد (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) فان التقدم لايدل على الصحة ولاينقلب به الباطل حقا (فانهم عدولى) يريد أنهم أعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق مايتضرر الرجل من جهة عدوه أو أن المغرى بعبادتهم أعدى أعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر فى نفسه تعريضا لهم فانه أنفع فى النصح واشعارا بانها نصيحة يبدأ بها نفسه ليكون أدعى الى القبول وافراد العدو لانه فى الاصل مصدر أو يعنى النسب (الارب العالمين) استثناء منقطع أومتصل على أن الضمير لكل معبود عبده وكان من آبائهم من عبد الله (الذى خلقنى فهو يهدين) لانه يهدى كل مخلوق لما خلق له من أمور المعاش والمعاد كما قال والذى قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى أجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ أو للعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله (والذى هو يطعمنى و يسقين) على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ماقبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم (واذا مرضت فهو يشفين) عطف على يطعمنى و يسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض فى الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه تعالى لان المقصود تعديد النعم ولايتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لايحس به لاضرر فيه وانما الضرر فى مقدماته وهى المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التى تستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من أنواع المحن والبليات ولان المرض فى غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه و بما يعين الاخلاط والاركان من التنافى والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة الله العزيز العليم (والذى يميتنى ثم يحيين) فى الآخرة (والذى أطمع أن يغفرلى خطيئتى يوم الدين) ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة أن يجتنبوا المعاصى ويكونوا على حذر وطلب لان يغفرلهم مايفرط منهم واستغفارا لماعسى يندر منه من الصغائر وجعل الخطيئة على كلمانه الثلاث انى سقيم بل فعله كبيرهم هذا وقوله هى أختى ضعيف لانها معاريض وليست خطايا (رب هب لى حكما) كمالا فى العلم والعمل أستعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق (وألحقنى

(قوله تعالى قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون الخ) أى أخبرونى عن حال ما كنتم تعبدون أوأخبرونى ما كنتم تعبدون حقيق بالعبادة أولاوهذا استهزاء بعبدة الاصنام والفاء فاء السببية تفيد ان مابعد الفاء وهو العداوة سبب لطلب الاخبار عن حالهم فهذه الفاء بمعنى اللام والمعنى أخبرونى عن حالها لانها عدولى وقد صرح الرضى بأنه قد يجىء الفاء بمعنى اللام فى مثل قوله تعالى اخرج منها فانك رجيم (قوله فيكون اختلاف النظم) اختلاف النظم عبارة عن ايراد خلق بصيغة الماضى و يهدين بصيغة المضارع

بالصالحين) ووفقني للكمال في العمل لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره الى يوم الدين ولذلك سامن أمة الا وهم محبون له مثنون عليه أو صادقا من ذريتي يجدد أصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت أدعوهم اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم (واجعلني من ورثة جنة النعيم) في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها (واغفر لابي) بالهداية والتوفيق للايمان (انه كان من الضالين) طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان ظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به أو لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار (ولا تخزني) بما تبتي على ما فرطت أو بنقص رتبتي عن رتبة بعض الورثاء أو بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا أو بتعذيب والدي أو ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان أو من الخزاية بمعنى الحياء (يوم يبعثون) الضمير العباد لانهم معلومون أو للضالين (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) أي لا ينفعان أحدا الا محاصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته أو لا ينفعان الا مال من هذا شأنه و بنوه حيث أنفق ماله في سبيل البر وأرشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصدهم أن يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء معادل عليه المال والبنون أي لا ينفع غنى الاغنياء وقيل منقطع والمعنى لكن سلامة من أتى الله بقلب سليم تنفعه (وأزلفت الجنة للمتقين) بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بأنهم المحشورون اليها (وبرزت الجحيم للغاوين) فيرونها مكشوفة و يتحسرون على أنهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد (وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله) أين آلهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم (هل ينصرونكم) بدفع العذاب عنكم (أو ينتصرون) بدفعه عن أنفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال (فكبكبوا فيها هم والغاوون) أي الآلهة وعبدتهم والتكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن من ألقي في النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها (وجنود ابليس) متبعوه من عصاة الثقلين أو شياطينه (أجمعون) تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده أو للضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه في قوله (قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين) على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة و يؤيده الخطاب في قوله (اذ نسويكم برب العالمين) أي في استحقاق العبادة ويجوز أن تكون الضمائر للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم في مبدا ضلالهم معترفون بانهما كهم في الضلالة متحسرون عليها (وما أضلنا الا المجرمون فمالنا من شافعين) كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء (ولا صديق حميم) اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو فمالنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء وأصدقاء أو فمالنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق أو لان الصديق الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء أو لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالخذين والصهيل (فلو أن لنا كرة) ثمن للرجعة أقيم فيه لومقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير أو شرط حذف جوابه (فنكون من المؤمنين) جواب التمني أو عطف على كرة أي لو أن لنا أن نكر فنكون من المؤمنين (ان في ذلك) أي فيما ذكر من قصة ابراهيم (لآية) لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها و يعتبر فانها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير يتقطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن

(قوله الاستثناء معادل الخ) فيكون المال والبنون عبارة عن الغنى لانهما سببان له (قوله وفي اختلاف الفعلين الخ) فان الازلاف هو التقريب وهو أقوى من التبريز (قوله وكذا الضمير) أي الضمير المنفصل في قوله وهم فيها للاصنام والغاوين وجنود ابليس وعلى هذا فالاربعة قال من ان الله تعالى أنطق الاصنام حتى يتصور الاختصام وأما اذا كان الضمائر للعبدة فلا حاجة الى انطاق الاصنام والخطاب في نسويكم ليس على الحقيقة بل للتحسر والندامة وعلى هذا فالاختصام بين العبدة باعتبار ان الرؤساء والخدم يختصمون فقال التابعون أنتم أضللتمونا وقال الرؤساء بل ضللتم بأنفسكم (قوله أو لاطلاق الصديق على الجمع الخ) فيكون الواحد من الصديق كالجمع من الشفيع

دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال الشفقة عليهم وتصوير الامر فى نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون أدعى لهم الى الاستماع والقبول (وما كان أكثرهم) أكثر قومه (مؤمنين) به (وان ربك لهو العزيز) القادر على تعجيل الانتقام (الرحيم) بالامهال لكى يؤمنوا هم أو أحد من ذريتهم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام فى تكذيبهم المرسلين (اذ قال لهم أخوهم نوح) لانه كان منهم (ألا تتقون) الله فتتركوا عبادة غيره (انى لكم رسول أمين) مشهور بالامانة فيكم (فاتقوا الله وأطيعون) فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله سبحانه (وما أسئلكم عليه) على ما أنا عليه من الدعاء والنصح (من أجر ان أجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون) كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسن طريقه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا وقرأ حفص وابن عامر وأبو عمرو وخلف بفتح الياء فى أجرى فى الكلمات الخمس (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرأ يعقوب وأتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وأبطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيهما مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه ودليلا على بطلانه وأشاروا بذلك الى أن اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك (قال وما علمى بما كانوا يعملون) انهم عملوه اخلاصا أو طمعا فى طمعة وما على الا اعتبار الظاهر (ان حسابهم الا على ربى) ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها (لو تشعرون) لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون (وما أنا بطارد المؤمنين) جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله (ان أنا الا نذير مبين) كالعلة له أى ما أنا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصى سواء كانوا أغنياء أو أذلاء فكيف يليق بى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء أو ما على الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا لى أن أطردهم لاسترضائكم (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المشتومين أو المضروبين بالحجارة (قال رب ان قومى كذبون) اظهار لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه (فافتح بينى و بينهم فتحا) فاحكم بينى و بينهم من الفتاحة (ونجنى ومن معى من المؤمنين) من قصدهم أو شؤم عملهم (فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون) المملوء (ثم أغرقنا بعد) بعد انجائه (الباقين) من قومه (ان فى ذلك لآية) شاعت وتواترت (وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين) أنثه باعتبار القبيلة وهو فى الاصل اسم أبيهم (اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين) تصدير القصص بهذا لدلالة على أن البغية مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه و يبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا فى بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنيئة والاغراض الدنيوية (أتبنون بكل ريع) بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها (آية) علما للمارة (تعبثون) بنيانها اذ كانوا يهتدون بالنجوم فى أسفارهم فلا يحتاجون اليها أو بروج الحمام أو بنيانا يجتمعون اليه للعبث بهم عليهم أو قصورا يفتخرون بها (وتتخذون مصانع) ما تحذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا (لعلكم تخلدون) فتحكمون بنيانها (واذا بطشتم) بسيف أو سوط (بطشتم جبارين) متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر فى العاقبة (فاتقوا الله) بترك هذه الاشياء

(قوله اظهارا لما يدعو عليهم الخ) أى سبب لدعاء عليهم التكذيب لا التخويف القوم نوحا ولا شقاقهم اياه

(وأطيعون) فيما أدعوكم إليه فانه أنفع لكم (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) كرره مرتبا على امداد الله تعالى اياهم بما يعرفونه من أنواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار فى ألا تتقون مبالغة فى الايقاظ والحث على التقوى فقال (أمدكم بأنعام و بنين وجنات وعيون) ثم أوعدهم فقال (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) فى الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) فانا لا نرعوى مما نحن عليه وتغيير شق النفى عما تقتضيه المقابلة للمبالغة فى قلة اعتدادهم بوعظه (ان هذا الا خلق الاولين) ما هذا الذى جئتنا به الا كذب الاولين أو ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيا ونموت مثلهم ولا نبعث ولا نحاسب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خاق الاولين بضمتين أى ما هذا الذى جئت به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله أو ما هذا الذى نحن عليه من الدين الا خاق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذى نحن عليه من الحياة والموت الا عادة قديمة لم تزل الناس عليها (وما نحن بمعذبين) على ما نحن عليه (فكذبوه فأهلكناهم) بسبب التكذيب بريح صرصر (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين) انكارا لان يتركوا كذلك أو تذكير للنعمة فى تخلية الله اياهم وأسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله (فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) لطيف لين للطف التمر أو لان النخل أنثى وطلع اناث النخل ألطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنوا ومتدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنات أو لان المراد ما عداها من الاشجار (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) بطرين أو حاذقين من الفراهة وهى النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو فرهين وهو أبلغ من فارهين (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) استعير الطاعة التى هى انقياد الامر لامتثال الامر أو نسب حكم الآمر الى أمره مجازا (الذين يفسدون فى الارض) وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف (ولا يصلحون) على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم (قالوا انما أنت من المسحرين) الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم أو من ذوى السحر وهى الرئة أى من الاناسى فيكون (ما أنت الا بشر مثلنا) تأكيد له (فأت بآية ان كنت من الصادقين) فى دعواك (قال هذه ناقة) أى بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها (لها شرب) نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم (ولكم شرب يوم معلوم) فاقتصروا على شرب بكم ولا تزاحموها فى شربها (ولا تمسوها بسوء) كضرب وعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو أبلغ من تعظيم العذاب (فعقروها) أسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقرها برضاهم ولذلك أخذ واجميعا (فأصبحوا نادمين) على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم (فأخذهم العذاب) أى العذاب الموعود (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) فى نفى الايمان عن أكثرهم فى هذا المعرض ايماء بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب وأن فريقا انما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم (وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين

(قوله وتغيير شق النفى الخ) يعنى مقتضى المقابلة ان يقال أوعظت أم لم تعظ لكنه غير الى ما ذكر للمبالغة فان المعنى حينئذ أم لم تكن من جنس الواعظين (قوله أو بذكر الخ) فيكون الاستفهام للتقرير (قوله عظم اليوم لعظم ما كان فيه الخ) للدلالة على ان فى اليوم من العظمة والقوة ما يوجب عظمة غيره (قوله نادمين الخ) أى الندم على الفعل المذكور لخوف العذاب لا للتوبة والندم على مخالفة أمر الله (قوله فى نفى الايمان عن أكثرهم الخ) الاول مسلم وفى الثانى خفاء ويمكن أن يقال ان معنى وما كان أكثرهم مؤمنين ان أكثرهم كافرون ففيه ايماء الى أنه لو لم يكن أكثرهم كافرين بل كان أكثرهم مؤمنين أو كان المؤمنون نصفا منهم لما عذبوا

أتأتون الذكران من العالمين) أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشاركم فيه غيركم أو أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كأنهن قد أعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثانى الناس (وتذرون ما خلق لكم) لاجل استمتاعكم (ربكم من أزواجكم) لبيان ان أربه بدبه جنس الاناث أوللتبعيض ان أربه بعضو المباح منهن فيكون تعريضا بأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم أيضا (بل أنتم قوم عادون) متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات أو مفرطون فى المعاصى وهذا من جملة ذلك أو أحقاء بأن توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة (قالوا لئن لم تنته يا لوط) عما تدعيه أوعن نهينا وتقبيح أمرنا (لتكونن من المخرجين) من المنفيين من بين أظهرنا وأهلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على عنف وسوء حال (قال انى لعملكم من القالين) من المبغضين غاية البغض لا أقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو أبلغ من أن يقول انى اعلمكم قال لدلالته على أنه معدود فى زمرتهم مشهور بأنه من جملتهم (رب نجنى وأهلى مما يعملون) أى من شؤمه وعذابه (فنجيناه وأهله أجمعين) أهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم (الا عجوزا) هى امرأة لوط (فى الغابرين) مقدرة فى الباقين فى العذاب اذ أصابها حجر فى الطريق فأهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقى فى القرية فانه لم نخرج مع لوط (ثم دمرنا الآخرين) أهلكناهم (وأمطرنا عليهم مطرا) وقيل أمطر الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم (فساء مطر المنذرين) اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة المرسلين) الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعثه الى مدين وكان أجنبيا منهم فلذلك قال (اذ قال لهم شعيب ألا تتقون) ولم يقل أخوهم شعيب وقيل لأيكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزة وابقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهى اسم بلدتهم وانما كتبت ههنا وفى ص بغير ألف اتباعا للفظ (انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أوفوا الكيل) أتموه (ولا تكونوا من المخسرين) الناقصين حقوق الناس بالتطفيف (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والافمفعلال وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) ولا تنقصوا شيأ من حقوقهم (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) بالقتل والغارة وقطع الطريق (واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين) وذوى الجبلة الاولين يعنى من تقدمهم من الخلائق (قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا) أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين متنافيين للرسالة مبالغة فى تكذيبه (وان نظنك لمن الكاذبين) فى دعواك (فأسقط علينا كسفا من السماء) قطعة منها ولعله جواب لما أشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين (ان كنت من الصادقين) فى دعواك (قال ربى أعلم بما تعملون) وبعذابه منزل عليكم ما أوجبه لكم عليه فى وقته المقدر له لا محالة (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة) على نحو ما اقترحوا بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام حتى غلت أنهارهم وأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا (انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم)

هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل بدو اقترابهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع أن يقال انه كان وجه اتصالات فلكية وكان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك) تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها من لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان أراد به الروح فذاك وان أراد به العضو فتخصيصه لان معاني الروحانية انما تنزل أولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تنصب منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبريل عليه السلام فانه أمين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب الروح الامين (لتكون من المنذرين) عما يؤدي الى عذاب من فعل أو ترك (بلسان عربي مبين) واضح المعنى لئلا يقولوا لما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ولا يجوز أن يتعلق بالمنذرين أي لتكون ممن أنذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام (وانه لفي زبر الاولين) وان ذكره ومعناه في الكتب المتقدمة (أولم يكن لهم آية) على صحة القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (أن يعلمه علماء بني اسرائيل) ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على أنها الاسم والخبر لهم وأن يعلمه بدل أو الفاعل وأن يعلمه بدل ولهم حال أو أن الاسم ضمير القصة وآية خبر أن يعلمه والجملة خبر تكن (ولو نزلناه على بعض الاعجمين) كما هو زيادة في الجاءة أو بلغة العجم (فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) لفرط عنادهم واستكبارهم أو لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمي جمع أعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة (كذلك سلكناه) أدخلناه (في قلوب المجرمين) والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على أنه بخلق الله وقيل القرآن أي أدخلناه فيها فعرفوا معانيه وأعجزه ثم لم يؤمنوا به عنادا (لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم) الملجئ الى الايمان (فيأتيهم بغتة) في الدنيا والآخرة (وهم لا يشعرون) بإتيانه (فيقولوا هل نحن منظرون) تحسرا وتأسفا (أفبعذابنا يستعجلون) فيقولون أمطر علينا حجارة من السماء فأتانا بما تعدنا وجاءهم عند نزول العذاب طلب النظرة (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يتمتعون) لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه (وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون) أنذروا أهلها إلزاما للحجة (ذكرى) تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لانها في معنى الانذار أو الرفع على انها صفة منذرون بإضمار ذوو أو بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة أو خبر محذوف والجملة اعتراضية (وما كنا ظالمين) فنهلك غير الظالمين أو قبل الانذار (وما تنزلت به الشياطين) كما زعم المشركون أنه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة (وما ينبغي لهم) وما يصح لهم أن يتنزلوا به (وما يستطيعون) وما يقدرون (انهم عن السمع) لكلام الملائكة (لمعزولون) لانه مشروط بمشاركة في صفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) تهييج لازدياد الاخلاص وتطف لسائر المكلفين (وأنذر عشيرتك الاقربين) الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم أهم روي أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو أخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير

(قوله فهلك غير الظالمين الخ) يدل على انه تعالى لو أهلك غير الظالمين لكان ظالما وهو خلاف ما صرح به أهل السنة انه يجوز له تعالى ان يعذب العالمين بغير ذنب وصرحوا بانه مالك الملك ان تصرف في ملكه كيف شاء لا يكون ظالما فان قيل المراد من الظالم وضع الشئ في غير موضعه وعذاب غير الظالم كذلك قلنا فعلى هذا يتمتع عذابهم لاستلزامه للظلم المستحيل على الله تعالى اذ هو نقص والنقص عليه تعالى محال فالاولى أن يقال والله أعلم ان المعنى وما كنا ظالمين باهلاك القرية مطلقا سواء كان بعد الانذار أو قبله وان جرت عادتنا بعدم الاهلاك الا بعد الانذار رحمة وعناية أو يقال المراد ما كنا مشبهين بالظالمين فان الاهلاك قبل الانذار شبيه بالظلم وقد فسره به بعضهم فتأمل

لكم بين يدى عذاب شديد (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا أراد أن ينحط ومن للتبيين لان من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو غيره أو للتبعيض على أن المراد من المؤمنين المشارفون للايمان أو المصدقون باللسان (فان عصوك) ولم يتبعوك (فقل انى برىء مما تعملون) مما تعملونه أو من أعمالكم (وتوكل على العزيز الرحيم) الذى يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط (الذى يراك حين تقوم) الى التهجد (وتقلبك فى الساجدين) وترددك فى تصفح أحوال المجتهدين كما روى أنه عليه السلام لما نسخ قيام فرض الليل طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا أممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التى بها يستأهل ولايته بعد وصفه بأن من شأنه قهر أعدائه ونصر أوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه (انه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) لما بين أن القرآن لا يصح أن يكون مما تنزلت به الشياطين أكد ذلك بأن بين أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصح أن يتنزلوا عليه من وجهين أحدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد صلى الله عليه وسلم على خلاف ذلك وثانيهما قوله (يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) أى الأفاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وأمارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فانه أخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله تعالى كل أفاك أثيم والاظهر أن الاكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وقيل الضمائر للشياطين أى يلقون السمع الى الملا الاعلى قبل أن يرجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى أوليائهم أو يلقون مسموعهم منهم الى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو افهامهم (والشعراء يتبعهم الغاوون) وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استئناف أبطل كونه عليه الصلاة والسلام شاعرا وقرره بقوله (ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون) لان أكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها وأغلب كلماتهم فى النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه أشار بقوله (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) وكأنه لما كان اعجاز القرآن من جهة اللفظ والمعنى وقد قدحوا فى المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفى اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء تكلم فى القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول صلى الله عليه وسلم لحال أربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرىء بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا) استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون أكثر أشعارهم فى التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته ولو قالوا هجوا أرادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين

(قوله فى النسيب بالحرم الخ) فى الصحاح نسب الشاعر بالمرأة ينسب بالكسر اذا شبب بها ومغازلة النساء محادثتهن والاسم الغزل وحرمة الرجل أهله والحرم النساء والابتهار دعوى الشئ كذبا

وكان عليه الصلاة والسلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك أنه عليه الصلاة والسلام قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي أي منقلب ينقلبون أي بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ أي منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون أن ينفلتوا عن عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلاة والسلام

﴿سورة النمل﴾ مكية وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) الاشارة الى آي السورة والكتاب المبين اما اللوح المحفوظ وإبانته أنه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلق علم ابنه وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود أو القرآن وإبانته لما أودع فيه من الحكم والاحكام أو لصحته بالاعجاز وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه (هدى وبشرى للمؤمنين) حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة أو بدلان منها أو خبران آخران أو خبران لمحذوف (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة) الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة (وهم بالآخرة هم يوقنون) من تمام الصلة والواو للحال أو للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأنهم الاوحدون فيه وأوجبة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) زينا لهم أعمالهم القبيحة بأن جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس أو الاعمال الحسنة التي وجب عليهم أن يعملوها بترتيب المثوبات عليها (فهم يعمهون) عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر أو نفع (أولئك الذين لهم سوء العذاب) كالقتل والاسر يوم بدر (وهم في الآخرة هم الاخسرون) أشد الناس خسرانا لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة (وانك لتلقى القرآن) لتؤتاه (من لدن حكيم عليم) أي حكيم وأي عليم والجمع بينهما مع أن العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها هي حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله (اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا) أي اذكر قصته اذقال ويجوز أن يتعلق بعليم (سآتيكم منها بخبر) أي عن حال الطريق لانه قد ضله وجوع الضميران صح أنه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة والوعد بالاتيان وان أبطأ (أو آتيكم بشهاب قبس) شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه قد يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على أن القبس بدل منه أو وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والتردد للدلالة على أنه ان لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الامر أو ثقة بعادة الله تعالى أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده (لعلكم تصطلون) رجاء أن تستدفؤا بها والصلاء النار

﴿سورة النمل﴾ (قوله والسين للدلالة الخ) هذا خلاف ما قاله بعضهم ان السين للاستقبال القريب وسوف للاستقبال البعيد

العظيمة (فلما جاءها نودى أن بورك) أى بورك فان النداء فيه معنى القول أو بأن بورك على أنها مصدرية أو مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره فى أحكام كثيرة (من فى النار ومن حولها) من فى مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة فى قوله تعالى نودى من شاطئ الواد الايمن فى البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر أنه عام فى كل من فى تلك الارض وفى ذلك الوادى وحواليها من أرض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم أحياء وأمواتا وخصوصا تلك البقعة التى كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضى له أمر عظيم تنتشر بركته فى أقطار الشأم (وسبحان الله رب العالمين) من تمام ما نودى به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمة ذلك الامر أو تعجب من موسى لما دهاه من عظمته (ياموسى انه انا الله) الهاء للشأن وأنا الله جملة مفسرة له أو للمتكلم وأنا خبره والله بيان له (العزيز الحكيم) صفتان لله ممهدتان لما أراد أن يظهره يريد أنا القوى القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير (وألق عصاك) عطف على بورك أى نودى أن بورك من فى النار وأن ألق عصاك ويدل عليه قوله وان ألق عصاك بعد قوله ان ياموسى انى أنا الله بتكرير أن (فلما رآها تهتز) تتحرك باضطراب (كأنها جان) حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين (ولى مدبرا ولم يعقب) ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه أن ذلك لامر أريد به ويدل عليه قوله (ياموسى لا تخف) أى من غيرى ثقة بى او مطلقا لقوله (انى لا يخاف لدى المرسلون) أى حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم أخوف الناس أى من الله تعالى أو لا يكون لهم عندى سوء عاقبة فيخافون منه (الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) استثناء منقطع استدرك به ما يختلج فى الصدر من نفى الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها أتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة فانه لا يخاف أيضا وقصد تعريض موسى بوكزه القبطى وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف أى من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة (وأدخل يدك فى جيبك) لانه كان بمدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب أى يقطع (تخرج بيضاء من غير سوء) آفة كبرص (فى تسع آيات) فى جملتها أو معها على أن التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع أن يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون أو اذهب فى تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به (الى فرعون وقومه) وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا أو مرسلا (انهم كانوا قوما فاسقين) تعليل للارسال (فلما جاءتهم آياتنا) بان جاءهم موسى بها (مبصرة) بينة اسم فاعل أطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر أو ذات تبصر من حيث انها تهدى والعمى لا تهتدى فضلا عن أن تهدى أو مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة أى مكانا يكثر فيه التبصر (قالوا هذا سحر مبين) واضح سحريته (وجحدوا بها) وكذبوا بها (واستيقنتها أنفسهم) وقد استيقنتها لان الواو للحال (ظلما) لانفسهم (وعلوا) ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وهو الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الآخرة (ولقد آتينا داود وسليمان علما) طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع أو علما أى علم (وقالا الحمد لله) عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما أتيا به فى مقابلة هذه النعمة

(قوله تعالى كأنها جان) أى هى شبيه بالجنة الصغيرة فى سرعة المشى وان كانت عظيمة فى الجثة

كأنه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله (الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) يعنى من لم يؤت علما أو مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتدا بما دونه مما أوتيا من الملك الذى لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على أن يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وأن يتواضع ويعتقد أنه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير (وورث سليمان داود) النبوة أو العلم أو الملك بان قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ) تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما أوتيه والنطق والمنطق فى المتعارف كل لفظ يعبر به عما فى الضمير مفردا كان أو مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه أو التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سببا وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما من جنسه ولعل سليمان عليه الصلاة والسلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذى صوته والغرض الذى توخاه به ومن ذلك ما حكى انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فاعلم كان صوت البلبل عن شبع وفراغ مال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير فى علمنا وأوتينا له ولأبيه عليهما الصلاة والسلام أوله وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شئ كثرة ما أوتى كقولك فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شئ (ان هذا لهو الفضل المبين) الذى لا يخفى على أحد (وحشر) وجمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون) يحبسون يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا (حتى اذا أتوا على وادى النمل) وادبالشأم كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى امالان اتيانهم كان من عال أو لان المراد قطعه من قولهم أتى على الشئ اذا أنفده و بلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا أخر يات الوادى (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) كأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادى فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة نبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك أجروا ضمائرهم مع أنه لا يمتنع أن خاق الله سبحانه وتعالى فيها العقل والنطق (لا يحطمنكم سليمان وجنوده) نهى لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا أرينك ههنا فهو استئناف أو بدل من الامر لا جواب له فان النون لا تدخله فى السعة (وهم لا يشعرون) بأنهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استئناف أى فهم سليمان والقوم لا يشعرون (فتبسم ضاحكا من قولها) تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها وسرورا بما خصه الله تعالى به من ادراك هممها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره (وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك) أى اجعلنى أزع شكر نعمتك عندى أى أكفه وأربطه لا ينفلت عنى بحيث لا أنفك عنه وقرأ البزى وورش بفتح ياء أوزعنى (التى أنعمت على وعلى والدى) ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة أو تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية (وأن أعمل صالحا ترضاه) انما سأله شكر واستدامة للنعمة (وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) فى عداد هم الجنة (وتفقد الطير) وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد (فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن أنه محاضر ولا براه استتر أو غيره فقال مالى لا أراه ثم احتاط فلاح له

(قوله تكثيرا للنعمة الخ) فالتكثير باعتبار النعمة عليه وغيره النعمة عليهما بحسب الظاهر وكذا العكس والتعميم باعتبار المال وهو ان النعمة عليه هى النعمة عليهما وكذا العكس

أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة مالاح له (لاعذبنه عذابا شديدا) كنتف ريشه والقائه فى الشمس أوحيث النمل يأكله أوجعله مع ضده فى قفص (أولأذبحنه) ليعتبر به أبناء جنسه (أوليأتينى بسلطان مبين) بحجة تبين عذره والحلف فى الحقيقة على أحد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع أحد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير أوليأتيننى بنونين الاولى مفتوحة مشددة (فمكث غير بعيد) زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف (فقال أحطت بما لم تحط به) يعنى حال سبأ وفى مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على أن فى أدنى خلق الله تعالى من أحاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء فى التاء باطباق وبغير اطباق (وجئتك من سبأ) وقرأ ابن كثير برواية البزى وأبو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة أو البلدة والقواس بهمزة ساكنة (بنبأ يقين) بخبر متحقق روى أنه عليه الصلاة والسلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام بها ماشاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فأعجبته نزاهة أرضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر ماوصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ماحكى ولعل فى عجائب قدرة الله وماخص به خاصة عباده أشياء أعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها (انى وجدت امرأة تملكهم) يعنى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لسبأ أولاهلها (وأوتيت من كل شئ) يحتاج اليه الملوك (ولها عرش عظيم) عظمه بالنسبة اليها أو الى عروش أمثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا فى ثلاثين عرضا وسمكا أو ثمانين فى ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) كأنهم كانوا يعبدونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) عبادة الشمس وغيرها من مقابح أعمالهم (فصدهم عن السبيل) عن سبيل الحق والصواب (فهم لايهتدون) اليه (ألا يسجدوا لله) فصدهم لئلا يسجدوا أوزين لهم أن لايسجدوا على أنه بدل من أعمالهم أولايهتدون الى أن يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائى ويعقوب الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف أى ألا ياقوم اسجدوا كقوله

وقالت ألا يا اسمع أعظك بخطة * فقلت سميعا فانطقى وأصيبى

وعلى هذا صح أن يكون استئنافا من الله أو من سليمان والوقف على لايهتدون فيكون أمرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضى وجوب السجود فى الجملة لاعند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء وألا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب (الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم مايخفون ومايعلنون) وصف له تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ماخفى فى غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج مافى الشئ بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج مافى الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم أنه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائى ماتخفون وماتعلنون بالتاء (الله لااله الاهو رب العرش العظيم) الذى هو أول الاجرام وأعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون (قال سننظر) سنعرف من النظر بمعنى التأمل (أصدقت أم كنت من الكاذبين) أى أم كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل (اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم) ثم تنح عنهم الى

(قوله وأخذ يقول الخ) والتقدير بل هو لكنه لما ذكر الاضراب علم تقدير بل (قوله والحلف فى الحقيقة الخ) لان الاصل الغالب ان يحلف الحالف على فعل نفسه دون فعل غيره ويفهم من كلامه انه يجوز أن يحلف على فعل غيره وهو كذلك فقد صرح به الفقهاء فقالوا لو قال أحد لآخر أقسمت عليك بالله لتفعلن كذا وقصد به يمين نفسه كان يمينا ويستحب ابرار القسم ان لم يتضمن محرما أو مكروها (قوله كأنهم كانوا الخ) انما قال كأنهم كانوا يعبدونها بلفظ كأن المفيد لعدم الجزم لانه يحتمل أن يكون السجود لها لا للعبادة التى هى غاية التعظيم والخضوع بل لشئ منهما (قوله فبين العظمتين الخ) أى بين العظيم الذى هو عرش بلقيس وبين العظيم الثانى الذى هو عرش الله تعالى بون عظيم وفى هذا الكلام لطائف الاول ايراد لفظ بين وبون والثانى لفظ العظيم صفة لبون بين العظيمين الثالث ان البون العظيم يمكن ان يراد به البون بحسب المكان ويمكن ان يراد به البون بحسب الشرف الرابع كون الكلام ههنا شعرا (قوله والتفسير للمبالغة الخ) أفاد انه للمبالغة باعتبار ان كنت من الكاذبين من المستمرين على الكذب لانه لايدل على زمان مخصوص بل كان للاستمرار

مكان قريب تتوارى فيه (فانظر ماذا يرجعون) ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول (قالت) أى بعد ما ألقى اليها (يأيها الملأ انى أ لقى الى كتاب كريم) لكرم مضمونه أو مرسله أو لانه كان مختوما أو لغرابة شأنه اذ كانت مستلقية فى بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة وألقاه على نحرها بحيث لم تشعر به (انه من سليمان) استئناف كأنه قيل لها من هو وما هو فقالت انه أى ان الكتاب أو العنوان من سليمان (وانه) أى وان المكتوب أو المضمون وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب أو التعليل لكرمه (بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على) أن مفسرة أو مصدرية فتكون صلتها خبر محذوف أى هو أو المقصود أن لا تعلوا أو بدل من كتاب (وائتونى مسلمين) مؤمنين أو منقادين وهذا كلام فى غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع تعالى وصفاته صريحا أو التزاما والنهى عن الترفع الذى هو أم الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالاتقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة (قالت يأيها الملأ أفتونى فى أمرى) أجيبونى فى أمرى الفتى واذكر واما تستصوبون فيه (ما كنت قاطعة أمرا) ما أبت أمرا (حتى تشهدون) الا بحضركم استعطفتهم بذلك لميلهم على الاجابة (قالوا نحن أولوا قوة) بالاجساد والعدد (وأولوا بأس شديد) نجدة وشجاعة (والامر اليك) موكول (فانظرى ماذا تأمرين) من المقاتلة أو الصلح نطعك ونتبع رأيك (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وغلبة (أفسدوها) تزيف لما أحست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة أن يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من أموالهم وعمارا تهم ثم ان الحرب سجال لا تدرى عاقبتها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بنهب أموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر (وكذلك يفعلون) تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة أو تصديق لها من الله عز وجل (وانى مرسلة اليهم بهدية) بيان لما ترى تقديمه فى المصانعة والمعنى انى مرسلة رسلا بهدية أدفعه بها عن ملكى (فناظرة بم يرجع المرسلون) من حاله حتى أعمل بحسب ذلك روى أنها بعثت مندرين عمرو فى وفد وأرسلت معهم غلمانا على زى الجوارى وجوارى على زى الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا يميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظمة شأنه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب الحق وأخبر عما فيه فأمر الارضة فأخذت شعرة ونفذت فى الدرة وأمر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت فى الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية (فلما جاء سليمان) أى الرسول أو ما أهدت اليه وقرئ فلما جاؤا (قال أتمدوننى بمال) خطاب للرسول ومن معه أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء (فما آتانى الله) من النبوة والملك الذى لا مزيد عليه وقرأ نافع وأبو عمرو ورويس بفتح الياء والباقون باسكانها وباما لتها الكسائى وحده (خير مما آتاكم) فلا حاجة لى الى هديتكم ولا وقع لها عندى (بل أنتم بهديتكم تفرحون) لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة أموالكم أو بما تهدونه

(قوله وقرئ بالفتح الخ) أى قرئ انه من سليمان وانه بفتح ان فى الموضعين (قوله ان مفسرة) أى مفسرة لشئ مقدر والتقدير أنها كم عن شئ وأعلمكم شيأ هو لا تعلوا على (قوله فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة) أى القاء الكتاب اليها من غير توسط بأحد من الناس بل بإتيانه اليها من حيث لم تشعر به معجزة والاولى أن يقال ان أمر سليمان عليه السلام كان مشهورا فاستدعاؤها الى الانقياد لا يكون استدعاء للتقليد

افتخارا على أمثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتقليله الى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم فى قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها (ارجع) أيها الرسول (اليهم) الى بلقيس وقومها (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) لاطاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم (ولنخرجنهم منها) من سبأ (أذلة) بذهاب ما كانوا فيه من العز (وهم صاغرون) أسراء مهانون (قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها) أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه فى دعوى النبوّة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره (قبل أن يأتونى مسلمين) فانها اذا أتت مسلمة لم يحل أخذه لابرضاها (قال عفريت) خبيث مارد (من الجن) بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر أقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرا (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار (وانى عليه) على حمله (لقوى أمين) لا أختزل منه شيأ ولا أبدله (قال الذى عنده علم من الكتاب) آصف بن برخيا وزيره أو الخضر أو جبريل عليهما السلام أو ملك أيده الله به أو سليمان عليه السلام نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وأن هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب فى (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك أو أراد اظهار معجزة فى نقله فتحداهم أولا لم أراهم أنه يتأتى له مالا يتأتى لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو اللوح وآتيك فى الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما فى قوله

وكنت اذا أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر

وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى أنك ترسل طرفك نحو شئ فقبل أن ترده أحضر عرشها بين يديك وهذا غاية فى الاسراع ومثل فيه (فلما رآه) أى العرش (مستقرا عنده) حاصلا بين يديه (قال) تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى (هذا من فضل ربى) تفضل به علىّ من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش فى مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه أو غيره والكلام فى امكان مثله قد مر فى آية الاسراء (ليبلونى أأشكر) بان أراه فضلا من الله تعالى بلا حول منى ولا قوّة وأقوم بحقه (أم أكفر) بان أجد نفسى فى البين أو أقصر فى أداء مواجبه ومحلها النصب على البدل من الياء (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عاب الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران (ومن كفر فان ربى غنى) عن شكره (كريم) بالانعام عليه ثانيا (قال نكروا لها عرشها) بتغيير هيئته وشكله (ننظر) جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف (أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون) الى معرفته أو الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب وكانة عليها الحراس (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك) تشبيها عليها زيادة فى امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل (قالت كأنه هو) ولم تقل هو هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) من تتمة كلامها كأنها ظنت انه أراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت وأوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوّتك قبل هذه الحالة أو المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه من كلام سليمان عليه السلام وقومه وعطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوّزت أن يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التى لا يقدر عليها غير الله تعالى ولا تظهر الا على يد الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى

(قوله والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتقليله الخ) انكار الامداد بالمال هو المستفاد من قوله أتمدوننى بمال وتقليله هو المستفاد من قوله فما آتانى الله خير مما آتاكم (قوله تعالى أم تكون من الذين الآية) لا يخفى ان الاصل ان يقال أتهتدى أم لا تهتدى فالعدول اليه اما للمبالغة اذا لم تهتد الى معرفة عرشها مع انه بعينه فى ذاته فكانها لم تهتد الى شئ أو لحفظ الفواصل

وأوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء به من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه ولم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما أنعم الله عليهم من التقدم فى ذلك شكرا لله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) أى وصدها عبادتها للشمس عن التقدم الى الاسلام أو وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان (انها كانت من قوم كافرين) وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صدها على الاول أى صدها نشؤها بين أظهر الكفار أو التعليل له (قيل لها ادخلى الصرح) القصر وقيل عرصة الدار (فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها) روى أنه أمر قبل قدومها ببناء قصر صحنه من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما أبصرته ظنته ماء را كدا فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمز جلا على جمعه سؤوق وأسؤق (قال انه) ان ما تظنينه ماء (صرح ممرد) ملمس (من قوارير) من الزجاج (قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادتى الشمس وقيل بظنى بسليمان فانها حسبت انه يغرقها فى اللجة (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) فيما أمر به عباده وقد اختلف فى انه تزوجها أو زوجها من ذى تبع ملك همدان (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله) بان اعبدوا الله وقرئ بضم النون على اتباعها الباء (فاذا هم فريقان يختصمون) ففاجؤا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين (قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة) بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا (قبل الحسنة) قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ (لولا تستغفرون الله) قبل نزوله (لعلكم ترحمون) بقبولها فانها لا تقبل حينئذ (قالوا اطيرنا) تشاءمنا (بك وبمن معك) اذ تتابعت علينا الشدائد أو وقع بيننا الافتراق منذ اخترتم دينكم (قال طائركم) سببكم الذى جاء منه شركم (عند الله) وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعى اليه (وكان فى المدينة تسعة رهط) تسعة أنفس وانما وقع تمييز التسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة أو السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة (يفسدون فى الارض ولا يصلحون) أى شأنهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (تقاسموا بالله) أمر مقول أو خبر وقع بدلا أو حالا باضمار قد (لنبيتنه وأهله) لنباغتن صالحا وأهله ليلا وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على أن تقاسموا خبر (ثم لنقولن) فيه القراآت الثلاث (لوليه) لولى دمه (ما شهدنا مهلك أهله) فضلا ان نوليهم اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك فى قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ أبو بكر بالفتح فيكون مصدرا (وانا لصادقون) ونحلف انا لصادقون أو والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد للشئ غير المباشر له عرفا أو لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين (ومكروا مكرا) بهذه المواضعة (ومكرنا مكرا) بان جعلناها سببا لاهلاكهم (وهم لا يشعرون) بذلك روى أنه كان لصالح فى الحجر مسجد فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم أنه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فنهضوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون فى أماكنهم بالصيحة كما أشار اليه قوله (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم أجمعين) وكان ان جعلت ناقصة خبرها كيف وانا دمرناهم استئناف أو خبر محذوف لاخبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون و يعقوب أنا دمرناهم

(قوله ويكون غرضهم فيه الخ) هذا دفع سؤال وهو انه من المعلوم ان سليمان كان عالما بما يجب العلم به قبل بلقيس وكان اسلامه قبل اسلامها فما فائدة قوله وأوتينا الخ وجوابه ان الغرض منه التواضع واظهار نعمة الله وشرف العلم والاسلام (قوله اذ الشاهد لشئ الخ) الغرض من ذلك عدم كذبهم فى حلفهم بأحد الوجهين المذكورين

بالفتح على أنه خبر محذوف أو بدل من اسم كان أو خبره وكيف حال (فتلك بيوتهم خاوية) خالية من خوى البطن اذا خلا أو ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف (بما ظلموا) بسبب ظلمهم (ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون) فيتعظون (وأنجينا الذين آمنوا) صالحا ومن معه (وكانوا يتقون) الكفر والمعاصى فلذلك خصوا بالنجاة (ولوطا) واذكر لوطا أو وأرسلنا لوطا لدلالة ما قبله وأرسلنا عليه (اذ قال لقومه) بدل على الاول وظرف على الثانى (أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) تعلمون قبحها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها أقبح أو يبصر بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فتكون أفحش (أئنكم لتأتون الرجال شهوة) بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على أن الحكمة فى الموافعة طلب النسل لاقضاء الوطر (من دون النساء) اللاتى خلقن لذلك (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل من يجهل قبحه أو يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح أو تجهلون العاقبة والتناء فيه لكون الموصوف به فى معنى المخاطب (فما كان جواب قومه الا أن قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون) أى يتنزهون عن أفعالنا أو عن الاقذار وبعدون فعلنا قذرا (فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين) قدرنا كونها من الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) مر مثله (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدا بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما أنعم عليهم أو علمه ما جهل من أحوالهم وعرفا لفاضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم فى الدين أو لوطا بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك (آلله خير أما يشركون) الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم أن لا خير فيما أشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ أبو عمر وعاصم ويعقوب بالتاء (أمن) بل أمن (خلق السموات والارض) التى هى أصول الكائنات ومبادئ المنافع وقرئ أمن بالتخفيف على انه بدل من الله (وأنزل لكم) لاجلكم (من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة) عدل به من الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على أن انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما أشار اليه بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) شجر الحدائق وهى البساتين من الاحداق وهو الاحاطة (أإله مع الله) أغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المنفرد بالخلق والتكوين وقرئ أإلها باضمار فعل مثل أتدعون أو أتشركون وبتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين (بل هم قوم يعدلون) عن الحق الذى هو التوحيد (أمن جعل الارض قرارا) بدل من أمن خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها (وجعل خلالها) وسطها (أنهارا) جارية (وجعل لها رواسى) جبالا تتكون فيها المادن وتنبع من حضيضها المنابع (وجعل بين البحرين) العذب والملح أو خليجى فارس والروم (حاجزا) برزخا وقدرة بيانه فى الفرقان (أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) الحق فيشركون به (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) المضطر الذى أحوجه شدة ما به الى اللجا الى الله تعالى من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر (ويكشف السوء) ويدفع عن الانسان ما يسوءه (ويجعلكم خلفاء الارض) خلفاء فيها بأن ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن

(قوله أو علمه ما جهل من أحوالهم الخ) أى أو على علمه ما جهل من أحوالهم فيكون معطوفا على ما وليس معطوفا على أنعم حتى يكون المعنى أو على ما علمه ما جهل لفساد التركيب هذا اذا جعل ما موصولة وأما اذا كانت مصدرية فلا معنى على انعامه أو تعليمه ما جهل من أحوالهم (قوله لتأكيد اختصاص الفعل به تعالى ليدل على نفى الشرك) لا يخفى ان نسبة الانبات بطريق التكلم أظهر فى الاختصاص فيكون آكد وتوضيحه انه اذا قرئ بطريق التكلم يفيد الاختصاص من غير اعتبار شئ آخر وأما اذا قرئ بصيغة الغيبة فهو بحسب الظاهر يدل على اختصاصه بمن خلق السموات والارض اذ الضمير راجع اليه ولما كان خلق السموات والارض مختصا بالله تعالى كان انبات الحدائق مخصوصا به أيضا فاختصاصه به تعالى يكون بهذه الواسطة وانما لم يلتفت فى أنزل لان العجب فى انبات الحدائق المختلفة الانواع من الماء المتشابه أقوى من انزال الماء

قبلكم (أ اله مع الله) الذى خصكم بهذه النعم العامة والخاصة (قليلا ما تذكرون) أى تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم أو الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ أبو عمرو وهشام وروح بالياء وحمزة والكسائى وحفص بالتاء وتخفيف الذال (أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر) بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالى واضافتها الى البر والبحر للملابسة أو مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتى لا منار بها (ومن يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته) يعنى المطر ولو صح أن السبب الاكثرى فى تكون الرياح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك أن الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى والفاعل للسبب فاعل للمسبب (أ اله مع الله) يقدر على مثل ذلك (تعالى الله عما يشركون) تعالى الله القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده) والكفرة وان أنكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها (ومن يرزقكم من السماء والارض) أى بأسباب سماوية وأرضية (أ اله مع الله) يفعل ذلك (قل هاتوا برهانكم) على أن غيره يقدر على شئ من ذلك (ان كنتم صادقين) فى اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية (قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) لما بين اختصاصه تعالى بالقدرة التامة الفائقة العامة أتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على أنه تعالى ان كان ممن فى السموات والارض ففيها من يعلم الغيب مبالغة فى نفيه عنهم أو متصل على أن المراد ممن فى السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى وأولى العلم من خلقه وهو موصول أو موصوف (وما يشعرون أيان يبعثون) متى ينشرون مركبة من أى وآن وقرئت بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة (بل أدرك علمهم فى الآخرة) لما نفى عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفى شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بأن أضرب عنه وبين أن ما انتهى وتكامل فيه أسباب علمهم من الحجج والآيات وهو أن القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغى (بل هم فى شك منها) كمن تحير فى الأمر لا يجد عليه دليلا (بل هم منها عمون) لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن فى السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفى الشعور بوقت القيامة عنهم الى وصفهم باستحكام علمهم فى أمر الآخرة تهكما بهم وقيل أدرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم أدركت الثمرة لان تلك غايتها التى عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم أو تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا فى الهلاك وأبو بكر ادّرك وأصلهما تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين وآأدرك بألف بينهما وبل أدرك وبل تدارك وبلى أأدرك وبلى أأدرك وأم ادرك وأم تدارك وما فيه استفهام صريح أو مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة فى نفيه ودلالة على أن شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون أورد وانكار لشعورهم (وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) كالبيان لعمههم والعامل فى اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة فى الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث أو من حال الفناء الى الحياة وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائى اننا

(قوله والمراد الخ) انما فسر بذلك لان الكلام مع المشركين وهم لا يتذكرون تذكرا معتدا به (قوله كاللازم له الخ) انما قال كاللازم لان التفرد بعلم الغيب ليس بلازم للقدرة العامة من حيث هى قدرة عامة وانما اللازم لها العلم لا التفرد به (قوله لدلالته على انه تعالى الخ) لا يخفى ان هذه النكتة حصلت على جعل الاستثناء متصلا ودخوله تعالى فيمن فى السموات والارض بطريق الادعاء ولذا لم يجعل صاحب الكشاف الاستثناء منقطعا بل جعل المستثنى من جنس المستثنى منه بالفرض والتقدير (قوله لا يعلمونه كما ينبغى) أى يصدقون به على خلاف ما ينبغى ولا يخفى ان ما قاله المصنف لا يخلو عن ابهام وتوضيح المقام ان على القراءة المشهورة معنى الكلام بل اضمحل علمهم فى وقوع الآخرة بل هم فى شك منها متحيرين لم يدروا ما يقولون ولا يخفى ان هذا نزق لان اضمحلال العلم قد يكون بحصول الظن فاذا أثبت الشك وقيل بل هم فى شك منها علم انتفاء الظن فيها أيضا ومعنى الحكم بانهم منها عمون الجاهلون بكل وجه فهو أقوى من الحكمين المتقدمين (قوله وهذا وان اختص الخ) أى أسند الى جميعهم بحسب الظاهر وان كان المراد البعض فيه ما فيه فالاولى ان يقال الضمائر للكفرة حتى لا يحتاج الى هذا التكلف (قوله تنزيل لاحوالهم الخ) اى ذكر جهلهم بأحوال القيمة أى كيف يشعرون بوقت

لمخرجون

بنونين على الخبر (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل) من قبل وعد محمد صلى الله عليه وسلم وتقديم هذا على نحن لأن المقصود بالذكر هو البعث وحيث أخر فالمقصود به المبعوث (ان هذا الأساطير الاولين) التي هي كالاسمار (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) تهديد لهم على التكذيب وتخويف بأن يزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا بالمؤمنين في ترك الجرائم (ولا تحزن عليهم) على تكذيبهم واعراضهم (ولا تكن في ضيق) في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق أي أمر ضيق (مما يمكرون) من مكرهم فان الله يعصمك من الناس (ويقولون متى هذا الوعد) العذاب الموعود (ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم) تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد أو الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (بعض الذي تستعجلون) حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونها اظهارا لوقارهم واشعارا بأن الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله تعالى ووعيده (وان ربك لذو فضل على الناس) لتأخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعهما فضول وفواضل (ولكن أكثرهم لا يشكرون) لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت أي سترت (وما يعلنون) من عداوتك فيجازيهم عليه (وما من غائبة في السماء والارض) خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية أو أسماء لما يغيب ويخفى كالتاء في عافية وعاقبة (الا في كتاب مبين) بين أو مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح أو القضاء على الاستعارة (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون) كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح (وانه لهدى ورحمة للمؤمنين) فانهم المنتفعون به (ان ربك يقضي بينهم) بين بني اسرائيل (بحكمه) بما يحكم به وهو الحق أو بحكمته وبدل عليه أنه قرئ بحكمه (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه (فتوكل على الله) ولا تبال بعاداتهم (انك على الحق المبين) وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره (انك لا تسمع الموتى) تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) فان اسماعهم في هذه الحالة أبعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم) حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرأ حمزة وحده وما أنت تهدي العمي (ان تسمع) أي ما يجدي اسماعك (الا من يؤمن بآياتنا) من هو في علم الله كذلك (فهم مسلمون) مخلصون من أسلم وجهه لله (واذا وقع القول عليهم) اذا دنا وقوع معناه وهو ما عدوا به من البعث والعذاب (أخرجنا لهم دابة من الارض) وهي الجساسة روى أن ظهورها ستون ذراعا ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروى أنه عليه الصلاة والسلام سئل من أين مخرجها فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام (تكلمهم) من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروى أنها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في أنف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه (ان الناس كانوا بآياتنا) يخرجها وسائر أحوالها فانها من آيات الله تعالى وقيل القرآن وقرأ الكوفيون ان الناس بالفتح (لا يوقنون) لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها أو حكاية تالة ول الله عز وجل أو علة لخروجها أو القيمة وهم لا يعلمون كونها بل كيف يشعرون وهم في ظامة الشك بل هم في العمى (قوله وتقديم هذا على نحن الخ) أي التقديم علامة الاهتمام فحيث قدم هنا الذي هو اشارة الى البعث علم ان الاهتمام بشان البعث فاذا أخر هذا علم ان الاهتمام الى المبعوث وتوضيحه انه اذا قدم هذا يكون اشارة الى انكار البعث من حيث هو بعث أي ان البعث أمر محال واذا أخر قدم المبعوث كان اشارة الى أن بعثنا وبعث آبائنا منكر ويؤيد ان ما وقع هيهنا لانكار البعث المبالغة في انكارهم للبعث حيث نفى عنهم العلم بوقت البعث ثم اضمحلال علمهم بوقوعه ثم الشك فيه ثم الجهل الصرف (قوله يكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم) يعني لطفا للمؤمنين بأنهم ما اشتغلوا بالجرائم ولا يخفى ان عدم اشتغالهم وتركهم للجرم من لطف الله تعالى

تكلمها على حذف الجار (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) يعني يوم القيامة (ممن يكذب بآياتنا) بيان للفوج أي فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان أمة كل نبي وأهل كل قرن شامل للصادقين والمكذبين (فهم يوزعون) يحبس أوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد أطرافهم (حتى اذا جاؤا) الى المحشر (قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما) الواو للحال أي أكذبتم بها بادئ الرأى غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو التكذيب أو للعطف أي أجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها (أماذا كنتم تعملون) أم أي شئ كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذلم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون أن يقولوا فعلنا غير ذلك (ووقع القول عليهم) حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك (بما ظلموا) بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله (فهم لا ينطقون) باعتذار لشغلهم بالعذاب (ألم يروا) ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى نجوز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهر وأن من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحياة في مواد الابدان وأن من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من أسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم (أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) بالنوم والقرار (والنهار مبصرا) فان أصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من أحواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) لدلالتها على الامور الثلاثة (ويوم ينفخ في الصور) في الصور أو القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق (ففزع من في السموات ومن في الارض) من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه (الا من شاء الله) أن لا يفزع بان يثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى عليه الصلاة والسلام لانه صعق مرة ولعل المراد مايعم ذلك (وكل أتوه) حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية أو راجعون الى أمره وقرأ حمزة وحفص أتوه على الفعل وقرئ أتاه على التوحيد للفظ الكل (داخرين) صاغرين وقرئ دخرين (وترى الجبال تحسبها جامدة) ثابتة في مكانها (وهي تمر مر السحاب) في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تبين حركتها (صنع الله) مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله (الذي أتقن كل شئ) أحكم خلقه وسواه على ما ينبغي (انه خبير بما يفعلون) عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيكم عليها كما قال (من جاء بالحسنة فله خير منها) اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها أي خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء (وهم من فزع يومئذ آمنون) يعني به خوف عذاب يوم القيامة وبالاول ما يحق الانسان من النهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وآمن يتعدى بالجار بنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها (ومن جاء بالسيئة) قيل بالشرك (فكبت وجوههم في النار) فكبوا فيها على وجوههم ويجوز أن يراد بالوجوه أنفسهم كأن بدت بالايدي في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) على الالتفات أو باضمار القول أي قيل لهم ذلك (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها) أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم ذلك

(قوله وقدرة القاهر المذكور) يدل على توحيده لبرهان التمانع (قوله لعله لا يخل الخ) أي ليس الغرض من ذكر الليل والنهار خصوص حالهما بل الغرض تحصيل أسباب المعاش ومصالح المعاد للكل فيهما (قوله فبولغ بجعل البصائر حالا من أحواله) انما يجعل السكون حالا من أحوال الليل كما جعل الابصار حالا من أحوال النهار لان الابصار لازم النهار وأما السكون فليس بلازم لليل اذ قد تتحرك الجماعة الكثيرة في الذهاب بالليل في الطرق الى الاسفار (قوله قيل هم جبريل الخ) قال الشيخ الكامل في الفتوحات واعلم أن منزل أهل القرية يعطيهم اتصال حياتهم بالآخرة فلا يدركهم الصعق الذي يدرك الارواح بل هم ممن استثنى الله بقوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن الارض الا من شاء الله (قوله لانه فزع واحد من افزاع ذلك اليوم) وهو فزع الدخول في العذاب

بعد ما بين المبدأ والمعاد وشرح أحوال القيامة اشعارا بأنه قد أتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشأنه والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص مكتبهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها وقرئ التي حرمها (وله كل شئ) خلقا وملكا (وأمرت أن أكون من المسلمين) المنقادين أو الثابتين على ملة الاسلام (وأن أتلو القرآن) وأن أواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه في تلاوته شيأ فشيأ أو لتباعته وقرئ وأتل عليهم وأن اتل (فمن اهتدى) باتباعه اياي في ذلك (فانما يهتدي لنفسه) فان منافعه عائدة اليه (ومن ضل) بمخالفتي (فقل انما أنا من المنذرين) فلا علي من وبال ضلالة شئ اذما علي الرسول الا البلاغ وقد بلغت (وقل الحمد لله) على نعمة النبوة وعلي ما علمني ووفقني للعمل به (سيريكم آياته) القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض أو في الآخرة (فتعرفونها) فتعرفون أنها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة (وما ربك بغافل عما تعملون) فلا تحسبوا ان تأخير عذابكم لغفلته عن أعمالكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالياء * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وصالحا وابراهيم وشعيبا وبخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

* سورة القصص مكية وقيل الا قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك) نقرؤه بقراءة جبريل ويجوز أن يكون بمعنى نتلوه مجازا (من نبأ موسى وفرعون) بعض نبئهما مفعول نتلو (بالحق) محقين (لقوم يؤمنون) لانهم المنتفعون به (ان فرعون علا في الارض) استئناف مبين لذلك البعض والارض أرض مصر (وجعل أهلها شيعا) فرقا يشيعونه فيما يريد أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو أصنافا في استخدامه استعمل كل صنف في عمل أو احزابا بان أغرى بينهم العداوة كي لا يتفقوا عليه (يستضعف طائفة منهم) وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل أو صفة لشيعا أو استئناف وقوله (يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم) بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فلوجهه (انه كان من المفسدين) فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من أولاد الانبياء لتخيل فاسد (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض) أن نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا في الارض من حيث انهما وأقعان تفسير للنبأ أو حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز أن يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع أن منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز أن تجري مجرى المقارن (ونجعلهم أئمة) مقدمين في أمر الدين (ونجعلهم الوارثين) لما كان في ملك فرعون وقومه (ونمكن لهم في الارض) أرض مصر والشام وأصل التمكين أن تجعل للشئ مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر (ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم) من بني اسرائيل (ما كانوا يحذرون) من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرأ حمزة والكسائي ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع (وأوحينا الى أم موسى) بالهام أو رؤيا (أن أرضعيه) ما أمكنك اخفاؤه (فاذا خفت عليه) بأن يحس به (فألقيه في اليم) في البحر يريد النيل (ولا تخافي) عليه ضيعة ولا شدة (ولا تحزني) لفراقه (انا رادوه اليك) عن قريب بحيث تأمنين عليه (وجاعلوه من المرسلين)

(قوله وخروج دابة الارض) وعلى هذا فالخطاب في سيركم للجنس لا للموجودين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم (قوله في الصوراخ) الاول أن يكون الصور جمع صورة مخفف صور والثاني أن يكون الصور اسم القرن المخصوص

* سورة القصص *

(قوله ولا يلزم الخ) جواب سؤال هو انه لزم أن يكون ارادة المنة على المستضعفين مقارنة للاستضعاف ولا يخفى أن المراد لا يتخلف عن الارادة الالهية فيلزم أن تكون المنة المذكورة مقارنة للاستضعاف مع انه ليس كذلك بل استضعاف فرعون اياهم قبل المنة بسنين فأجاب أولا بأن تعلق ارادة المنة تعلق استقبالي فيكون المعنى ونريد أن نمن بعد ذلك بسنين وثانيا بأن ما أراده الله حصوله في الزمان المستقبل في حكم الحاضر في تحقيق الوقوع

(قوله فالجملة اعتراض لتأكيد تفسير الخاطئين بما ذكر أولا وهو أن يكون من الخطأ والثانى بالنظر الى المعنى الثانى وهو تفسير الخاطئين بالمذنبين (قوله أو خاطئين الصواب الى الخطأ) يعنى ان الخاطئين بالتخفيف مأخوذ من الخطوة والخاطى بمعنى المتجاوز (قوله خطاب بلفظ الجمع للمتعظيم) أى الخطاب مع فرعون فقط للتعظيم ويمكن أن يقال المراد لا تقتلوه ولا يقتله آله الملتقطون فغلب المخاطب (قوله حال من الملتقطين) أى حال من فاعل التقطه وهو الآل (قوله أو من القائل والمقول له) الاول امرأة فرعون والمقول له فرعون وآله وقوله وهم لا يشعرون انهم على الخطأ فى التقاطه ناظر الى الوجه الاول (قوله أو فى طمع النفع) ناظر الى الوجه الثانى ففيه لف ونشر (قوله أو من أحد ضميرى تتخذه) الضمير الاول ضمير المتكلم والثانى ضمير الغائب ولا يخفى ان الاحتمال الاول من الاحتمالات المذكورة بعيد (قوله ويؤيد أنه قرئ فرغا من قولهم دما دماؤهم بينهم فرغ) أى هدر باطل فكأنه بطل قلبها لان القلب الذى لا عقل له باطل فى حكم العدم (قوله وروى أن هامان لما سمعه اح) أى سمع امرأته قالت وهم له ناصحون قال مايأتى (قوله وماسواه الخ) أى ماسواه مما يترتب على الردمن الانعام عليها فارضاع موسى وتربيتها اياه تابع له (قوله وفيه تعريض بأن فرعون

روى انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من المركلات بجبال بنى اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه فى قلبها بحيث منعها من السعاية فأرضعته ثلاثة أشهر ثم أرسل فرعون فى طلب المواليد واجتهد العيون فى تفحصه فأخذت له تابوتا فقذفته فى النيل (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) تعليل لا لتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيه له بالغرض الحامل عليه وقرأ حزة والكسائى وحزنا (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) فى كل شئ فليس ببدع منهم أن قتلوا لوفا لاجله ثم أخذوه بربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون أو مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن رتى عدوهم على أيديهم فالجملة اعتراض تأكيد لخطئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين أو خاطين الصواب الى الخطأ (وقالت امرأت فرعون) أى لفرعون حين أخرجته من التابوت (قرة عين لى ولك) هو قرة عين لنا لا نهما لما رأياه أخرج من التابوت أحباه أو لانه كانت له ابنة برصاء وعالجها لاطباء برئ حيوان بحرى يشبه الانسان فلطخت برصها ريقه فبرئت وفى الحديث انه قال لك لا لى ولو قال هو لى كما هو لك لهداها الله كما هداها (لا تقتلوه) خطاب بلفظ الجمع للمتعظيم (عسى أن ينفعنا) فان فيه مخايل النجب ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا و برء البرصاء بريقه (أو نتخذه ولدا) أو نتبناه فانه أهل له (وهم لا يشعرون) حال من الملتقطين أو من القائلة والمقول له أى وهم لا يشعرون أنهم على الخطأ فى التقاطه أو فى طمع النفع منه والتبنى له أو من أحد ضميرى نتخذه على أن الضمير للناس أى وهم لا يشعرون أنه لغيرنا وقد تبنياه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون كقوله تعالى وأفئدتهم هواء أى خلاء لا عقول فيها أو يؤيده أنه قرئ فرغا من قولهم دما دماؤهم بينهم فرغ أى هدر أو من الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى أو سماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه (ان كادت لتبدى به) انها كادت لتظهر بموسى أى بأمره وقصته من فرط الضجر أو الفرح لتبنيه (لولا أن ربطنا على قلبها) بالصبر والثبات (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله أو من الواثقين بحفظه لا بتبنى فرعون وعطفه وقرئ مؤمنى اجراء للضمة فى جوار الواو مجرى ضمتها فى استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله (وقالت لاخته) مريم (قصيه) اتبعى أثره وتتبعى خبره (فبصرت به عن جنب) عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه (وهم لا يشعرون) أنها تقص أو أنها أخته (وحرمنا عليه المراضع) ومنعناه أن يرتضع من المرضعات جمع مرضع أو مرضع وهو الرضاع أو موضعه يعنى الثدى (من قبل) من قبل قصها أثره (فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) لاجلكم (وهم له ناصحون) لا يقصرون فى ارضاعه وتربيته روى أن هامان لما سمعه قال انها التعرفه وأهله خذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون فأمر هامان فرعون أن تأتى بمن يكفله فأتت بامها وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها مان أنت منه فقد أبى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها وأجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله تعالى (فرددناه الى أمه كى تقر عينها) بولدها (ولا تحزن) بفراقه (ولتعلم أن وعد الله حق) علم مشاهدة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن وعده حق فيرتابون فيه أو أن الغرض الاصلى من الرد علمها بذلك وماسواه تبع وفيه تعريض بأن أكثرهم منها حين سمعت بوقوعه فى يد

فرعون (ولما بلغ أشده) مبلغه الذى لابزيد عليه نشؤه وذلك من ثلاثين الى أربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبى الا على رأس الاربعين سنة (واستوى) قده وعقله (آتيناه حكما) أى نبوة (وعلما) بالدين أو علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل مايستجهل فيه وهو أوفى لنظم القصة لان الاستنباء بعد الهجرة فى المراجعة (وكذلك) ومثل ذلك الذى فعلنا بموسى وأمه (نجزى المحسنين) على احسانهم (ودخل المدينة) ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل منف أو حائين أو عين شمس من نواحيها (على حين غفلة من أهلها) فى وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقع ونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه) أحدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى) هو (من عدوه) فسأله أن يغيثه بالاعانة ولذلك عدى بعلى وقرئ استعانه (فوكزه موسى) فضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه أى فضرب به صدره (فقضى عليه) فقتله وأصله فانهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر (قال هذا من عمل الشيطان) لانه لم يؤمر بقتل الكفار أولانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه على عادتهم فى استعظام محقرات فرطت منهم (انه عدو مضل مبين) ظاهر العداوة (قال رب انى ظلمت نفسى) بقتله (فاغفر لى) ذنبى (فغفر له) لاستغفاره (انه هو الغفور) لذنوب عباده (الرحيم) بهم (قال رب بما أنعمت على) قسم محذوف الجواب أى أقسم بانعامك على بالمغفرة وغيرها لأتوبن (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) أو استعطاف أى بحق انعامك على اعصمنى فلن أكون معينا لمن أدت معاونته الى جرم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه لم يستثن فابتلى به مرة أخرى وقيل معناه بما أنعمت على من القوة أعين أوليائك فلن أستعملها فى مظاهرة أعدائك (فأصبح فى المدينة خائفا يترقب) يترصد الاستقادة (فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه) يستغيثه مشتق من الصراخ (قال له موسى انك لغوى مبين) بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر (فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما) لموسى والاسرائيلى لانهم لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا أعداء لبنى اسرائيل (قال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس) قاله الاسرائيلى لانه لما سماه غويا ظن أنه يبطش عليه أو القبطى وكأنه توهم من قوله انه الذى قتل القبطى بالامس لهذا الاسرائيلى (ان تريد) ما تريد (الا أن تكون جبارا فى الارض) تطاول على الناس ولا تنظر فى العواقب (وما تريد أن تكون من المصلحين) بين الناس فتدفع التخاصم بالتى هى أحسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملئه وهموا بقتله فخرج مؤمن آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) يسرع صفة رجل أو حال منه اذا جعل من أقصى المدينة صفة له لاصلة لجاء لأن تخصيصه بها يلحقه بالمعارف (قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) يتشاورون بسببك وانما سمى التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر (فاخرج انى لك من الناصحين) اللام للبيان وايس صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول (فخرج منها) من المدينة (خائفا يترقب) لحوق طالب (قال رب نجنى من القوم الظالمين) خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم (ولما توجه تلقاء مدين) قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام ولم تكن فى سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان (قال عسى ربى أن يهدينى سواء

انما حصل التعريض المذكور لان محصل علمه بما ذكر يشعر بأنه حصل منها مالا يناسبه العلم المذكور وهو اضطرابها (قوله وهو أوفق الخ) وعلى هذا فالمراد بالحكم علم الحكماء وبا لعلم علم العلماء (قوله والاشارة على الحكاية) كأنه قيل فوجد فيها رجلين يقول الناظر اليهما هذا من شيعته وهذا من عدوه (قوله لم يستثن) أى لم يقل فلن أكون ظهيرا للمجرمين ان شاء الله (قوله قاله الاسرائيلى الخ) يعنى أراد موسى أن يبطش على عدوهما ووهم الاسرائيلى انه أراد أن يبطش عليه بناء على ما ذكر (قوله ومن قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الأمر) لان المعنى قضينا هلاك قومه واللازم منه انتهاء حياة هؤلاء فاستعمل الملزوم فى اللازم فمعنى قضى عليه الموت انهى حياته وانما قال ذلك لان قضاء الموت والفعل الذى هو ازالة الحياة ليس فعل موسى فلابد أن يؤول فقوله وأصله انهى حياته معناه ان الاصل فى هذا المقام انهى حياته وقوله من قوله وقضينا اليه ذلك الأمر أن قوله فقضى عليه مأخوذ منه ههنا اذ القرئ فانتهى حياته من باب الافتعال كما هو فى بعض النسخ وأما اذا

السبيل) توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطريق فمن له ثلاث طرق فأخذ في أوسطها وجاء الطلاب عقبيه فأخذوا في الآخرين (والموارد ماء مدين) وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها (وجد عليه) وجد فوق شفيرها (أمة من الناس) جماعة كثيرة مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) في مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تذودان) تمنعان أغنامهما عن الماء لئلا تختلط بأغنامهم (قال ما خطبكما) ما شأنكما تذودان (قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء) تصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذر اعن مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ولم يدعوه الى السقي لهما مع دونه وقرأ أبو عمرو وابن عامر يصدر أي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال (وأبونا شيخ كبير) كبير السن لا يستطيع أن يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا (فسقى لهما) مواشيهما رحمة عليهما فإن كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال أو أكثر فقلعه وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا أخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها (ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما أنزلت الي) لاي شئ أنزلت الي (من خير) قليل أو كثير وجله الا كثرون على الاطعام (فقير) محتاج سائل ولذلك عدي باللام وقيل معناه اني لما أنزلت الي من خير الدين صرت فقيرا الى الدنيا لانه كان في سعة عنه فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك (فجاءته احداهما تمشي على استحياء) أي مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء وأصفراء وهي التي تزوجها موسى عليه السلام (قالت ان أبي يدعوك ليجزيك) ليكافئك (أجر ما سقيت لنا) جزاء سقيك لنا ولعل موسى عليه الصلاة والسلام انما أجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روي أنه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال له شعيب عليه الصلاة والسلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان كل من فعل معروفا فأهدى بشئ لم يحرم أخذه (فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) يريد فرعون وقومه (قالت احداهما) يعني التي استدعته (يا أبت استأجره) لرعي الغنم (ان خير من استأجرت القوي الامين) تعليل شائع تجري مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل خبر اسم ذو كر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه امر وجب معروف روي أن شعيبا قال لها وما أعلمك بقوته وأمانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه (قال اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني) أي تأجر نفسك مني أو تكون لي أجيرا أو تثيبني من أجرك الله (ثماني حجج) ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف أي رعية ثماني حجج (فان أتممت عشرا) عملت عشر حجج (فمن عندك) فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندي لزاما عليك وهذا استدعاء العقد لنفسه فلعله جرى على أجرة معينة وبهر آخر أو برعية الاجل الاول ووعده أن يوفي الأخيرين يسره قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع أنه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك (وما أريد أن أشق عليك) بالزام اتمام العشر أو المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في الطاقة ورأيك في مزاولته (ستجدني ان شاء الله من الصالحين) في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة (قال ذلك بيني وبينك) أي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه (أيما الاجلين) أطولهما أو أقصرهما (قضيت) وفيتك اياه (فلا عدوان علي) لا تعتدي علي بطلب الزيادة فكما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان أو فلا كون معتديا بترك الزيادة

قرئ فأتهى حيائه من باب الافعال فالمعنى أبلغ حياته الى النهاية وهو أيضا من قوله وقضينا اليه ذلك الأمر لان معناه أتهى حياة هؤلاء الجماعة (قوله مختلفين) الاختلاف انما يفهم من أن الناس المجتمعين حول البئر يكونون مختلفين هكذا ذكره العلامة الطيبي ومن للبيان أي جماعة كثيرة هي ناس مختلفون (قوله دونه) أي دون المفعول أي الغرض هو البيان المذكور لا المفعول (قوله كالرخال) الرخال جمع رخل بكسر الخاء المعجمة الأنثى من ولد الضأن (قوله ولذلك الخ) أي لان الفقير بمعنى السائل أي الطالب عدي باللام كما أن الطالب عدي بها (قوله هذا) أي هذا ماذكر (قوله وان من فعل الخ) أي مع قطع النظر عما ذكر من فعل الخ (قوله فكانت الاغنام للزوجة) انما قال ذلك لان الواجب ان مهر المرأة واصل اليها الا الى أبيها (قوله وهذا استدعاء الخ) لان الارادة لا تحصل العقد بهائم انه لم يعين أحد الشيئين وقوله مع انه يمكن الخ معناه ان ما ذكرناه وبشرعنا ويمكن أن يكون في شريعة شعيب يحصل العقد بما ذكر (قوله يشق عليك اعتقادك

عليه كقولك لا اثم على وهو أبلغ فى اثبات الخيرة وتساوى الاجلين فى القضاء من أن يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان على وقرئ أيما كقوله

تنظرت نصرا والسماكين أيهما * على من الغيث استهلت مواطره

وأى الاجلين ماقضيت فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل أى اى الأجلين جردت عزمى لقضائه وعدوان بالكسر (والله على مانقول) من المشارطة (وكيل) شاهد حفيظ (فلما قضى موسى الاجل وسار باهله) بامرأته روى أنه قضى أقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا أخرى ثم عزم على الرجوع (آنس من جانب الطور نارا) أبصر من الجهة التى تلى الطور (قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر) بخبر الطريق (أو جذوة) عود غليظ سواء كان فى رأسه نار أو لم يكن قال

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذى غير خوار ولا دعر

وقال آخر

وألقى على قبس من النار جذوة * شديدا عليه حرها والتهابها

ولذلك بينه بقوله (من النار) وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات (لعلكم تصطلون) تستدفؤن بها (فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن) أتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى (فى البقعة المباركة) متصل بالشاطئ أو صلة لنودى (من الشجرة) بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت ثابتة على الشاطئ (أن يا موسى) أى ياموسى (انى أنا الله رب العالمين) هذا وان خالف مافى طه والنمل لفظا فهو طبقه فى المقصود (وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز) أى فألقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز (كأنها جان) فى الهيئة والجثة أو فى السرعة (ولى مدبرا) منهزما من الخوف (ولم يعقب) ولم يرجع (ياموسى) نودى ياموسى (أقبل ولا تخف انك من الآمنين) من المخاوف فانه لايخاف لدى المرسلون (اسلك يدك فى جيبك) أدخلها (تخرج بيضاء من غير سوء) عيب (واضمم اليك جناحك) يديك المبسوطتين تتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بادخالهما فى الجيب فيكون تكرير الغرض آخر وهو أن يكون ذلك فى وجه العدو اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمأن ضمهما اليه (من الرهب) من أجل الرهب أى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وأبو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات (فذانك) اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير وأبو عمرو ورويس (برهانان) حجتان وبرهان فعلان لقولهم أبره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن (من ربك) مرسلا بهما (الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين) فكانوا أحقاء بان يرسل اليهم (قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون) بها (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردأ) معينا وهو فى الاصل اسم مايعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف (يصدقنى) بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة (انى أخاف أن يكذبون) ولسانى لايطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقنى بالرفع على أنه صفة والجواب محذوف (قال سنشد عضدك بأخيك) سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزوالة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد (ونجعل لكما سلطانا) غلبة أو حجة (فلا يصلون اليكما) باستيلاء أو حجاج (بآياتنا) متعلق بمحذوف أى اذهبا بآياتنا أو بنجعل أى نسلطكما

وظنك ماتبين تقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه (قوله فيكون ما) على قراءة أيما الاجلين بالتأكيد عموم الاجل وفى التأكيد القضاء (قوله أو جذوة) قال فى الصحاح قال مجاهد فى قوله أو جذوة من النار أى قطعة من الجمر ونقل عن الراغب التى تبقى من الحطب بعد الالتهاب والوجه أن تعتبر الجذوة بهذا لا بالعود والا لم يناسبه قوله تعالى من النار (قوله جزل الخ) الجذل الحطب اليابس العظيم والجذى جمع جذوة والخوار الضعيف والدعر الحطب الردىء الكثير الدخان استشهد بالبيت الاول على أن الجذوة تطلق على العود من غير نار وبالثانى على العود معها (قوله هذا وان خالف الخ) الاولى أن يقال يحتمل أن يكون الخطاب مع موسى بلفظ يستفاد منه جميع ماذكر فذكر فى بعض المواضع بعضا منه وفى موضع آخر بعضا آخر

(قوله أوقسم جوابه لايصلون) قال الطيبي فيه تساهل لان جواب القسم لايقدم عليه ولا يكون فيه فاء ومراده ان ماقبله يدل على أن جوابه محذوف (قوله أو بيان) كأنه قيل بماذا يغلبون فقيل يغلبون بآياتنا (قوله بمعنى أنه صلة لما بينه) أى صله للغالبين المقدر الذى بينه الغالبون المذكور (قوله كائنا فى أيامهم) فيكون حالا عن هذا كما هو المذكور فى الكشاف والاولى أن يقال المعنى ماسمعنا بوقوع هذا فى آبائنا الاولين حتى يكون الجار والمجرور متعلقا بذلك المقدر (قوله والمقصود منها الخ) لايخفى أن الثواب والعقاب كليهما بالارادة الاخيرة ولو كانت الارادة الى الثواب دون العقاب لم يقع عقاب الآن يقال ان الثواب يجرى مجرى المراد المقصود لان الله تعالى أمرهم بسلوك طريق الثواب ونهاهم عن طريق العقاب والاولى أن يقال المراد من عاقبة الدار العاقبة المحمودة بقرينة قوله تعالى له ٧ تمكذا قال محيى السنة وعلى هذا لاحاجة الى قوله فان المراد الخ (قوله وهذا من خواص العلوم الفعلية) أى العلوم التى تكون أسبابا لمعلوماتها فان نفى السبب يستلزم نفى المسبب وأما العلوم الانفعالية فاما لم تكن اسبابا لم تكن كذلك فهذا اعتراض على القول المذكور وهو الذى ذكره الزمخشرى (قوله ولذلك ناداه باسمه) يناسب وسط الكلام دليل تعظيم فرعون لانه لم يذكره بصفة الوزارة ولم يبتدئ باسمه (قوله من المطرودين) كذا فى الكشاف عليه وهذا يناسب ماقاله أبو الليث من أن المقبوح ما يجوز من قبيحه بالتخفيف قبحا بالفتح وقبحا أيضا أى نحاه عن كل خير وأما المعنى الثانى

بها أو بمعنى لايصلون أى تتمنعون منهم أوقسم جوابه لايصلون أو بيان للغالبون فى قوله (أئنا ومن اتبعكما الغالبون) بمعنى أنه صلة لما بينه أوصلة له على أن اللام فيه للتعريف لابمعنى الذى (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا الا سحر مفترى) سحر نختلقه لم يفعل قبل مثله أوسحر تعمله ثم تفتريه على الله أوسحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر (وماسمعنا بهذا) يعنون السحر أو ادعاء النبوة (فى آبائنا الاولين) كائنا فى أيامهم (وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) فيعلم أنى محق وأنتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال ماقاله جوابا لمقالهم ووجه العطف أن المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد (ومن تكون له عاقبة الدار) العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء (انه لايفلح الظالمون) لاينفوزون بالهدى فى الدنيا وحسن العاقبة فى العقبى (وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى) نفى علمه بالله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده مايقتضى الجزم بعدمه ولذلك أمر ببناء الصرح ليصعد اليه ويتطلع على الحال بقوله (فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى) كأنه توهم أنه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الترقى اليه ثم قال (وانى لأظنه من الكاذبين) أوأراد أن يبنى له رصدا يترصد منه أوضاع الكواكب فيرى هل فيها مايدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كقوله تعالى أتنبئون الله بما لايعلم فى السموات ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع مافيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بإبائى وسط الكلام (واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق) بغير استحقاق (وظنوا أنهم الينا لايرجعون) بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائى بفتح الياء وكسر الجيم (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ وا ستحقار للمأخوذين كأنه أخذهم مع كثرتهم فى كف وطرحهم فى اليم ونظيره ماقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (فانظر يامحمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك عن مثلها (وجعلناهم أئمة) قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله تعالى وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أو بمنع الالطاف الصارفة عنه (يدعون الى النار) الى موجباتها من الكفر والمعاصى (ويوم القيمة لاينصرون) بدفع العذاب عنهم (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) طردا عن الرحمة أو لعن اللاعنين ياعنهم الملائكة والمؤمنون (ويوم القيمة هم من المقبوحين) من المطرودين أو من قبح وجوههم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) أقوام نوح وهود وصالح ولوط (بصائر للناس) أنوارا لقلوبهم تتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل (وهدى) الى الشرائع التى هى سبل الله تعالى (ورحمة) لانهم لو عملوا بها لوارحة الله سبحانه وتعالى (لعلهم يتذكرون) ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ماعرفت (وماكنت بجانب الغربى) بر بد الوادى أو الطور فانه كان فى شق الغرب من مقام موسى أو الجانب الغربى منه والخطاب لرسول الله صلى الله

عليه وسلم أى ما كنت حاضرا (اذ قضينا الى موسى الامر) اذ أوحينا اليه الامر الذى أردنا تعريفه (وما كنت من الشاهدين) للوحى اليه أو على الوحى اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على أن اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التى لا تعرف الا بالوحى ولذلك استدرك عنه بقوله (ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر) أى ولكنا أوحينا اليك لما أنشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك وأقام سببه مقامه (وما كنت ثاويا) مقيما (فى أهل مدين) شعيب والمؤمنين به (تتلوا عليهم) تقرأ عليهم تعلما منهم (آياتنا) التى فيها قصتهم (ولكنا كنا مرسلين) اياك ومخبرين لك بها (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) لعل المراد به وقت ما أعطاه التوراة و بالاول حين ما استنبأ ولانهما اللذ كوران فى القصة (ولكن) علمناك (رحمة من ربك) وقرئت بالرفع على هذه رحمة من ربك (لتنذر قوما) متعلق بالفعل المحذوف (ما أتاهم من نذير من قبلك) لو قوعهم فى فترة بينك و بين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة أو بينك و بين اسمعيل على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببنى اسرائيل وماحولهم (لعلهم يتذكرون) يتعظون (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة فى سياقها لانها انما أجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على أن القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وأنه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا أرسلت الينا رسولا نبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما أرسلناك أى انما أرسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم (فنتبع آياتك) يعنى الرسول المصدق بنوع من المعجزات (ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى) من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها افتراحا وتعنتا (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) يعنى أبناء جنسهم فى الرأى والمذهب وهم كفرة زمان موسى أو كان فرعون عر بيا من أولاد عاد (قالوا ساحران) يعنى موسى وهرون أو موسى ومحمدا عليهما السلام (تظاهرا) تعاونا باظهار تلك الخوارق أو بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف أو جعلهما سحرين مبالغة أو اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظهارا على الادغام (وقالوا انا بكل كافرون) أى بكل منهما أو بكل الانبياء (قل فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) مما أنزل على موسى وعلى واضارهما الدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (أتبعه ان كنتم صادقين) انا ساحران مختلفان وهذا من الشروط التى يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجىء حرف الشك للتهكم بهم (فان لم يستجيبوا لك) دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء و باللام الى الداعى فاذا عدى اليه حذف الدعاء غالبا كقوله

وداع دعا من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

(فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) اذ لو اتبعوا حجة لأتوا بها (ومن أضل ممن اتبع هواه) استفهام بمعنى النفى (بغير هدى من الله) فى موضع الحال للتأكيد أو التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى (ولقد وصلنا لهم القول) أتبعنا بعضه بعضا فى الانزال ليتصل التذكير أو فى النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ

فيه ان قبح وجهه فعل فلا زم لا يبنى منه اسم المفعول (قوله لانها الخ) أى لان لولا الثانية أجيبت بالفاء فتكون تحضيضية لان الامتناعية لانجاب (قوله ما يجاب به) هو نفى الارسال فلزم ثبوت الامتثال (قوله وهو يؤيد الخ) أى يؤيد ان المراد بالساحرين فى قوله ساحران (قوله وداع الخ) أى رب داع دعا عامل من مجيب الى الندى أى هل يجيب المستجدين فلم يجبه أحد (قوله أو كلة رأس) أى فليلون يكفيهم رأس واحد

بالمواعيد والنصائح بالعبر (لعلهم يتذكرون) فيؤمنون ويطيعون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) نزلت في مؤمني أهل الكتاب وقيل في أربعين من أهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام واليمن في من قبله للقرآن كالمستكمن في (واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به) أي بانه كلام الله تعالى (انه الحق من ربنا) استئناف لبيان ما أوجب ايمانهم به (انا كنا من قبله مسلمين) استئناف آخر للدلالة على أن ايمانهم به ليس مما أحدثوه حينئذ وانما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن أو تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن (بما صبروا) بصبرهم ونباتهم على الايمانين أو على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو على أذى المشركين ومن هاجرهم من أهل دينهم (ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله صلى الله عليه وسلم أتبع السيئة الحسنة تمحها (ومما رزقناهم ينفقون) في سبيل الخير (واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) تكرما (وقالوا) للاغين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) متاركة لهم وتوديعا أو دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه (لا نبتغي الجاهلين) لا نطلب صحبتهم ولا نريدها (انك لا تهدي من أحببت) لا تقدر على أن تدخلهم في الاسلام (ولكن الله يهدي من يشاء) فيدخله في الاسلام (وهو أعلم بالمهتدين) بالمستعدين لذلك والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله قال يا بن أخي قد علمت انك لصادق ولكن أكره أن يقال لما خدع عند الموت (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) نخرج منها نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكن نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن أكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا فرد الله عليهم بقوله (أولم نمكن لهم حرما آمنا) أولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن محرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه (يجبى اليه) يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء (ثمرات كل شئ) من كل أوب (رزقا من لدنا) فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد (ولكن أكثرهم لا يعلمون) جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموه وقيل انه متعلق بقوله من لدنا أي قاليا منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم لا يعلمون اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى أو حال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين أن الامر بالعكس فانهم أحقاء بان يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أي ولم من أهل قرية كانت حالهم كحالهم في الامن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم (فتلك مساكنهم) خاوية (لم تسكن من بعدهم الا قليلا) من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما أو بعض يوم أو لا يبقى من يسكنها من شؤم معاصيهم (وكنا نحن الوارثين) منهم اذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض أو بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو باضمار زمان مضاف اليها أو مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت (وما كان ربك) وما كانت عادته (مهلك القرى حتى يبعث في أمها) في أصلها التي هي أعمالها لان أهلها تكون أفطن وأنبل (رسولا يتلوا عليهم آياتنا) لازالم الحجة قطع المعذرة (وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) بتكذيب الرسل والعتو على الكفر (وما أوتيتم من شئ) من أسباب الدنيا (فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها) تتمتعون وتتزينون به

مدة حياتكم المنقضية (وماعندالله) وهو ثوابه (خير) فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة و بهجة كاملة (وأبقى) لانه أبدى (أفلاتعقلون) فتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير وقرأ أبو عمرو بالياء وهو أبلغ فى الموعظة (أفمن وعدناه وعداحسنا) وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود (فهو لاقيه) مدركه لامحالة لامتناع الخلف فى وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية (كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا) الذى هو مشوب بالآلام مكدر بالتعاقب مستعقب بالتحسر على الانقطاع (ثم هو يوم القيمة من المحضرين) للحساب أو العذاب وثم للتراخى فى الزمان أو الرتبة وقرأ نافع وابن عامر فى رواية والكسائى ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتى قبلها ولذلك رتبت عليها بالفاء (و يوم يناديهم) عطف على يوم القيامة أو منصوب باذكر (فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) أى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما (قال الذين حق عليهم القول) بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وغيره من آيات الوعيد (ربنا هؤلاء الذين أغوينا) أى هؤلاء الذين أغوينا هم حذف الراجع الى الموصول (أغويناهم كما أغوينا) أى أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استئناف للدلالة على أنهم غووا باختيارهم وأنهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا و يجوز أن يكون الذين صفة وأغوينا هم الخبر لاجل ما اتصل به فافادة زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم (تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تفسير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا (ما كانوا ايانا يعبدون) أى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون أهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا أى تبرأنا من عبادتهم ايانا (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم) من فرط الحيرة (فلم يستجيبوا لهم) لعجزهم عن الاجابة والنصرة (ورأوا العذاب) لازما بهم (لوأنهم كانوا يهتدون) لوجه من الحيل يدفعون به العذاب أو الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمنى أى تمنوا أنهم كانوا مهتدين (و يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) عطف على الاول فانه تعالى يسأل أولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء (فعميت عليهم الانبياء يومئذ) فصارت الانباء كالعمى عليهم لاتهتدى اليهم وأصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على أن ما يحضر الذهن انما يفيض و يرد عليه من خارج فاذا أخطأ لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ما أجابوا به الرسل أو مايعمها وغيرها فاذا كانت الرسل يتتعتعون فى الجواب عن مثل ذلك من الهول و يفوضون الى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من أمهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء (فهم لايتساءلون) لايسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة أو العلم بانه مثله فى العجز (فامامن تاب) من الشرك (وآمن وعمل صالحا) وجمع بين الايمان والعمل الصالح (فعسى أن يكون من المفلحين) عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام أو ترج من التائب بحسب ما فليتوقع أن يفلح (ور بك يخلق مايشاء و يختار) لاموجب عليه ولامانع له (ما كان لهم الخيرة) أى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواعٍ لااختيار لهم فيها وقيل المراد أنه ليس لاحد من خلقه أن يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف و يؤيد ما روى أنه نزل فى قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى و يختار الذى كان لهم فيه الخيرة أى الخير والصلاح (سبحان الله) تنزيه له أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره اختيار (وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم أو مشاركة مايشركونه (ور بك يعلم

(قوله وهو أبلغ) لانه لما عدل عن الخطاب الى الغيبة أشعر بأن هؤلاء لايستحق أن يخاطبوا فكان فيه زجر عظيم (قوله تشبيها للمنفصل) أى كما يقال فى عضد عضد بسكون الضاد وقال ثم هو بسكون الهاء فكان الميم متصلة بالهاء (قوله وهو تقرير للجملة المتقدمة) لان التبرأ عن الشخص مشير الى غوايته (قوله مبالغة) لانه اذا عميت الانباء التى ليست من شأنها العمى فالمشركون أولى بأن يكونوا عميا (قوله و يفوضون الخ) حيث يقولون لاعلم لنا انك أنت علام الغيوب (قوله او ترج) لانه يعلم العاقبة

ماتكن صدورهم) كعداوة الرسول وحقده (وما يعلنون) كالطعن فيه (وهو الله) المستحق للعبادة (لا اله الا هو) لا أحد يستحقها الا هو (له الحمد فى الاولى والآخرة) لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده اتبعنا بفضله والتذاذا بحمده (وله الحكم) القضاء النافذ فى كل شئ (واليه ترجعون) بالنشور (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كيم دلامص (الى يوم القيامة) باسكان الشمس تحت الارض أو تحريكها حولا لافى الغائر (من اله غير الله يأتيكم بضياء) كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم أن غيره آلهة وعن ابن كثير بضياء بهمزتين (أفلا تسمعون) سماع تدبر واستبصار (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة) باسكانها فى وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الافق (من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) استراحة عن متاعب الاشغال واعلم لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة فى ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء أكثر مما يقابله ولذلك قرن به أفلا تسمعون و بالليل (أفلا تبصرون) لان استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) فى الليل (ولتبتغوا من فضله) فى النهار بانواع المكاسب (ولعلكم تشكرون) ولكى تعرفوا نعمة الله فى ذلك فتشكروه عليها (و يوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لاشئ أجلب لغضب الله من الاشراك به أو الاول لتقرير فساد رأيهم والثانى لبيان أنه لم يكن عن سند وانما كان محض تشه وهوى (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه (فقلنا) للأمم (هاتوا برهانكم) على صحة ما كنتم تدينون به (فعلموا) حينئذ (أن الحق لله) فى الالوهية لا يشاركه فيها أحد (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الضائع (ما كانوا يفترون) من الباطل (ان قارون كان من قوم موسى) كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى وكان من آمن به (فبغى عليهم) فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره أو تكبر عليهم أو ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بنى اسرائيل أو حسدهم لما روى أنه قال لموسى عليه السلام لك الرسالة ولهرون الحبورة وأنا فى غير شئ الى متى أصبر فقال موسى هذا صنع الله (وآتيناه من الكنوز) من الاموال المدخرة (ما ان مفاتحه) مفاتيح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح (لتنوء بالعصبة أولى القوة) خبر ان والجملة صلة ما وهو ثانى مفعولى آتى وناء به الحمل اذا أثقله حتى أماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه (اذ قال له قومه) منصوب بتنوء (لا تفرح) لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة جهل والرضا بها والذهول عن ذمها بها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قيل

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهى ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال (ان الله لا يحب الفرحين) أى بزخارف الدنيا (وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى (الدار الآخرة) بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه أن يكون وصلة اليها (ولا تنس) ولا تترك ترك المنسى (نصيبك من الدنيا) وهو أن تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك (وأحسن) الى عباد الله (كما أحسن الله اليك) فيما أنعم الله عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن اليك بالانعام (ولا تبغ الفساد فى الارض) بامر يكون علة للظلم والبغى نهى له عما كان عليه من الظلم والبغى (ان الله لا يحب المفسدين) لسوء أفعالهم

(قوله لان استفادة العقل الخ) لان من جملة ما يستفاد من السمع كلام الله تعالى وأنبيائه

(قال انما أوتيته على علم عندى) فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم فى موضع الحال وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها وقيل هو الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل العلم بكنوز يوسف وعندى صفة له أو متعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندى أى فى ظنى واعتقادى (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأ فى التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ أو رد لادعائه العلم وتعظيمه به بنفى هذا العلم عنه أى أعند ه مثل ذلك العلم الذى ادعى ولم يعلم هذا حتى يتيه بنفسه مصارع الهالكين (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها أو معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كأنه لما عدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا أقوى منه وأغنى أكد ذلك بان بين أنه لم يكن مطلعا على ما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة (فخرج على قومه فى زينته) كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) على ما هو عادة الناس من الرغبة (ياليت لنا مثل ما أوتى قارون) تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد (انه لذو حظ عظيم) من الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم) باحوال الآخرة للمتمنين (ويلكم) دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى (ثواب الله) فى الآخرة (خير لمن آمن وعمل صالحا) مما أوتى قارون بل من الدنيا وما فيها (وما يلقاها) الضمير فيه للكلمة التى تكلم بها العلماء أو للثواب فانه بمعنى المثوبة أو الجنة أو للايمان والعمل الصالح فانهما فى معنى السيرة والطريقة (الا الصابرون) على الطاعات وعن المعاصى (فخسفنا به وبداره الارض) روى أنه كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى أن يفضح موسى بين بنى اسرائيل ليرفضوه فيبطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى عليه السلام بالله أن تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على أن أرميك بنفسى فخر موسى شاكيا منه الى ربه فاوحى الله اليه أن مر الارض بما شئت فقال يا أرض خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه فى هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه ما أظنك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتى وجلالى لو دعانى مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله (فما كان له من فئة) أعوان مشتقة من فأوت رأسه اذا ميلته (ينصرونه من دون الله) فيدفعون عنه عذابه (وما كان من المنتصرين) الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع (وأصبح الذين تمنوا مكانه) منزلته (بالامس) منذ زمان قريب (يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضى البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وى للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما أشبه الامر أن الله يبسط الرزق وقيل من ويلك بمعنى ويلك وأن تقديره ويلك اعلم أن الله (لولا أن من الله علينا) فلم يعطنا ما تمنينا (لخسف بنا) لتوليده فينا ما ولده فيه خسف بنا الاجله وقرأ حفص بفتح الخاء والسين (ويكأنه لا يفلح الكافرون) لنعمة الله أو المكذبون برسله وبما وعدهم من ثواب الآخرة (تلك الدار الآخرة) اشارة تعظيم كأنه قال تلك التى سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر (نجعلها

(قوله والمعنى ما أشبه الامر) أى ما أشبه أمر قارون بأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من غير كرامة أى أشد مناسبة حالة قارون فى سعة رزقه بالبسط المذكور

للذين لا يريدون علوا في الارض) غلبة وقهرا (ولا فسادا) ظلما على الناس كما أراد فرعون وقارون (والعاقبة) المحمودة (للمتقين) ما لا يرضاه الله (من جاء بالحسنة فله خير منها) ذاتا وقدرا ووصفا (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيآت) وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم (الا ما كانوا يعملون) أي الامثل ما كانوا يعملون حذف المثل وأقيم ما كانوا يعملون مقامه مبالغة في المماثلة (ان الذي فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرادك الى معاد) أي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك أن يبعثك فيه أو مكة التي اعتدت بها على أنها من العادة رده اليها يوم الفتح كأنه لما حكم بأن العاقبة للمتقين وأكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين روى أنه لما بلغ الجحفة في مهاجره اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت (قل ربي أعلم من جاء بالهدى) ومايستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره أعلم (ومن هو في ضلال مبين) ومايستحقه من العذاب والاذلال يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب) أي سيردك الى معادك كما ألقى اليك الكتاب وما كنت ترجوه (الا رحمة من ربك) ولكن ألقاه رحمة منه ويجوز أن يكون استثناء مجملا على المعنى كأنه قال وما ألقى اليك الكتاب الا رحمة (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) بمدارتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم (ولا يصدنك عن آيات الله) عن قراءتها والعمل بها (بعد اذ أنزلت اليك) وقرئ يصدنك من أصد (وادع الى ربك) الى عبادته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) بمساعدتهم (ولا تدع مع الله الها آخر) هذا وما قبله للتهييج وقطع أطماع المشركين عن مساعدتهم (لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه) الا ذاته فان ماعداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم (له الحكم) القضاء النافذ في الخلق (واليه ترجعون) للجزاء بالحق عن النبي صلى الله عليه وسلم من فرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا

﴿سورة العنكبوت مكية وآيها تسع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ألم) سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه أو بما يضمر معه (أحسب الناس) الحسبان مما يتعاقب بضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين أو مايسد مسدهما كقوله (أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) فان معناه أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعوليه وغير مفتونين من تمام مفعوله وقولهم آمنا هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتأديب أو أنفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وأنواع المصائب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها علو الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب روي أنها نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من أذى المشركين وقيل في عمار وقد عذب في الله تعالى وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه أبواه وامرأته (ولقد فتنا الذين من قبلهم) متصل بأحسب أو بلا يفتنون والمعنى أن ذلك سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا ينبغي أن يقع خلافه (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن

﴿سورة العنكبوت﴾ (قوله ووقوع الاستفهام) لان ماصدر بالاستفهام كلام مستقل منقطع عما قبله وقوله أو بما يضمر معه أريد به ماضم اليه من الراء والصاد في المرء والمص

الكاذبين) فايتعلق علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى وليميزن أوليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام أي وليعرفنهم الله الناس أوليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها (أم حسب الذين يعملون السيآت) الكفر والمعاصي فان العمل يعم أفعال القلوب والجوارح (أن يسبقونا) أن يفوتونا فلا نقدر أن نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر أو أم منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان أبطل من الاول ولهذا عقبه بقوله (ساء ما يحكمون) أي بئس الذي يحكمونه أو حكما يحكمونه حكمهم هذا الخ فذف المخصوص بالذم (من كان يرجوا لقاء الله) في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه أو الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على أحواله فاما أن يلقاه بما يسر لمرضى من أفعاله أو بسخط لما سخط منها (فان أجل الله) فان الوقت المضروب للقائه (لآت) لجاء واذا كان رقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق أمله ويصدق رجاءه أو ما يستوجب به القربة والرضا (وهو السميع) لاقوال العباد (العليم) بعقائدهم وأفعالهم (ومن جاهد) نفسه بالصبر على مض الطاعة والكف عن الشهوات (فانما يجاهد لنفسه) لان منفعته لها (ان الله لغني عن العالمين) فلا حاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم) الكفر بالايمان والمعاصي بما يقبعها من الطاعات (ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي أحسن جزاء أعمالهم (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) بايتائهما فعلا ذا حسن أو كأنه في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجري مجرى أمر معنى وتصر فا وقيل هو بمعنى قال أي وقلنا له أحسن بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية أي فلذا أو طهما أو افعل بهما حسنا وهو أوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا (وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم) بالهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه (فلا تطعهما) في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل (الي مرجعكم) مرجع من آمن منكم ومن أشرك ومن بر بوالديه ومن عق (فأنبئكم بما كنتم تعملون) بالجزاء عليه والآية نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت انها لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة أيام كذلك وكذا التي في لقمان والاحقاف (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى أنبياء الله المرسلين أو في مدخلهم وهو الجنة (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله) بأن عذبهم الكفرة على الايمان (جعل فتنة الناس) ما يصيبه من أذيتهم في الصرف عن الايمان (كعذاب الله) في الصرف عن الكفر (ولئن جاء نصر من ربك) فتح وغنيمة (ليقولن انا كنا معكم) في الدين فأشركونا فيه والمراد المنافقون أو قوم ضعف ايمانهم فارتدوا من أذى المشركين ويؤيده الاول (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) من الاخلاص والنفاق (وليعلمن الله الذين آمنوا) بقلوبهم (وليعلمن المنافقين) فيجازي الفريقين (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا) الذي نسلكه في ديننا (ولنحمل خطاياكم) ان كان ذلك خطيئة أو ان كان بعث ومؤاخذة وانما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين على أمرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم عليه وبهذا

(قوله أو طهما) أي أعطهما فالتقدير وصينا الانسان بوالديه قلنا له أو طهما وافعل بهما (قوله وهو أوفق لما بعده) اذ القول مقدر على قوله وان جاهداك (قوله والكمال في الصلاح الخ) قال العلامة الطيبي وذلك أن الصلاح ضد الفساد والفساد خروج الشئ عن كونه منتفعا به ولا كمال للانسان أكبر من حصوله على ما خلق له من البقاء ولا يحصل له ذلك في الدنيا فاذن ليس ذلك الا في مقعد صدق

الاعتبار ردعليهم وكذبهم بقوله (وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون) من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وماهم بحاملين شيأ من خطاياهم (وليحملن أثقالهم) أثقال ما افترفته أنفسهم (وأثقالا مع أثقالهم) وأثقالا أخر معها لما تسببوا به بالاضلال والحمل على المعاصي من غير أن ينقص من أثقال من تبعهم شئ (وليسئلن يوم القيامة) سؤال تقريع وتبكيت (عما كانوا يفترون) من الاباطيل التي أضلوا بها (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الاخمسين عاما) بعد المبعث اذ روى أنه بعث على رأس الاربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على مايقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة (فأخذهم الطوفان) طوفان الماء وهو الماطاف بكثرة من سيل أوظلام أونحوهما (وهم ظالمون) بالكفر (فأنجيناه) أي نوحا عليه السلام (وأصحاب السفينة) ومن أركب معه من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث (وجعلناها) أي السفينة أوالحادثة (آية للعالمين) يتعظون ويستدلون بها (وابراهيم) عطف على نوحا أو نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم (اذقال لقومه اعبدوا الله) ظرف لارسلنا أي أرسلناه حين قال لقومه وتم نظره بحيث عرف الحق وأمر الناس به أو بدل منه بدل اشتمال ان قدر باذكر (واتقوه ذلكم خير لكم) مما أنتم عليه (ان كنتم تعلمون) الخير والشر وتميزون بينهما وخير مما هو شر أو كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل (انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا) وتكذبون كذبا بافي تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله تعالى أوتعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون من خاق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وأفكا على أنه مصدر كالكذب أونعت بمعنى خلقا ذا افك (ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا) دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لايجدي بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لايستطيعون أن يرزقوكم وأن يراد المرزوق وتنكيره للتعميم (فابتغوا عند الله الرزق) كله فانه المالك له (واعبدوه واشكروا له) متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حقكم من النعم بشكره أومستعدين للقائه بهما فانه (اليه ترجعون) وقرئ بفتح التاء (وان تكذبوا) وان تكذبوني (فقد كذب أمم من قبلكم) من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر أنفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم (وما على الرسول الا البلاغ المبين) الذي يزال معه الشك وما عليه أن يصدق ولا يكذب فالآية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل أن تكون اعتراضا بذكر شأن النبي صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته من حيث ان مساقها التسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنفيس عنه بأن أباه خليل الله صلوات الله عليهما كان ممن ابتحوما منى به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابراهيم في قومه (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) من مادة ومن غيرها وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ (ثم يعيده) اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على أولم يروا الاعلى يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز أن تؤول الاعادة بأن ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما وتعطف

(قوله للدلالة على كمال العدد) لان الاستثناء لايذكر الا للنص على العدد بحيث لايحتمل الزيادة والنقص (قوله على تقدير القول) أي اذا كانت القراءة بتاء الخطاب كان القول مقدرا حتى يصح المعنى فيكون المعنى قال ابراهيم أولم تروا وأما اذا كانت القراءة بالياء كان هذا كلاما من الله للرد عليهم (قوله تعالى ثم يعيده) بحضوره اخبار بالاعادة بالموت (قوله معطوف على أولم يروا الخ) اذا كان معطوفا على أولم يروا كان المعنى يرون ان الله يبدىء الخلق ثم يعيده

على يبدئ (ان ذلك) الاشارة الى الاعادة أو الى ماذكر من الامرين (على الله يسير) اذ لا يفتقر فى فعله الى شئ (قل سيروا فى الارض) حكاية كلام الله لابراهيم أو محمد عليهما الصلاة والسلام (فانظروا كيف بدأ الخلق) على اختلاف الاجناس والاحوال (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) بعد النشأة الاولى التى هى الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره فى بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على أن المقصود بيان الاعادة وأن من عرف بالقدرة على الابداء ينبغى أن يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها أهون والكلام فى العطف مامر وقرئ النشاءة كالرآفة (ان الله على كل شئ قدير) لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الأولى (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته (واليه تقلبون) ترددون (وما أنتم بمعجزين) ربكم عن ادراككم (فى الارض ولا فى السماء) ان فررتم من قضائه بالتوارى فى الارض أو الطبوط فى مهاوى السماء والتحصن فى السماء أو القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من فى السماء كقول حسان

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

(ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير) يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض أو ينزل من السماء ويدفعه عنكم (والذين كفروا بآيات الله) بدلائل وحدانيته أو بكتبه (ولقائه) بالبعث (أولئك يئسوا من رحمتى) أى ييأسون منها يوم القيامة فعبر عنه بالماضى للتحقق والمبالغة أو أيسوا فى الدنيا لانكارهم البعث والجزاء (وأولئك لهم عذاب أليم) بكفرهم (فما كان جواب قومه) قوم ابراهيم له وقرئ بالرفع على أنه الاسم والخبر (الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قبل فيهم ورضى به الباقون أسند الى كلهم (فأنجاه الله من النار) أى فقذفوه فى النار فأنجاه الله منها بأن جعلها عليه بردا وسلاما (ان فى ذلك) فى انجائه منها (لآيات) هى حفظه من أذى النار واخمادها مع عظمها فى زمان يسير وانشاء روض مكانها (لقوم يؤمنون) لانهم المنتفعون بالتفحص عنها والتأمل فيها (وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا) أى التوادّ وابينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثانى مفعولى اتخذتم محذوف ويجوز أن تكون مودّة المفعول الثانى بتقدير مضاف أى اتخذتم أوثانا سبب المودة بينكم أو بتأويلها بالمودودة وقرأها نافع وابن عامر وأبو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ماسبق وابن كثير وأبو عمرو والكسائى ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف أى هى مودودة أو سبب مودّة بينكم والجملة صفة أوثانا أو خبران على أن ما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم (ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) أى يقوم التناكر والتلاعن بينكم أو بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله تعالى ويكونون عليهم ضدا (ومأواكم النار ومالكم من ناصرين) يخلصونكم منها (فآمن له لوط) هو ابن أخيه وأول من آمن به وقيل انه آمن به حين رأى النار لم تحرقه (وقال انى مهاجر) من قومى (الى ربى) الى حيث أمرنى (انه هو العزيز) الذى يمنعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يأمرنى الا بما فيه صلاحى روى أنه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشأم فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم (ووهبنا له اسحق ويعقوب) ولدا ونافلة حين أيس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل (وجعلنا فى ذريته النبوّة) فكثر منهم الانبياء (والكتاب) يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة (وآتيناه أجره) على هجرته الينا

(قوله والكلام فى العطف مامر) يعنى هو معطوف على سيروا أو انظروا والاعلى كيف بدأ الخلق لان الرؤية غير واقعة على الاعادة ويجوز أن يؤول انشاء النشأة بالانشاء فى كل سنة مثل ما كان فى السنة السابقة فان قلت لزم عطف الاخبار على الانشاء قلت هذا وعكسه جائز فى الجمل التى لها محل من الاعراب مثل ما وقع تحت القول مثل قال زيد نودى للصلاة وصل فى المسجد نص عليه الزمخشرى فى سورة نوح

(فى الدنيا) باعطاء الولد فى غير أوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه الى آخر الدهر (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) نفى عداد الكاملين فى الصلاح (ولوطا) عطف على ابراهيم أو على ماعطف عليه (اذ قال لقومه أئنكم لتأتون الفاحشة) الفعلة البالغة فى القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام وأجمعوا على الاستفهام فى الثانى (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) استئناف مقرر لفاحشتها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى أقدموا عليها لخبث طينتهم (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) وتتعرضون للسابلة بالقتل وأخذ المال أو بالفاحشة حتى انقطعت الطرق أو تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان مالیس بحرث (وتأتون فى ناديكم) فى مجالسكم الغاصة بأهلها ولايقال النادى الالمافيه أهله (المنكر) كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاتها وقيل الخذف ورمى البنادق (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) فى استقباح ذلك أوفى دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ (قال رب انصرنى) بانزال العذاب (على القوم المفسدين) بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة فى استنزال العذاب واشعارا بانهم أحقاء بأن يعجل لهم العذاب (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) بالبشارة بالولد والنافلة (قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية) قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال (ان أهلها كانوا ظالمين) تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم فى ظلمهم الذى هو الكفر وأنواع المعاصى (قال ان فيها لوطا) اعتراض عليهم بأن فيها من لم يظلم أومعارضة للموجب بالمانع وهو كون النبى بين أظهرهم (قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله) تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به رأنهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهلى بمن عداه وأهلها أو تأقيت الاهلاك باخراجهم منها وفيه تأخير للبيان عن الخطاب (الا امرأته كانت من الغابرين) الباقين فى العذاب أو القرية (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم) جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة أن يقصدهم قومه بسوء وأن صلة لما كيد الفعلين واتصالهما (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال مالا يناله قصير الذراع (وقالوا) لما رأوا فيه أثر الضجرة (لاتخف ولاتحزن) على تمكنهم منا (انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين) وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم أبو بكر وابن كثير فى الثانى ووضع الكاف الجر على المختار ونصب أهلك باضمار فعل أو بالعطف على محلها باعتبار الاصل (انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء) عذابا منهاسمى بذلك لانه يقاقى المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس أى اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم (ولقد تركنا منها آية بينة) هى حكايتها الشائعة أوآثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطرة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية أنهارها السوداء (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا أوآية (والى مدين أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر) وافعلوا ماترجون به ثوابه فأقيم السبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف (ولاتعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل لان القلوب ترجف لها (فأصبحوا فى دارهم) فى بلدهم أودورهم ولم يجمع لأمن اللبس (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا وثمودا) منصوبان باضمار اذكر أوفعل دل عليه ماقبله

(قوله بتخصيص الاهل) أى الاهل المذكور فى قوله انا مهلكوا أهل هذه القرية وفيه تأخير البيان لان قولهم نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله بيان لقوله انا مهلكوا أهل هذه القرية (قوله واتصالهما) أى ترتب أحدهما على الآخر (قوله باعتبار الاصل) لانه فى الاصل مفعول منجوك اذ الاصل منجونك فلما أضيف سقط النون

مثل أهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير منصرف على تأويل القبيلة (وقد تبين لكم من مساكنهم) أي تبين لكم بعض مساكنهم أو أهلا كهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مرورکم بها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والمعاصي (فصدهم عن السبيل) السوي الذي بينه الرسل لهم (وكانوا مستبصرين) متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا أو متبينين أن العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا (وقارون وفرعون وهامان) معطوف على عاد اونقديم قارون لشرف نسبه (ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين) فائتين بل أدركهم أمر الله من سبق طالبه اذا فاته (فكلا) من المذكورين (أخذنا بذنبه) عاقبناه بذنبه (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) ريحا حاصفا فيها حصباء أو ملكا رماهم بها كقوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) كمدين وثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) كقارون (ومنهم من أغرقنا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته عز وجل (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالتعريض للعذاب (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) فيما نسجته في الوهن والخور بل ذاك أوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما أو مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثلها بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت وبجمع على عنا كيب وعناكب وعكبة وأعكب (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) لا بيت أوهن وأقل وقاية للحر والبرد منه (لو كانوا يعلمون) يرجعون الى علم اعلموا أن هذا مثلهم وأن دينهم أوهن من ذلك و يجوز أن يكون المراد بيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان أوهن ما يعتمد به في الدين دينهم (ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شئ) على اضمار القول أي قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ البصريان بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بتدعون و يعلم معلقة عنها ومن للتبيين أو نافية ومن مزيدة وشئ مفعول تدعون أو مصدر يه وشئ مصدر أو موصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون عائدها المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم (وهو العزيز الحكيم) تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيأ بمن هذا شأنه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شئ البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وأن من هذا وصفه قادر على مجازاتهم (وتلك الامثال) يعني هذا المثل ونظائره (نضربها للناس) نقربها للبعد من افهامهم (وما يعقلها) ولا يعقل حسنها وفائدتها (الا العالمون) الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغي وعنه صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والارض بالحق) محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقها افادة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما أشار اليه بقوله (ان في ذلك لآية للمؤمنين) لانهم المنتفعون به (اتل ما أوحي اليك من الكتاب) تقرب الى الله تعالى بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القاري المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما قرع سمعه (وأقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر) بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث النفس خشية منه روي أن فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيأ من الفواحش الا ارتكبه فوصف له عليه السلام فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب (ولذكر الله أكبر) وللصلاة أكبر من سائر الطاعات وانما

(قوله فيما نسجته) من تمام طرف التشبيه وقوله في الوهن والخور وجه الشبه

(قوله أو مثله بالاضافة الى الموحد الخ) فيكون في طرفي التشبيه محذوف

(قوله تحقيقا للتمثيل) يعني لما مثل المشركين في اتخاذ البيت حقق التشبيه بان صرح بان دينهم كبيت العنكبوت في الوهن

(قوله والكلام على الاولين) أي على أن تكون ما استفهامية أو نافية وقوله وعلى الأخيرين أي ان تكون مصدرية وموصولة (قوله تعليل على المعنيين) أي على ان يكون المقصود من قوله ان الله يعلم التجهيل والوعيد

عبر عنها به للتعليل بأن اشتمالها على ذكره هو العمدة فى كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيآت أو لولد كرالياكم رحمة أكبر من ذكركم اياه بطاعته (والله يعلم ماتصنعون) منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به أحسن المجازاة (ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن) الا بالخصلة التى هى أحسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ بآية السيف اذ لا مجادلة أشد منه وجوابه أنه آخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم (الا الذين ظلموا منهم) بالافراط فى الاعتداء والعناد أو بانيات الولد وقولهم يد الله مغلولة أو بنبذ العهد ومنع الجزية (وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم) هو من المجادلة التى هى أحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم (والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (أنزلنا اليك الكتاب) وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) هم عبد الله بن سلام وأضرابه أو من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب (ومن هؤلاء) ومن العرب أو أهل مكة أو ممن فى عهد الرسول من أهل الكتابين (من يؤمن به بالقرآن (ومايجحد بآياتنا) مع ظهورها وقيام الحجة عليها (الا الكافرون) الا المتوغلون فى الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيد لهم صدقها الكونها معجزة بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم كما أشار اليه بقوله (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على أمى لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفى ونفى للتجوز فى الاسناد (اذا لارتاب المبطلون) أى لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه أو التقطه من كتب الاولين الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم أو لارتيابهم باتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب أهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما فى كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر (بل هو) بل القرآن (آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) يحفظونه لا يقدر أحد على تحريفه (ومايجحد بآياتنا الا الظالمون) المتوغلون فى الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات (قل انما الآيات عند الله) ينزلها كما يشاء لست أملكها فآتيكم بما تقترحونه (وانما أنا نذير مبين) ليس من شأنى الا الانذار وابانته بما أعطيت من الآيات (أولم يكفهم) آية مغنية عما اقترحوه (أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات أو يتلى عليهم يعنى اليهود فقال كفى بها اضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء هم به نبيهم الى ما جاء به غيرنبيهم فنزلت (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) بصدقى وقد صدقنى بالمعجزات أو بتبليغى ما أرسلت به اليكم ونصحى ومقابلتكم اياى بالتكذيب والتعنت (يعلم ما فى السموات والارض) فلا يخفى عليه حالى وحالكم (والذين آمنوا بالباطل) وهو مايعبد من دون الله (وكفروا بالله) منكم (أولئك هم الخاسرون) فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان (ويستعجلونك بالعذاب) بقولهم أمطر

(قوله بانتفاء وجه واحد الخ) يعنى ان ارتيابهم فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بسبب انتفاء وجه واحد من وجوه اعجازه وهو كونه أميا وظهور الكتاب المعجز منه موجب لكونهم مبطلين اذ لا وجه للارتياب بسبب انتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز ووجود الوجوه الكثيرة منه (قوله فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر) يعنى على هذا التقدير ابطالهم باعتبار كونهم من أهل الكتاب منكرين لرسالة النبى صلى الله عليه وسلم وكونهم من أهل الكتاب أمر محقق لا مقدر بخلاف الاحتمالين الاولين فان انصافهم بالابطال على هذين الاحتمالين باعتبار أمر مقدر هو قولهم انه صلى الله عليه وسلم أخذه من كتب الاقدمين

علينا حجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) لكل عذاب أوقوم (لجاءهم العذاب) عاجلا (وليأتينهم بغتة) فجأة فى الدنيا كوقعة بدر أوالآخرة عند نزول الموت بهم (وهم لايشعرون) بإتيانه (يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب أوهى كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصى التى توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة أوللجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم (يوم يغشاهم العذاب) ظرف لمحيطة أومقدر مثل كان كيت وكيت (من فوقهم ومن تحت أرجلهم) من جميع جوانبهم (ويقول) الله أو بعض ملائكته بأمره لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون (ذوقوا ماكنتم تعملون) أى جزاءه (ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون) أى اذا لم يتسهل لكم العبادة فى بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه الصلاة والسلام من فر بدينه من أرض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والقاء جواب شرط محذوف اذا لمعنى ان أرضى واسعة ان لم تخلصوا العبادة فى أرض فاخلصوها فى غيرها (كل نفس ذائقة الموت) تناله لامحالة (ثم الينا ترجعون) للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغى أن يجتهد فى الاستعداد له وقرأ أبو بكر بالياء (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم) لننزلنهم (من الجنة غرفا) علالى وقرأ حمزة والكسائى لنثوينهم أى لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم أو بنزع الخافض أوتشبيه الظرف المؤقت بالمبهم (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه مافبله (الذين صبروا) على أذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق (وعلى ربهم يتوكلون) ولايتوكلون الاعلى الله (وكأين من دابة لاتحمل رزقها) لاتطيق حمله لضعفها أولاتدخره وانما تصبح ولامعيشة عندها (الله يرزقها وإياكم) ثم انهم مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء فى أنه لايرزقها وإياكم الا الله ان رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلاتخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما أمروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت (وهو السميع) لقولكم هذا (العليم) بضميركم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) المسؤل عنهم أهل مكة (ليقولن الله) لما تقرر فى العقول من وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود (فانى يؤفكون) يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) يحتمل أن يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على أن البسط والقبض على التعاقب وأن لا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وإبهامه لان من يشاء يبهم (ان الله بكل شئ عليم) يعلم مصالحهم ومفاسدهم (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله) معترفين بانه الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذى لايقدر على شئ من ذلك (قل الحمد لله) على ماعصمك من مثل هذه الضلالة أوعلى تصديقك واظهار حجتك (بل أكثرهم لايعقلون) فيتناقضون حيث يقرون بأنه المبدئ لكل ماعداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لايعقلون ما نريد بتحميدك عند مقالهم (وماهذه الحيوة الدنيا) اشارة تحقير وكيف لاوهى لازنة عند الله جناح بعوضة (الا لهو ولعب) الا كلهى و يلعب به الصبيان يجتمعون عليه و يتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) لهى دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها أوهى فى ذاتها حياة للبالغة والحيوان مصدر حيى سمى به ذوالحياة وأصله حييان

(قوله واللام للعهد الخ) أى لام الكافرين للعهد أو للجنس (قوله وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام) ولعل رفاقته اياهما عليهما الصلاة والسلام لانهما هاجرا من بلدهما (قوله فاعبدون) متعلق بان يقرأ لتثوينهم من الثواء لان هذا الفعل متعد بنفسه واحد (قوله وإبهامه) أى الضمير يعنى لم يذكر مرجعه فيكون المراد بالضمير المذكور غير من يشاء الذى ذكر وتوضيح الكلام ههنا ان إبهامه معطوف على وضع الضمير أى على وضع الضمير موضع من يشاء وإبهام الضمير لان إبهامه أن لا يكون مرجعه مذكورا وانما جعل الضمير المبهم موضع من يشاء لان من يشاء أيضا مبهم و يحتمل أن يقال ان إبهامه مرفوع والمعنى ان إبهامه لهم من يشاء (قوله عند مقالهم) أى عند قولهم الحمد لله لا يعلمون منه مايفهم عنه فانك قصدت به ان كل الحمد له وهو المعبود بالحق لا غير والمشركون لايعلمون ذلك (قوله أرادان الفاء فى فاذا ركبوا للتعقيب) أى هم بعد ان أشركوا اذا ركبوا فى الفلك

فقلبت الياء الثانية واوا وهو أبلغ من الحياة لما فى بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليها هنا (لو كانوا يعلمون) لم يؤثروا عليها الدنيا التى أصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال (فاذا ركبوا فى الفلك) متصل بما دل عليه شرح حالهم أى هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر (دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين فى صورة من أخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو (فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) فاجؤا المعاودة الى الشرك (ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه لام كى أى يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة (وليتمتعوا) باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها أو لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائى وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون (فسوف يعلمون) عاقبة ذلك حين يعاقبون (أولم يروا) يعنى أهل مكة (أنا جعلنا حرما آمنا) أى جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدى آمنا أهله عن القتل والسبى (ويتخطف الناس من حولهم) يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله فى تغاور وتناهب (أفبالباطل يؤمنون) أبعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله يؤمنون بالصنم أو الشيطان (وبنعمة الله يكفرون) حيث أشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام أو الاختصاص على طريق المبالغة (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن زعم أن له شريكا (أو كذب بالحق لما جاءه) يعنى الرسول أو الكتاب وفى لما تنسفيه لهم بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب أوّل ما سمعوه (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) تقرير لمثواهم كقوله * ألستم خير من ركب المطايا * أى ألا يستوجبون الثواء فيها وقد افترى ومثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أو لما جاءهم أى ألم يعلموا أن فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجراءة (والذين جاهدوا فينا) فى حقنا واطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة بانواعه (لنهدينهم سبلنا) سبل السير الينا والوصول الى جنابنا أو لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفى الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم (وان الله لمع المحسنين) بالنصر والاعانة * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

﴿سورة الروم﴾

مكية الا قوله فسبحان الله الآية وآيها ستون أو تسع وخمسون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم غلبت الروم فى أدنى الارض) أرض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم أو فى أدنى أرضهم من العرب واللام بدل من الاضافة (وهم من بعد غلبهم) من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب (سيغلبون فى بضع سنين) روى أن فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات و بصرى وقيل بالجزيرة وهى أدنى أرض الروم من الفرس فغلبوا عليهم و بلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر لا يقرن الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبى بن خلف كذبت اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر أبو بكر رضى الله عنه رسول الله

(قوله اللام فيه الخ) كاللام فى قوله ليكون لهم عدوا وحزنا (قوله على طريق المبالغة) لان ايمانهم ليس مخصوصا بالباطل ولا كفرهم مخصوصا بنعمة الله المذكورة فانهم مؤمنون بوجود الصانع وكافرون بالصفات وبالرسول فليس الاختصاص ههنا حقيقة بل على طريق المبالغة والمقصود ان ايمانهم بالباطل بمرتبة من القوة وكذا كفرهم بنعمة الله حيث توهم انهما مختصان بهما (قوله أى ألم يعلموا ان فى جهنم مثوى للكافرين الخ) يعنى انهم وان لم يعتقدوا ان جهنم مثوى للكافرين لكن لظهور دلائله فهو فى حكم ما اعتقدوه لان ما حصل للشخص بادنى تأمل وتوجيه فهو فى حكم الحاصل فتوبيخهم بانهم علموا ان جهنم مثوى للكافرين مع انهم اجترؤا الجراءة المذكورة

﴿سورة الروم﴾

صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزاده فى الخطر وماده فى الاجل فجعلاه مائة فلوص الى تسع سنين ومات أبى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قفوله من أحد وظهرت الروم يوم الحديبية فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أبى وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدلت به الحنفية على جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب وأجيب بانه كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفى السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا تكون اضافة الغلب الى الفاعل (لله الامر من قبل ومن بعد) من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين أى له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شئ منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كأنه قيل قبلا وبعدا أى أولا وآخرا (ويومئذ) ويوم تغلب الروم (يفرح المؤمنون بنصر الله) من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما أخبر وابه المشركين وغلبتهم فى رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم فى دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم أو بان ولى بعض أعدائهم بصاحتى تفانوا (ينصر من يشاء) فينصرهولاء تارة وهؤلاء أخرى (وهو العزيز الرحيم) ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم أخرى (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه لان ماقبله فى معنى الوعد (لايخلف الله وعده) لامتناع الكذب عليه تعالى (ولكن أكثر الناس لايعلمون) وعده ولاصحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم (يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا) مايشاهدونه منها والتمتع بزخارفها (وهم عن الآخرة) التى هى غايتها والمقصود منها (هم غافلون) لانخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للأولى أومبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الأولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقرير الجهلهم وتشبيها لهم الحيوانات المتصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وخصائصها وأفعالها وأسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا وأما باطنها فانها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لأحوالها واشعار بانه لافرق بين عدم العلم والعلم الذى يختص بظاهر الدنيا (أولم يتفكروا فى أنفسهم) أولم يحدثوا التفكر فيها أو أولم يتفكروا فى أمر أنفسهم فانها أقرب اليهم من غيرها ومرآة يتجلى فيها للمستبصر مايجتلى له فى الممكنات باسرها ليتحقق لهم قدرة مبدعها على اعادة هامثل قدرته على ابدائها (ماخلق الله السموات والارض ومابينهما الا بالحق) متعلق بقول أوعلم محذوف يدل عليه الكلام (وأجل مسمى) تنتهى عنده ولاتبقى بعده (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم) بالقاء جزائه عند انقضاء الاجل المسمى أوقيام الساعة (لكافرون) جاحدون يحسبون ان الدنيا أبدية وأن الآخرة لاتكون (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) تقرير لسيرهم فى أقطار الارض ونظرهم فى آثار المدمرين قبلهم (كانوا أشد منهم قوة) كعاد وثمود (وأثاروا الارض) وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البزور وغيرها (وعمروها) وعمروا الارض (أكثر مما عمروها) من عمارة أهل مكة اياها فانهم أهل واد غير ذى زرع لاتبسط لهم فى غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم أضعف حالا فيها اذ مدار أمرها على التبسط فى البلاد والتسلط على العباد والتصرف فى أقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ماجؤن الى دار لانفع لها (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات أو

(قوله تقريرا) علة الابدال (قوله المحققة) بالجر صفة الغفلة (قوله واشعارا) عطف على تقريرا (قوله مايجتلى له الخ) فان فى النفس أنموذجا من كل شئ ولذا قيل عالم الانفس يطابق عالم الآفاق ولك ان تقول اذا كان المراد الامر بالتفكر فى أمر ذاته فما وجه ارتباط قوله ماخلق الله السموات والارض الخ بالامر المذكور قلنا اذا تفكر الشخص فى شان نفسه علم انه خلق من نطفة حاصلة من الغذاء الحاصل من الاسباب السماوية والارضية فاذا وصل الى هذه الرتبة من تفكر جزم بان الله خالق السموات والارض ثم جزم بان خلقهما ليس الالذاكر (قوله متعلق بقول أوعلم محذوف) فيكون المعنى أولم يتفكروا فيقولوا ماخلق الله السموات الخ أو يعلموا ماذكر

الآيات الواضحات (فما كان الله ليظلمهم) ليفعل بهم ما تفعل الظلمة فيبدمرهم من غير جرم ولا تذكير (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث عملوا ما أدى الى تدميرهم (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأ) أى ثم كان عاقبتهم العاقبة السوأى أو الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى أن تكون تلك عاقبتهم وأنهم جازوا بمثل أفعالهم والسوأى تأنيث الاسوأ كالحسنى أومصدر كالبشرى نعت به (أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) علة أو بدل أوعطف بيان للسوأى أوخبر كان والسوأى مصدرا سأوا أومفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة أن طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا بآيات الله واستهزؤا بها ويجوز أن تكون السوأى صلة الفعل وأن كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام والتهويل وأن تكون أن مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على أن الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة (الله يبدؤا الخلق) ينشئهم (ثم يعيده) يبعثهم (ثم اليه ترجعون) للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة فى المقصود وقرأ أبو بكر وأبو عمر وروح بالياء على الاصل (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرنه فابلس اذا سكت وأيس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التى لا ترغو وقرئ بفتح اللام من أبلسه اذا أسكته (ولم يكن لهم من شركائهم) ممن أشركوهم بالله (شفعاء) يخلصونهم من عذاب الله ويجيئه بلفظ الماضى لتحققه (وكانوا بشركائهم كافرين) يكفرون بآلهتهم حين يتبرأ منهم وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وكتب فى المصحف شفعواء وعلى هذا بنى اسرائيل بالواو وكذا السوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) أى المؤمنون والكافرون لقوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة) أرض ذات أزهار وأنهار (يحبرون) يسرون سرورا تهللله وجوههم (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون) مدخلون لا يغيبون عنه (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) اخبار فى معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه فى هذه الأوقات التى تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته أو دلالة على أن ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من أهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر وتخصيص الحمد بالعشى الذى هو آخر النهار من عشى العين اذا نقص نورها والظهيرة التى هى وسطه لان تجدد النعم فيهما أكثر ويجوز أن يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد فى السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس أن الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك زعم الحسن أنها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة تسبيحتين فى أى وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والأكثر على أنها فرضت بمكة وعنه عليه الصلاة والسلام من سره أن يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية وعنه عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون أدرك ما فاته فى ليلته ومن قال حين يمسى أدرك ما فاته فى يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون أى تمسون فيه وتصبحون فيه (يخرج

صاحب التقريب هذا ليس مخصوصا بخط المصحف بل هو القياس (قوله اخبارا الخ) أى هذا الكلام اما خبر بمعنى الامر حتى يكون المعنى تسبحون الله تسبيحا فى هذه الاوقات أى سبحوه فيها أو دلالة الخ أى كلام دال على انه يقع التسبيح العقلى له تعالى والشهادة العقلية على استحقاقه الحمد فالمراد من الشهادة على تنزيهه هو دلالة الحوادث الكائنة فى هذه الاوقات على تنزيهه دلالة عقلية والمعنى تسبح الله أى تسبيحا وتنزيها به الشهادة على استحقاقه الحمد من حيث الدلالة العقلية فى هذه الاوقات وزبدة الكلام انه اما أمر بتسبيح ذوى القول له تسبيح التسبيح القولى وكذا الحمد القولى له أو كلام دال على انه يقع تسبيحه واستحقاقه الحمد بل حمده بشهادة الحوادث كل منهما بالعقل أى بالدلالة العقلية (قوله فى هذه الاوقات الخ) فان المساء وقت زوال النور الكامل المنتشر فى جميع الآفاق فى زمان يسير والصباح وقت انتشار النور فيها فى زمان يسير أيضا وكذا وقت الظهر وقت الحمى وصول النور الى النهاية وفيه وفى وقت العصر حصلت النعم والمكاسب ولا يخفى ان آثار العظمة والقدرة فى الصباح والمساء أكثر لان فى الاول حصل النور المبسوط وفى الآخر حصلت الظلمة المنتشرة فى زمان قليل ولما كان كذلك كان تعالى على كمال العظمة والقدرة منزها

الحى من الميت) كالانسان من النطفة والطائر من البيضة (ويخرج الميت من الحى) كالنطفة والبيضة أو يعقب الحياة الموت وبالعكس (ويحيى الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (وكذلك) ومثل ذلك الاخراج (تخرجون) من قبوركم فانه أيضا تعقيب للحياة الموت وقرأ حمزة والكسائى بفتح التاء (ومن آياته أن خلقكم من تراب) أى فى أصل الانشاء لانه خلق أصلهم منه (ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال أولا بهن من جنسهم لا من جنس آخر (لتسكنوا اليها) لتميلوا اليها رتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر (وجعل بينكم) أى بين الرجال والنساء أو بين أفراد الجنس (مودة ورحمة) بواسطة الزواج حال الشبق وغيره بخلاف سائر الحيوانات نظاما لأمر المعاش أو بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التوادد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كقوله ورحمة منا (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعلمون ما فى ذلك من الحكم (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم) لغاتكم بان علم كل صنف لغته أو ألهمه وضعها وأقدره عليها أو أجناس نطقكم وأشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين فى الكيفية (وألوانكم) بياض الجلد وسواده وتخطيطات الاعضاء وهيآتها وألوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والامور الملابسة لهما فى التخليق يختلفان فى شئ من ذلك لا محالة (ان فى ذلك لآيات للعالمين) لانكاد تخفى على عاقل من ملك أو انس أو جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله ومايعقلها الا العالمون (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) منامكم فى الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وتقوى القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فالف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة (ومن آياته يريكم البرق) مقدر بان المصدرية كقوله

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * وان أشهد اللذات هل أنت مخلدى

أو الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدى خير من أن تراه أو صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله

فما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

(خوفا) من الصاعقة للمسافر (وطمعا) فى الغيث للمقيم ونصبهما على العلة للفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم أو له على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع أو تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان أو على الحال مثل كلمته شفاها (وينزل من السماء ماء) وقرئ بالتشديد (فيحيى به الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى استنباط أسبابها وكيفية تكوينها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بامره) قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما فى حيزيهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة فى كمال القدرة والغنى عن الآلة (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون) عطف على ان تقوم على تأويل مفرد كأنه قيل ومن آياته قيام السموات والارض

عن النقائص مناسب التسبيح فى الوقتين المذكورين (قوله بان علم كل صنف لغته الخ) بان علم كل صنف ألفاظا مخصوصة وعلمه أيضا معانى مخصوصة وان تلك الالفاظ موضوعة تلك المعانى أو الهم كل صنف ألفاظا مخصوصة موضوعة لمعان مخصوصة وأقدره على استعمالها (قوله فلف) فيكون أصل التركيب منامكم وابتغؤكم بالليل والنهار حتى يكون نشرا بعد اللف والاشعار المذكور باعتبار ان منامكم وان اختص بالليل فهو يحتمل أن يكون واردا على الوقتين ففيه اشارة الى صلاحية الوقتين للمنام وكما أن منامكم يحتمل أن يكون متعلقا بهما كان الابتغاء أيضا كذلك وعلى هذا فالاولى ان يقال انما أخر ابتغاؤكم للاشعار المذكور (قوله ويؤيده) أى يؤيد اللف وانشار الآيات الواردة فى مواضع القرآن كقوله جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا

بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول أيها الموتى أخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعى المطاع على دعائه وثم اما لتراخى زمانه أو لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعا كقولك دعوته من أسفل الوادى فطلع الى لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها واذا الثانية للمفاجأة ولذلك نابت مناب الفاء فى جواب الاولى (وله من فى السموات والارض كل له قانتون) منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه (وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده) بعد هلاكهم (وهو أهون عليه) والاعادة أسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على أصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل أهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون أو لان الاعادة بمعنى أن يعيد (وله المثل) الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله أراد به الوصف بالوحدانية (الاعلى) الذى ليس لغيره ما يساويه أو يدانيه (فى السموات والارض) يصفه به ما فيهما دلالة ونطقا (وهو العزيز) القادر الذى لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته (الحكيم) الذى يجرى الافعال على مقتضى حكمته (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) منتزعا من أحوالها التى هى أقرب الامور اليكم (هل لكم مما ملكت أيمانكم) من مماليككم (من شركاء فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها (فانتم فيه سواء) فتكونون أنتم وهم فيه شرعا يتصرفون فيه كتصرفكم مع أنهم بشر مثلكم وأنها معارة لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى (تخافونهم) أن يستبدوا بتصرف فيه (كخيفتكم أنفسكم) كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض (كذلك) مثل ذلك التفصيل (نفصل الآيات) نبينها فان التفصيل مما يكشف المعانى ويوضحها (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى تدبر الامثال (بل اتبع الذين ظلموا) بالاشراك (أهواءهم بغير علم) جاهلين لا يكفهم شئ فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه (فمن يهدى من أضل الله) فمن يقدر على هدايته (وما لهم من ناصرين) يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها (فاقم وجهك للدين حنيفا) فقومه له غير ملتفت أو ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به (فطرة الله) خلقته نصب على الاغراء أو المصدر لما دل عليه ما بعدها (التى فطر الناس عليها) خلقهم عليها وهى قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه أو ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته (لا تبديل لخلق الله) لا يقدر أحد أن يغيره أو ما ينبغى أن يغير (ذلك) اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له أو الفطرة ان فسرت بالملة (الدين القيم) المستقيم الذى لا عوج فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) استقامته لعدم تدبرهم (منيبين اليه) راجعين اليه من أناب اذا رجع مرة بعد أخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير فى الناصب المقدر لفطرة الله أو فى أقم لان الآية خطاب للرسول والامة لقوله (واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) غير أنها صدرت بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيما له (من الذين فرقوا دينهم) بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وقرأ حمزة والكسائى فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذى أمروا به (وكانوا شيعا) فرقا تشايع كل امامها الذى أضل دينها (كل حزب بما لديهم فرحون) مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز أن يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا (واذا مس الناس ضر) شدة (دعوا ربهم منيبين اليه) راجعين اليه من دعاء غيره (ثم اذا أذاقهم منه رحمة) خلاصا من تلك الشدة (اذا فريق منهم بربهم يشركون) فاجأ فريق منهم بالاشراك بربهم الذى عافاهم (ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه للعاقبة وقيل

(قوله والمراد الخ) أى المراد من الآية تشبيه ترتب قيام السماء والارض على مجرد ارادته وكذا خروج الموتى من القبور لا أن ههنا قولا مفيدا للامر بقيامها ولا كلام مفيد للامر بخروج الموتى فيكون المراد من يقول أيها الموتى اخرجوا مجرد ارادة الخروج (قوله بالاضافة الى قدركم) فكأنه قيل هو اهون عليه على تقدير ان تكون قدرته كقدرتكم (قوله يصفه به ما فيهما دلالة ونطقا) أى يصفه أى الله تعالى ما فيهما أى فى السموات والارض بكمال القدرة والحكمة التامة وغيرهما من سائر الصفات ما وجد فى السموات والارض دلالة أى دلالة عقلية أو نطقا أى دلالة لفظية (قوله تعالى تخافونهم) قال أبو البقاء هو حال من الضمير المستتر فى سواء أى فأنتم تساوون خائفا بعضكم (قوله غير ملتفت) هذا بصيغة الفاعل أى غير ملتفت الى شئ آخر وقوله أو ملتفت عنه بصيغة المفعول والاول حال عن الوجه والثانى عن الدين (قوله نصب على الاغراء أو المصدر) والمعنى على الاول ابتغوا فطرة الله وعلى الثانى فطرت فطرة الله (قوله لان الآية الخ) والمعنى فأقم أنت ومن معك (قوله غير انها صورت الخ) متعلق بقوله لان الآية خطاب الخ أى الخطاب له ولهم لكن صدر بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيما

للامر

(قوله فيستدلون به الخ) أما كمال القدرة فباعتبار انه قادر على بسط الرزق وأما كمال الحكمة فباعتبار انه لو بسط للجميع لبغوا في الأرض كما قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولو ضيق على كلهم لم يظهر كمال القدرة (قوله غير مشعر به) اذ لم يعلم ان الحق هو النفقة ولا أنها بعض الحق المذكور في الآية (قوله بالقصر) اى بقصر همزة تيتم (قوله اتربوا) بضم التاء (قوله أثبت له لوازم الالوهية ونفاها عما اتخذوه شركاء) هذا النفي من تقديم ذكر الله وايراده في الجملة الاسمية على ماهو رأى صاحب الكشاف من أن مثل هذا التركيب يفيد التخصيص (قوله لوازم الالوهية) فانها تقتضي ان يخلق الخلق ليظهر كمال الخالق واذا خلق يجب الرزق عادة وأما الاماتة فكونها من لوازم الالوهية فباعتبار كمال القدرة أيضا أو بان يقال ان البعث بعد الموت والجزاء من جملة الكمال فهو من لوازمه فتكون الاماتة أيضا لازمة لان البعث لا يكون الا بعد الموت فتأمل (قوله يفيد ان شيوع الحكم) فان الاولى للتبعيض فتفيد ان ليس لبعض الشركاء أن يفعل ما فعله تعالى (قوله المنفي) وهو الفعل (قوله الموتان) بضم الميم موت يقع في الماشية (قوله أو يكسبهم الفساد) فيكون الفساد نفس المعصية (قوله واللام للعلة أو العاقبة) اذا كان الفساد عبارة عما ذكر

للامر بمعنى التهديد لقوله (فتمتعوا) غير أنه اتفق فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا (فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء التحتية على أن تمتعوا ماض (أم أنزلنا عليهم سلطانا) حجة وقيل ذا سلطان أى ملكا معه برهان (فهو يتكلم) تكلم دلالة كقوله كتبنا بنا ينطق عليكم بالحق أو نطق (بما كانوا به يشركون) باشراكهم وصحته أو بالامر الذى بسببه يشركون به فى ألوهيته (واذا أذقنا الناس رحمة) نعمة من صحة وسعة (فرحوا بها) بطروا بسببها (وان تصبهم سيئة) شدة (بما قدمت أيديهم) بشؤم معاصيهم (اذا هم يقنطون) فاجؤا القنوط من رحمته وقرأ الكسائى وأبو عمرو بكسر النون (أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر) فاهلم لم يشكروا ولم يحتسبوا فى السراء والضراء كالمؤمنين (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة (فآت ذا القربى حقه) كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به (والمسكين وابن السبيل) ما وظف لهما من الزكاة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) ذاته أو جهته أى يقصدون بعروفهم اياه خالصا أو وجهة التقرب اليه لا جهة أخرى (وأولئك هم المفلحون) حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم (وما آتيتم من ربا) زيادة محرمة فى المعاملة أو عطية يتوقع بها مزيد مكافأة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا (ليربو فى أموال الناس) ليزيد ويزكو فى أموالهم (فلا يربو عند الله) فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرأ نافع و يعقوب اتربوا أى لتزيدوا أو لتصيروا ذوى ربا (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله) تبتغون به وجهه خالصا (فأولئك هم المضعفون) ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار أو للذين ضعفوا انواعهم وأموالهم ببركة الزكاة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم أو للتعميم كأنه قال فمن فعل ذلك فأولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به أو فؤتونه أولئك هم المضعفون (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ) أثبت له لوازم الالوهية ونفاها رأسا مما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن أن يكون له شركاء فقال (سبحانه وتعالى عما يشركون) ويجوز أن تكون الكلمة الموصولة صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من أفعاله ومن الاولى والثانية تفيد ان شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفى وكل منها مستقلة بتأكيد لتجهيز الشركاء وقرأ حمزة والكسائى بالتاء (ظهر الفساد فى البر والبحر) كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار أو الضلالة والظلم وقيل المراد بالبر القرى الساحل وقرئ والبحور (بما كسبت أيدى الناس) بشؤم معاصيهم أو بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد فى البر بقتل قابيل أخاه وفى البحر بان جلندا ملك عمان كان يأخذ كل سفينة غصبا (ليذيقهم بعض الذى عملوا) بعض جزائه فان تمامه فى الآخرة واللام للعلة أو للعاقبة وعن ابن كثير و يعقوب لنذيقهم بالنون (لعلهم يرجعون) عما هم عليه (قل سيروا فى

أولا من الجدب وغيره مما يترتب على المعاصى كان اللام للعلة لان المعنى أظهر الله الفساد لاذاقتهم الخ واذا كان المراد من الفساد نفس المعصية كان اللام للعاقبة اذ المعنى أظهر الناس المعاصى بكسبهم اياها للاذاقة ولا يخفى ان باعث الناس على المعاصى ليس الاذاقة المذكورة فتكون اللام لام العاقبة

الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) اتشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا صدقه (كان أكثرهم مشركين) استئناف للدلالة على أن سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم أو كان الشرك في أكثرهم ومادونه من المعاصي في قليل منهم (فأقم وجهك للدين القيم) البليغ الاستقامة (من قبل أن يأتي يوم لامرد له) لايقدر أن يرده أحد وقوله (من الله) متعلق ببأتي ولا يجوز أن يتعلق بمرد لأنه مصدر على معنى لايرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه (يومئذ يصدعون) يتصدعون أي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال (من كفر فعليه كفره) أي وباله وهو النار المؤبدة (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) علة لقوله يمهدون أو يصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بأنه المقصود بالذات والا كتفاء على نحو قوله (انه لايحب الكافرين) فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتأكيدا لاختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على أن الاثابة تفضل محض وتأويله بالعطاء أو الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر (ومن آياته أن يرسل الرياح) الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولاتجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس (مبشرات) بالمطر (ولينيقكم من رحمته) يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر لسبب عنها أو الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات أو عليها باعتبار المعنى أو على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه (ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله) يعني تجارة البحر (ولعلكم تشكرون) وتشكروا نعمة الله تعالى فيها (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا) بالتدمير (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) اشعار بأن الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم وعنه عليه الصلاة والسلام مامن امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على أنه متعلق بالانتقام (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه) متصلا نارة (في السماء) في سمتها (كيف يشاء) سائرا أو واقفا مطبقا أو غير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك (ويجعله كسفا) قطعا تارة أخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على أنه مخفف أوجمع كسفة أو مصدر وصف به (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) في التارتين (فاذا أصاب به من يشاء من عباده) يعني بلادهم وأراضيهم (اذا هم يستبشرون) لمجيء الخصب (وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم) المطر (من قبله) تكرير لتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وقيل الضمير للمطر أو السحاب أو الارسال (لمبلسين) لآيسين (فانظر الى أثر رحمت الله) أثر الغيث من النبات والاشجار وأنواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص (كيف يحيي الارض بعد موتها) وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة (ان ذلك) يعني أن الذي قدر على احياء الارض بعد موتها (لمحيي الموتى) لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد أبدانهم من القوى الحيوانية كأن احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل أن يكون من الكائنات لراهنة ما يكون من مواد مانفتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة (وهو على كل شئ قدير) لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا) فرأوا الاثر أو الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان

(قوله أو على يرسل) فيكون التقدير وتجرى الرياح لتذيقكم وهذا اذا كان الدال هو قوله لتجرى او يكون التقدير ويرسل الرياح لتذيقكم وهذا اذا كان الدال يرسل المقدم ذكره وعبارته تحتمل الوجهين

صفر الم يطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله (لظالموا من بعده يكفرون) جواب ستد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآية ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظار السوى يقتضى أن يتوكلوا على الله ويلتجؤا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولا يبأسوا من رحمته وأن يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا أصابهم رحمته ولم يفرطوا فى الاستبشار وأن يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولا يكفروا نعمه (فانك لا تسمع الموتى) وهم مثلهم الساد واعن الحق مشاعرهم (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) قيد الحكم به ليكون أشد استحالة فان الاصم لمقبل وان لم يسمع الكلام يفطن منه بواسطة الحركات شيأ وقرأ ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع الصم (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقى من الابصار أو لعمى قلوبهم وقرأ حمزة وحده تهدى العمى (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) فان ايمانهم يدعوهم الى تلقى اللفظ وتدبر المعنى ويجوز أن يراد بالمؤمن المشارف للايمان (فهم مسلمون) لما أمر هم به (الله الذى خلقكم من ضعف) أى ابتدأ كم ضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم كقوله خلق الانسان ضعيفا أو خلقكم من أصل ضعيف وهو النطفة (ثم جعل من بعد ضعف قوة) وذلك اذا بلغتم الحلم أو تعلق بايدانكم الروح (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) اذا أخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد فى جميعها والضم أقوى لقول ابن عمر رضى الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فأقرأنى من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم (يخلق مايشاء) من ضعف وقوة وشيبة وشبابة (وهو العليم القدير) فان التردد فى الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة (ويوم تقوم الساعة) القيامة سميت بها لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة (يقسم المجرمون مالبثوا) فى الدنيا أوفى القبور أوفيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث مابين فناء الدنيا والبعث أربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام (غير ساعة) استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم فى الآخرة أو نسيانا (كذلك) مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق (كانوا يؤفكون) يصرفون فى الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) من الملائكة والانس (لقد لبثتم فى كتاب الله) فى علمه أو قضائه أو ما كتبه لكم أى أوجبه أو اللوح أو القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ (الى يوم البعث) ردوا بذلك ماقالوه وحلفوا عليه (فهذا يوم البعث) الذى أنكرتموه (ولكنكم كنتم لا تعلمون) أنه حق لتفريطكم فى النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه أى فقد تبين بطلان انكاركم (فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم) وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر ولان تأنيثها غير حقيقى وقد فصل بينهما (ولاهم يستعتبون) لا يدعون الى مايقتضى اعتابهم أى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فاعتبته أى استرضانى فأرضيته (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) ولقد وصفناهم فيه بأنواع الصفات التى هى فى الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة فيما يقولون ومايقال لهم ومالا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب أو بيناهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول (ولئن جئتهم بآية) من آيات القرآن (ليقولن الذين كفروا) من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم (ان أنتم) يعنون الرسول والمؤمنين (الا مبطلون) مزورون (كذلك) مثل ذلك الطبع (يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون)

(قوله القطر) بفتح القاف وسكون الطاء المطر وهو جمع قطرة (قوله تعالى ولا تسمع الصم الدعاء الخ) فائدة قوله هذا مع ماقال انك لا تسمع الموتى ان الكفار لا يسمعون الدعاء حقيقة فضلا عن أن يفهموا حقيقة ماهو معنى المسموع فعدم اسماع الموتى عبارة عن عدم وصول فهم الكفار الى المقصود من الالفاظ (قوله فى الدنيا الخ) فيه أنه اذا كان المراد من الساعة القيامة التى تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا فبعد ما تأتى القيامة كيف يقسم المجرمون القسم المذكور فالاولى ان يقال ان المراد من الساعة لبث وهذا هو المناسب لما سيجىء من قوله وقال الذين أوتوا العلم الآية (قوله فى علمه أو قضائه) أى على ماقرر فى علم الله أو قضائه وهكذا التقديرات الاخر

لا يطلبون العلم و يصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق و يوجب تكذيب المحق (فاصبر) على أذاهم (ان وعد الله) بنصرتك واظهار دينك على الدين كله (حق) لابد من انجازه (ولا يستخفنك) ولا يحملنك على الخفة والقلق (الذين لا يوقنون) بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك أى لا يزيغنك فيكونوا أحق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وأدرك ما ضيع فى يومه وليلته

﴿سورة لقمان مكية﴾

الا آية وهى الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافى شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام وهى أربع وثلاثون آية وقيل ثلاث وثلاثون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم تلك آيات الكتاب الحكيم) سبق بيانه فى يونس (هدى ورحمة للمحسنين) حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حزة على الخبر بعد الخبر أو الخبر لمحذوف (الذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون) بيان لاحسانهم أو تخصيص لهذه الثلاثة من شعبه لفضل اعتدادها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه و بين خبره (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) ما يلهى عما يعنى كالاحاديث التى لا أصل لها والاساطير التى لا اعتبار بها والمضاحك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهى تبيينية ان أراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان أراد به الاعم منه وقيل نزلت فى النضر بن الحرث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا و يقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشترى القيان و يحملهن على معاشرة من أراد الاسلام ومنعه عنه (ليضل عن سبيل الله) دينه أو قراءة كتابه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله و يزيد فيه (بغير علم) بحال ما يشتريه أو بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن (و يتخذها هزوا) و يتخذ السبيل سخريه وقد نصبه حزة والكسائى و يعقوب وحفص عطفا على ليضل (أولئك لهم عذاب مهين) لانهم الحق باستئثار الباطل عليه (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) متكبرا لا يعبأ بها (كأن لم يسمعها) مشبها حاله حال من لم يسمعها (كأن فى أذنيه وقرا) مشابها من فى أذنيه ثقل لا يقدر أن يسمع والاولى حال من المستكن فى ولى أو فى مستكبرا والثانية بدل منها أو حال من المستكن فى لم يسمعها و يجوز أن يكونا استئنافين وقرأ نافع فى أذنيه (فبشره بعذاب أليم) أعلمه بان العذاب يحيق به لا محالة وذكر البشارة على التهكم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) أى لهم نعيم الجنات فعكس للمبالغة (خالدين فيها) حال من الضمير فى لهم أو من جنات النعيم والعامل ما تعلق به اللام (وعد الله حقا) مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثانى لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا (وهو العزيز) الذى لا يغلبه شئ فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده (الحكيم) الذى لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته (خلق السموات بغير عمد ترونها) قد سبق فى الرعد (وألقى فى الارض رواسى) جبالا شوامخ

﴿سورة لقمان﴾ (قوله فعكس للمبالغة) لانه اذا كانت الجنات لهم كان نعيمها لهم أيضا لان ملك الجنة مستلزم ملك نعيمها بخلاف العكس

(أن تميد بكم) كراهة أن تميد بكم فان تشابه أجزائها يقتضى تبدل أحيازها وأوضاعها لامتناع اختصاص كل منها المذاته أو لشئ من لوازمه بحيز ووضع معينين (وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم) من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدل بذلك على عزته التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله (هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) هذا الذى ذكر مخلوقه فاذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق أو ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته فأرونى معلق عنه (بل الظالمون فى ضلال مبين) اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذى لايخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنهم ظالمون باشراكهم (ولقد آتينا لقمان الحكمة) يعنى لقمان بن باعوراء من أولاد آزر ابن أخت أيوب أو خالته وعاش حتى أدرك داود عليه الصلاة والسلام وأخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة فى عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته أنه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما ألانها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال أصمت حكم وقليل فاعله وأن داود عليه السلام قال له يوما كيف أصبحت فقال أصبحت فى يدى غيرى فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه أمره بان يذبح شاة ويأتى باطيب مضغتين منها فأتى باللسان والقلب ثم بعد أيام أمره بان يأتى باخبث مضغتين منها فأتى بهما أيضا فسأله عن ذلك فقال هما أطيب شئ اذا طابا وأخبث شئ اذا خبثا (أن اشكر لله) لأن اشكر وأوأى اشكر فان ايتاء الحكمة فى معنى القول (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها (ومن كفر فان الله غنى) لايحتاج الى الشكر (حميد) حقيق بالحمد وان لم يحمد أو محمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال (واذ قال لقمان لابنه) أنعم أوأشكم أوماثان (وهو يعظه يابنى) تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير هنا وفى يابنى أقم الصلاة باسكان الياء وحفص فيهما وفى يابنى انها ان تك بفتح الياء ومثله البزى فى الاخير وقرأ الباقون فى الثلاثة بكسر الياء (لاتشرك بالله) قيل كان كافرا فلم يزل به حتى أسلم ومن وقف على لاتشرك جعل بالله قسما (ان الشرك لظلم عظيم) لانه تسوية بين من لانعمة الامنه ومن لانعمة منه (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا) ذات وهن أوتهن وهنا (على وهن) أى تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لاتزال يتضاعف ضعفها والجملة فى موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا (وفصاله فى عامين) وفطامه فى انقضاء عامين وكانت ترضعه فى تلك المدة وقرئ وفصله فى عامين وفيه دليل على أن أقصى مدة الرضاع حولان (أن اشكر لى ولوالديك) تفسير لوصينا أوعلة له أو بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال فى البين اعتراض مؤكد للتوصية فى حقها خصوصا ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك (الى المصير) فاحاسبك على شكرك وكفرك (وان جاهداك على أن تشرك بى مالیس لك به علم) باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل أراد بنفى العلم به نفيه (فلاتطعهما) فى ذلك (وصاحبهما فى الدنيا معروفا) محابا به مروفا يرتضيه الشرع ويقتضه الكرم (واتبع) فى الدين (سبيل من أناب الى) بالتوحيد والاخلاص فى الطاعة (ثم الى مرجعكم) مرجعك ومرجعهما (فانبئكم بما كنتم تعملون) بأن أجازيك على ايمانك وأجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان فى تضاعيف وصية لقمان تأكيدا لما فيهما من النهى عن الشرك كأنه

قال وقد وصينا بمثل ماوصى به وذكر الوالدين للمبالغة فى ذلك فانهما مع انهما نالوا البارى فى استحقاق
العظيم والطاعة لايجوز أن يستحقاه فى الاشراك فماظنك بغيرهما وتزوجها فى سعد بن أبى وقاص
وأمه مكثت لاسلامه ثلاثام تطعم فيها شيأ ولذلك قيل من أناب اليه أبو بكر رضى الله عنه فانه أسلم
بدعوته (يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل) أى ان الخصلة من الاحسان أو الاساءة ان تك مثلا
فى الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى
الحبة كقول الشاعر * كما شرقت صدر القناة من الدم * أولان المراد بها الحسنة أو السيئة
(فتكن فى صخرة أوفى السموات أوفى الارض) فى أخفى مكان وأحرزه كجوف صخرة أوأعلاه
كمحدب السموات أوأسفله كقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر فى وكنته
(يأت بها الله) يحضرها فيحاسب عليها (ان الله لطيف) يصل علمه الى كل خفى (خبير) عالم بكنهه
(يابنى أقم الصلوة) تكميلا لنفسك (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) تكميلا لغيرك (واصبر
على ماأصابك) من الشدائد سيما فى ذلك (ان ذلك) اشارة الى الصبر أو الى كل مأمر به (من عزم
الامور) مما عزمه الله من الامور أى قطعه قطع ايجاب مصدر أطلق للمفعول ويجوز أن يكون
بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر أى جد (ولاتصعر خدك للناس) لاتملهم عنهم ولاتولهم صفحة
وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو أوالصيداء يعترى البعير فيلوى عنقه وقرأ نافع وأبو عمرو
وحمزة والكسائى ولاتصاعر وقرئ ولاتصر والكل واحد مثل علاه وأعلاه وعالاه (ولاتمش فى
الارض مرحا) أى فرحا مصدر وقع موقع الحال أى تمرح مرحا أولاجل المرح وهو البطر (ان الله لايحب
كل مختال فخور) علة للنهى وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشى مرحا تنوافق
رؤس الآى (واقصد فى مشيك) توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلاة والسلام سرعة
المشى تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة فى عمر رضى الله عنهما كان اذا مشى أسرع فالمراد مافوق دبيب
المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من أقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية (واغضض من صوتك)
وانقص منه واقصر (ان أنكر الاصوات) أوحشها (لصوت الحمير) والحمار مثل فى الذم سيما نهاقه
ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة
مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس فى التنكير دون الآحاد أولانه مصدر فى
الاصل (ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات) بأن جعله أسبابا محملة لمنافعكم (ومافى الارض)
بأن مكنكم من الانتفاع به بوسط أوغير وسط (وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) محسوسة
ومعقولة ماتعرفونه ومالاتعرفونه وقدمر شرح النعمة وتفصيلها فى الفاتحة وقرئ وأصبغ بالابدال
وهو جار فى كل سين اجتمع مع الغين أوالخاء أوالقاف كصاخ وصقر وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص نعمه
بالجمع والاضافة (ومن الناس من يجادل فى الله) فى توحيده وصفاته (بغير علم) مستفاد من دليل
(ولاهدى) راجع الى رسول (ولا كتاب منير) أنزله الله بل بالتقليد كما قال (واذا قيل لهم اتبعوا
ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا) وهو منع صريح من التقليد فى الاصول (أولو كان
الشيطان يدعوهم) يحتمل أن يكون الضمير لهم ولآبائهم (الى عذاب السعير) الى مايؤل اليه من
التقليد أوالاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب (ومن يسلم
وجهه الى الله) بأن فوض أمره اليه وأقبل بشراشره عليه من أسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده
القراءة بالتشديد وحيث عدى باللام فلتضمن معنى الاخلاص (وهو محسن) فى عمله (فقد استمسك
بالعروة الوثقى) تعلق بأوثق مايتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن أراد أن يترقى الى شاهق

(قوله ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل) فيكون اطلاق العازم عليه اسناد امجازيا لان العازم هو الآمر

(قوله وليس بمستفيض) فان قيل ظاهر العبارة أن قراءة ولا يحزنك بان يكون من باب الافعال ليس بمستفيض وفى الكشاف ان الذى عليه الاستعمال المستفيض أحزنه ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل فبينهما اختلاف قلنا لعل مراد الكشاف ان أحزن يستعمل فى الماضى ويحزن بفتح الياء مستعمل فى المستقبل (قوله لان المراد تفصيل) قال فى الكشاف أريد تفصيل

جبل فتمسك بأوثق عرا الحبل المتدلى منه (والى الله عاقبة الامور) اذ الكل صائر اليه (ومن كفر فلا يحزنك كفره) فانه لا يضرك فى الدنيا والآخرة وقرئ فلا يحزنك من أحزن وليس بمستفيض (الينا مرجعهم) فى الدارين (فننبئهم بما عملوا) بالاهلاك والتعذيب (ان الله عليم بذات الصدور) فيجازيه فضلا عما فى الظاهر (نمتعهم قليلا) تمتيعا أو زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل (ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ أو يضم الى الاحراق الضغط (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه (قل الحمد لله) على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم (لله ما فى السموات والارض) لا يستحق العبادة فيهما غيره (ان الله هو الغنى) عن حمد الحامدين (الحميد) المستحق للحمد وان لم يحمد (ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام) ولو ثبت كون الاشجار أقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الآحاد (والبحر يمده من بعده سبعة أبحر) والبحر المحيط بسعته مددا ممدودا بسبعة أبحر فائقى عن ذكر المداد يمده لانه من مد الدواة وأمده بها ورفعه للعطف على محل أن ومعمولها يمده حال أو للابتداء على انه مستأنف أو الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم أن أو اضمار فعل يفسره يمده وقرئ تمده ويمده بالياء والتاء (ما نفدت كلمات الله) بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفى بالقليل فكيف بالكثير (ان الله عزيز) لا يعجزه شئ (حكيم) لا يخرج عن علمه وحكمته أمر والآية جواب للهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر اوفد قريش أن يسألوه عن قوله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا وقد أنزل التوراة وفيها علم كل شئ (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شأن عن شأن لانه يكفى لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما أمره اذا أردناه أن نقول له كن فيكون (ان الله سميع) يسمع كل مسموع (بصير) يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق (ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى) كل من النيرين يجرى فى فلكه (الى أجل مسمى) الى منتهى معلوم للشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيامة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجرى وثمة غرضه حقيقة أو مجازا وكلا المعنيين حاصل فى الغايات (وان الله بما تعملون خبير) عالم بكنهه (ذلك) اشارة الى الذى ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارى بها (بان الله هو الحق) بسبب انه الثابت فى ذاته الواجب من جميع جهاته أو الثابت الهيته (وأن ما تدعون من دونه الباطل) المعدوم فى حد ذاته لانه لا يوجد ولا يتصف الا بجعل أو الباطل الهيته وقرأ البصريان والكوفيون غير أبى بكر بالياء (وأن الله هو العلى الكبير) مترفع على كل شئ ومتسلط عليه (ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمت الله) باحسانه فى تهيئة أسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة

عدم كونه مربوطا بالسابق واللاحق ولذا لم يذكره صاحب الكشاف بل قال أو على الابتداء والواو للحال (قوله والباء اما متعلقة بتجرى كالباء فى مررت فتكون الباء فيه للصلة أو متعلقة بمقدر وحال مثل أن يقال التقدير تجرى فى البحر مقترنا بنعمة الله والأولى أن يقال ان الباء للسببية أو متعلقة بالحال المقدر

الشجر وتعميمها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا ربت أقلاما أقول لا يخفى انه اذا كان المراد تفصيل الآحاد لا يناسب ما قاله أولا من أن المعنى ولو ثبت كون الاشجار أقلاما بل المناسب أن يقال ولو ثبت كون كل شجرة أقلاما للتفيد المبالغة (قوله والبحر يمده من بعده) المراد من البحر موضع الماء جعل بمنزلة الدواة وقوله من بعده معناه من بعد الماء أى من بعد فنائه فالبحر الاول بمعنى المكان وضمير بعده راجع الى البحر بمعنى نفس الماء ومعنى الكلام والبحر أى مكان الماء يمده من بعد فناء الماء الذى كان فى ذلك المكان يعنى لو فنى ماء البحر الاعظم بسبب كتب كلمات الله وجعل سبعة أبحر مددا وصبت فى مكان الماء الاول بعد فنائه (قوله على انه مستأنف) لا يخفى ان جعله استئنافا يوجب

أو الحال وقرئ الفلك بالتثقيل و بنعمات الله بسكون العين وقد جوز فى مثله الكسر والفتح والسكون (ليريكم من آياته) دلائله (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) على المشاق فيتعب نفسه بالتفكر فى الآفاق والانفس (شكور) يعرف النعم ويتعرف مانحها أو للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (واذا غشيهم) علاهم وغطاهم (موج كالظلل) كما يظل من جبل أو سحاب أو غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال (دعوا الله مخلصين له الدين) لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) مقيم على الطريق القصد الذى هو التوحيد أو متوسط فى الكفر لانزجاره بعض الانزجار (وما يجحد بآياتنا الا كل ختار) غدار فانه نقض للعهد الفطرى أو لما كان فى البحر والختر أشد الغدر (كفور) للنعم (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده) لا يقضى عنه وقرئ لا يجزئ من أجزأ اذا أغنى والراجع الى الموصوف محذوف أى لا يجزى فيه (ولا مولود) عطف على والد أو مبتدأ خبره (هو جاز عن والده شيأ) وتغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بان لا يجزى وقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر فى الآخرة (ان وعد الله) بالثواب والعقاب (حق) لا يمكن خلفه (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) الشيطان بأن يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصى (ان الله عنده علم الساعة) علم وقت قيامها لما روى أن الحرث بن عمرو أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة وانى قد ألقيت حباتى فى الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتى أذكر أم أنثى وما أعمل غدا وأين أموت فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية (وينزل الغيث) فى ابانه المقدر له والمحل المعين له فى علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد (ويعلم ما فى الارحام) أذكر أم أنثى أتام أم ناقص (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) من خير أو شرور بما تعزم على شئ وتفعل خلافه (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) كما لا تدرى فى أى وقت تموت روى أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى فمر الريح أن تحملنى وتلقينى بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظرى اليه تعجبا منه اذ أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله تعالى والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على أنه ان أعمل حيله وأنفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل فى كلتهن (ان الله عليم) يعلم الاشياء كلها (خبير) يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

﴿سورة السجدة مكية وآيها ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) ان جعل اسما للسورة أو القرآن فمبتدأ خبره (تنزيل الكتاب) على أن التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره (لا ريب فيه) فيكون (من رب العالمين) حالا من الضمير فى فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز أن يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب أو اعتراض والضمير فى فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله (أم يقولون افتراه) فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله (بل هو الحق من ربك) فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا أنه أشار أولا الى اعجازه ثم رتب عليه أن تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفى الريب عنه ثم أضرب

(قوله وقطع طمع الخ) لان شفقة الوالد لولده أقوى فاذا لم يكن الوالد يجزى عن ولده فالمولود أولى والاولوية تستفاد من ايراد الجملة الاسمية

﴿سورة السجدة﴾

(قوله بمضمون الجملة) وهو أن الكتاب من عند الله أى لا ريب فيه من عند الله (قوله على هذا) أى على أن يكون المقصود تعداد الحروف

عن ذلك الى مايقولون فيه على خلاف ذلك انكار الهوتعجيبامنه فان أم منقطعة ثم أضرب عنه الى اثبات أنه الحق المنزل من الله و بين المقصود من تنزيله فقال (لتنذر قوما ماأتاهم من نذير من قبلك) اذ كانوا أهل الفترة (لعلهم يهتدون) بانذارك اياهم (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش) مر بيانه فى الاعراف (مالكم من دونه من ولى ولا شفيع) مالكم اذا جاوزتم رضا الله أحد ينصركم و يشفع لكم أومالكم سواه ولى ولا شفيع بل هو الذى يتولى مصالحكم و ينصركم فى مواطن نصركم على أن الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولى ولا ناصر (أفلا تتذكرون) بمواعظ الله تعالى (يدبر الامر من السماء الى الارض) يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها الى الارض (ثم يعرج اليه) ثم يصعد اليه و يثبت فى علمه موجودا (فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) فى برهة من الزمان متطاولة يعنى بذلك استطالة مابين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره فى اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه فى زمان هو كألف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة ألف سنة فان مابين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضى قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف الاولى الف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله يوم القيامة وقيل يدبر الما مور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحى ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا فى مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وقرئ يعرج و يعدون (ذلك عالم الغيب والشهادة) فيدبر أمرهما على وفق الحكمة (العزيز) الغالب على أمره (الرحيم) على العباد فى تدبيره وفيه اماء بانه يراعى المصالح تفضلا واحسانا (الذى أحسن كل شئ خلقه) خلقه موفرا عليه ما يستعد له ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقل علم كيف يخلقه من قولهم قيمة المرء ما يحسنه أى يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشئ على الاول مخصوص بمتفصل وعلى الثانى بمتصل (و بدأ خلق الانسان) يعنى آدم (من طين ثم جعل نسله) ذريته سميت بذلك لانها تنسل منه أى تنفصل (من سلالة من ماء مهين) ممتهن (ثم سواه) قوّمه بتصوير أعضائه على ما ينبغى (ونفخ فيه من روحه) أضافه الى نفسه تشريفا له واشعارا بانه خلق عجيب وأن له شأنا له مناسبة تا لى الحضرة الربوبية ولاجله قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا (قليلا ما تشكرون) تشكرون شكرا قليلا (وقالوا أئذا ضللنا فى الارض) أى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا تتميز منه أو غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وضللنا من ضل اللحم اذا أنتن وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه (أئنا لفى خلق جديد) وهو نبعث أو نجدد خلقنا وقرأ نافع والكسائى و يعقوب انا على الخبر والقائل أبى بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به (بل هم بلقاء ربهم) بالبعث أو بتلقى ملك الموت وما بعده (كافرون) جاحدون (قل يتوفاكم) يستوفى نفوسكم لا يترك منها شيأ ولا يبقى منكم أحدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته (ملك الموت الذى وكل بكم) بقبض أرواحكم واحصاء آجالكم (ثم الى ربكم ترجعون) للحساب والجزاء (ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم) من الحياء والحزن (ربنا) قائلين ربنا (أبصرنا) ما وعدتنا (وسمعنا) منك تصديق رسلك (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل صالحا انا موقنون) اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرأيت أمرا فظيعا ويجوز أن تكون للتمنى والمضى فيها وفى اذ لان الثابت فى علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية فى هذا الوقت

(قوله فالشئ على الأول الخ) يعنى لابد من تخصيص الشئ المذكور فان الواجب تعالى شئ ولا يدخل تحت الحكم المذكور فاما أن يختص بمنفصل أى شئ غير مذكور والمعنى كل شئ مخلوق أو بمتصل أى من مذكوره وهو خلقه الذى صفته (قوله على الخبر) أى بحسب الظاهر والا فهو فى الحقيقة انكار (قوله للتمنى) ويكون التمنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجى له فى قوله لعلهم يهتدون

أو يقدر مادل عليه صلة اذ والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) مانهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له (ولكن حق القول مني) ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بانهم من أهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له (انا نسيناكم) تركنا كم من الرحمة أو في العذاب ترك المنسي وفي استئافه فهو بناء الفعل على ان اسمها تشديد في الانتقام منهم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) كرر الامر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر أمر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) وعظوا بها (خروا سجدا) خوفا من عذاب الله (وسبحوا) نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث (بحمد ربهم) حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام وآتاهم الهدى (وهم لا يستكبرون) عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا (تتجافى جنوبهم) ترتفع وتتنحى (عن المضاجع) الفرش ومواضع النوم (يدعون ربهم) داعين اياه (خوفا) من سخطه (وطمعا) في رحمته وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلاة والسلام اذا جمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان أناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم (ومما رزقناهم ينفقون) في وجوه الخير (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم) لا يملك مقرب ولا نبي مرسل (من قرة أعين) مما تقر به عيونهم وعنه عليه الصلاة والسلام يقول الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم وقرأ حمزة و يعقوب أخفى لهم على أنه مضارع أخفيت وقرئ نخفي وأخفي والفاعل للكل هو الله وقرأت أعين لاختلاف أنواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة أو استفهامية معلق عنها الفعل (جزاء بما كانوا يعملون) أي جزوا جزاء أو أخفي للجزاء فان اخفاءه لعلو شانه وقيل هذا القوم أخفوا أعمالهم فاخفى الله ثوابهم (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) خارجا عن الايمان (لا يستوون) في الشرف والمثوبة تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) فانها المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان (نزلا) سبق في آل عمران (بما كانوا يعملون) بسبب أعمالهم أو على أعمالهم (وأما الذين فسقوا فأواهم النار) مكان جنة المأوى للمؤمنين (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) عبارة عن خلودهم فيها (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) اهانة لهم وزيادة في غيظهم (ولنذيقنهم من العذاب الادنى) عذاب الدنيا بما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر (دون العذاب الاكبر) عذاب الآخرة (لعلهم) لعل من بقي منهم (يرجعون) يتوبون عن الكفر روي أن الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) فلم يتفكر فيها ولم يستبعد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى أسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة

(قوله ولا يدفعه الخ) جواب سؤال وهو انه اذا كان دخول جهنم بسبب عدم مشيئة الايمان لم يكن حينئذ العذاب بسبب النسيان المذكور والازم توارد العاتين على معلول واحد فأجاب بأن الامر المذكور سبب عادي ولا محذور في تعدد الاسباب العادية (قوله وفي استئنافه) انما دل الاستئناف على ما ذكر لان جعل الجملة مستقلة من غير عطف على سابق يدل على شدة الاهتمام به (قوله تعالى فأواهم النار) يدل على أن مأواهم النار لا غير وأما قوله فلهم جنات المأوى لا يدل على أن مأواهم الجنة المذكورة بل لعلهم يدخلون موضعا آخر

ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها

(انا من المجرمين منتقمون) فكيف بمن كان أظلم من كل ظالم (ولقد آتينا موسى الكتاب) كما آتيناك (فلا تكن في مرية) في شك (من لقائه) من لقائك الكتاب كقوله وانك لتلقى القرآن فانا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه أو من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى وعنه عليه الصلاة والسلام رأيت ليلة أسرى بي موسى صلى الله عليه وسلم رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوأة (وجعلناه) أي المنزل على موسى (هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون) الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام (بامرنا) اياه به أو بتوفيقنا له (لما صبروا) وقرأ حمزة والكسائي وروبس لما صبروا أي لصبرهم على الطاعة أو عن الدنيا (وكانوا بآياتنا يوقنون) لامعانهم فيها النظر (ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة) يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل (فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين (أولم يهد لهم) الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير مادل عليه (كم أهلكنا من قبلهم من القرون) أي كثرة من أهلكناهم من القرون الماضية أو ضمير الله بدليل القراءة بالنون (يمشون في مساكنهم) يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد (ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون) سماع تدبر واتعاظ (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) التي جزز نباتها أي قطع وأزيل لالتي لانبت لقوله (فنخرج به زرعا) وقيل اسم موضع بالمين (تأكل منه) من الزرع (انعامهم) كالتبن والورق (وأنفسهم) كالحب والثمر (أفلا يبصرون) فيستدلون به على كمال قدرته وفضله (ويقولون متى هذا الفتح) النصر أو الفصل بالحكومة من قولهم ربنا افتح بيننا (ان كنتم صادقين) في الوعد به (قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون) وهو يوم القيامة فانه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر أو يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانهم لاينفعهم إيمانهم حال القتل ولايمهلون وانطباقه جوابا على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم لما أرادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء أجيبوا بما ينع الاستعجال (فاعرض عنهم) ولاتبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف (وانتظر) النصرة عليهم (انهم منتظرون) الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى أنهم أحقاء بان ينتظر هلاكهم أو أن الملائكة ينتظرونه * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك أعطي من الاجر كأنما أحيا ليلة القدر وعنه من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

﴿سورة الاحزاب مدنية وآيها ثلاث وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ياأيها النبي اتق الله) ناداه بالنبي وأمره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله (ولاتطع الكافرين والمنافقين) فيما يعودبهون في الدين روى أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك ور بك فنزلت (ان الله كان عليما) بالصالح والمفاسد (حكيما) لايحكم الا بما تقتضيه الحكمة (واتبع مايوحى اليك من ربك) كالنهي عن طاعتهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فوح اليك ما تصلح به أعمالك و يغني عن الاستماع الى الكفرة وقرأ أبو عمرو بالياء على ان الواو ضمير

(قوله الغماء) يراد بها ههنا شدة اقتحام الحرب أي لا يكشف الأمر العظيم الا رجل كريم يرى شدائد الموت ثم يقتحمها (قوله أو من لقاء موسى) يرد عليه انه كيف يترتب عدم كونه في مرية من لقاء موسى على إيتاء موسى الكتاب و يمكن ان يقال المعنى ولقد آتينا موسى الكتاب فيكون نبيا فلاتك في مرية من لقائه حين ملاقاة الانبياء ليلة الاسراء (قوله قرئ بالفتح) أي قرئ ينظرون بفتح الظاء فيكون اسم مفعول

﴿سورة الاحزاب﴾

الكفر والمنافقين أى ان الله خبير بكايدهم فيدفعها عنك (وتوكل على الله) وكل أمرك الى تدبيره (وكفى بالله وكيلا) موكولا اليه الامور كلها (ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) أى ماجمع قلبين فى جوف لان القلب معدن الروح الحيوانى المتعلق بالنفس الانسانى أولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد (وماجعل أزواجكم اللائى تظهرون منهن أمهاتكم وماجعل أدعياءكم أبناءكم) وماجمع الزوجية والامومة فى امرأة ولا الدعوة والبنوة فى رجل والمراد بذلك ردما كانت العرب تزعم من أن للبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابى معمر أوجميل بن أسد الفهرى ذى القلبين والزوجة المظاهر عنها كالأم ودعى الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبى عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد أو المراد نفى الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفى القلبين لتمهيد أصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين فى جوف لادائه الى التناقض وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل القوى وغيراً صل لم يجعل الزوجة والدعى اللذين لاولادة بينهما ولا بينه أمه وابنه اللذين بينهما ولادة وقرأ أبو عمر والملاى بالياء وحده على أن أصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده وأصل تظهرون تظاهرون فادغمت التاء الثانية فى الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائى بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعده بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار أن يقول للزوجة أنت على كظهر أمى مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا فى الجاهلية وهو فى الاسلام يقتضى الطلاق أو الحرمة الى أداء الكفارة كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذى هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج أو للتغليظ فى التحريم فانهم كانوا يحرمون انيان المرأة وظهرها الى السماء وادعياء جمع دعى على الشذوذ وكأنه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه (ذلكم) اشارة الى ماذكر أو الى الاخير (قولكم بافواهكم) لاحقيقة له فى الاعيان كقول الحاذى (والله يقول الحق) ماله حقيقة عينية مطابقة له (وهو يهدى السبيل) سبيل الحق (ادعوهم لآبائهم) انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من أقوالها لحقة وقوله (هو أقسط عند الله) تعليل له والضمير لصدر ادعوهم وأقسط أفعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ فى الصدق (فان لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم (فاخوانكم فى الدين) أى فهم اخوانكم فى الدين (ومواليكم) وأولياؤكم فيه فقولوا هذا أخى ومولاى بهذا التأويل (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) ولاائم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى أو بعده على النسيان أو سبق اللسان (ولكن ماتعمدت قلوبكم) ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم أو ولكن ماتعمدت قلوبكم فيه الجناح (وكان الله غفورا رحيما) لعفوه عن المخطئ واعلم أن التبنى لاعبرة به عندنا وعند أبى حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذى يمكن الحاقه به (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فى الامور كلها فانه لايأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك أطلق فيجب عليهم أن يكون أحب اليهم من أنفسهم وأمر وأنفذ عليهم من أمرها وشفقتهم عليه أتم من شفقتهم عليها روى أنه عليه الصلاة والسلام أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت وقرئ وهو أب لهم أى فى الدين فان كل نبى أب لامته من حيث انه أصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة (وأزواجه أمهاتهم) منزلات منزلتهن فى التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها لسن أمهات النساء (وأولوا الارحام) وذو والقرابات (بعضهم أولى

(قوله وذلك يمنع التعدد) أى يجب أن يكون القلب منبعا للقوى باسرها ومعدنا للروح الحيوانى بتمامه فلو كان لواحد قلبان لزم أن يكون كل منهما منبعا للقوى باسرها ومعدنا للروح الحيوانى بتمامه وهو باطل لتوارد علتين مستقلتين على معلول واحد ولك أن تقول لم لايجوز أن يكون قلب منبعا لبعض القوى والقلب الآخر للبعض الآخر فتأمل (قوله بهذا التأويل) أى بتأويل الاخوة فى الدين والولاية فيه (قوله واستحقاقه التعظيم) هذا الانتساب من قول عائشة رضى الله عنها لسنا أمهات النساء فانهن يستحقن التعظيم من الرجال والنساء

بعض) فى التوارث وهو نسخ لما كان فى صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة فى الدين (فى كتاب الله) فى اللوح أوفيما أنزل وهو هذه الآية أو آية المواريث أوفيما فرض الله (من المؤمنين والمهاجرين) بيان لاولى الارحام أوصلة لاولى أى أولوالارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) استثناء من أعم مايقدر الاولوية فيه من النفع والمراد فعل المعروف التوصية أومنقطع (كان ذلك فى الكتاب مسطورا) كان ماذكر فى الآيتين ثابتا فى اللوح أوالقرآن وقيل فى التوراة (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) خصهم بالذكر لانهم مشاهير أرباب الشرائع وقدم نبينا عليه الصلاة والسلام تعظيما له وتكريما لشأنه (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) عظيم الشأن أومؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف تعظيما له (ليسأل الصادقين عن صدقهم) أى فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم أوتصديقهم اياهم تبكيتا لهم أوالمصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق أوالمؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين أشهدهم على أنفسهم عن صدقهم عهدهم (وأعد للكافرين عذابا أليما) عطف على أخذنا من جهة ان بعثة الرسل وأخذ الميثاق إنما منهم لانابة المؤمنين أوعلى مادل عليه ليسأل كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين (ياايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود) يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان وبهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر ألفا (فأرسلنا عليهم ريحا) ريح الصبا (وجنودا لم تروها) الملائكة روى أنه عليه الصلاة والسلام لما سمع بأقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم فى ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم ريحا باردة فى ليلة شاتية فاخمدتهم وسفت التراب فى وجوههم وأطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض وكبرت الملائكة فى جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدى أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال (وكان الله بما تعملون) من حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء أى بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة (بصيرا) رائيا (اذ جاؤكم) بدل من اذ جاءتكم (من فوقكم) من أعلى الوادى من قبل المشرق بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادى من قبل المغرب قريش (واذ زاغت الابصار) مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا (وبلغت القلوب الحناجر) رعبا فان الرئة تنتفخ من شدة الروع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب (وتظنون بالله الظنونا) الانواع من الظن فظن المخلصون انبت القلوب أن الله منجز وعده فى اعلاء دينه أوتمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ماحكى عنهم والالف مزيدة فى أمثاله تشبيها للفواصل بالقوافى وقد أجرى نافع وابن عامر وأبو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها أبو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس (هنالك ابتلى المؤمنون) اختبروا فظهر الخلص من المنافق والثابت من المتزلزل (وزلزلوا زلزالا شديدا) من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح (واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (ماوعدنا الله ورسوله) من الظفر واعلاء الدين (الا غرورا) وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) يعنى أوس بن قيظى وأتباعه (ياأهل يثرب) أهل المدينة وقيل هو اسم

(قوله أومنقطع) والمعنى لكن فعلكم الى أوليائكم معروف معتبر فى الشرع مستحسن فيه (قوله أو عن تصديقهم) عطف على ما أى عما قالوه لقومهم أوتصديق لأمم الانبياء والغرض تبكيت الكافر (قوله فان الخ) انما ذكر هذا المصدق المذكور فى قوله تعالى (قولهأوالمصدقين) عطف على الانبياء

أرض وقعت المدينة فى ناحية منها (لامقام) لامو ضع قيام (لكم) ههنا وقرأ حفص بالضم على أنه مكان أومصدر من أقام (فارجعوا) الى منازلكم هار بين وقيل المعنى لامقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك وأسلموه لتسلموا أولامقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليكنكم المقام بها (ويستأذن فريق منهم النبى) للرجوع (يقولون ان بيوتنا عورة) غير حصينة وأصله الخلل ويجوز أن يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها (وماهى بعورة) بل هى حصينة (ان يريدون الافرارا) أى ومايريدون بذلك الا الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم) دخلت المدينة أو بيوتهم (من أقطارها) من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان فى اقتضاء الحكم المرتب عليه (ثم سئلوا الفتنة) الردة ومقاتلة المسلمين (لآتوها) لأعطوها وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها (وماتلبثوا بها) بالفتنة أو باعطائها (الايسيرا) ريثما يكون السؤل والجواب وقيل مالبثوا بالمدينة بعد تمام الارتداد الايسيرا (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الادبار) يعنى بنى حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين فشلوا ثم تابوا أن لايعودوا لمثله (وكان عهد الله مسؤلا) عن الوفاء به مجازى عليه (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل) فانه لابد لكل شخص من حتف أنف أوقتل فى وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم (واذا لاتمتعون الاقليلا) أى وان نفعكم الفرار مثلا فتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الاتمتيعا أوزمانا قليلا (قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أوأراد بكم رحمة) أى أو يصيبكم بسوء ان أراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما فى قوله

* متقلدا سيفا ورمحا * أوجعل الثانى على الاول لما فى العصمة من معنى المنع (ولا يجدون لهم من دون الله وليا) ينفعهم (ولا نصيرا) يدفع الضر عنهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم من ساكنى المدينة (هلم الينا) قربوا أنفسكم الينا وقد ذكر أصله فى الانعام (ولا يأتون البأس الاقليلا) الا اتيانا أوزمانا أو بأسا قليلا فانهم يعتذرون و يثبطون ماأمكن لهم أو يخرجون مع المؤمنين ولكن لايقاتلون الاقليلا كقوله ماقاتلوا الاقليلا وقيل انه من تمة كلامهم ومعناه ولا يأتى أصحاب محمد حروب الاحزاب ولايقاومونهم الاقليلا (أشحة عليكم) بخلاء عليكم بالمعاونة أو النفقة فى سبيل الله أو الظفر أو الغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون أو المعوقين أوعلى الذم (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم) فى أحداقهم (كالذى يغشى عليه) كنظر المغشى عليه أوكدوران عينيه أومشبهين به أومشبهة بعينه (من الموت) من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك (فاذا ذهب الخوف) وحيزت الغنائم (سلقوكم) ضربوكم (بألسنة حداد) ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد أو باللسان (أشحة على الخير) نصب على الحال أوالذم و يؤيده قراءة لرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه (أولئك لم يؤمنوا) اخلاصا (فأحبط الله أعمالهم) فاظهر بطلانها اذلم تثبت لهم أعمال فتبطل أوأبطل تصنعهم ونفاقهم (وكان ذلك) الاحباط (على الله يسيرا) هينا تتعلق الارادة به وعدم مايمنعه عنه (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) أى هؤلاء جبنهم يظنون أن الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى دخل المدينة (وان يأت الاحزاب) كرة ثانية (يودوا لوأنهم بادون فى الاعراب) تمنوا انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب (يسألون) كل قادم من جانب المدينة (عن أنبائكم) عما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) هذه الكرة لم يرجعوا الى المدينة وكان قتال (ماقاتلوا الاقليلا) رياء وخوفا من

(قوله أومثبطين الخ) فيكون قوله تعالى كالذى يغشى عليه من الموت على أحد التقديرين حالا من ضمير ينظرون وعلى التقدير الآخر حالا من أعينهم. (قوله أوأبطل الخ) فانه لولم يكن النفاق لكان لهم أعمال

التعبير (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدائد أو هو فى نفسه قدوة يحسن التأسى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا أى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) أى ثواب الله أو لقاءه ونعيم الآخرة أو أيام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك أرجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر داخل فيها بحسب الحكم والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة أو صفة لها وقيل بدل من لكم والا كثير على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه (وذكر الله كثيرا) وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسى بالرسول من كان كذلك (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) بقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله عليه الصلاة والسلام سيشتد الأمر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلاة والسلام انهم سائرون اليكم بعد تسع أو عشر وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الراء وفتح الهمزة (وصدق الله ورسوله) وظهر صدق خبر الله ورسوله وصدقا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء واظهار الاسم للتعظيم (ومازادهم) فيه ضمير ما رأوا أو الخطب أو البلاء (الا ايمانا) بالله ومواعيده (وتسليما) لاوامره ومقاديره (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) من الثبات مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقنى اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه (فمنهم من قضى نحبه) نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر والنحب النذر واستعير للموت لانه كنذر لازم فى رقبة كل حيوان (ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثمان وطلحة رضى الله عنهما (وما بدلوا العهد ولا غيروه (تبديلا) شيأ من التبديل روى أن طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام أوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله (ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم) تعليل للمذكور والمعرض به فكان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم أو المراد بها التوفيق للتوبة (ان الله كان غفورا رحيما) لمن تاب (ورد الله الذين كفروا) يعنى الاحزاب (بغيظهم) متغيظين (لم ينالوا خيرا) غير ظافرين وهما حالان بتداخل أو تعاقب (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا) على احداث ما يريده (عزيزا) غالبا على كل شئ (وأنزل الذين ظاهروهم) ظاهروا الاحزاب (من أهل الكتاب) يعنى قريظة (من صياصيهم) من حصونهم جمع صيصية وهى ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبى وشوكة الديك (وقذف فى قلوبهم الرعب) الخوف وقرئ بالضم (فريقا تقتلون وتأسرون فريقا) وقرئ بضم السين روى أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب فقال أتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة وأنا عامد اليهم فأذن فى الناس أن لا يصلوا العصر الا فى بنى قريظة فحاصرهم احدى وعشرين أو خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمى فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ونسائهم فكبر النبى عليه الصلاة والسلام فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم سبعمائة أو أكثر وأسر منهم سبعمائة (وأورثكم أرضهم) مزارعهم (وديارهم) حصونهم (وأموالهم) نقودهم ومواشيهم وأثاثهم روى أنه عليه الصلاة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فكلم

(قوله أرجو زيدا وفضله الخ) اى أرجو فضل زيد كذا فى الكشاف بدليل أن اليوم الآخر داخل فيها فذكره بعدها تكرار ولك أن تقول انه تخصيص بعد تعميم وللاشارة الى ضعفه قال وقيل

فيه الانصار فقال انكم فى منازلكم وقال عمر رضى الله عنه أما نخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لى طعمة (وأرضا لم تطؤها) كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل أرض تفتح الى يوم القيامة (وكان الله على كل شئ قديرا) فيقدر على ذلك (يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا) السعة والتنعم فيها (وزينتها) وزخارفها (فتعالين أمتعكن) أعطكن المتعة (وأسرحكن سراحا جميلا) طلاقا من غير ضرار ولا بدعة روى انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة رضى الله عنها لخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر الله لهن ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على أن المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن على ويؤيده قول عائشة رضى الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وائنة عند الحنفية واختلف فى وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ أمتعكن وأسرحكن بالرفع على الاستئناف (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات (يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة) بكبيرة (مبينة) ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وأبى بكر والباقون بكسر الياء (يضاعف لها العذاب ضعفين) ضعفى عذاب غيرهن أى مثليه لان الذنب منهن أقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر فى حد العبد وعتوب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان بتضعف على البناء للمفعول ورفع العذاب وابن كثير وابن عامر تضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب (وكان ذلك على الله يسيرا) لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبى وكيف وهو سببه (ومن يقنت منكن) ومن يدم على الطاعة (لله ورسوله) ولعل ذكر الله للتعظيم أو لقوله (وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبى عليه الصلاة والسلام بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائى ويعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله (وأعتدنا لها رزقا كريما) فى الجنة زيادة على أجرها (يانساء النبى لستن كأحد من النساء) أصل أحد وحد بمعنى الواحد ثم وضع فى النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء فى الفضل (ان اتقيتن) مخالفة حكم الله ورضا رسوله (فلا تخضعن بالقول) فلا تلنن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات (فيطمع الذى فى قلبه مرض) فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهى على أنه نهى مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول (وقلن قولا معروفا) حسنا بعيدا عن الريبة (وقرن فى بيوتكن) من وقر يقر وقارا أو من قار يقار اذا اجتمع وقرئ بفتح القاف فاستغنى عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت أقر وهو لغة فيه ويحتمل أن يكون من قار يقار اذا اجتمع (ولا تبرجن) ولا تتبخترن فى مشيكن (تبرج الجاهلية الاولى) تبرجا مثل تبرج النساء فى أيام الجاهلية القديمة وقيل هى ما بين آدم ونوح وقيل الزمان الذى ولد فيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق فى الاسلام ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام لأبى الدرداء رضى الله عنه ان فيك جاهلية قال جاهلية

(قوله تعالى وأسرحكن) لانه لما جعل التسريح وهو ايقاع الطلاق مترتبا على ارادة الدنيا ولم يترتب على ارادة الرسول شيأ من الطلاق علم انه لا يقع شئ باختيار المخيرة زوجها وأيضا لما كان اختيار الدنيا لا يوقع الطلاق بل يحتاج الى التسريح فاختيار الزوج أولى بعدم وقوع الطلاق (قوله خلافا لزيد الخ) فان زيدا قال انه يقع طلقة واحدة اذا اختارت نفسها واجاز الحسن التمتع وهو رواية عن مالك أيضا (قوله وقيل الخ) علة أخرى لتقديم التمتع على التسريح أى بعضهم قال ان الفرقة حصلت بمجرد ارادتهن الدنيا لان الآية توجب تفويض الطلاق اليهن فبمجرد ارادتهن يحصل الطلاق فاذا حصل الطلاق ترتب عليه المتعة فلذا قدم المتعة لان الطلاق حاصل أولا بمجرد الارادة

كفر أو اسلام قال بل جاهلية كفر (وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله) فى سائر ما أمرن به ونهاكن عنه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عم الحكم (أهل البيت) نصب على النداء أو المدح (ويطهركم) عن المعاصى (تطهيرا) واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما رضى الله عنهم لما روى أنه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة رضى الله عنها فأدخلها فيه ثم جاء على فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين رضى الله عنهما فأدخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها والحديث يقتضى أنهم من أهل البيت لا أنه ليس غيرهم (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما أنعم الله عليهن من حيث جعلهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحى وما شاهدن من برحاء الوحى مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به (ان الله كان لطيفا خبيرا) يعلم ويدبر ما يصلح فى الدين ولذلك خيركن ووعظكن أو يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح أن يكون أهل بيته (ان المسلمين والمسلمات) الداخلين فى السلم المنقادين لحكم الله (والمؤمنين والمؤمنات) المصدقين بما يجب أن يصدق به (والقانتين والقانتات) المداومين على الطاعة (والصادقين والصادقات) فى القول والعمل (والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن المعاصى (والخاشعين والخاشعات) المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم (والمتصدقين والمتصدقات) بما وجب فى مالهم (والصائمين والصائمات) الصوم المفروض (والحافظين فروجهم والحافظات) عن الحرام (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) بقلوبهم وألسنتهم (أعد الله لهم مغفرة) لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات (وأجرا عظيما) على طاعتهم والآية وعد لمن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روى أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال فى القرآن بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شئ فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضرورى وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضرورى ولذلك ترك فى قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على أن اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) ما صح له (اذا قضى الله ورسوله أمرا) أى قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم أمره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل فى زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فأبت هى وأخوها عبد الله وقيل فى أم كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد (أن تكون لهم الخيرة من أمرهم) أن يختاروا من أمرهم شيأ بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما فى سياق النفى وجمع الثانى للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) بين الانحراف عن الصواب (واذ تقول للذى أنعم الله عليه) بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه (وأنعمت عليه) بما وفقك الله فيه وهو زيد ابن حارثة (أمسك عليك زوجك) زينب وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أبصرها بعد ما أنكحها اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد

(قوله وهو ضرورى الخ) أى عطف المسلمات على المسلمين وكذا النظائر الباقية ضرورى اذ لا يصح أن يقال ان المسلمين المسلمات لكن يصح أن يقال ان المسلمين والمسلمات المؤمنين والمؤمنات بحذف الواو من المؤمنين (قوله وجمع الضمير الاول الخ) هذا التفصيل غير مذكور فى الكشاف بل قال الماوقع مؤمن ومؤمنة تحت النفى عم كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وما قاله صاحب الكشاف هو الظاهر وأما ما قاله المصنف ففيه خفاء وتوضيحه أن يقال ان الضمير الثانى راجع الى الرسول صلى الله عليه وسلم أى ليس لهم بعد أمر الرسول أن يختاروا من أمرهم شيأ بل عليهم اتباع أمره مطلقا

فخطر لذلك ووقع فى نفسه كراهة صحبتها فأتى النبى عليه الصلاة والسلام وقال أريد أن أفارق صاحبتى فقال مالك أرابك منها شئ فقال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها الشرف فأتعظم على فقال له أمسك عليك زوجك (واتق الله) فى أمرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) وهو نكاحها ان طلقها أو ارادة طلاقها (وتخشى الناس) تعييرهم اياك به (والله أحق أن تخشاه) ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست للعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهارما ينافى اضماره فان الاولى فى أمثال ذلك أن يصمت أو يفوض الامر الى ربه (فلما قضى زيد منها وطرا) حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لى فيك وقرئ زوجتكها والمعنى أنه أمر بتزويجها منه أوجعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تولى انكاحى وأنتن زوجكن أولياؤكن وقيل كان زيد السفير فى خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه (لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) علة للتزويج وهو دليل على أن حكمه وحكم الأمة واحد الا ما خصه الدليل (وكان أمر الله) أمره الذى يريده (مفعولا) مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له) قسم له وقدر من قولهم فرض له فى الديوان ومنه فروض العسكر لأرزاقهم (سنة الله) سن ذلك سنة (فى الذين خلوا من قبل) من الأنبياء وهو نفى الحرج عنهم فيما أباح لهم (وكان امر الله قدرا مقدورا) قضاء مقضيا وحكما مبتوتا (الذين يبلغون رسالات الله) صفة للذين خلوا أو مدح لهم منصوب أو مرفوع وقرئ رسالة الله (ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله) تعريض بعد تصريح (وكفى بالله حسيبا) كافيا للخائف أو محاسبا فينبغى أن لا يخشى الا منه (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) على الحقيقة فيثبت بينه وبينهما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه أبا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم (ولكن رسول الله) وكل رسول أبو أمته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر أى ولكن رسول الله من عرفتم أنه لم يعش له ولد ذكر (وخاتم النبيين) وآخرهم الذى ختمهم أو ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لا قتضى نصبه أن يكون نبيا كما قال عليه الصلاة والسلام فى ابراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع أن المراد منه أنه آخر من نبئ (وكان الله بكل شئ عليما) فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغى شأنه (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) يغلب الاوقات ويعم الانواع بما هو أهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد (وسبحوه بكرة وأصيلا) أوّل النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لأنه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلاة (هو الذى يصلى عليكم) بالرحمة (وملائكته) بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم مستعار من الصلو وقيل الترحم والانعطاف المعنوى مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصورى الذى هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو السبب للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة (ليخرجكم من الظلمات الى النور) من ظلمات

(قوله فلا تطلقها ضرارا الخ) أى لا تطلقها بقصد الضرار بلا قها أو لا تعلل بتكبرها (قوله ولكن رسول الله) قلنا لما كان كل رسول أبا أمته وقد نص الله تعالى بأنه ما كان أبا أحد من الرجال توهم انه صلى الله عليه وسلم ليس رسولا فدفع هذا الوهم بما ذكر فعلم منه أن الابوة المنفية هى الابوة الحقيقية (قوله ولما كان الخ) هذا بيان حكمة كونه صلى الله عليه وسلم لم يكن أبا أحد من الرجال وبيانه انه لو كان أبا لرجل يكون ذلك الرجل نبيا فلم يكن خاتم النبيين وفيه انه يمكن أن يكون أبا لرجل لم يصل الى سن النبوة فيكون خاتم النبيين وأبا لأحد من الرجال (قوله من الصلاة) لان فيها العناية بصلاح الأمر

الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) حيث اعتنى بصلاح أمرهم وانافة قدرهم واستعمل فى ذلك ملائكته المقربين (تحيتهم) من اضافة المصدر الى المفعول أى يحيون (يوم يلقونه) يوم لقائه عند الموت أو الخروج من القبور أو دخول الجنة (سلام) اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة (وأعد لهم أجرا كريما) هى الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو أهم (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا) على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة (ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله) الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته (باذنه) بتيسيره وأطلق له من حيث انه من أسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه أمر صعب لا يتأتى الا بمعونة من جناب قدسه (وسراجا منيرا) يستضاء به عن ظلمات الجهالات ويقتبس من نوره أنوار البصائر (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) على سائر الامم أو على جزاء أعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب أحوال أمتك (ولا تطع الكافرين والمنافقين) تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم (ودع أذاهم) ايذاءهم اياك ولا تحتفل به أو ايذاءك اياهم مجازاة أو مؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ (وتوكل على الله) فانه يكفيكهم (وكفى بالله وكيلا) موكولا اليه الامر فى الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهى عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعى الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بأن يكتفى به عن غيره (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائى بالف وضم التاء (فما لكم عليهن من عدة) أيام يتربصن فيها بأنفسهن (تعتدونها) تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله أو تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما أشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالياء أو على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضى عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان من شأن المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخير النطفته وفائدة ثم ازاحة ما عسى أن يتوهم تراخى الطلاق ريثما تمكن الاصابة كما يؤثر فى النسب يؤثر فى العدة (فمتعوهن) أى ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة ويجوز أن يؤول التمتيع بما يعمهما أو الامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة للمفروض لها (وسرحوهن) أخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة (سراحا جميلا) من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السنى لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن (يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن) مهورهن لان المهر أجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) فان المشتراة لا يتحقق بدء أمرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه فى قوله (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك) ويحتمل تقييد الحل بذلك فى حقه خاصة ويعضده قول أم هانئ بنت أبى طالب خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لانى

(قوله أى يحيون) يرد عليه أنه على التقدير المذكور يكون تحيتهم يوم يلقونه جملة وسلام جملة أخرى بتقدير شئ والاولى أن يقال المعنى ما يحيى بعضهم بعضا أو ما يحييهم الله به أو الملائكة سلام كما قال فى قوله وتحيتهم فيها سلام (قوله واختلاف النظم الخ) أى الظاهر أن يقال وأجر كريم حتى يكون جملة اسمية كقوله سلام لانه فى تقدير سلام عليكم فغير الى ما ذكر لمحافظة الفواصل والمبالغة المذكورة وهى انه أعد الآن لهم أجر كريم هذا على التفسير الذى ذكره لكن الوجه أن يقال ان تحيتهم يوم يلقونه سلام جملة اسمية فالمناسب أن تعطف عليه جملة اسمية أيضا والعدول الى الفعلية لما ذكر (قوله وأطلق له) أى أطلق الاذن للتيسير من حيث ان الاذن من أسباب التيسير (قوله من أناره الله) أى من أناره الله برهانا وهو الرسول صلى الله عليه وسلم حقيق بأن يكتفى بالله ولا يلتفت الى غيره (قوله والضمير لغير المدخول بهن) اراد به انه لا يمكن أن يكون المراد بالتسريح طلاقا مرتبا على طلاق آخر لان البحث فى غير المدخول بها وهى لا يلحقها طلاق بعد طلاق لانها اذا طلقت واحدة بانت

لم أهاجر معه كنت من الطلقاء (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي) نصب بفعل يفسره ما قبله أو عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل أي أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطالب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر أن بعا ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة الانصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ أن بالفتح أي لان وهبت أو مدة أن وهبت كقولك اجلس مادام زيد جالسا (ان أراد النبي أن يستنكحها) شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا رائم الرجوع اليه في قوله (خالصة لك من دون المؤمنين) ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقررا لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به أصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه الصلاة والسلام بالمعنى فيختص بالفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد أي خلص احلالها أو احلال ما أحللناك على القيود المذكورة خلوصا لك من الضمير في وهبت أو صفة لمصدر محذوف أي هبة خالصة (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث لم يسم (وما ملكت أيمانهم) من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي أن يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله (لكيلا يكون عليك حرج) ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس أخرى (وكان الله غفورا) لما يعسر التحرز عنه (رحيما) بالتوسعة في مظان الحرج (ترجي من تشاء منهن) تؤخرها وتترك مضاجعتها (وتؤوي اليك من تشاء) وتضم اليك من تشاء وتضاجعها أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد (ومن ابتغيت) طلبت (ممن عزلت) طلقت بالرجعة (فلا جناح عليك) في شئ من ذلك (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) ذلك التفويض الى مشيئتك أقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لان حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله تعالى فتطمئن به نفوسهن وقرئ نقر بضم التاء وأعينهن بالنصب وتقر بالبناء للمفعول وكلهن تأكيدا نون برضين وقرئ بالنصب تأكيدا لهن (والله يعلم ما في قلوبكم) فاجتهدوا في احسانه (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما) لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى (لا يحل لك النساء) بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقي وقرأ البصريان بالتاء (من بعد) من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا أو من بعد اليوم حتى لو مات واحدة لم يحل له نكاح أخرى (ولا أن تبدل بهن من أزواج) فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق (ولو أعجبك حسنهن) حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من أزواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في أن الآية محكمة أو منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا أن تبدل بهن أزواجا من أجناس أخر (الا ما ملكت يمينك) استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع (وكان الله على كل شئ رقيبا) فتحفظوا أمركم ولا تتخطوا ما حد لكم (يا أيها

(قوله نصب بفعل يفسره ما قبله) يحتاج الى التأويل الذي ذكره في الاحتمال الثاني وانما قيل امرأة مؤمنة ان وهبت ولم يقل امرأة مؤمنة تهب لان الهبة المذكورة أمر نادر فجيء في صورة الشك

(قوله للدلالة الخ) وجه الدلالة ان قوله تعالى قد علمنا ما فرضنا الخ معناه قد علمنا السبب فيما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم وفي الفرق بينه وبين المؤمنين من كون الهبة خاصة له وغيرها من أحكام النكاح وهذا السبب هو المعنى الذي يقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس أخرى (قوله تعالى ولا أن تبدل بهن الخ) فان قلت هو يدل على أنه لا يجوز أن يطلق جميع الازواج وينكح مكانها أزواجا أخر واما عدم جواز تطليق واحدة ونكاح أخرى فلا يعلم منه قلنا اذا جاز تطليق بعض جاز تطليق كل بعض حتى يطلق الكل (قوله لتوغله في التنكير) اذ لم يذكر له أمر يخصه (قوله واختلف الخ) من قال انها منسوخة قال ان قوله تعالى ترجي من تشاء معناه جواز تطليق من تشاء على كل حال فنسخت بقوله تعالى ولا أن تبدل بهن ومن قال انها محكمة حمل ترجي من تشاء على المعنى الأول (قوله وقيل منقطع) بان يكون المراد من النساء الدين

الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم) الا وقت أن يؤذن لكم أو الا مأذونا لكم (الى طعام) متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لايحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان أذن كما أشعر به قوله (غير ناظرين اناه) غير منتظرين وقته أو ادراكه حال من فاعل لاتدخلوا أو المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد أمال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر أنى الطعام اذا أدرك (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا) تفرقوا ولا تمكثوا ولانه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لاداكه مخصوصة بهم وبأمثالهم والا لما جاز لاحد أن يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لهم (ولا مستأنسين لحديث) لحديث بعضكم بعضا أو لحديث أهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين أو مقدر بفعل أي ولا تدخلوا أو ولا تمكثوا مستأنسين (ان ذلكم) اللبث (كان يؤذي النبي) لتضييق المنزل عليه وعلى أهله واشغاله بما لا يعنيه (فيستحيي منكم) من اخراجكم بقوله (والله لا يستحيي من الحق) يعني ان اخراجكم حق فينبغي أن لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فأمركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء (واذا سألتموهن متاعا) شيأ ينتفع به (فاسألوهن) المتاع (من وراء حجاب) ستر روى أن عمر رضي الله عنه قال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض أصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الخواطر النفسانية الشيطانية (وما كان لكم) وما صح لكم (أن تؤذوا رسول الله) ان تفعلوا ما يكرهه (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده ابدا) من بعد وفاته أو فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روى أن أشعث بن قيس تزوج المستعيذة في أيام عمر رضي الله عنه فهم برجمها فاخبر بانه عليه الصلاة والسلام فارقها قبل أن يمسها فتركها من غير نكير (ان ذلكم) يعني ايذاءه ونكاح نسائه (كان عند الله عظيما) ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال (ان تبدوا شيأ) كنكاحهن على ألسنتكم (أو تخفوه) في صدوركم (فان الله كان بكل شئ عليما) فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد (لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن) استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يارسول الله أو نكلمهن أيضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمى العم أبا في قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق أو لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما (ولا نسائهن) يعني نساء المؤمنات (ولا ما ملكت أيمانهن) من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور (واتقين الله) فيما أمرتن به (ان الله كان على كل شئ شهيدا) لا يخفى عليه خافية (ان الله وملئكته يصلون على النبي) يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) اعتنوا أنتم أيضا فانكم أولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد (وسلموا تسليما) وقولوا السلام عليك أيها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله وتجوز الصلاة على غيره تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك كره أن يقال محمد عز وجل وان كان

الأزواج (قوله أن يؤذن الخ) الاذن المجرد عن الدعوة أن يقف عند الباب فيستأذن فيؤذن له والدعوة أن يطلب الى الطعام (قوله كما أشعر به قوله الخ) وجه الاشعار أن المدعو الى الطعام غير المنتظر لوقت حضور الطعام بل يدعى اليه وقت حضوره (قوله حال من فاعل لاتدخلوا) فيكون لاستثناء به واقعا على الوقت والدخول كأنه قيل لاتدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين اناه (قوله تعالى واتقين الله) عطف على ما فهم مما سبق وهو أن يقال قدر ههنا استوعن المذكورين فيكون عطف انشاء على انشاء والتفاتا من الغيبة الى الخطاب

عزيزا وجليلا (ان الذين يؤذون الله ورسوله) يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والعاصي أو يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم أو من جوز اطلاق اللفظ على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين (لعنهم الله) أبعدهم من رحمته (في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) يهينهم مع الايلام (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) بغير جناية استحقوا بها الايذاء (فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) ظاهرا قيل انها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في أهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة ترخي بعض جلبابها وتلفع به بعض (ذلك أدنى أن يعرفن) يميزن من الاماء والقينات (فلا يؤذين) فلا يؤذيهن أهل الريبة بالتعرض لهن (وكان الله غفورا) للسالف (رحيما) بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها (لئن لم ينته المنافقون) عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) ضعف ايمان وقلة ثبات عليه أو فجور عن تزلزلهم في الدين أو فجورهم (والمرجفون في المدينة) يرجفون أخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم وأصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت (لنغرينك بهم) لنأمرنك بقتالهم واجلائهم أو مايضطرهم الى طلب الجلاء (ثم لا يجاورونك) عطف على لنغرينك وثم للدلالة على أن الجلاء مفارقة جوار الرسول أعظم مايصيبهم (فيها) في المدينة (الا قليلا) زمانا أو جوارا قليلا (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال والاستثناء شامل له ايضا أي لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز أن ينتصب عن قوله (اينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها (سنة الله في الذين خلوا من قبل) مصدر مؤكد أي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو أن يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه أينما ثقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) لانه لا يبدلها ولا يقدر أحد أن يبدلها (يسئلك الناس عن الساعة) عن وقت قيامها استهزاء وتعنتا وامتحانا (قل انما علمها عند الله) لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا (ومايدريك لعل الساعة تكون قريبا) شيأ قريبا أو تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز أن يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا) نارا شديدة الاتقاد (خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا) يحفظهم (ولا نصيرا) يدفع العذاب عنهم (يوم تقلب وجوههم في النار) تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار أو من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف (يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فلن نبتلى بهذا العذاب (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا) يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر و يعقوب سادتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة (فاضلونا السبيلا) بما زينوا لنا (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا وأضلوا (والعنهم لعنا كثيرا) كثير العدد وقرأ عاصم بالباء أي لعنا هو أشد اللعن وأعظمه (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك أن قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص أو اتهموه بقتل هرون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومر به حتى رأوه غير مقتول وقيل أحياه الله فاخبرهم ببراءته أو قذفوه بعيب في بدنه من برص أو أدرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على أنه بريء منه (وكان عند الله وجيها) ذا قربة

(قوله عن تزلزلهم الخ) فيه لف ونشر أي لئن لم ينته من قلوبه قلة ثبات على الايمان عن تزلزلهم في الدين أو لم ينته الذين في قلوبهم فجور عن فجورهم

ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله) فى ارتكاب مايكرهه فضلا عما يؤذى رسوله (وقولوا قولا سديدا) قاصدا الى الحق من سدد سدادا والمراد النهى عن ضده كحديث زينب من غير قصد (يصلح لكم أعمالكم) بوفقكم للاعمال الصالحة أو يصلحها بالقبول والاثابة عليها (ويغفر لكم ذنوبكم) ويجعلها مكفرة باستقامتكم فى القول والعمل (ومن يطع الله ورسوله) فى الاوامر والنواهى (فقد فاز فوزا عظيما) يعيش فى الدنيا حميدا وفى الآخرة سعيدا (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان) تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها أمانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى أنها لعظمة شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لاجرم فاز الراعى لها والقائم بحقوقها بخير الدارين (انه كان ظلوما) حيث لم يف بها ولم يراع حقها (جهولا) بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التى تعم التطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار واراده صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها المن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه تأتيا بما يمكن أن يتأتى منه والظلم والجهالة الخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعنى فيها وبارا لمن عصانى فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لانحتمل فريضة ولا نبتغى ثوابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله مايشق عليها جهولا بوخامة عاقبته واهل المراد بالامانة العقل أو التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعى الذى هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا للمغالب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن أن يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل أن يكون مهيمنا على القوتين حافظا لها عن التعدى ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلها وكسر سورتهما (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتأديب للضرب فى ضربته وأخذ يباوذ كر التوبة فى الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا فى جبلتهم لا ينافيهم عن فرطات (وكان الله غفورا رحيما) حيث تاب عن فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطى الامان من عذاب القبر

﴿سورة سبأ مكية وقيل الا قوله ويرى الذين أوتوا العلم الآية وآيها أربع وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله الذى له مافى السموات ومافى الارض) خلقا ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته (وله الحمد فى الآخرة) لان مافى الآخرة أيضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان لوصف بما يدل على المنعم بالنعم الدنيوية قيدا لحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لا جلها ولا كذلك نعم الآخرة (وهو الحكيم) الذى أحكم أمور الدارين (الخبير) ببواطن الاشياء (يعلم مايلج فى الارض) كالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى آخر وكالكنوز والدفائن والاموات (ومايخرج منها) كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون (ومايـنزل من السماء) كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق (وما

(قوله من غير قصد) أى عدل فى القول (قوله تعالى يصلح لكم أعمالكم) جواب الأمر اى ان تتقوا الله وتقولوا قولا سديدا يصلح الله أعمالكم ولا يخفى أن التفسير الثانى يدل على أن قبول العمل والاثابة عليه مشروط بالتقوى لكن العمل الصالح مقبول من المتقى وغيره والاولى أن يقتصر على الوجه الأول (قوله وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه) يعنى أن يقال ان قوله تعالى انه كان ظلوما جهولا سبب وعلة لحمل الثقل والتكليف على الانسان أى جعله حاملا لها

﴿سورة سبأ﴾

(قوله فان النعم) أى النعم الدنيوية قد تتصل الى الغير بسبب المخلوق وهو يستحق الحمد أيضا وأما النعم الاخروية فليست كذلك أقول على هذا لا يناسب ماقدره وهو قوله فله الحمد فى الدنيا لان الصلة مقدمة ههنا أيضا فتفيد الاختصاص فلا فرق بين الحمد فى الدنيا والحمد فى الآخرة مع انه بصدد الفرق

يعرج فيها) كالملائكة وأعمال العباد والابخرة والادخنة (وهو الرحيم الغفور) للمفرطين فى شكر نعمته مع كثرتها أوفى الآخرة مع ماله من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) انكار لمجيئها واستبطاء استهزاء بالوعد به (قل بلى) رد لكلامهم واثبات لما نفوه (وربى لتأتينكم عالم الغيب) تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقرر الوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفى استبعاده على ما سيرصرح وقرأ حمزة والكسائى علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على أنه خبر محذوف أومبتدا خبره (لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض) وقرأ الكسائى لايعزب بالكسر (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين) جملة مؤكدة لنفى العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفى الجنس ولايجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح فى موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه المهم الا اذا جعل الضمير فى عنه للغيب وجعل المثبت فى اللوح خارجا عنه لظهوره على المطلعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شئ الا مسطورا فى اللوح (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) علة لقوله لتأتينكم و بيان لما يقتضى اتيانها (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) لاتعب فيه ولامن عليه (والذين سعوا فى آياتنا) بابطال وتزهيد الناس فيها (معاجزين) مسابقين كى يفوتونا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين أى مثبطين عن الايمان من أراده (أولئك لهم عذاب من رجز) من سيئ العذاب (أليم) مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص (ويرى الذين أوتوا العلم) و يعلم أولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة أومن مسلمى أهل الكتاب (الذى أنزل اليك من ربك) القرآن (هو الحق) ومن رفع الحق جعل هو مبتدأ والحق خبره والجملة ثانى مفعولى يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد بأولى العلم على الجهلة الساعين فى الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزى أى وليعلم أولو العلم عند مجئ الساعة أنه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا (ويهدى الى صراط العزيز الحميد) الذى هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى (وقال الذين كفروا) قال بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يمنون محمدا عليه الصلاة والسلام (ينبئكم) يحدثكم بالعجب العاجيب (اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد) انكم تنشؤن خلقا جديدا بعد أن تمزق أجسادكم كل تمزيق ونفرق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه مابعده فان ماقبل لم يقترنه ومابعده مضاف اليه أو محجوب بينه و بينه بان وممزق يحتمل أن يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه (أفترى على الله كذبا أم به جنة) جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء أخص من الكذب (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد) رد من الله تعالى عليهم ترديدهم واثبات لهم ماهو أفظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وماهو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له فى الوقوع ومقدما عليه فى اللفظ للمبالغة فى استحقاقهم له والبعد فى الاصل صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازى (أفلم يروا الى مابين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء) تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله ومايحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى

(فوله والأبخرة والأدخنة) فيكون المراد من السماء جانب الفوق أو يقدر مضاف والمراد مايتزل من جانب السماء ومايعرج فى جانبها

(قوله تكرير لايجابه) لان الايجاب علم من لفظ بلى فيكون لتأتينكم تكرارا له

(قوله وهو مرفوع الخ) أى يرى مرفوع غير معطوف على ليجزى بل هو جملة مستقلة وقيل يرى منصوب معطوف على ليجزى

(قوله للدلالة على البعد والمبالغة فيه) أى على بعد كون زمان التمزيق زمان الخلق الجديد والمبالغة فى بعده

(قوله فان ماقبله الخ) أى انه لان ماقبله وهو ينبئكم لا يمكن أن يكون عاملا فى الظرف لان الانباء لا يقارن الظرف وهو زمان التمزيق ومابعد الظرف وهو مزقتم وخلق جديد لا يمكن شئ منهما أن يكون عاملا فى الظرف أما الاول فلانه مضاف اليه وهو لا يعمل فى الظرف وأما الثانى فلان مابعد ان لا يعمل فيما قبلها

(قوله وهو) أى الواسطة كل خبر وتذكير الضمير بتأويل الوسط (قوله عدم رجاء الخلاص) يفهم من وصف الضلال بالبعد فافهم يفهم منه المبالغة فى وصفهم بالضلال

(قوله كأنهم يستحقونه فى ذواتهم) لا بسبب الضلال

جعلوه افتراء وهزأ وتهديدا عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا الى ما أحاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا أهم أشد خلقا أم السماء وانا ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائى يشا ويخسف ويسقط بالياء لقوله أفترى على الله والكسائى وحده بادغام الفاء فى الباء وحفص كسفا بالتحريك (ان فى ذلك) النظر والتفكر فيهما وما يدلان عليه (لآية) لدلالة (لكل عبد منيب) راجع الى ربه فانه يكون كثير التأمل فى أمره (ولقد آتينا داود منا فضلا) أى على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن (ياجبال أوبى معه) رجعى معه التسبيح أو النوحة على الذنب وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها أو بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل ما فيها أو سيرى معه حيث سار وقرئ أوبى من الاوب أى ارجعى فى التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا أو من آتينا باضمار قولنا أو قلنا (والطير) عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية أو على فضلا أو مفعول معه لاوّبى وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل بهذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظم شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره فى نفاذ مشيئته فيها (وألنا له الحديد) جعلناه فى يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالاناثة أو بقوّته (أن اعمل) أمرناه أن اعمل فأن مفسرة أو مصدرية (سابغات) دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو أوّل من اتخذها (وقدّر فى السرد) وقدر فى نسجها بحيث يتناسب حلقها أو قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتنخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله وألنا له الحديد (واعملوا صالحا) الضمير فيه لداود وأهله (انى بما تعملون بصير) فاجازيكم عليه (ولسليمان الريح) أى وسخرنا له الريح وقرئ الريح بالرفع أى ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح (غدوّها شهر ورواحها شهر) جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشىّ كذلك وقرئ غدوتها وروحتها (وأسلنا له عين القطر) النحاس المذاب أساله له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن (ومن الجن من يعمل بين يديه) عطف على الريح ومن الجن حال مقدمة أو جملة من مبتدا وخبر (باذن ربه) بامره (ومن يزغ منهم) ومن يعدل منهم (عن أمرنا) عما أمرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاغه (نذقه من عذاب السعير) عذاب الآخرة (يعملون له ما يشاء من محاريب) قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بها لانها يذب عنها ويحارب عليها (وتماثيل) وصورا هى تماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد روى أنهم عملوا له أسدين فى أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد أظله النسران باجنحتهما (وجفان) وصحاف (كالجواب) كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهى من الصفات الغالبة كالدابه (وقدور راسيات) ثابتات على الاثافى لا تنزل عنها لعظمها (اعملوا آل داود شكرا) حكاية عما قيل لهم وشكرا نصب على العلة أى اعملوا له واعبدوه شكرا أو المصدر لان العمل له شكر أو الوصف له أو الحال أو المفعول به (وقليل من عبادى الشكور) المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر لا الى نهايته ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر (فلما قضينا عليه الموت) أى على سليمان (ما دلهم على موته) ما دل الجن وقيل آله (الا دابة الارض)

(قوله افتراء وهزأ) هو مفهوم من قوله تعالى هل ندلكم على رجل الآية كما هو (١٧١) مصرح به فى الكشاف لانه صلى الله عليه وسلم علم فى قريش واخباره بالبعث مشهور بينهم فيقصدون بذلك السخرية وأخرجوه مخرج التحاكى ببعض الاحاجى التى يتحاجى بها للضحك والتلهى (قوله والمعنى أعموا) أراد ان الهمزة فى أفلم يروا وارد على على مقدر هو عموا يعطف عليه فلم ينظروا (قوله لقوله افترى على الله) أى لما تقدم ذكر الله تعالى ناسب ان يكون الضمير غائبا ليرجع اليه (قوله الترجيع) ترديد القراءة (قوله يفهم منه انه ليس فى عصره ملك غيره) وفيه خفاء الا ان يقال المراد من الملك النوع الحاصل له اذ ليس فى وقته من كان له مثل ما لداود (قوله باضمار قولنا أو قلنا) فان كان بدلا من فضلا كان المقدر قولنا والمعنى ولقد آتينا داود منا فضلا قولنا ياجبال الخ وان كان بدلا من آتينا كان المقدر وقلنا (قوله فيدل بهذا الخ) أى جعل ياجبال أوبى بدلا من ولقد آتينا داود فضلا تأويب الجبال لما فى هذا البدل من الفخامة الخ (قوله تماثيل للملائكة والانبياء) أى صورا وصورهم على النحو الذى كانوا أى الانبياء والملائكة عليها فى عاداتهم ليراها الناس فيتذكروا عاداتهم فيعبدوا نحوهم (قوله أو الوصف له) فيكون شكرا صفة عملا المقدر أى عملا مشكورا (قوله آله) أى سليمان

أى الارضة أضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو نأثر الخشبة من فعلها يقال أرضت الارضة الخشبة أرضا فارضت أرضا مثل أكلت القوادح لاسنان أكلا فاكلت أكلا (تأكل منسأته) عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساته على مفعالة كميضاءة فى ميضأة ومن سأته أى طرف عصاه مستعار من سأة القوس وفيه لغتان كما فى قحة وقحعة وقرأ ابو نافع وابو عمر ومنساته بألف بدل الميم الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين (فلما خر تبينت الجن) علمت الجن بعد التباس الامر عليهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين) أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا فى تسخيره الى أن خر أو ظهرت الجن وأن بمافى حيزه بدل منه أى ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب وذلك أن داود أسس بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليهما الصلاة والسلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليه السلام فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذنا أجله واعلم به فاراد أن يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك حتى أكلتها الارضة فخر فتحوا عنه وأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا خسبوا على ذلك فوجدوه قدمات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاثة عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه (لقد كان لسبأ) لأولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وأبو عمر ولانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته ألفا ولعله أخرجه بين بين فلم يؤده الراوى كما وجب (فى مساكنهم) فى مواضع سكناهم وهى باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائى بالكسر جلا على ماشذ من القياس كالمرجل والمطلع (آية) علامة دالة على وجود الصانع المختار وأنه قادر على مايشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسىء معاضدة للبرهان السابق كما فى قصتى داود وسليمان عليهما السلام (جنتان) بدل من آية أو خبر محذوف تقديره الآية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين (عن يمين وشمال) جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما فى تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة أو بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) حكاية لما قال لهم نبيهم أو لسان الحال أو دلالة بانهم كانوا أحقاء بان يقال لهم ذلك (بلدة طيبة) ورب غفور) استئناف للدلالة على موجب الشكر أى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة ورب بكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ السكل بالنصب على المدح قيل كانت أخصب البلاد وأطيبها لم يكن فيها عاهة ولاهامة (فاعرضوا) عن الشكر (فارسلنا عليهم سيل العرم) سيل الامر العرم أى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب أو المطر الشديد أو الجرذ أضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكر اضربته لهم بلقيس فخفتت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار مايحتاجون اليه أو المسناة التى عقدت سكرا على أنه جمع عرمة وهى الحجارة المركومة وقيل اسم وادجاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط) ثمر بشع فان الخمط كل نبت أخذ طعما من مرارة وقيل الاراك أوكل شجر لاشوك له والتقدير أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فى كونه بدلا أو عطف بيان (وأثل وشئ من سدر قليل) معطوفان على أكل لاعلى خمط فان الاثل هو

(قوله أضيفت الى فعلها) أشار الى ان الارض مصدر بالمعنى الذى ذكر (قوله كما يزعمون الخ) الظاهر ان الجن لا يزعمون انهم يعلمون جميع الغيوب وعلم بعضها لايستلزم العلم بما ذكر فلا يلزم من عدم علمهم بحال سليمان عليه السلام عدم تبين بطلان زعمهم ويمكن أن يقال انهم زعموا علم الغيوب التى تعلقت بهم أو توجهوا اليها وموت سليمان كان منها (قوله بدل منه) أى بدل من مقدر والتقدير تبين أمر الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب الآية (قوله ولعله أخرجه الخ) لان القاعدة ان الهمزة التى كان ماقبلها متحركا بالفتحة أن تكون بين بين لاقلبها ألفا (قوله أو لسان الحال) فكأنه قال لسان حالهم لهم كلوا الخ (قوله سيل الامر العرم) فيكون الامر العرم المطر الشديد أو السحاب الكثير الامطار (قوله بحذف المضاف الخ) يعنى ان الأكل الثانى مضاف الى خمط وبدل أو عطف بيان للاول كل الاول

الطرفاء ولاثمره وقرئا بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب أكله ولذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والهكم وقرأ أبو عمر ودوثني أكل بغير تنوين اللام وقرأ الحرميان بتخفيف أكل (ذلك جزيناهم بما كفروا) بكفرانهم النعمة أو بكفرهم بالرسل اذ روى أنه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص (وهل يجازى الا الكفور) وهل يجازى بمثل ما فعلناه بهم الا البليغ في الكفران أو الكفر وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) بالتوسعة على أهلها وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يظهر بعضها لبعض أو راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل (وقدرنا فيها السير) بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية الى أن يبلغ الشام (سيروا فيها) على ارادة القول بلسان الحال أو المقال (ليالي وأياما) متى شئتم من ليل أو نهار (آمنين) لا تختلف الامن فيها باختلاف الاوقات أو سيروا آمنين وان طالت مدة سفركم فيها أو سيروا فيها ليالي أعماركم وأيامها لا تلقون فيها الا الأمن (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أشروا النعمة وملوا العافية كبني اسرائيل فسألوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير وأبو عمر وهشام بعد ويعقوب بنا باعد بلفظ الخبر على انهم شكوى منهم لبعد أسفرهم افراطا في الترفه وعدم الاعتداد بما أنعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من قرأ ربنا بعد أو بعد على النداء واسناد الفعل الى بين (وظلموا أنفسهم) حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها (فجعلناهم أحاديث) يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا أيدي سبا (ومزقناهم كل ممزق) ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان (ان في ذلك) فيما ذكر (لآيات لكل صبار) عن المعاصي (شكور) على النعم (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) أي صدق في ظنه أو صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز أن يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه أو وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرقعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين رأى انهما كهم في الشهوات أو بني آدم حين رأى أباهم النبي ضعيف العزم أو ما ركب فيهم من الشهوة والغضب أو سمع من الملائكة قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم ولاغوينهم (فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار أو الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون (وما كان له عليهم من سلطان) تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء (الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء أو ليتميز المؤمن من الشاك أو ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصاتين نكتة لاتخفى (وربك على كل شئ حفيظ) محافظ والزنتان متآخيتان (قل) للمشركين (ادعوا الذين زعمتم) أي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته مقامه ولا يجوز أن يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلا ما ولا يملكون لانهم لا يزعمونه (من دون الله) والمعنى ادعوهم فليهمكم من جلب نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم أجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة فقال (لا يملكون

(قوله ووصف السدر بالقلة) أي لما كان المقصود تحقير البدل لم يناسب كثرة النبق لانه طيب فلم يلائم التحقير فوصف بالقلة لان ما قليل كالعدم (قوله أو سيروا آمنين) وعلى الاول يكون آمنين حالا من فاعل سيروا باعتبار الليالي والايام وعلى الثاني يكون حالا من فاعل سيروا باعتبار طول المدة (قوله حيث بطروا الخ) فالاولى بالنظر الى التفسير الاول وهو على تقدير أن يقرأ بأبعد بصيغة الامر والثاني على تقدير ان يقرأ بصيغة الاخبار (قوله تعلقا يترتب عليه الجزاء) أي علما بالايمان والكفر الموجودين فان هذا النحو من العلم يترتب عليه الجزاء (قوله مبالغة) وهي ان العلم بايمانهم ملزوم لايمانهم ففيه المبالغة التي في سائر المجاز وانما قالوا المجاز أبلغ من الحقيقة (قوله نكتة لاتخفى) وهي أن الايمان حادث فينا سبه الفعل وأما الشك فهو أمر أصلي لهم فناسب الجملة الاسمية الدالة على الثبات (قوله والزنتان متآخيتان) أي الفعل والفاعل بمعنى واحد (قوله لانه لا يلتئم الخ) يعني ان قوله زعمتم من دون الله لا يكون كلاما صحيحا (قوله ولا يملكون) أي لا يجوز أن يكون مفعوله الثاني

مثقال ذرة) من خير أو شر (فى السموات ولا فى الارض) فى أمر ما وذكرهما للعموم العرفى أولان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالاصنام أولان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم (وما لهم فيهما من شرك) من شركة لا خلقة ولا ملكا (وما له منهم من ظهير) يعينه على تدبير أمرهما (ولا تنفع الشفاعة عنده) فلا ينفعهم شفاعة أيضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عنده الله (الا لمن أذن له) أذن له أن يشفع أو أذن أن يشفع له علوّ شأنه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام فى قولك الكرم لزيد وعلى الثانى كاللام فى قولك جئتك لزيد وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى بضم الهمزة (حتى اذا فزع عن قلوبهم) غاية لمفهوم الكلام من أن ثم توقفا وانتظار اللاذن أى ينتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ أى نفى الوجل من فرغ الزاد اذا نفى (قالوا) قال بعضهم لبعض (ماذا قال ربكم) فى الشفاعة (قالوا الحق) قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع أى مقوله الحق (وهو العلى الكبير) ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبى من الانبياء أن يتكلم ذلك اليوم الا باذنه (قل من يرزقكم من السموات والارض) يريد به تقرير قوله لا يملكون (قل الله) اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بأنهم ان سكتوا أو تلعثموا فى الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم (وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) أى وان أحد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل فى أدنى المراتب الامكانية لعلى أحد الامرين من الهدى والضلال المبينين وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال أبلغ من التصريح لانه فى صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان

أتهجوه واست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

وقيل انه على اللف والنشر وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادى كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها أو ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كأنه منغمس فى ظلام مرتبك لا يرى شيأ أو محبوس فى مطمورة لا يستطيع أن يتفصى منها (قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون) هذا أدخل فى الانصاف وأبلغ فى لاخبات حيث أسند الاجرام الى أنفسهم والعمل الى المخاطبين (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح بيننا بالحق) بحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) الحاكم الفاصل فى القضايا المنغلقة (العليم) بما ينبغى أن يقضى به (قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء) لأرى باى صفة ألحقتموهم بالله فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبههم بعد الزام الحجة عليهم زيادة فى تبكيتهم (كلا) ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة (بل هو الله العزيز الحكيم) الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون به متسمون بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسا والضمير لله أو للشأن (وما أرسلناك الا كافة للناس) الا الرسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم أو الاجماع لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار (بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيحملهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون) من فرط جهلهم (متى هذا الوعد) يعنون المبشر به والمنذر عنه أو الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا (ان كنتم صادقين) يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (قل لكم ميعاد يوم) وعد يوم أو زمان

لا يملكون لما ذكر (قوله فلا ينفعهم شفاعة أيضا) كما لا تنفعهم فى الدنيا اذ لا يملكون شيأ (قوله وقرئ فرغ) أى قرئ بالراء المهملة وهو ساقط فى بعض النسخ (قوله لانه فى صورة الانصاف) لا يخفى ان ايراد أو بدل الواو من الانصاف حيث لم يجزم بان الكفار على الهدى أو فى ضلال بل رده هذا المحال بين المؤمنين وبينهم (قوله وقيل انه على اللف) فيكون على هدى متعلقا بقوله اما وفى ضلال يتعلق باياكم ووجه النظر انه لو كان على اللف لوجب الواو بدل أو (قوله واختلاف الحرفين) أى على وفى (قوله أو زمان وعد) فيكون الميعاد بمعنى زمان الوعد فتكون الاضافة للتبيين

وعدواضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده أنه قرئ يوم على البدل وقرئ يوما ماضمارا عنى (لاتستأخرون عنه ساعة ولاتستقدمون) اذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على النعت قيل ان كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه يوم القيامة (ولوترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم) أى فى موضع المحاسبة (يرجع بعضهم الى بعض القول) يتحاورون ويتراجعون القول (يقول الذين استضعفوا) يقول الاتباع (للذين استكبروا) للرؤساء (لولا أنتم لولا اضلالكم وصدكم اياناعن الايمان (لكنا مؤمنين) باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين) أنكروا أنهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا أنفسهم حيث أعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) اضراب عن اضرابهم أى لم يكن اجرامنا الصادبل مكركم لنا دائبا لبلا ونهارا حتى أغويتم علينا رأينا (اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) والعاطف بعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) وأضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال وأخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير أوأظهروها فانه من الاضداد اذا لهمزة تصلح للاثبات والسلب كما فى أشكيته (وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا) أى فى أعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بوجوب أغلالهم (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) أى لا يفعل بهم مايفعل الاجزاء على أعمالهم وتعدية يجزى بتضمين معنى يقضى أو بنزع الخافض (وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مى به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعى المعظم اليه التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك فى الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا (انا بما أرسلتم به كافرون) على مقابلة الجمع بالجمع (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا) فنحن أولى بما ندعونه ان أمكن (وما نحن بمعذبين) اما لان العذاب لا يكون أولانه أكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب (قل) رد الحسبانهم (ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ولذلك يختلف فيه الاشخاص المماثلة فى الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان بوجبانه لم يكن بمشيئته (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) قربة والتى اما لان المراد وما جماعة أموالكم واولادكم أولما بصفة محذوف كالقوى والخصلة وقرئ بالذى أى بالشئ الذى يقربكم (الا من آمن وعمل صالحا) استثناء من مفعول تقربكم أى الاموال والاولاد لاتقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح أومن أموالكم وأولادكم على حذف المضاف (فأولئك لهم جزاء الضعف) أن يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز أوالمصدر لفعله الذى دل عليه لهم (بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون) من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة فى الغرفة على ارادة الجنس

(قوله مطابقا الخ) أى قصدوا بسؤالهم عن البعث انكاره فالمناسب بجوابهم قوله تعالى قل لكم ميعاد يوم لاتستأخرون عنه الخ الان فيه مبالغة فى اثبات الوعد المذكور وتقريره فى وقت معين لو أريد تقدمه على ذلك الوقت لم يتيسر لانه خلاف مراد الله تعالى (قوله وتعدية يجزى الخ) أى يجزى متعد فى الاصل بمفعول واحد وههنا عدى بمفعولين وتعديته بمفعول ثان للتضمين المذكور والمعنى مايجزون الا قضاياعليهم ما كانوا يعملون أوتعديته بنزع الخفض بان يكون التقدير هل يجزون الا الما كانوا يعملون أى الاالاجل عملهم فتكون ما مصدرية (قوله ولذلك ضموا الخ) أما التهكم ففى قولهم انا بما أرسلتم لانهم أنكروا الرسالة وأما التفاخر ففى قولهم نحن أكثر أموالا وأولادا (قوله على حذف المضاف) والتقدير الاأموال من آمن

(والذين يسعون فى آياتنا) بالرد والطعن فيها (معاجزين) مسابقين لانبيائنا أوظانين أنهم يفوتوننا (أولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين وماسبق فى شخصين فلاتكرير (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه) عوضا اما عاجلا أوآجلا (وهو خير الرازقين) فان غيره وسط فى ايصال رزقه لاحقيقة للرازقيته (ويوم نحشرهم جميعا) المستكبرين والمستضعفين (ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم وافتاطلهم عما يتوقعونه من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك وأصله وفرأ حفص ويعقوب بالياء فيهما (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم) أنت الذى نواليه من دونهم لاموالاة بيننا وبينهم كما كانهم بنوا ذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم (بل كانوا يعبدون الجن) أى الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غيرالله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم أنهم الملائكة فيعبدونهم (أكثرهم بهم مؤمنون) الضمير الاول للانس أوالمشركين والاكثر بمعنى الكل والثانى للجن (فاليوم لايملك بعضكم لبعض نفعا ولاضرا) اذ الامر فيه كله لله لان الدار دار جزاء وهو المجازى وحده (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) عطف على لايملك مبين للمقصود من تمهيده (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا) يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام (الارجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) فيستتبعكم بما يستبدعه (وقالوا ماهذا) يعنون القرآن (الاافك) لعدم مطابقة مافيه الواقع (مفترى) باضافته الى الله سبحانه وتعالى (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم) لامر النبوة أوللاسلام أوللقرآن والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه (ان هذا الاسحر مبين) ظاهر سحريته وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة ومافى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه ومافى لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب لمن منه (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) فيها دليل على صحة الاشراك (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل أن لاوجه له فمن أين وقع لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال (وكذب الذين من قبلهم) كما كذبوا (ومابلغوا معشار ما آتيناهم) ومابلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال أومابلغ أولئك عشر ما آتيناهم هؤلاء من البينات والهدى (فكذبوا رسلى فكيف كان نكير) فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولاتكرير فى كذب لان الاول للتكثير والثانى للتكذيب أوالاول مطلق والثانى مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء (قل انما أعظكم بواحدة) أرشدكم وأنصح لكم بخصلة واحدة هى مادل عليه (أن تقوموا لله) وهو القيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أوالاعتصاب فى الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراءاة والتقليد (مثنى وفرادى) متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول (ثم تتفكروا) فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وماجاء به لتعلموا حقيقته ومحله الجر على البدل أوالبيان أوالرفع أوالنصب باضمار هو أوأعنى (مابصاحبكم من جنة) فتعلموا مابه من جنون يحمله على ذلك أواستئناف منبه لهم على أن ماعرفوا من رجاحة عقله كاف فى ترجيح صدقه فانه لايدعه أن يتصدى لادعاء أمر خطير وخطب عظيم من غير تحقق وثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويلقى نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل

(قوله تعالى قل ان ربى الخ) مؤكد لماسبق من قوله وما أموالكم ولا أولادكم الخ فانه لما كان الله تعالى هو الباسط للرزق على من يشاء من عباده لاوجه لان يكون المال أو الولد سببا للزلفى عنده (قوله فهذا فى شخص واحد) لان الضمير والمرجع واحد وأما قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فهو فى تقدير ويقدر لمن يشاء فالثانى غير الاول لان كلا منهما ظاهر لاضمير (قوله ولان عبادتهم الخ) لان أوائل المشركين عبدوا الاصنام التى جعلوها تماثيل الملائكة أولانهم عبدوا أنفسهم لانها تماثيلهم (قوله مبين الخ) أى المقصود من تقديم لايملك الخ هو قول الله لهم ذوقوا (قوله ومافى اللامين الخ) أى اللام فى الذين اشارة الى القائلين وفى قوله للحق اشارة الى المقول وهو القرآن أوالنبوة (قوله تمهيدا للمقول) مفعول للبيانية (قوله ومحله الجر الخ) أى محل أن يقوموا الجر على البدل من واحدة الخ

ماستفهامية والمعنى ثم تتفكروا أى شئ به من آثار الجنون (ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) قدامه لانه مبعوث فى نسم الساعة (قل ما سألتكم من أجر) أى شئ سألتكم من أجر على الرسالة (فهو لكم) والمراد نفى السؤال عنه كأنه جعل التنى مستلزما لأحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوى عليه لانه اما أن يكون لغرض أو لغيره وأيا ما كان يلزم أحدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما سألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وقوله لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباهم (ان أجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد) مطلع يعلم صدقى وخلوص نيتى وقرأ ابن كثير وأبو بكر وحمزة والكسائى باسكان الياء (قل ان ربى يقذف بالحق) يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده أو يرمى به الباطل فيدمغه أو يرمى به الى أقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه وقرأ أبو عمرو بفتح الياء (علام الغيوب) صفة محمولة على محل ان واسمها أو بدل من المستكن فى يقذف أو خبر ثان أو خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربى أو مقدرا بأعنى وقرأ حمزة وأبو بكر الغيوب بالكسر كالبيوت وبالضم كالعشور وقرئ بالفتح كالصبور على أنه مبالغة غائب (قل جاء الحق) أى الاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعيد) وزهق الباطل أى الشرك بحيث لم يبق له أثر ماخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال

أقفر من أهله عبيد * فاليوم لا يبدى ولا يعيد

وقيل الباطل ابليس أو الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده أو لا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعدها رفع ان ضلالت) عن الحق (فانما أضل على نفسى) فان وبال ضلالى عليها لانه بسببها ذهى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله (وان اهتديت فبما يوحى الى ربى) فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه (انه سميع قريب) يدرك كل ضال ومهتد وفعله وان أخفاه (ولو ترى اذ فزعوا) عند الموت أو البعث أو يوم بدر وجواب لو محذوف تقديره لرأيت أمرا فظيعا (فلا فوت) فلا يفوتون الله بهرب أو تحصن (وأخذوا من مكان قريب) من ظهر الارض الى بطنها أو من الموقف الى النار أو من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا أو لا فوت و يؤيده أنه قرئ وأخذ عطفا على محله أى فلا فوت هنالك وهناك أخذ (وقالوا آمنا به) بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد مر ذكره فى قوله ما بصاحبكم (وأنى لهم التناوش) ومن أين لهم أن يتناولوا الايمان تناولا سهلا (من مكان بعيد) فانه فى حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل لحالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد مافات عنهم أوانه وبعد عنهم بحال من يريد أن يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمتها أو أنه من نأشت الشئ اذا طلبته قال رؤبة

اقحمنى جار أبى الجاموس * اليك نأش القدر النؤوش

أو من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله

تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى * وقد حدثت بعد الامور أمور

فيكون بمعنى التناول من بعد (وقد كفروا به) بمحمد عليه الصلاة والسلام أو بالعذاب (من قبل) من قبل ذلك أو أوان التكليف (ويقذفون بالغيب) ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى الرسول عليه الصلاة والسلام من الطاعن أو فى العذاب من البت على نفيه (من مكان بعيد) من جانب بعيد من أمره وهو الشبه التى تمحلوها فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أو حال الآخرة كما حكاه

(قوله عطف على محله) أى على محل فوق لانه مرفوع المحل (قوله وقد ذكره الخ) أى مر ذكر محمد فيكون الضمير راجعا اليه (قوله أو انه عطف على ما سبق) من حيث المعنى والتقدير التناوش بمعنى التناول لهل أو انه الخ

من قبل ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى شيأ لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقى اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية أو على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى تحصيل ماضيعوه من الايمان فى الدنيا (وحيل بينهم وبين مايشتهون) من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائى باشمام الضم للحاء (كما فعل باشياعهم من قبل) باشباههم من كفرة الأمم الدارجة (انهم كانوا فى شك مريب) موقع فى الريبة أو ذى ريبة منقول من المشكك أو الشاك نعت به الشك للمبالغة

* عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

﴿سورة الملائكة مكية وآيها خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله فاطر السموات والارض) مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضى (جاعل الملائكة رسلا) وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام والرؤيا الصادقة أو بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه (أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع) ذوى أجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت مالهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها نحو ماوكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على ما أمرهم به ولعله لم يرد به خصوصية الاعداد ونفى مازاد عليها لما روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح (يزيد فى الخلق مايشاء) استئناف للدلالة على ان تفاوتهم فى ذلك بمقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا أمر تستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافى لوازم الامور المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعانى كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس (ان الله على كل شئ قدير) وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة (مايفتح الله للناس) مايطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب (من رحمة) كنعمة وأمن وصحة وعلم ونبوة (فلا ممسك لها) يحبسها (ومايمسك فلا مرسل له) يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثانى مطلق يتناولها والغضب وفى ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه (من بعده) من بعد امساكه (وهو العزيز) الغالب على مايشاء ليس لاحد أن ينازعه فيه (الحكيم) لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق أمر الناس بشكر انعامه فقال (ياأيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم) احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم أنكر أن يكون لغيره فى ذلك مدخل فيستحق أن يشرك به بقوله (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون) فمن أى وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف أو بدل فان الاستفهام بمعنى النفى أو لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائى حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق أو استئناف مفسر له أو كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله (وان يكذبوك

(قوله على حكاية الحال الماضية) لانه على هذا التقدير يكون المعنى قد كفروا به من قبل وقذفوا بالغيب (قوله فيكون تمثيلا الخ) لان المقصود تضييع ايمانهم فى هذا الوقت فيكون معنى ويقذفون بالغيب الخ انهم ليسوا على شئ لانهم ضاع ايمانهم

﴿سورة فاطر﴾ (قوله تعالى جاعل الملائكة) فان قلت لا يخلو اما أن يكون الجاعل بمعنى الماضى أو بمعنى غيره فان كان الاول لزم أن لا يعمل لان شرط عمله عدم كونه بمعنى الماضى وان كان الثانى لزم أن يكون اضافته غير محضة فلا يصلح لان يكون صفة للمعرفة وهو لله قلنا صرح العلامة الطيبى بان مثل هذا للاستمرار فباعتبار انه يدل على المضى يصلح لكونه صفة للمعرفة وباعتبار أنه يدل على الحال والاستقبال يصلح للعمل (قوله لان اختلاف الاصناف الخ) أى ان كان اختلاف أصناف نوع واحد بالخواص لذات تلك الاصناف وهو النوع لزم تنافى لوازم الامور المتفقة لانه لما كان اختلاف الخواص بسبب النوع كان النوع مقتضيا لكل من تلك الخواص فكان كل منها لازما للنوع فلزم تنافى لوازم الامور المتفقة فى الذات والحقيقة لان ماهو لازم للنوع لازم للاصناف وكذا ان كان اختلاف الانواع فى الفصول بسبب طبيعة الجنس المشترك بينهما لزم ماذكر بالقياس على ماذكرنا وهذا هو مقصوده وان كان فى عبارته قصور (قوله وفى ذلك الخ) وجه الاشعار ان الفقرة الاولى مخصوصة بالرحمة وهذه الفقرة مشتركة بينها وبين غيرها وهو الغضب فكانت الرحمة غالبة على الغضب (قوله يكون اطلاق الخ) اى عدم تقييد الخالق بشئ ونفيه مطلقا عن غير الله مانع من اطلاق الخالق على غير الله

فقد

(قوله فحذف الجواب) وكأنه قيل لا ينبغي ذلك فحذف لما ذكره وعلى هذا يكون قوله تعالى فان الله يضل من يشاء مؤخرا المحل عن فلا تذهب قدم عليه وأصل الكلام أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرات فكانه قيل لا فقيل فاذا كان كذلك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء (قوله فحذف الجواب) يعني كانه صلى الله عليه وسلم قال في جواب هذا القول وهو قوله تعالى أفمن الخ ليس الاول كالثاني فحذف الجواب لما ذكر (قوله والفاآت الثلاث الخ) أما الفاء في فرآه حسنا فلانه يفيد ان التزيين سبب للرؤية المذكورة وأما الفاء في فان الله فلانه يفيد أيضا ان الاضلال سبب أيضا للرؤية المذكورة فان الفاء السببية قد تكون لافادة ان ما بعدها سبب لما قبلها كما في قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم صرح به الرضي وأما الفاء في فلا تذهب فلانه يفيد انه تعالى يضل من يشاء فلا ينبغي اهلاك النفس للحسرة ولا يخفى ان الاولين دخلتا على السبب لان الرؤية سبب للنهي عن ذهاب النفس المذكورة لانه لما كان أحد رأى عمله القبيح حسنا لا ينبغي لغيره الحسرة عليه وكذا اضلال الله تعالى الشخص سبب للنهي المذكور لانه لما كان الله مضلا لاحد لا ينبغي لغيره هلاك نفسه للحسرة عليه فظهر ان الفاء بين الاولين سببان للنهي عن الذهاب المذكور وهو مسبب لهما (قوله ويجوز الخ) أي يجوز أن يكون اختلاف الافعال بان يكون بعضها ماضيا و بعضها حالا للدلالة على ان أمر المطر والسحاب أمر مستمر (قوله وقيل في كيفية الاحياء) عطف على قوله في صحة المقدورية والمعنى مثل احياء الاموات نشور الاموات في كيفية الاحياء

(قوله فحذف الجواب) وكأنه قيل لا ينبغي ذلك فحذف لما ذكره وعلى هذا يكون قوله تعالى فان الله يضل من يشاء مؤخرا المحل عن فلا تذهب قدم عليه وأصل الكلام أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرات فكانه قيل لا فقيل فاذا كان كذلك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء (قوله فحذف الجواب) يعني كانه صلى الله عليه وسلم قال في جواب هذا القول وهو قوله تعالى أفمن الخ ليس الاول كالثاني فحذف الجواب لما ذكر (قوله والفاآت الثلاث الخ) أما الفاء في فرآه حسنا فلانه يفيد ان التزيين سبب للرؤية المذكورة وأما الفاء في فان الله فلانه يفيد أيضا ان الاضلال سبب أيضا للرؤية المذكورة فان الفاء السببية قد تكون لافادة ان ما بعدها سبب لما قبلها كما في قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم صرح به الرضي وأما الفاء في فلا تذهب فلانه يفيد انه تعالى يضل من يشاء فلا ينبغي اهلاك النفس للحسرة ولا يخفى ان الاولين دخلتا على السبب لان الرؤية سبب للنهي عن ذهاب النفس المذكورة لانه لما كان أحد رأى عمله القبيح حسنا لا ينبغي لغيره الحسرة عليه وكذا اضلال الله تعالى الشخص سبب للنهي المذكور لانه لما كان الله مضلا لاحد لا ينبغي لغيره هلاك نفسه للحسرة عليه فظهر ان الفاء بين الاولين سببان للنهي عن الذهاب المذكور وهو مسبب لهما (قوله ويجوز الخ) أي يجوز أن يكون اختلاف الافعال بان يكون بعضها ماضيا و بعضها حالا للدلالة على ان أمر المطر والسحاب أمر مستمر (قوله وقيل في كيفية الاحياء) عطف على قوله في صحة المقدورية والمعنى مثل احياء الاموات نشور الاموات في كيفية الاحياء

فقد كذبت رسل من قبلك) أي فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية والحث على المصابرة (والى الله ترجع الامور) فيجازيك وإياهم على الصبر والتكذيب (يأيها الناس ان وعد الله) بالحشر والجزاء (حق) لا خلف فيه (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها (ولا يغرنكم بالله الغرور) الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان أمكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر أو جمع كقعود (ان الشيطان لكم عدو) عداوة عامة قديمة (فاتخذوه عدوا) في عقائدكم وأعمالكم وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم (انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) تقرير لعداوته و بيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) وعيد لمن أجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع الاماني الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) تقرير له أي أفمن زين له سوء عمله بأن غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هي عليه حذف الجواب لدلالة (فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وقيل تقديره أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة حذف الجواب لدلالة (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاآت الثلاث للسببية غير أن الاولين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على أحوالهم أو كثرة مساوي أفعالهم المقتضية للتأسف وعليهم ليس صلة لها لان صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب أو بيان للمتحسر عليه (ان الله عليم بما يصنعون) فيجازيهم عليه (والله الذي أرسل الرياح) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح (فتثير سحابا) على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المرادبيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك أسنده اليها ويجوز أن يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر (فسقناه الى بلد ميت) وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص بالتشديد (فاحيينا به الارض) بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره أو بالسحاب فانه سبب السبب أو الصائر مطرا (بعد موتها) بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو أدخل في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع (كذلك النشور) أي مثل احياء الموات نشور الاموات في صحة المقدورية لا ذليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة في القياس عليه وذلك لا مدخل له فيها وقيل في كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه أجساد الخلق (من كان يريد العزة) الشرف والمنعة (فلله العزة جميعا) أي فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما أو صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فان العمل

لايقبل الابالتوحيد ويؤيده أنه نصب العمل أوللعمل فانه يحقق الايمان ويقويه أولله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناءين والمصعد هو الله تعالى أو المتكلم به أو الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه عليه الصلاة والسلام هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فاذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم تقبل (والذين يمكرون السيآت) المكرات السيآت يعنى مكرات قريش للنبى عليه الصلاة والسلام فى دار الندوة وتداورهم الرأى فى احدى ثلاث حبسه وقتله واجلائه (لهم عذاب شديد) لايؤبه دونه بما يمكرون به (ومكر أولئك هو يبور) يفسد ولاينفذ لان الامور مقدرة لاتتغير به كما دل عليه بقوله (والله خلقكم من تراب) بخلق آدم عليه السلام منه (ثم من نطفة) بخلق ذريته منها (ثم جعلكم أزواجا) ذكرانا واناثا (وماتحمل من أنثى ولاتضع الابعلمه) الامعلومة له (ومايعمر من معمر) ومايمد فى عمر من مصيره الى الكبر (ولاينقص من عمره) من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره أولاينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه أوللمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لايثيب الله عبدا ولايعاقبه الابحق وقيل الزيادة والنقصان فى عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت فى اللوح مثل أن يكون فيه ان حج عمرو فعمره ستون سنة والافأربعون وقيل المراد بالنقصان مايمر من عمره وينقضى فانه يكتب فى صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولاينقص على البناء للفاعل (الافى كتاب) هو علم الله تعالى أواللوح المحفوظ أوالصحيفة (ان ذلك على الله يسير) اشارة الى الحفظ أوالزيادة أوالنقص (ومايستوى البحران هذا عذاب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذى يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره والاجاج الذى يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل (ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) استطراد فى صفة البحرين ومافيهما من النعم أوتمام التمثيل والمعنى كما أنهما وان اشتركا فى بعض الفوائد لايتساويان من حيث انهما لايتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط أحدهما ماأفسده وغيره عن كمال فطرته لايتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما فى بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وهى بقاء أحدهما على الفطرة الاصلية دون الآخر أوتفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك فيه العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلى واليواقيت (وترى الفلك فيه) فى كل (مواخر) تشق الماء بجريها (لتبتغوا من فضله) من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز أن تتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة (ولعلكم تشكرون) على ذلك وحرف الترجى باعتبار مايقتضيه ظاهر الحال (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) هى مدة دوره أومنتهاه أو يوم القيامة (ذلكم الله ربكم له الملك) الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها شعار بأن فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدأ فى قران (والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير) للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة (ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم) لانهم جماد (ولوسمعوا) على سبيل الفرض

(قوله أوللعمل) فيكون المعنى والعمل الصالح يرفع أى الكلم الطيب فانه مما يحقق وقوعه ويقربه الى الله لانه اذا لم يكن عمل لم يقبل الكلم كما سيجىء (قوله وقرئ يصعد على البناءين) أى قرئ يصعد من باب الافعال على بناء الفاعل وعلى بناء المفعول (قوله فحيا بها وجه الرحمن) استعارة من استقبال المحيا وهو الوجه (قوله يجعله ناقصا) أى بان يجعل فى الاصل ناقصا كما فى سبحان الذى صغر جسم البعوض (قوله على التسامح) هو ان العبارة المذكورة دالة على تعارض الطول والقصر فى عمر واحد وهذا لايكون فالمعنى ولاينقص من عمر من يصلح للتعمير فيكون هذا المعمر غير المعمر الاول لانه المعمر بالفعل والضمير عبارة عما لايكون كذلك (قوله لايثيب الله عبدا الخ) قال العلامة الطيبى فيه اعتزال خفى وذلك لان مذهبهم ان استحقاق العذاب بالكبيرة يحبط استحقاق الثواب بالطاعة فعلى هذا لايجتمع الثواب والعقاب فى شخص واحد وأما عند أهل السنة فلا يبعد ذلك لان أهل النار من العاصين لايخلدون فيها (قوله تعالى الافى كتاب) معناه الاتغيرا كائنا فى كتاب أوالانقصانا كائنا فيه (قوله اشارة الى الحفظ) والحفظ يفهم من قوله الافى كتاب اذ معناه الافى كتاب محفوظ (قوله ويجوز الخ) الافعال المذكورة (ما هى يأكلون ويستخرجون ويرى الفلك ومادل عليه الافعال المذكورة هو الخلق فالمعنى وخلق ماذكر وهو اللحم الطرى والحلية والمواخر لتبتغوا من فضله أو يقال المراد مادل عليه الافعال المذكور تمكين الله للعباد فيما ذكر والمعنى مكنكم الله تعالى فى الامور

(فاستجابوا لهم) لعدم قدرتهم على الانتفاع أولتبرئهم منهم كما تدعون لهم (ويوم القيمة يكفرون بشرككم) بأشراككم لهم يقررون ببطلانه أو يقولون ما كنتم إيانا تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به أخبرك وهو الله سبحانه وتعالى فانه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) في أنفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كأنهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وأن افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال (والله الغني الحميد) المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) بقوم آخرين أطوع منكم أو بعالم آخر غير ما تعرفونه (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر أو متعسر (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس أخرى وأما قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ففي الاضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع أثقال ضلالهم وكل ذلك أوزارهم ليس فيها شئ من أوزار غيرهم (وان تدع مثقلة) نفس أثقالها الاوزار (الى حملها) تحمل بعض أوزارها (لا يحمل منه شئ) لم تجب لحمل شئ منه ولئن أن يحمل عنها ذنبها كما لئن ان يحمل عليها ذنب غيرها (ولو كان ذا قربى) ولو كان المدعو ذا قرابتها فأضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان التامة فانها لا تلائم نظم الكلام (انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) غائبين عن عذابه أو عن الناس في خلواتهم أو غائبا عنهم عذابه (وأقاموا الصلوة) فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر من الاستمرار (ومن تزكى) ومن تطهر من دنس المعاصي (فانما يتزكى لنفسه) اذ نفعه طهارته قرئ ومن ازكى فانما يزكي وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهما من جملة التزكي (والى الله المصير) فيجازيهم على تزكيهم (وما يستوي الاعمى والبصير) الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم والله عز وجل (ولا الظلمات ولا النور) ولا الباطل ولا الحق (ولا الظل ولا الحرور) ولا الثواب ولا العقاب ولا التأكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين از بدا التأكيد والحرور فعول من الحرغلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما تهب ليلا (وما يستوي الاحياء ولا الاموات) تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء (ان الله يسمع من يشاء) هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته (وما أنت بمسمع من في القبور) ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم (ان أنت الا نذير) فما عليك الا الانذار وأما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم (انا أرسلناك بالحق) محقين أو محقا أو ارسالا ملصقا بالحق و يجوز أن يكون صلة لقوله (بشيرا ونذيرا) أي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق (وان من أمة) أهل عصر (الا خلا) مضى (فيها نذير) من نبي أو عالم ينذر عنه والا كتفاء بذكره للعلم بأن النذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل أولان الانذار هو الاهم المقصود من البعثة (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم (و بالزبر) كصحف ابراهيم عليه السلام (و بالكتاب المنير) كالتوراة والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع و يجوز أن يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) أي انكاري بالعقوبة (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها) أجناسها وأصنافها على أن

المذكورة لتبتغوا من فضله (قوله وتعريف الفقراء الخ) هذا كما تقول في العربية ان كون الخبر محلى باللام يفيد الحصر اذا كان المبتدا معروفا به (قوله فانها لا يلائم نظم الكلام) لانه يدل على ان ذا القربى لا يحتمل اثم قريبه فالمناسب ان تجعل كان ناقصة حتى يكون له خبر واذا كان كان تامة فالمعنى ولو وجد ذو قربى فهو لا يحتمل (قوله لتغاير الوصفين) أي الزبور والكتاب المنير (قوله تعالى فكيف كان نكير) أي نكيري لهم شديد يستحق أن يستفهم عنه

كلا منها ذو أصناف مختلفة وهيئاتها من الصفرة والحمرة ونحوهما (ومن الجبال جدد) أى ذو جدد أى خطط وطرائق يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح (بيض وحمر مختلف ألوانها) بالشدة والضعف (وغرابيب سود) عطف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تأكيد مضمر يفسره ما بعده فان الغربيب تأكيد للاسود ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ونظير ذلك فى الصفة قول النابغة * والمؤمن العائذات الطير يمسحها * وفى مثله من زيادة تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك) كاختلاف الثمار والجبال (انما يخشى الله من عباده العلماء) اذ شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وأفعاله فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انى أخشاكم لله وأتقاكم له ولذلك أتبعه بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو أخر لانعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا (ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور لما تائب عن عصيانه (ان الذين يتلون كتاب الله) يداومون على قراءته أو متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن أو جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين (وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر فى المسنونة والعلانية فى المفروضة (يرجون تجارة) تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان (لن تبور) لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة لتجارة وقوله (ليوفيهم أجورهم) علة لما دل عليه أى يثنى عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها أجور أعمالهم أو لما دل عليه ما بعده من استئنافهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم أو عاقبة ليرجون (ويزيدهم من فضله) على ما يقابل أعمالهم (انه غفور) لفرطاتهم (شكور) لطاعاتهم أى يجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة أو خبر ان ويرجون حال من واو وأنفقوا (والذى أوحينا اليك من الكتاب) يعنى القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعيض (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أحقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياها فى العقائد وأصول الاحكام (ان الله بعباده لخبير بصير) عالم بالبواطن والظواهر فلو كان فى أحوالك ما ينافى النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على أن العمدة فى ذلك الأمور الروحانية (ثم أورثنا الكتاب) حكمنا بتوريثه منك أو نورثه فعبر عنه بالماضى لتحققه أو أورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذى أوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث (الذين اصطفينا من عبادنا) يعنى علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم أو الامة بأسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الأمم (فمنهم ظالم لنفسه) بالتقصير فى العمل به (ومنهم مقتصد) يعمل به فى غالب الاوقات (ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيئ والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا

(قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض الخ) يحتمل أن يكون معطوفا على ما سبق من حيث المعنى فيكون المعنى ألم تر أن الله جعل من الجبال جددا بيضا كما قالوا فى قوله تعالى وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا انه معطوف على عنده علم الساعة من حيث المعنى اذ المعنى ان الله عنده علم الساعة ويعلم ماذا تكسب كل نفس غدا

(قوله والمؤمن الخ) الظاهر ان الطير بدل من العائذات أو بيان لها لأنه مفسر للطير المحذوف (قوله تعالى انما يخشى الله الخ) فان قلت ما وجه ارتباطه بما سبق قلت والله أعلم ان المراد انه اذا علمت ما ذكر من قدرته الكاملة فاخش منه لانه انما يخشى الله من عباده العلماء (قوله حتى صارت سمة لهم الخ) أى حتى صاروا يذكرون بهذه الصفة (قوله أو الجنس) اى أو المراد من الكتاب جنس الكتب فيكون من للتبعيض

أنفسهم فأولئك يحبسون فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على أن الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان (ذلك هو الفضل الكبير) اشارة الى التوريث أو الاصطفاء أو السبق (جنات عدن يدخلونها) مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة أولذين أو للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات عدن منصوب بفعل يفسره الظاهر وقرأ أبو عمرو يدخلونها على البناء للمفعول (يحلون فيها) خبر ثان أو حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهى حالية (من أساور من ذهب) من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين (ولؤلؤ) عطف على ذهب أى من ذهب مرصع باللؤلؤ أومن ذهب فى صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم رحمهما الله عطفا على محل من أساور (ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) هممهم من خوف العاقبة أوهمهم من أجل المعاش وآفاته أومن وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن (ان ربنا لغفور) للذنبين (شكور) للطيعين (الذى أحلنا دار المقامة) دار الاقامة (من فضله) من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه (لا يمسنا فيها نصب) تعب (ولا يمسنا فيها لغوب) كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد أتبع نفى النصب نفى مايتبعه مبالغة (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) لا يحكم عليهم بموت ثان (فيموتوا) فيستريحوا ونصبه باضمار أن وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون (ولا يخفف عنهم من عذابها) بل كلما خبت زيد اسعارها (كذلك) مثل ذلك الجزاء (نجزى كل كفور) مبالغ فى الكفر أو الكفران وقرأ أبو عمرو يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى (وهم يصطرخون فيها) يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل فى الاستغاثة لهج المستغيث صوته (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ماعملوه من غير اصالح والاعتراف به والاشعار بأن استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه (أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) جواب من الله وتوبيخ لهم ومايتذكر فيه متناول كل عمر يمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل مابين العشرين الى الستين وعنه عليه الصلاة والسلام العمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى أولم نعمركم فانه للتقرير كأنه قال عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبى أو الكتاب وقيل العقل أو الشيب أو موت الاقارب (فذوقوا فما للظالمين من نصير) يدفع العذاب عنهم (ان الله عالم غيب السموات والارض) لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه أحوالهم (انه عليم بذات الصدور) تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهى أخفى ما يكون كان أعلم بغيرها (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) مافى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف (فمن كفر فعليه كفره) جزاء كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) بيان لهو التكرير للدلالة على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو أشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) يعنى آلهتهم والاضافة اليهم لأنهم جعلوهم شركاء لله أولانفسهم فيما يملكونه (أروني ماذا خلقوا من الارض) بدل من أرأيتم بدل الاشتمال لانه بمعنى أخبروني كأنه قال أخبروني عن هؤلاء الشركاء أروني أى جزء من الارض استبدوا بخلقه (أم لهم شرك فى السموات) أم لهم شركة مع الله فى خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة فى الالوهية ذاتية (أم آتيناهم كتابا) ينطق على انا اتخذناهم شركاء (فهم على بينة منه) على حجة من

(قوله على ان الضمير للعباد) أى على تقدير أن يكون المراد من الظالمين الكافرين لا يكون ضمير منهم راجعا الى الذين اصطفينا لان الظالم بهذا المعنى غير داخل فى المصطفين (قوله لان الظلم والركون الى الهوى مقتضى الجبلة) فان قلت هذا يناقض ماورد فى الحديث ان كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه الخ قلت معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرة الاسلام والتوحيد أى لو قيل له الاسلام وعرض عليه لقبله لما أن العلم به مقتضاها والحاصل ان المولود خاق مستعدا للاسلام والتوحيد وهذا لا يناقض كون الجهل والركون الى المعصية مقتضى الجبلة لان كونها مقتضى الجبلة معناه ان الشخص لو خلى وطبعه كان متصفا بهما فظاهر ان الجهل والمعصية لا ينافيان فطرة الاسلام (قوله فان المراد بهما الجنس) فيكون فى مرجع الضمير كثرة تصلح لان يكون الضمير المذكور راجعا اليه لان الجنس شامل للكثير (قوله العمر الذى الخ) أى لم يبق له موضعا للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدة ولم يعتذر (قوله بيان له) أى قوله تعالى ولا يزيد الكافرين الخ بيان لقوله تعالى فعليه كفره (قوله باقتضاء قبحه) اى باقتضاء قبح الكفر (قوله الجوابين) هما

ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية ويجوز أن يكون هم للمشركين
وابن عامر ويعقوب وأبو بكر والكسائي على بينات فيكو
من تعاضد الدلائل (بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الاغرورا
عنه بذكر ما جلهم عليه وهو تغرير الأسلاف الاخلاف أو
يشفعون لهم بالتقرب اليه (ان الله يمسك السموات والار
حال بقائه لا بد له من حافظ أو يمنعهما أن تزولا لان الامساك
ما أمسكهما (من بعده) من بعد الله أو من بعد الزوال والجلة
والثانية للابتداء (انه كان حليما غفورا) حيث أمسكهما وكا
السموات يتفطرن منه وتنشق الارض (وأقسموا بالله جهد أ
من احدى الأمم) وذلك أن قريشا لما بلغهم أن أهل الكت
والنصارى لو أتاتا رسول لتكونن أهدى من احدى الأمم أي من
وغيرهم أو من الامة التي يقال فيها هي احدى الأمم تفضيلا لها على
جاءهم نذير) يعني محمدا عليه الصلاة والسلام (ما زادهم) أي النذ
تباعدا عن الحق (استكبارا في الارض) بدل من نفورا أو مفعو
المكر السيئ لحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل
سكون الهمزة في الوصل (ولا يحيق) ولا يحيط (المكر السيئ الا
يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر أي ولا يحيق الله (فهل ينظرون
سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم (فان تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد
بجعله غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها بأن ينقله من المكذبين الى غ
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهاد علم يما يشاهد
والعراق من آثار الماضين (وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله لي
(في السموات ولا في الارض انه كان عليما) بالاشياء كلها (قدير
بما كسبوا) من المعاصي (ما ترك على ظهرها) ظهر الارض (من د
معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله (ولكن يؤخرهم الى
(فاذا جاء أجلهم فان الله كان ببعباده بصيرا) فيجازيهم على أعمالهم
من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أي باب

﴿سورة يس﴾

مكية وعنه عليه الصلاة والسلام يس تدعى المعمة تعم صاحبها خير الد
تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة وآيها ثلاث وثما آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يس) كلام في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طيئ على أن أصله يا أ
لكثرة النداء به كما قيل من الله في أيمن وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البنا
على اتل يس أو باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف والضم بناء كحيث أو
وأمال الياء حمزة والكسائي وروح وأبو بكر وأدغم النون في واو (والقرآن الحكيم) ابن عامر
والكسائي وأبو بكر وورش ويعقوب وهي واو القسم أو العطف ان جعل يس

جواب القسم والشرط (قوله هي احدى الامم الخ) فهذا كما يقال هو واحد القوم وواحد المصر أي أفضلهم (قوله ومكر السيئ أصله الخ) الاولى أن يقال أصله المكر السيئ حتى يكون المعنى مازادهم الا المكر السيئ ثم أضيف الموصوف الى الصفة كما في مسجد الجامع

﴿سورة يس﴾

(قوله على أن أصله) أي على ان تنزيلا على الحقيقي لكونه مفعولا مطلقا لان يكون بمعنى المنزل كما تقدم فيكون أصل التركيب ينزل تنزيل العزيز الرحيم فحذف الفعل وأبقي تنزيل على مصدريته

المرسلين) لمن الذين أرسلوا (على صراط مستقيم) وهو التوحيد والاستقامة فى الامور ويجوز أن يكون على صراط خبرا ثانيا أو حالا من المستكن فى الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع صريحا بالاستقامة وان دل عليه لمن المرسلين التراما (تنزيل العزيز الرحيم) خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالنصب باضمار أعنى أو فعله على أنه على أصله وقرئ بالجر على البدل من القرآن (لتنذر قوما) متعلق بتنزيل أو بمعنى لمن المرسلين (ما أنذر آباؤهم) قوما غير منذر آباؤهم يعنى آباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله أو الذى أنذر به أوشيأ أنذر به آباؤهم الأبعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر أو انذارا بآبائهم على المصدر (فهم غافلون) متعلق بالنفى على الاول أى لم ينذروا فيقوا غافلين أو بقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخرى أى أرسلناك اليهم لتنذرهم فاسهم غافلون (لقد حق القول على أكثرهم) يعنى قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (فهم لا يؤمنون) لانهم ممن علم الله أنهم لا يؤمنون (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغنى عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت أعناقهم (فهى الى الاذقان) فالاغلال واصلة الى أذقانهم فلا تخلهم يطأطؤن رؤسهم له (فهم مقمحون) رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم فى أنهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطؤن رؤسهم له (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) وبمن أحاط بهم سدان فعطى أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم فى أنهم محبوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات والدلائل وقرأ حمزة والكسائى وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فأغشيناهم من الاغشاء وقيل الآيتان فى بنى مخزوم حلف أبو جهل أن يرضخ رأس النبى صلى الله عليه وسلم فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده اشتمل الحجر على عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكره عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) سبق فى البقرة تفسيره (انما تنذر) انذارا يترتب عليه البغية المرومة (من اتبع الذكر) أى القرآن بالتأمل فيه والعمل به (وخشى الرحمن بالغيب) وخاف عقابه فبعل حاله ومعاينة أهواله أو فى سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار (فبشره بمغفرة وأجر كريم انا نحن نحيى الموتى) الاموات بالبعث أو الجهال بالهداية (ونكتب ما قدموا) ما أسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة (وآثارهم) الحسنة كعلم علموه وحبس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتأسيس ظلم (وكل شئ أحصيناه فى امام مبين) يعنى اللوح المحفوظ (واضرب لهم) ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد أى مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما (مثلا أصحاب القرية) على حذف مضاف أى اجعل لهم مثل أصحاب القرية مثلا ويجوز أن يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ أو بيانا له والقرية انطاكية (اذ جاءها المرسلون) بدل من أصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى عليه الصلاة والسلام الى أهلها واضافته الى نفسه فى قوله (اذ أرسلنا اليهم اثنين) لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما (فكذبوهما فعززنا) فقوينا وقرأ أبو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به (بثالث) وهو شمعون (فقالوا انا اليكم مرسلون) وذلك انهم كانوا عبدة أصنام فأرسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسألهما فاخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه

(قوله أو بمعنى لمن المرسلين) انما قال بمعنى لمن المرسلين أى بما استفيد منه وهو انه صلى الله عليه وسلم مرسل اذ لا يصح تعلقه بلفظ من المرسلين اذ المرسلون جميع الرسل والخطاب فى لتنذر مخصوص به صلى الله عليه وسلم (قوله أو بمن أحاط بهم) عطف على بالذين غلت أعناقهم (قوله فى أنهم الخ) متعلق بقوله بتمثيلهم أى بتشبههم بالذين غلت أعناقهم فى أنهم لا يلتفتون الخ (قوله فى أنهم محبوسون الخ) بيان وجه الشبه وههنا نظر وهو ان وجه الشبه يجب أن يكون مشتركا لكن عدم الالتفات الى الحق ليس صفة للمغلولين اذ المغلول قد يكون له الالتفات الى الحق وانما منع من الالتفات الحسى وامالة العنق وكذا الحبس فى مطمورة الجهالة ليس صفة لمن كان بين السدين فالاولى أن يقال انهم مشبهون بالمغلولين فى عدم تحقيق ما ينبغى لهم وادراكهم ما ينفعهم أو يضرهم وقس على ما ذكرنا التشبيه الثانى

والابرص وكان له ولد مريض فسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على أيديهما خلق كثير وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك قال حتى أنظر في أمرهما فجسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر أصحاب الملك حتى استأنسوا به وأوصلوه الى الملك فآنس به فقال له يوما سمعت أنك حبست رجلين فهل سمعت مايقوله قال لا فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قال الله الذي خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل مايشاء ويحكم مايريد قال وما آيتكما قالا مايتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصره وأخذ بندقتين فوضعهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال شمعون أرأيت لو سألت آلهتك حتى تصنع مثل هذا حتى يكون لك ولها الشرف قال ليس لي عندك سر آلهتنا لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ثم قال ان قدر إلهكما على احياء ميت آمنا به فأتوا بغلام مات منذ سبعة أيام فدعوا الله فقام وقال اني أدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت ثوابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه الصلاة والسلام فهلكوا (قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا) لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشرا تنقاض النفي المقتضي اعمال مابالا (وما أنزل الرحمن من شئ) وحي ورسالة (ان أنتم الا تكذبون) في دعوى الرسالة (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم (وما علينا الا البلاغ المبين) الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا بيانه (قالوا انا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم) سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم وقرئ طيركم معكم (أئن ذكرتم) وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم أو توعدتم بالرجم والتعذيب وقد قرئ بألف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم وان وأن بغير الاستفهام وأين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو أبلغ (بل أنتم قوم مسرفون) قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم أو في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب أن يكرم ويتبرك به (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان ينحت أصنامهم وهو ممن آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه (قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا) على النصح وتبليغ الرسالة (وهم مهتدون) الى خير الدارين (ومالي لا أعبد الذي فطرني) على قراءة غير حمزة فانه يسكن الياء في الوصل تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه ومحاض النصح حيث أراد لهم ما أراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال (واليه ترجعون) مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال (أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيأ) لا تنفعني شفاعتهم (ولا ينقذون) بالنصرة والمظاهرة (اني اذا لفي ضلال مبين) فان اشراكا لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الحالي المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل وقرأ نافع ويعقوب وأبو عمر وبفتح الياء (اني آمنت بربكم) الذي خلقكم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمر وبفتح الياء (فاسمعون) فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحوهم قبل أن يقتلوه (قيل ادخل الجنة) قيل له ذلك لما

(قوله وهو المحسن للاستشهاد) لان مجرد الاستشهاد بعلم الله في النبوّة غير نافع أي مافي علم الله غير معلوم الا اذا أتى ببينة (قوله وأين ذكرتم الخ) أي قرئ أين بكلمة الاستفهام وذكرتم بتخفيف الكاف (قوله ولذلك) أي لأجل ان المراد توبيخهم وتقريعهم على ماذكر قال واليه ترجعون اذ لو لم يكن كذلك لوجب أن يقال واليه ارجع

قلوبهم بشرى له بأنه من أهل الجنة أو اكراما واذنا فى دخولها كسائر الشهداء أو لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ماقاله الحسن وانما لم يقل لانه الغرض بيان القول دون المقول له فانه معلوم والكلام استئناف فى حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه فى نصرة دينه وكذلك (قال ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين) فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة على دأب الاولياء فى كظم الغيظ والترحم على الاعداء أو ليعلموا أنهم كانوا على خطاء عظيم فى أمره وأنه كان على حق وقرئ المكرّمين وماخبرية أو مصدرية والباء صلة يعلمون أو استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر أى باى شئ غفرلى يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على أذيتهم (وما أنزلنا على قومه من بعده) من بعد اهلاكه أو رفعه (من جنده من السماء) لاهلاكهم كما أرسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا أمرهم اصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام (وما كنا منزلين) وماصح فى حكمتنا أن ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شئ سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ماموصولة معطوفة على جند أى وممّا كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وأمطار شديدة (ان كانت) ما كانت الاخذة أو العقوبة (الاصيحة واحدة) صاح بها جبريل عليه السلام وقرئت بالرفع على كان التامة (فاذاهم خامدون) ميتون شبهوا بالنار من الى أن الحى كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد

ومالمرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

(ياحسرة على العباد) تعالى فهذه من الاحوال التى من حقها أن تحضرى فيها وهى مادل عليها (مايأتيهم من رسول الا كانوابه يستهزؤن) فان المستهزئين بالناصحين الخاصين المنوط بنصحهم خيرالدارين أحقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تألهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز أن يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ماجنوه على أنفسهم ويؤيده قراءة ياحسرتا وانصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ ياحسرة العباد بالاضافة الى الفاعل أو المفعول وياحسره بالهاء على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف (ألم يروا) ألم يعلموا وهو معلق عن قوله (كم أهلكنا قبلهم من القرون) لان كم لايعمل فيها ماقبلها وان كانت خبرية لان أصلها الاستفهام (أنهم اليهم لايرجعون) بدل من كم على المعنى أى ألم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف (وان كل لما جميع لدينا محضرون) يوم القيامة للجزاء وأن مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له أو لمحضرون (وآية لهم الارض الميتة) وقرأ نافع بالتشديد (أحييناها) خبر للارض والجملة خبر آية أوصفة لها ذلم يرد بهما معينة وهى الخبر أو المبتدأ والآية خبرها أو استئناف لبيان كونها آية (وأخرجنا منها حبا) جنس الحب (فمنه يأكلون) قدم الصلة للدلالة على أن الحب معظم مايؤكل ويعاش به (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) من أنواع النخل والعنب وانما جمعها دون الحب فان الدال على الجنس متعرض بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع (وفجرنا فيها) وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى (من العيون) أى شيأ من العيون فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزيدة

(قوله بشرى له الخ) أى هذا القول له على أحد الوجهين اما بشارته بأنه من أهل الجنة يدخلها بعد ذلك واما الاذن بدخول الجنة حين القتل كسائر الشهداء (قوله وجعلنا ذلك الخ) أى جعلنا انزال الجنود من السماء سببا لانتصارك من قومك تعظيما لشأنك (قوله على سبيل الاستعارة لتعظيم الخ) أى استعير الحسرة للتعظيم المذكور (قوله ياحسرتا) لانه فى الاصل ياحسرتى (قوله وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف) فيكون التقدير مثلا ياأيها المؤمنون احسروا حسرة على العباد (قوله تعالى انهم اليهم لايرجعون) أى لايرجع بعضهم بعد أن ماتوا الى بعضهم الاحياء (قوله على المعنى) انما قال ذلك لان كم أهلكنا جملة تامة وأنهم اليهم لايرجعون مفرد فى الحقيقة فاسب أن تؤول الجملة بالمفرد حتى يناسب البدل (قوله اذلم يرد بهما معينة) أى لم يرد بالارض أرضا معينة حتى تكون معرفة فلا تتصف بجملة أحييناها بل المراد فرد من أفراد الارض غير معين (قوله وهى الخبر) أى الارض خبر للآية

عند الاخفش (ليأكلوا من ثمره) ثمر ماذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله تعالى على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر تخلقه وقرأ حمزة والكسائى بضمتين وهو لغة فيه أو جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون (وما عملته أيديهم) عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد أن الثمر يخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة أحسن من غيرها (أفلا يشكرون) أمر بالشكر من حيث انه انكار لتركه (سبحان الذى خلق الازواج كلها) الانواع والاصناف (مما تنبت الارض) من النبات والشجر (ومن أنفسهم) الذكور والاناث (ومما لا يعلمون) وأزواجا لم يطلعهم الله تعالى عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) نزيله ونكشفه عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام فى اعراب ما سبق (فاذا هم مظلمون) داخلون فى الظلام (والشمس تجرى لمستقر لها) لحد معين ينتهى اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره أو لكبد السماء فان حركتها فيه يوجد فيها بطء بحيث يظن أن لها هناك وقفة قال * والشمس حيرى لها بالجوّ دوم * أو لاستقرار لها على نهج مخصوص أو لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها فى دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل أو لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها أى لا تكون فانها متحركة دائما ولا مستقر على أن لا يجعل ايس (ذلك) الجرى على هذا التقدير المتضمن للحكم التى تكل الفطن عن احصائها (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) المحيط علمه بكل معلوم (والقمر قدرناه) قدرنا مسيره (منازل) أو سيره فى منازل وهى ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان فى آخر منازله وهو الذى يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الراء (حتى عاد كالعرجون) كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون (القديم) العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا (لا الشمس ينبغى لها) يصح لها ولا يتسهل (أن تدرك القمر) فى سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان أو فى آثاره ومنافعه أو مكانه بالنزول الى محله أو سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفى الشمس للدلالة على أنها مسخرة لا يتيسر لها الا أمر يدبرها (ولا الليل سابق النهار) بسرعة فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لأنه الملائم لسرعة سيره (وكل) وكلهم والتنوين عوض عن المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعدد ما فى لذات أو للكواكب فان ذكرها مشعر بهما (فى فلك يسبحون) يسيرون فيه بانبساط (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم فى السفن أشق وتماسكهم فيها أعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم (فى الفلك المشحون) المملوء وقيل المراد فلك نوح عليه الصلاة والسلام وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفى أصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص الذرية لانه أبلغ فى الامتنان وأدخل فى التعجب مع الايجاز (وخلقنا لهم من مثله) من

(قوله ثم لا تعود اليهما الخ) فيه نظر لانه اذا كانت الشمس فى التاسع والعشرين من القوس كان مشرق ثم اذا كانت فى الدرجة الثانية من الجدى كان مشرقها ذاك المشرق المعين مع ان بينهما يومين اليوم الذى كانت فيه فى أول الجدى واليوم الذى فى آخر القوس (قوله كالشمراخ) هذا مخالف لما فى الكشاف والصحاح قال فى الكشاف العرجون عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة (قوله وايلاء حرف النفى) لا يخفى ان ماذكر حاصل لو قيل لا ينبغى للشمس أن تدرك القمر فالاولى أن يقال ان فى الايلاء المذكور تأكيدا بخلاف غيره (قوله لانه الملائم لسرعة سيره) أى السابق الملائم لسرعة سيره وهذا الكلام على تقدير أن يكون المراد من الليل والنهار القمر والشمس (قوله تعالى فى تقدير الله) قوله (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) هذا مخالف لما فى الكشاف والصحاح قال فى الكشاف العرجون عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة (قوله وايلاء حرف النفى) لا يخفى ان ماذكر حاصل لو قيل لا ينبغى للشمس أن تدرك القمر فالاولى أن يقال ان فى الايلاء المذكور تأكيدا بخلاف غيره (قوله لانه الملائم لسرعة سيره) أى السابق الملائم لسرعة سيره وهذا الكلام على تقدير أن يكون المراد من الليل والنهار القمر والشمس (قوله تعالى فى تقدير الله) (قوله كالشمراخ) هذا مخالف لما فى الكشاف والصحاح قال فى الكشاف العرجون عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة (قوله وايلاء حرف النفى) لا يخفى ان ماذكر حاصل لو قيل لا ينبغى للشمس أن تدرك القمر فالاولى أن يقال ان فى الايلاء المذكور تأكيدا بخلاف غيره (قوله لانه الملائم لسرعة سيره) أى السابق الملائم لسرعة سيره وهذا الكلام على تقدير أن يكون المراد من الليل والنهار القمر والشمس (قوله تعالى فى تقدير الله) (قوله وايلاء حرف النفى) لا يخفى ان ماذكر حاصل لو قيل لا ينبغى للشمس أن تدرك القمر فالاولى أن يقال ان فى الايلاء المذكور تأكيدا بخلاف غيره (قوله لانه الملائم لسرعة سيره) أى السابق الملائم لسرعة سيره وهذا الكلام على تقدير أن يكون المراد من الليل والنهار القمر والشمس (قوله تعالى فى تقدير الله) (قوله وايلاء حرف النفى) لا يخفى ان ماذكر حاصل لو قيل لا ينبغى للشمس أن تدرك القمر فالاولى أن يقال ان فى الايلاء المذكور تأكيدا بخلاف غيره (قوله لانه الملائم لسرعة سيره) أى السابق الملائم لسرعة سيره وهذا الكلام على تقدير أن يكون المراد من الليل والنهار القمر والشمس (قوله تعالى فى تقدير الله)

مثل الفلك (ما يركبون) من الابل فانها سفائن البر أو من السفن والزوارق (وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق أو فلا اغاثة كقولهم أتاهم الصريخ (ولا هم ينقذون) ينجون من الموت به (الا رحمة منا ومتاعا) الا لرحمة ولتمتيع بالحياة (الى حين) زمان قدر لآجالهم (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) الوقائع التى خلت او العذاب المعد فى الآخرة أو نوازل السماء ونوائب الارض كقوله أولم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض أو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أو عكسه أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر (لعلكم ترحمون) لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) كأنه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب أعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) على محاويجكم (قال الذين كفروا) بالصانع يعنى معطلة كانوا بمكة (للذين آمنوا) تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيئته (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) على زعمكم وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله تعالى لما كان قادرا أن يطعمهم ولم يطعمهم فنحن أحق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له (ان أنتم الا فى ضلال مبين) حيث أمرتمونا ما يخالف مشيئة الله ويجوز أن يكون جوابا من الله لهم أو حكاية لجواب المؤمنين لهم (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعنون وعد البعث (ما ينظرون) ما ينتظرون (الا صيحة واحدة) هى النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم أمرها كقوله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون وأصله يختصمون فسكنت التاء وأدغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرأ أبو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وأبو عمرو وقالون به مع الاختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان والتشديد وكأنه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثانى مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله (فلا يستطيعون توصية) فى شئ من أمورهم (ولا الى أهلهم يرجعون) فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم (ونفخ فى الصور) أى مرة ثانية وقد سبق تفسيره فى سورة المؤمنين (فاذا هم من الاجداث) من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء (الى ربهم ينسلون) يسرعون وقرئ بالضم (قالوا يا ويلنا) وقرئ يا ويلتنا (من بعثنا من مرقدنا) وقرئ من أهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى أهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون أنهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر وسكت حفص وحده عليها سكتة لطيفة والوقف عليها فى سائر القراآت حسن (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) مبتدأ وخبر وما مصدرية أو موصولة محذوفة الراجع أو هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف أو مبتدأ خبره محذوف أى هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون أو ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة أو المؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذى يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث وأرسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنون فانه ليس ببعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال (ان كانت) ما كانت الفعلة (الا صيحة واحدة) هى النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة (فاذا هم جميع لدينا محضرون) بمجرد تلك الصيحة وفى كل ذلك تهوين أمر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التى ينوطان بها فيما يشاهدونه (فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون) حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له فى النفوس وكذا قوله (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون) متلذذون فى النعمة

(قوله المعطلة) هم الذين نفوا وجود الصانع تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (قوله وفيه ترشيح) أى ترشيح لمرقدنا فانه مستعار من محل النوم والبعث والهبوب الذى هو الانتباه من النوم مناسب له

من الفكاهة وفى تنكيرشغل وابهامه تعظيم لماهم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على أنه أعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو فى شغل بالسكون وبعقوب فى رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز أن يكون فى شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس وانطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن فى الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات (هم وأزواجهم فى ظلال) جمع ظل كشعاب أوظلة كقباب وبؤيده قراءة حمزة والكسائى فى ظلل (على الارائك) على السرر المزينة (متكؤن) وهم مبتدأ خبره فى ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة أوخبران أومتكؤن والجار تان صلتان له أو تأكيد للضمير فى شغل أوفى فاكهون وعلى الارائك متكؤن خبرآخر لان وأزواجهم عطف على هم للمشاركة فى الاحكام الثلاثة وفى ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه (لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون) مايدعون به لانفسهم يقتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذاشوى رجل لنفسه أو مايتداعونه كقولك ارتموه بمعنى ترامود أويتمنون من قولهم ادّع على ماشئت بمعنى تمنه على أومايدعونه فى الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة أوموصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله (سلام) بدل منها أوصفة أخرى ويجوز أن يكون خبرها وخبر محذوف أومبتدأ محذوف الخبر أى ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر أوالحال أى لهم مرادهم خالصا (قولا من رب رحيم) أى يقول الله أو يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يساربهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير أوتفرقوا فى النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لايرى ولايرى (ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان) من جملة مايقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم مانصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ أعهد بكسر حرف المضارعة وأحهد وأحد على لغة بنى تميم (انه لكم عدو مبين) تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه (وأن اعبدونى) عطف على أن لاتعبدوا (هذا صراط مستقيم) اشارة الى ماعهد اليهم أوالى عبادته فالجملة استئناف لبيان المقتضى للعهد بشقيه أو بالشق الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم أوللتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له أدنى عقل ورأى والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائى بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وأبو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلاجمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحدا لاجيال (هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) ذوقوا حرها اليوم بكفركم فى الدنيا (اليوم نختم على أفواههم) تمثيل لمنعهم عن الكلام (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) باظهور آثار المعاصى عليها ودلالتها على أفعالها أوانطاق الله اياها وفى الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم (ولونشاء لطمسنا على أعينهم) لمسحنا أعينهم حتى تصير ممسوحة (فاستبقوا الصراط) فاستبقوا الى الطريق الذى اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض أو بتضمين الاستباق معنى الابتدار أوجعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع أو بالظرف (فأنى يبصرون) الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره (ولونشاء لمسخناهم) بتغيير صورهم وابطال قواهم (على مكانتهم) مكانهم بحيث يجمدون فيه

(قوله أومتكؤن) أى يكون الخبر متكؤن والجاران فى ظلال وعلى الارائك صلتان لمتكؤن (قوله أوتأكيد للضمير فى شغل الخ) أى يكون هم تأكيد الضمير المذكور وعلى الأرائك متكؤن خبرآخران قوله فى الاحكام الثلاثة التى هى فى شغل وفاكهون ومتكؤن (قوله أومايتداعون به الخ) ومعناه أن كل مايصح أن يدعوصاحبه اليها ويطلبه أحدمن صاحبه فهوحاصل (قوله ويجوز أن يكون خبرها) أى ويجوز أن يكون سلام خبرما والمعنى مايدعون لهم سلام (قوله وأحهد واحد الخ) قال الطيبى قرئ بالحاء مكان العين وبحاء مشددة على الادغام والقلب وهى لغة تميم (قوله سلوك بعض الطريق المستقيم) لان كل مايجب اعتقاده طريق مستقيم وهو أمر متعدد رأسها التوحيد (قوله لان الغنى) أصله الغنوى فعول كلدخول قلبت الواو لاجتماعهما وسكون أولهما وأدغم ثم كسر ماقبلها للجانسة

وقرأ أبو بكر مكانهم (فما استطاعوا مضيا) ذهابا (ولا يرجعون) ولا يرجعوا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل لا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتى والعتو ومضيا كصبى والمعنى انهم يكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم أحقاء بان يفعل بهم ذلك الكتمالم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم (ومن نعمره) ومن نطل عمره (ننكسه فى الخلق) نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاض بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدءا أمره وان كثيرا على هذه يشيع ضمة الهاء على أصله وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو أبلغ والنكس أشهر (أفلا يعقلون) أن من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير أنه على تدرج وقرأ نافع برواية ابن عامر وابن ذكوان ويعقوب بالتاء لجرى الخطاب قبله (وما علمناه الشعر) رد لقولهم ان محمدا شاعر أى ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فانه لا يماثله لفظا ولا معنى لانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها (وما ينبغى له) وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان أراد قرضه على ما خبرتم طبعه نحوا من أربعين سنة وقوله عليه الصلاة والسلام أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب وقوله هل أنت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت انفاق من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا فى اضاعيف المنثورات على ان الخليل ماعد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روى أنه حرك الياءين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن أى وما يصح للقرآن أن يكون شعرا (ان هو الا ذكر) عظة وارشاد من الله تعالى (وقرآن مبين) وكتاب سماوى يتلى فى المعابد ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز (لينذر) القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم وبؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء (من كان حيا) عاقلا فانهم المنتفعون بالانذار لانه المنتفع به (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) المصرين على الكفر وجعلهم فى مقابلة من كان حيا شعار بأنهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم أموات فى الحقيقة (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدى واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة فى الاختصاص والتفرد بالاحداث (أنعاما) خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطر وكثرة المنافع (فهم لها مالكون) متملكون لها بتمليكنا اياها أو متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

(وذللناها لهم) وصيرناها منقادة لهم (فمنها ركوبهم) مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهى بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمع وركوبهم أى ذو ركوبهم أو فمن منافعها ركوبهم (ومنها يأكلون) أى ما يأكلون لحمه (ولهم فيها منافع) من الجلود والاصواف والاوبار (ومشارب) من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع أو المصدر وأمال الشين ابن عامر وحده برواية هشام (أفلا يشكرون) نعم الله فى ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف أمكن التوصل الى تحصيل هذه المنافع المهمة (واتخذوا من دون الله آلهة) أشركوها به فى العبادة بعد ما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا أنه المتفرد بها (لعلهم ينصرون) رجاء أن ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانهم (لا يستطيعون نصرهم وهم لهم) لآلهتهم (جند محضرون) معدون لحفظهم والذب عنهم أو محضرون اثرهم فى النار (فلا يحزنك) فلا يهمك وقرئ بضم الياء من أحزن (قولهم) فى الله بالالحاد والشرك أو فيك بالتكذيب والتهجين (انا نعلم ما يسرون وما يعلنون) فنجازيهم عليه وكفى ذلك أن تتسلى به وهو تعليل للنهى على الاستئناف ولذلك لو قرئ أنا بالفتح على حذف لام التعليل جاز (أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) تسلية

(قوله منافاة) أى منافاه انكار الحشر مع ابتداء الخلق لان انكار الاهون يدل على انكار الاقوى (قوله أن يكون تفسير لقوله تعالى أن يقول له كن) فالمعنى ما أمره اذا أراد تكوين شئ الا تكوينه فيكون بلا توقف

ثانية بتهوين مايقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا فى الخصومة بيانا ومنافاة لجحود القدرة على ماهو أهون مما عملها فى بدء خلقه ومقابلة النعمة التى لامزيد عليها وهى خلقه من أخس شئ وأمهنه شر يفا مكرما بالعقوق والتكذيب روى أن أبى بن خلف أتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال أترى الله يحيى هذا بعد مارم فقال عليه الصلاة والسلام نعم و يبعثك و يدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا مبزمنطيق قادر على الخصام معرب عما فى نفسه (وضرب لنا مثلا) أمر اعجيبا وهو نفى القدرة على احياء الموتى أو تشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجز واعنه (ونسى خلقه) خلقنا اياه (قال من يحيى العظام وهى رميم) منكرا اياه مستبعدا له والرميم مابلى من العظام واعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشئ صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث أو بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على أن العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها فى القابلية اللازمة لذاتها (وهو بكل خلق عليم) يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم أجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة أصولها وفصولها ومواقعها وطرق تميزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض والقوى التى كانت فيها أو احداث مثلها (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر) كالمرخ والعفار (نارا) بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتقدح النار (فاذا أنتم منه توقدون) لاتشكون فى أنها نار تخرج منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع مافيه من المائية المضادة لها بكيفيتها كان أقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس و بلى وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالؤن منها البطون (أوليس الذى خلق السموات والارض) مع كبر جرمهما وعظم شأنهما (بقادر على أن يخلق مثلهم) فى الصغر والحقارة بالاضافة اليهما أومثلهم فى أصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب بقدر (بلى) جواب من الله تعالى لتقرير مابعد النفى مشعر بانه لاجواب سواه (وهو الخلاق العليم) كثير المخلوقات والمعلومات (انما أمره) انما شانه (اذا أراد شيأ أن يقول له كن) أى تكون (فيكون) فهو يكون أى يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته فى مراده بامر المطاع للمطيع فى حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائى عطفا على يقول (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للامر كله قادرا على كل شئ (واليه ترجعون) وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس رضى الله عنه كنت لاأعلم ماروى فى فضل يس كيف خصت به فاذا انه بهذه الآية وعنه عليه الصلاة والسلام ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس وأيما مسلم قرأها بريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الاجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه و يستغفرون له و يشهدون غسله و يشيعون جنازته و يصلون عليه و يشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان و يمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

﴿تم الجزء الرابع من تفسير البيضاوى و يليه الجزء الخامس وأوله سورة الصافات﴾

﴿فهرست الجزء الرابع من تفسير الامام البيضاوى﴾

صحيفة

٢ تفسير سورة مريم
٤ بيان الحكم الذى آتاه الله يحيى عليه السلام وهو صبى
٧ بيان ماذهبت اليه النسطورية والملكانية فى السيد عيسى عليه السلام
٨ بيان ماقام به ابراهيم عليه السلام مع أبيه من النصيحة والأدب
١٠ بيان مايلزم قارئ القرآن من البكاء
١٣ بيان ورود المؤمنين وغيرهم على النار
١٦ تفسير سورة طه
٢٠ بيان سبب العقدة التى كانت فى لسان سيدنا موسى عليه السلام
٢١ بيان المحبة التى أعطاها الله لسيدنا موسى فى صغره
٢٣ بيان الخطأ والنسيان واستحالتهما على الله تعالى
٢٥ بيان ماصنعته السحرة من السحر لموسى عليه السلام
٢٨ بيان أصل موسى السامرى ومافعله
٣١ بيان ما كان عليه آدم عليه السلام من الحلم
٣٤ تفسير سورة الأنبياء
٣٧ بيان الفرق بين الا الاستثنائية والتى بمعنى غير
٣٩ بيان معنى رتق الارض والسموات وفتقهما
٤٣ بيان مافعل بابراهيم عليه السلام حين رمى فى النار ومافاله
٤٤ بيان الخصومة التى عرضت على داود وسليمان وحكم كل فيها و بيان الحكم فى شرعتنا
٤٨ تفسير سورة الحج
٥٢ بيان الخلاف فى جواز بيع دور الحرم واجارتها و بسط الدليل لكل
٥٥ بيان ما كان يفعله أهل الجاهلية مع المسلمين فى ابتداء الأمر
٥٧ بيان الفرق بين النبى والرسول و بيان عدد الأنبياء
٥٨ بيان ماقيل فى الغرانيق
٦١ بيان السجدة الثانية من تلك السورة
٦٢ تفسير سورة المؤمنون
٦٦ بيان ما فى عصا موسى عليه السلام من الآيات
٦٩ بيان معنى فساد السموات عند اتباع الحق الاهواء
٧٣ تفسير سورة النور
٧٤ بيان معنى الاحصان و بيان الخلاف فى ان التائب عن القذف تقبل شهادته أم لا
٧٥ بيان أسباب حديث الافك
٧٦ بيان ان القاذف لأزواج النبى هل له توبة أم لا
٧٧ بيان الاربعة الذين رأهم الله

صحيفة

٧٨ بيان مايجوز اظهاره للمرأة من زينتها و بدنها
٧٩ بيان الكتابة للارقاء
٨٠ بيان معنى النور ووجه اطلاقه على الله تعالى
٨٣ بيان ماقيل فى المطر والسحاب والبرد والثلج
٨٨ تفسير سورة الفرقان
٩٢ بيان السبب فى احباط أعمال الكفار
٩٧ بيان السبب الذى بدعو الى التوكل
١٠٠ تفسير سورة الشعراء
١٠٢ بيان ان الواجب تعالى لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية
١٠٥ بيان ان الموت لاهل الكمال وصلة الى نيل المجاب
١١٠ بيان ان المعانى الروحانية تتنزل أولا على الروح ثم منها الى القلب ثم منه الى الدماغ
١١٢ تفسير سورة النمل
١١٤ بيان ما أوتيه سليمان عليه السلام من معرفة منطق الطير
١١٥ بيان السبب فى تفقد سليمان الطير حتى علم بغياب الهدهد
١١٧ بيان ان احضار عرش بلقيس من المعجزات
١٢١ بيان الدابة التى تخرج آخر الزمان تكلم الناس
١٢٣ تفسير سورة القصص
١٢٥ بيان المدينة التى دخلها موسى عليه السلام
١٢٦ بيان الشروط التى جرى عقد زواج موسى عليها
١٣٠ بيان معنى الاختيار
١٣٢ بيان نسب قارون وأسباب حسده
١٣٤ تفسير سورة العنكبوت
١٤٠ بيان معنى المجادلة بالتى هى أحسن
١٤٢ تفسير سورة الروم
١٤٤ بيان ان آية فسبحان الله جامعة للصلوات الخمس و بيان فضلها
١٤٩ بيان الأسباب التى تقتضى عدم التوكل
١٥٠ تفسير سورة لقمان
١٥١ بيان نسب لقمان ومعنى الحكمة
١٥٤ تفسير سورة السجدة
١٥٧ تفسير سورة الاحزاب
١٥٨ بيان معنى كون النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم
١٥٩ بيان غزوة الخندق
١٦١ بيان غزوة بنى قريظة

صحيفة

١٦٤ بيان زواجه صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش
١٦٧ بيان وجوب الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم
١٦٩ تفسير سورة سبأ
١٧١ بيان معنى تسبيح الجبال والطير مع داود عليه السلام
١٧٢ بيان كيفية موت سليمان عليه السلام ومافيه من الايات
... بيان نسب سبأ ومسكنهم
١٧٣ بيان مافعل بسبأ وتخريب ديارهم
١٧٨ تفسير سورة فاطر
١٨٤ تفسير سورة يس
١٨٥ بيان رسل عيسى عليه السلام الى انطاكية ومافعلوه
١٨٧ بيان العذاب الذى فعل بأصحاب القرية

(تمت)

الجزء الخامس

من التفسير المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل تأليف امام
المحققين وقدوة المدققين القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله
ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي وهو نسبة
الى قرية يقال لها البيضاء من أعمال شيراز
توفي سنة احدى وتسعين وسبعمائة
رحمه الله وأسكنه من
الفردوس أعلاه
آمين

﴿ وبهامشه حاشية العلامة الفاضل أبي الفضل القرشي الصديقي
الخطيب المشهور بالكازروني رحمه الله آمين ﴾

﴿ قد قرر المجلس الاعلى بالازهر تدريس هذا الجزء ﴾
﴿ لطلبة السنة العاشرة ﴾

(طبع بمطبعة)

دار الكتب العربية الكبرى

﴿ على نفقة أصحابها ﴾
﴿ مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكري وعيسى ﴾
﴿ بمصر ﴾

﴿سورة والصافات﴾ (قوله أو بطوائف الاجرام الى آخره) لايظهر معنى الزجر فى هذا الوجه ويمكن أن يقال تدبير الارواح الاجرام والارواح هى الزاجرة لها والارواح (٢) وان كانت أفضل من الاجرام لكن الصف أفضل من الزجر (قوله غير انه الى آخره) أى الفاء فى قوله فالزاجرات فالتاليات عكس الفاء فى قوله فالمقصرين لفضل المحلق بالاجماع وما فى الآية بالعكس لان الصف فى مقام العبودية وهى تفيض عليهم الانوار الالهية أنزل من الزجر والزجر أنزل من التلاوة أما أفضلية الثانى عن الاول فلان التكميل زيادة على الكمال وأما أفضلية الثالث عن الثانى فباعتبار ان تدبير أمور العالم أدون من التلاوة المذكورة وههنا موضع نظر ولذا قال صاحب الكشاف انك اذا أجريت هذه الاوصاف على الملائكة وجعلتها جامعين لها فعطفها مفيد ترسالها فى الفضل اما أن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذا ان أردت العلماء والقراء (قوله لو لم تختلف الى آخره) فاذا كان الشمس يطلع فى الدرجة الثلاثين من القوس مثلا كان لها مشرق معين فلو كان زمان انتقالها من أول الدرجة المذكورة الى آخرها مثل انتقالها من أول درجة الجدى الى آخرها كانت اذا طلعت من آخر تلك الدرجة يكون لها ذلك المشرق المذكور فاما اذا لم يكن الزمانان مثلين لم يكن طلوعها اذا كانت فى آخر الدرجة المذكورة من ذلك المشرق المعين بل من مشرق أقرب الى مشرق رأس الجدى اذا كان الزمان الثانى أطول ومن مشرق أبعد منه اذا كان أقل كل ذلك يظهر بالتخيل الصحيح (قوله أو بزينة هى الى

اهل

﴿سورة الصافات مكية وآيها مائة واثنتان وثمانون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) أقسم بالملائكة الصافين فى مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور به فيها أو الناس عن المعاصى بالهام الخير أو الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على أنبيائه وأوليائه أو بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة فى بحار القدس يسبحون الليل والنهار لايفترون أو بنفوس العلماء الصافين فى العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه أو بنفوس الغزاة الصافين فى الجهاد الزاجرين الخيل أو العدو التالين ذكر الله لايشغلهم عنه مباراة العدو والعطف لاختلاف الذوات أو الصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله

يالهف زيابة للحارث الصـ * ـابح فالغانم فالآيب

فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر أو الاشاقة الى قبول الخير والتلاوة افاضته أو الرتبة كقوله عليه الصلاة والسلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير أنه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا للعكس وأدغم أبو عمرو وحمزة التاآت فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان وأصول الثنايا (ان الهكم لواحد) جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ماهو المألوف فى كلامهم وأما تحقيقه فبقوله تعالى (رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدته على مامر غير مرة ورب بدل من واحد أو خبر ثان أو خبر محذوف وما بينهما يتناول أفعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب أو مشارق الشمس فى السنة وهى ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم فى واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة وأبلغ فى النعمة وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف أوقات الانتقال (انا زينا السماء الدنيا) القربى منكم (بزينة الكواكب) بزينة هى الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه أو بزينة هى لها كاضوائها وأوضاعها أو بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة أبى بكر بالتنوين والنصب على الاصل أو بأن زينتها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت فى الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات فى الست المتوسطة بينها وبين السماء الدنيا ان تحقق لم يقدح فى ذلك فان

أهل الارض يرونها بامرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة (وحفظا) منصوب باضمار فعله أوالعطف على زينة باعتبار المعنى كأنه قال اخلقنا الكواكب زينة للسماء الدنيا وحفظا (من كل شيطان مارد) خارج من الطاعة يرمى الشهب (لايسمعون الى الملا الاعلى) كلام مبتدأ لبيان حالهم بعد ماحفظ السماء عنهم ولايجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضى أن يكون الحفظ من شياطين لايسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما فى جئتك أن تكرمنى ثم حذف أن واعدارها كقوله * ألا أيهذا لزاجرى أحضر الوغى * فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتوهم بلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص بالتشديد من التسمع وهو طلب السماع والملأ الاعلى الملائكة أوأشرافهم (ويقذفون) ويرمون (من كل جانب) من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده (دحورا) علة أى للدحور وهو الطرد أومصدر لانه والقذف متقاربان أوحال بمعنى مدحورين أو منزوع عنه الباء جمع دحر وهو مايطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل أيضا أن يكون مصدرا كالقبول أوصفة له أى قذفا دحورا (ولهم عذاب) أى عذاب آخر (واصب) دائم أو شديد وهو عذاب الآخرة (الامن خطف الخطفة) استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها وأصلهما اختطف (فاتبعه شهاب) اتبع بمعنى تبع والشهاب مايرى كأن كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتحميين ان صح لم ينف ذلك اذ ليس فيه مايدل على انه ينقض من الفلك ولا فى قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل فى الجو العالى فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كأنه على سطحه ولايبعد أن يصير الحادث كما ذكر فى بعض الاوقات رجما للشياطين تتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روى ان ذلك حدث بميلاد النبى عليه الصلاة والسلام ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه أومصيره دحورا واختلف فى أن المرجوم يتأذى به فيرجع أو يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لايصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لايرتدعون عنه رأسا ولايقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع أن النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها (ثاقب) مضىء كأنه يثقب الجو بضوئه (فاستفتهم) فاستخبرهم والضمير لمشركى مكة أولبنى آدم (أهم أشد خلقا أم من خلقنا) يعنى ماذكر من الملائكة والسماء والارض ومابينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب وممن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ أم من عددنا وقوله (انا خلقناهم من طين لازب) فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود وان المراد اثبات المعاد ورد استحالته والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء

آخره) عطف على قوله فالاضافة للبيان والمعنى الاضافة للبيان أو بمعنى اللام (قوله فانه يقتضى الى آخره) وهو غير مناسب اذلا حاجة الى الحفظ من شياطين لايسمعون ثم انه بوهم انه ليس الحفظ من شياطين يريد أن يسمعوا (قوله مبالغة لنفيه وتهويلا) أما المبالغة فلانه يفيد انهم اذا أصغوا لايسمعون وأما التهويل فلانه اذا كانوا مع اصغائهم لايسمعون يدل على وجود مانع عظيم يمنعهم من السماع (قوله اذ ليس فيه مايدل على انه ينقض من الفلك) فان قيل قوله (٣) وحفظا من كل شيطان مارد يدل على انه ينقض من الفلك قلنا هو أيضا لايدل عليه اذ يجوز أن تكون الكواكب رجما لمارد ة الشياطين بالبخار الصاعد الى الاثير مع انه يحتمل أن يكون طردهم الشياطين لا بالانقضاض ولا بالشهب بل بطريق آخر وليس فى القرآن نص عليه (قوله فان كل نير الى آخره) غرضه دفع سؤال يمكن ايراده وهو أن قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما يدل على ان المصابيح التى هى الكواكب هى نفس الرجوم وقوله فأتبعه شهاب ثاقب يدل على أن الكواكب غير الرجوم بل من أمور حاصلة من الكواكب فاجاب بانه يحتمل أن يراد من المصابيح غير الكواكب بل الانوار الحاصلة فى الجو من الشهب وغيرها فقد تكون المصابيح نفس الشهب (قوله ولا يبعد الى آخره) معناه انه يمكن ان تصير الشهب رجوما

للشياطين فى بعض الاوقات أى لايستلزم أن تكون فى كل وقت رجوما بل فى بعض الاوقات (قوله لكن قد يصيب الى آخره) يفيد انه لم يصب الشيطان ولم يحترق فى كل وقت اذ لو كان أحدهما لازما لما عادوا الى الصعود (قوله ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك الى آخره) أى يدل على ان المراد بمن خلقنا ماذكر نا لالاعم المتقدمة عليهم اطلاق خلقنا وكذا يدل عليه مجىء هذا الكلام بعد ماذكر من الملائكة والسماء والارض ومابينهما (قوله وأن المراد اثبات المعاد الى آخره) أى ولان المراد من هذا الكلام اثبات المعاد وهم كما ينكرون

وتقرير ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعتراضهم بحدوث العالم أو بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط موقعة فلزمهم أن يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل ومن قدر على خلق هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بدؤهم أولا وقدرته ذاتية لا تتغير (بل عجبت) من قدرة الله تعالى وانكارهم للبعث (ويسخرون) من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء أي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائق ان تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها أو عجبت من أن ينكر البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل أو على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول أي قل يا محمد بل عجبت (واذا ذكروا لا يذكرون) واذا وعظوا بشيء لا يتعظون به أو اذا ذكرهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم (واذا رأوا آية) معجزة تدل على صدق القائل به (يستسخرون) يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها (وقالوا ان هذا) يعنون ما يرونه (الا سحر مبين) ظاهر سحريته (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) أصله أنبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بأن البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة أشد استنكارا فهو أبلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية (أو آباؤنا الاولون) عطف على محل ان واسمها أو على الضمير في مبعوثون فانه مفصول منه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع برواية قالون وابن عامر الواو على معنى التردد (قل نعم وأنتم داخرون) صاغرون وانما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال أي الله أو الرسول وقرأ الكسائي وحده نعم بالكسر وهو لغة فيه (فانما هي زجرة واحدة) جواب شرط مقدر أي اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة أي صيحة واحدة وهي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وأمرها في الاعادة كأمرك في الابداء ولذلك رتب عليها (فاذا هم ينظرون) فاذا هم قيام من مراقدهم أحياء يبصرون أو ينتظرون ما يفعل بهم (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين) اليوم الذي نجازى بأعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله (هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون) جواب الملائكة وقيل هو أيضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء أو الفرق بين المحسن والمسيء (احشروا الذين ظلموا) أمر الله للملائكة أو أمر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم (وأزواجهم) وأشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة أو نساءهم اللاتي على دينهم أو قرناءهم من الشياطين (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه دليل على أن الذين ظلموا هم المشركون (فاهدوهم الى صراط الجحيم) فعرفوهم طريقا يسلكونها (وقفوهم) احبسوهم في الموقف (انهم مسؤلون) عن عقائدهم وأعمالهم والواو لا توجب الترتيب مع جواز أن يكون موقفهم متعددا (مالكم لا تناصرون) لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع (بل

كلام آخر كما قال صاحب المغني في قوله تعالى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا ان بل هذه حرف ابتداء لا عاطفة (قوله فقدموا الظرف وكرروا الهمزة الى آخره) فتقديم الظرف يدل على خصوص استنكاره في هذا الوقت وهو وقت الموت وصيرورتهم الى التراب والعظام وتكرير الهمزة الانكارية مبالغة في لانكار (قوله أي اذا كان كذلك الى آخره) أي اذا كان البعث بقدرتنا فالبعثة زجرة واحدة لا حاجة الى تعدد وتدريج كما هو شأنه في تكوين الاشياء (قوله كقوله وكنتم أزواجا ثلاثة) أي ليس المراد من أزواج الذين ظلموا بل المراد الاصناف الذين هم مقارنة مع أصناف فكل صنف يذكر مع صنف آخر زوجه فان الازواج الثلاثة المذكورة في القرآن وهم أصحاب اليمين وأصحاب الشمال والسابقون أزواج بهذا المعنى (قوله والواو لا توجب الترتيب) أي لا يفهم منه ان الوقوف للسؤال بعد الهداية الى صراط الجحيم بل يجوز أن يكون قبله (قوله توبيخ الى آخره) المراد من التوبيخ التخويف وهذا الكلام فيه تخويف لوقوع العذاب عليهم وتعريض لما عملوا في الدنيا من قبائح الاعمال وتناصرهم فيها والتقريع ظاهر

هم

(قوله للتوبيخ) المراد من هذا التوبيخ اللوم (قوله فمن أغواهم) أى فمن أغوى

هم اليوم مستسلمون) منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم وأصل الاستسلام طلب السلامة أومتسلمون كما نه يسلم بعضهم بعضا ويخذله (وأقبل بعضهم على بعض) يعنى الرؤساء والاتباع أوالكفرة والقرناء (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون (قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) عن أقوى الوجوه وأيمنها أوعن الدين أوعن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذى هو أقوى الجانبين وأشرفهما وأنفعهما ولذلك سمى يمينا وتيمن بالسانح أوعن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال أوعن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين) أجابهم الرؤساء أولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين فى أنفسهم وثانيا بأنهم ما أجبروهم على الكفر اذلم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان (فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين) ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم فى العذاب كان أمرا مقضيا لامحيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغى لانهم كانوا على الغى فاحبوا أن يكونوا مثلهم وفيه ايماء بأن غوايتهم فى الحقيقة ليست من قبلهم اذلو كان كل غواية لاغواء غاوفمن أغواهم (فانهم) فان الاتباع والمتبوعين (يومئذ فى العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين فى الغواية (انا كذلك) مثل ذلك الفعل (نفعل بالمجرمين) بالمشركين لقوله تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) أى عن كلمة التوحيد أوعلى من يدعوهم اليه (ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) ردعليهم بأن ماجاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون (انكم لذائقو العذاب الاليم) بالاشراك وتكذيب الرسل وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله * ولاذاكرالله الاقليلا * وهو ضعيف فى غير المحلى باللام وعلى الاصل (وما تجزون الا ما كنتم تعملون) الا مثل ما عملتم (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع الا أن يكون الضمير فى تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع أيضا بهذا الاعتبار (أولئك لهم رزق معلوم) خصائصه من الدوام أوتمحض اللذة ولذلك فسره بقوله (فواكه) فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذى والقوت بالعكس وأهل الجنة لما أعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت أرزاقهم فواكه خالصة (وهم مكرمون) فى نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا (فى جنات النعيم) فى جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف أوحال من المستكن فى مكرمون أوخبرثان لأولئك وكذلك (على سرر) يحتمل الحال والخبر فيكون (متقابلين) حالا من المستكن فيه أوفى مكرمون وأن يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون (يطاف عليهم بكأس) بإناء فيه خمر أوخمر كقوله

* وكأس شربت على لذة * (من معين) من شراب معين أونهر معين أى ظاهر للعيون أوخارج من العيون وهو صفة للماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجرى كالماء أولالشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من أنواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله (بيضاء لذة للشاربين) وهما أيضا صفتان للكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة أولانها تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال

ولذ كطعم الصرخدى تركته * بأرض العدا من خشية الحدثان

(لافيها غول) غائلة كما فى خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا أفسده ومنه الغول (ولاهم عنها

الاولين كقوله عليه السلام فمن أعدى الاول (قوله على الاصل) عطف على تقدير النون أى قرئ بنصب العذاب واظهار النون وهو لذائقون العذاب الاليم (قوله والمنقطع أيضا بهذا الاعتبار) أى هو أيضا باعتبار المماثلة اذ المعنى لكن عباد الله المخلصين ليس جزاؤهم بالمثل بل بالامثال (قوله فكانت أرزاقهم فواكه خالصة) فيه بحث فانه تعالى قال فى سورة الواقعة فى صفة السابقين ان لهم فاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون فلم يكن رزقهم فواكه خالصة والجواب أن المراد من الفاكهة ههنا ما يقصد للتلذذ دون التغذى ولحم الطير الحاصل لهم فى الجنة كذلك اذ لا تحتاج أبدانهم الى الغذاء لعدم التحلل كما ذكروا أما الفاكهة المذكورة فى الواقعة فهو ما يشبه الفواكه فى الدنيا بوجه ويكون المقابل للحم فلا اشكال حينئذ (قوله فيكون حالا) أى متقابلين حالا من الضمير المذكور (قوله كالماء) وهو كونها مبصرة فان ابصار الاشربة مطلوب وكذا البياض من جملة الكمال لان ما هو أبيض كان أصفى (قوله الصرخدى) شراب منسوب الى الصرخد وهو أرض بالشام

يترفون) يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله أفرده بالنفي وعطفه على مايعمه لانه من اعظم فساده كأنه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي وتابعهما عاصم في الواقعة من أنزف الشارب اذا نفد عقله أوشرابه وأصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها (وعندهم قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن (عين) نجل العيون جمع عيناء (كأنهن بيض مكنون) شبههن ببيض النعام المصون عن الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه أحسن ألوان الابدان (فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون) معطوف على يطاف عليهم أي يشربون فيتحادثون على الشراب قال

وما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام

والتعبير عنه بالماضي للتأكيد فيه فانه ألذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وماجرى لهم وعليهم في الدنيا (قال قائل منهم) في مكالمتهم (اني كان لي قرين) جليس في الدنيا (يقول أئنك لمن المصدقين) يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء (قال) أي ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) الى أهل النار لارى كم ذلك القرين وقيل القائل هو الله أو بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لارى كم ذلك القرين فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم وعن أبي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الألف على أنه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان أدب المجالسة يمنع الاستبداد به أو خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله * هم الآمرون الخير والفاعلونه * أوشبه باسم الفاعل بالمضارع (فاطلع) عليهم (فرآه) أي قرينه (في سواء الجحيم) وسطه (قال تالله ان كدت لتردين) لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين وان هي المخففة واللام هي الفارقة (ولولا نعمة ربي) بالهداية والعصمة (لكنت من المحضرين) معك فيها (أفما نحن بميتين) عطف على محذوف أي أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين أي بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين (الا موتتنا الاولى) التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع (وما نحن بمعذبين) كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له أو معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله أو تبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ (ان هذا لهو الفوز العظيم) يحتمل أن يكون من كلامهم وأن يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ماهم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب (لمثل هذا فليعمل العاملون) أي لنيل مثل هذا يجب أن يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو أيضا يحتمل الامرين (أذلك خير نزلا أم شجرت الزقوم) شجرة ثمرها نزل أهل النار وانتصاب نزلا على التمييز والحال وفي ذكره دلالة على أن ماذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة مايقام للنازل ولهم وراء ذلك ماتقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة (انا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم في الآخرة أو ابتلاء في الدنيا فلهم لما سمعوا أنها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق (انها شجرة تخرج في أصل الجحيم) منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها) حملها مستعار من طلع النخل لشارك ته اياه في الشكل أو الطلوع من الشجر (كأنه رؤس الشياطين) في تناهي القبح والهول وهو

(قوله نجل) بالتحريك سعة شق العين (قوله سبب اطلاعه) فيكون اطلاعا بمنزلة الاطلاع بتشديد الطاء فيكون المعنى يالملائكة الله هل أنتم مطلعي على حال قريني فاطلع أنا عليه (قوله على وضع المتصل الى آخره) أي الاصل أن يقال فقال هل أنتم مطلعون اياي فعدل عنه الى مطلعوني (قوله أو معاودة) بالرفع معطوف على قوله تمام كلامه (قوله بحتمل الامرين) أي يحتمل أن يكون من كلامهم وان يكون كلام الله (قوله طلعها جاها) الجل بالفتح ما كان في بطن أو على رأس شجرة (قوله ولعلها) أي لعل الحيات سميت بالشياطين لقبح المنظر لانها في الاصل موضوعة لما

تشبيه بالتخييل كتشبيه الفائق الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها أعراف ولها اسميت بها لذلك (فانهم لآكلون منها) من الشجرة أو من طلعها (فمالئون منها البطون) لغلبة الجوع أو الجبر على أكلها (ثم ان لهم عليها) أي بعد ما شبعوا منها وغابهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز أن يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة (لشوبا من حميم) لشرابا من غساق أو صديد مشوبا بأشياء حميم يقطع أمعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر سمي به (ثم ان مرجعهم) مصيرهم (لالى الجحيم) الى دركاتها والى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها فالقولة تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما تورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده أنه قرئ ثم ان منقلبهم (انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يزعجون على الاسراع على آثارهم وفيه اشعار بأنهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك (أكثر الاولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء أنذروهم من العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) من الشدة والفظاعة (الا عباد الله المخلصين) الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح أي الذين أخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمقصود خطاب قومه فانهم أيضا سمعوا أخبارهم ورأوا آثارهم (ولقد نادانا نوح) شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها أي ولقد دعانا حين أيس من قومه (فلنعم المجيبون) أي فأجبناه أحسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) من الغرق أو أذى قومه (وجعلنا ذريته هم الباقين) اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيامة اذ روي أنه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وأزواجهم (وتركنا عليه في الآخرين) من الامم (سلام على نوح) هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء (في العالمين) متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين جميعا (انا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بأنه مجاز له على احسانه (انه من عبادنا المؤمنين) تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة أمره (ثم أغرقنا الآخرين) يعني كفار قومه (وان من شيعته) ممن شايعه في الايمان وأصول الشريعة (لابراهيم) ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع أو غالبها وكان بينهما ألفان وستمائة وأربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح (اذ جاء ربه) متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة أو بمحذوف هو اذكر (بقلب سليم) من آفات القلوب أو من العلائق خالص لله أو مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفا اياه (اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون) بدل من الاولى أو ظرف لجاء أو سليم (أئفكا آلهة دون الله تريدون) أي اتريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم أن يقرر أنهم على الباطل ومعنى أمرهم على الافك ويجوز أن يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على أنها افك في نفسها للمبالغة أو المراد بها عبادتها بحذف المضاف أو حالا بمعنى آفكين (فما ظنكم برب العالمين) بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته أو أشركتم به غيره أو أمنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته أو يجوز الاشراك به أو يقتضي الامن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله (فنظر

(قوله جيء به على الحكاية) أي تركنا عليه في الآخرين هذا القول وهو سلام على نوح (قوله متعلق بالجار والمجرور) أي بيان وله فائدة اذ الآخرون يمكن أن يفهم منه الاناث الآخرون فلا يعم الملائكة والجن واذا قيل في العالمين علم عموم سلامه في جميع العالمين (قوله من السليم بمعنى اللديغ) أي السليم في الاصل بمعنى اللديغ استعمل ههنا في لازمه الذي هو الحزن (قوله فقدم المفعول للعناية) أي قدم المفعول به وهو الهمزة للعناية ثم قدم المفعول له وهو افكا على المفعول به للاهتمام

نظرة فى النجوم) فرأى مواقعها واتصالاتها أوفى علمها أوفى كلها ولا منع منه مع أن قصده ايهامهم وذلك حين سألوه أن يعيد معهم (فقال انى سقيم) أراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على أنه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان أغلب أسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى أو أراد انى سقيم القلب لكفركم أو خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قاتل من يخلومنه أو بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد

فدعوت ربى بالسلامة جاهدا * ليصحنى فاذا السلامة داء

(فتولوا عنه مدبرين) هاربين مخافة العدوى (فراغ الى آلهتهم) فذهب اليها فى خفية من روغة الثعلب وأصله الميل بحيلة (فقال) أى للاصنام استهزاء (ألا تأكلون) يعنى الطعام الذى كان عندهم (مالكم لا تنطقون) بجوابى (فراغ عليهم) فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه (ضربا باليمين) مصدر لراغ عليهم لانه فى معنى ضربهم أو لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعى قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن أصنامكم (فاقبلوا اليه) الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعد ما رجعوا فرأوا أصنامهم مكسرة و بحثوا عن كاسرها فظنوا أنه هو كما شرحه فى قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية (يزفون) يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من أزفه أى يحملون على الزفيف وقرئ يزفون أى يزف بعضهم بعضا و يزفون من وزف يزف اذا أسرع و يزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه (قال أتعبدون ما تنحتون) ما تنحتونه من الاصنام (والله خلقكم وما تعملون) أى وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من أعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد أو عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون أو انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى فهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك و بهذا المعنى تمسك أصحابنا على خلق الاعمال وهلم أن يرجعوه على الاولين لما فيهما من حذف أو مجاز (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) فى النار الشديدة من الجمة وهى شدة التأجج واللام بدل الاضافة أى فى جحيم ذلك البنيان (فأرادوا به كيدا) فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم (فجعلناهم الاسفلين) الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما (وقال انى ذاهب الى ربى) الى حيث أمرنى ربى وهو الشام أو حيث أتفرغ فيه لعبادته (سيهدين) الى ما فيه صلاح دينى أو الى مقصدى وانما قاله القول لسبق وعده أو لفرط توكله أو البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه الصلاة والسلام حين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع (رب هب لى من الصالحين) بعض الصالحين يعينى على الدعوة والطاعة و يؤنسنى فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله (فبشرناه بغلام حليم) بشر بالولد و بأنه ذكر يبلغ أوان الحلم فان الصبى لا يوصف بالحلم و يكون حليما وأى حلم مثل حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما الصلاة والسلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه (فلما بلغ معه السعى) أى فلما وجد و بلغ أن يسعى معه فى أعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعى لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن معا كأنه قال فلما بلغ السعى فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب أكمل فى الرفق والاستصلاح

(قوله على انه مشارف للسقم) انما فسره بذلك لان السقم بالفعل لا حاجة له الى الاستدلال بالنظر فى النجوم (قوله لئلا يخرجوه) أى كلامه المذكور وان كان غير مطابق للواقع لكن فيه مصلحة توجب حسنه (قوله أو أراد الى آخره) على هذه التقادير خرج عن الكذب قطعا لانها كلها أمور واقعة (قوله كفى بالسلامة داء) اذ السلامة بعدها الموت (قوله لما فيهما من حذف أو مجاز) فعلى الاول وهو أن يكون ما موصولا يلزم الحذف وهو الضمير وعلى الثانى وهو أن يكون ما مصدرية والعمل بمعنى المعمول يلزم المجاز

له فلا يستسعيه قبل أوانه أو لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة (قال يابنى) وقرأ حفص بفتح الياء (انى أرى فى المنام أنى أذبحك) يحتمل أنه رأى ذلك وانه رأى ماهو تعبيره وقيل انه رأى ليلة التروية أن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما أصبح روى أنه من الله أو من الشيطان فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر أن المخاطب اسمعيل عليه السلام لانه الذى وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعده معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه الصلاة والسلام أنا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر أبوه عبد الله فان جده عبد المطلب نذر أن يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم أو بلغ بنوه عشرة فلما سهل أقرع فخرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قربانا الكبش معلقا بين بالكعبة حتى احترق فامعها فى أيام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وماروى أنه عليه الصلاة والسلام سئل أى النسب أشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالصحيح أنه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوى وماروى أن يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الياء فيهما (فانظر ماذا ترى) من الرأى وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فينزل من بلاء الله فيثبت قدمه من جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائى ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحهما وأبو عمرو بميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها (قال يأبت) وقرأ ابن عامر بفتح التاء (افعل ماتؤمر) أى ماتؤمر به فحذف ادغمة أو على الترتيب كما عرفت أو أمرك على ارادة المأمور به والاضافة الى المأمور أو لعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه ما مورا به أو علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به فى المنام دون اليقظة لتكون مبادرتهما الى الامتثال أدل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على الذبح أو على قضاء الله وقرأ نافع بفتح الياء (فلما أسلما) استسلما لامر الله أو سلما الذبيح نفسه وابراهيم ابنه وقد قرئ بهما وأصلها سلم هذا للفلان اذا خلص له فانه سلم من أن ينازع فيه (وتله للجبين) صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو أحد جانبى الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته لئلا يرى فيه تغير ا رق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى أو فى الموضع المشرف على مسجده أو المنحر الذى ينحر فيه اليوم (وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روى أنه أمر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيطه المقال من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما أنعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق بما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك (انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالذبح لقوله يأبت افعل ماتؤمر ولم يحصل (ان هذا لهو البلاء المبين) الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص من غيره أو المحنة البينة الصعوبة فانه لا أصعب منها (وفديناه بذبح) بما يذبح بدله فيتم به الفعل (عظيم) عظيم الجثة سمين أو عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبى وأى نبى من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة

(قوله والباقون بفتحها) أى الباقون بفتح الباء وأبو عمرو بفتحها وبميل الى آخره وانما ذكر بصيغة المضارع لكون صيغة المضارع دالة على الاستمرار (قوله وقد قرئ بهما) أى قرئ استسلما وسلما (قوله وتله للجبين) وتله لوصول الجبين الى الارض كما فى قوله تعالى يخرون للاذقان سجدا (قوله بالعزم الى آخره) يعنى أن المقصود من الامر المذكور العزم لاقطع الحاق وزهوق الروح اذ هما ليسا فى قدرة ابراهيم وانما هما بقدرة الله تعالى فالمقصود من أمر الله ابراهيم وما ذكر من المقدمات

(قوله على التجوز فى الفداء أو الاسناد) أما التجوز فى الفداء فلان الفداء هو التخليص عن الذبح بعوض ولا يخفى ان المراد من الذبح ههنا امرار السكين على الحلق ومقدمات الذبح لا الذبح الحقيقى لانه لا قدرة لابراهيم عليه والذبح بهذا المعنى قد حصل فالفداء لا يكون بمعناه الحقيقى وأما التجوز فى الاسناد فلما ذكرمن ان الفادى حقيقة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفى بعض النسخ على التجوز فى الفداء

والاسناد ووجهه انه لما كان الله تعالى هو المعطى له والآمر به يمكن ان يتجوز فى الفداء فيقال فديناه بمعنى خلصناه وان يجعل الفداء بمعناه ويجعل الاسناد مجازا ولو توضيح الغرض ان يقال يمكن ان يكون فى علم الله انه لو لم يفد اسماعيل بالذبح المذكور لوقع الذبح حقيقة عليه ففداؤه تخليصه عن الذبح هذا كله اذا كان الفداء هو التخليص عن الذبح بعوض كما قاله صاحب الكشاف وأما اذا فسر بجعل الشئ مكان غيره لدفع الضرر فالفداء عنه بالذبح حقيقة لانه تخليص عن الضرر به ببدل (قوله وليس فيه مايدل عليه) لان ابراهيم أمر بذبح الولد ثم أمر بذبح الشاة عوضا عن ابنه فكلاهما من أمر الله تعالى لكن النذر بشئ يكون من الشخص نفسه ولا ينعقد لانه حرام فلا يجبر بعوض (قوله بل الشرط الخ) وههنا كذلك لان تعاق البشارة باسحق للاعتبار والمقصود بالنبوة والصلاح وهو كونهما مقدرين مقضيين والبشارة مقترنة بتقديرهما وقضائهما وان لم يكن اسحاق موجودا (قوله ولا حاجة الى تقدير مضاف) هذا رد على الكشاف حيث قدر ماذكر لتصحيح الكلام (قوله ومن فسر الغلام) أى الغلام فى قوله تعالى وبشرناه بغلام حليم باسحاق الخ أى من قال ان الآيات المتقدمة فى بيان حال اسحاق وكونه ذبيحا فسر البشارة بامر تحقق بالبشارة بنبوته (قوله وايماء بانه الغاية لها) أى الصلاح غاية النبوة لان المقصود منها الكمال والتكميل وكلاهما صلاح

وقيل وعلا أهبط عليه من ثبير وروى أنه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فصارت سنة والفادى على الحقيقة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانما قال وفديناه لان الله المعطى له والآمر به على التجوز فى الفداء أو الاسناد واستدل به الحنفية على أن من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه مايدل عليه (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم) سبق بيانه فى قصة نوح عليه السلام (كذلك نجزى المحسنين) اعلم طرح عنه انا كتفاء بذكره مرة فى هذه القصة (انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) مقتضايا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقع حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذى الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال ولا حاجة الى تقدير مضاف بجعل عامل الحالين مثل وبشرناه بوجود اسحق أى بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرون خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد ومن فسر الذبيح باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفى ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق (وباركنا عليه) على ابراهيم فى أولاده (وعلى اسحق) بان أخرجنا من صلبه أنبياء بنى اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب وأفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا (ومن ذريتهما محسن) فى عمله أو الى نفسه بالايمان والطاعة (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصى (مبين) ظاهر ظلمه وفى ذلك تنبيه على أن النسب لا أثر له فى الهدى والضلال وأن الظلم فى أعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب (ولقد منناعلى موسى وهرون) أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية (ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم) من تغلب فرعون أو الغرق (ونصرناهم) ثم الضمير لهما مع القوم (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ فى بيانه وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) الطريق الموصل الى الحق والصواب (وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) سبق مثل ذلك (وان الياس لمن المرسلين) هو الياس بن ياسين سبط هرون أخى موسى بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادرس وادراس مكانه وفى حرف أبى رضى الله عنه وان ايليس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس (اذ قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله (أتدعون بعلا) أتعبدونه أو أتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد الذى يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى أتدعون بعض البعول (وتذرون أحسن الخالقين) وتتركون عبادته وقد أشار فيه الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله (الله ربكم وربّ آبائكم الاولين) وقرأ حمزة والكسائى وبعقوب وحفص بالنصب على البدل (فكذبوه فانهم لمحضرون) أى فى العذاب وانما أطلقه اكتفاء منه بالقرينة أولان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا (الا عباد الله المخلصين) مستثنى

مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى (وتركنا عليه في الآخرين سلام على ال ياسين) لغة في الياس كسينناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو وأتباعه كالمهلبيين لكن فيه أن العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام أو للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجميين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين أبا الياس وقيل محمد عليه الصلاة والسلام أو القرآن أو غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله (انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) اذ الظاهر أن الضمير لالياس (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين) سبق بيانه (وانكم) يا أهل مكة (لتمرون عليهم) على منازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه (مصبحين) داخلين في الصباح (وبالليل) أي ومساء أو نهارا وليلا لعلمها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء (أفلا تعقلون) أفليس فيكم عقل تعتبرون به (وان يونس لمن المرسلين) وقرئ بكسر النون (اذ أبق) هرب وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه (الى الفلك المشحون) المملوء (فساهم) فقارع أهله (فكان من المدحضين) فصار من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر روى أنه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق وري بنفسه في الماء (فالتقمه الحوت) فابتلعه من اللقمة (وهو مليم) داخل في الملامة أو آت بما يلام عليه أو مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كشيب في مشوب (فلولا أنه كان من المسبحين) الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أو في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين (للبث في بطنه الى يوم يبعثون) حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن أقبل عليه في السراء أخذ بيده عند الضراء (فنبذناه) بان جعلنا الحوت على لفظه (بالعراء) بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت روى أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل أربعون (وهو سقيم) مما نالها قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد (وأنبتنا عليه) أي فوقه مظلة عليه (شجرة من يقطين) من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا أقام به والا كثر على انها كانت الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هي شجرة أخي يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وأفطر على ثماره (وأرسلناه الى مائة ألف) هم قومه الذين هرب عنهم وهم أهل نينوى والمراد به ما سبق من ارساله أو ارسال ثان اليهم أو الى غيرهم (أو يزيدون) في مرأى الناظر أي اذا نظر اليهم قال هم مائة ألف أو يزيدون والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو (فآمنوا) فصدقوه أو جددوا الايمان به بمحضره (فمتعناهم الى حين) الى أجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع الكبر وأولى العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) معطوف على مثله في أول السورة أمر رسوله أولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جارا لما يلائمه من القصص موصولا

(قوله لفساد المعنى) لانه اذا لم يستثن شئ من واو كذبوا كان كلهم مكذبين فليس فيهم عبد مخلص فضلا عن المخلصين (قوله أو للمنسوب اليه) عطف على قوله له (قوله وقيل محمد الخ) أي المراد من ياسين محمد أو غيره وهذه المعاني لا تناسب سائر القصص اذ فيها السلام على نبي ذكر قصته وههنا على التقادير المذكورة ليس الامر كذلك (قوله في مرأى الناظر الخ) أي المعنى أرسلناه الى جماعة اذا رآهم الرائي الخ

(قوله ثم أمر باستفتائهم الخ) ووجه تفريع هذا الاستفتاء على ماذكر في أول السورة انه لما وصف الله تعالى بصفات كاملة تنافي ما اعتقده هؤلاء الضالون ناسب ان يأمر النبي باستفتائهم عن ذلك الاعتقاد الزائغ (قوله على الآخرين) وهما التفضيل المذكور ووصف الملائكة بالانوثة وانما كان القصر عليهما لاختصاص قريش بالامرين المذكورين لان غيرهم لم يجعل التقسيم المذكور ولم يؤنث الملائكة وأما التجسيم والولادة فغيرهم أيضا يثبتونهما (قوله حيث جعل المعادل الخ) أي فساد هما مما تدركه العامة لان المعادل للقسمة المذكورة التي تنكرها الطبائع مشاهدة خلق الملائكة متصفة بالانوثة وهو أيضا

مما تنكره الطباع لان بطلانه في غاية الظهور (قوله أو الاشعار الخ) الاولى ان يقال والاشعار لان التركيب المذكور يتضمنهما معا ولذا قال الزمخشري فان قلت لم قال تعالى وهم شاهدون محض علم المشاهدة قلت ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل (قوله ذكرهم باسم جنسهم) هذا باعتبار اجتنانهم واستتارهم عن الاعين فان الملائكة كالجن مجتنين مستترين فالاجتنان جنس يشملهما أو باعتبار ما قالوه ان الملائكة وغيرهم من الجن جنس واحد من خبث من الجن وتمرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وضعا منهم وتنقيصا وان كانوا مطمئنين في أنفسهم (قوله ان فسرت بغير الملائكة) أي ان فسرت الجنة بغير الملائكة بل بالشياطين فان الشياطين عالمون

بعضها ببعض ثم أمر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء ازدادوا على الشرك ضلالات أخر التجسيم وتجويز الفناء على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل أنفسهم عليه حيث جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم واسنها نهم بالملائكة حيث أشوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما أو لان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) وانما خص علم المشاهدة لان أمثال ذلك لا تعلم الا بها فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم لتمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كأنهم قد شاهدوا خلقهم (ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله) لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه (وانهم لكاذبون) فيما يتدينون به وقرئ ولد الله أي الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (أصطفى البنات على البنين) استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء أخذ صفوة الشئ وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة أم بعدها عليها أو على الاثبات باضمار القول أي لكاذبون في قولهم اصطفى أو ابداله من ولد الله (مالكم كيف تحكمون) بما لا يرتضيه عقل (أفلا تذكرون) أنه منزه عن ذلك (أم لكم سلطان مبين) حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذي أنزل عليكم (ان كنتم صادقين) في دعواكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم أن يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله تعالى صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشياطين اخوان (ولقد علمت الجنة انهم) ان الكفرة أو الانس أو الجن ان فسرت بغير الملائكة (لمحضرون) في العذاب (سبحان الله عما يصفون) من الولد والنسب (الا عباد الله المخلصين) استثناء من المحضرين منقطع أو متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض أو من يصفون (فانكم وما تعبدون) عود الى خطابهم (ما أنتم عليه) على الله (بفاتنين) مفسدين الناس بالاغواء (الا من هو صال الجحيم) الا من سبق في علمه أنه من أهل النار ويصلاها لا محالة وأنتم ضمير هم ولا طهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز أن يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر أي انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما أنتم على ما تعبدونه بفاتنين بحاملين على طريق الفتنة الا من هو مستوجب النار مثلكم وقرئ صال بالضم على أنه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين أو تخفيف صائل على القلب كشاك في شائك أو المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم ما باليت به بالة فان أصلها بالية

بان الله تعالى يحضرهم في العذاب (قوله ان فسر الضمير بما يعمهم) أي فسر ضمير انهم بما يعم المخلصين والمعنى انهم أي المحضرين لاعباد الله المخلصين أو نقدس الله عما يصفه العباد به الا عباد الله المخلصين (قوله ما أنتم عليه) أي على الله كذا في الكشاف ثم قال ومعناه انهم يفسدون الناس على الله باغوائهم واسنادهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته (قوله بباعثين على طريق الفتنة الخ) أي ما أنتم بباعثين حاملين عباد الله على عبادة ما يعبدون الا ضالا

كما فية (وما منا الا له مقام معلوم) حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما منا أحد الا له مقام معلوم فى المعرفة والعبادة والانتهاء الى أمر الله فى تدبير العالم ويحتمل أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كأنه قال ولقد علمت الملائكة أن المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا المشركين بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيه لا يتجاوزونها فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه (وانا لنحن الصافون) فى أداء الطاعة ومنازل الخدمة (وانا لنحن المسبحون) المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم فى الطاعة وهذا فى المعارف ومافى ان واللام وتوسيط الفصل من التأكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم رقيل هو من كلام النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم فى الجنة أو بين يدى الله يوم القيامة وانا لنحن الصافون له فى الصلاة والمنزهون له عن السوء (وان كانوا ليقولون) أى مشركو اقريش (لو أن عندنا ذكرا من الاولين) كتابا من الكتب التى نزلت عليهم (لكنا عباد الله المخلصين) لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم (فكفروا به) أى لما جاءهم الذكر الذى هو أشرف الاذكار والمهيمن عليها (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) أى وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وهو باعتبار الغالب والمقضى بالذات وانما سماها كلمة وهى كلمات لانتظامها فى معنى واحد (فتول عنهم) فاعرض عنهم (حتى حين) هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح (وأبصرهم) على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة على أن ذلك كائن قريب كأنه قد دامه (فسوف يبصرون) ما قضينا لك من التأييد والنصرة والثواب فى الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد (أفبعذابنا يستعجلون) روى أنه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فانزلت (فاذا نزل بساحتهم) فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجم عليهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل أى العذاب (فساء صباح المنذرين) فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثر فيهم الهجوم والغارة فى الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت فى وقت آخر (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) تأكيد الى تأكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وأنهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من أصناف المسرة وأنواع المساءة أو الاول لعذاب الدنيا والثانى لعذاب الآخرة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) عما قاله المشركون فيه على ما حكى فى السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له أو لمن أعزه وقد أدرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد (وسلام على المرسلين) تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم (والحمد لله رب العالمين) على ما أفاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك أخر عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله * وعن على رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الجن والشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

(قوله والمقضى بالذات) أى المقضى بالذات هو غلبة اجناد الله ولو وقع غلبة غيرهم نادرا لكان أمرا واقعا بالعرض لاجل غرض آخر لانه مقصود بالذات (قوله صباحهم) فان قيل ما فائدة صباحهم فلنا فائدته تأكيد الذم بساحتهم (قوله واطلاق بعد تقييد) لانه ذكر فى الاول أبصر مقيدا بالمفعول الذى هو هم

﴿سورة ص﴾ (قوله وان جعل س اسم حرف) لايخفى انه اذا جعل اسم حرف لابد ان يكون ذكره لفائدة وليس للتحدى لانه جعل مذكورا بعده بارفتكون فائدته التنبيه على الاعجاز لان النطق باسماء الحروف من الامى الذى لم يخالط الكتاب ولم يتعلم غريب خارق للعادة وقد صرح به المصنف فى تفسير الم وعلى هذا لامحل له من الاعراب (قوله أى انه لمعجز الخ) هذا بالنظر الى الدلالة الاولى والآخران بالنظر الى الدلالة الثانية

لانه اذا كان مأمورا بالمعادلة لزم وجوب العمل بالقرآن ولزم صدق النبى صلى الله عليه وسلم لان القرآن ناه عن الدعاوى الكاذبة فيه لاسيما النبوة أو يقال ان الجواب الاول مخصوص بالدلالة الاولى والثانى بالثانية والثالث مشترك بينهما (قوله وعلى الاولين الخ) هما قوله مادل عليه التحدى أو الامر بالمعادلة وقوله من حيث اشعاره بذلك أى من حيث اشعار الجواب أى مايدل عليه التحدى أوالامر بالمعادلة بما ذكر وهو قوله ما كفر به من كفر لخلل وجده اذ لولم يكن كذلك لم يحصل الربط بين الكلامين (قوله تنزيلا لما أضيف اليه الظرف) أى مناص المتأخر الذى أضيف اليه الحين منزلة قطع الحسين الذى هو الظرف عن الاضافة (قوله لما بينهما من الاتحاد) أى لما بينهما من الملابسة والعلاقة وفى عبارته قلاقة وتقرير الكشاف انه نزل قطع المضاف اليه من مناص لان أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا عن المحذوف عداده

و بنى الحين لكونه مضافا الى غير متمكن (قوله لاضافته الى غير متمكن) أى لاضافة الحين الى غير متمكن الذى هو الضمير المضاف اليه المناص لان المضاف اليه الظرف كالظرف كما قال فكان الظرف مضاف الى غير متمكن هو الضمير المحذوف فبنى على الكسر لجعله كالمضاف اليه الذى هو تمكسور وان كان المناص الذى هو مضاف حقيقة الى الضمير لم يكن مبنيا وذلك لان فى الظروف نقصا فى الاسمية

﴿سورة ص مكية وآياتها ثمان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ص) وقرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل انه أمر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول أى عارض القرآن بعملك و بالفتح لذلك أو لحذف حرف القسم وايصال فعله اليه أو اضماره والفتح فى موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة و بالجر والتنوين على تأويل الكتاب (والقرآن ذى الذكر) الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف أو مذكورا للتحدى أو للرمز بكلام مثل صدق محمد عليه الصلاة والسلام أو للسورة خبر المحذوف أو لفظ الامر والعطف ان جعل مقسما به كقولهم الله لافعلن بالجر والجواب محذوف دل عليه مافى ص من الدلالة على التحدى أو الامر بالمعادلة أى انه لمعجز أو لواجب العمل به أوان محمدا الصادق أوقوله (بل الذين كفروا) أى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به (فى عزة) أى استكبار عن الحق (وشقاق) خلاف الله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب أيضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة أو الشرف والشهرة أو ذكر مايحتاج اليه فى الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ فى غرة أى غفلة عما يجب عليهم النظر فيه (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا (فنادوا) استغاثة أو توبة او استغفارا (ولات حين مناص) أى ليس الحين حين مناص ولاهى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف أحد المعمولين وقيل هى النافية للجنس أى ولاحين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره أى ولاأرى حين مناص وقرئ بالرفع على أنه اسم لا أو مبتدأ محذوف الخبر أى ليس حين مناص حاصلا لهم أو لاحين مناص كائن لهم و بالكسر كقوله

طلبوا صلحنا ولات أوان * فاجبنا أن لات حين بقاء

اما ان لات تجر الاحيان كما أن لولا تجر الضمائر فى قوله * لولاك هذا العام لم أحجج * أولان أوان شبه بإذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ أصله أوان صلح ثم جعل عليه مناص تنزيلا لما أضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ أصله حين مناصهم ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كغير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به فى الامام ولايرد عليه أن خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله

العاطفون تحين لامن عاطف * والمطعمون زمان مامن مطعم

والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) بشر مثلهم أو آدمى من

عنادهم (وقال الكافرون) وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول (هذا ساحر) فيما يظهره معجزة (كذاب) فيما يقوله على الله تعالى (أجعل الآلهة الها واحدا) بان جعل الالوهية التي كانت لهم لواحد (ان هذا لشئ عجاب) بليغ في العجب فانه خلاف ما أطبق عليه آباؤنا وما نشاهده من أن الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو أبلغ كعكرام وكرام وروى أنه لما أسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فأتوا أبا طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه الصلاة والسلام ماذا يسألونني فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال أرأيتم ان أعطيتكم ما سألتم أمعطي أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك (وانطلق الملأ منهم) وانطلق أشراف قريش من مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن امشوا) قائلين بعضهم لبعض امشوا (واصبروا) واثبتوا (على آلهتكم) على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وأن هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت أولادها ومنه الماشية أي اجتمعوا وقرئ بغير أن وقرئ يمشون أن اصبروا (ان هذا لشئ يراد) ان هذا الامر لشئ من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له أو ان هذا الذي يدعيه من التوحيد أو يقصده من الرئاسة والترفع على العرب والعجم لشئ يتمنى أو يريده كل أحد أو ان دينكم لشئ يطلب ليؤخذ منكم (ما سمعنا بهذا) بالذي يقوله (في الملة الآخرة) في الملة التي أدركنا عليها آباءنا أو في ملة عيسى عليه الصلاة والسلام التي هي آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز أن يكون حالا من هذا أي ما سمعناه من أهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة (ان هذا الا اختلاق) كذب اختلقه (أأنزل عليه الذكر من بيننا) انكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم أو أدون منهم في الشرف والرئاسة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وأمثال ذلك دليل على أن مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي (بل هم في شك من ذكري) من القرآن أو الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق (بل لما يذوقوا عذاب) بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى أنهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) بل أعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز أي الغالب الذي لا يغلب الوهاب الذي له أن يهب كل ما شاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) كأنه لما أنكر عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها أردف ذلك بانه ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه فمن أين لهم أن يتصرفوا فيها (فليرتقوا في الاسباب) جواب شرط محذوف أي ان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم فينزلوا الوحي الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها أسباب الحوادث السفلية (جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب) أي

وشبهها بالحرفية (قوله تعالى بل هم في شك من ذكري) اضراب عن مقدر فكأنه قال انكارهم للذكر المذكور ليس عن علم بل هم في شك منه (قوله بل لما يذوقوا عذاب) بل هنا للانتقال من غرض الى آخر (قوله وهو لا يلائم ما بعده) لان العظمة لا تلائم الهزيمة

هم جندما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن أين لهم التدابير الالهية والتصرف فى الامور الربانية أوفلانكترث بما يقولون ومامزيدة للتقليل كقولك أكلت شيأ ماوقيل للتعظيم على الهزء وهولا يلائم مابعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل هذا القول (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد) ذوالملك الثابت بالاوتاد كقوله

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * فى ظل ملك ثابت الاوتاد

ماخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده أوذوالجوع الكثيرة سموابذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب أربع سوار وكان يمدبدى المعذب ورجليه اليها و يضرب عليها أوتادا و يتركه حتى يموت (وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة) وأصحاب الغيضة وهم قوم شعيب وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة (أولئك الاحزاب) يعنى التحزب بين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم (ان كل الا كذب الرسل) بيان لما أسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على أنواع من التأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه (فحق عقاب) وهو امامقابلة الجمع بالجمع أوجعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم (ومايظر هؤلاء) ومايتظر قومك وأولاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر أوحضورهم فى علم الله تعالى (الاصيحة واحدة) هى النفخة الاولى (مالهامن فواق) من توقف مقدار فواق وهو مابين الحلبتين أورجوع وترداد فانه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائى بالضم وهما لغتان (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) قسطنا من العذاب الذى توعدتنا به أوالجنة التى تعدها للمؤمنين وهو من قطه اذاقطعه وقيل لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أى عجل لنا صحيفة أعمالنا للنظر فيها (قبل يوم الحساب) استعجلوا ذلك استهزاء (اصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود) واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية فى أعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما أتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تنقطن فاستغفر به وأناب فما الظن بالكفرة وأهل الطغيان أوتذكر قصته وصن نفسك أن تزل فيلتقك مالقيه من المعاتبة على اهمال عنان نفسه أدنى اهمال (ذا الايد) ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد وآد وايد بمعنى (انه أواب) رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل للايد ودليل على أن المراد به القوة فى الدين وكان يصوم يوما و يفطر يوما و يقوم نصف الليل (اناسخرنا الجبال معه يسبحن) قدمر تفسيره و يسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال (بالعشى والاشراق) ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضىء و يصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأشار وقتها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ رضى الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت صلاة الضحى الابهذه الآية (والطير محشورة) اليه من كل جانب وانما لم راع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة أدل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالمبتدا والخبر (كل له أواب) كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه و بين ماقبله انه يدل على الموافقة فى التسبيح وهذا على المداومة عليها أوكل منهما ومن داود عليه السلام مرجع لله التسبيح (وشددنا ملكه) وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل ان أرجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان فأوحى اليه أن اقتل المدعى عليه فأعلمه فقال صدقت انى

(قوله وهوامامقابلة الجمع بالجمع الخ) يعنى فى قوله تعالى ان كل الا كذب الرسل معناه ان كلهم أى مجموعهم الا كذب الرسل فالمكذبون مقابلون للرسل أو يكون معناه ان كل واحد الا كذب الرسل فيكون تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وانما قال ذلك لان كل واحد من المكذبين ليس فى زمان جميع الرسل فيكون تكذيبه لجميعهم باعتبار أن تكذيب واحد منهم يؤل الى تكذيب جميعهم (قوله أوالجنة التى الخ) قال صاحب الكشاف قالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها (قوله وانما لم يراع الخ) أى لم يجعل يسبحن فى الاول بلفظ الفعل حالا وههنا بصيغة الاسم الا لان المحشور يدل على وجود الطير مجموعة معا ولو قيل يحشرون لدل على الحشر تدريجا لدلالته على الزمان لكن الاول أدل على القدرة وفيه ان محشورة لاتدل على حشرها دفعة جملة كما أنه لاتدل على التدريج فتأمل

قتلت أباه وأخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته (وآتيناه الحكمة) النبوة أو كمال العلم واتقان العمل (وفصل الخطاب) وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل أو الكلام الخاص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس براعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به أما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمته من الحمد والصلاة وقيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف كلام الرسول عليه الصلاة والسلام فصل لا نزر ولا هذر (وهل أتاك نبأ الخصم) استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم في الاصل مصدر ولذلك أطلق على الجمع (اذ تسوروا المحراب) اذ تصعدوا سوار الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف أي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا أو بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود عليه السلام وأن اسناد أتى اليه على حذف مضاف أي قصة نبأ الخصم لما فيه من معنى الفعل لا بأتى لان اتيانه الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن حينئذ وإذ الثانية في (اذ دخلوا على داود) بدل من الاولى أو ظرف لتسوروا (ففزع منهم) لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه عليه الصلاة والسلام كان جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة الانسان في يوم الخلوة (قالوا لا تخف خصمان) نحن فوجان متخاصمان على تسمية صاحب الخصم خصما (بغى بعضنا على بعض) وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط أي ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد (واهدنا الى سواء الصراط) أي الى وسطه وهو العدل (ان هذا أخي) بالدين أو بالصحبة (له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة) هي الانثى من الضان وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتفتيل فيما يساق للتعريض أبلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرأ حفص بفتحها على لغة نجية (فقال أكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي أي نصيبي (وعزني في الخطاب) وغلبني في محاجته اياي محاجة بأن جاء بحجاج لم أقدر على رده أو في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا حيث زوجها دوني وقرئ وعازني أي غالبني وعزني على تخفيف غريب (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل خايطه وتهجين طمعه وانما قال ذلك بعد اعترافه أو على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة (وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء الذين خلطوا أموالهم جمع خليط (ليبغي) ليتعدى (بعضهم على بعض) وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله * اضرب عنك الهموم طارقها * وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) أي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم (وظن داود أنما فتناه) ابتليناه بالذنب أو امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها (فاستغفر ربه) لذنبه (وخر راكعا) ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه أو خر للسجود راكعا أي مصليا كما نه أخر مركعتي الاستغفار (وأناب) ورجع الى الله بالتوبة وأقصى ما في هذه القضية الاشعار بأنه عليه الصلاة والسلام ودأن يكون له ما لغيره وكان له أمثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر وأناب عنه وماروى أن بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها ولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخلوبته أو استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى

(قوله على تسمية صاحب الخصم خصما) دفع سؤال هو أن القرآن كما سيجيء دال على أن الاختصام بين اثنين من الملائكة وقالوا لا تخف يدل على الاختصام بين الجمع فاجاب بان الاختصام بين اثنين لكن جعل صاحب الخصم خصما (قوله وهو على الفرض الخ) يعني أن صورة القصة يدل على الكذب فكيف صدر من الملائكة فاجاب بانه على سبيل الفرض يعني أن مقصودهم انه لو فرض انه بغى بعضنا على بعض بالطريق المذكور كيف تحكم ههنا وأيضا الغرض التعريض لداود لا الكذب (قوله وعزني على تخفيف) أي تخفيف الزاي في عزني وهو تخفيف غريب (قوله كأنه أخر مركعتي الاستغفار) عبارة الكشاف وأخر مركعتي الاستغفار والانابة ولفظ كأن للظن يفيد أن الظاهر انه أخر مركعتي الاستغفار وان أمكن أن يحرم بهما ثم بل صلى ركعتين واستغفر أيضا

الانصار المهاجرين بهذا المعنى وماقيل انه أرسل أوريا الى الجهاد مرارا وأمر أن يقدم حتى قتل فتزوجها هزءا وافتراء ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود على ما يروبه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا أن يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده أقواما فاقتضوهم انهم التحاكم فعلم غرضهم وأراد أن ينتقم منهم فظن أن ذلك ابتلاء من الله فاستغفر ربه مما هم به وأناب (فغفرنا له ذلك) أى ما استغفر عنه (وان له عندنا لزلفى) لقربة بعد المغفرة (وحسن مآب) مرجع فى الجنة (ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض) استخلفناك على الملك فيها أوجعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق (فاحكم بين الناس بالحق) بحكم الله (ولا تتبع الهوى) مانهوى النفس وهو يؤيد ماقيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعى وتظليم الآخر قبل مسئلته (فيضلك عن سبيل الله) دلائله التى نصبها على الحق (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى (وماخلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) خلقا باطلا لاحكمة فيه أوذوى باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وماخلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين أو للباطل الذى هو متابعة الهوى بل للحق الذى هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيأ (ذلك ظن الذين كفروا) الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون (فويل للذين كفروا من النار) بسبب هذا الظن (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض) أم منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التى هى من لوازم خلقها باطلا ايدل على نفيه وكذا التى فى قوله (أم نجعل المتقين كالفجار) كأنه أنكر التسوية أولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز أن يكون تكرير للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمتنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما أن يكون فى الدنيا والغالب فيها عكس مايقتضى الحكمة فيه أوفى غيرها وذلك يستدعى أن يكون لهم حالة أخرى يجازون فيها (كتاب أنزلناه اليك مبارك) نفاع وقرئ بالنصب على الحال (ليدبروا آياته) ليتفكروا فيها فيعرفوا مايدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل وليتدبروا أى أنت وعلماء أمتك (وليتذكر أولوا الالباب) وليتعظ به ذوو العقول السليمة أوليستحضروا ماهو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لايعرف الا من الشرع وارشاد الى مايستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثانى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) أى نعم العبد سليمان اذ مابعده تعليل للمدح وهو من حاله (انه أواب) رجاع الى الله بالتوبة أوالى التسبيح مرجع له (اذ عرض عليه) ظرف لاواب أولنعم والضمير لسليمان عند الجمهور (بالعشى) بعد الظهر (الصافنات) الصافن من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد أو رجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل الذى لا يكاد يكون الا فى العراب الخلص (الجياد) جمع جواد أوجود وهو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى يجود فى الركض وقيل جمع جيد روى أنه عليه الصلاة والسلام غزا دمشق ونصيبين وأصاب ألف فرس وقيل أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أوعن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله (فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) أصل أحببت أن يعدى بعلى لانه بمعنى

(قوله مثل هنيئا) فان هنيئا مشتق وضع موضع المصدر فى قوله تعالى فكلوه هنيئا بان يكون هنيئا مصدر الفعل محذوف وكأنه قيل وماخلقنا السماء والارض وما بينهما لمتابعة الهوى (قوله ولتدبروا الخ) أى قرئ بصيغة الخطاب بتغليب الخطاب على الغيبة

آثرت لكن لما أنيب مناب أنبت عدى تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله

* مثل بعير السوء اذ أحبا * أى برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته وعبر بما لتحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه الصلاة والسلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الياء (حتى توارت بالحجاب) أى غربت الشمس شبه غروبها بتوارى المحتجبة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشى عليها (ردوها على) الضمير للصافنات (فطفق مسحا) فأخذ يمسح السيف مسحا (بالسوق والاعناق) أى بسوقها وأعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده أعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو اضمة ما قبلها كؤمن وعن أبى عمرو بالسؤق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) وأظهر ما قيل فيه ما روى مرفوعا أنه قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة جاءت بشق رجل فوالذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهد وافرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغدوه فى السحاب فاشعر به الا أن ألقى على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب ابنته جزادة فأحبها وكان لا يرفأ دمعها جزعا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورته فكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن فى ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج الى الفلاة وما كان متضرعا وكانت له أم ولد اسمها أمينة اذا دخل للطهارة أعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر وأخذ الخاتم وتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شئ الا فى نسائه وغير سليمان عن هيئته فأتاها الطالب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى أربعون يوما عدد ما عبدت الصورة فى بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمى به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تفاوت عن حال أهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره (قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لى مناسبة لحالى أو لا ينبغى لاحد أن يسلبه منى بعد هذه السلبة أو لا يصح لاحد من بعدى لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا أن لا يعطى أحد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لزيادتها همه بامر الدين ووجوب تقديم مايحصل الدعاء بصدد الاجابة وقرأ نافع وأبو عمر و بفتح الياء (انك أنت الوهاب) المعطى ما تشاء لمن تشاء (فسخرنا له الريح) فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح (تجرى بامره رخاء) اينة من الرخاوة لا تزعزع أو لا تخالف ارادته كالمأمور المنقاد (حيث أصاب) أراد من قولهم أصاب الصواب فاخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء وغواص) بدل منه (وآخرين مقرنين فى الاصفاد) عطف على كل كأنه فصل الشياطين الى عملة استعملهم فى الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض فى السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل أجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران فى الصفد وهو

(قوله بالسؤوق) قال فى الكشاف وقرئ بالسؤق بهمز الواو اضمتها كما فى أدد وظئره الفؤر من مصدر غارت الشمس وامامن قرأ بالسوق فقد جعل الضمة فى السين كأنها فى الواو للتلاصق كما فى موسى قال الطيبى قوله وقرئ بالسؤق على وزن فعول (قوله وأظهر الاقاويل الخ) هذا تقرير ناقص اذ لا يفهم منه معنى القاء الجسد على كرسيه والوجه ماذكره الطيبى انه روى أن الجسد الملقى على كرسيه هو شق الرجل لانه جاءت القابلة وألقته على كرسيه ورأيت فى بعض التفاسير ان هذا هو الذى ذهب اليه العلماء المتقنون (قوله فيكون منافسة) أى ليس مراده عليه السلام مجرد عدم حصول مثل ملكه لغيره حتى يكون منافسة وحسدا بل غرضه أحد الامور المذكورة

القيد وسمى به العطاء لانه يرتبط به المنع عليه وفرقوا بين فعلهما فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه عكس وعده وأوعد وفى ذلك نكتة (هذا عطاؤنا) أى هذا الذى أعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على عالم بسلط به غيرك عطاؤنا (فامنن أو أمسك) فاعط من شئت وامنع من شئت (بغير حساب) حال من المستكن فى الامر أى غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك أو من العطاء أو صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم فى القيد (وان له عندنا لزلفى) فى الآخرة مع ماله من الملك العظيم فى الدنيا (وحسن مآب) هو الجنة (واذكر عبدنا أيوب) هو ابن عيص بن اسحق وامرأته ليا بنت يعقوب صلوات الله عليه (اذ نادى ربه) بدل من عبدنا وأيوب عطف بيان له (أنى مسنى) بانى مسنى وقرأ حمزة باسكان الياء واسقاطها فى الوصل (الشيطان بنصب) بتعب (وعذاب) ألم وهى حكاية لكلامه الذى ناداه به ولولاهى لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان امالان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه أعجب بكثرة ماله أو استغاثة مظلوم فلم يغثه أو كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فدا هنه ولم يغزه أو لم يؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب أو مراعاة للادب أو لانه وسوس الى أتباعه حتى رفضوه وأخذوه من ديارهم أو لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس اليه فى مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد و بضمتين للتثقيل (اركض برجلك) حكاية لما أجيب به أى اضرب برجلك الارض (هذا مغتسل باردوشراب) أى فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل أى ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة و باردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى (ووهبنا له أهله) بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم أو أحييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم (ومثلهم معهم) حتى كان له ضعف ما كان (رحمة منا) لرحمتنا عليه (وذكرى لاولى الالباب) وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجا الى الله فيما يحيق بهم (وخذ بيدك ضغثا) عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه (فاضرب به ولا تحنث) روى أن زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحل الله يمينه بذلك وهى رخصة باقية فى الحدود (انا وجدناه صابرا) فيما أصابه فى النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمنى العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة أن يفتنه أو قومه فى الدين (نعم العبد) أيوب (انه أواب) مقبل بشراشره على الله تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق و يعقوب) وقرأ ابن كثير عبدنا على وضع الجنس موضع الجمع أو على أن ابراهيم وحده ملء يد شرفه عطف بيان له واسحق و يعقوب عطف عليه (أولى الايدى والابصار) أولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين أو الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدى عن الاعمال لان أكثرها يباشر بها و بالابصار عن المعارف لانها أقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال أنهم كالزمنى والعماة (انا أخلصناهم بخالصة) جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هى (ذكرى الدار) تذكرهم الدار الآخرة انما فان خلوصهم فى الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون و يذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك فى الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقة والدنيا معبر وأضاف نافع وهشام بخالصة الى ذكرى للبيان أو لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) لمن المختارين من أمثالهم المصطفين عليهم فى الخير جمع خير كشر وأشرار وقيل جمع خير أو خير على

(قوله وفى ذلك نكتة) هى أن باب الافعال قد يجىء للازالة نحو أشكيته بمعنى أزلت شكايته فلما كان الصفد متضمنا للقيد الذى هو شر ناسب أن يكون أصفد للاعطاء الذى هو مستلزم لازالة القيد ولما كان وعد الاعلى الخير ناسب أن يكون أوعد للانذار الدال على ازالة الخير

(قوله ذلك) أى الشكوى الى الله خيفة أن يفتنه الشيطان أو قومه

تخفيفه كلموات فى جمع ميت أوميت (واذكر اسمعيل واليسع) هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ والام فيه كما فى قوله * رأيت الوليد بن اليزيد مباركا * وقرأ جزة والكسائى واليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من المسح (وذا الكفل) ابن عم يسع أو بشر بن أيوب واختلف فى نبوته ولقبه ففيل فر اليه مائة نبى من بنى اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلاة (وكل) أى وكلهم (من الاخيار هذا) اشارة الى ما تقدم من أمورهم (ذكر) شرف لهم أو نوع من الذكر وهو القرآن ثم شرع فى بيان ما أعدلهم ولما مثلهم فقال (وان للمتقين لحسن مآب) مرجع (جنات عدن) عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب وانتصب عنها (مفتحة لهم الابواب) على الحال والعامل فيها ما فى المتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر أو أنهما خبران لمحذوف (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) حالان متعاقبتان أو متداخلان من الضمير فى لهم لامن المتقين للفصل والاظهر أن يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذى للتحلل ولا تحلل ثمة (وعندهم قاصرات الطرف) لا ينظرن الى غير أزواجهن (أتراب) لذات لهم فان التحاب بين الاقران أثبت أو بعضهن لبعض لاعجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهن فى وقت واحد (هذا ما توعدون ليوم الحساب) لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء ليوافق ما قبله (ان هذا لرزقنا ما له من نفاد) انقطاع (هذا) أى الامر هذا أو هذا كما ذكر أو خذ هذا (وان للطاغين لشر مآب جهنم) اعرابه ما سبق (يصلونها) حال من جهنم (فبئس المهاد) الممهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد (هذا فليذوقوه) أى ليذوقوا هذا فليذوقوه أو العذاب هذا فليذوقوه و يجوز أن يكون مبتدأ وخبره (حميم وغساق) وهو على الاولين خبر محذوف أى هو حميم والغساق ما يغسق من صديد أهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرأ حفص وحمزة والكسائى غساق بتشديد السين (وآخر) أى مذوق أو عذاب آخر وقرأ البصريان وأخرى أى ومذوقات أو أنواع عذاب أخر (من شكله) من مثل هذا المذوق أو العذاب فى الشدة وتوحيد الضمير على أنه لما ذكر أو للشراب الشامل للحميم والغساق أو للغساق وقرئ بالكسر وهو لغة (أزواج) أجناس خبر لآخر أو صفة له أو للثلاثة أو مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم (هذا فوج مقتحم معكم) حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم فى الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها (لا مرحبا بهم) دعاء من المتبوعين على أتباعهم أو صفة لفوج أو حال أى مقولا فيهم لا مرحبا أى ما أتوا بهم رحبا وسعة (انهم صالوا النار) داخلون النار باعمالهم مثلنا (قالوا) أى الاتباع للرؤساء (بل أنتم لا مرحبا بكم) بل أنتم أحق بما قلتم أو قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا (أنتم قدمتموه لنا) قدمتم العذاب أو الصلى لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمتموه من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة (فبئس القرار) فبئس المقر جهنم (قالوا) أى الاتباع أيضا (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار) مضاعفا أى ذا ضعف وذلك أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب (وقالوا) أى الطاغوت (ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار) يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم و يسخرون بهم (أتخذناهم

(قوله كما فى قوله رأيت الخ) قال الرضى قد يعرف العلم بان يؤول بواحد من الجماعة المسماة به فيدخل فيه اللام كما فى قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا (قوله وقرأ جزة الخ) قال فى الكشاف قرئ واليسع كأن حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع وقال كأن لانه يحتمل أن يكون اسما أعجميا فلما أورد لفظ كأن المفيد للظن وأما ما ذكره من التشبيه المذكور فلا يظهر وجهه (قوله ما فى المتقين من معنى الفعل) فيكون فى الجار والمجرور فعل هو حصلت وفيه ضمير جنات عدن (قوله فانه يمسهم الخ) أى ولادتهم وسقوطهم على الارض ومس التراب لهم فى وقت واحد

(قوله أو منقطعة) فيكون فيه اضراب عن قوله اتخذناهم سخريا سواء كانت استفهامية أو خبرية وعلى الاول كان المعنى انكارهم أنفسهم في الاستسخار بهم في الدنيا فكأنهم قالوا لم يستحقوا الاستسخار بل زاغت أبصارنا عنهم وعلى الثاني معناه أي معنى اتخذناهم سخريا الندم على ما فعلوا بالمؤمنين فكأنهم قالوا كنا على الباطل في الاستسخار بهم بل زاغت أبصارنا وعلى ما قلنا فالمناسب أن تكون أم المنقطعة بمعنى بل فقط من غير اعتبار الهمزة فانها قد تكون بهذا المعنى كما ذكره صاحب المغني (قوله وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد) لان خلق السموات والارض ونظامهما على الوجه الاصلح والاستقلال بالقهر والغفران يدل على التوحيد (قوله وتثنية ما يشعر بالوعيد الخ) تثنية ما يشعر به ذكر العزيز بعد ذكر القهار (قوله متعلق بعلم أو بمحذوف الخ) فيكون اذا ما متعلقا بعلم أو بكلام (قوله كأنه لما جوز الخ) أي علم من حاله صلى الله عليه وسلم انه يوحى اليه فكان الكافرين جوزوا الوحي واذا ثبت جوازه ناسب أن يقال باي شئ يوحى فقيل ان يوحى الي الا انما أنا نذير مبين (قوله ويجوز أن يرتفع الخ) يعني لا يلزم تقدير اللام في انما بل ههنا احتمال آخر وهو كونه نائبا مناب فاعل يوحى (قوله على الحكاية) قال في الكشاف معناه الا أن أقول لكم انما سيما أنا نذير مبين (قوله فان لقصة الخ) أي انما كان مبناه لان القصة المذكورة وهي قوله تعالى قال ربك للملائكة الخ مشتملة على تقاول الملائكة وابليس الخ غير انها اختصرت ولم يذكر حكاية تقاولهم بل اقتصر على ما وقع على ابليس لما ذكر

(قوله أم اتخذناهم سخريا) صفة أخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على أنه انكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي سخر بالضم وقد سبق مثله في المؤمنين (أم زاغت) مالت (عنهم الابصار) فلا نراهم وأم معادلة لما النافية على أن المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كأنهم قالوا أليسوا ههنا أم زاغت عنهم أبصارنا ولا تخذناهم على القراءة الثانية بمعنى أي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منه أم تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على أنفسهم أو منقطعة والمراد الدلالة على أن استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ أبصارهم وقصورا نظارهم على رتبة حالهم (ان ذلك) الذي حكيناه عنهم (لحق) لابد أن يتكلموا به ثم بين ما هو فقال (تخاصم أهل النار) وهو بدل من لحق أو خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك (قل) يا محمد للمشركين (انما أنا منذر) أنذركم عذاب الله (وما من الاله الا الله الواحد) الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته (القهار) لكل شئ يريد قهره (رب السموات والارض وما بينهما) منه خلقها واليه أمرها (العزيز) الذي لا يغلب اذا عاقب (الغفار) الذي يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به هو الانذار (قل هو) أي ما أنبأتكم به من أني نذير من عقوبة من هذه صفته وانه واحد في ألوهيته وقيل ما بعده من نبأ آدم (نبأ عظيم أنتم عنه معرضون) لتمادي غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فلما رأوا على النبوة فقوله (ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون) فان أخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم مما ورد في الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحي واذ متعلق بعلم أو بمحذوف اذ التقدير ما علم بكلام الملأ الاعلى (ان يوحى الى الا أنما أنا نذير مبين) أي لأنما كأنه لما جوز أن الوحي يأتيه بين بذلك ما هو المقصود به تحقيقا لقوله انما أنا منذر ويجوز أن يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية (اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين) بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التي دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس في خلق آدم عليه السلام واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر في البقرة غير أنها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود منها وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبي عليه الصلاة والسلام بمثل ما حاق بابليس على استكباره على آدم عليه السلام هذا ومن الجائز أن يكون مقاولة الله تعالى اياهم بواسطة ملك وأن يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله تعالى والملائكة (فاذا سويته) عدلت خلقته (ونفخت فيه من روحي) وأحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه اشرفه وطهارته (فقعوا له) خروا له (ساجدين) تكرمة وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه في البقرة (فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر) تعظم (وكان) وصار (من الكافرين) باستنكاره أمر الله تعالى واستكباره عن المطاوعة أو كان منهم في علم الله تعالى (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) خلقته بنفسي من غير توسط كأب وأم والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم أو بانه الذي تثبت به في تركه وهو لا يصلح ما عدا الله سبحانه أن يستخدم بعض عبيده بعض

سيما وله مزيد اختصاص (أستكبرت أم كنت من العالين) تكبرت من غير استحقاق أوكنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف همزة لدلالة أم عليها أو بمعنى الاخبار (قال أنا خير منه) ابداء للمانع وقوله (خلقتني من نار وخلقته من طين) دليل عليه وقد سبق الكلام فيه (قال فاخرج منها) من الجنة أومن السماء أومن الصورة الملكية (فانك رجيم) مطرود من الرحمة ومحل الكرامة (وان عليك لعنتي الى يوم الدين فالرب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) مر بيانه في الحجر (قال فبعزتك) فبسلطانك وقهرك (لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة أوأخلصوا قلوبهم له على اختلاف القراءتين (قال فالحق والحق أقول) أي فأحق الحق وأقوله وقيل الحق الاول اسم الله ونصبه بحذف حرف القسم كقول * ان عليك الله أن تبايعا * وجوابه (لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين) ومابينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء أي الحق يميني أوقسمي أوالخبر أي أنا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من أقول كقوله * كلاهما أصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم في الاول وحكاية لفظ القسم به في الثاني للتأكيد وهو سائغ فيه اذا شارك الاول و برفع الاول وجره ونصب الثاني وتخريجه على ماذكرناه والضمير في منهم للناس اذا الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين وأجمعين تأكيد لها والضمير بن (قل ما أسألكم عليه من أجر) أي على القرآن أوتبليغ الوحي (وما أنا من المتكلفين) المتصنعين بما ليسوا من أهله على ماعرفتم من حالي فأتحمل النبوة وأتقول القرآن (ان هو الا ذكر) عظة (للعالمين) للثقلين (ولتعلمن نبأه) وهو مافيه من الوعد والوعيد أوصدقه بإتيان ذلك (بعد حين) بعد الموت أو يوم القيامة أوعند ظهور الاسلام وفيه تهديد * وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه الله أن يصر على ذنب صغير أوكبير

﴿سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الآية وآيها خمس وسبعون أوثنتان وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تنزيل الكتاب) خبر محذوف مثل هذا أومبتدأ خبره (من الله العزيز الحكيم) وهو على الاول صلة التنزيل أوخبر ثان وأحال عمل فيها معنى الاشارة أوالتنزيل والظاهر أن الكتاب على الاول السورة وعلى الثاني القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ أوالزم (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) ملتبسا بالحق أو بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله (فاعبد الله مخلصا له الدين) بمحصاله الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على لاستئناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراؤه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حجيجه وظهور براهينه فقال (ألا لله الدين الخالص) أي ألاهو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ خبره على الاول (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) باضمار القول (ان الله يحكم بينهم) وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا أو بدلا من الصلة وزلفى

(قوله ان عليك الله) أي الواجب عليك أوالقسم ان تبايع بالله (قوله جواب محذوف) والتقدير هو أي الحق المقول لأملأن الخ (قوله اذا شارك الاول) مثل أن يكون للتأكيد كالاول فان القسم مغيا للتأكيد وتقديم المفعول أيضا لذلك (قوله وتخريجه على ماذكرنا) يعني أن المرفوع مبتدأ محذوف الخبر أي الحق قسمي والمجرور باضمار حرف القسم ونصب الثاني على المفعولية

﴿سورة الزمر﴾

(قوله وهو على الاول الخ) أي الكتاب على التقدير الاول وهو أن يكون تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف هذا السورة لان هذا في مثل هذا المقام يناسب أن يكون اشارة الى السورة وعلى الثاني وهو أن يكون تنزيل الكتاب مبتدأ يناسب أن يكون الكتاب القرآن لان التنزيل من الله حكم مطابق القرآن (قوله يحتمل المتخذين) هو بكسر الخاء المعجمة والمتخذين من الملائكة الخ بفتح الخاء وعلى هذا فالضمير لراجع الى الذين محذوف والتقدير الذين اتخذوهم من دونه أولياء

مصدر أو حال وقرئ قالوا مانعبدهم ومانعبدكم الاالتقربونا الى الله حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا (فيما هم فيه يختلفون) من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقاليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم بلعنونهم (ان الله لا يهدى) لا يوفق للاهتداء الى الحق (من هو كاذب كفار) فانهما فاقد البصيرة (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) كازعموا (لاصطفى مما يخلق مايشاء) اذلا موجود سواه الاوهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استنادما عدا الواجب اليه ومن البين أن المخلوق لايماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله (سبحانه هو الله الواحد القهار) فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهى تنافى المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافى قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله (خلق السموات والارض بالحق يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل) يغشى كل واحد منهما الآخر كانه يلفه عليه لف اللباس باللابس أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كالعمامة عليه كرور امتتابعا تتابع أكوار العمامة (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) هو منتهى دورة أو منقطع حركته (ألا هو العزيز) القادر على كل ممكن الغالب على كل شئ (الغفار) حيث لم يعاجل بالعقوبة وساب مافى هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) استدلال آخر بما أوجده فى العالم السفلى مبدأ وأبه من خلق الانسان لانه أقرب وأكثر دلالة وأعجب وفيه على ماذكره ثلاث دلالات خلق آدم أولا من عيرأب وأم ثم خلق حواء من قصيراء ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما ثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها أو على معنى واحدة أى من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها أو على خلقكم لتفاوت مابين الآيتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل أخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منها حواء (وأنزل لكم) وقضى أو قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتبت فى اللوح المحفوظ أو أحدث لكم باسباب نازلة كأشعة الكواكب والامطار (من الانعام ثمانية أزواج) ذكرا وأنثى من الابل والبقر والضأن والمعز (يخلقكم فى بطون أمهاتكم) بيان لكيفية خلق ماذكر من الاناسى والانعام اظهار المافيها من عجائب القدرة غير أنه غاب أولى العقل أو خصهم بالخطاب لانهم المقصودون (خلقا من بعد خلق) حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف (فى ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو الصلب والرحم والبطن (ذلكم) الذى هذه أفعاله (الله ربكم) هو المستحق لعبادتكم والملك (له الملك لا اله الا هو) اذلا يشاركه فى الخلق غيره (فانى تصرفون) يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) عن ايمانكم (ولا يرضى لعباده الكفر) لاستضرارهم به رحمة عليهم (وان تشكروا يرضه لكم) لانه سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير ونافع فى رواية وأبو عمرو والكسائى باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة يتحرك وعن أبى عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها (ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة (انه عليم بذات الصدور) فلا تخفى عليه خافية من أعمالكم (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه) لزوال مايتازع العقل فى الدلالة على أن مبدأ الكل منه (ثم اذا خوله) أعطاه من الخول وهو التعهد أو الخول وهو الافتخار (نعمة منه) من الله (نسى ما كان يدعو اليه) أى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه أو ربه الذى

(قوله والقاهرية المطلقة الخ) لان الزوال يكون بسبب مزيل هو قاهر للزائل فلا يكون الزائل قاهرا مطلقا

(قوله وقرأ ابن كثير الخ) قال الواحدى منهم من أشبع الهاء حتى ألحق بها واوا والان ماقبلها متحرك فصار بمنزلة ضربه وله ومنهم من حرك الهاء ولم يلحق الواو لان أصله برضاه والالف المحذوفة للجزم ليس يلزم حذفها فكانت كالباقية ومع بقاء الالف لايجوز اثبات الواو

كان يتضرع اليه وما مثل الذى فى قوله وما خلق الذكر والانثى (من قبل) من قبل النعمة (وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين (قل تمتع بكفرك قليلا) أمر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشه لا سند له واقناط للكافرين من التمتع فى الآخرة ولذلك علله بقوله (انك من أصحاب النار) على سبيل الاستئناف للمبالغة (أمن هو قانت) قائم بوظائف الطاعات (آناء الليل) ساعاته وأم متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير أم من هو قانت أو منقطعة والمعنى بل أمن هو قانت كمن هو بضده وقرأ الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى أمن هو قانت لله كمن جعل له أندادا (ساجدا وقائما) حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) فى موضع الحال أو الاستئناف للتعليل (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ لان يزيد فضل العلم وقيل تقرير للدليل على سبيل التشبيه أى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون (انما يتذكر أولوا الالباب) بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام (قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم) بلزوم طاعته (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) أى للذين أحسنوا بالطاعات فى الدنيا مثوبة حسنة فى الآخرة وقيل معناه للذين أحسنوا حسنة فى الدنيا هى الصحة والعافية وفى هذه بيان لكون حسنة (وأرض الله واسعة) فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان فى وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه (انما يوفى الصابرون) على مشاق الطاعات من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها (أجرهم بغير حساب) أجرا لا يهتدى اليه حساب الحساب وفى الحديث انه ينصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) موحدا له (وأمرت لان أكون أول المسلمين) وأمرت بذلك لاجل أن أكون مقدمهم فى الدنيا والآخرة لان قصب السبق فى الدين بالاخلاص أولانه أول من أسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثانى الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها أن يؤمر بها فهى أيضا تقتضى لما يلزمها من السبق فى الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما فى أردت لأن أفعل فيكون أمرا بالتقدم فى الاخلاص واليدء بنفسه فى الدعاء اليه بعد الامر به (قل انى أخاف ان عصيت ربى) بترك الاخلاص والميل الى ما تهتم عليه من الشرك والرياء (عذاب يوم عظيم) لعظمة ما فيه (قل الله أعبد مخلصا له دينى) أمر بالاخبار عن اخلاصه وأن يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مأمورا بالعبادة والاخلاص خائفا عن المخالفة من العقاب فقطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) تهديدا وخذلانا لهم (قل ان الخاسرين الكاملين فى الخسران (الذين خسروا أنفسهم) بالضلال (وأهليهم) بالاضلال (يوم القيامة) حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا أهليهم لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده (ألا ذلك هو الخسران المبين) مبالغة فى خسرانهم لما فيه من الاستئناف والتصدير بألا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين (لهم من فوقهم ظل من النار) شرح خسرانهم (ومن تحتهم ظل) أطباق من النار هى ظل للآخرين (ذلك يخوف الله به عباده) ذلك العذاب هو

(قوله والضلال الخ) فيه ان الضلال سبب للجعل لله أندادا لان الضلال نتيجة الجعل الأنسب أن يقال المراد الاستمرار على الضلال (قوله للجمع بين الصفتين) أى ليس تعدد الساجد والقائم باعتبار الذات بل باعتبار تغاير الصفة (قوله لمزيد فضل العلم) فان شرف العالم على الجاهل أقوى من شرف العامل على غيره ولعل الافضلية باعتبار أمره للنبى عليه السلام بان ينفى الاستواء بخلاف السابق فانه ليس فيه أمر بل مجرد نفى الاستواء بخلاف (قوله لان السبق فى الدين بالاخلاص) لك أن تقول الاخلاص أمر مشترك بينه صلى الله عليه وسلم وبين أمته فلا يوجب الاخلاص قصب السبق والاولى أن يقال أمرت بالاخلاص لانه سبب لان أحوز قصب السبق فى الدين لانه صلى الله عليه وسلم لما كان هو الهادى الى الاسلام كان اخلاصه موجبا لسبقه على غيره

الذى يخوّفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه (ياعباد فاتقون) ولاتتعرضوا لما يوجب سخطى (والذين اجتنبوا الطاغوت) البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بنى للمبالغة فى المصدر كالرحوت ثم وصف به للمبالغة فى النعت ولذلك اختص بالشيطان (أن يعبدوها) بدل اشتمال منه (وأنابوا الى الله) وأقبلوا اليه بكلياتهم عما سواه (لهم البشرى) بالثواب على ألسنة الرسل أو الملائكة عند حضور الموت (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم وأنهم نقاد فى الدين يميزون بين الحق والباطل و يؤثرون الافضل فالافضل (أولئك الذين هداهم الله) لدينه (وأولئك هم أولوا الالباب) العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفى ذلك دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار) جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه فكررت الهمزة فى الجزاء تأكيدا لانكارد لاستبعاد ووضع من فى النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على أن من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وأن اجتهاد الرسل فى دعائهم الى الايمان سعى فى انقاذهم من النار و يجوز أن يكون أفأنت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) علالى بعضها فوق بعض (مبنية) بنيت بناء المنازل على الارض (تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت تلك الغرف (وعدالله) مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى الوعد (لايخلف الله الميعاد) لان الخلف نقص وهو على الله محال (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) هو المطر (فسلكه) فادخله (ينابيع فى الارض) هى عيون ومجارى كائنة فيها أومياه نابعات فيها اذا ينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على الظرف أو الحال (ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه) أصنافه من بر وشعير وغيرهما أو كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما (ثم يهيج) يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له أن يثور عن منبته (فتراه مصفرا) من يبسه (ثم يجعله حطاما) فتاتا (ان فى ذلك لذكرى) لتذكيرا بأن لايدمن صانع حكيم دبره وسوّاه وأن بابه مثل الحياة الدنيا فلاتغتر بها (لاولى الالباب) اذلا يتذكر به غيرهم (أفمن شرح الله صدره للاسلام) حتى تمكن فيه يسر عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق للنفس القابلة للاسلام (فهو على نور من ربه) يعنى المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه عليه الصلاة والسلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) من أجل ذكره وهو أبلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسى من أجل الشئ أشد تأبيا عن قبوله من القاسى عنه لسبب آخر وللمبالغة فى وصف أولئك بالقبول وهؤلاء بامتناع ذكر شرح الصدر وأسنده الى الله وقابله بقساوة القلب وأسنده اليه (أولئك فى ضلال مبين) يظهر للناظر بادنى نظر والآية نزلت فى حمزة وعلى وأبى لهب وولده (الله نزل أحسن الحديث) يعنى القرآن روى ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفى الابتداء باسم الله و بناء نزل عليه تأكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه (كتابا متشابها) بدل من أحسن أو حال منه وتشابهه تشابه بعاضه فى الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة (مثانى) جمع مثنى أو مثنى أو مثن على ما مر فى الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات والانسان عظام وعروق وأعصاب أو جعل تمييزا

(قوله لذلك) أى لتأكيد الانكار لان انقاذ الشخص عسر جدا أو متعذر (قوله فنصبها على المصدر أو الحال) فعلى الاول يكون المعنى فادخله ادخال ينابيع فى الارض أى ادخال العيون والمجارى فيها فالمصدر هو المضاف المحذوف ولما حذف أعرب الينابيع الذى هو المضاف اليه اعرابه وعلى الثانى يكون المعنى فادخله نابعات فى الارض وفى نسخ فنصبها على الظرف أو الحال وهو الاصح

من متشابها كقولك رأيت رجلا حسنا شمائله (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل فى شدة الخوف وأقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير باعيا كتركيب القطر من القمط وهو الشد (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان أصل أمره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التى هى من عوارضها (ذلك) أى الكتاب أو الكائن من الخشية والرجاء (هدى الله يهدى به من يشاء) هدايته (ومن يضلل الله) ومن يخذله (فما له من هاد) يخرجهم من الضلال (أفمن يتقى بوجهه) يجعله درقة يتقى به نفسه لانه يكون يداه مغلولة الى عنقه فلا يقدر أن يتقى الا بوجهه (سوء العذاب يوم القيامة) كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف فى نظائره (وقيل للظالمين) أى لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أى وبله والواو للحال وقد مقدرة (كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من الجهة التى لا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها (فاذاقهم الله الخزى) الذل (فى الحياة الدنيا) كالمسخ والخسف والقتل والسبى والاجلاء (ولعذاب الآخرة) المعد لهم (أكبر) لشدته ودوامه (لو كانوا يعلمون) لو كانوا من أهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) يحتاج اليه الناظر فى أمر دينه (لعلهم يتذكرون) يتعظون به (قرآنا عربيا) حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءنى زيد رجلا صالحا أو مدح له (غير ذى عوج) لا اختلال فيه بوجه ما وهو أبلغ من المستقيم وأخص بالمعانى وقيل بالشك استشهادا بقوله

وقد أتناك يقين غير ذى عوج * من الاله وقول غير مكذوب

وهو تخصيص له ببعض مدلوله (لعلهم يتقون) علة أخرى مرتبة على الاولى (ضرب الله مثلا) للمشرك والموحد (رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل) مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من أن يدعى كل واحد من معبوديه عبوديته و يتنازعوا فيه بعبد يشارك فيه جمع يتجاذبونه و يتعاورونه فى مهماتهم المختلفة فى تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس التشاحس الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وثلاثتهما مصادر سلم نعت بها أو حذف منها ذو ورجل سالم أى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه أفطن للضرر والنفع (هل يستويان مثلا) صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع أولان المراد هل يستويان فى الوصفين على أن الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل (الحمد لله) كل الحمد لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون

هذا التوجيه انما يصح اذا كان الضمير راجعا الى المثلين أما اذا كان راجعا الى رجلين فلا يصح أن يقال يستوى الرجلان فيما يرجع الى الوصفية بل يقال يستويان فى الوصفين بقى أن يقال اذا كان المراد ما ذكره صاحب الكشاف ناسب افراد لفظ المثل فتأمل

به غيره من فرط جهلهم (انك ميت وانهم ميتون) فان الكل بصدد الموت وفى عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث (ثم انكم) على تغايب المخاطب على الغيب (يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فتحتجّ عليهم بانك كنت على الحق فى التوحيد وكانوا على الباطل فى التشريك واجتهدت فى الارشاد والتبليغ ولجوا فى التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل أطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام العام بخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم فى الدنيا (فمن أظلم ممن كذب على الله) باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (اذ جاءه) من غير توقف وتفكر فى أمره (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام تحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم يكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجأ ما علم مجيء الرسول به بالتكذيب (والذى جاء بالصدق وصدق به) اللام للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله (أولئك هم المتقون) وقيل هو النبى صلى الله عليه وسلم والمراد هو ومن تبعه كما فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجانى هو الرسول والمصدق أبو بكر رضى الله عنه وذلك يقتضى اظهار الذى وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف أى صدق به الناس فاداه اليهم كالمنزل من غير تحريف أو صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء للمفعول (لهم ما يشاؤن عند ربهم) فى الجنة (ذلك جزاء المحسنين) على احسانهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره أولى بذلك أو لان اشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون أنهم مقصرون مذنبون وان ما يفرط منهم من الصغائر أسوأ ذنوبهم ويجوز أن يكون بمعنى السيئ كقولهم الناقص والاشج أعدلا بنى مروان وقرئ أسواء جمع سوء (ويجزيهم أجرهم) ويعطيهم ثوابهم (باحسن الذى كانوا يعملون) فيدل لهم محاسن أعمالهم باحسنها فى زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها (أليس الله بكاف عبده) استفهام انكار للنفى مبالغة فى الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيد قراءة حمزة والكسائى عباده وفسر بالانبياء صلوات الله عليهم (ويخوفونك بالذين من دونه) يعنى قريشا فانهم قالوا له انا نخاف أن تخبلك آلهتنا بعيبك اياها وقيل انه بعث خالد اليكسر العزى فقال له سادنها احذركها فان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم أنفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لانه الآمر له بما خوف عليه (ومن يضلل الله) حتى غفل عن كفاية الله وخوفه بما لا ينفع ولا يضر (فما له من هاد) يهديه الى الرشاد (ومن يهد الله فما له من مضل) اذ لا راد لفعله كما قال (أليس الله بعزيز) غالب ممتنع (ذى انتقام) ينتقم من أعدائه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره) أى أرأيتم بعد ما تحققتم ان خالق العالم هو الله تعالى ان أعلمتكم ان أرادنى الله أن يصيبنى بضر هل يكشفنه (أو أرادنى برحمة) بنفع (هل هن ممسكات رحمته) فيمسكنها عنى وقرأ أبو عمرو كاشفات ضره ممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته (قل حسبى الله) كافيا فى اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير أنه القادر الذى لا مانع لما يريده من خير أو شر روى ان النبى عليه الصلاة والسلام سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على ما يضفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها (عليه يتوكل المتوكلون) لعلمهم بان الكل منه تعالى (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعيرهنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم (انى عامل)

(قوله لانه مخصوص الخ) والدليل عليه قوله اذ جاءه (قوله وذلك يقتضى اضمار الذى) اذ لولم يضمر لكان الجانى بالصدق والمصدق به واحدا (قوله تعالى لهم ما يشاؤن عند ربهم) المراد والله أعلم انه قدر فى علمه ان لهم ما يشاؤن وهذا التقدير علة لتكفير أسوأ الاعمال فانه اذا قدر فى علمه ما ذكر لابد من التكفير (قوله يحسبون الخ) توضيحه أن يقال لاستعظامهم الذنوب يحسبون ان ما يصدر منهم من التقصيرات التى ليست بذنوب ذنوبا فتكون الصغيرة عندهم أسوأ الذنوب والاولى ان يقال انهم يعدون تقصيراتهم سيآت وان لم تكن ذنوبا فتكون صغائرهم أسوأ أعمالهم وانما خصص الاسوأ بالصغائر لان المذكورين لا تصدر عنهم الكبائر (قوله مبالغة فى الاثبات) لان نفى النفى دليل الاثبات والاثبات لدليل أبلغ من الاثبات لغيره

أى على مكانتى لحذف للاختصار والمبالغة فى الوعيد والاشعار بان حاله لا يقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم فى الدارين فقال (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) فان خزى أعدائه ليل غليته وقد أخزاهم الله يوم بدر (ويحل عليه عذاب مقيم) دائم وهو عذاب النار (انا أنزلنا عليك الكتاب للناس) لاجلهم فانه مناط مصالحهم فى معاشهم ومعادهم (بالحق) ملتبسا به (فمن اهتدى فلنفسه) اذ نفع به نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) فان وباله لا يتخطاها (وما أنت عليهم بوكيل) وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما أمرت بالبلاغ وقد بلغت (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) أى يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا و باطنا وذلك عند الموت أو ظاهرا لا باطنا وهو فى النوم (فيمسك التى قضى عليها الموت) ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائى قضى بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع (و يرسل الاخرى) أى النائمة الى بدنها عند اليقظة (الى أجل مسمى) هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فى ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه (ان فى ذلك) من التوفى والامساك والارسال (لآيات) دالة على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته (لقوم يتفكرون) فى كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة فى توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفى آجالها (أم اتخذوا) بل اتخذ قريش (من دون الله شفعاء) تشفع لهم عند الله (قل أو لو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون) ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهد ونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم (قل لله الشفاعة جميعا) لعلمك بما عسى يجبون به وهو ان الشفعاء أشخاص مقربون هى تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد شفاعة الا بإذنه ورضاه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال (له ملك السموات والارض) فانه مالك الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم فى أمره دون اذنه ورضاه (ثم اليه ترجعون) يوم القيامة فيكون الملك له أيضا حينئذ (واذا ذكر الله وحده) دون آلهتهم (اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) انقبضت ونفرت (واذا ذكر الذين من دونه) يعنى الاوثان (اذا هم يستبشرون) لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ فى الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز أن يمتلئ غما حتى ينقبض أديم وجهه والعامل فى اذا الفاجأة (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) أنت تجزى الى الله بالدعاء لما تحيرت فى أمرهم وضجرت من عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) فانت وحدك تقدر أن تحكم بينى و بينهم (ولو أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) وعيد شديد واقناط كلى لهم من الخلاص (و بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم فى الوعد (و بدا لهم سيآت ما كسبوا) سيآت أعمالهم أو كسبهم حين تعرض صحائفهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وأحاط بهم جزاؤه (فاذا مس الانسان ضر دعانا) اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم فى التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده و يستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما

(قوله والمبالغة فى الوعيد الخ) لان حذفه يشعر بأنه صلى الله عليه وسلم لا يعمل على حاله بل يترقى وهذا هو المبالغة فى الوعيد (قوله وهو قريب مما ذكرنا) ماذكره من أن النفس ينقطع تعلقها بالبدن ظاهرا و باطنا عند الموت الخ فان التصرف الظاهرى هو العقل والتمييز والتصرف الباطن اخراج النفس من الباطن وابقاء الحياة وكلاهما ينقطعان عند الموت والنوع الثانى باق عند النوم (قوله تعالى أم اتخذوا الخ) يحتمل أن يكون اضرابا عما فهم من الجمل السابقة من أن الله هو الخالق وحده فاتخذوا من دونه خالقا بل اتخذوا شفعاء (قوله تعالى و بدا لهم الخ) يحتمل أن يكون معطوفا على جزاء ٧

(قوله ان الله لايغفر أن يشرك به الخ قوله ثلاث مرات) دلائل على اطلاقه فيما عدا الشرك وقوله والتعليل بقوله انه الغفور الرحيم على المبالغة أى يدل على اطلاقه فيما عدا الشرك التعليل المذكور على طريق المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وانما كان افادة الحصر والاعلى كماله فى الرحمة لان حصر صفة لكمال فى أحد يدل على كماله فيها وقوله وتقديم مايستدعى الخ معطوف على قوله ان الله لايغفر أن يشرك به (٢٠) (قوله لدلالته الخ) يعنى لما كان الاسم جامعا لجميع جهات الكمال يكون

اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم (ثم اذا خولناه نعمة منا) أعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به (قال انما أوتيته على علم) منى بوجوه كسبه أو بأنى ما أعطاه لمالى من استحقاقه أو من الله فى واستحقاقى والهاء فيه لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شئ منها (بل هى فتنة) امتحان له أيشكر أم يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر أو لفظ النعمة وقرئ بالتذكير (ولكن أكثرهم لايعلمون) ذلك وهو دليل على أن الانسان للجنس (قد قالها الذين من قبلهم) الهاء لقوله انما أوتيته على علم لانها كلمة أو جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضى به قومه (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا (فاصابهم سيآت ما كسبوا) جزاء سيآت أعمالهم أو جزاء أعمالهم وسماه سيئة لانه فى مقابلة أعمالهم السيئة رمزا الى أن جميع أعمالهم كذلك (والذين ظلموا) بالعتو (من هؤلاء) المشركين ومن للبيان أو التبعيض (سيصيبهم سيآت ما كسبوا) كما أصاب أولئك وقد أصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم (وماهم بمعجزين) بفائتين (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) حيث حبس عنهم الرزق سبعا مع بسط لهم سبعا (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بان الحوادث كلها من الله بوسط أو غيره (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) أفرطوا فى الجناية عليها بالاسراف فى المعاصى واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ماهو عرف القرآن (لاتقنطوا من رحمة الله) لانيأسوا من مغفرته أو لاتؤفضلة ثانيا (ان الله يغفر الذنوب جميعا) عفو اولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لايغفر أن يشرك به الآية والتعليل بقوله (انه هو الغفور الرحيم) على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم مايستدعى عموم المغفرة مما فى عبادى من الدلالة على الملة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بأنفسهم والنهى عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب جميعا ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على أنه المستغنى والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع ومارو ى أنه عليه الصلاة والسلام قال ما أحب أن تكون لى الدنيا وما فيها بها فقال رجل يارسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات ومارو ى أن أهل مكة قالوا يزعم محمد أن من عبد الوثن وقتل النفس يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل فى عياش والوليد بن الوليد فى جماعة افتتنوا أو فى الوحشى لاينفى عمومها وكذا قوله (وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) فانها لاتدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغنى عن التوبة والاخلاص فى العمل وتنافى الوعيد بالعذاب (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) القرآن أو المأمور به دون المنهى عنه أو العزائم دون الرخص أو الناسخ دون المنسوخ ولعله ماهو أنجى وأسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة (من قبل

منعا على الاطلاق من غير تخصيص (قوله بها) أى بدلها (قوله ومن أشرك) عطف على محذوف تقديره هل يغفر ذنوب من لم يشرك و يغفر ذنوب من أشرك (قوله وماروى من ان أهل مكة الخ) ابتداء كلام منفصل عما سبق أى هذه الرواية لاتنفى عموم مغفرة الذنوب (قوله وقيل) قال فى الكشاف روى انه أسلم عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد وناس معهم أمثالهم فتنوا وعذبوا فكانوا يقولون لايقبل الله هم صرفا ولاعدلا أبدا فنزلت فكتب بها عمر رضى الله عنه اليهم فأسلموا وهاجروا (قوله وكذا قوله وأنيبوا الى ربكم الى قوله فانها لخ) يعنى هذه الآية لاتنافى عموم آية المغفرة والشرك لكل أحد لانها أى آية المغفرة وهى قوله تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا الآية لاتدل على حصر المغفرة لكل أحد من غير توبة حتى لايحتاج الى وجوب التوبة والاخلاص المستفاد من قوله تعالى وأنيبوا الى ربكم فتكون هذه الآية منافية لها بل عموم المغفرة أعم من أن يكون بعد تعذيب أو بعد توبة واخلاص (قوله دون المنهى عنه) فيه مافيه لان المأمور به اذا كان أحسن من المنهى عنه لزم أن يكون المنهى عنه حسنا وليس كذلك (قوله تعالى وأنيبوا الخ) معطوف على قوله لاتقنطوا فيكون خطابا للمؤمنين أيضا على ماقاله ولا ينافيه الوعيد بالعذاب لان أهل الحق لاينفون العذاب عن المؤمنين مطلقا

ان

(قوله ورب بقيع الخ) أوله دعا قومه مولى فجأوا لنصره * وناديت قوما بالسناة الخ أى أموانا مقبورين صارت الاحجارة مسناة فوقهم يشكو قومه حين قعدوا عن نصرته فبالغ فى اغضابهم واتهامهم فجعلهم دون الاموات فقال

ورب مقبرة لو هتفت بجوها * أتانى افواج من الكرام ينفضون يحركون رؤسهم لنفض التراب

أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) بمجيئه فتتداركوا (أن تقول نفس) كراهة أن تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس أو للتكثير كقول الاعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوه * أتانى كريم ينفض الرأس مغضبا

(ياحسرتى) وقرئ بالياء على الاصل (على ما فرطت) بما قصرت (فى جنب الله) فى جانبه أى فى حقه وهو طاعته قال سابق البربرى

أما تتقين الله فى جنب وامق * له كبد حرى عليك تقطع

وهو كناية فيها مبالغة كقوله

ان السماحة والمروءة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج

وقيل فى ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل فى قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ فى ذكر الله (وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين بأهله ومحل ان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت وأنا ساخر (أو تقول لو أن الله هدانى) بالارشاد الى الحق (لكنت من المتقين) الشرك والمعاصى (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين) فى العقيدة والعمل وأو للدلالة على أنها لا تخلو من هذه الاقوال تحيرا وتعللا بما لا طائل تحته (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو أن الله هدانى من معنى النفى وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتأخير المودود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله فى فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتأنيث للنفس (ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله) بأن وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد (وجوههم مسودة) بما ينالهم من الشدة أو بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر أن ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو (أليس فى جهنم مثوى) مقام (للمتكبرين) عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك (وينجى الله الذين اتقوا) وقرئ وينجى (بمفازتهم) بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيصها بأهم أقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجى أو لقوله (لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) وهو حال أو استئناف لبيان المفازة (الله خالق كل شئ) من خير وشر وايمان وكفر (وهو على كل شئ وكيل) يتولى التصرف (له مقاليد السموات والارض) لا يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد أو مقلاد من قلدته اذا ألزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضى الله عنه انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها

منها (قوله وهو كناية فيها مبالغة) لان الجنب والجانب فى الاصل الناحية واذا كان التفريط ثابتا فى ناحية شئ يكون ثابتا فيه (قوله مبالغة) فيه أن كل كناية تفيد مبالغة فلا حاجة الى قوله فيها مبالغة واما أن فيه مبالغة أخرى غير ما هو لازم الكنايات فغير ظاهر ولذا لم يذكر هذا القيد صاحب الكشاف بل قال هذا من باب الكناية لانه اذا أثبت الامر فى مكان الرجل وغيره فقد أثبته فيه (قوله وفصله عنه) أى فصل بلى قد جاءتك عن قوله تعالى أو تقول لو أن الله هدانى لان تقديم بلى قد جاءتك يوجب تفرق القرائن أى يوجب الفصل بين أن تقول الاول وأن يقول الثانى وتأخير المودود وهو أن تقول لو أن الله هدانى عن قوله أو تقول حين ترى العذاب يوجب الاخلال بالنظم لانه يفرق الامور التى وقع الترديد فيها (قوله وتذكير الخطاب) أى فتح كاف جاءتك وتاء كذبت واستكبرت وقرئ بالتأنيث أى بكسر الحروف المذكورة (قوله من ظلمة الجهل) ففى الآخرة ترى حال الباطن بعلامات فيرى الجهل بظلمة الوجه (قوله وتفسيرها بالنجاة) أراد أن الفوز هو الفلاح وهو الظفر بالخير ولا يخفى ان أهم أقسامه النجاة من البلاء والظاهر أ... الصالح سببان للظفر (قوله وفيها مزيد دلالة على الاختصاص) لان الاختصاص يفهم من اللام وتقـ...

(قوله وتغيير النظم الى آخره) أى الجلة المعطوف عليها وهو ينجى الله فعاية والمعطوف وهو الذين كفروا جلة اسمية (قوله أو بما يليه) وهو قوله تعالى له مقاليد السموات والارض (قوله ولولا دلالة التقديم على الاختصاص الخ) يمكن أن يقال التخصيص مفهوم من المقام لانه اذا أبطل الاشراك فالامر بعبادة الله أمر بتخصيصه بها فان قيل فما فائدة التقديم قلنا الاهتمام بذكره واعلم أن صاحب الكشاف ذكر ههنا شيأ لا بد منه تركه المصنف وهو أن المعنى لاتعبد ما أمروك به بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه (قوله لهلة الليل) بكسر اللام الشعر الذى جاوز شحمة الاذن والمراد ما ذكر لطلوع الصبح من غير أن يراد بالله المعنى الحقيقى لانه مجازى (قوله وقرئ بالنصب) أى قرئ قبضته بالنصب

ويجده وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها أصابه (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) متصل بقوله وينجى الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على أنه مهيمن على العباد مطلع على أفعالهم مجازعليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة فى فلاح المؤمنين فضل الله وفى هلاك الكافرين أن خسروا أنفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم أو بما يليه والمراد بآيات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض أو كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم ذوحظ من الربحة والثواب (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) أى أفغير الله أعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتأمرونى اعتراض للدلالة على أنهم أمروه بعقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز أن ينتصب غير بما دل عليه تامرونى أن أعبد لانه بمعنى تعبدونى على ان أصله تأمرونى أن أعبد فحذف ان ورفع كقوله * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تامرونى باظهار النونين على الاصل ورافع بحذف الثانية فاما تحذف كثيرا (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك) أى من الرسل (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم لان شركهم أقبح وأن يكون على التغليظ بالموت كما صرح به فى قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب (بل الله فاعبد) ردلما أمروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك (وكن من الشاكرين) انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص (وما قدروا الله حق قدره) ما قدروا عظمته فى أنفسهم حق تعظيمه حيث جعلوه شركاء ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) تنبيه على عظمته وحقارة الافعال العظام التى تتحير فيها الافهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم أهون شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة وهى المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للمؤقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد بها الاراضون السبع أوجميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة فى حكمها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد وأعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم أو ما يضاف اليه من الشركاء (ونفخ فى الصور) يعنى المرة الاولى (فصعق من فى السموات ومن فى الارض) خر ميتا أو مغشيا عليه (الا من شاء الله) قيل جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش (ثم نفخ فيه أخرى) نفخة أخرى وهى تدل على أن المراد بالاولى ونفخ فى الصور نفخة واحدة كما صرح به فى مواضع وأخرى تحتمل النصب والرفع (فاذا هم قيام) قائمون من قبورهم أو متوقفون وقرئ بالنصب على أن الخبر (ينظرون) وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون أبصارهم فى الجوانب كالمبهوتين أو ينتظرون ما يفعل بهم (وأشرقت الارض بنور ربها) بما أقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة وفى الحديث الظلم ظلمات

يوم القيامة ولذلك أضاف اسمه الى الارض أو بنور خلق فيها بلا واسطة أجسام مضيئة ولذلك اضافه الى نفسه (ووضع الكتاب) للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه أو صحائف الاعمال فى أيدى العمال وا كتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف (وجىء بالنبيين والشهداء) الذين يشهدون للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق وهم لايظلمون) بنقص ثواب أوزيادة عقاب على ماجرى به الوعد (ووفيت كل نفس ماعملت) جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) فلايفوته شئ من أفعالهم ثم فصل التوفية فقال (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا) أفواجا متفرقة بعضها فى اثر بعض على تفاوت اقدامهم فى الضلالة والشرارة جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لاتخلو عنه أو من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروأة وهى الجمع القليل (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) ليدخلوها وحتى هى التى تحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء (وقال لهم خزنتها) تقريعا وتوبيخا (ألم يأتكم رسل منكم) من جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على أنه لاتكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم بانيان الرسل وتبليغ الكتب (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وأنهم من أهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) أيها القائل لتهويل مايقال لهم (فبئس مثوى) مكان (المتكبرين) اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سيذكره ولايناف اشعاره بان مثواهم فى النار لتكبرهم عن الحق أن يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) امرا عاجلهم الى دار الكرامة وقيل سيق مرا كبهم اذلا يذهب بهم الا راكبين (زمرا) على تفاوت مراتبهم فى الشرف وعلو الطبقة (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) حذف جواب اذا للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم مالايحيط به الوصف وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئها غير منتظرين وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) لايعتريكم بعد مكروه (طبتم طهرتم من دنس المعاصى (فادخلوها خالدين) مقدرين الخلود فيها والفاء للدلالة على أن طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لايمنع دخول العاصى بعفوه لانه مطهره (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) بالبعث والثواب (وأورثنا الارض) يريدون المكان الذى استقر وافيه على الاستعارة وايرائها تمايملكها مخالفة عليهم من أعمالهم أو تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) أى يتبوأ كل منا فى أى مقام أراده من جنته الواسعة مع أن فى الجنة مقامات معنوية لايتمانع واردوها (فنعم أجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) محدقين (من حول العرش) أى حوله ومن مزيدة أولابتداء الحفوف (يسبحون بحمد ربهم) ملتبسين بحمده والجملة حال

(قوله ولذلك أضاف اسمه الى الارض) أى لما ان الله تعالى فرش الارض نورا أضاف اسمه أى الرب اليها (قوله أيهم القائل الخ) دلالته على انهويل اما باعتبار ان القائلين لكثرتهم لا يمكن عدتهم واما باعتبار القائل فى القوة والقدرة بحيث لايحيط الوصف به ومن كان كذلك كان قوله واقعا لامحالة (قوله لانه يطهره) أى لان العفو يطهره فحصل التطهير له ثم دخل بسببه الجنة (قوله مع ان فى الجنة الخ) جواب سؤال هو انه لو أراد خلق كثير مكانا واحدا لزم ورود الجمع الكثير مكانا واحدا ولزوم ورود الجمع الكثير فى مكان واحد محال فكيف الاجسام الكثيرة فاجاب بانه يمكن ان يراد من المقام المراد من حيث يشاء المكان المعنوى ولايمتنع ورود خلق كثير على مقام واحد معنوى

ثانية أومقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفى جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق فى صفات الحق (وقضى بينهم بالحق) أى بين الخلائق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة أو بين الملائكة باقامتهم فى منازلهم على حسب تفاضلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) أى على ماقضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضى بينهم أوالملائكة وطى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين وعن عائشة رضى الله عنها انه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر والله أعلم

﴿سورة المؤمن مكية وآيها خمس وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) أماله ابن عامر وحمزة والكسائى وأبو بكر بحاو نافع برواية ورش وأبو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين أوالنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث أولانها على زنة أعجمى كقابيل وهابيل (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) لعل تخصيص الوصفين لما فى القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول) صفات أخر لتحقيق مافيه من الترغيب والترهيب والحث على ماهو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على أنه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد بشديد العقاب مشدده أوالشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وأمن الالتباس أوابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محوالذنوب وقبول التوبة أوتغاير الوصفين اذر بما يتوهم الاتحاد أوتغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لاذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفى توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها (لااله الاهو) فيجب الاقبال الكلى على عبادته (اليه المصير) فيجازى المطيع والعاصى (مايجادل فى آيات الله الا الذين كفروا) لماحقق أمر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وأما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث أهل الزيغ به وقطع مطامعهم فيه فمن أعظم الطاعات ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان جدالا فى القرآن كفر بالتنكير مع أنه ليس جدالا فيه على الحقيقة (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) فلا يغررك امهالهم واقبالهم فى دنياهم وتقلبهم فى بلاد الشأم واليمن بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم أخذ من قبلهم كما قال (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود (وهمت كل أمة) من هؤلاء (برسولهم) وقرئ برسولها (ليأخذوه) ليتمكنوا من اصابته بما أرادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر (وجادلوا بالباطل) بما لاحقيقة له (ليدحضوا به الحق) ليزيلوه به (فأخذتهم) بالاهلاك جزاءهم (فكيف كان عقاب) فانكم تمرون على ديارهم وترون أثره وهو تقرير فيه تعجيب (وكذلك حقت كلمة ربك) وعيده أوقضاؤه بالعذاب (على الذين كفروا) بكفرهم (انهم أصحاب النار) بدل من كلمة ربك بدل الكل أوالاشتمال على ارادة اللفظ أو المعنى (الذين يحملون العرش ومن حوله) الكروبيون أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له أوكناية عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم

(قوله وذاكرين له بوصفى جلاله واكرامه) وصف الجلال الوصف السلبى والاكرام الوصف الثبوتى والاول يستفاد من التسبيح الذى هو التنزيه والثانى من الحمد (قوله وفيه اشعار الخ) وجه الاشعار ان ذكر هذه الصفة من بين صفاتهم تدل على انها أكمل صفاتهم

﴿سورة الطول﴾

(قوله وأريد بشديد العقاب الخ) انما قال ذلك لان الاضافة فى شديد العقاب اضافة لفظية لانها اضافة الصفة المشبهة فلا تفيد الاضافة التعريف فلا يصح ان يكون صفة للمعرفة وهو الله (قوله للازدواج) أى لاجل مناسبته مع سائر آفرانه (قوله ولذلك الخ) ولاجل ان مطلق الجدال ليس بمذموم قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا بالتنكير ليشعر بان بعضه كفر (قوله مع انه ليس جدالا فيه) أى الجدال لتحقيق معانيه وسائر ماذكر ليس جدالا فيه بل هو الجدال عنه واما الجدال فيه فهو السعى فى ابطاله

(قوله لان الحمد مقتضى حالهم الخ) لانه لما وردت النعم العظيمة من ربهم عليهم صار هذا منشأ لحمدهم فيكون هذا مقتضى حالهم وأما التسبيح الذى هو التنزيه عن النقائص فليس مقتضى حالهم التى هى توالى النعم عليهم وانما هو محتاج الى ملاحظة أخرى ويمكن أن يقال ان الحمد ههنا هو الحمد الفعلى وهو كونهم على حالة الحمد أى يفعلون مايدل على كبرياء ربهم لان لكل منهم عبادة مخصوصة يشتغل بها دائما فكان الحمد مقتضى حالهم بخلاف التسبيح (قوله فى معرفته سواء) فيه نظر كما لايخفى والاولى أن يقال فى الايمان به سواء فيكون هذا ردا على المجسمة لانه لوكان تعالى جسما ومستعليا على العرش كما قاله المجسمة لكان حملة العرش مشاهدين له ففاوصفوا بالايمان فى معرض المدح لانه انما يوصف الشخص بمدحها بالايمان بالغائب لان الاقرار بوجود شئ مرئى ظاهرا لايوجب المدح فلو قال المصنف بدل معرفته ايمانه لكان حسنا (قوله للاغراق الخ) لانه لما وصف ذاته تعالى بانه وسع كل شئ والحال ان ماذكر صفة الرحمة والعلم فكانه حكم بان ذاته تعالى نفس العلم والرحمة (٣٥) والمبالغة فى عمومهما بسبب انه لما كان التركيب مشعرا بان ذاته كانه نفس الرحمة والعلم وكان لذاته تعالى تعلق بكل شئ اذ كل شئ مخلوق له كانت الرحمة والعلم متعلقين بكل شئ فحصلت المبالغة فى عمومهما (قوله تعميم بعد تخصيص) التخصيص من قوله تعالى وقهم عذاب الجحيم (قوله أو تخصيص بمن صلح) أى ليس هذا دعاء للذين تابوا واتبعوا بل هو دعاء مخصوص لمن صلح من آبائهم الخ (قوله كأنهم طلبوا الخ) طلب المسبب هو قولهم أدخلهم جنات عدن وطلب السبب هو وقايتهم عن السيآت (قوله لانه أخبر عنه) قال العلامة الطيبى قال أبو البقاء ومكى

عنده وتوسطهم فى نفاذ أمره (يسبحون بحمد ربهم) يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح أصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح (ويؤمنون به) أخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله (ويستغفرون للذين آمنوا) واشعارا بأن حملة العرش وسكان الفرش فى معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم مايوجب المغفرة وفيه تنبيه على أن المشاركة فى الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها أقوى المناسبات كما قال تعالى انما المؤمنون اخوة (ربنا) أى يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون أو حال (وسعت كل شئ رحمة وعلما) أى وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن أصله للاغراق فى وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق (وقهم عذاب الجحيم) واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم) وعدتهم اياها (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) عطف على هم الاول أى أدخلهم ومعهم هؤلاء ليتم سرورهم أو الثانى لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد (انك أنت العزيز) الذى لايمتنع عليه مقدور (الحكيم) الذى لايفعل الا ماتقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد (وقهم السيآت) العقوبات أو جزاء السيآت وهو تعميم بعد تخصيص أو تخصيص بمن صلح أو المعاصى فى الدنيا لقوله (ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته) أى ومن نقها فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة كأنهم طلبوا السبب بعد ماسألوا المسبب (وذلك هو الفوز العظيم) يعنى الرحمة أو الوقاية أو مجموعهما (ان الذين كفروا ينادون) يوم القيامة فيقال لهم (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أى لمقت الله اياكم أكبر من مقتكم أنفسكم الامارة بالسوء (اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه أخبر عنه ولالمقتى لان مقتهم أنفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزاء أعمالهم الخبيثة الأن يؤول بنحو بالصيف ضيعت اللبن

وصاحب الكشاف لمقت الله لايعمل فى اذ تدعون لان المصدر اذا أخبر عنه لم يجز أن يتعلق به شئ يكون فى صلته لان الاخبار عنه يؤذن بتمامه ومايتعلق به يؤذن بنقصانه وقال ابن الحاجب فى الامالى والمعنى اذا انتصب اذ تدعون بالمقت الاول لمقت الله اياكم فى الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم فى الآخرة فليس فيه سوى الفرق بين المصدر ومعموله بالاجنبى وهو كبر الذى هو الخبر وهو جائز لان الظروف يتسع فيها (قوله الا أن يؤول الخ) المثل المذكور يضرب لمن حصل فى سالف الزمان ماحصل بسببه ضرر فى المستقبل فعنى بالصيف ضيعت اللبن أى حصلت فيما مضى سببا يصرفه فى المستقبل واذا الوحظ مثل هذا المعنى فى الآية كان المعنى لمقت الله أكبر من سبب مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى المقت وان كان فى الآخرة لكن سببه فى الدنيا فجعل سبب المقت مقتا وفيه مافيه (قوله بالصيف ضيعت اللبن) قيل ان رجلا استنكح امرأة فطلقت فبعد ذلك طلبت منه اللبن فقال الصيف

ضيعت اللبن

أوتعليل للحكم وزمان المقتين واحد (فالوار بنا أمتنا اثنتين) اماتتين بان خلقتنا أمواتا ثم صيرتنا أمواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشئ عادم الحياة ابتداء أو تصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل المختار أحد مفعوليه تصيير وصرف له عن الآخر (وأحييتنا اثنتين) الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحيا آن مافى القبر والبعث اذا القصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله (فاعترفنا بذنوبنا) فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم للبعث (فهل الى خروج) نوع خروج من النار (من سبيل) طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا ونحيرا ولذلك أجيبوا بقوله (ذلكم) الذى أنتم فيه (بأنه) بسبب أنه (اذا دعى الله وحده) متحدا أو توحيد وحده بحذف الفعل وأقيم مقامه فى الحالية (كفرتم) بالتوحيد (وان يشرك به تؤمنوا) بالاشراك (فالحكم لله) المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد الدائم (العلى) عن أن يشرك به ويسوى بغيره (الكبير) حيث حكم على من أشرك وسوى به بعض مخلوقاته فى استحقاق العبادة بالعذاب السرمد (هو الذى يريكم آياته) الدالة على التوحيد وسائر ما يجب أن يعلم تكميلا لنفوسكم (وينزل لكم من السماء رزقا) أسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم (ومايتذكر) بالآيات التى هى كالرموز فى العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك فى التقليد واتباع الهوى (الا من ينيب) يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشئ لا ينظر فيما ينافيه (فادعوا الله مخلصين له الدين) من الشرك (ولو كره الكافرون) اخلاصكم وشق عليهم (رفيع الدرجات ذو العرش) خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده فى الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذى هو أصل العالم الجسمانى فى قبضة قدرته لا يصح أن يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات ومصاعد الملائكة الى العرش والسموات أو درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح (يلقى الروح من أمره) خبر رابع للدلالة على أن الوحانيات أيضا مسخرات لامره باظهار آثارها وهو الوحى وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحى ومن أمره بيانه لانه أمر بالخير أو مبدؤه والآمر هو الملك المبلغ (على من يشاء من عباده) يختاره للنبوة وفيه دليل على أنها عطائية (لينذر) غاية الالقاء والمستكن فيه لله أو لمن أو للروح واللام مع القرب تؤيد الثانى (يوم التلاق) يوم القيامة فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد وأهل السماء والارض أو المعبودون والعباد أو الاعمال والعمال (يوم هم بارزون) خارجون من قبورهم أو ظاهرون لا يسترهم شئ أو ظاهرة نفوسهم لانحجبهم غواشى الابدان أو أعمالهم وسرائرهم (لا يخفى على الله منهم شئ) من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو مايتوهم فى الدنيا (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يسئل عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به أو لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط وأما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) كأنه نتيجة لما سبق وتحقيقه أن النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيآت توجب لذتها وألمها لكنها لا تشعر بها فى الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وأدركت لذتها وألمها (لا ظلم اليوم) بنقص الثواب وزيادة العقاب (ان الله سريع الحساب) اذ لا يشغله شأن عن شأن فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا (وأنذرهم يوم الآزفة) أى القيامة سميت بها لازوفها أى قربها أو الحطة الآزفة وهى مشارفتهم النار وقيل الموت (اذ القلوب لدى

(قوله أو تعليل للحكم الخ) فيكون المعنى لقت الله فى الآخرة اياكم أكبر من مقت بعضكم بعضا لانكم تدعون الى الايمان فتكفرون (قوله فاختيار الفاعل المختار أحد مفعوليه الخ) العبارة لا تخلو عن قصور والاولى أن يقال ان اختيار الفاعل أحد الامرين الحادثين فى القابل القابل صرف لذلك القابل عن المقبول الآخر فجعل صرفه منه كتعلقه (قوله واللام مع القرب تؤيد الثانى) لان الانذار أنسب بمن يشاء من عباده

الحناجر) فانها ترتفع عن أماكنها فتلصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا (كاظمين) على الغم حال من أصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة أومنها أومن ضميرها فى لدى وجعله كذلك لان الكظم من أفعال العقلاء كقوله فظلت أعناقهم لها خاضعين أومن مفعول أنذرهم على أنه حال مقدرة (ما للظالمين من حميم) قريب مشفق (ولا شفيع يطاع) ولا شفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وأنه لظلمهم (يعلم خائنة الاعين) النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه أوخيانة الاعين (وما تخفى الصدور) من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على أنه مما من خفى الاوهو متعاق العلم والجزاء (والله يقضى بالحق) لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشئ الاوهو حقه (والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ) تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضى أولا يقضى وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات وأضاف قل (ان الله هو السميع البصير) تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون و يفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) ما كان حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود (كانوا هم أشد منهم قوة) قدرة وتمكنا وانما جئ بالفصل وحقه أن يقع بين معرفتين لمضارعة أفعل من المعرفة فى امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر أشد منكم بالكاف (وآثارا فى الارض) مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى وأكثر آثارا كقوله * متقلدا سيفا ورمحا * (فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) يمنع العذاب عنهم (ذلك) الاخذ (بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات أوالاحكام الواضحة (فكفروا فاخذهم الله انه قوى) متمكن مما يريده غاية التمكن (شديد العقاب) لايؤبه بعقاب دون عقابه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) يعنى المعجزات (وسلطان مبين) وحجة قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين أولافراد بعض المعجزات كالعصا ففخيما لشأنه (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) يعنون موسى عليه الصلاة والسلام وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم و بيان لعاقبة من هو أشد الذين كانوا من قبلهم بطشا وأقوى زمانا (فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) أى أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم أولا كى يصدوا عن مظاهرة موسى عليه السلام (وما كيد الكافرين الا فى ضلال) فى ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة (وقال فرعون ذروني أقتل موسى) كانوا يكفونه عن قتله و يقولون انه ليس الذى نخافه بل هو ساحر ولوقتلته ظن أنك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا فى أهون شئ دليل على أنه يتيقن أنه نبى نخاف من قتله أوظن أنه لوحاوله لم يتيسر له و يؤيده قوله (وليدع ربه) فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه (انى أخاف) ان لم أقتله (أن يبدل دينكم) أن يغير ما أنتم عليه من عبادته وعبادة الاصنام لقوله و يذرك وآلهتك (أوأن يظهر فى الارض الفساد) ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر أن يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد (وقال موسى) أى لقومه لما سمع بكلامه (انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) صدر الكلام بأن تأكيدا واشعارا على أن السبب المؤكد فى دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافته اليه والهم خاطبهم على موافقته لهم فى تظاهر الارواح من استجلاب

(قوله لانه على الاضافة) أى التقدير اذ حصلت قلوب الخلق لدى الحناجر فيكون كاظمين حالا من الخلق الذين هم أصحاب القلوب وعلى التقدير الثالث يكون المعنى اذ القلوب حصلت لدى الحناجر (قوله على انه حال مقدرة) فيه انهم حال انذارهم لا يكون لهم تقدير الكظم لانهم لا يعتقدون البعث وهذا أحد الوجهين للذين ذكرهما صاحب الكشاف والوجه الآخر أن المعنى مشارفين الكظم وهذا له وجه (قوله خبر خامس) أى لقوله تعالى هو الذى يريكم آياته (قوله أوظن) عطف على قوله يتيقن (قوله و يؤيده قوله الخ) أى يؤيد الظن المذكور لانه لا يناسب التيقن المذكور تجلده وعدم مبالاته بدعائه به

الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرأ أبو عمرو ورجزة والكسائى عدت فيه وفى الدخان بالادغام وعن نافع مثله (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) من أقاربه وقيل من متعلق بقوله (يكتم ايمانه) والرجل اسرائيلى أو غريب موحد كان بنا فقهم (أتقتلون رجلا) أتقصدون قتله (أن يقول) لان يقول أو وقت أن يقول من غير روية وتأمل فى أمره (ربى الله) وحده وهو فى الدلالة على الحصر مثل صديقى زيد (وقد جاءكم بالبينات) المتكثرة الدالة على صدقه من المعجزات والاستدلالات (من ربكم) أضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال (وان يك كاذبا فعليه كذبه) لا يتخطاه و بال كذبه فيحتاج فى دفعه الى قتله (وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) فلا أقل من أن يصيبكم بعضه وفيه مبالغة فى التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا أو يصبكم مايعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد

ترّاك أمكنة اذا لم أرضها * أو يرتبط بعض النفوس حمامها

مردود لانه أراد بالبعض نفسه (ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) احتجاج ثالث ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما أن من خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله أراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثانى لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وطريق النجاة (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين) غالبين عالين (فى الارض) أرض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) أى فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمتنع منه أحد وانما أدرج نفسه فى الضمير بن لانه كان منهم فى القرابة ولير يهم أنه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم (قال فرعون ما أريكم) ما أشير عليكم (الا ما أرى) وأستصوب بعد من قتله وما أعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبى ولسانى متواطئان عليه (وما أهديكم الا سبيل الرشاد) طريق الصواب وقرئ بالتشديد على أنه فعال للمبالغة من رشد كعلام أو من رشد كعباد لا من أرشد كجبار من أجبر لانه مقصور على السماع أو للنسبة الى الرشد كعواج و بتات (وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم) فى تكذيبه والتعرض له (مثل يوم الاحزاب) مثل أيام الامم الماضية يعنى وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود) مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل (والذين من بعدهم) كقوم لوط (وما الله يريد ظلما للعباد) فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلى الظالم منهم بغير انتقام وهو أبلغ من قوله ومار بك بظلام للعبيد من حيث ان المنفى فيه محدوث تعلق ارادته بالظلم (و ياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد) يوم القيامة ينادى فيه بعضهم بعضا للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والثبور أو ينادى أصحاب الجنة وأصحاب النار كما حكى فى الاعراف وقرئ بالتشديد وهو أن يندّ بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من أخيه (يوم تولون) عن الموقف (مدبرين) منصرفين عنه الى النار وقيل فارين عنها (مالكم من الله من عاصم) يعصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فماله من هاد ولقد جاءكم يوسف) يوسف بن يعقوب على أن فرعونه فرعون موسى أو على نسبة أحوال الاباء الى الاولاد أو سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف (من قبل) من قبل موسى (بالبينات) بالمعجزات (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) من الدين (حتى اذا هلك)

(قوله أو يرتبط) معناه الى أن يرتبط (قوله لانه مقصور على السماع) أى فعال من أفعل سماعى (قوله ولا يخلى الظالم الخ) فيه انه يجوز أن يعفو عن الظالم من غير انتقام على ماهو مذهب أهل السنة الا أن يراد بالظلم الكفر

مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده أو جزما بأن لا يبعث من بعده رسول مع الشك فى رسالته وقرئ ألن يبعث الله على أن بعضهم يقرر بعضا بنفى البعث (كذلك) مثل ذلك الضلال (يضل الله) فى العصيان (من هو مسرف مرتاب) شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك فى التقليد (الذين يجادلون فى آيات الله) بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع (بغير سلطان أتاهم) بغير حجة بل اما بتقليد أو بشبهة داحضة (أكبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز أن يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف أى وجدال الذين يجادلون كبر مقتا أو بغير سلطان وفاعل كبر (كذلك) أى كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عينى وسمعت أذنى أو على حذف مضاف أى على كل ذى قلب متكبر (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا) بناء مكشوفا عاليا من صرح الشئ اذا ظهر (لعلى أبلغ الاسباب) الطرق (أسباب السموات) بيان لها وفى ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها (فاطلع الى اله موسى) عطف على أبلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجى ولعله أراد أن يبنى له رصدا فى موضع عال يرصد منه أحوال الكواكب التى هى أسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله اياه أو ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه (وانى لاظنه كاذبا) فى دعوى الرسالة (وكذلك) ومثل التزيين (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه أنه قرئ زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامى وأبو عمرو وصد على أن فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده (وما كيد فرعون الا فى تباب) أى خسار (وقال الذى آمن) يعنى مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه الصلاة والسلام (ياقوم اتبعون أهدكم) بالدلالة (سبيل الرشاد) سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بأن ما عليه فرعون وقومه سبيل الغى (ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) تمتع يسير لسرعة زوالها (وان الآخرة هى دار القرار) لخلودها (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) عدلا من الله وفيه دليل على أن الجنايات تغرم بمثلها (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على أنه شرط فى اعتبار العمل وأن ثوابه أعلى من ذلك (وياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار) كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة فى توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثانى الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده أيضا تفسير لما أجمل فيه تصريحا أو تعريضا أو على الاول (تدعوننى لاكفر بالله) بدل أو بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام (وأشرك به ما ليس لى به) بربوبيته (علم) والمراد نفى المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان فاعتقادها لا يصح الا عن ايقان (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران (لاجرم) لا رد لما دعوه

(قوله ضما الى تكذيب رسالته) هذا لا يناسب قوله فى شك مما جاءكم به فان الشك غير التكذيب (قوله فيه ضمير من الخ) أى الضمير المستتر فى كبر راجع الى من وافراده لانه مفرد اللفظ (قوله أو بغير سلطان) أى أو يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان خبره (قوله وأن يرى فساد قول موسى الخ) هذا التوجيه لا يناسب ظاهر القرآن كما لا يخفى لان معناه الظاهر انه طلب أسباب الصعود الى السماء حتى يطلع على اله موسى الا أن يقال ان كلامه على الفرض والتقدير يعنى لا يمكن الاطلاع الى اله موسى ولو أمكن فابن لى ياهامان صرحا (قوله ولعل تقسيم العمال) تقسيمهم يستفاد من قوله تعالى من ذكر أو أنثى (قوله وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الاشارة الخ) لان كلا منهما يفيد نوع تأكيد أما الاسمية فلافادتها الدوام والثبوت واما التصدير باسم الاشارة فلانه يفيد علية الحكم فكأنه قيل هؤلاء الموصوفون بما ذكر يدخلون الجنة (قوله ولذلك لم يعطف النداء الثانى على النداء الاول) لكونه بيانا له (قوله فان ما بعده أيضا) أى ما بعد النداء الثالث أيضا تعيين لما أجمل فى النداء الاول تصريحا باعتبار أن الدعوة الى النجاة هى الهداية الى سبيل الرشاد وفى النداء الاول تعريض بان قوم فرعون داعون الى النار وفى النداء الثالث تصريح بذلك التعريض

اليه وجزم فعل بمعنى حق وفاعله (أنما تدعونني اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) أى حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها أصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضى ألوهيتها وعدم دعوة مستجابة أو عدم استجابة دعوتها وقيل جزم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه أى كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الاظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجزم بمعنى القطع كما ان بدا من لا يدفعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لأبطال دعوة ألوهية الاصنام أى لا ينقطع فى وقت ما فننقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد (وأن مردنا الى الله) بالموت (وان المسرفين) فى الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء (هم أصحاب النار) ملازموها (فستذكرون) وقرئ فستذكرون أى فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب (ما أقول لكم) من النصيحة (وأفوّض أمرى الى الله) ليعصمنى من كل سوء (ان الله بصير بالعباد) فيحرسهم وكأنه جواب توعدهم المفهوم من قوله (فوقاه الله سيئات ما مكروا) شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام (وحاق بآل فرعون) بفرعون وقومه فاستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه أولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فرالى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلى والوحوش حوله صفوفا فرجعوا وأعلموا فقتلهم (سوء العذاب) الغرق أو القتل أو النار (النار يعرضون عليها غدوّا وعشيا) جملة مستأنفة أو النار خبر محذوف و يعرضون استئناف للبيان أو بدل و يعرضون حال منها أو من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص أو باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار اخراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوه وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود أن أرواحهم فى أجواف طيور سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتأبيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر (و يوم تقوم الساعة) أى هذا مادامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم (أدخلوا آل فرعون) يا آل فرعون (أشد العذاب) عذاب جهنم فانه أشد مما كانوا فيه أو أشد عذاب جهنم وقرأ حمزة والكسائى ونافع و يعقوب وحفص أدخلوا على أمر الملائكة بادخالهم النار (واذ يتحاجون فى النار) واذكر وقت تخاصمهم فيها و يحتمل العطف على غدوّا (فيقول الضعفاء للذين استكبروا) تفصيل له (انا كنا لكم تبعا) تباعا لكم فى جمع خادم أو ذوى تبع بمعنى اتباع على الاضمار أو التجوز (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار) بالدفع أو الحمل ونصيبا مفعول به لمادل عليه مغنون أو له بالتضمين أو مصدر كشيأ فى قوله لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ فيكون من صلة لمغنون (قال الذين استكبروا انا كل فيها) نحن وأنتم فكيف نغنى عنكم ولو قدر للاغنياء عن أنفسنا وقرئ كلا على التأكيد لانه بمعنى كلنا ونونه عوض عن المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن فى الظرف فانه لا يعمل فى الحال المتقدمة كما يعمل فى الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب (ان الله قد حكم بين العباد) بان أدخل أهل الجنة وأهل النار النار ولا معقب لحكمه (وقال الذين فى النار لخزنة جهنم) أى لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل أو لبيان محلهم فيها اذ يحتمل أن تكون جهنم أبعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما) قدر يوما (من العذاب) شيأ من العذاب و يجوز أن يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه (قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) أرادوا به الزامهم للحجة وتو بيخهم على اضاعتهم أوقات الدعاء وتعطيلهم أسباب الاجابة (قالوا بلى قالوا فادعوا) فالانتجترئ فيه اذلم يؤذن لنا فى الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة (وما دعاء

وتحتمل عطفه الخ) فان قيل فعلى هذا يكون المعنى النار يعرضون عليها وقت محاجتهم فى النار والحال ان أحدهما هو الآخر فيكون تكرارا قلنا ليس أحدهما عين الآخر بل غيره مستلزم اذ يمكن الدخول فى النار والمحاجة فيها من غير عرضهم على النار اذا المراد من هذا العرض احراقهم ولا يلزم من الدخول فيها الاحراق اذ الملائكة الموكلون عليها داخلون فيها مع عدم احراقهم (قوله على الاضمار أو التجوز) فالاضمار أن يكون ذوى مقدرا والتجوز أن يكون تبعا بمعنى ذوى تبع مجازا (قوله ونصبا مفعول لمادل عليه الخ) توضيحه ان مغنون بمعنى نافعون قال فى الصحاح مايغنى عنك هذا أى مايجدى عنك ومايمنعك فمغنون دال على الدفع لان النافع قد يكون نفعه بدفع الضر فاما أن يقدر يدفعون و يجعل نصيبا مفعوله أو يقدر الكلام هكذا فهل أنتم مغنون دافعين عنا نصيبا من النار (قوله فيكون من صلة لمغنون) فيكون المعنى فهل أنتم دافعون عنا بعض عذاب النار (قوله بحذف المضاف) والتقدير عذاب يوم

الكافرين الا فى ضلال) ضياع لا يجاب وفيه اقناط لهم عن الاجابة (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا) بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة (فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) أى فى الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لاعدائهم عليهم من الغلبة احيانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة أو لانه لم يؤذن لهم فيعتذروا وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء (ولهم اللعنة) البعد عن الرحمة (ولهم سوء الدار) جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) ما يهتدى به فى الدين من المعجزات والصحف والشرائع (وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب) وتركنا عليهم بعده من ذلك التوراة (هدى وذكرى) هداية وتذكرة أو هاديا ومذكرا (لاولى الالباب) لذوى العقول السليمة (فاصبر) على أذى المشركين (ان وعد الله حق) بانصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون (واستغفر لذنبك) وأقبل على أمر دينك وتدارك فرطاتك بترك الاولى والاهتمام بأمر العدا بالاستغفار فانه تعالى كافيك فى النصر واظهار الامر (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم) عام فى كل مجادل مبطل وان نزل فى مشركى مكة أو اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسيرمعه الانهار (ان فى صدورهم الا كبر) الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم أو ارادة الرياسة أو أن النبوة والملك لا يكونان الا لهم (ماهم ببالغيه) ببالغى دفع الآيات أو المراد (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه (انه هو السميع البصير) لاقوالكم وأفعالكم (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) فمن قدر على خلقها مع عظمها أولا من غير أصل قدر على خلق الانسان ثانيا من أصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه من أمر التوحيد (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم أهواءهم (وما يستوى الاعمى والبصير) الغافل والمستبصر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء) والمحسن والمسئ فينبغى أن يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهى فيما بعد البعث وزيادة لا فى المسىء لان المقصود نفى مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثانى عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين فى المقصود أو الدلالة بالصراحة والتمثيل (قليلا ما يتذكرون) أى تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس أو الكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب أو الالتفات أو أمر الرسول بالمخاطبة (ان الساعة لآتية لا ريب فيها) فى مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به (وقال ربكم ادعونى) اعبدونى (أستجب لكم) أنبكم لقوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة أو المراد بالعبادة الدعاء فانه من أبوابها وقرأ ابن كثير وأبو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) لتستريحوا فيه بأن خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف الحركات وهدوّ الحواس (والنهار مبصرا) يبصر فيه أو به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال (ان الله لذو فضل على الناس) لا يواز به فضل وللاشعار به لم يقل للفضل (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم (ذلكم)

المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية (الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو) أخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة (فأنى تؤفكون) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أى كما أفكوا افك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها (الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء) استدلال ثان بأفعال أخر مخصوصة (وصوركم فأحسن صوركم) بأن خلقكم منتصب القامة بادى البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيأ لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات (ورزقكم من الطيبات) اللذائذ (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) فان كل ماسواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال (هو الحى) المتفرد بالحياة الذاتية (لا اله الا هو) اذ لا موجود سواه ولا موجود يساويه أو يدانيه فى ذاته وصفاته (فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك والرياء (الحمد لله رب العالمين) قائلين له (قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى) من الحجج والآيات أو من الآيات فانها معقولة لادلة العقل منبهة عليها (وأمرت أن أسلم لرب العالمين) بان انقادله أو أخلص له دينى (هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا) أطلق لاوالتوحيد لارادة الجنس أوعلى تأويل كل واحد منكم (ثم لتبلغوا أشدكم) اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا فى قوله (ثم لتكونوا شيوخا) ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرأ نافع رأبو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ شيخا كقوله طفلا (ومنكم من يتوفى من قبل) من قبل الشيخوخة أو بلوغ الاشد (ولتبلغوا) و يفعل ذلك لتبلغوا (أجلا مسمى) هو وقت الموت أو يوم القيامة (ولعلكم تعقلون) ما فى ذلك من الحجج والعبر (هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا) فاذا أراده (فانما يقول له كن فيكون) فلا يحتاج فى تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على أن ذلك نتيجة ماسبق من حيث انه يقتضى قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون) عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل أوالمجادل فيه أولتأكيد (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن أو بجنس الكتب السماوية (وبما أرسلنا به رسلنا) من سائر الكتب أوالوحى والشرائع (فسوف يعلمون) جزاء تكذيبهم (اذ الاغلال فى أعناقهم) ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضى لتيقنه (والسلاسل) عطف على الاغلال أومبتدأ خبره (يسحبون فى الحميم) والعائد محذوف أى يسحبون بهاوهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال فى أعناقهم بمعنى أعناقهم فى الاغلال أواضمارا للباء وبدل عليه القراءة به (ثم فى النار يسجرون) يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب أى ملئ والمراد انهم يعذبون بأنواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض (ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا) غابوا عنا وذلك قبل أن تقرن بهم آلهتهم أوضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيأ) أى بل تبين لنا أنا لم نكن نعبد شيأ يعبأ بعبادتهم فانهم ليسوا شيأ يعتد به كقولك حسبته شيأ فلم يكن (كذلك) مثل ذلك الضلال (يضل الله الكافرين) حتى لا يهتدوا الى شئ ينفعهم فى الآخرة أو يضلهم عن آلهتهم حتى لوتطلبوا والم يتصادفوا (ذلكم) الاضلال (بما كنتم تفرحون فى الارض) تبطرون وتتكبرون (بغير الحق) وهو الشرك والطغيان (وبما

سبق أن يقال والنهار لتبصروا فيه فعدل اليه للمبالغة (قوله أومن الآيات) أى الآيات القرآنية الدالة على الصفات فانها مقروبة الخ لان الدلالة النقلية مقوية للعقلية

كنتم تمرحون) تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ (ادخلوا أبواب جهنم) الابواب السبعة المقسومة لكم (خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود بسبب الثواء عبر بالمثوى (فاصبر أن وعد الله) بهلاك الكافرين (حق) كائن لا محالة (فاما ننبك) فان نرك وما نزيد قليلا كيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها (بعض الذى نعدهم) وهو القتل والاسر (أو نتوفينك) قبل أن نراه (فالينا يرجعون) يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز أن يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك أو لم نعذبهم فاما نعذبهم في الآخرة أشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) اذ قيل عددا لانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والمذكور قصصهم أشخاص معدودة (وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها (فاذا جاء أمر الله) بالعذاب في الدنيا أو الآخرة (قضى بالحق) بانجاء المحق وتعذيب المبطل (وخسر هنالك المبطلون) المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها (الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون) فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل وبركب كالابل والبقر (ولكم فيها منافع) كالالبان والجلود والاوبار (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) بالمسافرة عليها (وعليها) في البر (وعلى الفلك) في البحر (تحملون) وانما قال وعلى الفلك ولم يقل في الفلك للزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش وهو من الضروريات والتلذذ والتركيب والسافرة عليها قد تكون لأغراض دينية واجبة أو مندوبة أو لغرض بين العين والمنفعة (ويريكم آياته) دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته (فأى آيات الله) أى فأى آية من تلك الآيات (تنكرون) فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب أى اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء في أى أغرب منها في الاسماء غير الصفات لابهامه (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض) مايق منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار أقدامهم في الارض لعظم اجرامهم (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ما الاولى نافية أو استفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة به (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات والآيات الواضحات (فرحوا بما عندهم من العلم) واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم في الآخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم أو علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك أو علم الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به وبوحيه (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وقيل الفرح أيضا للرسل فانهم لما رأوا إنما دى جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) يعنون الاصنام (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما أغنى كالنتيجة لقوله كانوا أكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم رسلهم كالتفسير لقوله فما أغنى والباقيتان لان رؤية البأس مسببة عن مجىء الرسل وامتناع نفى الايمان مسبب عن

(قوله سبب الثوى) لان الثوى الاقامة والدخول المقيد بالخلود يستلزمها (قوله أو للفرق بين العين والمنفعة) فان الأكل أخذ العين والركوب والمسافرة الانتفاع (قوله والتفرقة الخ) أى التفرقة في الاسماء غير الصفات غريب وفى أى أغرب لان التمييز غير مطلوب فيه لانها موضوعة للابهام (قوله والفاء الاولى) هى الفاء في قوله فما أغنى عنهم والفاء الثانية هى الفاء في فلما جاءتهم والباقيتان هما ما في قوله فلما رأوا باسنا وقوله فلم يك ينفعهم

الرؤية (سنة الله التي قد خلت في عباده) أي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة (وخسر هنالك الكافرون) أي وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

﴿سورة السجدة مكية وآياتها ثلاث أو أربع وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) ان جعلته مبتدأ فخبره (تنزيل من الرحمن الرحيم) وان جعلته تعديد اللحروف فتنزيل خبر محذوف أو مبتدأ التخصصه بالصفة وخبره (كتاب) وهو على الاولين بدل منه أو خبر آخر أو خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على أنه مناط المصالح الدينية والدنيوية (فصلت آياته) ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت أي فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني أو فصلت بين الحق والباطل (قرآنا عربيا) نصب على المدح أو الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه (لقوم يعلمون) أي لقوم يعلمون العربية أو لاهل العلم والنظر وهو صفة أخرى لقرآنا أو صلة لتنزيل أو لفصلت والاول أولى لوقوعه بين الصفات (بشيرا ونذيرا) للعاملين به والمخالفين له وقرئا بارفع على الصفة للكتاب أو الخبر لمحذوف (فأعرض أكثرهم) عن تدبره وقبوله (فهم لا يسمعون) سماع تأمل وطاعة (وقالوا قلوبنا في أكنة) أغطية جمع كنان (مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر) صمم وأصله الثقل وقرئ بالكسر (ومن بيننا وبينك حجاب) يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على أن الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقادهم وجع أسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم (فاعمل) على دينك أو في ابطال أمرنا (انا عاملون) على ديننا أو في ابطال أمرك (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد) لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا أدعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما أدعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد دل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل (فاستقيموا اليه) فاستقيموا في أفعالكم متوجهين اليه أو فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل (واستغفروه) مما أنتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال (وويل للمشركين) من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله (الذين لا يؤتون الزكوة) لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من أعظم الرذائل وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكى أنفسهم وهو الايمان والطاعة (وهم بالآخرة هم كافرون) حال مشعرة بأن امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للآخرة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر) عظيم (غير ممنون) لا يمن به عليهم من المن وأصله الثقل أو لا يقطع من منه الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) في مقدار يومين أو نوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في أسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين أنه خلق لها أصلا مشتركا ثم خلق لها صورا ما صارت أنواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته (وتجعلون له أندادا) ولا يصح أن يكون له ند (ذلك) الذي خلق الارض في يومين (رب العالمين) خالق جميع ما وجد من الممكنات

﴿سورة فصلت﴾

(قوله أي فصل بعضها من بعض) فيه ان فصل متعد وماذكره من المعنى يكون لازما (قوله أو فصلت) عطف على فصل وهذا هو الظاهر وماذكره أولا فيه تكلف (قوله ومن بيننا وبينك) معناه ابتداء مسافة بيننا وبينك وابتداء مسافة بينك وبيننا وأوضحه العلامة التفتازاني بان البين اسم للوسط بالسكون سواء حازى الوسط أولا واذا كان مبدأ الحجاب من البينين لا أولوية لبعض الاجزاء ليكون منتهى فيتهى بالطرف الذي يلي مخاطبك فيحصل الاستيعاب بمجرد ذلك فكيف اذا اعتبر ابتداء له من طرف مخاطبك وانتهاء الى طرفك ولا كذلك لو ترك من فانه لا يدل الا على حصول حجاب بينكما كيف كان (قوله ومن للدلالة الخ) يعني لو قيل وبيننا وبينك حجاب لم يعلم ان الحجاب استوعب المكان (قوله وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع) أي بالاعمال منها أداء الزكاة اذ يفهم منه تهديدهم بترك الزكاة والالم يكن لذكره كثير فائدة (قوله كاصح الخ) أي كما كتب لهم الاجر في وقت هو أصح أوقات أعمالهم (قوله وخلق في كل نوبة الى آخره) أي لا حاجة الى مقدار اليوم

ومربيها (وجعل فيها رواسى) استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة (من فوقها) مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب (و بارك فيها) وأكثر خيرها بأن خلق فيها أنواع النبات والحيوان (وقدر فيها أقواتها) أقوات أهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه و يعيش به أو أقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من أقطارها وقرئ وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام) فى تتمة أربعة أيام كقولك سرت من البصرة الى بغداد فى عشرة أيام والى الكوفة فى خمسة عشر يوما ولعله قال ذلك ولم يقل فى يومين للاشعار باتصالهما باليومين الاولين والتصريح على الفذلكة (سواء) أى استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة أيام و يدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير فى أقواتها أو فى فيها وقرئ بالرفع على هى سواء (للسائلين) متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها أو بقدر أى قدر فيها الاقوات للطالبين لها (ثم استوى الى السماء) قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوى على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقتين لا للتراخى فى المدة لقوله والارض بعد ذلك دحاها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها (وهى دخان) أمر ظلمانى ولعله أراد به مادتها أو الاجزاء المتصغرة التى ركبت منها (فقال لها وللارض ائتيا) بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وأبرزا ما أودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة أو ائتيا فى الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير أو الترتيب للرتبة أو الاخبار أو اتيان السماء حدوثها واتيان الارض أن تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه أو لتأت كل منكما الاخرى فى حدوث ما أريد توليده منكما و يؤيده قراءة وآتيا من المؤاتاة أى لتوافق كل واحدة أختها فيما أردت منكما (طوعا أو كرها) شئتما ذلك أو أبيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال (قالتا أتينا طائعين) منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بأمر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل من انه تعالى خاطبهما وأقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين كقوله ساجدين (فقضاهن سبع سموات) فخلقهن خلقا ابداعيا وأتقن أمرهن والضمير للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثانى (فى يومين) قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة (وأوحى فى كل سماء أمرها) شأنها وما يتأتى منها بأن حملها عليه اختيارا أو طبعا وقيل أوحى الى أهلها بأوامره ونواهيه (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) فان الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ عليها (وحفظا) أى وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه

(قوله للفصل الخ) وهو قوله تعالى وتجعلون له أندادا لانه معطوف على تكفرون وقال العلامة الطيبى هذا مثل قوله تعالى وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام فان صاحب الكشاف قال ان المسجد الحرام معطوف على سبيل الله وقد تخلل بين المعطوفين فاصل هو كفر به باعتبار لان كفر به فى معنى الصد فكأنه قيل صد عن سبيل الله والمسجد الحرام (قوله وقيل حال من الضمير فى أقاوتها أو فى فيها) فعلى الاول المعنى مستو أقواتها واستواؤها حصول قوت فى كل قطر وعلى الثانى مستو الارض فى حصول القوت فيها (قوله لقوله تعالى و لارض بعد ذلك دحاها الخ) أى يعلم من هذه الآية ان دحو الارض مؤخر عن خلق السماء ومعلوم ان دحوها مقدم على خلق الجبال فيها فعلم ان خلق الجبال مؤخر بمرتبتين عن خلق السماء فلا يلائم أن يقال ان ثم فى قوله تعالى ثم استوى للتراخى الزمانى والا لزم تأخر خلق السماء عن خلق الجبال وهذا مناقض للاول وانما قال الظاهر لان قوله تعالى ثم استوى الى السماء ليس نصا فى أن المراد خلق السماء بأن قصد نحوها وأمرها بالاتيان فقال لها الخ (قوله على ان الخلق السابق بمعنى التقدير) أى الخلق المستفاد من قوله خلق الارض الى قوله ثم استوى (قوله أو الترتيب للرتبة الخ) أى يكون الخلق الاول بمعناه الحقيقى والترتيب المستفاد من فقال للرتبة أى القول المذكور لهما وان كان مقدما على خلقهما لكن رتبة الخلق أكمل من رتبة القول المذكور لانه مقدمة الخلق (قوله أو الاخبار) يعنى أو الترتيب للاخبار والمعنى فأخبر انه قال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها (قوله وقد عرفت ما فيه) لانه يدل على ان دحو الارض مؤخر عن خلق السماء وهو ينافى أن يكون خلق الجبال مقدما على خلق السماء كما علم من الآية السابقة (قوله انما يتصور على الوجه الاول والأخير) أى الوجه الاول من تفسير قوله تعالى ائتيا وهو قوله ائتيا بما خلقت فيكما الخ وكذا الوجه الاخير وهو قوله أو ليأت كل واحد منكما الاخرى فى حدوث ما أريد توليده منكما لانهما على هذين التقديرين موجودتان قبل خطاب ائتيا فيمكن خطابهما واقدارهما على الجواب وأما على غير هذين الوجهين بأن يكون المراد ائتيا فى الوجود الخ فلا اذ يكون المراد باتيان السماء حدوثها فلا

يتصور الخطاب لهما لان خطاب المعدوم غير معقول (قوله صعقته الصاعقة) أى صاعقة عاد وثمود تدل على أن الصعق مثل وصعقة عاد تدل على الملازم فقال ان الصعق يجيء متعديا ولازما كما يقال صعقته الصاعقة الخ (قوله ولا يجوز جعله صفة لصاعقة) أى لا يجوز أن يكون صفة لصاعقة

فى قوله تعالى أنذرتكم صاعقة اذ يلزم أن تكون الصاعقة المنذر بها واقعة فى زمان مجيء الرسل فى زمان عاد وثمود وكذا لا يجوز أن يكون ظرفا لأنذرتكم والا لزم أن يكون انذار النبى صلى الله عليه وسلم فى زمان مجيء الرسل المذكور (قوله وكل من اللفظين يحتملهما) أى بين الايدى يحتمل أن يكون الزمان الماضى والمستقبل وكذا الخلف (قوله أو من قبلهم ومن بعدهم الخ) قال صاحب الكشاف فان قلت الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم انا بما أرسلتم به كافرون قلت فجاءهم هود وصالح داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل من جاء من بين أيديهم أى من قبلهم ومن يجىء من خلفهم أى من بعدهم فكان الرسل جميعا قد جاؤهم وهو قولهم انا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح وسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم (قوله ينزع الصخرة فيقتلعها) ان أبقى النزع على حقيقته وهو القلع كان قوله فيقتلعها اعطاء نفسيريا له وان أريد معناه المجازى بان يكون المراد شديد يزع الصخرة يكون نزع مثل قرأت فى قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله (قوله للمبالغة) أى للمبالغة فى لزوم الخزى للعذاب فكأنه عينه (قوله عبارة عن كثرة اهل النار) لان أهل النار المساقين اليها مجتمعة متصلة بعضها ببعض لا يتفرقون فلو كانوا ايايين لاحاجة الى حبس

قال وخصصنا السماء الدنيا بما يهيج زينة وحفظا (ذلك تقدير العزيز العليم) الباغم فى القدرة والعلم (فان أعرضوا) عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم صاعقة) نحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة (مثل صاعقة عاد وثمود) وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته لصاعقة صعقا فصعق صعقا (اذ جاءتهم الرسل) حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة أو ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى (من بين أيديهم ومن خلفهم) أنوهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمن الماضى بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما أعد لهم فى الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما أو من قبلهم ومن بعدهم اذقد بلغهم خبر المتقدمين وأخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعين الى الايمان بهم أجمعين ويحتمل أن يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يا نبها رزقها رغدا من كل مكان (ألا تعبدوا الا الله) بأن لا تعبدوا أو أى لا تعبدوا (قالوا لو شاء ربنا) ارسال الرسل (لأنزل ملائكة) برسالته (فانا بما أرسلتم به) على زعمكم (كافرون) اذ أنتم بشر مثلنا الافضل لكم علينا (فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق) فتعظموا فيها على أهلها من غير استحقاق (وقالوا من أشد منا قوة) اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده (أولم يروا ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) فسرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر عليه أحد غيره (وكانوا بآياتنا يجحدون) يعرفون نبوتها حق ويتركونها وهو عطف على فاستكبروا (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذى يصر أى يجمع أو شديدة الصوت فى هبوبها من الصرير (فى أيام نحسات) جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف أو النعت على فعل أو الوصف بالمصدر قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا) أضاف العذاب الى الخزى وهو الذل على قصد وصفه به لقوله (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو فى الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازى للمبالغة (وهم لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم (وأما ثمود فهديناهم) فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا فى الحالين وبضم الثاء (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الضلالة على الهدى (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) صاعقة من السماء فأهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة (بما كانوا يكسبون) من اختيار الضلالة (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) من تلك الصاعقة (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب أعداء (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهو عبارة عن كثرة أهل النار (حتى اذا ما جاؤها) اذا حضروها ومن مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) بان ينطقها الله تعالى أو يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترفوه فانتطق بلسان الحال (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا)

سؤال

سؤال توبيخ أو تعجب ولعل المراد به نفس التعجب (قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) أى ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ أو ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى أنطق كل حى ولو أول الجواب والنطق بدلالة الحال بقى الشئ عاما فى الموجودات الممكنة (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) يحتمل أن يكون تمام كلام الجلود وأن يكون استئنافا (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أى كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم أن أعضاءكم تشهد عليكم بها فما استترتم عنها وفيه تنبيه على أن المؤمن ينبغى أن يتحقق أنه لا يمر عليه حال الا وهو عليه رقيب (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) فلذلك اجترأتم على ما فعلتم (وذلكم) اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله (ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) خبران له ويجوز أن يكون ظنكم بدلا وأرداكم خبرا (فأصبحتم من الخاسرين) اذ صار ما منحوا للاستسعاد به فى الدارين سببا لشقاء المنزلين (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) لا خلاص لهم عنها (وان يستعتبوا) يسألوا العتبى وهى الرجوع الى ما يحبون (فما هم من المعتبين) المجابين اليها ونظيره قوله تعالى حكاية أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين أى ان يسألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة (وقيضنا) وقدرنا (لهم) للكفرة (قرناء) أخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل أصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة (فزينوا لهم ما بين أيديهم) من أمر الدنيا واتباع الشهوات (وما خلفهم) من أمر الآخرة وانكاره (وحق عليهم القول) أى كلمة العذاب (فى أمم) فى جملة أمم كقوله

ان تك عن أحسن الصنيعة مأ * فوكا ففى آخرين قد أفكوا

وهو حال من الضمير المجرور (قد خلت من قبلهم من الجن والانس) وقد عملوا مثل أعمالهم (انهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) وعارضوه بالخرافات أو ارفعوا أصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغا يلغو اذا هذى (لعلكم تغلبون) أى تغلبونه على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) المراد بهم هؤلاء القائلون أو عامة الكفار (ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون) سيآت أعمالهم وقد سبق مثله (ذلك) اشارة الى الاسوا (جزاء أعداء الله) خبره (النار) عطف بيان للجزاء أو خبر محذوف (لهم فيها) فى النار (دار الخلد) فانها دار اقامتهم وهو كقولك فى هذه الدار دار سرور وتعنى بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) ينكرون الحق أو يلغون وذكر الجحود الذى هو سبب اللغو (وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس) يعنى شيطانى النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وأبو بكر والسوسى أرنا بالتخفيف كفخذ فى فخذ وقرأ الدورى باختلاس كسرة الراء (نجعلهما

الأول لحصول الآخر بل يساق الجماعة القليلة من غير توقف وحبس (قوله وما ظننتم الخ) لم يتبين منه ان تقدير الآية ماذا وتوضيحه أن يقال وما كنتم تستترون كراهة أن يشهد عليكم سمعكم فيكون ان يشهد مفعولا له والمعنى ما ظننتم ما ذكر ان أعضاؤكم الخ ولكن ظننتم الآية (قوله من أمر الآخرة وانكاره) المقصود من أمر الآخرة هو انكارها (قوله ان تك الخ) أى أنت فى جملة آخرين فأنت فى عداد آخرين لست فى ذلك باوحد والمعنى ان تك عن أحسن الاعمال مصروفا بالكذب أى ممنوعا منه بسبب الكذب فهذا الصرف أمر شائع بين الناس (قوله وقد سبق مثله) أى فى سورة الزمر فى قوله ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا وتفصيل ما ذكر فيه ان أسوأ ليس من اضافة أفعل الى ما أضيف اليه لقصد الزيادة عليه ولكن من اضافة الشئ الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقوله الاشج أعدل بنى مروان ولما كان ذلك اشارة الى الاسوأ لا بد ان يكون الاسوأ عبارة عن الجزاء لا عن العمل ليصح الاخبار عنه بجزاء أعداء الله النار فيكون الجزاء مقدرا والتقدير ما ذكر أسوأ جزاء سيئات أعمالهم الذى كانوا يعملون فيكون الذى للجنس كما قال فى قوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به ان الذى للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين كقوله تعالى أولئك هم المتقون هذا تصحيح كلامه ولا يخفى ما فيه من التكلفات ولو لم يذكر قوله سيئات أعمالهم لكان أولى ولذا لم يذكره صاحب الكشاف بل قال والتقدير أسوأ جزاء الذى كانوا يعملون (قوله على المقصود) هو الصفة لم يذكر هو ولا صاحب الكشاف وجه اضافة الدار الى الخلد والسرور وفائدة ذكرها ووجهه انه من باب التجريد وهو أن ينزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله مبالغة لكماله فيهما هكذا قالوا ويمكن أن يقال ان لكل أحد من أهل الجنة مقاما هو دار الخلد له فصح ان لكل منهم فى الجنة دار الخلد

تحت أقدامنا) ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل (ليكونا من الاسفلين) مكانا أو ذلا (ان الذين قالوا ربنا الله) اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته (ثم استقاموا) في العمل وثم لتراخيه عن الاقرار في الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة أو لانها عسر فلما تتبع الاقرار وروى عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض جزئياتها (تتنزل عليهم الملائكة) فيما يعن لهم مما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن أو عند الموت أو الخروج من القبر (الا تخافوا) ما تقدمون عليه (ولا تحزنوا) على ما خلفتم وأن مصدرية أو مخففة مقدرة بالباء أو مفسرة (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) في الدنيا على لسان الرسل (نحن أولياؤكم في الحيوة الدنيا) نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة (وفي الآخرة) بالشفاعة والكرامة حيثما تعادى الكفرة وقرناؤهم (ولكم فيها) في الآخرة (ما تشتهي أنفسكم) من اللذائذ (ولكم فيها ما تدعون) ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو أعم من الاول (نزلا من غفور رحيم) حال من ما تدعون للاشعار بأن ما يتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته (وعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه (وقال اننى من المسلمين) تفاخرا به وانخذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في المؤذنين (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي (ادفع بالتي هي أحسن) ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي أحسن منها وهي الحسنة على أن المراد بالاحسن الزائد مطلقا أو باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما أخرجه مخرج الاستئناف على أنه جواب من قال كيف أصنع للمبالغة ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) أي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق (وما يلقاها) وما يلقى هذه السجية وهي مقابلته الاساءة بالاحسان (الا الذين صبروا) فانها تحبس النفس عن الانتقام (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) نخس شبه به وسوسته لانها تبعث الانسان على ما لا ينبغي كالدفع بما هو أسوأ وجعل النزغ نارا غالبا على طريقة جعد جده وأرر يده نازغ وصفا للشيطان بالمصدر (فاستعذ بالله) من شره ولا تطعه (انه هو السميع) لاستعاذتك (العليم) بنيتك أو بصلاحك (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهما مخلوقان مأموران مثلكم (واسجدوا لله الذي خلقهن) الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما شعارا بأنهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار (ان كنتم اياه تعبدون) فان السجود أخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند أبي حنيفة آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى (فان استكبروا) عن الامتثال (فالذين عند ربك) من الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار) أي دائما قوله (وهم لا يسأمون) أي لا يملون (ومن آياته انك ترى الارض خاشعة) يابسة متطامنة مستعارا من الخشوع بمعنى التذلل (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) نزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت أي زادت (ان الذي أحياها) بعد موتها (لمحيي الموت انه على كل شئ قدير) من الاحياء والاماتة (ان الذين يلحدون) يميلون عن الاستقامة (في آياتنا) بالطعن والتحريف والتأويل الباطل والالغاء فيها (لا يخفون علينا) فنجازيهم على الحادهم (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيمة) قابل الالقاء في النار بالاتيان آمنا مبالغة في احداد حال المؤمنين

(قوله وهو أعم من الاول) لان المطلوب أعم من مشتهى اذ قد يكون شئ مطلوبا لاحد ولا يكون مشتهى لنفسه بل قد يكون طلبه لغيره مثلا وأيضا الطلب أعم من الشهوة لانها التوقان وشدة الطلب

(قوله على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا) أي على أن المراد بالاحسن الزائد في الحسن بوجه ما على شئ وقوله أو باحسن ما يمكن دفعها به تكون لزيادة في الحسن على أمور مخصوصة هي الحسنات التي يدفع بها السيئة (قوله للمبالغة) لان الاستئناف يدل على شدة الاهتمام به اذ هو جواب سؤال سائل

(اعملوا ماشئتم) تهديد شديد (انه بما تعملون بصير) وعيد بالمجازاة (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا أو مستأنف وخبرهان محذوف مثل معاندون او هالكون أو أولئك ينادون والذكر القرآن (وانه لكتاب عزيز) كثير النفع عديم النظير أو منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات أو مما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية (تنزيل من حكيم) أى حكيم (حميد) يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه (ما يقال لك) أى ما يقول لك كفار قومك (الا ما قد قيل للرسل من قبلك) الامثل ما قال لهم كفار قومهم ويجوز أن يكون المعنى ما يقول الله لك الا مثل ما قال لهم (ان ربك لذو مغفرة) لانبيائه (وذو عقاب أليم) لاعدائهم وهو على الثانى يحتمل أن يكون المقول بمعنى أن حاصل ما أوحى اليك وإليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة (ولو جعلناه قرآنا أعجميا) جواب لقولهم هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر (لقالوا لولا فصلت آياته) بينت بلسان نفقهه (أأعجمى) كلام أعجمى (وعربى) أى مخاطب عربى انكار مقرر للتخصيص والاعجمى يقال للذى لا يفهم كلامه وهذا قراءة أبى بكر وحمزة والكسائى وقرأ قالون وأبو عمرو بالمد والتسهيل وورش بالمد وابدال الثانية ألفا وان كثير وابن ذكوان وحفص بغير المد بتسهيل الثانية وقرئ أعجمى وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام أعجمى على الاخبار وعلى هذا يجوز أن يكون المراد هو لا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور أو للدلالة على أنهم لا ينفكون عن التعنت فى الآيات كيف جاءت (قل هو للذين آمنوا هدى) الى الحق (وشفاء) لما فى الصدور من الشك وأشبه (والذين لا يؤمنون) مبتدأ خبره (فى آذانهم وقر) على تقدير هو فى آذانهم وقر لقوله (وهو عليهم عمى) وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يرهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين مختلفين عطف ذلك على للذين آمنوا هدى (أولئك ينادون من مكان بعيد) أى صم وهو تمثيل لهم فى عدم قبولهم الحق واستماعهم له بمن يصاح به من مسافة بعيدة (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) بالتصديق والتكذيب كما اختلف فى القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى العدة باقامة وفصل الخصومة حينئذ أو تأخير الآجال (لقضى بينهم) باستئصال المكذبين (وانهم) وان اليهود أو الذين لا يؤمنون (لفى شك منه) من التوراة أو القرآن (مريب) موجب للاضطراب (من عمل صالحا فلنفسه) نفعه (ومن أساء فعليها) ضره (وما ربك بظلام للعبيد) فيفعل بهم ما ليس له أن يفعله (اليه يرد علم الساعة) أى اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو (وما تخرج من ثمرة من أكمامها) من أوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير أيضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل أن تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله (وما تحمل من أنثى ولا تضع) بمكان (الا بعلمه) الا مقرونا بعلمه وافعا حسب تعلقه به (ويوم يناديهم أين شركائى) بزعمكم (قالوا آذناك) أعلمناك (ما منا من شهيد) من أحد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ أو من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء أى ما منا من يشهد لهم بأنهم كانوا محقين (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) لا ينفعهم أو لا يرونه (وظنوا) وأيقنوا (ما لهم من محيص) مهرب وأظن معلق عنه بحرف النفى (لا يسأم الانسان) لا يمل (من دعاء الخير) من طلب السعة فى النعمة وقرئ من دعاء بالخير (وان مسه الشر) الضيقة (فيؤس قنوط) من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله

(قوله عطف ذلك الخ) أى عطف قوله والذين لا يؤمنون على الذين آمنوا فيكون المعنى هو للذين آمنوا هدى وللذين لا يؤمنون وقوله فيكون الذين معطوفا على الذين ووقر عطف على هدى فيكون من باب العطف على معمول عاملين مختلفين وهو مما جوزه الاخفش والفراء مطلقا والمحققون من المتأخرين فى مثل هذه الصورة خاصة

(قوله فيفعل بهم الخ) فيكون الظلم ههنا عبارة عن فعل ليس للفاعل أن يفعله ولا يناسبه

انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور أثر اليأس (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته) بتفريجها عنه (ليقولن هذا لي) حق أستحقه لما لي من الفضل والعمل أولي دائما لا يزول (وما أظن الساعة قائمة) تقوم (ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى) أي ولئن قامت على انتوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه (فلننبئن الذين كفروا) فلنخبرنهم (بما عملوا) بحقيقة أعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) لا يمكنهم التفصي عنه (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) عن الشكر (ونأى بجانبه) وانحرف عنه أو ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله (واذا مسه الشر فذو دعاء عريض) كثير مستعار لماله عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطويل اذ الطول أطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله (قل أرأيتم) أخبروني (ان كان) أي القرآن (من عند الله ثم كفرتم به) من غير نظر وانباع دليل (من أضل ممن هو في شقاق بعيد) أي من أضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم (سنريهم آياتنا في الآفاق) يعني ما أخبرهم النبي عليه الصلاة والسلام به من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له وخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة (وفي أنفسهم) ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم أو ما في بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة (حتى يتبين لهم أنه الحق) الضمير للقرآن أو الرسول أو التوحيد أو الله (أولم يكف بربك) أي أولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل أولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى (أنه على كل شئ شهيد) بدل منه والمعنى أولم يكفك أنه تعالى على كل شئ شهيد محقق له فيحقق أمرك بإظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة أو مطلع فيعلم حالك وحالهم أو أولم يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه تعالى مطلع على كل شئ لا يخفى عليه خافية (ألا انهم في مرية) شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية (من لقاء ربهم) بالبعث والجزاء (ألا انه بكل شئ محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شئ منها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

﴿سورة حم عسق مكية وهي ثلاث وخمسون آية وتسمى سورة الشورى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم عسق) لعلها اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وان كانا اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق (كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) أي مثل ما في هذه السورة من المعاني أو إيحاء مثل إيحائها أوحى الله اليك والى الرسل من قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وأن إيحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره أو مصدر ويوحى مسند الى الله والله مرتفع بما دل عليه يوحي والعزيز الحكيم صفتان له مقرر تان لعلو شأن الموحى به كما مر في السورة السابقة أو بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز ومابعده اخبار أو العزيز الحكيم صفتان وقوله (له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم) خبران له وعلى الوجوه الاخر استئناف مقرر لعزته وحكمته (تكاد السموات) وقرأ نافع والكسائي بالياء (يتفطرن) يتشققن من عظمة الله وقيل من ادعاء الولد له وقرأ البصريان وأبو بكر ينفطرن بالنون

(قوله من جهة البنية) أي من جهة الصيغة لان فعول للبالغة (قوله وما في القنوط الخ) لان القنوط هو ان يظهر أثر اليأس (قوله وتعليلا لمزيد ضلالهم) أي تعليلا لمزيد ضلالهم المستفاد من أضل الذي هو صيغة التفضيل فان الشقاق دليل الضلال والبعيد يدل على زيادته

﴿سورة شورى﴾

والاول أبلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر (من فوقهن) أى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان أعظم الآيات وأدلها على علوشأنه من تلك الجهة وعلى الثانى ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض) بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والاطلم واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك فى الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته ولآية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثانى دلالة على تقدمه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفران الله ورحمته (والذين اتخذوا من دونه أولياء) شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها (وما أنت) يامحمد (عليهم بوكيل) بموكل بهم أو بموكول اليك أمرهم (وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا) الاشارة الى مصدر يوحى أو الى معنى الآية المتقدمة فانه مكرر فى القرآن فى مواضع جة فتكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حال منه (لتنذر أم القرى) أهل أم القرى وهى مكة شرفها الله تعالى (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع) يوم القيامة يجمع فيه الخلائق أو الارواح والاشباح أو الاعمال والاعمال وحذف ثانى مفعولى الاول وأول مفعولى الثانى للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن (لاريب فيه) اعتراض لامحل له من الاعراب (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أى بعد جمعهم فى الموقف يجمعون أولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم أى وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق أو متفرقين فى دارى الثواب والعقاب (ولوشاء الله لجعلهم أمة واحدة) مهتدين أو ضالين (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) بالهداية والحمل على الطاعة (والظالمون مالهم من ولى ولا نصير) أى يدعهم بغير ولى ولا نصير فى عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة فى الوعيد اذ الكلام فى الانذار (أم اتخذوا) بل اتخذوا (من دونه أولياء) كلا لصنام (فالله هو الولى) جواب لشرط محذوف مثل ان أرادوا أولياء بحق فالله هو الولى بالحق (وهو يحيى الموتى وهو على كل قدير) كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية (وما اختلفتم) أنتم والكفار (فيه من شئ) من أمر من أمور الدنيا أوالدين (فحكمه الى الله) مفوض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر أو بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله (ذلكم الله ربى عليه توكلت) فى مجامع الامور (واليه أنيب) اليه أرجع فى المعضلات (فاطر السموات والارض) خبر آخر لذلكم أومبتدأ خبره (جعل لكم) وقرئ بالجر على البدل من الضمير أو الوصف لالى الله (من أنفسكم) من جنسكم (أزواجا) نساء (ومن الانعام أزواجا) أى وخلق للانعام من جنسها أزواجا أوخلق لكم من الانعام أصنافا أوذكورا واناثا (يذرؤكم) يكثركم من الذرء وهو البث وفى معناه الذر والذرو والضمير على الاول للناس والانعام على تغليب المخاطبين العقلاء (فيه) فى هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام أزواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير (ليس كمثله شئ) أى ليس مثله شئ يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه أولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفى فى سقيا عبد

(قوله وتخصيصها على الاول الخ) أى على قراءة يتفطرن من باب التفعيل ليدل على عظم الامر فانه اذا تشقق السموات من جانبها الاعظم فيكون أدل على عظمة الله تعالى وعلى الثانى وهو اقتراءة الاخرى ليدل على ماذكر وهو ظاهر (قوله فان المراد بها الجنس) أى المراد من الارض الجنس فهو شامل للمتعدد ولذا جاء الضمير (قوله على الاول الخ) أى التفسير الاول والثانى (قوله أو متفرقين الخ) هذا مناسب لان يكون المراد من الجمع جمع الارواح والاشباح أو العمال والاعمال (قوله ولعل الخ) أى الظاهر أن يقال ويدخل من يشاء فى عذابه فغير الى ماذكر لما ذكر (قوله أى ليس مثله شئ) هو حاصل المعنى لانه اذا كان المراد من مثله ذاته صار المعنى ليس كذاته شئ والكاف بمعنى مثل أى ليس مثل ذاته شئ ومآله الى ان ليس مثله شئ لان ذات الشئ هو لنفسه نفسه (قوله رقيقة) هى بضم الراء ولدانه جمع لدة وهى تربك الرجل وسقياط لب عبد المطلب السقى والدعاء له فى سنة أصابت العرب فى زمانه والمراد بالطيب الطاهرات رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصل ماذكره انها أى رقيقة رأت فى المنام أن

المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لذاته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى أنه يعطى معنى ليس مثله غير أنه آكد لماذا كرناه وقيل مثله صفته أى ليس كصفته صفة (وهو السميع البصير) لكل مايسمع ويبصر (له مقاليد السموات والارض) خزائنها (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسع ويضيق على وفق مشيئته (انه بكل شئ عليم) فيفعله على ماينبغى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) أى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد عليهما الصلاة والسلام ومن بينهما من أرباب الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله (أن أقيموا الدين) وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فى أحكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع أو الرفع على الاستئناف كأنه جواب وماذلك المشروع أو الجر على البدل من هاء به (ولاتتفرقوا فيه) ولاتختلفوا فى هذا الاصل امافروع الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (كبر على المشركين) عظم عليهم (ماتدعوهم اليه) من التوحيد (الله يجتبى اليه من يشاء) يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم أو للدين (ويهدى اليه) بالارشاد والتوفيق (من ينيب) يقبل اليه (وماتفرقوا) يعنى الامم السالفة وقيل أهل الكتاب لقوله وماتفرق الذين أوتوا الكتاب (الا من بعد ماجاءهم العلم) العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه أو العلم بمبعث الرسل عليهم الصلاة والسلام أو أسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها (بغيا بينهم) عداوة أوطلبا للدنيا (ولولا كلمة سبقت من ربك) بالامهال (الى أجل مسمى) هو يوم القيامة أو آخر أعمارهم المقدرة (لقضى بينهم) باستئصال المبطلين حين افترقوا العظم مافارقوا (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) يعنى أهل الكتاب الذين كانوا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو المشركين الذين أورثوا القرآن من بعد أهل الكتاب وقرئ ورّثوا وورثوا (لفى شك منه) من كتابهم لا يعلمونه كما هو أولا يؤمنون به حق الايمان أومن القرآن (مريب) مقلق أومدخل فى الريبة (فلذلك) فلاجل ذلك التفرق او الكتاب أوالعلم الذى أوتيته (فادع) الى الاتفاق على الملة الحنيفية أوالاتباع لما أوتيت وعلى هذا يجوز أن تكون اللام فى موضع الى لافادة الصلة والتعليل (واستقم كما أمرت) واستقم على الدعوة كما أمرك الله تعالى (ولاتتبع أهواءهم) الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) يعنى جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض (وأمرت لاعدل بينكم) فى تبليغ الشرائع والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية (الله ربنا وربكم) خالق الكل ومتولى أمره (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) وكل مجازى بعمله (لاحجة بيننا وبينكم) لاحجاج بمعنى لاخصومة اذالحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) مرجع الكل لفصل القضاء وليس فى الآية مايدل على متاركة الكفار ربما أساحتى تكون منسوخة بآية القتال (والذين يحاجون فى الله) فى دينه (من بعد ماستجيب له) من بعد ماستجاب له الناس ودخلوا فيه أومن بعد ماستجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر أومن بعد ماستجاب له أهل الكتاب بان أقروا وآمنوا بنبوته واستفتحوا به (حجتهم داحضة عند ربهم) زائلة باطلة (وعليهم غضب) لعاندتهم (ولهم عذاب شديد) على كفرهم (الله الذى أنزل الكتاب) جنس الكتاب (بالحق) ملتبسا به بعيدا من الباطل أو بما يحق انزاله من العقائد والاحكام (والميزان) والشرع الذى توزن به الحقوق ويسوى بين الناس أوالعدل بان أنزل الامر به أوآلة الوزن بان أوحى باعدادها (ومايدريك لعل الساعة قريب) اتيانها فانبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل أن يفاجئك

يخرج الناس ويدعو عبد المطلب ومعه ولده الطيب الطاهر فجر وافعفوا ونظر بما ذكرلانه فى معنى الطيب الطاهر أمثاله (قوله ومن قال الكاف فيه زائدة الخ) أى لايحسن ان يحكم بزيادة الكاف اذ على هذا التقدير تنتفى الكناية التى هى المقصود فانه اذا نفى شبيه مثله وهو المعنى الحقيقى للعبارة لزم المعنى المقصود وهو نفى شبيه ذاته تعالى وهو المعنى الكنائى (قوله على هذا يجوز أن يكون اللام فى موضع الى) أى اللام فى قوله فلذلك توضع موضع الى لماذكر اذ الظاهر أن يقال فالى ذلك فادع وهذا اشارة الى الاتفاق والاتباع أى على تقديران يكون المراد ادع الى الاتفاق والاتباع يجوز أن يكون اللام فى لذلك فى موضع الى والمعنى للاتفاق على الملة الحنيفية ادع (قوله وليس فى الآية مايدل الخ) ادعى عدم نفى مجاحة البحث وأما القتال فشئ آخر غيرها

اليوم الذى توزن فيه أعمالك وتوفى جزاءك وقيل نذكيرا القريب لانه بمعنى ذات قرب أولان الساعة بمعنى البعث (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون منها) خائفون منها مع اغتباطهم بالتوقع الثواب (ويعلمون أنها الحق) أى الكائن لامحالة (ألا ان الذين يمارون فى الساعة) يجادلون فيها من المرية أو من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للمحاب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة (لفى ضلال بعيد) عن الحق فان البعث أشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزه فهو أبعد عن الاهتداء الى ماوراءه (الله لطيف بعباده) يرزقهم بضروب من البر لاتبلغها الافهام (يرزق من يشاء) أى يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته (وهو القوى) الباهر القدرة (العزيز) المنيع الذى لايغلب (من كان يريد حرث الآخرة) ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض ويقال للزرع الحاصل منه (نزدله فى حرثه) فنعطه بالواحد عشرا الى سبعمائة فما فوقها (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) شيأ منها على ماقسمناله (وماله فى الآخرة من نصيب) اذا لاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى (أم لهم شركاء) بل ألهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم (شرعوا لهم) بالتزيين (من الدين مالم يأذن به الله) كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لما سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به أوصور من سننه لهم (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأجيل الجزاء أوالعدة بان الفصل يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) بين الكافرين والمؤمنين أوالمشركين وشركائهم (وان الظالمين لهم عذاب أليم) وقرئ أن بالفتح عطفا على كلمة الفصل أى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الآخرة (ترى الظالمين) فى القيامة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من السيآت (وهو واقع بهم) أى وبالهم لاحق بهم أشفقوا أولم يشفقوا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) فى أطيب بقاعها وأنزهها (لهم مايشاؤن عند ربهم) أى مايشتهونه ثابت لهم عند ربهم (ذلك) اشارة الى مالمؤمنين (هو الفضل الكبير) الذى يصغر دونه مالغيرهم فى الدنيا (ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ذلك الثواب الذى يبشرهم الله به لحذف الجار ثم العائد أوذلك التبشير الذى يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائى يبشر من بشره وقرئ يبشر من أبشره (قل لاأسئلكم عليه) على ماأتعاطاه من التبليغ والبشارة (أجرا) نفعا منكم (الا المودة فى القربى) أن تودونى لقرابتى منكم أوتودوا قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لاأسألكم أجرا قط ولكنى أسألكم المودة فى القربى حال منها أى الا المودة ثابتة فى ذوى القربى متمكنة فى أهلها أوفى حق القرابة ومن أجلها كما جاء فى الحديث الحب فى الله والبغض فى الله روى انها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم علينا قال على وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب الى الله أى الا أن تودوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الامودة فى القربى (ومن يقترف حسنة) ومن يكتسب طاعة سيما حب آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه ومودتهم (نزدله فيها حسنا) فى الحسنة بمضاعفة الثواب وقرئ يزد أى يزد الله وحسنى (ان الله غفور) لمن أذنب (شكور) لمن أطاع توفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة (أم يقولون) بل أيقولون (افترى على الله كذبا) افترى محمد بدعوى النبوة أوالقرآن (فان يشأ الله يختم على قلبك) استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار

(قوله فان البعث الخ) لان البعث عبارة عن خلق البشر بعد موته فهو شبيه بخلق البشر ابتداء الذى هو من المحسوسات (قوله أوصور من سننه لهم) أى أوصور من أشرك بهم (قوله لحذف الجار ثم العائد) هذا بناء على انهم لايجوزون حذف المفعول الجار ولمجرور دفعة بل على التدريج بخلاف السمن منوان بدرهم (قوله وفى القربى حال منها الخ) هذا على تقدير الانقطاع لان المودة على هذا التقدير مفعول وأما على تقدير الاتصال فليس بمفعول بل الاولى ان يقال ان التقدير الا المودة الثابتة فى القربى وأولى مما قاله هو ان تودونى لقرابتى بل منكم وتودوا قرابتى

على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكأنه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن أو الوحي عنه أو يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك أداهم (ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور) استئناف لنفي الافتراء عما يقوله بأنه لو كان مفترى لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه أو بقضائه أو بوعده بمحو باطلهم واثبات حقه بالقرآن أو بقضائه الذي لا مرد له وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان بالشر (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي رضي الله عنه هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة وردت المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفو عن السيئات) صغيرها وكبيرها لمن يشاء (ويعلم مايفعلون) فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرأ الكوفيون غيرأبي بكر ما تفعلون بالتاء (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء أو الاثابة على الطاعة فانها كالدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الدعاء الحمد لله أو يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها (ويزيدهم من فضله) على ما سألوا واستحقوا واستوجبوه بالاستجابة (والكافرون لهم عذاب شديد) بدل مالمؤمنين من الثواب والتفضل (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) لتكبروا وأفسدوا فيها بطرا أو لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب وأصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية أو كيفية (ولكن ينزل بقدر) بتقدير (مايشاء) كما اقتضته مشيئته (انه بعباده خبير بصير) يعلم خفايا أمرهم وجلاياها لهم فيقدرلهم ماينا سب شأنهم روي أن أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا أخصبوا انحاروا واذا أجدبوا انتجعوا (وهو الذي ينزل الغيث) المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد (من بعد ماقنطوا) أيسوا منه وقرئ بكسر النون (وينشر رحمته) في كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان (وهو الولي) الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته (الحميد) المستحق للحمد على ذلك (ومن آياته خلق السموات والارض) فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم (وما بث فيهما) عطف على السموات أو الخلق (من دابة) من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب أو مما يدب على الارض وما يكون في أحد الشيئين يصدق أنه فيهما في الجملة (وهو على جمعهم اذا يشاء) أي في أي وقت يشاء (قدير) متمكن منه واذا كما تدخل على الماضي تدخل على المضارع (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) فبسبب معاصيكم والفاء لان ماشرطية أو متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية (ويعفو عن كثير) من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما أصاب غيرهم فلأسباب أخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه (وما أنتم بمعجزين في الارض) فائتين ماقضى عليكم من المصائب (وما لكم من دون الله من ولي) يحرسكم عنها (ولا نصير) يدفعها عنكم (ومن آياته الجوار) السفن الجارية (في البحر كالاعلام) كالجبال قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

(قوله عنه) أي عن قلبك (قوله استئناف الخ) أي ليس بمعطوف على جزء الشرط وهو قوله تعالى يختم على قلبك اذ على هذا لزم أن يكون مترتبا على الجزاء مقيدا بالمشيئة لكن الغرض ههنا انه تعالى يمحو الباطل البتة ويحقق الحق بكلماته وعلى هذا فواوه ليست بمحذوفة بالجزم فينبغي ان تكتب لكن لم تكتب لاتباع اللفظ والقرينة على ما ذكرنا لاملاء اسم الله في ويمح الله (قوله كيفية أو كمية) فالتجاوز في الكيفية طلب الاشد والاقوى والتجاوز في الكمية طلب الاكثر (قوله لان ما شرطية أو متضمنة معناه) فالاول أن يكون لفظا ان ملحوظة معه بعد لا والثاني أن لا يكون كذلك بل يلاحظ فيه ترتب شئ على شئ

(ان يشأ يسكن الريح) وقرئ الرياح (فيظللن رواكد على ظهره) فيبقين ثوابت على ظهر البحر (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر فى آيات الله والتفكر فى آلائه أو لكل مؤمن كامل الايمان فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (أو يوبقهن) أو يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك أهلها لقوله (بما كسبوا) وأصله أو يرسلهن فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما فى قوله (ويعف عن كثير) اذ المعنى أو يرسلها فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستئناف (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا) عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم أو على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه أيضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى ويجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين (مالهم من محيص) محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل (فما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا) تتمتعون به مدة حياتكم (وما عند الله) من ثواب الآخرة (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما أو تواسبب للتمتع بها فى الحياة الدنيا فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية وعن على رضى الله عنه تصدق أبو بكر رضى الله تعالى عنه بماله كله فلامه مجرفنزلت والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ماغضبوا هم يغفرون) والذين بما بعده عطف على للذين آمنوا أو مدح منصوب أو مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائى كبير الاثم (والذين استجابوا لربهم) نزلت فى الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له (وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم) ذو شورى بينهم لا ينفردون برأى حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم فى الامور وهى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور (ومما رزقناهم ينفقون) فى سبيل الخير (والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون) على ماجعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه نبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغى ثم عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وسمى الثانية سيئة للازدواج أولانها تسوء من تنزل به (فمن عفا وأصلح) بينه وبين عدوه (فاجره على الله) عدة مبهمة تدل على عظم الموعود (انه لا يحب الظالمين) المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين فى الانتقام (ولمن انتصر بعد ظلمه) بعد ماظلم وقد قرئ به (فأولئك ماعليهم من سبيل) بالمعاتبة والمعاقبة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدؤنهم بالاضرار ويطلبون مالا يستحقونه تجبرا عليهم (ويبغون فى الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) على ظلمهم وبغيهم (ولمن صبر) على الاذى (وغفر) ولم ينتصر (ان ذلك لمن عزم الامور) أى ان ذلك منه فحذف كما حذف فى قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به (ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده) من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) حين يرونه فذكر بلفظ الماضى تحقيقا (يقولون هل الى مرد من سبيل) هل الى رجعة الى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) على النار ويدل عليه العذاب (خاشعين من الذل) متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل (ينظرون من طرف خفى) أى يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كما تصور ينظر الى السيف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) بالتعرض للعذاب المخلد (يوم

(قوله لانه أيضا غير واجب) أى الجزاء شبيه الجواب بالاشياء الستة التى هى الامر والنهى الخ لان الجزاء غير واجب فى ذاته بل بسبب الشرط كما ان جواب الامور المذكورة غير واجب بذاته بل بأحد الامور المذكورة (قوله فانه نبئ عن عجز المغفور له والانتصار الخ) الانتصار معطوف على عجز اى الغفران نبئ عن عجز المغفور والانتصار نبئ عن مقاومة الخصم (قوله ثم عقب وصفهم الخ) أى ذكر قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها بعد ذكر الانتصار للمنع عن التجوز عن المثل لان المماثلة توجب عدم التعدى

(قوله واقامة علة الجزاء مقامه) لان الجزاء الحقيقي هو مثل ينسى النعمة و يشكو كثيرا لكنه لم يذكر ما هو جزاء حقيقة وذكر سببه الذي هو الكفران الذي هو مقتضى طبعه (قوله بدل من يخلق بدل البعض) أي قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا الخ بدل البعض من يخلق ما يشاء لان هذا التفصيل بعض خلق الله تعالى (قوله والاناث كذلك) أي الاناث تتعلق بها مشيئة الله لا مشيئة الانسان لان الانسان لا يشتهي من الاولاد الا الذكور لا الاناث (قوله أو لان الكلام في البلاء) لانه سبق قوله تعالى وان

القيمة) ظرف لخسروا والقول في الدنيا أو لقال أي يقولون اذا رأوهم على تلك الحال (ألا ان الظالمين في عذاب مقيم) تمام كلامهم أو تصديق من الله لهم (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل) الى الهدى أو النجاة (استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة يأتي أي من قبل أن يأتي يوم من الله لا يمكن رده (ما لكم من ملجأ) مفر (يومئذ وما لكم من نكير) انكار لما اقترفتموه لانه مدوّن في صحائف أعمالكم تشهد عليه ألسنتكم وجوارحكم (فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا) رقيبا أو محاسبا (ان عليك الا البلاغ) وقد بلغت (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها) أراد بالانسان الجنس لقوله (وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور) بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا و يذكر البلية و يعظمها ولا يتأمل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضاة بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة (لله ملك السموات والارض) فله أن يقسم النعمة والبلية كيف يشاء (يخلق ما يشاء) من غير لزوم ومجال اعتراض (يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما) بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل أحوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر أو أنثى أو الصنفين جميعا و يعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها أكثر لتكثير النسل أو لان مساق الآية للدلالة على أن الواقع ما يتعلق به مشيئة الله لا مشيئة الانسان والاناث كذلك أو لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء أو لتطييب قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور أو لجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بأنه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة (انه عليم قدير) فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار (وما كان لبشر) وما صح له (أن يكلمه الله الا وحيا) كلاما خفيا يدرك لانه بسرعة تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافه به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور ولكن عطف قوله (أو من وراء حجاب) عليه يخصه بالاول فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع أو الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله (أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء) أو يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه كما أمره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحي الى الرسل ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام و يجوز أن يكون وحيا و يرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت أحوالا

تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم (قوله أو لتطييب قلوب آبائهن) يعني لما قدم الله تعالى ذكر الاناث في كلامه ذكرن بلفظ يوهم آباءهن ولذا ورد في الحديث الوعد بالجنة لمن له بنتان وراعى حقهما (قوله أو للمحافظة على الفواصل) فان الفواصل أواخرها راء كالكفور والقدير ولذا عرف اذ لو لم يعرف لقيل يهب لمن يشاء ذكورا فلم يحفظ الفواصل (قوله وتغيير العاطف في الثاني) أي في العطف الثاني وهو قوله تعالى أو يزوجهم ذكرانا واناثا لانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة أي القسمين المتقدمين الاول من رزق من الاولاد الاناث والثاني من رزق منهم الذكور ولم يحتج الرابع وهو و يجعل من يشاء عقيما الى تغيير العاطف لظهور كونه قسيم الاقسام المتقدمة وغاية مباينته عنها (قوله لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا الخ) أي الوحي في الحقيقة أمر ممثل في متخيلة الموحى اليه بالفاظ متخيلة كما تمثل جبرائيل لمريم بشرا سويا (قوله لان الارسال نوع من الكلام) لانه عبارة عن أن يقول الله لانسان بعثتك الى الخلق لتبشر وتنذر (قوله وقعت أحوالا) والمعنى الا موحيا أو متكلما من وراء حجاب أو يرسل رسولا (قوله برفع اللام) فان قلت فحينئذ ما اعرابه قلنا هو حال عطفا على ما سبق وهو أيضا حال والمعنى أن يكلمه الله الا موحيا أو متكلما من وراء حجاب أو يرسل

وقرا

وقرأنافع أو يرسل برفع اللام (انه علي) عن صفات المخلوقين (حكيم) يفعل مانقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اماعيانا وامامن وراء حجاب (وكذلك أوحينا اليك روحامن أمرنا) يعني ما أوحي اليه وسماه روحا لان القلوب تحيا به وقيل جبريل والمعنى أرسلناه اليك بالوحي (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان) أي قبل الوحي وهو دليل على أنه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع (ولكن جعلناه) أي الروح أو الكتاب أو الايمان (نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) بالتوفيق للقبول والنظر فيه (وانك لتهدي الى صراط مستقيم) هو الاسلام وقرئ لتهدي أي ليهديك الله (صراط الله) بدل من الاول (الذي له مافي السموات ومافي الارض) خلقا وملكا (ألا الى الله تصير الامور) بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة و يستغفرون له و يسترحمون له

﴿سورة لزخرف مكية وقيل الاقوله واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا وآياتها تسع وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا) أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول أبي تمام * وثنايا انها الغريض * ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه و بالقرآن من حيث انه معجز مبين لطرق الهدى ومايحتاج اليه في الديانة أو بين للعرب مايدل على أنه تعالى صيره كذلك (لعلكم تعقلون) لكي تفهموا معانيه (وانه) عطف على انا وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على الاستئناف (في أم الكتاب) في اللوح المحفوظ فانه أصل الكتب السماوية وقرئ أم الكتاب بالكسر (لدينا) محفوظا عندنا عن التغيير (لعلي) رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم) ذو حكمة بالغة أو محكم لاينسخه غيره وهما خبران لان وفي أم الكتاب متعلق بعلي واللام لاتمنعه أو حال منه ولدينا بدل منه أو حال من أم الكتاب (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) أفنذوده ونبعده عنكم مجازا من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة

اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسيف قونس الفرس

والفاء للعطف على محذوف أي أنهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض أو مفعول له أو حال بمعنى صافحين وأصله أن تولي الشئ صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا و يؤيده انه قرئ صفحا بالضم وحينئذ يحتمل أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار أن يكون الامر على خلاف ماذكرمن انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه (أن كنتم قوما مسرفين) أي لان كنتم وهو في الحقيقة علة لمقتضى ترك الاعراض عنهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحة في مخرج المشكوك استجهالا لهم ومقابلها دليل الجزاء (وكم أرسلنا من نبي في الاولين ومايأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أي من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم (ومضى مثل الاولين) وسلف في القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ماجرى على الاولين (ولئن سألتهم من

(قوله وهو دليل الخ) لا يخفى انه لايصح اجراء الكلام على ظاهره والا لزم خلوه عن الايمان قبل الوحي فيجب ان يحمل قوله ولا الايمان على الايمان بكل مايجب به الايمان أو بما قيل ان المراد ما الطريق له الا السمع

﴿سورة الزخرف﴾

(قوله اغريض) الاغريض الطلع وقيل البرد وتنظيره بهذا الشعر تبعا للزمخشري صريح في ان المقسم عليه قوله اغريض وقال العلامة التفتازاني انه كلام مستأنف لبيان تفخيم شأن الثنايا وجواب القسم مايجيء بعد ذلك في القصيدة التي مطلعها ماذكر (قوله واللام لايمنعه) أي اللام في لعلي لايمنع تقديم مايتعلق بعلي عليه كما جاز ان زيدا في الدار لقائم والمعنى لعلي في أم الكتاب (قوله ولدينا بدل منه) أي من علي (قوله طارقها) اطارق مايطرق بالليل القونس ومنبت شعر الناصية (قوله اضرب بفتح الباء) بتقدير اضربن (قوله فيكون ظرفا) والمعنى أفنضرب عنكم الذكر صفحا أي كائنا في جانب وناحية منكم (قوله وحينئذ الخ) أي صفحا بالضم بمعنى الجانب وهو الظاهر ويحتمل احتمالا آخر وهو ان يكون مخففا صفح (قوله استجهالا لهم) لان

ماذكر يدل على انهم لم يتحقق عندهم انهم مسرفون مع وضوحه

خالق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) لعله لازم مقولهم أو مادل عليه اجمالا أفيم مقامه تقريرا للزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم فى مواضع أخر وهو الذى من صفته ما سرد من الصفات و يجوز أن يكون مقولهم ومابعده استئناف (الذى جعل لكم الارض مهدا) فتستقرون فيها وقرئ غير الكوفيين مهادا بالالف (وجعل لكم فيها سبلا) تسلكونها (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا الى مقاصدكم أو الى حكمة الصانع بالنظر فى ذلك (والذى نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار ينفع ولايضر (فأنشرنا به بلدة ميتا) مال عنه النماء وتذ كيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان (كذلك) مثل ذلك الانشار (تخرجون) تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى تخرجون بفتح التاء وضم الراء (والذى خلق الازواج كلها) أصناف المخلوقات (وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون) ماتركبونه على تغليب المتعدى بنفسه على المتعدى بغيره اذيقال ركبت الدابة وركبت فى السفينة أوالمخلوق للمركوب على المصنوع له والغالب على النادر ولذلك قال (لتستووا على ظهوره) أى ظهور ماتركبون وجمعه للمعنى (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه) تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها (وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) مطيقين من أقرن الشئ اذا أطاقه وأصله وجده قرينته اذا الصعب لايكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله (وانا الى ربنا لمنقلبون) أى راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والتنقل العظيم هو الانقلاب الى الله تعالى أولانه مخطر فينبغى للراكب أن لاينفل عنه و يستعد للقاء الله تعالى (وجعلوا له من عباده جزءا) متصل بقوله ولئن سألتهم أى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولداً فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزأ كما سمى بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق فى ذاته وقرأ أبو بكر جزأ بضمتين (ان الانسان لكفور مبين) ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل به والتحقير اثر أنه (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) معنى الهمزة فى أم للانكار والتعجب من شأنهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزأ حتى جعلوا له من مخلوقاته أجزاء أخص مما اختيرطم وأبغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر أحدهم بها اشتد غمه بها كما قال (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذى جعله له مثلا اذ الولد لابد وأن يماثل الوالد (ظل وجهه مسودا) صار وجهه أسود فى الغاية لما يعتريه من الكآبة (وهو كظيم) مملوء قلبه من الكرب وفى ذلك دلالات على فساد ماقالوه وتعريف البنين بما مر فى الذكور وقرئ مسودّ ومسوادّ على ان فى ظل ضمير المبشر به ووجهه مسودّ جملة وقعت خبرا (أومن ينشأ فى الحلية) أى أو جعلوا له أوا تخذ من يتربى فى الزينة يعنى البنات (وهو فى الخصام) فى المجادلة (غير مبين) مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأى و يجوز أن يكون من مبتدأ محذوف الخبر أى أومن هذا حاله ولده وفى الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لايمنعه لما عرفت وقرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ أى يربى وقرئ ينشأ و ينشأ بمعناه ونظيره ذلك أعلاه وعلاه وعلاه بمعنى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله تعالى أنقصهم وأبادأحسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر و يعقوب عند على تمثيل زلفاهم وقرئ أناثا وهو جمع الجمع (أشهدوا خلقهم) أحضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع أأشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة

(قوله لعله لازم مقولهم الخ) يعنى انهم لم يقولوا العبارة المذكورة بل قالوا فى الجواب مايستلزم الوصفين أومادل عليه اجمالا فهم قالوا فى الجواب خالق الخلق الله تعالى كما حكى عنهم فى مواضع أخر فالعزيز العليم لازم لمن له وكذا هما مدلوله اجمالا لان الله موصوف للذات الكاملة من جميع الجهات وهما من جهاته (قوله كانهم قالوا الله تعالى) معناه ان الظن انهم قالوا فى الجواب ماذ كرلان كان فى مثل هذا المقام للظن (قوله لما مر فى الذكور) أى فى قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وهو أن يكون التعريف خبر للتأخير فى الذكر (قوله عند الخ) أى قرئ عند بالنون

بين بين وآ أشهدوا بمدة بينهما (ستكتب شهادتهم) التي شهدوا بها على الملائكة (ويسئلون) أي عنها يوم القيامة وهو وعيد شديد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهادتهم وهي أن لله جزأوان له بنات وهن الملائكة ويسألون من الساعة (وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم) أي لوشاء عدم عبادة الملائكة ماعبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة على امتناع النهي عنها وعلى حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان أومنهيا حسنا كان أوغيره ولذلك جهلهم فقال (مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز أن تكون الاشارة الى أصل الدعوى كانه لما أبدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى أن يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم أضرب عنه الى انكار أن يكون لهم سند من جهة النقل فقال (أم آتيناهم كتابا من قبله) من قبل القرآن أوادعائهم ينطق على صحة ماقالوه (فهم به مستمسكون) بذلك الكتاب متمسكون (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) أي لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم أي الفاصد ومنها الدين (وكذلك ماأرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد فى نحو ذلك ضلال قديم وأن مقديمهم أيضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بأن التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد (قل أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أي اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم وهي حكاية أمر مامر أوحى الى النذير أوخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) أي وان كان أهدى اقناطا للنذير من أن ينظروا أو يتفكروا فيه (فانتقمنا منهم) بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) ولاتكثرت بتكذيبهم (واذقال ابراهيم) واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل أوليقلدوه وان لم يكن لهم بد من التقليد فانه أشرف آبائهم (لابيه وقومه انني براء مما تعبدون) برىء من عبادتكم أومعبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برىء براء ككريم وكرام (الا الذي فطرني) استثناء منقطع أومتصل على ان مايعم أولى العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والاصنام والاوثان أوصفة على ان ماموصوفة أى انني برىء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني (فانه سيهدين) سيثبتني على الهداية أوسيهديني الى ماوراء ماهداني اليه (وجعلها) وجعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام أوالله كلمة التوحيد (كلمة باقية فى عقبه) فى ذريته فيكون فيهم أبدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف وفى عاقبه أى فيمن عقبه (لعلهم يرجعون) يرجع من أشرك منهم بدعاء من وحد (بل متعت هؤلاء وآباءهم) هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من قريش وآباءهم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا فى الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة فى تعييرهم (حتى جاءهم الحق) دعوة التوحيد أوالقرآن (ورسول مبين) ظاهر الرسالة بما له من المعجزات أومبين للتوحيد بالحجج والآيات (ولما جاءهم الحق) ليتنبهوا من غفلتهم (قالوا هذا سحر وانا به كافرون) زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) من احدى القريتين مكة والطائف (عظيم) بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن

(قوله أوعلى حسنها) أى على حسن العبادة أى لوشاء الله عبادتنا الملائكة كانت عبادتنا لهم حسنة (قوله فى قوله وجعلها كلمة باقية) أى فى شأن قوله وجعلها (قوله مبالغة فى تعييرهم) المبالغة حاصلة بطريق الكناية لان التمتيع سبب الضلال فالمراد بالاعتراض انه صورة الاعتراض

مسعود الثقفي فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا أن مرتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية (أهم يقسمون رحمت ربك) انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا) وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة أمرهم في دنياهم فمن أين لهم أن يدبروا أمر النبوة التي هي أعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضي أن يكون حلالها وحرامها من الله (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) وأوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا الكمال في الموسع ولا النقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو أعلى منه (ورحمت ربك) يعني هذه النبوة وما يتبعها (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لامنه (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) لولا أن يرغبوا في الكفر اذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) ومصاعد جمع معرج وقرئ ومعاريج جمع معراج (عليها يظهرون) يعلون الى ظهور الطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال أو علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وأبو عمر وسقفا كتقفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهي لغة في سقف (ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون) أي أبوابا وسررا من فضة (وزخرفا) وزينة عطف على سقفا وذهبا عطف على محل من فضة (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما (والآخرة عند ربك للمتقين) عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على أن العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو أنه تمتع قليل بالاضافة الى مالهم في الآخرة نخل به في الاغلب لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها كما أشار اليه بقوله (ومن يعش عن ذكر الرحمن) يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهما كفى الشهوات وقرئ يعش بالفتح أي يعر يقال عشي اذا كان في بصره آفة وعشا اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على أن من موصولة (نقيض له شيطانا فهو له قرين) يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي أن يرفع نقيض (وانهم ليصدونهم عن السبيل) عن الطريق الذي من حقه أن يسبل وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له (ويحسبون أنهم مهتدون) الضمائر الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان (حتى اذا جاءانا) أي العاشي وقرأ الحجازيان وابن عامر وأبو بكر جا آنا أي العاشي والشيطان (قال) أي العاشي للشيطان (ياليت بيني و بينك بعد المشرقين) بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثنى وأضيف البعد اليهما (فبئس القرين) أنت (ولن ينفعكم اليوم) أي ما أنتم عليه من التمني (اذ ظلمتم) اذ صح انكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا بدل من اليوم (أنكم في العذاب مشتركون) لان حقكم أن تشتركوا أنتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه و يجوز أن يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراكم في العذاب كما ينفع الواقعين في أمر صعب معاونتهم في تحمل أعبائه وتقسمهم لمكابدة عنائه اذ لكل منكم مالا تسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي) انكار وتعجب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى

(قوله قرئ به مع ان وما) أي قرئ بالامع واحد منهما (قوله الضمائر الثلاثة الاول له الخ) المراد من الضمائر الثلاثة هي التي في جملة يحسبون انهم مهتدون والاول منها للعاشي والضميران الباقيان وهما ضميرانهم وضمير مهتدون للشيطان اذ المعنى ان العاشي يحسبون الشياطين مهتدين فيقلدون الشياطين لذلك الحسبان فان قيل العاشون عن ذكر الرحمن لم يعترفوا بان الشياطين يوسوسونهم ويأمرونهم بالدين الذي هو الشرك ولم يعترفوا انهم قرناؤهم فكيف يحسبون أي العاشون ان الشياطين مهتدون قلنا هم أي العاشون في حكم المقر المذكور لانهم لما عملوا ما أمر به الشياطين فكأنهم يحسبون أنهم مهتدون و يمكن أن يقال المراد من الشيطان أعم من شيطان الانس والجن فكل من المشركين له قرين من جنسه والاولى أن يجعل الضمائر الثلاثة للعاشي (قوله بدل من اليوم) أي على تفسيره وهو ان المعنى اذ صح انكم ظلمتم اليوم الذي هو يوم القيامة بعينه هو زمان تحقق صحة الظلم مما قبله

مقرونا بالصم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه فى دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت (ومن كان فى ضلال مبين) عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بأن الموجب لذلك تمكنهم فى ضلال لا يخفى (فاما نذهبن بك) أى فان قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم وما من مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم فى استجلاب النون المؤكدة (فانا منهم منتقمون) بعذاب فى الدنيا والآخرة (أو نرينك الذى وعدناهم) أوان أردنا أن نريك ما وعدناهم من العذاب وقرأ يعقوب برواية رويس أو نرينك باسكان النون وكذا نذهبن (فانا عليهم مقتدرون) لا يفوتوننا (فاستمسك بالذى أوحى اليك) من الآيات والشرائع وقرئ أوحى على البناء للفاعل وهو الله تعالى (انك على صراط مستقيم) لا عوج له (وانه لذكر لك) لشرف لك (ولقومك وسوف تسئلون) أى عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) أى واسأل أممهم وعلماء دينهم وقرأ ابن كثير والكسائى بتخفيف الهمزة (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتداعه فيكذب ويعادى له فانه كان أقوى ما حاجهم على التكذيب والمخالفة (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين) يريد بانتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد ليتأملوا فيها (فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون) فاجؤا وقت تحكمهم منها أى استهزؤا بها أوّل ما رأوها ولم يتأملوا فيها (وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها) الا هى بالغة أقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها أنها أكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وكقوله

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

أو الاولى مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار (وأخذناهم بالعذاب) كالسنين والطوفان والجراد (لعلهم يرجعون) على وجه يرجى رجوعهم (وقالوا يا أيه الساحر) نادوه بذلك فى تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم أو لانهم كانوا يسمون العالم الماهر ساحرا وقرأ ابن عامر بضم الهاء (ادع لنا ربك) فيكشف عنا العذاب (بما عهد عندك) بعهده عندك من النبوة أو من أن يستجيب دعوتك أو أن يكشف العذاب عمن اهتدى أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة (انا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) فاجؤا نكث عهدهم بالاهتداء (ونادى فرعون) بنفسه أو بمناديه (فى قومه) فى مجمعهم أو فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمن بعضهم (قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار) أنهار النيل ومعظمها أربعة أنهر نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس (تجرى من تحتى) تحت قصرى أو أمرى أو بين يدى فى جنانى والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك وتجرى حال منها أو واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجرى خبرها (أفلا تبصرون) ذلك (أم أنا خير) مع هذه المملكة والبسطة (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير لا يستعد للرئاسة من المهانة وهى القلة (ولا يكاد يبين) الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وأم اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قد من أسباب فضله أو متصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون فتعلمون أنى خير منه (فلولا ألقى عليه أساور من ذهب) أى فهلا ألقى عليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بسوار وطوق من ذهب وأساورة جمع اسوار بمعنى السوار على

(قوله فانه كان أقوى ما حلهم الخ) أى الابتداع والاتيان بالأمر البديع أقوى الموجبات للحمل على تكذيب المبتدع

تعويض التاء من ياء أساور وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص أسورة وهي جمع سوار وقرئ أساور جمع اسورة وأتى عليه اسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى (أوجاء معه الملائكة مقترنين) مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو متقارنين من اقترن بمعنى تقارن (فاستخف قومه) فطلب منهم الخفة في مطاوعته أو فاستخف أحلامهم (فأطاعوه) فيما أمرهم به (انهم كانوا قوما فاسقين) فلذلك أطاعوا ذلك الفاسق (فلما آسفونا) أغضبونا بالافراط في العناد والعصيان منقول من أسف اذا اشتد غضبه (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) في اليم (فجعلناهم سلفا) قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به أو جمع سالف كخادم وخدم وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف كرغف ورغيف أو سالف كصبر جمع صابر أو سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال الضمة اللام فتحة أو على انه جمع سلفة أي ثلة قد سلفت (ومثلا للآخرين) وعظة لهم أو قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون (ولما ضرب ابن مريم مثلا) أي ضرب به ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أو غيره بأن قال النصارى أهل كتاب وهم يعبدون عيسى عليه السلام ويزعمون أنه ابن الله والملائكة أولى بذلك أو على قوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أو ان محمدا يريد أن نعبده كما عبد المسيح (اذا قومك) قريش (منه) من هذا المثل (يصدون) يضجون فرحا لظنهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم صار ملزما به وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود أي يصدون عن الحق و يعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف و يعكف (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) أي آلهتنا خير عندك أم عيسى عليه السلام فان يكن في النار فلتكن آلهتنا معه أو آلهتنا الملائكة خير أم عيسى عليه السلام فاذا جاز أن يعبد و يكون ابن الله كانت آلهتنا أولى بذلك أو آلهتنا خير أم محمد صلى الله عليه وسلم فنعبده ونذع آلهتنا وقرأ الكوفيون أآلهتنا بتحقيق الهمزتين وألف بعدهما (ماضربوه لك الا جدلا) ماضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل (بل هم قوم خصمون) شداد الخصومة حراص على اللجاج (ان هو الا عبد أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) أمرا عجيبا كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة (ولو نشاء لجعلنا منكم) لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير أب أو لجعلنا بدلكم (ملائكة في الارض يخلفون) ملائكة تخلفونكم في الارض والمعنى أن حال عيسى عليه السلام وان كانت عجيبة فانه تعالى قادر على ما هو أعجب من ذلك وأن الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة تحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابتداء فلن أين لهم استحقاق الألوهية والانتساب الى الله سبحانه وتعالى (وانه) وان عيسى عليه السلام (لعلم للساعة) لان حدوثه أو نزوله من أشراط الساعة يعلم به دنوها أو لان احياء الموتى يدل على قدرة الله تعالى عليه وقرئ لعلم أي لعلامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي الحديث ينزل عيسى عليه السلام على ثنية بالارض المقدسة يقال لها أفيق و بيده حربة يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام و يصلي خلفه على شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ثم يقتل الخنازير و يكسر الصليب و يخرب البيع والكنائس و يقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها (فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها (واتبعون) واتبعوا هداي أو شرعي أو رسولي وقيل هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم أمر أن يقوله (هذا) الذي أدعوكم اليه (صراط مستقيم) لا يضل سالكه (ولا يصدنكم الشيطان)

(قوله يقتدون بهم الخ) فيه ان قوله تعالى فجعلناهم سلفا يدل على انه تعالى جعلهم سلفا بسبب الانتقام والغرق وهذا لا يناسب جعلهم قدوة للآخرين والوجه ان يقال ان المعنى فجعلناهم سالفين هالكين ومثلا للآخرين حتى يكون للآخرين متعلقا بقوله مثلا لا بقوله سلفا (قوله أو غيره) عطف على قوله انكم الخ (قوله وعلى قوله واسأل من أرسلنا الخ) عطف على قوله والنزاع وفيه انه قال ان عيسى عبده فلا يصح ان لم نجعل من دون الرحمن الهة يعبدون فكيف يصح قوله واسأل من أرسلنا الخ (قوله كالمزيح لتلك الشبهة) وهو كون عيسى معبودا بحق فان هذا هو أصل شبهتهم لان دعواهم ان عيسى معبود بحق لا بباطل لا اعتداد به وانما قال كالجواب المزيح لتلك الشبهة اذ الجواب الصريح ان يقال ان عيسى ليس معبودا بحق لكن ماذكره ليس ذلك الجواب بعينه وانما هو مستلزم له (قوله يدل على قدرة الله عليه) فيدل على البعث الذي هو احياء أرض أيضا (قوله على تسمية ما يذكر به ذكرا) أي على تسمية ما يذكر به الساعة وهو عيسى ذكرا

عن المتابعة (انه لكم عدو مبين) ثابت عداوته بأن أخرجكم عن الجنة وعرضكم للبلية (ولما جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات أو بآيات الانجيل أو بالشرائع الواضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) بالانجيل أو بالشريعة (ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه) وهو ما يكون من أمر الدين لا ما يتعلق بأمر الدنيا فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يبعثوا لبيانه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام أنتم أعلم بأمر دنياكم (فاتقوا الله وأطيعون) فيما بلغه عنه (ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه) بيان لما أمرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع (هذا صراط مستقيم) الاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى عليه السلام أو استئناف من الله تعالى يدل على ما هو المقتضى للطاعة فى ذلك (فاختلف الاحزاب) الفرق المتحزبة (من بينهم) من بين النصارى أو اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم (فويل للذين ظلموا) من المتحزبين (من عذاب يوم أليم) هو القيامة (هل ينظرون الا الساعة) الضمير لقريش أو للذين ظلموا (أن تأتيهم) بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة (بغتة) فجأة (وهم لايشعرون) غافلون عنها لاشتغالهم بأمور الدنيا وانكارهم لها (الأخلاء) الاحباء (يومئذ بعضهم لبعض عدو) أى يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب (الا المتقين) فان خلتهم لما كانت فى الله تبقى دائمة أبد الآباد (ياعبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بغير الياء (الذين آمنوا بآياتنا) صفة المنادى (وكانوا مسلمين) حال من الواو أى الذين آمنوا مخلصين غير أن هذه العبارة آكد وأبلغ (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) نساؤكم المؤمنات (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره أى أثره على وجوهكم أو تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة أو تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب) الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لاعروة له (وفيها) وفى الجنة (ما تشتهى الانفس) وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه الانفس على الاصل (وتلذ الاعين) بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد فى التنعم والتلذذ (وأنتم فيها خالدون) فان كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر فى ثانى الحال (وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) وقرأ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتى أورثتموها صفتها والجنة صفة تلك والتى خبرها أو صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه يتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره فى القرآن وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان سهم من الشدة والفاقة (ان المجرمين) الكاملين فى الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخص بالكفار (فى عذاب جهنم خالدون) خبر ان وخالدون خبر الظرف متعلق به (لا يفتر عنهم) لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف (وهم فيه) فى العذاب (مبلسون) آيسون من النجاة (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) مر مثله غير مرة وهم فصل (ونادوا يامالك) وقرئ يامال على الترخيم مكسورا ومضموما ولعله اشعار بأنهم يحزنون فان العاصين لهم خوف وحزن وان أراد به جعل قسيم المؤمنين المتقين عن المعاصى فهذا لا يوجب أن يكون المجرمون مخصوصين بالكفار لان العاصين من المؤمنين مجرمون أيضا (قوله والتركيب للضعف) أى التركيب من حروف فتر يدل على الضعف

مقدمة وقوله وهم لايشعرون ليس بتأكيد بل تأسيسا اذ لا يلزم من عدم المقدمة عدم الشعور اذ يمكن وقوع الشئ المشعور به من غير سبق مقدمة (قوله وذلك تعميم بعد تخصيص) أى ذكر ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين بعد يطاف عليهم بصحاف من ذهب تعميم بعد تخصيص لان الصحاف والاكواب المذكورين بعض ما تشتهى الانفس (قوله لانه يخلفه عليه العامل) العامل فاعل يخلفه والضمير فى يخلفه راجع الى العمل وفى عليه الى الجزاء والمعنى يخلف العامل العمل متمكنا على الجزاء فكان الجزاء الميراث الحاصل للعامل عن العمل (قوله لما كان بهم من الشدة) أى لما حصل للفقراء المسلمين من الشدة والفاقة فكان توجههم الى المطعم والملبس شديدا (قوله لانه جعل قسيم المؤمنين) فيه انه ان أراد انه جعل قسيم مطلق المؤمنين فليس كذلك اذ لم يصح ان مطلق المؤمنين ليس لهم الخوف ولا لهم

لضعفهم لايستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا (ليقض علينا ربك) والمعنى سل ربنا أن يقضى علينا من قضى عليه اذا أماته وهو لاينافى ابلاسهم فانه جؤار وتمن للموت من فرط الشدة (قال انكم ماكثون) لاخلاص لكم بموت ولا بغيره (لقد جئناكم بالحق) بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان فى قال ضمير الله والا فجواب منه فكأنه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك (ولكن أكثركم للحق كارهون) لما فى اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح (أم أبرموا أمرا) فى تكذيب الحق وردّه ولم يقتصروا على كراهته (فانا مبرمون) أمرا فى مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك أسوأ من كراهتهم أو أم أحكم المشركون أمرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله (أم يحسبون أنا لانسمع سرهم) حديث أنفسهم بذلك (ونجواهم) وتناجيهم (بلى) نسمعهما (ورسلنا) والحفظة مع ذلك (لديهم) ملازمة لهم (يكتبون) ذلك (قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين) منكم فان النبى صلى الله عليه وسلم يكون أعلم بالله وبما يصح له وبما لايصح له وأولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير أن لو ثم مشعرة بانتفاء الطرفين وان ههنا لاشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشريطة بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره الولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان أولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد فى زعمكم فأنا أول العابدين لله الموحدين له أو الآنفين منه أو من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد أنفه أو ما كان له ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة وقرأ حمزة والكسائى ولد بالضم وسكون اللام (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها أصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها (فذرهم يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) أى يوم القيامة وهو دلالة على أن قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون فى الآخرة (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود أو متضمن معناه كقولك هو حاتم فى البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبر له لانه لا يبقى له عائد لكن لو جعل صلة وقدر لاله مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على أن كونه فى السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفى الالهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية (وهو الحكيم العليم) كالدليل عليه (وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما) كالهواء (وعنده علم الساعة) العلم بالساعة التى تقوم القيامة فيها (واليه يرجعون) للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله (الا من شهد بالحق وهم يعلمون) بالتوحيد والاستثناء متصل ان أريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام (ولئن سألتهم من خلقهم) سألت العابدين أو المعبودين (ليقولن الله) لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره (فأنى يؤفكون) يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره (وقيله) وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم أو على محل الساعة أو لاضمار فعله أى وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره (يارب ان هؤلاء قوم لايؤمنون) أو معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب

(قوله فانه جؤار وتمن) وهما لاينافيان الابلاس من التخليص من العذاب اما الجؤار فظاهر وأما التمنى فلانه يجوز تمنى المستحيل (قوله والا فجواب منه الخ) أى ان لم يكن الضمير فى قال ضمير الله يكون لقد جئناكم جوابا لهم من الله بعد جواب مالك لهم وجوابه انكم ماكثون (قوله تعالى فانا مبرمون) جزاء شرط محذوف والمعنى بل أبرموا وان أبرموا فانا مبرمون أو علة لامر محذوف والمعنى بل أبرموا أمرا ولا ينال به فانا مبرمون (قوله للاشعار الخ) وجه الاشعار ان الفاعل لهذا الأمر لا يستحق أن يخاطب (قوله ما كان له ولد) فتكون ان نافية (قوله وكذا فيمن قرأ الله) أى ذلك الحكم فى قراءة من قرأ الله والرافع مبتدا محذوف والتقدير وهو الذى فى السماء هو الله (قوله يكون به جملة مبينة للصلة) أى مبينة لمعنى كون الله فى السماء اذ يعلم أن المراد حصول معبوديته اذ المراد الذى هو اله معبود (قوله بتقدير مضاف) فيكون المعنى وعلم قيله

بحذف الجار أو مجرور باضماره أو مرفوع بتقدير وقيله يارب قسمى وان هؤلاء جوابه (فاصفح عنهم) فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم (وقل سلام) تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على أنه من المأمور بقوله * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون

* (سورة الدخان) * مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الآية وهى سبع أو تسع وخمسون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم والكتاب المبين) القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما به والا فللقسم والجواب قوله (انا أنزلناه فى ليلة مباركة) ليلة القدر أو البراءة ابتدئ فيها انزاله أو أنزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح المحفوظ ثم أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية أو لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية (انا كنا منذرين) استئناف يبين المقتضى للانزال وكذلك قوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) فان كونها مفرق الامور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة يستدعى أن ينزل فيها القرآن الذى هو من عظائمها ويجوز أن يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على أن الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل أى يفرقه الله ونفرق بالنون (أمرا من عندنا) أى أعنى بهذا الامر أمرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز أن يكون حالا من كل أو أمر أو ضميره المستكن فى حكيم لانه موصوف وأن يكون المراد به مقابل النهى وقع مصدرا ليفرق أو لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به أو حالا من أحد ضميرى أنزلناه بمعنى آمرين أو مأمورا (انا كنا مرسلين رحمة من ربك) بدل من انا كنا منذرين أى أنزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بأن الربوبية اقتضت ذلك فانه أعظم أنواع التربية أو علة ليفرق أو أمرا ورحمة مفعول به أى يفصل فيها كل أمر أو تصدر الاوامر من عندنا لان من شأننا أن نرسل رحمتنا فان فصل كل أمر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة (انه هو السميع العليم) يسمع أقوال العباد ويعلم أحوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته فانها لاتحق الا لمن هذه صفاته (رب السموات والارض وما بينهما) خبر آخر أو استئناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك (ان كنتم موقنين) أى ان كنتم من أهل الايقان فى العلوم أو كنتم موقنين فى اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم أن الامر كما قلنا أو ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك (لا اله الا هو) اذ لا خالق سواه (يحيى ويميت) كما تشاهدون (ربكم ورب آبائكم الاولين) وقرئا بالجر بدلا من ربك (بل هم فى شك يلعبون) رد لكونهم موقنين (فارتقب) فانتظر لهم (يوم تأتى السماء بدخان مبين) يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره أو لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار أو لان العرب تسمى الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى أكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار أو يوم ظهور الدخان المعدود فى أشراط الساعة لما روى أنه عليه الصلاة والسلام لما قال أول الايات الدخان ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب

(قوله وقيل يارب قسمى) قال صاحب الكشاف الضمير فى قيله للرسول صلى الله عليه وسلم فاقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم الدعاء به

﴿سورة الدخان﴾

(قوله لانه موصوف) أى مرجعه وهو امر موصوف بحكيم فيجب أن يكون فيه ضمير راجع اليه (قوله وأن يكون المراد مقابل النهى) أى يحتمل أن يكون المراد بالامر الامر المقابل للنهى وأن يكون مصدرا ليفرق حتى يكون مفعولا له أو مصدرا لفعله المقدر أى نأمر أمرا من عندنا وعلى كلا التقديرين مفعول مطلق وتوضيحه انه ان كان مصدرا ليفرق كان مفعولا مطلقا ليفرق فيكون بمعنى الفرق وان كان مصدر الفعل تكون الجملة مرتبطة بيفرق من حيث ان الفرق به (قوله أو علة) عطف على قوله بدل أى أو يكون انا كنا مرسلين علة ليفرق أو علة لامرا (قوله ابين) بكسر الهمزة وفتحها اسم رجل بنى هذه البلدة وسكن بها

يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره أو يوم القيامة والدخان يحتمل المعنيين (يغشى الناس) يحيط بهم صفة للدخان وقوله (هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم (أنى لهم الذكرى) من أين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة (وقد جاءهم رسول مبين) بين لهم ما هو أعظم منها في ايجاب الاذكار من الآيات والمعجزات (ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أى قال بعضهم لبعض غلام أعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون (انا كاشفوا العذاب) بدعاء النبي عليه الصلاة والسلام فانه لما دعا رفع القحط (قليلا) كشفا قليلا أو زمانا قليلا وهو ما بقي من أعمارهم (انكم عائدون) الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوّث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الاربعين فر ثم ما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما في القيامة أوّله بالشرط والتقدير (يوم نبطش البطشة الكبرى) يوم القيامة أو يوم بدر ظرف لفعل دل عليه (انا منتقمون) لانتقمون فان ان تحجزه عنه أو بدل من يوم تأتي وقرئ نبطش أى نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم أو نحمل الملائكة على بطشهم وهو تناول بصولة (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) امتحناهم بارسال موسى عليه السلام اليهم أو أوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتأكيد أو لكثرة القوم (وجاءهم رسول كريم) على الله أو على المؤمنين أوفى نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه (أن أدّوا الى عباد الله) بأن أدّوهم الى وأرسلوهم معى أو بأن أدّوا الى حق الله من الايمان وقبول الدعوة ياعباد الله ويجوز أن تكون أن مخففة ومفسرة لان مجيء الرسول يكون برسالة ودعوة (انى لكم رسول أمين) غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه أو لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر (وأن لا تعلوا على الله) ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وأن كالاولى في وجهيها (انى آتيكم بسلطان مبين) علة للنهي ولذكر الامرين مع الاداء والسلطان مع العلم شأن لا يخفى (وانى عذت بربى وربكم) التجأت اليه وتوكلت عليه (أن ترجمون) أن تؤذوني ضربا أو شتما أو أن تقتلوني وقرئ عُذت بالادغام فيه (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) فكونوا بمعزل منى لا على ولا لى ولا تتعرضوا الى بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم (فدعا ربه) بعد ما كذبوه (أن هؤلاء) بأن هؤلاء (قوم مجرمون) وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول (فأسر بعبادى ليلا) أى فقال أسر أو قال ان كان الامر كذلك فأسر وقرأ نافع وأبو عمر وابن كثير بوصل الهمزة من سرى (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم (واترك البحر رهوا) مفتوحا لجوة واسعة أو ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغيره منه شيأ ليدخله القبط (انهم جند مغرقون) وقرئ بالفتح بمعنى لانهم (كم تركوا) كثيرا تركوا (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) محافل مزينة ومنازل حسنة (ونعمة) وتنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين وقرئ فكهين (كذلك) مثل ذلك الاخراج أخرجناهم أو الامر كذلك (وأورثناها) عطف على المقدر أو على تركوا (قوما آخرين) ليسوا منهم في شئ وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر (فما بكت عليهم السماء والارض) مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء والارض وكسفت لهلاكهم الشمس في نقيض ذلك ومنه ما روى في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم أهل

(قوله والدخان يحتمل المعنيين) أى يحتمل أن يراد بالدخان المعنى المشهور ويحتمل أن يكون غيره وهو الشر الغالب (قوله مقدر بقول) والمعنى قائلين وهو حال من الناس (قوله أوله بالشرط) فيكون هو قوله تعالى انا كاشفوا العذاب الخ انا كشفنا العذاب انكم عائدون (قوله فان ان يحجزه عنه) لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها (قوله وقرئ بالتشديد الخ) فان باب التفعيل قد يكون للتأكيد وقد يكون لتكثير الفعل وقد يكون لكثرة المفعول (قوله ويجوز أن تكون مخففة) تبع الكشاف وقال العلامة التفتازاني هذا القول مع ظهور التفعيل بعيد جدا لتصريحهم بأنه لا بد فيها من النفي أو قد أو السين أو سوف وان خبر ضمير الشان لا يكون الا جملة خبرية (قوله ولذكر الامرين الخ) لان الاداء يناسب الامانة والاعلاء يناسب السلطان (قوله عطف على الفعل المقدر) فيكون المعنى مثلا نزعناها منهم وأورثناها

السماء والارض (وما كانوا منظرين) مهلين الى وقت آخر (ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين) من استعباد فرعون وقتله أبناءهم (من فرعون) بدل من العذاب على حذف المضاف أو جعله عذابا لافراطه في التعذيب أو حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لتنكر ما كان عليه من الشيطنة (انه كان عاليا) متكبرا (من المسرفين) في العتو والشرارة وهو خبر ثان أي كان متكبرا مسرفا أو حال من الضمير في عاليا أي كان رفيع الطبقة من بينهم (ولقد اخترناهم) اخترنا بني اسرائيل (على علم) عالمين بأنهم أحقاء بذلك أو مع علم منا بأنهم يزيغون في بعض الاحوال (على العالمين) اكثرة الانبياء فيهم أو على عالمي زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى (ما فيه بلاء مبين) نعمة جلية أو اختبار ظاهر (ان هؤلاء) يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على أنهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم (ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى) ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل انكم تموتون موتة يعقبها حياة كما تقدم منكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الأولى أي ما الموتة التي من شأنها كذلك الا الموتة الأولى (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين (فأتوا بآبائنا) خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين (ان كنتم صادقين) في وعدكم ليدل عليه (أهم خير) في القوة والمنعة (أم قوم تبع) تبع الحيري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدري أكان تبع نبيا أم غير نبي وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل لهم الاقيال لانهم يتقيلون (والذين من قبلهم) كعاد وثمود (أهلكناهم) استئناف بما آل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش أو حال باضمار قد أو خبر من الموصول ان استؤنف به (انهم كانوا مجرمين) بيان للجامع المقتضي للاهلاك (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن (لاعبين) لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها (ما خلقناهما الا بالحق) الا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة أو البعث والجزاء (ولكن أكثرهم لا يعلمون) لقلة نظرهم (ان يوم الفصل) فصل الحق عن الباطل أو الحق عن المبطل بالجزاء أو فصل الرجل عن أقاربه وأحبائه (ميقاتهم) وقت موعدهم (أجمعين) وقرئ ميقاتهم بالنصب على أنه الاسم أي ان ميعاد جزائهم في يوم الفصل (يوم لا يغني) بدل من يوم الفصل أو صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا له للفصل (مولى) من قرابة أو غيرها (عن مولى) أي مولى كان (شيأ) من الاغناء (ولا هم ينصرون) الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام (الا من رحم الله) بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو أو النصب على الاستثناء (انه هو العزيز) لا ينصر منه من اراد تعذيبه (الرحيم) لمن أراد أن يرحمه (ان شجرة الزقوم) وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات (طعام الأثيم) الكثير الآثام والمراد به الكافر للدلالة ما قبله وما بعده عليه (كالمهل) وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت (تغلي في البطون) وقرأ ابن كثير وحفص وروبس بالياء على أن الضمير للطعام أو الزقوم لا للمهل اذ الاظهر أن الجملة حال من أحدهما (كغلي الحميم) غليانا مثل غليه (خذوه) على ارادة القول والمقول له الزبانية (فاعتلوه) فجروه والعتل الاخذ بجامع الشيء وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان (الى سواء الجحيم) وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) كان أصله يصب من فوق

في جميع الازمنة فيلزم كونهم مختارين على المسلمين الذين سموا أمة محمد صلى الله عليه وسلم والعجب أن صاحب الكشاف ضعف هذا الوجه فقال وقيل على الناس جميعا (قوله ولا قصد فيه الخ) أي ليس القصد من ذكر الاولى اثبات الموتة الثانية وتوضيح الكلام انه يقال لما وبخهم بقولهم ان هي الا موتتنا الاولى وأبطل قولهم هذا فهم منه اثبات الموتة الثانية فافاد المصنف أنه ليس المقصود ذلك بل المراد من الموتة الاولى الموتة المزيلة للحياة الدنيوية (قوله ان استؤنف به) أي لا يكون الموصول معطوفا على قوم تبع (قوله من الايمان والطاعة) بيان لحق (قوله أو صفة لميقاتهم) فيه ان ميقاتهم معرفة وهي لا توصف بما يضاف الى الجملة (قوله للفصل) أي للفصل بين الفصل الذي هو المضاف اليه في يوم الفصل وبين يوم القيامة (قوله الضمير لمولى الاول الخ) ولا يعود الى المولى الثاني لانه يعلم من الكلام ان المولى الثاني لم ينصر (قوله اذ الاظهر أن الجملة حال من أحدهما) أي من الزقوم أو الطعام لان الغلي في البطون يناسب الطعام وكونه حالا من الطعام أو من الزقوم فيه خفاء لانه مضاف اليه ليس فيه شائبة الفاعلية والمفعولية فالاولى ان يقال انه حال من المهل

رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم أضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع (ذق انك أنت العزيز الكريم) أى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه وقرأ الكسائى أنك بالفتح أى ذق لانك أو عذاب أنك (ان هذا) ان هذا العذاب (ما كنتم به تمترون) تشكون وتمارون فيه (ان المتقين فى مقام) فى موضع اقامة وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم (أمين) يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال (فى جنات وعيون) بدل من مقام جىء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب (يلبسون من سندس واستبرق) خبر ثان أو حال من الضمير فى الجار أو استئناف والسندس مارق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب استبره أو مشتق من البراقة (متقابلين) فى مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) الامر كذلك أو آتيناهم مثل ذلك (وزوجناهم بحور عين) قرناهم بهن ولذلك عدى بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف فى أنهن نساء الدنيا أو غيرها (يدعون فيها بكل فاكهة) يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شئ منها بمكان ولا بزمان (آمنين) من الضرر (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع أو متصل والضمير للآخرة والموت أول أحوالها أو الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها أو الاستثناء للمبالغة فى تعميم النفى وامتناع الموت فكأنه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا أمكن ذوق الموتة الاولى فى المستقبل (ووقاهم عذاب الجحيم) وقرئ ووقاهم على المبالغة (فضلا من ربك) أى أعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع أى ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب (فانما يسرناه بلسانك) سهلناه حيث أنزلناه بلغتك وهو فذلكة السورة (لعلهم يتذكرون) لعلهم يفهمونه فيتذكرون به ما لم يتذكروا (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) منتظرون ما يحل بك * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة أصبح مغفورا له

﴿ سورة الجاثية مكية وآيها سبع أو ست وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم تنزيل الكتاب) ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره (من الله العزيز الحكيم) وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم (ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين) وهو يحتمل أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى ان فى خلق السموات لقوله (وفى خلقكم وما يبث من دابة) ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف اليه بأحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار (آيات لقوم يوقنون) محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بالنصب حملا على الاسم (واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) من مطر وسماه رزقا لانه سببه (فأحيا به الارض بعد موتها) يبسها (وتصريف الرياح) باختلاف جهاتها وأحوالها وقرأ حمزة والكسائى وتصريف الريح (آيات لقوم يعقلون) فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين فى والابتداء أو ان الا أن

باعتبار مفعول فعل التشبيه المستفاد من الكاف وامّا ما قيل من أن المهل لا يغلى فى البطون ففيه أن ما يذوب فى النار يمكن أن يغلى أو المراد به دردى الزيت اذا اشتد غليانه (قوله أو عذاب انك) أى عذاب مضمون هذه الجملة (قوله للمبالغة فى تعميم النفى) اذ المفهوم الظاهر من لا يذوقون الخ أنه لا يذوق فيها الموت أصلا لكن يحتمل أن لا يكون النفى عاما لجميع الاوقات بل يكون مختصا ببعضها فلما استثنى الموتة الاولى صار صريحا فى عموم النفى بحيث لا يحتمل غيره

﴿سورة الجاثية﴾

(قوله ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور) أى لا يحسن عطف ما على الضمير المجرور الذى هو كم لان العطف على الضمير المجرور مستلزم لاعادة الجار بل عطف على ما يضاف الى الضمير وهو الخلق (قوله بأحد الاحتمالين) هما الاحتمالان المذكوران فى قوله وهو يحتمل أن يكون على ظاهره الخ (قوله فيه القراءتان) أى قراءة الرفع والنصب (قوله ويلزمهما العطف الخ) لان آيات معطوف على محل اسم ان اذا كان مرفوعا وعلى لفظه اذا كان منصوبا واختلاف الليل والنهار معطوف على خلقكم فيكون فى عاملا فيه

يضمر

يضمر فى أو ينصب آيات على الاختصاص أو يرفع باضمارهى ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات فى الدقة والظهور (تلك آيات الله) أى تلك الآيات دلائله (نتلوها عليك) حال عاملها معنى الاشارة (بالحق) ملتبسين به أوملتبسة به (فبأى حديث بعد الله وآياته تؤمنون) أى بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما فى قولك أعجبنى زيد وكرمه أو بعد حديث الله وهو القرآن كقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وآياته دلائله المتلوة أوالقرآن والعطف لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وأبو عمر وروح يؤمنون بالياء ليوافق ماقبله (ويل لكل أفاك) كذاب (أثيم) كثير الآثام (يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر) يقيم على كفره (مستكبرا) عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله * برى عمرات ثم يزورها * (كأن لم يسمعها) أى كأنه لخفة وحذف ضمير الشان والجملة فى موضع الحال أى يصر مثل غير السامع (فبشره بعذاب أليم) على اصراره والبشارة على الاصل أوالتهكم (واذا علم من آياتنا شيأ) واذا بلغه شئ من آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها هزوا) لذلك من غير أن يرى فيها ماينا سب الهزء والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بأنه اذا سمع كلاما وعلم أنه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كأنها لم يوقتصر على ماسمعه أولشئ لانه بمعنى الآية (أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم) من قدامهم لانهم متوجهون اليها أومن خلفهم لانها بعد آجالهم (ولايغنى عنهم) ولايدفع عنهم (ما كسبوا) من الاموال والاولاد (شيأ) من عذاب الله (ولا ماتخذوا من دون الله أولياء) أى الاصنام (ولهم عذاب عظيم) لايتحملونه (هذا هدى)) الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع أليم والرجز أشد العذاب (الله الذى سخر لكم البحر) بأن جعله أملس السطح يطفو عليه مايتخلخل كالاخشاب ولايمنع الغوص فيه (لتجرى الفلك فيه بأمره) بتسخيره وأنتم راكبوها (ولتبتغوا من فضله) التجارة والغوص والصيد وغيرها (ولعلكم تشكرون) هذه النعم (وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا) بان خلقها نافعة لكم (منه) حال من ماأى سخر هذه الاشياء كائنة منه أوخبر لمحذوف أى هى جميعا منه أولما فى السموات وسخر لكم تكرير للتأكيد أولما فى الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه على أنه فاعل سخر على الاسناد المجازى أوخبر محذوف (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فى صنائعه (قل للذين آمنوا يغفروا) حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا أى يعفوا ويصفحوا (للذين لايرجون أيام الله) لايتوقعون وقائعه بأعدائه من قولهم أيام العرب لوقائعهم أولايأملون الاوقات التى وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت فى عمر رضى الله عنه شتمه غفارى فهم أن يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) علة للامر والقوم هم المؤمنون أوالكافرون أوكلاهما فيكون التنكير للتعظيم أوالتحقير أوالشيوع والكسب المغفرة أوالاساءة أومايعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى لنجزى بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما أى ليجزى الخير أوالشر أوالجزاء أعنى مايجزى به لاالمصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) أى فلها ثواب العمل وعليها عقابه (ثم الى ربكم ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) التوراة (والحكم) والحكمة النظرية والعملية أوفصل الخصومات (والنبوة) اذ كثر فيهم الانبياء مالم يكثر فى غيرهم (ورزقناهم من الطيبات) مما أحل الله من اللذائذ (وفضلناهم على العالمين) حيث آتيناهم مالم نؤت غيرهم (وآتيناهم بينات من الامر) أدلة فى أمر الدين ويندرج فيها

(قوله ولعل اختلاف الفواصل الخ) فان السموات والارض أظهر من غيرهما فى الدلالة على المقصود الذى هو رد القادر الكل بعد الموت وهو البعث لان خلق السموات والارض دال على غاية كمال القدرة ودلالة خلق الانسان والدابة على القدرة على البعث ليس كدلالة خلق السماء والارض ولما كان خلق السماء والارض أظهر دلالة من غيرهما يكون خلقهما آيات للمؤمنين اذ يكفى فيه مجرد الايمان ثم ان خلق الانسان والحيوانات الاخر أظهر فى الدلالة من اختلاف الليل والنهار الخ فهو آيات للموقنين لما كان الايقان أعلى من الايمان فاسب الآيات التى فيها نوع خفاء ولما كان اختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض من بعد موتها دلالته على المثوبات العظيمة والبعث الذى هو شبيه باحياء الارض من وجه لابد له من تصرف عقل فيه نوع خفاء فصل الآيات بيعقلون الذى يدل على ادراك الدقائق وطريق الاستدلال فيكون ترتيب الفواصل لذلك الترقى (قوله لذلك) أى للعلم بكونه من آيات الله أى يصير العلم بكونه من آيات الله سببا للهزء (قوله لانه بعد آجالهم) وآجالهم من خلفهم لانهم متوجهون الى الحياة مقبلون اليها

(قوله بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول) أى ان كان ضمير محياهم ومماتهم راجعا الى الذين اجترحوا السيئات كان جملة سواء محياهم بدلا من أن نجعلهم والمعنى أم حسب الذين اجترحوا السيئات سواء محياهم وقوله لان المماثلة فيه أى المماثلة فى استواء الحياة والممات فيهذا الاعتبار صح أن يكون بدلا (قوله أو الحال من الضمير فى الكاف) أى الضمير المستتر فيها يستقيم دمن الكاف اذ المعنى مماثلين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله أو المفعولية والكاف حال يعنى يكون سواء محياهم مفعولا ثانيا لنجعلهم ويكون كالذين آمنوا بتأويل المشتق كما ذكر (قوله فبدل) أى بدل من أن نجعلهم الخ والمعنى أم حسب الذين اجترحوا السيآت سواء محيا المؤمنين والكافرين (قوله ظرفان) والمعنى سواء حالهم وقت حياتهم ومماتهم (قوله رفضه اليه) أى ترك ما كان يعبده أولا مائلا الى ما استحسنه آخرا (قوله من دهره اذا غلبه) ولعل تشبيه الزمان المذكور بالدهر لانه غلب كل شئ فيهلك وهو باق (قوله أو مبينات) أى مبينات لما يخالف معتقدهم أو للمعتقد أى لما يجب اعتقاده

المعجزات وقيل آيات من أمر النبى عليه الصلاة والسلام مبينة لصدقه (فما اختلفوا) فى ذلك الامر (الا من بعد ما جاءهم العلم) بحقيقة الحال (بغيا بينهم) عداوة وحسدا (ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون) بالمؤاخذة والمجازاة (ثم جعلناك على شريعة) طريقة (من الامر) من أمر الدين (فاتبعها) فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش فقالوا له ارجع الى دين آبائك (انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ) مما أرادك (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) اذ الجنسية علة الانضمام فلا تنوالهم باتباع أهوائهم (والله ولى المتقين) فوالهبالتقى واتباع الشريعة (هذا) أى القرآن أو اتباع الشريعة (بصائر للناس) بينات تبصرهم وجه الفلاح (وهدى) من الضلالة (ورحمة) ونعمة من الله (لقوم يوقنون) يطلبون اليقين (أم حسب الذين اجترحوا السيآت) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة (أن نجعلهم) أن نصيرهم (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) مثلهم وهو ثانى مفعولى نجعل وقوله (سواء محياهم ومماتهم) بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار أن يكون حياتهم ومماتهم سيين فى البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين و بدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص سواء بالنصب على البدل أو الحال من الضمير فى الكاف أو المفعولية والكاف حال وان كان للثانى فحال منه أو استئناف يبين المقتضى للانكار وان كان لهما فبدل أو حال من الثانى وضمير الاول والمعنى انكار أن يستووا بعد الممات فى الكرامة أو ترك المؤاخذة كما استووا فى الرزق والصحة فى الحياة أو استئناف مقرر لتساوى محيا كل صنف وممانه فى الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على أن محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج (ساء ما يحكمون) ساء حكمهم هذا أو بئس شيأ حكموا به ذلك (وخلق الله السموات والارض بالحق) كائنه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضى للعدل يستدعى انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذ لم يكن فى الحياة كان بعد الممات (ولتجزى كل نفس بما كسبت) عطف على بالحق لانه فى معنى العلة أو على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته أو ليعدل ولتجزى (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) ترك متابعة الهدى الى متابعة الهوى فكأنه يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان أحدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى أحسن منه رفضه اليه (وأضله الله) وخذله (على علم) عالما بضلاله وفساد جوهر روحه (وختم على سمعه وقلبه) فلا يبالى بالمواعظ ولا يتفكر فى الآيات (وجعل على بصره غشاوة) فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائى غشوة (فمن يهديه من بعد الله) من بعد اضلاله (أفلا تذكرون) وقرئ تتذكرون (وقالوا ما هى) ما الحياة أو الحال (الا حياتنا الدنيا) التى نحن فيها (نموت ونحيا) أى نكون أمواتا نطفا وما قبلها ونحيا بعد ذلك أو نموت بأنفسنا ونحيا بأبقاء أولادنا أو نموت بعضنا ونحيا بعضنا أو يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل انهم أرادوا به التناسخ فانه عقيدة أكثر عبدة الاوثان (وما يهلكنا الا الدهر) الامر والزمان وهو فى الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه (وما لهم بذلك من علم) يعنى نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال أو انكار البعث أو كليهما (ان هم الا يظنون) اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما سمعوا به (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم أو مبينات له (ما كان حجتهم) ما كان لهم متشبث يعارضونه به (الا

أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) وانما سماها حجة على حسبانهم ومساقهم أو على أسلوب قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * فانه لا يلزم من عدم حصول الشئ حالا امتناعه مطلقا (قل الله يحييكم ثم يميتكم) على ما دلت عليه الحجج (ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه) فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرر مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك أمكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت أن يعاد وا يوم الجمع للجزاء (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه (ولله ملك السموات والارض) تعميم للقدرة بعد تخصيصها (ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) أى ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه (وترى كل أمة جاثية) مجتمعة من الجثوة وهى الجماعة أو باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية أى جالسة على أطراف الاصابع لاستيفازهم (كل أمة تدعى الى كتابها) صحيفة أعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل من الاول وتدعى صفة أو مفعول ثان (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) محمول على القول (هذا كتابنا) أضاف صحائف أعمالهم الى نفسه لانه أمر الكتبة أن يكتبوا فيها أعمالهم (ينطق عليكم بالحق) يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان (انا كنا نستنسخ) نستكتب الملائكة (ما كنتم تعملون) أعمالكم (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) التى من جملتها الجنة (ذلك هو الفوز المبين) الظاهر خلوصه عن الشوائب (وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) أى فيقال لهم ألم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة (فاستكبرتم) عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) عادتكم الاجرام (واذا قيل ان وعد الله) يحتمل الموعود به والمصدر (حق) كائن هو أو متعلقه لا محالة (والساعة لا ريب فيها) افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان (قلتم ما ندرى ما الساعة) أى شئ الساعة استغرابا لها (ان نظن الا ظنا) أصله نظن ظنا فادخل حرفا النفى والاستثناء لاثبات الظن ونفى ما عداه كأنه قال ما نحن الا نظن ظنا أو لنفى ظنهم فيما يرى ذلك مبالغة نما كده بقوله (وما نحن بمستيقنين) أى لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات فى أمر الساعة (وبدا لهم) ظهر لهم (سيئات ما عملوا) على ما كانت عليه بأن عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها أو جزاؤها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وهو الجزاء (وقيل اليوم ننساكم) نترككم فى العذاب ترك ما ينسى (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى يوم اضافة المصدر الى ظرفه (ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) يخلصونكم منها (ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا) استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها (وغرتكم الحيوة الدنيا) فحسبتم ان لا حياة سواها (فاليوم لا يخرجون منها) وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وضم الراء (ولا هم يستعتبون) لا يطلب منهم أن يعتبوا بأن يرضوه لفوات أوانه (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) اى الكل نعمته منه ودال على كمال قدرته (وله الكبرياء فى السموات والارض) اظهر فيها آثارها (وهو العزيز) الذى لا يغلب (الحكيم) فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه وأطيعوا له * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

* سورة الاحقاف مكية وآيها أربع أو خمس وثلاثون آية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) الا

(قوله فانه لا يلزم الخ) أى ليس قولهم هذا حجة اذ لا يلزم من عدم حصول البعث فى الحال عدم حصوله مطلقا لم لا يجوز أن يكون فى المستقبل (قوله أو مفعول ثان) أراد انه يدل على المفعول الثانى وهو جاثية (قوله كائن هو أو متعلقه) الاول اذا فسر الوعد بالموعود والثانى اذا فسر الوعد بالمصدر (قوله فراد للمقصود) لان الساعة من جملة الموعودات وهو المقصود منها (قوله فكأنه قال ما نحن الا نظن ظنا) أورد هذا التكلف البليغ للمبالغة ولا يخفى ما فيه من تغيير ترتيب نظم القرآن وههنا وجهان غير ماذكر لا يحتاج سبيهما الى ما ذكره الاول أن يقال ان المراد من نظن نعتقد فكأنه قيل ما نعتقد الا ظنا ضعيفا (قوله أو لنفى ظنهم فيما سوى ذلك) فكأن المعنى ان نظن الا ظنا كائنا فى أمر الساعة فكان ظنهم منحصرا فى أمر الساعة (قوله اضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه) فيكون المعنى كما نسيتم لقاء أمر يومكم هذا

* سورة الاحقاف *

خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا (وأجل مسمى) وبتقدير أجل مسمى ينتهى اليه الكل وهو يوم القيامة أو كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدرة له (والذين كفروا عما أنذروا) من هول ذلك الوقت ويجوز أن تكون ما مصدرية (معرضون) لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات) أى أخبرونى عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل أن يكون لها فى أنفسها مدخل فى خلق شئ من أجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم أن للوسائط شركة فى ايجاد الحوادث السفلية (ائتونى بكتاب من قبل هذا) من قبل هذا الكتاب يعنى القرآن فانه ناطق بالتوحيد (أو أثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة أو الامر به (ان كنتم صادقين) فى دعواكم وهو الزام بعدم ما يدل على ألوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ ثارة بالكسر أى مناظرة فان المناظرة تثير المعانى وأثرة أى شئ أوثرتم به واثرة بالحركات الثلاث فى الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر أثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يؤثر (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) انكار أن يكون أحد أضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع البصير المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا أن يعلم سرائرهم ويراعى مصالحهم (الى يوم القيمة) ما دامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) يضرونهم ولا ينفعونهم (وكانوا بعبادتهم كافرين) مكذبين بلسان الحال أو المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات أو مبينات (قال الذين كفروا للحق) لاجله وفى شأنه والمراد به الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك فى الضلالة (لما جاءهم) حينما جاءهم من غير نظر وتأمل (هذا سحر مبين) ظاهر بطلانه (أم يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو أشنع منه وانكار له وتعجيب (قل ان افتريته) على الفرض (فلا تملكون لى من الله شيأ) أى ان عاجلنى الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شئ منها فكيف أجترئ عليه وأعرض نفسى للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم (هو أعلم بما تفيضون فيه) تندفعون فيه من القدح فى آياته (كفى به شهيدا بينى وبينكم) يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم (قل ما كنت بدعا من الرسل) بديعا منهم أدعوكم الى ما لا يدعون اليه أو أقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على أنه كقيم أو مقدر بمضاف أى ذا بدع (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) فى الدارين على التفصيل اذ لا علم لى بالغيب ولا لتأكيد النفى المشتمل على ما يفعل بى وما اما موصولة منصوبة أو استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل أى يفعل الله (ان أتبع الا ما يوحى الى) لا أتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار

(قوله لها مدخل فى أنفسها الخ) يفهم أن لها مدخلا فى خلق شئ لكن ليس فى أنفسها وانما المدخلية مستفادة من خارج وفيه ان ليس لغيره تعالى مدخل فى وجود شئ الا أن يراد المدخلية العادية والاولى اسقاط هذا القيد (قوله احتراز عما يتوهم الخ) انه قد تقرر فى أوهام القاصرين ان للوسائط شركة ودخلا فى ايجاد الحوادث السفليات ولما نفى الله تعالى أن يكون لمعبوداتهم خلق شئ فى الارض بالاستقلال فكأن قائلا قال يمكن ان يكون لمعبوداتهم شركة فى السموات فى ايجاد الحوادث السفلية نفى ذلك بقوله أم لهم شرك فى السموات بأن يكون لكل منها دخل فى خلق السفليات يعنى قوله احتراز الخ انه احتراز عما يتوهم ان للاصنام دخلا فى ايجاد الخلق كما ان السموات كذلك فيكون معنى الكلام أم لهم شرك فى خلق السموات وتوضيحه انه لما توهم أن للوسائط شركة فى الخلق فيمكن أن يتوهم ان من جملة الوسائط الاصنام فيكون لها شركة فى الخلق فنفى ذلك بقوله أم لهم شرك فى السموات فهو احتراز أن يتوهم أن للاصنام شركة كما توهم ان للسموات شركة (قوله بلسان الحال أو المقال) فالاول حال الجمادات كالاصنام والثانى حال ذوى العقول (قوله الى ذكر ما هو أشنع) أى أشنع من السحر لان السحر أمر خارق للعادة للساحر فيه صنعة عمل بخلاف الافتراء فانه محض كذب على الغير (قوله أو استعجال المسلمين الخ) عطف على اقتراحهم

عما

عما لم يوح اليه من الغيوب أو استعجال المسلمين أن يتخلصوا من أذى المشركين (وما أنا الا نذير) من عقاب الله (مبين) بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة (قل أرأيتم ان كان من عند الله) أي القرآن (وكفرتم به) وقد كفرتم به ويجوز أن تكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله (وشهد شاهد من بني اسرائيل) الا انها تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه الصلاة والسلام وشهادته ما في التوراة من نعت الرسول عليه الصلاة والسلام (على مثله) مثل القرآن وهو ما في التوراة من المعاني المصدقة للقرآن المطابقة له أو مثل ذلك وهو كونه من عند الله (فآمن) أي بالقرآن لما رآه من جنس الوحي مطابقا للحق (واستكبرتم) عن الايمان (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) استئناف مشعر بأن كفرهم به اضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل ألستم ظالمين (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) لاجلهم (لو كان) الايمان أو ما أتى به محمد عليه الصلاة والسلام (خيرا ما سبقونا اليه) وهم سقاط اذعانهم فقراء موال ورعاع وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار أو اليهود حين أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه (واذ لم يهتدوا به) ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله (فسيقولون هذا افك قديم) مسبب عنه وهو كقولهم أساطير الاولين (ومن قبله) ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله (كتاب موسى) ناصب لقوله (اماما ورحمة) على الحال (وهذا كتاب مصدق) لكتاب موسى أو لما بين يديه وقد قرئ به (لسانا عربيا) حال من ضمير كتاب في مصدق أو منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على أن كونه مصدقا للتوراة كاف دل على أنه حق دل على أنه وحي وتوقيف من الله سبحانه وتعالى وقيل مفعول مصدق أي يصدق ذا لسان عربي باعجازه (لينذر الذين ظلموا) علة مصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء (وبشرى للمحسنين) عطف على محله (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد (فلا خوف عليهم) من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن في أصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أي جوزوا جزاء (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا أي ايصاء حسنا (حملته أمه كرها ووضعته كرها) ذات كره أو حالا ذا كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان وأبو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر (وحمله وفصاله) ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله أو وقته والمراد به الرضاع التام المنتهي به ولذلك عبر به كما يعبر بالمدعن المدة قال

كل حي مستكمل عدة العمـ ـر وموداذا انتهى أمده

(ثلاثون شهرا) كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لانه اذا حط منه للفصال - ولان لقوله حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص أقل الحمل وأكثر الرضاع لاضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما (حتى اذا بلغ أشده) اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله (وبلغ أربعين سنة) قيل لم يبعث نبي الا بعد الاربعين (قال رب أوزعني) ألهمني وأصله أولعني من أوزعته بكذا

(قوله الا انها تعطفه بما عطف عليه الخ) أي الا أن هذه الواو تعطف جملة شهد شاهد من بني اسرائيل مع ما بعدها وهو قوله تعالى فآمن واستكبرتم على ما قبلها وهو كفرتم به لان المقصود انه لو شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم كنتم قوما ظالمين كافرين (قوله دل على انه وحي) انما دل عليه لان المراد من اللسان العربي اللسان العربي المعجز اذ لولم يعتبر هذا القيد لكان ذكر لسانا عربيا لا يكون له كثير فائدة (قوله ويدل عليه الخ) هذا بناء على أن فصل الولد لا يستعمل الا في الفطام لكن الفصال قد يستعمل في غيره (قوله أو وقته) أي المراد من الفصال اما لفطام نفسه أو وقته فان كان الاول كان المعنى ومدة حمله وفصله حتى يكون الفصال معطوفا على حمله وان كان الثاني يكون الفصال معطوفا على مدة الحمل اذ المعنى ومدة حمله ووقت فصله ثلاثون شهرا (قوله لانضباطهما) يفهم منه ان لا انضباط لاكثر الحمل وأقل مدة الرضاع (قوله وتحقق ارتباط حكم النسب الخ) لان النسب لا يتحقق بدون اقل مدة الحمل وحكم الرضاع لا يثبت باكثر من حولين

(أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) يعني نعمة الدين أو ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ماروى أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لانه لم يكن أحد أسلم هو وأبواه من المهاجرين والانصار سواه (وأن أعمل صالحا ترضاه) نكره للتعظيم أولانه أراد به عاما من الجنس يستجلب رضا الله عز وجل (وأصلح لي في ذريتي) واجعل لي الصلاح سار يا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه قوله

وان تعتذر بالمحل من ذي ضروعها * الى الضيف يجرح في عراقيبها نصلي

(اني تبت اليك) عما لا ترضاه أو بشغل عنك (واني من المسلمين) المخلصين لك (أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا) يعني طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه (و يتجاوز عن سيئاتهم) لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما (في أصحاب الجنة) كائنين في عدادهم أو مثابين أو معدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل و يتجاوز وعد (الذي كانوا يوعدون) أي في الدنيا (والذي قال لوالديه أف لكما) مبتدأ خبره أولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي أف قرأ ثمانية عشر بكسر الفاء وتنوينها (أتعداني أن أخرج) أبعث وقرأ هشام أتعدانني بنونين واحدة مشددة (وقد خلت القرون من قبلي) فلم يرجع أحد منهم (وهما يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك أو يسألانه أن يغيثه بالتوفيق للايمان (ويلك آمن) أي يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه (ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الاولين) أباطيلهم التي كتبوها (أولئك الذين حق عليهم القول) بأنهم أهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل على أنه من أهلها لذلك وقد يجب عنه ان كان لا سلامه (في أمم قد خلت من قبلهم) كقوله في أصحاب الجنة (من الجن والانس) بيان للامم (انهم كانوا خاسرين) تعليل للحكم على الاستئناف (ولكل) من الفريقين (درجات مما عملوا) مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر أو من أجل ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبة وههنا جاءت على التغليب (وليوفيهم أعمالهم) جزاءها وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب وزيادة عقاب (و يوم يعرض الذين كفروا على النار) يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض (أذهبتم) أي يقال لهم أذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر و يعقوب بالاستفهام غير أن ابن كثير يقرأه بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها و بهمزتين محققتين (طيباتكم) لذاتكم (في حياتكم الدنيا) باستيفائها (واستمتعتم بها) فما بقي لكم منها شئ (فاليوم تجزون عذاب الهون) الهوان وقد قرئ به (بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق و بما كنتم تفسقون) بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر (واذكر أخا عاد) يعني هودا (اذ أنذر قومه بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن (وقد خلت النذر) الرسل (من بين يديه ومن خلفه) قبل هود و بعده والجملة حال أو اعتراض (ألا تعبدوا الا الله) أي لا تعبدوا أو بان لا تعبدوا فان النهي عن الشئ انذار من مضرته (اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) هائل بسبب شرككم (قالوا أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من العذاب على الشرك (ان كنت من الصادقين) في وعدك (قال انما العلم عند الله) لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر له (وأبلغكم ما أرسلت به) اليكم وما على

(قوله يجرح في عراقيبها) أي يحدث الجرح في عراقيبها (قوله وان صح الخ) وان قدر صحة نزولها (قوله لانه يدل على انه من أهلها) لما قاله من انكار البعث (قوله وقد يجب عنه) أي قطع اثم انكار البعث عنه أي عن عبد الرحمن ان كان أي ان تحقق انه أنكر البعث لاسلامه (قوله جزاء ما عملوا) فيكون ههنا مضاف مقدر اذ المعنى درجات من جزاء ما عملوا (قوله وههنا جاءت على التغليب) لان الدرجات تعم المؤمنين والكافرين (قوله فقلب مبالغة) لان في القلب افادة أن النار أمر ثابت يعرض غيرها عليها ففيه مبالغة في ثبوت النار واحراقها لانه اذا عرض شئ على النار كان احراقها أشد من أن تعرض النار عليه والاولى أن يقال ان عرض الشخص على النار أشد في اهانته من عرض النار عليه اذ عرضه على النار يفيد انه كالحطب المخلوق للاحتراق

الرسول الا البلاغ (ولكني أراكم قوما تجهلون) لاتعلمون أن الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين (فلما رأوه عارضا) سحابا عرض في أفق السماء (مستقبل أوديتهم) متوجه أوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا في قوله (قالوا هذا عارض ممطرنا) أي يأتينا بالمطر (بل هو) أي قال هود عليه الصلاة والسلام بل هو (ما استعجلتم به) من العذاب وقرئ قل بل (ريح) هي ريح ويجوز أن يكون بدل ما (فيها عذاب أليم) صفتها وكذا قوله (تدمر) تهلك (كل شئ) من نفوسهم وأموالهم (بأمر ربها) اذ لا توجد بنا بغير حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا أو الهاء في ربها ويحتمل أن يكون استئنافا مدلالة على أن لكل ممكن فناء مقضيا لا يتقدم ولا يتأخر وتكرير الهاء لكل شئ فانه بمعنى الاشياء (فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم) أي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ عاصم وحمزة والكسائي لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن (كذلك نجزي القوم المجرمين) روى أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فأمالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام ثم كشفت عنهم واحتملتهم فقذفتهم في البحر (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ان نافية وهي أحسن من ما لانها توجب التكرير لفظا وللذلك قلبت ألفها هاء في مهما أو شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي أو في شئ ان مكناكم فيه كان بغيكم أكثر أو صلة كما في قوله

يرجي المرء ما ان لا يراه * ويعرض دون أدناه الخطوب

والاول أظهر وأوفق لقوله هم أحسن أثاثا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها تعالى ويواظبوا على شكرها (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) من الاغناء وهو القليل (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) صلة لما أغنى وهو ظرف جوي مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما أضيف اليه وكذلك حيث (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) من العذاب (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وقرى قوم لوط (وصرفنا الآيات) بتكرير ها (لعلهم يرجعون) عن كفرهم (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله تعالى حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأول مفعولي اتخذوا الراجع الى الموصول محذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل أو عطف بيان أو آلهة وقربانا حال أو مفعول له على أنه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بإبضم الراء (بل ضلوا عنهم) غابوا عن نصرهم وامتنع أن يستمدوا بهم لامتناع الاستمداد باضال (وذلك افكهم) وذلك اتخاذ الذي هذا أثره صرفهم عن الحق وقرئ أفكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم أي جعلهم آفكين وآفكهم أي قولهم الآفك أي ذا الافك (وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) أملناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه أنفار (يستمعون القرآن) حال محمولة على المعنى (فلما حضروه) أي القرآن أو الرسول (قالوا أنصتوا) قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه (فلما قضى) أتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام (ولوا الى قومهم منذرين) أي منذرين اياهم بما سمعوا روى أنهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده (قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا أو سمعوا بأمر عيسى عليه الصلاة والسلام (مصدقا لما بين يديه يهدي

(قوله والاضافة فيه لفظية الخ) أي الاضافة في مستقبل أوديتهم لفظية حتى يكون صالحا لان يكون صفة لعارضا وانما كانت لفظية لان المستقبل بمعنى الحال والممطر بمعنى المستقبل أو بمعنى الحال توسعا (قوله و يجوز أن يكون بدلا ما) أي يجوز ان يكون ريح بدلا من ما فيما استعجلتم (قوله أو صلة) أي زائدة (قوله وهو أوفق لقوله تعالى الخ) لان قولهم هم أحسن أثاثا وكذا قوله تعالى كانوا أكثر منهم الخ يدلان على انه كان لقوم ما ليس للمخاطبين وان اذا كانت نافية كان هذا صريح معناها (قوله أو آلهة) أي والمفعول الثاني آلهة (قوله وقرئ أفكهم بالتشديد الخ) أي بتشديد الفاء وآفكهم بصيغة افعل من باب الافعال وآفكهم بصيغة اسم الفاعل

(قوله فان المظالم لا تغفر بالايمان) قد حقق العلامة الطيبي ان المظالم تغفر أيضا به وأورد على ذلك دلائل منها انه نقل من سنن ابن ماجه أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عشية عرفة لامته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء فأجيب له اني قد غفرت لهم ما خلا المظالم فاني آخذ للظلوم منه قال أي رب ان شئت اعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب عشيته فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب الى ما قبل فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تبسم فقال له أبو بكر رضي الله عنه فما الذي أضحك أضحك الله سنك فقال ان عدو الله ابليس لما علم بأن الله استجاب دعائي وغفر لامتي أخذ التراب وجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فأضحكني ما رأيت من جزعه (قوله وموسى قال له قومه الخ) هذا الكلام منهم دال على تعييرهم لموسى وانه أوقعهم في يد فرعون حتى يهلكهم (قوله ويؤيده انه قرئ بلغ) مشدد امن باب التفعيل ولا يخفى تأييد لما ذكر

﴿سورة محمد عليه الصلاة والسلام﴾

الى الحق) من العقائد (والى طريق مستقيم) من الشرائع (يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله فان المظالم لا تغفر بالايمان (ويجركم من عذاب أليم) هو معد للكفار واحتج أبو حنيفة رضي الله عنه باقتضارهم على المغفرة والاجارة على أن لا نواب لهم والاظهر أنهم في توابع التكليف كبني آدم (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض) اذ لا ينجي منه معجز (وليس له من دونه أولياء) يمنعونه منه (أولئك في ضلال مبين) حيث أعرضوا عن اجابة من هذا شأنه (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن) ولم يتعب ولم يعجز والمعنى أن قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد أبد الآباد (بقادر على أن يحيي الموتى) أي قادر بدليل عليه قراءة يعقوب بقدر والباء مزيدة لتأكيد النفي فانه مشتمل على أن ومافي حيزها ولذلك أجاب عنه بقوله (بلى انه على كل شئ قدير) تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كأنه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ أراد ختمها باثبات المعاد (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) منصوب بقول مضمر مقوله (أليس هذا بالحق) والاشارة الى العذاب (قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفركم في الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم وانتو بيخ لهم (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) أولوا الثبات والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض وأولوا العزم أصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى صلى الله وسلم عليهم وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه المدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة (ولا تستعجل لهم) لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم في وقته لا محالة (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) استقصر وا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى بحسبونها ساعة (بلاغ) هذا الذي وعظتم به أو هذه السورة بلاغ أي كفاية أو تبليغ من الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيده أنه قرئ بلغ وقيل بلاغ مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض أي لهم وقت يبلغون اليه كأنهم اذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب أي بلغوا بلاغا (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) الخارجون عن الاتعاظ أو الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

﴿سورة محمد صلى الله عليه وسلم﴾

﴿وتسمى سورة القتال وهي مدنية وقيل مكية وآيها سبع أو ثمان وثلاثون أو أربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) امتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه أو منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر أو شياطين قريش أو المصرين من أهل الكتاب أو عام في جميع من كفر وصد (أضل أعمالهم) جعل مكارمهم كقرى الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة أي ضائعة محبطة بالكفر أو مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن أو ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله أو أبطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعم المهاجرين والانصار والذين آمنوا من أهل الكتاب وغيرهم (وآمنوا

بما نزل على محمد) تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وأنه الاصل فيه ولذلك أكده بقوله (وهو الحق من ربهم) اعتراضا على طريقة الحصر وقيل حقيقته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وأنزل على البناء للمفعول وبالتخفيف (كفر عنهم سيآتهم) ستره بالايمان وعملهم الصالح (وأصلح بالهم) حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد (ذلك) اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره (بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهذا تصريح بما أشعر به ما قبلها ولذلك سمي تفسيرا (كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله للناس) يبين لهم (أمثالهم) أحوال الفريقين وأحوال الناس أو يضرب أمثالهم بأن جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم (فاذا لقيتم الذين كفروا) في المحاربة (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد الاختصار والتعبير به عن القتل اشعارا بأنه ينبغي أن يكون بضرب الرقاب حيث أمكن وتصويره بأشنع صورة (حتى اذا أثخنتموهم) أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الثخين وهو الغليظ (فشدوا الوثاق) فأسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به (فاما منا بعد واما فداء) أي فامنوا منا أو تفدون منا أو تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين أخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر المكلف اذا أسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند الحنفية أو مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل أو الاسترقاق وقرئ فدا كعصا (حتى تضع الحرب أوزارها) آلاتها وأثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع أي تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم أو مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى يضع أهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب أو الشد أو للمن والفداء أو للمجموع بمعنى أن هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام (ذلك) أي الامر ذلك أو افعلوا بهم ذلك (ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم بالاستئصال (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) ولكن أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر (والذين قاتلوا في سبيل الله) أي جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا أي استشهدوا (فلن يضل أعمالهم) فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل و يضل على البناء للمفعول (سيهديهم) الى الثواب أو سيثبت هداياتهم (ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به أو بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي اليه كأنه كان ساكنه منذ خلق أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة أو حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة (يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) ان تنصروا دينه ورسوله (ينصركم) على عدوكم (و يثبت أقدامكم) في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار (والذين كفروا فتعسا لهم) فهو رفع لهم وانحطاط وانقيضه لعا قال الاعشى * فالتعس أولى بهامن أن أقول لعا * وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا أو مفسرة لناصبه (وأضل أعمالهم) عطف عليه (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله) القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والاضلال (فاحبط أعمالهم) كرره اشعارا بأنه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال (أفلم يسيروا في الارض

(قوله على طريقة الحصر) لانه اذا كان الخبر لا لام يكون مفيدا للحصر والمراد من الحصر اما الاضافي أي بالنسبة الى سائر الكتب والمبالغة في الحقيقة (قوله على البناء ين) أي البناء للفاعل والبناء للمفعول (قوله وهو تصريح بما أشعر به ما قبلها) لان قوله تعالى الذين كفروا الخ يشعر بأن الكفر والصد للذين هما اتباع الباطل سبب للاختلال مع ان قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ يشعر بأن الايمان والعمل الصالح اللذين هما اتباع الحق سبب التكثير والاصلاح (قوله ضما الى التأكيد الاختصار) والتأكيد مستفاد من أصل التركيب والاختصار حاصل من الحذف (قوله ونقيضه لعا) اللعا بالالف المقصورة الثبات (قوله أو مفسر لناصبه) أي يكون هذا الفعل المقدر مفسر الناصب الذين فيكون الذين كفروا مفعولا لنفس المقدر

فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) استأصل عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم (وللكافرين) من وضع الظاهر موضع المضمر (أمثالها) أمثال تلك العاقبة أو العقوبة أو الهلكة لان التدمير يدل عليها أو السنة لقوله تعالى سنة الله التي قد خلت (ذلك بان الله مولى الذين آمنوا) ناصرهم على أعدائهم (وأن الكافرين لا مولى لهم) فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون) ينتفعون بمتاع الدنيا (ويأكلون كما تأكل الانعام) حريصين غافلين عن العاقبة (والنار مثوى لهم) منزل ومقام (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) على حذف المضاف واجراء أحكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب (أهلكناهم) بأنواع العذاب (فلا ناصر لهم) يدفع عنهم العذاب وهو كالحال المحكية (أفمن كان على بينة من ربه) حجة من عنده وهو القرآن أو ما يعمه والحجج العقلية كالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (كمن زين له سوء عمله) كالشرك والمعاصي (واتبعوا أهواءهم) في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد أو أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعرى عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجرى مثله تصوير المكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوى بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره أفمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار أو بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من على بينة في الآخرة تقرير الانكار المساواة (فيها أنهار من ماء غير آسن) استئناف لشرح المثل أو حال من العائد المحذوف أو خبر لمثل وآسن من أسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه أو بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير أسن (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) لم يصر قارصا ولا حازرا (وأنهار من خمر لذة للشاربين) لذيذة لا يكون فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار تأنيث لذ أو مصدر نعت به باضمار ذات أو تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة (وأنهار من عسل مصفى) لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في الجنة بأنواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها (ولهم فيها من كل الثمرات) صنف على هذا القياس (ومغفرة من ربهم) عطف على الصنف المحذوف أو مبتدأ خبره محذوف أي لهم مغفرة (كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما) مكان تلك الاشربة (فقطع أمعاءهم) من فرط الحرارة (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك) يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمعون كلامه فاذا خرجوا (قالوا للذين أوتوا العلم) أي لعلماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم (ماذا قال آنفا) ما الذي قال الساعة استهزاء أو استعلاما اذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم أنف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا أو حال من الضمير في قال وقرأ ابن كثير أنفا (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم

(قوله وهو لا يخالف الخ) دفع لسؤال هو أن هذه الآية تدل على أن الكافرين يردون الى مولى هو الله تعالى فكان الله مولاهم فكيف يقال ان الكافرين لا مولى لهم فأجاب بأن المراد بالمولى في قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم الناصر والمولى الواقع في قوله تعالى مولاهم الحق المالك فنفى أحدهما لا يوجب نفي الآخر (قوله وهو كالحال المحكية) لان المفهوم من قوله فلا ناصر لهم انه لا ناصر لهم في الحال فيكون حكاية الحال الماضية وانما قال كالحال لانه ليس بصيغة الحال (قوله استغناء يجرى فيه مثله) أي حذف ما حذف للاستغناء عنه بذكر مثله أي ذكر في أحد المثلين ما حذف في الآخر فان الاهل محذوف في الاول ومذكور قبله في الآخر وهو من هو خالد وقس عليه التقدير الآخر (قوله وهو على الاول خبر محذوف الخ) أعني قوله تعالى كمن هو خالد في النار على التقدير الاول وهو ان يكون مثل الجنة مبتدأ خبره محذوف أو يكون كمن هو خالد في النار بدلا من قوله تعالى كمن زين له سوء عمله وما بينهما وهو من قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون الى قوله مغفرة من ربهم جمل اعتراضية (قوله والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها) هذا مستفاد من كون الاشربة انهارا (قوله صنف على هذا القياس) أي على قياس الاشربة لان لهم فيها صنفا من الاشربة (قوله على معنى الحدوث) فان اسم الفاعل موضوع للحدوث وأما اسن بأن يكون صفة مشبهة كما هو قراءة ابن كثير فهو للثبوت (قوله كالعلة له) أي كالعلة لانتظار الساعة لان ظهور اشراط الشيء

واتبعوا

واتبعوا أهواءهم) فلذلك استهزؤا وتواتروا بكلامه (والذين اهتدوا زادهم هدى) أى زادهم الله بالتوفيق والالهام أو قول الرسول عليه الصلاة والسلام (وآتاهم تقواهم) بين لهم ما يتقون أو أعانهم على تقواهم أو أعطاهم جزاءها (فهل ينظرون الا الساعة) فهل ينتظرون غيرها (أن تأتيهم بغتة) بدل اشتمال من الساعة وقوله (فقد جاء أشراطها) كالعلة لها وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه (فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر أماراتها كمبعث النبى عليه الصلاة والسلام وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم أى تذكرهم اذا جاءتهم الساعة بغتة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع (فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك) أى اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح أحوالها وأفعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك (وللمؤمنين والمؤمنات) ولذنوبهم فان دعاءك لهم والتحريض على ما يستدعى غفرانهم وفى اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب له ماله تبعة تاركه الاولى (والله يعلم متقلبكم) فى الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها (ومثواكم) فى العقبى فانها دار اقامتكم فاتوا الله واستغفروه وأعدوا لمعاده كم (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) أى هلا نزلت سورة فى أمر الجهاد (فاذا أنزلت سورة محكمة) مبينة لا تشابه فيها (وذكر فيها القتال) أى الامر به (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) ضعف فى الدين وقيل نفاق (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) جبنا ومخافة (فأولى لهم) فويل لهم أفعل من الولى وهو القرب أو فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو يؤل اليه أمرهم (طاعة وقول معروف) استئناف أى أمرهم طاعة أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية قولهم لقراءة أبى يقولون طاعة (فاذا عزم الامر) أى جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل (فلو صدقوا الله) أى فيما عزموا من الحرص على الجهاد أو الايمان (لكان) الصدق (خيرا لهم فهل عسيتم) فهل يتوقع منكم (ان توليتم) أمور الناس وتأمرتم عليهم أو أعرضتم وتوليتم عن الاسلام (أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم) تتحاربوا على الولاية وتتجادلوا أو ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى أنهم طمعوا فى الدين وحرصهم على الدنيا أحقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجازفان بنى تميم لا يلحقون الضمير به وخبره أن تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم أى ان تولكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم فى الافساد وقطعية الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع (أولئك) اشارة الى الملذكورين (الذين لعنهم الله) لافسادهم وقطعهم الارحام (فأصمهم) عن استماع الحق (وأعمى أبصارهم) فلا يهتدون سبيله (أفلا يتدبرون القرآن) يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصى (أم على قلوب أقفالها) لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها أمر وقيل أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم أو للاشعار بانها لابهام أمرها فى القساوة أو لفرط جهالتها ونكرها كأنها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على أقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ أقفالها على المصدر (ان الذين ارتدوا على أدبارهم) أى الى ما كانوا عليه من الكفر (من بعد ما تبين لهم الهدى) بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة (الشيطان سول لهم) سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمنى وفيه ان السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده

موجب لانتظاره (قوله فكيف لهم ذكراهم) أى كيف لهم التعاظم أى لا ينفعهم الاتعاظ (قوله اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم) وجه الاشعار انه أمر بحسب الظاهر أن يستغفر لذوات المؤمنين فكأنهم عين الذنوب واعادة حرف الجر دالة على شدة الاهتمام بالاستغفار لذنوبهم ويدل على أن ذنوبهم جنس آخر غير جنس ذنب النبى صلى الله عليه وسلم فان الذنب الى ذنبه عليه السلام عبارة عما له تبعة ما بترك الاولى أى ذنبه عبارة عن ترك الاولى لا ما يستحق العقاب به (قوله فعل الخ) أى فأولى لهم بمعنى ويل لهم فان كان أفعل من الولى فالمعنى الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه ويقربهم وان كان فعل من آل فالمعنى الدعاء عليهم بأن يؤل الى المكروه أمرهم (قوله فان توليتم اعراض) لانه جملة شرطية جزاؤها محذوف والتقدير ان توليتم نفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم تأكيدا لفسادهم فى الارض عند القدرة (قوله لان المراد قلوب بعضهم) فيكون قلوب بعض آخر ليس عليها اقفال لكن لا يتدبرون

بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف أى كيد الشيطان سول لهم (وأملى لهم) ومد لهم فى الآمال والاماني أو أمهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب وأملى لهم أى وأنا أملى لهم فتكون الواو للحال أو الاستئناف وقرأ أبو عمرو وأملى لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان أو لهم (ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) أى قال اليهود الذين كفروا بالنبى عليه الصلاة والسلام بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين أو المنافقون لهم أو أحد الفريقين للمشركين (سنطيعكم فى بعض الامر) فى بعض أموركم أو فى بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة فى الخروج معهم ان أخرجوا والتظافر على الرسول صلى الله عليه وسلم (والله يعلم أسرارهم) ومنها قولهم هذا الذى أفشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص اسرارهم على المصدر (فكيف اذا توفتهم الملائكة) فكيف يصنعون أو يحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضى والمضارع المحذوف احدى تاءيه (يضربون وجوههم وأدبارهم) تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له (ذلك) اشارة الى التوفى الموصوف (بانهم اتبعوا ما أسخط الله) من الكفر وكتمان نعت الرسول عليه الصلاة والسلام وعصيان الامر (وكرهوا رضوانه) ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيرهما من الطاعات (فأحبط أعمالهم) لذلك (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله) أن لن يبرز الله لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (أضغانهم) احقادهم (ولو نشاء لأريناكهم) لعرفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم (فلعرفتهم بسيماهم) بعلاماتهم التى نسمهم بها واللام لام الجواب كررت فى المعطوف (ولتعرفنهم فى لحن القول) جواب قسم محذوف ولحن القول أسلوبه أو اماته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب (والله يعلم أعمالكم) فيجازيكم على حسب قصودكم اذ الاعمال بالنيات (ولنبلونكم) بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على مشاقه (ونبلو أخباركم) ما تخبرون به عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها أو أخباركم عن ايمانهم ومواالاتهم المؤمنين فى صدقها وكنبها وقرأ أبو بكر الافعال الثلاثة بالياء لتوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى) هم قريظة والنضير أو المطعمون يوم بدر (ان يضروا الله شيأ) بكفرهم وصدهم أو ان يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته (وسيحبط أعمالهم) ثواب حسنات أعمالهم بذلك أو مكايدهم التى نصبوها فى مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا تنفعهم الا القتل والجلاء عن أوطانهم (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بما يبطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) عام فى كل من مات على كفره وان صح نزوله فى أصحاب القليب ويدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه (فلا تهنوا) فلا تضعفوا (وتدعوا الى السلم) ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وقرأ أبو بكر وحمزة بكسر السين (وأنتم الاعلون) الاعلبون (والله معكم) بالنصر كم (ولن يتركم أعمالكم) ولن يضيع أعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا به من قريب أو جيم فأفردته منه من الوتر شبه به تعطيل ثواب الاعمال وافراده منه (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) لانبات لها (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) ثواب ايمانكم وتقواكم (ولا يسألكم أموالكم) جميع أموالكم

(قوله أو لهم) أى أملى مسند الى لهم (قوله تعظيمه الخ) لتعظيم الرسول بان يفيدان مشاقته مشاقة الله وهو يفيد شناعة مشاقته (قوله وليس فيه دليل الخ) رد على الزمخشرى فانه فسره باحباط الطاعات بالكبائر لكن الآية لا تدل على ذلك بل المراد منه احباط الطاعات السابقة بالكفر والنفاق أو بالأمور المقارنة لها من الأمور النافية للثواب كالعجب والرياء وغيرهما وليس فيه ما يدل على ان الطاعات السابقة تبطل بالكبائر التى حصلت بعدها

بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر والعشر (ان يسألكموها فيحفكم) فيجهدكم بطلب الكل ولاحفاه والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال أحفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا) فلاتعطوا (ويخرج أضغانكم) وبغضكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم والتحمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون أو البخل لانه سبب الاضغان وقرئ وتخرج بالتاء والياء ورفع أضغانكم (هاأنتم هؤلاء) أي أنتم ياخيط بون هؤلاء الموصوفون وقوله (تدعون لتنفقوا في سبيل الله) استئناف مقرر لذلك أوصلة لهؤلاء على أنه بمعنى الذين وهو بم تنفقة الغزو والزكاة وغيرهما (فمنكم من يبخل) ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) فان نفع الانفاق وضرر البخل عائدان اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق (والله الغني وأنتم الفقراء) فما يأمركم به فهو لاحتياجكم اليه فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم (وان تتولوا) عطف على ان تؤمنوا (يستبدل قوما غيركم) يقم مقامكم قوما آخرين (ثم لا يكونوا أمثالكم) في التولي والزهد في الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه الصلاة والسلام عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه والانصار والعجم والملائكة * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

﴿سورة الفتح مدنية نزلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآياتها تسع وعشرون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا فتحنا لك فتحا مبينا) وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضي لتحققه أو بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك أو اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب ففزاهم وفتح مواضع وأدخل في الاسلام خلقا عظيما وظهر له في الحديبية آية عظيمة وهي أنه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جيش من كان معه أو فتح الروم فانهم غلبوا الفرس في تلك السنة وقد عرفت كونه فتحا للرسول عليه الصلاة والسلام في سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء أي قضينا لك أن تدخل مكة من قابل (ليغفر لك الله) علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة فهو كالصبر ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الدفعة عن أيدي الظلمة (ماتقدم من ذنبك وما تأخر) جميع مافرط منك مما يصح أن تعاتب عليه (ويتم نعمته عليك) باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة (ويهديك صراطا مستقيما) في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرئاسة (وينصرك الله نصرا عزيزا) نصرا فيه عزومنعة أو يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة (هو الذي أنزل السكينة) الثبات والطمأنينة (في قلوب المؤمنين) حتى ثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها أو أنزل فيها السكون الى ماء جابه الرسول صلى الله عليه وسلم ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الآخر (ولله جنود السموات والارض) يدبر أمرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم أخرى كما تقتضيه حكمته (وكان الله عليما) بالمصالح (حكيما) فيما يقدر ويدبر (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) علة بما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير أي دبر ما دبر من تسليط

(قوله هؤلاء الموصوفون) أي الموصوفون بانه لو يحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم (قوله استئناف مقرر لذلك) أي مقرر انهم ان يحفهم الله يبخلوا (قوله وهو كالدليل على الآية المتقدمة) لانه يفهم منه انه لابد من جماعة تبخل فهو دليل على أنهم يبخلون ان يحفهم الله (قوله لتضمنه معنى الامساك) يعدى بعن وباعتبار التعدي يتعدى بعلى

﴿سورة الفتح﴾

(قوله ايصير ذلك بالتدريج اختيارا) أي ايصير ماذكر من ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس اختيارا بعد ما كان بالقهر فانه اذا أزيح الشرك عن شخص قهرا صارت تلك الازاحة بالتدريج اختيارا أي يبعد ذلك الشخص الشرك عن نفسه باختياره (قوله وقد عرفت كونه فتحا الخ) لانه مر ان غلبة الروم وهي أهل الكتاب على فارس التي هي المجوس مطلوب النبي صلى الله عليه وسلم (قوله ويهديك صراطا مستقيما) المراد منه ما زاد على الاهتداء أو الثبات عليها

(قوله وعند حال من الفوز) والمعنى اللعن (قوله لاستقلال الكل فى الوعيد) أى كل من الغضب واللعن والاعداد فى الوعيد (قوله أولهم على ان خطابه الخ) فكانه قيل انا أرسلنا محمدا اليكم أيها المؤمنون لتؤمنوا بالله (قوله حال أو استئناف مؤكد على سبيل التخييل) أما تأكيده فلان مفهومه يستفاد مما سبق وهو قوله تعالى انما يبايعون الله وأما كونه على سبيل التخييل فلان كون يد الله فوق ايديهم ليس أمرا حقيقيا كما يخفى بل أمر تخييلى (قوله بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم الخ) بل الاول اضراب عن مقدر منهم من الكلام السابق كانه قيل لا يخفى على الله شئ من أعمالكم دنيا كم بل كان الله بما تعملون خبيرا و بل الثانية اضراب عن مقدر آخر فكانه قيل وليس تخلفكم لما ذكر بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول الخ أى بل ظننتم المذكور مما يوجب تخليفكم فان قيل علام عطف وليس تخلفكم الخ فقلنا عطف على قوله تعالى فمن يملك لكم فهو فى تقدير قل ليس تخلفكم لما ذكر (قوله وهو تعريض بالرد) أى تعريض بالرد فى اعتذارهم اذ يفهم منه انهم تخلفوا عن الضرر وطلبوا النفع لتخيل ان التخلف سبب لدفع الضرر وطلب النفع مع ان تخلفهم وعدمه سواء بالنسبة الى قضاء الله تعالى اذ لو أراد الله ضرهم أو نفعهم لم يحق بهم ألبتة ولا ينفعه التخلف بكفره

المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلهم الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما ظهر من ذلك أو فتحنا وأنزل أوجميع ما ذكر أو ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال (ويكفر عنهم سيئاتهم) يغطيها ولا يظهرها (وكان ذلك) أى الادخال والتكفير (عند الله فوزا عظيما) لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع أو دفع ضر وعند حال من الفوز (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل منه (الظانين بالله ظن السوء) ظن الامر السوء وهو أن لا ينصر رسوله والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير أن المفتوح غلب فى أن يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكادهما فى الاصل مصدر (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم) عطف لما استحقوه فى الآخرة على ما استوجبوه فى الدنيا والواو فى الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سببه لاستقلال الكل فى الوعيد بلا اعتبار السببية (وساءت مصيرا) جهنم (ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا أرسلناك شاهدا) على أمتك (ومبشرا ونذيرا) على الطاعة والمعصية (لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب للنبى والأمة أولهم على أن خطابه منزل منزلة خطابهم (وتعزروه) وتقووه بتقوية دينه ورسوله (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) وتنزهوه وتصلوا له (بكرة وأصيلا) غدوة وعشيا أو دائما وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بكسر العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاى وكسرها وتعززوه بالزاءين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) لانه المقصود ببيعته (يد الله فوق أيديهم) حال أو استئناف مؤكد له على سبيل التخييل (فمن نكث) نقض العهد (فانما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه الا عليه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) فى مبايعته (فسيؤتيه أجرا عظيما) هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر ورويس فسنؤتيه بالنون والآية نزلت فى بيعة الرضوان (سيقول لك المخلفون من الاعراب) هم أسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل بأموالهم وأهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة قريش ان صدهم (شغلتنا أموالنا وأهلونا) اذ لم يكن لنا من يقوم بأشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير (فاستغفر لنا) من الله على التخلف (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم) تكذيب لهم فى الاعتذار والاستغفار (قل فمن يملك لكم من الله شيأ) فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه (ان أراد بكم ضرا) ما يضركم كقتل أو هزيمة أو خلل فى المال والاهل عقوبة على التخلف وقرأ حمزة والكسائى بالضم (أو أراد بكم نفعا) ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد (بل كان الله بما تعملون خبيرا) فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) لظنكم أن المشركين يستأصلونهم وأهلون جمع أهل وقد يجمع على أهلات كأرضات على أن أصله أهلة وأما أهال فاسم جمع كليال (وزين ذلك فى قلوبكم) فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله أو الشيطان (وظننتم ظن السوء) الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء أو هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة (وكنتم قوما بورا) هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بأن من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وأنه مستوجب للسعير

بكفره وتنكيره سعيرا للتهويل أو لانها نار مخصوصة (ولله ملك السموات والارض) يدبره كيف يشاء (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) اذ لا وجوب عليه (وكان الله غفورا رحيما) فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي (سيقول المخلفون) يعني المذكورين (اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها) يعني مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالا كثيرة فخصها بهم (ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله) أن يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي أبدا والظاهر أنه في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كلام الله وهو جمع كلمة (قل لن تتبعونا) نفي في معنى النهي (كذلكم قال الله من قبل) من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر (فسيقولون بل تحسدوننا) أن نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر (بل كانوا لا يفقهون) لا يفهمون (الا قليلا) الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومنى الاضراب الاول رد منهم أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بأمور الدين (قل للمخلفين من الاعراب) كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف (ستدعون الى قوم أولي بأس شديد) بني حنيفة أو غيرهم ممن ارتد وا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المشركين فانه قال (تقاتلونهم أو يسلمون) أي يكون أحد الامرين اما المقاتلة أو الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة أو يسلموا ومن بعدهم يقاتل حتى يسلم أو يعطى الجزية وهو بدل على امامة أبي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا خص أمهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبالهم الجزية (فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة (وان تتولوا كما توليتم من قبل) عن الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) لتضاعف جرمكم (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) لما أوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار) فصل الوعد وأجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال (ومن يتول يعذبه عذابا أليما) اذ الترهيب ههنا أنفع من الترغيب وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) روي أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث جوّاس بن أمية الخزاعي الى أهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه فخبروه فارجف بقتله فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وكانوا ألفا وثلثمائة أو أربعمائة أو خمسمائة وبايعهم على أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة أو سدرة (فعلم ما في قلوبهم) من الاخلاص (فأنزل السكينة عليهم) الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع أو الصلح (وأثابهم فتحا قريبا) فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة وهجر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعني مغانم خيبر (وكان الله عزيزا حكيما) غالبا مراعيا مقتضى الحكمة (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعني مغانم خيبر (وكف أيدي الناس عنكم) أي أيدي أهل خيبر وحلفائهم من بني أسد وغطفان أو أيدي قريش بالصلح (ولتكون) هذه الكفة أو الغنيمة (آية للمؤمنين) أمارة يعرفون بها أنهم من الله بمكان أو صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه

(قوله وتنكيره سعيرا للتهويل الخ) الاول باعتبار انها نار لا يتكون تعريفها وتوصيفها وأما الثاني فباعتبار انها نوع خاص منها فيكون التنكير للتنويع (قوله والظاهر) أي الظاهر ان قوله لن تخرجوا معي أبدا وارد في غزوة تبوك كما دل عليه قراءة أو يسلموا لان معنى قراءة أو يسلموا الى أن يسلموا فيكون منتهى المقاتلة الى الاسلام لا غير وهذا مخصوص بابي بكر لان من بعده انما يقاتل حنيفة حتى يسلم أو يعطى الجزية (قوله ومن بعدهم يقاتل الخ) أي غير المرتدين أو المشركين يقاتل حتى يسلم أو يعطى الجزية (قوله فصل الوعد) لانه قال جنات تجري من تحتها الانهار وأجمل الوعيد للاقتصار (قوله على سبيل التعميم) لان المخاطب في بعضكم جماعة مخصوصة وأما من فيمن يتول عام (قوله اذ الترهيب الخ) أي انما كرر الوعيد دون الوعد لشدة الاهتمام بالوعيد

من الحديبية أو وعد المغانم أو عنوا بالفتح مكة والعطف على محذوف هو علة الكف أو عجل مثل لتسلموا أو لتأخذوا أو العلة لمحذوف مثل فعل ذلك (ويهديكم صراطا مستقيما) هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه (وأخرى) ومغانم أخرى معطوفة على هذه أو منصوبة بفعل يفسره قد أحاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب (لم تقدروا عليها) بعد لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) استولى فالظفر كم بها وهي مغانم هوازن أو فارس (وكان الله على كل شئ قديرا) لان قدرته ذاتية لا تختص بشئ دون شئ (ولو قاتلكم الذين كفروا) من أهل مكة ولم يصالحوا (لولوا الادبار) لانهزموا (ثم لا يجدون وليا) يحرسهم (ولا نصيرا) ينصرهم (سنة الله التي قد خلت من قبل) أي سن غلبة أنبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال تعالى لاغلبن أنا ورسلي (ولن تجد لسنة الله تبديلا) تغييرا (وهو الذي كف أيديهم عنكم) أي أيدي كفار مكة (وأيديكم عنهم ببطن مكة) في داخل مكة (من بعد أن أظفركم عليهم) أظهركم عليهم وذلك أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على أن مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله (وكان الله بما تعملون) من مقاتلتهم أولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا تعظيم بيته وقرأ أبو عمرو بالياء (بصيرا) فيجازيهم عليه (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله) بدل على أن ذلك كان عام الحديبية والهدى ما يهدى الى مكة وقرئ هديا وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز أن ينحر في غيره والا لما نحره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أحصر فلا ينتهض حجة للحنفية على أن منيخ هدى المحصر هو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم) لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين (أن تطؤهم) أن توقعوا بهم وتبيدوهم قال

ووطئتنا وطأ على حنق * وطء المقيد بابت الهرم

وقال عليه الصلاة والسلام ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر وقعة للنبي صلى الله عليه وسلم بها وأصله الدوس وهو بدل الاشتمال من رجال ونساء أو من ضميرهم في تعلموهم (فتصيبكم منهم) من جهتهم (معرة) مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم ففعلة من عره اذا اغراه ما يكرهه (بغير علم) متعلق بان تطؤهم أي تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم بأهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم (ليدخل الله في رحمته) علة لما دل عليه كف الايدي عن أهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين أي كان ذلك ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير أو للاسلام (من يشاء) من مؤمنيهم أو مشركيهم (لو تزيلوا) لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) بالقتل والسبي (اذ جعل الذين كفروا) مقدر باذكر أو ظرف لعذبنا أو صدوكم (في قلوبهم الحمية) الأنفة (حمية الجاهلية) التي تمنع اذعان الحق (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) فانزل عليهم الثبات والوقار وذلك ما روى أنه عليه الصلاة والسلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسألوه أن يرجع من عامه على أن يخلي له قريش مكة من القابل ثلاثة أيام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام

(قوله والعطف الخ) أي عطف ليكون على محذوف وقوله أو علة لمحذوف عطف جملة على جملة اذ هو في تقدير أو هو علة للمحذوف والحاصل أن ليكون اما عطف على محذوف أو علة محذوف (قوله من الجولة) الجولة هي الغلبة ولعل المراد من الغلبة غلبة الكفار في يوم حنين وقيل المراد من الجولة هزيمة المسلمين وقيل المراد منها الهزيمة ثم الرجوع ثم الهزيمة ثم الرجوع (قوله وهو ضعيف) أي كون المراد من الظفر ظفر المسلمين يوم فتح مكة وكذا استدلال بعضهم على ان فتح مكة كانت عنوة ضعيف لما ذكر (قوله فلا ينتهض حجة للحنفية الخ) أي لو كان المراد من المحل الذي لا يجوز ان ينحر في غيره لكان ذبح هدى الحصر حراما لكنه ليس كذلك

لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه الصلاة والسلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك و يبطشوا عليهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحملوا (وألزمهم كلمة التقوى) كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم أو الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها أو كلمة أهلها (وكانوا أحق بها) من غيرهم (وأهلها) والمستأهلين لها (وكان الله بكل شئ عليما) فيعلم أهل كل شئ و ييسره له (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) رأى عليه الصلاة والسلام أنه وأصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أن ذلك يكون فى عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه فى رؤياه (بالحق) ملتبسا به فان ما رآه كائن لا محالة فى وقته المقدر له وهو العام المقابل و يجوز أن يكون بالحق صفة مصدر محذوف أى صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وأن يكون قسما اما باسم الله تعالى أو بنقيض الباطل وقوله (لتدخلن المسجد الحرام) جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف (ان شاء الله) تعليق للعدة بالمشيئة تعليما للعباد أو اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت أو غيبة أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا أو الذى صلى الله عليه وسلم لاصحابه (آمنين) حال من الواو والشرط معترض (محلقين رؤسكم ومقصرين) أى محلقا بعضكم ومقصرا آخرون (لا تخافون) حال مؤكدة أو استئناف أى لا تخافون بعد ذلك (فعلم ما لم تعلموا) من الحكمة فى تأخير ذلك (فجعل من دون ذلك) من دون دخولكم المسجد وفتح مكة (فتحا قريبا) هو فتح خيبر ليستروح اليه قلوب المؤمنين الى أن يتيسر الموعود (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) ملتبسا به أو بسببه او لاجله (ودين الحق) و بدين الاسلام (ليظهره على الدين كله) ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فاسدها كان باطلا أو بتسليط المسلمين على أهلها اذا ما من أهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعده من الفتح (وكفى بالله شهيدا) على أن ما وعده كائن أو على نبوته باظهار المعجزات (محمد رسول الله) جملة مبينة للمشهود به و يجوز أن يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف أو مبتدأ (والذين معه) معطوف عليه وخبرهما (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى أنهم يغاظون على من خالف دينهم و يترادمون فيما بينهم كقوله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) لانهم مشتغلون بالصلاة فى أكثر أوقاتهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) الثواب والرضا (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) يريد السمة التى تحدث فى جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا أعلمه وقد قرئت ممدودة ومن أثر السجود بيانها أو حال من المستكن فى الجار (ذلك) اشارة الى الوصف المذكور أو اشارة مبهمة يفسرها كزرع (مثلهم فى التوراة) صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها (ومثلهم فى الانجيل) عطف عليه أى ذلك مثلهم فى الكتابين وقوله (كزرع) تمثيل مستأنف أو تفسير أو مبتدأ و كزرع خبره (أخرج شطأه) فراخه يقال أشطأ الزرع اذا فرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاءه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطأه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا (فآزره) فقواه من المؤازرة وهى المعاونة أو من الايزار وهى الاعانة وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان فأزره كأجره فى أجره (فاستغلظ) فصار

(قوله ملتبسا به) فيكون حالا من الرؤيا (قوله أو بتسليط المؤمنين على أهلها) فيكون التفسير ليظهره أهل دين الاسلام على أهل الدين كله (قوله أو حال من المستكن فى الجار) أى سيماهم يكون فى وجوههم حاصلا من أثر السجود (قوله الوصف المذكور) وهو من أشداء على الكفار الى ههنا (قوله تمثيل مستأنف الخ) فالاول اذا كان ذلك اشارة الى الوصف المذكور والثانى اذا كان اشارة الى مبهم يفسره كزرع

(قوله مستعار مما بين الجهتين الخ) أى المراد مما بين يدى الله ورسوله محضرهما مستعار مما بين الجهتين المذكورتين المسامتتين ليدى الانسان لانه محضرهم ان ما بين يدى الانسان عبارة عما بين الجهتين المذكورتين وسميا باليدين لعلاقة بينهما وبين اليدين (قوله تهجينا الخ) معناه ان ذكر ما بين الله ورسوله للتهجين والتقبيح لان التقدم فى الحكم بين يدى الاكابر قبيح (قوله والدلالة الخ) أى التكرير للدلالة على ان كلا من التقدم والرفع منادى له بالاستقلال ولولم يكرر النداء فلعله توهم أن مجموع الامرين منادى له (قوله باعتبار التأدية) أى باعتبار مايؤدى اليه الأمر وحاصل ماقال فى الاحتمال ان الجهر بالقول لما كان قد يؤدى الى حبوط العمل فكان الجهر كأنه لحبوطه قهرا على الجهر المعلل بحبوط العمل بالاعتبار المذكور ٧ (قوله واللام صلة محذوف أو للفعل باعتبار الاصل) الاول بالنظر الى التفسير الثانى والثانى باعتبار التفسير الاول وذلك لان المراد من جر بها للتقوى كونها عريقة فى التقوى معتادة عليها فاللام فى قوله للتقوى باعتبار الاصل أى تعلقها بامتحن باعتبار المعنى الاصلى لا بالنظر الى المعنى المجازى (قوله أو ضرب الله قلوبهم) أى جربها (قوله المتضمن لما جعل عنوانا لهم) أى وصفا لهم باعتبار ان فى اسم الاشارة اشارة الى الوصف المذكور اقصى لما تقرر من ان اسم الاشارة جعل المشار اليه كالمحسوس الحاضر ولابد فى ذلك من كونه معلوما بالوصف حتى يكون المعلوم كالمحسوس

من الدفة الى الغاظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة (يعجب الزراع) بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة قبل فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا وافترق أمرهم بحيث أعجب الناس (ليغيظ بهم الكفار) علة لتشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه أو لقوله (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبى صلى الله عليه وسلم من قر أسورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد عليه الصلاة والسلام فتح مكة

﴿سورة الحجرات مدنية وآيها ثمانى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا) أى لاتقدموا أمرا لحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن أو ترك لان المقصود نفى اتقديم رأسا أو لاتتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لاتقدموا وقرئ لاتقدموا من القدوم (بين يدى الله ورسوله) مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لاتقطعوا أمرا قبل أن يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعظيم له واشعار بأنه من الله بمكان يوجب اجلاله (واتقوا الله) فى التقديم أو مخالفة الحكم (ان الله سميع) لاقوالكم (عليم) بأفعالكم (يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) أى اذا كلمتموه فلاتجاوزوا أصواتكم عن صوته (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) ولاتبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا أصواتكم أخفض من صوته محاماة على الترجيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولاتخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبى والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة فى الانعاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به (أن تحبط أعمالكم) كراهة أن تحبط فيكون علة للنهى أولان تحبط على أن النهى عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان فى الجهر والرفع استخفافا قد يؤدى الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روى أن ثابت بن قيس كان فى أذنه وقر وكان جهور يا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يارسول الله لقد أنزلت اليك هذه الآية وانى لرجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملى قد حبط فقال عليه الصلاة والسلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة (وأنتم لاتشعرون) انها محبطة (ان الذين يغضون أصواتهم) يخفضونها (عند رسول الله) مراعاة للادب أو مخافة عن مخالفة النهى قيل كان أبو بكر وعمر بعد ذلك يسمعانه حتى يستفهمهما (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) جربها للتقوى ومرنها عليها أو عرفها كنه للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف أو للفعل باعتبار الاصل أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فاهالتظهر الابالاصطبار عليها أو أخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا أذابه وميز ابر يزه من خبثه (لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر عظيم) اغفيم وسأ رطاعاتهم واستكبر لتعظيم والجملة خبر ثان لان أو استئناف لبيان ماهو جزاء الغاضين احماد الحاهم كما أخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم

أقصى الكمال مبالغة فى الاعتداد بفضهم والارتضاء وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) من خارجها خلفها أو قدامها ومن ابتدائية نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على أن المنادى داخل الحجرة اذ لابد وأن يختلف المبتدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهى القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لخطيرة الابل حجرة وهى فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبى عليه الصلاة والسلام وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها أو بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذى ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس وفد اعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما أسندالى جميعهم لأنهم رضوا بذلك أو أمر وابه أو لانه وجد فيما بينهم (أكثرهم لايعقلون) اذ العقل يقتضى حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما ان كان هذا المنصب (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم) أى ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان أن وان دلت بما فى حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد أن الصبر ينبغى أن يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشئ فى نفسه ولذلك تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفى اليهم اشعار بانه لوخرج لالاجلهم ينبغى أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه اليهم (لكان خيرا لهم) لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤل اذ روى أنهم وفدوا شافعين فى أسارى بنى العنبر فاطلق النصف وفادى النصف (والله غفور رحيم) حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام (يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) فتعرفوا وتصفحوا روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عقبة مصدقا الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم متمسكين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وتعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضى جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شئ بكلمة ان عدم عند عدمه وأن خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما ترتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائى فتثبتوا أى فتوقفوا الى أن يتبين لكم الحال (أن تصيبوا) كراهة اصابتكم (قوما بجهالة) جاهلين بحالهم (فتصبحوا) فتصيروا (على مافعلتم نادمين) مغتمين غما لازما متمنين أنه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دائر مع الدوام (واعلموا أن فيكم رسول الله) أن بما فى حيزه سادمسد مفعولى اعلموا باعتبار ماقيد به من الحال وهو قوله (لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم) فانه حال من أحد ضميرى فيكم ولو جعل استئنافا فالم يظهر للامر فائدة والمعنى أن فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهى أنكم تريدون أن يتبع رأيكم فى الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اى لوقعتم فى الجهد من العنت وفيه اشعار بأن بعضهم أشار اليه بالايقاع بينى المصطلق وقوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) استدراك ببيان عذرهم وهو أنه من فرط حبهم للايمان وكراهتهم للكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد أو

(قوله تعالى أكثرهم لايعقلون) قال صاحب الكشاف الاخبار عن أكثرهم بانهم لايعقلون يحتمل أن يكون فيهم من قصد بالجاشاة ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء منهم قصدا الى نفى معنى أن يكون منهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفى فى كلامهم (قوله فان حتى مختصة الخ) أى حتى مختصة بحسب الوضع بغاية الشئ فى نفسه وهو الجزء الآخر منه حقيقة بخلاف الى فانه ليس كذلك بحسب الوضع (قوله وتركيب هذه الاحرف الثلاث) أى تركيب النون والدال والميم دال على الدوام قال الزمخشرى الندم غم يصحب الانسان محبة لهاد وام ومن مقلوباته ادمن ومدن بالمكان اذ لزمه (قوله احدى ضميرى فيكم) لانه فى تقدير كائن ولا خر الضمير المجرور (قوله أشار اليه الايقاع بينى المصطلق) هذا مفهوم من تفسير الآية التى سبقت

وهم الذين أصابوا طريق التقوى وهو التبيين اذ حمل النبي صلى الله عليه وسلم على الايقاع المذكور ليس برشيد (قوله لكنه لما تضمن معنى التبغيض) وجه التضمين ان قوله تعالى ولكن الله حبب الخ استدلال بحال بعض المؤمنين الكفر كما سبق فيكون معنى كره اليكم بعضكم ولما كان التبغيض متعديا الى المفعول الثاني بالى جعل اليكم مفعولا ثانيا للكره (قوله أو مصدر لغير فعله) عطف على قوله تعليل والمراد انه مفعول مطلق من غير لفظ الفعل أى يكون مفعولا مطلقا بحسب أو الراشد باعتبار ان كلا منهما فضل (قوله وانما أطلق الفيء على الظل الخ) أى اطلاق الفيء على الظل وعلى الغنيمة باعتبار ان فى كل منهما رجوعا (قوله للمبالغة فى التقرير والتخصيص) أى المبالغة فى تقرير الصلح وتخصيص المتنازعين بهم (قوله وحيث فسر بالقبيلين) أى من حيث فسر القوم بالرجال والنساء هنا كقوم عاد اذ المراد منه ايهما فاما بطريق التغليب أى تغليب الرجال على النساء أو الاكتفاء بذكر الرجال لانهم المتبوعون والنساء توابع لهم ولا يخفى ان الاكتفاء بذكر الرجال لا يناسب تفسير القوم بالقبيلين والاولى أن يقال فى مثل قوم عاد وفرعون اما أن

بصفة من لم يفعل ذلك منهم اجهاد الفعل وتعريضا بذمهم من فعل ويؤيده قوله (أولئك هم الراشدون) أى أولئك المستثنون هم الذين أصابوا الطريق السوى وكره يتعدى بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل كره منزلة بغض فعدى الى آخر بالى أو نزل اليكم منزلة مفعول آخر والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد (فضلا من الله ونعمة) تعليل لكره أو حبب وما بينهما اعتراض للراشدون فان الفضل فعل الله والرشد وان كان سببا عن فعله مسندا الى ضميرهم أو مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله والعام (والله عليم) بأحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل (حكيم) حيث يفضل وينعم بالتوفيق عليهم (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) نقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع (فأصلحوا بينهما) بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى (فان بغت احداهما على الاخرى) تعدت عليها (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله) ترجع الى حكمه أو ما أمر به وانما أطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين (فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل) بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة (وأقسطوا) واعدلوا فى كل الامور (ان الله يحب المقسطين) يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت فى قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف والنعال وهى تدل على أن الباغى مؤمن وأنه اذا قابض عن الحرب ترك كما جاء فى الحديث لانه فى ء الى أمر الله تعالى وأنه يجب معاونة من بنى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة (انما المؤمنون اخوة) من حيث انهم منتسبون الى أصل واحد وهو الايمان الموجب للحياة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره من تبا عليه بالفاء فقال (فأصلحوا بين أخويكم) ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المأمورين للمبالغة فى التقرير والتخصيص وخص الاثنين بالذكر لانهما أقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم (واتقوا الله) فى مخالفة حكمه والاهمال فيه (لعلكم ترحمون) على تقواكم (يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) أى لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع فى الجمع أو جمع لقائم كزاروز والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كتقوم عاد وفرعون فاما على التغليب أو الاكتفاء بذكر الرجال على ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب فى المجامع وعسى باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهى ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فهى على هذا ذات خبر (ولا تلمزوا أنفسكم) أى ولا يغتب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة أو لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم (ولا تنابزوا بالالقاب) ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) أى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به امتهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روى أن الآية نزلت فى صفية بنت حيى رضى الله عنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لى يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان أبى هارون وعمى موسى وزوجى محمد عليهم السلام أو للدلالة على أن التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح (ومن لم يتب) عما نهى

عنه (فأولئك هم الظالمون) بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) كونوا منه على جانب وابهام الكثير ايحتاط فى كل ظن ويتأمل حتى يعلم أنه من أى القبيل فان من الظن مايجب اتباعه كالظن حيث لاقاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى ومايحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومايباح كالظن فى الأمور المعاشية (ان بعض الظن اثم) مستأنف للامر والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه بدل من الواو كأنه يثم الاعمال أى يكسرها (ولاتجسسوا) ولاتبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار مافيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذى هو أثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الخمس الجواس وفى الحديث لاتتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته (ولايغتب بعضكم بعضا) ولايذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وسئل عليه الصلاة والسلام عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) تمثيل لمايناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى أحد للتعميم وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول أخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله (فكرهتموه) تقرير اوتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك أوعرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم أو الاخ وشدده نافع (واتقوا الله ان الله تواب رحيم) لمن اتقى مانهى عنه وتاب مبالغة منه والمبالغة فى التواب لانه بليغ فى قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب أو لكثرة المتوب عليهم أو لكثرة ذنوبهم روى أن رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغيان لهما اداما وكان أسامة على طعامه فقال ماعندى شئ فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ماأكلنا ولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) من آدم وحواء عليهما السلام أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز أن يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى أصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب (لتعارفوا) ليعرف بعضكم بعضا لالتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل بها الاشخاص فمن أراد شرفا فليلتمسه منها كما قال عليه الصلاة والسلام من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال عليه السلام يأيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله (ان الله عليم) بكم (خبير) ببواطنكم (قالت الاعراب آمنا) نزلت فى نفر من بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدبة وأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون (قل لم تؤمنوا) اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم والالما منتم على الرسول عليه الصلاة والسلام بالاسلام وتركم المقاتلة كما دل عليه آخر السورة (ولكن قولوا أسلمنا) فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام

يكون القوم مشتملا للقبيلين بالتغليب أو المقصود من القوم الرجال وترك ذكر النساء لانهن توابع (قوله تقريرا وتحقيقا) أى جلا على الاقرار بعدم المحبة اذ لايقدر أحد أن ينكر عدم المحبة المذكورة (قوله فلاوجه للتفاخر بالنسب) لك أن تقول لايلزم من مجرد ماذكر عدم الافتخار بالنسب لم لايجوز الافتخار بالآباء الافاضل قلنا مقصوده لاوجه للافتخار بمجرد النسب وأما ماذكر فليس بمجرده بل للفضل أو الشرف مدخل (قوله لتعارفوا بالادغام) أى الاصل لتتعارفوا بالتاءين فأدغمت احداهما بالاخرى

(قوله احترازا من النهي الخ) أي لو قيل لا تقولوا آمنا الدال على النهي من أن يقول أحد آمنا فالاحتراز عن النهي عدل الى ما ذكر وكذا لم يقل ولكن أسلمتم للاحتراز من الجزم باسلامهم لفقد شرطه شرعا (قوله توقيت) أي تعيين لقولهم أي قولهم أسلمنا في حال مواطأة قلوبهم ألسنتهم (قوله وفيه اشارة الى ما يوجب نفي الايمان عنهم) أي نفي الايمان عمن كانوا على خلاف ذلك وهم الفرقة السابقة (قوله والمجاهدة بالاموال الخ) أي سواء (٩٠) كانت المجاهدة في الغزو أو غيره (قوله أتخبرونه بقولكم آمنا) فان قيل انهم لم يخبروا الله بل يخبرون الرسول قلنا لعلهم اعتقدوا ان ما علم الله من حالهم أعلم رسوله به فلما لم يعلمه الرسول كان غير عالم به فيكون اعلامهم الرسول في الحقيقة اعلام الله على زعمهم الفاسد (قوله لا يستتيب مواليها ممن نزل اليه) أي لا يطلب الثواب والعوض معطيها ممن ينقل النعمة اليه (قوله أو تضمين الفعل معنى الاعتداد) فيكون المعنى قل لا تمنوا على معتدين اسلامكم أي معتبرين اياه (قوله وفي سياق هذه الآية لطف) أي نكتة لطيفة وهي جعل ما سموه ايمانا اسلاما ونفي كونه ايمانا الخ قال (قوله من المن) وهو عبارة عن رطلين لان المن يقبل الوزن (قوله على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء) لك أن تقول هذان الكلامان متناقضان فان زعمهم دال على ان الهداية غير حاصلة حقيقة وقوله مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء دال على ان الهداية حاصلة لكنها لا تستلزم الاهتداء والجواب ان قوله على ما زعمتم بالنظر الى أحد معنيي الهداية وهي الدلالة الموصلة وأما قوله مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء بالنظر الى المعنى الآخر الهداية وهو الدلالة على ما يوصل ﴿سورة ق﴾ (قوله كما مر في ص الخ) فيكون الجواب ما ذكر في ص من أنه محذوف دل عليه ما في ق من الدلالة على التحدي أو الأمر بالمعادلة أي انه لمعجز الى آخر ما قال (قوله أو لانه كلام المجيد أولان الخ) فيكون وصف القرآن بالمجيد بالاعتبارين المذكورين مجازا عقليا

أن يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو لم تؤمنوا ولكن أسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا من النهي عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) توقيت لقولوا فانه حال من ضميره أي ولكن قولوا أسلمنا ولم تواطئ قلوبكم ألسنتكم بعد (وان تطيعوا الله ورسوله) بالاخلاص وترك النفاق (لا يلتكم من أعمالكم) لا ينقصكم من أجورها (شيأ) من لات يليت ليتا اذا نقص وقرأ البصريان لا يألتكم من الألت وهو لغة غطفان (ان الله غفور) لما فرط من المطيعين (رحيم) بالتفضل عليهم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما أوجب نفي الايمان عنهم وتم الاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس لحال الايمان فقط بل فيه وفيما يستقبل فهي كافي قوله ثم استقاموا (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية بأسرها (أولئك هم الصادقون) الذين صدقوا في ادعاء الايمان (قل أتعلمون الله بدينكم) أتخبرونه بقولكم آمنا (والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شئ عليم) لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ ردي بأنه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤا وحلفوا أنهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه الآية (يمنون عليك أن أسلموا) يعدون اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستتيب مواليها ممن نزل اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن (قل لا تمنوا علي اسلامكم) أي باسلامكم فنصب بنزع الخافض أو تضمين الفعل معنى الاعتداد (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) على ما زعمتم مع أن الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم (ان كنتم صادقين) في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله أي فلله المنة عليكم وفي سياق الآية لطف وهو أنهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى أنه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير أن يمن به عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم (ان الله يعلم غيب السموات والارض) ما غاب فيهما (والله بصير بما تعملون) في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء مما في الآية من الغيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطى من الاجر بعدد من أطاع الله وعصاه

﴿سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ق والقرآن المجيد) الكلام فيه كما مر في ص والقرآن ذي الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب أو لانه كلام المجيد أولان من علم معانيه وامتثل أحكامه مجد (بل عجبوا أن جاءهم منذر

(قوله أحد من جنسهم أو من أبناء جلدتهم) أي أحد من بني آدم أو أحد من قومهم (قوله واضمار ذكرهم ثم اظهاره الخ) قد يقال وجه الاشعار ان تكرار ذكرهم لا بد له من نكتة ولا يناسب في هذا المقام الا هذا والوجه ان يقال ان وضع الكافرين موضع الضمير اشعار بالتعنت لان هذا شأن الكافرين (قوله أو عطف لتجهيلهم من البعث على تجهيلهم من البعثة الخ) هذا عطف على قوله حكاية لتجهيلهم والمعنى لتجهيلهم من البعث الذي هو الحشر على البعثة التي

هي بعثة النبي صلى الله عليه وسلم تسامحا كثيرا (قوله أو مجملا الخ) المراد بالمبهم ما لا تعين له بوجه من الوجوه بان ليس في الكلام ما يدل على تعينه بوجه ومن المجمل ما يكون في السابق ما يدل عليه بوجه والمراد من التفسير والتفصيل هو قوله تعالى أئذا متنا وكنا ترابا واعلم انه اذا كان هذا اشارة الى الأمر المخوف مطلقا كان قوله أئذا متنا الخ تفسيرا له وان كان اشارة الى البعث كان قوله تعالى أئذا الخ تفصيلا (قوله لانه أدخل) علة لعطف تجهيلهم من البعث على تجهيلهم من البعثة قيل انما كان أدخل في الانكار لان الاجمال ثم التفسير أوقع في النفس والوجه أن يقال زيادة الانكار لزيادة التقريع والتوبيخ فكانه قيل انهم تعجبوا من فضل النبي صلى الله عليه وسلم عليهم مع كونه واحدا من جنسهم وهذا تعجب فاسد اذ لله تعالى أن يفضل واحدا من قوم على آخرين باعطاء الفضل والكمال له دون غيره فهذا أمر معلوم بالعقل بل هم تعجبوا من أمر كان ما هو محسوس لهم أشد منه اذ الاعادة أيسر وأسهل من الابداء وحاصل الكلام أن تعجبهم الاول يعلم فساده بالعقل وتعجبهم الثاني يعلم فساده بالحس فالثاني يكون أبلغ اذ الترقي من الأمر العقلي الى الحسي يفيد زيادة الانكار في الصورة المذكورة بخلاف ما لو عكس كما لا يخفى على المتأمل (قوله وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه) أي هو رد لاستبعادهم البعث بازالة ما هو الاصل في الاستبعاد ومنشؤه لانهم

منذرهم) انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم أحد من جنسهم أو من أبناء جلدتهم (فقال الكافرون هذا شيء عجيب) حكاية لتعجبهم وهذه الاشارة الى اختيارهم الله محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعنتهم بهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك أو عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم بهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده أو مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذرهم ثم تفسيره أو تفصيله لانه أدخل في الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم بشلهم والثاني استقصار لقدرة الله تعالى عما هو أهون مما يشاهدون من صنعه (أئذا متنا وكنا ترابا) أي أنرجع اذا متنا وصرنا ترابا يدل على المحذوف قوله (ذلك رجع بعيد) أي بعيد عن الوهم أو العادة أو الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) ما تأكل من أجسادهم وتاهم هو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف اطول الكلام (وعندنا كتاب حفيظ) حافظ لتفاصيل الاشياء كلها أو محفوظ عن التغيير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه أو تأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده (بل كذبوا بالحق) يعني النبوة الثابتة بالمعجزات أو القرآن (لما جاءهم) وقرئ لما بالكسر (فهم في أمر مريج) مضطرب من مرج الخاتم في أصبعه اذا خرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث (الى السماء فوقهم) الى آثار قدرة الله تعالى في خلق العالم (كيف بنيناها) رفعناها بلا عمد (وزيناها) بالكواكب (وما لها من فروج) فتوق بان خلقناها ملساء متلاصقة الطباق (والارض مددناها) بسطناها (وألقينا فيها رواسي) جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها من كل زوج) أي من كل صنف (بهيج) حسن (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) راجع الى ربه متفكر في بدائع صنعه وهما علتان لافعال المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل الأخير (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير المنافع (فأنبتنا به جنات) أشجارا وأثمارا (وحب الحصيد) وحب الزرع الذي من شأنه أن يحصد كالبر والشعير (والنخل باسقات) طوالا أو حوامل من أبسقت الشاة اذا حانت فيكون من أفعل فهو فاعل وافراده هنا بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باسقات لاجل القاف (لها طلع نضيد) منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر (رزقا للعباد) علة لانبتنا أو صفة رفان الانبات رزق (وأحيينا به) بذلك الماء (بلدة ميتا) أرضا جدبة لا نماء فيها (كذلك الخروج) كاحيائها يكون حشركم (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون) أراد بفرعون اياه وقومه ايلائم ما قبله وما بعده (واخوان لوط) اخداه لانهم كانوا أصهاره (وأصحاب الايكة وقوم

استبعدوا البعث بسبب أن من يعيد الميت يحتاج الى أن يعلم أجزاءه المنتشرة المتفرقة فى أقطار الارضين حتى يقدر على جمعها (قوله أو قوم) بالجر عطف على واحد (قوله أنه عجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة) معناه لم نعجز عن الابداء فلا نعجز عن الاعادة لكن الظاهر ان معنى قوله تعالى أفعيينا بالخلق الاول لم نعجز بسبب الخلق الاول والبعث فيه عن الخلق الثانى (قوله والاشعار بالخ) لان التنكير دال على عدم التعارف (قوله وللانسان ان جعلت ما مصدرية والباء للتعدية) فيكون المعنى ونعلم وسوسة نفس الانسان اياه (قوله تجوز بقرب الذات لقرب العلم) فيكون معنى قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وعلمنا أقرب منه من علم من كان أقرب اليه من حبل الوريد (قوله بالوتين) هو عرق من القلب اذا انقطع مات صاحبه (قوله واعلم يكتب الخ) انما اختار ذلك لان كتب ما لا ثواب له ولا عقاب عليه ليس فيه فائدة ظاهرة لكن أكثر المفسرين على انهما يكتبان كل شئ حتى أنينه فى مرضه فان قيل قد علم من قوله تعالى اذ يتلقى المتلقيان الآية انهما يحفظان أعماله فما فائدة قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلنا يعلم من الآية الثانية ان الملك معد لذلك بخلاف الاولى فانه لا يعلم منها وأيضا يعلم صريحا من الآية الثانية ان الملك يضبط كل لفظ له ولا يعلم من الاولى (قوله المعرفة بتحقيق قدرته وعلمه عز وجل) اما القدرة فمن قوله تعالى أفلم ينظروا الى السماء فوقهم الخ الآيات وأما العلم فمن قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم (قوله لا اضافته الى ما هو فى حكم المعرفة) لان هذا الحكم عام فهو فى حكم المحلى بلام الاستغراق

تبع) سبق فى الحجر ولد لخان (كل كذب الرسل) أى كل واحد أو قوم منهم أو جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه (فحق وعيد) فوجب وحل عليه وعيدى وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أفعيينا بالخلق الاول) أى أفعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيى بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار (بل هم فى لبس من خلق جديد) أى هم لا يتدبرون فيقدرتنا على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شأنه والاشعار بانه غير متعارف ولا معتاد (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والضمير للانسان جعلت موصولة والباء مثلها فى صوت بكذا أو للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) أى ونحن أعلم بحاله من كان أقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل فى القرب قال * والموت أدنى لى من الوريد * والحبل العرق واضافته للبيان والوريد ان عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمهما متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمى وريدا لان الروح ترده (اذ يتلقى المتلقيان) مقدر باذكر أو متعلق بأقرب أى هو أعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى أى يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غنى عن استحفاظ الملكين فانه أعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهى ما فيه من تشديد يثبط العبد عن المعصية وتأكيد فى اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء ولزام للحجة يوم يقوم الاشهاد (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أى مقاعد كالجليس لحذف الاول لدلالة الثانى عليه كقوله * فانى وقيار بها لغريب * وقد يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير (ما يلفظ من قول) ما يرمى به من فيه (الا لديه رقيب) ملك يرقب عمله (عتيد) معد حاضر معه يكتب عليه ما فيه ثواب أو عقاب وفى الحديث كاتب الحسنات أمين على كاتب السيآت فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر (وجاءت سكرة الموت بالحق) لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وأزاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه أعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضى وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما فى قولك جاء زيد بعمرو والمعنى وأحضرت سكرة الموت حقيقة الامر أو الموعود الحق أو الحق الذى ينبغى أن يكون من الموت أو الجزاء فان الانسان خلق له أو مثل الباء فى تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على أنها الشدة التى اقتضت الزهوق أو لاستعقابها له كأنها جاءت به أو على أن الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت (ذلك) أى الموت (ما كنت منه تحيد) تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أى وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى مصدر نفخ (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) ملكان أحدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله أو ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيآت والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله وحمل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو فى حكم

المعرفة (لقد كنت فى غفلة من هذا) على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما من أحد الا وله اشتغال ما عن الآخرة أو للكافر (فكشفنا عنك غطاءك) الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة و لانهماك فى المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها (فبصرك اليوم حديد) نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام والمعنى كنت فى غفلة من أمر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحى وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس (وقال قرينه) قال الملك الموكل عليه (هذا ما لدىّ عتيد) هذا ما هو مكتوب عندى حاضر لدى أو الشيطان الذى قيض له هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم هيأته لها باغوائى واضلالى وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها أو خبر بعد خبر أو خبر محذوف (ألقيا فى جهنم كل كفار) خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو لواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله

فان تزجرانى يا ابن عفان أنزجر * وان تدعانى أحم عرضا ممنعا

أو الالف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده أنه قرئ القين بالنون الخفيفة (عنيد) معاند للحق (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى أخيه عنه (معتد) متعد (مريب) شاك فى الله وفى دينه (الذى جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره (فألقياه فى العذاب الشديد) أو بدل من كل كفار فيكون فألقياه تكريرا للتوكيد أو مفعول لمضمر يفسره فألقياه (قال قرينه) أى الشيطان المقيض له وانما استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه (ربنا ما أطغيته) كان الكافر قال هو أطغانى فقال قرينه ربنا ما أطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما فى الحصول أعنى مجىء كل نفس مع الملكين وقول قرينه (ولكن كان فى ضلال بعيد) فأعنته عليه فان اغواء الشياطين انما يؤثر فيمن كان مختل الرأى مائلا الى الفجور كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى (قال) أى الله تعالى (لا تختصموا لدىّ) أى فى موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل الاول (وقد قدمت اليكم بالوعيد) على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهى أى لا تختصموا عالمين بأنى أوعدتكم والباء مزيدة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم ويجوز أن يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله (ما يبدل القول لدىّ) أى بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا أن أبدل وعيدى وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد (وما أنا بظلام للعبيد) فأعذب من ليس لى تعذيبه (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) سؤال وجواب جىء بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله تعالى لاملأن جهنم أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ أو أنها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثرة لهم والطالبة لزيادتهم وقرأ نافع وأبو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد أو مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر أو ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف (وأزلفت الجنة للمتقين) قربت لهم (غير بعيد) مكانا غير بعيد ويجوز أن يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف أى شيأ غير بعيد أو على زنة المصدر أو لان الجنة بمعنى البستان (هذا ما توعدون) على اضمار القول والاشارة الى الثواب أو مصدر أزلفت وقرأ ابن كثير بالياء (لكل

(قوله اذ ما من أحد الخ) جواب سؤال وهو أن المسلم ليس فى غفلة من البعث بل هو مؤمن به فأجاب بانه ليس المراد من الغفلة انكار البعث بل عدم التوجه اليه ولو فى بعض الاحوال (قوله أو خبر بعد خبر أو خبر محذوف) يعنى لدى خبر أول وعتيد خبر آخر بعده أو لدى خبر وعتيد خبر محذوف والتقدير هذا ما لدى هو عتيد (قوله ويؤيده الخ) أى يؤيد أن يكون ألقيا خطابا لواحد أنه قرئ القين بصيغة الواحد (قوله ويجوز أن يكون بالوعيد حالا الخ) والمعنى وقد قدمت اليكم مخبرا بالوعيد ما يبدل القول لدى (قوله فان دلائل العفو الخ) أى دلائل العفو مشتملة على تخصيص الوعيد مثلا اذا دل دليل على عقوبة من عمل عملا قبيحا فهو فى التقدير مخصص بان العقوبة واقعة اذا لم يعف الله عنه واذا كان معنى الوعيد ذلك فاذا عفا عنه لسبب لم يبدل القول لدى (قوله فيكون ذلك اشارة اليه الخ) أى ذلك فى قوله ذلك يوم الوعيد اشارة الى اليوم لان المعنى ونفخ فى الصور يوم نقول لجهنم هل امتلأت ذلك يوم الوعيد وعلى هذا لا حاجة الى تقدير مضاف فى ذلك يوم الوعيد لان المعنى ذلك اليوم أى الذى يقول الله فيه لجهنم هل امتلأت يوم الوعيد هذا اذا كان ذلك اشارة الى اليوم أما اذا لم يكن كذلك كان صحة الكلام محتاجة الى تقدير مضاف بان يقال التقدير يوم ذلك يوم الوعيد أى يوم نفخ الصور يوم الوعيد (قوله وتذكيره الخ) يعنى ينبغى أن يقال غير بعيدة حتى يطابق ذا الحال فتذكيره لاحد الأمور المذكورة

أوّاب) رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار (حفيظ) حافظ لحدوده (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) بدل بعد بدل أو بدل من موصوف أوّاب ولا يجوز أن يكون في حكمه لان من لا يوصف به أو مبتدأ خبره (ادخلوها) على تأويل يقال لهم ادخلوها فان من يعمّ الجمع و بالغيب حال من الفاعل أو المفعول أو صفة لمصدر أي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب أو العقاب بعد غيب أو هو غائب عن الاعين لا يراه أحد وتخصيص الرحمن للاشعار بأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه أو بأنهم يخشون مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله (بسلام) سالمين من العذاب وزوال النعم أو مسلما عليكم من الله وملائكته (ذلك يوم الخلود) يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين (لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد) وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وكم أهلكنا قبلهم) قبل قومك (من قرن هم أشد منهم بطشا) قوّة كعاد وثمود وفرعون (فنقبوا في البلاد) نفّروا في البلاد وتصرفوا فيها أو جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب وعلى الثاني لمجرد التعقيب وأصل التنقيب التنقير عن الشيء والبحث عنه (هل من محيص) أي لهم من الله أو من الموت وقيل الضمير في قبلهم الاهل مكة أي سارو افي أسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم و يؤيده أنه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو أن ينتقب خف البعير أي أكثروا السير حتى نقبت أقدامهم أو أخفاف مراكبهم (ان في ذلك) فيما ذكر في هذه السورة (لذكرى) لتذكرة (لمن كان له قلب) أي قلب واع يتفكر في حقائقه (أو ألقى السمع) أي أصغى لاستماعه (وهو شهيد) حاضر بذهنه ليفهم معانيه أو شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره و ينزجر بزواجره وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر كلا قلب (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام) مر تفسيره مرارا (وما مسنا من لغوب) من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش (فاصبر على ما يقولون) ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على اعمهم والانتقام منهم أو ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه (وسبح بحمد ربك) ونزهه عن الهجر عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما أنعم عليك من اصابة الحق وغيرها (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين (ومن الليل فسبحه) أي وسبحه بعض الليل (وأدبار السجود) وأعقاب الصلوات جمع دبر من أدبر وقرأ الحجازيان وحمزة وخلف بالكسر من أدبرت الصلاة اذا انقضت وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالصلاة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن والتهجد وأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء (واستمع) لما أخبرك به من أحوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به (يوم ينادي المنادي) اسرافيل أو جبريل عليهما السلام فيقول أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (من مكان قريب) بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء لعلمه في لاعادة نظيركن في الابداء و يوم نصب بما دل عليه يوم الخروج (يوم يسمعون الصيحة) بدل منه والصيحة النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء (ذلك يوم الخروج) من القبور وهو من أسماء يوم القيامة وقد يقال للعيد (انا نحن نحيي ونميت) في الدنيا (وإلينا المصير) للجزاء في الآخرة

(قوله ولا يجوز أن يكون في حكمه الخ) أي لا يجوز أن يكون من خشي في حكم أواب حتى يكون صفة لموصوف لان من لا يصح أن يكون صفة (قوله والفاء على الاول للتسبب الخ) اذا فسر نقبوا بتصرفوا كان الفاء في فنقبوا للتسبب لان التصرف في البلاد سبب القوة واذا فسر بالجولان في الارض حذر الموت كان الفاء لمجرد التعقيب (قوله في بلاد القرون) أي في بلاد القرون الماضية (قوله بما يدل عليه يوم الخروج) فيكون المعنى يخرجون من القبور يوم ينادي المنادي

(يوم تشقق) تتشقق وقرئ تنشق وقرأ عاصم وحمزة والكسائى وخلف وأبو عمر بتخفيف الشين الارض عنهم سراعا) مسرعين (ذلك حشر) بعث وجمع (علينا يسير) هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لايتيسر الا على العالم القادر لذاته الذى لايشغله شأن عن شأن كما قال الله تعالى ماخلقكم ولابعثكم الا كنفس واحدة (نحن أعلم بما يقولون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (وما أنت عليهم بجبار) بمسلط تقسرهم على الايمان أو تفعل بهم ماتر يد وانما أنت داع (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) فانه لاينتفع به غيره عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته والله أعلم

﴿سورة والذاريات﴾ مكية وآيها ستون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والذاريات ذروا) يعنى الرياح تذرو التراب وغيره أو النساء الولود فانهن بذرين الاولاد أو الاسباب التى تذرى الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ أبو عمر وحمزة بادغام التاء فى الذال (فالحاملات وقرا) فالسحب الحاملة للامطار أو الرياح الحاملة للسحاب أو النساء الحوامل أو أسبابه ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر (فالجاريات يسرا) فالسفن الجارية فى البحر سهلا أو الرياح الجارية فى مهابها أو الكواكب التى تجرى فى منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف أى جريا ذا يسر (فالمقسمات أمرا) الملائكة التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها أو مايعمهم وغيرهم من أسباب القسمة أو الرياح بقسمن الامطار بتصريف السحاب فان جملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار مايبنها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة والفاء الفاء لترتيب الافعال اذ لريح مثلا تذرو والابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجرى به بلسطة الى حيث أمرت به فتقسم المطر (انما توعدون لصادق وان الدين لواقع) جواب القسم كأنه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث للجزاء الموعود وما هو وصولة أو مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل (والسماء ذات الحبك) ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التى هى مسير الكواكب أو المعقولة التى يسلكها النظار وتتوصل بها الى المعارف أو النجوم فان لها طرائق أو أنها تزينها كما يزين الموشى طرائق الوشى جمع حبيكة كطريقة وطرق أو حبك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق (انكم لفى قول مختلف) فى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون أو فى القرآن أو القيامة أو أمر الديانة وأهل النكتة فى هذا القسم تشبيه أقوالهم فى اختلافها وتنافى أغراضها بطرائق السموات فى تباعدها واختلاف غاياتها (يؤفك عنه من أفك) يصرف وعنه الضمير للرسول أو القرآن أو الايمان من صرف اذ لاصرف أشد منه فكأنه لاصرف بالنسبة اليه أو يصرف من صرف فى علم الله وقضائه ويجوز أن يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من أفك عن القول المختلف وبسببه كقوله * ينهون عن أكل وعن شرب * أى يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ أفك بالفتح أى من أفك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان (قتل الخراصون) الكذابون من أصحاب القول المختلف وأصله الدعاء بالقتل أجرى مجرى المعن (الذين هم فى غمرة) فى جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسألون أيان يوم الدين) أى فيقولون متى يوم الجزاء أى وقوعه وقرئ أيان بالكسر (يوم هم على النار يفتنون) يحرقون جواب السؤال أى يقع

بها الخ) فالفاء يفيد أن القسم بالذاريات ليس فى الظهور كالقسم بالحاملات وقرا لان حمل السحاب بالمطر أقوى فى الدلالة على القدرة من دور السحاب ثم الجاريات يسرا أدل على القدرة مما تقدم لان جرى السفن المشحونة بالاثقال على البحر وعدم رسوبها فيه مع ان واحدا من تلك الاثقال لو ألقى فيه لرسب فى غاية الغرابة ثم ان تقسيم الامور الواقعة فى جميع العوالم أدل على القدرة مما تقدم (قوله والافالفاء لترتيب الافعال) وهى الذرى والحمل والجرى والتقسيم (قوله فكأنه لاصرف بالنسبة اليه) أى قوله تعالى يدل ظاهرا على أن من أفك وصرف لابد ان يكون صرفه عن واحد من الامور المذكورة اذ كل صرف هو غير الصرف عن واحد منها كأنه غير صرف بالنسبة الى الصرف عن أحد الامور المذكورة (قوله أو يصرف عنه من صرف الخ) انما قال ذلك لان من أفك يدل على وقوع الافك فى الزمان الماضى و يؤفك يدل على زمان المستقبل وهو تحصيل للحاصل فأول بأن المراد يصرف فى الواقع من

يوم هم على النار يفتنون أو هو يوم هم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه أنه قرئ بالرفع (ذوقوا فتنتكم) أى مقولا لهم هذا القول (هذا الذى كنتم به تستعجلون) هذا العذاب هو الذى كنتم به تستعجلون ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم والذى صفته (ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لما أعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما آتاهم حسن مرضى متلقى بالقبول (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) فأحسنوا أعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) تفسير لاحسانهم وما مزيدة أى يهجعون فى طائفة من الليل أو يهجعون هجوعا قليلا أو مصدرية أو موصولة أى فى قليل من الليل هجوعهم أو مايهجعون فيه ولا يجوز أن تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها ولا فيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى هو وقت السبات والهجوع الذى هو الفرار من النوم وزيادة ما (وبالاسحار هم يستغفرون) أى انهم مع قلة هجوعهم وكثرة مجدهم اذا أسحروا أخذوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم وفى بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم أحقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه (وفى أموالهم حق) نصيب يستوجبونه على أنفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس (للسائل والمحروم) للمتجدى والمتعفف الذى يظن غنيا فيحرم الصدقة (وفى الارض آيات للموقنين) أى فيها دلائل من أنواع المعادن والحيوانات وأوجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف أجزائها فى الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته (وفى أنفسكم) أى وفى أنفسكم آيات اذ ما فى العالم شئ الا وفى الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيآت النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة (أفلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر (وفى السماء رزقكم) أسباب رزقكم أو تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات (وما توعدون) من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة أولان الاعمال وثوابها مكتوبة بمقادير فى السماء وقيل انه مستأنف خبره (فورب السماء والارض انه لحق) وعلى هذ فالضمير لما وعلى الاول يحتمل أن يكون له ولما ذكر من أمر الآيات والرزق والوعد (مثل ما أنكم تنطقون) أى مثل نطقكم كما أنه لا شك لكم فى أنكم تنطقون ينبغى أن لا تشكوا فى تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن فى لحق أو الوصف لمصدر محذوف أى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شئ وأن بمافى حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على أنه صفة لحق وبؤيده قراءة حمزة والكسائى وأبى بكر بالرفع (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم) فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على أنه أوحى اليه والضيف فى الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والمتعدد قيل كانوا اثنى عشر ملكا وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف (المكرمين) أى مكرمين عند الله أو عند ابراهيم اذ خصهم بنفسه وزوجته (اذ دخلوا عليه) ظرف للحديث أو الضيف أو المكرمين (فقالوا سلاما) أى نسلم عليك سلاما (قال سلام) أى عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون تحيته أحسن من تحيتهم وقرئ سلام فوعين وقرأ حمزة والكسائى قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد (قوم منكرون) أى أنتم قوم منكرون وانما أنكرهم لانه ظن أنهم بنو آدم ولم يعرفهم أو لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم (فراغ الى أهله) فذهب اليهم فى خفية من ضيفه فان من أدب المضيف أن يبادر بالقرى حذرا من أن يكفه الضيف أو يصير منتظرا (فجاء بعجل سمين)

(قوله وفتح يوم الخ) أى اليوم على هذا التفسير خبر المبتدا الذى هو هو وفتحه لما ذكر ويؤيد خبريته انه قرئ بالرفع (قوله مفعولا لهم) هذا القول حال من ضمير يفتنون (قوله وزيادة ما) لان الحرف لزائد يوجب التأكيد (قوله وتنبيه على انه أوحى اليه) لان هل أتاك نفى للاتيان فدل على ان علمه به لا يكون الا بسبب انه تعالى ذكره فى القرآن (قوله وهو كالتعرف عنهم) أى لطلب المعرفة عنهم أى المقصود من قوله قوم منكرون عرفونى حالكم

لانه كان عامة ماله البقر (فقربه الهم) بأن وضعه بين أيديهم (قال ألا تأكلون) أى منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة لادب ان قاله أول ما وضعه والانكار ان قاله حينما رأى اعراضهم (فأوجس منهم خيفة) فأضمر منهم خوفا لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنه أنهم جاؤه اشرا وقيل وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب (قالوا لاتخف) انا رسل الله قيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم (وبشروه بغلام) هو اسحق عليه السلام (عليم) يكمل علمه اذا بلغ (فأقبلت امرأته) سارة الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم (في صرة) في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال أو المفعول ان أول فأقبلت بأخذت (فصكت وجهها) فلطمت بأطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء (وقالت عجوز عقيم) أى أنا عجوز عاقر فكيف ألد (قالوا كذلك) مثل ذلك الذى بشرنا به (قال ربك) وانما نخبرك به عنه (انه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقا وفعله محكما (قال فما خطبكم أيها المرسلون) لما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سأل عنه (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) يريد السجيل فانه طين متحجر (مسومة عند ربك) مرسلة من أسمت الماشية أو معلمة من السومة وهى العلامة (للمسرفين) المجاوزين الحد في الفجور (فأخرجنا من كان فيها) في قرى قوم لوط وانما اضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة (من المؤمنين) ممن آمن بلوط (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) غير أهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضى الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضى اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة (وتركنا فيها آية) علامة (للذين يخافون العذاب الاليم) فانهم المعتبرون بها وهى تلك الاحجار أو صخر منضود فيها أو ماء أسود منتن (وفى موسى) عطف على وفى الارض أو تركنا فيها على معنى وجعلنا فى موسى كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) هو معجزاته كالعصا واليد (فتولى بركنه) فاعرض عن الايمان به كقوله وأى بجانبه أو قتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشئ ويتقوى به وقرئ بضم الكاف (وقال ساحر) أى هو ساحر (أو مجنون) كأنه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد فى أنه حصل ذلك باختياره وسعيه أو بغيرهما (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) فأغرقناهم فى البحر (وهو مليم) آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير فى فأخذناه (وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) سماها عقيما لانها أهلكتهم وقطعت دابرهم أو لانها لم تتضمن منفعة وهى الدبور أو الجنوب أو الشمأل (ما تذر من شئ أتت) مرت (عليه الا جعلته كالرميم) كالرمة مادمن الرم وهو البلى والتفتت (وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فأخذتهم الصاعقة) أى العذاب بعد الثلاث وقرأ الكسائى الصعقة وهى المرة من الصعق (وهم ينظرون) اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار (فما استطاعوا من قيام) كقوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين وقيل من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا منتصرين) ممتنعين منه (وقوم نوح) أى وأهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه أو اذكروا بحوز أن يكون عطفا على محل فى عاد وبؤيده قراءة أبى عمرو وحمزة والكسائى بالجر (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان (والسماء بنيناها بأيد) بقوة (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق أو لموسعون السماء أو ما

(قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين الخ) أى بعد ارادة اهلاكهم أخرجنا من كان فيها من المؤمنين ثم بعد ارادة الاهلاك فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (قوله من أن يكفه الضيف) اى يمنع الضيف المضيق عن الضيافة (قوله وتردد الخ) فان كان باختياره فهو ساحر وان كان بغيره فهو مجنون وانما حمل كلام فرعون على ذلك لان الجزم بنسبة موسى الى الجنون بمعنى عدم العقل مع ظهور تلك الخوارق مما لا يفوه به عاقل (قوله أن يكون عطفا على محل فى عاد) لان فى عاد مفعول به فيكون فى محل النصب ويكون الفعل المقدر عليه مثل أغرقنا فيكون من قبيل ماذكر من قوله * علفتها تبنا وماء باردا *

بينهاوبين الارض أوالرزق (والارض فرشناها) مهدناها لتستقروا عليها (فنعم الماهدون) أى نحن (ومن كل شئ) من الاجناس (خلقنا زوجين) نوعين (لعلكم تذكرون) فتعلمون أن التعدد من خواص الممكنات وأن الواجب بالذات لايقبل التعدد والانقسام (ففروا الى الله) من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة (انى لكم منه) أى من عذابه المعدلمن أشرك أوعصى (نذير مبين) بين كونه منذرا من الله بالمعجزات أومبين مايجب أن يحذر عنه (ولاتجعلوا مع الله الها آخر) افرادلاعظم مايجب أن يفرمنه (انى لكم منه نذير مبين) تكرير للتأكيد أوالاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثانى على الاشراك (كذلك) أى الأمر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه ساحرا أومجنونا وقوله (ماأتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) كالتفسيرله ولايجوز نصبه بأنى أومايفسره لان مابعدما لنافية لايعمل فيما قبلها (أتواصوا به) أى كأن الاولين والآخرين منهم أوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا (بل هم قوم طاغون) اضراب عن أن التواصى جامعهم لتباعد أيلمهم الى أن الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم فى الطغيان الحامل عليه (فتول عنهم) فاعرض عن مجادلتهم بعدما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد (فما أنت بملوم) على الاعراض بعدمابذلت جهدك فى البلاغ (وذكر) ولاتدع التذكير والموعظة (فان الذكرى تنفع المؤمنين) من قدر الله ايمانه أومن آمن فانه يزداد بها بصيرة (ومأخلقت الجن والانس الاليعبدون) لماخلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيابهامبالغة فى ذلك ولوحمل على ظاهره مع أن الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم الخ) لان ظاهره ان المراد من خلق كثير من الجن والانس دخولهم فى جهنم هذا صنف لكون المراد من خلقهم العبادة وانما قال لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا الخ لانه يمكن الجمع بجعل اللام لجهنم للعاقبة كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا (قوله كالمخلوقين له) نظرا الى التفسير الذى ذكر أولا بقوله لماخلقهم

﴿سورة الطور﴾

(والطور) يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى والطور الجبل بالسريانية أوماطار من أوج الايجاد الى حضيض المواد أومن عالم اللعب الى عالم الشهادة (وكتاب مسطور) مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمرادبه القرآن أوما كتبه الله فى اللوح المحفوظ أوألواح موسى عليه السلام أوفى قلوب أوليائه من المعارف والحكم أوماتكتبه الحفظة (فى رق منشور) الرق الجلد الذى يكتب فيه استعيرلما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بأنهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس (والبيت المعمور) يعنى الكعبة وعمارتها بالحجاج

(قوله ولايجوز نصبه بأنى أوما يفسره لان مابعدما النافية الخ) هذا الدليل فى الصورة الاولى وهى ماذا كان نصبه بأنى وأما فى الصورة الثانية ففيه نظر اذلايجب فيما يفسره تقدم كذلك على ما ولذا لم يذكر الصورة الثانية صاحب الكشاف واقتصر على الاولى (قوله مع أن الدليل يمنعه) لان معنى ظاهر الآية ان المراد من خلقهم العبادة وخلاف مراد الله تعالى محال (قوله لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم الخ) لان ظاهره ان المراد من خلق كثير من الجن والانس دخولهم فى جهنم هذا صنف لكون المراد من خلقهم العبادة وانما قال لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا الخ لانه يمكن الجمع بجعل اللام لجهنم للعاقبة كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا (قوله كالمخلوقين له) نظرا الى التفسير الذى ذكر أولا بقوله لماخلقهم

والمجاورين أو للصراخ وهو فى السماء الرابعة وعمر ارانه كثيرة غاشيته من الملائكة أو قاب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) أى المملوء وهو المحيط أو الموقد من قوله واذا البحار سجرت روى أنه تعالى يجعل يوم القيامة البحار نارا يسجر بها نار جهنم أو المختلط من السجير وهو الخليط (ان عذاب ربك لواقع) لنازل (مالهمن دافع) يدفعه ووجه دلالة هذه الأمور المقسم بها على ذلك أنها أمور تدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته وصدق أخباره وضبطه أعمال العباد للجزاء (يوم تمور السماء مورا) تضطرب والمور تردد فى المجيء والذهاب وقيل تحرك فى توج ويوم ظرف (وتسير الجبال سيرا) أى تسير عن وجه الارض فتصير هباء (فويل يومئذ للمكذبين) أى اذا وقع ذلك فويل لهم (الذين هم فى خوض يلعبون) أى فى الخوض فى الباطل (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) يدفعون اليها دفعا بعنف وذلك بأن تغل أيديهم الى أعناقهم وتجمع نواصيهم الى أقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعاء حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور أو ظرف لقول مقدر تحكيه (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) أى يقال لهم ذلك (أفسحر هذا) أى كنتم تقولون للوحى هذا سحر أفهذا المصداق أيضا سحر والتوبيخ (أم أنتم لا تبصرون) هذا أيضا كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم أم أسدت أبصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت أبصارنا (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا) أى اد خلوها على أى وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها (سواء عليكم) أى الامران الصبر وعدمه (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيين فى عدم النفع (ان المتقين فى جنات ونعيم) فى أية جنات وأى نعيم أوفى جنات ونعيم مخصوصة بهم (فاكهين) ناعمين متلذذين (بما آتاهم ربهم) وقرئ فاكهين وفاكهون على أنها الخبر والظرف لغو (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية أوفى جنات أو حال باضمار قد من المستكن فى الظرف أو الحال أو من فاعل آتى أو مفعوله أومنهما (كلوا واشربوا هنيئا) أى كلا وشربا هنيئا أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه أو بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون أى جزاؤه (متكئين على سرر مصفوفة) مصطفة (وزوجناهم بحور عين) الباء لما فى التزويج من معنى الوصل والالصاق أو للسببية اذ المعنى صيرناهم أزواجا بسببهن أو لما فى التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف (والذين آمنوا) على حور أى قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله (واتبعتهم ذريتهم بايمان) اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر و يعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة فى كثرتهم والتصريح فان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ أبو عمرو واتبعناهم ذرياتهم أى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقيل بايمان حال من الضمير أو الذرية أو منهما وتنكيره للتعظيم أو الاشعار بأنه يكفى للالحاق المتابعة فى أصل الايمان (ألحقنا بهم ذريتهم) فى دخول الجنة أو الدرجة لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذريتهم (وما ألتناهم) وما نقصناهم (من عملهم من شئ) بهذا الالحاق فانه كان يحتمل أن يكون بنقص مرتبة الآباء أو باعطاء الابناء بعض مثوبة بهم ويحتمل أن يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكلا طفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد

(قوله أفهذا المصداق أيضا سحر) أى هذا الذى يوجب صدق الوحى الذى قاله النبى فى الدنيا لكم سحر أيضا (قوله والظرف لغو) أى اذا كان فاكهون خبرا لان كان فى جنات متعلقا بما كهين فيكون ظرفا لغوا وأما اذا كان فى جنات خبرا لان كان التقديران المتقين كائنون فى جنات فيكون ظرفا مستقرا ان جعل ما مصدرية اذ لو كانت موصولة لزم أن يكون التقدير فاكهين بالذى آتاهم ربهم ولا معنى له (قوله أوفى جنات) أى عطف على فى جنات فيكون المعنى ان المتقين وقاهم ربهم (قوله اعتراض للتعليل) أى لتعليل الحاق ذرية المؤمنين بهم (قوله والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير) فى كونه تصريحا نظر اذ لقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون الذريات جمع الجمع (قوله أو الاشعار الخ) لك أن تقول لو عرف باللام لكان مشعرا بما ذكر والظاهر أن المراد منه حقيقة الايمان (قوله يتعاطون هم الخ) انما فسره لان التنازع بمعنى التخاصم لا يقع بينهم

(كل امرئ بما كسب رهين) بعمله مرهون عند الله تعالى فان عمل صالحا فكه والا أهلكه (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) أى وزدناهم وقتا بعد وقت مايشتهون من أنواع التنعم (يتنازعون فيها) يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب (كأسا) خمرا سماها باسم محلها ولذلك أنث الضمير فى قوله (لا لغو فيها ولا تأثيم) أى لا يتكلمون بلغو الحديث فى أثناء شربها ولا يفعلون مايؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين فى الدنيا وذلك مثل قوله تعالى لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح (ويطوف عليهم) أى بالكأس (غلمان لهم) أى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم أولادهم الذين سبقوهم (كأنهم لؤلؤ مكنون) مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله (قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين) خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته أو وجلين من العاقبة (فمن الله علينا) بالرحمة والتوفيق (ووقانا عذاب السموم) عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد (أنا كنا من قبل) من قبل ذلك فى الدنيا (ندعوه) نعبده أو نسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن وقرأ نافع والكسائى أنه بالفتح (الرحيم) الكثير الرحمة (فذكر) فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم (فما أنت بنعمة ربك) بحمد الله وانعامه (بكاهن ولا مجنون) كما يقولون (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) مايقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى (أم تأمرهم أحلامهم) عقولهم (بهذا) بهذا التناقض فى القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وأمر الاحلام به مجاز عن أدائها اليه (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحد فى العناد وقرئ بل هم (أم يقولون تقوّله) اختلقه من تلقاء نفسه (بل لا يؤمنون) فيرمونه بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم (فليأتوا بحديث مثله) مثل القرآن (ان كانوا صادقين) فى زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدى ويجوز أن يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد (أم خلقوا من غير شئ) أم أحدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه أو من أجل لا شئ من عبادة ومجازاة (أم هم الخالقون) يؤيد الاول فان معناه أم خلقوا أنفسهم ولذلك عقبه بقوله (أم خلقوا السموات والارض) وأم فى هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار (بل لا يوقنون) اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو أيقنوا ذلك لما أعرضوا عن عبادته (أم عندهم خزائن ربك) خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤا أو خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته (أم هم المصيطرون) الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤا وقرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاى والباقون بالصاد خالصة (أم لهم سلم) مرتقى الى السماء (يستمعون فيه) صاعدين فيه الى كلام الملائكة ومايوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماعه (أم له البنات ولكم البنون) فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا أن يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيتطلع على الغيوب (أم تسألهم أجرا) على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم) من التزام غرم (مثقلون) محملون الثقل فلذلك زهدوا فى اتباعك (أم عندهم الغيب) اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات (فهم

(قوله أولادهم الذين سبقوهم) أى سبقوهم بالموت ودخول الجنة (قوله أنه بالفتح) فيكون المعنى لانه البر الرحيم

يكتبون)

يكتبون) منه (أم يريدون كيدا) وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم (فالذين كفروا) يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على أنه الموجب للحكم المذكور (هم المكيدون) هم الذين يحيق بهم الكيد أو يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر أو المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته (أم لهم إله غير الله) يعينهم ويحرسهم من عذابه (سبحان الله عما يشركون) عن اشراكهم أو شركة ما يشركونه به (وان يروا كسفا) قطعة (من السماء ساقطا يقولوا) من فرط طغيانهم وعنادهم (سحاب مركوم) هذا سحاب تراكم بعضه على بعض وهو جواب قولهم فأسقط علينا كسفا من السماء (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على المبنى للمفعول من صعقه أو أصعقه (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا) أى شيأ من الاغناء فى رد العذاب (ولا هم ينصرون) يمنعون من عذاب الله (وان للذين ظلموا) يحتمل العموم والخصوص (عذابا دون ذلك) أى دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر أو المؤاخذة فى الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك (واصبر لحكم ربك) بامهالهم وابقائك فى عنائهم (فانك بأعيننا) فى حفظنا بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة أسباب الحفظ (وسبح بحمد ربك حين تقوم) من أى مكان قمت أو من منامك أو الى الصلاة (ومن الليل فسبحه) فان العبادة فيه أشق على النفس وأبعد من الرياء ولذلك أفرده بالذكر وقدمه على الفعل (وادبار النجوم) واذا أدبرت النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح أى فى أعقابها اذا غربت أو خفيت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه فى جنته

﴿سورة والنجم مكية وآيها احدى أو ثنتان وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والنجم اذا هوى) أقسم بجنس النجوم أو الثريا فانه غلب فيها اذا غرب أو استتر يوم القيامة أو انقض أو طلع فانه يقال هوى بالفتح اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد أو بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل أو النبات اذا سقط على الارض أو اذا نما وارتفع على قوله (ماضل صاحبكم) ما عدل محمد صلى الله عليه وسلم عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش (وما غوى) وما اعتقد باطلا والخطاب لقريش والمراد نفى ما ينسبون اليه (وما ينطق عن الهوى) وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى (ان هو) ما القرآن أو الذى ينطق به (الا وحى يوحى) أى الا وحى يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له وأجيب عنه بانه اذا أوحى اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحى لا الوحى (علمه شديد القوى) ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة فى ابداء الخوارق وروى أنه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة جثموا فأصبحوا جاثمين (ذو مرة) حصافة فى عقله ورأيه (فاستوى) فاستقام على صورته الحقيقية التى خلقه الله تعالى عليها قيل ما رآه أحد من الانبياء فى صورته غير محمد عليه الصلاة والسلام مرتين مرة فى السماء ومرة فى الارض وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر (وهو بالافق الاعلى) فى أفق السماء والضمير لجبريل (ثم دنا) من النبى عليه الصلاة والسلام (فتدلى) فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله تقريرا لشدة قوته فان التدلى استرسال مع تعلق كتدلى الثمرة ويقال دلى رجليه من السرير وأدلى دلوه والدوالى

(قوله يحتمل العموم والخصوص) أى يحتمل ان يكون المراد من الذين ظلموا مطلق الظالمين ويحتمل أن يكون المراد كفار قريش

﴿سورة النجم﴾

(قوله ذا غرب الخ) لا يخفى أن غروب النجوم وطلوعه دليل على كمال قدرة الخالق اذ هو دال على أن له التصرف فى السموات فبارادته تغرب الكواكب وتطلع فبهذا الاعتبار أقسم به تعالى (قوله واحتج به الخ) أى احتج به من جعل هو راجعا الى ما ينطق به لانه اذا كان كل ما نطق به وحيا لا يكون للاجتهاد مجال وقوله يكون بالوحى لا الوحى أى يكون ما يسند الى الاجتهاد بسبب الوحى لا نفس الوحى

(قوله كقوله على ظهرها) وهو في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة فانه لم يجر ذكر الارض لكنه معلوم (قوله وفيه تفخيم للموحى به) أي عدم بيان الموحى به تفخيم له وفيه ايماء بأنه لعظمته لا يقدر على تبيينه (قوله فان الامور القدسية الخ) فان الامر القدسي اذا أدركه القلب يمثل في البصر صورة مناسبة له كما يمثل جبريل للانبياء (قوله من مرى الناقة) يقال مريت الناقة اذا مسحت ضرعها (قوله لانهم يجتمعون تحت ظلها) أي العرب يجتمعون في ظل السدرة اذ لا شجرة لهم في البادية ظلها كظل السدرة فوجه الشبه اجتماع الاشياء فكما أن السدرة تجمع العرب كذلك تجتمع الاعمال الصالحة عدة ومايتزل من فوق عند سدرة المنتهى (قوله المعنية بما رأى) أي قيل المقصود بما رأى في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى الآيات والعجائب (قوله ويجوز أن يكون الكبرى الخ) غرضه ان الكبرى لا يجب أن تكون صفة للآيات بل يحتمل أن يكون المفعول محذوفا أو يكون من مزيدة ويحتمل أن تكون الكبرى مفعولا ومن آيات ربه بيانا لها

الثر الملاق (فكان) جبريل عليه السلام كقولك هو مني معتقد الازار أو المنافقة بينهما (قاب قوسين) مقدارهما (أو أدنى) على تقديركم كقوله أو يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحي اليه بنفي البعد الملبس (فأوحى) جبريل عليه السلام (الى عبده) عبد الله وضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها (ما أوحى) جبريل عليه السلام وفيه تفخيم للموحى به أو الله اليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما في قوله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدانيه جذبه بشراشره الى جناب القدس (ما كذب الفؤاد ما رأى) ما رأى ببصره من صورة جبريل عليه السلام أو الله تعالى أي ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك أولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر أو ما قال فؤاده ما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره أو ما رآه بقلبه والمعنى انه لم يكن تخيلا كاذبا بل دليلا عليه أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي وقرأ هشام ما كذب أي صدقه ولم يشك فيه (أفتمارونه على ما يرى) أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب أفتمرونه أي أفتغلبونه في المراء من ماريته فريته أو أفتجحدونه من مراء حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم (ولقد رآه نزلة أخرى) مرة أخرى فعلة من النزول أقيمت مقام المرة ونصبت نصبها شعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت أيضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ماسبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة أخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الاخيرة (عند سدرة المنتهى) التي ينتهي اليها أعمال الخلائق وعلمهم أو ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا أنها في السماء السابعة (عندها جنة المأوى) الجنة التي يأوي اليها المتقون أو أرواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها (ما زاغ البصر) ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه (وما طغى) وما تجاوزه بل أثبته اثباتا صحيحا مستيقنا أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أي والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها اللعنية بما رأى ويجوز أن تكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف أي شيأ من آيات ربه أو من مزيدة (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) هي أصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها أي يطوفون وقرأ هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب اللات بالتشديد على أنه سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى بالتشديد سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وأصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة أو لثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه مني وقرأ ابن كثير مناءة وهي مفعلة من النوء فانهم كانوا يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد كقوله يطير بجناحيه أو الاخرى من التأخر في الرتبة (ألكم الذكر وله الانثى) انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطها جنيات هن بناته أو هيأ كل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله أفرأيتم (تلك اذا قسمة ضيزى) جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء

كفعل فى بيض فان فعلى بالكسر لم تأت وصفا وقرأ ابن كثير بالهمز من ضأزه اذا ظلمه على أنه مصدر نعت به (ان هى الا أسماء) الضمير للاصنام أى ماهى باعتبار الالوهية الا أسماء تطلقونها عليها لانهم يقولون انها آلهة وليس فيها شئ من معنى الالوهية أو للصفة التى تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء أو للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين (سميتموها) سميتم بها (أنتم وآباؤكم) هوا كم (ما أنزل الله بها من سلطان) برهان تتعلقون به (ان يتبعون) وقرئ بالتاء (الا الظن) الانوهم أن ماهم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا (وما تهوى الانفس) وما تشتهيه أنفسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول أو الكتاب فتركوه (أم للانسان ما تمنى) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما تمناه والمراد نفى طمعهم فى شفاعة الآلهة وقولهم ان رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوهما (فلله الآخرة والاولى) يعطى منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد أن يتحكم عليه فى شئ منهما (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ) وكثير من الملائكة لا تغنى شفاعتهم شيأ ولا تنفع (الا من بعد أن يأذن الله) فى الشفاعة (لمن يشاء) من الملائكة أن يشفع أو من الناس أن يشفع له (ويرضى) ويراه أهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة) أى كل واحد منهم (تسمية الانثى) بان يسموه بنتا (وما لهم به من علم) أى بما يقولون وقرئ بها أى بالملائكة أو بالتسمية (ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيأ) فان الحق الذى هو حقيقة الشئ لا يدرك الا بالعلم والظن لا عتباره فى المعارف الحقيقية وانما العبرة به فى العمليات وما يكون وصلة اليها (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا) فأعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه فان من غفل عن الله وأعرض عن ذكره وانهمك فى الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل (ذلك) أى أمر الدنيا وكونها نهاية (مبلغهم من العلم) لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور همهم بالدنيا وقوله (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) تعليل للامر بالاعراض أى انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك فى دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت (ولله ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا (ليجزى الذين أساؤا بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء أو بمثله أو بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله أى خلق العالم وسواه للجزاء أو مبنى الضال عن المهتدى وحفظ أحوالهم لذلك (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهى الجنة أو بأحسن من أعمالهم أو بسبب الاعمال الحسنى (الذين يجتنبون كبائر الاثم) ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقيل ما أوجب الحد وقرأ حمزة والكسائى وخلف كبير الاثم على ارادة الجنس أو الشرك (والفواحش) وما فحش من الكبائر خصوصا (الا اللمم) الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبى الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة أو المدح أو الرفع على انه خبر محذوف (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر أو له أن يغفر ما شاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى (هو أعلم بكم) أعلم بأحوالكم منكم (اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم) علم أحوالكم ومصارف أموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحين صوركم فى الارحام (فلا تزكوا أنفسكم) فلا تثنوا عليها بالزكاء العمل وزيادة الخير أو

(قوله فان فعلى بالكسر الخ) أى انما قيل ان أصله فعلى بالضم وكسر فاؤه لما ذكر وما قيل انه فى الأصل بكسر الفاء لان فعلى بالكسر لم يأت وصفا فى لغة العرب (قوله أى ماهى باعتبار الالوهية الخ) أى ما الالوهية الا أسماء وفيه انه راجع الى المعنى الثانى فالاولى الاقتصار على الوجهين الأخيرين

بالطهارة عن المعاصي والرذائل (هو أعلم بمن اتقى) فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه السلام (أفرأيت الذي تولى) عن اتباع الحق والثبات عليه (وأعطى قليلا وأكدى) وقطع العطاء من قولهم أكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على أنها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال أخشى عذاب الله تعالى فضمن أن يتحمل عنه العقاب ان أعطاه بعض ماله فارتد وأعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي (أعنده علم الغيب فهو يرى) يعلم أن صاحبه يتحمل عنه (أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى) وفروأتم ما التزمه أو أمر به أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى أتاه جبريل عليه السلام حين ألقي في النار فقال ألك حاجة فقال أما اليك فلا وذبح الولد وأنه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه كرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى عليه الصلاة والسلام لان صحفه وهي التوراة كانت أشهر وأكبر عندهم (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أن هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا مما في صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأنه قيل ما في صحفهما فأجاب به والمعنى أنه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا وقوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره (وأن ليس للانسان الا ما سعى) الا سعيه أي كما لا يؤاخذ أحد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار من أن الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه (وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى) أي يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفر فنصب بنزع الخافض ويجوز أن يكون مصدرا وأن تكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله (وان الى ربك المنتهى) انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على أنه منقطع مما في الصحف وكذلك ما بعده (وانه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا) لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القائل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله تعالى على سبيل العادة (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) تدفق في الرحم أو تخلق أو يقدر منها المولد من منى اذا قدر (وأن عليه النشأة الاخرى) الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وأبو عمر والنشاءة بالمد وهو أيضا مصدر نشأ (وأنه هو أغنى وأقنى) وأعطى القنية وهو ما يتأثل من الاموال وافرادها لانها أشف الاموال وأرضى وتحقيقه جعل الرضاله قنية (وأنه هو رب الشعرى) يعني العبور وهي أشد ضياء من الغميصاء عبد لها أبو كبشة أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول صلى الله عليه وسلم ابن أبي كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بأنه عليه الصلاة والسلام وان وافق أبا كبشة في مخالفتهم خالفه أيضا في عبادتها (وأنه أهلك عادا الاولى) القدماء لانهم أولى الامم هلاكا بعد قوم نوح عليه السلام وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا الولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وقرأ نافع وأبو عمرو عادا لولى بضم اللام بحركة الهمزة وبادغام التنوين وقالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة في موضع الواو (وثمودا) عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الالف والباقون بالتنوين ويقفون بالالف (فما أبقى) الفريقين (وقوم نوح) أيضا معطوف عليه (من قبل) من قبل عاد وثمود (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك (والمؤتفكة) والقرى التي ائتفكت بأهلها أي

(قوله وقرئ بالكسر على انه منقطع الخ) يعني اذا قرئ ان بالكسر لا يدل على ان الى ربك المنتهى ومابعده داخل فيما في الصحف (قوله فان القائل ينقض البنية الخ) جواب سؤال وهو ان القاتل يميت المقتول بسبب نقض بنيته فلا تنحصر الاماتة في الله تعالى كما هو المفهوم من انه أمات وأحيا وأجاب بأن القاتل سبب لنقض البنية وتفريق أجزائها وعنده يحصل الموت بفعل الله تعالى على سبيل العادة (قوله أو أرضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية عطف على وأعطى القنية) فيكون على هذا معنى أقنى أرضى وتحقيقه أي توضيح معنى أقنى على هذا انه بمعنى جعل الرضا للراضي قنية أي مدخرا فكما ان المقتنى يدخر شرائف الأموال كذلك يحصل للفقير اشاكر الرضا وصبره (قوله لان ما بعدها لا يعمل فيها) أي لا يعمل فما أبقى في ثمود اما لاجل ان الفاء لا يعمل ما بعدها فيما قبلها واما لاجل ان ما النافية يمنع العمل فيها لصدارتها أي لصدارة ما

انقلبت وهى قرى قوم لوط (أهوى) بعد أن رفعها فقلبها (فغشاها ما غشى) فيه تهويل وتعميم لما أصابهم (فبأى آلاء ربك تتمارى) تتشكك والخطاب للرسول أولكل أحد والمعدودات وان كانت لعمارة ما سماها آلاء من قبل ما فى نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين (هذا نذير من النذر الاولى) أى هذا القرآن انذار من جنس الانذارات المتقدمة أو هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاقربين (أزفت الآزفة) دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى نحو قوله اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها أو الآن بتأخيرها الا الله أو ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه أو ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية (أفمن هذا الحديث) يعنى القرآن (تعجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) تحزنا على ما فرطتم (وأنتم سامدون) لاهون أو مستكبرون من سمد البعير فى مسيره اذا رفع رأسه أو مغنون لتشاغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء (فاسجدوا لله واعبدوا) أى واعبدوه دون الآلهة * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

﴿ سورة القمر ﴾ مكية وآيها خمس وخمسون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اقتربت الساعة وانشق القمر) روى أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيامة ويؤيد الاول أنه قرئ وقد انشق القمر أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله (وان يروا آية يعرضوا) عن تأملها والايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) مطرد وهو يدل على أنهم رأوا قبله آيات أخر مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك أو محكم من المرة يقال أمررته فاستمر اذا أحكمته فاستحكم أو مستبشع من استمر الشئ اذا اشتدت مرارته أو مار داهب لا يبقى (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) رهو يأزلهم الشيطان من رداحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضى للاشعار بأنهما من عادتهم القديمة (وكل أمر مستقر) منته الى غاية من خذلان أو نصر فى الدنيا وشقاوة أو سعادة فى الآخرة فان الشئ اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح أى ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على أنه صفة أمر وكل معطوف على الساعة (ولقد جاءهم) فى القرآن (من الانباء) أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة (ما فيه مزدجر) ازدجار من تعذيب أو وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الذال والدال والزاى للتناسب وقرئ مزجر بقلبها ياء وادغامها (حكمة بالغة) غايتها الاخلال فيها وهى بدل من ما أو خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة أو محصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها (فما تغنى النذر) نفى أو استفهام انكار أى فاى غناء تغنى النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر أو المنذر منه أو مصدر بمعنى الانذار (فتول عنهم) لعلمك بان الانذار لا يغنى فيهم (يوم يدع الداع) اسرافيل ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالامر فى قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون أو باضمار اذكر (الى شئ نكر) فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول يوم القيامة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى أنكر (خاشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث) أى يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا أبصارهم من الطول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقى التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر

(قوله على كشفها) أى رفعها (قوله أو الآن بتأخيرها الا الله) عطف على اذا وقعت أى ليس لها الآن كاشفة أى مؤخرة لها الى وقتها المعين الا الله فالكشف فيه بمعنى الرفع وأما قوله أو ليس لها كاشفة لوقتها الا الله فالكشف فيه بمعنى الايضاح

﴿ سورة القمر ﴾

(قوله وذكرهما بلفظ الماضى الخ) هو أن يقال وتكذبوا وتتبعوا لكونهما معطوفين على يقولوا لكنهما ذكرا بلفظ الماضى (قوله وقرئ بالفتح) أى بفتح القاف فيكون مصدرا (قوله وبالكسر والجر) أى قرئ بكسر القاف وجر الراء (قوله ويجوز أن يكون المقصود بالدعاء حقيقته بل المراد تمثيل حاله فى التوجه الى المبعوثين وبعثهم من القبور وسرعة انبعاثهم منها بحال الداعى المطاع واقبال المطيعين اليه

وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولم يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا (كأنهم جراد منتشر) فى الكثرة والتموّج والانتشار فى الامكنة (مهطين الى الداع) مسرعين مادى أعناقهم اليه أو ناظرين اليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب (كذبت قبلهم قوم نوح) قبل قومك (فكذبوا عبدنا) نوحا عليه السلام وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبوه بعدما كذبوا الرسل (وقالوا مجنون) هو مجنون (وازدجر) وزجر عن التبليغ بأنواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم أى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته (فدعا ربه أنى) بانى وقرئ بالكسر على ارادة القول (مغلوب) غلبنى قومى (فانتصر) فانتقم لى منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روى أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة وأصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة (فالتقى الماء) ماء السماء وماء الارض وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله تعالى فى الازل من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهو أن قدر ما أنزل على قدر ما أخرج أو على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه على ذات ألواح) ذات أخشاب عريضة (ودسر) ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهى صفة للسفينة أقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدّى مؤداها (تجرى بأعيننا) بمرأى منا أى محفوظة بحفظنا (جزاء لمن كان كفر) أى فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبىّ نعمة من الله تعالى ورحمة على أمته ويجوز أن يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر أى للكافرين (ولقد تركناها) أى السفينة أو الفعلة (آية) يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر (فهل من مدّكر) معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها (فكيف كان عذابى ونذر) استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع (ولقد يسرنا القرآن) سهلناه أو هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها (للذكر) للادكار والاتعاظ بأن صرفنا فيه أنواع المواعظ والعبر أو للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ (فهل من مدكر) متعظ (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) وانذارى أتى لهم بالعذاب قبل نزوله أو لمن بعدهم فى تعذيبهم (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردا أو شديد الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستمر) أى استمر شؤمه أو استمر عليهم حتى أهلكهم أو على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم أحدا أو اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم روى أنهم دخلوا فى الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى (كأنهم أعجاز نخل منقعر) أصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت أجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث فى قوله أعجاز نخل خاوية للمعنى (فكيف كان عذابى ونذر) كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة كما قال أيضا فى قصتهم لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) بالانذارات والمواعظ أو الرسل (فقالوا أبشرا منا) من جنسنا أو من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ

بالرفع

(قوله لانه ليس على صيغة تشبيه الفعل) به يدخل ما يدل على معنى الجمع والتنبيه عليه كما ان القائلين كذلك بخلاف خشعا فلما لا يحسن يقدمون غلمانه لا يحسن قائمون غلمانه (قوله وهو تفصيل بعد اجمال) لان تكذيب قوم نوح يحتمل أن يكون تكذيبهم لنوح ولغيره لكن كذبوا عبدنا تفصيل وتوضيح لهذا المجمل (قوله فقد روى الخ) أى يدل على أن هذا الدعاء عند الياس قوله فى شأنهم اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون اذ ما ذكر يدل على غاية شفقته لهم (قوله وهو مبالغة الخ) أى فتح أبواب السماء تمثيل لكثرة الامطار لان بفتح الابواب يسهل خروج الخارجين ويكثر (قوله فغير للمبالغة) لانه بعد التغير يدل على كون الارض كلها عيونا (قوله ويجوز أن يكون الخ) فيكون الاصل لمن كفر به فحذف الباء واستتر الضمير فى كفر

بالرفع على الابتداء والاول أوجه للاستفهام (واحدا) منفردا لاتبع له أومن آحادهم دون أشرافهم (نتبعه اناذا لفي ضلال وسعر) جمع سعير كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه مارتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة (أ ألقي الذكر) الكتاب أوالوحي (عليه من بيننا) وفينا من هو أحق منه بذلك (بل هو كذاب أشر) حمله بطره على الترفع علينا بادعائه اياه (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذاب الاشر) الذي حمله أشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل أصالح عليه السلام أم من كذبه وقرأ ابن عامر وحمزة وروبس ستعلمون على الالتفات أوحكاية ماأجابوه به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر فحذر والأشر أي الابلغ في الشرارة وهو أصل مرفوض كالاخير (انا مرسلو الناقة) مخرجوها وباعثوها (فتنة لهم) امتحانا لهم (فارتقبهم) فانتظر هم وتبصر ما يصنعون (واصطبر) على أذاهم (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) مقسوم لهايوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء (كل شرب محتضر) يحضره صاحبه في نوبته أو يحضره عنه غيره (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى فعقر) فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها أوفتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشئ بتكلف (وكيف كان عذابي ونذر انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) صيحة جبريل عليه السلام (فكانوا كهشيم المحتظر) كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها أوكالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء أي كهشيم الحظيرة أو الشجر المتخذ لها (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا) ريحا تحصبهم بالحجارة أي ترميهم (الا آل لوط نجيناهم بسحر) في سحر وهو آخر الليل أومصروف (نعمة من عندنا) انعاما منا وهو علة لنجيناهم (كذلك نجزي من شكر) نعمتنا بالايمان والطاعة (ولقد أنذرهم) لوط (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا بالنذر) فكذبوا بالنذر متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) قصدوا الفجور بهم (فطمسنا أعينهم) فمسحناها وسويناها بسائر الوجه روى أنهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فأعماهم (فذوقوا عذابي ونذر) فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة أوظاهر الحال (ولقد صبحهم بكرة) وقرئ بكرة غير مصروفة على أن المراد بها أول نهار معين (عذاب مستقر) يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) كررذلك في كل قصة اشعارا بأن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافا للتنبيه والاتعاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرر قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما (ولقد جاء آل فرعون النذر) اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بذلك منهم (كذبوا بآياتنا كلها) يعني الآيات التسع (فأخذناهم أخذ عزيز) لايغالب (مقتدر) لايعجزه شئ (أ كفاركم) يامعشر العرب (خير من أولئكم) الكفار المعدودين قوة وعدة أومكانة ودينا عند الله تعالى (أم لكم براءة في الزبر) أم نزل لكم في الكتب السماوية أن من كفر منكم فهو في أمان من العذاب (أم يقولون نحن جميع) جماعة أمرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لانرام أو منتصر من الاعداء لانغلب أومتناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع (سيهزم الجمع ويولون الدبر) أي الادبار وافراده لارادة الجنس أولان كل واحد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه لما نزلت قال لم أعلم ماهو فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله وسلم يثب الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته (بل الساعة موعدهم) موعد

(قوله والاول أوجه للاستفهام) لما تقرر في النحو من ان المختارفي مثل هذا الاسم النصب اذا كان بعد الاستفهام (قوله فرتبوا على اتباعهم اياه الخ) لان نبيهم رتب على ترك اتباعهم اياه كونهم في ضلال وسعر أي أنواع النار المسعورة وهم عكسوا الامر فرتبوا على اتباعهم اياه مارتبه نبيهم على ترك الاتباع (قوله أومسحرين) فتكون الباء للملابسة اذ المعنى نجيناهم ملتبسين بسحر وهذا هو المراد من المسحرين (قوله أوظاهر الحال) يعني لم يكن قول من الله ولا من الملائكة بل المراد انه فعل بهم مايدل على نبيخهم الذي هو مضمون ذوقوا عذابي ونذر (قوله كررذلك الخ) أما قوله اشعارا بأن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب فهو علة تكرير ذوقوا عذابي ونذر لان هذه العبارة أوما هو قريب منه كرر في السورة في كل قصة وأما قوله واستماع كل قصة مستدع للادكار والايقاظ فنكتة تكرير ولقد يسرنا القرآن (قوله والتوحيد على لفظ الجمع) يعني توحيد لفظ منتصر وان كان موصوفه جميعا في المعنى الا أن لفظه مفرد

عذابهم الأصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه (والساعة أدهى) أشد والداهية أمر فظيع لا يهتدى لدوائه (وأمر) مذاقا من عذاب الدنيا (ان المجرمين في ضلال) عن الحق في الدنيا (وسعر) ونيران في الآخرة (يوم يسحبون في النار على وجوههم) يجرون عليها (ذوقوا مس سقر) أي يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها فان مسها سبب التألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته (انا كل شئ خلقناه بقدر) أي انا خلقنا كل شئ مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة أو مقدرا مكتوبا في اللوح المحفوظ قبل وقوعه وكل شئ منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى أن يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على أن كل شئ مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود (وما أمرنا الا واحدة) الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة أو الا كلمة واحدة وهو قوله كن (كلمح بالبصر) في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أشباهكم في الكفر ممن قبلكم (فهل من مدكر) متعظ (وكل شئ فعلوه في الزبر) مكتوب في كتب الحفظة (وكل صغير وكبير) من الاعمال (مستطر) مسطور في اللوح (ان المتقين في جنات ونهر) أنهار واكتفى باسم الجنس أو سعة أو ضياء من النهار وقرئ نهر وبضم الهاء جمع نهر كأسد واسد (في مقعد صدق) في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق (عند مليك مقتدر) مقربين عند من تعالى أمره في الملك والاقتدار بحيث أبهمه ذوو الافهام * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر

﴿سورة الرحمن مكية أو مدنية أو متبعضة وآيها ثمان وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الرحمن علم القرآن) لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والأخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو أصل النعم الدينية وأجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه أساس الدين ومنشأ الشرع وأعظم الوحي وأعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم أتبعه قوله (خلق الانسان علمه البيان) ايماء بأن خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما أدركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التي هي أخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد (الشمس والقمر بحسبان) يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما وتتسق بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات ويعلم السنون والحساب (والنجم) والنبات الذي ينجم أي يطلع من الارض ولا ساق له (والشجر) الذي له ساق (يسجدان) ينقادان لله تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين أن يقال وأجرى الشمس والقمر وأسجد النجم والشجر أو الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بأن وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على أن ما يحس به من تغيرات أحوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره (والسماء رفعها) خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ أقضيته ومتنزل أحكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء (ووضع الميزان) العدل بأن وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم أمر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض أو ما

(قوله وعلى هذا فالاولى الخ) لانه اذا جعل خبرا كان المعنى اثبات المخلوقية لكل شئ وأما اذا جعل وصفا كان المعنى انا كل شئ صفته انه مخلوقنا ملتبسين بقدر فيتوهم انه في الواقع شئ ليس مخلوقه تعالى (قوله لما فيه من النصوصية على المقصود) وهو النص على ان كل شئ مخلوق لله تعالى (قوله أبهمه ذوو الافهام) أي نسبوه الى الابهام والخفاء

﴿سورة الرحمن﴾

(قوله لتلقي الوحي الخ) خبر لان في قوله بأن خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوان يعني ذكر خلق الانسان وتعليم البيان بعد ذكر تعليم القرآن للدلالة على ان خلقه وتعليمه للبيان لاجل تعلم القرآن (قوله لمجيئها على نهج التعديد) لعل مجيئها على النهج المذكور للاشعار بأن كل واحد منها مستقل بكونه خبرا لا يحتاج الى الجمع بينهما بخلاف ما لو جيء بها على طريق العطف فانه لا اشعار للعطف بما ذكر

يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كأنه لما وصف السماء بالرفعة من حيث انها مصدر القضايا والاقدار أراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب (ألا تطغوا فى الميزان) لئلا تطغوا فيه أى لاتعتدوا ولاتتجاوزوا الانصاف وقرئ لاتطغوا على ارادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان) ولاتنقصوه فان من حقه أن يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة فى التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولاتخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وتخسروا بفتحها على أن الأصل ولاتخسروا فى الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل (والارض وضعها) خفضها مدحوة (للانام) للخلق وقيل الأنام كل ذى روح (فيها فاكهة) ضروب مما يتفكه به (والنخل ذات الأكمام) أوعية الترجم كم أوكل ما يكم أى يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالكموم كالجذع والجمار والتمر (والحب ذوالعصف) كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن (والريحان) يعنى المشموم أوارزق من قولهم خرجت أطلب ريحان الله وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان أى وخلق الحب والريحان أوذا أخص وبجوز أن يراد وذا الريحان فحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائى والريحان بالخفض ماعد اذلك بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف وقيل روحان فقلبت واوه ياء للتخفيف (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله أيها الثقلان (خلق الانسان من صاصال كالفخار) الصاصال الطين اليابس الذى له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه (وخلق الجان) الجن أوأبا الجن (من مارج) من صاف من الدخان (من نار) بيان لمارج فانه فى الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما أفاض عليكما فى أطوار خلقتكما حتى صيركما أفضل المركبات وخلاصة الكائنات (رب المشرقين ورب المغربين) مشرقى الشتاء والصيف ومغربهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما فى ذلك من الفوائد التى لاتحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك (مرج البحرين) أرسلهما من مرجت الدابة اذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب (يلتقيان) يتجاوران ويتماسى سطوحهما أو بحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان ينشعبان منه (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى أومن الارض (لايبغيان) لايبغى أحدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية أولايتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الأحمر وان صح أن الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب أولانهما لما اجتمعا صارا كالشئ الواحد فكأن المخرج من أحدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وأبو عمرو يعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) أى السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقوله

لها ثنايا أربع حسان * وأربع فكلها ثمان

(المنشآت) المرفوعات الشرع أوالمصنوعات وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين أى الرافعات الشرع أو اللاتى ينشئن الامواج أوالسير (فى البحر كالاعلام) كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من خلق مواد السفن والارشاد الى أخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر باسباب لايقدر على خلقها وجمعها غيره (كل من عليها) من على الارض من الحيوانات أوالمركبات

(قوله بالرفعة التى هى من حيث انها الخ) أى بالرفعة التى هى أى تلك الرفعة من حيث انها مصدر قضايا الله تعالى فى الخلائق وأقداره (قوله وقرئ لاتطغوا فى الميزان) فيكون لالانهى (قوله على أن الاصل لاتخسروا فى الميزان الخ) انما كان الاصل ماذكر لان معنى خسر لازم اذ هو بالفارسية زكان كارشد فلابد من تقرير فى (قوله أوأخص) يعنى يكون المقدر هو أخص (قوله حتى صيركما أفضل المركبات وخلاصة الكائنات) الاول ينتظم والثانى فيه نظر لان الملائكة من الكائنات فلا يصح أن يقال ان الجن خلاصة الكائنات ومن جملتها الملائكة الأن يقال المراد الكائنات التى تركبت من العناصر (قوله كالمخرج منهما) لايخفى أنه اذا لم يخرج من مجتمعهما لايسلم أن يقال يخرج منهما ولايرد عليه انه خلاف المشاهد لان عدم مشاهدتنا لايصادم ظاهر القرآن فان قيل قد قال تعالى جعل القمر فيهن نورا مع أن القمر فى احداهن قلنا لعالم تكن السموات متميزة بعضها من بعض فى الحس فكان السموات واحدة فهو فى الظاهر فى المجموع لانها واحدة ظاهرا (قوله فكلها ثمان) حذف الياء من ثمانى ورفع النون لان الحسان أيضا مرفوع

ومن للتغليب أو من الثقلين (فان ويبقى وجه ربك) ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية فى حد ذاتها الا وجه الله أى الوجه الذى يلى جهته (ذو الجلال والاكرام) ذو الاستغناء المطلق والفضل العام (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى مما ذكرنا قبل من بقاء الرب وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا أو مما يترتب على فناء الكل من الاعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم (يسئله من فى السموات والارض) فانهم مفتقرون اليه فى ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشئ فى ذواتهم وصفاتهم نطقا كان أو غيره (كل يوم هو فى شان) كل وقت يحدث أشخاصا ويجدد أحوالا على ما سبق به قضاؤه وفى الحديث من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضى يوم السبت شيأ (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا (سنفرغ لكم أيه الثقلان) أى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سافرغ لك فان المتجرد للشئ كان أقوى عليه وأجد فيه وقرأ حمزة والكسائى بالياء وقرئ سنفرغ اليكم أى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض أو لرزانة رأيهما وقدرهما أو لانهما مثقلان بالتكليف (فبأى آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض) ان قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه (فانفذوا) فاخرجوا (لا تنفذون) لا تقدرون على النفوذ (الا بسلطان) الا بقوة وقهر وأنى لكم ذلك أو ان قدرتم أن تنفذوا لتعلموا ما فى السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله تعالى فتعرجون عليها بافكاركم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة أو مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلا (يرسل عليكما شواظ) لهب (من نار ونحاس) ودخان قال

تضىء كضوء سراج السليـ * ـط لم يجعل الله فيه نحاسا

أو صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه أبو عمرو ويعقوب فى رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف (فلا تنتصران) فلا تمتنعان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصى بالجزاء والانتقام الكفار فى عداد الآلاء (فاذا انشقت السماء فكانت وردة) أى حمراء كوردة وقرئت بالرفع على على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله

ولئن بقيت لارحلن بغزوة * نحو الغنائم أو يموت كريم

(كالدهان) مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام أو جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى مما يكون بعد ذلك (فيومئذ) أى فيوم تنشق السماء (لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم وأما قوله تعالى فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون فى المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى مما أنعم الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم (يعرف المجرمون بسيماهم) وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصى تارة وبالاقدام أخرى

(قوله أى الوجه الذى يلى جهته) هى من كل جهة وحيثية فانية الا من الوجه أى الحيثية التى استفاد من فيض الله تعالى وهو جهة كونه موجودا ويمكن أن يقال المراد من الوجه الذى ذو العمل الصالح الذى أريد به وجه الله فقط فان كل شئ يتعلق بالعبد فهو فى حد ذاته باطل هالك الا ما ذكر (قوله فالتحذير) فان التحذير لطف ونعمة كما سيجىء فى قوله فان التهديد لطف (قوله تعالى فاذا انشقت السماء) يمكن أن يكون معطوفا على قوله سنفرغ لكم أيها الثقلان والاظهر أن يقال ان الفاء فاء السببية وهى باعتبار ان الفراغ للجزاء سبب لقيام القيامة فكان سببا لما وقع فيها ومن جملته انشقاق السماء (قوله فيكون من باب التجريد) وهو أن ينزع من أمر ذى صفة أمرا آخر مثله فى تلك لكمالها فيه جرد من السماء شيأ يسمى وردة كما جرد الشاعر من نفسه صفة الكرم لكمالها فيه (قوله والهاء للانس الخ) ظاهر هذا الكلام يدل على ان المراد انه لا يسأل انس ولا جان ذنب الانس لكن المراد انه لا يسأل انس عن ذنبه ولا جان عن ذنبه

فبأى

(فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها) بين النار يحرقون بها (وبين حميم) ماء حار (آن) بلغ النهاية فى الحرارة يصب عليهم أو يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار أغيثوا بالحميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب أو قيامه على أحواله من قام عليه اذا راقبه أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين فأضيف الى الرب تفخيما وتهويلا لأمور به ومقام مقحم للمبالغة كقوله

ذعرت به القطا ونفيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين

(جنتان) جنة للخائف الانسى والاخرى للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصى أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد (فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان) أنواع من الاشجار والثمار جمع فن أو أغصان جمع فنن وهى الصفة التى تتشعب من فرع الشجرة وتخصيصها بالذكر لما فيها من تورق وتثمر ودوام الظل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان) حيث شاؤا فى الاعلى والاسافل قيل احداهما للتسنيم والاخرى للسلسبيل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان غريب ومعروف أو رطب ويابس (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق) من ديباج تخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين أو حال منهم لان من خاف فى معنى الجمع (وجنى الجنتين دان) قريب ينالانه القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجنى وقرئ بكسر الجيم (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) فى الجنان فان جنتان تدل على جنان هى للخائفين أو فيهما من الاماكن والقصور أو فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) لم يمس الانسيات انس ولا الجنيات جن وفيه دليل على أن الجن يطمثون وقرأ الكسائى بضم الميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان) أى فى حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان) فى العمل (الا الاحسان) فى الثواب وهو الجنة (فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من أصحاب اليمين (فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغلب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاولتين الاشجار والفواكه كدلالة على مابينهما من التفاوت (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء وهو أبلغ من أقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به أبو حنيفة رضى الله عنه على أن من حلف لا يأكل فاكهة فاكل رطبا أو رمانا لم يحنث (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات) أى خيرات حسان فحذف لان خيرا الذى بمعنى أخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل (حسان) حسان الخلق والخلق (فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام) قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة أى مخدرة أو مقصورات الطرف على أزواجهن (فبأى آلاء

موقف الخائف عند ربه للحساب أى لمن خاف موقفا خاف القائم فيه عند ربه للحساب فالمقام بمعنى الموقف لا بمعنى الآخر ولذا قال باحد المعنيين (قوله ذعرت به القطا الخ) القطا اهدى الطيور الى الماء والذئب أهدى السباع والرجل اللعين شئ أصب وسط الزرع يستطرد به الوحوش والاستشهاد فى ان المقام فى مقام الذئب مقتحم والمراد نفيت عنه الذئب (قوله فان جنتان يدل على جنان هى للخائفين) لان لمن خاف مقام ربه جنتان يدل على ان لكل خائف جنتين وللكل جنان (قوله وفيه دليل على ان الجن يطمثون) لا يخفى ان المراد من يطمثهن بجامعهن يدل على ان الجن يطمثون أى يجامعون والغرض بيان ان لذة الجن تحصل بالجماع كالانس (قوله المنبسطة على وجه الارض) الانبساط على وجه الارض انما علم من ان الانبساط يوجب زيادة الخضرة فى النظر (قوله وهو أيضا أقل الخ) لانه يمكن أن تكون العين فوارة لكن لا تجرى

كالقدرة المعلى (قوله لم يحنث) لانه تعالى عطفهما على الفاكهة فيدل على انهما ليسا بفاكهة لان العطف يدل على التغاير وأجاب المصنف بأنه هو تخصيص بعد تعميم لما ذكر

ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) لحور الاولين وهم أصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف) وسائد أو غارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط أو ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض (خضر وعبقرى حسان) العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد للجن فينسبون اليه كل شئ عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى (فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك) تعالى اسمه من حيث انه مطابق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة أو مقحم كما فى قوله

* الى الحول ثم اسم السلام عليكما * (ذى الجلال والاكرام) وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن اذى شكر ما أنعم الله تعالى عليه

﴿سورة الواقعة مكية وآيها ست وتسعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا وقعت الواقعة) اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر أو كان كيت وكيت (ليس لوقعتها كاذبة) أى لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله تعالى أو تكذب فى نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها فى قوله قدمت لحياتى أو ليس لاحد فى وقعتها كاذبة فان من أخبر عنها صدق أو ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها بالطاقة شدتها واحتمالها وتغر به عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه فى الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له أنه يطيقه (خافضة رافعة) تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك أو بيان لما يكون حينئذ من خفض أعداء الله ورفع أوليائه أو ازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال فى الجو وقرئتا بالنصب على الحال (اذا رجت الارض رجا) حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة أو بدل من اذا وقعت (وبست الجبال بسا) أى فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لتته أو سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها (فكانت هباء) غبارا (منبثا) منتشرا (وكنتم أزواجا) أصنافا ثلاثة (وكل صنف يكون أو يذكر مع صنف آخر زوج (فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) فاصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنيئة من تيمنهم باليامن وتشاؤمهم بالشمائل أو أصحاب اليمنة وأصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم أو أصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما لما فيهما من اقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين (والسابقون السابقون) والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهورالحق من غير تلعثم وتوان أو سبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات أو الانبياء فانهم مقدمو أهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت ما لهم كما قول أبى النجم

* أنا أبو النجم وشعرى شعرى * أولئك المقربون فى جنات النعيم) الذين قربت درجاتهم فى الجنة وأعليت مراتبهم (ثلة من الاولين) أى هم كثير من الاولين يعنى الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عليه الصلاة والسلام (وقليل من الآخرين) يعنى أمة محمد عليه الصلاة والسلام لا يخالف ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ان أمتى يكثرون سائر الامم لجواز أن يكون سابقو سائر الامم أكثر من سابقى هذه الامة ونا بعو هذه أكثر من نابعيهم ولا يرده قوله فى أصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة لفريقين لا تنافى أكثرية أحدهما

(قوله لانهما يدلان عليهم) أى أصحاب الجنتين وان كانوا غير مذكورين لكن ذكر الجنتين يدلان عليهم

﴿سورة الواقعة﴾

(قوله أو تكذيب فى نفيها ووقعتها) فيكون اللام بمعنى فى كما فى قدمت لحياتى (قوله من تيمنهم باليامن وتشاؤمهم بالشمائل) يعنى ذكر أصحاب الميمنة وأراد به أصحاب المنزلة السنية مأخوذ من تيمن العرب باليامن (قوله ومعناهما التعجب من حال الفريقين) فالمعنى فأصحاب الميمنة يستحقون أن يتعجب من حالهم وقس عليه الجملة الاخرى (قوله هم الذين عرفت حالهم وعرفت ما لهم) هذا معنى السابقون الثانى الذى هو خبر الاول أى المعنى السابقون هم الذين عرفت حالهم وما لهم كقول أبى النجم شعرى شعرى اذ معناه ان شعرى معروف مشهور بالفصاحة والبلاغة

(قوله ورووى مرفوعا انهما من هذه الامة) أى روى مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم ان الثلة والقليل أيضا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قوله خبر آخر للضمير المحذوف) والخبر الاول ثلة من الاولين اذا التقدير هم ثلة من الاولين على سرر موضونة

وروى مرفوعا أنهما من هذه الامة واشتقاقهما من الثل. هو القطع (على سرر موضونة) خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المذ. وجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت والمتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع (متكئين عليها متقابلين) حالان من الضمير فى على سرر (يطوف عليهم) للخدمة (ولدان مخلدون) مبقون أبدا على هيئة الولدان وطراوتهم (با كواب وأباريق) حال الشرب وغيره والكوب اناء بلا عروة ولا خرطوم له والابريق اناء له ذلك (وكأس من معين) من خمر (لا يصدعون عنها) بخمار (ولا ينزفون) ولا تنزف عقولهم أو لا ينفد شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاى لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون أى لا يتفرقون (وفاكهة مما يتخيرون) أى يختارون (ولحم طير مما يشتهون) يتمنون (وحور عين) عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أى وفيها أو لهم حور وقرأ حمزة والكسائى بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف أى هم فى جنات ومصاحبة حور أو على أكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وقرئنا بالنصب على ويؤتون حورا (كأمثال اللؤلؤ المكنون) الصون مما يضر به فى الصفاء والنقاء (جزاء بما كانوا يعملون) أى يفعل ذلك كله بهم جزاء بأعمالهم (لا يسمعون فيها لغوا) باطلا (ولا تأثيما) ولا نسبة الى الاثم أى لا يقال لهم أثمتم (الا قيلا) أى قولا (سلاما سلاما) بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما أو صفته أو مفعوله بمعنى الا أن يقولوا سلاما أو مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود) لا شوك فيه من خضد الشوك اذا قطعه أو مشى أغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب (وطلح) وشجر موز أو أم غيلان وله أنوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بألعين (منضود) نضد حمله من أسفله الى أعلاه (وظل ممدود) منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت (وماء مسكوب) يسكب لهم أين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب أو مصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين فى التنعم بأعلى ما يتصور لاهل المدن شبه حال أصحاب اليمين بأكمل ما يتمناه أهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين الحالين (وفاكهة كثيرة) كثيرة لاجناس (لا مقطوعة) لا تنقطع فى وقت (ولا ممنوعة) لا تمنع عن متناولها بوجه (وفرش مرفوعة) رفيعة القدر أو منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها أنها على الارائك ويدل عليه قوله (انا أنشأناهن انشاء) أى ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابتداء أو اعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رصاجعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا (فجعلناهن أبكارا عربا) متحببات الى أزواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وأبو بكر وروى عن نافع وعاصم مثله (أترابا) فان كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكد أزواجهن (لاصحاب اليمين) متعلق بانشأنا أو جعلنا أو صفة لابكارا أو خبر لمحذوف مثل هن أو لقوله (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) وهى على الوجوه الاول خبر محذوف (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم) فى حر نار ينفذ فى المسام (وحميم) وماء متناه فى الحرارة (وظل من يحموم) من دخان أسود يفعول من الحمة (لا بارد) كسائر الظل (ولا كريم) ولا نافع نفى بذلك ما أوهم الظل من الاستراحة (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) منهمكين فى الشهوات (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث أى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث فى يمينه خلاف برفيها وتحنث اذا تأثم (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا

(قوله حالان من الضمير فى على سرر) اذ التقدير مستقرين على سرر فالمراد من قوله من الضمير فى على أنهما حالان من الضمير المستتر فيها يتعلق به الجار والمجرور (قوله اشعارا بالتفاوت بين الحالين) أى بين حالى السابقين وأصحاب اليمين فان حال أصحاب المدن أعلى من حال أهل البوادى (قوله ابتداء أو اعادة) الاول على أن تكون الحور هى التى خلقت ابتداء فى الجنة من غير أن يكون لها سبق وجود فى الدنيا والثانى على أن تكون هى النساء اللاتى وصفت فى الحديث (قوله أو لقوله ثلة الخ) فتكون اللام فى قوله لاصحاب اليمين بمعنى من وقد أثبته صاحب المغنى واستشهد بشاهدين أحدهما نحو قوله سمعت له صراخا الثانى قول جرير لنا الفضل فى الدنيا وأنفك راغم * ونحن لكم يوم القيامة أفضل لكن فى الاستشهاد الاول ضعف (قوله وهى على الوجوه الاول خبر محذوف) اذ التقدير هم أصحاب اليمين ثلة من الاولين زقوله للدلالة

على انكار البعث مطلقا) يعنى لو لم يكرر الهمزة لدل على انكار بعث التراب والعظام ولا يدل على انكار البعث مطلقا فاذا أورد همزة الانكار على البعث دل على انكاره مطلقا أعم من أن يكون بعث التراب والعظام أو بعث

تراباً (قوله كما دخلت العاطفة) أي كما دخلت الهمزة الواو العاطفة في قوله

تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون) كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقاً وخصها وصافي هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله (أوآباؤنا الأولون) للدلالة على أن ذلك أشد انكاراً في حقهم لتقادم زمانهم والفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر أو بالسكون وقد سبق مثله والعامل في الظرف مادل عليه مبعوثون لا هو للفصل بأن والهمزة (قل ان الأولين والآخرين لمجموعون) وقرئ لمجموعون (الى ميقات يوم معلوم) الى ماوقت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله معلوم له (ثم انكم أيها الضالون المكذبون) أي بالبعث والخطاب لاهل مكة وأشياعهم (لآكلون من شجر من زقوم) من الأولى للابتداء والثانية للبيان (فمالؤن منها البطون) من شدة الجوع (فشاربون عليه من الحميم) لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على معنى الشجر ولفظه وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها (فشاربون شرب الهيم) الابل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم وهيماء قال ذو الرمة

فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد * صداها ولا يقضى عليها هيامها

وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به مافعل بجمع أبيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر من وجه فلا اتحاد وقرأ نافع وحمزة وعاصم شرب بضم الشين (هذا نزلهم يوم الدين) يوم الجزاء فنطعمك بما يكون لهم بعد ما استقر والى الجحيم وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب أليم لان النزل مايعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالأعمال الدالة عليه أو بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة (أفرأيتم ماتمنون) أي ما تقذفونه في الأرحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى أمناها (أأنتم تخلقونه) تجعلونه بشراسويا (أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت) قسمناه عليكم وأقتنا موت كل بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال (ومانحن بمسبوقين) لايسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته أولا يغلبنا أحد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه (على أن نبدل أمثالكم) على الاول حال أوعلة لقدرنا وعلى بمعنى اللام ومانحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة والمعنى على أن نبدل منكم أشباهكم فنخلق بدلكم أو نبدل صفاتكم على أن أمثالكم جمع مثل بمعنى صفة (وننشئكم فيما لاتعلمون) في خلق أوصاف لاتعلمونها (ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون) أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى فانهم أقل صنعاً لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس (أفرأيتم ماتحرثون) تبذرون حبه (أأنتم تزرعونه) تنبتونه (أم نحن الزارعون) المنبتون (لو نشاء لجعلناه حطاماً) هشيماً (فظلتم تفكهون) تعجبون أوتندمون على اجتهادكم فيه أوعلى ما أصبتم لاجله من المعاصي فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظلتم على الأصل (انا لمغرمون) للزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون هلاك رزقنا من الغرام وقرأ أبو بكر أئنا لمغرمون على الاستفهام (بل نحن) قوم (محرومون) حرمنا رزقنا أو محدودون لاجدودون (أفرأيتم الماء الذي تشربون) أي العذب الصالح للشرب (أأنتم أنزلتموه من المزن) من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الأبيض وماؤه أعذب (أم نحن المنزلون) بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمتعلقة بالاستفهام (لو نشاء جعلناه أجاجاً) ملحاً أومن الأجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب الشرط ومايتمحض للشرط ومايتضمن معناه لعلم السامع بمكانها أو الاكتفاء بسبق ذكرها وأيخص مايقصد لذاته ويكون أهم وفقده أصعب بتريد

البدن الميت قبل أن يصير أوآباؤنا الأولون فكأنهم قالوا انا نتكرر أن نكون مبعوثين فبعث الآباء الاقدمين أولى بالانكار (قوله وقرأ نافع وابن عامر بالسكون) أي بسكون الواو (قوله وكل من المعطوف والمعطوف عليه الخ) اذ يمكن أن يكون شرب الحميم على الزقوم من غير أن يكون الشرب المذكور شرب الهيم ويمكن أيضاً أن يكون شرب الهيم من غير شرب الحميم على الزقوم وبتمكن اجتماعهما (قوله وعلى الاول حال أوعلة الخ) أي على أن يكون مسبوقين بمعنى لايسبقنا أحد يكون على أن نبدل حالا والمعنى قادرين على أن نبدل أوعلة لقدرنا دلا يصح تعلقه بمسبوقين وعلى الثاني هو متعلق بمسبوقين اذ المعنى ومانحن بمغلوبين على أن نبدل أمثالكم (قوله على ان أمثالكم جمع مثل) بالتحريك بمعنى الصفة (قوله وفيه دليل على صحة القياس) فانه تعالى أشعر في كلامه على قياس صحة الاعادة بصحة الابداء (قوله أم محدودون لاجدودون) الاول بالحاء المهملة يعني الممنوع من الحظ والثاني بالجيم بمعنى المحظوظ (قوله وحذف اللام الفاصلة بين جواب مايتمحض للشرط ومايتضمن معناه) مايتمحض للشرط

التأكيد (فلولاتشكرون) أمثل هذه النعم الضرورية (أفرأيتم النار التي تورون) تقدحون (أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن) يعني الشجرة التي منها الزناد (نحن جعلناها) جعلنا نار الزناد (تذكرة) تبصرة في أمر البعث كما مر في سورة يس أوفي ظلام أوتذكيرا وأمور جالنار جهنم (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للذين ينزلون القواء وهي القفر أوللذين خلت بطونهم أومزادهم من الطعام من أقوت الدار اذا خلت من ساكنها (فسبح باسم ربك العظيم) فاحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى أو بذكره فان اطلاق اسم الشئ ذكره والعظيم صفة للاسم أوالرب وتعقيب الأمر بالتسبيح لماعدد من بدائع صنعه وانعامه اما للتنزيه عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته أوللتعجب من أمرهم في عمط نعمه أوللشكر على ماعدها من النعم (فلاأقسم) اذالأمر أوضح من أن يحتاج الى قسم أوفأقسم ولامزيدة للتأكيد كما في لئلا يعلم أوفلا أنافاقسم فحذف المبتدا وأشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه قراءة فلاقسم أوفلارد لكلام يخالف المقسم عليه (بمواقع النجوم) بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر لايزول بتأثيره أو بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائي بموقع (وانه لقسم لوتعلمون عظيم) لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته أن لايترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض فانه اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولوتعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة (انه لقرآن كريم) كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد وأحسن مرضي في جنسه (في كتاب مكنون) مصون وهو اللوح المحفوظ (لايمسه الا المطهرون) لايطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة أولايمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهي أولا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون أي أنفسهم أوغيرهم بالاستغفار لهم والاهلام (تنزيل من رب العالمين) صفة ثالثة أورابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب أي نزل تنزيلا (أفبهذا الحديث) يعني القرآن (أنتم مدهنون) متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه ولايتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم) أي شكر رزقكم (أنكم تكذبون) أي بما نحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم أي وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وتكذبون أي بقولكم في القرآن انه سحر وشعر أوفي المطر انه من الانواء (فلولا اذا بلغت الحلقوم) أي النفس (وأنتم حينئذ تنظرون) حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال (ونحن أقرب) أي ونحن أعلم (اليه) الى المحتضر (منكم) عبر عن العلم بالقرب الذي هو أقوى سبب الاطلاع (ولكن لاتبصرون) لاتدركون كنه مايجري عليه (فلولا ان كنتم غير مدينين) أي مجزيين يوم القيامة أو مملوكين مقهورين من دانه اذا أذله واستعبده وأصل التركيب للذل والانقياد (ترجعونها) ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية تكرير للتوكيد وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه مجدكم أفعال الله وتكذيبكم بآياته (ان كنتم صادقين) في أباطيلكم فلولا ترجعون الأرواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم (فأما ان كان من المقربين) أي ان كان المتوفى من السابقين (فروح) فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة (وريحان) ورزق طيب (وجنة نعيم) ذات نعيم (وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك) ياصاحب اليمين (من أصحاب اليمين) أي من اخوانك

هوان ومايتضمن معناه
لو وحاصل ماقال انه حذف
ههنا اللام التي تدخل على
جواب لو ههنا لكثرة
وقوعها في هذا الموقع فاذا
لم تذكر علم انها مقدرة أو
لسبق ذكرها في قوله لو
نشاء لجعلناه حطاما أو
لتخصيص مايقصد لذاته
ويكون فقده أصعب وهو
هلاك الزرع بذكر اللام
لمزيد التأكيد في التهديد
والحذر عما يوجب هلاك
الزرع (قوله فلا أقسم)
الفاء للتعقيب أي بعد اني
عددت النعم والرحمات
المذكورة لاأحتاج الى
القسم بأن القرآن كريم حتى
لايتردد فيه (قوله والدلالة على
وجود مؤثر لايزول) كما
قال ابراهيم عليه السلام عند
غروب الكوكب لاأحب
الآفلين واستدل بالافول
على ان الكوكب لايصلح
للربوبية فوجب موجود
مؤثر لايزول تأثيره أصلا (قوله
والمحضض عليه بلولا الأولى)
فان التحضيض المستفاد
من لولا واقع على ترجعون
فان المقصود التحضيض
على الرجع (قوله وهي بما في
حيزه دليل جواب الشرط)
أي جملة ترجعونها بما تعلق
بها دال عليه اذ المعنى ان
كنتم غير مدينين ارجعوا
النفس الى مقرها

(قوله وذلك مايجد فى القبر من سمومها ودخانها) انما خص القبر بالذكر لان الآيات المذكورة تفصيل حال المتوفى (قوله لانه دلالة جبلية الخ) أى المراد من التسبيح دلالة المسبحين على وجوده وصفاته الكاملة وهذه دلالة جبلية لاتختلف باختلاف الحالات (قوله ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها الخ) انما قال بالنظر الى ذاتها الان كل ممكن

يسلمون عليك (وأمالان كان من المكذبين الضالين) يعنى أصحاب الشمال وانما وصفهم بأفعالهم زجرا عنها واشعارا بما وجب لهم وما أوعدهم به (فنزل من حميم وتصلية جحيم) وذلك مايجد فى القبر من سموم النار ودخانها (ان هذا) أى الذى ذكر فى السورة أو فى شأن الفرق (لهوحق اليقين) أى حق الخبر اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) فنزهه بذكر اسمه تعالى عما لايليق بعظمة شأنه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا

﴿سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح لله مافى السموات والارض) ذكر ههنا وفى الحشر والصف بلفظ الماضى وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شأن ماأسند اليه أن يسبحه فى جميع أوقاته لانه دلالة جبلية لاتختلف باختلاف الحالات ومجىء المصدر مطلقا فى بنى اسرائيل أبلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شئ وفى كل حال وانما عدى باللام وهو متعد بنفسه مثل نصحته فى نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه (وهوالعزيز الحكيم) حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح (له ملك السموات والارض) فانه الموجد لها والمتصرف فيها (يحيى ويميت) استئناف أوخبر لمحذوف وأحال من المجرور فى له (وهوعلى كل شئ) من الاحياء والاماتة وغيرهما (قدير) تام القدرة (هوالاول) السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها (والآخر) الباقى بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها أوهو الاول الذى تبتدأمنه الاسباب وتنتهى اليه المسببات أوالاول خارجا والآخر ذهنا (والظاهر والباطن) الظاهر وجوده الكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلاتكتنهها العقول أوالغالب على كل شئ والعالم بباطنه ولواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين (وهو بكل شئ عليم) يستوى عنده الظاهر والخفى (هوالذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الارض) كالبذور (ومايخرج منها) كالزروع (وماينزل من السماء) كالامطار (ومايعرج فيها) كالابخرة (وهومعكم أينما كنتم) لاينفك علمه وقدرته عنكم بحال (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه (له ملك السموات والارض) ذكر مع الاعادة كما ذكر مع الابداء لانه كالمقدمة لها (والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور) يتكنونها (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) من الاموال التى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيها فهى فى الحقيقة له لالكم أو التى استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتنبيه لمن له على النفس (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان

لابد أن يكون كذلك على ماهو حكم البداهة بخلاف الفناء فى الواقع بزوال الوجود عنها فانه عروضه لكل ممكن يحتاج الى دليل وأما قوله تنتهى اليه المسببات فباعتبار انا اذا اعتبرنا سلسلة من المسببات وابتدأنا من السبب الآخر حتى انتقلنا الى آخر السلسلة التى هى السبب الاول كان الذى بعد تلك السلسلة هو واجب الوجود وقوله أو الاول خارجا بالآخر ذهنا فمعناه انه يقال أول الموجودات فى الخارج اذهو الفاعل الحقيقى لكل ممكن وهو الآخر ذهنا باعتبار ان العقل ينتقل من الممكنات الى الواجب لانه يعلم ان الممكن ليس وجوده من ذاته فيجب انتهاء سلسلة الممكنات الى ماهو وجوده من ذاته وهو الواجب تعالى (قوله فالواو الاولى والاخيرة الخ) انما قال ذلك لانه لامناسبة ظاهرة بين الاول والآخر وبين الظاهر حتى تفيد الواو الجمع بينهما لكن اذا اعتبر مجموع الاولين ومجموع الآخرين ظهرت بينهما مناسبة باعتبار اشتمال كل منهما على صفتين متقابلتين (قوله ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه) أى والانفاق الخلقى دليل على العلم لانا بعد ان نعلم وجود الكائنات نعلم ان مبدعها عالم بها (قوله لانه كالمقدمة لها) أى لان ذكر خلق السموات والارض كالدليل على الاعادة لان العقل يحكم على أن من خلق السموات والارض قادر على الاعادة والبعث كما قال تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم (قوله وفيه حث على الانفاق الخ) لانه لما قال تعالى ان الاموال ليس لكم فى الحقيقة وأنتم

والانفاق و بناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبر (ومالكم لاتؤمنون بالله) أى ومانصنعون غيرمؤمنين به كقولك مالك قائما (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) حال من ضمير تؤمنون والمعنى أى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والآيات (وقد أخذ ميثاقكم) أى وقد أخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأ أبو عمرو على البناء للمفعول ورفع ميثاقكم (ان كنتم مؤمنين) لموجب مافان هذا موجب لامزيد عليه (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم) أى الله أوالعبد (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف رحيم) حيث نبهكم بالرسول والآيات ولم يقتصر على مناصب لكم من الحجج العقلية (ومالكم ألاتنفقوا) وأى شئ لكم فى ألاتنفقوا (فى سبيل الله) فيما يكون قربة اليه (ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شئ فيهما فلايبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان أولى (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة) بيان لتفاوت المنفقين باختلاف أحوالهم من السبق وقوة اليقين وتحرى الحاجات حثا على تحرى الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من أنفق محذوف لوضوحه ودلالة مابعده عليه والفتح فتح مكة اذعز الاسلام به وكثر أهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق (من الذين أنفقوا من بعد) أى من بعد الفتح (وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) أى وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهى الجنة وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء أى وكل وعده الله ليطابق ماعطف عليه (والله بما تعملون خبير) عالم بظاهرها وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت فى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فانه أول من آمن وأنفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا أشرف به على الهلاك (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) أى من الذى ينفق ماله فى سبيله رجاء أن يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحرى أكرم المال وأفضل الجهات له (فيضاعفه له) أى يعطى أجوره أضعافا (وله أجر كريم) أى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه ينبغى أن يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف أضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكأنه قال أيقرض الله أحد فيضاعفه وقرأ ابن كثير فيضعفه مرفوعا وقرأ ابن عامر و يعقوب فيضعفه منصوبا (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله وله أوفيضاعفه أومقدر باذكر (يسعى نورهم) مايوجب نجاتهم وهداياتهم الى الجنة (بين أيديهم وبايمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين (بشراكم اليوم جنات) أى يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم أى المبشر به جنات أو بشراكم دخول جنات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم) الاشارة الى ماتقدم من النور والبشرى بالجنات الخلدة (يوم يقول المنافقون والمنافقات) بدل من يوم ترى (للذين آمنوا انظرونا) انتظرونا فانهم يسرعون بهم الى الجنة كالبرق الخاطف أوانظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين أيديهم وقرأ حمزة أنظرونا على أن اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه (قيل ارجعوا وراءكم) الى الدنيا (فالتمسوا نورا) بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها أوالى الموقف فانه من ثمة يقتبس أوالى حيث شئتم فالطبوا نورا آخر فانه لاسبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين أوالملائكة (فضرب بينهم) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بحائط (له

مستحلفون فى التصرف فيما كان تأكيد فى الانفاق لان المالك للجميع أمر بالانفاق (قوله وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر) أى الحكم بان الأجر الكبير لهم بتقديم الضمير يفيد المبالغة وافادة التنكير اياها لان التنكير يدل على التعظيم (قوله بموجب مالخ) بموجب ما للايمان والتصديق أى ان كنتم مؤمنين بالرسول لدليل قاطع فآمنوا به لهذا الموجب الخاص الذى هو أخذ الميثاق (قوله ليطابق ماعطف عليه) أى ليطابق قوله تعالى أولئك أعظم درجة عند الله الخ فى كون كل منهما جملة اسمية (قوله بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى) انما قال باعتبار المعنى لان شرط النصب ان يقع الاستفهام على الفعل وههنا ليس كذلك بل يقع على الاسم وهو ذا الذى

وانزاله انزال أسبابه والامر باعداده وقيل أنزل الميزان الى نوح عليه السلام ويجوز أن يراد به العدل (ليقوم الناس بالقسط) لتقام به السياسة وتدفع به الاعداء كما قال (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) فان آلات الحروب متخذة منه (ومنافع للناس) اذ ما من صنعة الا والحديد آلاتها (وليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال الاسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا أو اللام صلة لمحذوف أي أنزله ليعلم الله (بالغيب) حال من المستكن في ينصره (ان الله قوى) على اهلاك من أراد اهلاكه (عزيز) لا يفتقر الى نصرة وانما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) بان استنبأ بعضهم وأوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط (فمنهم) فمن الذرية أو من المرسل اليهم وقدم لان عليهم أرسلنا (مهتد وكثير منهم فاسقون) خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على أن الغلبة للاضلال (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم) أي أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه السلام والضمير لنوح وابراهيم ومن أرسلا اليهم أو من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل الملقى بهم من الذرية (وآتيناه الانجيل) وقرئ بفتح الهمزة وأمره أهون من أمر البرطيل لانه أعجمي (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة) وقرئ رآفة على فعالة (ورحمة ورهبانية ابتدعوها) أي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها ورهبانية مبتدعة على أنها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كأنها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان (ما كتبناها عليهم) ما فرضناها عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه ينفي الندب المقصود منه بمجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا أن يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها أو ابتدعوها بمعنى استحدثوها وأتوا بها أولا أنهم اخترعوها من تلقاء أنفسهم (فما رعوها) أي فما رعوها جميعا (حق رعايتها) بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة ولكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام ونحوها اليها (فآتينا الذين آمنوا) أتوا بالايمان الصحيح ومن ذلك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وحافظوا حقوقها (منهم) من المتسمين بانتباعه (أجرهم وكثير منهم فاسقون) خارجون عن حال الاتباع (يا أيها الذين آمنوا) بالرسل المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) محمد عليه الصلاة والسلام (يؤتكم كفلين) نصيبين (من رحمته) لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله ولا يبعد أن يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا بركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره (ويجعل لكم نورا تمشون به) يريد الذي كورفي قوله يسعى نورهم أو الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس (ويغفر لكم والله غفور رحيم ليلا يعلم أهل الكتاب) أي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده أنه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولأن يعلم بادغام النون في الياء (ألا يقدرون على شئ من فضل الله) أن هي المخففة والمعنى انه لا ينالون شيأ مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به أو لا يقدرون على شئ من فضله فضلا عن أن يتصرفوا في أعظمه وهو النبوة فيخصوها بمن أرادوا ويؤيده قوله (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وقيل لاغير مزيدة والمعنى ليعلم أهل الكتاب أنه لا يقدر النبي والمؤمنون به على شئ من فضل الله ولا ينالونه

بالنسبة الى الملائكة اذا أريد بالرسل اياها والمعجزات بالنسبة الى الانبياء اذا أريد امنها (قوله فانه حال يتضمن تعليلا) أي فيه بأس شديد حال من الحديد يدل على تعليل مقدر مثل لتتخذ آلات الحرب منه فيكون وليعلم الله معطوفا على هذا المحذوف (قوله والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم الخ) أي ظاهر المقابلة منهم مهتدون ومنهم ضال لكن عدل الى ما ذكر للمبالغة في الذم بدلالة الكثرة وذكر الفسق مقام الضلال وجمع الفاسق (قوله وهو يخالف قوله ابتدعوها) يعني جعل الاستثناء المذكور متصلا يفيد انه جعلهم متعبدين بها لطلب رضوانه وهذا ينافي أن يكونوا مبتدعين لها من تلقاء أنفسهم الا أن يفسر الابتداع بما ذكر (قوله بضم التثليث والقول بالاتحاد والكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحوها اليه) أي بما ابتدعوه من الرهبانية (قوله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم بركة الاسلام) غرضه ان قوله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين يدل على أنهم ان آمنوا بمحمد آتاهم الله أجر عملهم على دينهم ببركة الاسلام وان كان عملهم بدينهم في زمان محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ دينهم

فيكون وأن الفضل عطفا على لئلا يعلم وقرئ ليلا يعلم ووجهه أن الهمزة حذفت وأدغمت النون فى اللام ثم أبدلت ياء وقرئ ليلا على أن الاصل فى الحروف المفردة الفتح * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله أجمعين

﴿سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الأول مكى والباقى مدنى وآيها اثنتان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله) روى أن خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها أوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقنى فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر أولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بأن الرسول عليه الصلاة والسلام أو المجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وأدغم حمزة والكسائى وأبو عمرو وهشام عن ابن عامر دالها فى السين (والله يسمع تحاوركما) تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب (ان الله سميع بصير) للاقوال والاحوال (الذين يظهرون منكم من نسائهم) الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى مشتق من الظهر وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء أنثى محرم وفى منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان أهل الجاهلية وأصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر (ماهن أمهاتهم) أى على الحقيقة (ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم) فلا تشبه بهن فى الحرمة الا من ألحقها الله بهن كالمرضعات وأزواج الرسول وعن عاصم أمهاتهم بالرفع على لغة بنى تميم وقرئ بامهاتهم وهو أيضا على لغة من ينصب (وانهم ليقولون منكرا من القول) اذ الشرع أنكره (وزورا) منحرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام (وان الله لعفو غفور) لما سلف منه مطلقا أو اذا تيب عنه (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) أى الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما أفسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعى بامساك المظاهر عنها فى النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو أقل ما ينتقض به وعند أبى حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع أو بالظهار فى الاسلام على ان قوله يظهرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون فى الجاهلية وهو قول الثورى أو بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية أو معنى بان يحلف على ما قال وهو قول أبى مسلم أو الى المقول فيها بامساكها أو استباحة استمتاعها أو وطئها (فتحرير رقبة) أى فعليهم أو فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل (من قبل أن يتماسا) أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه أو أن يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير (ذلكم) أى ذلكم الحكم بالكفارة (توعظون به) لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه (والله بما تعملون خبير) لا تخفى عليه خافية (فمن لم يجد) أى الرقبة والذى غاب ماله واجد (فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا) فان أفطر بغير عذر لزمه الاستئناف وان أفطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابى حنيفة ومالك رضى الله تعالى عنهما (فمن لم يستطع) أى الصوم

(قوله فيكون ان الفضل عطفا على أن لا يعلم) فالمعنى ولان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء (قوله وأدغم النون فى اللام ثم أبدلت ياء) انما أدغمت أولا ثم أبدلت ولم يبدل أولا لان علة الابدال القياس على ديوان وقيراط فان الديوان فى الاصل الدوان والقيراط أصله القراط قلبت الواو فى الاولى الى الياء والراء فى الثانى اليها فلما كان هذا القياس علة للابدال فلابد منه

﴿سورة المجادلة﴾

(قوله وقد يشعر الخ) لان قد حرف التوقع وهو من الله محال لان التوقع يفيد عدم العلم فبقى أن يكون التوقع من غيره فهو اما من النبى صلى الله عليه وسلم أو من المرأة المجادلة (قوله وهو أيضا على لغة من ينصب) أى من ينصب خبر ما وهم أهل الحجاز يزيدون الباء (قوله اذ الشبه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه) أى التشبيه بظهر الأم شامل لحرمة امساك المظاهر فى النكاح الزمان المذكور اذ يصح استثناء الحرمة المذكورة عن الظهار اذ يصح ان يقال أنت على كظهر أمى الا فى الامساك فى النكاح (قوله أو بالظهار فى الاسلام) قوله على نقض ما يقتضيه أى العود اما بنقض ما يقتضية الظهار أو بالظهار فى الاسلام (قوله ومن فوائدها الدلالة الخ) لان الفاء تفيد ان العود فى الظهار سبب الكفارة فيفيد انه مهما وجد هذا السبب وجد المسبب الذى هو التحرير (قوله لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه) أى اللفظ الذى هو كظهر أمى عام فى جميع الاستمتاعات من الجانبين والتشبيه أيضا يقتضى عموم

لهرم أو مرض من من أو شبق مفرط فانه صلى الله عليه وسلم رخص للأعرابي المفطر أن يعدل لاجله (فاطعام ستين مسكينا) ستين مدا بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه أقل ماقيل في الكفارات وجنسه المخرج في الفطرة وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين أو لجواز في خلال الاطعام كما قال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه (ذلك) أي ذلك البيان أو التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله (لتؤمنوا بالله ورسوله) أي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم (وتلك حدود الله) لايجوز تعديها (وللكافرين) أي الذين لا يقبلونها (عذاب أليم) هو نظير قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين (ان الذين يحادون الله ورسوله) يعادونهما فان كلا من المتعاديين في حد غير حد الآخر أو يضعون أو يختارون حدودا غير حدودهما (كبتوا) أخزوا أو أهلكوا وأصل الكبت الكب (كما كبت الذين من قبلهم) يعني كفار الأمم الماضية (وقد أنزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وما جاء به (وللكافرين عذاب مهين) يذهب عزهم وتكبرهم (يوم يبعثهم الله) منصوب بمهين أو باضمار اذكر (جميعا) كلهم لايدع أحدا غير مبعوث أو مجتمعين (فينبئهم بما عملوا) أي على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم (أحصاه الله) أحاط به عددا لم يغب منه شئ (ونسوه) لكثرته أو تهاونهم به (والله على كل شئ شهيد) لايغيب عنه شئ (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض) كليا وجزئيا (ما يكون من نجوى ثلاثة) أي مايقع من تناجي ثلاثة ويجوز أن يقدر مضاف أو يؤول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر أمر مرفوع الى الذهن لايتيسر لكل أحد أن يطلع عليه (الا هو رابعهم) الا الله تجعلهم أربعة من حيث انه يشاركهم في الاطلاع عليها والاستئناف من أعم الاحوال (ولا خمسة) ولا نجوى خمسة (الا هو سادسهم) وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين أو لان الله تعالى وتر يحب الوتر والثلاثة أول الاوتار أو لان التشاور لابد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون أو تاويل نجوى بمتناجين (ولا أدنى من ذلك) ولا أقل مما ذكر كالواحد والاثنين (ولا أكثر) كالستة ومافوقها (الا هو معهم) يعلم ما يجري بينهم وقرأ يعقوب ولا أكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى أو محل لا أدنى بان جعلت لا التي لنفي الجنس (أينما كانوا) فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء (ان الله بكل شئ عليم) لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على السواء (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم (ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) أي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة وبنتجون وهو يفتعلون من النجوى وروى عن يعقوب مثله (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) فيقولون السام عليك أو انعم صباحا والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى (ويقولون في أنفسهم) فيما بينهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) يدخلونها (فبئس المصير) جهنم (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا (وتناجوا بالبر والتقوى) بما

حرمة الاستمتاع (قوله أو لجوازه في خلال الاطعام) أي لجواز التماس في خلاله (قوله ويجوز أن يقدر مضاف الخ) أي التركيب بحسب الظاهر يفيدان الله تعالى رابع نجوى ثلاثة وهو صحيح لكن يجوز باحد الوجهين المذكورين (قوله والاستئناف من أعم الاحوال) والمعنى ما يكون من نجوى ثلاثة على حال من الاحوال الاعلى حال أن يكون الله تعالى رابعهم (قوله فان الآية نزلت الخ) وكان تناجيهم على العددين المذكورين (قوله باضمار يتناجون) فيكون المعنى ما يكون من نجوى يتناجون ذلك النجوى ثلاثة فيكون حالا من ضمير تناجوا (قوله ان جعلت لا لنفي الجنس) أي ان جعل لا لنفي الجنس كان أدنى مبنيا على الفتح في اللفظ ومبتدأ في المعنى والاصل فيكون مرفوعا محلا ولا في لا أكثر تأكيد للاولى فيكون أكثر مرفوعا عطفا على محل لا أدنى

يتضمن خبر المؤمنين والانقباء عن معصية الرسول (واتقوا الله الذى اليه تحشرون) فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه (انما النجوى) أى النجوى بالاثم والعدوان (من الشيطان) فانه المزين لها والحامل عليها (ليحزن الذين آمنوا) بتوهمهم أنها فى نكبة أصابتهم (وليس) أى الشيطان أو التناجى (بضارهم) بضار المؤمنين (شيأ الا باذن الله) الا بمشيئته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ولا يبالوا بنجواهم (يأيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس) توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عنى أى تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع أو مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه (فافسحوا يفسح الله لكم) فيما يتردون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها (واذا قيل انشزوا) انهضوا للتوسعة أو لما أمرتم به كصلاة أو جهاد أو ارتفعوا عن المجلس (فانشزوا) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وايوائهم غرف الجنان فى الآخرة (والذين أوتوا العلم درجات) وبرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضى العمل المقرون به من يد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم فى أفعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (والله بما تعملون خبير) تهديد لمن لم يمتثل الامر أو استكرهه (يأيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول وانتفاع الفقراء والنهى عن الافراط فى السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى أنه للندب أو للوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن على كرم الله وجهه ان فى كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح فى غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذ روى أنه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة (ذلك) أى ذلك التصدق (خير لكم وأطهر) أى لانفسكم من الربية وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) أى لمن لم يجده حيث رخص له فى المناجاة بلا تصدق أدل على الوجوب (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أخفتم الفقر من تقديم الصدقة أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين أو لكثرة التناجى (فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) بان رخص لكم أن لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا أوان (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة) فلا تفرطوا فى أداء أمهما (وأطيعوا الله ورسوله) فى سائر الأوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط فى ذلك (والله خبير بما تعملون) ظاهرا وباطنا (ألم تر الى الذين تولوا) والوا (قوما غضب الله عليهم) يعنى اليهود (ماهم منكم ولا منهم) لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك (ويحلفون على الكذب) وهو ادعاء الاسلام (وهم يعلمون) أن المحلوف عليه كذب كن يحلف بالغموس وفى هذا التقييد دليل على أن الكذب يعم ما يعلم الخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروى أنه عليه السلام كان فى خجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان أزرق فقال عليه الصلاة والسلام له علام تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء بأصحابه فحلفوا فنزلت (أعد الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) فتمرنوا على سوء العمل وأصروا عليه (اتخذوا أيمانهم) أى التى حلفوا بها وقرئ

(قوله مستعار لمن له يدان) أى استعير هذا اللفظ من شخص له يدان واستعمل بمعنى القدام اى القبل (قوله فى مدة بقائه) أى فى مدة بقاء الحكم المذكور وهو الامر بالتصدق عند نجواه صلى الله عليه وسلم اذ روى ان الحكم المذكور لم يبق الا عشرة أيام أو ساعة (قوله وهو يشعر بالندبية) لان قوله تعالى ذلك خير لكم وأطهر صريح فى ان التصدق أحسن فعدم التصدق ليس بآثم لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم بدل على الوجوب لان الغفران يناسب التجاوز عن ترك المؤاخذة بالواجب

بالكسر أى ايمانهم الذى أظهروه (جنة) وقاية دون دمائهم وأموالهم (فصدوا عن سبيل الله) فصدوا الناس فى خلال أمنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط (فلهم عذاب مهين) وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فدسبق مثله (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) أى لله تعالى على أنهم مسلمون (كما يحلفون لكم) فى الدنيا ويقولون انهم لمنكم (ويحسبون أنهم على شئ) فى حلفهم الكاذب لان تمكن النفاق فى نفوسهم بحيث تخيل اليهم فى الآخرة أن الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما روجه عليكم فى الدنيا (ألا انهم هم الكاذبون) البالغون الغاية فى الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه (استحوذ عليهم الشيطان) استولى عليهم من حدت الابل وأحذتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء على الاصل (فأنساهم ذكر الله) لايذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم (أولئك حزب الشيطان) جنوده وأتباعه (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) لانهم فوتوا على أنفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب الخالد (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين) فى جملة من هو أذل خلق الله كتب الله فى اللوح (لأغلبن أنا ورسلى) أى بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلى بفتح الياء (ان الله قوى) على نصر أنبيائه (عزيز) لايغلب عليه شئ فى مراده (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) أى لاينبغى أن تجدهم ودين أعداء الله والمراد أنه لاينبغى أن يوادوهم (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) ولوكان المحادون أقرب الناس اليهم (أولئك) أى الذين لم يوادوهم (كتب فى قلوبهم الايمان) أثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب يكون ثابتا فيه وأعمال الجوارح لاتثبت فيه (وأيدهم بروح منه) أى من عند الله وهو نور القلب أو القرآن أو بالنصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحياة القلب (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم) بطاعتهم (ورضوا عنه) بقضائه أو بما وعدهم من الثواب (أولئك حزب الله) جنده وأنصار دينه (ألا ان حزب الله هم المفلحون) الفائزون بخير الدارين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

﴿سورة الحشر مدنية وآيها أربع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) روى أنه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير على أن لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبى المنعوت فى التوراة بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف فى أربعين راكبا الى مكة وحالفوا أبا سفيان فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء فجلأ كثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فأنزل الله تعالى سبح لله الى قوله والله على كل شئ قدير (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر) أى فى أول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك أو فى أول حشرهم للقتال أو الجلاء الى الشأم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله تعالى عنه اياهم من خيبر اليه أو فى أول حشر الناس الى الشأم وآخر حشرهم أنهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك أو أن نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع

﴿سورة الحشر﴾

من مكان الى آخر (ماظننتم أن يخرجوا) لشدة بأسهم ومنعتهم (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أى أن حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة بسببها ويجوز أن تكون حصونهم فاعلا لمانعتهم (فاتاهم الله) أى عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين أى فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم الله أى العذاب أو النصر (من حيث لم يحتسبوا) لقوة وثوقهم (وقذف فى قلوبهم الرعب) وأثبت فيها الخوف الذى يرعبها أى يملؤها (يخربون بيوتهم بايديهم) ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها (وأيدى المؤمنين) فانهم أيضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على أيديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه والجملة حال أو تفسير للرعب وقرأ أبو عمرو يخربون بالتشديد وهو أبلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل أو ترك الشئ خرابا والتخريب الهدم (فاعتبروا يا أولى الابصار) فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على أن القياس حجة من حيث انه أمر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ماقررناه فى الكتب الاصولية (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من أوطانهم (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم فى الآخرة عذاب النار) استئناف معناه أنهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) الاشارة الى ماذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وماهو معد لهم أو الى الاخير (ماقطعتم من لينة) أى شئ قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على ألوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها أليان (أو تركتموها) الضمير لما وتأنيثه لانه مفسر باللينة (قائمة على أصولها) وقرئ أصلها اكتفاء بالضمة عن الواو أو على أنه كرهن (فباذن الله) فبامره (وليخزى الفاسقين) علة لمحذوف أى وفعلتم أو وأذن لكم فى القطع ليجزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روى انه عليه السلام لما أمر بقطع نخيلهم قالوا قد كنت يا محمد تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخل وتحريقهما فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع أشجارهم زيادة لغيظهم (وما أفاء الله على رسوله) وما أعاده عليه بمعنى صيره له أورده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ماخلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين (منهم) من بنى النضير أو من الكفرة (فما أوجفتم عليه) فما أجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) مايركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فىء بنى النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا أو حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيأ الا ثلاثة كانت بهم حاجة (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) بقذف الرعب فى قلوبهم (والله على كل شئ قدير) فيفعل مايريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه (فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) اختلف فى قسم الفىء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله فى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول عليه الصلاة السلام الى الامام على

(قوله وتفسير النظم وتقديم الخبر الخ) اما الدلالة على فرط وثوقهم فمن تقدم مانعتهم لان تقدمه يدل على شدة اهتمامهم بالمنع وأما الدلالة على اعتقادهم فى أنفسهم الخ فلان اسناد الجملة المذكورة الى الضمير الذى هو عبارة عنهم يدل على ايقاع الحكم المذكور صريحا على أنفسهم بخلاف مالو قيل ان حصونهم تمنعهم من الله فانه لايقع الحكم على أنفسهم صريحا انما يعلم ضمنا (قوله من حيث انه أمر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها) أى حمل حال على حال أخرى فى حكم لان المراد من اعتبروا لامر بالعبور من حال الى حال أى من حال الكثرة المذكورة الى حال أنفسهم ولايخفى ان القياس المجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فيكون القياس مأمورا به فيكون حجة وانما قال استدل بصيغة التضعيف لان الاستدلال به ضعيف قد بينه المصنف فى منهاج الاصول (قوله اكتفاء بالضمة عن الواو الخ) أى يكون أصل فى الاصل أصول فحذف الواو اكتفاء بالضمة أو على انه جمع أصل كرهن بضمتين جمع رهن (قوله فانه كان حقيقا بان يكون له الخ) المذكور حقيق بان يكون للرسول لانه جدير بان يكون للمطيعين لما ذكر

قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه الصلاة والسلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور (كيلا يكون) أى الفيء الذى حقه أن يكون للفقراء وقرأ هشام فى رواية بالتاء (دولة بين الاغنياء منكم) الدولة ما يتداول الاغنياء ويدور بينهم كما كان فى الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم وأوخذه غلبة تكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع على كان التامة أى كيلا يقع دولة جاهلية (وما آتاكم الرسول) وما أعطاكم من الفيء أو من الامر (فخذوه) لانه حلال لكم أو فتمسكوا به لانه واجب الطاعة (ومانهاكم عنه) عن أخذه منه أو عن اتيانه (فانتهوا) عنه (واتقوا الله) فى مخالفة رسوله (ان الله شديد العقاب) لمن خالفه (للفقراء المهاجرين) بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن أعطى أغنياء ذوى القربى فى خصص الابدال بما بعده أو الفيء بفيء بنى النضير (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) فان كفار مكة أخرجوهم وأخذوا أموالهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم (وينصرون الله ورسوله) بأنفسهم وأموالهم (أولئك هم الصادقون) فى ايمانهم (والذين تبوّؤا الدار والايمان) عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار الذين ظهر صدقهم فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام أو تبوؤا الدار وأخلصوا الايمان كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره (من قبلهم) من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوّؤا الدار من قبلهم والايمان (يحبون من هاجر اليهم) ولا يثقل عليهم (ولا يجدون فى صدورهم) فى أنفسهم (حاجة) ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ (مما أوتوا) مما أعطى المهاجرون من الفيء وغيره (ويؤثرون على أنفسهم) ويقدمون المهاجرين على أنفسهم حتى ان من كان عنده اصرأتان نزل عن واحدة وزوجها من أحدهم (ولو كان بهم خصاصة) حاجة من خصاص البناء وهى فرجه (ومن يوق شح نفسه) حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل (والذين جاؤا من بعدهم) هم الذين هاجروا حين قوى الاسلام أو التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) أى لاخواننا فى الدين (ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا) حقدا لهم (ربنا انك رؤف رحيم) لحقيق بان تجيب دعاءنا (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) يريد الذين بينهم وبينهم أخوة الكفر أو الصداقة والموالاة (لئن أخرجتم من ديارکم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم) فى قتالكم أو خذلانكم (احدا أبدا) أى من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (وان قوتلتم لننصرنكم) لنعاونكم (والله يشهد انهم لكاذبون) لعلمه بأنهم لا يفعلون ذلك كما قال (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان كذلك فان ابن أبى وأصحابه راسلوا بنى النضير بذلك ثم أخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة وابجاز القرآن (ولئن نصروهم) على الفرض والتقدير (ليولن الادبار) انهزاما (ثم لا ينصرون) بعد بل يخذلهم الله ولا ينفعهم نصرة المنافقين أو نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل أن يكون لليهود وأن يكون للمنافقين (لانتم أشد رهبة) أى أشد مرهوبية مصدر للفعل المبنى للمفعول (فى صدورهم) فانهم

(قوله كالغنيمة) فانها الخمس منها للذكورين فى الآية والاخماس الاربعة للمقاتلين وهو تعليل للفيء الذى هو فى الاصل بمعنى العود فكانه قيل انما عبر بالاعادة التى هى فى الاصل عبارة عن تحصيل شئ لشئ بعد ان حصل له أولا لانه صلى الله عليه وسلم حقيق به فكانه حصل له أولا ثم أعيد اليه (قوله أو الفيء بفيء بنى النضير) يعنى من أعطى أغنياء ذوى القربى من الفيء فاما ان يجعل للفقراء المهاجرين بدلا من اليتامى الخ حتى يكون ذوى القربى باقيا على عمومه مثاملا للاغنياء واما ان يجعل الفيء المخصوص بفقراء ذوى القربى والمذكورين بعدهم فى النضير وأما فى غيرهم فيعطى الاغنياء ذوو القربى أيضا (قوله كان يقسم خمس كذلك) أى تقسيم الخمس الفيء كما ذكر والاخماس الاربعة الباقية من الفيء خاصة له لكن الآن تلك الاخماس على الخلاف المذكور (قوله اذ ضمير الفعلين الخ) المراد من الفعلين ليولون ولا ينصرون فان كانا راجعين الى اليهود كان المعنى هو الاول وان كانا راجعين الى المنافقين كان المعنى هو الثانى

كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين (من الله) على مايظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله (ذلك بانهم قوم لا يفقهون) لايعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلموا أنه الحقيق بان يخشى (لايقاتلونكم) اليهود والمنافقون (جميعا) مجتمعين متفقين (الافى قرى محصنة) بالدروب والخنادق (أومن وراء جدر) لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وأبو عمر وجدار وأمال أبو عمر وفتحة الدال (بأسهم بينهم شديد) أى وليس ذلك اضعفهم وجبنهم فانه يشتد بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولان الشجاع يحبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله (تحسبهم جميعا) مجتمعين متفقين (وقلوبهم شتى) متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم (ذلك بانهم قوم لا يعقلون) مافيه صلاحهم وأن تشتت القلوب يوهن قواهم (كمثل الذين من قبلهم) أى مثل اليهود كمثل أهل بدر أو بنى قينقاع ان صح أنهم أخرجوا قبل النضير أو المهلكين من الامم الماضية (قريبا) فى زمان قريب وانتصابه بمثل اذا التقدير كوجود مثل (ذاقوا وبال أمرهم) سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة (كمثل الشيطان) أى مثل المنافقين فى اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان (اذقال للانسان اكفر) أغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور (فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين) تبرأ عنه مخافة أن يشاركه فى العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال (فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) والمراد من الانسان الجنس وقيل أبو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جارلكم الآية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما وخالدان على أنه خبر ان وفى النار لغو (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد) ليوم القيامة سماه به لدنوه أولان الدنيا كيوم والآخرة كغده وتنكيره للتعظيم وأما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال فلتنظر نفس واحدة فى ذلك (واتقوا الله) تكرير للتأكيد أو الاول فى أداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثانى فى ترك المحارم لاقترانه بقوله (ان الله خبير بما تعملون) وهو كالوعيد على المعاصى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) نساحقه (فأنساهم أنفسهم) فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها أو أراهم يوم القيامة من الهول ما أنساهم أنفسهم (أولئك هم الفاسقون) الكاملون فى الفسوق (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا للجنة والذين استهنوها فاستحقوا النار واحتج به أصحابنا على أن المسلم لايقتل بالكافر (أصحاب الجنة هم الفائزون) بالنعيم المقيم (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) تمثيل وتخييل كما مر فى قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فان الاشارة اليه والى أمثاله والمراد تو بيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ متصدعا على الادغام (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) ماغاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها وما حضر لها من الاجرام وأعراضها وتقديم الغيب لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به أو المعدوم والموجود أو السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة (هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس) البالغ فى النزاهة عما يوجب نقصا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (السلام) ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة (المؤمن) واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار (المهيمن) الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الامن قلبت همزته هاء (العزيز الجبار) الذى جبر خلقه على ما أراده أو جبرحالهم بمعنى أصلحه (المتكبر) الذى تكبر عن كل ما

(قوله على مايظهرونه نفاقا) أى على الطريق الذى يظهرونه نفاقا لان استبطان أى اخفاء رهبة المؤمنين سبب لاظهار رهبة الله أى لما خافوا من المؤمنين نافقوا وأظهروا الايمان والرهبة من الله فكان رهبتهم من المؤمنين أشد من رهبتهم من الله اما لان الاول باطنى والثانى أمر ظاهرى والاول أقوى من الثانى واما لان الاول سبب والثانى مسبب والسبب أقوى من المسبب (قوله اذ التقدير لوجود مثل) أى حصوله فيكون العامل فى قريبا معنى مصدريا (قوله وفى النار لغو) أى ظرف لغو وهو الذى متعلقه مذكور لان المعنى انهما خالدان فى النار فيها حتى يكون الثانى تأكيدا للاول والتقديم لافادة الاختصاص وأما على النصب فهو ظرف مستقر لان متعلقه أمر مقدر هو كائنان اذ المعنى انهما كائنان فى النار (قوله فلاستقلال الانفس النواظر الخ) أى للاشعار بان الانفس الناظرة قليلة وتقليلها كانها نفس واحدة

يوجب حاجة أو نقصانا (سبحان الله عما يشركون) اذ لا يشركه فى شئ من ذلك (هو الله الخالق) المقدر للاشياء على مقتضى حكمته (البارئ) الموجد لها برئا من التفاوت (المصور) الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد ومن أراد الاطناب فى شرح هذه الاسماء وأخواتها فعليه بكتابى المسمى بمنتهى المنى (له الاسماء الحسنى) لا شهادة على محاسن المعانى (يسبح له ما فى السموات والارض) لتنزهه عن النقائص كلها (وهو العزيز الحكيم) الجامع للكمالات بأسرها فانها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

﴿سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلاث عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة فانه لما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو أهل مكة كتب اليهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسل كتابه مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل عليه السلام فأعلم رسول الله فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة فجحدت فهموا بالرجوع فسل على رضى الله تعالى عنه السيف فأخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وليس لى فيهم من يحمى أهلى فأردت أن آخذ عندهم يدا وقد علمت أن كتابى لا يغنى عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره (تلقون اليهم بالمودة) تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة أو أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا أو صفة لاولياء جرت على غير من هى له ولا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط فى الاسم دون الفعل (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) حال من فاعل أحد الفعلين (يخرجون الرسول وإياكم) أى من مكة وهو حال من كفروا أو استئناف لبيانه (أن تؤمنوا بالله ربكم) بأن تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان (ان كنتم خرجتم) عن أوطانكم (جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا (تسرون اليهم بالمودة) بدل من تلقون أو استئناف معناه أى تطائل لكم فى اسرار المودة أو الاخبار بسبب المودة (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أى منكم وقيل أعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة أو مصدرية (ومن يفعله منكم) أى من يفعل الاتخاذ (فقد ضل سواء السبيل) أخطأه (ان يثقفوكم) يظفروا بكم (يكونوا لكم أعداء) ولا ينفعكم لقاء المودة اليهم (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) ما يسوءكم كالقتل والشتم (ودوا لو تكفرون) وتمنوا ارتدادكم ومجىء ودوا وحده بلفظ الماضى للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شئ وأن وداداتهم حاصلة وان لم يثقفوكم (لن تنفعكم أرحامكم) قراباتكم (ولا أولادكم) الذين توالون المشركين لاجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) يفرق بينكم بما تعترا كم من الهول فيفر بعضكم من بعض فمالكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر منكم غدا وقرأ حمزة والكسائى بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وقرأ ابن عامر يفصل على البناء للمفعول وهو بينكم وقرأ عاصم يفصل (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه (قد كانت لكم أسوة حسنة)

﴿سورة الممتحنة﴾ (قوله للتعليق) أى لتعليق الجزاء المقدر بالشرط يعنى تعليق النهى عن اتخاذ الكافرين أولياء بالخروج بسبب الجهاد وابتغاء مرضاة الله

قدوة اسم لما يؤتسى به (فى ابراهيم والذين معه) صفة ثانية أو خبر كان ولكم لغو أو حال من المستكن فى حسنة أو صلة لها لا لاسوة لانها وصفت (اذ قالوا لقومهم) ظرف لخبر كان (انا برآء منكم) جمع برىء كظريف وظرفاء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) أى بدينكم أو بمعبودكم أو بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وآلهتكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) فتنقلب العداوة والبغضاء ألفة ومحبة (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) استثناء من قوله أسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغى أن يأتسوا به فانه كان قبل النهى أو لموعدة وعدها اياه (وما أملك لك من الله من شئ) من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير) متصل بما قبل الاستثناء أو أمر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله (واغفر لنا) ما فرط منا (ربنا انك أنت العزيز الحكيم) ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعى (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة) تكرير لمزيد الحث على التأسى بابراهيم ولذلك صدر بالقسم وأبدل قوله (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) من لكم فانه يدل على أنه لا ينبغى لمؤمن أن يترك التأسى بهم وأن تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) فانه جدير بان يوعد به الكفرة (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون أقاربهم المشركين وتبرؤا عنهم فوعدهم الله بذلك وأنجز اذ أسلم أكثرهم وصاروا لهم أولياء (والله قدير) على ذلك (والله غفور رحيم) لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم) أى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لان قوله (أن تبروهم) بدل من الذين (وتقسطوا اليهم) وتفضوا اليهم بالقسط أى العدل (ان الله يحب المقسطين) العادلين روى أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبى بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم) كمشركى مكة فان بعضهم سعوا فى اخراج المؤمنين وبعضهم أعانوا المخرجين (أن تولوهم) بدل من الذين بدل الاشتمال (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) لوضعهم الولاية فى غير موضعها (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن فى الايمان (الله أعلم بايمانهن) فانه المطلع على ما فى قلوبهن (فان علمتموهن مؤمنات) العلم الذى يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم فى وجوب العمل به (فلا ترجعوهن الى الكفار) أى الى أزواجهن الكفرة لقوله (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) والتكرير للمطابقة والمبالغة أو الاولى لحصول الفرقة والثانية للمنع عن

(قوله ولكم لغو) اى ظرف لغو متعلق بكانت (قوله ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه) جواب سؤال مقدر وهو ان ما أملك لك من الله من شئ ليس ممنوعا من أن يقوله المؤمنون بل لو قاله المؤمن لآخر لكان حسنا فلا ينبغى أن يكون داخلا فى المستثنى والا لم يحسن أن يقوله مؤمن لآخر كما أنه لا ينبغى الاستغفار للكافر فأجاب بان مجموع القولين مستثنى ولا يلزم من استثناء مجموع القولين استثناء كل منهما اذ الاستثناء اخراج شئ عن شئ ولما كان واحد من الجزأين المذكورين خارجا ومستثنى صح أن يقال المجموع مستثنى اذ استثناء الكل يحصل باخراج جزء واحد لانه يوجب خروج المجموع من حيث المجموع (قوله فانه يدل على انه لا ينبغى لمؤمن أن يترك التأسى بهم الخ) لان المفهوم من الآية ان من آمن بالله واليوم الآخر لهم أسوة حسنة فى ابراهيم فمن ترك الاسوة الحسنة كان مؤديا لسوء عقيدته (قوله لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم) وجهان أحدهما أن يكون المعنى غفور لما فرط منكم من الميل لان الميل الى الكفار غير مرضى والثانى أن يكون المعنى رحيم لكم لاجل ما بقى فى قلوبكم من الرحمة على ذوى الارحام فهذه الرحمة طبيعية غير مؤاخذ بها والاول اختيار وعلى الاول حمل قول الزمخشرى لما رأى الله منهم الجد والصبر على الوجد الشديد رحمهم ووعدهم بتيسير ما تمنوه (قوله لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) أى المراد من الكفار الازواج والا لم يكن لقوله تعالى ولا هم يحلون لهن الخ فائدة اذ من المعلوم ان غير الازواج ليس بينهم وبينهن حل (قوله للمطابقة) هى ان يذكر شيآن بينهما تقابل فى الجملة فان حكم الرجل يقابل حكم المرأة (قوله أو الاول لحصول الفرقة الخ) أى عدم حل الزوجات لهم لحصول الفرقة بالاسلام وعدم حل الازواج لهن للدلالة على منع الاستئناف للنكاح وغرضه انه ليس هنا تكرير معنى واحد بل معنى الجملة الاولى حصول الفرقة بين الزوجين المذكورين ومعنى

الاستئناف (وآتوهم ما أنفقوا) ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على أن من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردّهن لورود النهي عنه لزمه ردّ مهورهن اذ روى أنه عليه السلام كان بعد الحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما أنفق وتزوّجها عمر رضي الله تعالى عنه (ولا جناح عليكم ان تنكحوهن) فان الاسلام حال بينهن و بين أزواجهن الكفار (اذا آتيتموهن أجورهن) شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) بما يعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسكوا بالتشديد (واسئلوا ما أنفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار (وليسئلوا ما أنفقوا) من مهور أزواجهم المهاجرات (ذلكم حكم الله) يعني جميع ما ذكر في الآية (يحكم بينكم) استئناف أو حال من الحكم على حذف الضمير أو جعل الحكم حاكما على المبالغة (والله عليم حكيم) يشرع ما تقتضيه حكمته (وان فاتكم) وان سبقكم وانفلت منكم (شئ من أزواجكم) أحد من أزواجكم وقد قرئ به وايقاع شئ موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم أو شئ من مهورهن (الى الكفار فعاقبتم) فجاءت عقبتكم أي نوبتكم من أداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روى أنه لما نزلت الآية المتقدمة أبى المشركون أن يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) فان الايمان به يقتضي التقوى منه (يأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك أن لا يشركن بالله شيأ) نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء (ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) يريد وأد البنات (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف) في حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع أن الرسول لا يامر الا به تنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق (فبايعهن) اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء (واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعني عامة الكفار أو اليهود اذ روى أنها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم (قد يئسوا من الآخرة) لكفرهم بها أو لعلمهم بانهم لا حظ لهم فيها عند اهدار الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) أن يبعثوا أو يثابوا أو ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على أن الكفر آيسهم * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

* سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها أربع عشرة آية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) سبق تفسيره (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) روى أن المسلمين قالوا لو علمنا أحب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فانزل الله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فولوا يوم أحد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر على حذف ألفها مع حرف الجر لكثرة استعمالها مع ما واعتناقها معها للدلالة على المستفهم عنه (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) المقت أشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة

الثانية منع الزوج عن استئناف النكاح (قوله أبى المشركون أن يردوا مهر الكوافر فنزلت) أى فنزلت الآية وأفادت ان للمؤمنين يعطوا مهر الكوافر الى أزواجهن المؤمنين قال العلامة الطيبي ان فاتت امرأة تسلم الى الكفار ولم يعط الكفار مهرها فاذا فاتت امرأة من المشركين مهرها مثل مهر زوجته الف ثبتة أعطى من مهر هذه المهاجرة ليكون كالعوض لمهر زوجته لفائتة الى الكفار ولا يجوز أن يعطى مهر هذه المهاجرة الى زوجها الكافر (قوله وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع الضمير الخ) لان الكافر بسبب كفره يئس من البعث لاعتقاده عدمه ونوعه

* سورة الصف *

(قوله واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه) أى اتصالهما وتوافقهما فيه أى لما اتصلا وتوافقا فيه ناسب ان يجعلا في صورة حرف واحد

على أن قولهم هذا مع قت خالص كبر عندهم يحقر دونه كل عظيم مبالغة فى المنع عنه (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) مصطفين مصدر وصف به (كأنهم بنيان مرصوص) فى تراصهم من غير فرجة حال من المستكن فى الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء ببعض واستحكامه (واذ قال موسى لقومه) منذر باذكر اوكان كذا (ياقوم لم تؤذوننى) بالعصيان والرمى بالأدرة (وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم) بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم (فلما زاغوا) عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب (والله لا يهدى القوم الفاسقين) هداية موصلة الى معرفة الحق أوالى الجنة (واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل) واعلم لم يقل ياقوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا) فى حال تصديقى لما تقدمنى من التوراة وتبشيرى برسول يأتى من بعدى والعامل فى الحالين ما فى الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل (برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام والمعنى ان دينى التصديق بكتب الله وأنبيائه فذكر أول الكتب المشهورة الذى حكم به النبيون والنبىّ الذى هو خاتم المرسلين (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) الاشارة الى ماجاء به أوالبه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائى هذا ساحر على أن الاشارة الى عيسى عليه السلام (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام) أى لا أحد هم أظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضى له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانه يهم اثبات المنفى ونفى الثابت وقرئ يدعى يقال دعاه ودّاه كغلبه وتغلبه (والله لا يهدى القوم الظالمين) لا يرشدهم الى ما فيه فلاح هم (يريدون ليطفؤا) أى يريدون أن يطفؤا والارادة مزيد قلما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها فى لا أبالك أو يريدون الافتراء ليطفؤا (نور الله) يعنى دينه أوكتابه أوحجته (بأفواههم) بطعنهم فيه (والله متم نوره) مبالغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بالاضافة (ولوكره الكافرون) ارغامالهم (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) بالقرآن أوالمعجزة (ودين الحق) واللة الحنيفية (ليظهره على الدين كله) ليغلبه على جميع الاديان (ولوكره المشركون) لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك (يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدى الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جىء بلفظ الخبر اذا بان ذلك مما لا يترك (ذلكم خير لكم) يعنى ماذكر من الايمان والجهاد (ان كنتم تعلمون) ان كنتم من أهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله (يغفر لكم ذنوبكم) جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر أوالشرط أواستفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا أوهل تقبلون أن أدلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل أدلكم لان مجرد دلالته لا توجب المغفرة (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم) الاشارة الى ماذكر من المغفرة وادخال الجنة (وأخرى تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة أخرى عاجلة محبوبة وفى تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل أخرى منصوبة باضمار يعطيكم أوتحبون أومبتدأ خبره (نصر من الله) وهو على الاول بدل أوبيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل أوالاختصاص أوالمصدر (وفتح قريب) عاجل (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل

(قوله لا الجار الخ) أى ليس العامل فيها حرف الجر الذى هو اللام فى اليكم اذ هو صلة الرسول فلا يعمل وانما يعمل اذا كان مستقرا بتقدير عامل (قوله وانما جىء بلفظ الخبر اذا بان ذلك مما لا يترك) يعنى لو جىء بلفظ الامر لكان ظاهرا فى انه لم يكن حاصلا لكنه يطلب حصوله واذا أورد بلفظ الخبر كان ظاهرا فى أنه حاصل ولم يترك (قوله وعلى قول النصب خبر محذوف) أى على القول بان أخرى منصوبة يكون نصر من الله خبر محذوف (قوله وقرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل) أى الاختصاص أوالمصدر فالاول على تقدير أن يكون أخرى منصوبا والثانى بتقدير أعنى والثالث بتقدير نصر نصرا من الله وفتح فتحا قريبا

يأيها الذين آمنوا بشر أو على تؤمنون فانه فى معنى الامر كأنه قال آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم يارسول الله بما وعدتهم عليهما آجلا وعاجلا (يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) وقرأ الحجازيان وأبو عمرو بالتنوين و للام لان المعنى كونوا بعض أنصار الله (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله) أى من جندى متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله تعالى (قال الحواريون نحن أنصار الله) والاضافة لاولى اضافة أحد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى بن مريم أو كونوا أنصارا كما قال الحواريون حين قال لهم عيسى من أنصارى الى الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا من الحور وهو البياض (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة) أى بعيسى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) بالحجة أو بالحرب وذلك بعد رفع عيسى (فأصبحوا ظاهرين) فصاروا غالبين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

﴿سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم) وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح (هو الذى بعث فى الاميين) أى فى العرب لان أكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن (رسولا منهم) من جملتهم أميا مثلهم (يتلوا عليهم آياته) مع كونه أميا مثلهم ليعهد منه قرا ولا تعلم (ويزكيهم) من خبائث العقائد والاعمال (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والشريعة أو معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه (وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبى يرشدهم وازاحة لما يتوهم أن الرسول تعلم ذلك من معلم وان هى المخففة واللام تدل عليها (وآخرين منهم) عطف على الاميين أو المنصوب فى يعلمهم وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع (لما يلحقوا بهم) لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون (وهو العزيز) فى تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة (الحكيم) فى اختياره وتعليمه (ذلك فضل الله) ذلك الفضل الذى امتازه عن أقرانه فضله (يؤتيه من يشاء) تفضلا وعطية (والله ذو الفضل العظيم) الذى يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة أو نعيمهما (مثل الذين حملوا التوراة) عاملوها وكلفوا العمل بها (ثم لم يحملوها) لم يعملوا بها أو لم ينتفعوا بما فيها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) كتبا من العلم يتعب فى حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال و لعامل فيه معنى المثل أو صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أى مثل الذين كذبوا بها اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام و يجوز أن يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفا (والله لا يهدى القوم الظالمين قل يأيها الذين هادوا) تهودوا (ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس) اذ كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه (فتمنوا الموت) فتمنوا من الله أن يميتكم و ينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة (ان كنتم صادقين) فى زعمكم (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصى (والله عليم بالظالمين) فيجازيهم على أعمالهم (قل ان الموت الذى تفرون منه) وتخافون أن تتمنوه لسانكم مخافة أن يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم (فانه ملاقيكم) لا محيد بكم لا تفوتونه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكأن فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغير فاء و يجوز أن يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة (ثم تردون الى

(قوله لما يطابق قوله الخ) أى يجب أن يكون الى بمعناها و التقدير ماذكرنا أن يكون بمعنى مع لانه لا يناسب قوله تعالى قال الحواريون نحن انصار الله (قوله والاضافة الاولى اضافة أحد المتشاركين الى الآخر الخ) أى اضافة أنصارى الاضافة المذكورة وأما الاضافة الثانية وهو أنصار الله فمن اضافة اسم الفاعل الى المفعول

﴿سورة الجمعة﴾

(قوله واراحة لما يتوهم ان الرسول يعلم ذلك من معلم) لانهم لما كان كلهم فى ضلال مبين لم يكن بينهم من يعلم النبى منهم (قوله والعامل فيه معنى المثل) والتقدير كمثل الحمار مماثلته حاملا اسفارا (قوله مثل الذين كذبوا) يعنى ان المخصوص محذوف وأقيم المضاف اليه مقامه

عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) بان يجازيكم عليه (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة) أى اذا أذن لها (من يوم الجمعة) بيان لاذا وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لؤى لاجتماع الناس فيه اليه وأول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم المدينة نزل قباء فاقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة فى وادلبنى سالم بن عوف (فاسعوا الى ذكر الله) فامضوا اليه مسرعين فصد فان السعى دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلاة والامر بالسعى اليها يدل على وجوبها (وذروا البيع) واتركوا المعاملة (ذلكم) أى السعى الى ذكر الله (خير لكم) من المعاملة فان نفع الآخرة خير وأبقى (ان كنتم تعلمون) الخير والشر الحقيقيين أو ان كنتم من أهل العلم (فاذا قضيت الصلاة) أديت وفرغ منها (فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفى الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ فى الله (واذكروا الله كثيرا) واذكر وه فى مجامع أحوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلاة (لعلكم تفلحون) بخير الدارين (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يخطب للجمعة فقرت عليه عير تحمل الطعام فخرج الناس اليها الا اثنى عشر رجلا فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو اما الطبل الذى كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته أو للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو أولى بذلك وقيل نقدره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها واذا رأوا لهوا انفضوا اليه (وتركوك قائما) أى على المنبر (قل ما عند الله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة) فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما تلهوهم ون من نفعهما (والله خير الرازقين) فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها فى أمصار المسلمين

﴿سورة المنافقين مدنية وآياها احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله (والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) لانهم لم يعتقدوا ذلك (اتخذوا أيمانهم) حلفهم الكاذب أو شهادتهم هذه فانها تجرى مجرى الحلف فى التوكيد وقرئ ايمانهم (جنة) وقاية من القتل والسبى (فصدوا عن سبيل الله) صدا أو صدودا (انهم ساء ما كانوا يعملون) من نفاقهم وصدهم (ذلك) اشارة الى الكلام المتقدم أى ذلك القول الشاهد على سوء أعمالهم أو الى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان (بانهم آمنوا) بسبب أنهم آمنوا ظاهرا (ثم كفروا) سرا أو آمنوا اذارأوا آية ثم كفروا حيث سمعوا من شياطينهم شبهة (فطبع على قلوبهم) حتى تمرنوا على الكفر فاستحكم فيه (فهم لا يفقهون) حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) لنضارتها وصباحتها (وان يقولوا تسمع لقولهم) لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن أبى جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمع مثله فيعجب بهيكلهم ويصغى الى كلامهم (كأنهم خشب مسندة) حال من الضمير المجرور فى لقولهم أى تسمع لما يقولونه مشبهين بأخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهى الخشبة التى

﴿سورة المنافقين﴾ (قوله ولذلك صدق المشهود به) لايخفى ان كون الشهادة ماذكر لايوجب تصديق المشهود به وانما هو سبب لتكذيبهم فى الشهادة

نخرجوفها شهولها فى حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ أبو عمرو والكسائى وقنبل عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف أو على انه كبدن فى جمع بدنة (يحسبون كل صيحة عليهم) أى واقعة عليهم لجبنهم وتهامهم فعليهم ثانى مفعولى يحسبون ويجوز أن يكون صلته والمفعول (هم العدو) وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله (فاحذرهم) عليه يدل على أن الضمير للمنافقين (قاتلهم الله) دعاء عليهم وهو طلب من ذاته أن يلعنهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق (واذ قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك وقرأ نافع بتخفيف الواو (ورأيتهم يصدون) يعرضون عن الاستغفار (وهم مستكبرون) عن الاعتذار (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ان يغفر الله لهم) لرسوخهم فى الكفر (ان الله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن مظلة الاستصلاح لانهما كهم فى الكفر والنفاق (هم الذين يقولون) أى للانصار (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) يعنون فقراء المهاجرين (ولله خزائن السموات والارض) بيده الارزاق والقسم (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك لجهلهم بالله (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) روى أن اعرابيا نازع أنصاريا فى بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابى رأسه بخشبة فشكى الى ابن أبى فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراآت مصدر أو حال على تقدير مضاف كخروج أو اخراج أو مثل (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ولله الغلبة والقوة ولمن أعزه من رسوله والمؤمنين (ولكن المنافقين لا يعلمون) من فرط جهلهم وغرورهم (يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوات وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيهه النهى اليها للمبالغة ولذا قال (ومن يفعل ذلك) أى اللهو بها وهو الشغل (فأولئك هم الخاسرون) لانهم باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى (وأنفقوا مما رزقناكم) بعض أموالكم ادخارا للآخرة (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى يرى دلائله (فيقول رب لولا أخرتنى) هلا أمهلتنى (الى أجل قريب) أمد غير بعيد (فأصدق) فأتصدق (وأكن من الصالحين) بالتدارك وجزم أكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرأ أبو عمرو وأكون منصوبا عطفا على أصدق وقرئ بالرفع على وأنا أكون فيكون عدة بالصلاح (ولن يؤخر الله نفسا) ولن يمهلها (اذا جاء أجلها) آخر عمرها (والله خبير بما تعملون) فيجازيه وقرأ أبو بكر بالياء ليوافق ما قبله فى الغيبة * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

* سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثمانى عشرة آية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض) بدلالتها على كماله واستغنائه (له الملك وله الحمد) قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة (وهو على كل شئ قدير) لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما دعا فقال (هو الذى خلقكم فمنكم كافر) مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه (ومنكم مؤمن) مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه (والله بما تعملون بصير) فيعاملكم بما يناسب أعمالكم (خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة البالغة (وصوركم

(قوله وجمعه بالنظر الى الخبر) أى الظاهر ان يقال كل صيحة عليهم هى العدو لانه راجع الى كل صيحة لكنه جمع بالنظر الى الخبر لان العدو كثير ذو عقول

(قوله وجزم أكن للعطف على موضع الفاء وما بعده) لان التقدير ان أمهلتنى لاجل القريب أصدق فيكون أصدق مجزوما محلا بجواب الشرط

* سورة التغابن *

(قوله من حيث الحقيقة) اما قيد بذلك ليفيد ان جميع النعم مخلوقة له تعالى واعطاؤها منه حقيقة لا من غيره وليس لغيره مدخل فيه فى الحقيقة لان المتبادر من التركيب ان جميع الملك والحمد له حقيقة والتخصيص بالبعض باعتبار انه لما كان خالقا لقدرة العبد وارادته فكان كل ما فعله العبد من الفعل الجميل بسبب فعل الله فحمد العبد راجع الى حمد الله تعالى بهذا التأويل خروج عن الظاهر ولا حاجة اليه

(قوله ثم شرع فيما دعاه) وهو قدرته تعالى على كل شئ

فأحسن صوركم) فصوركم من جملة ما خلق فيهما بأحسن صورة حيث زينكم بصفوة أوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم أنموذج جميع المخلوقات (واليه المصير) فأحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم (يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه ما يصح أن يعلم كليا كان أو جزئيا لان نسبة المقتضى لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته أولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء (ألم يأتكم) يا أيها الكفار (نبأ الذين كفروا من قبل) كقوم نوح وهود وصالح عليهم السلام (فذاقوا وبال أمرهم) ضرر كفرهم فى الدنيا وأصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة (ذلك) اى المذكور من الوبال والعذاب (بأنه) بسبب أن الشأن (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا أبشر يهدوننا) أنكروا وتعجبوا من أن يكون الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع (فكفروا) بالرسل (وتولوا) عن التدبر فى البينات (واستغنى الله) عن كل شئ فضلا عن طاعتهم (والله غنى) عن عبادتهم وغيرها (حميد) يدل على حمده كل مخلوق (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما أن بما فى حيزه (قل بلى) أى بلى تبعثون (وربى لتبعثن) قسم أكد به الجواب (ثم لتنبؤن بما عملتم) بالمحاسبة والمجازاة (وذلك على الله يسير) لقبول المادة وحصول القدرة التامة (فآمنوا بالله ورسوله) محمد عليه الصلاة والسلام (والنور الذى أنزلنا) يعنى القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه (والله بما تعملون خبير) فمجاز عليه (يوم يجمعكم) ظرف لتنبؤن أو مقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم (ليوم الجمع) لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين (ذلك يوم التغابن) يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على أن التغابن الحقيقى وهو التغابن فى أمور الآخرة لعظمها ودوامها (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) أى عملا صالحا (يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما (ذلك الفوز العظيم) الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) كأنها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله) الا بتقديره وارادته (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمزة أى يسكن (والله بكل شئ عليم) حتى القلوب وأحوالها (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين) أى فان توليتم فلا باس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ (الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لان ايمانهم بان الكل منه يقتضى ذلك (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) يشغلكم عن طاعة الله أو يخاصمكم فى أمر الدين أو الدنيا (فاحذروهم) ولا تأمنوا غوائلهم (وان تعفوا) عن ذنوبهم بترك المعاقبة (وتصفحوا) بالاعراض وترك التثريب عليها (وتغفروا) باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها (فان الله غفور رحيم) يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم (انما أموالكم وأولادكم فتنة) اختبار لكم (والله عنده أجر عظيم) لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعى لهم (فاتقوا الله ما استطعتم) أى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم (واسمعوا) مواعظه (وأطيعوا) أوامره (وأنفقوا) فى وجوه

(قوله فانه باعجازه ظاهر بنفسه الخ) هذا بيان معنى النور (قوله لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء الخ) هذا غبن فى الحقيقة فان الغبن أخذ الامر النافع من الغير وأما نزول الاشقياء منازل السعداء لو كانوا أشقياء فغبن على طريق التهكم كما صرح صاحب به فى الكشاف (قوله كأنها والآية المتقدمة الخ) لانه يفهم من الاثنين منازل السعداء والاشقياء وفيها اشعار بالتغابن

الخير خالصا لوجهه (خيرا لانفسكم) أى افعلوا ماهو خيرا لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف تقديره انفاقا خيرا أو خبرا لكان مقدرا جوابا لاوامر (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) سبق تفسيره (ان تقرضوا الله) تصرفوا المال فيما أمره (قرضا حسنا) مقرونا بالاخلاص وطيب قلب (يضاعفه لكم) يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة وأكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم (و يغفر لكم) ببركة الانفاق (والله شكور) يعطى الجزيل بالقليل (حليم) لايعاجل بالعقوبة (عالم الغيب والشهادة) لايخفى عليه شئ (العزيز الحكيم) تام القدرة والعلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة والله أعلم

﴿سورة الطلاق مدنية وآياتها اثنتا عشرة أو احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يأيها النبى اذا طلقتم النساء) خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام أمته فنداؤه كندائهم أولان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا أردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه (فطلقوهن لعدتهن) أى فى وقتها وهو الطهر فان اللام فى الازمان ومايشبهها للتوقيت ومن عد العدة بالحيض عانى اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على أن العدة بالاطهار وأن طلاق المعتدة بالاقراء ينبغى ان يكون فى الطهر وأنه يحرم فى الحيض من حيث ان الامر بالشئ يستلزم النهى عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهى لايستلزم الفساد كيف وقد صح أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لما طلق امرأته حائضا أمره النبى صلى الله عليه وسلم بالرجعة وهو سبب نزوله (وأحصوا العدة) واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء (واتقوا الله ربكم) فى تطويل العدة والاضرار بهن (لاتخرجوهن من بيوتهن) من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضى عدتهن (ولايخرجن) باستبدادهن اما لوتفقا على الانتقال جاز اذا لحق لايعدوهما وفى الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله (الأن يأتين بفاحشة مبينة) مستثنى من الاول والمعنى الأن تبذو على الزوج فانه كالنشوز فى اسقاط حقها والأن تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها أومن الثانى للمبالغة فى النهى والدلالة على أن خروجها فاحشة (وتلك حدود الله) الاشارة الى الاحكام المذكورة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) بان عرضها للعقاب (لاتدرى) أى النفس أوأنت أيها النبى أوالمطلق (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) وهو الرغبة فى المطلقة برجعة أواستئناف (فاذا بلغن أجلهن) شارفن آخر عدتهن (فامسكوهن) فراجعوهن (بمعروف) بحسن عشرة وانفق مناسب (أوفارقوهن بمعروف) بايفاء الحق وانقاء الضرار مثل أن يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها (وأشهدوا ذوى عدل منكم) على الرجعة أو الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله وأشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعى وجوبه فى الرجعة (وأقيموا الشهادة) أيها الشهود عند الحاجة (لله) خالصا لوجهه (ذلكم يوعظ به) يريد الحث على الاشهاد والاقامة أوعلى جميع مافى الآية (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) فانه المنتفع به والمقصود بذكره (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الانقياء عما نهى عنه صريحا أوضمنا من الطلاق فى الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدى حدود الله وكمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله مخرجا مما فى شأن الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من

﴿سورة الطلاق﴾ (قوله والمعنى اذا أردتم تطليقهن) انما أول بذلك لان المتبادر من ظاهر الكلام اذا طلقتم النساء فطلقوهن مرة أخرى وهو غير مراد (قوله فان اللام فى الازمان ومايشبهها للتوقيت) هذا الحكم فيما يشبهها صحيح وأما فى الاوقات أنفسها فلا اذ يلزم تكرار الوقت مرتين أحدهما اللام دلت على الوقت والثانى نفس الوقت والظاهر أن يقال ان اللام فى الاوقات بمعنى فى وقد مر من المصنف فى قوله تعالى قل انما علمها عند ربى لايجليها لوقتها الاهو ان اللام فى لوقتها للتوقيت وتكلمنا عليه (قوله وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار الخ) لانه لو كانت بالحيض لاحتيج الى تقدير وهو خلاف الظاهر واذا كانت العدة بالاطهار ينبغى أن يكون الطلاق فى الطهر اذ لو كان فى الحيض لزم تطويل العدة وكذا يدل على انه يحرم فى الحيض لانه تعالى أمر بالطلاق فى الطهر فلزم النهى عنه فى الحيض المذكر (قوله صريحا أوضمنا) فالذى هو الانقياء عن الطلاق فى الحيض والاضرار بالمعتدة لانهما منهيان عنهما ضمنا لا صريحا والأول وهو منهى عنه صريحا فالاخراج من المسكن وتعدى حدود الله

وجه لم يخطر بباله أو بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون أو كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروى أن سالم بن عوف بن مالك الاشجعى أسره العدو فشكا أبوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اتق الله وأكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينما هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها وفى رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) كافيه (ان الله بالغ أمره) يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص بالاضافة وقرئ بالغ أمره أى نافذ وبالغا على أنه حال والخبر (قد جعل الله لكل شئ قدرا) تقديرا أو مقدارا أو أجلا لا يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تاقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سيأتى من مقاديرها (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) لكبرهن (ان ارتبتم) شككتم فى عدتهن أى جهلتم (فعدتهن ثلاثة أشهر) روى أنه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللاتى لم يحضن فنزلت (واللائى لم يحضن) أى واللائى لم يحضن بعد كذلك (وأولات الاحمال أجلهن) منتهى عدتهن (ان يضعن حملهن) وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن والمحافظة على عمومه أولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا لان عموم أولات الاحمال بالذات وعموم أزواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلافه ثمة ولانه صح أن سبيعة بنت الحرث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجى ولانه متأخر النزول فتقديمه فى العمل تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه (ومن يتق الله) فى أحكامه فيراعى حقوقها (يجعل له من أمره يسرا) يسهل عليه أمره ويوفقه للخير (ذلك أمر الله) اشارة الى ما ذكر من الاحكام (أنزله اليكم ومن يتق الله) فى أحكامه فيراعى حقوقها (يكفر عنه سيآته) فان الحسنات يذهبن السيآت (ويعظم له أجرا) بالمضاعفة (أسكنوهن من حيث سكنتم) أى مكانا من مكان سكناكم (من وجدكم) من وسعكم أى مما تطيقونه أو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم (ولا تضاروهن) فى السكنى (لتضيقوا عليهن) فتلجؤهن الى الخروج (وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده (فان أرضعن لكم) بعد انقطاع علقة النكاح (فآتوهن أجورهن) على الارضاع (وأتمروا بينكم بمعروف) وليأمر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والاجر (وان تعاسرتم) تضايقتم (فسترضع له أخرى) امرأة أخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) أى فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أى عاجلا أو آجلا (وكأين من قرية) أهل قرية (عتت عن أمر ربها ورسله) أعرضت عنه اعراض العاتى المعاند (فحاسبناها حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (وعذبناها عذابا نكرا) منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضى للتحقيق (فذاقت وبال أمرها) عقوبة كفرها ومعاصيها (وكان عاقبة أمرها خسرا) لا ربح فيه أصلا (أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها فى قوله (فاتقوا الله يا أولى الالباب) ويجوز

(قوله مؤكدة لما سبق الى قوله بأن يجعل الله له مخرجا الخ) أى هذه الجملة الاعتراضية مؤكدة لما سبق بسبب انها مشتملة على الوعد بالاتقاء المذكور والوعد هو أن يجعل الله له مخرجا مما فى شأن الازواج أو بسبب الوعد لعامة المتقين (قوله لان عموم أولات الأحمال بالذات وعموم أزواجا بالعرض) لان الجمع المعرف موضوع للعموم دون المنكر فاذا عم فبسبب شئ آخر (قوله والحكم معلل ههنا بخلافه ثم) أى الحكم بأن أولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن علته معللة لان عند وضع الحمل تتيقن براءة الرحم واما تربص أربعة أشهر وعشرا فلا يتيقن منه البراءة (قوله فتقديمه تخصيص الخ) أى ترجيح هذه الآية واعتبار عمومها تخصيص للآية السابقة فى النزول وترجيح الآية السابقة على الآية اللاحقة مستلزم لبناء العام الذى هو أولات الاحمال أجلهن الخ على الخاص الذى هو والذين يتوفون منكم الخ أى بأن يجعل العام مرادا منه بعض الافراد الذى هو غير المتوفى عنها زوجها لكن الاول راجح لان التخصيص متفق عليه بخلاف بناء العام على الخاص فانه مما يختلف فيه العلماء

أن يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واتباعها فى صحف الحفظة وبالعذاب ما أصيبوا به عاجلا (الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا) يعنى بالذكر جبريل عليه السلام لكثرة ذكره أو لنزوله بالذكر وهو القرآن أو لانه مذكور فى السموات أو ذاذكر أى شرف أو محمدا عليه الصلاة والسلام لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا أو لانه مسبب عن انزال الوحى اليه وأبدل منه رسولا للبيان أو أراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل أرسل أو ذكرا مصدر ورسولا مفعوله أو بدله على أنه بمعنى الرسالة (يتلوا عليكم آيات الله مبينات) حال من اسم الله أو صفة رسولا والمراد بالذين آمنوا فى قوله (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين آمنوا بعد انزاله أى ليحصل لهم ماهم عليه لان من الايمان والعمل الصالح أوليخرج من علم أوقدر أنه يؤمن (من الظلمات الى النور) من الضلالة الى الهدى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون (قد أحسن الله له رزقا) فيه تعجيب وتعظيم لما رزقوا من الثواب (الله الذى خلق سبع سموات) مبتدأ وخبر (ومن الارض مثلهن) أى وخلق مثلهن فى العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر (يتنزل الامر بينهن) أى يجرى أمر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن (لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) علة لخلق أوليتزل أوضمير يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) روى أنه عليه الصلاة والسلام خلا بمارية فى نوبة عائشة رضى الله تعالى عنها أوحفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت (تبتغى مرضات أزواجك) تفسير لتحريم أوحال من فاعله أواستئناف لبيان الداعى اليه (والله غفور) لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما أحله الله (رحيم) رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة أو لاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا تحنث من قولهم حلل فى يمينه اذا استثنى فيها واحتج بها من رأى التحريم مطلقا أوتحريم المرأة بمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه الصلاة والسلام أتى بلفظ اليمين كما قيل (والله مولاكم) متولى أمركم (وهو العليم بما يصلحكم (الحكيم) المتقن فى أفعاله وأحكامه (واذأسر النبى الى بعض أزواجه) يعنى حفصة (حديثا) تحريم مارية أوالعسل وأن الخلافة بعده لابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما (فلما نبأت به) أى فلما أخبرت حفصة عائشة رضى الله تعالى عنهما بالحديث (وأظهره الله عليه) واطلع النبى عليه الصلاة والسلام على الحديث أى على افشائه (عرف بعضه) عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت (وأعرض عن بعض) عن اعلام بعض تكرما وأجازها على بعض بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائى بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى

(قوله وعبر عن ارساله بالانزال بالانزال ترشيحا لان الترشيح ذكر ما يلائم المستعار منه) (قوله أولانه مسبب عن انزال الوحى اليه) أى عبر عن ارساله بالانزال لعلاقة ان الارسال سبب عن انزال الوحى اليه (قوله والمراد بالذين) أى المقصود من رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات رسولا بالذين أى ملتبسا به مبينا له كقوله تعالى هوالذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق فراده بقوله بالذين ملتبسا به فيكون يتلوا عليكم آيات الله قائما مقام ملتبسا بالذين وفى بعض النسخ والمراد به الذين وهو الاصح

﴿سورة التحريم﴾

(قوله وقيل شرب عسلا) ظاهره يدل على ان الاصح فى سبب النزول قصة مارية لكن فى بعض التفاسير ان العلماء على ان الصحيح فى سبب نزول الآية انها فى قصة العسل لا فى قصة مارية المروية فى غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح وقال العلامة الطيبى ان قصة العسل رواها البخارى ومسلم وأبوداود والنسائى عن عائشة وأما حديث مارية فلم يوجد ته فى الكتب المشهورة (قوله فلما أخبرت حفصة عائشة بالحديث الخ) لا يخفى ان قصة العسل لا تناسب اخبار حفصة عائشة بالحديث (قوله لكن المشدد من باب اطلاق

المسبب للسبب الخ) أى ذا قرئ عرف بالتشديد وأريد المجازاة بالتطليق كان من باب اطلاق المسبب للسبب لان الطلاق سبب للتعريف لانه اذا طلقت الزوجة بسبب ما فعلت عرفت بانه صلى الله عليه وسلم اطلع على ما فعلت واذا قرئ عرف بالتخفيف وأريد المجازاة المذكورة كان من باب اطلاق اسم السبب على المسبب لان معرفته صلى الله عليه وسلم لما فعلته الزوجة كانت سببا للطلاق (قوله فانه أوفق للاعلام المذكور) انما قال أوفق لامكان أن يكون المراد بنبأها معناه الحقيقى

ويكون المراد من عرف المجازاة (قوله رئيس الكروبيين) قال العلامة الطيبى قال بعضهم فيه ثلاث مبالغات احداها ان كرب أقرب من قرب حين وضع موضع كاد تقول كربت الشمس أن تغرب كقولك كادت الشمس أن تغرب والثانى انه على وزن فعول وهو للمبالغة والثالث زيادة الياء للمبالغة كاحمرى (قوله على التغليب أو تعميم الخطاب) أرادان لفظة أن تفيد عدم طلاق الكل فيتوجه السؤال بأنه صلى الله عليه وسلم طلق حفصة فأجاب أولا بأن يراد على سبيل التغليب بأن غلبت من لم يطلقها على من طلقها وثانيا بأن الخطاب على العموم أى بأن الخطاب مع الكل من حيث الكل وكون طلاق واحدة وافعالا ينافى تعليق طلاق الكل (قوله والمعلق بما لم يقع لايجب وقوعه) جواب سؤال آخر وهو ان الجملة الشرطية المذكورة تدل على ان فى الدنيا نساء خيرا

العليم الخبير) فانه أوفق للاعلام (ان تتوبا الى الله) خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة فى المعاتبة (فقد صغت قلوبكما) فقد وجد منكما مايوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة رسول الله عليه الصلاة والسلام بحب مايحبه وكراهة ما يكرهه (وان تظاهرا عليه) وان تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرأ الكوفيون بالتخفيف (فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صالح من المؤمنين أتباعه وأعوانه (والملائكة بعد ذلك ظهير) متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عمم بالاضافة وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ماينصره الله تعالى به (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) على التغليب أو تعميم الخطاب وليس فيه مايدل على انه لم يطلق حفصة وأن فى النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لاينافى تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لايجب وقوعه وقرأ نافع وأبو عمرو يبدله بالتخفيف (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات أومنقادات مصدقات (قانتات) مصليات أو مواظبات على الطاعات (تائبات) عن الذنوب (عابدات) متعبدات أو متذللات لامر الرسول عليه الصلاة والسلام (سائحات) صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد أو مهاجرات (ثيبات وأبكارا) وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولا تنافيهما فى حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (وأهليكم) بالنصح والتأديب وقرئ وأهلوكم عطف على واو قوا فيكون أنفسكم أنفس القبيلين على تغليب المخاطبين (نارا وقودها الناس والحجارة) نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب (عليها ملائكة) تلى أمرها وهم الزبانية (غلاظ شداد) غلاظ الاقوال شداد الافعال أوغلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء على الافعال الشديدة (لايعصون الله ما أمرهم) فيما مضى (ويفعلون مايؤمرون) فيما يستقبل أولا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون مايؤمرون به (يأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) أى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهى عن الاعتذار لانه لاعذر لهم أو العذر لاينفعهم (يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) بالغة فى النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازى مبالغة أوفى النصاحة وهى الخياطة كأنها تنصح ماخرق الذنب وقرأ أبو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور أو الناصحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا نصوحا لانفسكم وسئل على رضى الله تعالى عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة أشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم منهن فأجاب بأن ابدال أزواج خيرمنهن على تقدير طلاقهن لايستلزم حصوله من اذ المقدر لم يقع فلا يجب وقوع ماترتب عليه لتنافيهما (قوله أى الصفات المذكورة يجتمعن فى ذات واحدة) فكأنهن شئ واحد فلا حاجة الى العطف وأماهاتان الصفتان فتبايتان فهما شيئان مستقلان فلذا اوردا العاطف (قوله ولانهما فى حكم صفة واحدة) أى قدر عليهما صفة واحدة هى مشتملات فلا بد من العطف (قوله فيكون أنفسكم أنفس القبيلين الخ) يعنى اذا قرئ أهلوكم مرفوعا كان الاهل تحت خطاب قوا فتكون الانفس شاملة لانفس المؤمنين ولانفس الاهلين بتغليب المخاطبين الذين هم المؤمنون على الاهلين الذين هم الغيب

وان تعزم على أن لا تعود وأن تربى نفسك فى طاعة الله كما يتهافى المعصية (عسى ربكم أن يكفر عنكم سياتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار) ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجبة وأن العبد ينبغى أن يكون بين خوف ورجاء (يوم لا يخزى الله النبى) ظرف ليدخلكم (والذين آمنوا معه) عطف على النبى عليه الصلاة والسلام اجادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدا خبره (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) أى على الصراط (يقولون) اذا طفئ نور المنافقين (ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير) وقيل تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا (يا أيها النبى جاهد الكفار بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم به اذا بلغ الرفق مداه (ومأواهم جهنم وبئس المصير) جهنم أو مأواهم (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط) مثل الله تعالى حالهم فى أنهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من النسبة بحالهما (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) يريد به تعظيم نوح ولوط عليهما السلام (فخانتاهما) بالنفاق (فلم يغنيا عنهما من الله شيأ) فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج شيأ أغناء ما (وقيل) أى لهما عند موتهما أو يوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين) مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء عليهم السلام (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) شبه حالهم فى ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية رضى الله عنها ومنزلتها عند الله مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله (اذ قالت) ظرف للمثل المحذوف (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) قربيا من رحمتك أو فى أعلى درجات المقربين (ونجنى من فرعون وعمله) من نفسه الخبيثة وعمله السيئ (ونجنى من القوم الظالمين) من القبط التابعين له فى الظلم (ومريم ابنت عمران) عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل (التى أحصنت فرجها) من الرجال (فنفخنا فيه) فى فرجها وقرئ فيها أى فى مريم أو فى الجملة (من روحنا) من روح خلقناه بلا توسط أصل (وصدقت بكلمات ربها) بصحف المنزلة أو بما أوحى الى أنبيائه (وكتابه) وما كتب فى اللوح المحفوظ أو جنس الكتب المنزلة وتدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه أى بعيسى عليه السلام والانجيل (وكانت من القانتين) من عباد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم أو من نسلهم فتكون من ابتدائية * عن النبى صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

﴿سورة الملك﴾ (مكية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقى قارئها وتنجيه من عذاب القبر وآيها ثلاثون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبارك الذى بيده الملك) بقبضة قدرته التصرف فى الامور كلها (وهو على كل شئ قدير) على كل ما يشاء قدير (الذى خلق الموت والحيوة) قدرهما أو أوجد الحياة وأزالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم أمواتا فاحياكم ولانه أدعى الى حسن العمل (ليبلوكم) ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف أيكم المكلفون (أيكم أحسن عملا) أصوبه وأخلصه وجاء مرفوعا

(قوله اذا بلغ الرفق مداه) أى بلغ الرفق منتهاه ولما لم يفد وجوب الغلظ والشدة (قوله ولا تحابون الخ) أى لا تقسم المحاباة لهم والتجاوز عن ذنوبهم لما بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من النسبة بحال تلك النسبة الزوجين فانهما لا يحابان بسبب النسبة الى زوجها (قوله بحالهما) متعلق بمثل أى مثل حالهم بحالهما (قوله أو من نسلهم) عطف على قوله من عباد المواظبين

﴿سورة الملك﴾

(قوله أو أوجد الحياة فازالها حسبما قدره) ههنا نظر وهو انه اما أن يكون خلق بمعنى أوجد فيكون المعنى أوجد الموت وهو باطل أو يكون بمعنى أزال فيكون المعنى أزال الموت والحياة لانه أوجد الحياة وأزالها ثم ان قوله ازالها لا يناسب قوله كنتم أمواتا فأحياكم لان الموت فيه ليس زوال الحياة (قوله وجاء مرفوعا) أى رفع الى النبى صلى الله عليه وسلم

أحسن عقلا وأورع عن محارم الله تعالى وأسرع فى طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا للفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يختل به وقوع الجملة خبرا فلا يعاق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين (وهو العزيز) الغالب الذى لا يعجزه من أساء العمل (الغفور) لمن تاب منهم (الذى خلق سبع سموات طباقا) مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به أو طوبقت طباقا أو ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال أو طبقة كرجبة ورجاب (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) وقرأ حزة والكسائى من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت كأن كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما فى الآخر والجملة صفة ثانية لسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع لضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة ونفضلا وأن فى ابداعها نعما جايلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول أو لكل مخاطب وقوله (فارجع البصر هل ترى من فطور) متعلق به على معنى انك اذا نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة أخرى متأملا فيها لتعاين ما أخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينفى لها الفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه (ثم ارجع البصر كرتين) أى رجعتين أخريين فى ارتياد الخلل والمراد بالتثنية لتكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك ولذلك أجاب الامر بقوله (ينقلب اليك البصر خاسئا) بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد ابالصغار (وهو حسير) كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة (ولقد زينا السماء الدنيا) أقرب السموات الى الارض (بمصابيح) بالكواكب المضيئة بالليل اضاءة السرج فيها والتنكير للتعظيم ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة فى سموات فوقها أو التزيين باظهارها فيها (وجعلناها رجوما للشياطين) وجعلنا لها فائدة أخرى وهى رجم أعدائكم والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمى به ما يرجم به بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا للشياطين الانس وهم المنجمون (وأعتدنا لهم عذاب السعير) فى الآخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا (وللذين كفروا بربهم) من الشيطان وغيرهم (عذاب جهنم وبئس المصير) وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير (اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا) صوتا كصوت الحمير (وهى تفور) تغلى بهم غليان المرجل بما فيه (تكاد تميز من الغيظ) تتفرق غيظا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز أن يراد غيظ الزبانية (كلما ألقى فيها فوج) جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير) يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم الا فى ضلال كبير) أى فكذبنا الرسل وأفرطنا فى التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال فانذيرا هنا بمعنى الجمع لانه فعيل أو مصدر مقدر بمضاف أى أهل انذار أو منعوت به للمبالغة أو لواحد والخطاب لهو لامثاله على التغليب أو اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل أو على ان المعنى قالت الافواج قد جاءنا الى كل فوج منا رسول من الله فكذبناهم وضللناهم ويجوز أن يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه فى الدنيا أو عقابه الذى يكونون فيه (وقالوا لو كنا نسمع) كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على مالاح من صدقهم بالمعجزات (أو نعقل) فنتفكر فى حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين (ما كنا فى أصحاب السعير) فى عداده ومن جملتهم (فاعترفوا بذنبهم) حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن

(قوله لانه يختل به وقوع الجملة خبرا الخ) أى يخل بكون هذا من باب التعليق كونه خبرا للمبتدأ الذى هو المفعول الاول لان شرط التعليق أن يقع الاستفهام داخلا فيما هو قائم مقام المفعولين (قوله وصف به) صفة لقوله مصدر طابقت الفعل (قوله ولذلك أجاب الامر بقوله الخ) أى لان المثنى فيه للتكثير والتكرير أجاب الامر بتمام الآية اذ يفهم من قوله تعالى وهو حسيران التثنية للتكثير اذ لا يحصل الكلال من النظر مرتين (قوله المسببة عنها) اى عن الرجوم فان خلق الشهب شبيه الرجم (قوله أو الواحدة) عطف على الجميع (قوله والخطاب له ولامثاله على التغليب) أى الخطاب فى ان أنتم الا فى ضلال كبير للنذير المذكور ولامثاله على تغليب الخطاب (قوله أو اقامة تكذيب الواحد الخ) يعنى قال كل فوج فجاءنا نذير فكذبنا فكأنهم كذبوا كل النذر لان تكذيب الواحد كتكذيب جميع النذر فلذا قالوا ان أنتم الا فى ضلال كبير

(قوله والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل) ثم وضيحه ان السعير دركة من الدركات السبع لجهنم لكن المقصود ههنا من أصحاب السعير ليس النازلين فى هذه الدركة بل المراد الاشقياء مطلقا فيكون ههنا تغليب أصحاب السعير على غيرهم وهذا التغليب للايجاز اذ لولم يكن التغليب لاحتيج الى عد أهل الدركات

مطلقا لان الحكم المذكور عام لهم فيطول الكلام وللمبالغة لان السعير هو النار الموقدة فيفيد الكلام ان للكل النار الموقدة والتعليل اى لتعليل السحق والبعد من الرحمة لان من هو من أصحاب السعير المستحق للخلود فيه استحق البعد من الرحمة (قوله وقرأ الكسائى بالتثقيل) أى بضم حاء سحق (قوله والتقييد بهذه الحال الخ) أى التقييد بها يقتضى أن يكون لقوله تعالى يعلم مفعول مقدر ليفيد هذا التقييد لان علمه تعالى يستفاد من الخلق لان الخالق للشئ لابد أن يكون عالما فلا فائدة لجعل قوله تعالى وهو اللطيف الخبير حالا فوجب تقدير مفعول له مثل أن يقال التقدير ألا يعلم سر من خلق فيكون وهو اللطيف الخبير مفيدا لعلمه بسر من خلق وحالاته الخفية (قوله صفقن قوادمها) أى جعلها صفا قال فى الصحاح قوادم الطير مقادم ريشه وهى عشر فى كل جناح والفرض من قوله فانهن الخ بيان علاقة استعمال الصف للبسط للتفرقة بين الاصيل فى الطيران والطارئ عليه فان صيغة فعل المضارع الدال على حدوث والاستقبال يدل على طرو القبض على الصف (قوله الا انه أخرج مخرج الاستفهام الخ) أى ليس ههنا بحسب الظاهر مقام أن يسأل عن تعيين من ينصرهم بل محل أن يسأل هل لكم ناصر من دون الله من غير تعيين لكنه عدل الى السؤال عن تعيين الناصر للاشعار

هذا

(معرفة والذنب لم يجمع لانه فى الاصل مصدر أو المراد به الكفر (فسحقا لاصحاب السعير) فاسحقهم الله سحقا أى أبعدهم من رحمته والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائى بالتثقيل (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بالخفى منهم وهو قلوبهم (لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) تصغر دونه لذائذ الدنيا (وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور) بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا أو جهرا (ألا يعلم من خلق) ألا يعلم السر والجهر من أوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته (وهو اللطيف الخبير) المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن أو ألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعى أن يكون لعلم مفعول ليفيد روى أن المشركين كانوا يتكاتمون فيما بينهم بأشياء فيخبر الله بها رسوله فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) لينة يسهل لكم السلوك فيها (فامشوا فى مناكبها) فى جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن أن يطأ الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يبق شئ لم يتذلل (وكلوا من رزقه) والتمسوا من نعم الله (واليه النشور) المرجع فيسألكم عن شكر ما أنعم عليكم (أأمنتم من فى السماء) يعنى الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم أو الله تعالى على تأويل من فى السماء أمره أو قضاؤه أو على زعم العرب فانهم زعموا أنه تعالى فى السماء وعن ابن كثير وأمنتم بقلب الهمزة الاولى واوا والادغام ما قبلها وآمنتم بقلب الثانية ألفا وهو قراءة نافع وأبى عمرو ورويس (أن يخسف بكم الارض) فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من بدل الاشتمال (فاذا هى تمور) تضطرب والمور التردد فى المجىء والذهاب (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا) ان يطر عليكم حصباء (فستعلمون كيف نذير) كيف انذارى اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) انكارى عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لقومه المشركين (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات) باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها (ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها جناحهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحريك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصل فى الطيران والطارئ عليه (ما يمسكهن) فى الجو على خلاف الطبع (الا الرحمن) الشامل رحمته كل شئ بان خلقهن على أشكال وخصائص هيأتهن للجرى فى الهواء (انه بكل شئ بصير) يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) عديل لقوله أولم يروا على معنى أولم ينظروا فى أمثال هذه الصنائع فلم تعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب أم لكم جند ينصركم من دون الله ان أرسل عليكم عذابه فهو كقوله أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا الأنه أخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذى بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه (ان الكافرون الا فى غرور) لا معتمد لهم (أمن هذا الذى يرزقكم) أم من يشار اليه ويقال

هذا الذى يرزقكم (ان أمسك رزقه) بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة اليكم (بل لجوا) تمادوا (فى عتو) عناد (ونفور) شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى) يقال كببته فأكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق أنهما من باب أنقض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعى كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا أنه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف أجزائه ولذلك قابله بقوله (أمن يمشى سويا) قائما سالما من العثار (على صراط مستقيم) مستوى الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالسلكين ولعل الاكتفاء بما فى الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ماعليه المشرك لايستأهل أن يسمى طريقا كمشى المتعسف فى مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب و بالسوى البصير وقيل من يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا الذى يحشر على قدميه الى الجنة (قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع) لتسمعوا المواعظ (والابصار) لتنظروا صنائعه (والافئدة) لتتفكروا وتعتبروا (قليلا ماتشكرون) باستعمالها فيما خلقت لاجلها (قل هو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون) للجزاء (و يقولون متى هذا الوعد) أى الحشر أو ماوعدتنا به من الخسف والحاصب (ان كنتم صادقين) يعنون النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (قل انما العلم) أى علم وقته (عند الله) لايطلع عليه غيره (وانما أنا نذير مبين) والانذار يكفى فيه العلم بل الظن بوقوع المحذر منه (فلما رأوه) أى الوعد فانه بمعنى الموعود (زلفة) ذا زلفة أى قرب منهم (سيئت وجوه الذين كفروا) بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب (وقيل هذا الذى كنتم به تدعون) تطلبون وتستعجلون فتفعلون من الدعاء أو تدعون أن لابعث فهو من الدعوى (قل أرأيتم ان أهلكنى الله) أماتنى (ومن معى) من المؤمنين (أو رحمنا) بتأخير آجالنا (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أى لاينجيهم أحد من العذاب متنا أو بقينا وهو جواب لقولهم لترتبص به ريب المنون (قل هو الرحمن) الذى أدعوكم اليه مولى النعم كلها (آمنا به) للعلم بذلك (وعليه توكلنا) للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات لايضر ولاينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به (فستعلمون من هو فى ضلال مبين) منا ومنكم وقرأ الكسائى بالياء (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا) غائرا فى الارض بحيث لاتناله الدلاء مصدر وصف به (فمن يأتيكم بماء معين) جاريا وظاهر سهل المأخذ * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر

﴿سورة ن مكية وآيها ثنتان وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ن) من أسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس أو البهموت وهو الذى عليه الارض أو الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شئ أشد سوادا من النقس يكتب به و يؤيد الاول سكونه وكتبه بصورة الحرف (والقلم) وهو الذى خط اللوح أو الذى يخط به أقسم به تعالى لكثرة فوائده وأخفى ابن عامر والكسائى و يعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روى ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كص (ومايسطرون) وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم أو بالمعنى الثانى على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى أولى العلم لاقامتها مقامهم أو لاصحابه أو للحفظة ومامصدرية أوموصولة (ماأنت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم والمعنى ماأنت مجنونا منعما عليك بالنبوة

بأنهم قرروا ان لهم جندا ينصرهم فلا حاجة الى الاستفهام عنه بل مقام أن يسأل عن تعيين ذلك الجند

﴿سورة ن﴾

قوله و يؤيد الاول سكونه الخ) يفهم منه ان الاحتمالات الأخر جائزة لكن الاول أولى والمفهوم من كلام الزمخشرى ان غير الوجه الاول غير جائز لانه قال وأما قولهم هو الدواة فما أدرى أهو وضع لغوى أو شرعى ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من أن يكون جنسا أو علما فان كان جنسا فأين الاعراب والتنوين وان كان علما فأين الاعراب

وحصافة الرأى والعامل فى الحال معنى النفى وقيل بمجنون الباء لاتمنع عمله فيما قبلها لانها من زيدة وفيه نظر من حيث المعنى (وان لك لاجرا) على الاحتمال والابلاغ (غير ممنون) مقطوع أوممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلاتوسط (وانك لعلى خلق عظيم) اذ تتحمل من قومك مالايتحمل أمثالك وسئلت عائشة رضى الله تعالى عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون (فستبصر و يبصرون بايكم المفتون) أيكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة أو بايكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أو باى الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أو بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) وهم المجانين على الحقيقة (وهو أعلم بالمهتدين) الفائزين بكمال العقل (فلاتطع المكذبين) تهييج للتصميم على معاصاتهم (ودوا لو تدهن) تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك أو تعافقهم فيه أحيانا (فيدهنون) فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف أى ودوا التداهن وتمنوه لكنهم أخروا ادهانهم حتى تدهن أوللسببية أى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ أوودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفى بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمنى (ولاتطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل (مهين) حقير الرأى من المهانة وهى الحقارة (همماز) عياب (مشاء بنميم) نقال للحديث على وجه السعاية (مناع للخير) يمنع الناس عن الخير من الايمان والايقان والعمل الصالح (معتد) متجاوز فى الظلم (أثيم) كثير الآثام (عتل) جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعد ماعد من مثالبه (زنيم) دعى مأخوذ من زنمتى الشاة وهما المتدليتان من أذنيها وحاقتها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده فى زهرة (أن كان ذا مال و بنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) قال ذلك حينئذ لانه كان متمولا مستظهرا بابنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لانفسه لان ما بعد الشرط لايعمل فيما قبله ويجوز أن يكون علة للاتطع أى لاتطع من هذه مثالبة لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة و يعقوب وأبو بكر أن كان على الاستفهام غير أن ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين أى ألأن كان ذا مال كذب أوأطيعه لان كان ذا مال وقرئ ءان كان بالكسر على أن شرط النفى فى النهى عن الطاعة كما تعليل بالفقر فى النهى عن قتل الاولاد أوأن شرطه للمخاطب أى لاتطعه اشرط يساره لانه اذا أطاع للغنى فكأنه شرطه فى الطاعة (سنسمه) بالسكى (على الخرطوم) على الانف وقد أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقى أثره وقيل هو عبارة عن أن يذله غاية الاذلال كقولهم جدع أنفه ورغم أنفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر أو نسود وجهه يوم القيامة (انا بلوناهم) بلونا أهل مكة شرفها الله تعالى بالقحط (كما بلونا أصحاب الجنة) يريد البستان الذى كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادى الفقراء وقت الصرام و يترك لهم ما خطأه المنجل وألقته الريح أو بعد من البساط الذى يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال (اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) ليقطعنها داخلين فى الصباح (ولايستثنون) ولايقولون ان شاء الله وانما سماها استثناء لما فيه من الاخراج غير أن المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه أولان معنى لاخرج ان شاء الله ولاأخرالى أن يشاء الله واحد أوولا يستثنون حصة المساكين كما

كان بخرج أبوهم (فطاف عليها) على الجنة (طائف) بلاء طائف (من ربك) مبتدأ منه (وهم نائمون) فاصبحت كالصريم) كالبستان الذى صرم ثماره بحيث لا يرى فيه شئ فعيل بمعنى مفعول أو كالليل باعتراقها واسوادها أو كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصرم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه أو كالرمال (فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم) أن اخرجوا أو مان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى لما تضمنه معنى الاقبال أو لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء (ان كنتم صارمين) قاطعين له (فانطلقوا وهم يتخافتون) يتشاورون فيما بينهم وخفى وخفت بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) أن مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك ههنا (وغدوا على حرد قادرين) وغدوا قادرين على تنكد لاغير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها المعنى أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون الا على التنكد أو غدوا حاصلين على التنكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به أى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض كقولهم يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة قال

أقبل سيل جاء من أمر الله * يحرد حرد الجنة المغله

أى غدوا قاصدين الى جنتهم اسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وقيل على المنع من الجنة (فلما رأوها) أول ما رأوها (قالوا انا لضالون) طريق جنتنا وما هى بها (بل نحن) أى بعد ما تاملوا وعرفوا انها هى قالوا بل نحن (محرومون) حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا (قال ألم أقل لكم) رأيا أو سننا (ألم أقل لكم لولا تسبحون) لولا تذكرون وتتوبون اليه من خبث يتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك و بدل على هذا المعنى (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) أى لولا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما فى التعظيم أو لانه تنزيه عن أن يجرى فى ملكه ما لا يريده (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا فان منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من أنكره (قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين) متجاوزين حدود الله تعالى (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) بيرّ كة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد رووا انهم أبدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف (انا الى ربنا راغبون) راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع (كذلك العذاب) مثل ذلك العذاب الذى بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة لعذاب فى الدنيا (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم منه (لو كانوا يعلمون) لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب (ان للمتقين عند ربهم) أى فى الآخرة أو فى جوار القدس (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح أنا نبعث كما زعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون أحسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا (مالكم كيف تحكمون) التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأى (أم لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرؤن (ان لكم فيه لما تخيرون) ان لكم ما تختارونه وتشتهونه وأصله أن لكم بالفتح لانه المدروس فلما جئ باللام كسرت و يجوز أن يكون حكاية للمدروس أو استئنافا وتخيرا الشئ واختاره أخذ خيره (أم لكم أيمان علينا) عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الظرفين (الى يوم القيامة) متعلق بالمقدر فى لكم أى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها حتى تحكموا لكم فى ذلك اليوم أو ببالغة أى أيمان تبلغ ذلك اليوم

بخلاف الاستثناء الذى هو ان شاء الله فان المستثنى به خلاف المذكور فان قولك فعلت ذلك ان شاء الله يفيد اخراج عدم الفعل عند عدم المشيئة (قوله وقيل علم الجنة) أى الحرد علمها (قوله فان منهم من أشار بذلك الخ) أى منهم من أشار الى حرمان المساكين ومنهم من يستصوبه (قوله أحد الظرفين) أى لكم وعلينا

(قوله على نفي جميع ما يمكن أن يتشبثوا به) ففي الاستحقاق هو المفهوم من قوله تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ونفي الوعد هو المفهوم من قوله تعالى أم لكم كتاب فيه تدرسون ونفي التقليد مفهوم من قوله أم لهم شركاء ونفوه من عقل المراد منه حكم العقل وقوله وانقل يدل عليه أي يدل على حكم العقل ويؤيده قوله لاستحقاق علة للتشبث أي هم يمكن أن يتشبثوا بأن لهالهم في الآخرة لكمال المؤمنين لانهم مستحقون للنعم كما انهم ينعمون في الدنيا اولان الله وعدهم به أو لانهم مقلدون للعقلاء فيما قالوا (قوله توبيخا على تركهم السجود) أي ليس الامر بالسجود التكليف والتعبد اذ ليس الوقت وقته بل المراد التوبيخ (قوله مزاحوا العلل فيه) أي مزاحوا هافيه أي في التعبد بالسجود (قوله وحسن تذكير الفعل للفصل) أي حسن تذكير تدارك مع كون فاعله مؤنثا لكون ضمير المفعول فاصلا بينهما (قوله بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه) يعني لولا ان كان في زمان كونه في بطن الحوت صح أن يقال في شأنه تتداركه بعد ذلك نعمة من ربه (قوله وهو حال يعتمد عليها الجواب) يعني جواب لولا يجب أن يكون منفيا غير موجود لكن النبذ موجود فلا عتماد في الجواب على قوله تعالى وهو مذموم اذ اللائم ليس بموجود ويمكن أن يقال انه لا يعتمد عليها جواب لولا وهو قوله تعالى لنبذ بالعراء اذ قوله تعالى لولا أن تداركه نعمة من ربه دال على ان جوابه

(ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لان معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم (سلهم أيهم بذلك زعيم) بذلك الحكم قائم بدعيه ويصححه (أم لهم شركاء) يشاركونهم في هذا القول (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) في دعواهم اذ لا أقل من التقليد وقد نبه سبحانه وتعالى في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن أن يتشبثوا به من عقل أو نقل يدل عليه لاستحقاق أو وعد أو محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما استدله وقيل المعنى أم لهم شركاء يعني الاصنام يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كأنه لما نفى أن تكون التسوية من الله تعالى نفى بهذا أن تكون مما يشارك فيه الله به (يوم يكشف عن ساق) يوم اشتد الامر وصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

أو يوم يكشف عن أصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعارمن ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل أو للتعظيم وقرئ تكشف وتكشف بالتاء على بناء الفاعل أو المفعول والفعل للساعة أو الحال (ويدعون الى السجود) توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيامة أو يدعون الى الصلوات لوقائها ان كان وقت النزع (فلا يستطيعون) لذهاب وقته أو زوال القدرة عليه (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) تلحقهم ذلة (وقد كانوا يدعون الى السجود) في الدنيا أو زمان الصحة (وهم سالمون) متمكنون منه مزاحوا العلل فيه (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) كله الى فانا أكفيكه (سنستدرجهم) سنديهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة (من حيث لا يعلمون) أنه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين (وأملي لهم) وأمهلهم (ان كيدي متين) لا يدفع بشئ وانما سمي انعامه استدراجا بالكيد لانه في صورته (أم تسألهم أجرا) على الارشاد (فهم من مغرم) من غرامة (مثقلون) بحملها فيرضون عنك (أم عندهم الغيب) اللوح أو المغيبات (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به ويستغنون به عن علمك (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) يونس عليه السلام (اذ نادى) في بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا من الضجرة فتبتلى ببلائه (لولا أن تداركه نعمة من ربه) يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تدركته وتداركه أي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه (لنبذ بالعراء) بالارض الخالية عن الاشجار (وهو مذموم) مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ (فاجتباه ربه) بان رد الوحي اليه أو استنبأه ان صح انهم لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة (فجعله من الصالحين) من الكاملين في الصلاح بان عصمه من أن يفعل ما تركه أولى وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على ثقيف وقيل بأحد حين حل به ما حل فاراد أن يدعو على المنهزمين (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم اشدة عداوتهم ينظرون اليك

الطرد من الرحمة فلم يكن في الجواب لنبذ بالعراء اذ هو لا يدل بمجرده على الطرد فلا عتماد في جواب لولا على هذه الحال (قوله وفيه دليل على خلق الافعال) أي في قوله تعالى فجعله من الصالحين دليل على انه تعالى خالق الافعال أي أفعال العباد لانه صريح في ان صلاح العبد أي

اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك من قولهم نظر اليه نظرا يكاد يصرعني أي لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أو انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي أنه كان في بني أسد عيانون فاراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقر أنافع ليزلقونك من زلقته فزلق كزنته فحزن وقرئ ليزهقونك أي ليهلكونك (لما سمعوا الذكر) أي القرآن أي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم (ويقولون انه لمجنون) حيرة في أمره وتنفيرا عنه (وما هو الا ذكر للعالمين) لما جننوه لاجل القرآن بين أنه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان أكمل الناس عقلا وأمتنهم رأيا * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

﴿سورة الحاقة مكية وآيها اثنتان وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحاقة) أي الساعة أو الحالة التي يحق وقوعها أو التي تحق فيها الامور أي تعرف حقيقتها أو تقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وهي مبتدأ خبرها (ما الحاقة) وأصله ما هي أي أي شئ هي على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه أهول لها (وما أدراك ما الحاقة) وأي شئ أعلمك ما هي أي أنك لا تعلم كنهها فانها أعظم من أن تبلغها دراية أحد وما مبتدأ وادراك خبره (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتشار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها (فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة أو الرجفة لتكذيبهم بالقارعة أو بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعاقبة وهو لا يطابق قوله (وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر) أي شديدة الصوت أو البرد من الصر أو الصر (عاتية) شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها أو على عاد فلم يقدروا على ردها (سخرها عليهم) سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف أو صفة جيء به لنفي مايتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها أو بحسات حسمت كل خير واستأصلته أو قاطعات قطعت دابرهم ويجوز أن يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا أو المصدر لفعله المقدر حالا أي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت أيام العجوز من صبيحة أربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء أو لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها (فترى القوم) ان كنت حاضرهم (فيها) في مهابها أو في الليالي والايام (صرعى) موتى جمع صريع (كأنهم أعجاز نخل) أصول نخل (خاوية) متأكلة الاجواف (فهل ترى لهم من باقية) من بقية أو نفس باقية أو بقاء (وجاء فرعون ومن قبله) ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائي ومن قبله أي ومن عنده من أتباعه وبدل عليه انه قرئ ومن معه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط والمراد أهلها (بالخاطئة) بالخطأ أو بالفعلة أو الافعال ذات الخطأ (فعصوا رسول ربهم) أي فعصت كل أمة رسولها (فاخذهم أخذة رابية) زائدة في الشدة زيادة أعمالهم في القبح (الما طغى الماء) جاوز حده المعتاد أو طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد من قبله (حملناكم) أي آباءكم وأنتم في أصلابهم (في الجارية) في سفينة نوح عليه الصلاة والسلام (لنجعلها لكم) لنجعل الفعلة وهي انجاءا مؤمنين واغراق الكافرين (تذكرة)

عمله الصالح يخلقه تعالى

﴿سورة الحاقة﴾

(قوله والتنكير للدلالة على قلتها) وان من هذا شأنه الخ) اما دلالته على القلة فلافادته الوحدة واما ان من

عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته (وتعبها) وتحفظها وعن ابن كثير تعبها بسكون العين تشبيها بكتف والوعي أن تحفظ الشئ في نفسك والايعاء أن تحفظه في غيرك (أذن واعية) من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وأن من هذا شأنه مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع أذن بالتخفيف (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة) لما بالغ في تهويل القيامة وذكر ما آل المكذبين بها تفخيما لشأنها وتنبيها على مكانها عادالى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم (وحملت الارض والجبال) رفعت من أماكنها بمجرد القدرة الكاملة أو بتوسط زلزلة أو ريح عاصفة (فدكتا دكة واحدة) فضربت الجبلتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء أو فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضا لا عوج فيها ولا أمتا لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل بافة دكاء التي لا سنام لها وأرض دكاء للمستعة المستوية (فيومئذ) فحينئذ (وقعت الواقعة) قامت القيامة (وانشقت السماء) لنزول الملائكة (فهي يومئذ واهية) ضعيفة مسترخية (والملك) والجنس المتعارف بالملك (على أرجائها) جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء أهلها الى أطرافها وحوالها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة انما ذلك (ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملائكة الذين هم على الارجاء أو فوق الثمانية لانها في نية التقديم (يومئذ ثمانية) ثمانية أملاك لما روى مرفوعا أنهم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أمدهم الله بأربعة آخرين وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله ولعلها أيضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال (يومئذ تعرضون) تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر لتعرف أحوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صح جعله ظرفا للكل (لا تخفى منكم خافية) سرية على الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة في العدل أو على الناس كما قال الله تعالى يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل (فاما من أوتي كتابه بيمينه) تفصيل للعرض (فيقول) تبجحا (هاؤم اقرؤا كتابيه) هاء اسم لخذ وفيه لغات أجودها هاء يا رجل وهاء يا امرأة وهاؤما يا رجلان أو امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه أقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث أمكن والهاء فيه وفي حسابيه ومالية وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب الوقف لشبانها في الامام ولذلك قرئ بإثباتها في الوصل (اني ظننت اني ملاق حسابيه) أي علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا (فهو في عيشة راضية) ذات رضا على النسبة بالصيغة أو جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم (في جنة عالية) مرتفعة المكان لانها في السماء أو الدرجات أو الابنية والاشجار (قطوفها) جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر (دانية) يتناولها القاعد (كلوا واشربوا) باضمار القول وجمع الضمير للمعنى (هنيأ) أكلا

العلم عن كونه علما فتأمل (قوله ذات رضى على النسبة بالصيغة) أي المراد من الراضية ليس معنى اسم الفاعل فيكون الرضى قائما بالعيشة بل المراد من الصيغة النسبة فالمراد من الراضية ماله نسبة الى الرضا كما يقال لابن وتامر أي ذو لبن وتمر

وشربا

وشربا هنيأ أوهنتم هنيأ (بما أسلفتم) بما قدمتم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) الماضية من أيام الدنيا (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول) لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة (ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ماحسابيه ياليتها) ياليت الموتة التى منها (كانت القاضية) القاطعة لامرى فلم أبعث بعدها أو ياليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على لأنه صادفها أمر من الموت فتمناه عندها أو ياليت حياة الدنيا كانت الموتة ولم أخلق فيها حيا (ما أغنى عنى ماليه) مالى من المال والتبع ومانى والمفعول محذوف أواستفهام انكار مفعول لاغنى (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلطى على الناس أوحجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا وقرأ حمزة عنى مالى عنى سلطانى بحذف الهاءين فى الوصل والباقون باثباتها فى الحالين (خذوه) يقوله الله تعالى لخزنة النار (فغلوه ثم الجحيم صلوه) ثم لاتصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا) أى طويلة (فاسلكوه) فأدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده وهو فيها بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر أنواع مايعذب به وثم لتفاوت مابينها فى الشدة (انه كان لايؤمن بالله العظيم) تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بأنه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك (ولايحض على طعام المسكين) ولايحث على بذل طعامه أوعلى اطعامه فضلا عن أن يبذل من ماله ويجوز أن يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان أقبح العقائد الكفر بالله تعالى وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب (فليس له اليوم ههنا حميم) قريب يحميه (ولاطعام الا من غسلين) غسالة أهل النار وصديدهم فعلين من الغسل (لايأكله الا الخاطئون) أصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لامن الخطأ المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها (فلا أقسم) لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم أو فأقسم ولامزيدة او فلا رد لانكارهم البعث وأقسم مستأنف (بما تبصرون ومالا تبصرون) بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها (انه) ان القرآن (لقول رسول) يبلغه عن الله تعالى فان الرسل لايقول عن نفسه (كريم) على الله تعالى وهو محمد أو جبريل عليهما الصلاة والسلام (وماهو بقول شاعر) كما تزعمون تارة (قليلا ماتؤمنون) تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم (ولا بقول كاهن) كما تدعون أخرى (قليلا ماتذكرون) تذكرون تذكرا قليلا فذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بين لاينكره الا معاند بخلاف مابينته للكهانة فاما توقف على تذكر أحوال الرسول ومعانى القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى أقوالهم وقرأ ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما (تنزيل) هو تنزيل (من رب العالمين) نزله على لسان جبريل عليه السلام (ولو تقول علينا بعض الاقاويل) سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقاويل المفتراة أقاويل تحقيرا لها كانه جمع أفعولة من القول كالاضاحيك (لأخذنا منه باليمين) بيمينه (ثم لقطعنا منه الوتين) أى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بأقطع مايفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو أن يأخذ القتل بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب به جيده وقيل اليمين بمعنى القوة (فما منكم من أحد عنه) عن القتل أو المقتول (حاجزين) دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس (وانه) وان القرآن (لتذكرة للمتقين) لانهم المنتفعون به (وانا لنعلم أن منكم

(قوله أو ياليت حياة الدنيا كانت الموتة) فالمراد من القاضية الموت وانما سمى بها لانه القاطع للحياة (قوله والمفعول محذوف أواستفهام انكار الخ) أى ما اما نافية فيكون المعنى مادفع مالى ونفى شيأ من عذاب القبر أو الاستفهامية فيكون فاعل أغنى ضميرا مستترا راجعا الى ما ومال مفعولا (قوله فمن تعظم فيها) أى فى الدنيا (قوله والاقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها الخ) نقل الطيبى عن صاحب الانتصاف هو معنى غريب عن قياس التصريف ويحتمل أن يكون الاقاويل جمعا كالاعاجيم جمع أقوال وأنعام

مكذبين) فنجازيهم على تكذيبهم (وانه لحسرة على الكافرين) اذا رأوا ثواب المؤمنين به (وانه لحق اليقين) لليقين الذى لا ريب فيه (فسبح باسم ربك العظيم) فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالقول عليه، وشكرا على ما أوحى اليك * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

﴿سورة المعارج مكية وآيها أربع وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سأل سائل بعذاب واقع) أى دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدى الفعل بالباء والسائل هو النضر ابن الحرث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية أو أبو جهل فانه قال أسقط علينا كسفا من السماء ساله استهزاء أو الرسول عليه الصلاة والسلام استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو امامن السؤال على لغة قريش قال

سالت هذيل رسول الله فاحشة * ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

أو من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال وادبعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه امافى الدنيا وهو قتل بدر أوفى الآخرة وهو عذاب النار (للكافرين) صفة أخرى لعذاب أوصلة لواقع وان صح أن السؤال كان ممن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سأل معنى اهتم (ليس له دافع) برده (من الله) من جهته لتعلق ارادته (ذى المعارج) ذى المصاعد وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح أو يترقى فيها المؤمنون فى سلوكهم أوفى دارثوابهم أو مراتب الملائكة أوفى السموات فان الملائكة يعرجون فيها (تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها فى زمان لكان فى زمان يقدر بخمسين ألف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من حيث انهم يقطعون فيه مايقطع الانسان فيها لو فرض لا أن مابين أسفل العالم وأعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة لان مابين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ماقيل مسيرة خمسمائة عام وتخن كل واحدة من السموات السبع والكرسى والعرش كذلك وحيث قال فى يوم كان مقداره ألف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل فى يوم متعلق بواقع أو سال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيامة واستطالته اما لشدته على الكفار أو لكثرة مافيه من الحالات والمحاسبات أو لانه على الحقيقة كذلك والروح جبريل عليه السلام وافراده لفضله أو خلق أعظم من الملائكة (فاصبر صبرا جميلا) لايشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء أو تعنت وذلك مما يضجره أوعن تضجر واستبطاء للنصر أو بسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام (انهم يرونه) الضمير للعذاب أو يوم القيامة (بعيدا) من الامكان (ونراه قريبا) منه أومن الوقوع (يوم تكون السماء كالمهل) ظرف لقريبا أى يمكن يوم تكون أو لمضمر دل عليه واقع أو بدل من فى يوم ان علق به والمهل المذاب فى مهل كالفلزات أو وردى الزيت (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ ألوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولايسأل حميم حميما) ولايسأل قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولايسئل على بناء المفعول أى لايطلب من حميم حميم أولايسال منه حاله (يبصرونهم)

﴿سورة سأل﴾ (قوله والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها فى زمان الخ) أى لو قدر قطعها بالحركة الجسمانية لكان فى الزمان المذكور (قوله لان مابين أسفل العالم الخ) يعنى معنى التقدير بالزمان المذكور ماذكر وليس التقدير به من حيث ان مابين أسفل العالم وأعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة لانه خطأ لان مابين مركز الارض الخ وهذا الحساب يقتضى أن يكون من مركز العالم الى محيط العرش خمسة آلاف سنة واعلم ان فى بعض النسخ وقع موضع لان المشتمل على لا النافية وان المشبهة للفعل لا لان المشتمل على لام التعليل والحروف المشبهة وهو خطأ والصواب الاول

استئناف أو حال تدل على ان المانع من هذا السؤل هو التشاغل دون الخفاء أو مايغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضمير بن امموم الجميع (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه) حال من أحد الضميرين أو استئناف يدل على أن اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى أن يفتدى بأقرب الناس اليه وأعلقهم بقلبه فضلا أن يهتم بحاله و يسال عنها وقرأ نافع والكسائى بفتح ميم يومئذ وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى تعذيب (وفصيلته) وعشيرته الذين فصل عنهم (التى تؤويه) تضمه فى النسب أو عند الشدائد (ومن فى الارض جميعا) من الثقلين أو الخلائق (ثم ينجيه) عطف على يفتدى أى ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد (كلا) ردع للمجرم عن الوداده ودلالة على أن الافتداء لاينجيه (انها) الضمير للنار أو مبهم يفسره (لظى) وهو خبر أو بدل أو للقصة ولظى مبتدأ خبره (نزاعة للشوى) وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص أو الحال المؤكدة أو المنتقلة على أن لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف أو جمع شواة وهى جلدة الرأس (تدعو) تجذب وتحضر كقولك ذى الرمة * تدعو أنفه الربب * مجازعن جذبها واحضارها لمن فر عنها وقيل تدعوز بانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا أهلكه (من أدبر) عن الحق (وتولى) عن الطاعة (وجمع فاوعى) وجمع المال فجعله فى وعاء وكنزه حرصا وتأميلا (ان الانسان خلق هلوعا) شديد الحرص قليل الصبر (اذا مسه الشر) الضر (جزوعا) يكثر الجزع (واذا مسه الخير) السعة (منوعا) يبالغ بالامساك والاوصاف الثلاثة أحوال مقدرة أو محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذ لاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا (الا المصلين) استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل اضادة تلك الصفات لهم من حيث انهاد لة على الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك نافية من الانهماك فى حب العاجل وقصور النظر عليها (الذين هم على صلاتهم دائمون) لايشغلهم عنها شاغل (والذين فى أموالهم حق معلوم) كالزكوات والصدقات الموظفة (للسائل) الذى يسأل (والمحروم) الذى لايسأل فيحسب نفسه غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) تصديقا بأعمالهم وهو ان يتعب نفسه و يصرف ماله طمعا فى المثوبة الأخروية ولذلك ذكر الدين (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون على أنفسهم (ان عذاب ربهم غير مامون) اعتراض يدل على أنه لا ينبغى لاحد أن يأمن عذاب الله وان بالغ فى طاعته (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون) سبق تفسيره فى سورة المؤمنين (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) حافظون وقرأ ابن كثير لاماتهم يعنى لايخونون ولاينكرون ولايخفون ماعلموه ومن حقوق الله وحقوق العباد (والذين هم بشهاداتهم قائمون) وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع (والذين هم على صلاتهم يحافظون) فبراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولا وآخرا باعتبار بن للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفى نظم هذه الصلاة مبالغات لاتخفى (أولئك فى جنات مكرمون) بثواب الله تعالى (فمال الذين كفروا قبلك) حولك (مهطعين) مسرعين (عن اليمين وعن الشمال عزين) فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة من العزو وكأن كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى كان المشركين يحتفون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا و يستهزؤن بكلامه (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) بلا ايمان وهو انكار لقولهم لوصح مايقوله لنكون فيها أفضل حظا منهم كما فى الدنيا (كلا) ردع لهم عن هذا الطمع

(قوله و يسأل) عطف على قوله يسال والاول من السؤال والثانى من السيلان (قوله على ان لظى بمعنى متلظية) انما قال ذلك لحصول العامل وصاحب الحال (قوله أحوال مقدرة أو محققة الخ) فالاولى بالنظر الى ان الهلع والجزع والمنع غير حاصلة حال خلق الانسان والثانى بالنظر الى أن الاوصاف جبل الانسان عليها وان كان آثارها غير ظاهرة فى بدء الخلق (قوله باعتبار بن) الاعتبار الاول الدوام والثانى المحافظة (قوله وفى نظم هذه الصلاة مبالغات) تقديم الضمير و بناء الجملة عليه وتقديم الجار والمجرور على الفعل وجعل بعض الجمل اسمية مفيدة للدوام والثبات و بعضها فعلية مفيدة للاستمرار التجددى كقوله تعالى يحافظون

(انا خلقناهم مما يعلمون) تعليل له والمعنى انهم مخلوقون من نطفة مذرة لائناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد لدخولها وانكم مخلوقون من أجل ماتعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكمل لم يتبوأ في منازل الكاملين أو الاستدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التي ننوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه (فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) أي نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم أو نعطي محمدا بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار (وما نحن بمسبوقين) بمغلوبين ان أردنا ذلك (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) مر في آخر سورة الطور (يوم يخرجون من الاجداث سراعا) مسرعين جمع سريع (كأنهم الى نصب) منصوب للعبادة أو علم (يوفضون) يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص الى نصب بضم النون والصاد والباقون من السبعة نصب بفتح النون وسكون الصاد وقرئ بالضم على أنه تخفيف نصب أو جمع (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) مر تفسيره (ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

﴿سورة نوح مكية وآيها تسع أو ثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر) أي بان أنذر أي بالانذار أو بان قلنا له انذر ويجوز أن تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغير أن على ارادة القول (قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) عذاب الآخرة أو الطوفان (قال ياقوم اني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه واطيعون) مر في الشعراء نظيره وفي أن يحتمل الوجهان (يغفر لكم من ذنوبكم) يغفر لكم بعض ذنوبكم وهو ماسبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذ به في الآخرة (ويؤخركم الى أجل مسمى) هو أقصى مافدر لكم بشرط الايمان والطاعة (ان أجل الله) ان الاجل الذي قدره (اذا جاء) على الوجه المقدر به آجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول (لا يؤخر) فبادروا في أوقات الامهال والتأخير (لو كنتم تعلمون) لو كنتم من أهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه أنهم لانهماكهم في حب الحياة كانهم شاكون في الموت (قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا) أي دائما (فلم يزدهم دعائي الا فرارا) عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم إيمانا (واني كلما دعوتهم الى الايمان (لتغفر لهم) بسببه (جعلوا أصابعهم في آذانهم) سدوا مسامعهم عن استماع لدعوة (واستغشوا ثيابهم) تغطوا بها لئلا يرونني كراهة لنظر الى من فرط كراهة دعوتي أولئلا أعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة (وأصروا) وأكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من أصر الحمار على العانة اذا صر أذنيه وأقبل عليها (واستكبروا) عن اتباعي (استكبارا) عظيما (ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا) أي دعوتهم مرة بعد أخرى وكرة بعد أولى على أي وجه أمكنني وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار أغلظ من الاسرار والجمع بينهما أغلظ من الافراد أو لتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه أحد نوعي الدعاء أو صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا أي مجاهرا به أو الحال فيكون بمعنى مجاهرا (فقلت استغفروا ربكم) بالتوبة عن الكفر (انه كان غفارا) للتائبين وكانهم لما أمرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ماهو أوقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر أرسل بعين

﴿سورة نوح﴾

(قوله بغيرها على ارادة القول) أي بغير ان (قوله وفي أن يحتمل الوجهين) حق العبارة أن يقال وفي أن الوجهان أوفي ان احتمال الوجهين (قوله والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة) أي التعبير باستغشوا الذي هو من باب الطلب للمبالغة لا للطلب وانما دل على المبالغة لان من طلب شيأ بالغ في تحصيله (قوله من أصر الحمار على العانة) العانة هي القطيع من حمر الوحش (قوله فان الجهار أغلظ من الاسرار الخ) يعني يعلم من قوله ثم اني دعوتهم جهارا أن الدعوة السابقة هي بالاسرار فأفاد ثم التفاوت بين الجهار والاسرار السابق وأفاد ثم الثانية ان الجمع بينهما أغلظ من افراد كل منهما (قوله ولذلك وعدهم عليه ماهو واقع في قلوبهم) وهو ارسال السماء عليهم مدرارا والامداد بالاموال والبنين

سنة وأعقم أرحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله (يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء تحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور ويستوي فيه الذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين (مالكم لا ترجون لله وقارا) لا تأملون له توقيرا أي تعظيما لمن عبده وأطاعه فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه إياكم ولله بيان للموقر ولو لم تأخر لكان صلة للوقار أولا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وإنما عبر عن الاعتقاد بالرجاء لأن الرجاء التابع لأدنى الظن مبالغة (وقد خلقكم أطوارا) حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم أطوارا أي تارات اذ خلقهم أولا عناصر ثم مركبات تغذى الانسان ثم أخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم أنشأهم خلقا آخر فانه يدل على أنه يمكن أن يعيدهم تارة أخرى فيعظمهم بالثواب وعلى أنه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم أتبع ذلك ما يؤيد به من آيات الآفاق فقال (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا) أي في السموات وهو في السماء الدنيا وإنما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة (وجعل الشمس سراجا) مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله (والله أنبتكم من الارض نباتا) أنشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه أدل على الحدوث والتكون من الارض وأصله أنبتكم من الارض انباتا فأنبتم نباتا فاختصره اكتفاء بالدلالة لالتزامية (ثم يعيدكم فيها) مقبورين (ويخرجكم اخراجا) بالحشر وأكده بالمصدر كأكد به الاول دلالة على أن الاعادة محققة كالابداء وأنها تكون لامحالة (والله جعل لكم الارض بساطا) تتقلبون عليها (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ (قال نوح رب انهم عصوني) فيما أمرتهم به (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) واتبعوا رؤساءهم البطرين بأموالهم المغترين بأولادهم بحيث صار ذلك سبب زيادة خسارهم في الآخرة وفيه أنهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم بالاموال والاولاد وأدت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على أنها لغة كالحزن والحزن أو جمع كالاسد (ومكروا) عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى (مكرا كبارا) كبيرا في الغاية فانه أبلغ من كبارهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على أذى نوح (وقالوا لا تذرن آلهتكم) أي عبادتها زاد ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) ولا تذرن مؤلاء خصوصا قيل هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع وابن عامر بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة (وقد أضلوا كثيرا) الضمير للرؤساء أو للاصنام كقوله انهن أضللن كثيرا (ولا تزد الظالمين الا ضلالا) عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في أمر دينهم أو الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر (مما خطيآتهم) من أجل خطيآتهم وما مزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ أبو عمر ومما خطاياهم (أغرقوا) بالطوفان (فادخلوا نارا) لمراد عذاب القبر أو عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال أو لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط أو وجود مانع وتنكير النار للتعظيم أو لان المراد نوع من النيران (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله لا تقدر على نصرهم (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) أي أحدا وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار أو الدور وأصله ديوار ففعل به ما فعل بأصل سيد لافعال والا لكان دوارا

(قوله ولو تأخر لكان صلة للوقار) أي لا يكون صلة له حال التقدم لان معمول المصدر لا يتقدم عليه (قوله وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع الخ) المبالغة باعتبار ان التركيب يبنى أدنى الظن (قوله لما بينهن من الملابسة) أي ملابسة الكلية والجزئية فالسماء الدنيا جزء من السموات وما حصل في الجزء حصل في الكل كما يقال زيد في البلد وان كان في بعض أجزائه (قوله عطف على رب انهم عصوني) وعطف الانشاء على الاخبار في مثل هذا جائز لان كلا منهما في محل اعراب (قوله وأعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم الخ) انما قال ذلك لان الدعاء بالضلال عن طريق الآخرة لا يناسب النبي لانهم مبعوثون للهداية

(انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) قال ذلك لما جربهم واستقرى أحوالهم ألف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم (رب اغفر لي ولوالدي) لمك بن متوشلخ وشمخا بنت أنوش وكانا مؤمنين (ولمن دخل بيتي) منزلي أو مسجدي أو سفينتي (ومؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات) الى يوم القيامة (ولا تزد الظالمين الا تبارا) هلا كا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح

﴿سورة الجن﴾ مكية وآيها ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل أوحي الي) وقرئ أحي وأصله وحي من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحي على الاصل وفاعله (أنه استمع نفر من الجن) والنفر ما بين الثلاثة الى العشرة والجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن أبدانها وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانما انتفى حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبر الله به رسوله (فقالوا) لما رجعوا الى قومهم (انا سمعنا قرآنا) كتابا (عجبا) بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة (يهدي الى الرشد) الى الحق والصواب (فآمنا به) بالقرآن (ولن نشرك بربنا أحدا) على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد (وانه تعالى جد ربنا) فرأه ابن كثير وابو بصر بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به وو افقهم نافع وأبو بكر الا في قوله وانه لما قام على أنها استئناف أو مقول وفتح الباقون الكل اما مصدر بالفعاء على أن ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور به كانه قيل صدقناه وصدقنا نه تعالى جد ربنا أي عظمته من جد فلان في عيني اذا عظم أو سلطانه أو غناه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالتعالى عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه وقوله (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) بيان لذلك وقرئ جد اعلى التمييز وجد ربنا بالكسر أي صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القرآن مانبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد (وانه كان يقول سفيهنا) ابليس أو مردة الجن (على الله شططا) قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد أو هو شطط لفرط ما أشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله (وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) اعتذار عن اتباعهم السفيه في ذلك بظنهم ان أحدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول أو الوصف المحذوف أي قولا مكذوبا فيه ومن قرأ ان لن تقول كيعقوب جعله مصدر الان اتقول لا يكون الا كذبا (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) فان الرجل كان اذا أمسى بقفر قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه (فزادوهم) فزادوا الجن باستعاذتهم بهم (رهقا) كبرا وعتوا أو فزاد الجن الانس غيابا أضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق في الاصل غشيان الشئ (وانهم) وان الانس (ظنوا كما ظننتم) أيها الجن أو بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض أو استئناف كلام من الله تعالى ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به (أن لن يبعث الله أحدا) سادمسد مفعولي ظنوا (وانا لمسنا السماء) طلبنا بلوغ السماء أو خبرها والمس مستعار من المس للطالب كالجس يقال لمسه والمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه (فوجدناها ملئت حرسا) حراسا اسم جمع كالخدم (شديدا) قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها (وشهبا) جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) مقاعد خالية عن الحرس والشهب

﴿سورة الجن﴾ (قوله على انه استئناف أو مفعول) فالاول بأن لا يكون تحت لقول والثاني بأن يكون تحت قل

أوصالحة للترصد والاستماع والسمع صالحة لتقعد أوصفة لمقاعد (فمن يستمع الآن يجدله شهابا رصدا) أى شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بارجم أوذوى شهاب راصدين على أنه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك فى الصافات (وانا لاندرى أشر أريد بمن فى الارض) بحراسة السماء (أم أراد بهم ربهم رشدا) خيرا (وانامنا الصالحون) المؤمنون الابرار (ومنادون ذلك) أى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون (كنا طرائق) ذوى طرائق أى مذاهب أومثل طرائق فى اختلاف الاحوال أوكانت طرائقنا طرائق (قددا) متفرقة مختلفة جمع قدة من قد ذا قطع (وانا ظننا) علمنا (أن لن نعجزالله فى الارض) كائنين فى الارض أينما كنافيها (ولن نعجزه هربا) هاربين منها الى السماء أولن نعجزه فى الارض ان أراد بنا أمرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا (وانالما سمعنا الهدى) أى القرآن (آمنا به فمن يؤمن بربه فلايخاف) فهو لايحاف وقرئ فلايخف والاول أدل على تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصها بهم (بخسا ولارهقا) نقصانى الجزاء ولاأن يرهقه ذلة أوجزاء بخس لانه لم يبخس لاحد حقا ولم يرهق ظلما لان من حق المؤمن بالقرآن أن يجتنب ذلك (وانامنا المسلمون ومنا القاسطون) الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة (فمن أسلم فاولئك تحروا رشدا) توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) توقد بهم كما توقد بالكفار الانس (وأن لواستقاموا) أى أن الشان لو استقام الجن أوالانس أوكلاهما (على الطريقة) أى على الطريقة المثلى (لأسقيناهم ماء غدقا) لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب (لنفتنهم فيه) لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه أن لواستقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفرانهم (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته أو موعظته أووحيه (يسلكه) يدخله وقرأ غير الكوفيين بالنون (عذابا صعدا) شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به (وأن المساجد لله) مختصة به (فلاتدعوا مع الله أحدا) فلاتعبدوا فيها غيره ومن جعل أن مقدرة باللام علة للنهى ألغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبى عليه الصلاة والسلام مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على أن المراد النهى عن السجود لغير الله وآرابه السبعة أوالسجدات على انه جمع مسجد (وأنه لما قام عبدالله) أى النبى عليه الصلاة والسلام وانماذكر بلفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضى لقيامه (يدعوه) يعبده (كادوا) كادالجن (يكونون عليه لبدا) متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما رأوامن عبادته وسمعوا من قراءته أوكاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال أمره وهو جمع لبدة وهى ماتلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهى لغة وقرئ ليدا كسجدا جمع لبد ولبدا كصبر جمع لبود (قال انما أدعو ربى ولاأشرك به أحدا) فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم أوأطباقكم على مقتى وقرأ عاصم وحمزة قل على الامر للنبى عليه الصلاة والسلام ليوافق مابعده (قل انى لاأملك لكم ضرا ولارشدا) ولانفعا أوغيا عبر عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه أو سببه اشعارا بالمعنيين (قل انى لن يجيرنى من الله أحد) ان أرادنى سوأ (ولن أجد من دونه ملتحدا) منحرفا أوملتجأ وأصله المدخل من اللحد (الا لاغا من الله) استثناء من قوله لاأملك فان التبليغ ارشاد وانتفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة أومن

(قوله أوكانت طرائقنا طرائق) لحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (قوله ولاول أدل على تحقيق نجاة المؤمن) لان الاول خبر فيفيد تحقق عدم الخوف بخلاف الثانى فانه طلب عدم (قوله من جعل ان مقدرة باللام ألغى فائدة الفاء) اى جعل الفاء لغوا لان الفاء ههنا لاتكون الا للسببية وهى مستفادة من اللام (قوله على انه جمع مسجد) هو بفتح الجيم حتى يكون مصدرا (قوله فانه واقع موقع كلامه عن نفسه) أى هو واقع موقع كلام النبى عن حال نفسه (قوله بضم اللام جمع لبدة وهى لغة) وقرئ لبدا (قوله عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه أوسببه اشعارا بالمعنيين) فالاول بالنظر الى أن يكون الضر على معناه الحقيقى ويكون المراد بالرشد الذى هو سببه فيكون التعبير عن الآخر بالسبب الذى هو الرشد لان الرشد سبب النفع والثانى أن يكون المراد بالضر الغى والرشد بمعناه الحقيقى فان الغى سبب الضر فيكون التعبير عن المسبب الذى هو الغى بالضر الذى هو سببه

ملتحدا أو معناه ان لا أبلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب (ورسالاته) عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله صلى الله عليه وسلم بلغوا عني ولو آية (ومن يعص الله ورسوله) في الامر بالتوحيد اذا الكلام فيه (فان له نار جهنم) وقرئ فان على الجزاء وأن (خالدين فيها أبدا) جمعه للمعنى (حتى اذا رأوا ما يوعدون) في الدنيا كوقعة بدر أو في الآخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني أو لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له (فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا) هو أهم (قل ان أدري) ما أدري (أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا) غاية لطول مدتها كأنه لما سمع المشركون حتى اذا رأوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا أدري ما وقته (عالم الغيب) هو عالم الغيب (فلا يظهر) فلا يطلع (على غيبه أحدا) أي على الغيب المخصوص به علمه (الا من ارتضى) العلم لبعضه حتى يكون له معجزة (من رسول) بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وحوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون لغير وسط وكرامات الاولياء على المغيبات اما تكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على أحوال الآخرة بتوسط الانبياء (فانه يسلك من بين يديه) من بين يدي المرتضى (ومن خلفه رصدا) حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخليطهم (ليعلم أن قد أبلغوا) أي ليعلم النبي الموحى اليه أن قد أبلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحي أو ليعلم الله تعالى أن قد أبلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا (رسالات ربهم) كما هي محروسة من التغيير (وأحاط بما لديهم) بما عند الرسل (وأحصى كل شئ عددا) حتى القطر والرمل * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا وكذب به عتق رقبة

﴿سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة أو عشرون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها المزمل) أصله المتزمل من تزمل ثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها أي الذي زمل غيره أو زمل نفسه سمي به النبي عليه الصلاة والسلام تهجينا لما كان عليه فانه كان نائما أو مرتعدا مما دهشه من بدء الوحي متزملا في قطيفة أو تحببا له اذ روي انه عليه الصلاة والسلام كان يصلي متلففا ببرط مفروش على عائشة رضي الله تعالى عنها فنزلت أو تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل أو من تزمل الرمل اذا تحمل الحمل أي الذي تحمل اعباء النبوة (قم الليل) أي قم الى الصلاة أو دوام عليها فيه وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع أو للتخفيف (الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه) الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالناقص والناقص عنه كالثلث أو نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين لا اقل منه كالربع والا كثر منه كالنصف أو للنصف والتخيير بين أن يقوم أقل منه على البت وان يختار أحد الامرين من الاقل والا كثر أو الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه (ورتل القرآن ترتيلا) اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قوله ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا (انا سنلقي عليك قولا ثقيلا) يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه أن يتحملها ويحملها أمته والجملة اعتراض يسهل التكاليف عليه بالتهجد ويدل على أنه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس أو رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه

(قوله أو معناه ان لا أبلغ) فلا من الله صلة بلاغا لان صلته عن لا من (قوله واستدل به على ابطال الكرامات) أي استدل المعتزلة على ابطال كرامات الاولياء بالآية فانه تعالى خصص العلم بالغيب بالرسول فلا يكون للاولياء علم بالغيب أصلا وأجاب بما ذكر ويمكن أن يقال المقصود ان الكلام يفيد اختصاص علم الغيب بالرسول وهذا لا ينفي مطلق الكرامة عن الاولياء اذ الكرامة فعل خارق للعادة سواء كان علم غيب أو غيره

﴿سورة المزمل﴾

(قوله أو تحسبنا له الحاح) فكأنه قيل يأيها المزمل في الصلاة (قوله أو نصفه بدل من الليل والاستثناء منه) أي من النصف فكأنه قيل قم نصف الليل الا قليلا فيكون التخيير بينه أي بين الاقل من الليل وبين الاقل من الاقل من النصف وبين الا كثر من الاقل من النصف كالنصف فأنه الا كثر من الاقل منه (قوله والتخيير بين أن يقوم أقل منه على البت وان يختار أحد الامرين) والمعنى عليك أن تقوم أقل منه لبتة ولا تجاوز عن الاقل الى الا كثر فان أردت أن تتجاوز البتة فانت بالخيار (قوله اذا كان مفلجا) الفلج في الاسنان تباعد ما بين الثنايا والرباعيات (قوله والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه) أي القرآن مشتمل على

أو ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر أو ثقيل فى الميزان أو على الكفار والفجار أو ثقيل تلقيه لقول عائشة رضى الله تعالى عنها رأيته عليه الصلاة والسلام ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستأنفة فان التهجد بعد للنفس ما به تعالج ثقله (ان ناشئة الليل) أن النفس التى تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض وقام قال

نشأنا الى خوص برى نبها السرى * واصق منها مشرفات القماحد

أو قيام الليل على أن الناشئة له أو العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث أو ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد أخرى أو ساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت (هى أشد وطأ) أى كلفة أو ثبات قدم وقرأ أبو عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو وألف بعد ودا أى مواطأة القلب اللسان لها أو فيها أو موافقة لما يراد منها من الخضوع والاخلاص (وأقوم قيلا) أى وأسد مقالا أو أثبت قراءة لحضور القلب وهدوء الاصوات (ان لك فى النهار سبحا طويلا) تقلبا فى مهماتك واشتغالا بها فعليك بالتجهد فان مناجاة الحق تستدعى فراغا وقرئ سبخا أى تفرق قلب باشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره ليلا ونهارا واذكر الله بقلبك وكل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتمجيد وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم (وتبتل اليه تبتيلا) وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا (رب المشرق والمغرب) خبر محذوف أو مبتدأ خبره (لا اله الا هو) وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو (فاتخذه وكيلا) مسبب عن التهليل فان توحيده بالالوهية يقتضى أن توكل اليه الامور (واصبر على ما يقولون) من الخرافات (واهجرهم هجرا جميلا) بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم ونكل أمرهم الى الله فانه يكفيكهم كما قال (وذرنى والمكذبين) دعنى وإياهم وكل الى أمرهم فان بى غنية عنك فى مجازاتهم (أولى النعمة) أرباب التنعم يريد صناديد قريش (ومهلهم قليلا) زمانا أو امهالا (ان لدينا أنكالا) تعليل للامر والنكل القيد الثقيل (وجحيما وطعاما ذا غصة) طعاما ينشب فى الحلق كالضريع والزقوم (وعذابا أليما) ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يعرف كنهه الا الله تعالى ولما كانت العقوبات الاربع مما تشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المهمكة فى الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلى أنوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله تعالى (يوم ترجف الارض والجبال) تضطرب وتتزلزل ظرف لما فى ان لدينا أنكالا من معنى الفعل (وكانت الجبال كثيبا) رملا مجتمعا كأنه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشئ اذا جمعته (مهيلا) منثورا من هيل هيلا اذا نثر (انا أرسلنا اليكم رسولا) يأهل مكة (شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة والامتناع (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه الصلاة والسلام ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به (فعصى فرعون الرسول) عرفه بسبق ذكره (فاخذناه أخذا وبيلا) ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم (فكيف تتقون) أنفسكم (ان كفرتم) بقيتم على الكفر (يوما) عذاب يوم (يجعل الولدان شيبا) من شدة هوله وهذا على الفرض أو التمثيل وأصله أن الهموم تضعف القوى وتسرع الشيب ويجوز أن يكون وصفا لليوم بالطول (السماء منفطر) منشق والتذكير على تاويل السقف أو اضمار شئ (به) بشدة ذلك اليوم على عظمها

التكاليف الشاقة عليك وعلى أمتك فسهل على نفسك التهجد حتى تعتاد بالعمل بالتكاليف الشاقة (قوله والجملة على هذه الاوجه للتعليل) أى لتعليل الامر بالتهجد أى انما أمرت بالتهجد للتسهيل عليك لحمل القول لان التهجد يعد للنفس (قوله نشأنا الى خوص برى فيها السرى الخ) الخوص جمع خوصاء وهى الناقة ويرى معناه ذهب والى السمن وألصق بمعنى تكسر والمشرفات الاعالى والقماحد جمع القمحدة وماخلف الرأس وغرض الشاعر انا قصدنا الى ناقة مهزولة بسبب السير فارتحلنا (قوله مواطأة القلب اللسان لها أو فيها) توضيحه ان أريد بالناشئة النفس كما هو التفسير الاول يكون المعنى أشد مواطأة القلب اللسان لها أى للنفس وان أريد المعانى الأخر كان المعنى أشد مواطأة القلب اللسان فيها (قوله ولهذه الرمزة ومراعاة لفواصل الخ) أى مصدر تبتل تبتلا فالعدول الى تبتيل الذى هو مصدر باب التفعيل للاشارة الى معنى التجريد المفهوم من التبتيل ولمراعاة موافقة أواخر الآيات (قوله ولم يعينه الخ) أى لم يعين موسى لان المقصود ههنا غير متعلق بعينه (قوله أو باضمار شئ) بان يقال سطح

واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة (كان وعده مفعولا) الضمير لله عز وجل أو لليوم على اضافة المصدر الى المفعول (ان هذه) أى الآيات الموعدة (تذكرة) عظة (فمن شاء) أن يتعظ (اتخذ الى ربه سبيلا) أى يتقرب اليه بسلوك التقوى (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه) استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ أقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على أدنى (وطائفة من الذين معك) ويقوم ذلك جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هى الا الله تعالى فان تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله (علم أن لن تحصوه) أى ان تحصوا تقدير الاوقات وان تستطيعوا ضبط الساعات (فتاب عليكم) بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه كما رفع التبعة عن التائب (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقرآن كما عبر عنها بسائر أركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فصار عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس أو فاقرؤا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم (علم أن سيكون منكم مرضى) استئناف يبين حكمة أخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال (وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله) والضرب فى الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه وأقيموا الصلوة) المفروضة (وآتوا الزكوة) الواجبة (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يريد به الامر فى سائر الانفاقات فى سبل الخيرات أو بأداء الزكاة على أحسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به فى قوله (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت أو من متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوه وهو تأكيد أو فصل لان أفعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر (واستغفروا الله) فى مجامع أحوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط (ان الله غفور رحيم) عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

﴿سورة المدثر مكية وآيها خمس وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يأيها المدثر) أى المتدثر وهو لابس الدثار روى أنه عليه الصلاة والسلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم أر شيأ فنظرت فوقى فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت فرجعت الى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبريل وقال يأيها المدثر ولذلك قيل هى أول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا أو كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة ولكمالات النفسانية أو المختفى فانه كان بحراء كالمختفى فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر أى الذى دثر هذا الامر وعصب به (قم) من مضجعك أو قم قيام عزم وجد (فانذر) مطلق للتعميم أو مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين أو قوله وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا (وربك فكبر) وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روى أنه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيقن أنه الوحى وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك ولفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكأنه قال وما يكن فكبر ربك أو الدلالة على أن المقصود الاول من الامر بالقيام أن يكبر به عن الشرك والتشبيه فان أول ما يجب معرفة الصانع وأول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به (وثيابك فطهر) من

ماء السماء أو جنسها (قوله والترغيب فيه بوعد العوض) لان القرض فى أصل الشرع يوجب العوض (قوله أو فصل لان أفعل من كالمعرفة) أى ضمير الفصل يفصل بين الخبر المعرف وبين الصفة لكن خير ليس معرفة فلا حاجة الى ضمير الفصل ههنا فأجاب بان خيرا فعل من لانه فى الاصل أخير من كذا وافعل من حكم المعرفة

﴿سورة المدثر﴾

(قوله وقرئ المدثر) هو بصيغة المفعول فى باب التفعيل ومعناه الذى دثر هذا الامر أى النبوة وعصب أى قوى به (قوله أو الدلالة على ان المقصود الاول الخ) لا يخفى ان قوله تعالى قم فأنذر دال على ان المقصود الاول من الأمر بالقيام أن ينذر ثم يكبر ربه وأما ما ذكره بخلاف الظاهر

النجاسات فان التطهير واجب فى الصلوات محبوب فى غيرها وذلك بغسلها أو بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو أول ما مُر به من رفض العادات المذمومة أو طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدنيئة فيكون أمرا باستكمال القوة العملية بعد أمره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه أو فطهر ذا ثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر (والرجز فاهجر) فاهجر العذاب باثبات على هجر ما يؤدى اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر (ولا تمنن تستكثر) أى لا تعط مستكثرا نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيأ طامعا فى عوض أكثر نهى تنزيه أو بهيأ خاصا به لقوله عليه الصلاة والسلام المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة أو لا تمنن على الله تعالى بعبادتك مستكثرا اياها أو على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم أو مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف أو الابدال من تمنن على أنه من من بكذا أو تستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار أن وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روى احضر الوغى بالرفع (ولربك) لوجهه أو أمره (فاصبر) فاستعمل الصبر أو فاصبر على مشاق التكاليف وأذى المشركين (فاذا نقر) نفخ (فى الناقور) فى الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك وأعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين) لان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدل أو ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقت وقوع يوم عسير (غير يسير) تأكيد يمنع أن يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين (ذرنى ومن خلقت وحيدا) نزلت فى الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء أى ذرنى وحدى معه فانى أكفيكه أو من التاء أى ومن خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد أو من العائد المحذوف أى من خلقته فريدا لا مال له ولا ولد أو ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله به تهكما أو ارادة أنه وحيد ولكن فى الشرارة أو عن أبيه فانه كان زنيما (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا كثيرا أو ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج الى أن يرسلهم فى مصالحه لكثرة خدمه أو فى المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين أو أكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب بريحانة قريش والوحيد أى باستحقاقه الرياسة والتقدم (ثم يطمع أن أزيد) على ما أوتيه وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما أوتى أو لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال (كلا انه كان لآياتنا عنيدا) فانه رد لما طمع فيه عن الطمع وتعليل للرد على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول هذه الآية فى نقصان ماله حتى هلك (سارهقه صعودا) سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد عنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا (انه فكر وقدر) تعليل للوعيد أو بيان للعناد والمعنى فكر فيما يخيل طعنا فى القرآن وقدر فى نفسه ما يقول فيه (فقتل كيف قدر) تعجب من تقديره استهزاء به أو لانه أصاب أقصى ما يمكن أن يقال عليه من قولهم قتله الله ما أشجعه أى بلغ فى الشجاعة مبالغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روى أنه مر بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فاتى قومه وقال

(قوله يثاب من هبته) أى بدل حقيقة (قوله أو مستكثرا اياه) أى مستكثرا التبليغ (قوله اذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير) لا يخفى انه اذا قدر الوقوع على يوم عسير يجب تقديره فى المبتدأ فيكون المعنى وقوع ذلك الوقت وقوع يوم عسير فى وقت النقر فلزم أن يكون وقت النقر ظرفا لوقوع يوم عسير فلزم أن يكون يوم عسير غير وقت النقر اذ لا معنى لوقوع شئ فى نفسه فالوجه فى الاعراب ما قاله أولا (قوله ويشعر بيسره على المؤمنين لتخصيص ذكره بالكفار) ويمكن ان يقال على الكافرين يتعلق بغير يسير فيفيد التخصيص فان قيل قد منع النحاة ان يفعل المضاف اليه فيما تقدم على المضاف قلنا انهم جوزوا ما أنا زيدا غير ضارب بامال ضارب فى زيد امع تقدمه عليه حلا على أنا زيد الاضارب

لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقالت قريش صبأ الوليد فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام فناداهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا اللهم لا فقال ماهو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ففر حوا بقوله وتفرقوا عنه متعجبين منه (ثم قتل كيف قدر) تكرير للمبالغة وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الاولى وفيما بعد على أصلها (ثم نظر) أي في أمر القرآن مرة بعد أخرى (ثم عبس) قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ما يقول أو نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب في وجهه (وبسر) اتباع لعبس (ثم أدبر) عن الحق أو الرسول عليه الصلاة والسلام (واستكبر) عن اتباعه (فقال ان هذا الا سحر يؤثر) يروى ويتعلم والفاء للدلالة على أنه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر (ان هذا الا قول البشر) كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها (ساصليه سقر) بدل من سارهقه صعودا (وما أدراك ماسقر) تفخيم لشانها وقوله (لا تبقي ولا تذر) بيان لذلك أو حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شئ يلقى فيها ولا تذره حتى تهلكه (لواحة للبشر) أي مسودة لاعالى الجلد أو لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص (عليها تسعة عشر) ملكا أو صنفا من الملائكة يلون أمرها والمخصص لهذا العدد أن اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرية والطبيعية السبع أو أن لجهنم سبع دركات ستة منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل أنواعا من العذاب تناسبها على كل نوع ملك أو صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك أو صنف وأن الساعات أربع وعشرون خمسة منها مصروفة في الصلاة فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيها يؤاخذ به بانواع من العذاب بتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي حركات فيما هو كاسم واحد وتسعة أعشر جمع عشير كيمين وأيمن أي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم أو جمع عشر فتكون تسعين (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة) ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقون لهم ولا يستروحون اليهم ولانهم أقوى الخلق بأسا وأشدهم غضبا لله روي ان أبا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فنزلت (وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا) وما جعلنا عددهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو تسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على أنه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم أن يتولى هذا العدد القليل تعذيب أكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما في كتابهم (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) بالايمان به وبتصديق أهل الكتاب له (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) أي في ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفي لما يعرض للمتيقن حينما عراه شبهة (وليقول الذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون في المدينة بعد الهجرة (والكافرون) الجازمون في التكذيب (ماذا أراد الله بهذا مثلا) أي شئ أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا أنه مثل مضروب (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) مثل ذلك الذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين (وما يعلم جنود ربك) جموع خلقه على ما هم عليه (الا هو) اذ لا سبيل لاحد الى حصر

(قوله والعامل فيها معنى التعظيم) والمعنى عظم السقر حال كونها لا تبقي ولا تذر
(قوله أولائحة للناس) أي ظاهرة لهم كقولهم لاح البرق
(قوله بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشر) وهي الحواس العشر والقوتان الشهوية والغضبية وأما الطبيعية السبع فالجاذبة والماسكة والهاضمة والغاذية والدافعة والنافية والمولدة
(قوله فنزلت) يعني نزلت الآية لافادة ان أصحاب النار ملائكة (قوله فواهم ليست من جنس قوى البشر) لتباين أحدهما الآخر (قوله تنبيها على انه لا ينفك عنه) أي لا ينفك المؤمن أصحاب النار التي هي الملائكة عن الاثر الذي هو الفتنة (قوله لعل المراد من يجعل بالقول) أي ما قلنا ان تسعة عشر أصحاب النار الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الآية فان قيل انه اذا أريد بالجعل القول لا يناسبه قوله الا فتنة للذين كفروا اذ لا يصح التركيب المذكور كما لا يخفى قلنا هذا القول أيضا سبب الفتنة بل هو سببه القريب لانه اذا قيل ذلك استهزأ الكفار باستقلالهم واستبعادهم تولي هم العذاب الثقلين

الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها ومايوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة (وماهي) وماسقر أوعدة الخزانة أوالسورة (الاتذكرة للبشر) الاتذكرهم (كلا) ردع لمن أنكرها وأنكر لان يتذكروابها (والقمر والليل اذا دبر) أى أدبر كقبل بمعنى أقبل وقرأنافع وحمزة ويعقوب وحفص اذأدبر على المضى (والصبح اذا أسفر) أضاء (انها لاحدى الكبر) أى لاحدى البلايا الكبرأى البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للاولف منزلة التاء كالحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم أوتعليل لكلا والقسم معترض للتأكيد (نذيرا للبشر) تمييز لأحدى الكبر انذارا أوحال عما دلت عليه الجملة أى كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا أوخبرالمحذوف (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتاخر) بدل من للبشر أى نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه أولمن شاء خبر لان شاء يتقدم فيكون فى معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (كل نفس بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله مصدر كالشكيمة أطلقت للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين (الا أصحاب اليمين) فانهم فكوارقابهم بما أحسنوا من أعمالهم وقيل هم الملائكة أوالاطفال (فى جنات) لا يكتنه وصفها وهى حال من أصحاب اليمين أوضمير هم فى قوله (يتساءلون عن المجرمين) أى يسأل بعضهم بعضا أو يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه أى دعوناه وقوله (ماسلككم فى سقر) بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤلين والمجرمين أجابوا بها (قالوالم نك من المصلين) الصلاة الواجبة (ولم نك نطعم المسكين) أى ماوجب اعطاؤه وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع (وكنا نخوض) نشرع فى الباطل (مع الخائضين) مع الشارعين فيه (وكنا نكذب بيوم الدين) أخره لتعظيمه أى وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة (حتى أتانا اليقين) الموت ومقدماته (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) لوشفعوا لهم جميعا (فالهم عن التذكرة معرضين) أى معرضين عن التذكير بمعنى القرآن أومايعمه ومعرضين حال (كأنهم حمر مستنفرة) شبههم فى اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة (فرت من قسورة) أى أسد فعولة من القسر وهو القهر (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كلا منا بكتاب من السماء فيه من الله الى فلان اتبع محمدا (كلا) ردع لهم عن اقتراحهم الآيات (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك أعرضوا عن التذكرة لالامتناع إيتاء الصحف (كلا) ردع عن اعراضهم (انه تذكرة) وأى تذكرة (فمن شاء ذكره) فمن شاء أن يذكره (وما يذكرون الا أن يشاء الله) ذكرهم أو مشيئتهم كقوله وما تشاؤن الا أن يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله تعالى وقرأنافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا (هو أهل التقوى) حقيق بان يتقى عقابه (وأهل المغفرة) حقيق بأن يغفر لعباده سيما المتقين منهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد عليه الصلاة والسلام وكذب به بكل مثقير فيها الله تعالى

﴿سورة القيامة﴾ مكية وآيها أربعون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لا أقسم بيوم القيامة) ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع فى كلامهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامرى * لا يدعى القوم أنى أفر

وقد مر الكلام فيه فى قوله فلا أقسم بمواقع النجوم وقرأ قنبل لأقسم بغير ألف بعد اللام وكذا روى عن البزى (ولا أقسم بالنفس اللوامة) بالنفس المتقية التى تلوم النفوس المقصرة فى التقوى يوم

(قوله ولو كانت صفة لقيل رهين) لان الفعيل بمعنى المفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث (قوله أخره لتعظيمه) اى أخره عن قوله وكنا نخوض مع الخائضين (قوله ليكون تخصيصا بعد تعميم) لان الخوض فى الباطل عام لتكذيب يوم الدين

﴿سورة القيامة﴾

(قوله وصمها الى يوم القيامة لان المقصود من اقامتها مجازاتها) أى لان المقصود من اقامة القيامة مجازاة النفوس فلذا أقسم بها بعد الاقسام بيوم القيامة (قوله لجواز أن يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام) فعلى الاول يكون استفهاما لانه اضراب عن مستفهم الى مستفهم آخر وعلى الثانى يكون ابجابا لان الاضراب عن الاستفهام يوجب عدم بقائه (قوله ولا ينافيه الخسوف لانه مستعار للمحاق) أى جمع الشمس والقمر لا ينافى خسوف القمر المعنى ههنا وهو مجرد عدم الضوء نعم الجمع المذكور ينافى خسوفه بالمعنى الاصطلاحى الذى هو زوال ضوء القمر لحيلولة الارض بينه وبين الشمس (قوله والجمع باستتباع الروح الحاسة فى الذهاب) فالمعنى جمع الشمس الذى هو الروح والقمر الذى هو الحاسة لانه كان نور القمر تابع للشمس كذلك الحاسة تابع للروح (قوله وقرئ بالكسر وهو المكان) أى قرئ المفر بكسر الفاء (قوله لانه شاهد بها) أى لان الانسان شاهد بالأعمال لان جوارحه تدل عليه كما قال تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم (قوله وذلك أولى) أى جمع معذرة على المعاذير أولى من جمع المنكر على المناكير لان التغيير من الاول أقل من التغيير فى الثانى لان الميم فى الاول على حاله دون الثانى وكذا الدال فى الاول باق على كسره والكاف تغيير من الفتح الى الكسر (قوله وفيه نظر) لعل وجه النظر ما قاله صاحب الكشاف ان المعاذير ليس جمع معذرة بل اسم جمع لها (قوله وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العاجلة) أى قوله تعالى لا تحرك به لسانك الى قوله بيانه اعتراض بين كلامين متصلين فى أحوال الآخرة لان قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة فى حال الاخرة

القيامة على تقصيرها أو التى تلوم نفسها بدا وان اجتهدت فى الطاعة أو النفس المطمئنة اللوامة للنفس الامارة أو بالجنس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم أزدد وان عملت شرا قالت يا ليتنى كنت قصرت أو نفس آدم فانها لم تزل تتلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيامة لان المقصود من اقامتها مجازاتها (أيحسب الانسان) يعنى الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب أو الذى نزل فيه وهو عدى بن أبى ربيعة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر القيامة فأخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك أو يجمع الله هذه العظام (أن لن نجمع عظامه) بعد تفرقها وقرئ أن لن يجمع على البناء للمفعول (بلى) نجمعها (قادرين على أن نسوى بنانه) بجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام أو على أن نسوى بنانه الذى هو أطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع أى نحن قادرون (بل يريد الانسان) عطف على أيحسب فيجوز أن يكون استفهاما وأن يكون ايجابا لجواز أن يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام (ليفجر أمامه) ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (يسأل أيان يوم القيامة) متى يكون يوم القيامة استبعادا له أو استهزاء (فاذا برق البصر) تحير ففزع من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة أو من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح (وخسف القمر) ذهب ضوؤه وقرئ على البناء للمفعول (وجمع الشمس والقمر) فى ذهاب الضوء أو الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على أمارات الموت أن يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة فى الذهاب أو بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف (يقول الانسان يومئذ أين المفر) أى الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمنى وقرئ بالكسر وهو المكان (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) لا ملجأ مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على أمارات الموت أن يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة فى الذهاب أو بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف (يقول الانسان يومئذ أين المفر) أى الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمنى وقرئ بالكسر وهو المكان (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل (الى ربك يومئذ المستقر) اليه وحده استقرار العباد أو الى حكمه استقرار أمرهم أو الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) بما قدم من عمل عمله وبما أخره من سنة حسنة أو سيئة عمل بها بعده أو بما قدم من مال تصدق به وبما أخر خلفه أو بأول عمله وآخره (بل الانسان على نفسه بصيرة) حجة بينة على أعماله لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز أو عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء (ولو ألقى معاذيره) ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به جمع معذار وهو العذر أو جمع معذرة على غير قياس كالمناكير فى المنكر فان قياسه معاذر وذلك أولى وفيه نظر (لا تحرك) يا محمد (به) بالقرآن (لسانك) قبل أن يتم وحيه (لتعجل به) لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك (ان علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) واثبات قراءته فى لسانك وهو تعليل للنهى (فاذا قرأناه) بلسان جبريل عليك (فاتبع قرآنه) قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ فى ذهنك (ثم ان علينا بيانه) بيان ما أشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة

فيما هو أهم الامور وأصل الدين فكيف بها فى غيره أو بذكر ما اتفق فى أثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لاتحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع مافيه من أعمالك وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قراءته بالاقرار أو التأمل فيه ثم ان علينا بيان أمره بالجزاء عليه (كلا) ردع للرسول عن عادة العجلة أو للانسان عن الاغترار بالعاجل (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) تعميم للخطاب اشعارا بان بنى آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما (وجوه يومئذ ناضرة) بهية متهللة (الى ربها ناظرة) تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا فى كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لايسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وأن المستعمل بمعناه لايتعدى بالى وقول الشاعر

واذا نظرت اليك من ملك * والبحر دونك زدتنى نعما

بمعنى السؤال فان الانتظار لايستعقب العطاء (ووجوه يومئذ باسرة) شديدة العبوس والباسل أبلغ من الباسر لكنه غلب فى الشجاع اذا اشتد كلوحه (تظن) تتوقع أربابها (أن يفعل بها فاقرة) داهية تكسر الفقار (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة (اذا بلغت التراقى) اذا بلغت النفس أعالى الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها (وقيل من راق) وقال حاضر وصاحبها من يرقيه مما به من الرقية أو قال ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقىّ (وظن أنه الفراق) وظن المحتضر أن الذى نزل به فراق الدنيا ومحابها (والتفت الساق بالساق) والتوت ساقه بساقه فلا يقدر على تحريكهما أو شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة (الى ربك يومئذ المساق) سوقه الى الله تعالى وحكمه (فلا صدق) مايجب تصديقه أو فلا صدق ماله أى فلا زكاه (ولا صلى) مافرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور فى أيحسب الانسان (ولكن كذب وتولى) عن الطاعة (ثم ذهب الى أهله يتمطى) يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون أصله يتمطط أو من المطا وهو الظهر فانه يلويه (أولى لك فاولى) ويل لك من الولى وأصله أولاك الله ماتكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم أو أولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كأدنى من أدون أو فعلى من آل يؤل بمعنى عقباك النار (ثم أولى لك فاولى) أى يتكرر ذلك عليه مرة بعد أخرى (أيحسب الانسان أن يترك سدى) مهملا لا يكلف ولا يجارى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضى الامر بالمحاسن والنهى عن القبائح والتكليف لايتحقق الا بالمجازاة وهى قد لاتكون فى الدنيا فتكون فى الآخرة (ألم يك نطفة من منىّ يمنى ثم كان علقة فخلق فسوّى) فقدره فعدله (فجعل منه الزوجين) الصنفين (الذكر والانثى) وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة على مامر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) * عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامه أنه كان مؤمنا به

﴿سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(هل أتى على الانسان) استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد وأصله أهل كقوله

وكذا قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وهو توكيد التوبيخ على حب العاجلة لان حبها منشأ فى العجلة (قوله ويؤيده قراءة ابن كثير الخ) أى يؤيد هذه القراءة أن يكون الخطاب للانسان لانه اذا أورد بصيغة الغيبة كان الضمير له (قوله وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر) أى تفسير الوجه بجملة الشخص حتى يصح اسناد الانتظار اليه خلاف الظاهر لان الوجه حقيقة العضو المخصوص لا جملة الشخص ومجموعه وان المستعمل بمعناه) لا يعدى بالى (قوله فان الانتظار لايستعقب العطاء) أى لايستلزم الانتظار العطاء فلا يحسن ترتب الجزاء الذى هو زدتنى نعما على الشرط الذى هو الانتظار بل المناسب حمل الانتظار على السؤال لان السؤال عن الكريم يترتب عليه العطاء

﴿سورة الدهر﴾

* أهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم * (حين من الدهر) طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود (لم يكن شيأ مذكورا) بل كان شيأ منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان أو وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله (انا خلقنا الانسان من نطفة) أو آدم بين أوّلا خلقه ثم ذكر خلقه بنيه (أمشاج) أخلاط جمع مشج أو مشج أو مشيج من مشجت الشئ اذا خلطته وجمع النطفة به لان المراد بها مجموع منى الرجل والمرأة وكل منهما مختلف الاجزاء فى الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادّة عضو وقيل مفرد كأعشار وأكياش وقيل ألوان فان ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فاذا اختلطا اخضرا أو أطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة (نبتليه) فى موضع الحال أى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعير له الابتلاء (فجعلناه سميعا بصيرا) ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب عن الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله (انا هديناه السبيل) أى بنصب الدلائل وانزال الآيات (اما شاكرا واما كفورا) حالان من الهاء واما للتفصيل أو التقسيم أى هديناه فى حاليه جميعا أو مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه أو من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا وانما المؤاخذ به التوغل فيه (انا أعتدنا للكافرين سلاسل) بها يقادون (وأغلالا) بها يقيدون (وسعيرا) بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن وقرأ نافع والكسائى وأبو بكر سلاسلا للمناسبة (ان الابرار) جمع برّ كارباب أو بار كاشهاد (يشربون من كأس) من خمر وهى فى الاصل القدح تكون فيه (كان مزاجها) ما يمزج بها (كافورا) لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء فى الجنة يشبه الكافور فى رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به (عينا) بدل من كافورا ان جعل اسم ماء أو من محل من كأس على تقدير مضاف أى ماء عين أو خمرها أو نصب على الاختصاص أو بفعل يفسره ما بعدها (يشرب بها عباد الله) أى ملتذا بها أو ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة أو بمعنى من لان الشرب مبتدأ منها كما هو (يفجرونها تفجيرا) يجرونها حيث شاؤا اجراء سهلا (يوفون بالنذر) استئناف ببيان ما رزقوه لاجله كأنه سئل عنه فاجيب بذلك وهو أبلغ فى وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه على نفسه لله تعالى كان أوفى بما أوجبه الله تعالى عليه (ويخافون يوما كان شره) شدائده (مستطيرا) فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصى (ويطعمون الطعام على حبه) حب الله تعالى أو الطعام أو الاطعام (مسكينا ويتيما وأسيرا) يعنى أسراء الكفار فانه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول أحسن اليه أو الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفى الحديث غريمك أسيرك فاحسن الى أسيرك (انما نطعمكم لوجه الله) على ارادة القول بلسان الحال أو المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافأة المنقصة للاجر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها كانت تبعث بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) أى شكرا (انا نخاف من ربنا) فلذلك نحسن اليكم أو لا نطلب المكافأة منكم (يوما) عذاب يوم (عبوسا) تعبس فيه الوجوه أو يشبه الاسد العبوس فى ضراوته (قمطريرا) شديد العبوس كالذى

(قوله بحذف الراجع) فالتقدير لم يكن شيأ مذكورا فيه (قوله فهو كالمسبب فى الابتلاء) أى جعل الله الانسان سميعا بصيرا كالمسبب عن الابتلاء لان المقصود من جعله سميعا بصيرا ان ينظر الدلائل ويستمع الآيات فيختبر هل ينتفع بها أولا وانما قال كالمسبب لان سبب جعله سميعا بصيرا القصد الى ما ذكر من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات (قوله ولذلك الخ) أى ولاجل انه كالمسبب عن الابتلاء عطف قوله جعلناه على خلقنا المقيد بنبتليه ورتب عليه ما ذكر لانه متضمن للاهتداء الى هداية السبيل وذلك يستلزم الابتلاء (قوله واما للتفصيل أو التقسيم) الاول باعتبار تعدد الحال والصفة وان كانت الذات واحدة والثانى باعتبار تعدد الذات بان يكون بعض الافراد شاكرا وبعض آخر كفورا (قوله واشعارا الخ) أى عدم ذكر الكافر فى مقابلة الشاكر اشعار بان كل انسان لا يخلو عن كفران فلا مقابلة ولا تنافى بين الكافر والشاكر حتى يجعلا قسيمين لانهما قد يجتمعان بل المقابل للشاكر الكفور (قوله وفيه اشعار الخ) لان حسن العقيدة

بجمع ما بين عينيه من القطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) بسبب خوفهم وتحفظهم عنه (ولقاهم نضرة وسرورا) بدل عبوس الفجار وحزنهم (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال (جنة) بستانا يأكلون منه (وحريرا) يلبسونه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك فنذر على وفاطمة رضى الله تعالى عنهما وفضة جارية لهما صوم ثلاث ان برئا فشفيا وما معهم شئ فاستقرض على من شمعون الخيبرى ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا ولم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم فى الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل عليه السلام بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله فى أهل بيتك (متكئين فيها على الارائك) حال من هم فى جزاهم أو صفة لجنة (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) يحتملهما وأن يكون حالا من المستكن فى متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر فى لغة طيئ قال راجزهم

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير مازهر

والمعنى ان هواءها مضىء بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) حال أو صفة أخرى معطوفة على ما قبلها أو عطف على جنة أى وجنة أخرى دانية على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال أو صفة (وذللت قطوفها تذليلا) معطوف على ما قبله أو حال من دانية وتذليل القطوف أن تجعل سهلة التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) وأباريق بلا عروة (كانت قوارير قوارير من فضة) أى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقدنون قوارير من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها رأس الآية وقرئ قوارير من فضة على هى قوارير (قدروها تقديرا) أى قدروها فى أنفسهم فجاءت مقاديرها وأشكالها كما تمنوه أو قدروها بأعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها أو قدروا لطافتهن بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها أى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشئ (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) مايشبه الزنجبيل فى الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به (عينا فيها تسمى سلسبيلا) لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به أن يثنى عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل أصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) دائمون على (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) من صفاء ألوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض (واذا رأيت ثم) ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك أينما وقع (رأيت نعيما وملكا كبيرا) واسعا وفى الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه هذا للعارف أكبر من ذلك وهو أن تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضىء بأنوار قدس الجبروت (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق) يعلوهم ثياب الحرير الخضر مارق منها وماغلظ ونصبه على الحال من هم فى عليهم أو حسبتهم أو ملكا على تقدير مضاف أى وأهل ملك كبير

والاجتناب عن المعاصى مترتبان على الخوف (قوله وفى الحديث الخ) الغرض منه ان الغريم أيضا داخل فى الاسير

عاليهم وقرأ نافع في عاليهم وحمزة بالرفع على أنه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وأبو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالعني فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأهما حفص وحمزة والكسائي بالرفع وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب (وحلوا أساور من فضة) عطف على يطوف عليهم ولا يخالفه قوله أساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي أهل الجنة تختلف باختلاف أعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حليا وأنوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة وحال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) بريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك أسند سقيه الى الله عز وجل ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم بها ثواب الابرار (ان هذا كان لكم جزاء) على اضمار القول والاشارة الى ماعد من ثوابهم (وكان سعيكم مشكورا) مجازى عليه غير مضيع (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لا ختصاص التنزيل به (فاصبر لحكم ربك) بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) أي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي لك اليه والمراد لا دلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار مايدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعي أن تكون المطاوعة في الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس بآثم ولا كفر غير محظور (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) وداوم على ذكره أو دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما (ومن الليل فاسجد له) و بعض الليل فصل له تعالى ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص (وسبحه ليلا طويلا) وتهجد له طائفة طويلة من الليل (ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم) أمامهم أو خلف ظهورهم (يوما ثقيلا) شديدا مستعارا من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) وأحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) واذا شئنا أهلكناهم وبدلنا أمثالهم تبديلا في الخلقة وشدة الاسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء باذا أو بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية (ان هذه تذكرة) الاشارة الى السورة أو الآيات القريبة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) تقرب اليه بالطاعة (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) وما تشاؤن ذلك الا وقت أن يشاء الله مشيئتكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بياشاؤن بالياء (ان الله كان عليما) بما يستأهل كل أحد (حكيما) لايشاء الا ماتقتضيه حكمته (يدخل من يشاء في رحمته) بالهداية والتوفيق للطاعة (والظالمين أعد لهم عذابا أليما) نصب الظالمين بفعل يفسره أعد لهم مثل أوعدوكما ألبطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء *عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية وآيها خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا) أقسام بطوائف من الملائكة أرسلهن الله تعالى بأوامر متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال أمره ونشرن الشرائع في الارض أو نشرن النفوس الموتى بالجهل بما أوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل

(قوله حملا على سندس بالمعنى) لان الخضر جمع والسندس مفرد فجعله صفة لكون السندس جمعا في المعنى لانه اسم جنس (قوله والفتح) أي على فتح القاف باعتبار انه في الاصل فعل ثم جعل علما (قوله ولا يخالفه قوله أساور من ذهب) يعني انه تعالى قال أساور من ذهب (قوله التقسيم باعتبار مايدعونه اليه) أي التقسيم الى الآثم والكفور باعتبار الاثم والكفر الذي يدعوا الكفار النبي صلى الله عليه وسلم اليهما (قوله وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه) لان الكلام يفيد تهديد محب العاجلة والترغيب الى حب الآجل والاول علة للنهي عن طاعة الآثم والكفور والثاني علة للامر بالطاعة

سورة المرسلات

فالقين الى الانبياء ذكر اعذرا للمحقين ونذرا للمبطلين أو بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد عليه الصلاة والسلام فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين أو بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ماسوى الحق ونشرن أثر ذلك في جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه فبرون كل شئ هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والالسنة الا ذكر الله تعالى أو برياح عذاب أرسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا أي تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفانا مانقيض النكر وانتصابه على العلة أي أرسلن للاحسان والمعروف أو بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال (عذرا أو نذرا) مصدران لعذر اذا محا الاساءة ونذر اذا خوف أو جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار أو بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلية أي عذرا للمحقين أو نذرا للمبطلين أو البدل من ذكرا على أن المراد به الوحي أو مايعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما أبو عمر وحمزة والكسائي وحفص بالتخفيف (انما توعدون لواقع) جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة (فاذا النجوم طمست) محقت أو أذهب نورها (واذا السماء فرجت) صدعت (واذا الجبال نسفت) كالحب ينسف بالمنسف (واذا الرسل أقتت) عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله أو بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرأ أبو عمر ووقتت على الاصل (لاى يوم أجلت) أي يقال لاى يوم أخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز أن يكون ثانى مفعولي أقتت على أنه بمعنى أعلمت (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل (وما أدراك مايوم الفصل) ومن أين تعلم كنهه ولم ترمثله (ويل يومئذ للمكذبين) أي بذلك وويل في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه ويومئذ ظرف أوصفته (ألم نهلك الاولين) كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى أهلكه (ثم نتبعهم الآخرين) أي ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين من الهالكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام (كذلك مثل ذلك الفعل (نفعل بالمجرمين) بكل من أجرم (ويل يومئذ للمكذبين) بآيات الله وأنبيائه فليس تكريرا وكذا ان أطاق التكذيب أو عاق في الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع أن التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب (ألم نخلقكم من ماء مهين) نطفة مذرة ذليلة (فجعلناه في قرار مكين) هو الرحم (الى قدر معلوم) الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة (فقدرنا) فقدرنا على ذلك أو فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد (فنعم القادرون) نحن (ويل يومئذ للمكذبين) بتقديرنا على ذلك أو على الاعادة (ألم نجعل الارض كفاتا) كافتة اسم لما يكفت أي يضم ويجمع كالضمام والجماع اسم لما يضم ويجمع أو مصدر نعت به أو جمع كافت كصائم وصيام أو كفت وهو الوعاء أجرى على الارض باعتبار أقطارها (أحياء وأمواتا) منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم أو لان أحياء الانس وأمواتهم بعض الاحياء والاموات أو الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس أو ينجعل على المفعولية وكفاتا حال أو الحالية فيكون المعنى بالاحياء ماينبت وبالاموات مالا ينبت (وجعلنا فيها رواسي شامخات) جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم أو الاشعار بان فيها مالم يعرف ولم ير (وأسقيناكم ماء فراتا) بخلاف الانهار

(قوله أو مايعم التوحيد والشرك الخ فيكون القاء التوحيد للعذر أي يلحق الاسناد القاء الشرك في قلوب للانذار والتخويف منه (قوله بحصوله) أي بحصول ذلك الوقت أي أتعيين المذكور عبارة عن الحصول (قوله فيومئذ ظرفه أوصفته) أي ظرف ويل أوصفته (قوله ككفار مكة) كون الآخرين كفار مكة مستفاد من تتبعهم بصيغة المضارع واذا كان معطوفا على نهلك كان لم مقدرا عليه فيفيد هلاك الأمم المتأخرة عن الاولين المتقدمة على زمانه صلى الله عليه وسلم (قوله وليس تكريرا) لان العبارة الاولى مقيدة بماذكر وهو قوله بذلك وهذه العبارة مقيدة بقيد آخر (قوله أجرى على الارض باعتبار أقطارها) أي وضعت بالجمع المذكور باعتبار أقطارها لان الارض واحد لا يوصف بالجمع الا باعتبار الاجزاء (قوله منتصبان على المفعولية) أي على مفعولية كفاتا (قوله أو لان أحياء الانس وأمواتهم بعض الاحياء والاموات) لان أحياء الجن وأمواتهم بعض آخر وهذا في بعض المواقف لان في البعض الآخر ينطقون (قوله ولو جعله جوابا) هذا يكون بجعله مجزوما

والمتابع فيها (ويل يومئذ للمكذبين) بامثال هذه النعم (انطلقوا) أى يقال لهم انطلقوا (الى ما كنتم به تكذبون) من العذاب (انطلقوا) خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار عن امتثالهم للامر اضطرارا (الى ظل) يعنى ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه كانرى الدخان العظيم يتفرق تفرق الذوائب وخصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم أولان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة فى الدماغ والغضبية التى فى يمين القلب والشهوية التى فى يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره (لاظليل) تهكم بهم وردلما أوهم لفظ الظل (ولا يغنى من اللهب) وغير مغن عنهم من حر اللهب شيأ (انها ترمى بشرر كالقصر) أى كل شرارة كالقصر فى عظمها ويؤيده أنه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهى الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج وكالقصر جمع قصرة وهى أصل العنق والهاء للشعب (كأنه جمالات) جمع جمال أو جمالة جمع جمل (صفر) فان الشرار بما فيه من النارية يكون أصفر وقيل سود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهى الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهت بها فى امتداده والتفافه (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون) أى بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق أو بشئ من فرط الدهشة والحيرة وهذا فى بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم أى هذا الذى ذكر واقع يومئذ (ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين) عطف فيتعذرون على يؤذن ليدل على نفى الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا بالدل على أن عدم اعتذارهم لعدم الاذن فأوهم ذلك أن لهم عذرا لكن لا يؤذن لهم فيه (هذا يوم الفصل) بين المحق والمبطل (جمعناكم والاولين) تقرير و بيان للفصل (فان كان لكم كيد فكيدون) تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم (ويل يومئذ للمكذبين) اذ لا حيلة لهم فى التخلص من العذاب (ان المتقين) عن الشرك لانهم فى مقابلة المكذبين (فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون) مستقرون فى أنواع الترفه (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) أى مقولا لهم ذلك (انا كذلك نجزى المحسنين) فى العقيدة (ويل يومئذ للمكذبين) بمحض لهم العذاب الخالد وخصومهم الثواب المؤبد (كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون) حال من المكذبين أى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا و بما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم (ويل يومئذ للمكذبين) حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل (واذا قيل لهم اركعوا) أطيعوا واخضعوا أوصلوا أو اركعوا فى الصلاة اذ روى أنه نزل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نحنى أى لا نركع فانها مسبة وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون (لا يركعون) لا يمتثلون واستدل به على أن الامر للوجوب وأن الكفار مخاطبون بالفروع (ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اذ لم يؤمنوا به وهو معجز فى ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعانى الشريفة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

﴿سورة النبأ مكية وآيها احدى وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(عم يتساءلون) أصله عما حذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه

﴿سورة عم﴾

لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم أو يسألون الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم أي يدعو نهم ويرونهم أو للناس (عن النبأ العظيم) بيان لشأن لفخم أو صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه (الذي هم فيه مختلفون) بجزم النفي والشك فيه أو بالاقرار والانكار (كلا سيعلمون) ردع عن التساؤل ووعيد عليه (ثم كلا سيعلمون) تكرير للمبالغة وثم لاشعار بان الوعيد الثاني أشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة أو الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون (ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا) تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا أي انها لهم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يهم اينوم عليه (وخلقناكم أزواجا) ذكرا وأنثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعا عن الاحساس والحركة ستراحة لقوى الحيوانية وازاحة لكلالها أو موتا لانه أحد التوفيين ومنه المسبوت للميت وأصله القطع أيضا (وجعلنا الليل لباسا) غطاء يستتر بظلمته من أراد الاختفاء (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به أو حياتكم فيها عن نومكم (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) سبع سموات قوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور (وجعلنا سراجا وهاجا) متلألئا وقادا من وهجت النار اذا أضأت أو بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس (وأنزلنا من المعصرات) السحائب اذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كقولك أحصد الزرع اذا حان له أن يحصد ومنه أعصرت الجارية اذا دنت أن تحيض أو من الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب أو الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر أخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات (ماء ثجاجا) منصبا بكثرة يقال ثجه وثج نفسه وفي الحديث أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاجا ومثاجيح الماء صابه (لنخرج به حبا ونباتا) مايقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش (وجنات ألفافا) ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال

جنة لف وعيش مغدق * وندامى كلهم بيض زهر

أو لفيف كشريف أو اف جمع لفاء كخضراء وخضر وأخضر أو ملتفة بحذف الزوائد (ان يوم الفصل كان) في علم الله تعالى أو في حكمه (ميقاتا) حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده أو حدا للخلائق ينتهون اليه (يوم ينفخ في الصور) بدل أو بيان ليوم الفصل (فتأتون أفواجا) جماعات من القبور الى المحشر روى أنه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال يحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم فيسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات وأهل السحت وأكلة الربا والجائرين في الحكم والمجبرين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين لشهوات المأنعين حق الله والمتكبرين الخيلاء (وفتحت السماء) وشققت وقرأ الكوفيون بالتخفيف (فكانت أبوابا) صارت من كثرة الشقوق كان لكل أبواب أو فصارت ذات أبواب (وسيرت الجبال) أي في الهواء كالسراب (فكانت سرابا) مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت أجزائها وانبثاثها

(قوله و يدل عليه قراءة يعقوب) وجه الدلالة ان الهاء في عمه هاء السكت وهو علامة الوقف ولو كان عم متعلقا بيتساءلون المذكور بعده لم يكن محل الوقف (قوله بجزم النفي والشك فيه الخ) الخلاف في البعث امالان بعضهم جزم بنفيه و بعضهم شك فيه وهذا اذا أريد بالمختلفين الكفرة واما لان بعضهم مقر وبعضهم منكر وهذا اذا أريد الناس (قوله لانه أحد التوفيين) هو مأخوذ من قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها (قوله ذوات الاعاصير) جمع اعصار وهو ريح ينثر الغبار و يرفع الى السماء (قوله مغدق) المغدق الناعم

(ان جهنم كانت مرصادا) موضع رصد فيه خزنة النار الكفار أو خزنة الجنة المؤمنين ليعرسوهم من فيحها في مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي تضمر فيه الخيل أو مجدة في ترصد الكفرة لئلا يشذ منهم واحد كالطعان وقرئ أن بالفتح على التعليل لقيام الساعة (للطاغين مآبا) مرجعا ومأوى (لابثين فيها) وقرأ أحزة وروح لبثين وهو أبلغ (أحقابا) دهورا متتابعة وليس فيها مايدل على خروجهم منها اذ لوصح أن الحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة فليس فيه مايقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز أن يكون المراد أحقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر وان كان من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله (لابذوقون فيها بردا ولاشرابا الاحميما وغساقا) حالا من المستكن في لابثين أو نصب أحقابا بلايذوقون احتمل أن يلبثوا فيها أحقابا غير ذائقين الاحميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز أن يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا أخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا معنى لابثين فيها حقبين وقوله لايذوقون تفسيره والمراد بالبرد مايرد حرهم وينفس عنهم حر النار أو النوم وبالغساق مايغسق أي يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد لانه أخر ليوافق رؤس الآي وقرأ حزة والكسائي وحفص بالتشديد (جزاء وفاقا) أي جوزوا بذلك جزاء اذ وافق لاعمالهم أو موافقا لها أو وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا (انهم كانوا لايرجون حسابا) بيان لموافقه هذا الجزاء (وكذبوا بآياتنا كذابا) تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله

فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه

وانما أقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم أو المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكأن بينهم مكاذبة أو كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز أن يكون حالا بمعنى كاذبين أو مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز أن يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر أي تكذيبا مفرطا كذبه (وكل شئ أحصيناه) وقرئ بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يشتركان في معنى الضبط أو لفعله المقدر أو حال بمعنى مكتوبا في اللوح أو صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه الآية شديدة على القراء على أهل النار (ان للمتقين مفازا) فوزا أو موضع فوز (حدائق وأعنابا) بساتين فيها أنواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال والبعض (وكواعب) نساء فلكت ثديهن (أترابا) لدات (وكأسا دهاقا) ملآنا وأدهق الحوض ملأه (لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا) وقرأ الكسائي بالتخفيف أي كذبا أو مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا (جزاء من ربك) بمقتضى وعده (عطاء) تفضلا منه اذ لا يجب عليه شئ وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به (حسابا) كافيا من أحسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبي أو على حسب أعمالهم وقرئ حسابا أي محسبا كالدراك بمعنى المدرك (رب السموات والارض وما بينهما) بدل من ربك وقدر فعله الجازيان وأبو عمر وعلى الابتداء (الرحمن) بالجر صفة له وكذا في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وبالرفع في قراءة أبي عمرو وفي قراءة حمزة والكسائي بجر الأول ورفع الثاني على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره (لايملكون منه خطابا) والواو لاهل السموات والارض أي لايملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب أو عقاب لانهم مملوكون له على

(قوله وهو أبلغ) لان الصفة المشبهة تدل على الثبوت (قوله وانما أقيم مقامه للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم) أي انما أقيم الكذاب الذي هو بمعنى الكذب ليدل على ماذكر فيكون كذابا (قوله ويؤيده انه قرئ كذابا الخ) كذابا بضم الكاف أي ويؤيد انه أحاد قراءة كذاب لانه حال البتة ويجوز أن يكون الكذاب للمبالغة وصفة لمصدر محذوف فالمعنى تكذيبا بالغا ذلك التكذيب الى نهاية الكذب فيكون الكذاب على هذا مفردا لاجمعا كحسان (قوله بدل الاشتمال أو البعض) فالاول بتقدير أن يكون المفاز غير الحدائق والاعناب والثاني بأن يكون بعض الحدائق (قوله وقيل منتصب به نصب المفعول به) هذا قول صاحب الكشاف واعترض عليه بأن المصدر انما يعمل اذا لم يكن مفعولا مطلقا

الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لاينافى الشفاعة باذنه (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الامن أذن له الرحمن وقال صوابا) تقرير وتوكيد لقوله لايملكون فان هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله اذا لم يقدروا أن يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الاباذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للايملكون أولايتكلمون والروح ملك موكل على الارواح أوجنسها أوجبريل أو خلق أعظم من الملائكة (ذلك اليوم الحق) الكائن لامحالة (فمن شاء اتخذ الى ربه) الى ثوابه (مآبا) بالايمان والطاعة (انا أنذرناكم عذابا قريبا) يعنى عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل ماهو آت قريب ولان مبدأه الموت (يوم ينظر المرء ماقدمت يداه) يرى ماقدمه من خير أوشر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله نا أنذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وماموصولة منصوبة بنظر أواستفهامية منصوبة بقدمت أى ينظر أى شئ قدمت يداه (و تقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أوفى هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

﴿سورة النازعات مكية وآيها خمس أوست وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سورة النازعات﴾

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا) هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون أرواح الكفار من أبدانهم غرقا أى اغراقا فى النزع فانهم ينزعونها من أقاصى الابدان أونفوسا غرقة فى الاجساد و ينشطون أى يخرجون أرواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها و يسبحون فى اخراجها سبح الغواص الذى يخرج الشئ من أعماق البحر فيسبقون بأرواح الكفار الى النار و بأرواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون أمر عقابها وثوابها بان يهيؤها لادراك ما أعد لها من الآلام واللذات أوالاوليان لهم والباقيات اطوائف من الملائكة يسبحون فى مضيها أى يسرعون فيه فيسبقون الى ما أمروا به فيدبرون أمره أوصفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا فى النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط فى أقصى الغرب وتنشط من برج الى برج أى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد و يسبحن فى الفلك فيسبق بعضها فى السير لكونها أسرع حركة فيدبر أمر انيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا أوصفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا أى بزعا شديدا من اغراق النازع فى القوس وتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيها فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات أوحال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات فتنشط الى عالم القدس فتسبح فى مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات أوصفات أنفس الغزاة أوأيديهم تنزع القسى باغراق السهام و ينشطون بالسهم للرمى و يسبحون فى البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون أمرها أوصفات خيلهم فانها تنزع فى أعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول أعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح فى حربها فتسبق الى العدو فتدبر أمر الظفر أقسم الله تعالى بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة مابعده عليه (يوم ترجف الراجفة) وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام السماوية التى تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض

والجبال أوالواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهي النفخة الاولى (تتبعها الرادفة) التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتشر أوالنفخة الثانية والجملة في موقع الحال (قلوب يومئذ واجفة) شديدة لاضطراب من الوجيف وهي صفة لقلوب والخبر (أبصارها خاشعة) أي أبصار أصحابها ذليلة من الخوف ولذلك أضافها الى القلوب (يقولون أئنا لمردودون في الحافرة) في الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت من قولهم رجع فلان في حافرته أي طريقه التي جاء فيها فحفرها أي أثرفيها بمشيه على النسبة كقوله في عيشة راضية أوتشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت أسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة (أئذا كنا) وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر (عظاما ناخرة) بالية وفسرأ الحجازيان والشامي وحفص وروح نخرة وهي أبلغ (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) ذات خسران أوخاسر أصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهواستهزاء منهم (فانما هي زجرة واحدة) متعلق بمحذوف أي لايستصعبوه فما هي الاصيحة واحدة يعني النفخة الثانية (فاذاهم بالساهرة) فاذاهم أحياء على وجه الارض بعد ما كانوا أمواتا في بطنها والساهرة لارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة تاتي بجري ماؤها وفي ضدها نائمة ولان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم لجهنم (هل أتاك حديث موسى) أليس قد أتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك وتهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما أصاب من هو أعظم منهم (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) قد مر بيانه في سورة طه (ذهب الى فرعون انه طغى) على ارادة القول وقرئ أن اذهب لما في النداء من معنى القول (فقل هل لك الى أن تزكى) هل لك ميل الى أن تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد (واهديك الى ربك) وارشدك الى معرفته (فتخشى) باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له قولا لينا (فأراه لآية الكبرى) أي فذهب وبلغ فأراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل أو مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة (فكذب وعصى) فكذب موسى وعصى الله عز وجل بعد ظهور الآية وتحقق الامر (ثم أدبر) عن الطاعة (يسعى) ساعيا في ابطال أمره أوأدبر بعد ما رأى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه (فحشر) فجمع السحرة أوجنوده (فنادى) في المجمع بنفسه أو بمناد (فقال أنا ربكم الاعلى) أعلى كل من يلي أمركم (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) أخذا منكلا لمن رآه أوسمعه في الآخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق أوعلى كلمته الآخرة وهي هذه وكلمته الاولى وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري أوللتنكيل فيهما أولهما ويجوز أن يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله (ان في ذلك لعبرة لمن يخشى) لمن كان من شأنه الخشية (أأنتم أشد خلقا) أصعب خلقا (أم السماء) ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) أي جعل مقدار ارتفاعها من الارض أوسمكها لذاهب في العلو رفيعا (فسواها) فعدلها أوجعلها مستوية أوفتمهما بما يتم به كمالها من الكواكب والتدابير وغيرها من قولهم سوى فلان أمره اذا أصلحه (وأغطش ليلها) أظلمه منقول من غطش الليل اذا أظلم وانما أضافه اليها لانه يحدث بحركتها (وأخرج ضحاها) وأبرز ضوء شمسها كقوله تعالى والشمس وضحاها يريد النهار (والارض بعد ذلك دحاها) بسطها ومهدها للسكنى (أخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد أو بيان للدحو (والجبال أرساها)

(قوله التابعة وهي السماء الخ) أي المراد من الرادفة التابعة للراجفة الاجرام المتحركة وهي السماء والكواكب (قوله ولذلك أضافها اليه) أي لان ذل الابصار حاصل بسبب الخوف العارض للقلب أضاف الابصار اليها (قوله على النسبة) فيكون المعنى الطريق ذوالحفر كالماء عيشة راضية ذورضا (قوله أو بيان الدحو) لايخفى ان الدحو البسط وهو غير اخراج الماء والمرعى مع الدحو سبب لهما

أثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية (متاعا لكم ولانعامكم) تمتيعا لكم ولمواشيكم (فاذا جاءت الطامة) الداهية التى تطم أى تعلو على سائر الدواهى (الكبرى) التى هى أكبر الطامات وهى القيامة أوالنفخة الثانية أو الساعة التى يساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار (يوم يتذكر الانسان ماسعى) بان يراه مدونا فى صحيفته وكان قد نسيه من فرط الغفلة أو طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة أو مصدرية (وبرزت الجحيم) وأظهرت (لمن يرى) الكل براء بحيث لاتخفى على أحد وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن ترى على أن فيه ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد أو أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أى لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر أو ما بعده من التفصيل (فامامن طغى) حتى كفر (وآثر الحياة الدنيا) فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس (فان الجحيم هى المأوى) هى مأواه واللام فيه سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغى وهى فصل أومبتدأ (وأمامن خاف مقام ربه) مقامه بين يدى ربه لعلمه بالمبدا والمعاد (ونهى النفس عن الهوى) لعلمه بانه مرد (فان الجنة هى المأوى) ليس له سواها مأوى (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها) متى ارساؤها أى قامتها واثباتها أو منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهى اليه وتستقر فيه (فيم أنت من ذكراها) فى أى شئ أنت من أن تذكر وقتها لهم أى ماأنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شئ فان ذكرها لايزيدهم الاغيا ووقتها مما استأثره الله تعالى بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وأنت من ذكراها مستأنف ومعناه أنت ذكر من ذكرها أى علامة من أشراطها فان ارساله خاتما للانبياء أمارة من أماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب (الى ربك منتهاها) أى منتهى علمها (انما أنت منذر من يخشاها) انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لاينا سب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن أبى عمر ومنذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال (كانهم يوم يرونها لم يلبثوا) فى الدنيا أوفى القبور (الاعشية أوضحاها) أى عشية يوم أوضحاه كقوله لاساعة من نهار ولذلك أضاف الضحا الى العشية لانهما من يوم واحد عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله فى القيامة حتى يدخل الجنة فنعم صلاة المكتوبة

﴿ سورة عبس مكية وآياتها ثنتان وأربعون آية ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(عبس وتولى أن جاءه الاعمى) روى أن ابن أم مكتوم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يارسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وأن جاءه علة لتولى أوعبس على اختلاف المذهبين وقرئ آأن بهمزتين وبالف بينهما بمعنى أأن جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره فى الاقدام على قطع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقوم والدلالة على انه أحق لرأفة والرفق أولزيادة الانكار كانه قال تولى لكونه أعمى كالالتفات فى قوله (ومايدريك لعله يزكى) أى وأى شئ يجعلك دارياً بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره (أو يذكر فتنفعه

(قوله لان العطف على فعلية) أى الراجح نصبهما ورفعهما مرجوح لانه اذا كانا منصوبين كان عطف الفعلية على الفعلية وهو قوله وأخرج ضحاها واذا رفعا لزم عطف الاسمية على الفعلية والاول أولى للتناسب

﴿سورة عبس﴾

(قوله على اختلاف المذهبين) أى على اختلافهما فى تنازع الفعلين (قوله كأنه قال تولى لكونه أعمى) أى لاينبغى ذلك لان الاعمى يستحق الالتفات دون التولى (قوله كالالتفات الخ) لان العتاب بطريق الخطاب أشد من طريق الغيبة

الذكرى) أو يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير فى لعله للكافر أى انك طمعت فى تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك أعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم فتنفعه بالنصب جوابا للعل (أما من استغنى فانت له تصدى) تتعرض له بالاقبال عليه وأصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصدى بالادغام وقرئ تصدى أى تعرض وتدعى الى التصدى (وما عليك ألا يزكى) وليس عليك باس فى أن لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن أسلم ان عليك الا البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يسرع طالبا للخير (وهو يخشى) الله أو أذية الكفار فى اتيانك أو كبوة الطريق لانه أعمى لا قائد له (فأنت عنه تلهى) تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدى والتلهى للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغى له ذلك (كلا) ردع عن المعاتب عليه أو عن معاودة مثله (انها تذكرة فمن شاء ذكره) حفظه أو اتعظ به والضميران للقرآن أو العتاب المذكور وتانيث الاول لتأنيث خبره (فى صحف) مثبتة فيها صفة لتذكرة أو خبر ثان أو خبر لمحذوف (مكرمة) عند الله (مرفوعة) القدر (مطهرة) منزهة عن أيدى الشياطين (بأيدى سفرة) كتبة من الملائكة أو الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح أو لوحى أو سفراء يسفرون بالوحى بين الله تعالى ورسله أو الامة جمع سافر من السفر أو السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها (كرام) أعزاء على الله أو متعطفين على المؤمنين يكلمونهم و يستغفرون لهم (بررة) أتقياء (قتل الانسان ما أكفره) دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه فى الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ (من أى شئ خلقه) بيان لما أنعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك أجاب عنه بقوله (من نطفة خلقه فقدره) فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال أو فقدره أطوارا الى أن تم خلقته (ثم لسبيل يسره) ثم سهل مخرجه من بطن أمه بان فتح فوهة الرحم وألهمه أن ينتكس أو ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة فى التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله (ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره) وعد الاماتة والاقبار فى النعم لان الاماتة وصلة فى الجملة الى الحياة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفى اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين فى نفسه وانما هو موكول الى مشيئته تعالى (كلا) ردع للانسان عما هو عليه (لما يقض ما أمره) لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما أمره الله باسره اذ لا يخلو أحد من تقصير ما (فلينظر الانسان الى طعامه) اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية (انا صببنا الماء صبا) استئناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال (ثم شققنا الارض شقا) أى بالنبات أو بالكراب وأسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب (فانبتنا فيها حبا) كالحنطة والشعير (وعنبا وقضبا) يعنى الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد أخرى (وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا) عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها أو لانها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب (وفاكهة وأبا) ومرعى من أب اذا أم لانه يؤم و ينتجع أو من أب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعى أو فاكهة يابسة تؤب للشتاء (متاعا لكم ولانعامكم) فان الانواع المذكورة بعضها طعام و بعضها علف (فاذا جاءت الصاخة) أى النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه) لاشتغاله بشأنه وعلمه بانهم لا ينفعونه أو للحذر من مطالبتهم بما قصر فى حقهم وتأخير الاحب فالاحب للمبالغة كأنه قيل يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته

(قوله للمبالغة فى التيسير) لانه تكرر اسناد الفعل لان السبيل منصوب بيسر المقدر (قوله وعد الاماتة والاقبار من النعم) يعنى ان الموت والاقبار ليسا من النعم كما لا يخفى لكنه تعالى عدهما منها كما فهم من قوله تعالى قتل الانسان ما أكفره فاجاب بأنهما وصلة أى سبب للوصول الى الحياة الاخروية (قوله غير متعين فى نفسه) أى ليس له وقت يقتضى نظرا الى ذاته أن يكون النشور فيه كما زعم بعض المنجمين بل الامر مفوض الى مشيئته أى هو تعالى عين فى علمه وقتا يحصل فيه النشور

وبنيه (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) يكفيه فى الاهتمام به وقرئ يعنيه أى يهمه (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة من اسفار الصبح (ضاحكة مستبشرة) لما ترى من النعيم (ووجوه يومئذ عليها غبرة) غبار وكدورة (ترهقها قترة) يغشاها سواد وظلمة (أولئك هم الكفرة الفجرة) الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة * قال النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

﴿سورة التكوير مكية وآياتها تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا الشمس كورت) لفت من كوّرت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا أريد رفعه لف أو اف ضوؤها فذهب انبساطه فى الآفاق وزال أثره أو أفنيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا ألقاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها أولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل (واذا النجوم انكدرت) انقضت قال * أبصر خربان فضاء فانكدر * أو أظلمت من كدرت الماء فانكدر (واذا الجبال سيرت) عن وجه الارض أو فى الجو (واذا العشار) النوق اللواتى أتى على حملهن عشرة أشهر جمع عشراء (عطلت) تركت مهملة أو السحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف (واذا الوحوش حشرت) جمعت من كل جانب أو بعثت للقصاص ثم ردّت ترابا أو أميتت من قولهم اذا أجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد (واذا البحار سجرت) أحميت أو ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليصيه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح بالتخفيف (واذا النفوس زوّجت) قرنت بالابدان أو كل منها بشكلها أو بكتابها وعملها أو نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين (واذا الموؤدة) المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق أو لحوق العار بهم من أجلهن (سئلت بأى ذنب قتلت) تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقرئ سألت أى خاصمت عن نفسها وسألت وانما قيل قتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية (واذا الصحف نشرت) يعنى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين أصحابها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائى بالتشديد للمبالغة فى النشر أو لكثرة الصحف أو شدة التطاير (واذا السماء كشطت) قلعت وأزيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير (واذا الجحيم سعرت) أوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد (واذا الجنة أزلفت) قربت من المؤمنين (علمت نفس ما أحضرت) جواب اذا واذا ما صح والمذكور فى سياقها ثنتا عشرة خصلة ستة منها فى مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على أعمالها ونفس فى معنى العموم كقولهم ثمرة خير من جرادة (فلا أقسم بالخنس) بالكواكب الراجع من خنس اذا تأخر وهى ماسوى النيرين من الكواكب السيارات ولذلك وصفها بقوله (الجوار الكنس) اى السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر (والليل اذا عسعس) أقبل ظلامه أو أدبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا أدبر (والصبح اذا تنفس) أى أضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم (انه) أى القرآن (لقول رسول كريم) يعنى جبريل فانه قاله عن الله تعالى (ذى قوة) كقوله شديد القوى (عند

﴿سورة التكوير﴾

(قوله لان الثوب اذا أريد رفعه لف) كالسفر اذا أريد رفعها من بين القوم لفت (قوله فانكدر) أى شط (قوله والتركيب للارادة والجمع) أى تركيب كلمة من الكاف والواو والراء دال عليهما (قوله أو شدة النظائر) يعنى شدد شين نشرت لان نظائر نشرت كثرت وسجرت قرئت مشددة (قوله لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على أعمالها) أى الزمان الذى وقع فيه هذه الامور الاثنا عشر زمان واحد طويل وقع فى بعض أجزائه علم النفوس لما أحضرت فصح ان فى ذلك الزمان وقع العلم المذكور

ذى العرش مكين) عند الله ذى مكانة (مطاع) فى ملائكته (ثم أمين) على الوحى وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات (وما صاحبكم بمجنون) كما تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليه الصلاة والسلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفى الجنون عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفى قولهم انما يعلمه بشر أفترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما (ولقد رآه) ولقد رآى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام (بالافق المبين) بمطلع الشمس الاعلى (وما هو) وما محمد عليه الصلاة والسلام (على الغيب) على ما يخبره من الموحى اليه وغيره من الغيوب (بظنين) بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين بالضاد من الضن وهو البخل أى لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان أو يساره والظاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا (وما هو بقول شيطان رجيم) بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفى لقولهم انه لكهانة وسحر (فأين تذهبون) استضلال لهم فيما يسلكونه فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن كقولك لتارك الجادة أين تذهب (ان هو الا ذكر للعالمين) تذكير لمن يعلم (لمن شاء منكم أن يستقيم) بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير (وما تشاؤن) الاستقامة يا من يشاؤها (الا أن يشاء الله) الا وقت أن يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم (رب العالمين) مالك الخلق كله * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

﴿سورة الانفطار﴾ مكية وآيها تسع عشرة آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) تساقطت متفرقة (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) قلب ترابها وأخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى (علمت نفس ما قدمت) من عمل أو صدقة (وأخرت) من سيئة أو تركة ويجوز أن يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) أى شئ خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضى اهمال الظالم وتسوية الموالى والمعادى والمطيع والعاصى فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب أحدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على أن كثرة كرمه تستدعى الجد فى طاعته لا الانهماك فى عصيانه اغترارا بكرمه (الذى خلقك فسواك فعدلك) صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك أولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء أو معدلة بما تسعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف أى عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت أو فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوان (فى أى صورة ما شاء ركبك) أى ركبك فى أى صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك (كلا) ردع عن الاغترار بكرم الله وقوله (بل تكذبون بالدين) اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلى فى اغترارهم والمراد بالدين الجزاء أو

(قوله وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده) اى يحتمل أن يكون المراد ان جبريل مطاع ثم أى عند ذى العرش وأمين صفة أخرى ويحتمل أن يكون المراد ان جبريل أمين ثم أى عنده تعالى وقرئ ثم بحرف العطف للدلالة على شرف الامانة لان ثم ههنا للترتيب بحسب الشرف

﴿سورة الانفطار﴾

(قوله وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة) أى الراء التى فى الاثارة التى هى التهييج ضم الى بعث فصار بعثر كما ان بسمل مركب من بسم واللام التى فى الكلمات الباقية (قوله فان محض الكرم لا يقتضى اهمال الظالم الخ) لان الكرم اعطاء ما ينبغى لمن ينبغى وهذا لا يقتضى اهمال الظالم وما ذكره بعده (قوله والدلالة على ان كثرة كرمه الخ) لان الكرم وهو الاعطاء وايصال النفع الى الغير يقتضى الشكر عليه لا عصيان المعطى (قوله والظرف صلة عدلك) اعترض بأن الاستفهام لا يعمل فيما قبله وأجاب العلامة الطيبى بأن التقدير فعدلك فيما يقال فى حقه فى أى صورة ما شاء ركبك

(قوله وردا لما يتوقعون من التسامح) فيه ان الكرام الكاتبين حافظون لاعمال المؤمنين مع انه قد يقع التسامح والاهمال عن بعض شغالهم وهو ضبط الاعمال فيدل على تعظيم جزائها ذا لم يكن ما يترتب على الاهمال عظيما لم يكن ضبطها وكتبها عظيما (قوله وتعظيم الكتبة الخ) لان تعظيمهم بدل على تعظيم

الاسلام (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) تحقيق لما يكذبون به وردا لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء (ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم) بيان لما يكتبون لاجله (يصلونها) يقاسون حرها (يوم الدين وما هم عنها بغائبين) لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور (وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين) تعجيب وتفخيم لشأن اليوم أي كنه أمره بحيث لا تدركه دراية دار (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله) تقرير لشدة هوله وفخامة أمره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين أو الخبر المحذوف * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة والله أعلم

﴿سورة المطففين مختلف فيها وآياتها وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ويل للمطففين) التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف أي حقير روي أن أهل المدينة كانوا أخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) أي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما أبدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس أو اكتيال يتحامل فيه عليهم (واذا كالوهم أو وزنوهم) أي اذا كالوا للناس أو وزنوا لهم (يخسرون) فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله * ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا * بمعنى جنيت لك أو كالوا مكاييلهم فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تأكيدا للمتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون) فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم (ليوم عظيم) عظمه لعظم ما يكون فيه (يوم يقوم الناس) نصب بمبعوثون أو بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر (لرب العالمين) لحكمه وفي هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه (كلا) ردع عن التطفيف وغفلة عن البعث والحساب (ان كتاب الفجار لفي سجين) ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم (لفي سجين) كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال (وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم) أي مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به لكتاب لانه سبب الحبس أو لانه مطروح كما قيل تحت الارضين في مكان وحش وقيل هو اسم مكان والتقدير ما كتاب السجين أو محل كتاب مرقوم فحذف المضاف (ويل يومئذ للمكذبين) بالحق أو بذلك (الذين يكذبون بيوم الدين) صفة مخصصة أو موضحة أو ذامة (وما يكذب به الا كل معتد)

(٢٣ - (بيضاوى) - خامس) باسم السبب الذى هو السجن والحبس أو تسمية الحال الذى هو الكتاب أيضا باسم المحل الذى هو ما تحت الارضين يعني لما طرح الكتاب المذكور فيه سمي باسمه (قوله صفة مخصصة أو موضحة أو ذامة) فالاول بالنظر الى ان

متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه فاستحال منه الاعادة (أئيم) منهمك في الشهوات المخدجة بحيث أشغلته عما وراءها وحمله على الانكار لما عداها (اذ تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل (كلا) ردع عن هذا القول (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) ردلما قالوه وبيان لما أدى بهم الى هذا القول بأن غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيها حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه الصلاة والسلام ان العبد كلما أذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام (كلا) ردع عن الكسب الرائن (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن أنكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك أو قدر مضافا مثل رحمة ربهم أو قرب ربهم (ثم انهم لصالوا الجحيم) ليدخلون النار ويصلون بها (ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) تقوله لهم الزبانية (كلا) تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب الاول بوعيد الفجار اشعارا بأن التطفيف فجور والايفاء برّ أو ردع عن التكذيب (ان كتاب الابرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم) الكلام فيه ما مر في نظيره (يشهده المقربون) يحضرونه فيحفظونه أو يشهدون على ما فيه يوم القيامة (ان الابرار لفي نعيم على الارائك) على الاسرّة في الحجال (ينظرون) الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على البناء للمفعول ونضرة بالرفع (يسقون من رحيق) شراب خالص (مختوم ختامه مسك) أي مختوم آنيته بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته أو الذي له ختام أي مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائي ختامه بفتح التاء أي ما يختم به ويقطع (وفي ذلك) يعني الرحيق أو النعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرغب المرغبون (ومزاجه من تسنيم) علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها أو رفعة شرابها (عينا يشرب بها المقربون) فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله وتمزج لسائر أهل الجنة وانتصاب عينا على المدح أو الحال من تسنيم والكلام في الباء كما في يشرب بها عباد الله (ان الذين أجرموا) يعني رؤساء قريش (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين (واذا مرّوا بهم يتغامزون) يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم (واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين) متلذذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين (واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال (وما أرسلوا عليهم) على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) حين يرونهم أذلاء مغلوبين في النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (على الارائك ينظرون) حال من يضحكون (هل ثوب الكفار) أي هل أثيبوا (ما كانوا يفعلون) وقرأ حمزة والكسائي بادغام اللام في الثاء * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

﴿سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا السماء انشقت) بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله تعالى عنه تنشق من المجرة (وأذنت لربها) واستمعت له أي انقادت لتأثير قدرته حين أراد انشقاقها انقياد

المكذبين عام والثاني بالنظر الى ان المراد من المكذبين المكذبون بيوم الدين (قوله اشعارا بأن التطفيف فجور) يعني عقب كلا بوعيد الفجار في قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين للاشعار بأن التطفيف فجور لان كلا هذه ردع عن التطفيف واتصل بوعيد الفجار (قوله مكان الطين) وفي الصحاح الختام الطين الذي يختم به

﴿سورة الانشقاق﴾

المطواع الذى بأذن للامر ويذعن له (وحقت) وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق (واذا الارض مدت) بسطت بان تزال جبالها وآكامها (وألقت مافيها) مافى جوفها من الكنوز والاموات (وتخلت) وتكلفت فى الخروج أقصى جهدها حتى لم يبق شئ فى باطنها (وأذنت لربها) فى الالقاء والتخلى (وحقت) للاذن وتكرير اذا الاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام أوالا كتفاء بما مر فى سورتى التكوير والانفطار أولدلالة قوله (يأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه أى جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه أوفملاقيه ويأيها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعى الى لقاء جزائه (فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا لا مناقش فيه (وينقلب الى أهله مسرورا) الى عشيرته المؤمنين أوفريق المؤمنين أو أهله فى الجنة من الحور (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) أى أوتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره (فسوف يدعوثبورا) يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك (ويصلى سعيرا) وقرأ الحجازيان والشامى ويصلى لقوله وتصلية جحيم وقرئ ويصلى لقوله ونصله جهنم (انه كان فى أهله) أى فى الدنيا (مسرورا) بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة (انه ظن أن لن يحور) ان يرجع الى الله تعالى (بلى) ايجاب لما بعد ان (ان ربه كان به بصيرا) عالما بما عمله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه (فلا أقسم بالشفق) الحمرة التى ترى فى أوقى المغرب بعد الغروب وعن أبى حنيفة رجعه الله تعالى انه البياض الذى بليها سمى به لرقته من الشفقة (والليل وماوسق) وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال * مستوسقات لو يجدن سائقا * أوطرده الى أماكنه من الوسيقة (والقمر اذا اتسق) اجتمع وتم بدرا (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال مطابقة لاختها فى الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة أومراتب من الشدة بعد المراتب هى الموت ومواطن القيامة وأهوالها أوهى وما قبلها من الدواهى على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ أوالرسول عليه الصلاة والسلام على معنى لتركبن حالا بعد حالة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة أوطبقا من أطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا أوحال من الضمير بمعنى مجاوزا الطبق أومجاوزين له (فالهم لا يؤمنون) بيوم القيامة (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) لا يخضعون أو لا يسجدون لتلاوته لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به أبو حنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها (بل الذين كفروا يكذبون) أى بالقرآن (والله أعلم بما يوعون) بما يضمرون فى صدورهم من الكفر والعداوة (فبشرهم بعذاب أليم) استهزاء بهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع أومتصل والمراد من تاب وآمن منهم (لهم أجر غير ممنون) مقطوع أوممنون به عليهم * وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانشقاق أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره

(قوله أوفملاقيه) أى الجواب فملاقيه والمعنى فهو ملاقيه أى الانسان يلاقى جزاءه (قوله فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد) وأجاب الشافعى رضى الله عنه بأن الذم لانكارهم السجود والطعن لانه بيان حال الكفرة لقوله تعالى فالهم لا يؤمنون (قوله والمراد من تاب وآمن منهم) هذا على تقدير الاتصال

﴿سورة البروج﴾

﴿سورة البروج مكية وآيها ثنتان وعشرون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(والسماء ذات البروج) يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها أو أبواب السماء فان النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما أحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف أي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما أو المبالغة في الكثرة كانه قيل ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود أو النبي عليه الصلاة والسلام وأمته أو أمته وسائر الامم أو كل نبي وأمته أو الخالق والخلق أو عكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده أو الملك الحفيظ والمكلف أو يوم النحر أو عرفة والحجيج أو يوم الجمعة والجمع فانه يشهد له أو كل يوم وأهله (قتل أصحاب الاخدود) قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر أنه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن أصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بناء ومعنى الحق والاحقوق روى مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام يبرىء الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمى جليس الملك فأبرأه فسأله الملك عمن أبرأه فقال ربي فغضب وعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وأرسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب هذا الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات فآمن الناس برب الغلام فأمر باخاديد وأوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا أماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي رضي الله تعالى عنه كان بعض ملوك المجوس خطب الناس وقال ان الله أحل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فأمر باخاديد النار فطرح فيها من أبى وقيل لما نصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فأحرق في الاخاديد من لم يرتد (النار) بدل من الاخدود بدل الاشتمال (ذات الوقود) صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس (اذهم عليها) على حافة النار (قعود) قاعدون (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانهم لم يقصروا فيما أمر وابه أو يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة حين تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم (وما نقموا منهم) وما أنكروا (الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) استثناء على طريقة قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حيد امنعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله (الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد) للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) بلوهم بالاذى (ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا أصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه (ان بطش ربك لشديد) مضاعف عنفه

(قوله واصل التركيب للظهور) أي التركيب من الباء والجيم والراء يتضمن معنى الظهور (قوله فان الخلائق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده) فلما كان تعالى مطلعا على خلقه كان شاهدا لان الشاهد بمعنى العالم والخالق مشهودا معلوما ولما كان الخالق دليلا على وجوده تعالى كان الخالق شاهدا عليه لان الشاهد بمعنى الدليل وهو تعالى مشهودا (قوله روي مرفوعا) أي مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم

فان البطش أخذ بعنف (انه هو يبدئ ويعيد) يبدئ الخلق ويعيده أو يبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة (وهو الغفور) لمن تاب (الودود) المحب لمن أطاع (ذو العرش) خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذى العرش صفة لربك (المجيد) العظيم فى ذاته وصفته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجوه حزة والكسائى صفة لربك أو للعرش ومجده علوه وعظمته (فعال لما يريد) لا يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره (هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود) أبدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فنسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما أصابهم (بل الذين كفروا فى تكذيب) لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم أعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم (والله من ورائهم محيط) لا يفوتونه كالا يفوت المحاط المحيط (بل هو قرآن مجيد) بل هذا الذى كذبوا به كتاب شريف وحيد فى النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة أى قرآن رب مجيد (فى لوح محفوظ) من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن وقرئ فى لوح وهو الهواء يعنى ما فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون فى الدنيا عشر حسنات

﴿سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والسماء والطارق) والكوكب البادى بالليل وهو فى الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتى ليلا ثم استعمل للبادى فيه (وما أدراك ما الطارق لنجم الثاقب) المضىء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه أو لافلاك والمراد الجنس أو معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه أولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه (ان كل نفس لما عليها) أى ان الشأن كل نفس لعليها (حافظ) رقيب فان هى المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على أنها بمعنى الا ان وهى والجملة على الوجهين جواب القسم (فلينظر الانسان مم خلق) لما كر أن كل نفس عليها حافظ أتبعه توصية الانسان بالنظر فى مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا يعلى على حافظها لما يسره فى عاقبته (خلق من ماء دافق) جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذى دفق وهو صب فيه دفع والمراد المتمزج من الماءين فى الرحم لقوله (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها ولوصح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقر هاعروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فلا شك أن الدماغ أعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشهيه ويسرع الافراط فى الجماع بالاضعاف فيه وله خليفة وهو النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة مارلة الى الترائب وهما أقرب الى أوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهى صالب (انه على رجعه لقادر) والضمير للخالق ويدل عليه خلق (يوم تبلى السرائر) تتعرف ويميز بين ماطاب من الضمائر وما خفى من الاعمال وماخبث منها وهو ظرف لرجعه (فماله) فما للانسان (من قوة) من منعة فى نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) يمنعه (والسماء ذات الرجع) ترجع فى كل دور ة الى الموضع الذى تتحرك عنه وقيل الرجع المطر سمى به كما سمى أوبا لان الله يرجعه وقتا فوقتا أو لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز أن يراد بالسماء السحاب (والارض ذات الصدع) ما تصدع عنه الارض من النبات أو الشق بالنبات والعيون (انه) ان

(قوله والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل) يعنى ان اتيان حديث الجنود اياك عرفك تكذيبهم للرسل

﴿سورة الطارق﴾

(قوله وهو زحل) لان الثاقب أحد معانيه المرتفع العالى (قوله ولوصح الخ) سؤال وجواب أما السؤال فلان الاطباء قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع الخ فهو خارج من جميع الاعضاء لا اختصاص له بالصلب والترائب وأما الجواب فهو انا لا نسلم ماذكره الاطباء لان كلامهم على الظن فلا يقابل القرآن الذى هو النص القاطع وان سلمناه فنقول أعظم الاعضاء معونة فى توليد النطفة هو الدماغ الخ ومحصل هذا الجواب ان بعض أجزاء المنى يخرج من بين الصلب والترائب فصح ان الانسان خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب

القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل (وماهو بالهزل) فانه جد كله (انهم) يعنى أهل مكة (يكيدون كيدا) فى ابطاله واطفاء نوره (وأكيد كيدا) وأقابلهم بكيدى فى استدراجى لهم وانتقامى منهم من حيث لا يحتسبون (فمهل الكافرين) فلا تشتغل بالانتقام منهم أولا تستعجل باهلاكهم (أمهلهم رويدا) امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات

﴿سورة الأعلى مكية وآيها تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح اسم ربك الاعلى) نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت (الذى خلق فسوّى) خلق كل شئ فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه (والذى قدر) أى قدر أجناس الاشياء وانواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها (فهدى) فوجهه الى أفعاله طبعا واختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات (والذى أخرج المرعى) أنبت ما ترعاه الدواب (فجعله) بعد خضرته (غثاء أحوى) يابسا أسود وقيل أحوى حال من المرعى أى أخرجه أحوى أى أسود من شدة خضرته (سنقرئك) على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام أو سنجعلك قارئا بالهام القراءة (فلا تنسى) أصلا من قوة الحفظ مع انك أمى ليكون ذلك آية أخرى لك مع أن الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك أيضا من الآيات وقيل نهى والالف للفاصلة كقوله السبيلا (الا ما شاء الله) نسيانه بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أسقط آية فى قراءته فى الصلاة فحسب أبىّ أنها نسخت فسأله فقال نسيتها أو نفى النسيان رأسا فان القلة تستعمل للنفى (انه يعلم الجهر وما يخفى) ما ظهر من أحوالكم وما بطن أو جهرك بالقراءة مع جبريل عليه الصلاة والسلام وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء (ونيسرك لليسرى) ونعدك للطريقة اليسرى فى حفظ الوحى أو التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك وانه علم اعتراض (فذكر) بعد ما استتب لك الامر (ان نفعت الذكرى) لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس من البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وما أنت عليهم بجبار الآية أو لذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم أو للاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك أمر بالاعراض عمن تولى (سيذكر من يخشى) سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله تعالى بأن يتأمل فيها فيعلم حقيقتها وهو يتناول العارف والمتردد (ويتجنبها) ويتجنب الذكرى (الاشقى) الكافر فانه أشقى من الفاسق أو الاشقى من الكفرة لتوغله فى الكفر (الذى يصلى النار الكبرى) نار جهنم فانه عليه الصلاة والسلام قال ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم أو ما فى الدرك الاسفل منها (ثم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيا) حياة تنفعه (قد أفلح من تزكى) تطهر من الكفر والمعصية أو تكثر من التقوى من الزكاء أو تطهر للصلاة أو أدى الزكاة (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) كقوله أقم الصلاة لذكرى ويجوز أن يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلاته (بل تؤثرون الحياة الدنيا) فلا تفعلون ما يسعدكم فى الآخرة

(قوله والتكرير وتغيير البنية) أى ههنا تكرير بحسب المعنى لانه تعالى قال فمهل الكافرين من باب التفعيل ثم قال أمهلهم من باب الافعال والتكرير موجب لزيادة التسكين أى تسكين الغضب الذى فى صدر الرسول صلى الله عليه وسلم على طلب الكفار وطلب التشفى منهم وأما مخالفة البنية فليخرج عن محض التأكيد فكان كل منهما كلاما مستقلا فيفيد زيادة التسكين

﴿سورة سبح﴾

(قوله اجعلوها فى ركوعكم الخ) لعل وجه جعله فى الركوع ان الركوع تواضع وتذلل فناسب ان يجعل فيه مقابله وهو العظمة لله تعالى ولما كان السجود غاية التسفل ناسب ان يجعل مقابله وهو العلو لله تعالى (قوله ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك) أى لافادة انك موفق لها قال نيسرك لا نيسر لك

والخطاب للاشقين على الالتفات أو على اضمار قل أو للكل فان السعي للدنيا أكثر في الجملة وقرأ أبو عمرو بالياء (والآخرة خير وأبقى) فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لانقطاع له (ان هذا لفي الصحف الاولى) الاشارة الى ماسبق من قد أفلح فانه جامع أمر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة (صحف ابراهيم وموسى) يدل من الصحف الاولى * قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام

﴿سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(هل أتاك حديث الغاشية) الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيامة أو النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار (وجوه يومئذ خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) تعمل ماتتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها أو عملت ونصبت في أعمال لاتنفعها يومئذ (تصلى نارا) تدخلها وقرأ أبو عمرو ويعقوب وأبو بكر تصلى من أصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة (حامية) متناهية في الحر (تسقى من عين آنية) بلغت اناها في الحر (ليس لهم طعام الا من ضريع) يابس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل مادام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم أو المراد طعامهم ماتتحاماه الابل وتعافه لضرره وعدم نفعه كما قال (لايسمن ولا يغني من جوع) والمقصود من الطعام أحد الامرين (وجوه يومئذ ناعمة) ذات بهجة أو متنعمة (لسعيها راضية) رضيت بعملها لما رأت ثوابه (في جنة عالية) عالية المحل أو القدر (لاتسمع) بالخطاب أو الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ان كثيرا وأبو عمرو ورويس وبالتاء نافع (فيها لاغية) لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا لاغو فان كلام أهل الجنة الذكر والحكم أو القدر (وأكواب) يجرى ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم (فيها سرر مرفوعة) رفيعة السمك أو القدر (وأكواب) جمع كوب وهي آنية لاعروة لها (موضوعة) بين أيديهم (ونمارق) وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم (مصفوفة) بعضها الى بعض (وزرابي) بسط فاخرة جمع زربية (مبثوثة) مبسوطة (أفلا ينظرون) نظر اعتبار (الى الابل كيف خلقت) خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لحمل الاثقال الى البلاد النائية لجمعها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا لتأتي لها قطع البوادي والمفاوز مع مالها من منافع أخرى ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات التي هي أشرف المركبات وأكثرها صنعا ولانها أعجب ماعند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة (والى السماء كيف رفعت) بلا عمد (والى الجبال كيف نصبت) فهي راسخة لاتميل (والى الارض كيف سطحت) بسطت حتى صارت مهادا وقرئ بالاعمال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى أفلا ينظرون الى أنواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق سبحانه وتعالى فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به أمر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال (فذكر انما أنت مذكر) فلا عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا اذما عليك الا البلاغ (لست عليهم بمصيطر) بمتسلط وعن الكسائي بالسين على الاصل وحجزة بالاشمام (الا من تولى وكفر) لكن من تولى وكفر (فيعذبه الله العذاب الاكبر) يعني عذاب الآخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكأنه أوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر أي فذكر الا من تولى وأصر فاستحق العذاب الاكبر

﴿سورة الغاشية﴾
(قوله بالفتح والضم) أي بفتح النون وضم الراء (قوله ولانها أعجب ماعند العرب من هذا النوع) أي من نوع الحيوان من المركبات (قوله على الاستعارة) أي استعير الابل للسحاب ووجه الشبه سرعة السير وكثرة الحمل والمنافع وعظم الجرم (قوله ويؤيد الاول الخ) أي يؤيد كونه منقطعا لانهما مشتركان في عدم الدلالة على كونه داخلا في العدم

وما بينهما اعتراض وتؤيد الاول أنه قرئ ألا على التنبيه (ان الينا ايابهم) رجوعهم وقرئ بالتشديد على أنه فيعال مصدر فيعل من الاياب أو فعال من الاوب قلبت واوه الاولى فيها فى ديوان ثم لثانية للادغام (ثم ان علينا حسابهم) فى المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة فى الوعيد * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

﴿سورة الفجر مكية وآيها ثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والفجر) أقسم بالصبح أو فلقه كقوله والصبح اذا تنفس أو بصلاته (وليال عشر) عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو عشر رمضان الاخير وتنكيره للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على أن المراد بالعشر الايام (والشفع والوتر) والاشياء كلها شفعها ووترها أو الخلق لقوله ومن كل شئ خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك أو بالبروج والسيارات وشفع الصلوات ووترها أو بيوم النحر وعرفة وقد روى مرفوعا أو بغيرها فلعله أفرد بالذكر من أنواع المدلول ما رآه أظهر دلالة على التوحيد أو مد خلا فى الدين أو مناسبة لما قبلهما أو أكثر منفعة موجبة للشكر وقرئ والوتر بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر (والليل اذا يسر) اذا يمضى كقوله والليل اذا دبر والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وأبو عمرو بالوقف لرعاية الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب أصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق (هل فى ذلك) القسم أو المقسم به (قسم) حلف أو محلوف به (لذى حجر) يعتبره ويؤكد به ما ربما تحقيقه والحجر العقل سمى به لانه يحجر صاحبه أن يتبع كما سمى عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن بدل عليه قوله (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) يعنى أولا دعاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام. قوم هود سموا باسم أبيهم كما سمى بنوها تهم باسمه (ارم) عطف بيان لعاد على تقدير مضاف أى سبط ارم أو أهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمى أوائلهم رهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث (ذات العماد) ذات البناء الرفيع أو القدود الطوال أو الرفعة أو ثبات وقيل كان لعاد بنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها فى بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها بأهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا عن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) صفة أخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة أو البلدة (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوه واتخذوه منازل لقوله وتنحتون من الجبال بيوتا (بالواد) وادى القرى (وفرعون ذى الاوتاد) الكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا أو لتعذيبه بالاوتاد (الذين طغوا فى البلاد) صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون أو ذم منصوب أو مرفوع (فأكثروا فيها الفساد) بالكفر والظلم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) ما خلط لهم من أنواع العذاب وأصله الخلط وانما سمى به الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما أحل بهم فى الدنيا شعارا بابه بالقياس الى ما أعد لهم فى الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف (ان ربك لبالمرصاد) المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب (فأما الانسان) متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كأنه قيل انه لبالمرصاد من

﴿سورة الفجر﴾ (قوله ومن فسرهما بالعناصر والافلاك الخ) فالعناصر شفع لانها أربعة والافلاك وتر لانها تسعة والبروج شفع لانها اثنا عشر والسيارات وتر لانها سبعة وقوله ما رآه أظهر دلالة على التوحيد أو مدخلا فى الدين الاول ناظر الى تفسير الشفع بالاولين والثانى ناظر الى تفسيرهما بالآخرين (قوله أو مناسبة لما قبلهما) فان الافلاك والعناصر والبروج والسيارات يناسب أكثر مناسبة لما قبلهما أى لما قبل الشفع والوتر وهو الفجر وشفع الصلاة ووترها ويوم النحر وعرفة أكثر مناسبة لليال عشر (قوله أو أكثر منفعة موجبة للشكر) فان الفجر نعمة عظيمة وموجبة للشكر فانه سبب لتحصيل المقاصد والمعيشة وليال عشر سبب للثواب العظيم الموجب للشكر رأى حقها

الآخرة فلا يريد الا السعي لها فأما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها (اذا ما ابتلاه ربه) اختبره بالغنى واليسر (فأكرمه ونعمه) بالجاه والمال (فيقول ربي أكرمني) فضلني بما أعطاني وهو خبر المبتدا الذي هو الانسان والفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التأخير كانه قيل فأما الانسان فقائل ربي أكرمني وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله (وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) اذ التقدير وأما الانسان اذا ما ابتلاه أي بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه (فيقول ربي أهانني) لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله (كلا) مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل فأهانه وقدر عليه كما قال فأكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن وأهانن بغير ياء في الوصل والوقف وعن أبي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد (بل لا يكرمون اليتيم ولا يحضون على طعام المسكين) أي بل فعلهم أسوأ من قولهم وأدل على تهالكهم بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون أهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون ولا تحاضون (ويأكلون التراث) الميراث وأصله وراث (أكلا لما) ذا لم أي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك (ويحبون المال حبا جما) كثيرا مع حرص وشره وقرأ أبو عمرو وسهل ويعقوب لا يكرمون الى ويحبون بالياء والباقون بالتاء (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه (اذا دكت الارض دكا دكا) أي دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال أو هباء منبثا (وجاء ربك) أي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته (والملك صفا صفا) بحسب منازلهم ومراتبهم (وجيء يومئذ بجهنم) كقوله تعالى وبرزت الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها (يومئذ) بدل من اذا دكت الارض والعامل فيهما (يتذكر الانسان) أي يتذكر معاصيه أو يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها (وأنى له الذكرى) أي منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة (يقول ياليتني قدمت لحياتي) أي لحياتي هذه أو وقت حياتي في الدنيا أعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن شيء قد يتمنى أن كان ممكنا منه (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) الهاء لله أي لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه اذ الامر كله له أو للانسان أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول (ياأيتها النفس المطمئنة) على ارادة القول وهي التي اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستفر دون معرفته وتستغني به عن غيره أو الى الحق بحيث لا يريبها شك أو الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بهما (ارجعي الى ربك) الى أمره أو موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة في عالم القدس أو بالبعث (راضية) بما أوتيت (مرضية) عند الله تعالى (فادخلي في عبادي) في جملة عبادي الصالحين (وادخلي جنتي) معهم أو في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة أو ادخلي في أجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي أعدت لك * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

(قوله المبدل من حرف الاطلاق) حرف الاطلاق الالف والواو والياء لكن المراد ههنا الياء (قوله مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه) أراد ان قوله غير ما فصله الله سبب الذم فلا يكون الردع بسبب القول الاول وهو أكرمني لانه مطابق لاكرمه (قوله ولم يقل فأهانه وقدر عليه) عطف على قوله ذمه أي ولذلك ذمه ولم يقل فأهانه وقدر عليه أي ولاجل ان التغيير لا يستلزم الاهانة ذمه ولم يقل فأهانه وقدر عليه (قوله لئلا يناقض ما قبله) أي ما قبل التوبة يدل على ثبوت التذكير فلو لم يقدر لمنفعة ههنا لكان نفيا للذكر فينافي الاول (قوله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة الخ) انما قال استدل لضعفه اما أولا فلانه يجوز ان يراد بالتذكر تذكر المعاصي وهو ليس بتوبة واما ثانيا فلانه لو سلم انه توبة فنقول عدم قبولها في الآخرة لا يستلزم عدم قبولها في الدنيا (قوله ويشعر ذلك الخ) لان الرجوع يدل على ان النفس كانت قبل ذلك موجودة لان الرجوع عود الشيء الى الحالة الاولى وقوله أو بالبعث عطف على بالموت

﴿سورة البلد مكية وآيها عشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول عليه الصلاة والسلام فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف أهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره أو حلال لك أن تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما أحل له عام الفتح (ووالد) عطف على هذا البلد والوالد آدم أو ابراهيم عليهما الصلاة والسلام (وما ولد) ذريته أو محمد عليه الصلاة والسلام والتنكير للتعظيم وايثارا على من لمعنى التعجب كما في قوله والله أعلم بما وضعت (لقد خلقنا الانسان في كبد) تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال في شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش والضمير في (أيحسب) لبعضهم الذي كان يكابد منه أكثر أو يغتر بقوته كابي الاشدين كلدة فانه كان يبسط تحت قدميه أديم عكاظي ويجذبه عشرة فيقطع ولا تزال قدماه أولد كل أحد منهم أو للانسان (أن لن يقدر عليه أحد) فينتقم منه (يقول) أي في ذلك الوقت (أهلكت مالا لبدا) كثيرا من لبد الشئ اذا اجتمع والمراد ما أنفقه سمعة ومفاخرة أو معاداة للرسول عليه الصلاة والسلام (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق أو بعد ذلك فيسأله عنه يعني ان الله سبحانه وتعالى يراه فيجازيه أو يجده فيحاسبه عليه ثم بين ذلك بقوله (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما (ولسانا) يترجم به عن ضميره (وشفتين) يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها (وهديناه النجدين) طريق الخير والشر أو الثديين وأصله المكان المرتفع (فلا اقتحم العقبة) أي فلم يشكر تلك الايادي باقتحام العقبة وهو الدخول في أمر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعاره بما فسرها به من الفك والاطعام في قوله (وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة) لما فهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بهما حسن وقوع لا موقع لم فالها لانكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيما أو مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي فك رقبة أو أطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها (ثم كان من الذين آمنوا) عطفه على اقتحم أو فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به (وتواصوا) وأوصى بعضهم بعضا (بالصبر) على طاعة الله تعالى (وتواصوا بالمرحمة) بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمة الله تعالى (أولئك أصحاب الميمنة) اليمين أو اليمن (والذين كفروا بآياتنا) بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن (هم أصحاب المشأمة) الشمال أو الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى (عليهم نار موصدة) مطبقة من أوصدت الباب اذا أطبقته وأغلقته وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته ﴿عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله سبحانه وتعالى الامان من غضبه يوم القيامة

﴿سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والشمس وضحاها) وضوئها اذا أشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء

﴿سورة البلد﴾

(قوله ولتعدد المراد بهما الخ) أي لان المراد بما الواقعة فيها العقبة حسن وقوع لا في فلا اقتحم العقبة مكان ولم يقل فلم يقتحم العقبة لان لا لا تكاد تقع الا مكررة والمراد من عدم وقوعها الا مكررة وقوعها على الفعل الماضي لكن ما قاله خلاف قول صاحب الكشاف لانه قال فلما تأتى لا الداخلة على الماضي الا مكررة وبين هذه العبارة وما قاله المصنف فرق ظاهر كما لا يخفى

﴿سورة الشمس﴾

بالفتح والمداذا امتد النهار وكاد ينتصف (والقمر اذا تلاها) تلا طلوعه طلوع الشمس أوّل الشهر أوغروبها ليلة البدر أوفى الاستدارة وكال النور (والنهار اذا جلاها) جلى الشمس فانها تتجلى اذا انبسط النهار أو الظلمة والدنيا أوالارض وان لم يجرِ ذكرها للعلم بها (والليل اذا يغشاها) يغشى الشمس فيغطى ضوأها أوالآفاق أوالارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معهار بطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو لما بعدها فى قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين (والسماء وما بناها) ومن بناها وانما أوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والشئ القادر الذى بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك أفرد ذكره وكذا الكلام فى قوله (والارض وما طحاها ونفس وما سواها) وجعل الما آت مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله (فألهمها فجورها وتقواها) بقوله وما سواها الآن يضمر فيه اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما فى قوله علمت نفس أولتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما (قد أفلح من زكاها) أنماها بالعلم والعمل جواب قسم وحذف اللام للطول كأنه لما أراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه أقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذى هو أقصى درجات القوة النظرية ويدركهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق فى شكر نعمائه الذى هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل هو استطراد بذكر بعض أحوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام (وقد خاب من دساها) نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق وأصل دسى دسس كتقضى وتقضض (كذبت ثمود بطغواها) بسبب طغيانها أو بما أوعدت به من عذابها اذى الطغوى كقوله فأهلكوا بالطاغية وأصله طغيها وانما قابلت بأوه واو الفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى (اذ انبعث) حين قام ظرف لكذبت أوطغوى (أشقاها) أشقى ثمود وهو قدار بن سالف أوهو ومن مالأه على قتل الناقة فان أفعل التفضيل اذا أضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتولهم العقر (فقال لهم رسول الله ناقة الله) أى ذروا ناقة الله واحذروا عقرها (وسقياها) وسقيها فلا تذودوها عنها (فكذبوه) فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا (فعقروها فدمدم عليهم ربهم) فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا ألبسها الشحم (بذنبهم) بسببه (فسواها) فسوى الدمدمة بينهم أوعليهم فلم يفلت منهم صغير ولا كبير أوثمود بالاهلاك (ولا يخاف عقباها) أى عاقبة الدمدمة أوعاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الاشقياء والوالى للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والشمس فكأنما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

﴿سورة والليل مكية وآيها احدى وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والليل اذا يغشى) أى يغشى الشمس أوالنهار أوكل ما يواريه بظلامه (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين بطلوع الشمس (وما خلق الذكر والانثى) والقادر الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل نوع له توالد أوآدم وحوّاء وقيل ما مصدرية (ان سعيكم لشتى) ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) تفصيل مبين لتشتت المساعى والمعنى من

(قوله وكاد ينتصف) أى قرب أن تصل الشمس الى نصف النهار (قوله ولما كانت واوات العطف الخ) جواب سؤال وهو انه يلزم من عطف هذه الجمل العطف على عاملين مختلفين لان قوله والشمس وضحاها فى تقدير قوله أقسم بالشمس وضحاها فلزم العطف على عاملين مختلفين وهو أقسم والباء وأجاب بان الواو القسمية نائبة عن الفعل والباء فهى نائبة عن فعل واحد وهو الباء والواوات العاطفة نوائب تلك الواو صارت سببا بربط المجرورات التى هى القمر والنهار والليل والظروف اذا تلاها واذا جلاها واذا يغشاها بالمجرور والظرف المقدمين اللذين هما الشمس وضحاها وانما جعل الضحى ظرفا مع انه فسره بالضوء لان له وقتا مخصوصا فكانه ظرف ولهما عامل واحد هو الواو فلا يلزم العطف على عاملين مختلفين كما أن بكرا وخالدا عطف على زيد وعمرو من غير عطف على عاملين مختلفين (قوله وقيل استطراد فذكر أحوال النفس الخ) أى ليس جواب القسم قد أفلح من زكاها بل استطرادا لذكر أحوال النفس التى ذكر بعض أحوالها قبله وهو قوله تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها وعلى هذا فالجواب محذوف وهو قوله فدمدم الله على كل كفار مكة (قوله أوثمود بالاهلاك) أى الهاء فى فسواها اما راجع الى الدمدمة أوالى ثمود ﴿سورة والليل﴾

أعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهى مادلت على حق ككلمة التوحيد (فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام (وأما من بخل) بما أمر به (واستغنى) بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) بانكار مدلولها (فسنيسره للعسرى) للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار (ومايغنى عنه ماله) نفى أواستفهام انكار (اذاتردى) هلك تفعل من الردى أوتردى فى حفرة القبر أوقعر جهنم (ان علينا للهدى) للارشاد الى الحق بموجب قضائنا أو بمقتضى حكمتنا أوان علينا طريقة الهدى كقوله سبحانه وتعالى وعلى الله قصد السبيل (وان لنا للآخرة والاولى) فنعطى فى الدارين مانشاء لمن نشاء أوثواب الهداية للمهتدين أوفلا يضرنا ترككم الاهتداء (فانذرتكم نارا تلظى) تتلهب (لايصلاها) لايلزمها مقاسيا شدتها (الا الاشقى) الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لايلزمها ولذلك سماه أشقى ووصفه بقوله (الذى كذب وتولى) أى كذب الحق وأعرض عن الطاعة (وسيجنبها الاتقى الذى) اتقى الشرك والمعاصى فانه لابد خلها فضلا عن أن يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لايجتنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق (الذى يؤتى ماله) يصرفه فى مصارف الخير لقوله (يتزكى) فانه بدل من يؤتى أوحال من فاعله (وما لاحد عنده من نعمة تجزى) فيقصد بايتائه مجازاتها (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) استثناء منقطع أومتصل عن محذوف مثل لايؤتى الا ابتغاء وجه ربه لانه كافأة نعمة (ولسوف يرضى) وعد بالثواب لذى يرضيه والآيات نزلت فى أبى بكر رضى الله تعالى عنه حين اشترى بلالا فى جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى أبوجهل أوأمية بن خلف * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل أعطاه الله سبحانه وتعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

﴿سورة والضحى وآيها احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والضحى) ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه أولان فيه كلم موسى ربه وألقى السحرة سجدا أوالنهار ويؤيده قوله أن يأتيهم باسناضحى فى مقابلة بياتا (والليل اذا سجى) سكن أهله أوركد ظلامه من سجا البحر سجوا اذا سكنت أمواجه وتقديم الليل فى السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف (ماودعك ربك) ماقطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ماتركك وهو جواب القسم (وماقلى) وماأبغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روى أن الوحى تأخر عنه أياما تركه الاستثناء كما مر فى الكهف أولزجره سائلا ملحا أولان جروا ميتا كان تحت سريره أولغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم (وللآخرة خير لك من الاولى) فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كأنه لما بين أنه سبحانه وتعالى لايزال يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا وعده لها وما أعلى وأجل من ذلك فى الآخرة أولنهاية أمرك خير من بدايته فانه صلى الله عليه وسلم لايزال يتصاعد فى الرفعة والكمال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وعد شامل لما أعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لايعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير ولانت سوف يعطيك للقسم فانها لاتدخل على المضارع الامع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أن الاعطاء كائن لامحالة وان تأخر لحكمة (ألم يجدك يتيما فآوى) تعديد لما أنعم عليه تنبيها على أنه كما أحسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل وان تأخر ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما

(قوله ولا يلزم ذلك صليها) أى لزومها مقاسيا شدتها فعدم التجنب لايخالف الحصر السابق وهو ان صلى النار لايكون الا للكافر

﴿سورة والضحى﴾

(قوله باعتبار الاصل) لان الظلمة مقدمة فى الوجود لان النور حادث من الامور التى كلما حادثة قبل وجودها كانت الظلمة

مفعوله الثانى أو للمصادفة ويتيما حال (ووجدك ضالا) عن علم الحكم والاحكام (فهدى) فعلمك بالوحى والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا فى الطريق حين خرج بك أبوطالب الى الشام أوحين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك الى جدك فازال ضلالك عن عمك أوجدك (ووجدك عائلا) فقيرا ذا عيال (فاغنى) بما حصل لك من ربح التجارة (فأما اليتيم فلاتقهر) فلاتغلبه على ماله لاضعفه وقرئ فلاتكهر أى فلاتعبس فى وجهه (وأما السائل فلاتنهر) فلا تزجره (وأما بنعمة ربك فحدث) فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله سبحانه وتعالى فيمن يرضى لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله سبحانه وتعالى له بعدد كل يتيم وسائل

﴿سورة ألم نشرح مكية وآيها ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ألم نشرح لك صدرك) ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا أوألم نفسحه بما أودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل أوبما يسر لنا لك تلقى الوحى بعدما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ماروى ان جبريل عليه الصلاة والسلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ماسبق ومعنى الاستفهام انكارنفى الانشراح مبالغة فى اثباته ولذلك عطف عليه (ووضعنا عنك وزرك) عبأك الثقيل (الذى أنقض ظهرك) الذى حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو مائقل عليه من فرطانه قبل البعثة أوجهله بالحكم والاحكام أوحيرته أوتلقى الوحى أوما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم أومن اصرارهم وتعديهم فى ايذائه حين دعاهم الى الايمان (ورفعنالك ذكرك) بالنبوة وغيرها وأى رفع مثل أن قرن اسمه باسمه تعالى فى كلمتى الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه فى ملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زادلك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة (فان مع العسر) كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم (يسرا) كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطمأنينة فلاتيأس من روح الله اذا عراك مايغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما ان مع من المصاحبة المبالغة فى معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقارنين (ان مع العسر يسرا) تكرير لتأكيد أواستئناف وعده بان العسر متبوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحة ان للصائم فرحة أى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه الصلاة والسلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد أوللجنس واليسر منكر فيحتمل أن يراد بالثانى فرد غير ما أريد بالاول (فاذا فرغت) من التبليغ (فانصب) فاتعب فى العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدناك من النعم الآتية وقيل اذا فرغت من الغزو فانصب فى العبادة أوفاذا فرغت من الصلاة فانصب بالدعاء (والى ربك فارغب) بالسؤال ولاتسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافك وقرئ فرغب أى فرغب الناس الى طلب ثوابه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ألم نشرح فكأنما جاءنى وأنا مغتم ففرج عنى

﴿سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والتين والزيتون) خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لافضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة

﴿سورة ألم نشرح﴾ (قوله فكان غائبا حاضرا) فانغيبة عن الخلق باعتبار مناجاته الى الحق والحضور معهم باعتبار دعوتهم (قوله ولعله اشارة الى نحو ما سبق) أى لعل شق الصدر واستخراج القلب الخ اشارة الى نحو ما سبق من انشراح الصدر وتفسحه بما أودع فيه من العلم والحكم (قوله مبالغة فى اثباته) لانه المدعى مع الدليل (قوله من فرطانه) أى من تقصيراته فى الطاعة (قوله وانما زاد ذلك ليكون ابهاما قبل ايضاح) لانه اذا قيل ورفعنا لك توجه السامع ان الرفع له متعلق باى شئ هو فاذا قيل لك وضح المقصود وبقيد المبالغة لانه يفيد ان الرفع له ثم يفيد ان رفع الذكر له فيكون الرفع له

﴿سورة والتين﴾

ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس ولزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع أنه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة أو مسجدا دمشق وبيت المقدس أو البلدان (وطور سينين) يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه الصلاة والسلام ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي هو فيه (وهذا البلد الامين) أي الآمن من أمن الرجل أمانة فهو أمين أو المأمون فيه يامن فيه من دخله والمراد به مكة (لقد خلقنا الانسان) بريد به الجنس (في أحسن تقويم) تعديل بأن خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر شرائر الممكنات (ثم رددناه أسفل سافلين) بان جعلناه من أهل النار والى أسفل سافلين وهو النار وقيل هو أرذل العمر فيكون قوله (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطعا (فلهم أجر غير ممنون) لا ينقطع أو لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له (فما يكذبك) أي فاي شئ يكذبك يا محمد دلالة أو نطقا (بعد بالدين) بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما يمنعني من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فمن الذي يحملك على هذا الكذب (أليس الله بأحكم الحاكمين) تحقيق لما سبق والمعنى أليس الذي فعل ذلك من الخلق والرد بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين أعطاه الله العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات أعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

﴿سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اقرأ باسم ربك) أي اقرأ القرآن مفتتحا باسمه سبحانه وتعالى أو مستعينا به (الذي خلق) أي خلق كل شئ ثم أفرد ما هو أشرف وأظهر صنعا وتدبيرا وأدل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال (خلق الانسان) أو الذي خلق الانسان فابهم أولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته (من علق) جمع علقة الانسان في معنى الجمع ولما كان أول الواجبات معرفة الله سبحانه وتعالى نزل ولا مايدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته (اقرأ) تكرير للمبالغة أو الاول مطلق والثاني للتبليغ أو في الصلاة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما أنا بقارئ فقيل له اقرأ (وربك الاكرم) الزائد في الكرم على كل كريم فانه سبحانه وتعالى ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة (الذي علم بالقلم) أي الخط بالقلم وقد قرئ به لتقييد به العلوم وبعلم به البعيد (علم الانسان ما لم يعلم) تخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه وتعالى مبدأ أمر الانسان ومنتهاه اظهارا لما أنعم عليه من أن نقله من أخس المراتب الى أعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لكرميته وأشار أولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل عليها سمعا (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) أن رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز أن يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد (ان الى ربك الرجعى) الخطاب للانسان على الالتفات تهديد او تخيير امن عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى (أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى) نزلت في أبي جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له مالك فقال ان بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح

(قوله والطحال سائر الممكنات) أي استجماع أمثال سائر الممكنات فان الرأس نظير سقف السماء والحواس كالكواكب (قوله وهو على الاول حكم مترتب على الاستثناء مقرر له) أي على تقدير جعل الاستثناء متصلا كان هذه الجملة مؤكدة لما قبلها على تقدير الانقطاع فهي خبر المبتدا

﴿سورة العلق﴾

(قوله أو الذي خلق الانسان) عطف على الذي له الخلق يعني ان المراد من الذي خلق الذي خلق الانسان (قوله جمعه لان الانسان في معنى الجمع) يعني جمع العلق الذي هو مفرده علقة مع ان الانسان مفرد دلالة وان كان مفردا في الظاهر فهو في معنى الجمع (قوله وقد عدد سبحانه مبدأ أمر الانسان ومنتهاه) فبدؤه خلقه من علق ومنتهاه تعليمه ما لم يعلم (قوله دلالة الكلام عليه) وهو قوله ان الانسان (قوله ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي الخ) لان العبد شأنه ان يعبد صاحبه ويطيعه ولما كان تنكيره للتعظيم كان دالا على كمال عبودية المنهي

النهى والدلالة على كمال عبودية المنهى (أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى) أرأيت تكرير للاول وكذا الذى فى قوله (أرأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بان الله يرى) والشرطية مع فعوله الثانى وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثانى الواقع موقع القسم له والمعنى أخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهى على هدى فيما ينهى عنه أو آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده أو ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الصواب كابو جهل ألم يعلم بان الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله وقيل المعنى أرأيت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول فما أعجب من هذا وقيل الخطاب فى الثانية مع الكافر فانه سبحانه وتعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر أخرى وكانه قال يا كافر أخبرنى ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله سبحانه وتعالى أمرا بالتقوى أتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى فى التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له فى النهى لان النهى كان عن الصلاة والامر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل أولان نهى العبد اذا صلى يحتمل أن يكون لها ولغيرها وعامة أحوالها محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة (كلا) ردع للناهى (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولاسفعن وكتابته فى المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بالالم عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور (ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد المجازى للمبالغة (فليدع ناديه) أى أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى تندى فيه القوم روى أن أبا جهل لعنه الله مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال ألم أنهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فنزلت (سندع الزبانية) ليجروه الى النار وهو فى الاصل الشرط واحده زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع أو زنى على النسب وأصلها زبانى والتاء معوضة عن الياء (كلا) ردع أيضا للناهى (لا تطعه) أى ثبت أنت على طاعتك (واسجد) ودم على سجودك (واقترب) وتقرب الى ربك وفى الحديث أقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الاجر كأنما قرأ المفصل كله

﴿سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أنزلناه فى ليلة القدر) الضمير للقرآن فخمه بإضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المُغْنية عن التصريح كما عظمه بان أسند انزاله اليه وعظم الوقت الذى أنزل فيه بقوله (وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) وانزاله فيها بان ابتدأ بانزاله فيها أو أنزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا فى السفرة ثم كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة وقيل المعنى أنزلناه فى فضلها وهى فى أوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعى الى اخفائها أن يحيى من يرجيها الى كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها أو لتقدير الامور فيها أو لقوله سبحانه وتعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وذكر الالف اما لتكثير أو لما روى أنه عليه الصلاة والسلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطوا ليلة القدر هى خير من مدة ذلك الغازى (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم) بيان لما فضلت على ألف شهر وتنزلهم الى الارض أو الى السماء الدنيا أو تقربهم الى المؤمنين (من كل أمر) من أجل كل

(قوله أرأيت تكرير للاول وكذا الذى فى قوله الخ) المراد ان ما ذكر بعد أرأيت الذى ذكر ثانيا وثالثا متعلق بأرأيت الاول فهما يكونان لمجرد التأكيد (قوله أو ان كان على التكذيب) وعلى هذا يكون أو مخدوفة (قوله يخاطب هذا مرة والآخر أخرى) فأرأيت الذى ينهى على هذا خطاب للمنهى وكذا أرأيت ان كذب وتولى وأما أرأيت ان كان على الهدى فخطاب للكافر (قوله فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل) والامر دعوة بالقول لكن الدعوة بالفعل أقوى من الدعوة بالقول فلذا خص ذكره (قوله أولان نهى العبد اذا صلى الخ) أى نهى العبد اذا صلى يحتمل أن يكون للدعوة أى لاجل ان العبد شغله الدعوة ويحتمل أن يكون لغير الدعوة وغاية أحوال الدعوة أى ما يترتب عليها ينحصر فيما ذكر والنهى عن الامر بالتقوى بدرج فى نهى العبد اذا صلى (قوله وانما جاز لوصفها) أى انما جاز بدل النكرة من المعرفة لوصف البدل (قوله للمبالغة) لانه اذا كانت ناصية الشخص كاذبة كان كونه كاذبا أولى

﴿سورة القدر﴾

(قوله شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح به) أى القرآن لنباهته وعظمته اشتهر بحيث يستغنى عن التصريح باسمه

أمر قدر فى تلك السنة وقرئ من كل امرئ أى من أجل كل انسان (سلام هى) ماهى الا سلامة أى لا يقدر الله فيها الا السلامة و يقضى فى غيرها السلامة والبلاء أو ماهى الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين (حتى مطلع الفجر) أى وقت مطلعه أى طلوعه وقرأ الكسائى بالكسر على انه كالمرجع أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق *عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الاجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

﴿سورة لم يكن مختلف فيها وآيها ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد فى صفات الله سبحانه وتعالى ومن للتبيين (والمشركين) وعبدة الاصنام (منفكين) عما كانوا عليه من دينهم أو الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم (حتى تأتيهم البينة) الرسول عليه الصلاة والسلام أو القرآن فانه مبين للحق أو معجزة الرسول باخلاقه والقرآن بإخباره من تحدى به (رسول من الله) بدل من البينة بنفسه أو بتقدير مضاف أو مبتدأ (يتلو صحفا مطهرة) صفته أو خبره والرسول عليه الصلاة والسلام وان كان أميا لكنه لما تلا مثل ما فى الصحف كان كأنه تلا فى نفسها وقيل المراد جبريل عليه الصلاة والسلام وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا يأتى ما فيها أو انها لا يمسها الا المطهرون (فيها كتب قيمة) مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) مما كانوا عليه بان آمن بعضهم وأوردد فى دينه أو عن وعد هم بالإصرار على الكفر (الا من بعد ما جاءتهم البينة) فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد أهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولى (وما أمروا) أى فى كتبهم بما فيها (الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به (حنفاء) مائلين عن العقائد الزائغة (ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة) ولكنهم حرّفوا وعصوا (وذلك دين القيمة) دين الملّة القيّمة (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها) أى يوم القيامة أو فى الحال للاستهانة بما يوجب ذلك واشتراك الفريقين فى جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما فى نوعه فلعلّه يختلف لتفاوت كفرهما (أولئك هم شر البرية) أى الخليقة وقرأ نافع البرية بالهمز على الاصل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا فى مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها باضافة و وصفها بما تزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد (رضى الله عنهم) استئناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم (ورضوا عنه) لانه بلّغهم أقصى أمانيهم (ذلك) أى المذكور من الجزاء والرضوان (لمن خشى ربه) فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير *عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كفروا كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

﴿سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها ثمانى آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا زلزلت الارض زلزالها) اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى أو الثانية أو الممكن لها أو اللائق بها فى الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس فى الابنية فعلال الا فى المضاعف (وأخرجت الارض أثقالها) ما فى جوفها من الدفائن أو الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت (وقال الانسان مالها)

(قوله أى وقت مطلعه) انما قدر كذلك لان المطلع مصدر

﴿سورة البينة﴾

(قوله أو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم باخلاقه) هذا مأخوذ من قول الامام حجة الاسلام ان مجموع الاخلاق الفاضلة كان بالغا فيه الى حد الاعجاز (قوله بدل من البينة بنفسه أو بتقدير مضاف) الاول على تقدير ان يكون المراد من البينة الرسول والثانى على تقدير ان المراد القرآن وانتقدير كتاب رسول من الله (قوله دين الملة القيمة) انما قدر ذلك لانه لو لم يقدر كان اضافة الشئ الى صفته وهو ممنوع عند البصريين

﴿سورة اذا زلزلت﴾

(قوله بدل من اذا) أى اذا زلزلت الارض (قوله أو أصل) أى ليس ببدل فيكون العامل فيه غير العامل فى اذا واذا كان العامل فى يومئذ تحدث يحتاج اذا الى عامل يكون جواب الشرط وهو من جنس المذكور أو مناسبه (قوله بان أحدث فيها الخ) أى المراد من الايحاء المذكور هو الاحداث الذى ذكر (قوله ادخلها فى ذلك تشف من العصاة) أى اللام الذى يدل على النفع لاجل ان فى ذلك تشفيا لها من العصاة (قوله متفرقين بحسب مراتبهم) فالسعداء لهم أمكنة خاصة مناسبة لهم والاشقياء لهم أمكنة أخرى مناسبة لهم أيضا (قوله ولذلك قرئ يره بالضم) أى بضم الياء (قوله وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة) أى رؤية جزاء عمل الخير مشروطة بعدم الاحباط) أى عدم احباط المعاصى الكثيرة اياه ورؤية جزاء عمل الشر مشروطة بعدم العفو وانما أول بذلك لان الكافر لا يرى أثر عمل الخير عنده هذا القائل لان عمله محبط والمؤمن العاصى قد يغفر له فلا يرى جزاء عمله الشر (قوله أو من الاولى مخصوصة بالسعداء الخ) هذا تأويل آخر وهو ان وجوب رؤية جزاء عمل الخير ألبتة مشروطة بان يكون للسعداء ووجوب رؤية جزاء عمل الشر مشروطة بان يكون للاشقياء أى للكافرين والا فالعاصى يمكن أن لا يرى الشر الذى عمله بسبب عفو الله

﴿سورة العاديات﴾

(قوله وتخصيصه لانه الاصل)

لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم مالها (يومئذ تحدث) تحدث الخلق بلسان الحال (أخبارها) بما لها من زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله سبحانه وتعالى فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث أو أصل واذا منتصب بمضمر (بأن ربك أوحى لها) أى تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان أحدث فيها مادلت على الاخبار أو أنطقها بها ويجوز أن يكون بدلا من أخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى أو على أصلها اذ المعنى فى ذلك تشف من العصاة (يومئذ يصدر الناس) من مخارجهم من القبور الى الموقف (أشتاتا) متفرقين بحسب مراتبهم (ليروا أعمالهم) جزاء أعمالهم وقرئ بفتح الياء (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم وقرأ هشام باسكان الهاء ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران فى نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة أو من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله أشتاتا والذرة النملة الصغيرة أو الهباء * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت الارض أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

﴿سورة والعاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والعاديات ضبحا) أقسم سبحانه بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت أنفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف أو بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات أو ضبحا حال بمعنى ضابحة (فالموريات قدحا) فالتى تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فأورى (فالمغيرات) يغير أهلها على العدو (صبحا) أى فى وقته (فأثرن) فهيجن (به) بذلك الوقت (نقعا) غبارا أو صياحا (فوسطن به) فتوسطن بذلك الوقت أو بالعدو أو بالنقع أى ملتبسات به (جمعا) من جموع الاعداء روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث خيلا فمضت أشهرا ثم بانه منهم خبر فنزلت ويحتمل أن يكون القسم بالنفوس العادية اثر كالهن الموريات بافكارهن أنوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مثل أنوار القدس فأثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين (ان الانسان لربه لكنود) لكفور من كند النعمة كنودا أو لعاص بلغة كندة أو لبخيل بلغة بنى مالك وهو وجوب القسم (وانه على ذلك) وان الانسان على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه اظهورا ثره عليه أو أن الله سبحانه وتعالى على كنوده لشهيد فيكون وعيدا (وانه لحب الخير) المال من قوله سبحانه وتعالى ان ترك خيرا أى مالا (لشديد) لبخيل أو لقوى مبالغ فيه (أفلا يعلم اذا بعثر) بعث (ما فى القبور) من الموتى وقرئ بحثر من بحث (وحصل) جمع محصلا فى الصحف أو ميز (ما فى الصدور) من خير أو شر وتخصيصه لانه الاصل (ان ربهم بهم يومئذ) وهو يوم القيامة (لخبير) عالم بما أعلنوا وما أسروا فيجازيهم عليه وانما قال ما ثم قال بهم لاختلاف شأنهم فى الحالين وقرئ أن وخبير بلا لام * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

﴿سورة القارعة مكية وآيها ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة) سبق بيانه فى الحاقة (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث)

(٢٥ - (بيضاوى) - خامس) أى تخصيص ما فى الصدور أى عمل القلب لانه الاصل (قوله لاختلاف شأنهم فى الحالين) لانه ما لغير العقلاء وهو مناسب لما فى القبور لان جادهم أى لفظهم أى الذى العقل لان هذه الحالة بعد الخروج من القبر ﴿سورة القارعة﴾

فى كثرهم وذاتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف ذى الالوان (المنفوش) المندوف لتفرق أجزائها وتطايرها فى الجو (فاما من ثقلت موازينه) بان ترجحت مقادير أنواع حسناته (فهو فى عيشة) فى عيش (راضية) ذات رضا أو مرضية (وأما من خفت موازينه) بان لم يكن له حسنة يعبأ بها أو ترجحت سيآته على حسناته (فامه هاوية) فأواه النار المحرقة والهاوية من أسمائها ولذلك قال (وما أدراك ماهيه نار حامية) ذات حمى * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

﴿سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ألهاكم) شغلكم وأصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل (التكاثر) التباهى بالكثرة (حتى زرتم المقابر) اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روى أن بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنوسهم ان البغى أهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنوسهم وانما حذف المبهى عنه وهو مايعنيهم من أمر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى أن متم وقبرتم مضيعين أعماركم فى طلب الدنيا عما هو أهم لكم وهو السعى لاخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت (كلا) ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغى له أن لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة (سوف تعلمون) خطأ رأيكم اذا عاينتم مأوراءكم وهو انذار ليخافوا ويتنبهوا من غفلتهم (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتأكيد وفى ثم دلالة على أن الثانى أبلغ من الاول وألا تؤل عند الموت أو فى القبر والثانى عند النشور (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى لو تعلمون مابين أيديكم علم الامر اليقين أى كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره أو لفعلتم مالا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز أن يكون قوله (لترون الجحيم) جواباله لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف أكد به الوعيد وأوضح به ماأنذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقرأ ابن عامر والكسائى بضم التاء (ثم لترونها) تكرير للتأكيد أو الاولى اذا رأيتم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها والمراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار (عين اليقين) أى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) الذى ألهاكم والخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه والنعيم بما يشغل للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله من حرم زينة الله كاوا من الطيبات وقيل يعمان أكل يسئل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ ألهاكم لم يحاسبه الله سبحانه وتعالى بالنعيم الذى أنعم به عليه فى دار الدنيا وأعطى من الاجر كأنما قرأ ألف آية

﴿سورة والعصر مكية وآيها ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والعصر) أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها أو بعصر النبوة أو بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفى مايضاف اليه من الخسران (ان الانسان لفى خسر) ان الناس لفى خسران فى مساعيهم وصرف أعمارهم فى مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السرمدية (وتواصوا بالحق) الثابت الذى لا يصح انكاره من اعتقاد أو عمل (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى أو على الحق أو ما يبلو الله

(قوله واتتصاب يوم بمضمر) دل عليه القارعة والتقدير يقرع قلوب الخلق يوم يكون الناس

﴿سورة الهاكم﴾

(قوله للتعظيم والمبالغة) أى حذف الملهى عنه للتعظيم أى هو لعظمته وشهرته لا حاجة الى ذكره واما افادة المبالغة فلدلالته ظاهرا على ان التكاثر الهاكم عن كل خير فتكون المبالغة فى الالهاء

﴿سورة العصر﴾

(قوله والتعريض بنفى مايضاف اليه من الخسران) فكأنه قيل والعصر الذى يضاف اليه الحوادث أى جعله الجاهلون فاعلا لها من جملتها الخسران ان الانسان لفى خسر الى آخر السورة فانه يعلم منه ان الخسر للاعمال القبيحة والربح للاعمال الصالحة فعلم منه ان الخسر ليس من الدهر

به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغه الا أن يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ماعدا ماعد يؤدى الى خسر ونقص حظ أو تكرما فان الابهام فى جانب الخسر كرم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

﴿سورة الهمزة مكية وآيها تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ويل لكل همزة لمزة) الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا فى الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعله يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة لمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذى ياتى بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها فى الاخنس بن شريق فانه كان مغيابا أو فى الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم (الذى جمع مالا) بدل من كل أو ذم منصوب أو مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالتشديد للتكثير (وعدده) وجعله عدة للنوازل أو عده مرة بعد أخرى ويؤيده أنه قرئ وعدده على فك الادغام (يحسب أن ماله أخلده) تركه خالدا فى الدنيا فاحبه كما يحب الخلود أو حب المال أغفله عن الموت أو طول أمله حتى حسب أنه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعى للآخرة (كلا) ردع له عن حسبانه (لينبذن) ليطرحن (فى الحطمة) فى النار التى من شأنها أن تحطم كل مايطرح فيها (وما أدراك ما الحطمة) ما النار التى لها هذه الخاصية (نار الله) تفسير لها (الموقدة) التى أوقدها الله وما أوقده لا يقدر غيره أن يطفئه (التى تطلع على الافئدة) تعلو أوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد ألطف ما فى البدن وأشده تألما أو لانه محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة (انها عليهم موصدة) مطبقة من أوصدت الباب اذا أطبقته قال

تحن الى أجبال مكة ناقتى * ومن دونها أبواب صنعاء موصده

وقرأ حفص وأبو عمرو وحمزة بالهمزة (فى عمد ممددة) أى موثقين فى أعمدة ممدودة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص وقرأ الكوفيون غير حفص بضمتين وقرئ عمد بسكون الميم مع ضم العين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين

﴿سورة الفيل مكية وهى خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام فانها من الارهاصات اذ روى أنها وقعت فى السنة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قصتها أن ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف الحاج اليها فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوى اسمه محمود وفيلة أخرى فلما تهيأ للدخول وعبى جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن أو الى جهة أخرى هرول فارسل الله تعالى طيرا كل واحد فى منقاره حجر وفى رجليه حجران أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر فى رأس الرجل

(قوله الا أن يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله) أى يراد من العمل المذكور فى قوله وعملوا الصالحات عمل مقصور على كونه كمالا للشخص لا يتعدى الى غيره فيكون التواصى خارجا عن العمل بالوجه المذكور

﴿سورة الهمزة﴾

(قوله وعدده على فك الادغام) أى العدد بالدالين من غير تشديد (قوله وفيه تعريض بان المخلد هو السعى للآخرة) التعريض مفهوم من تخصيص الانكار بأن ماله أخلده أى بحسب ان المال أخلده وهو خطأ بل المخلد شئ آخر هو السعى للآخرة (قوله تعلوا أوساط القلوب الخ) انما فسر بذلك ليلزم تأثير النار فى بواطن القلوب (قوله مثل المقاطر) المقطر هى الخشبة فيها خروق يدخل فيها أرجل المحبوسين

﴿سورة الفيل﴾

(قوله وشرف رسوله) شرفه لانه ثبت أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتوجه اليه فى الصلاة والحج وكونه صلى الله عليه وسلم متولدا فى تلك السنة فكان هلاك أصحاب الفيل ببركته

فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ ألم ترجدا فى اظهار أثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بترا فيه من معنى الاستفهام (ألم يجعل كيدهم) فى تعطيل الكعبة وتخريبها (فى تضليل) فى تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شأنها (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) جماعات جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل لواحدها كعبادين وشماطيط (ترميهم بحجارة) وقرئ بالياء على تذكيرا لطير لانه اسم جمع أو استناده الى ضمير ربك (من سجيل) من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير أو الاسجال وهو الارسال أو من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون (فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود أو كل حبه فبقى صفر امنه أو كتبن أكلته الدواب وراثته * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ

﴿سورة قريش مكية وآيها أربع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لايلاف قريش) متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت وانما علمنا فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى أن نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) أى الرحلة فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون أو بمحذوف مثل اعجبوا أو بما قبله كالتضمين فى الشعر أى جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيده أنهما فى مصحف أبى سورة واحدة وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن فلا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانهم أكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم وقرأ ابن عامر لئلاف بغير ياء بعد الهمزة (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع) أى بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة أكلوفيها الجيف والعظام (وآمنهم من خوف) خوف أصحاب الفيل أو التخطف فى بلدهم ومسايرهم أو الجذام فلا يصيبهم ببلدهم * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لئلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

﴿سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(أرأيت) استفهام معناه التعجب وقرئ أريت بلا همز الحاقا بالمضارع واهمل تصديرها بحرف الاستفهام سهل أمرها وأرأيتك بزيادة الكاف (الذى يكذب بالدين) بالجزاء أو الاسلام والذى يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثانى قوله (فذلك الذى يدع اليتيم) يدفعه دفعا عنيفا وهو أبو جهل كان وصى اليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه أو أبو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه أو الوليد بن المغيرة أو منافق بخيل وقرئ يدع أى يترك (ولايحض) أهله وغيرهم (على طعام المسكين) لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) أى غافلون غير مبالين بها (الذين هم يراؤن) يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليهم (ويمنعون الماعون) الزكاة ومايتعاور فى العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة بالدين من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام أحق بذلك ولذلك رتب عليها الويل وأللسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على سوء معاملتهم مع الخالق

(قوله جدا فى اظهار الجازم) أى قرئ ألم نرح بسكون الراء مبالغة فى اظهار الجازمة (قوله وكيف نصب لفعل لا بترا لخ) أى كيف غير منصوب بترا لمذكور لان كيف فيه معنى الاستفهام فله الصدارة فلا يجوز تقدم العامل عليه بل هو معمول فعل مؤخر عنه

﴿سور قريش﴾

(قوله كالتضمين فى الشعر) التضمين هو ان يضمن الشعر شيأ من شعر الغير ولا يخفى ان هذا المعنى لا يتحقق فى القرآن من وجهين فوجه الشبه بين تعليق هذه السورة بما قبلها والتضمين ان فى كل منهما وصل كلام ظاهر الانفصال عما قبله به

﴿سورة أرأيت﴾

(قوله الحاقا بالمضارع) فان المضارع ليس فيه الهمزة (قوله ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء) وهى جملة فذلك الذى يدع اليتيم (قوله يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليهم) يرون من باب الافعال صيغة المبنى للفاعل وكذا ليروهم والمعنى يقصدون ان الناس ترى أعمالهم ليرى الناس اياهم الثناء عليهم أى ليثنى الناس عليهم (قوله أو للسببية) يعنى ان الفاء اما جزائية أو سببية (قوله للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق) فالمعاملة مع الخالق أن لا يصلى ولا يعبده ومع الخلق أن لا يحض على طعام المسكين ويمنع الماعون

﴿سورة الكوثر﴾ (قوله خالصا لوجه الله) الخلوص يستفاد من اللام التي للاختصاص (قوله جامعة لاقسام الشكر) الشكر الفعلي بانواعه التي هي القيام والركوع والسجود والقولي هو القراءة والتسبيح والتعظيم (قوله ان من أبغضك ابغضته) أي من أبغضك بغضه بسبب الله يكون هو الأبتر ﴿سورة الكافرون﴾ (قوله في الحال أو فيما سلف الخ) يفهم من مجموع الكلام ان النبي صلى الله عليه وسلم غير عابد في وقت ما معبودهم ولا هم عابدون في وقت ما معبود النبي صلى الله عليه وسلم أما الاول فلانه يفهم من قوله لا أعبد ما تعبدون انهم لم يعبد فيما يستقبل معبودا نهم ومن قوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم انه صلى الله عليه وسلم غير عابد اياها في الحال وفيما سلف و يفهم من قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد انهم لا يعبدون فيما يستقبل معبود النبي صلى الله عليه وسلم ومن قوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد انهم ما عبدوا في الزمان الماضي ولا في الحال معبود النبي صلى الله عليه وسلم وانما نحن الا أنا عابد ما عبدتم على الزمان الماضي والحال معالانه في مقابلة قوله تعالى لا أعبد ما تعبدون الذي للاستقبال فكانه قيل ولا أنا عابد ما عبدتم في غير الاستقبال ما عبدتم وعلى هذا فالظاهر أن يقال في الحال أو فيما سلف بالواو لا بأو (قوله ويجوز أن يكونا تأكيدين على طريقة أبلغ) اذ يجوز أن يراد لا أنا عابد في زمان ما عبدتم فيكون تأكيدا للأعبد ما تعبدون بطريق أبلغ لان لا أعبد ما تعبدون يدل على الزمان الاستقبالي كما ذكروا مالا أنا عابد ما عبدتم فيحتمل ان يدل على الزمان مطلقا وكذا قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد المذكور أولا يدل على نفي العبادة في الاستقبال ولا أنتم عابدون المذكور ثانيا يدل على نفي العبادة في مطلق الزمان (قوله فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد) لان قوله تعالى لكم دينكم اخبار عن عدم ايمانهم في المستقبل ولا يدل على الاذن في الكفر ولا في المنع عن الجهاد (قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكانما قرأ ربع القرآن) قال بعض العلماء في توجيهه مقاصد القرآن التوحيد والاحكام الشرعية وأحوال المعاد والتوحيد عبارة عن تخصيص الله بالعبادة والتخصيص انما يحصل بعبادته ونفي عبادة غيره صارت مقاصد

والخلق * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر له ان كان للزكاة مؤديا

﴿سورة الكوثر مكية وآيها ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أعطيناك) وقرئ أنطيناك (الكوثر) الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل أولاده وأتباعه أو علماء أمته أو القرآن العظيم (فصل لربك) فدم على الصلاة خالصا لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لانعامه فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر (وانحر) البدن التي هي خيار أموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية (ان شانئك) ان من أبغضك ابغضته الله (هو الابتر) الذي لا عقب له اذ لا يبقى له نسل ولا حسن ذكر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر العظيم

﴿سورة الكافرون مكية وآيها ست آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل يا أيها الكافرون) يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون روي أن رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت (لا أعبد ما تعبدون) أي فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي فيما سنقبل لانه في قران الأعبد (ولا أنا عابد ما عبدتم) أي في الحال أو فيما سلف (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي وما عبدتم في وقت ما ما أنا عابده ويجوز أن يكونا تأكيدين على طريقة أبلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كأنه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق أو للمطابقة وقيل انها مصدرية وقيل الاولیان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان (لكم دينكم) الذي أنتم عليه لا تتركونه (ولي دين) ديني الذي أنا عليه لا أرفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال اللهم الا اذا فسر بالتاركة ونقرر كل من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء

القرآن بهذا الاعتبار أربعة وهذه السورة مشتملة على ترك عبادة غيره تعالى والتبرى عن الاشراك فى العبادة فصارت بهذا الاعتبار ربع القرآن ثم قال فان قلت كما انها مشتملة على النهى عن عبادة الغير ففيها مشتملة على عبادة الله تعالى لقوله ولا أنتم عابدون ما أعبد فتكون مشتملة على نصف مقاصد القرآن بناء على ماذكرتم قلت ليس فيها دلالة على الامر بالعبادة كما يخفى كما انه ليس فيها الأمر بعبادة غيره فى قوله لا أعبد ما تعبدون و الحاصل ان هذه السورة مشتملة على البراءة من الشرك بالله وليس فيها تصريح بعبادة الله تعالى فباعتبار معناه الصريح تكون ربع القرآن هذا كلامه أقول لانسلم ان هذه السورة مشتملة على النهى عن عبادة لغير صريحا كما انها ليست مشتملة على الامر بعبادة الله صريحا فان (١٩٨) اعتبار التصريح فلم تكن السورة مشتملة على التوحيد مطلقا فان لم يعتبر بل المعتبر أعم من التصريح والضمنى فتقول السورة مشتملة على جزأى التوحيد والوجه ان يقال ان مقاصد القرآن مشتملة على أربعة أشياء صفات الله تعالى والنبوات والاحكام والمواعظ والثلاثة الأخيرة غير مذكورة فى السورة وأما الاولى فرأس الصفات ومقدمها فى الاعتبار التوحيد فكانها الصفات كلها لانها متفرعة عليها فلما اعتبر التوحيد السورة فكانت تعادل ربع القرآن

﴿سورة اذا جاء﴾

(قوله وقيل المراد جنس نصر الله المؤمنين وفتح سائر البلاد عليهم) المراد جنس فتح سائر البلاد لا فتح سائر البلاد اذ هو ليس فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم فلا يناسبه قوله اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك أو يقال المراد فتح سائر البلاد المفتوحة فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم (قوله على طريقة تلقوا النزول من الخالق) فان سبح بحمد ربك توجه الى كمال الخالق والاستغفار توجه الى حال العبد وتقصيراته (قوله وانه نعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة) ان أراد ان الامر بالاستغفار دال على تمام الدعوة ففيه ان الامر بالاستغفار مشروط بان يكون بعد الفتح فلا يكون دالا على قرب أجله صلى الله عليه وسلم فلا يكون نعيا وان أراد ان نزول السورة دال على النهى ففيه ان مجرد نزول السورة لا يدل على تمام الدعوة بل الامر بالتسبيح والاستغفار الذى بعد الفتح والنصر والفتح والنصر أنفسهما دالان عليهما ويمكن أن يقال ان السورة دالة على انه صلى الله عليه وسلم يموت وهو المراد بالنعى

﴿سورة تبت﴾

والدعاء والعبادة ﴿عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

﴿سورة النصر مدنية وآيها ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا جاء نصر الله) اظهاره اياك على أعدائك (والفتح) وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله المؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجىء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى أوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيأ فشيأ وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا للشكر (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على أن رأيت بمعنى أبصرت أو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت (فسبح بحمد ربك) فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال أحد حامدا له عليه أو فصل له حامدا على نعمه روى أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات أو فنزهه تعالى مما كانت الظلمة يقولون فيه حامدا له على ان صدق وعده وأفاض على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام (واستغفره) هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك من الالتفات الى غيره وعنه عليه الصلاة والسلام انى لاستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح على الحمد ثم الحمد على الاستغفار على طريق النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيأ الا ورأيت الله قبله (انه كان توابا) لمن استغفره من خلق المكلفين والاكثر على أن السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما فرأها بكى العباس فقال عليه الصلاة والسلام ما يبكيك فقال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال أمر الدين فهى كقوله اليوم أكملت لكم دينكم ولان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة اذا جاء أعطى من الاجر كمن شهد مع محمد عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة شرفها الله تعالى

﴿سورة تبت مكية وآيها خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبت) هلكت أو خسرت والتباب خسران يؤدى الى الهلاك (يدا أبى لهب) نفسه كقوله ولا

تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه عليه الصلاة والسلام لما نزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين جمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب تبا لك ألهذا جمعتنا وأخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه وأخراه وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من أصحاب النار كانت الكنية أوفق بحاله أو ليجانس قوله ذات لهب وقرئ أبو لهب كما قيل على بن أبو طالب (وتب) اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله

جزاني جزاه الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وبدل عليه انه قرئ وقد تب أو الاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن عمل نفسه (ما أغنى عنه ماله) نفي لاغناء المال عنه حين نزل به التباب أو استفهام انكاري ومحلها النصب (وما كسب) وكسبه أو مكسوبه بما للهمن النتائج والارباح والوجاهة والاتباع أو عمله الذي ظن انه ينفعه أو ولده عتبة وقد افترسه أسد في طريق الشام وقد أحدق به العير ومات أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بأيام معدودة وترك ثلاثا حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه (سيصلى نارا ذات لهب) اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز أن يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا وسيصلى مشددا (وامرأته) عطف على المستتر في سيصلى أو مبتدأ وهي أم جميل أخت أبي سفيان (حمالة الحطب) يعني حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحمل زوجها على ايذائه أو النميمة فانها كانت توقد نار الخصومة أو حزمة الشوك أو الحسك فانها كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم (في جيدها حبل من مسد) أي مما مسد أي فتل ومنه رجل ممسود الخلق أي مجدول وهو ترشيح للمجاز أو توصيف لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشأنها أو بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال أو الخبر وجيد مرتفع به * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة

﴿سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها أربع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل هو الله أحد) الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو أو لما سئل عنه أي الذي سألتموني عنه هو الله اذ روي أن قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت وأحد بدل أو خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كأدل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الانفاق على انه لا بد منه في قل يا أيها الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة الرسول وأموادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب أن تكون منه وأما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه أخرى (الله الصمد) السيد الصمود اليه في الحوائج من صمد اليه اذا قصده وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه في جميع حوائجه وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير لفظة الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق للالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى أو الدليل عليها

بكونه مصمودا اليه في الحوائج لم يستحق الالوهية أي المعبودية (قوله لانها كالنتيجة للاولى والدليل عليها) أما الاول فباعتبار ان من هو

ماله (قوله فهو اخبار عن الغيب قبل وقوعه) اذ يعلم الموقع عليه انه لا ينفعه ماله وما كسبه (قوله وهو ترشيح) مشعر بان الحبل ليس بمعناه الحقيقي بل مجاز ولعل المراد السلسلة التي تكون في جيدها في جهنم والفتل ترشيح المجاز باعتبار ان الفتل مناسب للمعنى الحقيقي للحبل (قوله والظرف في موضع الحال أو الخبر) يعني يكون اما حالا عن امرأته أو خبرا عن امرأته وحبل مرتفع بانه فاعل الظرف

﴿سورة الاخلاص﴾

(قوله ولا حاجة الى العائد لانها هي هو) أي الضميران كان جملة لكن لا حاجة الى العائد لانها أي القصة هي أي الجملة هو أي ضمير الشأن (قوله على مجامع صفات الجلال كأدل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الانفاق على انه لا بد منه في قل يا أيها الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة الرسول وأموادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب أن تكون منه وأما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه أخرى (الله الصمد) السيد الصمود اليه في الحوائج من صمد اليه اذا قصده وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه في جميع حوائجه وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير لفظة الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق للالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى أو الدليل عليها

أحد منزه عن جميع سمات النقص لابد أن يكون صمدا مقصودا اليه في الحوائج والثاني فلان من يكون صمدا على الاطلاق لابد أن يكون أحدا أي منزها عن جميع صفات النقص (قوله لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه الخ) لان الولد لابد أن يكون من جنس أبيه وهو تعالى لم يكن من جنس غيره (٢٠٠) لانه واجب بالذات وغيره يمكن ولان الولد مطلوب لاجل الاعانة وليكون خليفة للوالد بعد فنائه وهو

تعالى منزه عن أن يعينه غيره وعن الفناء أيضا (قوله أو خبرا ويكون كفوا حالا من أحد) والمعنى ولم يكن أحد حال كونه مكافئا كائنا له (قوله لان المراد منها في اقسام الامثال) لان المثل للشخص اما ماوالده أو والده أو غيرهما فهذه الجمل الثلاث كجملة واحدة نبه عليها بتلك الجمل أو كانه قيل لا يكون له من أقسام المثل شئ لانه لم يلد الخ (قوله ومن عدها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك) أي من عدها بكل القرآن أراد به عدل المقصود بالذات من تلك الاقسام وهو العقائد

(لم يلد) لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله أو المسيح ابن الله أو ليطابق قوله (ولم يولد) وذلك لانه لا يفتقر الى شئ ولا يسبقه عدم (ولم يكن له كفوا أحد) أي ولم يكن أحد يكافئه أو يدانيه من صاحبة أو غيرها وكان أصله أن يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم وبجوز أن يكون حالا من المستكن في كفوا أو خبرا ويكون كفوا حالا من أحد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لان المراد منها نفي أقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبهة عليها بالجمل وقرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية كفؤا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من ألحد فيها جاء في الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك * وعنه صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلا يقرؤها فقال وجبت قيل يارسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

﴿سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل أعوذ برب الفلق) ما يفلق عنه أي يفرق كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من أصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسره به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحا كاذ فاتحة يوم القيامة والاشعار بان من قدر أن يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر أن يزيل عن العالمين ما يخافه ولفظ الرب هنا أوقع من سائر أسمائه تعالى لان الاعاذة من المضار تربية (من شر ماخلق) خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعلقه كالكفر والظلم طبيعي كاحراق النار واهلاك السموم (ومن شر غاسق) ليل عظيم ظلامه من قوله الى غسق الليل وأصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعه (اذا وقب) دخل ظلامه في كل شئ وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف (ومن شر النفاثات في العقد) ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روى أن يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر وسدد في بئر فمرض النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت المعوذتان وأخره جبريل عليه الصلاة والسلام بموضع السحر فارسل عليا رضي الله تعالى عنه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في أنه مسحور لانهم أرادوا به أنه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعارا من تليين العقد بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل

(قوله فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد) أي فلق ظلمة العدم وأخرج منها الموجود بسبب نور الوجود فهو مخلوق عنه قال البيضاوي ينشق الليل عن الصبح فالليل مخلوق والصبح مخلوق عنه (قوله ومحا كاذ فاتحة يوم القيامة) فانه كان في فاتحة يوم القيام تنشر الموتى من القبور وفي الصبح تنشر النيام من المراقد (قوله لان من قدر أن يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم)

الاولى ان يقال من قدر أن يزيل ظلمة الليل التي هي منشأ المخاوف في هذا العالم الخ حتى يظهر ارتباط الفلق بالتعوذ غاسق

(قوله خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه الخ) المراد من عالم الخلق عالم العناصر وما يتركب منها (قوله ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في أنه مسحور) يمكن أيضا ان يقال لا يوجب صدقهم لانهم أرادوا به انه مسحور بسبب دعوى النبوة فهو لكونه مسحورا لم يعلم ما يقول ويدعي ما لا يكون (قوله وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل) أي يبطلون عزائمهم الحسنة التي هي محض الخير

غاسق وحاسد (ومن شر حاسد اذا حسد) اذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرر منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة فى اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز أن يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تؤثر بدى طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث فى العقد الثلاثة وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا اذا عاينه فيعاينه وعلى افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة * عن النبى صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على سورتان ما أنزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما يعنى المعوذتين

﴿سورة الناس مختلف فيها وآيها ست آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل أعوذ) وقرئ فى السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام (برب الناس) لما كانت الاستعاذة فى السورة المتقدمة من المضار البدنية وهى تعم الانسان وغيره والاستعاذة فى هذه السورة من الاضرار التى تعرض للنفوس البشرية وتخصها عم الاضافة ثم وخصصها بالناس ههنا فكانه قيل أعوذ من شر الموسوس الى الناس برب هم الذى يملك أمورهم ويستحق عبادتهم (ملك الناس اله الناس) عطف بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفى هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر فى المعارف فانه يعلم أولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة أن له ربا لم يتغافل فى النظر حتى يتحقق أنه غنى عن الكل وذات كل شئ له ومصارف أمره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على أنه المستحق للعبادة لا غير وتدرج فى وجوه الاستعاذة كما يتدرج فى الاستعاذة المعتادة تنزلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما فى الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان (من شر الوسواس) أى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمى بفعله مبالغة (الخناس) الذى عادته أن يخنس أى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه (الذى يوسوس فى صدور الناس) اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل فى المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست وأخذت توسوسه وتشككه ومحل الذى الجر على الصفة أو النصب أو الرفع على الذم (من الجنة والناس) بيان للموسواس أو للذى أو متعلق بيوسوس أى يوسوس فى صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على أن المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا أن يراد به الناسى كقوله تعالى

يوم يدع الداع فان نسيان حق الله تعالى يعم الثقلين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى أنزلها الله تبارك وتعالى

من شر كل نفاثة بخلاف غاسق وحاسد فان كلا منهما نكرة مفردة ليس فيهما معنى الاستغراق (قوله بل الحيوان غيره) أما حال الانسان فظاهر وأما الحيوان فلانه اذا رأى واحد من الحيوانات حيوانا آخر يأكل شيأ لذيذا عنده هجم عليه وقصد جبره ليأخذ منه ذلك الشئ ويأكله (قوله كالقوى) أى كالقوى الانسانية التى لا تكون سببا لكماله بل لنقصه

﴿سورة الناس﴾

(قوله دلالة على انه حقيق بالاعاذة الخ) لان الملك شأنه أن لا يمنع (قوله تنزلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات) أى نزل وجوه الاستعاذة وهى الاستعاذة برب الناس وملك الناس واله الناس بحسب اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اذ لولم تعتبر هذه النكتة كفى ان يقال أعوذ برب الناس (قوله من جهة الجنة والناس) أما من جهة الجنة فباعتبار انه يجعل فى الخواطر ان الجنة لهم التأثير وايصال الشر والخير وأما من جهة الناس فباعتبار ان يجعل فيها أيضا اتباعها للضالين المضلين (قوله الا أن يراد به الناسى) أى يقال المراد من الناس الواقع فى

قال المصنف رحمه الله تعالى وقد اتفق اتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوى على فرائد فوائد ذوى الالباب المشتمل على خلاصة أقوال أكابر الأئمة وصفوة آراء أعلام الامة فى تفسير القرآن وتحقيق معانيه والكشف عن عويصات ألفاظه ومعجزات مبانيه مع الايجاز الخالى عن الاخلال والتلخيص العارى عن الاضلال الموسوم بأنوار التنزيل وأسرار التأويل وأسأل الله تعالى أن يتم نفعه للطلاب ولا يخلى سعى من يتعب فيه من الاجر والثواب ويختم كل خاتمة امرىء يؤمه بتمحيص عن الآثام ويبلغنى أعلى منازل دار السلام فى جوار العليين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهو سبحانه حقيق بأن يحقق رجاء الراجين تحقيقا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وأتباعهم أجمعين

﴿يقول راجى غفران المساوى رئيس لجنة التصحيح (بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر) محمد الزهرى الغمراوى﴾

نحمدك اللهم مبدع الكائنات وان كنا لا نفى بواجب حمدك ونشكرك على ما أنزلته من الآيات ونسألك الهداية لقربك والحماية من بعدك ونستمنحك اللهم دوام الصلاة والتسليم على من شرفته بخطاب ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم سيدنا محمد المخصوص بأبهر المعجزات وأوضح الآيات البينات وعلى آله ذوى الكمال وأصحابه الذين ناضلوا عن دينه أى نضال ﴿أما بعد﴾ فقد تم بحمده تعالى طبع تفسير الامام البيضاوى الذى هو مع دقة الاتقان لجميع محاسن التفاسير حاوى المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل الذى أطبقت أساطين المحققين وفضلاء المتأخرين انه التفسير الجامع لزبدة التأويل وانه المعول عليه فى فهم أسرار التنزيل ولذلك تنافس فى فهم عباراته الراسخون واستشهد بنصوص كلامه المتجادلون وبالجملة فشهرة الكتاب غنية عن التعريف وفضله يقصر أن يفى به تأليف وقد حليت طرره ووشيت غرره بحاشية العلامة المحقق والفهامة المدقق شيخ الاسلام أبى الفضل الصديق المسمى بالكازرونى رحمه الله وأثابه رضاه وهى حاشية اشتملت على تحقيقات جليلة وفوائد هى درر عطايا جزيلة وقد جاء بها الشرح طبق المرام وأزاحت يد الطبع عنها خفاء اللثام وذلك (بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر) فى أوائل شهر جمادى الثانية سنة ١٣٣٠ هجر به على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية آمين

﴿فهرست الجزء الخامس من تفسير الامام البيضاوى﴾

صحيفة	
٢	تفسير سورة الصافات
٣	بيان معنى الشهاب وانه رجوم للشياطين
٩	بيان الذبيح وانه اسماعيل وردما استدل به من قال انه اسحق
١٤	تفسير سورة ص
١٧	بيان ما اشتملت عليه محاكمة الخصمين بين يدى سيدنا داود
١٩	بيان ما فتن به سيدنا سليمان والجسد الذى ألقى على كرسيه
٢٣	تفسير سورة الزمر
٢٨	بيان ما فعله خالد بن الوليد بالعزى
٣١	بيان ما فسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم المقاليد
٣٢	بيان ان العدل نور والظلم ظلمات
٣٤	تفسير سورة المؤمن
٣٥	بيان استغفار الملائكة للمؤمنين
٣٨	بيان مؤمن آل فرعون
٤٣	بيان عدد الانبياء
٤٤	تفسير سورة السجدة
٤٨	بيان موضع السجود فى السورة عند الأئمة
٥٠	تفسير سورة حم عسق
٥٢	بيان الدين المشترك بين الانبياء
٥٣	بيان القربى الذين تجب مودتهم
٥٧	تفسير سورة الزخرف
٦٠	بيان الرجلين اللذين كانت قريش تجلهما وتقول لولا أنزل القرآن على أحدهما
٦٥	تفسير سورة الدخان
٦٨	تفسير سورة الجاثية
٧١	تفسير سورة الاحقاف
٧٤	بيان مساكن عاد
٧٥	بيان وقت سماع الجن القرآن من رسول الله
٧٦	تفسير سورة القتال
٧٧	بيان ما يسوغ للامام فعله مع الاسير
٨١	تفسير سورة الفتح
٨٢	بيان أسباب المبايعة تحت الشجرة
٨٣	بيان دلالة القرآن على صحة بيعة أبى بكر رضى الله عنه
٨٦	تفسير سورة الحجرات
٨٧	بيان بعث الوليد بن عقبة الى بنى المصطلق وكذبه عليهم
٨٩	بيان الشعوب والقبائل والبطون والافخاذ
٩٠	تفسير سورة ق
٩٥	تفسير سورة الذاريات
٩٨	تفسير سورة الطور
١٠١	تفسير سورة النجم
١٠٢	بيان الاصنام التى كانت للعرب وأسباب اتخاذها
١٠٥	تفسير سورة القمر
١٠٨	تفسير سورة الرحمن
١١٢	تفسير سورة الواقعة
١١٦	تفسير سورة الحديد
١١٧	بيان أسباب تفاوت الانفاق قبل الفتح و بعده
١٢١	تفسير سورة المجادلة
١٢٤	تفسير سورة الحشر
١٢٥	بيان الاختلاف فى قسم الفىء
١٢٨	تفسير سورة الممتحنة
١٣٠	بيان ما كان يفعله صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية من رد مهر من جاءت مسلمة
١٣٠	تفسير سورة الصف
١٣٢	تفسير سورة الجمعة

صحيفة		صحيفة	
١٣٣	تفسير سورة المنافقين	١٨٤	تفسير سورة الفجر
١٣٤	تفسير سورة التغابن	١٨٦	تفسير سورة البلد
١٣٦	تفسير سورة الطلاق	...	تفسير سورة الشمس
١٣٨	تفسير سورة التحريم	١٨٧	تفسير سورة والليل
١٤٠	تفسير سورة الملك	١٨٨	تفسير سورة والضحى
١٤٣	تفسير سورة ن	١٨٩	تفسير سورة الم نشرح
١٤٧	تفسير سورة الحاقة		تفسير سورة والتين
١٥٠	تفسير سورة المعارج	١٩٠	تفسير سورة العلق
١٥٢	تفسير سورة نوح	١٩١	تفسير سورة القدر
١٥٤	تفسير سورة الجن	١٩٢	تفسير سورة لم يكن
١٥٦	تفسير سورة المزمل		تفسير سورة الزلزلة
١٥٨	تفسير سورة المدثر	١٩٣	تفسير سورة والعاديات
١٦١	تفسير سورة القيامة		تفسير سورة القارعة
١٦٣	تفسير سورة الانسان	١٩٤	تفسير سورة التكاثر
١٦٦	تفسير سورة المرسلات		تفسير سورة والعصر
١٦٨	تفسير سورة النبأ	١٩٥	تفسير سورة الهمزة
١٧٠	تفسير سورة النازعات	...	تفسير سورة الفيل
١٧٣	تفسير سورة عبس	١٩٦	تفسير سورة قريش
١٧٥	تفسير سورة التكوير		تفسير سورة الماعون
١٧٦	تفسير سورة الانفطار	١٩٧	تفسير سورة الكوثر
١٧٧	تفسير سورة المطففين		تفسير سورة الكافرون
١٧٨	تفسير سورة الانشقاق	١٩٨	تفسير سورة النصر
١٧٩	تفسير سورة البروج		تفسير سورة تبت
١٨١	تفسير سورة الطارق	١٩٩	تفسير سورة الاخلاص
١٨٢	تفسير سورة سبح	٢٠٠	تفسير سورة الفلق
١٨٣	تفسير سورة الغاشية	٢٠١	تفسير سورة الناس

﴿ تمت ﴾